صَحِيحُ

تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ

لِلإِمَامِ أَبِي جَعْفَرٍ بْنِ جَرِيرٍ الطَّبَرِيِّ

(٢٢٤ - ٣١٠ هـ)

حققه وخرج رواياته وعلّق عليه

محمد بن طاهر البرزنجي

بإشراف ومراجعة المحقق

محمد صبحي حسن حلاق

دار ابن كثير

دمشق - بيروت

ضعيف

تاريخ الطبري

للإمام أبي جعفر بن جرير الطبري
(٢٢٤ - ٣١٠ هـ)

حققه وخرج رواياته وعلق عليه
محمد بن طاهر البرزنجي

بإشراف ومراجعة المحقق
محمد صبحي حسن حلاق

دار ابن كثير
دمشق - بيروت

صَحِيحُ

تَارِيخ الطَّبَرِي

قِصَصُ الأَنْبِيَاءِ

وَتَارِيخُ مَا قَبْلَ البِعْثَةِ

لِلإِمَامِ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ جَرِيرٍ الطَّبَرِيِّ

(٢٢٤ - ٣١٠ هـ)

حققه وخرج رواياته وعلق عليه

محمد بن طاهر البرزنجي

بإشراف ومراجعة المحقق

محمد صبحي حسن حلاق

المجلد الأول

دار ابن كثير

دمشق - بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

صحيح

تاريخ الطبري

قصص الأنبياء

وتاريخ ما قبل البعثة

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

1428 هـ ـ 2007 م

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير و النقل و الترجمة و التسجيل المرئي و المسموع و الحاسوبي و غيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من

دار ابن كثير

للطباعة و النشر و التوزيع

دمشق ـ بيروت

الرقم الدولي :

الموضوع : تاريخ

العنوان : صحيح و ضعيف تاريخ الطبري 10\1

التأليف : الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري

نوع الورق : أبيض

ألوان الطباعة : لونان

عدد الصفحات : 5616

القياس : 17×24

نوع التجليد : فني - كعب لوحة

الوزن : 10 كغ

التنفيذ الطباعي : مطابع المستقبل

التجليد : مؤسسة فؤاد البعينو للتجليد

دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا ـ بناء الجابي

ص.ب : 311 ـ هاتف : 2225877 ـ 2228450 ـ فاكس : 2243502

بيروت ـ برج أبي حيدر ـ خلف دبوس الأصلي ـ بناء الحديقة

ص.ب : 113/6318 ـ تلفاكس : 01/817857 - جوال : 03/204459

www.ibn-katheer.com - info@ibn-katheer.com

دار ابن كثير

المقدمـــة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله :

أولاً

١ ـ تعريف التأريخ :

لغة : تعريف الوقت والتوريخ مثله يقال : أرخت وورخت [الجوهري] والأصمعي يفرّق بين لهجتين فبنو تميم يقولون : ورّخت الكتاب توريخاً وقيس تقول : أرخته تأريخاً هذا ما ذكره السخاوي في كتابه الإعلان بالتوبيخ [ص١٩].

التأريخ اصطلاحاً : لعلّ ابن خلدون (٨٠٨ هـ) أوّل من عرّف التأريخ تعريفاً شافياً وسبق بذلك علماء المسلمين وغير المسلمين.

قال ابن خلدون [العلامة المؤرخ] رحمه الله تعالى وهو يعرّف التأريخ :

[هو في ظاهره : لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول ، والسوابق من القرون الأُول تنمو فيها الأقوال وتضرب فيها الأمثال].

وفي باطنه : نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومباديها دقيق ، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق.

ولقد كان ابن خلدون دقيقاً في تقييمه للكم الهائل من الروايات التأريخية فقال وإن فحول المؤرخين في الإسلام قد استوعبوا أخبار الأيام وجمعوها وسطروها في صفحات الدفاتر وأودعوها ، وخلطها المتطفلون بدسائس من الباطل وهِموا فيها أو ابتدعوها وزخارف من الروايات المضعفة لفّقوها ووضعوها [مقدمة ابن خلدون].

أما السخاوي (٩٠٢ هـ) فقد عرف التأريخ اصطلاحاً فقال :

التعريف بالوقت الذي تضبط به الأحوال من مولد الرواة والأئمة ووفاة وصحة وعقل وبدنٍ ورحلة وحج و حفظ وضبط وتوثيق وتخريج وما أشبه هذا مما مرجعه الفحص عن أحوالهم في ابتدائهم وحالهم واستقبالهم ويلتحق به ما يتفق من الحوادث والوقائع الجليلة من ظهور حكمة وتجديد فرض ، وخليفة ووزير وغزوة وملحمة وحرب وفتح بلد وانتزاعه من متغلب عليه وانتقال دولة [الإعلان بالتوبيخ : ص٢٠].

الكافيجي : وأما علم التأريخ فهو علم يبحث عن الزمان وأحواله وعن أحوال ما يتعلق به من حيث تعيين ذلك وتوثيقه وأما موضوعه فالإنسان والزمان [المختصر في علم التأريخ : ٣٢٧].

وأما التأريخ بمعنى التقويم فالصحيح أنه بدأ به في خلافة أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب حين أمر المسلمين أن يجعلوا من مقدم النبي عليه الصلاة والسلام إلى المدينة بداية التأريخ الإسلامي فسمي [الهجري]. قال السخاوي والمحفوظ كما قال ابن عساكر أن الأمر به في زمن عمر وكذا صححه الجمهور بل هو الصحيح المشهور أنه كان في خلافة عمر وأنه ابتدأ بالهجرة النبوية وبالمحرم منها [الإعلان بالتوبيخ/ ٩٥].

أسباب اهتمام الأمة المسلمة بكتابة التأريخ :

١ ـ لاهتمام القرآن الكريم بقصص الأنبياء والأمم السابقة وبيان أحوالهم واستخراج الدروس والعبر من أحوالهم ومآلهم وكذلك قصص الفراعنة وقارون وغير ذلك كقوله تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ﴾ .

٢ ـ اهتمام القرآن الكريم بدراسة تبدل الأحوال والأوضاع وحثّ الناس على تدبّر الوقائع واكتشاف سنن الله في الكون ومنها السنن التأريخية كقوله تعالى : ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾ وقوله سبحانه : ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ .

٣ ـ اهتمت السنة النبوية الشريفة بقصص الأنبياء والصالحين من الأمم السابقة واستنباط العظات والعبر ـ كقوله عليه الصلاة والسلام : «إنه كان فيمن قبلكم . . . الحديث» .

٤ ـ أوصى الإسلام [كتاباً وسنة] بتتبع سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام فكان ذلك عاملاً آخر من عوامل اهتمام المسلمين بالسير والمغازي كجزء من التأريخ الإسلامي.

يقول الدكتور الدوري: إن القرآن نصّ على أن أقوال الرسول ﷺ موصى بها وأن سيرته مثل للمسلمين يقتدون به وهنا نجد دافعاً مباشراً لدراسة أقوال الرسول وأفعاله [بحث في نشأة علم التأريخ/ ١٨].

٥ ـ كان العرب أصحاب شعر وحكايات وقصائد تروي بطولات القبيلة ومواقف رموزها المشهودة ـ يضاف إلى ذلك كله قوة الحافظة عند العرب تعويضاً عن أميّتهم كما قال عليه الصلاة والسلام «إنا أمة أمية». يقول الأستاذ محمد فتحي عثمان وهو يتحدث عن خصائص العرب يومها: فهي أمة تميّزت بالحفظ والهداية وبالبلاغة والشعر، وبالحرص على الأنساب والفخر بها وكل هذه الثلاثة معين على ازدهار التأريخ [المدخل إلى التأريخ الإسلامي/ ١١٤].

٦ ـ اهتمام الخلفاء المتعاقبين على إدارة الحكم بالمغازي والسير وتأريخ من سبقهم من الملوك والخلفاء وحثّ النسابة والإخباريين على تدوين ما لديهم من الأخبار والأنساب وغير ذلك يقول الأستاذ شاكر مصطفى: فلقد كانت رغبة بعض الأمويين والولاة في المعرفة التأريخية وإن كانت لها أسبابها بالنسبة إليهم مشجعاً لإدخال هذه المعرفة بين المعارف النبيلة المطلوبة في المجتمع الإسلامي. وإذا كان معاوية قد استدعى عبيد بن شرية من صنعاء ليسأله عن ملوك العرب والعجم ويأمر بتسجيل ما يقول ويجلس كل مساء لسماع أخبار التأريخ وكان مروان بن الحكم يدني مجلس حكيم بن حزام ليسمع منه أخبار المغازي وعبد الملك يطلب أخبارها من التابعين وكان عروة بن الزبير راوية التأريخ على صلة بعبد الملك وابنه الوليد وبعمر بن عبد العزيز فقد عرفنا أيضاً أن هشام بن عبد الملك وضع لابن شهاب الزهري كاتبين يكتبان عنه سنة فلما مات الزهري وجدت له أكوام من الكتب في خزائن الأمويين [التأريخ العربي والمؤرخون/ ص ٦٧].

٧ ـ إن إنشاء أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه للدواوين وتسجيل أسماء المجاهدين الفاتحين حسب قبائلهم وأسرهم شجّع ظهور النسابة الخبراء في أنساب القبائل على اختلافها وأضحى الأنساب فيما بعد جزءاً من التأريخ حتى

أن البلاذري قد ألف سفراً عظيماً بترتيب أشهر الأنساب متضمناً الآباء والأبناء ومنهم الخلفاء الراشدون وبقية الخلفاء من بني العباس وبني أمية ويعتبر كتابه مصدراً متقدماً ثميناً.

يقول الأستاذ محمد فتحي عثمان [وقد اشتهر الصديق أبو بكر بحفظ الأنساب وأعان إنشاء عمر (للديوان) على حفظ الأنساب أيضاً وكان من دواعيه تنظيم العطاء. . . وقد شجّع الأمويون على حفظ الأنساب وظهر النسابون الأوائل في عهدهم واشتهر في هذا المجال دغفل بن حنظلة الشيباني سنة ٧٠ هـ]. [المدخل إلى التأريخ الإسلامي/ ١٣٦].

٨ ـ كان الخلفاء الأمويون ومن بعدهم العباسيون حريصين كل الحرص على تمييز الأراضي المفتوحة صلحاً أو عنوة وما إلى ذلك إلى أراضي خراجية أو عشرية حرصاً منهم على نظافة بيت المال وعدم السماح لدخول المال الحرام فيه وكان ذلك يعني اهتمامهم وسؤالهم عن الفتوحات الإسلامية الكبرى وأخبارها.

وحتى غير الخلفاء وبالأخص العلماء ومنهم الفقهاء قد اهتموا بهذا الجانب كثيراً حتى أنك ترى إماماً فقيهاً كالقاضي أبي يوسف يؤلف كتاباً في الخراج يروي فيه بالسند الموصول وقائع بعض الفتوحات الإسلامية في العراق وغيره.

٩ ـ حثّ الرسول عليه الصلاة والسلام أمته من بعده على احترام الصحابة الكرام وإجلالهم والاقتداء بهم وخاصة الخلفاء الراشدين وتتبع سيرتهم وخاصة في أبواب السياسة الشرعية كقوله عليه الصلاة والسلام في الحديث النبوي الشريف «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضّوا عليها بالنواجذ».

وهذا عامل آخر يضاف إلى عوامل أخرى دفعت الأئمة الأعلام إلى الاهتمام بتأريخ الراشدين كجزء من التأريخ الإسلامي وكتاب حلية الأولياء للحافظ الأصفهاني زاخر بسير الصحابة رضوان الله تعالى عليهم.

١٠ ـ إن ورود نصوص من السنة الشريفة تبيّن فضل جيل الصحابة وقوتهم على التابعين والتابعين على من بعدهم وكذلك تجمهر عدد كبير من التابعين حول الصحابة لأخذ العلم الشرعي دفع العلماء إلى تصنيف كتب في الطبقات وخاصة

طبقات الصحابة والتابعين فهذا سابق وهذا مهاجر وذاك أنصاري وهذا بدري وهذا من مسلمة الفتح ثم تأتي طبقات التابعين من بعدهم وكتاب الطبقات الكبرى لابن سعد خير شاهد على ذلك.

نشأة التاريخ عند المسلمين رواية ثم تدويناً وتبويباً أو تصنيفاً:

من الثابت عند أئمة المسلمين جميعاً أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد اتخذ من الصحابة من سمّوا (كتاب الوحي) كسيدنا علي وسيدنا معاوية وسيدنا عثمان وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين.

ومعلوم كذلك أن عدداً من الصحابة قد كتبوا جزءاً من السنة النبوية في صحف خاصة بهم ولكنها اندثرت ولكن حفظها تلامذتهم من التابعين الكرام ونقلوها إلى من بعدهم.

وللجمع بين أقوال العلماء في معرفة أول من دوّن الحديث مصنفاً مبوباً قالوا: أول من دوَّن مصنفاً ومبوباً:

محمد بن إسحاق بالمدينة (توفي ١٥١ هـ).

وابن جريج بمكة (١٥٠ هـ).

وحماد بن سلمة (١٦٧ هـ) بالبصرة.

ومعمر بن راشد (١٥٣ هـ) باليمن.

وسفيان الثوري (١٦١ هـ) بالكوفة... إلخ.

والإمام الذهبي رحمه الله يحدد سنة ١٤٣ هـ كبداية وانطلاقة لتدوين الحديث والتغيير وغيرهما فيقول: فصنف ابن جريج بمكة ومالك بن أنس الموطأ بالمدينة والأوزاعي بالشام وابن أبي عروبة وحماد بن سلمة وغيرهما بالبصرة ومعمر باليمن وسفيان بالكوفة مصنف ابن إسحاق المغازي مصنف أبو حنيفة رحمه الله الفقه والرأي.. إلى أن يقول الذهبي: وقبل هذا العصر كان الأئمة يتكلمون من حفظهم أو يروون العلم من صحف صحيحة غير مرتبة [تذكرة الحفاظ ١/ ٢٥٩].

ويعلّق الأستاذ شاكر مصطفى على هذا المقطع من كلام الحافظ الذهبي فيقول: ويتنبه الذهبي في هذا النص إلى عدد من الحقائق المتصلة بنشأة العلوم

الإسلامية ولعل أهمها مرورها في القرن الثاني في سنة ١٤٣ هـ كما يقول من مرحلة التسجيل غير المرتب إلى التصنيف المبوب [ص ٩٢] إلى أن يقول شاكر مصطفى وإذا نحن تجاوزنا تحديد سنة ١٤٣ هـ كسنة انقلابية ـ وهو تحديد ليس بالخاطىء تماماً على أي حال. . . إلخ) [التأريخ العربي والمؤرخون ص ٩٣] ثم يمضي الأستاذ شاكر في تعقيبه على كلام الحافظ الذهبي ويبيّن أن من سبق هذا التأريخ بالكتابة في التأريخ كعروة بن الزبير والزهري إنما كتبوا في أبواب متفرقة ولم يكن محاولة للإحاطة بكل الأخبار لكافة المواضيع وأن هذا النشاط في تسجيل مثل هذه الأدوار التأريخية لم يكن بعد قد أخذ انطلاقته الواضحة لأنه بقي رسمياً لحدٍّ ما دينياً ولم يصبح تياراً فكرياً ثقافياً واضح التدوين. . [التأريخ العربي والمؤرخون ص ٩٥ باختصار وتصرف] وهذا كلام نوزع فيه الأستاذ.

فأما تحديد هذه السنة بالذات (١٤٣ هـ) كحد فاصل بين التدوين المبوّب وغير المبوّب ففيه نظر لأن عروة بن الزبير رضي الله عنه والمتوفى سنة (٩٣ هـ) معروف بالمغازي والسير ومروياته في السيرة خاصة في حنايا كتاب المغازي صحيح البخاري وكذلك الطبري وغيرهما ويعتبره الدوري مؤسساً لمدرسة المغازي (ص ٢١) ولو اتفقنا مع الأستاذ شاكر في عدم اعتبار كتابات عروة كذلك فإننا لا نستطيع أن نتجاوز مرويات الزهري ذلك الإمام المحدث الفقيه الذي ساهم في تدوين السيرة النبوية الشريفة وشطراً من تأريخ الخلافة الراشدة وخاصة أيام الفتن وردحاً من بدايات الخلافة في عهد الأمويين حتى أن البعض يعتبره مؤرخاً [انظر ما كتبه الدكتور الدوري ـ عبد العزيز ـ في كتابه (بحث في نشأة علم التأريخ) فهو يعتبر الزهري (١٢٤ هـ) مؤرخاً ومختصاً بالمغازي (ص ٢١) وليس الرجل متقولاً في ذلك فللمسألة أصل معتمد فقد قال الطبري رحمه الله: كان الزهري مقدماً في العلم بمغازي رسول الله ﷺ وأخبار قريش والأنصار راوية لأخبار رسول الله ﷺ وأصحابه [المنتخب من كتاب ذيل المذيل/ ٩٧].

ولا بد لنا من دراسة المدارس التأريخية في المدن الإسلامية في القرنين الأول والثاني ومعرفة عدد من رواد ومنشئي هذه المدارس [مدرسة المدينة] [مدرسة الشام] [مدرسة العراق] [مدرسة مصر].

أ ـ مدرسة المدينة:

١ ـ عروة بن الزبير: توفي سنة ٩٤ هـ المحدث الفقيه بل أحد الفقهاء السبعة في المدينة يومها قال الحافظ ابن حجر في ترجمته ثقة فقيه مشهور من الثانية مات سنة ٩٤ على الصحيح ومولده في أوائل خلافة عمر الفاروق [تقريب/ تر٥١٣١]. أول من ألف في المغازي[(١)].

٢ ـ أبان بن عثمان بن عفان: توفي (سنة ١٠٥ هـ) وهو ثقة من الثالثة [تقريب/ تر ١٦٣].

٣ ـ سعيد بن المسيب: توفي سنة ٩٤ هـ وهو نسابة مؤرخ فقيه[(٢)].

٤ ـ محمد بن مسلم بن شهاب الزهري: (٥٠ ـ ١٢٤ هـ) ويعتبره بعضهم مؤسساً لمدرسة التأريخ في المدينة والشام[(٣)].

وقال آخرون صاحب دراسات وأبحاث في التأريخ والفقه والحديث[(٤)].

ومن خلال تخريجنا لروايات الزهري التأريخية عند الطبري وغيره وجدنا اهتمامه بالسيرة والمغازي ثم بأحداث الفتن في عهد الخلفاء الراشدين وصلح سيدنا الحسن مع سيدنا معاوية رضي الله عنهم أجمعين بالإضافة إلى اهتمامه بأعمار الخلفاء من بعدهم وسني حكمهم.

وهؤلاء وغيرهم نواة لمدرسة المدينة وهم متأثرون بشكل أو بآخر بمرويات عبد الله بن عباس (فيما يتعلق بالمغازي) وغيره من الصحابة فعبد الله بن عباس اشتهر بالتدريس فيما يتعلق بكافة العلوم ومنها المغازي والسير وقد ورد ذكره في أسانيد الطبري في أكثر من (٢٨٠) موضعاً. ومن تلاميذه الكبار (سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، ووهب بن منبه... إلخ) وكريب بن أبي مسلم مولى ابن عباس الذي كان يحتفظ بصحف ابن عباس وكتبه[(٥)].

---

(١) شاكر مصطفى [التأريخ العربي والمؤرخون/ ١٥٢].

(٢) المصدر السابق [١٥٢].

(٣) المصدر السابق [١٥٧].

(٤) مجلة المجمع العلمي العراقي (١٩٥٤ هـ).

(٥) الطبقات الكبرى (٥/ ٢١٦).

ب ـ مدرسة الشام:

١ ـ الأوزاعي: (عمرو بن عبد الرحمن) توفي سنة ١٠٧ هـ إمام في الحديث والمغازي والسير.

٢ ـ عوانة بن الحكم الكلبي: (توفي سنة ١٤٧ هـ) عاش العقود الأخيرة من عهد الأمويين ثم ما يقرب من عقدين أيام الخلافة في عهد العباسيين.

ويعتبره الأستاذ شاكر مصطفى صاحب فضل على التأريخ الإسلامي فيقول: ونحن ندين لعوانة هذا بتسمية علم التأريخ فهو صاحب أول كتاب تأريخي يحمل اسم (كتاب التأريخ) في الإسلام وقد كتب كذلك سيرة معاوية وبني أمية ولكن الكتابين فقدا ولم يبق منهما إلاّ ما تناثر لدى المدائني وابن الكلبي والطبري وغيرهم[١].

وقد أكثر الكلبي والمدائني وابن عدي (الهيثم) من مرويات عوانة ومن كتبهم أخذ الطبري مرويات عوانة.

٣ ـ عبيد بن شرية الجرهمي: اليماني الأصل، الشامي المنزل، وهو مخضرم استدعاه أمير المؤمنين معاوية ليدون ما لديه من الأنساب والأخبار[٢].

ومن قبل هؤلاء شارك عروة بن الزبير والزهري في تأسيس مدرسة الشام التأريخية وإن كانا مدنيين فقد ترددا بين الحجاز والشام وإن كان الزهري أكثر تواجداً في الشام بل قضى عقوده الأخيرة هناك حتى توفاه الله تعالى في أواخر خلافة أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك رحمه الله تعالى.

ج ـ مدرسة مصر في التأريخ:

إن لأهل الحديث فضلاً كبيراً في تدوين التأريخ الإسلامي وبين الأمويين روابط من الإسناد والتراجم وعلم الرجال والطبقات وما إلى ذلك فكما أن المحدث عروة بن الزبير ومن بعده الزهري المحدث قد شاركا في تشكيل نواة مدرسة التأريخ في المدينة. فإن أئمة الحديث في مصر لهم الفضل الكبير في

---

(١) التأريخ العربي والمؤرخون (١٢٨).
(٢) الفهرست لابن النديم (٨٩) [مروج الذهب / ٤/ ٩٠].

إنشاء مدرسة التأريخ هناك: ومنهم الإمام الليث بن سعد المصري وهو ثقة ثبت فقيه إمام مشهور من السابعة ت ١٧٥ هـ أخرج له الستة وله مرويات في التأريخ عند الطبري وغيره ولعلّ أقدم مصدر من المصادر التأريخية لمصر هو كتاب فتوح مصر لابن عبد الحكم القرشي المصري الذي توفي سنة ٢٧٦ هـ[١].

د ـ مدرسة العراق:

١ ـ لعلّ الإمام عامر بن شراحيل الشعبي (المتوفى سنة ١٠٣ هـ) الكوفي من مؤسسي مدرسة العراق في التأريخ وشهد أحداثاً جساماً طبعت في ذاكرة التأريخ منها الصلح بين سيدنا الحسن وأمير المؤمنين معاوية رضي الله عنهما وشارك في وقعة دير الجماجم فيما سمّي بحركة ابن الأشعث أيام الحجاج ومن قبله شهد الاضطرابات التي وقعت في العراق أيام موت يزيد بن معاوية ـ في العقد السادس من القرن الهجري الأول ـ.

وأخرج له الطبري في تأريخيه في أكثر من (١٠٠) موضع وتمتد مروياته من قصص الأنبياء وحتى أحداث نهاية القرن الهجري الأول.

٢ ـ سيف بن عمر التميمي (سنتحدث عنه بعد قليل).

٣ ـ قحذم بن سليمان (المتوفى سنة ١٥٨ هـ) كان يعمل كاتباً للخراج في ولاية يوسف بن عمر الثقفي على العراق وأكثر عنه خليفة من طريق حفيده (الوليد بن هشام بن قحذم) ونقل عنه الطبري ولكن بروايات قليلة جداً لا تعدو عدد أصابع اليد.

وهنالك آخرون بعضهم أكثر أهمية وشهرة من قحذم شاركوا في بناء مدرسة العراق التأريخية في القرن الثاني الهجري سنذكرهم بعد قليل عند حديثنا عن الإخباريين.

هـ ـ مدرسة اليمن:

١ ـ دغفل بن حنظلة الشيباني النسابة المخضرم ـ يروي ابن حبيب أنه شارك

---

(١) المدخل إلى التأريخ الإسلامي ١٧٦.

في تأديب يزيد بن معاوية بن أبي سفيان(١).

٢ -عبيد بن شرية الجرهمي سبقت ترجمته في الحديث عن مدرسة الشام.

٣ -وهب بن منبه الذماري توفي سنة ١١٤ هـ.

وقد روى تلاميذه عنه المغازي قصص الأنبياء وتأريخ اليمن القديم(٢).

الأخباريون [الثقات وغير الثقات]:

الأخباري لفظة دون المؤرخ أو قبله زماناً ومنصباً ـ فالناس أطلقوا هذه التسمية على من جمع الأخبار في أيام العرب والقصص الغابرة ثم الفتوح وهم طلائع التأليف التأريخي عند المسلمين(٣) وسمّي من كتب في غزوات النبي ﷺ وسيرته بصاحب المغازي والسير ومن كتب في أنساب العرب بالنسابة ثم تراجع الأخباري عندما بدأ التصنيف والتبويب فأصبح اسماً فقط على راوي القصص والنوادر والحكايات(٤).

وقد اشتهر في سماء التدوين أئمة أعلام حفظوا لنا التأريخ الإسلامي وأئمة أعلام حفظوا لنا السيرة النبوية الشريفة واشتهر آخرون كذلك كأخباريين ولكن لطّخوا التأريخ الإسلامي وشوّهوه كالتالف الهالك أبي مخنف ومنهم من لم ينسب إلى الكذب أو الوضع ولكن إلى الضعف كسيف بن عمر ومنهم من نسب إلى الكذب حتى ترك كالواقدي والهيثم بن عدي والكلبي وسنذكر ترجمة مختصرة لكل واحد منهم وعدد مروياتهم في تأريخ الطبري.

١ ـ لوط بن يحيى (أبو مخنف) الكوفي:

أخرج له الطبري في أكثر من (٣٠٠) موضع ابتداءً بخبر سقيفة بني ساعدة وانتهاء بأحداث سنة (١٣٢) هـ ودخول الحسن بن قحطبة إلى الكوفة بعد هرب عاملها ابن هبيرة (من قبل الأمويين).

وبعد سبرٍ لرواياته عميق ومن خلال تخريجنا لروايات الطبري وجدناه بارعاً

(١) المحبر (٤٧٨).

(٢) التأريخ والمؤرخون (١٣٨).

(٣) المدخل إلى التأريخ الإسلامي (١٢٩).

(٤) الإمام الطبري ـ د. محمد الزحيلي / ٢٠٢/.

في التلفيق وتزوير الحقائق والطعن في عدالة الصحابة وتشويه سمعتهم ولعل رواية واحدة أو روايتين من مروياته وجدت لها مكاناً في قسم الصحيح من بحثنا هذا وإليك أقوال العلماء فيه: قال ابن عدي شيعي محترق صاحب أخبارهم [الكامل ٦/ ٩٣/ ١٦٢١] [وقال الذهبي أخباري تالف لا يوثق به تركه أبو حاتم وغيره وقال ابن معين ليس بشيء [ميزان مع ذيل الميزان/ تر ٧٤٥١].

٢ ـ سيف بن عمر التميمي: (توفي سنة ١٨٠ هـ) وهو كوفي أخباري بدأ حياته العلمية بالمدينة ثم سافر إلى العراق واشتهرت مروياته في الردة والفتوحات ووقعة الجمل ـ ونقل عنه الطبري (٣٠٠) موضع أو يزيد قال ابن حبان يروي الموضوعات عن الأثبات وقال الذهبي في ترجمته: مصنف الفتوح والردة وغير ذلك هو كالواقدي.

وقال ابن عدي: عامة حديثه منكر، وقال أبو حاتم: متروك، وقال أبو داود: ليس بشيء، وقال ابن حجر في التقريب: ضعيف في الحديث عمدة في التأريخ من الثامنة مات في زمن الرشيد.

وعقب المحرران (الشيخ شعيب والدكتور بشار) على قول الحافظ (ضعيف الحديث عمدة في التأريخ) بقولهما: بل متروك فحديثه ضعيف جداً... وحتى أخباره في التأريخ ليست بشيء فقد قال أبو حاتم الرازي متروك يشبه حديثه حديث الواقدي وقال البرقاني والدارقطني متروك [تقريب التهذيب/ تر ٣٠١٥] [المجروحين ١/ ٣٤٥]، [ميزان الاعتدال مع ذيل الميزان/ تر ٣٩٨٩]، [تحرير التقريب/ تر ٢٧٢٤].

٣ ـ محمد بن إسحاق إمام المغازي: (ت ١٥١ هـ) كتب كتاباً في الخلفاء بالإضافة إلى سيرته المشهورة وقد أكثر الطبري من إخراج رواياته فزادت على (٣٥٠) رواية معظمها في السيرة النبوية الشريفة وهو حسن الحديث إذا صرّح بالتحديث والله أعلم.

٤ ـ محمد بن السائب الكلبي وابنه هشام أما الأب فقد توفي سنة ١٤٦ هـ وله في تأريخ الطبري (١٦) رواية وهو نسابة متشيّع وقد أخذ عنه ابنه هشام الذي

توسع أكثر من أبيه بالأخبار والتأريخ وألف في ذلك كله فقائمة كتبه قرابة (١٥٠) كتاباً[١].

وقد روى له الطبري في (٢٨٠) موضعاً من تأريخه.

وقال الدكتور جواد علي: لقد كان جلّ اعتماد الطبري في أخبار العرب قبل الإسلام على مؤلفات ابن الكلبي، وقال أيضاً:

أما ابن الكلبي... هو وأبوه في طليعة من عُنوا بجمع أخبار الجاهلية وتدوينها ومن طريقهما عرفنا أموراً عن العرب قبل الإسلام لم يذكرها غيرهما من الأخباريين، بالرغم من نواحي الضعف التي تظهر عليها، وبالرغم مما رميا به من الكذب والتزوير، والحق أننا نجد في رواياتهما، وخاصة روايات هشام. تناقضاً غريباً في بعض الأحيان يُستغرب صدوره من رجل له علم ومعرفة وتمييز في الأمور[٢].

ومحمد بن السائب الكلبي ترجم له أئمة الجرح والتعديل وذكروا مختلف الأقوال فيه وخلاصة القول فيه ما قاله ابن حجر في ترجمته: النسابة المفسر متهم بالكذب ورمي بالرفض من السادسة مات سنة ١٤٦ هـ [تقريب/ تر٦٦٢٤].

وأما ابنه هشام الكلبي فقد قال الذهبي في ترجمته: الأخباري النسابة العلامة قال الدارقطني وغيره متروك وقال ابن عساكر رافضي ليس بثقة وقال أحمد إنما كان صاحب سمر ونَسَب ما ظننت أن أحداً يحدث عنه وقال الذهبي في نهاية ترجمته وهشام لا يوثق به وقيل إن تصانيفه أزيد من مئة وخمسين مصنفاً مات سنة (٢٠٤ هـ) [ميزان الاعتدال مع ذيل الميزان/ تر٩٧٣٧].

٥ - أبو معشر السندي: (توفي سنة ١٧٠ هـ) واسمه نجيح بن عبد الرحمن وأخرج له الطبري في (١٠٩) مواضع من تأريخه وهو ضعيف من الطبقة السادسة أخرج له الأربعة [تقريب/ تر٧٩٩٤].

وقال أحمد حديثه عندي مضطرب لا يقيم الإسناد ولكن أكتب حديثه أعتبر به [العلل ١/ ١٣٥].

---

(١) التأريخ والمؤرخون (١٩١).

(٢) مدخل إلى التأريخ الإسلامي / ٦٨٦/ نقلاً عن مجلة المجمع العلمي العراقي ١٩٥٢.

وقد أخذ الواقدي من مغازيه وأخذ ابن سعد ، بينما أخذ الطبري عن التأريخ (يعني تأريخ الخلفاء ـ على الحوليات] حتى توقف سنة ١٧٠ هـ[١] .

٦ ـ محمد بن عمر الواقدي: (١٣٠ ـ ٢٠٧ هـ) نشأ في المدينة وأخذ العلم فيها ثم انتقل إلى العراق حتى توفي فيها .

أخرج الطبري من رواياته فيما يقرب من (٣٠٠) موضع .

وهذه أقوال أئمة الجرح والتعديل فيه :

قال أحمد بن حنبل: هو كذاب يقلب الأحاديث ، وقال البخاري: متروك ، وقال أبو حاتم والنسائي: يضع الحديث ، وقال ابن عدي: أحاديثه غير محفوظة والبلاء منه وقال الذهبي: أحد أوعية العلم على ضعفه ، وقال الذهبي في نهاية ترجمته: واستقر الإجماع على وهن الواقدي ، وقال ابن حجر: متروك مع سعة علمه من التاسعة [تقريب/ تر ٦١٩٥] ، [ميزان الاعتدال مع ذيل الميزان/ تر ٨٤٥٧] ، [الكامل ٦/ ٢٤١/ تر ١٧١٩] ، [التأريخ الصغير ٢/ ٣١١] ، [الجرح والتعديل ٨/ ٢٠] .

ثم ظهرت في نهاية القرن الأول الهجري وبداية القرن الثاني الهجري طبقة من الأعلام ما بين أخباري ومؤرخ نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر [المدائني ١٣١ ـ ٢٢٥ هـ] ، [ابن سعد ١٦٨ ـ ٢٣٠ هـ] ، [خليفة بن خياط ٢٤٠ هـ] ، [عمر بن شبة النميري ١٧٢ ـ ٢٦٢ هـ] ، ولقد أدرك الطبري رابعهم وهو عمر بن شبة ومن طريقه أخذ مرويات المدائني ومن طريق شيخه الحارث بن محمد أخذ مرويات ابن سعد في طبقاته الكبرى ـ وهذه نبذة مختصرة عن ثلاثة من هؤلاء الأعلام ودورهم في تطوير علم التأريخ عند المسلمين الأوائل :

١ ـ علي بن محمد (أبو الحسن المدائني) (١٣١ ـ ٢٢٥ هـ) :

اعتبره الأستاذ شاكر مصطفى قمة الطور الأخباري السابق للتأريخ[٢] وأخرج الطبري من مروياته في أكثر من (٣٠٠) موضع وهذه أقوال العلماء فيه :

---

(١) التأريخ العربي والمؤرخون (٦٣) .

(٢) المصدر السابق (١٨٦) .

قال ابن معين: ثقة ثقة ثقة، وقال الطبري: كان عالماً بأيام الناس صدوقاً في ذلك، وقال الذهبي: العلامة الحافظ الصادق الأخباري وقال أيضاً صدوق [سير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٠١]، [ميزان الاعتدال ٣/ ١٥٣]، [تأريخ بغداد ١٢/ ٥٥].

وقد كثرت مروياته عند الطبري وخاصة في تاريخ الخلافة على عهد الأمويين ثم العصر العباسي الأول ـ ولقد حصل الطبري على كتبه من طريق اثنين من شيوخه الثقات [عمر بن شبة وأحمد بن زهير بن حرب]. وهما من تلاميذ المدائني مع غيرهما كالزبير بن بكار وقال أحمد بن أبي خيثمة: كان أبي وابن معين ومصعب الزبيري يجلسون على باب مصعب فمرّ رجل على حمارٍ فاره وبزّة حسنة فسلم وخص بسلامه يحيى فقال له يا أبا الحسن إلى أين... إلخ فلما ولّى قال يحيىٰ: ثقة ثقة ثقة، فسألت أبي من هذا؟ فقال: هذا المدائني [ميزان الاعتدال/ تر ٦٣٦٧].

وقال شاكر مصطفى [وقد اتبع المدائني في المنهج التأريخي طريقة المحدثين في نقد الروايات وإثبات الإسناد مما أعطاه لوناً من الثقة لدى الناس كما نظم المادة الواسعة التي وقعت له تنظيماً متوازناً خدم التأليف التأريخي وكان بذلك كله خطوة هامة في تطور عملية التأريخ ما أضحى المصدر الرئيسي للمؤرخين التاركين][(١)].

وقال الدكتور الدوري: وتصل دراسات الأخباريين قمتها عند المدائني (١٣٥ ـ ٢٢٥ هـ) وهو بصري استقرّ بعدئذ في بغداد ويظهر أثر الإسناد عليه أقوى ممن سبقه نتيجة للتطورات الثقافية ويظهر عنده الاتجاه نحو جمع أوسع وتنظيم أوفى للروايات التأريخية... ويمثل المدائني درجة أعلى من أسلافه في البحث والدقة [بحث في نشأة علم التأريخ/ ٣٩].

٢ ـ محمد بن سعد البصري الزهري (كاتب الواقدي) ١٦٨ ـ ٢٣٠ هـ:

يعتبر الإمام المحدث الثقة ابن سعد رائداً من رواد كتابة التأريخ بنظام الطبقات لا الحوليات وقد بدأ بالسيرة النبوية الشريفة في كتابه الطبقات الكبرى ثم الصحابة ومن تلاهم من التابعين ومن بعد هؤلاء ـ وكان دقيقاً في كل طبقة فقد

---

(١) التأريخ العربي والمؤرخون (١٨٨).

ذكر الصحابة حسب أسبقيتهم ثم هجرتهم أو نصرتهم ، ثم مشاركتهم في معركة بدر. . . إلخ مما هو معروف من طبقات الصحابة وخصص جزءاً من طبقاته لأعلام النساء [صحابيات وغيرهن].

قلت: وإن كان معاصره خليفة بن خياط قد ألف كتاباً عرف باسم طبقات خليفة[1] إلا أن ابن سعد رحمه الله فاق خليفة وغيره ممن جاؤوا من بعدهما فقد ميّز خليفة بين تسجيله الحولي لأحداث التأريخ وبين الطبقات بينما استطاع ابن سعد أن يمزج بين الطبقات مميزة الواحدة عن الأخرى وبين تأريخ الأحداث وتفاصيلها مسندة بطريقة أهل الحديث ولقد ردّ الأستاذ أكرم ضياء العمري قول من وصف الطبقات بأنها جلّها من طريق الواقدي المتروك وبيّن أن ابن سعد أخرج روايات كثيرة من غير طريق الواقدي ، والباحث المنصف يتبين له ذلك.

يقول الأستاذ أكرم ضياء العمري:

ولكن من الإجحاف لابن سعد أن نقتنع بقول ابن النديم عنه أنه صنف كتبه من تصنيفات الواقدي ، لأن ابن سعد استقىٰ من مصادر أخرى كثيرة حتى بلغ عدد شيوخه في الطبقات الكبرى أكثر من ستين شيخاً معظمهم من المحدثين ويزيد ما نقله عن أبي نعيم الفضل بن دكين وعفان بن مسلم وعبيد الله بن موسى العبسي ومعن بن عيسى الأشجعي مجتمعين على ما نقله عن الواقدي فكيف وقد نقل عن غيرهم أيضاً!! وبذلك يتضح ما في اتهام ابن النديم له من مجازفة وبعد عن الحق [عصر الخلافة/ ١٢] ، [وأشار العمري في الحاشية إلى رسالة جامعية بعنوان خلافة أبي بكر الصديق لعبد العزيز بن سليمان المقبل/ ص ١٧].

٣ ـ خليفة بن خياط العصفري (شباب):

قال الذهبي في ترجمته: الحافظ الإمام أبو عمرو العصفري البصري المعروف بشباب محدث نسابة إخباري علامة صنف التأريخ والطبقات. . . قال ابن عدي مستقيم الحديث صدوق من متيقظي الرواة [تذكرة الحفاظ ٢/ ٤٣٦].

وقال الذهبي أيضاً ليّنه بعضهم بلا حجة ـ وقال أيضاً: حدث عنه البخاري

(١) اعتبر شاكر مصطفى خليفة وابن سعد أقدم من قسم رجال الطبقات على أمصارهم المصدر السابق/ ص ٢٣٦.

بسبعة أحاديث أو أزيد في صحيحه وكان صدوقاً نسابة عالماً بالسير والأيام والرجال وثقه بعضهم وقال ابن عدي هو صدوق [سير أعلام النبلاء ١١/ ٤٧٣].

وقال ابن حجر في التهذيب [٣/ ١٦٠]: ذكره ابن حبان في الثقات وقال: كان متقناً عالماً بأيام الناس وأنسابهم . . . قلت لم يحدث عنه البخاري إلا مقروناً وإذا حدث عنه لمفرده علق أحاديثه وقال مسلمة الأندلسي لابأس به ا هـ.

وقال أبو حاتم لا أحدث عنه هو غير قوي [الجرح والتعديل ٣/ ٣٧٨] وقال ابن حجر في التقريب [تر ١٩٠٩] صدوق ربما أخطأ وكان أخبارياً علامة من العاشرة مات سنة ٢٤٠ هـ/خ/ا هـ.

وقد اعتبره شاكر مصطفى من طليعة المؤرخين الكبار والذي ظهر في وقت مبكر(١).

وضمن هذه الطبقة التي سبقت ظهور المؤرخين الكبار أئمة آخرون يطول ذكرهم ذكرنا بعضهم ضمن شيوخ الطبري في التأريخ.

النصف الثاني من القرن الهجري الثالث وظهور المؤرخين الكبار أو العمالقة:

قال الأستاذ عبد العزيز الدوري: وقد شهد النصف الثاني للقرن الثالث الهجري ظهور مؤرخين لاتحدهم مدرسة ولا اتجاه سابق بل حاولوا أن يستفيدوا من مواد السيرة ومن كتب الأخباريين والأنساب والمصادر الأخرى المتيسّرة وشملت دراستهم الأمة بصورة منظمة وكان عملهم في انتقاء المادة بعد النقد والفهم عاماً أو عالمياً(٢).

ويقول الأستاذ محمد الزحيلي: وفي القرن الثالث الهجري استوى علم التأريخ على سوقه(٣).

ويقول الأستاذ شاكر مصطفى: من نسميهم بالمؤرخين الكبار هم طبقة كاملة من مؤرخي النصف الثاني من القرن الثالث كانوا النهاية الطبيعية لخط من التطور

---

(١) التأريخ العربي والمؤرخون/ ٢٣٤.
(٢) نشأة التأريخ/ الدوري.
(٣) الإمام الطبري/ أعلام المسلمين/ ص ٢٠٣.

المستمر أصاب علم الأخبار وما يتصل به خلال أكثر من قرنين[١].

وسنذكر ضمن هذه الطبقة على سبيل المثال لا الحصر أربعة من المعاصرين لبعضهم البعض وهم [يعقوب بن سفيان البسوي ٢٧٧ هـ]، [اليعقوبي أحمد بن إسحاق ٢٩٢ هـ]، [البلاذري أحمد بن يحيى ٢٧٩ هـ]، وأخيراً [الطبري (محمد بن جرير) ٣١٠ هـ].

١ ـ يعقوب بن سفيان البسوي الهمذاني الفارسي توفي سنة ٢٧٧ هـ عن بضع وثمانين سنة قال الذهبي في ترجمته: الحافظ الإمام الحجة وقال ابن عماد الحنبلي في ترجمته: أحد أركان الحديث: وقال الحاكم النيسابوري: إمام أهل الحديث بفارس [وقال ابن حجر ثقة حافظ من الحادية عشرة [تقريب/ تر ٨٨١٦]، [تذكرة الحفاظ ٢/ ٥٨٢]، [شذرات الذهب ٢/ ١٧١]، [البداية والنهاية ١١/ ٦٠].

وقال الأستاذ العمري في مقدمة تحقيقه لكتاب المعرفة والتأريخ [١/ ١٩] وتدلّ مؤلفات يعقوب على أنه كان معنياً بالحديث وعلم الرجال والتأريخ والعقائد والرقائق وكان متقناً في علمه واسع الاطلاع حتى ذكر أبو زرعة الدمشقي أن يحيىٰ ابن معين كان ينتخب منه في التأريخ ا هـ.

قلت وكعادة الأئمة الكبار فإن البسوي أكثر من الرحلة في طلب العلم ويكفي دلالة على ذلك ذكر أسماء المدن والبلدان التي زارها طلباً للعلم [دمشق ـ حمص ـ فلسطين ـ مصر ـ مكة ـ العراق ـ ثم مصر وأخيراً العراق].

وقد اشتهر يعقوب بن سفيان البسوي بكتابه الضخم «المعرفة والتأريخ» وقد فقد منه جزء غير يسير والباقي مرتب على السنين ابتداءً من سنة ١٣٦ هـ وإلى حوادث سنة ٢٤٢ هـ ويلحقه قسم يتناول تراجم الصحابة والتابعين.

وقد شرح الأستاذ العمري أهمية الكتاب وموارده التأريخية وثناء العلماء عليه واقتباسهم منه ومنهم الخطيب وابن عساكر والذهبي وغيرهم وانظر لزاماً كتاب «المعرفة والتأريخ» تحقيق العمري من ص ٧ وإلى ص٥٧].

---

(١) التأريخ العربي والمؤرخون/ ٢٠٢.

٢ ـ اليعقوبي: أحمد بن إسحاق ٢٩٢ هـ: من أشهر من كتب في التأريخ الموضوعي لا على الترتيب الحولي ـ ولكنه لم يعتمد الإسناد في رواياته بل اكتفى بذكر الكتب التي اطلع عليها إجمالاً ـ وهو ممن يعبر عن فكرة التأريخ العالمي.

والعيب في اليعقوبي أنه مؤرخ منحاز لم يستطع أن يحافظ على الحياد المطلوب كما فعل الطبري رحمه الله وكما سنبين في موضعه وقد كثرت الدراسات الحديثية حول المؤرخين المتقدمين ونذكر هنا رأي أستاذين كبيرين من أساتذة التأريخ في اليعقوبي هذا، الأول هو الأستاذ عبد العزيز الدوري إذ يقول فيه: [فهو في حديثه عن الراشدين والأمويين يظهر ميولاً علوية أحياناً ويسهب في ذكر أقوال الأئمة وخطبهم ويعطي سيرهم عند ذكر وفياتهم ولعلنا نكون أدق إن قلنا إن وجهة نظره إمامية[1].

وأما المؤرخ الثاني الذي خبر رواياته وأبدى رأيه فيها فهو الأستاذ أكرم ضياء العمري إذ يقول في اليعقوبي: مؤرخ شيعي إمامي ويقول أيضاً: ويتسم بالانحياز العقدي من ناحية أخرى[2].

٣ ـ البلاذري (أحمد بن يحيى) ٢٧٩ هـ:

قال عنه الذهبي صاحب التأريخ المشهور من طبقة أبي داود السجستاني حافظ أخباري علامة [تذكرة الحفاظ ٣/ ٨٩٢] اشتهر بكتابيه القيمين فتوح البلدان ـ وأنساب الأشراف والحق يقال فإن أنساب الأشراف سفر تأريخي عظيم بلبوس الأنساب كما قال الأستاذ الدوري[3]:

أما كتاب أنساب الأشراف فهو كتاب عام في التأريخ الإسلامي في إطار الأنساب وهو يمثل مزيجاً فَذّاً في الخطة والمادة، فخطته تجمع بين أساليب كتابة كتب الطبقات وكتب الأخبار وكتب الأنساب.

ويقول الأستاذ العمري:

ويُعَدُّ البلاذري أبرز المؤرخين المسلمين بعد الطبري من حيث سعة

---

(١) نشأة علم التأريخ عند العرب للدوري/ ٥٣.

(٢) عصر الخلافة الراشدة/ ١٦ ـ العمري.

(٣) نشأة علم التأريخ عند العرب للدوري/ ٤٩.

المعلومات التي دوّنها والفترات التأريخية التي غطّاها لكن كتابه (أنساب الأشراف) أحسن انتقاءً للروايات وأنقى للأسانيد وأكثر اتفاقاً مع روايات أهل الثقة والصدق من تأريخ الطبري[1].

قلت: ويعتبر البلاذري قمة التطور في علم الأنساب بدأ بالنسابة أبي اليقظان ١٩٠ هـ ثم هشام الكلبي (٢٠٤) والهيثم بن عدي (٢٠٦ هـ) ومصعب الزبيري (٢٣٣ هـ) وأخيراً البلاذري (٢٧٩ هـ) وهؤلاء يشكلون المحطات البارزة ولا يعني أن غيرهم لم يكن له دور في سلم التطور التأريخي هذا بل هم كثيرون.

٤ ـ الإمام المؤرخ المحدث المفسر محمد بن جرير (أبو جعفر) الطبري ٢٢٤ هـ ـ ٣١٠هـ:

عصره: عاش الإمام الطبري رحمه الله تعالى في ظل الخلافة الإسلامية على عهد العباسيين ولم يتجاوز السابعة من عمره حتى انتهى عصر القوة العباسي وبدأ ما يسميه المؤرخون العصر العباسي الثاني.

كان عصر الطبري من الناحية السياسية عصر خلاف ونزاع على السلطة المركزية بين اتجاهات مختلفة.

وفي الوقت نفسه كان عصر ازدهار علمي بكل ما تعنيه الكلمة وكان سوق التبويب والتصنيف رائجاً حتى أن الحكام على اختلاف نزعاتهم كانوا يتوددون إلى العلماء ويتنافسون على دعمهم وتقريبهم من مجالسهم.

ولقد عاش الطبري رحمه الله سبعة عقود (أو أقل) من عمره في القرن الثالث الهجري وعقده الأخير في مطلع القرن الرابع.

ويعتبر الباحثون القرن الثالث الهجري قرن المؤرخين الكبار أو العمالقة الذين مثلوا قمة النضج في كتابة التأريخ سواء كان بطريقة الحوليات أو مرتباً حسب الحوادث السياسية أو على شكل طبقات أو أنسابٍ. . . إلخ.

وهذه أسماء أبرزهم:

١ ـ ابن قتيبة الدينوري ت ٢١٣ هـ [صاحب كتابي عيون الأخبار والمعارف].

---

(١) عصر الخلافة الراشدة/ ١٣.

٢ - ابن سعد صاحب الطبقات الكبرى ت ٢٣٠ هـ.

٣ - خليفة بن خياط صاحب التأريخ ت ٢٤٠ هـ.

٤ - أحمد بن إسحاق اليعقوبي ت٢٩٢ هـ.

٥ - يعقوب بن سفيان البسوي ت ٢٧٧ هـ.

٦ - الطبري صاحب تأريخ الأمم والملوك ت ٣١٠ هـ.

نشأته وطلبه للعلم ورحلاته :

يقول الطبري رحمه الله : حفظت القرآن ولي سبع سنين وصليت بالناس وأنا ابن ثماني سنين وكتبت الحديث وأنا ابن تسع سنين[(١)] ولقد بدأ الطبري طلب العلم منذ سنّ مبكرة في مدينة آمل بطبرستان ثم الري حيث شيخه ابن حميد الرازي - وقد أرّخ العلماء بسنة ٣٦ هـ كبداية لطلبه العلم وكان عمره يومها (١٢) عاماً[(٢)] .

يقول تلميذه ابن كامل : [فأول ما كتب الحديث ببلده ثم الري وما جاورها ، وأكثر من الشيوخ حتى حصل كثيراً من العلم وأكثر عن محمد بن حميد الرازي وعن المثنى بن إبراهيم الآملي وغيرهما][(٣)] .

ويقول الطبري : [كنّا نمضي إلى أحمد بن حمّاد الدولابي وكان في قرية من قرى الرّي بينها وبين الري قطعة ثم نغدو كالمجانين حتى نصير إلى ابن حميد فنلحق مجلسه][(٤)] .

والدولابي مشهور بالمغازي والسير وله كتاب (المبتدأ والمغازي) وهذا يعني أن الاهتمام بالتاريخ قد شغل بال الطبري جنباً إلى جنب مع التفسير والحديث.

وتقول المصادر : إن الطبري قد اشتاق لرؤية الإمام الجليل أحمد بن حنبل في بغداد مدينة العلم ، فشد الرحال ولكن الوفاة عاجلت الإمام أحمد فدخلها الطبري وقد توفي أحمد رحمه الله تعالى وذلك في سنة (٢٤١ هـ).

(١) معجم الأدباء : ٦/ ٤٣٠ .

(٢) لسان الميزان نقلاً عن مسلمة بن القاسم [٥/ ١١٧/ تر ٧١٢٩].

(٣) معجم الأدباء ١٨/ ٤٩ .

(٤) المصدر السابق ١٨/ ٤٩ .

فجلس الطبري برهة في بغداد يكتب عن شيوخها ثم ارتحل صوب البصرة. وسمع من أشهر شيوخها ثم إلى الكوفة ثم إلى الشام ثم إلى مصر ثم عاد إلى بلده (طبرستان سنة ٢٩٠ هـ ثم عاد عندها إلى بغداد ليستقر فيها ويدوّن فيها أروع أسفاره (في التفسير ثم التأريخ)[(١)].

يقول الخطيب البغدادي: استوطن الطبري بغداد وأقام بها إلى حين وفاته وكان أحد الأئمة الأعلام[(٢)].

أقوال العلماء فيه وترجمتهم له:

قال الخطيب البغدادي: كان أحد الأئمة الأعلام يحكم بقوله ويرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره وكان حافظاً لكتاب الله عارفاً بالقراءات بصيراً بالمعاني فقيهاً في أحكام القرآن عالماً بالسنن وطرقها وصحيحها وسقيمها وناسخها ومنسوخها، عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين إلى أن يقول: عارفاً بأيام الناس وأخبارهم وله الكتاب المشهور في تأريخ الأمم والملوك وكتاب في التفسير لم يصنف أحد مثله وكتاب سماه تهذيب الآثار لم أر سواه في معناه إلا أنه لم يتمه، وله في أصول الفقه وفروعه كتب كثيرة[(٣)].

وقال الخطيب: حدثني محمد بن أحمد بن يعقوب قال أنبأنا محمد بن عبد الله النيسابوري الحافظ قال سمعت أبا بكر بن بالويه يقول: قال لي أبو بكر محمد بن إسحاق يعني ابن خزيمة ـ بلغني أنك كتبت التفسير عن محمد بن جرير؟ قلت: بلى كتبت التفسير عنه إملاءً. قال كله؟ قلت: نعم. قال: في أيّ سنة؟ قلت: في سنة ثلاث وثمانين إلى سنة تسعين. قال فاستعاره مني أبو بكر فرده بعد سنتين ثم قال: نظرت فيه من أوله إلى آخره وما أعلم على أديم الأرض أعلم من محمد بن جرير[(٤)].

---

(١) معجم الأدباء: ١٨/ ٥٦.
(٢) تأريخ بغداد (٢/ ١٦٢).
(٣) المصدر السابق (٢/ ١٦٢).
(٤) المصدر السابق (٢/ ١٦٤).

وقال الإمام السبكي الإمام الجليل المجتهد المطلق أبو جعفر الطبري من أهل آمل طبرستان أحد أئمة الدنيا علماً وديناً ومولده سنة أربع أو خمس وعشرين ومئتين طوّف الأقاليم في طلب العلم[١].

وقال الحافظ الذهبي: الإمام العلم الفرد الحافظ أحد الأعلام وصاحب التصانيف من أهل آمل طبرستان أكثر التطواف[٢].

وقال عبد الله بن أحمد السمسار قال ابن جرير لأصحابه: هل تنشطون لتأريخ العالم قالوا كم يجيء فذكر نحواً من ثلاثين ألف ورقة فقالوا: هذا مما يفني الأعمار قبل تمامه فقال: إنّا لله، ماتت الهمم!! فأملاه في نحو ثلاثة آلاف ورقة ولما أراد أن يملي التفسير قال لهم ذلك ثم أملاه على نحو من التأريخ[٣].

وقال العلامة ابن خلكان: وكان ثقة في نقله وتأريخه أصح التواريخ وأثبتها[٤].

وقال الحافظ ابن عساكر في ترجمة الطبري: الإمام صاحب التصانيف المشهورة[٥].

وذكر ابن عساكر بسنده الموصول إلى أبي سعيد بن يونس قوله: محمد بن جرير بن يزيد يكنّى أبا جعفر طبري من أهل آمل كان فقيهاً قدم إلى مصر قديماً سنة ثلاث وستين ومئتين وكتب بها ورجع إلى بغداد وصنف تصانيف حسنة تدلّ على سعة علمه وكانت وفاته ببغداد في العشر الأواخر من شوال سنة عشر وثلاثمئة[٦].

وفاته: سبق أن ذكرنا قول من قال أنه توفي في سنة ٣١٠ هـ في شوال منها وذكر الخطيب البغدادي عن عيسى بن حامد بن بشر القاضي قال: مات محمد بن

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ١٢٢).
(٢) تذكرة الحفاظ (٢/ ٧١٠).
(٣) تأريخ بغداد (٢/ ١٦٣) وتذكرة الحفاظ (٢/ ٧١٢) والذي في تأريخ بغداد أنه سألهم أولاً عن التفسير والله أعلم.
(٤) وفيات الأعيان [٤/ ١٩١/ تر ٥٧٠].
(٥) تأريخ دمشق (٥٢/ ١٨٨/ تر٦١٦٠).
(٦) تأريخ دمشق (٥٢/ ١٩١).

جزير الطبري يوم السبت بالعشي ودفن يوم الأحد بالغداة في داره لأربع بقين من شوال سنة عشر وثلاثمئة[١].

وقال الحافظ ابن كثير في ترجمة الطبري: وكانت وفاته وقت المغرب من عشية يوم الأحد ليومين بقيا من شوال من سنة عشر وثلاثمئة وقد جاوز الثمانين سنة بخمس أو ست سنين[٢].

وكذلك أرخ الحافظ الذهبي لوفاته بسنة (٣١٠) هـ[٣].

شيوخه في التأريخ [تراجم أهم شيوخه وأشهرهم]:

لقد أخذ الطبري رحمه الله تعالى خلال رحلاته الطويلة والمتعددة من شيوخ أجلاء من البصرة والكوفة وبغداد ودمشق ومصر ـ وهذه تراجم لبعض شيوخه في التأريخ:

١ ـ أحمد بن حمّاد الدولابي:

من أوائل شيوخه في بلده طبرستان قبل أن يبدأ برحلاته البعيدة وهو صاحب كتاب [المبتدأ والمغازي] وهو والد الدولابي صاحب الكنى والأسماء [تذكرة الحفاظ ٢/ ٢٩١]، [الجرح والتعديل ١/ ١/ ٤٩].

وأحمد بن ثابت الرازي ـ فرخويه (راجع فرخويه).

٢ ـ أحمد بن زهير بن حرب (ابن أبي خيثمة) توفي ٢٧٩ هـ:

أخذ الرواية عن أحمد بن حنبل والمدائني ـ قال الخطيب ـ كان ثقة عالماً متقناً حافظاً بصيراً بأيام الناس وقال: ولا أعرف أغزر فوائد من تأريخه وقال الفرغاني: له معرفة بأيام الناس وأخبارهم وقال ابن أبي حاتم: كتب إلينا وهو صدوق [لسان الميزان/ تر ٥٦٣/ ٣٧٩]، [الجرح والتعديل ٢/ تر ٥٧].

قلت: وقد روى عنه الطبري في (٨٠) موضعاً من تأريخه.

---

(١) تأريخ بغداد (٢/ ١٦٦).

(٢) البداية والنهاية (٩/ ١٤).

(٣) ميزان الاعتدال (تر ٧١٩٠).

وهو يشكل حلقة وصل بينه وبين المدائني وكتبه ـ وأكثر مروياته تبدأ من أيام هشام بن عبد الملك إلى أحداث سنة ١٣٧ هـ ـ.

٣ ـ بشر بن معاذ العقدي البصري الضرير:

قال أبو حاتم صالح الحديث صدوق وقال ابن حجر صدوق من العاشرة مات سنة بضع وأربعين [الجرح والتعديل ٢/ ٣٦٨]، [تقريب التهذيب/ تر ٧٩٠].

٤ ـ الحارث بن محمد بن أبي أسامة التميمي ـ صاحب المسند ـ:

قال الدارقطني: قد اختلف فيه أصحابنا وهو عندي صدوق وقال ابن حزم ضعيف وليّنه بعض البغاددة لكونه يأخذ على الرواية، وذكره ابن حبان في الثقات وقال الذهبي: كان حافظاً عارفاً بالحديث عالي الإسناد تكلّم فيه بلا حجة [ميزان الاعتدال ١/ ٤٤٢/ تر ١٦٤٤]، [الثقات ٨/ ١٨٣]، [سؤالات الحاكم للدارقطني ١١٤/ تر٩١]، [لسان الميزان ٢/ تر٢٢٣٤].

قلت: وقد روى عنه الطبري في أكثر من (١١٠) مواضع وأهميته بالنسبة للطبري أنه حلقة الوصل بينه وبين صاحب الطبقات الكبرى ابن سعد.

٥ ـ السري بن يحيى التميمي الكوفي (أبو عبيدة):

وهو ابن أخي الهناد بن السري كان يراسل الطبري وابن أبي حاتم وقد التقى الطبري وأخذ عنه الطبري مشافهة ولكن قليلاً وأغلب ما رواه عنه الطبري بالمراسلة [وكتب إليّ السري قال:]. والسري هذا ترجم له ابن أبي حاتم وقال: لم يُقض لنا السماع منه وكتب إلينا بشيء من حديثه وهو صدوق، وذكره ابن حبان في الثقات وقال الدارقطني صاحب كتاب الفتوح لسيف بن عمر [الثقات ٨/ ٣٠٢]، [المؤتلف والمختلف/ ١٣٦٧]، [الإكمال ٥/ ١٠].

وقد ذكره الأستاذ جواد علي في بحثه القيّم [موارد تأريخ الطبري] الذي نشر في أعداد من مجلة المجمع العلمي العراقي قبل نصف قرن من الزمان ـ ولكنّه لم ينصفه فقال: والظاهر من سكوت ابن النديم و صحاب التراجم عن ذكر شعيب بن إبراهيم (شيخ السري بن يحيى) والسرّي أنهـ لم يكونا من أصحاب التأليف وإنما كانا من رواة سيف والظاهر أيضاً من تأريخ الطبري أن كتب سيف كانت عند

السري بن يحيى وأن الطبري قرأ أجزاء منها على السري وأخذ قسماً منها كتابة منه] ، [مجلة المجمع العلمي/ ١٩٥٢].

قلت: أما شطر كلامه الأخير فصحيح لا غبار عليه أما قوله [سكوت ابن النديم وأصحاب التراجم عن ذكر السري بن يحيى] فغير صحيح فقد ذكره ابن حبان في الثقات كما ذكرنا قبل قليل وعدّله ابن أبي حاتم (وهو معروف بتشدده في الرجال) وقال عنه أنه صدوق وذكره الدارقطني في المؤتلف والمختلف وقال صاحب كتاب الفتوح سيف بن عمر: وقد ذكر أصحاب التراجم أنه أخذ الرواية والحديث من قبيصة وأبي غسان وعثمان بن زفر ثم إن العدد (٢٤١) قليل بالنسبة لمروياته في تأريخ الطبري فقد روى عنه.

٦ ـ عبيد الله بن سعد الزهري: ثقة من الحادية عشرة توفي سنة ٢٦٠ هـ وله (٧٥) سنة أخرج له البخاري والنسائي والترمذي [تقريب/ تر ٤٨٢٠] وأخرج له الطبري (٤٥) رواية ويمثل عبيد الله هذا حلقة وصل أخرى بين الطبري وبين مرويات سيف بالإضافة إلى السريِّ.

٧ ـ عمر بن شبة النميري [صاحب كتاب تأريخ المدينة]:

الأخباري النحوي ـ نزيل بغداد ـ صدوق له تصانيف من كبار الحادية عشرة توفي سنة ٢٦٢ هـ وقد جاوز التسعين [تقريب التهذيب/ تر ٥٥٢٦] وقال الخطيب في ترجمته ثقة [تأريخ بغداد/ ١١/ ٢٠٨].

وقال ابن حبان: مستقيم الحديث وكان صاحب أدب وشعر وأخبار ومعرفة بتأريخ الناس [الثقات ٨/ ٤٤٦].

قلت: ولقد أخرج الطبري عن شيخه هذا (عمر بن شبة) أكثر من مئتي رواية جُلّها عن تأريخ الخلافة الإسلامية في عهد الأمويين وبداية العباسيين ـ وعمر بن شبة طريق آخر للطبري للوصول إلى مرويات الأخباري المشهور المدائني ـ.

٨ ـ عمرو بن علي الفلاس الباهلي البصري:

وثقه النسائي وقال الحافظ ابن حجر: ثقة من العاشرة توفي سنة ٢٤١ هـ [تأريخ بغداد/ ١٢/ ٢٠٧] ، [التقريب/ تر ٥٧١٤].

٩ ـ فرخويه (أحمد بن ثابت) الرازي:

قال ابن أبي حاتم عن أبي العباس بن عبد الله الطهراني: لا يشكون أنه كذاب [ميزان الاعتدال/ تر ٣١٤]، [لسان الميزان/ ٤٦١].

وقد أخرج الطبري عنه في أكثر من (١٠٠) موضع وخاصة فيما يتعلق بحج الخلفاء أو من ينوب عنهم من الأمراء في كل سنة.

الطبري في أكثر من (٤٠٠) موضع والله تعالى أعلم.

١٠ ـ محمد بن بشار (بندار) البصري: الحافظ أحد أعلام السنة قال أبو حاتم وغيره: صدوق وقال الذهبي: احتج به أصحاب الصحاح كلهم وهو حجة بلا ريب وقال أيضاً: كان من أوعية العلم... روى عنه الأئمة الستة وابن خزيمة وابن صاعد والناس وقال العجلي: ثقة كثير الحديث وقال ابن حجر: ثقة من العاشرة توفي ٢٥٢ هـ وله بضع وثمانون سنة [تقريب/ تر٦٤٥٥]، [ميزان الاعتدال/ تر ٧٢٦٩]، [الجرح والتعديل ٧/ ٢١٤]، [الثقات: ٩/ ١١١].

أخرج الطبري من مروياته في (٣٦) موضعاً من تأريخه.

١١ ـ محمد بن حميد الرازي: أكثر عنه الطبري في تأريخه فأخرج له في أكثر من (٤٢٠) موضعاً وهو ضعيف عند جمهور أئمة الحديث وتبدأ مروياته بالحديث عن بدء الخليقة وتكثر بصفة خاصة في السيرة النبوية الشريفة ومن بعد في تأريخ الخلفاء الراشدين.

قال البخاري: فيه نظر وقال يعقوب بن شيبة: كثير المناكير وكذّبه أبو زرعة وقال صالح بن جزرة: كان يأخذ أحاديث الناس في قلب بعضه على بعض توفي سنة ٢٤٨ هـ.

١٢ ـ محمد بن العلاء الهمداني الكوفي الحافظ (أبو كريب): توفي سنة ٢٤٨ هـ مشهور بكنيته ثقة حافظ من العاشرة مات سنة سبع وأربعين ومئتين وهو ابن سبع وثمانين سنة أخرج له الستة [تقريب/ تر ٦٩٨٥]، [الجرح والتعديل ٨/ ٥٢].

أخرج الطبري من طريقه روايات كثيرة متناثرة بين العهود المختلفة.

١٣ ـ محمد بن المثنى بن عبيد الله بن قيس العنزي البصري: ثقة ثبت من العاشرة وكان هو وبندار فرسي رهان وماتا في سنة واحدة أخرج له الستة [تقريب/ تر ٧٠٥٠] وقال الخطيب: كان ثقة ثبتاً احتج سائر الأئمة بحديثه [تأريخ بغداد ٣/ ٢٨٣].

قلت: ولم يكثر الطبري عنه في تأريخه فقد بلغت مروياته (٣٥) أو أكثر بقليل وتبدأ مروياته بتأريخ ما قبل البعثة وتنتهي بعهد عمر بن الخطاب.

١٤ ـ يعقوب بن إبراهيم الدورقي صاحب المسند: ثقة من العاشرة توفي سنة ٢٥٢ هـ وله ست وتسعون سنة وكان من الحفاظ أخرج له الستة وقال الخطيب كان ثقة متقناً [تقريب/ تر٨٨٠٩]، [تأريخ بغداد/ ١٤/ ٢٧٧].

وأخرج عنه الطبري في أكثر من ثلاثين (٣٠) موضعاً من تأريخه.

١٥ ـ يونس بن عبد الأعلى الصدفي المصري: ثقة من صغار العاشرة توفي سنة ٢٦٤ هـ وله ست وتسعون سنة أخرج له مسلم والنسائي وأخرج له الطبري في (٣٢) موضعاً من تأريخه [تقريب التهذيب/ تر٨٩٢٠].

ولا نريد أن نحصي في هذه المقدمة شيوخ الطبري في تأريخه وإنما ذكرنا أشهر شيوخه ثقاتٍ كانوا أو ضعفاء وقد ترجمنا لجميع شيوخه في كتابنا [رجال تأريخ الطبري جرحاً وتعديلاً].

وكثرة شيوخ الطبري في التأريخ تدلّ على غزارة مصادره في التأريخ وتنوع طرقه وذلك سبب من أسباب اشتهار كتابه رحمه الله تعالى واعتماد المؤرخين من بعده عليه.

وأخيراً الطبري مؤرخاً ومنهجه في التأريخ ما له وما عليه:

كان لا بد من المقدمة السابقة حتى نفهم التطور في علم التأريخ الذي أدى بالنتيجة إلى ظهور الإمام المؤرخ الطبري ضمن جيل المؤرخين العمالقة ولقد بلغ به التدوين التأريخي نهاية عمر التكوين والنشأة[1].

ولكي نفهم الجوانب الإيجابية لتأريخ الطبري والمآخذ التي أخذت عليه نبدأ

---

(١) التأريخ العربي والمؤرخون/ ٢٥٣/.

بسرد الصفات الإيجابية والسلبية ولكن قبل ذلك نعرج على موارد الطبري في تأريخه.

فنقول:

١ ـ موارد الطبري متنوعة وغزيرة ومختلفة المشارب.

٢ ـ ولقد شاركت جميع الكتب والمرويات المحفوظة التي سبقت الطبري في نسج لحمة تأريخ الطبري ومئات الروايات التي رواها الأخباريون من قبله حفظها الطبري من الضياع فاندثرت أصول كتبهم وصحفهم وأبقى الله لهذه الأمة تأريخ الطبري يحوي بين جنباته جلّ تلك الروايات ولقد تحدثنا عن أولئك الأخباريين وذكرنا حلقات الوصل بينهم وبين الطبري من شيوخه الثقات والضعفاء ولقد كتب المعاصرون أبحاثاً حول موارد الطبري في تأريخه وأسانيده إلى رواة الأخبار وفي مقدمتهم الدكتور جواد علي الذي نشر له حلقات بعنوان موارد الطبري في تأريخه في مجلة المجمع العلمي العراقي قبل نصف قرن من الزمان وقبل عقد ونصف أو يزيد كتب الإستاذ عماد الدين خليل فصلاً عن أسانيد الطبري فيما يتعلق ببدايات العباسيين والبحثان قيّمان لا يستغني عنهما كل باحث في هذا المجال.

ميزات منهج الطبري في تأريخه:

١ ـ الترتيب الحولي للحوادث ولعلّه تأثر بسلفه خليفة بن خياط رحمه الله تعالى في ذلك فقد راعى الطبري ترتيب الوقائع والأحداث ترتيباً زمنياً سنة بعد سنة من مبعثه عليه الصلاة والسلام حتى سنة ٣٠٢ هـ.

٢ ـ اعتماد الإسناد والرواية وذلك من صفات تأريخ الطبري الإيجابية إذ سهّل على النقاد من بعده نقد الرواية داخلياً وخارجياً كما يسميه المؤرخون المعاصرون. . . وكما يقول أهل الحديث . . . ـ نقد السند والمتن ـ وقد حرص الطبري على بيان صيغة التلقي فإن كانت مشافهة قال حدثني أو حدثنا أو أخبرنا وإذا كان مراسلة قال كتب إليّ وإذا أخذ من كتاب ذكر اسم مؤلفه (قال المدائني ـ أو ذكر الواقدي. . . إلخ).

ولكن الإسناد يختفي تدريجياً كلما اقتربنا من نهاية كتابه.

٣ ـ تنوع المصادر وغزارتها: إن الدارس لروايات الطبري يستغرب من كثرة

الطرق التي حصل عليها الطبري للوصول إلى تفاصيل الأحداث ولكن هذا الاستغراب يزول إذا ما تذكرنا كثرة أسفاره رحمه الله بين طبرستان وبغداد والكوفة والبصرة ودمشق ومصر والحجاز مما سهّل له الالتقاء بجمع غفير من الشيوخ أصحاب الميول المختلفة والمنتمون إلى مدارس عدّة.

٤ ـ استطاع الطبري رحمه الله أن يحافظ على حياديته كمؤرخ ثقة لا تجتذبه الميول إلى هذا التيار أو ذاك حتى أنه وهو السني في مذهبه نقل كثيراً من روايات الشيعة والرافضة والمعتزلة والقدرية بينما لم يستطع كثيرون من الكبار أن يكونوا حياديين فاليعقوبي إمامي شيعي في تأريخه والمسعودي لم يستطع المحافظة على حياديته كمؤرخ وهكذا يقول شاكر مصطفى لم يمل الطبري مع أيّ هوى في إيراد الأخبار التأريخية الإسلامية وكان حياده في الغالب عن ورع ودقة علمية[١].

اعتبر الطبري التأريخ الإسلامي ممتداً من نزول آدم وهبوطه على الأرض ثم مروراً بقصص الأنبياء وتأريخهم إلى مبعث خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام وعروجاً على سيرته وسيرة الخلفاء الراشدين من بعده وتأريخ الخلافة في عهد الأمويين وأخيراً تأريخ الخلافة في عهد العباسيين.

وهذا الصنيع من الطبري تفسير إسلامي للتأريخ نابع من الثوابت المؤكدة في الكتاب والسنة فآدم أبو البشر ونوح أبو الأنبياء والأنبياء كلهم موحدون وإبراهيم عليه السلام هو الذي أطلق كلمة مسلم على الأمة كما قال تعالى: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ والطبري بذلك صاحب نظرة عالمية إلى التأريخ ولذلك لا نتفق مع الأستاذ شاكر مصطفى في كتابه القيّم (التأريخ العربي والمؤرخون) حين يقول:

كان فهمه للتأريخ العالمي أضيق من فهم بعض المؤرخين السابقين له كاليعقوبي مثلاً أو ابن قتيبة فتأريخ العالم عنده محدود بالخط الذي يصل ما بين الأنبياء والعهد الجاهلي عبر الساسانيين وتأريخ اليمن ثم يأتي التأريخ الإسلامي تتويجاً ضخماً لكل ذلك التأريخ .

التأريخ العربي والمؤرخون / ٢٥٦.
المصدر السابق / ٢٦٠.

٦ ـ اختتم الطبري عهد كل خليفة بسيرة موجزة عن حياته بعيداً عن الحوليات مع ذكر شيء من حياته الأسرية ومناقبه أو مثالبه.

٧ ـ ولأنه رتب التأريخ بنظام الحوليات فقد أعطى مساحة كافية للخلفاء الذين حكموا عقدين من الزمان كما في حالة سيدنا معاوية وهشام بن عبد الملك فكان دقيقاً في هذا التوزيع وإن كان له جانب سلبي فيما يخص مراحل التأريخ بصورة عامة كما سنذكر إلاّ أنه في هذا الجانب المتعلق بسيرة الخلفاء خاصة أعطى مساحة لكل خليفة يناسب السنين التي حكم فيها بينما نجد مؤرخين كباراً أعطوا مساحة واسعة لخليفة بينما خصصوا مساحة أصغر بكثير لخليفة آخر ولو كان راشداً!!

فالمسعودي مثلاً وهو صاحب مروج الذهب (ت ٣٤٦) خصص أقل من عشرين صفحة لخلافة سيدنا عثمان محشواً بالطعن في عدالة الصحابة بينما استغرق حديثه عن خلافة سيدنا علي أكثر من ثمانين (٨٠) صفحة ومع ذلك قال في نهاية عهد سيدنا علي: وفضائل علي ومقاماته ومناقبه ووصف زهده ونسكه أكثر من أن يأتي عليه كتابنا هذا أو غيره من الكتب أو يبلغه إسهاب مسهب أو إطناب مطنب[١].

علماً بأن مدة خلافة أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه كانت اثنتي عشرة (١٢) سنة بينما مدة خلافة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لا تصل إلى نصف هذه المدة لأنه بويع في سنة ٣٥ هـ واستشهد في سنة ٤٠ هـ أي أقل من نصف المدة التي قضاها في الحكم سيدنا عثمان بينما اختصر المسعودي مدة اثنتي عشرة سنة من حكم خليفة راشد هو عثمان في أقل من عشرين صفحة بينما أعطى مساحة (٨٠) صفحة لعهد سيدنا علي (الخليفة الراشد الرابع) أي أنه اختصر المسافات والسنين ففقد وسطيته وحياده حتى في إعطاء السنين حقها بينما لم يفعل الطبري مثل المسعودي.

٨ ـ استطاع الطبري أن يحشد قصائد وأبيات شعرية من روائع الشعر العربي تضاف إلى الأدلة الأخرى من الرواية الخبرية تقوية لأدلته رحمه الله تعالى ويعتبر كتابه بذلك توثيقاً لمئات من الأبيات الشعرية لشعراء فحول أي أنه مزج الأدب مع

---

(١) مروج الذهب / ٢/ ٤٣٧.

التأريخ مع علم الإسناد متزامناً مع تنوع المصادر فكان نسيج وحده رحمه الله تعالى واستحق أن يتربع على قمة التطور التأريخي في نهاية القرن الهجري الثالث.

٩ ـ فيما يتعلق بتأريخ الروم والفرس: حفظ الطبري لتلك الأمم جزءاً كبيراً من تأريخهم وذلك رصيد يضاف إلى الذخيرة التأريخية لديهم فالطبري ناقل أمين نقل التأريخ الروماني والفارسي من مصادرهم بعد الترجمة ولم يغيّر منها شيئاً بحجة أنهم ليسوا جزءاً من الأمة الإسلامية بل أدى الأمانة كما وصلت إليه امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ وقوله تعالى: ﴿۞إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾، وقوله تعالى: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾.

بينما ترجم كثير من المستشرقين التأريخ الإسلامي إلى لغتهم وحرّفوا كثيراً من الحقائق التأريخية وشوّهوها ولكن الله قيّض لهذه الأمة رجالاً كابن العربي والذهبي وابن حجر وابن كثير وابن خلدون والعلامة شاكر ومحب الدين الخطيب ومن جاء من بعدهم فحفظوا لنا تأريخ الأمة فجزاهم الله خيراً.

ولقد أثنى الباحثون على تسجيل الطبري للأحداث السياسية الجسام التي حدثت لملة الروم وغيرهم قبل الإسلام:

يقول الأستاذ شاكر: إنه كان دقيقاً في تاريخ الروم دقة تدعو إلى العجب مع قلة المصادر حوله في هذا الموضوع فقد ذكر أباطرة الروم والرومان قبلهم حتى عصر هرقل وهم واحد وستون عدا من اشتركوا مع أبنائهم أو غير أبنائهم ومدة حكمهم جميعاً ستة قرون وبضع سنوات ويدهش الباحث من صحة المعلومات التي أوردها ومن دقتها وترتيبها [(١)].

النقد الموجّه لتأريخ الطبري:

١ ـ اختفاء النقد إلا في حالات نادرة جداً صحيح أن الطبري يورد الآراء المختلفة والروايات المتضاربة في المسألة الواحدة لكي تسهل المقارنة بينها بغية الوصول إلى حقوقه الواقعة التأريخية وصحيح أنه يشكك أحياناً في أمور معينة فيقول: وزعم الواقدي مثلاً إلاّ أنه لم يحكم على الأسانيد والمتون إلاّ في حالات نادرةٍ جداً.

---

(١) التأريخ العربي والمؤرخون/ ٢٥٦.

يقول الأستاذ شاكر مصطفى عند تقييمه لمنهج الطبري في تأريخه:

[وأهم ما يؤخذ على الطبري في منهجه: ضمور النقل عنده ـ كان يقف خارج الأحداث وخارج الرواية نفسها في برود عقلي واضح][1].

ويقول الأستاذ أكرم العمري [ويذكر الطبري روايات تأريخه بالإسناد، ورغم أنه ينتقيها من كتب الأخباريين لكنه لم يحاول استخلاص الروايات الموثقة بل ترك للقارىء حرية النقد والترجيح مكتفياً بالعزو إلى مصادره التي نفد معظمها وبذلك حفظ لنا مادة تأريخية واسعة تحتاج دراستها إلى موازين نقدية واضحة قبل اعتمادها في التدليل والتعليل لأنها تمثل مدارس فكرية وسياسية متنوعة فلا غرابة إذا تضاربت آراؤها ورواياتها في الأحداث[2].

قلنا: إن مجرد وجود الروايات المنكرة (في تأريخ الطبري) أو المستشنعة والتي لا أصل لها من الصحة حسب تعبير الطبري نفسه وتراكمها لقرون طويلة دون تمييزها إلى صحيح وضعيف أدّى بالنتيجة إلى ترسيخ أباطيل وأوهام وطاقات في أذهان الناس عن أحداث التأريخ الإسلامي ولكن لا حقيقة لها في الأصل أو كما قال الطبري لا أصل لها من الصحة ولابأس أن نذكر هنا مقولة شيخ من شيوخنا الأجلاء ألا وهو الشيخ صادق المزوري (وهو من أقران الدكتور القرداغي ومن كبار تلاميذ الشيخين مصطفى البنجويني وطاهر البرزنجي) وكان يتحدث عن روايات الطبري الكبير وما في صفحاته من أخبار غير صحيحة لا بد من بيانها فقال إن الطبري عُرِف كإمام ثقة في الفقه والتفسير والحديث فلما أن كتب تأريخه الضخم وانتشر بين الناس بعد وفاته أعطى الناس لمروياته تمام الثقة ا هـ.

قلنا: ولم ينتبهوا إلى تحذيره وهو أي الطبري من الأخذ بكل ما جاء في تأريخه فلم يعتد الناس بما في مقدمة تأريخه ولكن أخذوا بعين الاعتبار أنه محدث ثقة حافظ فصدقوا كل ما في تأريخه وتلك مصيبة تركت أثرها في كتابة التأريخ الإسلامي إلى يومنا هذا.

٢ ـ عدم التركيز أو الاهتمام اللازم بوقائع تأريخية هامة كبناء المسجد النبوي

---

(١) التأريخ العربي والمؤرخون/ ٢٥٩.

(٢) عصر الخلافة الراشدة/ ١٩.

لأول مرة وفتح الأندلس والخلافة الأموية في الأندلس. . . وغير ذلك.

وفي المقابل سلّط الطبري الأضواء على تفاصيل وأعطاها أكثر من اللازم وأورد مرويات بعضها متكررة ومتشابهة.

٣ - تجزئة الأحداث التأريخية وتوزيعها بين السنين لأنه رتب التأريخ ترتيباً حولياً. ولذلك تراه يترك الحديث عن واقعة معينة ثم يعود إليها بعد حين فلا تكتمل الصورة بل تتجزأ بين السنين وذلك العيب تفاداه اليعقوبي والمسعودي لأنهما لم يجزّئا الواقعة بين السنين.

٤ - يقطع الطبري أحياناً رواية أخباري معين كأبي مخنف ليذكر في وسط الرواية مثلاً رواية أخباري آخر روى نفس الواقعة ولكن بشكل مختلف ـ ولو أنه انتهى من رواية الأخباري الأول مثلاً ثم بدأ برواية الثاني لتكونت لدى القارىء صورة متكاملة من الطريق الأول ثم من الثاني وهكذا.

ولقد ذكر الأستاذ شاكر هذين الأمرين فقال [كان (أي الطبري) يقطع الأحداث بالروايات المتعددة وبالسنين على السواء. ويشرد في الحديث إلى أخبار عارضة تقطع الخبر الأصلي مما جعل تأريخه يفتقر إلى الوحدة وارتباط السياق][1].

والحق يقال فإن ابن الأثير نبّه إلى هذا المأخذ فقال رحمه الله في مقدمة الكامل [ورأيتهم يذكرون الحادثة الواحدة في سنين ويذكرون منها في كل شهر أشياء فتأتي الحادثة مقطعة لا يكمل منها غرض ولا تُفهم إلا بعد إمعان النظر.

وكذلك النويري في مقدمة كتابه نهاية الأرب في فنون الأدب قد أشار إلى هذا المأخذ وقال: إنّ تقطيع الحادثة على السنين يقطع على المطالع لذة متابعة الحادثة وإتمام الصورة الكاملة ونحو ذلك.

٥ - الإكثار من الحكايات الخرافية وخاصة عند حديثه عن بدء الخليقة وقصص الأنبياء وتأريخ العرب قبل الإسلام وأخذ كل ذلك من الروايات الإسرائيلية وخالف أحياناً صريح الكتاب والسنة رحمه الله دون أن يشعر فالله سبحانه لم يبين لنبيّه وخليله متى تنتهي هذه الدنيا وتقوم الساعة قال تعالى: ﴿قُلْ

---

(١) التأريخ العربي والمؤرخون/ ٢٦٠.

﴿إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ ولكن الطبري رحمه الله أسرف في ذكره لعشرات الروايات التي تتحدث عن عمر هذه الدنيا ومن سلبيات هذا الإسراف في الاستشهاد بالإسرائيليات أنه ابتعد في أحايين كثيرة عن الأهداف الكبرى من القصص القرآني وخاصة فيما يتعلق بالأنبياء.

الطبري والتفسير الإسلامي للتأريخ:

لقد ذكر بعض الأساتذة المعاصرون ومنهم الأستاذ شاكر ضمن مآخذهم على أن الطبري متأثر بالنظرة الدينية أكثر من تأثره بالنظرة التجاريبة . . . فهو عنده تعبير عن المشيئة الإلهية أولاً ثم مستودع خبرات عليا للأمة الإسلامية تكشف عن وحدة هذه بقدر ما تبيّن قيمة تجاربها ووحدة رسالتها التأريخية (١).

قلنا وهذا من إيجابية منهجه رحمه الله فهو المفسر المحدث الفقيه ولا بد له من تفسير التأريخ تفسيراً إسلامياً وإن كان الطبري لم يتحدث بالتفصيل عن هذا التفسير إلا أنه أشار إلى ذلك في مقدمة تأريخه ولعلّه طبق ذلك أثناء سرده لأحداث التأريخ إلا أن أول تصنيف في التفسير الإسلامي في التأريخ بدأ بظهور ابن خلدون وكتابه القيم [المقدمة] كما سنذكر فيما بعد.

٦ - أوجز الحديث عن وقائع عصره وأهمل ذكر أسماء الذين أخبروه بتلك الوقائع لأسباب معينة.

٧ - عدم ذكره لأسماء الكتب التي أخذ منها بعد اطلاعه عليها ودراستها عن طريق شيوخه الذين شكلوا حلقة الوصل بينه وبين أصحاب هذه الكتب كالمدائني وعوانة بن الحكم وابن سعد وغيرهم.

٨ - أكثر من الأخذ عن بعض المتروكين والتالفين ومن اتهموا بالكذب وذلك في وقائع وأحداث خطيرة كالفتن.

نقد الرواية التأريخية ومسألة إعادة كتابة التأريخ الإسلامي:

نستطيع أن نقول: إن الإمام الطبري رحمه الله (وهو المحدّث والمؤرخ) فتح الباب على مصراعيه لنقد الرواية التأريخية وذلك لسببين:

---

(١) التأريخ العربي والمؤرخون/ ٢٦١.

الأول: استخدم الطبري الإسناد والرواية وبذلك جعل سند الرواية التأريخية ومتنها عرضة للنقد.

الثاني: فتح الطبري باب النقد مرة أخرى عندما نبّه في مقدمته إلى وجود روايات تأريخية غير صحيحة وذلك بقوله:

[فما يكن من كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه أو يستشنعه سامعه من أجل أنه لم يعرف له وجهاً صحيحاً ولا معنىً في الحقيقة؛ فليعلم أنه لم يؤت ذلك من قبلنا وإنما أوتي من بعض ناقليه إلينا وإنما أدينا ذلك على نحو ما أُدّي إلينا](١).

ولكن الطبري رحمه الله تعالى مع إقراره هذا بوجود أخبارٍ غير صحيحة في تأريخه لم يستخدم النقد خلال تأريخه الطويل إلا في حالات نادرة جداً (بالنسبة لكثرة الروايات).

وهذا مثل نادر من أمثلة نقد الرواية التأريخية عند الطبري:

ذكر الطبري ضمن أحداث سنة ١٢ هـ فتح ميناء الأُبُلة وتمصير البصرة من رواية سيف بن عمر التميمي (الأخباري الضعيف) (٣/ ٣٥٠) ثم علق الطبري نفسه على هذه الرواية فقال: وفي هذه القصة في أمر الأبلة وفتحها خلاف ما يعرفه أهل السير وخلاف ما جاءت به الآثار الصحاح وإنما كان فتح الأبلة أيام عمر رضي الله عنه وعلى يد عتبة بَن غزوان في سنة أربع عشرة من الهجرة وسنذكر أمرها وقصة فتحها إذا انتهينا إلى ذلك إن شاء الله [تأريخ الطبري ٣/ ٣٥٠].

قلت: وقد تحدث الطبري في موضع آخر (٣/ ٥٩٠) عن فتح ميناء الأبلة وتمصير مدينة البصرة بسند صحيح.

وفيما عدا حالات نادرة جداً فقد ترك الطبري نقد الرواية التاريخية حتى قال أحد المعاصرين وهو الأستاذ شاكر مصطفى وهو يصف الطبري: [ومما يؤخذ على الطبري في منهجه ضمور النقد عنده وكان يقف خارج الأحداث وخارج الرواية نفسها في برود عقلي واضح](٢).

---

(١) تأريخ الطبري ١/ ٧.

(٢) التأريخ العربي والمؤرخون ٢٥٩.

وبمرور الزمن ظهر بين المحدثين والمؤرخين وحتى الفقهاء والمفسرين من نادى بضرورة تمحيص الروايات التأريخية ابتداءً بالإمام المالكي القاضي ابن العربي ومروراً بابن تيمية والحافظ الذهبي ثم ابن خلدون والحافظان ابن حجر وابن كثير.

يقول الدكتور محمد السلمي: [ومن أبرز من تصدى لإيضاح المغالط التأريخية وردّ زيوف الروايات المكذوبة، القاضي ابن العربي في كتاب العواصم، والإمام ابن تيمية في كثير من كتبه ورسائله خاصة كتابه القيم منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية وكذا الحافظ الناقد الذهبي في كثير من مؤلفاته التأريخية مثل كتاب سير أعلام النبلاء وتأريخ الإسلام ومشاهير الأعلام وميزان الاعتدال في نقد الرجال وأيضاً الحافظ ابن كثير المفسر المؤرخ في كتابه البداية والنهاية وأيضاً الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه فتح الباري وكتاب لسان الميزان وتهذيب التهذيب والإصابة] .

قلت: إن نقد الرواية التأريخية والذي تطور أخيراً ليصل إلى فكرة إعادة كتابة التأريخ الإسلامي ثم بلورة منهج واضح المعالم لهذه الإعادة هي في الحقيقة عمل تراكمي جماعي وكتاب العواصم من القواصم أنموذج صغير ونادر لإعادة كتابة التأريخ دون أن يكون هذا المصطلح معروفاً يومها ولكن الفكرة والمنهج أفصح عند العلامة المؤرخ ابن خلدون الذي مثّل في مقدمته منهج المؤرخ الملتزم والذي يعتبر (باعتراف المستشرقين) مؤسس علم التأريخ.

ولا بد لكل باحث يطرق هذا الباب أن تكون لديه فكرة عن منهج ابن خلدون هذا. يقول العلامة ابن خلدون رحمه الله وهو يتحدث عن علم التأريخ قائلاً: [فهو محتاجٌ إلى مآخذ متعددة ومعارف متنوعة وحسن نظر وتثبيت يفضيان بصاحبه إلى الحق وينكبان به عن المزلات والمغالط].

ويقول أيضاً: [وكثيراً ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل من المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثاً أو سميناً ولم يعرضوها على أصولها ولا قاسوها بأشباهها ولا سيروها بمعيار الحكمة والوقوف

منهج كتابة التأريخ الإسلامي/ ٢٥٤.

على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار ، فضلّوا عن الحق وتاهوا في بيداء الوهم والغلط ولا سيّما في إحصاء الأعداد في الأموال والعساكر إذا عرضت في الحكايات إذ هي مظنة الكذب ومطية الهذر ولا بد من ردِّها إلى الأصول وعرضها على القواعد[١] .

ثم ذكر ابن خلدون بعضاً من الأسباب التي تقتضي الكذب في الأخبار ومنها :

١ - التشيّعات للآراء والمذاهب.

٢ - الثقة بالناقلين.

٣ - الذهول عن المقاصد.

٤ - توهم الصدق.

٥ - الجهل بتطبيق الأحوال على الوقائع لأجل ما يداخلها من التلبيس والضعة.

٦ - التقرّب لأصحاب التجلة والمراتب.

ثم ذكر ابن خلدون في مقدمته أمثلة كثيرة من أمثلة النقد التأريخي ابتداءً من قصص بني إسرائيل وانتهاءً بالخلافة في عهد العباسيين ومنها قصة العبّاسة مع جعفر بن يحيىٰ بن خالد وبيّن ابن خلدون زيف القصة التي حاكها الوضاعون في هذه المسألة ومسألة نكبة البرامكة. وسنعود مرة أخرى للحديث عن منهج ابن خلدون عندما نتناول مسألة التفسير الإسلامي للتأريخ.

قلت: ومن بين الذين ذكرهم الأستاذ السلمي الحافظ ابن كثير والحافظ الذهبي والحافظ ابن حجر أما الخبر فتناوله للنقد التأريخي واضح من خلال روايات مناقب الصحابة وبعض الأحاديث النادرة في صحيح البخاري حول أحداث الفتنة في عهد الخلفاء الراشدين ومن بعدهم.

وأما الذهبي فقد استخدم النقد على نطاق لابأس به في كتابيه العظيمين تأريخ الإسلام وسير أعلام النبلاء ولكن الحافظ ابن كثير استعمل النقد أكثر منهما بكثير ولعلّ كتابه القيّم [البداية والنهاية] هي المحاولة الأولى لإعادة كتابة التأريخ

(١) مقدمة ابن خلدون/ ١٧.

الإسلامي برمته وأثناء دراستنا لروايات الطبري ومقارنتها بما ذكره ابن كثير من روايات الطبري وغيره وجدنا الحافظ ابن كثير ناقداً بصيراً لأنه محدث مشهور له في علم الحديث وتراجم الرجال ولم يكثر قبله أحد في النقد كما أكثر هو من استخدامه ، وتخميناً لا حصراً نقول إنه نقد ما يقرب من (٢٠٪) من أصل الروايات التأريخية ورجّح وصحح .

وفي القرن الرابع عشر الهجري ومع ظهور كتابات الأستاذ محب الدين الخطيب ومنها تعليقه وتعقبه على كلام ابن العربي في العواصم تعالت الأصوات الصادقة بضرورة إعادة كتابة التأريخ الإسلامي مع مراعاة شروط منها التفسير الإسلامي للتأريخ .

الخطوط العريضة التي رسمها الأساتذة المعاصرون لإعادة كتابة التأريخ [اعتماداً على معطيات وذخائر تركها لهم أسلافهم]:

مما لا شك فيه لدى الباحثين في مجال التأريخ الإسلامي تزايد اهتمام أساتذتنا الكرام بوضع منهج واضح المعالم لإعادة كتابة التأريخ الإسلامي وخلال هذا الفصل نستعرض الخطط التي رسمها أبرز من بحثوا في هذه المسألة مع الاستشهاد بمقولات من سبقهم أو عاصرهم وانتهاءً بآخر محاولة جادّة في هذا الموضوع وأعني بهذه المحاولة الأخيرة رسالة دكتوراه قدّمها الشيخ الفاضل إبراهيم الشهرزوري بعنوان [مناهج المحدثين في نقد الرواية التأريخية] عام ١٤٢٢ هـ في المعهد العربي للدراسات التأريخية .

ولنبدأ بأبحاث الأستاذ عماد الدين خليل لأنه رسم الخطوط العريضة وأما الأستاذ العمري فقد دخل في التفاصيل وأعطى نماذج عملية إما مباشرة وذلك من خلال كتابيه [صحيح السيرة النبوية] و[عصر الخلافة الراشدة] أو بصورة غير مباشرة عن طريق إشرافه على رسائل جامعية عديدة .

ولعلّ الرسالة الجامعية [روايات أبي مخنف في تأريخ الطبري] للأستاذ يحيى إبراهيم اليحيىٰ هي التي فتحت الطريق أمام الرسائل الأخرى التي قاربت العشرين وتناولت جميعاً مرويات الطبري إسناداً ومتناً .

كتب أستاذنا الفاضل عماد الدين خليل فصلاً بعنوان :

الشروط والضوابط المنهجية لكتابة التأريخ الإسلامي

أولاً: التأكيد على ضرورة ملاحظة ملامح التفسير الإسلامي للتأريخ من جهة والقيم الأساسية التي يتمخض عنها تحليل التأريخ الإسلامي نفسه في توجهاته الشمولية من جهة أخرى(١).

لا أكون مغالياً إذا قلت إن أول من أبان عن معالم التفسير الإسلامي للتأريخ هو العلامة ابن خلدون ـ وإن لم يستعمل هو هذا المصطلح ـ وبلغت تلك المعالم أوجهاً في كتابات الأستاذ عماد الدين خليل سواء كان من خلال كتابه القيّم التفسير الإسلامي للتأريخ أو من خلال كتابه حول سيرة عمر بن عبد العزيز وعشرات الكتب والمقالات كتبها حول هذه المسألة ولعلّ الأستاذ عماد الدين خليل أوجز أهمية التفسير الإسلامي للتأريخ بقوله:

من خلال نظرة شمولية إلى التاريخ الإسلامي في مساراته ومصائره يبدو ذلك الاتصال الوثيق بين المسببات والأسباب، ذلك التلاحم المحتوم بين المقدمات والنتائج، إنها النواميس والسنن التي حدّثنا عنها الله سبحانه في كتابه المبين.

ولقد أخطأ كثير من المؤرخين في فهم وحدة هذا التأريخ وطبيعة نسيجه ذي الخيوط الواحدة، أخطؤوا لأنهم نظروا إلى هذا التاريخ نظرة تتسم بالتجزيئية والمباشرة والتقطع حيناً، وبقياس التحولات بمقاييس التغير الدائم في الأُسَر الحاكمة حيناً آخر، دون أن يأخذوا بنظر الاعتبار حركة المجتمع الإسلامي ووحدته وصيرورته التي كانت تجد في قيم الإسلام ومبادئه ومثله مراكز ثقلها وضبطها، ومؤشرات تمخضها الدائم عن المزيد من الوقائع والأحداث(٢).

قلنا: ولقد تحدثنا عن بعض أصول التفسير الإسلامي للتأريخ في ثنايا

---

(١) إسلامية المعرفة/ ٦٧.

(٢) المصدر السابق (٦٣).

تخريجنا لروايات تأريخ الطبري وعلى سبيل المثال لا الحصر عند حديثنا عن أسباب انتقال إدارة الخلافة من الأمويين إلى العباسيين فلينظر.

ويكمل الأستاذ عماد الدين شروطه قائلاً:

ثانياً: إن العمل التأريخي الجاد بحاجة إلى البناة الذين يملكون الحسّ النقدي بطبيعة الحال أكثر من النقاد(١).

ويشرح الأستاذ عبارته هذه ويقول في آخر شرحه:

باختصار، فإن التوجّه الأكثر أهمية وجدوى يجب أن يتجاوز الدفاع المتشنج إزاء كل ما طرحه الخصوم حول هذه النقطة أو تلك في مجرى التاريخ الإسلامي صوب أبحاث في تكوين التاريخ والحضارة الإسلامية، نظماً وصيرورة، وأعمال بنائية في هذا الجانب أو ذاك، تقدم بذاتها القناعات الموضوعية التي تتهافت عندها مقولات الخصوم(٢).

ثالثاً: تحقيق قدر من التوازن بين دراسة الجوانب السياسية العسكرية وبين فحص الجوانب الحضارية وتحليلها، مع الأخذ بعين الاعتبار ضرورة أن ينظر إلى المعطيات الحضارية باعتبارها أجزاء متفرقة تنتمي إلى كل نظرةً أوسع يتضمنها جميعاً ويمنحها معنى وهدفاً(٣).

ومن الضروري هنا أن ننقل كلاماً قيّماً للأستاذ عمر عبيد حسنة إذ يقول وهو يتحدث عن التأريخ الإسلامي [ليس هو تأريخ الدولة بأجهزتها المتعددة وإنما هو تأريخ الأمة بشكل عام وعطائها الحضاري على مختلف الأصعدة الثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية والعلمية.... إلخ].

لذلك نقول: إنه من الخطأ المنهجي والموضوعي الاقتصار على تأريخ الحكام والأمراء والخلفاء وتغييب تأريخ المجددين والمصلحين والعلماء العاملين والطوائف التي تحمل الحق وتظهر به وتدافع عنه وتتولى حسبة الأمر بالمعروف

---

(١) إسلامية المعرفة (٦٧).

(٢) المصدر السابق (٦٨).

(٣) المصدر السابق (٦٨).

والنهي عن المنكر وتحقيق الرقابة العامة في الأمة[١].

ونعود إلى الشروط والضوابط التي ذكرها الدكتور عماد الدين خليل:

رابعاً: الأخذ بأسلوب نقدي رصين في التعامل مع الروايات التي قدمتها مصادرنا (القديمة) وعدم التسليم المطلق بكل ما يطرحه مؤرخنا القديم، وإحالة الرواية التاريخية، قبل التسليم النهائي بها على المجرى العام للمرحلة التاريخية لمعرفة هل يمكن أن تتجانس في سداها ولحمتها مع نسيج تلك المرحلة لحمة وسدى؟ هذا فضلاً عن ضرورة اعتماد مقاييس النقدين الخارجي والباطني ومعاييرهما وصولاً إلى قناعة كافية بصحة الرواية.

ويمكن الإفادة في مجال النقد الخارجي، إلى حد ما، من علمي: «مصطلح الحديث» و«الجرح والتعديل» اللذين مورسا على نطاق واسع في عمليات تمحيص الأحاديث النبوية، ومن كتب التراجم الغنية الخصبة، فما من أُمة في الأرض عنيت بتمحيص مصادر أخبارها وتاريخها كالأمة الإسلامية، فهنالك تراجم لنصف مليون رجل أسهموا جميعاً في تقديم الأحاديث والأخبار والروايات التاريخية التي لا يمكن توثيقها والأخذ بها إلا بعد فحص أولئك الرجال الذين تناقلوها. ومن ثم فإن دراسة التاريخ الإسلامي دراسة جادة تستلزم، بالضرورة، دراسة هذا الموضوع الخطير لكي تقوم الأعمال التاريخية معتمدة على أوثق المصادر وأدق الأخبار ومنقحة من الدسائس والسموم وسيل الروايات الموضوعة التي نفثتها القوى المضادة في جسد تاريخنا المتشابك الطويل.

ومن قبله قال محب الدين الخطيب ومن الإنصاف أن نشير إلى أن اتساع صدور أئمة السنة ـ من أمثال أبي جعفر الطبري ـ لإيراد أخبار المخالفين من الشيعة وغيرهم ـ دليل على حريتهم وأمانتهم ورغبتهم في تمكين قرائهم من أن يطَّلعوا على كل مافي الباب واثقين من أن القارئ الحصيف لا يفوته أن يعلم أن مثل أبي مخنف موضع تهمة ـ هو ورواته ـ . . . . إلخ.

وقال الخطيب رحمه الله أيضاً: وإنما ينتفع بأخبار الطبري من يرجع إلى تراجم رواته في كتب الجرح والتعديل، فتراجم شيوخه مباشرة وشيوخهم توجد في

---

(١) قيم المجتمع الإسلامي من منظور تأريخي/ ١١.

الأكثر في مثل: تذكرة الحفاظ للذهبي وتراجم الرواة الذين كانوا إلى أواخر المئة الثانية توجد في خلاصة تذهيب الكمال للصفي الخزرجي وتقريب التهذيب للحافظ ابن حجر والذين تناولهم الجرح من الضعفاء: يترجم لهم الحافظ الذهبي في ميزان الاعتدال والحافظ ابن حجر في لسان الميزان فضلاً مما ورد في طبقات ابن سعد وتاريخ دمشق لابن عساكر وتأريخ الإسلام للذهبي والبداية والنهاية لابن كثير من آلاف الأخبار إلا بالرجوع إلى تراجم رواته في كتب الجرح والتعديل، وإن كتب مصطلح الحديث تبين الصفات اللازمة للراوي، ومتى يجوز الأخذ برواية المخالف، ولا نعرف أمة عني مؤرخوها بتمحيص الأخبار وبيان درجاتها وشروط الانتفاع بها، كما عني بذلك علماء المسلمين، وأن العلم بذلك من لوازم الاشتغال بالتاريخ الإسلامي، أما الذين يحتطبون الأخبار بأهوائهم، ولا يتعرفون إلى رواتها، ويكتفون بأن يشيروا في ذيل الخبر إلى الطبري: رواه في صفحة كذا من جزئه الفلاني، يظنون أن مهمتهم انتهت بذلك، فهؤلاء من أبعد الناس عن الانتفاع بما حفلت به كتب التاريخ الإسلامي من ألوف الأخبار، ولو أنهم تمكنوا من علم «مصطلح الحديث» وأنسوا بكتب الجرح والتعديل واهتموا برواة كل خبر، كاهتمامهم بذلك الخبر، لاستطاعوا أن يعيشوا في جوّ التاريخ الإسلامي، ولتمكنوا من التمييز بين غثّ الأخبار وسمينها، ولعرفوا الأخبار أقدارها على أقدار أصحابها[1].

ثم نعود إلى الشروط والضوابط كما وضعها الدكتور عماد الدين خليل:

خامساً: يقابل هذا ضرورة الاعتماد في بناء البحث التاريخي على الواقعة نفسها دون الوقوع في مظنة اعتماد هياكل مرسومة مسبقاً، ووجهات نظر مصنوعة سلفاً، ومحاولة تطويع الوقائع وإرغامها على الانسجام مع هذه الهياكل والوجهات حتى ولو أدى هذا إلى تشويه ملامح الواقعة التاريخية، أو إعادة تركيبها، لكي تنسجم والأطروحات المسبقة، مما نجده واضحاً، على سبيل المثال، في الدراسات التي تنطلق من المفهوم المادي في تفسير التاريخ، الأمر الذي أوقعها في بحر من الأخطاء والتناقضات.

---

(١) المدخل إلى التأريخ الإسلامي / (١٦٤ ـ ١٦٥).

سادساً: كما أنه يتوجب في مقابل هذا وذاك اتخاذ موقف علمي تجاه معطيات المستشرقين، الغربيين والشرقيين، على مستوى المنهج والموضوع وعدم التسليم المطلق بها أو تجاوزها كليّة، لأن هذه المعطيات تتضمن الجيد والرديء... الأبيض والأسود..

ويضيف الأستاذ عماد الدين قائلاً:

إن مناهج البحث الغربية (نصرانية ومادية) لا يمكنها بحال أن تقدم تفسيراً معقولاً شاملاً متماسكاً لتاريخنا الإسلامي، فهي إن نجحت في تفسير التاريخ الغربي وتقويمه فستخفق حتماً في تفسير التاريخ الإسلامي وتقويمه، ذلك أنها مناهج لا تقوم على أساس (متوازن) ينظر إلى القيم الروحية والمادية كعوامل فعّالة مشتركة في صنع التاريخ، بل على العكس، تسعى بدافع من ماديتها أو علمانيتها إلى ترجيح الدافع المادي وتقليص مساحة الدوافع الروحية في حركة التاريخ، بل طمسها أحياناً، وإنكارها أساساً في أحيان ثالثة كعوامل في صيرورة التاريخ البشري.

سابعاً: يجب ألا يقع العاملون في حقل المنهج الجديد للتاريخ الإسلامي تحت وطأة المواضعات المعاصرة في كافة مناحي الحياة البشرية: السياسية والاقتصادية والأخلاقية والروحية والاجتماعية، لأن هذا من شأنه أن يصبغ رؤيتهم للتاريخ الإسلامي بألوان تستمد تركيبها من واقع عصرنا الراهن، الأمر الذي يفسد موضوعية الرؤية، وبالتالي يصد المؤرخ عن الوصول إلى كنه الوقائع التاريخية التي قد لا تمت بصلة إلى موضوعات القرن العشرين.

ثامناً: ولابدّ من الإشارة أخيراً - وليس آخراً - إلى أن الدعوة لإعادة كتابة أو عرض التاريخ الإسلامي وتحليله لا تعني بالضرورة البدء من نقطة الصفر، أو الرفض المطلق للصيغ التي قدمها بها مؤرخونا القدماء، ومحاولة قلب معطياتهم رأساً على عقب... ومن يخطر على باله أمر كهذا؛ فهو ليس من العلم في شيء.

[فصل من كتاب إسلامية المعرفة/ ٦٣ - ٧٣/ مخطط مقترح لإسلامية علم التأريخ]

ولقد استمر أستاذنا الفاضل عماد الدين خليل في ذكر شروط وضوابط أخرى إلاّ أننا لم نذكرها هنا لأنها بحاجة أن تعتمد في حالة كتابة موسوعة للتاريخ

الإسلامي أوسع بكثير من تأريخ الطبري وأشمل منه كذلك ـ إلاّ أننا اكتفينا بذكر الضوابط التي نراها لزاماً للباحث في مجال تأريخ الطبري وتخريج رواياته والله أعلم.

ونضيف هنا شروطاً أخرى ذكرها بعض من أساتذتنا الأفاضل:

تاسعاً: يقول الأستاذ عمر عبيد حسنة: كما أن من الخطأ التربوي والثقافي والديني أيضاً الاقتصار على إبراز الجوانب المشرقة وتضعيفها في التأريخ الإسلامي وتصوير مجتمع المسلمين على أنه مجتمع ملائكة معصومين من الخطأ ـ وتغييب أو إسقاط فترات الانكسار والهزيمة والسقوط التي قد تمثل النقاط السوداء والسلبية في مسيرة الأمة ـ إذا ما تمَّت معايرتها بالقيم وإن كانت مساحتها في التأريخ الإسلامي لا تكاد تذكر أمام الإنجازات العظيمة والعطاء الحضاري[1].

التفاصيل العملية لمنهج إعادة كتابة التأريخ الإسلامي ومنها مسألة نقد المتن والإسناد:

وهنا نركّز بالذات على أبحاث أستاذنا الفاضل أكرم ضياء العمري الرائد في مجال تطبيق قواعد المصطلح والجرح والتعديل لنقل وتقييم الرواية التأريخية.

وما سنذكره هنا من شروطٍ وضوابط مأخوذة من عدة أبحاث وكتب لأستاذنا العمري ورأينا في جمعها في فصل واحد فائدة عظيمة والله أعلم.

نظراً لأن المصادر المتعلقة بالحديث والعلوم الشرعية والتاريخ الإسلامي معظمها يسرد الروايات بالأسانيد، فلابد من تحكيم قواعد علماء المصطلح في نقد هذه الروايات مع عدم التخلي عن الروايات التي لا تصل إلى مستوى الصحة الحديثية، ففي الأبحاث التاريخية تعتبر الروايات المسندة من طرق رواة لا يبلغون مستوى الثقات أفضل من الروايات والأخبار غير المسندة، لأن فيها ما يدل على أصلها، ويمكن من التحكم بنقدها وفحصها بصورة أفضل من الأخبار الخالية من السند.

أما في الدراسات المتصلة بالعقيدة والشريعة فلابد من الاعتماد فيها على

(١) قيم المجتمع الإسلامي من منظور تأريخي / ١١.

الروايات والأحاديث الصحيحة ونقد وبيان الضعفية منها ، وستسلم في هذا الجانب أحاديث صحيحة على شرط المحدثين تكفي لبيان العقيدة وأحكام الشريعة ، لأن المحدثين أولوا الأحاديث عناية كبيرة وأحاطوا رواتها بدراسة دقيقة واسعة ، واهتموا بطرق تحملها وأدائها ، فإذا طبقت قواعدهم على الأحاديث فهي أهل لذلك لما بلغته من الدقة والإتقان .

ثم يذكر الأستاذ العمري بيت القصيد هنا فيقول :

أولاً : أما اشتراط الصحة الحديثية في قبول الأخبار التاريخية التي لا تمس العقيدة والشريعة ففيه تعسف كثير ، والخطر الناجم عنه كبير ، لأن الروايات التأريخية التي دونها أسلافنا المؤرخون لم تعامل معاملة الأحاديث بل تم التساهل فيها ، وإذا رفضنا منهجهم فإن الحلقات الفارغة في تاريخنا ستشكل هوة سحيقة بيننا وبين ماضينا مما يولد الحيرة والضياع والتمزق والانقطاع .

إن تاريخ الأمم الأخرى مبني على روايات مفردة ومصادر مفردة في كثير من حلقاته ، وهم ينقدون متون الروايات فقط ويحللونها وفق معايير نقدية تمكنهم من الوصول إلى صورة ماضيهم لعدم استعمال الأسانيد في رواياتهم التاريخية لأن الأسانيد اختصت بها الأمة الإسلامية .

لكن ذلك لا يعني التخلي عن منهج المحدثين في نقد أسانيد الروايات التاريخية فهي وسيلتنا إلى الترجيح بين الروايات المتعارضة ، كما أنها خير معين في قبول أو رفض بعض المتون المضطربة أو الشاذة عن الإطار العام لسير تاريخ أمتنا ، ولكن الإفادة منها ينبغي أن تتم بمرونة آخذين بعين الاعتبار أن الأحاديث غير الروايات التاريخية ، وأن الأولى نالت من العناية ما يمكنها من الصمود أمام قواعد النقد الصارمة .

ويرى أستاذنا العمري علاقة قوية بين التأريخ والحديث فيقول في كتابه القيّم «بحوث في السنة المشرفة» :

ولكن بسبب انشغال كثير من المحدثين في التأريخ فإن قواعد النقد هذه استعملت إلى حد مافي التاريخ أيضاً وقد ساعد على ذلك أن الروايات التأريخية كانت تتصدرها الأسانيد كما هو شأن الأحاديث كما أن مقاييس المحدثين سرت

إلى علم التاريخ فقد اشترطوا في المؤرخ ما اشترطوه في رواة الحديث من العدالة والضبط[١].

وبذلك أمكن تطبيق قواعد نقد الحديث في نقد الروايات التأريخية أيضاً ولكن ذلك لم يتم بنفس الدقة بل حدث تساهل كبير. في ميدان التأريخ فالمؤرخون الأوائل مثل خليفة بن خياط والطبري ٱستقوا كثيراً من مادتهم التأريخية عن رواة ضعفهم أهل الحديث وبذلك لم يتشددوا في نقد رواة الأخبار كما فعلوا بالنسبة لرواة الحديث. . .

ثانياً: ثم يذكر الأستاذ العمري ببيت القصيد هنا فيقول:

وعندما يقوم المؤرخون اليوم بمحاولة تدقيق مصادرنا التأريخية ونقد متونها فإن بالإمكان الاستفادة من قواعد نقد الحديث وعلم الرجال في ترجيح الروايات التأريخية المتعارضة كأن تكون إحدى الروايتين المتعارضتين بإسناد متصل، رجاله ثقات والأخرى وردت بإسناد منقطع أو عن طريق رواة مجروحين فعندئذ ينبغي ترجيح الرواية الأولى على الثانية.

ومن شروط الأستاذ يحيى إبراهيم اليحيى لإعادة كتابة التأريخ كما قال:

إن من أراد أن يكتب عن عصر من العصور لابد أن يتصور حياة ذلك العصر بأخلاقياته وصفاته وعاداته حتى يستطيع أن يصدر الأحكام عليه وتكون عنده القدرة على نقد الروايات والمتون التي بين يديه من خلال موافقاتها أو معارضاتها لحال ذلك العصر الذي قام بدراسته.

[مرويات أبي مخنف في تأريخ الطبري اعتبارات تهمُّ دارس التأريخ/ ٩].

وكما أن استعمال قواعد المصطلح في نقد الروايات التأريخية ينبغي أن يتشدَّد على قدر تعلق المادة بالأحداث الخطيرة التي تؤثر فيها الأهواء ويشتط عندها الهراة كأن تكون الروايات لها مساس بالعقائد والفتن التي حدثت في حياة الصحابة أو ذات صلة بالأحكام الشرعية كالسوابق الفقهية، فإن التشدد في قبولها يجعل استعمال قواعد نقد الحديث بدقة أمراً مقبولاً[٢].

---

(١) دراسات تأريخية / د. أكرم ضياء العمري/ ٢٦ ـ ٢٧.

(٢) أبحاث في السنة المشرفة (٢١٠ ـ ٢١١).

قلت: ولعل أحدث رسالة دكتوراه في هذا الباب وهي [مناهج المحدثين في نقد الروايات التأريخية] لأخينا الدكتور إبراهيم الشهرزوري هو أوسع ما كتب فيه. جمع فيه أخونا الشيخ ما ذكره أسلافه وأضاف إضافات قيّمة أثرت هذا الموضوع ومن إضافاته أنه يرى الاستعانة بأصول الفقه والفقه نفسه في نقد الرواية التأريخية بالإضافة إلى قواعد الحديث.

ولقد لخّص فكرة كتابه القيّم بقوله: [إن هذه الرسالة محاولة متواضعة لوضع وجمع وترتيب جميع المناهج وقواعد المحدثين إضافة إلى قواعد الأئمة الفقهاء والمؤرخين وكل ما لا يسع المؤرخ جهله بما يتعلق بالتأريخ الإسلامي] ص ٩٣.

ومن الأمور القيّمة التي فطن إليها الشيخ الشهرزوري في رسالته هو تطبيق القواعد الفقهية على الروايات التأريخية إذ يقول [إن ربط التأريخ الإسلامي بمختلف العلوم الشرعية أمر لا بد منه لأنه تأريخ عقيدة وشريعة يختلف عن تأريخ بقية الأمم، وأن أي مسألة تأريخية قد ترتبط بمسألة عقدية أو شرعية، وقد تجد لتلك المسألة أصلاً في العلوم الشرعية الأخرى كعلم العقائد والتوحيد والفقه أو أصول الفقه] ص ٣٥١.

ومن ثم ذكر إبراهيم الشهرزوري أمثلة عدة لاستخدام القواعد الفقهية على الروايات التأريخية كعامل مساعد في تحقيقها نذكر منها مسألة الخروج على السلطان وموقف أبي حنيفة من الخليفة العباسي، فبعض المصادر التأريخية تذكر أن أبا حنيفة قد بايع للخليفة العباسي علناً بينما كان يمدّ يد العون للخارجين عليه.

ثم يناقش الدكتور إبراهيم هذه المسألة من وجوه ويراها غير صحيحة للأسباب التالية:

١ ـ تعارض هذه الروايات مع القواعد الفقهية التي أقرها الإمام أبو حنيفة وبقية الفقهاء.

٢ ـ تعارض هذه الروايات مع مرويات أخرى صادرة عن هؤلاء الأئمة والتي تفيد تعاونهم مع خلفاء المسلمين وعدم خروجهم عليهم.

٣ ـ مناقشة أسانيد ومتون هذه الروايات وبيّن أنها غير صحيحة والسند والمتن.

وخلاصة كلام الأستاذ إبراهيم الشهرزوري أن حركة النفس الزكية كانت سنة ١٤٥ وكان عمر الإمام أبي حنيفة يومها (٦٥) عاماً على رأي جمهور المؤرخين وهو عمر الاستقرار العلمي حيث يبلغ الإنسان أشده من النضج العقلي وينظر في كل آرائه السابقة إن احتاجت إلى التغيير أو الترجيح أو غيرهما، وبما أن كل الآراء الواردة عن هذا الإمام سابقاً ولاحقاً وكذلك إجماع فقهاء مذهبه ضد الخروج على السلطان فإن هذه الروايات باطلة ـ ثم استشهد الشهرزوري بنقول من كتب الأئمة الأحناف ومنهم الإمام السرخسي إذ يقول: اعلم أن الفتنة إذا وقعت بين المسلمين فالواجب على كل مسلم أن يعتزل الفتنة، وهذا القول رواه الحسن عن أبي حنيفة ثم ناقش الأستاذ إبراهيم أسانيد هذه الروايات وبيّن أنها ضعيفة لا يعول عليها وتخالف مذهب الإمام أبي حنيفة وفقهاء مذهبه.

ثم بيّن أن بعض طرق القصة جاءت عن أبي الفرج الأصبهاني في كتابه: «مقاتل الطالبيين»، وهو تالف متروك.

وبعضها الآخر من طريق أئمة ثقات ولكنهم من أهل الحديث يومها وأبو حنيفة من أهل الرأي ولا تقبل رواية الأقران في بعضهم البعض إذا كانت بينهم مثل هذه الأمور ـ كما قالوا: [رواية الأقران تطوى ولا تروى].

وأخيراً فإن الأستاذ إبراهيم الشهرزوري يرى في متن هذه القصة تناقضاً واضحاً حيث تذكر الرواية أن أبا حنيفة لما جهر بالكلام أيام إبراهيم لم يلبث أن جيء به إلى بغداد وعاش خمسة عشر يوماً ثم سقي سماً فمات سنة ١٥٠ هـ ومن المعلوم أن إبراهيم قتل سنة ١٤٥ فكيف جيء بأبي حنيفة أيام إبراهيم مباشرة ولم يعش إلا (١٥) يوماً ثم مات سنة ١٥٠هـ؟! [مناهج المحدثين في نقد الروايات التأريخية ٣٥٩ ـ ٣٦٩ ـ ٣٧٠].

وأخيراً منهج هذا التحقيق [تخريج روايات الطبري وتمييزها إلى صحيح وضعيف ومسكوت عنه].

بعد توفيق الله تعالى لنا وتأييده بدأنا بتخريج روايات تأريخ الطبري [تأريخ

الأمم والملوك] انطلاقاً من القواعد التي ذكرها المتقدمون والمتأخرون والمعاصرون وبالأخص منهما الأستاذان الفاضلان (العمري وعماد الدين) فكان تقسيمنا لتأريخ الطبري كالآتي:

أولاً: صحيح تأريخ الطبري [قصص الأنبياء وتأريخ ما قبل البعثة].

ضعيف تأريخ الطبري [قصص الأنبياء وتأريخ ما قبل البعثة].

ثانياً: صحيح السيرة النبوية [تأريخ الطبري].

ضعيف السيرة النبوية [تأريخ الطبري].

ثالثاً: صحيح تأريخ الطبري [تأريخ الخلافة الراشدة].

ضعيف تأريخ الطبري [تأريخ الخلافة الراشدة].

رابعاً: صحيح تأريخ الطبري [تتمة القرن الهجري الأول].

ضعيف تأريخ الطبري [تتمة القرن الهجري الأول].

خامساً: صحيح تأريخ الطبري [تتمة تأريخ الخلافة في عهد الأمويين].

الضعيف والمسكوت عنه تأريخ الطبري [تتمة تأريخ الخلافة في عهد الأمويين].

سادساً: تأريخ الطبري [الصحيح والضعيف والمسكوت عنه].

تأريخ الخلافة في عهد العباسيين.

سابعاً: رجال تأريخ الطبري جرحاً وتعديلاً.

أولاً: فيما يتعلق ببدء الخليقة وقصص الأنبياء.

حاولنا أن نوضح بكل جلاء عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فنفينا عنهم تشويهات وتخرصات اليهود ومزاعمهم حول الأنبياء ولم نقبل من الروايات إلا ما كان مسنداً موصولاً صحيحاً وتشددنا كتشدد العلماء في قبول أحاديث الأحكام تماماً لأنها تتعلق بمسألة خطيرة ألا وهي عصمة الأنبياء وانظر مقدمتنا لقصص الأنبياء.

ثانياً: فيما يتعلق بالسيرة النبوية الشريفة:

استعنّا للمقارنة بالطبقات الكبرى لابن سعد وكمصدر متقدم موثوق به ، وكتب أخرى لأئمة الحديث كدلائل النبوة للبيهقي ، والحافظ أبي نعيم مع الاستعانة بالسيرة التي أخرجها الحافظ ابن كثير لأنها من طريق آخر غير طريق ابن هشام وابن حميد الرازي ـ [ونفي سيرة ابن إسحاق].

بالإضافة إلى المعازي والسير في الصحيحين وبقية الصحاح والمسانيد والسنن والمصنفات ـ وبالاستعانة من تخريجات الذهبي وابن كثير وابن حجر وبما حققه الأساتذة المعاصرون من روايات السيرة كالأستاذ العمري وهمام وأبو صعيليك وإبراهيم العلي وقد أشرنا إلى أقوالهم القيمة في مواضعها بالإضافة إلى تعليقات العلامة الألباني رحمه الله على السيرة النبوية للغزالي رحمه الله تعالى.

ولقد تشددنا في تخريج روايات السيرة النبوية الشريفة كالتشدد في الأحكام إلا ما كان متعلقاً بقصص إسلام بعض الصحابة فقبلنا منها ما ورد بأسانيد مرسلة متعددة المخارج صحيحة الإسناد إلى من أرسلها.

ثالثاً: تعاملنا بنفس الأسلوب عند تخريجنا لروايات تأريخ الطبري فيما يتعلق بالخلافة الراشدة وجعلنا نصب أعيننا هنا مسألة عدالة الصحابة التي قال عنها ابن حجر رحمه الله تعالى: [اتفق أهل السنة على أن الجميع عدول ولم يخالف في ذلك إلاّ شذوذ من المبتدعة](١) .

ولقد فصل الخطيب البغدادي رحمه الله في هذه المسألة في كتابه الكفاية في علم الرواية ونقل إجماع علماء أهل السنة والجماعة إلى عدالتهم(٢) .

ولعلّ الإمام الذهبي رحمه الله خير من أوجز ولخص في هذه المسألة دون إخلال فقال:

كما تقرر الكفّ عن كثير مما شجر بين الصحابة ، وقتالهم ـ رضي الله عنهم أجمعين ، وما زال يمر بنا ذلك في الدواوين والكتب والأجزاء ، ولكن أكثر ذلك

---

(١) الإصابة ١/ ١٠.

(٢) الكفاية في علم الرواية/ ٩٥ ـ ٩٦.

منقطع وضعيف ، وبعضه كذب ، وهذا فيما بأيدينا ، وبين علمائنا؛ فينبغي طيه وإخفاؤه ، بل إعدامه لتصفو القلوب ، وتتوفر على حب الصحابة ، والترضي عنهم وكتمان ذلك متعين عن العامة وآحاد العلماء ، وقد يرخص في مطالعة ذلك خلوة للعالم المنصف العري من الهوى ، بشرط أن يستغفر لهم ، كما علمنا الله تعالى حيث يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ فالقوم لهم سوابق ، وأعمال مكفرة لما وقع بينهم ، وجهاد محاء ، وعبادة ممحصة ، ولسنا ممن يغلو في أحد منهم؛ ولا ندعي فيهم العصمة ، نقطع أن بعضهم أفضل من بعض ، ونقطع بأن أبا بكر وعمر أفضل الأمة ، ثم تتمة العشرة المشهود لهم بالجنة ، وحمزة وجعفر ومعاذ وزيد وأمهات المؤمنين ، وبنات نبينا ﷺ ، وأهل بدر مع كونهم على مراتب ، ثم الأفضل بعدهم ، مثل أبي الدرداء وسلمان الفارسي ، وابن عمر وسائر أهل بيعة الرضوان الذين رضي الله عنهم بنص آية سورة الفتح ، ثم عموم المهاجرين والأنصار كخالد بن الوليد والعباس وعبد الله بن عمرو وهذه الصُّحبة ، ثم سائر من صحب رسول الله ﷺ وجاهد معه ، أو حج معه ، أو سمع منه ، رضي الله عنهم أجمعين وعن جميع صواحب رسول الله ﷺ المهاجرات والمدنيات وأم الفضل وأم هانىء الهاشمية وسائر الصحابيات ، فأما ما تنقله الرافضة وأهل البدع في كتبهم من ذلك ، فلا نعرج عليه ، ولا كرامة له ، فأكثره باطل وكذب وافتراء فدأب الروافض رواية الأباطيل ، أورَدّ ما في الصحاح والمسانيد[(١)] .

ولقد اعتمدنا مصادر المتقدمين سواء منهم من توفي قبل الطبري بسنوات أو من عاصره ومنها بالأخص:

١ ـ تأريخ خليفة بن خياط ٢٤٠ هـ.

٢ ـ الطبقات الكبرى لابن سعد ٢٣٠ هـ.

٣ ـ فتوح البلدان للبلاذري ٢٧٩ هـ.

٤ ـ أنساب الأشراف للبلاذري ٢٧٩ هـ.

---

(١) سير أعلام النبلاء: ١٠/ ٩٣.

٥ - فتوح مصر لابن عبد الحكم المصري ٢٧٦ هـ.

٦ - وبالاستعانة بروايات نادرة تتعلق بتأريخ الخلافة الراشدة أخرجها البخاري ومسلم وأصحاب السنن والمسانيد والمصنفات مع الكتب أخرى متخصصة كالخراج لأبي يوسف وغير ذلك مما ذكرنا في مقدمة تأريخ الخلفاء.

رابعاً: فيما يتعلق بتأريخ الخلافة في عهد الأمويين والعباسيين.

فقد تشددنا فيما يتعلق بتتمة تأريخ القرن الهجري الأول وخاصة عهد أمير المؤمنين معاوية رضي الله عنه وعهد أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير وحتى نهاية عهد أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز.

وما يتعلق بتلك الفترة من تأريخ الفتن المشهورة [وقعة الحرة، وقعة كربلاء].

وفي حال عدم حصولنا على رواية صحيحة الإسناد قبلنا رواية الراوي الذي ذكره ابن حبان في الثقات ولم نعلم فيه جرحاً شريطة خلوّ المتن من نكارة أو طعن في عدالة الصحابة.

ومن ثم بدأنا بإبداء المرونة في مسائل معينة كذكر الوفيات وذكر أمر الفتوح وتولية الأمراء والقضاة وعزلهم فهذه أمور تشتهر، واكتفينا باتفاق عدة مصادر تأريخية موثوقة في هذه الأمور وإن حصلنا على رواية مسندة فبها ونعمتْ.

وأما بالنسبة للمصادر التي استخدمنا للمقارنة فهي كالآتي:

١ - الطبقات الكبرى لابن سعد ٢٣٠ هـ.

٢ - تأريخ خليفة بن خياط ٢٤٠ هـ.

٣ - أنساب الأشراف للبلاذري ٢٧٩ هـ.

٤ - فتوح البلدان للبلاذري ٢٧٩ هـ.

٥ - المعرفة والتأريخ ليعقوب بن سفيان البسوي ٢٧٧ هـ.

٦ - وبالاستعانة بروايات نادرة تتعلق بالفتن في بداية عهد الأمويين، أخرجها أصحاب الصحاح والمسانيد والسنن والمصنفات.

٧ - مصادر متنوعة أخرىَ استقينا منها روايات وإن كانت قليلة كالكتب الآتية

[تأريخ مكة ـ كتاب المتوارين ـ المعارف لابن قتيبة ـ المحن لأبي أيوب التميمي ـ وغيرها].

٨ ـ وفي المرحلة الثانية استعنّا بكتب الأئمة الذين جاؤوا من بعد الطبري بقرن أو قرنين وهي كتب تأريخية قيمة بل هي موسوعات في الحديث والتأريخ، أصحابها ثقات وهي ثلاثة على التوالي.

١ ـ تأريخ بغداد للخطيب البغدادي.

٢ ـ المنتظم لابن الجوزي.

٣ ـ تأريخ دمشق لابن عساكر.

وهؤلاء أئمة حفاظ استخدموا الإسناد في رواياتهم التي أخرجوها وقد سهلت لنا مروياتهم التحقق والتأكد من مسائل تأريخية هامة والحمد لله على نعمة الإسناد.

وللمرة الثالثة استوثقنا من تخريجنا بالاستعانة بتخريجات الحفاظ الثلاثة المتأخرين [الذهبي ـ ابن كثير ـ ابن حجر] [تأريخ الإسلام والسير للذهبي والبداية والنهاية لابن كثير خاصة].

الاستفادة من عشرات الرسائل (الجامعية) في مجال تحقيق وتخريج الروايات التأريخية مع كتب قيمة كتبها أساتذتنا الأفاضل في هذا الباب كالخلافة الراشدة وكتب الأستاذ الدوري والعلامة شاكر رحمه الله تعالى في موسوعته التأريخية القيمة والأستاذ يوسف العش رحمه الله وغيرهم كثير ذكرنا كل واحد منهم، في موضعه ـ وإذا لم نوافقهم في بعض المسائل بينّا ذلك في مواضعه.

ملاحظاتي حول الطبري مؤرخاً ومنهجه في التأريخ مع نقاط أخرى.

بالرغم من كل ما وُجّه إلى منهج الطبري في تأريخه يظل الإمام الطبري عملاقاً يتربّع على قمة كتابة التأريخ ـ ولا يدرك دقة الطبري وأمانته العلمية تماماً إلا من درس تأريخه فقرة فقرة وخرّج رواياته رواية رواية ولاحظ عباراته عبارة عبارة فجزاه الله عن المسلمين وتأريخهم خير الجزاء، وجزى الله من جاء بعده من تلاميذه ومن بعدهم ممن نقلوا إلينا هذا السفر العظيم بكل أمانة.

ثانياً: ما من غرابة أو نكارة في المتن إلا ويقابله ضعف في السند [فيما يتعلق بالرواية التأريخية].

ثالثاً: من علامات الوضع التأريخي ما يأتي: لاحظنا خلال تخريجنا لروايات الطبري أن غلاة المبتدعة والهالكين من أمثال لوط بن يحيى يكثرون استخدام الألفاظ البذيئة وينسبونها إلى السلف وهم منها براء ـ ولقد شهد الكل بطهارة لسانهم من الشتائم والبذاءات، ولكن الرواة المتروكين التالفين يصبون جام حقدهم على شكل سيل من الألفاظ الساقطة [يا بن أم كذا ـ أو يا كذا أو فلان الطاغية. . . إلخ] من الألفاظ التي كانت الصحابة تتورع حتى عن سماعها ناهيك عن التلفظ بها.

رابعاً: ومن علامات الوضع كذلك كثرة استخدام الأيمان المغلظة لتوكيد تفاصيل حادثة معينة ـ وعلى ما يبدو فإن الوضّاع كان يشعر بهشاشة تلفيقه ووضوح كذبه فيستر كذبه وراء هذه الأيمان الغليظة.

خامساً: عادة (وليس دائماً) تكون الروايات الصحيحة قصيرة المتن بينما يغلب على الوضاعين الإطالة في رواياتهم الملفقة.

سادساً: ما وجدنا أميراً أو قائداً فاتحاً من قواد السلف الصالح ابتداءً من سيدنا خالد رضي الله عنه، ووصولاً إلى الجراح بن عبد الله الحكمي وغيرهما إلاّ وتهافت الوضاعون على كيل الاتهامات نحوه ـ وخاصة إذا كان شديداً على الخوارج وأهل البدع.

سابعاً: الأعداد المذكورة في الروايات المكذوبة مبالغ فيها جداً فلو كان عدد الجيش ألفاً في الأصل لوجدت الألف صار عشرين ألفاً وهكذا، وكذلك تبالغ الروايات المكذوبة في إحصاء عدد القتلى وعلى سبيل المثال لا الحصر فإن الروايات التي لا تصح عن واقعة الحرة تذكر أن أعداد القتلى كان بالآلاف بينما لم يتجاوز عددهم الخمسمئة أضف إلى ذلك فإن في متونها قصوراً وفجواتٍ وهفوات ونكارات فكيف بآلاف القتلى في المدينة التي عرفت بجوها الحار ولم تكن يومها ثلاجات حفظ الموتى موجودة أقول فكيف لم تتعفن هذه الجثث علماً بأن هذه الروايات تذكر أن المدينة استبيحت ثلاثة أيام وأن أهلها الباقون قد فروا

إلى خارج المدينة ، وهذا يعني أن آلاف الجثث قد تركت في الطرقات والأزقة ولو كان ذلك صحيحاً لتفسخت الجثث وتفشت الأمراض وهلك البلاد والعباد وكل ذلك لم يحصل وذلك دليل آخر على كذب تلك المبالغات .

ومثال آخر فيما يتعلق بأمير العراق القسري الذي ولاه هشام بن عبد الملك العراق فالمصادر التأريخية تشير إلى تملكه لبساتين وغلال وأموال ولعلها كانت سبباً لعزله من قبل أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك ولكن الروايات الضعيفة جداً تصور بذخه فوق الخيال حتى أنها تقول بأنه أهدى أحد المقربين إليه ألف جارية وما أشبه ذلك فماذا يفعل هذا المهدى إليه بهذا الجيش الجرار من الجواري ومن أين للقسري بهذا العدد وهو القائد المنشغل بضبط أمور العراق المتأجج حركة وخروجاً ثم لو كان كذلك لذاع الخبر في الآفاق ولسجلته معظم المصادر التأريخية الموثوقة وبالأسانيد المعتبرة ولكن كل ذلك لم يحصل .

ثامناً: إن غلاة المبتدعة الذين أرادوا أن يصوروا كل خليفة أموياً كان أو عباسياً عدواً لآل البيت ـ وقعوا في تناقض عجيب فهم من جانب يصورون عداء الخليفة لآل علي مثلاً بينما يصفون آل علي بحب الدنيا والطمع والمنافسة فيما بينهم على المال وسب بعضهم البعض والرضا إذا أدى الخليفة إليهم أعطياتهم والخروج بالسيف إذا منعوا المال أو سئلوا عنه ـ أي أنهم لم يراعوا للخليفة حرمة ولا لآل بيت رسول الله ﷺ حرمة .

ولقد التقينا بعدد من أساتذة التأريخ الإسلامي وشيوخ الحديث وغيرهم من علماء المسلمين وناقشنا معهم هذا المنهج في تخريج روايات الطبري (كالأستاذ أكرم ضياء العمري والأستاذ عماد الدين خليل والأستاذ يحيى إبراهيم اليحيى وغيرهم) .

وأفادونا كثيراً بآرائهم وملاحظاتهم القيّمة ولقد استعنّا بخبراتهم القيّمة التي أودعوها كتبهم ولقد أشرنا إلى جهودهم تلك في مَواضعها ولقد ترك شيوخنا وأساتذتنا بصماتهم على صفحات هذا المشروع العلمي وسنذكرهم بأسمائهم إن شاء الله في نهاية المجلد الأخير وجزاهم الله عنا وعن المسلمين والتأريخ الإسلامي خير الجزاء وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

* * *

ثانيــاً
كتاب تاريخ الطبري[١]

وكتابه «المسمى تاريخ الرسل والملوك»[٢] ، أو تاريخ الأمم والملوك[٣] يعدّ أوفى عمل تاريخي بين مصنَّفات العرب ، أقامه على منهج مرسوم ، وساقه في طريق استقرائيّ شامل ؛ بلغت فيه الرواية مبلغها من الثقة والأمانة والإتقان أكمل ما قام به المؤرخون قبله ، كاليعقوبي والبلاذري والواقدي وابن سعد ؛ ومهَّد السبيل لمن جاء بعده كالمسعودي وابن مسكويه وابن الأثير وابن خلدون .

وقد كان التاريخ عند العرب في الجاهلية أخباراً متفرّقة تتناقلها الشفاه ، وروايات متناثرة تدور حول الأشعار والأمثال والأيام ، وأساطير تكسوها المبالغة ويحوطها التهويل ؛ عدا نقوشاً كتبت بالخط المسند على حوائط المعابد والأديرة وأعمدة الحصون والقصور في الحيرة واليمن . ثم كانت بعثة محمد عليه الصلاة والسلام ، ومضى عهده وعهد الخلفاء الراشدين من بعده ، وإذا المسلمون يخفون لتدوين أخباره عليه الصلاة والسلام، ويروون أنباء مولده ومبعثه وهجرته ومغازيه ؛ فكان من تدوين تلك السيرة اللبِنة الأولى في تاريخ الإسلام ؛ على أنها لم تعدُ في ذلك الحين أن تكون نوعاً من رواية الحديث . وكان أول من وضع في ذلك كتاباً عروة بن الزبير بن العوام ، ثم تلاه أبان بن عثمان بن عفان ؛ إلى أن بلغ فنُّ السيرة أوجه في كتاب ابن إسحاق .

ثم خرج المسلمون للغزو والجهاد ، فهزّوا عروش كسرىٰ وقيصر ، وقوضوا دعائم الملك في بلاد الفرس والشام ومصر والروم ، ودخلوا البلاد فاتحين . ثم

---

(١) مأخوذة من مقدمة الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم .
(٢) معجم الأدباء ١٨ : ٦٨ .
(٣) تاريخ بغداد ٢ : ١٦٣ ، وكشف الظنون ٢٩٧ .

نبض عرق العصبية والقَبَليّة ، وشاعت أخبار الأمم القديمة ، وتاريخ الديانات عند الأمم الأخرى؛ كلّ هذا وذاك دعا إلى إضافة مادة تاريخية جديدة؛ فالعلماء حاولوا أن يفهموا إشارات الكتاب الكريم إلى تلك الأمم ، والخلفاء رغبوا في معرفة أخبار الملوك من الأمم قبلهم؛ كان يفعل ذلك معاوية وعبد الملك بن مروان وأبو العباس السفاح وأبو جعفر المنصور؛ ومسّت الحاجة إلى معرفة ما فتح من البلاد صلحاً ، وما فتح منها عنوة؛ ليقيموا الجزية والخراج على أساس ما رسمه الإسلام في ذلك من تشريع؛ وأخذت الرواية التاريخية تتَّخذ لوناً جديداً ، أطلق عليها اسم الأخبار ، ودعي من يرويها بالأخباريّ ، كما أطلقوا على من يروي الحديث اسم المحدّث؛ وظهرت في ذلك مؤلفات ، فصنف محمد بن السائب الكلبي كتاباً في الأنساب ، وعوانة بن الحكم في أخبار بني أمية وأبو مخنف في أخبار الردّة والجمل وصفين ، وسيف في أخبار الفتوح ، وابن هشام في ملوك حمير.... وما إن انقضى القرن الثاني حتى أخذت المادة التاريخية تزيد تبعاً لتطور الحياة العربية ، واستقرت دواوين الإنشاء والجند والبُرد ، وتنوَّعت العهود والوثائق والمراسلات ، ومست الحاجة إلى معرفة المواليد والوفيات ، ومدد ولايات الخلفاء والولاة والقضاة والقواد وأمراء المواسم في الحج؛ ثم ظهرت الكتب المترجمة عن الفرس واليونان والسريان ، وكثرت الرحلة بين البلاد؛ وتعددت المشاهد ، واطلع العرب على ما لم يكونوا رأوه من عجائب البلاد ، وحضارات الأمم؛ عدا ما كان من اتساع الفتوح ، وكثرة الأحداث؛ فوجد العلماء للتاريخ منابع رافدة ، ومناهل متنوعة ، ومصادر كثيرة؛ وأحسُّوا أن لعلم التاريخ أثراً في بناء الأمم ، وفهم الثقافات ، وإرساء العلوم على قواعد ثابتة؛ ولم ير الأفاضل منهم بأساً في أن يضعوا أسفاراً في التاريخ؛ فعل ذلك الواقديّ في كتب الفتوح ، والبلاذريّ في كتابيه البلدان وأنساب الأشراف ، وابن قتيبة في المعارف، وابن حبيب في المجبَّر، والدينوري في الأخبار الطوال ، إلى أن انتهى الأمر إلى الإمام محمد بن جرير الطبري ، فوضع فيه كتابه العتيد (١) .

* * *

(١) انظر ترجمة علم التاريخ لهرنشو ، والفصل الذي ألحقه به مترجمه عبد الحميد العبادي عن التاريخ عند العرب.

ولا يُعلم على وجه التحديد التاريخ الذي بدأ فيه أبو جعفر إملاء هذا الكتاب؛ ويظهر أنه ألفه بعد كتاب التفسير ، روىٰ الخطيب أن أبا جعفر الطبري قال لأصحابه: أتنشطون لتفسير القرآن؟ قالوا: كم يكون قدره؟ قال: ثلاثون ألف ورقة ، فقالوا: إن هذا مما يفني الأعمار قبل تمامه ، فاختصره في نحو ثلاثة آلاف ورقة ، ثم قال: أتنشطون لتاريخ العالم من آدم إلى وقتنا هذا؟ قالوا: كم قدره؟ فذكر نحواً مما ذكره في التفسير ، فأجابوه بمثل ذلك ، فقال: إنا لله! ماتت الهمم. فاختصره في نحو مما اختصر التفسير»[١] .

وجاء في تاريخه: «وقيل أقوال في ذلك قد حكينا منها جملاً في كتابنا المسمّى: «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» ، فكرهنا إطالة الكتاب بذكر ذلك في هذا الموضوع»[٢] .

وذكر ياقوت عن أبي بكر بن بالويه قال: قال لي أبو بكر محمد بن إسحاق ـ يعني ابن خزيمة ـ: بلغني أنك كتبت التفسير عن محمد بن جرير؟ قلت: نعم؛ كتبنا التفسير عنه إملاء ، قال: كله! قلت: نعم ، قال في أيّ سنة؟ قلت: سنة ثلاث وثمانين إلى ستة وتسعين[٣] .

وإذاً يكون قد أملى التاريخ بعد سنة تسعين ومئتين.

أما الانتهاء من هذا التاريخ ، فقد ذكر ياقوت أنه فرغ من تصنيفه وعرضه على المستملين له: «في يوم الأربعاء لثلاث بقين من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثمئة ، وقطعه على آخر سنة اثنتين وثلاثمئة»[٤] .

بدأ أبو جعفر تاريخه بذكر الدلالة على حدوث الزمان ، وأن أول ما خلق بعد ذلك القلم وما بعد ذلك شيئاً فشيئاً ، على ما وردت بذلك الآثار؛ ثم ذكر آدم ، وما كان بعده من أخبار الأنبياء والرسل؛ على ترتيب ذكرهم في التوراة؛ متعرضاً للحوادث التي وقعت في زمانهم؛ مفسّراً ما ورد في القرآن الكريم بشأنهم ،

---

(١) تاريخ بغداد ٢ : ١٦٣ .
(٢) تاريخ الطبري ١ : ٨٩ (طبعة دار المعارف).
(٣) معجم الأدباء ١٨ : ٤٢ .
(٤) معجم الأدباء ١٨ : ٤٤ .

معرّجاً على أخبار الملوك الذين عاصروهم ، وملوك الفرس على الخصوص؛ مع ذكر الأمم التي جاءت بعد الأنبياء حتى مبعث الرسول عليه الصلاة والسلام.

أما القسم الإسلامي فقد رتَّبه على الحوادث من عام الهجرة ، حتى سنة ثلاثمئة واثنتين؛ وذكر في كلّ سنة ما وقع فيها من الأحداث المذكورة؛ والأيام المشهورة؛ وإذا كانت أخبار الحوادث طويلة جزّأها على حسب السنين ، أو يشير إليها بالإجمال؛ ثم يذكرها في الموضع الملائم.

وترجع قيمة هذا الكتاب إلى أنه قد استطاع أن يجمع بين دفتيه جميع الموادّ المودعة في كتب الحديث والتفسير واللغة والأدب والسير والمغازي وتاريخ الأحداث والرجال؛ ونصوص الشعر والخطب والعهود؛ ونسق بينها تنسيقاً مناسباً ، وعرَضها عرضاً رائعاً رائقاً؛ ناسباً كلّ رواية إلى صاحبها ، وكلّ رأي إلى قائله؛ كما أنه أودع هذا الكتاب فصولاً صالحة ونُتفاً متنوعة من متون الكتب التي أتت عليها عوادي الأيام، وأورد من أقوال العلماء ما لا نجده إلا في هذا الكتاب.

مصادر الطبريّ في هذا التاريخ هي كل ما سبقه من المواد التي عرفها العرب من قبله ، وأخذ من كل متخصص في فنه ، أخذ التفسير عن مجاهد وعكرمة وغيرهما ممن نقل عن ابن عباس ، ونقل السيرة عن أبان بن عثمان وعروة بن الزبير وشرحبيل ابن سعد وموسى بن عقبة وابن إسحاق ، وروىٰ أخبار الدرَّة والفتوح عن سيف بن عمر الأسديّ ، وحوادث يومَي الجمل وصفين عن أبي مخنف والمدائني ، وتاريخ الأمويين عن عوانة بن الحكم ، وأخبار العباسيين من كتب أحمد بن أبي خيثمة؛ كما أخذ أخبار العرب قبل الإسلام من عبيد بن شَرْية الجرهميّ ومحمد بن كعب القرظي ووهب بن منبّه ، وأخبار الفرس من الترجمات العربية من كتب الفرس ، ولاسيما كتب ابن المقفع وابن الكلبي: وغير هذا مما تراه في مباحث مواد تاريخ الطبري المستفيضة التي نشرها الدكتور جواد علي تباعاً في مجلّة المجمع العلمي العراقي ببغداد .

نشر الدكتور جواد علي في مجلة المجمع العلمي بالعراق مقالات ضافية بعنوان «مواد تاريخ الطبري» ، بلغ فيها الغاية في عمق البحث ودقة التحليل وحسن الأداء ، مع الإلمام الكامل بالموضوع من كل نواحيه ، وقد أفدت منه في هذا المقام.

والطريقة التي سار عليها الطبري في كتابه هي طريقة المحدِّثين؛ بأن يذكر الحوادث مروّية بمقدار ما عنده من الطرق ، ويذكر السّند حتى يتصل بصاحبه ، لا يبدي في ذلك رأياً في معظم الأحيان؛ وهذه الطريقة هي التي سلكها في معظم الكتاب ، وفيما عدا ذلك ينقل من الكتب؛ فيصرح باسم الكتاب أحياناً ، أو ينقل عن المؤلفين من غير تعيين الكتاب الذي نقل عنه أحياناً.

وقد كان اعتماده هذا المنهج مثاراً للنقد عند بعض الباحثين ، قالوا: إن سياقة الأخبار دون تمحيصها أمر لا يليق بالمؤرخ الناقد البصير؛ وإذا كانت طريقة رواية الخبر في السند ـ ورجاله معروفون عند علماء الجرح والتعديل ـ تضمن صحة الأخبار وتمحيصها في الأخبار التي وقعت في الإسلام؛ فإن هذه الطريقة تقصُر عن ضمان صحة ذلك فيما قبل الإسلام؛ وخاصة وقد وقع في هذا التاريخ كثير من الأخبار الواهية ، والقصص الزائفة ، كالإسرائيليات وبعض أخبار الفرس؛ كما أورد أيضاً كثيراً من الأحاديث الموضوعة كالأحاديث الواردة في بدء الخلق وسير الأنبياء؛ مما لا يرتضيه المحدِّثون.

وربما كان عذر الطبري في ذلك هو عذر رواة الحديث؛ فيذكرون الحديث بطرقه ورجاله؛ تاركين الحكم للقارىء؛ أمانة للعلم وإبراء للذمة؛ قال في مقدمة كتابه: «وليعلم الناظر في كتابنا أن اعتمادي في كلّ ما أحضرتُ ذكره فيه؛ مما شرطت أني راسمه فيه؛ إنما هو على ما رويت من الأخبار التي أنا ذاكرها فيه ، والآثار التي أنا مسندها إلى رواتها؛ دون ما أدرك بحجج العقول واستنبِط بفكر النفوس؛ إلا اليسير القليل منه؛ إذ كان العلم بأخبار الماضين ، وما هو كائن من أبناء الحادثين غير واصل إلى من لم يشاهدهم ولم يدرك زمانَهم إلا بأخبار المخبرين ونقل الناقلين ، دون الاستخراج بالعقول ، والاستنباط بفكر النفوس ، فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين؛ مما يستنكره قارئه ، أو يستشنعه سامعه؛ من أجل أنه لم يعرف له وجهاً من الصحّة ولا معنى في الحقيقة؛ فليعلم أنه لم يؤتَ في ذلك من قِبَلنا؛ وإنما أتىْ من بعض ناقليه إلينا؛ وإنا إنما أدينا ذلك على نحو ما أدِّي إلينا»[١] .

(١) تاريخ الطبري ١ : ٧ ، ٨(طبعة المعارف).

وفي هذا النص الصريح؛ ما يشير إلى مذهبه فيما ورد في كتابه من تلك الأخبار.

وأيًا ما كان؛ فإن كتاب تاريخ الرسل والملوك سيظلّ بما اشتمل عليه من الروايات الأصيلة، والنصوص النادرة في أسلوبه الرائع الرصين أشملَ كتاب للتاريخ عند العرب.

* * *

وقد وقع لهذا الكتاب كثير من التكملات والمختصرات والترجمات. ولعلّ أول من ذيّل عليه هو الطبري نفسه؛ وإن لم يصل إلينا شيء من ذلك؛ قال السخاوي: «وله على تاريخه المذكور ذيل، بل ذيل على الذيل أيضاً»[1]، كما أن عبد الله بن أحمد بن جعفر الفرغاني عمل صلة له على ما رواه ياقوت. وقال ابن النديم: وقد ألحق به جماعة من حيث قَطَع إلى زماننا هذا لا يعوّل على إلحاقهم؛ لأنه ليس ممن يختصّ بالدولة ولا بالعلم[2]»؛ وفي المكتبة الأهلية بباريس نسخة مخطوطة من الجزء الأول من كتاب محمد بن عبد الملك الهمذاني؛ المتوفى سنة ٥٢١، الذي جعله تكملة له، يبدأه من الأيام المقتدرية إلى بدء خلافة المستظهر. أما بقية الكتاب؛ فتنتهي بأخبار عضد الدولة أبي شجاع في أول سنة ستين وثلاثمئة.

وقد اختصره كثيرون؛ ذكر ابن النديم منهم محمد بن سليمان الهاشمي وأبا الحسن الشمشاطيّ من أهل الموصل وآجل يعرف بالسليل بن أحمد[3].

ممن اختصره أيضاً مع إيراد زيادات عريب بن سعد القرطبي؛ ونقل ابن عذاري منه ما يختص بتاريخ إفريقية والأندلس، وأودعه كتابه «المغرب»؛ وأما أخبار العراق فطبعت ملحقة بالتاريخ باسم «صلة تاريخ الطبري»، من سنة ٢٩١ إلى سنة ٣٢٠.

أما الترجمة؛ فكان أوَّل من قام بها أبو علي محمد بن عبد الله العلقمي،

(١) كتاب الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، للسخاوي ١٤٤.

(٢) معجم الأدباء ١٨ : ٤٤.

(٣) الفهرست: ٢٣٥.

المتوفى في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري إلى الفارسية ، بأمر الأمير أبي صالح منصور بن أحمد بن إسماعيل بن سامان الساماني؛ وكان مشغوفاً به مكثراً لمطالعته؛ ترجمه ترجمة راعىٰ فيها الاقتصار على إيراد الأخبار دون الأسانيد؛ وتصرّف فيه بعض التصرف[١]. ثم نقلت هذه الترجمة من الفارسية إلى التركية في عهد أمير الأمراء أحمد باشا ، ثم ترجم مرة ثانية ما بين ٩٢٨ ـ ٩٣٨ هـ ، وطبعت الترجمة التركية سنة ١٢٦٠ في الآستانة.

كما ترجم أيضاً من الفارسية إلى الفرنسية وطبعت سنة ١٨٧٤ ، في أربع مجلدات قام بها زوتنبرج Zotenberg؛ ونقلت أيضاً إلى بعض اللغات اللاتينية ، وطبعت في غريفزوالد ١٨٦٣[٢].

وذكر سيديو Sedillote في كتابه «تاريخ العرب» أن جرجس النصراني المتوفى سنة ١٢٧٣ م ، والمعروف بالمكين بن العميد لخصه وذيله؛ وترجم قسم من كتاب[٣] المكين إلى اللغة اللاتينية ، من قبل إربينيوس Eroininus وإلى الفرنسية من قبل فاتييه Vatter[٤].

* * *

ومنذ أن صدر هذا الكتاب عن مؤلفه ، تتابع الوراقون في نسخه ، وتنافس الأمراء والملوك في اقتنائه؛ وعمرت به خزائن الكتب ودور العلم؛ ذكر المقريزيّ أنه كان بخزانة كتب العزيز الفاطميّ ما ينيف على عشرين نسخة منه؛ إحداها بخط المؤلف[٥]؛ ومع مرور الزمن وعوادي الأيام ذهبت هذه النسخ شرقاً وغرباً ، وتعرض معظمها للضياع؛ وحينما شرع في طبعه جماعة المستشرقين سنة ١٨٧٩ م؛ لم يتيسر لهم الحصول على نسخة كاملة؛ وكل الذي عثروا عليه ـ بعد بذل أقصى الجهد وإخلاص النية ـ أجزاء متفرقة ألّفوا منها نسخة ، بها نقص يسير

---

(١) كشف الظنون ٢٩٨.

(٢) جواد علي ١٧٧ : ١٧٨ (مجلة المجمع العلمي ببغداد الجزء الأول) ، وتاريخ آداب اللغة العربية لزيدان ٢ : ١٩٩ ، وكشف الظنون ٢٩٨.

(٣) من هذا الكتاب نسخة خطية بدار الكتب المصرية.

(٤) تاريخ العرب لسيد يو ٤٧٦.

(٥) خطط المقريزي ١ : ٤١٨.

أكملوه من تاريخ ابن الأثير وكتاب المغازي والفتوح لابن حبيش؛[1] وقد طبعوه طبعة علمية؛ على أكمل ما يكون التحقيق؛ وأدق ما تكون المقابلة؛ وذلك بين سنتي ١٨٧٩ و١٨٩٨ م في ثلاثة أقسام:

(القسم الأول): حياة ما قبل الإسلام، ثم حياة محمد عليه الصلاة والسلام والخلفاء الراشدين من بعده إلى سنة ٤٠ هـ.

(القسم الثاني): من سنة ٤١ إلى سنة ١٣٠ هـ.

(القسم الثالث): من سنة ١٣١ هـ إلى سنة ٣٠٢ هـ؛ وهو نهاية الكتاب، وألحقوا به الكتاب المسى بالمنتخب من ذيل المذيل في أسماء الصحابة والتابعين، وقسماً من مختصر الطبري لعريب بن سعد القرطبي، أسموه «صلة تاريخ الطبري»، مع مقدمة لاتينية؛ تشتمل على ترجمة المؤلف ووصف نسخ الكتاب؛ وشرح الكلمات اللغوية والاصطلاحية فيه؛ ثم التصويبات والاستدراكات. ثم مجلداً كبيراً بالعربية يشتمل على الفهارس العامة، ثم أعيد طبعه مرة أخرى في ليدن من سنة ١٧٧٩ إلى سنة ١٩٠١ وقد أشرف على تحقيقه وتصحيحه العلامة دي خويه De Goeje وعاونه من المستشرقين: بارت Barth، ونولدكه Noeldeke، ولوت Loth، وديونج De Jong، وبريم Primm، تورد بيك Thorbecke، وفرانك Fraenkel وجويدي Guidi، ومولر Mueller.

أما المخطوطات التي رجعوا إليها فتنتمي إلى المكتبات الآتية:

١ - المكتبة الأهلية بباريس؛ رقم: ١٤٦٦، ١٤٦٧، ١٤٦٨، وقد رمز إليها بالحرف p.

٢ - مكتبة كبريلي بالآستانة رقم ١٠٤٠ إلى ١٠٤٢، وقد رمز إليها بالحرف C.

٣ - مكتبة جامعة الزيتونة بتونس، وقد رمز إليها بالحرف Tn.

٤ - مكتبة الجمعية الآسيوية في كلكتا بالبنغال رقم: ٤٤٣، وقد رمز إليها برمز Ca.

٥ - مكتبة برلين برقم: ٩٤١٤، ٩٤٣٤، ٩٤١٦، ٩٤١٧، ٩٤١٨، ٩٤١٩، ٩٤٢٠، ٩٤٢١، ٩٤٢٢، وقد رمز إليها بالحرف B.

---

(١) هذا النقص يقع في المطبوعة الأوربية ما بين ٢٣٨٣، ٢٤١٤، من الجزء الأول.

٦ - مكتبة المتحف البريطاني ، رقم: ٢٧١ ، ١٢٠٥ ، ١٦١٨؛ وقد أشير إليها برمز BM .

٧ - مكتبة توبنجن؛ وقد رمز إليها بالحرف T .

٨ - مكتبة بودليان بأكسفورد رقم: ٧٨١ ، ٧٢٢ (أوري) ٦٥٠ (أوري) ٧١١ ، ٧٢٢ ، ٦٧٦ ، وقد أشير إليها بالحرف O.

٩ - مكتبة الجزائر ، رقم: ١٥٧٢ ، ١٥٩٤ وقد أشير إليها بالحرف A ،

١٠ - مكتبة المكتب الهندي ، وقد رمز إليها بحرف M.

١١ - مكتبة جامعة استراسبورج ، وقد رمز إليها بالحرف S.

١٢ - مكتبة ليدن رقم ٤٩٧ ، وقد رمز إليها بالحرف L.

أما كتاب المنتخب من ذيل المذيل فقد رجعوا فيه إلى نسخة مكتبة المتحف البريطاني برقم ٦١٨ ، والجزء المعروف بالصلة رجعوا فيه إلى نسخته المحفوظة بمكتبة غوطة رقم ١٥٥٤ .

وقد بذل هؤلاء العلماء الأفاضل جهداً كبيراً ، في صبر وأناة ، مع دأب ومثابرة؛ ووشوا حواشيه بمقابلات للنسخ دقيقة ، وتعليقات مستفيضة مفيدة؛ وستظل هذه النشرة من أمثل المطبوعات العربية وأدقها.

وعن هذه النسخة الأوربية قامت المطبعة الحسينية بطبعه في سنة ١٣٣٩ هـ ، ومطبعة الاستقامة بالقاهرة؛ بعد حذف التعليقات والفهارس. وإن يكن في هاتين الطبعتين شيء من الخير فهو أنهما قد سدَّتا حاجة جمهور العلماء والباحثين من هذا الكتاب؛ بعد أن عزّت الطبعة الأوربية ، وتعذر على الناس اقتناؤها.

وقد رمزت لمخطوطات باريس بالحرف (ر) ، ولمخطوطات كبريلي بالآستانة بالحرف (س) ، ولمخطوطة تونس بالحرف (ن) ، ولمخطوطة كلكتا بالحرف (ك) ، ولمخطوطات برلين بالحرف (ب) ، ولمخطوطات المتحف البريطاني بالحرف (ح) ، ولمخطوطة توبنجن بالحرف (ت) ، ولمخطوطة ليدن بالحرف (ل) ، ولمخطوطات أوكسفورد بالحرف (ف) ، ولمخطوطتي الجزائر بالحرف

(ج) ، ولمخطوطة المكتب الهندي بالحرف (م) ، ولمخطوطة استراسبورج بالحرف (و).

وأما المخطوطات التي حصلت عليها مما لم يرجع إليه مصححو نسخة أوربا ، فقد أشرت لمخطوطات أحمد الثالث بالحرف (أ) ، وإلى مخطوطة مكتبة بتنه بالحرف (هـ) ، ولمخطوطة دار الكتب بالحرف (د) ، ولمخطوطة المكتبة التيمورية بالحرف (ي).

* * *

وقد وافقت المخطوطة الأولى من نسخة أحمد الثالث من هذا الجزء من أوله إلى ص ٥١١ السطر العاشر؛ وهي جزء ناقص من آخره ، يقع في ٢٣٨ ، كتب على غلافه: «الجزء الول من كتاب التاريخ تأليف أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، رواية القائد أبي محمد عبد الله بن أحمد الفرغاني رضي الله عنه». وعليه وقفية من المقر الأشرف الجمالي محمود الأستادار لهذا المجلد وما بعده من المجلدات ، وعددها خمسة عشرة مجلداً؛ على مدرسته التي أنشأها بخط الموازنيين. بالشارع الأعظم ، وعليها تملك بتاريخ جمادى الأولى سنة إحدى وستمئة؛ ثم في موضع آخر تملك نصه: «أول رمضان سنة ٧٢٦» ، ومسطرتها ١٩ سطراً؛ في كل سطر ١٢ كلمة.

وأما باقي النسخ فسيأتي وصفها عند موضعها في الأجزاء المقبلة».

أرجو حينما يتم طبع بقية الأجزاء ـ بعونه تعالى وتوفيقه ـ أن ألحق به كتاب المنتخب من ذيل المذيل ، والمختصر لعريب؛ وتكملة الهمدانيّ؛ ثم الفهارس العامة.

* * *

وأذكر بالفضل والشكر الأساتذة: الدكتور عبد الحليم النجار والأب قنواتي والدكتور هنس إرنس Hans Frnst لما لقيت منهم من عون في الانتفاع بمقدمة الطبعة الأوربية، وما جاء في تعليقاتها باللاتينية؛ فلهم مني أطيب الثناء والتقدير[1].

---

(١) * مصادر البحث

إنباه الرواة على أنباء النحاة للقفطي ٣: ٨٩ ـ ٩٠.

والله سبحانه الموفق والمعين؛ ومنه الرضا والتوفيق.

١٩ جمادى الأولى سنة ١٣٨٠هـ.

٨ نوفمبر سنة ١٩٦٠ م.

= تاريخ ابن الأثير ٦: ١٧١ ـ ١٧٢.
تاريخ ابن كثير ١١: ١٤٥.
تاريخ بغداد ٢: ١٦٢ ـ ١٦٨.
الأنساب للسمعاني ٣٦٧.
تاريخ التشريع الإسلامي لمحمد الخضري.
تاريخ ابن عساكر ١٨: ٣٣٩ ـ ٣٧٠.
(مخطوطة دار الكتب).
تذكرة الحفاظ للذهبي ٢: ٢١ ـ ٢٥٥.
تهذيب الأسماء واللغات للنووي ١: ٧٨ ـ ٧٩.
ابن خلكان ١: ٤٥٦.
الرجال للنجاشي ٢٢٥.
روضات الجنات ٦٧٢ ـ ٦٧٥.
شذرات الذهب ٢: ٢٦٠.
طبقات الشافعية للسبكي ٢: ١٣٥ ـ ١٤٠.
طبقات القراء لابن الجزري ٢: ٢٦٠ ـ ٢٦١.
طبقات المفسرين للداودي الورقة ٢٣٠ ـ ٢٣٤.
طبقات المفسرين للسيوطي ٣٠ ـ ٣١.
علم التاريخ لهرنشو ترجمة العبادي ٥١ ـ ٦٩. عيون التواريخ لابن شاكر (وفيات سنة ٣١٠).
الفهرست لابن النديم ٢٣٤ ـ ٢٣٥.
كشف الظنون ٢٩٨، ٢٣٧، ٥١٤، ١٤٤٩.
اللباب لابن الأثير ٢: ٨١.
لسان الميزان ٥: ١٠٠ ـ ١٠٣.
المحمدون من الشعراء ٦٦ ـ ٦٧.
مرآة الجنان لليافعي ٢: ٢٦١.
معجم الأدباء ١٨: ٤٠ ـ ٩٤.
المنتظم لابن الجوزي ٦: ١٧٠ ـ ١٧٢.
مواد تاريخ الطبري للدكتور جواد علي (مجلة المجمع العلمي العربي ببغداد).
الوافي بالوفيات ٢: ٢٦٤ ـ ٢٨٦.

ثالثاً
الإمام الطبري مؤرخاً(١)

المبحث الأول
عِلْمُ التَّارِيخِ والطَّبَرِيّ

(أولاً): تعريف علم التاريخ:

التاريخ في اللغة تعريف الوقت، يقال: أرَّختُ الكتاب تاريخاً إذا جعلت له تاريخاً، وهو بيان انتهاء وقته، وقيل: وهو معرّب، وقيل: عربي(٢).

والتاريخ في العرف هو تعيين الوقت بإسناده إلى أول حدوث أمر شائع من ظهور ملة أو دولةٍ أو أمرٍ هائل، أو من الآثار العلوية والحوادث السُّفلية مما يندر وقوعه، ويُجعل ذلك مبدأ لمعرفة ما بينه وبين أوقات الحوادث والأمور التي يجب ضبط أوقاتها في مستأنف السنين، وقيل عدد الأيام والليالي بالنظر إلى ما مضى من السنة والشهر(٣).

وأول من وضع التاريخ الإسلامي الخليفة العادل عمر بنِ الخطاب رضي الله عنه عندما أُتي بصكّ مكتوب إلى شَعْبان، فقال: أهو شعبانُ الماضي أو شعبان

---

(١) هذه المقدمة مأخوذة من كتاب «الإمام الطبري شيخ المفسرين، وعُمدةُ المؤرخين، ومقدَّم الفقهاء المحدثين، صاحب المذهب الجريري» (ص١٩٧ ـ ٢٤٥) للدكتور: محمد الزحيلي.

(٢) القاموس المحيط ١/ ٢٥٦، المصباح المنير ١/ ١٥، مختار الصحاح ص ١٣.

(٣) كشف الظنون ١/ ٢١٣، كشاف اصطلاحات الفنون ١/ ٥٦، أبجد العلوم ٢/ ١/ ١٨١.

القابل؟ ثم أمر بوضع التاريخ ، واتفقت الصحابة على ابتداء التاريخ من هجرة النبي ﷺ إلى المدينة ، وجعلوا أول السنة المحرّم[١].

أما علم التاريخ فقد عرَّفة وبيّنه طاش كبري زادة بقوله: «هو معرفة أحوال الطوائف ، وبلدانهم ، ورسومهم ، وعاداتهم ، وصنائع أشخاصهم وأنسابهم ، ووفياتهم. . . إلى غير ذلك ، وموضوعه: أحوال الأشخاص الماضية ، من الأنبياء والأولياء ، والعلماء والحُكَماء ، والشُّعراء ، والملوك والسلاطين. . . وغيرهم ، والغرض منه: الوقوف على الأحوال الماضية ، وفائدته: العبرة بتلك الأحوال ، والتنصُّح بها ، وحصولُ ملكة التجارب بالوقوف على تقلّبات الزمن ، ليُحترز عن أمثال ما نقل من المضارّ ، ويُستجلب نظائرها من المنافع ، وهذا العلم كما قيل: عمر آخر للناظرين ، والانتفاعُ في مِصْره بمنافِعَ تَحْصلُ للمسافرين»[٢] ، وينحصر حديثنا في علم التاريخ.

(ثانياً): أهمية علم التاريخ ومشروعيته:

يمثل التاريخ أحد مصادر المعرفة الإنسانية التي اهتم بها الناس ، فتدارسوه ، وألفوا مجالسه ، واستمعوا أخباره ، وصنّفوا فيه ، لأنه يفيد تسليةً ولَذَّة ، ويعطي المتعةَ الكافية ، ويُرضي غريزة حب الاستطلاع ، ويبعث على العبرة والتفكّر في الأحداث ، فالعاقل من اتعظ بغيره ، والمحنَّك من تخطَّى تجارب غيره ، فالتاريخ يعطي القارىء والسامع نماذج من السلوك البشري بما فيه من غرائز ، وعواطف ، وميول ، وسلوك ، وطموحات ، وآمال وآلام ، فرداً وجماعة ، مع بيان النتائج التي تترتب على كل تصرف ، سواء كان صواباً أم خطأ ، عاماً أم خاصاً ، مادياً أم معنوياً ، فردياً أم اجتماعياً ، وهذا يثير الهمم للنهوض ، أو التأسّي بالسَّلف ، أو الاقتداء بالأمم الحية ، أو التحرز والتحفظ من المسالك الوعرة ، والمنزلقات الخطرة التي لا تُحمد عقباها.

---

(١) المصباح المنير ١/ ١٥ ـ ١٦ ، المختصر في علم التاريخ ص ٣٣٠ المطبوع ضمن كتاب علم التاريخ عند المسلمين.

(٢) مفتاح السعادة ١/ ٢٥١ ، وانظر: أبجد العلوم ٢/ ١/ ١٨١ ، والمختصر في علم التاريخ ص ٣٢٥ ، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ ص ٣٨٢ وما بعدها.

وقد اهتم العرب بعلم التاريخ، بسبب اهتمامهم بالانتساب إلى الآباء والأجداد، والعشيرة والقبيلة ، فحفظوا أنسابهم ، وتفاخروا بها حتى وصلوا إلى التعصب والعصبية ، فكانوا يهتمون أصلاً بتاريخهم ، وتاريخ الأمم قبلهم ، ومن حولهم.

وجاء القرآن الكريم يذكر أخبار الأمم السابقة ، وقصص النبيين والمرسلين ، ولكنه باختصار شديد ، مركِّزاً على موطن العبرة والعظة ، ومكان الإثارة والاستفادة ، مع النص القرآني المتكرِّر على هذا الهدف ، قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٠١] ، وقال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠] ، وخاطب الله رسوله آمراً له بقصّ الأخبار الهادفة، فقال تعالى: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٦] ، وخصَّص الله تعالى سورة في القرآن الكريم باسم «سورة القصص».

ومن هنا اتجه كثير من العلماء المسلمين إلى جمع الأخبار ، ومعرفة الأماكن والأحوال التي أشارت إليها الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، واشتاقت نفوسهم إلى التوسع في فهم القصص المذكورة في القرآن ، وفي ذات الوقت اعتنَوْا عناية شديدة بسيرة رسول الله ﷺ ، وما يتبعها من المغازي ، وكانت هذه المعلومات تصبُّ في مِحْوَرَيْن ، الأول: محور الأخبار والقصص التاريخية ، وكان صاحبها يسمى أخبارياً ، وتتّسم أكثر قصصه بالأوهام والخرافات والأساطير القديمة ، والمحور الثاني: علم الحديث والمصطلح ، وكان علماء الحديث يذكرون أخبار السيرة النبوية وآثار الصحابة والخلفاء الراشدين مع الحديث برواياته وأخباره وإسناده ، ولما دُوِّنت كتب السنة النبوية خُصِّص باب مستقل بعنوان المغازي والسِّير ، إلى أن استقل علم السيرة النبوية ، وخُصِّصت له المصنفات والكتب[1].

---

(١) ظهر الإسلام ٢/٢٠١ ، ٢٠٢ ، التاريخ العربي والمؤرخون ص ٥٧ ، علم التاريخ عند المسلمين ، مقدمة المترجم الدكتور صالح أحمد العلي ص/أ ، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٧٦٣ ، ضحى الإسلام ٢/٣١٩ ، مقدمة ابن خلدون ص ٣ ، ٩ ، الإعلان ص ٣٨٥ ، ٤٠٦ ، ٤١٢.

(ثالثاً): تدوين علم التاريخ:

يذكر مؤرخ الإسلام الحافظ الذهبي أنَّ تدوين العلوم، وتحديد ذاتيتها، وظهور كيانها كان من منتصف القرن الهجري الثاني، فيقول «في سنة ثلاث وأربعين (ومئة) شرع علماء الإسلام في هذا العصر في تدوين الحديث والفقه والتفسير. . . ، وكثر تدوين العلم وتبويبه، ودُوِّنت كتب العربية واللغة والتاريخ وأيام الناس، وقبل هذا العصر كان الأئمة يتكلمون من حفظهم، أو يَرْوُون العلم من صحف صحيحة غير مرتَّبة»[1].

وهكذا نشأ علم التاريخ، واستقل عن علم الحديث، ولم يعد المؤرخ يسمى أخبارياً، واقتصر مدلول الأخباري على راوي القصص والنوادر والحكايات، وأقبل العلماء والفقهاء على دراسة التاريخ والتأليف فيه، وصار لهم مكانة عالية بين النَّاس، واعتنى الخلفاء بسماع تواريخ الملوك في الأمم الأخرى لتكون لهم عِظة، ويستفيدوا من تجاربهم، ورأَوْا أن قراءة التاريخ تفيد الفطنة والحِنْكَة[2]، ولذلك قال الجاحظ: «علم النسب والخَبر علم الملوك»[3].

وفي القرن الثالث الهجري استوى علم التاريخ على سوقه، وتوطَّدت دعائمه، وظهرت فيه المؤلفات والكتب التي تجمع المواضيع المتعاقبة، إما على أساس السنين، وإما على أساس الطبقات، وإما على تاريخ المدائن، وأصبح لعلم التاريخ منهج مرسوم، وصار له روَّاده وأعلامه، ويقصده طلاب العلم لذاته، وتُرجمت تواريخ الأمم الأخرى إلى العربية، وأصبحت مائدة التاريخ حافلة وشهية ونافعة، منها «الطبقات الكبرى» لابن سَعد (٢٣٠ هـ) وكتاب «أخبار أو تاريخ مكة المشرفة» لأبي الوليد الأَزْرقي الحفيد (٢٤٤ هـ)، كتاب «تاريخ اليعقوبي» (٢٧٨ هـ أو ٢٨٤ هـ)، وكتاب «الأخبار الطوال» لأبي حنيفة الدِّيْنَوَري (٢٩١ هـ)[4].

---

(١) انظر: تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٦١، النجوم الزاهرة ١/ ٣٥١، تذكرة الحفاظ ١/ ١٦٠.

(٢) ظهر الإسلام ٢/ ٢٠١، ضحى الإسلام ٢/ ٣١٩، الطبري للحوفي ص ١٨٣، تاريخ الطبري ١/ ٥ ط دار المعارف.

(٣) تاريخ الأدب العربي ٣/ ٧.

(٤) انظر: ظهر الإسلام ٢/ ٢٠٢، تاريخ الأدب العربي ٣/ ٧ وما بعدها، الطبري للحوفي =

(رابعاً): الطَّبريُّ يدرس التاريخ:

رأينا سابقاً أن الطبري جمع من علوم الإسلام ما لم يجتمع لأحد، وكان له حافظة نادرة، وذكاءٌ حادٌّ، وأنه من كبار علماء الحديث الذين ينقلون الأحاديث والأخبار والأسانيد، ويجمعون الروايات المتعدّدة في الموضوع الواحد، مما كان له صلة بكتب الروايات والتاريخ للأمم الأخرى، واستفاد منها في تفسيره للقرآن الكريم، وأورد جانباً منها في كتابه الذي أملاه في ثماني سنوات (٢٨٣ هـ ـ ٢٩٠ هـ)، ولما فرغ منه اتجه إلى تصنيف كتابه الثاني في التاريخ حتى انتهى منه يوم الأربعاء ٢٧ ربيع الآخر عام (٣٠٣ هـ) وأرَّخ حتى سنة ٣٠٢ هـ الموافق ٩١٥ م[1].

وكان الطبري رحمه الله تعالى قد اطَّلع على جميع كتب التاريخ وأجزائه وصُحُفه في القرن الثالث الهجري، كما درس بتوسع كتب السيرة النبوية وما صُنِّف فيها، وأخذ علم التاريخ عن المختصِّين به، وهم شيوخ الطبري في ذلك، وعنهم أخذ مصادره والموادَّ الأولية لكتابه.

ولما أراد الطبري أن يبدأ في كتابه التاريخ قال لتلاميذه: «تنشطون لتاريخ العالم من آدم إلى وقتنا هذا؟ فقالوا: كم قدره؟ فذكر نحو ماذكره في التفسير (أي ثلاثون ألف ورقـة)، فأجابوا: هذا ما يُفني الأعمار قبل تمامه، فقال الطبري: إنا لله، ماتت الهمم، فاختصره في نحو مما اختصر به التفسير» (أي في نحو ثلاثة آلاف ورقة)[2].

* * *

= ص ١٨٢، وانظر أصول علم التاريخ في كتاب «المختصر في علم التاريخ» للكايجي، ص ٣٣٧ وما بعدها.

(١) انظر: معجم الأدباء ١٨/ ٤٤، الفهرست ص ٣٢٧.

(٢) تذكرة الحفاظ ٢/ ٧١٢، تاريخ بغداد ٢/ ١٦٣، معجم الأدباء ١٨/ ٤٢، سير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٧٥، ظهر الإسلام ٢/ ٢٠٤، وفي قول آخر اختصره إلى ألف ورقة، وفي قول ثالث أنه خمسة آلاف ورقة، ويمكن الجمع بين هذه الأقوال بسهولة، وذلك بحسب النسخ التي كتبت، وحجم الورق الذي استخدم في كل نسخة.

المبحث الثاني
كتُب الطَّبَريِّ في التَّارِيخ

إن الألقاب الرفيعة التي أُعْطِيت للطبري المؤرخ لم تكن عَبَثاً ، فقد صنَّف أعظم كتب التاريخ على الإطلاق ، وقدّم للبشرية إنتاجاً ثَرّاً ، وكتباً قيمة ، ومصنفات جليلة ، ومجلدات كبيرة ، مع ما بثَّه من أخبار تاريخية في سائر كتبه الأخرى.

أما الكتب التاريخية فله اثنان ، الأول: «تاريخ الأمم والملوك» ، والثاني: «ذَيْل المذيَّل» ، ونبدأ بتعريف الثاني لصغره ، ثم نعود للكتاب الأول لأهميته.

(أولاً): ذَيْل المُذَيَّل للطَّبَرِيّ:

وهو كتاب في تاريخ الصحابة والتابعين وتابعيهم إلى عصر الطبري ، ويشتمل على تاريخ من قُتل أو مات من أصحاب رسول الله ﷺ في حياته ، وتاريخ من عاشوا بعده من أصحابه وَرَوَوْا عنه على ترتيب الأقرب فالأقرب من رسول الله ﷺ ، أو من قريش من القبائل ، ثم ذكر الطبريّ تاريخ التابعين وتابعي التابعين من السَّلَف ، ومن بَعدهم إلى أن بلغ شيوخه الذين سمع منهم.

وذكر الطبري أخبار هؤلاء ، ومذاهبهم ، وبيان الضعفاء من المحدِّثين ، والدفاع عن ذوي الفضل منهم ، ممن رُمي بمذهب هو بريء منه ، أو أُتُّهم برأي لم يقله ، مثل الحَسَن البصْري وقَتَادة وعِكْرِمة وغيرهم.

وذكر تاريخ النساء الصحابيات اللائي أسْلَمْنَ على عهد رسول الله ﷺ ، ومن مات منهنَّ قبل الهجرة ، ومن مِتْنَ بعدَها.

وفي آخر الكتاب أبواب حسان عمن حدَّث عنه الإخوة ، أو الرجل وولده ، ومن اشتهر بكنيته دون اسمه ، أو باسمه دون كنيته[١] .

قال عنه ياقوت : «وهو من محاسن الكتب وأفاضلها ، يرغبُ فيه طلاب الحديث وأهل التواريخ ، وكان خرّج إملاءه بعد سنة ثلاثمئة ، وهو في نحوٍ من ألف ورقة»[٢] .

وسماه الذهبي باسم «تاريخ الرجال» من الصحابة والتابعين وإلى شيوخه الذين لقيهم[٣] .

وهذا الكتاب مفقود حتى الآن ، ولم يُعثر على نسخة منه ، ولكن عُرَيْب بن سعد الكاتب القرطبي (٣٧٠ هـ/ ٩٨٠ م) الذي اختصر تاريخ الطبري كما سنرى ، اختصر أيضاً ذَيْل المُذَيَّل بعنوان «المُنْتَخَب من ذَيْل المُذَيَّل من تاريخ الصحابة والتابعين» وطبع هذا «المنْتَخَب» مع «تاريخ الطبري» في الجزء الأخير في ليدن ، في الطبعة التي أشرف عليها ونشرها دي غويه سنة ١٨٩٧/ ١٩٠١ م ، ثم طبع «المنتخب» مع «تاريخ الطبري» في معظم طبعاته ، منها طبعة مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٥٨ هـ/ ١٩٣٩ م ، وجاء «المنتخب» في نهاية الجزء الثامن والأخير من «تاريخ الأمم والملوك» للطبري ، ويقع في ١٦٤ صفحة ، وأربع صفحات للفهرس[٤] ، وطبع «المنتخب» في الجزء الحادي عشر من «تاريخ الطبري» من طبعة دار المعارف بمصر ١٩٦٠ ـ ١٩٦٧ م بتحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم .

أما الكتاب الأصلي فيقع في ألف ورقة ، وإذا قورن هذا الرقم بكتاب «تاريخ الطبري» الذي يقع في ثلاثة آلاف ورقة ، وطبع في ثمانية مجلدات ، فإننا نجد أن كتاب «ذَيْل المُذَيَّل» يساوي ثلث كتاب التاريخ ، وهذا يعني أنَّه كتاب كبير في التاريخ وتراجم الصحابة والتابعين وبقية السلف الصالح .

---

(١) انظر : معجم الأدباء ١٨/ ٧٠ ، الطبري للحوفي ص ٨٩ .
(٢) معجم الأدباء ١٨/ ٧١ .
(٣) سير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٧٢ .
(٤) انظر : تاريخ التراث العربي ١/ ٢/ ١٦٣ ، تاريخ الأدب العربي ٣/ ٤٧ .

(ثانياً): تاريخ الأمم والملوك:

ويعرف بتاريخ الطبري ، وبه اشتهر اسمُه ، ولَمَعَ صيتهُ ، وتخلَّد اسمه ، وإذا أطلق على الطبري: المؤرخ ، فإنما بسبب هذا الكتاب.

واسم الكتاب المشهور به هو «تاريخ الأمم والملوك»[(١)] وطبع بهذا العنوان ، ولكن ياقوت الحموي ذكر اسماً آخر له وهو «تاريخ الرسل والأنبياء والملوك والخلفاء»[(٢)] ، وكلا الاسمين يدلان على موضوع الكتاب ، ويسمى الكتاب أيضاً: «التاريخ الكبير»[(٣)].

قال ياقوت: «وهذا الكتاب من الأَفْراد في الدنيا ، فضلاً ونَباهة ، وهو يجمع كثيراً من علوم الدِّين والدُّنيا ، وهو في نحو خمسة آلاف ورقة»[(٤)].

وبيَّن الطبري رحمه الله تعالى خطة كتابه ، وذكَّر بفائدة علم التاريخ وأهميته في المقدمة ، ويَحْسُن بنا أن نطَّلع عليها ، ونسجِّلها هنا.

«قال أبو جعفر: وأنا ذاكرٌ في كتابي هذا: من ملوك كل زمان من ابتداء ربنا جل جلاله خَلْق خَلْقِه إلى حال قيامهم ، مَنْ انتهى إلينا خبرُه ، ممن ابتدأه الله تعالى بآلائه ونعمه ، فشكر نعمه ، من رسُول له مُرْسل ، أو مَلِك مُسَلَّط ، أو خليفة مُسْتَخْلَف ، فزاده إلى ما ابتدأه به من نعمه في العاجل نعماً ، وإلى ما تفضل به عليه فضلاً ، ومن أخَّر ذلك له منهم ، وجعله له عنده ذُخْراً ، ومن كفر منهم نعمه فسَلَبه ما ابتدأ به عليه إلى حين وفاته وهلاكه ، مقروناً ذكر كل من أنا ذاكره منهم في كتابي بذكر نعمائه وجُمَل ما كان من حوادث الأمور في عصره وأيَّامه ، إذ كان الاستقصاء في ذلك يقصر عنه العمر ، وتطول به الكتب ، مع ذكري مع ذلك مَبْلغَ مدة أُكُلِه ، وحين أجله ، بعد تقديمي أمام ذلك ما تقديمه بنا

(١) تاريخ بغداد ٢/ ١٦٣ ، كشف الظنون ١/ ٢٢٧.

(٢) معجم الأدباء ١٨/ ٤٤ ، وطبعت الكتاب دارُ المعارف بمصر باسم «تاريخ الرسل والملوك» ، وسماه فؤاد سزكين «أخبار الرسل والملوك» (تاريخ التراث العربي ١/ ٢/ ١٦٢) ، وطبع بمطبعة خياط باسم «تاريخ الرسل والملوك».

(٣) معجم الأدباء ١٨/ ٦٨.

(٤) معجم الأدباء ١٨/ ٧٠.

أولىٰ ، والابتداء به قبله أحَجْى من البيان عن الزمان ، ما هو؟ وكم قدْرُ جميعه؟ وابتداء أوَّله ، وانتهاء آخره ، وهل كان قبل خلق الله تعالى إيَّاه شيء غيره؟ وهل هو فَانٍ؟ وهل بعد فنائه شيء غيرُ وجه المسبَّح الخلاَّق تعالى ذكره؟ وما الذي كان قبل خلق الله إياه؟ وما هو كائن بعد فنائه وانقضائه؟ وكيف كان ابتداء خلق الله تعالى إياه؟ وكيف يكون فناؤه؟ والدلالة على أنْ لا قديم ، إلا الله الواحد القهار الذي له مُلْك السموات والأرض وما بينهما وما تحت الثَّرى ، بوجيزٍ من الدلالة غير طويل إذ لم نقصد بكتابنا هذا قصد الاحتجاج لذلك ، بل لما ذكرنا من تاريخ الملوك الماضين ، وجملاً من أخبارهم وأزمان الرسل والأنبياء ومقادير أعمارهم ، وأيام الخلفاء والسالفين ، وبعض سيرهم ومبالغ ولاياتهم ، والكائن الذي كان من الأحداث في أعصارهم ، ثم أنا متبعٌ آخر ذلك كله ، إن شاء الله ، وأيْدٍ منه بعون وقوة ، ذكر صحابة نبينا محمد ﷺ وأسمائهم وكُناهم ، ومبالغ أنسابهم ، ومبالغ أعمارهم ، ووقت وفاة كل إنسان منهم والموضع الذي كانت به وفاته ، ثم متبعهم ذكرَ من كان بعدَهم من التابعين لهم بإحسان على نحو ما شرطنا من ذكرهم ، ثم ملحق بهم من ذكر من كان بعدهم من الخلف لهم كذلك ، وزائد في أمورهم للإبانة عمن حُمِدَت منهم روايتهُ ، ونُقلت أخباره ، ومن رُفِضَت منهم روايته ، ونُبذت أخباره ، ومن وَهَن منهم نقلُه ، وضَعُفَ خبره ، والسبب الذي من أجله نُبِذ منهم خبرُه ، والعلة التي من أجلها وَهَن من وَهَن منهم نقله ، وإلى الله عز وجل أنا راغب في العون على ما أقصده وأنويه ، والتوفيق لما ألتمسه وأبغيه ، فإنه ولي الحول والقوة ، وصلى الله على محمد نبيه ، وآله وسلم تسليماً»[1] .

ثم ذكر الطبري رحمه الله تعالى منهجه في الكتاب ، كما سنوضحه فيما بعد إن شاء الله تعالى .

(ثالثاً) : محتويات «تاريخ الأمم والملوك» :

يعتبر «تاريخ الطبري» ذروة التأليف التاريخي عند المسلمين في القرون الثلاثة الأولى ، وهو أوثق مصدر للتاريخ الإسلامي ، ويحتل هذا التاريخ مكانة ممتازة

---

(١) تاريخ الطبري ١/ ٤ ـ ٥ .

بين كتب التاريخ الإسلامي ، وبيّن لنا ياقوت الحموي محتويات الكتاب ، فقال:

«بدأ فيه بالخطبة المشتملة على معانيه ، ثم ذكر الزمان ما هو؟ ثم مدة الزمان على اختلاف أهل العلم من الصحابة وغيرهم والأمم المخالفة لنا في ذلك ، والسُّنَن الدالة على ما اختاره من ذلك ، وهذا باب لا يندر وجوده إلا له. . . ، ثم ذكر أبو جعفر في «التاريخ» الكلام في الدلالة على حَدَث الزمان «الأيام والليالي» ، وعلى أن مُحْدِثَها هو الله عز وجل وحده ، وذكر أول ما خُلق ، وهو القلم وما بعد ذلك شيئاً فشيئاً على ما وردت به الآثار ، واختلاف الناس في ذلك ، ثم ذكر آدمَ وحوّاء ، واللعين إبليس وما كان من نزول آدم عليه السلام ، وما كان بعده من أخبار نبيّ نبيّ ، ورسول رسول وملك ملك ، على اختصار منه كذلك إلى نبينا عليه السلام مع ملوك الطوائف ، وملوك الفرس والروم ، ثم ذكر مولد رسول الله ﷺ ونسبه وآباءَه وأمّهاتِه ، وأولاده وأزواجه ، ومبعثه ومغازيه ، وسراياه وحال أصحابه رضي الله عنهم ، ثم ذكر الخلفاء الراشدين المهديين بعده ، ثم ذكر ما كان من أخبار بني أمية ، وبني العباس في القَطْعين: المنسوب أحدهما إلى قطع بني أمية ، والثاني إلى قطع بني العباس وما شرحه في كتاب التاريخ ، وإنما خرج ذلك إلى الناس على سبيل الإجازة إلى سنة أربع وتسعين ومئتين ، ووقف على الذي بعد ذلك ، لأنه كان في زمن المقْتَدر ، وقد كان سُئل شرح القَطْعين ، فلما سئل ذلك شَرَحه وسماه القطعين»[1].

ومن هذا النص ، ومن الرجوع إلى كتاب «تاريخ الأمم والملوك» نجد أن خطة الكتاب تتضمن تاريخ العالم من بدء الخليقة إلى سنة ٣٠٢ هـ/ ٩١٥ م ، وتشتمل على مايلي:

* الخطبة: وفيها الحمد والثناء على الله تعالى ، والصلاة على رسول الله ﷺ ، ثم بيان خلق الله للناس ، وخطة الطبري في تصنيف الكتاب ، ومنهجه في ذلك (ص ٢ ـ ٥).

* المقدمة: وتتضمن الحديث عن الزمان في ضوء العقيدة الإسلامية ، والأقوال في قدر جميع الزمان من ابتدائه إلى انتهائه ، وحدوث الأوقات

(١) معجم الأدباء ١٨/ ٦٨ ، ٦٩ ـ ٧٠.

والأزمان ، وأن الله تعالى خلق الزمان والليل والنهار ، وأنه القادر على فنائها ، ولا يبقى غير الله تعالى ، فهو الأول والآخر والمحْدِث لكل شيء بقدْرَتِه ، ثم تحدَّث الطبريّ عن ابتداء الخلق ، وأنَّ أول ما خلق القلم ، ثم بين ما ورد في الخْلق في الأيام الستة من السموات والأرض ، والليل والنهار ، والشمس والقمر ، وخلق إبليس وأخباره (ص ٥ ـ ٦٠).

* القسم الأول: تاريخ العالم قبل الإسلام ، وبدأه بخلق آدم أبي البشر في الجنَّة ، وقصته مع إبليس في الجنة ، وهبوط آدم إلى الأرض ، والروايات الواردة في ذلك ، ثم ذكر الطبري الأحداث التي وقعت في زمن آدم ، وخاصة قصة قتل قابيل لهابيل ، والروايات الواردة في ذلك ، ثم فصّل القول في موت آدم وسنّه حينما مات.

ثم عرض الطبري لسيرة الأنبياء من أولاد آدم ، إلى نوح وإبْراهيم ولُوط وإسماعيل وإسحاق ويعْقوب ، وأَيُّوب وشُعَيب ، ويُوسف وإلياس ، وموسى واليسع ، وداود وسُلَيْمان ، وصالح ويُونُس وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام ، وعرض لأخبار أممهم من خلال تاريخ أنبيائهم.

وأرَّخ بصفة خاصة لبعض الأمم ، وخاصة ملوك الفرس في العهد السَّاساني وعلاقتهم ببلاد العرب ، وكذلك الرُّوم وملوكهم منذ المسيحية إلى الإسلام ، وكذا اليهود وأنبيائهم وقصصهم وتاريخهم وملوكهم ودولهم ، وأخيراً عن العرب ، فتحدَّث عن عاد وقوّتهم وظلْمهم وعِصيانهم لنبيِّهم هُود وإهلاك الله لهم ، وثمود وعُتُوِّهم وكفرهم ومعصيتهم لنبيهم صَالح ، وهلاكهم بسبب ذلك ، ثم ذكر طسم وجَدِيس ، وجُرْهم ، وأصهار إسماعيل ، وأخبار العرب في الجاهلية ، وملوك اليمن وعلاقتهم بالحبش ثم بالفرس ، وأشهر حكماء العرب ، ثم تحدَّث عن أجداد الرسول ﷺ من عدنان إلى عبد المطلب ، وذكر طَرَفاً من أخبار الرسول قبل البعثة ، وحال قريش ومكة ، وذلك تمهيداً لعصر الرسالة (ص ٦٠ ـ إلى آخر الجزء الأول) ، جاء ذكر نسب رسول الله ﷺ وأخبار أجداده وأنسابه وزواجه في الجزء الثاني حتى (ص ٤٣).

وأورد الطبري حوادث هذا القسم على أساس المواضيع ، وليس على طريقة الحَوْليات ، ويمثل هذا القسم من تاريخ الطبري عن العالم والعرب قبل الإسلام

حوالي عُشْر الكتاب كله ، ومع ذلك يعتبر أطول مصنَّف كُتِب عن الفترة التي سبقت الإسلام في كتب التاريخ العام عند المؤرخين العرب .

* القسم الثاني: تاريخ العالم بعد الإسلام ، ابتداء من نزول الوحي على رسول الله ﷺ ، وابتداء الوقت الذي عُمل فيه التاريخ الإسلامي بالهجرة النَّبوية ، ويستمر هذا القسم إلى سنة ٣٠٢ هـ/ ٩١٥ م ، ويشمل هذا القسم أربعة عهود متميّزة:

أ ـ العهد النَّبوي ، والبعثة النبوية ، وسيرة الرسول ﷺ ، وغزواته ، حتى سنة ١١ هـ الموافق ٦٢٠ م.

ب ـ العهد الرَّاشدي ، وتاريخ الخلفاء الراشدين ، والفتوحات التي تمت في عصرهم ، والأحداث التي وقعت حتى سنة ٥٤٠ هـ/ ٦٦٠ م.

جـ ـ العهد الأموي ، وفيه تاريخ الأمويين وخلفائهم وفتوحاتهم ، والأحداث والفتن التي وقعت حتى سقوط الخلافة الأموية سنة ١٣٢ هـ/ ٦٤٩ م.

د ـ العهد العبَّاسي ، وخلفاء بني العبَّاس ، وما جرى في زمانهم ، والحروب الداخلية والفتن والطوائف والفِرَق التي ظهرت في عصرهم حتى سنة ٣٠٢ هـ/ ٩١٥ م ، وفرغ الطبري من تأليف تاريخه وتصنيفه سنة ٣٠٣ هـ.

ويغطي هذا القسم بقية تاريخ الطبري من الجزء الثاني حتى الأخير بحسب الطبعات ، هو الجزء الثامن في الطبعة التي نعتمد عليها في مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٥٨ هـ/ ١٩٣٩ م.

وسار الطبري في القسم الخاص بالتاريخ الإسلامي على ترتيب السنين ، بذكر الأحداث سَنَة فَسَنة ، وهو ما يُدعى بالنِّظام الحَوْلي ، أو الحَوْليّات[1].

(رابعاً): مصادر الطبري في تاريخه:

اعتمد الطبري في كتاب «التاريخ» على مصادر متنوعة ، ولم يأخذ المادة

---

(١) انظر: معجم الأدباء ١٨/ ٧١ ، الطبري للحوفي ص ١٨٤ وما بعدها ، الفهرست ص ٣٢٧ ، تاريخ الأدب العربي ٣/ ٤٦ ، تاريخ الطبري ، المقدمة ١/ ٢٣ طبعة دار المعارف.

التاريخية من مَرْويات شفهية ، أو مصادر مدوَّنة متفرقة ، ولكنَّه اعتمد على كتب مدوَّنة كبيرة ، ومشهورة أُتيح له الاطّلاع عليها ، وروايتها أو الأخذ منها ، وهي كتب جامعة ، وأُلِّفت في القرنيْن السابقيْن ، الثاني والثالث الهجري ، ولم يستمد الطبري شيئاً من كتب معاصريه[١] .

وقد بُذِلَت مساع كثيرة للتعرف على مصادر الطبري من خلال سلاسل الإسناد التي سجَّلها الطبري في كتابه ، وأسماء الرواة الذين صرح بأسمائهم ، لكنه أغفل أسماء كتبهم ، فرجع العلماء إلى مصنفاتهم التي ذكرها ابن النديم في «الفهرست» ورجحوا أقرب الاحتمالات في تحديد اسم الكتاب[٢] .

والطبري استمد تاريخه من المصادر المتعددة التي اطمأن إلى حجِّيَّتها في الغالب ، واعتبرها مؤثوقة إلى حدٍّ ما ، وهي في حقيقتها متنوِّعة بحسب الموضوع ، ويمكننا الإشارة إلى أهمها :

١ ـ في تاريخ الرسل والأنبياء اعتمد الطبري على كتب التفسير ، وكتب السيرة النبوية ، وخاصة كتب وَهْب بن منبه ومنها كتابه «المبتدأ والخبر» وسيرة ابن إسحاق ، ومن هنا تسرّبت الإسرائيليات إلى كتابه .

٢ ـ في تاريخ الفرس استمد الطبري معلوماته من ترجمات عربية لكتب فارسية ، منها كتب ابن المُقَفَّع ، ومنها كتب هشام الكَلْبي الذي كان يعتمد في تاريخ ملوك فارس والحيرة على وثائق ومدوَّنات لديه .

٣ ـ وفي تاريخ الروم رجع الطبري إلى ما كتبه وترجمه نَصَارى الشَّام عن تاريخ الدولة الرومانية والإمبراطورية البيزنطية .

٤ ـ وفي تاريخ اليهود وبني إسرائيل نقل الطبريُّ قصصهم وأخبارهم من كتب

---

(١) انظر: التاريخ العربي والمؤرخون ص ٢٥٤ ـ ٢٥٦ ، الطبري للحوفي ص ١٨٨ ، تاريخ الطبري ، المقدمة ١/ ٢٣ طبعة دار المعارف.

(٢) قام الأستاذ جواد علي بجهود طيِّبة لتحديد «موارد تاريخ الطبري» ونشرها في مجلة المجمع العراقي العدد الأول لعام ١٩٥٠ م والعدد الأول لعام ١٩٥٢ م ، والعدد الأول لعام ١٩٥٤ م ، ومجموعها ١٨٤ صفحة. انظر: تاريخ التراث العربي ١/ ٢/ ١٦٠ ، التاريخ العربي والمؤرخون ص ٢٥ .

اليهود مباشرة التي كانت متوفرة لديهم ، وما تتضمنه من حكايات إسرائيلية عن أنبيائهم وتاريخهم وأحداثهم.

٥ ـ وفي تاريخ العرب قبل الإسلام اعتمد على الكتب التي دُوّنت في هذا الموضوع خلال القرنين الثاني والثالث الهجري ، ومنها كتب عُبَيد بن شَرْية الجُرْهُميّ ، ومحمد بن كَعْب القُرَظي ، ووَهْب بن مُنَبه ، وهشام الكلبي ، وابن إسحاق.

٦ ـ وفي السيرة النبوية استند إلى كتب كُتّاب السيرة الأوائل ، وهم أَبَان بن عثمان بن عفان ، وعُرْوة بن الزُّبير بن العوَّام ، وموسى بن عُقبة ، وعاصم بن عمر بن قَتَادة ، وابن شِهاب الزُّهْري ، ومحمد بن إسحاق ، وشُرَحبيل بن سعد.

٧ ـ وفي العهد الراشدي أخذ أخبار ووقائع حروب الردة والفتوح وموقعة الجمل وموقعة صفين من كتب سَيف بن عمر الأَسْدي، والمدائني، وأبي مِخْنَف.

٨ ـ وفي العهد الأموي أخذ تاريخ بني أمية من مُدَوَّنات عَوَانَة بن الحكم الكلبي ، وأبي مَخنَف ، والمدائني ، والواقِدي ، وعُمَر بن شَبَّة ، وهشام الكلبي.

٩ ـ وإذا انتهى إلى العباس عوّل على كتب أحمد بن أبي خَيْثمة ، وأحمد بن زهير ، والمدائني ، وعمر بن راشد ، والهيثم بن عَدِيّ ، والواقدي.

وكان لهؤلاء المؤلفين كتب كثيرة متداولة ، كان الطبري يذكر اسم الكاتب ، دون أن يحدد اسم الكتاب ، فكان لسيف بن عمر كتاب الفتوح الكبير ، وكتاب الردة ، وكتاب في موقعة الجمل ، ومسير عائشة وعلي ، وكان للمدائني (٢١٥ هـ) كتاب في الردة ، وكتاب أمهات النبي ﷺ ، وكتاب صفة النبي ﷺ ، وكتاب أخبار المنافقين ، وكتاب عهود النبي ﷺ ، وكتاب تسمية المنافقين ، وكتاب رسائل النبي ﷺ ، وكتاب المغازي ، وله كتب في أخبار قريش ، وأخبار مناكح الأشراف ، وأخبار النساء ، وأخبار الخلفاء ، وكتب في الأحداث في خلافة عثمان وعلي رضي الله عنهما ، وكتب الفتوح ، وأخبار العرب ، وأخبار الشعراء وغيرها ، ولعمر بن شبة مؤلفات منها كتاب الكوفة ، وكتاب مكة ، وكتاب البصرة ، وكتاب المدينة ، وكتاب أمراء الكوفة ، وأمراء البصرة ، وأمراء

المدينة ، وأمراء مكة ، وكتاب السلطان ، ومقتل عثمان ، وأخبار المنصورة ، وكتاب التاريخ وغيرها[١] .

(خامساً) : أهمية «تاريخ الطبري» وقيمته العلمية :

وصل كتاب «تاريخ الأمم والملوك» إلى قمة التأليف التاريخي عند العرب والمسلمين في القرون الثلاثة الأولى ، واحتل ذروة التقدير والاهتمام لدى معاصري الطبري ، وفيما بعد ، وخلال التاريخ الإسلامي ، وحتى وقتنا الحاضر ، وسيبقى تاريخ الطبري في القمة والذروة في المستقبل ، وسيبقى المرجع الأول ، والمصدر الأصيل ، والموئل الموثوق لدى كل باحث وكاتب في التاريخ الإسلامي[٢] .

وتظهر أهمية الكتاب وقيمته العلمية في الأمور التالية :

١ ـ أول كتاب في التاريخ العام ، جمع فيه الطبرّي جوانب التاريخ في كتاب واحد ، ونسّقها ، وضمّ بعضها إلى بعض ، وأكمل فيه الجهود التي قام بها العلماء السابقون في التاريخ لجانب منه ، كتاريخ الأقاليم ، أو الطوائف ، أو الرجال ، أو الأحداث العظام التي كُتبت منفردة ، من كبار العلماء في القرن الثاني والثالث الهجريين ، كأمثال ابن سَعْد واليَعْقُوبي والدِّيْنَوَري والوَاقِدي والبَلاذُري وابن إسحاق ، ولما صاغ الطبري كتابه الكامل الشامل أقبل الناس عليه ، وأعرضوا عن الكتب الصغيرة الأخرى ، ثم ضاع أكثرها ، فكان فضل الطبريّ من جديد أنه سجّل لنا ما ضاع ، وحفظ لنا هذا التراث النفيس .

ومما ساعد الطبريّ على ذلك مؤهلاتُه الفطرية كحدة الذكاء ، وقوة الحافظة ، ثم جهده الدؤوب على العلم ، وتفرّغه له ، وسعة اطّلاعه وثقافته ،

---

(١) انظر الفهرست ص ١٣١ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٦٣ ، الطبري للحوفي ص ١٩٠ ، تاريخ التراث العربي ١/ ٢/ ١٢٢ ، ١٢٧ ، ١٣٣ ، ١٣٩ ، ظهر الإسلام ٢/ ٢٠٤ .

(٢) انظر : تاريخ الأدب العربي ٣/ ٤٥ ، الطبري للحوفي ص ٢٢٦ ، ظهر الإسلام ٢/ ٢٠٤ ، التاريخ العربي والمؤرخون ص ٢٥٦ .

وكثرة رحلاته ، وجمعه بين العلوم المختلفة التي كان لها الأثر الكبير في تاريخه كعلم التفسير والحديث واللغة والفقه.

٢ ـ أقدم مصدر كامل للتاريخ العربي وفي اللغة العربية منذ أوائل الزمان إلى أول القرن الرابع الهجري ، العاشر الميلادي ، ولذلك أصبح الأساس لتاريخ العرب ، والمصدر الأصيل لمن جاء بعده ، كالمَسْعودي ، وابن مِسْكَوَيْه ، وابن الأثير ، وابن خَلْدون ، وابن كثير ، وكُتَّاب السِّيرة ، ولا يزال كتاب الطبري قِبلة الأنظار حتى اليوم.

٣ ـ جمع الطبري في تاريخه كثيراً من أخبار العرب في الجاهلية ، وحفظها من الضياع ، كما أرَّخ للقرون الثلاثة الأولى بعد الإسلام ، ودوَّن بعض الروايات التي سمعها شخصياً ، فكان عمله تسجيلاً أميناً للأجيال اللاحقة.

٤ ـ ذكر الطبري في كتابه تاريخ الفرس ، وابدع في ذكر كثير من الحقائق التي لا توجد عند غيره ، فأصبح كتاب الطبري مرجعاً أيضاً في تاريخ الفرس أيام بني سَاسَان ومعرفة صلة العرب بهم ، ولذلك أسرع العلماء إلى ترجمته إلى اللغة الفارسية كما سنرى.

٥ ـ كان الطبري دقيقاً جداً في تاريخ الرومان ، وذكر أسماء الأباطرة إلى نهاية عصر هِرَقل سنة ٦٤١ م/ ٢١ هـ ، وهو تاريخ فتح العرب لمصر ، واعتمد الطبري في ذلك على نصارى الشام والوثائق التي كانوا يحفظونها ، وأدَّوْها إلى الطبري بأمانة ، وسجلها بدقة تدعو إلى العجب ، وليكون مصدراً أيضاً لتاريخ الرومان.

٦ ـ يعتبر كتاب الطبري المنبع الصافي والأصيل للمؤرخين بعده الذين استقَوْا منه الأخبار والمادة التاريخية ، وتفنَّنوا في عرضها ، كابن مِسْكَوَيْه (٤٢١ هـ) وابن الأَثير (٦٣٠ هـ) وأبي الفِداء (٧٣٢ هـ) وابن كثير (٧٧٤ هـ) وابن خَلْدون (٨٠٨ هـ).

٧ ـ إن تاريخ الطبري حافل بالنصوص الأدبية التي ذكرها في تراجم أصحابها ، سواء كانت شعراً أم خطباً أم رسائل أم محاورات ، ولا توجد في كتاب آخر ، ولولا تدوين الطبري لها لفقد من تراثنا ذخائر قيِّمة يُعتمد عليها في الدراسات الأدبية واللغوية.

٨ ـ وتتأكد أهمية كتاب الطبري وقيمته العلمية بإقبال العلماء في العصر الحاضر على جمعه وتحقيقه ونشره ، وحرصهم على وجوده وتوفّره في كل مؤسسة علمية ، وتحت أيدي الباحثين والعلماء والطلاب كما سنرى ، كما يتأكد ذلك بثناء المصنفين والمؤرخين له ، وهو ما سنفرده في فقرة خاصة ، وتظهر أهميته بالإقبال على تلخيصه وترجمته ، كما سنرى.

٩ ـ قال الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم : «وترجع قيمة هذا الكتاب إلى أنه قد استطاع أن يجمع بين دفّتيه جميع المواد المودَعة في كتب الحديث والتفسير واللغة والأدب والسير والمغازي وتاريخ الأحداث والرجال ، ونصوص الشعر والخطب والعهود ، ونسّق بينها تنسيقاً مناسباً ، وعرضها عرضاً رائعاً رائقاً ، ناسباً كل رواية إلى صاحبها ، وكل رأي إلى قائله ، كما أنه أودع هذا الكتاب فصولاً صالحة ونتفاً متنوعة من متون الكتب التي أتت عليها عوادي الأيام ، وأورد من أقوال العلماء ما لا نجده إلا في هذا الكتاب»[(١)].

(سادساً) : ثناء العلماء على تاريخ الطبري :

تعدَّدت أقوال العلماء في هذا الخصوص اعترافاً منهم بفضل الطبري ومكانته التاريخية وسجّلوا ذلك بعبارات مُضِيئة ، وأحرف من نور ، نقتبس بعضها :

١ ـ قال المَسْعُوديّ (٣٤٦ هـ) : «وأما تاريخ أبي جعفر محمد بن جرير الطبريّ الزاهي على المؤلفات ، والزائد على الكتب المصنفات ، فقد جمع أنواعَ الأخبار ، وَحَوَى فنون الآثار ، واشتمل على صنوف العلم ، وهو كتاب تكثر فائدتهُ ، وتَنْفع عائدتهُ ، وكيف لا يكون كذلك ، ومؤلِّفه فقيهُ عصره ، وناسِكُ دَهْره ، إليه انتهت علوم فقهاء الأمصار ، وحَمَلة السُّنن والآثار»[(٢)].

٢ ـ وقال الخطيب البغدادي (٤٦٣ هـ) في ترجمة الطبري : «وله الكتاب المشهور في تاريخ الأمم والملوك»[(٣)].

٣ ـ وقال ابن الأثير (٦٣٠ هـ) في مقدمة كتابه «الكامل» : «لقد جمعتُ في

(١) تاريخ الطبري ، المقدمة ١/ ٢٤ طبعة دار المعارف.
(٢) مروج الذهب ٣/ ١٥.
(٣) تاريخ بغداد ٢/ ١٦٢.

كتابي هذا ما لم يجتمع في كتاب واحد ، فابتدأتُ بالتاريخ الكبير الذي صنَّفه الإمام أبو جعفر الطبريّ ، إذ هو الكتاب المعوَّل عليه عند الكافَّة ، والرجوع إليه عند الاختلاف ، فأخذت ما فيه من جميع تراجمه ، لم أُخِلَّ بترجمة واحدة منها»[١].

٤ ـ وقال ياقوت الحَموي (٦٢٦ هـ) : «وهذا الكتاب من الأفراد في الدّنيا فضلاً ونَباهة ، وهو يجمع كثيراً من علوم الدِّين ، وهو في نحو خمسة آلاف ورقة»[٢] ، وذكر في مكان آخر أنه في نحو ألف ورقة.

٥ ـ وقال ابن خَلِّكان (٦٨١ هـ) عن الطبريّ : «صاحب التفسير الكبير ، والتاريخ الشهير . . . ، وتاريخه أصح التواريخ وأَثْبَتُها»[٣].

٦ ـ وقال ابن كثير (٧٧٤ هـ) : «وصنَّف التاريخ الحافل»[٤].

٧ ـ وقال الحاج خليفة (١٠٦٧ هـ) : «تاريخ الطبري . . . ، وهو من التواريخ المشهورة الجامعة لأخبار العالم»[٥].

٨ ـ وقال فرانز روزنثال : «أما تاريخ الأمم والملوك للطبري ، فأعظمُ أهميةً من كتاب اليَعْقُوبي الذي نَسِيَه النَّاس تقريباً ، ولقد أسبغَ الطبريّ على كتابه تدقيقَ المتكلمين وطولَ نَفَسِهم ما للفقيهِ العالم من دقَّةٍ وحبّ للنظام ، وما للسياسي القانوني العملي من بصيرةٍ في الأمور السياسية ، كل هذه الخصائص أدت إلى إحلاله مكانة مرموقة دائمة ومتزايدة في الأوساط الفكرية السُّنيَّة في الإسلام . . .»[٦].

٩ ـ وقال الأستاذ أحمد أمين (١٣٧٣ هـ/ ١٩٥٤م) : «وقد عُني الناس بتاريخه

---

(١) الكامل في التاريخ ١/ ٢.

(٢) معجم الأدباء ١٨/ ٧٠.

(٣) وفيات الأعيان ٣/ ٣٣٢ ، وانظر أبجد العلوم ٢/ ١/ ١٨٢ فقد نقل صديق بن حسن خان القنوجي (١٣٠٧ هـ) نفس عبارة ابن خلكان ، كما فعل غيره ذلك ، وترددت هذه العبارة في الكتب.

(٤) البداية والنهاية ١١/ ١٤٥.

(٥) كشف الظنون ١/ ٢٢٧.

(٦) علم التاريخ عند المسلمين لروزنثال ص ١٨٦ ـ ١٨٧.

كثيراً ، حتى ليكاد أن يكون عماد كل مؤرخ بعده»[١] .

١٠ ـ وقال الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم عن تاريخ الطبري : «وكتابه يُعَدُّ أوفىٰ عمل تاريخي بين مصنفات العرب ، أقامه على منهج مرسوم ، وساقه في طريق استقرائي شامل ، بلغت به الرواية مَبْلَغَها من الثقة والمتانة والإتقان ، أكمل ما قام به المؤرخون قبله كاليَعْقُوبيّ والبَلاذُريّ والوَاقِديّ وابن سَعْد ، ومهَّد السبيل لمن جاء بعده كالمَسْعُودي وابن مِسْكَوَيْه وابن الأثير وابن خَلْدون»[٢] .

١١ ـ وقال الأستاذ عبد الهادي أبو طالب ، المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة : «وتعددت جوانب المعرفة لدى الطبري ، فكان مؤرخاً عظيماً ، يفهم حركة الأحداث ، ذا قدرة على ربطها وتفسيرها ، لم يحصر تاريخه في زمان خاصٍ أو بلاد واحدة ، فجاء كتابه امتداداً لتاريخ البشرية جغرافياً وزمانياً ، لم يُؤرِّخ للعرب وحدهم ، وإنما أرَّخ للرومِ واليونان والترك وفارس والهند والصين ، وظل كتابه في التاريخ المرجع الأساسي الذي يَعتمد عليه كلُّ باحث في سُنن التاريخ لسعة مادّته وتنوعها ، ولغزارة مضمونه ، وعلوّ نفس مصنفه ، موجز تاريخ الطبري شهرة عالمية ، وسارع المستشرقون إلى ترجمة أجزاء منه إلى اللغة الألمانية واللاتينية ، وترجمه الأتراك إلى التركية ، والفرس إلى الفارسية ، حتى صار مرجعاً عالمياً عظيم القيمة»[٣] .

١٢ ـ وأخيراً قال الأستاذ شاكر مصطفىٰ عن الطبري : «وهو عَلَمٌ معروف في التاريخ الإسلامي (وفي التفسير) بلغ به التدوينُ التاريخي نهاية عهد التكوين والنشأة قمةً من قمم التاريخ الحقيقي»[٤] .

(سابعاً) : ذيول تاريخ الطبري وتكملاته :

ونظراً لأهمية كتاب تاريخ الطبري ومكانته العلمية فقد اتجهت الأنظار إلى

---

(١) ظهر الإسلام ٢/ ٢٠٤ .

(٢) تاريخ الطبري ، المقدمة ١/ ٢ وهذه شهادة من محقق هذا الكتاب الذي خبر جوهره ، وعاش مع كل حرف فيه .

(٣) من كلمته في افتتاح ندوة الإمام الطبري بالقاهرة ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩ م .

(٤) التاريخ العربي والمؤرخون ص ٢٥٣ .

السير على مِنْواله ، وكتابة الذيول عليه ، والتكملات لسنواته ، منها :

١ ـ ذَيْلِ تاريخ الطبري ، للطبري نفسه الذي كان أول من ذيَّل على كتابه ، وله ذَيْل على الذَّيْل ، ولم يصل إلينا شيء من ذلك[١] .

واعتبر بروكلمان كتاب الطبري «ذيل المذيَّل من تاريخ الصحابة والتابعين» الذي أتمه يوم ٢٧ من ربيع الآخر سنة ٣٠٣ هـ/ ١٠ من نوفمبر (تشرين الأول) ٩١٥ م ، ذيلاً لتاريخه[٢] .

٢ ـ أكمل عُرَيْب بن سعد تاريخ الطبري إلى سنة ٣٢٠ هـ ، بعنوان «صلة تاريخ الطبري» ويوجد منه نسخة خطية ، وحققه دي خويه في ليدن سنة ١٨٩٧ م ، وأكمله ثابت بن سنان الصَّابي (٣٦٣ هـ) حتى سنة ٣٦٠ هـ[٣] .

٣ ـ وأكمله هلال بن المُحْسِن الصَّابي إلى سنة ٤٤٨ هـ .

٤ ـ وأكمله ابن هلال المذكور محمد غرس النِّعْمة إلى سنة ٤٧٩ هـ بعنوان «عيون التواريخ» .

٥ ـ وأكمله محمد بن عبد الملك الهَمَذَاني (ت ٥٢١ هـ/ ١١٢٧ م) إلى سنة ٤٨٧ هـ/ ١٠٩٤ م ، ويوجد نسخة مخطوطة منه في مكتبة باريس ـ أول برقم ١٤٦٩ ، وطبع الموجود من الكتاب مستقلاً[٤] ، كما طبع ضمن ذيول تاريخ الطبري[٥] .

٦ ـ وأكمله نجم الدين بن الملك الكامل الأيوبي (ت ٦٤٧ هـ/ ١٢٤٩ م) .

---

(١) قال السخاوي عن الطبري : «وله على تاريخه المذكور ذيل ، بل ذيَّل على الذيل أيضاً» انظر : الإعلان بالتوبيخ لمن ذمَّ أهل التوريخ ، ضمن كتاب علم التاريخ عند المسلمين لفرانز روزنثال ص ٦٧٠ .

(٢) تاريخ الأدب العربي ، بروكلمان ٣/ ٤٧ ، التاريخ العربي والمؤرخون ص ٢٦٢ ، كشف الظنون ١/ ٢٢٨ .

(٣) تاريخ الأدب العربي ٣/ ٤٧ ، تاريخ التراث العربي ١/ ٢/ ١٦٤ ، الطبري للحوفي ص ٢٣٢ .

(٤) تكملة تاريخ الطبري ، تحقيق يوسف كنعان ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، انظر : تاريخ التراث العربي ١/ ٢/ ١٦٥ .

(٥) ذيول تاريخ الطبري ، طبعة دار المعارف ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .

٧ ـ وأكمله عبد الله بن أحمد الفَرْغاني (ت ٣٦٢ هـ/ ٩٧٣ م) بعنوان «الصلة» ، ثم كتب الفرغاني نفسه «ذيل الصِّلة» وكلاهما في حكم المفقود.

قال ابن النديم (٤٣٨ هـ): «وقد ألحق به جماعة من حيث قطع إلى زماننا هذا ، لا يُعوَّل على إلحاقهم ، لأنهم ليس ممّن يختص بالدولة ولا بالعلم»[١].

(ثامناً): مختصرات تاريخ الطبري وترجماته:

ولمزيد الأهمية بتاريخ الطبري والعناية به ، والحرص على الانتفاع به على أوسع صعيد ممكن ، فقد قام عدد من العلماء باختصاره لتقريبه إلى القراء ، ومختلف المستويات ، وترجمته إلى لغات أخرى ، فمن ذلك:

١ ـ ذكر ابن النديم أن تاريخ الطبري قد اختصره وحذف أسانيده جماعة ، منهم محمد بن سليمان الهاشمي ، وأبو الحسن الشِّمْشاطي المعلم من أهل الموصل ، وثالث يعرف بالسَّليل ابن أحمد[٢].

٢ ـ مختصر لتاريخ الطبري ، مع ترجمة قسم منه إلى اللغة الفارسية ، أعده أبو علي محمد البَلْعَمي (٣٦٣ هـ/ ٩٧٣ م) وهو من وزراء الدولة السامانية ، ترجمه بأمر منصور بن نوح الساماني[٣].

وترجم هذا المختصر من الفارسية إلى الفرنسية في أربعة أجزاء طبعت في باريس.

وقام خضر بن خضر الآمدي (٩٣٥ ـ ٩٣٧ هـ/ ١٥٢٨ ـ ١٥٣٠ م) بترجمة هذا المختصر أيضاً من الفارسية إلى العربية ، ويوجد منه نسخة في ليدن برقم ٨٢٥ ، وتوجد ترجمة عربية أخرى للمختصر ، وتوجد منه نسخة في ليدن برقم ٨٢٦.

وتُرجم هذا المختصر أيضاً إلى اللغة التركية في ثلاثة أجزاء ، طبعت باستنبول سنة ١٢٦٠ هـ ، ثم طبع ثانية ١٢٨٨ هـ ، ١٣٢٧ هـ ، ثم طبع في بولاق مصر

---

(١) الفهرست ص ٣٢٧.
(٢) الفهرست ص ٣٢٧ ، والشمشاطي هو أبو الحسن علي بن محمد العدوي (٣٨٠ هـ) انظر: التاريخ العربي والمؤرخون ص ٢٦٢.
(٣) تاريخ الأدب العربي ٣/ ٤٨ ، تاريخ التراث العربي ١/ ٢/ ١٦٥.

١٢٧٥ هـ ، ويوجد ترجمات أخرى إلى اللغة التركية أيضاً[١].

وترجم هذا المختصر المذكور إلى اللغة الجَغْطائية ٩٢٧ هـ/ ١٥٢١ م ، بقلم واحدي بَلْخي ، بأمر عبد اللطيف بن كوجكنجي الشَّيْباني الذي حكم في سنة (٩١٦ ـ ٩٣٧ هـ/ ١٥١٠ ـ ١٥٣٠ م) وتوجد منه نسخة في مكتبة بطرسبرج العامة[٢].

٣ ـ مختصر تاريخ الطبري مع إيراد زيادات إلى سنة ٣٢٠ هـ لعُرَيْب بن سعد القرطبي (٣٦٦ هـ) مع إصلاحات وزيادات في تاريخ إفريقية والأندلس ، ويوجد منه نسخ خطية في وتا برقم ١٥٥٤ ، ونقل ابن عذاري منه ما يختص بتاريخ إفريقية والأندلس ، وأودعه في كتابه «البيان المُغْرب» وطبعت أخبار العراق ملحقة بالتاريخ باسم «صلة تاريخ الطبري» من سنة ٢٩١ هـ إلى سنة ٣٢٠ هـ[٣].

٤ ـ مختصر تاريخ الطبري لمؤلف مجهول ذكره فؤاد سزكين ، ويوجد منه نسخ خطية في الأحمدية بتونس وباريس[٤].

(تاسعاً) : تحقيق تاريخ الطبري وطبعه ونشره :

ولاستمرار أهمية تاريخ الطبري ، والحاجة إليه في الحاضر والمستقبل ، فقد اتجه العلماء إلى تحقيقه وطبعه ونشره ، وطُبع عدة طبعات في عدد من الدول والبلاد ، فمن ذلك :

١ ـ طبعة ليدن بين سنتي ١٨٧٩ و١٨٩٨ م ، أشرف عليها بعض المستشرقين ، وهي طبعة ناقصة لعدم الحصول على نسخة كاملة في ذلك الوقت ، وأُلحق بهذه الطبعة كتاب «المنتخب من ذيل المذيل في تاريخ الصحابة والتابعين للطبري» وقسماً من «مختصر تاريخ الطبري» ، وفي هذه الطبعة مجلد للفهارس العامة.

(١) تاريخ التراث العربي ١/ ٢/ ١٦٥.

(٢) تاريخ الأدب العربي ٣/ ٤٨ ، تاريخ التراث العربي ١/ ٢/ ١٦٥ ، التاريخ العربي والمؤرخون ص ٢٦٢.

(٣) المراجع السابقة ، كشف الظنون ١/ ٢٢٧.

(٤) تاريخ التراث العربي ١/ ٢/ ١٦٥.

٢ ـ الطبعة الثانية في ليدن ما بين سنتي ١٨٩٧ و١٩٠١ م ، وأشرف على التحقيق عدد من المستشرقين بإشراف دي غويه ، ورجعوا إلى عدة مخطوطات من اثنتي عشرة مكتبة في أوربا والعالم الإسلامي.

وقال الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم عن هذه الطبعة بأنها من أمثل المطبوعات العربية وأدقها(١) ، وتقع في خمس عشرة مجلدة، منها اثنتان للفهارس.

٣ ـ قامت المطبعة الحسينية بالقاهرة بطبع تاريخ الطبري عن النسخة الأوربية ، وبإشراف يُوسُف بك حنفي ، ومحمد أفندي عبد اللطيف الخطيب سنة ١٣٢٦هـ ، وجاءت في ثلاثة عشر جزءاً مع ذيله «صلة تاريخ الطبري» لعُريب بن سعد ، و«المنتخب من ذيل المذيل».

٤ ـ قامت المكتبة التجارية الكبرى بمصر بنشر تاريخ الطبري ، وطبعه في مطبعة الاستقامة بالقاهرة سنة ١٣٥٨ هـ/ ١٩٣٩ م ، في ثمانية مجلدات ، ومعها «صلة تاريخ الطبري» و«المنتخب من ذَيْل المذيل» ، ثم طبع في نفس المطبعة سنة ١٣٧٥ هـ/ ١٩٥٥ م ، وصوِّرت هذ الطبعة مجدَّداً في مطبعة الأمير ، قم ، إيران سنة ١٤٠٤ هـ ، وحذف في طبعة المطبعة الحسينية ومطبعة الاستقامة التعليقات والفهارس.

٥ ـ قامت دار المثنى ببغداد بتصوير تاريخ الطبري بالاعتماد على طبعة دي غويه في أربعة عشر جزءاً.

٦ ـ وجاءت مكتبة خياط في بيروت وصورت تاريخ الطبري سنة ١٩٦٥ م.

٨ ـ وأهم طبعة لتاريخ الطبري صدرت عن دار المعارف بمصر ما بين سنتي ١٩٦٠ و١٩٦٧ م في أحد عشر مجلداً بتحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم ، وخصَّص ثلاثةِ أرباع الجزء العاشر للفهارس ، والجزء الحادي عشر لذيول الكتاب ، وهي «صلة تاريخ الطبري» لعُريب بن سعد ، و«تكملة تاريخ الطبري» لمحمد بن عبد الملك الهمذاني ، و«المنتخب من ذيل المذيَّل للطبري» لعُريب بن سعد.

---

(١) تاريخ الطبري ، المقدمة ١/ ٢٩ طبعة دار المعارف.

ورجع المحقق إلى الطبعات السابقة والأصول الخطية التي لم يقف عليها المستشرقون ، كما رجع إلى المصادر ذات الصلة بالكتاب مثل تفسير الطبري وسيرة ابن هشام وكتب التاريخ واللغة والأدب ودواوين الشعر ، وسجّل ذلك كله في مقدمته[١] .

ويعتقد الأستاذ شاكر مصطفى أن جميع هذه العناية لم تمنع ضياع بعض تاريخ الطبري ، ولكن ذلك لا يشكّل نقصاً هاماً في جملة الكتاب أو يُقلّل من قيمة النُّسَخ المطبوعة والمتداولة[٢] .

وهكذا تحقق لهذا الكتاب العظيم القيّم البقاءُ والحفظ ، واستفادت منه الأجيال على مر التاريخ ، وانتشر في أيدي الناس في العالم أجمع ، وطبع عدة طبعات ، وتوفرت نسخه في كل البلاد ، وبقي ذكرى غالية وثمينة للإمام الطبري ليتجدّد له الثواب والأجر بسبب الانتفاع بعلمه .

قلنا : فلذا اعتمدنا في تحقيقنا وتخريجنا لهذا السِّفر العظيم على هذه الطبعة الأخيرة .

كما قمنا بتقسيم الكتاب إلى مراحله الخمسة :

١ -قبل البعثة النبوية .

٢ -عصر النبوة .

٣ -الخلفاء الراشدون .

٤ -عصر بني أمية .

٥ -عصر بني العباس .

وكل مرحلة قسمناها إلى صحيح وضعيف .

اللهم اجعل أعمالنا كلها صالحة ولو جهك خالصة ولا تجعل فيها شركاً لأحد .

* * *

(١) تاريخ الطبري ، المقدمة ١/ ٣٠ طبعة دار المعارف ، وانظر مقدمات بقية الأجزاء ، تاريخ الأدب العربي ٣/ ٤٧ ، تاريخ التراث العربي ١/ ٢/ ١٦٣ .

(٢) التاريخ العربي والمؤرخون ١/ ٢٦٣ .

المبحث الثالث
مَنْهَجُ الطَّبَرِيِّ في تَارِيخِهِ

(أولاً): المنهجية عند الطبري:

بدأت تدوين العلوم عامة، وكتابة التاريخ خاصة في منتصف القرن الثاني الهجري كما سبق، وكانت بشكل ابتدائي وكيفي، ثم اتجهت العلوم إلى التدقيق والتنظيم والترتيب في القرن الثالث الهجري.

وكان الطبري رحمه الله يتَّسم بالمَوْسُوعية والشمولية من جهة، والتدقيق والتنظيم والمنهجية من جهة ثانية، وكان منهجه واضحاً ومنظَّماً في مختلف العلوم والفنون التي شارك فيها، وكان يصرِّح بخطته ومنهجه في مقدمات كتبه ومصنفاته.

وبلغ التحقيق والترتيب والمنهجية في كتابة التاريخ قمَّتَه عند الطبري، فكان أكثر من غيره تنظيماً، وأَميَل إلى تنسيق الحوادث وترتيبها[1]، ولذلك يُعتبر الطبري شيخ مدرسة التاريخ المنقول التي امتدت خلال القرون الثلاثة السابقة، وكان الطبري يقصد تحرِّي الدقة في نقل الخبر، دون أن يتحوّل التاريخ على يديه إلى مجال التحليل والنظر العقلي والاستنتاج.

وصرح الطبري بمنهجه في مقدمة تاريخه، والتزم بهذا المنهج، فقال:

«وليعلم الناظرُ في كتابنا هذا أنَّ المتمادي في كل ما أحضرتُ ذكرَه فيه، مما أنّي راسِمُه فيه، إنما هو على ما رَوَيْتُ من الأخبار التي أنا ذاكرُها فيه، والآثارِ

---

(١) وهذا ما دفع بعض الباحثين إلى تشبيه عمل الطبري في التاريخ الإسلامي بما قام به البخاري ومسلم في الحديث. انظر: التاريخ العربي والمؤرخون ص ٢٥٧.

التي أنا مُسْنِدُها إلى رُواتِها فيه ، دون ما أُدْرِكَ بحججِ العقول ، واستُنْبِط بفكر النفوس إلا اليسير القليل منه ، إذ كان العلم بما كان من أخبار الماضين ، وما هو كائن من أنباء الحادثين غير واصل إلى من لم يشاهدهم ، ولم يُدْرك زمانهم ، إلا بإخبار المخْبرين ، ونقل الناقلين ، دون الاستخراج بالعقول ، والاستنباط بفكر النفوس ، فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه ، أو يستشنعه سامعه من أجل أنه لم يَعرف له وجهاً في الصحة ، ولا معنى في الحقيقة ، فليعلم أنه لم يُؤْتَ في ذلك من قِبَلنا ، وإنما أوتي من قِبَل بعض ناقليه إلينا ، وإنَّما أدَّيْنَا ذلك على نحو ما أُدِّي إلينا»(١).

وبالتأمل في هذه المنهج المحدد ، وبالرجوع إلى نصوص «تاريخ الأمم والملوك» استخرج علماء التاريخ منهج الطبري في التاريخ ، وأبدوا عليه المآخذ والملاحظات.

وسبق البيان أن تاريخ الطبري ينقسم إلى قسمين رئيسين ، تاريخ قبل الإسلام ، وتاريخ بعد الإسلام ، ولكل قسم منهجه وطبيعته ، كما سنبيِّنه إن شاء الله تعالى.

(ثانياً): سمات منهج الطبري في «التاريخ» قبل الإسلام:

ويتضمن هذا القسم مقدمة عن الكون والزمان وخلق إبليس وآدم وتاريخ البشرية منذ هبوط آدم إلى الأرض ، وتاريخ الأنبياء والفرس والروم والعرب قبل البعثة النبوية.

وجعل الطبري في هذا القسم تاريخ الأنبياء هو المنطلق لتاريخ الإنسانية ، فيذكر النبيَّ ومن يعاصره من الأمم والملوك ، والمقارنة بين الدول.

ولم يرتِّب الطبري الحوادث على حسب وقوعها سنة فسنة ، لأن ذلك غير ممكن له ، وإنما قلَّد طريقة علماء التوراة بالبدء بالخليقة ، ثم بذكر تاريخ الأنبياء على حسب ما ورد في التوراة ، وفي أثناء ذلك يتعرَّض للحوادث التي وقعت في أيام كل نبيّ ، ويذكر الملوك والحكّام الذين كانوا يعارضونهم ، وما جرى بينهم

---

(١) تاريخ الطبري ١/ ٥.

من حوادث وحروب ، ثم عرض للأمم التي جاءت بعد الأنبياء حتى ظهور الإسلام .

ويُعرف هذا الترتيب من أهل الكتاب ، ويطلق على تدوين التاريخ بهذه الطريقة «التَّأْريخ» تمييزاً له عن «الحَوْليات» أو النظام الحَوْلي أو النظام السَّنَوي .

ويتسم هذا القسم من تاريخ الطبري بالقصص الخيالي ، ويكثر فيه الأساطير والخرافات التي تتحدث عن العهود التاريخية القديمة للإنسان ، كما تظهر الحكايات والأخبار الإسرائيلية التي ترجع إلى العهد القديم وكتب اليهود ، ويذكر الطبري أيضاً بعض الأساطير الشعبية الوثنية عن الأمم الأخرى .

واقتصر الطبري في هذا القسم على أصول الحوادث ، وأعرض عن التفصيلات إما لخشية الإطالة ، وإما لعدم الثقة بها نظراً لطول العهد ، ودخول التحريف ، وعدم اتصال الأسانيد ، وإما لعدم أهميتها في نظره ، وأنها كانت من نسج الخيال والتسليات ، خلافاً لما سنراه في التاريخ الإسلامي[١] .

(ثالثاً) : معالم منهج الطبري في التاريخ الإسلامي :

عرض الطبري تاريخ ما بعد الإسلام من خلال منهج محدد ، واتَّبع طريقة واضحة في معظم الأحوال[٢] ، والتزم بهذا المنهج والطريقة التي نذكر معالمها فيما يلي :

١ ـ **نظام الحَوْليات** : سلك الطبري في تاريخ القسم الخاص بالتاريخ الإسلامي نظام الحَوْليات ، فراعى ترتيب الحوادث ترتيباً زمنياً ، عاماً بعد عام ، وحَوْلاً بعد حول ، ابتداءً من الهجرة النَّبويَّة حتى سنة ٣٠٢ هـ/ ٩١٥ م ، وذكر في كل سنة ما وقع فيها من أحداث مهمة ، فإن كانت الحادثة طويلة جزّأها ، وأشار إليها مجملة ثم يذكرها مفصَّلة في الوضع الملائم ، ولذلك يختلف حجم الحوليات عنده بحسب كثرة الأحداث وأهميتها في كل حول .

---

(١) الطبري للحوفي ص ١٩٥ .

(٢) انظر : الطبري للحوفي ص ١٩١ وما بعدها ، تاريخ التراث العربي ١/ ٢/ ١٦٠ ، ظهر الإسلام ٢/ ٢٠٤ ، التاريخ العربي والمؤرخون ص ٢٥٧ وما بعدها ، تاريخ الطبري ، المقدمة ١/ ٢٤ طبعة دار المعارف .

وطريقة الحوليات انفرد بها المؤرخون المسلمون عن اليونان والرومان وأوربا في العصور الوسطى ، ولم يبتكر المؤرخون المسلمون عن اليونان والرومان وأوربا في العصور الوسطى ، ولم يبتكر الطبري هذه الطريقة ، بل سبقه إليها بعض المؤرخين المسلمين مثل الهَيْثَم بن عَدي (٢٠٧ هـ) وجَعْفر بن محمد بن الأزهر (٢٧٦ هـ) وعمار بن وسيمة المصري (٢٨٩ هـ) والوَاقدي (٢٠٧ هـ) لكن تاريخ الطبري أقدم كتاب وصل إلينا على ترتيب السنين ، ثم سار على هذه الطريقة بعد الطبري كثيرون ، مثل ابن مِسْكَويه (٤٢١ هـ) ، وابن الجَوْزي (٥٩٧ هـ) وابن الأثير (٦٣٠ هـ) وأبو الفداء (٧٣٢ هـ) ، وخالفهم في ذلك اليَعْقُوبي (٢٨٤ هـ) والدِّيْنَوَري والمَسْعُودي (٣٤٦ هـ) وابن خَلدون (٨٠٨ هـ) الذين كتبوا تاريخ الحوادث بشكل كامل ومتصل ولو استغرق سنوات ، إلى أن أدخل مؤرِّخ الإسلام الذهبي (٧٤٨ هـ) في كتابه «تاريخ الإسلام» تعديلاً عليه بالتقسيم الفرعي للحوادث متبعاً نظام العُقُود ، أي من السنة الأولى إلى السنة العاشرة ، وهكذا ، وطبق هذا التقسيم إلى عقود على كل أجزاء كتابه (وهو ٢١ جزءاً من بداية التاريخ الإسلامي حتى بداية القرن الثامن الهجري) ، واستمد الذهبي أصول هذا التقسيم من تاريخ السيرة النبوية مع الربط بآداب الطبقات والتراجم.

وطريقة الطبري في سرد أحداث كل حَوْلية ليست على نسق واحد ، فتارة يذكر الحدث التاريخي ، ثم يبدأ بذكر تفاصيله ، والروايات التي فيه ، وتارة يذكر جملة أحداث وقعت في سنة واحدة ، ثم يعود إلى تفصيلها ، ويختم الحولية غالباً بذكر من توفي فيها من الأعلام المشهورين ، ويذكر باستمرار في ختام كل حوليَّة أسماء عمال الأقاليم وأمراء الحج في تلك السنة ، كما يذكر أخبار المرابطين في الثغور للجهاد ، خاصة مع الروم.

أما الأخبار التي لا ترتبط بسنة معينة فكان الطبري يذكرها كاملة ، فمثلاً كان يختم الحديث عن كل خليفة واستعراض الأحداث التي وقعت في عهده بذكر سيرته وترجمته.

٢ ـ **نقل الروايات**: عوَّل الطبري في أكثر كتابه على الرُّواة ، كما صرّح في مقدمته السابقة ، محتجاً أنَّ المؤرخ لا يصحُّ له أن يستند إلى المنطق والقياس

والاستنباط وإنما يعتمد على ما ينقل إليه ، ليدوِّن الأخبار على عهدة رواتها ، ويعرضها بشكل موضوعي محايد ، مع عَزْوِ كلِّ رواية لصاحبها.

وكان الطبريّ ـ رحمه الله تعالى ـ يذكر الروايات المختلفة ، سواء كانت موافقة لفكره ورأيه ، أم مخالفة لذلك ، ولم يعلِّق غالباً بترجيح ، أو نقد ، وترك ذلك للقارىء ، لكن كان أحياناً يُدلي برأيه ، ويرجِّح بعض الروايات مبيِّناً وجه الترجيح ، ومستخدماً في هذه الطريقة معرفته بالحديث وطرقه.

ويذكر الطبري سند الرواية موصولاً إلى صاحبه على طريقة علم الحديث ، فإذا سمع الرواية من إنسان مشافهة قال: «حدَّثني» وإذا اشترك معه آخرون في السماع قال: «حدَّثنا» ، وإذا كان بالمراسلة قال: «كتب إلي» ، وإذا أخذ الأخبار عن الكتب أو بطريق الإجازة قدّم لعبارته بقول: «قال» و«ذُكر» و«رُوي» و«حُدّثت عن فلان» ويهمل اسم المحدث ، كما يذكر اسم مؤلف الكتاب ، ولا يذكر اسم الكتاب ، واستخدم الطبري اصطلاحات الحديث ، التزاماً منه بمنهج المحدِّثين ، في رواية الحديث النبوي ، لذلك كان رجال الحديث هم واضعو أسس المنهج التاريخي.

ولكنّ الطبري ، وغيره من المؤرخين ، لم يلتزموا بجميع قواعد مصطلح الحديث في كتابة التاريخ للفارق الكبير بينهما ، فالحديث مصدر من مصادر التشريع الإسلامي ، وتؤخذ منه الأحكام الشرعية ، ويمثل التطبيق العملي لأحكام الدين ، وهو مصدر العقيدة ، وهو المنبع لسيرة الرسول ﷺ التي يُعتمد عليها في الاقتداء والتأسِّي ، ولا يرقى التاريخ إلى هذا المستوى ، لذلك تساهل الطبريُّ رحمه الله في الروايات التاريخية ، ولم يطبِّق على رجال السند منهج الجَرْح والتعديل ، واكتفى بإلقاء العُهدة في الخبر على الرَّاوي ، كما ذكر في مقدمته ، واعتمد قيمة الروايات بقوة أسانيدها من جهة ، وقرب السند إلى الحادثة من جهة أخرى ، ومن هنا يظهر السبب في قبول الطبري لرواية الضعفاء ـ عند المحدثين ، مثل محمد بن السائب الكلبي ، وابنه هشام بن محمد الكلبي ، وإسماعيل بن عبد الرحمن السُّديَ الكبير ـ كما يقبل رواية المجهولين ، والروايات المرسلة إلى ابن عباس وغيره.

وتساهل الطبري أكثر فأكثر في الأجزاء الأخيرة من الكتاب ، فيقول مثلاً:

«ذكر لي بعض أصحابي» و«ذكر لي جماعة من أصحابنا» و«ذكر من رآه وشاهده» و«حدثني جماعة من أهل كذا» ولعل الباعث على زيادة التساهل خوفه على محدِّثيه الأحياء من غضب الآخرين الذين تمسُّهم الرواية ، ويقل السندُ أكثرَ فأكثرَ في الأجزاء الأخيرة حتى لينذر أحياناً في صفحات متتالية .

وإن استخدام الإسناد والروايات قد شاع في مختلف التصانيف والعلوم ، وصار هو الصفة الغالبة على منهج تدوين العلوم الإسلامية الأخرى ، واستمر حتى نهاية القرن الخامس الهجري تقريباً ، ثم قلَّ الاعتناء به ، وحلَّ محلَّه تدريجياً النقل من الكتب والمؤلَّفات ، وبقي شيء منه عند علماء الحديث للتبرّك والمحافظة على قدسية الحديث وخاصيَّة الأمة الإسلامية بالإسناد ومصطلح الحديث .

وكان السبب في استعمال طريقة الإسناد والروايات في التاريخ أن المؤرِّخين الأوائل جمعوا بين صفتي المحدث والمؤرخ ، وأن الدراسات التاريخية ظهرت في أحضان علم الحديث ، وما فيـه من سيرة رسـول الله ﷺ وشمائله ومغازيـه وهديه ، كما لجأ المؤرخون إلى طريقة الرواية لاختيار الروايات والسلاسل التي تتفق مع ميولهم ورغباتهم وعقائدهم .

وطريقة الإسناد تقابل في زماننا الالتزام بمنهج البحث العلمي في ذكر المصادر والمراجع للمادة المعروضة في مختلف العلوم ، وفي بيان الأجزاء المركّب منها الدواء والجهاز وغير ذلك .

٣ ـ الاعتماد على المصادر : كان جلُّ اعتماد الطبري في الأخبار التاريخية على المصادر التاريخية التي صُنّفت قبله ، وكان الطبري يذكر غالباً الإسناد إلى المصادر عن طريق الرواة الذين يذكر أسماءهم ، دون كتبهم ، ومعظم هؤلاء الرواة صنّفوا المؤلفات في الموضوعات التي تطرّق إليها الطبري ، ويأخذ من المؤلف نفسه مباشرة ، أو بالواسطة عمن نقل عنهم .

وكان الطبري ـ رحمه الله تعالى ـ في اقتباس الروايات التاريخية يخالف منهج المحدثين الذين يَحْرصون على نقل كل حديث بمفرده ، ثم ضمّه إلى حديث آخر ولو اختلف الموضوع ، أما في التاريخ فكان الطبري وعلماء التاريخ يجمعون بين

الرِّوايات العديدة ، ويَمْزجون بعضها مع بعض لإخراج الحادثة متكاملة ووافية في المعنى والموضوع وأطراف الحادثة ، وهذا ما يُسمَّى تاريخياً بالإسناد الجَمْعي ، لحاجة كتب التاريخ والقصص والأخبار إلى السَّرْد الموضوعي ، واستمرار الحوادث في نَسَق تاريخي متتابع ، فتتكامل الصورة التاريخية في الموضوع ، لكنهم يضطرون إلى ذكر السند لكل رواية لإتاحة الفرصة للتحقق من صحتها ، والتأكد من سندها.

٤ ـ جمع الأخبار وضبط النصوص: حرص الطبري ـ رحمه الله ـ على ذكر أحداث كل سنة بشكل أخبار ، ولكنه يذكر غالباً للحادثة الواحدة روايات مختلفة لاعتقاده بوجوب ذكرها ، ويقف غالباً عند هذا الحدّ ، فلا ينتقد الروايات المختلفة التي ذكرها ، ولا يناقش مضمونها ، ولا يرجِّح بعضها على بعض ، لذلك أطلق عليه بعض المؤرخين اسم «الجمَّاعة» وأطلقوا على كتابه اسم «مجموع» خلافاً لمنهج الطبريّ في التفسير ، فإنّه يناقش الروايات ، ويبيّن الراجح ، ويبدي رأيه باستمرار.

وكان الطبري يحرص أيضاً في التاريخ على ضبط النصوص التي يرويها دون تبديل ، حتى ولو كان في النص كلمات أعْجمية ، ونصوص أعجمية ، واشعار فارسية.

٥ ـ الاستطراد في ذكر الأسباب والتفصيلات المصاحبة: فيذكر الطبري السبب في كل حادث يسجّله ، وهذا أمر طيّب لإلقاء الضوء عليه ، كما كان يستطرد في عرض التفصيلات المتعلقة بالأحداث ، ويعرض الحواشي المصاحبة لها ، لأنها تتعلق بها ، ثم يعود إلى الموضوع الرئيس الذي بدأ به ، ويذكِّر القارىء فيه بقوله: «نعود إلى سياق خبر كذا وكذا ، أو سياق خبر فلان أي راوي الخبر ، أو نرجع إلى حديث فلان».

٦ ـ وضع العناوين للأحداث: ويمتاز الطبري في منهجه التاريخي بوضع عناوين للأحداث التي يَعْرِضها ، وخاصة للأحداث المهمة التي تحتل المكانة الأولى في السنة التي يُؤرِّخ لها ، ويقدم عناوينه بمقدمة عن الحادث المعيَّن للتأكيد على كلمة «سبب» ، أما الأحداث الصَّغيرة فإنه يذكرها متعاقبة دون عناوين.

٧ ـ **التوسّع في سيرة الخلفاء**: يظهر من تاريخ الطبري أنه يعطي الخلفاء أَوْلويّة خاصة ، وأهمية متميّزة ، وكأنَّ التاريخ محيط بهم ، ويدور في فلكهم ، وأن حياتهم ذات أثر كبير في غيرهم ، للمثل القائل «الناس على دين ملوكهم» ، وانعكاس أعمالهم على فعاليات الأمة ، فكان الطبري إذا ذكر خليفة بيَّن سبب وفاته ، وساق الروايات في ذلك ، وعرض جانباً من أحواله وأقواله وتصرَّفاته وسيرته العامة والخاصة ، ويطيل أحياناً في الخلفاء المهمّين كما فعل في سيرة الخلفاء الراشدين ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وعبد الملك بن مروان ، وعمر بن عبد العزيز ، والمنْصور ، والمهدي ، والرَّشيد.

٨ ـ **الإكثار من الوثائق التاريخية**: أكثر الطبري من إيراد الوثائق التاريخية لمادته العلمية ، لذلك اعتبر تاريخه أوثق مصادر التاريخ الإسلامي ، كما وصفه ابن خلكان سابقاً بأنَّه «أصح التواريخ وأثبتُها» وكذلك يُعتبر تاريخ الطبري أوثق ما دُوِّن في السيرة النبوية ، وهذا ينمّ عن دقة الطبري وتحقيقه وسعة اطلاعه ، وهو ينسجم مع منهج الطبري العلمي والدقيق في مختلف كتبه ومصنفاته.

وعلى سبيل المثال تضمَّن تاريخ الطبري حوالي ثلاثين وثيقة تتعلق بالسيرة النَّبوية ، أكثرها في العهد المدني ، وتضمَّن حوالي خمسين وثيقة تتعلق بعصر الخلفاء الراشدين ، وذكر الطبري بعض الوثائق للعهد الأموي ، تُعتبر فريدة وهامّة ، كما التزم هذه الدقة في تاريخ الروم والفرس والعرب ، بالإضافة إلى الوثائق الأدبية.

٩ ـ **تسجيل النُّصُوص الأدبية**: وهنا يُكثر الطبري من ذكر النصوص الأدبية المرتبطة بالأحداث ، كالشعر والخطابة والرسائل والمحاورات ذات الصلة بالمناسبات التاريخية[1].

والطبري في هذه الناحية يتبع منهج المؤرخين في عصره ، ورواة الأخبار قبله ، الذين يحرِصُون على تدوين الشعر الذي يتصل بالموضوع ، كما كان

---

(١) يقول أحمد أمين: «وكتابه هذا ، مع أنه تاريخي في أصله ، فالقارئ له يقف على ثروة كبيرة في الأدب ، لأنه في حكايته للروايات المختلفة يقصُّها في لغة رصينة بليغة ، غاية في القوة» (ظهر الإسلام ٢/ ٢٠٤).

الأدباء يستعينون بالأخبار التاريخية لبيان مناسبات القصائد ، والأحداث التي سبقتها ، والأخبار التي عرضتها ، وأسماء الأشخاص المذكورين فيها ، ولذلك امتزج التاريخ بالأدب ، وصار المؤرِّخ غالباً راوية للأدب ، وصار الأديب مؤرِّخاً .

من الأمثلة الأدبية التي ذكرها الطبري خُطبة زياد بن أبيه بالبصرة سنة ٤٥ هـ ، (٦/ ١٢٤) وخطبة الحجاج بالكوفة سنة ٧٥ هـ (٧/ ٢١٠) وخطبة عبد الملك بن مروان بدمشق (٧/ ١٧٥) وخطبة خالد القَسْري بمكة (٨/ ٨٠) وخطبة الحسين بن علي في أصحابه (٦/ ٢٢٩) والحوار بين عبد الله بن الزبير وأمّه أسْماء حينما حاصره الحجاج بمكة (٧/ ٢٠٢) والحوار بين الخوارج والمهلب بن أبي صُفْرة (٧/ ١٩١) ورسالة المختار الثقفي إلى محمد ابن الحَنَفِيَّة (٧/ ١٢٧) والقصائد الكثيرة التي تظهر جلية على صفحات «تاريخ الطبري» .

١٠ ـ الحياد والواقعية : كان الطبريُّ ورعاً وتقياً ودقيقاً ، وكان في الوقت نفسه ملتزماً بمذهب أهل السنة والجماعة ، وعقيدة السلف ، ومع ذلك كان يورد الروايات المختلفة في الأحداث ، دون مَيْل مع أي هوى في إيراد الأخبار التاريخية ، وكان في الغالب حيادياً بتصوير الأحداث ، وترك الحكم عليها للقارىء ، وعدم ممارسة النقد في الروايات وفي المتون ، لأنه يعتقد أن أحاديث التاريخ لا تُبنى عليها أحكام شرعية ، باستثناء الشؤون السياسية ، وخاصة في العصر الراشدي ، فكانت هذه الأحداث ذات انعكاس إيجابي وسلبي على المجتهدين في التطبيق الصحيح للشرع .

والطبري في نفس الوقت جريء في قول الحق ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، وقد تعرض في «تاريخه» لذكر كثير من الأحداث التي لا يرضى عنها العباسيون أنفسهم ، وهم الخلفاء وأصحاب السلطة والنفوذ[١] .

رابعاً : المآخذ على تاريخ الطبري :

قلَّما يسلم عمل إنسان من نقص ، أو يصدر بشكل كامل ، فإن الكمال لله وحده ، وكل عمل للبشر معرَّض للنقص والخطأ ، والنقد والمآخذ ، ولذلك

---

(١) انظر : ظهر الإسلام ٢/ ٢٠٤ .

سجَّل علماء التراجم والتاريخ عدة ملاحظات على تاريخ الطبري والمادة العلمية فيه ، وعلى منهجه الذي سلكه ، ونبدأ الآن بالمآخذ التي أوردها العلماء على المادة التاريخية فيه[١] ، وأهمها.

١ ـ لم يحفظ الطبري التوازن بين فترات التاريخ قبل الإسلام وبعده ، لأنه عرض تاريخ العالم منذ بدء الخليقة وهبوط آدم وتاريخ الأنبياء والأمم والدول في مجلد واحد يساوي تقريباً عُشْر الكتاب ، بينما عرض التاريخ الإسلامي بتوسُّع ، وأفرد له تسعة أعشار الكتاب.

ولكن هذه الملاحظة لا تَرِدُ على الطبريّ رحمه الله ، لأنه لا يريد حقيقة أن يؤرِّخ للعالم ، ليحقّقَ التوازن ، ولكنه قصد أن يكتب التاريخ الإسلامي فحسب ، وقدَّم لكتابه بتمهيد ومدخل للتاريخ السابق ، ولذلك كان تاريخ الطبري أجلَّ وأعظم كتاب عن التاريخ الإسلامي في القرون الثلاثة الأولى ، وصار المرجع لكل من جاء بعده.

٢ ـ أسرف الطبري بذكر الإسْرائيليات والخُرافات والأوهام والحكايات فيما يتعلق ببدء الخلق وقصص الأنبياء والتاريخ القديم ، دون أن يُمحِّص ذلك ويَعْرِضه على النقد والمنطق والعقل وما جاء في القرآن والسنة.

وهذه الملاحظة لم ينفرد بها الطبري ، بل شاركه فيها بقية المؤرخين ، لأن مصدر المعلومات لهم غالباً في ذلك هم أهل الكتاب ، الذين عَرَضوا هذه المعلومات عن بدء الخليقة ، ولا يوجد مرجع آخر فيها ، فنقل المؤرِّخون ذلك دون تمحيص أو تدقيق أو تعليق[٢].

٣ ـ اقتصر الطبري في تاريخه عما نقله من المصادر والأسناد الماضية ، وهذا صرفه عن النظر في أحداث عصره ، فلم يُسجِّلها في كتابه ، ولم يُؤرِّخها ، فجاءت

---

(١) التاريخ العربي والمؤرخون ص ٢٦٠ وما بعدها ، الطبري للحوفي ص ٢٠٤ ، ظهر الإسلام ٢/ ٢٠٤.

(٢) قال أحمد أمين: «إن كثيراً من تاريخ الأمم القديمة ليس إلا خرافات وأوهاماً ، ولكن عذر الطبريّ في ذلك أن هذا هو ما كان معدوداً في وقته ، وليس له من الوثائق ما يستطيع أن يذكر به التاريخ الصحيح» ظهر الإسلام ٢/ ٢٠٣.

الأحداث التي عاصرها باهتة ومختصرة جداً ، مع أن الطبري كان على اطِّلاع واسع بها ، وكانت خبرته جيدة ورحل إلى عدة أقطار في العالم الإسلامي ، وعاش دهراً طويلاً وقعت فيه أحداث كبيرة وأمور مهمة ، فلم يولِ اهتمامه بجيله وعصره ، وظهر فيما كتبه عنه الضعف والإيجاز المخلّ.

ولعل الباعث للطبري على ذلك تصوُّرُه لدراسة التاريخ وفهمه له بأنه مستودع خبرات الأجيال السابقة فقط ، وأنه يكتب لأبناء جيله الذين يشاركونه في معرفة الأحداث ومجريات الأمور ، فلا يأتيهم بجديد ، وفاته أن الأجيال اللاحقة بحاجة ماسة للمعرفة التفصيلية للجيل الذي عاصر الطبري ، وخاصة أنه شاهدُ صدق على ما يقول ، وأنه أقرب من غيره لتسجيل هذه الأحداث ، فحَرَمَ التالين من ذلك ، ولو أرَّخ لعصره لقدَّم لغيره مادة غزيرة وموثَّقة.

٤ ـ كان فهم الطبري للتاريخ العالمي أقل وأضيق من فهم بعض المؤرِّخين السابقين له كاليَعْقوبي وابن قُتَيْبة مثلاً ـ في نظرتهم الشمولية ، بينما اقتصرت نظرة الطبري إلى تاريخ العالم على الخطّ الذي يصل بين الأنبياء والعهد الجاهلي كمقدمة للتاريخ الإسلامي.

وقد يكون عذر الطبري في ذلك أنه يريد التاريخ الإسلامي بحدّ ذاته ، وذَكَرَ تاريخ الأمم والملوك الآخرين كمقدّمة فقط ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن التاريخ القديم قليل المصادر ، ومصادره غير معتمدة ، والثقة فيها غير متوفِّرة ، والخَيال فيها والخرافة والأَساطير من بنات الأفكار أكثر من الحقائق ، فأخذ الطبري جانباً من ذلك ، لأن ما لا يُدْرَك كلّه لا يُترك جلّه.

٥ ـ كان الطبري مهتماً في تاريخه بالأحداث السياسية ، فحصر تاريخه غالباً في المشاكل الداخلية للدولـة ، وما يتصل بالسياسة الداخلية ، وأغفل كثيراً الحديث عن الفتوحات الإسلامية كالأندلس وغيرهـا ، وأعرض عن بيان العلاقات الدولية، وحتى في العلاقات بين الدولة الإسلامية والدول المجاورة لها كالبيزنطية والإفرنجية ، وأحوال هذه الدول وأمرائهم ، وفي الأمور الداخلية اهتم

بالحَدَث السياسي ، ولم يولِ أمور الإدارة والقضاء والاقتصاد ، والاجتماع أيَّ عناية[١] .

وهذا الأمر يشترك فيه الطبري مع بقية المؤرِّخين ، لأنَّ التاريخ كان مركَّزاً على الحكَّام والأمراء ، ولم يلتفت إلى الجوانب الحضارية والإدارية والاقتصادية ، إلى أن تطور علم التاريخ ، واتجه إلى بقية عناصر الحياة ، وبلغ أوجه في عهد ابن خلدون وكتبه.

٦ - كان مفهوم التاريخ عند الطبري متأثراً بالنزعة الدينية أكثر من تأثره بالنظرة التجاربية ، فأحداث التاريخ تعبير عن المشيئة الإلهية ، والتاريخ مستودع خبرات عليا للأمة ، دون اهتمام بقيمة التجارب التي مرت بها ، ورسالتها التاريخية الواحدة.

وهذه الملاحظة تُعتبر مزيّة لتاريخ الطبري المحدِّث والمفسر والمجتهد والعالم والحافظ للقرآن ، والإمام لمذهب فقهي عملي في الحياة ، وأن الطبري المحدِّث عبّر عن وجهة النظر الدينية الإسلامية عامة ، ووجهة نظر المحدِّثين في كتابة التاريخ بفكرة تكامل الرسالات السماوية في التاريخ ، وأنه تعبير عن المشيئة الإلهية ، فكان تاريخه قريناً ومكمِّلاً لتفسيره ، فالتفسير لتوضيح إرادة الله في كلامه ، والتاريخ يوضح إرادة الله في مسيرة البشرية[٢] .

خامساً: المآخذ على منهج الطبري:

تعرض علماء التاريخ لبيان المآخذ على منهج الطبري في تاريخه وقدَّموا عدة ملاحظات عليه[٣] ، نذكر أهمها:

١ - ضمور النقد عند الطبري: وذلك أنه اكتفى بسرد الروايات ، وبيَّن في مقدمته أنه يرمي العهدة على الرواة ، ووقف خارج الأحداث ، وملتزماً بالرواية ، ولم يعدِّل الرواة ، ولم يُجرِّحهم ، مع أن الطبري من علماء الحديث ، ويمكنه

---

(١) ظهر الإسلام ٢/ ٢٠٤.
(٢) انظر: ظهر الإسلام ٢/ ٢٠٦.
(٣) التاريخ العربي والمؤرخون ص ٢٥٩ ، الطبري للحوفي ص ٢٠٤ ، ظهر الإسلام ٢/ ٢٠٤ وما بعدها ، تاريخ الطبري ، المقدمة ١/ ٢٥ طبعة دار المعارف.

الالتزام بطريقة المحدِّثين في مجرَّد سرد الرواية دون تعرّض لمتنها ، كما أنه يفعل فعلهم في التعديل والتجريح للرواة ، ولذلك يُعتبر ضمور النقد عند الطبري في التاريخ نقطة ضعف ونقص ، وإن اعتُبرت في الحديث أمانة وميزة ، وقد ذكر الطبريّ أحياناً روايات غير معقولة ، أخذها عليه المؤرِّخون بعده بإيرادها دون نقد وتفكير ، وأنها منافية للعقول ، ولا يجوز أن تُسطَّر في الكتب ، ولم يشر إلى الروايات المكذوبة.

وهذه النظرة من الطبري إلى التاريخ تحصره في نطاق المعرفة ، وتجرِّده من العظة والاعتبار والتأسّي من جهة ، خلافاً لابن مِسْكوية في كتابه «تجارب الأمم» قاصداً بيان التجارب التي مرَّت بالسلف ، ويحسن بالخلف أن يطَّلِع عليها ، ويستفيد منها ، ويتَّعظ بها ، كما أبعدت نظرةُ الطبريّ للتاريخ المؤرِّخ عن التدخّل في الأحداث وتحليلها وبيان مدلولاتها ، وهو ما يتجه إليه المؤرِّخون المتأخرون.

لكن الطبري رحمه الله أدلى بدلوه أحياناً ، وأبدى رأيه ، ورجَّح ما يراه قوياً بقوله «والصحيح عندنا» ، و«أنا أشك في ذلك» وقوله «وقد زعم بعضهم كذا» وهو توجيه نقدي واضح ، كما أنَّه لم يعتمد من الأصل في النقل على من كان فيه مظنَّة شبهة ، من أمثال محمد بن السائب الكلبي ، ومقاتل بن سليمان إلا في النُّدرة ، واعتمد على المؤلَّفات التي يثق بها مثل كتب سَيْف بن عمر في التاريخ ، كما أن رجال الحديث والتاريخ في الأصل لم يتشدَّدوا في الرواية التاريخية تشدُّدَهم في الحديث النبوي الشريف ، وكان عمل الطبري في التاريخ جليلاً ، لأنه حفظ لنا الروايات من الضياع ، ونسّقها تنسيقاً جيداً ، ولولاه لضاع معظمها ، وحُرمنا من معرفتها.

٢ ـ عدم ذكر الكتب والمؤلفات: كان الطبري يَرْوي التاريخ عن الرواة والمؤرخين ، دون أن يحدِّد الكتاب المأخوذ منه ، وكان لكثير منهم عدد من الكتب ، فسَيْف بن عمر له كتاب الفتوح ، والردة ، وموقعة الجمل ، وغيرها ، والواقدي له كتاب المغازي ، والردة ، والتاريخ الكبير ، وهشام الكلبي له مئة وأربعون كتاباً ذكرها ابن النديم ، واستخرج فرانز روزنثال أسماء الكتب الواردة

في الفهرس لكل واحد من المؤلفين ، ومصنَّفة حسب مواضيعها[١] .

ولو ذكر الطبري أسماء الكتب لاستطاع الباحثون الرجوع إلى ما بقي منها ، ولعرف الخلف مؤلفات السلف للتنقيب عنها ، وتحقيق ما سلم من الضياع منها ، والمقارنة بين نصوصها ونصوص الطبري .

٣ ـ كان الطبري يقطع الأحداث بالروايات المتعددة ، وبالسنين المتعاقبة ، فيقطع الرواية الواحدة إذا وقع فيها خلاف ، فيذكر الرواية أو الروايات المخالفة ثم يعود للرواية الأولى ، فتتداخل الروايات وتتشابك ، ويتشتّت معها القارىء ، وينشغل بالفروع عن الحادث الأصيل ، مع ما في طريقة الطبري من أمانة ودقة ، وكان يمكنه تحقيق هدفه بعرض كل رواية عرضاً كاملاً ، ثم بالتعقيب عليها بغيرها ، ثم بالموازنة فيما بينها ، وترجيح بعضها على بعض .

وكان منهج الطبري «الحولي» يضطره إلى تجزئة الحادث الذي امتد عدة سنوات ، فتتبعثر صورته ، ويفقِد وَحْدته وموضوعه ، مما يصعب معه على القارىء أنْ يُلمَّ بالحادث الواحد متكاملاً .

٤ ـ التركيز على الجانب السياسي ، وهو ما فعله أكثر المؤرخين الذين كتبوا في التاريخ العام ، وتأثّر الطبري رحمه الله بهم وبروح العصر الذي عاش فيه ، ولذلك قال السخاوي عنه : «وهو جامع لطرق الروايات ، وأخبار العالم ، لكنه مقصور على ما وضعه لأجله من علم التاريخ والحروب والفتوحات»[٢] ، وحتى في الجانب السياسي يُغفل الطبري أسماء الولاة والموظفين ، ويُغفل أحياناً بعض الحركات المعارضة للسلطة .

وبعد : فإن هذه الملاحظات على تاريخ الطبري ، والمآخذ على منهجه ، لا تقلِّل من قيمته ، ولا تُنْقص من أهميته ، وأنه كتاب جليل القدر ، عظيم القيمة ، وأنَّه المرجع الأول للتاريخ العربي الإسلامي ، ويحتل الصدارة عند المؤرخين ، ويتبّوأ المكانة الأولى بين كتب التاريخ ، وأنه المرجع الأصيل لكل من كتب في التاريخ ، والمصدر الأساسي لمن جاء بعده من المؤرِّخين ، ويمثّل

---

(١) انظر : الفهرست ص ١٣١ وما بعدها ، علم التاريخ عند المسلمين ص ٢٧٣ .

(٢) الإعلان بالتوبيخ لمن ذمَّ أهل التواريخ ص ٦٦٩ ضمن كتاب علم التاريخ عند المسلمين .

صفحة مشرقة ، وصورة ناصعة للثقافة التي جمعها الطبري في ذهنه ، ومثّلها لأبناء عصره وجيله ، وبقي تاريخ الطبري ماثلاً في الأذهان طوال الأجيال الماضية ، وسيبقى بمشيئة الله تعالى أمام العين والقلب ، والعقل والفكر ، في المستقبل ، فجزاه الله خيراً ، وأعطاه ما يستحق من الثواب والأجر.

يقول الأستاذ شاكر مصطفى: «وعلى أي حال ، فإن ما قد يُوجَّه إلى منهج الطبري ، وإلى تاريخه من نقد لا يمكن أن يُلغي شيئاً من قيمته كمؤرخ أوّل ، انتهى به العصر الأول للتدوين التاريخي ، وكمؤلِّف ظلت أجيال المؤرخين في العصور التالية عِيالاً على كتابه في كل ما يتصل بالقرون الثلاثة الأولى من تاريخ الإسلام»[١].

* * *

(١) التاريخ العربي والمؤرخون ص ٢٦١.

رابعاً
تاريخ الطبري ـ قسم الصحيح

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

وبعد:

فلقد وفقنا الله تعالى للقاء أستاذ التاريخ الإسلامي الكبير فضيلة الدكتور / أكرم ضياء العمري / قبل مراجعتنا للمسودة فشجعنا جزاه الله خيراً واطلع على فصول من قسم الصحيح يتعلق بتاريخ الخلافة في عهد الأمويين، وأبدى ملاحظاته القيمة ومن هذه الملاحظات:

ضرورة كتابة فصل في بداية (كل فترة) نبيّن فيها أسانيد الطبري، مع بيان درجاتها من الصحة أو الضعف، وذلك لأن الطبري رحمه الله يعيد عدداً من الأسانيد، عشرات بل مئات المرات، فالأولى أن نحكم على هذه الأسانيد في المقدمة قبل الشروع في تخريج الروايات[١].

وهذه ملاحظة قيمة من الأستاذ العمري جديرة بالاعتبار والاهتمام إلاَّ أن الإشكال أننا كنا قد انتهينا من التخريج والتحقيق سنة ١٩٩٩ م بينما كان اللقاء مع فضيلة الأستاذ العمري سنة ٢٠٠١ م الموافق لـ (١٤٢٢ هـ) وذلك في شهر شعبان، فتداركنا الأمر من باب ما لا يدرك كله لا يترك جُلُّه، فكتبنا فصلاً في مقدمة المجلد المتعلق بتاريخ الخلافة في عهد الأمويين ضمناه تراجم الرواة وذكرنا الحكم النهائي على كل راوٍ في هذا الفصل، ومن لم نذكر اسمه هناك،

(١) اكتفينا ببيان أسانيد الطبري في بداية الصحيح ـ هنا ـ خشية التكرار في كل جزء من الصحيح، ودَفْعاً للإطالة على القارئ.

اكتفينا بترجمته في كتابنا (رجال تاريخ الطبري جرحاً وتعديلاً) واكتفينا بذلك بتعليق مختصر وحكم موجز على إسناد كل رواية من روايات الطبري.

وهكذا ترك الأستاذ العمري بصماته على صفحات هذا التحقيق والتخريج فجزاه الله عنا وعن المسلمين والتاريخ الإسلامي خير الجزاء، وهو بحق رائد في مجال تطبيق قواعد الحديث على الروايات التاريخية ـ ونكتفي بهذا القدر ونعود مرة أخرى إن شاء الله لنكتب مقدمة أخرى قبل البدء بعهد سيدنا معاوية، وثالثة قبل البدء بعهد يزيد بن معاوية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المحققان

تراجم رواة أسانيد الطبري

١ ـ أحمد بن ثابت بن عتاب الرازي (فرخويه).
قال ابن أبي حاتم: عن أبي العباس الطهراني كانوا لا يشكون أن فرخويه كذاب. [الجرح والتعديل ٢/ ٤٤].

٢ ـ أحمد بن زهير بن حرب.
ثقة حافظ، توفي ٢٢٩ هـ [لسان الميزان ١/ ١٧٤].

٣ ـ أحمد بن محمد بن ثابت بن شبويه (أبو الحسن).
ثقة من العاشرة توفي ٢٣٠ هـ. [تقريب/ت ٩٤].

٤ ـ أبان بن صالح بن عمير القرشي.
ثقة من الخامسة، أخرج له الأربعة. ت سنة بضع عشرة ومئة. [تقريب/ت ١٥٩].

٥ ـ إبراهيم بن ميمون بن صائغ.
قال الحافظ مغلطاي: ذكره ابن حبان في الثقات وخرّج حديثه هو والحاكم في صحيحيهما، وقال الحافظ ابن حجر: صدوق من السادسة قتل سنة ١٣١ هـ.
[إكمال تهذيب الكمال/ت ٣٠٧] [تقريب التهذيب/ت٢٩١] [الثقات ٦/ ١٩].

٦ ـ إبراهيم بن سليمان الحنفي.
لم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من المصادر.

٧ ـ إسحاق بن إبراهيم الثقفي (أبو يعقوب) الكوفي.
وثقه ابن حبان وقال ابن عدي: روى عن الثقات ما لا يتابع عليه، وروى

الذهبي من مناكيره ، وقال الحافظ : وثقه ابن حبان وفيه ضعف .
[تقريب / ت ٣٣٦] [ميزان الاعتدال / ت ٧١٦] .

٨ - إسحاق بن إدريس الأسواري البصري .
قال يحيى : كذاب يضع الحديث ، وقال النسائي : متروك .
[ميزان الاعتدال / ت ٧٣٤] [لسان الميزان (١/ ٤٤)] .

٩ - إسحاق بن خليد مولىٰ سعيد بن العاص .
ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال : روىٰ عنه وكيع وأبو نعيم .
[الثقات ٦/ ٤٧)] .

١٠ - إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة الأموي .
متروك من الرابعة توفي سنة ١٤٤هـ .
[تقريب التهذيب (ت ٤١٥)] .

١١ - إسحاق بن عيسى الطباع .
صدوق من التاسعة . ت ٢١٤ هـ .
[تقريب التهذيب (ت ٤٢٤)] .

١٢ - إسحاق بن يحيى بن طلحة .
قال أبو زرعة : واهي الحديث . وقال أبو داود الطيالسي ، إسحاق بن يحيى بن طلحة متروك الحديث منكر الحديث ، وضعفه ابن معين وقال : لا يكتب حديثه .
وقال ابن حبان : فإذا الاجتهاد أدىٰ إلى أن يترك ما لا يتابع عليه ويحتج بما وافق الثقات بعد أن استخرنا الله فيه .
[ميزان الاعتدال (ت ٨٠٢) ، الجرح والتعديل (٢/ ت ٨٣٥)] .

١٣ - إسماعيل بن إبراهيم (ابن علية) .
ثقة . قال أحمد : ابن علية إليه المنتهىٰ في التثبت بالبصرة ، وقال أبو حاتم : ثقة ثبت في الرجال ، توفي ١٩٣ هـ .
[الجرح والتعديل (١/ ١/ ١٥٤) ، التقريب (ت ٤٧٦)] .

١٤ - إسماعيل بن راشد السلمي .
ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال أبو حاتم : مجهول . [٦/ ٣٤] .

١٥ ـ إسماعيل بن يزيد الأزدي.
لم نجد له ترجمة.
١٦ ـ أسود بن قيس العبدي الكوفي.
ثقة من الرابعة، أخرج له الستة.
[تقريب (ت ٥١١)].
١٧ ـ إياس بن زهير (أبو طلحة).
عن علي، وسويد بن هبيرة، قال أبو حاتم: يعدّ في البصريين وسكت عنه وذكره ابن حبان في الثقات.
[الجرح والتعديل (٢/ ٢٧٩ ت ١٠٠٤)، الثقات (٤/ ٣٦)].
١٨ ـ أشعث بن عبد الله بن جابر الحداني البصري.
صدوق من الخامسة.
[تقريب (ت ٥٣١)].

(ب)

١٩ ـ بسر بن عبيد الله الحضرمي.
ثقة حافظ من الرابعة.
[تقريب (ت ٦٧٣)].
٢٠ ـ بشر بن عيسى بن ميمون.
قال مغلطاي: يكنىٰ أبا عمرو ذكره مسلم.
[إكمال التهذيب (ت ٧٤٣)].

(ج)

٢١ ـ جارود بن أبي سبرة الهذلي.
صدوق من الثالثة. ت ١٢٠ هـ، وذكره ابن حبان في الثقات وقال الدارقطني: بصري ثقة.
[إكمال التهذيب (ت ٩٢٧)، تقريب (ت ٨٨٩)].
٢٢ ـ جبلة بن أبي رواد.
ذكره ابن حبان في الثقات، وقال: روى عنه ابنه عثمان بن جبلة، قتله

أبو مسلم بنيسابور سنة ١٣٢ هـ ، وترجم له البخاري وسكت عنه.
[الكبير (١/ ٢/ ٢١٩) ، الثقات (٦/ ١٤٧)].

٢٣ ـ جرير بن حازم الأزدي.
ثقة ولكن في روايته عن قتادة ضعف ولا يعبأ باختلاطه إذ لم يحدِّث بعد أن اختلط كما قال ابن مهدي ، وهو من السادسة.
[تقريب (ت ٩١٣) ، تهذيب الكمال (ت ٩١٣) وانظر كتابنا رجال تاريخ الطبري جرحاً وتعديلاً].

٢٤ ـ جرير بن يزيد بن جرير.
ذكره ابن حبان في الثقات ، وترجم له البخاري وابن أبي حاتم ، وسكتا عنه.
[الثقات (٦/ ٢٤٣) ، الكبير (١/ ٢/ ٢١٢) ، الجرح (١/ ١/ ٥٠٢)].

٢٥ ـ جعفر بن برقان الكلابي.
صدوق من السابعة ت ١٠٥ هـ ، يهم في حديث الزهري وقد رأى المحرران [شعيب وبشار] أن لقب (ثقة) أولىٰ به من صدوق ، قلنا: والذي يراجع ما كتبه مغلطاي في الإكمال يترجح لديه أنه صدقه كما قال ابن حجر والله أعلم.
[إكمال تهذيب الكمال (ت ٩٨٣) ، تقريب (ت ٩٣٤) وانظر تحرير التقريب].

٢٦ ـ جعفر بن حذيفة الطائي.
قال أبو حاتم: مجهول. وقال الذهبي: لا يدرىٰ من هو.
[ميزان الاعتدال (١/ ٤٠٥) ، الجرح والتعديل (٢/ ٤٧٦)].

٢٧ ـ جويرية بن أسماء الضبعي.
صدوق من السابعة ت ١٧٣ هـ
[تقريب (ت ٩٩٠)].

(ح)

٢٨ ـ حاتم بن قبيصة البصري.
ترجم له ابن أبي حاتم وسكت عنه.
[الجرح والتعديل (٣/ ٢٦٠)].

٢٩ ـ الحارث بن حصيرة الأزدي الكوفي.
صدوق يخطىء، ورمي بالرفض من السادسة وله ذكر في مقدمة مسلم.
[تقريب التهذيب (ت ١٠٢١)].

٣٠ ـ الحارث بن محمد بن أبي أسامة.
قال الدارقطني: صدوق ووثقه إبراهيم الحربي، وقال ابن حجر كان حافظاً عارفاً بالحديث عالي الإسناد تكلم فيه بلا حجة.
[لسان الميزان (٢/ ت ٢٢٣٤)، تاريخ بغداد (٨/ ت ٤٣٣٢)].

٣١ ـ حبان بن علي العنزي (أبو علي الكوفي).
ضعيف من الثامنة.
[تقريب / ت ١٠٧٩].

٣٢ ـ حبان بن موسىٰ السلمي.
ثقة من العاشرة خ م ت س.
[تقريب ت ١٠٨٠].

٣٣ ـ حجاج بن قتيبة.
لم نجد له ترجمة.

٣٤ ـ حرملة بن عمران التجيبي.
ثقة من السابعة.
[تقريب / ت ١١٧٨].

٣٥ ـ الحسن بن أبي الحسن البصري.
ثقة فقيه فاضل مشهور، وكان يرسل كثيراً ويدلس أخرج له الستة.
[تقريب (١/ ت/ ١٢٣١)].

٣٦ ـ الحسن بن رشيد.
من أهل مرو، يروي عن إبراهيم الصائغ، ذكره ابن حبان في الثقات أما الذي يروي عن ابن جريج وعنه نصر بن حاجب فقد قال أبو حاتم: مجهول، وقال الحافظ: فيه لين والذي في تاريخ الطبري هو الأولى على الأغلب، والله أعلم.
[لسان الميزان (٢/ت/ ٩٢١)]، الثقات (٨/ ١٧٠)، الجرح والتعديل (٣/ ١٤)].

٣٧ ـ الحسين بن مجاهد الرازي.

لم نجد له ترجمة.

٣٨ ـ الحسين بن نصر الأملي.

لم ندر من هو؟ والذي في كتب التراجم باسم الحسين بن نصر إنما هو المصري كما ترجم له ابن أبي حاتم وهو صدوق، والله أعلم.

[الجرح والتعديل (١/ ٢/ ٦٦) وانظر رجال الطبري جرحاً وتعديلاً].

٣٩ ـ الحكم بن عثمان.

لم نجد له ترجمة في كتب التراجم، إلا أن القاضي أبو بكر الدينوري، قال: حدثنا أحمد بن علي الخزار قال: سمعت أبي يقول: قال الحكم بن عثمان قال: أبو جعفر المنصور.. الخبر].

(كتاب المجالسة (٢/ ٧٦/ ٢١٠)].

٤٠ ـ حماد بن سلمة البصري.

ثقة عابد أثبت الناس في ثابت تغير حفظه في آخره من كبار الثامنة.

[تقريب (ت ١٥٠٤)].

٤١ ـ حمزة بن إبراهيم (شيخ المدائن).

لم نجد له ترجمة.

٤٢ ـ حميد بن مسلم الأزدي.

لم نجد له ترجمة، والذي في كتب التراجم حميد بن مسلم القرشي (أبو عبد الله) ذكره ابن حبان في الثقات (٦/ ١٩٠).

وانظر [الجرح (١/ ٢/ ٢٢٩)، الكبير (١/ ٢/ ٣٥٥)].

٤٣ ـ حنبل بن أبي حريدة.

لم نجد له ترجمة.

٤٤ ـ حيان النبطي البلخي.

والد مقاتل ومصعب، يروي عن الحكم بن عمرو الغفاري.

[المؤتلف والمختلف (١/ ١٣٨ ت ٢٤٦)].

(خ)

٤٥ ـ خارجة بن مصعب السرخسي.

قال ابن معين: عندنا مستقيم الحديث، وقال مرة: ليس بثقة، وقال أبو حاتم: مضطرب الحديث ليس بقوي يكتب حديثه ولا يحتج به، وقال: لم يكن محله الكذب وذكره ابن حبان في الثقات (٨/ ٣٣).

[لسان الميزان (٦/ ٤٣ ت ١٦٦).

٤٦ ـ خالد بن عبد العزيز.

لم نجد له ترجمة.

٤٧ ـ خالد بن القاسم المدائني.

متروك الحديث.

[ميزان الاعتدال (١/ ٦٣٧)].

٤٨ ـ خالد بن يزيد بن عبد الله المقسري.

قال ابن عدي: وهو عندي ضعيف إلاّ أن أحاديثه إفرادات ومع ضعفه كان يكتب حديثه، وقال أيضاً: وأحاديثه كلها لا يتابع عليها.

وقال أبو حاتم: ليس بالقوي، وذكره ابن حبان في الثقات وسكت عنه الحافظ في التقريب ووافقه المحرران (بشار وشعيب) على سكوته.

قلنا: والأولىٰ أن يقال: ضعيف يكتب حديثه كما قال ابن عدي.

[ميزان الاعتدال (ت ٢٤٧٩)، الكامل (٨/ ٥٧٨)].

٤٩ ـ خلاد بن يزيد الباهلي (الأرقط).

صدوق جليل من التاسعة.

[تقريب (ت ١٧٧٩)].

(د)

٥٠ ـ داود بن سليمان الجعفي.

الذي يروي عن عمر بن عبد العزيز، ذكره ابن حبان في الثقات (٦/ ٢٨٩).

(ر)

٥١ ـ رؤبة بن العجاج.

قال النسائي: ليس بالقوي ، وقال الحافظ: لين الحديث ، وذكره ابن الجوزي في الضعفاء ، وقال: قال يحيى: دع رؤبة العجاج.

[الضعفاء لابن الجوزي (١/ ٢٧٧ ت ١١٩٧) ، العقيلي (٢/ ٦٤)].

(ز)

٥٢ ـ زكريا بن أبي زائدة الهمداني.

ثقة وكان يدلس وسماعه من أبي إسحاق بأخرة أخرج له الستة.

[تقريب (ت ٢٠٣٣)].

٥٣ ـ زكريا بن يحيى بن أيوب الضرير.

ترجم له الخطيب وذكر أسماء ثلاثة من الرواة الثقات عنه ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً.

[تاريخ بغداد (٨/ ٤٥٧/ ت ٤٥٧١)].

٥٤ ـ زهير بن حرب.

ثقة ثبت روىٰ عنه مسلم أكثر من ألف حديث من العاشرة ت ٢٣٤ هـ.

[تقريب (ت ٢٠٥٣)].

٥٥ ـ زهير بن الهنيد (أبو الذيال) العدوي.

قال ابن حجر ، مقبول ، فعقب المحرران بقولهما: بل صدوق حسن الحديث فقد روىٰ عنه جمع وذكره ابن حبان في الثقات.

قلنا: والذي في المقتنىٰ في سرد الكنىٰ زهير بن هنيدة (ت ٢١٢٢).

[تحرير التقريب (ت ٢٠٥٣) ، تقريب التهذيب (ت ٢٠٥٨)].

٥٦ ـ زياد بن جبل ، ويقال: ابن حبل.

روى عنه هشام بن يوسف ومعمر وغيرهما بشيخ مجهول كما قال أبو حاتم

[الجرح والتعديل (٣/ ٥٢٧ ت ٢٣٨٠)].

ترجم له البخاري في التاريخ الكبير (٣/ ٣٤٧).

وانظر المؤتلف والمختلف (١/ ٥١٦) وذكره ابن حبان في الثقات (٤/ ٢٥٣).

٥٧ ـ زياد بن الربيع (شيخ المدائن) اليحمدي البصري (أبو خداش).

وثقه أبو داود وله في البخاري فرد حديث توفي ١٨٥ هـ.

[خلاصة تهذيب التهذيب للخزرجي . . .

ووثقه أحمد وابن خلفون [إكمال تهذيب الكمال (ت ١٧١٨)].
وانظر التقريب حيث قال الحافظ: ثقة من الثامنة [ت ٢٠٧٨] والله أعلم.

٥٨ ـ زياد بن عبد الله البكائي.
صدوق ثبت في المغازي وفي حديثه من غير ابن إسحاق لين ولم يثبت أن وكيعاً كذبه، وله في البخاري موضع واحد متابعة من الثامنة.
[تقريب (ت ٢٠٩٦)].

(س)

٥٩ ـ سبرة بن يحيىٰ.
ذكره ابن حبان في الثقات (٤/ ٣٤١).

٦٠ ـ سعيد بن زيد الأزدي (أبو الحسن) البصري.
صدوق له أوهام من السابعة. [تقريب (٢٣١٩)].

٦١ ـ سعيد بن عبد العزيز التنوخي.
ثقة إمام، ولكنه اختلط في آخر أمره من السابعة. بخ م ٤.
[تقريب التهذيب (ت ٢٣٦٥)].

٦٢ ـ سعيد بن كيسان (ابن أبي سعيد) المقبري.
ثقة من الثالثة أخرج له الستة.
[تقريب (ت ٢٣٢٨)].

٦٣ ـ سفيان بن عيينة الهلالي.
ثقة إمام ربما دلس عن الثقات ع.
[التقريب (ت ٢٤٥٨)].

٦٤ ـ سكن بن قتادة العريني.
عن الأحنف وعن مسلمة بن محارب.
[توضيح المشتبه لابن ناصر الدين (٦/ ٢٤٨)].

٦٥ ـ سلم بن جنادة (أبو السائب) الكوفي.
قال النسائي: صالح، وقال أبو بكر البرقاني ثقة حجة لا يشك فيه يصلح للصحيح.
وذكره ابن حبان في الثقات، وقال الحافظ: ثقة ربما خالف من العاشرة.

[الثقات (٨/ ٢٩٨) ، تهذيب الكمال (١١/ت ٢٤٢٦) تقريب التهذيب (ت ٢٤٧١)].

٦٦ ـ سلمة بن عثمان.

ترجم له ابن أبي حاتم دون جرح أو تعديل (٤/ ١٦٧).

٦٧ ـ سليمان بن أرقم البصري.

ضعيف من السابعة [تقريب (ت ٢٥٤٧)].

٦٨ ـ سليمان بن بلال التيمي.

ثقة من الثامنة. [تقريب (ت ٢٥٤٧)] ع.

٦٩ ـ سليمان بن أبي سليمان الشيباني.

قال أبو حاتم: أبو إسحاق سليمان بن فيروز الشيباني صدوق ثقة صالح الحديث ، ووثقه العجلي وابن معين ، والنسائي ، وكان من كبار أصحاب الشعبي ، [تهذيب الكمال (ت ٢٥٢٥) ، تاريخ الثقات (٢/ ٦١٢) ، الجرح والتعديل (٢/ ١٣٥)].

٧٠ ـ سليمان بن صالح الليثي (أبو صالح المروزي) سلمويه.

ثقة من العاشرة مات قبل ٢١٠ هـ وقد بلغ المئة.

[تقريب (ت ٢٥٨٠)].

٧١ ـ سليمان بن كثير.

الذي في كتب التراجم بهذا الاسم هو العبدي ترجم له ابن أبي حاتم فقال نقلاً عن أبيه: ضعيف يكتب حديثه ، وقال العجلي: جائز الحديث لابأس به ، وقال العقيلي: هو في غير الزهري أثبت مضطرب الحديث عن ابن شهاب ، وذكره ابن خلفون في الثقات ، وقال ابن عدي: أحاديثه عندي مقدار ما يرويه لابأس به وضعفه ابن معين ، وقال النسائي: ليس بالقوي إلاَّ في الزهري ، وقال الذهبي: بعد سرده لأقوال العلماء فيه ـ: خرجوا له في الدواوين الستة مات سنة ١٣٦ هـ ورمز الذهبي أمام ترجمته بعلامة (صح).

والذي في تاريخ الطبري سليمان بن كثير العمي والله أعلم.

[إكمال تهذيب الكمال لمغلطاي (ت ٢٢١٦)، الجرح والتعديل (٤/ ١٣٨/ ٦٣)، ميزان الاعتدال (ت ٣٥٠٣).

وقال مغلطاي: خرج الحاكم حديثه في مستدركه ، وأبو عوانة في صحيحه.

٧٢- سليمان بن مسلم النخعي العجلي.
من أهل الكوفة ذكره ابن خبان في الثقات، وترجم له البخاري في الكبير روى عنه التبوذكي.
[الكبير (٢/ ٢/ ٣٨)، الثقات (٦/ ٣٩٣)].

٧٣- سليمان بن المغيرة القيسي البصري.
ثقة ثقة قاله يحيىٰ بن معين من السابعة توفي ١٦٥ هـ.
[تقريب (ت ٢٦٢٧)].

٧٤- سويد بن عبد العزيز الدمشقي.
ضعيف جداً من كبار التاسعة توفي ١٩٤ هـ.
[تقريب (ت ٢٧٠٧)].

(ش)

٧٥- شعيب بن عمرو الأموي.
ترجم له البخاري في الكبير (٢/ ٢/ ٢١٩) وابن أبي حاتم (٤/ ٣٥٠) وسكتا عنه وذكره ابن حبان في الثقات (٤/ ٣٥٦).

٧٦- شهاب بن شرنفة [شريعة] المجاشعي.
المقرىء قال ابن ناصر الدين: بصري أدرك الحسن روى عنه ابن المبارك، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال أبو حاتم: شيخ صدوق.
[الجرح والتعديل (٤/ ٣٦٢)، الثقات (٦/ ٤٤٣)، توضيح المشتبه (٥/ ٣٢٢)، المؤتلف والمختلف (٣/ ١٤٢٠)].

(ص)

٧٧- الصقعب بن زهير الأزدي الكوفي.
ثقة من السادسة [تقريب (ت ٢٩٦٢)].

(ع)

٧٨- عامر الشعبي (ابن شراحيل).

ثقة مشهور فقيه فاضل من الثالثة ، قال مكحول : ما رأيت أفقه منه ، مات بعد المئة وله نحو من ثمانين .

[تقريب (ت ٣١٠٩)] .

٧٩ ـ عامر بن حفص التميمي (أبو اليقظان) .

النسابة ، سحيم وهو عامر بن الأسود من شيوخ المدائن . وخليفة بن خياط : كان عالماً بالأخبار والأنساب والمآثر والمثالب .

ثقة فيما يرويه من الأخبار ، غير ثقة في الحديث . توفي ١٧٠ هـ .

[نزهة الألباب (١/ ٣٦٣ ت ١٤٧١) ، الفهرست لابن النديم (١٠٧) ، موضح أوهام الجمع والتفريق (٢/ ت ٢٤٣) .

٨٠ ـ عباد بن عبد الله الأسدي الكوفي .

قال البخاري : فيه نظر ، وقال ابن المديني : ضعيف الحديث ، وقال ابن حجر ضعيف من الثالثة .

[التهذيب (٥/ ٨٦/ ت ١٦٥) ، التاريخ الكبير (٣/ ٢/ ٣٢/ ت ١٥٩٤) ، تقريب (ت ٣١٤٧)] .

وأما عباد بن عبد الله بن الزبير ، فثقة من الثالثة ع [التقريب (ت ٣١٤٦)] .

٨١ ـ عبد الأعلى بن مسهر الغساني .

ثقة فاضل من كبار العاشرة أخرج له الستة .

[تقريب (ت ٣٧٦٢)] .

٨٢ ـ عبد الأعلى بن منصور .

لم نجد له ترجمة .

٨٣ ـ عبد الأعلى بن ميمون بن مهران .

ذكره ابن حبان في الثقات سمع منه جعفر بن برقان أحاديث مراسيل وروىٰ عنه عمرو بن الحارث .

[الجرح والتعديل (٦/ ت ١٣٦) ، الثقات (٧/ ١٢٩)] .

٨٤ ـ عبد الرحمن بن أبان بن عثمان الأموي المدني .

ثقة عابد مقل من السادسة أخرج له الأربعة .

[تقريب (ت ٣٨١٦)] .

٨٥ ـ عبد الرحمن بن جندب الأزدي.
ترجم له البخاري في الكبير (٣/ ١/ ٢٦٨)، وذكره ابن حبان في الثقات، يروي عن محمد بن إسحاق (الثقات ٧/ ٦٩).

٨٦ ـ عبد الرحمن بن صبيح الأزدي.
ذكره ابن حبان في الثقات والذي عند الطبري (ابن صبح) وهو تصحيف، والصحيح (ابن صبيح).
[الجرح والتعديل (ت ١١٦٧)، الثقات (٦/ ٦١٢)].

٨٧ ـ عبد الرحمن بن صالح الأزدي.
قال أبو داود: ألف كتاباً في مثالب الصحابة، رجل سوء نزيل بغداد صدوق يتشيع، من العاشرة توفي ٢٣٥ هـ.
[تقريب (ت ٣٩٢٣)].

٨٨ ـ عبد الرحمن بن عبد الله بن ذكوان.
صدوق تغير حفظه لما قدم بغداد من السابعة. خت فق ٤.
[تقريب (ت ٣٨٧٥)].

٨٩ ـ عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي.
ثقة إمام من السابعة توفي ١٥٧ هـ أخرج له الستة.
[تقريب (ت ٣٩٨١)].

٩٠ ـ عبد العزيز بن خالد بن رستم الصنعاني.
سمع زياد بن جيل سمع منه إسحاق بن أبي إسرائيل، ترجم له ابن أبي حاتم دون جرح أو تعديل وكذلك البخاري وقال: حديثه في أهل اليمن. وذكره ابن حبان في الثقات.
[الجرح والتعديل (٥/ ٣٨٠/ت ١٧٧٨)، التاريخ الكبير (ت ١٥٢٥)، الثقات (٨/ ٣٩٤ ت ١٤٠٥١)].

٩١ ـ عبد القاهر بن سري.
قال ابن معين: صالح، وقال مغلطاي: من ولد قيس بن الهيثم السلمي. ذكره ابن خلفون في الثقات، وابن شاهين في الثقات، وقال يعقوب: كان منكر الحديث.
[إكمال تهذيب الكمال (ت ٣٣٠٨)، الجرح والتعديل (٦/ ٢٧/ت ٣٠٤)].

٩٢ ـ عبد الله بن أحمد بن شبويه المروزي (من شيوخ الطبري).

ذكره ابن حبان في ثقاته وقال: مستقيم الحديث.

قلنا: وعند تتبعنا لرواياته عند ابن أبي حاتم وجدنا أكثر من ثلاثة من الرواة الثقات قد رووا عنه، وقال أبو حاتم في ترجمته: روىٰ عنه علي بن الحسين بن الجنيد حافظ حديث الزهري ومالك، وقال الخطيب البغدادي في ترجمته: من أئمة الحديث سمع أباه و. . . إلخ. وقال أيضاً: وكان رحل مع أبيه ولقي عدة من شيوخه وقدم بغداد وحدث بها فروىٰ عنه من أهلها أبو بكر بن أبي الدنيا، وأبو يحيى بن زكريا بن يحيى الناقد، وأبو حامد محمد بن هارون الحضرمي، وذكر الخطيب بإسناده إلى يحيى بن محمد الصاعد أن عبد الله بن أحمد بن شبويه حدثه سنة ٢٤٥ هـ. ونقل الخطيب عن أبي سعد الإدريسي أنه قال: عبد الله بن أحمد بن شبويه المروزي من أفاضل الناس ممن له الرحلة في طلب العلم، توفي سنة ٢٧٥ هـ.

[تاريخ بغداد (٩/ ٣٧١/ ت ٤٩٤٦)، الثقات (٨/ ٣٦٦)، الجرح والتعديل (٥/ ٦/ ت ٢٧) والجرح (١/ ٩٦ ـ ٢٦٤ ـ ٣١٠).

وعلى ما يبدو فإن الأستاذ الفاضل خالد بن محمد الغيث فاته كلام الخطيب وابن حبان وإخراج ابن أبي حاتم لمروياته من طريقه في مناقب الإمام أحمد ولذلك اكتفىٰ في كتابه القيم [مرويات خلافة معاوية] في ترجمة عبد الله هذا: أورده ابن حبان في ثقاته، ولذلك حكم على أسانيد الطبري في مسألة مبلغ الحسن مع معاوية رضي الله عنهما بأنها ضعيفة لأسباب سنذكرها في حينها بالإضافة إلى ما ذكرناه في عبد الله هذا.

وهذا لا ينقص من قيمة كتابه [مرويات خلافة معاوية] بل يحتوي على أبحاث نفيسة سنذكرها في حينها إن شاء الله وسبحان من لا ينسى ولا يسهو.

٩٣ ـ عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري المدني.

أخرج له الستة، وروىٰ عن أنس بن مالك من الصحابة وقال النسائي: ثقة ثبت، وقال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث عالماً، توفي سنة خمس وثلاثين ووثقه ابن معين وأبو حاتم، وقال أحمد: حديثه شفاء [الجرح والتعديل (٢/ ٢/ ١٧)، تهذيب الكمال (١/ ٣٥١) ت ٣٢٩٠) الطبقات الكبرى (٩/ ٢٠٦)].

٩٤ ـ عبد الله بن شوذب الخراساني.
صدوق عابد من السابعة.
[تقريب (ت ٣٤٠٨)].

٩٥ ـ عبد الله بن صالح بن محمد الجهني (أبو صالح المصري).
كاتب الليث، صدوق كثير الغلط ثبت في كتابه وكانت فيه غفلة من العاشرة [تقريب (ت ٣٤٠٩)].
وعقب المحرران (بشار وشعيب) بقولهما: بل صدوق في حفظه شيء، حسن الحديث في المتابعات [تحذير (ت ٣٣٨٨)].
قلنا: وقال الذهبي في الميزان: هو صاحب حديث وعلم وله مناكير.
[ميزان الاعتدال (ت ٤٣٨٢)].
وقد ذكر الحافظ مغلطاي أقوال العلماء فيه [إكمال (ت ٢٩٩٠)] ومن قبله شيخه المزي.
وقال ابن عدي: وهو عندي مستقيم الحديث إلاّ أنه يقع في حديثه في أسانيده ومتونة غلط ولا يتعمد الكذب، وقد روى عنه يحيى بن معين كما ذكرت [الكامل (١٥/٥٨)].

٩٦ ـ عبد الله بن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر.
لم نجد له ترجمة.

٩٧ ـ عبد الله بن عطية (الكوفي).
ذكره ابن حبان في الثقات وسكت عنه أبو حاتم، وقال الحافظ في التقريب: مقبول من الخامسة (ت ٣٤٨٠).
[الجرح والتعديل (٥/ت ٦١٢)، الكبير (٣/ ١/ ١٦٣)، الثقات (٧/ ٣٥)].
وفرق البخاري بين عبد الله بن عطية الكوفي، وعبد الله بن عطية الخطاب، والذي ذكره ابن حبان في الثقات هو عبد الله بن عطية بن الخطاب وفي لسان الميزان عبد الله بن عطية العوفي لا يتابع على حديثه وأخوهما (أي أخو عبد الله والحسن) يقاربهما في الضعف.
[لسان الميزان (٣/ ٣١٧/ت ـ ١٣٠٦)].
قلنا: والعجب من الحافظ ابن حجر إذ نقل كلام ابن عدي مبتوراً ولم يكمله وتمام كلام ابن عدي: وهذه الأسماء التي يذكرها البخاري ليس قصده فيه أنه

يضعف هذه الأسامي التي يذكرها وإنما قصده فيه أن يذكر كل من اسمه عبد الله ممن روىٰ المسند أو روىٰ عن التابعين أو عن الصحابة أو روى الحرف أو الحرفين فيعزّ وجود روايات هؤلاء.

[الكامل في ضعفاء الرجال (٤/ ٢٣٢/ت ١٠٥٤)].

٩٨ - عبد الله بن عون بن أرطبان.

ثقة ثبت فاضل من السادسة ع.

[التقريب (ت ٣٥٣٠)].

٩٩ - عبد الملك بن شيبان بن عبد الملك.

لم نجد له ترجمة.

١٠٠ - عبد الملك بن عمير اللخمي.

ثقة من الرابعة تغير حفظه وربما دلَّس أخرج له الستة [التقريب (٤٢١٤)].

١٠١ - عبد الملك بن قُريب (الأصمعي).

صدوق سني من التاسعة توفي ٢١٦ هـ وقد قارب التسعين في عهد المأمون وهو نحوي أخباري عاصر الرشيد، وقال الذهبي في ترجمته: الإمام الحافظ العلامة حجة الأدب لسان العرب أبو سعيد عبد الملك بن قريب.

[سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٧٥/ت ٣٢] [تقريب (٤٢١٩)].

١٠٢ - عبد الملك بن نوفل العامري.

ذكره ابن حبان في الثقات، وقال الحافظ: مقبول من الثالثة. [تقريب (ت ٤٢٢٦)].

روى عنه ابن عيينة. [الثقات (٧/ ١٠٧)].

١٠٣ - عبيد الله بن الحر الجعفي.

ترجم له ابن أبي حاتم وسكت عنه وذكره ابن حبان في الثقات، روى عنه سليمان ابن يسار وعمر بن حبيب.

[الثقات (٥/ ٦٦)، الجرح والتعديل (٥/ ٣١١) ت ١٤٧٩)].

١٠٤ - عثمان بن عبد الرحمن الحراني الطرائفي المؤدب.

روىٰ عنه أبو كريب، وأحمد بن سليمان الرهاوي وأبو شعيب السوس، وُثِّق [الكاشف (٢/ ١٠/ت ٣٧١٨)].

١٠٥ - عروة بن الزبير.
ثقة فقيه مشهور من الثالثة توفي ٩٤ هـ. ع.
[تقريب (ت ٤٥٧٧)].

١٠٦ - عفان بن مسلم.
قال أبو حاتم، ثقة متقن متين. وقال الذهبي: الحافظ الثبت. وقال ابن حجر: ثقة ثبت.
[تقريب (ت ٤٦٤١)، ميزان (ت ٥٦٧٨)، الجرح والتعديل (٣/ ٢/ ٣٠)].

١٠٧ - علي بن رباح اللخمي.
ثقة من كبار الثالثة أخرج له مسلم والأربعة.
[تقريب (ت ٤٧٣٢)].

١٠٨ - علي بن مجاهد الكابلي.
كذاب متروك من التاسعة.
[تقريب (ت ٤٧٩٠)، الجرح والتعديل (٦/ ٢٠٥)].

١٠٩ - علي بن محمد المدائني (أبو الحسن) الأخباري [١٣٢ - ٢٢٥ هـ].
قال الطبري: كان عالماً بأيام الناس صدوقاً في ذلك، وقال ابن معين: ثقة ثقة ثقة. وقال الذهبي: العلامة الحافظ الصادق الأخباري. وقال أيضاً: صدوق.
[سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٠١)، ميزان الاعتدال (٣/ ١٥٣)، تاريخ بغداد (١٢/ ٥٥)].

١١٠ - عمر بن بشير الهمداني [أبو هانىء].
ضعفه يحيى وقال ابن عمار: ضعيف، وذكره ابن الجوزي في الضعفاء (ت ٢٤٤١).
[لسان الميزان (٤/ ٢٨٧/ ٨٢٠)].
وقال أبو حاتم: ليس بالقوي يكتب حديثه وجابر الجعفي أحبُّ إليَّ منه.
[الجرح والتعديل (٦/ ١٠٠/ ت ٥١٨)].
قلنا: والغريب أن الأستاذ الفاضل خالد الغيث اكتفى بقوله: أورده ابن حبان في الثقات [مرويات خلافة معاوية (٥٨/ ت ٨٠)] ولم يذكر تضعيف الأئمة له ولو ذكره لكان ذلك أقوى حجة له عندما ناقش مسألة استلحاق معاوية نسب زياد بن سمية بأبيه فالأستاذ لم يعلق على سند رواية الطبري هناك.

أحمد بن زهير قال: حدثنا عبد الرحمن بن صالح قال: ثنا عمرو بن هشام عن عمر بن بشير الهمداني عن أبي إسحاق أن زياداً. . . الخبر [تاريخ الطبري (٥/ ٢١٥)].

ولكنه قال في صفحة ٣٧٦: أما اتهام معاوية رضي الله عنه باستلحاق نسب زياد فإني لم أقف على رواية صحيحة صريحة العبارة تؤكد ذلك [مرويات خلافة معاوية (ص ٣٧٦)]، وهذا فصل قيم من كتاب الأستاذ غيث ولكن لو ذكر تضعيف الأئمة لعمر بن بشير الهمداني لكان أفضل وأولىٰ في الحجة والله أعلم.

أضف إلى ذلك فإن في الإسناد عبد الرحمن بن صالح الأزدي الرافضي الذي عرف بوضعه روايات في مثالب الصحابة رضي الله عنهم وهذا ما ذكره الأستاذ غيث في المقدمة في فصل التراجم.

إضافة إلى عمرو بن هاشم وهو لين الحديث (كما ذكر الغيث أيضاً).

ورحم الله الحافظ ابن عدي فكم كان دقيقاً إذ قال في ترجمة عمرو بن هاشم هذا: وإذا حدث عن ضعيف كأن يكون فيه بعض الإنكار وهذا يعني أن هذا الإسناد مسلسل بالضعفاء.

ولو ذكر الأستاذ غيث ذلك لكان أقوى في حجته وجزاه الله خيراً.

١١١ ـ عمر بن شبه النميري [أبو زيد]: الأخباري النحوي.

نزيل بغداد صدوق له تصانيف من كبار الحادية عشرة. توفي سنة ٢٦٢ هـ. وقد جاوز التسعين [تقريب/ت ٤٩١٨] وقال ابن حبان: مستقيم الحديث وكان صاحب أدب وشعر وأخبار ومعرفة بتاريخ الناس [الثقات (٨/ ٤٤٦)].

١١٢ ـ عمر بن صالح الأزدي (أبو حفص) البصري.

يروي عن أبي حمزة قال النسائي: متروك الحديث، وقال البخاري: منكر الحديث [الضعفاء والمتروكين للنسائي (١/ ٨٣ ت ٤٦٥)] ميزان الاعتدال [(٥/ ٢٤٨/ ت ٦١٤٩)].

١١٣ ـ عمر بن قيس بن الماصر الكوفي.

وثقه أبو حاتم وجماعة كما قال الذهبي روىٰ عنه زائدة وابن عون وغيرهما.

وقال ابن حجر: صدوق ربما وهم ورمي بالإرجاء من السادسة.

[تقريب (ت ٤٩٥٨)، ميزان الاعتدال (٦١٩٥)].

١١٤ ـعمرو بن هاشم الكوفي (أبو مالك).

لين الحديث أفرط فيه ابن حبان ، قال ابن حجر: وقال ابن عدي: إذا حدث عن ثقة فهو صالح الحديث ، وإذا حدث عن ضعيف كان يكون فيه بعض الإنكار وهو صدوق إن شاء الله.

قلنا: وهو في تاريخ الطبري يروي عن عمر بن بشير الهمداني (ضعيف).

[تقريب التهذيب (ت ٥١٢٦) ، الكامل (ت ١٣٠٥)].

١١٥ ـعوانة بن الحكم الأخباري.

الضرير أحد الفقهاء له كتاب في التاريخ ، وكتاب سير معاوية وبني أمية وغير ذلك ، وكان صدوقاً في نقله [سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٠١/ ت ٧٨)].

وقال ابن حجر: الأخباري المشهور الكوفي ، وقال أيضاً: وهو كثير الرواية عن التابعين وأكثر المدايني عنه ، توفي سنة ١٤٧ هـ أو ١٥٧ هـ.

وقال ابن النديم من علماء الكوفيين راوية للأخبار عالم بالشعر والنسب.

[الفهرست (ص ١٠٣) ، لسان الميزان (٤/ ٣٨٦/ ت ١١٦٧)].

قلنا: ولقد عدّه شاكر مصطفى (الأستاذ) في كتابه التاريخ العربي والمؤرخون (١/ ١٢٦) من العلماء الذين شكلوا نواة مدرسة الشام التاريخية من جيل الأوزاعي وغيره.

وقال شاكر: ونحن ندين لعوانة هذا بتسمية علم التاريخ فهو صاحب أول كتاب تاريخي يحمل اسم [كتاب التاريخ] في الإسلام. [التاريخ العربي (١/ ١٢٨)].

١١٦ ـعوف بن أبي جميلة الأعرابي البصري.

ثقة رمي بالقدر وبالتشيع من السادسة توفي سنة ست أو سبع وأربعين وله ست وثمانون أخرج له الستة.

[تقريب/ (ت ٥٢١٥)].

١١٧ ـعيسى بن عاصم الأسدي الكوفي.

ثقة من السادسة. [تقريب (ت ٥٣٠٢)].

١١٨ ـعياش بن عبد الله الهمداني.

عن عمرو بن سلمة ما روىٰ عنه سوىٰ ولده عبد الله المسوف الأخباري الذي عاصر المنصور.

[لسان الميزان (ت ١١٨٤)، الجرح والتعديل (٧/ ٥/ ٢١)].

(غ)

١١٩ ـ غالب بن خطاف القطان.

وثقه النسائي وابن معين وابن حبان، وقال أبو حاتم: صدوق صالح، وقال ابن حجر: صدوق من السادسة.

[الكاشف (٢/ ٣٢١)، التقريب (ت ٥٣٦٣)].

١٢٠ ـ غالب بن سليمان العتكي (أبو صالح) الخراساني.

أصله من البصرة ثقة من السابعة [تقريب (ت ٥٣٤٧)].

١٢١ ـ غسان بن مضر الأزدي (أبو مضر) البصري.

ثقة من الثامنة توفي ١٨٤ هـ.

[ميزان الاعتدال (ت ٦٦٦٥)، تحرير التقريب (ت ٥٣٦٠)].

١٢٢ ـ غيلان بن محمد.

شيخ معمر بن المثنىٰ كما عند الطبري وهو كذلك عند البخاري إذ قال: حدثني يحيى بن محمد بن أعين حدثني أبو عبيدة معمر بن المثنى ثنا غيلان بن محمد اليافعي عن عبد الرحمن بن جوش.

[التاريخ الصغير (١/ ٩٣/ ت ٣٧٦)].

(ف)

١٢٣ ـ الفضل بن سويد.

قال أبو حاتم: ليس بالمشهور ولا أرىٰ بحديثه بأساً وذكره ابن حبان في الثقات وقال الحافظ: مقبول. وقال في اللسان: قواه أبو حاتم وقال: ليس بالمشهور ولا أرى بحديثه بأساً.

قلنا: ولو قال الحافظ لابأس به لكان أقرب في حق الفضل بن سويد هذا والله أعلم.

[اللسان (ت ٤٣٦٩) ، تقريب (ت ٥٤٠٤) ، الجرح والتعديل (٧/ ٣٠٦) ، الثقات (٧/ ٣١٨)].

١٢٤ ـ الفضل بن عطية بن عمرو المروزي.

صدوق ربما وهم من السادسة.

[التقريب (ت ٥٤٠٩)].

١٢٥ ـ فضيل بن خديج.

روىٰ عنه أبو مخنف ، وقال أبو حاتم: جهول روىٰ عنه رجل متروك الحديث.

[الجرح والتعديل (٧/ ٧٢)].

١٢٦ ـ فليح بن سليمان الأسلمي الخزاعي (أبو يحيىٰ) المدني.

ويقال: فليح لقب واسمه عبد الملك ، صدوق كثير الخطأ من السابعة أخرج له الستة. وقال ابن عدي: يروي عن سائر الشيوخ من أهل المدينة مثل أبي النضر وغيره ، أحاديثه مستقيمة وغرائب وقد اعتمده البخاري في صحيحه وروى عنه الكثير وقد روىٰ عنه زيد بن أبي أنيسة وهو عندي لابأس به.

[الكامل في الضعفاء (ت ١٥٧٥)].

١٢٧ ـ فيل مولىٰ زياد بن أبيه.

ترجم له ابن أبي حاتم وذكر عنه راويين (حماد بن زيد ومحمد بن الزبير].

[الجرح والتعديل (٧/ ٧٢/ ٥٠٩)].

(ق)

١٢٨ ـ قبيصة بن جابر الأسدي (أبو العلاء) الكوفي.

ثقة من الثانية مخضرم توفي سنة ٦٩ هـ.

[تقريب / (ت ٥٥١٠)].

(ك)

١٢٩ ـ كثير بن زياد البرساني (أبو سهل) بصري.

نزل بلخ ثقة من السادسة.

[التقريب / (ت ٥٦١٠)].

(ل)

١٣٠ ـ لبطة بن الفرزدق (أبو غالب المجاشعي).

ذكره ابن حبان في الثقات وقال: روىٰ عنه سفيان بن عيينة والقاسم بن الفضل وقال الحافظ في اللسان في ترجمة أبيه الفرزدق ـ: ذكر ابن حبان في الثقات ابنه لبطة بن الفرزدق فقال: يروي عن أبيه وترجم له البخاري وسكت عنه [التاريخ الكبير (٤/ ١/ ٢٥١) ت ١٠٧٠] ، الثقات (٧/ ٣٦١) ، لسان الميزان (ت ١٣٢٣)].

(م)

١٣١ ـ مبارك بن فضالة. (خت د ت ق).

صدوق يدلس ويسوي من السادسة توفي سنة ١٦٦ هـ. ذكره ابن حبان في الثقات وقال: روىٰ عنه ابن المبارك ووكيع وكان يخطىء.

[تقريب (ت ٦٤٦٤) ، الثقات (٧/ ٥٠٢)].

١٣٢ ـ مجالد بن سعيد الهمداني (أبو عمرو) الكوفي.

ليس بالقوي وقد تغير في آخر عمره روىٰ له مسلم مقروناً بغيره ، وقال في اللسان: ضعفه ابن معين ، وقال النسائي: ليس بالقوي وقال مرة: ثقة ، توفي ١٤٤ هـ أخرج له الأربعة وقال الذهبي: مشهور صاحب حديث على لين فيه ، وقال: الهيثمي في المجمع: تكلم فيه ووثق.

[لسان الميزان (ت ٥٢٨٦) ، تحرير التقريب (ت ٦٤٧٨) ، ميزان الاعتدال (ت ٧٠٧٥)].

١٣٣ ـ محارب الزيادي (أبو مسلمة بن محارب).

ترجم له ابن أبي حاتم وقال: روىٰ عن معاوية ، روىٰ عنه ابن مسلمة وسكت عنه ، وذكره ابن حبان في الثقات (٥/ ٤٥٢) [الجرح والتعديل (٤/ت ١٩٠٠)].

١٣٤ ـ محل بن خليفة الكوفي.

ثقة من الرابعة أخرج له البخاري والنسائي وغيرهما.

[تقريب (ت ٦٥٠٨)].

١٣٥ - محمد بن أبان الطحان الواسطي.

صدوق تكلم فيه من العاشرة، أخرج له البخاري توفي ٢٣٨ هـ وقال أبو حاتم: ليس هو بقوي الحديث يكتب حديثه وضعفه ابن معين، وقال الذهبي: محدث شهير، وقال الأزدي: ليس بذاك، وقال ابن حبان في الثقات: ربما أخطأ وكان أسند من بقي بواسط، روىٰ عنه أبو يعلى الموصلي والباغندي.

[ميزان الاعتدال (ت ٧١٣٣)، تقريب التهذيب (ت ٥٦٨٨)، من روىٰ عنهم البخاري في الصحيح (٢٠٧)، الثقات (٩/ ٨٧)].

١٣٦ - محمد بن إبراهيم بن أبي عدي.

وثقه النسائي وابن سعد وأبو حاتم وابن حبان وروى له الجماعة.

[الجرح والتعديل (٣/ ٢/ ١٨٦)، تهذيب الكمال (ت ٥٦٢٩)، الثقات (٧/ ٤٤٠)].

١٣٧ - محمد بن إسحاق بن يسار.

إمام في المغازي نزيل العراق صدوق يدلس ورمي بالتشيع والقدر من صغار الخامسة مات سنة ١٥٠ هـ. م ٤. هذا قول الحافظ ابن حجر.

وخلاصة القول فيه: أنه حسن الحديث إذا صرح بالتحديث ولم يعنعن والله أعلم.

[تقريب التهذيب (٥٧٤٣)].

١٣٨ - محمد بن حفص التميمي.

ترجم له ابن أبي حاتم، وسكت عنه، وذكره ابن حبان في الثقات (٩/ ٦٢).

[الجرح والتعديل (٧/ ٢٣٦/ ت ١٢٩٦)].

١٣٩ - محمد بن حميد الرازي.

شيخ الطبري في التاريخ والتفسير، وثقه أحمد وابن معين وأبو زرعة في رواية منه، وقال أحمد: أما حديثه عن المبارك وجرير فهو صحيح، وأما حديثه عن أهل الري فهو أعلم.. وضعفه جمهور المحدثين كالبخاري والنسائي ويعقوب بن شيبة وقال: كثير المناكير واتهمه النسائي وغيره بالكذب، وقال الترمذي: كان محمد (أي: البخاري) حسن الرأي فيه ثم ضعفه بعد.

وقال ابن حجر في التقريب: حافظ ضعيف.

[التاريخ الكبير (١/ ١٦٧) ، الجرح والتعديل (٧/ت ١٢٧٥) ، تهذيب الكمال (٢٥/ ت ٦١٦٧) تحرير التقريب (٣/ ت ٥٨٣٤).

١٤٠ ـ محمد بن الزبير الحنظلي البصري.

متروك من السادسة. [التقريب/ ت ٥٨٨٥].

١٤١ ـ محمد بن السائب بن أبي النضر الكوفي الكلبي.

النسابة ، المفسر متهم بالكذب ، ورمي بالرفض من السادسة توفي ١٤٦ هـ. [التقريب (ت ٥٩١)].

١٤٢ ـ محمد بن سعد بن رفيع.

نزيل بغداد كاتب الواقدي. قال الخطيب: البغدادي ومحمد بن سعد عندنا من أهل العدالة وحديثه يدل على صدقه فإنه يتحرىٰ في كثير رواياته ، وقال ابن أبي حاتم: سألت أبي عنه فقال: يصدق ، وقال ابن حجر: صدوق فاضل من العاشرة توفي ٢٣٠ هـ وهو ابن اثنتين وستين.

[التقريب (ت ٥٩٠٣) ، تاريخ بغداد (٥/ ٣٢١) ، الجرح والتعديل (٣/ ٢/ ٢٦٢)].

١٤٣ ـ محمد بن سلام الجمحي.

شيخ ابن شبة ، من أئمة الأدب ، قال صالح بن جرزة: صدوق ، وقال أبو خيثمة: لا يكتب عنه الحديث إنما يكتب عنه الشعر ، توفي ٢٣١ هـ.

[لسان الميزان / ت ٧٤٧٩].

١٤٤ ـ محمد بن سليم أبو هلال العبدي البصري.

النازل في راسب ، وثقه أبو داود ، وقال أبو حاتم: محله الصدق ، ليس بذاك المتين ، وقال النسائي: ليس بالقوي ، وقال ابن معين: صدوق يرمىٰ بالقدر ، وقال ابن حبان: والذي أميل إليه في أبي هلال الراسبي: ترك ما انفرد به من الأخبار التي خالف فيها الثقات والاحتجاج بما وافق الثقات وقبول ما انفرد من الروايات التي لم يخالف فيها الأثبات التي ليس فيها مناكير.

وقال الحافظ في التقريب: صدوق فيه لين من السادسة.

قلنا: والقول ما قاله ابن حبان فيه والله أعلم.

[تقريب التهذيب (ت ٥٩٢٣) ، الكامل (٦/ت ١٦٨٥) ، المجروحين (٢/ ٢٨٣) ، الميزان (ت ٧٦٥٢)].

١٤٥ ـ محمد بن طلحة بن مصرف.

ذكره ابن حبان في الثقات، وقال: كان يخطىء، توفي ١٧٦ هـ.

[الثقات (٧/ ٣٨٨)].

١٤٦ ـ محمد بن عبد الرحمن بن مغيرة بن أبي ذئب القرشي.

ثقة فقيه فاضل من السابعة توفي ١٥٨ هـ. أخرج له الستة.

[التقريب (ت ٦٠٨٢)].

١٤٧ ـ محمد بن عمر الواقدي.

قاضي بغداد، توفي سنة ٢٠٧ هـ. قال البخاري: سكتوا عنه تركه أحمد وابن نمير وقال أحمد: هو كذاب، وقال ابن عدي: ومتون أخبار الواقدي غير محفوظة.

وقال النسائي: متروك الحديث. وقال ابن حجر: متروك مع سعة علمه.

[التقريب (ت ٦١٧٥)، الكبير (١/ ١/ ١٧٨)، الكامل (٦/ ٢٤١/ ١٧١٩)، تهذيب الكمال (٢٦/ ت ٦١٠١)، الضعفاء والمتروكين (٢١٧/ ت ٥٥٧).

١٤٨ ـ محمد بن أبي عيينة.

ذكره ابن حبان في الثقات وقال كان شاعراً هجاءً يروي الحكايات، ليس من أهل العلم الذي يرجع إلى روايته.

وترجم له ابن أبي حاتم وسكت عنه.

[الثقات (٧/ ٤١٨)، الجرح والتعديل (٨/ ت ٩٤).

١٤٩ ـ محمد بن الفضل بن عطية العبدي.

نزيل بخارىٰ كذبوه حتى الثامنة توفي ١٨٠هـ. أخرج له الترمذي وابن ماجه.

[التقريب (ت ٦٢٢٥)].

١٥٠ ـ محمد بن المثنىٰ أبو موسىٰ.

أخرج له الستة. توفي سنة ٢٥٢ هـ، وثقه ابن معين، وقال الذهلي: حجة.

وقال أبو عروبة الحراني: ما رأيت بالبصرة أثبت من أبي موسى ويحيىٰ بن حكيم، وقال الخطيب: كان ثقة ثبتاً احتج سائر الأئمة بحديثه.

[تهذيب الكمال (٢٦/ ت ٦١٧٩)، الجرح والتعديل (٤/ ١/ ٩٥)، تاريخ بغداد (٣/ ٢٨٦)].

١٥١ ـ محمد بن مخنف.
عن علي رضي الله عنه ، مجهول.
[لسان الميزان (ت ١٢٢٠)].
١٥٢ ـ محمد بن مسلم بن شهاب الزهري.
الحافظ متفق على جلالته وإتقانه وهو من رؤوس الطبقة الرابعة توفي ١٢٥ هـ ، وقيل قبل ذلك. أخرج له الستة. [التقريب (ت ٦٢٩٦)].
قلنا: ولقد دخل الزهري على الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان بعد وفاة الخليفة عبد الله بن الزبير ، وعاصر عبد الملك ومن بعده وأشار عليهم ونصحهم ، وآخر من جاور من الخلفاء أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك ذلك الخليفة الحازم رحمه الله تعالى.
١٥٣ ـ محمد بن يحيىٰ (أبو غسان) المدني الكناني.
ثقة. لم يصب السليماني في تضعيفه من العاشرة خ.
[التقريب / (ت ٦٣٩٠)].
١٥٤ ـ مخلد بن الحسين المهلبي الأزدي.
ثقة من كبار التاسعة توفي سنة ٢٩١ هـ.
[التقريب (ت ٦٥٣٠)].
١٥٥ ـ مزاحم بن زفر بن الحارث.
الذي قاتل مع قتيبة فيما وراء النهر ، وثقه ابن معين ، وقال ابن حبان: كان من خير الرجال كان غازياً مع قتيبة بن مسلم.
[الثقات (٧/ ٥١١) ، الجرح والتعديل (٨/ ٤٠٥)].
١٥٦ ـ مسلم بن عبد الرحمن الجرمي.
ترجم له ابن أبي حاتم وسكت عنه.
[الجرح والتعديل (٨/ ١٨٨)].
١٥٧ ـ مسلم العجلي.
له ترجمة في التاريخ الكبير (٤/ ١/ ٢٦٩) ، وذكره ابن حبان في الثقات (٥/ ٣٩٨).
١٥٨ ـ مسلمة بن محارب الزيادي.
شيخ المدائني الذي أكثر عنه في تاريخ الخلافة أيام بني أمية ، وترجم له ابن

أبي حاتم وسكت عنه ، وذكره ابن حبان في الثقات .
[الجرح والتعديل (٨/ ٢٦٦) ، الثقات (٧/ ٤٩٠)] .
قلت (البرزنجي) : وكان يحزُّ في نفسي أن أرىٰ كثيراً من روايات الطبري وغيره من طريق المدائني عن مسلمة بن محارب هذا ولم أجد من يزكيه فيما بين أيدينا من المصادر ، وحتى الدراسات الجامعية في التاريخ الإسلامي اكتفى أصحابها بقولهم : [ذكره ابن حبان في الثقات] ، حتى فتح الله عليَّ في ليلة من ليالي القدر المبارك وأنا أقرأ كلاماً للحافظ الذهبي وهو يتحدث عن أخباري غير ثقة فنقل أثناء ترجمته كلاماً أظنه للحافظ المزي رحمه الله فيه توثيق لروايات مسلمة بن محارب في التاريخ إذ قال الذهبي :
غمزهم الحافظ ثم قال : من أراد الأخبار فليأخذها من مثل قتادة وأبي عمرو بن العلاء ـ ثم سرد أسماءهم إلى أن قال ـ : وأبي عبيدة ، ومسلمة بن المحارب ، وخلاد بن زيد . . إلخ فإنهم مأمونون .
[ميزان الاعتدال (ت ٦٩٨٨)] .
وهذا الكلام والتوثيق بالنسبة لنا يعدل ذهباً وجزى الله الذهبي عنّا خير الجزاء .
١٥٩ ـ مصعب بن حيان النبطي (أخو مقاتل) البلخي .
ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال الحافظ : لين الحديث ، وقال في تهذيب التهذيب : صدوق فاضل أخطأ الأزدي في زعمه أن وكيعاً كذبه وإنما كذب الذي بعده . [تهذيب التهذيب (١٠/ ١٤٥/ ت ٣٠٥) ، التقريب (ت ٦٦٨٧) ، الثقات (٧/ ٤٧٩)] .
١٦٠ ـ معاوية بن قرة .
ثقة أخرج له الستة .
[تهذيب الكمال (ت ٦٦٥٧)] .
١٦١ ـ معبد بن خالد الجدلي .
ثقة عابد من الثالثة توفي سنة ١١٣ هـ .
[التقريب (ت ٦٧٧٤)] .
١٦٢ ـ معمر بن راشد البصري الأزدي أبو عروة .
نزيل اليمن ثقة ثبت فاضل من كبار السابعة توفي ١٥٤ هـ . ع .
[التقريب (ت ٦٨٠٩)] .

١٦٣ - المفضل بن فضالة بن عبيد بن ثمامة القتباني (أبو معاوية).

القاضي المصري. ثقة فاضل أخطأ ابن سعد في تضعيفه من الثامنة توفي ١٨١ هـ. ع.

[التقريب (ت ٦٨٥٨)].

١٦٤ - المفضل بن محمد الضبي.

قال أبو حاتم: متروك الحديث والقراءة، وقال الخطيب: كان أخبارياً كلامه موثقاً.

[لسان الميزان (٦/ ٨١)].

١٦٥ - المفضل بن مهلب الضبي.

تابعي ذكره ابن حبان في الثقات.

[٥/ ٤٣٦/ت ٥٥٨٥] [لسان الميزان (ت ٨٥٩٧)].

١٦٦ - مقاتل بن حيان النبطي.

ضعفه ابن خزيمة، وقال النسائي: ليس به بأس، وقال الدارقطني: صالح الحديث ووثقه أبو داود وابن معين. وقال ابن حجر: صدوق فاضل.

[ميزان الاعتدال (ت ٨٧٤٥)، إكمال تهذيب الكمال (ت ٤٧٢٢)].

١٦٧ - موسى بن عبد الرحمن بن سعيد المسروفي (أبو عيسى) الكوفي.

ثقة من كبار الحادية عشرة. توفي ٢٥٨ هـ.

[التقريب (ت ٦٩٨٧)].

١٦٨ - ميمون بن مهران الجزري (أبو أيوب) الكوفي.

نزل الرقة، ثقة فقيه من الرابعة، توفي ١١٧ هـ وكان يرسل: [التقريب (ت ٧٠٩٨)].

(ن)

١٦٩ - النضر بن صالح بن حبيب العبسي (أبو زهير).

يروي عن سنان بن مالك، روىٰ عنه أبو مخنف، قال أبو حاتم: النضر وسنان مجهولان.

[الجرح والتعديل (٨/ ٤٧٧)].

١٧٠ - نوح بن قيس بن رباح الأزدي (أبو روح).
صدوق رمي بالتشيع من الثامنة.
[التقريب (ت ٧٢٥٨)].

(هـ)

١٧١ - هارون بن عيسىٰ.
لم يبين الطبري كنيته ولا نسبه ولا لقبه.
والذي في كتب التراجم بهذا الاسم اثنان:
أ ـ هارون بن عيسىٰ الهاشمي الذي قال فيه الدارقطني: ليس بالقوي. [لسان الميزان (ت ٨٩٤٢)].
ب ـ والآخر هارون بن عيسى بن هليل له عند الطبراني حديث واحد [المعجم الصغير للطبراني (ح ١٢٢٥)].
[توضيح المشتبه (٨/ ٢٦٦)].

١٧٢ - هشام بن حسان الأزدي (أبو عبد الله البصري).
قال ابن المديني: كان يحيى وكبار أصحابنا يثبتون هشام بن حسان، وكان يحيى يضعف حديثه عن عطاء، وثقه ابن سعد وابن معين. وقال مرة أخرىٰ: لابأس به، وقال الذهبي: هشام بن قفز القنطرة واستقر توثيقه، واحتج به أصحاب الصحاح. وله أوهام في بحر ما روىٰ.
[سير أعلام النبلاء (٦/ ٣٦٢)، تهذيب الكمال (٣٠/ ٩٠/ ت ٧١٧٢)].

١٧٣ - هشام بن سعد المدني (أبو عباد).
صدوق له أوهام ورمي بالتشيع، من كبار السابعة.
وقال مغلطاي: ذكره العقيلي وأبو العرب وابن الجارود وابن السكن والفسوي وأبو بشر الدولابي في جملة الضعفاء.
وقال ابن معين: ضعيف وحديث مختلط.
قلنا: والذي يراجع أقوال العلماء فيه كما ذكرها العلامة مغلطاي يتبين له أنه إلى الضعف أقرب منه إلى الصدق. والله أعلم.
[إكمال تهذيب الكمال (١٢/ت ٤٩٤٧)، تقريب التهذيب (ت ٧٣٢٠)].

١٧٤ ـ هشام بن محمد بن السائب الكلبي (أبو المنذر).

قال الدارقطني: متروك، وقال ابن عساكر: رافضي ليس بثقة، وقال ابن معين: غير ثقة وليس عن مثله يروى الحديث، وقال ابن حبان: يروي عن أبيه، ومعروف مولىٰ سليمان، والعراقيين العجائب والأخبار التي لا أصول لها.

وقال أيضاً: وكان غالياً في التشيع أخباره في الأغلوطات أشهر من أن تحتاج إلى الإغراق في وصفها.

وقال الذهبي: تركوه كأبيه وكانا رافضيين.

[لسان الميزان (٦/ ١٩٦)، ميزان الاعتدال (٤/ ٣٠٤)، المجروحين (٣/ ٩١)].

١٧٥ ـ الهلواث الكلبي المدائني (أبو الربيع).

الذي يروي عن سعيد بن جبير، وعنه الثوري، فقد ترجم له ابن أبي حاتم وسكت عنه.

[الجرح والتعديل (٩/ ١٢٢/ ت ٥١٨)].

١٧٦ ـ همام بن غالب (الفرزدق).

الشاعر التميمي، ولد في خلافة سيدنا عمر، وتوفي سنة ١١٠ هـ ضعفه ابن حبان وقال: كان قذافاً للمحصنات فيجب مجانبة روايته.

[لسان الميزان (٤/ ٤٣٣)].

١٧٧ ـ همام بن منبه الصنعاني.

ثقة من الرابعة، توفي سنة (١٣٢) هـ على الصحيح.

[التقريب (ت ٧٣٦٧)].

١٧٨ ـ الهيثم بن عدي الطائي.

قال البخاري: ليس بثقة، كان يكذب، وقال كذلك: سكتوا عنه، وقال أبو حاتم: متروك الحديث محله محل الواقدي، وقال أبو داود: كذاب، وكذلك قال العجلي. [تاريخ الثقات (/ ٤٦٢/ت ١٧٥٧)، الجرح والتعديل (٤/ ٢/ ٨٥)، التاريخ الكبير (٤/ ٢/ ٢١٨)، لسان الميزان (٧/ ٢٩٦/ ت ٩٠٥٦)].

(و)

١٧٩ ـ الوليد بن هشام القحذمي.

ذكره ابن حبان في الثقات كما قال ابن حجر. وقال الذهبي في الميزان: ثقة وفرّق بينه وبين الوليد بن هشام بن الوليد المجهول.

[ميزان الاعتدال (ت ٩٤١٥)، لسان الميزان (٦/ ٨١٠)].

١٨٠ ـ وهب بن جرير بن حازم (أبو العباس البصري) الأزدي.

وثقه ابن معين، وقال أبو حاتم: صدوق، وقال ابن حجر: ثقة من التاسعة أخرج له الستة، وقال الذهبي: ثقة حافظ حديثه في الكتب ضعّف في شعبة.

[الرواة الثقات المتكلم فيهم بما لا يوجب الرد (/١٨٨/ ت ٨٤)].

(ي)

١٨١ ـ يحيىٰ بن زكريا (ابن أبي زائدة) الهمداني.

وثقه أحمد وغيره وقال أبو حاتم: صدوق ثقة توفي ١٨٠ هـ.

وقال ابن حجر: ثقة متقن من كبار التاسعة ع.

[الجرح والتعديل (٩/ ت ٦٠٩)، التقريب (ت ٧٥٧٥)].

١٨٢ ـ يزيد بن أبي حبيب المصري.

ثقة فقيه، وكان يرسل، من الخامسة، توفي ١٢٨ هـ وقد قارب الثمانين. ع.

[التقريب (ت ٧٧٢٩)].

١٨٣ ـ يعقوب بن إبراهيم الدورقي.

قال الخطيب: كان حافظاً متقناً صنف المسند ووثقه ابن حبان والنسائي وقال أبو حاتم: صدوق.

[تهذيب الكمال (٣٢/ ٣١٣/ ت ٧٦٨٣)، ثقات ابن حبان (٩/ ٢٨٦)، الجرح والتعديل (٤/ ٢/ ٢٠٢)].

١٨٤ ـ يونس بن يزيد بن أبي النجّاد الأيلي.

ثقة إلا أن في روايته عن الزهري وهماً قليلاً، وفي غير الزهري خطأ. من كبار السابعة. ع.

[التقريب (ت ٧٩٤٨)].

* * *

الكنىٰ

(أ)

١٨٥ ـ أبو إسحاق السبيعي (عمرو بن عبد الله الهمداني).
ثقة مكثر عابد، من الثالثة، اختلط بأخرة، مات سنة ١٢٩هـ، وقيل قبل ذلك. ع. [التقريب (ت ٥٠٦٥)].

(ب)

١٨٦ ـ أبو بردة بن أبي موسىٰ الأشعري.
ثقة من الثالثة. توفي ١٠٤ هـ، وقد جاوز الثمانين. ع.
[التقريب (ت ٧٩٨١)].

١٨٧ ـ أبو بكر بن أبي سبرة.
رموه بالوضع، وقال مصعب الزبيري: كان عالماً، من السابعة.
[تحرير التقريب (٧٩٧٣)، التقريب (ت ٨٠٠٢)].

١٨٨ ـ أبو بكر بن عياش الكوفي المقرىء.
ثقة عابد إلاَّ أنه لما كبر ساء حفظه وكتابه صحيح، من السابعة توفي ١٩٤ هـ.
وقد قارب المئة، روايته في مقدمة مسلم.
وقال الذهبي: أحد الأئمة الأعلام صدوق ثبت في القراءة لكنه في الحديث يغلط ويهم، وقد أخرج له البخاري وهو صالح الحديث.
[ميزان الاعتدال (ت ١٠٠١٦)، التقريب (ت ٨٠٤٢)].

١٨٩ ـ أبو بكر الهذلي.
أخباري متروك الحديث من السادسة، توفي سنة ١٦٧ هـ.
[التقريب (ت ٨٠٣١)].

(ح)

١٩٠ - أبو حفص الأزدي (عمر بن صالح).
الذي حدث عن أبي جمرة نصر بن عمران بموضوعات، كناه سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي والبخاري.
[إكمال تهذيب الكمال (ت ١٧٥٢)].

(س)

١٩١ - أبو السري (الأزدي، الأودي) ثابت بن زيد.
روى عنه يحيىٰ بن سعيد القطان.
قال أحمد: ليس بشيء، وقال ابن معين: ليس بالقوي، وقال النسائي: ليس به بأس، وذكره ابن حبان في جملة الثقات، وقال: روىٰ عنه يحيىٰ بن سعيد القطان، وقال ابن حجر: ضعيف من الثامنة. وقال الذهبي: أبو السري الأزدي لين.
[المقتنىٰ في سرد الكنىٰ (١/٢٩٨/ت ٢٤٨٠)، إكمال تهذيب الكمال (ت ٨٧١)، التقريب (ت ٨٣٥)].
وأما أبو السري؛ الذي هو هناد بن السري فثقة من العاشرة.
[التقريب (ت ٧٣٤٦)].
١٩٢ - أبو السوار العدوي البصري (حسان بن حديث) أو حريف.
ثقة من الثانية خ م س.
[التقريب (ت ٨١٨٧)].

(ص)

١٩٣ - أبو صادق الأزدي.
قال الحافظ: صدوق، وحديثه عن علي مرسل، من الرابعة، أخرج له النسائي وابن ماجه، وقال الذهبي في الكاشف: وُثق.
[التقريب (ت ٨٢٠٣)، الكاشف (٣/٣٠٧/ت ٢٢٠)].
١٩٤ - أبو صفوان (عبد الله بن سعيد الأموي).

روىٰ عنه أحمد بن حنبل ، وزهير بن حرب ، وابن المديني ، روى عن سعيد بن عبد الملك بن مروان ، وثقه ابن حبان والدارقطني وابن معين.

[تهذيب الكمال (ت ٣٢٠٦)].

(ع)

١٩٥ ـ أبو عبيد (القاسم بن سلام) البغدادي.

الإمام المشهور ثقة فاضل مصنف من العاشرة ، توفي ٢٢٤ هـ.

[التقريب (ت ٥٤٩٧)].

١٩٦ ـ أبو عبيدة (معمر بن المثنىٰ).

صدوق أخباري رمي برأي الخوارج ، من السابعة ، توفي سنة ٢٠٨ هـ وقد قارب المئة.

[التقريب (ت ٦٨١٢)].

١٩٧ ـ أبو عمرو المدني.

لم ندر من هو.

وقال الأستاذ محمد خالد الغيث: لعلّه سعيد بن سلمة بن أبي الحسام. صدوق. صحيح الكتاب يخطئ من حفظه.

[انظر مرويات خلافة معاوية (ص ٥٢/ ت ٤١) والله أعلم.

١٩٨ ـ أبو العلاء التميمي.

لعله أيوب بن أبي مسكين ، يروي عن سعيد المقبري ، وعبد الله بن شيبة.

يروي عنه يزيد بن هارون.

وثقه غير واحد (مسلم والنسائي وابن سعد وأحمد) وقال أبو حاتم: لابأس به شيخ صالح يكتب حديثه ولا يحتج به.

وقال الحافظ: صدوق له أوهام. والذي عند الطبري أبو العلاء التيمي ، والله أعلم.

[إكمال تهذيب الكمال (ت ٦٢٤) ، تحرير التقريب (ت ٦٢٣) ، التقريب (ت ٦٢٤)].

١٩٩ - أبو عوانة (وضاح بن عبد الله اليشكري).
ثقة ثبت من السابعة. ع. وقال الذهبي: مجمع على ثقته.
[التقريب (ت ٧٤٣٤)، الميزان (ت ٩٣٥٠)].

(غ)

٢٠٠ - أبو غسان (مالك بن إسماعيل) النهدي.
ثقة صحيح الكتاب من صغار التاسعة. توفي ١٢٧ هـ.
وقال ابن عدي: وهو في نفسه صدوق، وإذا حدّث عن صدوق مثله أو حدث عنه صدوق فلا بأس به وبحديثه.
[الكامل (ت ٢١٣٦)، تحرير التقريب (ت ٦٣٢٤)].

(م)

٢٠١ - أبو محمد الأموي.
لم يبين الطبري من هو.
وقال الأستاذ محمد الغيث: لعله إسماعيل بن عمرو بن سعيد بن العاص، تابعي ثقة توفي في المدينة في أول خلافة بني العباس.
[مرويات خلافة معاوية (ص ٦١)].
٢٠٢ - أبو محمد الثقفي.
إن كان هارون بن أبي إبراهيم الذي يروي عن عمر بن عبد العزيز: وعنه وكيع وأبو نعيم، فقد وثقه أحمد وابن معين وأبو حاتم.
[الجرح والتعديل (٩/ ٩٦)، تهذيب الكمال (ت ٦٥٣٤)].
وإلاّ فلا ندري من هو.
٢٠٣ - أبو مخنف (لوط بن يحيىٰ).
قال أبو حاتم: متروك. وقال الدارقطني: أخباري ضعيف، وقال ابن عدي: شيعي محترق صاحب أخبارهم، وقال الذّهبي: ساقط، وقال أيضاً: أخباري تالف لا يوثق به.
[الجرح والتعديل (٧/ ١٨٢)، المغني في الضعفاء (ت ٥١٢١)، لسان

الميزان (٤/ ٤٩٢) ميزان الاعتدال (٣/ ٤١٩) ، سير أعلام النبلاء (٧/ ٣٠١/ ت ٩٤)].

٢٠٤ ـ أبو معاوية (محمد بن خازم).

ثقة ، من السابعة أحفظ الناس لحديث الأعمش ، وقد يهم في غيره ، وقال ابن خراش: صدوق ، وهو في الأعمش ثقة ، وفي غيره اضطراب ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال: كان حافظاً متقناً.

[الثقات (٧/ ٢٤١) ، تاريخ الخطيب (٥/ ٢٤٨) ، العلل ومعرفة الرجال (١/ ٥٤١/ ت ١٢٨١). التقريب (ت ٥٨٥٩)].

٢٠٥ ـ أبو معشر (نجيح بن عبد الرحمن السندي).

قال ابن أبي حاتم: سمعت أبي ـ وذكر مغازي أبي معشر فقال ـ: كان أحمد بن حنبل يرضاه ويقول: كان بصيراً بالمغازي وقد تحدث الناس عن حديثه في المغازي ـ هشام ونافع وابن المنذر ـ وقال أبو زرعة: كان حافظاً كيساً وحدث عنه عبد الرحمن بن مهدي.

وقال الحافظ: ضعيف من السادسة أسنَّ واختلط ، توفي ١٧٠ هـ أخرج له الأربعة.

[التقريب (ت ٧١٢٦) ، تهذيب الكمال (ت ٦٣٨٦)].

(ن)

٢٠٦ ـ أبو نعامة العدوي (عمرو بن عيسى البصري).

قال الحافظ في التقريب: صدوق اختلط.

فعقب الشيخان المحرران (شعيب وبشار) بقولهما (في تحرير التقريب): ضعفه ابن سعد وحده ، ولم يصفه أحد بالاختلاط قبل موته غير أحمد لذا مرَّضه الذهبي بقوله: قيل تغيّر بأخرة. ا هـ.

قلنا: والذي في ميزان الاعتدال: وروىٰ الأثرم عن أحمد: ثقة لكنه اختلط قبل موته ولم نجد صيغة التمريض في الميزان ولا في الكاشف فلعله في موضع آخر. والله أعلم.

وأما التضعيف فهو كما قالا: لم يضعفه سوى ابن سعد والله أعلم.

وقال العلامة مغلطاي: خرج أبو عوانة حديثه في صحيحه وكذلك الدارمي

وابن الجارود والحاكم ، وذكره ابن شاهين وابن خلفون في الثقات ، وضعفه ابن سعد .

ويبدو أن المحررين (شعيب وبشار) استندا إلى شرح مغلطاي ، وقولهما أصوب من قول الحافظ في هذه الترجمة ، والله أعلم .

[إكمال تهذيب الكمال (ت ٤١٦٠) ، التقريب (ت ٥١٠٥) ، تحرير التقريب (ت ٥٠٨٩).

الأبناء

٢٠٧ - ابن جعدبة .

يزيد بن عياض بن جعدبة الليثي أبو الحكم المدني ، انتقل إلى البصرة ومات بها في زمن المهدي .

وقال أبو حاتم والبخاري ومسلم : منكر الحديث ، وقال النسائي : كذاب .

[تهذيب الكمال (ت ٧٠٣٥)] .

الألقاب

٢٠٨ - الأشجعي (عبيد الله بن عبيد الرحمن)

ثقة مأمون من أثبت الناس كتاباً في الثوري ، من كبار التاسعة .

[التقريب (ت ٤٣٤٧)] .

٢٠٩ - الهذلي .

هو أبو بكر الهذلي الأخباري المتروك (انظر رقم ١٨٩) .

* * *

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[مقدمة الطبري]

الحمد لله الأوّلِ قبل كلِّ أوّل ، والآخِرِ بعد كلّ آخر ، [والدائم بلا زوال] ، والقائم على كلّ شيء بغير انتقال ، والخالقِ خلقَه من غير أصلٍ ولا مثال؛ فهو الفردُ الواحد من غير عدد؛ وهو الباقي بعد كلّ أحد ، إلىٰ غير نهاية ولا أمَد. له الكبرياءُ والعظمة ، والبهاء والعزة ، والسلطانُ والقدرة ، تعالىٰ عن أن يكونَ له شريك في سلطانه أو في وحدانيته نديد ، أو في تدبيره مُعين أو ظهير ، أو أن يكونَ له ولد ، أو صاحبة أو كُفء أحد ، لا تحيط به الأوهام ، ولا تحويه الأقطار ، ولا تدركه الأبصار ، [وهو يدرك الأبصار] ، وهو اللطيف الخبير.

أحمَده على آلائه ، وأشكره علىٰ نعمائه ، حمدَ مَنْ أفرده بالحمد ، وشكرَ مَنْ رجا بالشكر منه المزيد ، وأستهديه من القول والعمل لما يقرّبني منه ويرضيه ، وأومنُ به إيمانَ مخلص له التوحيد ، ومفرد له التمجيد.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنّ محمداً عبده النجيب ، ورسوله الأمين ، اصطفاه لرسالته ، وابتعثه بوَحيه ، داعياً خَلْقه إلى عبادته؛ فصدَع بأمره ، وجاهدَ في سبيله ، ونصَح لأمته ، وعبدَه حتىٰ أتاه اليقين من عنده ، غيرَ مقصّر في بلاغ ، ولا وانٍ في جهاد؛ صلىٰ الله عليه أفضلَ صلاة وأزكاها ، وسلّم.

أما بعد ، فإنّ الله جلّ جلاله ، وتقدست أسماؤه ، خلقَ خلْقه من غير ضرورة كانت به إلى خلْقهم ، وأنشأهم من غير حاجة كانت به إلى إنشائهم ، بل خلق من خصّه منهم بأمره ونهيه ، وامتحنه بعبادته ، ليعبدوه [فيجود عليهم بنعمه] ، وليحمَدوه على نعمه فيزيدَهم من فضله ومِنَنِه ، ويُسبغَ عليهم فضله وطوْله ، كما

قال عزّ وجلّ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾. فلم يزده خلقُه إيّاهم - إذ خلقهم - في سلطانه علىٰ ما لم يزل قبل خلقه إيّاهم مثقالَ ذرّة، ولا هو إن أفناهم وأعدمهم ينقصه إفناؤه إياهم ميزان شعرة، لأنه لا تغيّره الأحوال، ولا يدخلُه الملال، ولا ينقصُ سلطانه الأيام والليال؛ لأنه خالقُ الدّهور والأزمان، فعمّ جميعَهم في العاجل فضلُه وجودُه، وشمَلهم كرمه وطَوْلُه، فجعل لهم أسماعاً وأبصاراً وأفئدة، وخصّهم بعقول يصلون بها إلى التمييز بين الحق والباطل، ويعرفون بها المنافعَ والمضارّ، وجعل لهم الأرض بساطاً ليسلكوا منها سُبلاً فجاجاً، والسماء سقفاً محفوظا، [وبناء مسموكاً]؛ وأنزل لهم منها الغيث بالإدرار، والأرزاقَ بالمقدار، وأجرىٰ لهم [فيها] قمر الليل وشمس النهار يتعاقبان بمصالحهم دائبيْن، فجعل لهم الليل لباساً، والنهار معاشاً، وخالف - منّاً منه عليهم وتطوّلاً - بين قمر الليل وشمس النهار، فمحا آيةَ الليل وجعل آية النهار مبصرةً، كما قال جلّ جلاله وتقدّست أسماؤه: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾.

وليصلوا بذلك إلى العلم بأوقات فروضهم التي فرضها عليهم في ساعات الليل والنهار والشهور والسنين؛ من الصلوات والزكوات والحج والصيام وغير ذلك من فروضهم، وحين حلّ ديونهم وحقوقهم؛ كما قال عز وجل: ﴿۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾، وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ إنعاماً منه بكلّ ذلك على خلْقه، وتفضُّلاً منه به عليهم وتطولاً، فشكرَه على نعمه التي أنعمها عليهم مِن خلقه خلقٌ عظيم، فزاد كثيراً منهم من آلائه وأياديه، على ما ابتدأهم به من فضله وطوْله، كما وعدهم جلّ جلاله بقوله: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾، وجمع لهم إلىٰ الزيادة التي زادهم في عاجل دنياهم، الفوزَ بالنعيم المقيم، والخلودَ في جنات النعيم، في آجل آخرتهم، وأخّر لكثير منهم الزيادة التي وعدهم فمدّهم إلى حين مصيرهم [إليه]، ووقت قدومهم

عليه ، توفيراً منه كرامتَه عليهم يوم تُبلىٰ السرائر. وكفر نعمَه خلق منهم عظيم ، فجحدوا آلاءَه وعبدوا سواه، فسلب كثيراً منهم ما ابتدأهم به من الفضل والإحسان ، وأحلّ بهم النقمة المهلكة في العاجل ، وذَخر لهم العقوبة المخزية في الآجل ، ومتّع كثيراً منهم بنعمة أيام حياتهم استدراجاً منه لهم ، وتوقيراً منه عليهم أوزارَهم؛ ليستحقوا من عقوبته في الآجل ما قد أعدّ لهم.

نعوذ بالله من عمل يقرّب من سخطه ، ونسأله التوفيقَ لما يُدني من رضاه ومحبته.

قال أبو جعفر: وأنا ذاكر في كتابي هذا من ملوك كلّ زمان ، من [لدن] ابتدأ ربُّنا جلّ جلاله خلقَ خلقه إلى حال فنائهم ، مَن انتهىٰ إلينا خبره ممن ابتدأه الله تعالىٰ بآلائه ونعمه فشكر نعمَه؛ من رسول له مرسَل ، أو ملِك مسلَّط ، أو خليفة مستخلَف ، فزاده إلى ما ابتدأه به من نعمه في العاجل نعماً ، وإلى ما تفضل به عليه فضلاً ، ومن أخَّر ذلك له منهم ، وجَعله له عنده ذخراً. ومن كفر منهم نعمه فسلبه ما ابتدأه به من نعمه ، وعجّل له نقمه. ومَن كفر منهم نعمه فمتعه بما أنعم به عليه إلى حين وفاته وهلاكه؛ مقروناً ذكرُ كلّ مَنْ أنا ذاكره منهم في كتابي هذا بذكر زمانه ، وجُمَل ما كان من حوادث الأمور في عصره وأيامه؛ إذ كان الاستقصاء في ذلك يقصر عنه العمر ، وتطولُ به الكتب ، مع ذكري مع ذلك مبلغ مدة أُكْله ، وحين أجله ، بعد تقديمي أمام ذلك ما تقديمه بنا أولىٰ ، والابتداء به قبله أحْجَىٰ؛ من البيان عن الزمان: ما هو؟ وكم قَدْر جميعه ، وابتداء أوله ، وانتهاء آخره؟ وهل كان قبل خلق الله تعالىٰ إياه شيء غيره؟ وهل هو فانٍ؟ وهل بعد فنائه شيء غير وجه المسبَّح الخلاق ، تعالىٰ ذكره؟ وما الذي كان قبل خلق الله إياه؟ وما هو كائن بعد فنائه وانقضائه؟ وكيف كان ابتداء خلق الله تعالىٰ إياه؟ وكيف يكون فناؤه؟ والدلالة علىٰ أن لا قديم إلا الله الواحد القهار ، الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرىٰ بوجيزٍ من الدلالة غيرِ طويل؛ إذ لم نقصد بكتابنا هذا قصدَ الاحتجاج لذلك ، بل لما ذكرنا من تأريخ الملوك الماضين وجملاً من أخبارهم ، وأزمان الرسل والأنبياء ومقادير أعمارهم ، وأيام الخلفاء السالفين وبعض سيرهم ، ومبالغ ولاياتهم ، والكائن الذي كان من الأحداث في أعصارهم. ثم أنا متبعٌ آخر ذلك كلِّه ـ إن شاء الله وأيّد منه بعون وقوة ـ ذكرَ

صحابة نبينا محمد ﷺ وأسمائهم وكُناهم ومبالغ أنسابهم ومبالغ أعمارهم، ووقت وفاة كلّ إنسان منهم، والموضع الذي كانت به وفاته. ثم متبعهم ذكرَ من كان بعدهم من التابعين لهم بإحسان، على نحو ما شرطنا من ذكرهم. ثم ملحِق بهم ذكرَ من كان بعدهم من الخلَف لهم كذلك، وزائد في أمورهم للإبانةَ عمّن حمِدت منهم روايته، وتُقُبِّلت أخباره، ومن رفضت منهم روايته ونبذت أخباره، ومن وُهِّن منهم نقله، وضُعِّف خبره. و[ما] السببُ الذي من أجله نُبذ من نُبذ منهم خبره، والعلة التي من أجلها وُهِّن منْ وُهّن منهم نقله.

وإلى الله عز وجل أنا راغب في العون على ما أقصده وأنويه، والتوفيق لما ألتمسه وأبغيه؛ فإنه وليُّ الحول والقوة، وصلىٰ الله على محمد نبيه وآله وسلم تسليماً.

وليعلم الناظر في كتابنا هذا أنّ اعتمادي في كلّ ما أحضرت ذكرَه فيه مما شرطت أني راسمه فيه؛ إنما هو علىٰ ما رويتُ من الأخبار التي أنا ذاكرها فيه، والآثار التي أنا مسندها إلى رواتها فيه، دون ما أدرِك بحجج العقول، واستنبِط بفكر النفوس، إلا اليسير القليل منه، إذ كان العلم بما كان من أخبار الماضين، وما هو كائن من أنباء الحادثين، غير واصل إلى من لم يشاهدهم ولم يدرِك زمانهم؛ إلا بإخبار المخبرين، ونقل الناقلين، دون الاستخراج بالعقول، والاستنباط بفكَر النفوس. فما يكن في كتابي هذا من خبرٍ ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكِره قارئه، أو يستشنعه سامعه، من أجل أنه لم يعرف له وجهاً في الصحة، ولا معنىٰ في الحقيقة، فليعلم أنه لم يُؤتَ في ذلك من قِبَلنا، وإنما أُتِي من قِبَل بعض ناقليه إلينا؛ وإنا إنما أدينا ذلك على نحو ما أُدِّيَ إلينا[1].

(١ : ٣/ ٤/ ٥/ ٦/ ٧/ ٨).

القول في الزمان ما هو

قال أبو جعفر: فالزمانُ هو ساعات الليل والنهار، وقد يقال ذلك للطويل من المدة والقصير منها، والعرب تقول: أتيتك زمانَ الحجاج أمير، وزمنَ الحجاج أمير ـ تعني به: إذ الحجاج أمير. وتقول: أتيتك زمان الصِّرام [وزمن الصِّرام] ـ

(١) صحيح.

تعني به وقت الصرام. ويقولون أيضاً: أتيتك أزمان الحجاج أمير، فيجمعون الزمان، يريدون بذلك أن يجعلوا كلّ وقت من أوقات إمارته زماناً من الأزمنة، كما قال الراجز:

جـاءَ الشِّتـاء وقَمِيصـي أخـلاقْ شَـرادِمٌ يَضْحَـك مِنْـهُ التَـوَّاق

فجعل القميص أخلاقاً، يريد بذلك وصفَ كل قطعة منه بالإخلاق؛ كما يقولون: أرض سباسب، ونحو ذلك.

ومن قولهم للزمان: «زمن» قول أعشىٰ بني قيس بن ثعلبة:

وكُنْـتُ امْـرَأً زَمَنـاً بـالعـراقِ عَفِيـفَ المُنـاخِ طـويـل التَّغَـنْ

يريد بقوله: «زمناً» «زماناً»، فالزمان اسم لما ذكرت من ساعات الليل والنهار على ما قد بينت ووصفت[١]. (١ : ٩).

القول في كم قدر جميع الزمان
من ابتدائه إلى انتهائه وأوله إلى آخره

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك ما دل على صحته الخبرُ الوارد عن رسول الله ﷺ، وذلك ما حدّثنا به محمد بن بشار وعلي بن سهل، قالا: حدثنا مؤمّل، قال: حدثنا سفيان، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أجلُكم في أجل مَنْ كان قبلكم، من صلاة العصر إلىٰ مغرب الشمس»[٢]. (١ : ١١).

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، عن

---

(١) صحيح.

(٢) حديث صحيح أخرجه البخاري من طريق سفيان عن عبد الله بن دينار عن ابن عمرو مرفوعاً ضمن حديث أطول مما عند الطبري ولفظه: «إنما أجلكم في أجل من خلا من الأمم كما بين صلاة العصر ومغرب الشمس، ومثلكم ومثل اليهود والنصارى... الحديث».
وكذلك أخرجه أحمد من طريق مؤمل هذا (كما عند الطبري) عن سفيان عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر مرفوعاً مختصراً (كما عند الطبري) مع اختلاف في الألفاظ يسير جداً.
(مسند أحمد ح/ ٥٩١١). وانظر صحيح البخاري/ فضائل القرآن/ (ح ٥٠٢١).

نافع، عن ابن عمر، قال: سمعت النبيّ ﷺ يقول: «ألاَ إنما أجلُكم في أجل مَنْ خلا من الأمم، كما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس»[١]. (١ : ١٠).

حدثنا الحسن بن عَرَفة، قال: حدثني عمار بن محمد، ابن أخت سفيان الثوريّ، أو اليقظان، عن ليث بن أبي سُلَيم، عن مغيرة بن حكيم، عن عبد الله ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بقيَ لأمتي من الدنيا إلا كمقدار مغرب الشمس إذا صُلِّيت العصر»[٢]. (١ : ١٠).

حدثني محمد بن عوف، قال: حدثنا أبو نعيم، قال: حدثنا شريك، قال: سمعتُ سلمة بن كُهَيل، عن مجاهد، عن ابن عمر، قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ والشمس مرتفعة على قُعيقِعان بعد العصر، فقال: «ما أعمارُكم في أعمار منْ مضىٰ إلا كما بقيَ من هذا النهار فيما مضىٰ منه»[٣]. (١ : ١١).

حدثنا ابن بشار ومحمد بن المثنَّى ـ قال ابن بشار: حدّثني خلف بن موسىٰ، وقال ابن المثنَّى: حدثنا خلف بن موسىٰ ـ قال: حدّثني أبي، عن قَتادة، عن أنس بن مالك أن رسولَ الله ﷺ خطب أصحابه يوماً ـ وقد كادت الشمس أن تغيب، ولم يبق منها إلا شِقّ يسير ـ فقال: «والذي نفس محمد بيده ما بقيَ من

---

(١) إسناده ضعيف والحديث صحيح لغيره (انظر الرواية السابقة) وانظر كذلك (صحيح البخاري/ ح ٥٥٧/ ح/ ٢٥٦٩، ح ٧٥٣٣).

(٢) في إسناده ليث بن سليم، صدوق اختلط، والمتن صحيح كما سبق، ولقد أشرنا سابقاً إلى روايات البخاري لهذا الحديث ورواية لأحمد، ونشير هنا إلى رواية الترمذي في سننه (كتاب الأمثال/ ح ٢٨٧١) ضمن حديث طويل: وقال الترمذي: حسن صحيح. ولفظه: (إنما أجلكم فيما خلا من الأمم كما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس وإنما مثلكم ومثل اليهود... الحديث).

(٣) في إسناده أبو نعيم ضعفه غير واحد وشريك النخعي ضعيف وكذلك أخرجه أحمد (٥٩٦٦) من طريق شريك: سمعت سلمة بن كهيل يحدث عن مجاهد عن ابن عمر قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ والشمس على قعيقعان... الحديث) كما عند الطبري.

قلنا: وإن كان إسناده ضعيفاً فالحديث صحيح لغيره أخرجه البخاري وغيره (انظر الروايات السابقة).

دنياكم فيما مضىٰ منها إلا كما بقيَ من يومكم هذا فيما مضىٰ منه ، وما تروْن من الشمس إلا اليسير»[١]. (١ : ١١/ ١٢) .

حدثنا هناد بن السّريّ وأبو هشام الرفاعيّ ، قالا : حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبي حصين ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : «بعثت [أنا] والساعة كهاتين» ـ وأشار بالسبابة والوسطى[٢]. (١ : ١٢) .

حدثنا أبو كُرَيب ، حدثنا يحيىٰ بن آدم ، عن أبي بكر ، عن أبي حصين ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبي بنحوه[٣]. (١ : ١٢) .

حدثنا هَنّاد ، قال : حدثنا أبو الأحوص وأبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي خالد الوالبيّ ، عن جابر بن سمُرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : «بعثت أنا والساعة كهاتين»[٤]. (١ : ١٢) .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : حدثنا عثّام بن عليّ ، عن الأعمش ، عن أبي خالد الوالبيّ، عن جابر بن سَمُرة، قال : كأني أنظر إلىٰ إصبعيْ رسول الله ﷺ ـ وأشار

---

(١) في إسناده موسى بن خلف العمي قال فيه الحافظ : صدوق له أوهام ، وأخرج أحمد في مسنده (ح ٦١٧٣) من طريق كثير بن زيد عن المطلب بن عبد الله عن عبد الله بن عمر أنه كان واقفاً بعرفات فنظر إلى الشمس حتى تدلت مثل الترس للغروب ، فبكى واشتد بكاؤه فقال له رجل عنده : يا أبا عبد الرحمن قد وقفت معي مراراً لم تصنع هذا فقال : ذكرت رسول الله ﷺ وهو واقف بمكاني هذا فقال : (أيها الناس إنه لم يبق من دنياكم فيما مضى إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه).
وأخرجه الحاكم من طريق غير هذا مع زيادة فقال الحاكم : صحيح الإسناد ، لكن الذهبي لم يوافقه بل قال : كثير ضعفه النسائي ومشاه غيره . (المستدرك مع التلخيص ٢/ ٤٤٢).

(٢) في إسناده أبو صالح فإن كان هو الأشعري الشامي فالإسناد حسن وإن كان أبا صالح السمان فالإسناد صحيح والحديث صحيح كما سنذكر فيما يلي .

(٣) حديث صحيح وانظر ما بعده .

(٤) في إسناده الأعمش وهو مدلِّس وقد عنعن ولم يصرح بالتحديث ، وأبو خالد الوالبي ، قال أبو حاتم : صالح الحديث ، وقال الحافظ : مقبول .
وهذا الحديث صحيح تعددت مخارجه كما سنبين بعد روايات وأما من حديث سمرة فكذلك أخرجه الطبراني في الكبير (١٨٤٣) وأحمد (٤/ ٣٠٩).
وقال الهيثمي : ورجال أحمد رجال الصحيح غير أبي خالد الوالبي وهو ثقة (مجمع الزوائد ح ١٨٢٢٦).

بالمسبّحة والتي تليها ـ وهو يقول: «بعثت أنا والساعة كهذه من هذه»[١]. (١ : ١٢).

حدثنا ابن حُميد، قال: حدثني يحيىٰ بن واضح، قال: حدثنا فِطْر، عن أبي خالد الوالبيّ، عن جابر بن سَمُرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «بعثت من الساعة كهاتين» ـ وجمع بين إصبعيه السبابة والوسطى[٢]. (١ : ١٢).

حدثنا ابن المثنَّى، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، قال: سمعت قتادة يحدّث، قال: حدثنا أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين». قال شعبة: سمعت قتادة يقول في قصصه: كفضل إحداهما علىٰ الأخرىٰ، قال: لا أدري أذكره عن أنس أو قاله قتادة[٣]. (١ : ١٣).

حدثنا خلّاد بن أسلم، قال: حدثنا النضر بن شُمَيل، قال: حدثنا شعبة، عن قَتادة، قال: حدثنا أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين»[٤]. (١ : ١٣).

حدثنا مجاهد بن موسى، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا شعبة، عن قتادة، عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ مثله، وزاد في حديثه: وأشار بالوسطى والسبابة[٥]. (١ : ١٣).

حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: حدثنا أيوب بن سويد، عن الأوزاعيّ، قال: حدثنا إسماعيل بن عبيد الله، قال: قدم أنس بن مالك على

---

(١) حديث صحيح.

(٢) إسناده ضعيف، ورواه من طريق فطر (ابن خليفة) هذا الحارث بن أبي أسامة كما ذكر البوصيري في الإتحاف ولفظه: [(بعثت أنا وقيام الساعة) قال: أبو زكريا: ورأى فطر بن خليفة ضمّ إصبعيه الوسطى والسبابة] وقال البوصيري: رواه الحارث بن أبي أسامة عن يحيى بن هاشم وهو ضعيف ورواه أحمد من وجه آخر (إتحاف الخيرة/ ح ١٠٠٣٤).
قلنا: والحديث صحيح كما سنذكر بعد الآتي.

(٣) حديث صحيح أخرجه البخاري (ح ٦٥٠٤) ومسلم (ح ٢٩٥١) والترمذي (ح ٢٢١٤) من طريق شعبة عن قتادة عن أنس مرفوعاً.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) هذا إسناد صحيح والحديث صحيح (انظر ما قبله).

(٥) هذا إسناد صحيح والحديث صحيح (انظر ما قبله).

الوليد بن عبد الملك ، فقال له الوليد: ماذا سمعت رسول الله ﷺ يذكر به الساعة؟ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «أنتم [و] الساعة كهاتين» ، وأشار بإصبعيه[١]. (١ : ١٣).

حدثني العباس بن الوليد ، قال: أخبرني أبي ، قال: حدثنا الأوزاعيّ ، قال: حدثني إسماعيل بن عبيد الله ، قال: قدم أنس بن مالك على الوليد بن عبدالملك ، فقال له الوليد: ماذا سمعت [من] رسول الله ﷺ يذكر به الساعة؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أنتم والساعة كتَيْن»[٢]. (١ : ١٣).

حدثني ابن عبد الرحيم البرْقيّ ، قال: حدثنا عمرو بن أبي سلمة ، عن الأوزاعيّ ، قال: حدَّثني إسماعيل بن عبيد الله ، قال: قدم أنس بن مالك على الوليد بن عبد الملك ، فذكر مثله[٣]. (١ : ١٣/ ١٤).

حدثني محمد بن عبد الأعلى ، قال: حدَّثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، قال: حدَّثني معبد ، حدَّث أنس عن رسول الله ﷺ أنه قال: «بعثت أنا والساعة كهاتين» ، وقال بإصبعيه: هكذا[٤]. (١ : ١٤).

حدثنا ابن المثنّى قال: حدثنا وهب بن جرير ، قال: حدثنا شُعبة ، عن أبي التيَّاح ، عن أَنَس ، قال: قال رسول اللهُ ﷺ : «بعثت أنا والساعة كهاتين»: السبابة والوسطى. قال أبو موسىٰ: وأشار وهب بالسبابة والوسطىٰ[٥]. (١ : ١٤).

حدثني عبد الله بن أبي زياد ، قال: حدثنا وهب بن جرير ، قال: حدثنا شعبة ، عن أبي التيَّاح وقتادة ، عن أنس ، قال: قال رسول الله ﷺ : «بعثت أنا والساعة كهاتين» ، وقرَن بين إصبعيه[٦]. (١ : ١٤).

حدّثني محمد بن عبد الله بن بَزِيع ، قال: حدَّثنا الفضيل بن سليمان ، حدثنا

---

(١) في إسناده أيوب بن سويد ، ضعيف ولكن حديث أنس حديث صحيح كما ذكرنا سابقاً.

(٢) هذا إسناد حسن صحيح وحديث أنس حديث صحيح إلا أنَّا لم نجده بهذه اللفظة (كتَيْن).

(٣) انظر ما قبله.

(٤) إسناده صحيح والحديث أخرجه البخاري كما عزونا آنفاً وكما سنبين بعد الحديث الآتي.

(٥) الحديث صحيح ، كما سنبين بعد الآتي.

(٦) حديث أنس هذا حديث صحيح أخرجه البخاري (ح ٦٥٠٤) ومسلم (١٣٤/ ٢٩٥١) من طريق شعبة عن أبي التياح وقتادة عن أنس مرفوعاً.

أبو حازم، قال: حدثنا سهل بن سعد، قَال: رأيت رسول الله ﷺ قال بإصبعيه هكذا ، الوسطى والتي تلي الإبهام: «بُعثت أنا والساعة كهاتين»[١] . (١ : ١٤) .

حدثنا أبو كريب ، قال: حدثنا خالد ، عن محمد بن جعفر ، عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد ، قال: قال رسول الله ﷺ : «بُعثت أنا والساعة كهاتين» ، وجمع بين إصبعيه[٢] . (١ : ١٤) .

حدثنا أبو كُريب ، قال: حدثنا خالد ، قال: حدثنا سليمان بن بلال ، قال: حدثني أبو حازم ، عن سهل بن سعد ، قال: قال رسول الله ﷺ : «بعثت أنا والساعة هكذا» ، وقرن بين إصبعيه: الوسطى والتي تلي الإبهام[٣] . (١ : ١٥) .

حدثني ابن عبد الرحيم البرقيّ ، قال: حدثنا ابن أبي مريم ، قال: حدثنا محمد بن جعفر ، قال: حدثني أبو حازم ، عن سهل بن سعد ، قال: قال رسول الله ﷺ : «بعثت أنا والساعة كهاتين» ، وجمع بين إصبعيه[٤] . (١ : ١٥) .

حدثني أحمد بن محمد بن حبيب ، قال: حدثنا أبو نصر ، قال: حدثنا المسعوديّ ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبيّ ، عن أبي جَبِيرة ، قال: قال رسول الله ﷺ : «بعثتُ مع الساعة كهاتين ـ وأشار بإصبعيه الوسطى والسبابة ـ كفضل هذه على هذه»[٥] . (١ : ١٥) .

حدثنا تميم بن المنتصر ، قال: أخبرنا يزيد ، قال: أخبرنا إسماعيل ، عن

---

(١) في إسناده الفضل بن سليمان ، حديثه في الكتب الستة ضعفه غير واحد منهم إلا أنه متابع ههنا فقد أخرج مسلم في صحيحه من طريق يعقوب بن عبد الرحمن وعبد العزيز بن أبي حازم عن أبي حازم عن سهل بن سعد أنه سمع سهلاً يقول: سمعت النبي ﷺ يشير بإصبعه التي تلي الإبهام والوسطى وهو يقول: (بعثت أنا والساعة هكذا).
(صحيح مسلم/ كتاب الفتن/ باب قرب الساعة/ ١٣١/ ٢٩٥٠).

(٢) حديث صحيح من حديث سهل وأنس (وانظر ما سبق).

(٣) حديث صحيح (انظر ما قبله).

(٤) ورواه أحمد (٥/ ٣٤٨) وفيه: (وضمَّ إصبعيه السبابة والوسطى بدلاً من عبارة (وجمع بين إصبعيه) وقال الهيثمي: رواه أحمد والبزار ، ورجال أحمد رجال الصحيح (ح/ ١٨٢٢٥).

(٥) أورده الهيثمي في المجمع وفيه (فسبقتها ، كما سبقت هذه هذه).
وقال: رواه الطبراني بإسناد حسن (مجمع الزوائد ح/ ١٨٢٣٠).

شُبيل بن عوف، عن أبي جَبيرة، عن أشياخ من الأنصار ، قالوا: سمعنا رسول الله ﷺ يقول: «جئت أنا والساعة هكذا» ـ قال الطبريّ: وأرانا تميم ، وضم السبابة والوسطى وقال لنا: أشار يزيد بإصبعيه السبابة والوسطى وضمهما ـ وقال: «سبقتُها كما سبقتْ هذه هذه في نَفَس من الساعة» ، أو «[في] نَفَس الساعة»[١] .

(١: ١٥/١٦) .

فمعلوم إذْ كان اليوم أولُه طلوع الفجر وآخرُه غروب الشمس ، وكان صحيحاً عن نبينا ﷺ ، ما رويناه عنه قبل ، أنه قال بعد ما صلى العصر: «ما بقيَ من الدنيا فيما مضى منها إلا كما بقيَ من يومكم هذا فيما مضى منه». وأنه قال لأصحابه: «بُعثتُ أنا والساعة كهاتين» ـ وجمع بين السبابة والوسطى ـ «سبقتُها بقدر هذه من هذه» ، يعني الوسطى من السبابة. وكان قدر ما بين أوسط أوقات صلاة العصر ـ وذلك إذا صار ظلُّ كلِّ شيء مثليه ـ على التحرِّي إنما يكون قدر نصف سبع اليوم ، يزيد قليلاً أو ينقص قليلاً ، وكذلك فضل ما بين الوسطى والسبابة ، إنما يكون نحواً من ذلك وقريباً منه[٢] . (١: ١٦) .

وكان صحيحاً مع ذلك عن رسول الله ﷺ ما حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال: حدثني عمي عبد الله بن وهب ، قال: حدثني معاوية بن صالح ، عن عبد الرحمن بن جبير بن نُفير ، عن أبيه جبير بن نُفير ، أنه سمع أبا ثعلبة الخشنيّ صاحب النبي ﷺ يقول: إن رسولَ الله ﷺ قال: «لن يُعجز الله هذه الأمة من نصف يوم» ، وكان معنى قول النبيّ ذلك أن «لن يعجز الله هذه الأمة من نصف يوم» الذي مقداره ألف سنة[٣] . (١: ١٦) .

---

(١) الحديث من هذا الوجه رواه الطبراني ، وقال الهيثمي: ورجال هذه الطريق رجال الصحيح غير شبل أو شبيل بن عوف وهو ثقة (مجمع الزوائد ح/ ١٨٢٣٠).
وقال الهيثمي وروى البزار منه (نسم الساعة) فقط (مجمع الزوائد ١٨٢٣١).
والحديث ذكره ابن حجر في المطالب العالية عن مشيخة من الأنصار أنهم سمعوه ﷺ يقول: (بعثت في قسم الساعة: قال سفيان: يعني نفس الساعة).
وقال المحدث الأعظمي: رواه البزار أيضاً ورجاله ثقات (المطالب العالية ٤٥٧٧). والله أعلم.

(٢) صحيح.

(٣) إسناده صحيح وحديث أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه أخرجه أبو داود مرفوعاً (٤٣٤٩) من طريق حجاج بن إبراهيم عن ابن وهب به (كما عند الطبري) والطبراني في الكبير (٢٢/ ٥٧٢)=

القول في الدلالة
على حدوث الأوقات والأزمان والليل والنهار

قد قلنا قبلُ إن الزمان إنما هو اسم لساعات الليل والنهار، وساعاتُ الليل والنهار إنما هي مقادير من جَرْي الشمس والقمر في الفلك، كما قال الله عزّ وجلَّ: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ۝٣٧ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٣٨ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ۝٣٩ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾.

فإذا كان الزمان ما ذكرنا من ساعات الليل والنهار، وكانت ساعات الليل والنهار إنما هي قَطْع الشمس والقمر درجات الفلَك، كان بيقين معلوماً أن الزمان محدَث والليل والنهار محدثان، وأن مُحدِث ذلك الله الذي تفرّد بإحداث جميع خلقه، كما قال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾.

ومن جَهِل حدوث ذلك من خلق الله فإنه لن يجهلَ اختلافَ أحوالِ الليل والنهار؛ بأن أحدَهما يَرِد على الخلق ـ وهو الليل ـ بسواد وظلمة، وأنَّ الآخر منهما يرد عليهم بنور وضياء، ونَسْخٍ لسواد الليل وظلمته، وهو النهار.

فإذا كان ذلك كذلك، وكان من المحال اجتماعهما مع اختلاف أحوالهما في

= وقال: رفعه معاوية مرة ولم يرفعه أخرى، والحاكم في المستدرك (٤/ ٤٢٤) وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.
وقال الحافظ ابن حجر: رواته ثقات، ولكن رجّح البخاري وقفه (فتح الباري ١١/ ٣٥١)، وأخرجه أحمد موقوفاً (ح ١٧٧٣٤). قلنا: ومعنى نصف يوم هنا خمسمئة سنة من باب قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾.
والمقصود من هذا الحديث والله أعلم أنهم يدركون مقدار نصف اليوم المذكور، ولا يدل الحديث على نفي ما زاد على ذلك والله أعلم.
والحديث من معجزات النبوة على صاحبها الصلاة والسلام فلم تمت الأمة قبل مضي خمسمئة عام من بعده عليه الصلاة والسلام بل عاشت تلك المدة وعمّرت أكثر من ذلك وإلى يومنا هذا والحمد لله على نعمائه وصدق رسوله الصادق الأمين.

وقت واحد في جزء واحد ـ كان معلوماً يقيناً أنه لا بد [من] أن يكونَ أحدُهما كان قبل الآخر منهما؛ وأيَّهما كان منهما قبل صاحبه فإن الآخر منهما كان لا شك بعده ، وذلك إبانةٌ ودليل على حدوثهما ، وأنهما خلقان لخالقهما.

ومن الدلالة أيضاً على حدوث الأيام والليالي أنه لا يومَ إلا وهو بعدَ يوم كان قبله ، وقبل يوم كائن بعده ، فمعلوم أنَّ ما لم يكن ثم كان ، أنه محدَث مخلوق ، وأنَّ له خالقاً ومحدِثاً.

وأخرى ، أن الأيام والليالي معدودة ، وما عدَّ من الأشياء فغير خارج من أحد العددين: شفع أو وتر؛ فإن يكن شفعاً فإن أولها اثنان ، وذلك تصحيح القول بأن لها ابتداء وأولاً ، وإن كان وتراً فإنَّ أولها واحد ، وذلك دليل على أن لها ابتداء وأوّلاً ، وما كان له ابتداء فإنه لا بد له من مبدئ ، هو خالقه[1]. (١ : ٢٠/ ٢١) .

القول في الإبانة عن فناء الزمان والليل والنهار وأن لا شيء يبقى غير الله تعالى ذكره

والدلالة على صحة ذلك قول الله تعالى ذكره: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾.

فإن كان كلُّ شيء هالك غير وجهه ـ كما قال جلّ وعزّ ـ وكان الليل والنهار ظلمة أو نوراً خلَقهما لمصالح خَلْقه ، فلا شك أنهما فانيان هالكان ، كما أخبر؛ وكما قال: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ يعني بذلك أنها عُمِّيت فذهب ضوءها ، وذلك عند قيام الساعة، وهذا ما لا يُحتاج إلى الإكثار فيه؛ إذ كان مما يدين بالإقرار به جميعُ أهل التوحيد من أهل الإسلام وأهل التوراة والإنجيل والمجوس، وإنما ينكرُه قومٌ من غير أهل التوحيد ، لم نقصِد بهذا الكتاب قصدَ الإبانة عن خطأ قولهم. فكلّ الذين ذكرنا عنهم أنهم مُقِرُّون بفناء جميع العالم حتى لا يبقى غيرُ القديم الواحد، مقرّون بأن الله عزّ وجلَّ محييهم بعد فنائهم ، وباعثهم بعد هلاكهم ، خلا قومٍ من عَبَدة الأوثان ، فإنهم يُقرون بالفناء ، وينكرون البعث[2]. (١ : ٢٧) .

---

(١) صحيح.
(٢) صحيح.

القول في الدلالة على أن الله عزّ وجلّ القديم الأول قبل كل شيء وأنه هو المحدث كل شيء بقدرته تعالى ذكره

فمن الدلالة على ذلك أنه لا شيء في العالم مشاهَد إلا جسم أو قائم بجسم ، وأنه لا جسمَ إلا مفترِق أو مجتمع ، وأنه لا مفترِق منه إلا وهو موهوم فيه الائتلاف إلى غيره من أشكاله ، ولا مجتمعَ منه إلا وهو موهوم فيه الافتراق ، وأنه متى عُدِم أحدهما عدم الآخر معه ، وأنه إذا اجتمع الجزءان منه بعد الافتراق ، فمعلوم أنَّ اجتماعهما حادث فيهما بعد أن لم يكن ، وأنَّ الافتراقَ إذا حدث فيهما بعد الاجتماع ، فمعلوم أن الافتراق فيهما حادث بعد أن لم يكن .

وإذا كانَ الأمر فيما في العالم من شيء كذلك، وكان حكم ما لم يُشاهد وما هو من جنس ما شاهدنا في معنى جسم أو قائم بجسم ، وكان ما لم يخلُ من الحدث لا شك أنه محدَث بتأليف مؤلّف له إن كان مجتمعاً ، وتفريق مفرّق له إن كان مفترقاً. وكان معلوماً بذلك أن جامع ذلك إن كان مجتمعاً ، ومفرّقه إن كان مفترقاً منْ لا يشبهه ، ومن لا يجوز عليه الاجتماع والافتراق، وهو الواحد القادر الجامع بين المختلفات ، الذي لا يشبهه شيء ، وهو على كل شيء قدير فبيِّنٌ بما وصفنا أن بارىء الأشياء ومحدثها كان قبل كل شيء، وأن الليل والنهار والزمان والساعات محدثات ، وأن محدثها الذي يُدبرها ويُصرّفها قبلها ، إذْ كان من المحال أن يكون شيء يُحدث شيئاً إلا ومحدثه قبله ، وأن في قوله تعالى ذكره : ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ ، لأبلغُ الحجج ، وأدلُّ الدلائلِ ـ لمن فكّر بعقل ، واعتبر بفهم ـ على قِدَم بارئها ، وحدوث كل ما جانسها ، وأنّ لها خالقاً لا يشبهها .

وذلك أن كلّ ما ذكر ربنا تبارك وتعالى في هذه الآية من الجبال والأرض والإبل فإنّ ابنَ آدم يعالجه ويدبّره بتحويل وتصريف وحفر ونحت وهدم ، غيرَ ممتنع عليه شيء من ذلك . ثم إنَّ ابن آدم مع ذلك غير قادر على إيجاد شيء من ذلك من غير أصل ؛ فمعلوم أن العاجز عن إيجاد ذلك لم يحدث نفسَه ، وأن الذي هو غير ممتنع ممن أراد تصريفه وتقليبه لم يوجده مَن هو مثله ، ولا هو أوجدَ

نفسه ، وأن الذي أنشأه وأوجد عينه هو الذي لا يُعجزه شيء أراده ، ولا يمتنع عليه إحداث شيء شاء إحداثه ، وهو الله الواحد القهار.

فإن قال قائل: فما تنكر أن تكون الأشياء التي ذكرت من فِعل قديمين؟

قيل: أنكرنا ذلك لوجود اتصال التدبير وتمام الخلق ، فقلنا: لو كان المدبِّر اثنين ، لم يخلُوَا من اتفاق أو اختلاف؛ فإن كانا متفقين فمعناهما واحد ، وإنما جعل الواحدَ اثنين من قال بالاثنين. وإن كانا مختلفين كان محالاً وجودُ الخلق على التمام والتدبير على الاتصال؛ لأن المختلفين ، فعلُ كلّ واحد منهما خلافُ فعل صاحبه؛ بأنّ أحدَهما إذا أحيا أمات الآخر ، وإذا أوجد أحدُهما أفنى الآخر ، فكان محالاً وجودُ شيء من الخلق على ما وُجد عليه من التمام والاتصال. وفي قول الله عز وجل ذكره: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ، وقوله عز وجل ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أبلغُ حجة ، وأوجز بيان ، وأدلّ دليل على بُطول ما قاله المبطلون من أهل الشرك بالله ، وذلك أن السموات والأرض لو كان فيهما إله غير الله ، لم يخلُ أمرهما مما وصفت من اتفاق واختلاف. وفي القول باتفاقهما فساد القول بالتثنية ، وإقرار بالتوحيد ، وإحالةٌ في الكلام بأن قائلَه سمَّى الواحد اثنين. وفي القول باختلافهما ، القول بفساد السموات والأرض ، كما قال ربنا جلّ وعزّ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾ لأنَّ أحدَهما كان إذا أحدث شيئاً وخلقه كان من شأن الآخر إعدامه وإبطاله؛ وذلك أنَّ كلّ مختلفين فأفعالُهما مختلفة ، كالنار التي تسخِّن ، والثلج الذي يبرِّد ما أسخنته النار.

وأخرى ، أن ذلك لو كان كما قاله المشركون بالله لم يخلُ كلّ واحد من الاثنين اللذيْن أثبتوهما قديمين من أن يكونا قويين أو عاجزين؛ فإن كانا عاجزين فالعاجزُ مقهور وغير كائن إلهاً. وإن كانا قويين فإنّ كلّ واحد منهما بعجزه عن صاحبه عاجز ، والعاجز لا يكون إلهاً. وإن كان كلّ واحد منهما قويّاً على صاحبه؛ فهو بقوة صاحبه عليه عاجز ، تعالى ذكرُه عما يشرك المشركون!

فَتبيَّن إذاً أن القديمَ بارىء الأشياء وصانعها هو الواحد الذي كان قبل كلّ شيء ، وهو الكائن بعد كلِّ شيء ، والأول قبل كلّ شيء ، والآخر بعد كلّ

شيء ، وأنه كان ولا وقتَ ولا زمان ، ولا ليلَ ولا نهار ، ولا ظلمة ولا نور ، إلا نور وجهه الكريم . ولا سماء ولا أرض ، ولا شمس ولا قمر ولا نجوم ، وأن كل شيء سواه محدَث مدبَّر مصنوع ، انفرد بخلق جميعه بغير شريك ولا مُعين ولا ظهير ، سبحانه من قادر قاهر![1] (١ : ٢٨/ ٢٩/ ٣٠) .

وقد حدثني علي بن سهل الرمليّ ، قال: حدثنا زيد بن أبي الزرقاء ، عن جعفر ، عن يزيد بن الأصمّ ، عن أبي هريرة ، أن النبي ﷺ قال: «إنكم تُسألون بعدي عن كلِّ شيء ، حتى يقول القائل: هذا الله خلق كلَّ شيء فمن ذا خلقه!»[2] . (١ : ٣٠/ ٣١) .

حدثني عليّ ، حدثنا زيد ، عن جعفر ، قال: قال يزيد بن الأصمّ: حدَّثني نَجَبةِ بن صَبِيغ ، قال: كنت عند أبي هريرة فسألوه عن هذا فكبّر وقال: ما حدَّثني خليلي بشيء إلا قد رأيته أوْ أنا أنتظره. قال جعفر: فبلغني أنه قال: إذا سألكم الناس عن هذا فقولوا: الله خالق كلّ شيء ، والله كان قبل كلّ شيء ، والله كائن بعد كلّ شيء[3] . (١ : ٣١) .

---

(١) صحيح.

(٢) رجال هذا الإسناد ثقات وجعفر هو ابن برقان وإن كان مضطرب الحديث عن الزهري إلاَّ أنه ثقة في غيره وإسناده صحيح والحديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة.
فقد أخرج البخاري في صحيحه/ كتاب بدء الخلق/ (ح ٣٢٧٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته».
وأخرجه مسلم بروايات عدة منها (٢١٦/ ١٣٥) من طريق جعفر بن زبرقان حدثنا يزيد الأصم قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ : «ليسألنكم الناس عن كل شيء حتى يقولوا: الله خلق كل شيء فمن خلقه؟».

(٣) هذا إسناد موقوف على أبي هريرة ونجبة بن صبيغ ترجم له ابن أبي حاتم فلم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً ، إلاَّ أن البخاري أخرجه بصيغة أخرى دون شطره الأخير.
فقد أخرج من طريق زهير بن حرب ويعقوب الدورقي قالا: حدثنا إسماعيل وهو ابن علية عن أيوب عن محمد قال: قال أبو هريرة: (لا يزال الناس) بمثل حديث عبد الوارث غير أنه لم يذكر النبي ﷺ في الإسناد ولكن قال في آخر الحديث: صدق الله ورسوله. (٢١٥/ ١٣٥).
وحدثني عبد الله بن الرومي حدثنا النضر بن محمد حدثنا عكرمة وهو ابن عمار حدثنا =

فإذا كان معلوماً أن خالقَ الأشياء وبارئها كان ولا شيء غيره ، وأنه أحدَث الأشياء فدبَّرها ، وأنه قد خلق صنوفاً من خلقه قبل خلق الأزمنة والأوقات ، وقبل خلق الشمس والقمر اللذيْن يُجريهما في أفلاكهما ، وبهما عُرِفت الأوقات والساعات ، وأرِّخت التأريخات ، وفصل بين الليل والنهار ، فلْنقل: فيمَ ذلك الخلق الذي خُلِق قبل ذلك؟ وما كان أوله[1]؟ (١ : ٣٢) .

القول في ابتداء الخلق ما كان أوله

صحّ الخبر عن رسول الله ﷺ بما حدثني به يونس بن عبد الأعلى ، قال: أخبرنا ابن وهب ، قال: حدثني معاوية بن صالح ـ وحدثني عبيد بن آدم بن أبي إياس العسقلانيّ ، قال: حدثنا أبي ، قال: حدثنا الليث بن سعد ، عن معاوية بن صالح ـ عن أيوب بن زياد ، قال: حدثني عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت ، قال: أخبرني أبي ، قال: قال أبي عبادة بن الصامت: يا بنيّ سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «إن أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتبْ ، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن»[2] . (١ : ٣٢) .

حدثني أحمد بن محمد بن حبيب ، قال: حدثنا عليّ بن الحسن بن شقيق ، قال: أخبرنا عبد الله بن المبارك ، قال: أخبرنا رباح بن زيد ، عن عمر بن

= يحيىٰ ، حدثنا أبو سلمة عن أبي هريرة قال: قال لي رسول الله ﷺ : «لا يزالون يسألونك يا أبا هريرة حتى يقولوا هذا الله ، فمن خلق الله؟ قال: فبينا أنا في المسجد إذ جاءني ناس من الأعراب فقالوا: يا أبا هريرة هذا الله ، فمن خلق الله؟ قال: فأخذ حصى بكفه فرماهم ، ثم قال: قوموا ، قوموا ، صدق خليلي.
(صحيح مسلم/ كتاب الإيمان ٢١٥/ ١٣٥).

(١) صحيح.

(٢) حديث عبادة هذا حديث صحيح أخرجه أبو داود مرفوعاً ولفظه: إن أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب قال ربّ وماذا أكتب قال اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة. يا بني إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: من مات على غير هذا فليس مني. والحديث أخرجه أحمد من حديث عبادة (المسند/ ح ٢٢٧٦٨).
والبيهقي (١٠/ ٢٠٤/ ح ٢٠٨٧٥) ولفظه كلفظ أبي داود، وأبو يعلى عن ابن عباس (٢٣٢٩).
وقال الهيثمي: رجال أبي يعلى ثقات (٧/ ١٩٠) وانظر الحديث الآتي.

حبيب ، عن القاسم بن أبي بزّة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس أنه كان يحدّث أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إن أوَّل شيء خلق الله القلم ، وأمره أن يكتب كلّ شيء»[(١)]. (١ : ٣٢) .

حدثني موسى بن سهل الرمليّ ، حدثنا نعيم بن حماد ، حدثنا ابن المبارك ، أخبرنا رَباح بن زيد ، عن عمر بن حبيب ، عن القاسم بن أبي بَزَّة ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس ، عن رسول الله ﷺ بنحوه[(٢)]. (١ : ٣٢) .

حدثني محمد بن معاوية الأنماطيّ ، حدثنا عباد بن العوام ، حدثنا عبد الواحد بن سليم ، قال: سمعت عطاء ، قال: سألت الوليد بن عبادة بن الصامت: كيف كانت وصية أبيك حين حضره الموت؟ قال: دعاني فقال: أيّ بنيّ ، اتق الله واعلم أنك لن تتَّقي الله ، ولن تبلغَ العلم حتى تؤمن بالله وحده ، والقَدر خيْرِهْ وشرّه ، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول ما خلق الله عزّ وجلّ خلق القلم، فقال له: اكتب، قال: يا رب وما أكتب؟ قال: اكتب القدَر، قال: فجرى القلم في تلك الساعة بما كان وبما هو كائن إلى الأبد»[(٣)]. (١ : ٣٢/ ٣٣) .

وقد اختلف أهل السلف قبلنا في ذلك ، فنذكرُ أقوالهم ، ثم نتبع البيان عن ذلك إن شاء الله تعالى .

فقال بعضهم في ذلك بنحو الذي روي عن رسول الله ﷺ فيه .

ذكر من قال ذلك:

حدثني واصل بن عبد الأعلى الأسديّ ، قال: حدثنا محمد بن فُضيل ، عن الأعمش ، عن أبي ظَبْيان؛ عن ابن عباس ، قال: أولُ ما خلق الله من شيء القلم

---

(١) حديث صحيح وكذلك أخرجه البيهقي من طريق عبد الله بن المبارك به عن ابن عباس مرفوعاً ولفظه: إن أول شيء خلقه الله جل ثناؤه القلم وأمره أن يكتب كل شيء (السنن الكبرى ٩/ ٣/ح ١٧٧٠٤).

(٢) في إسناده نعيم بن حماد ضعفه عدد من أئمة الحديث ولكن الحديث صحيح كما سبق.

(٣) إسناده ضعيف والحديث صحيح كما سبق ، وكذلك أخرجه الترمذي من طريق عبد الواحد بن سليم مع تقديم وتأخير في الألفاظ وزيادة.
وقال الترمذي: وهذا حديث غريب من هذا الوجه (سنن الترمذي/ كتاب القدر/ ح ٢١٥٥).
قلنا: وفي إسناده عبد الواحد بن سليم ضعيف.

فقال له: اكتب، فقال: وما أكتب يا رب؟ قال: اكتب القدَر، قال: فجرى القلم بما هو كائن من ذلك إلى قيام الساعة، ثم رُفع بخار الماء ففتَق منه السموات[١]. (١ : ٣٣).

حدثنا واصل بن عبد الأعلى، قال: حدثنا وكيع، عن الأعمش، عن أبي ظَبيان، عن ابن عباس نحوه[٢]. (١ : ٣٣).

حدثنا محمد بن المثنّى، قال: حدَّثنا ابن أبي عدي، عن شعبة، عن سليمان، عن أبي ظَبيان، عن ابن عباس، قال: أوَّلُ ما خلق الله من شيء القلمُ، فجرى بما هو كائن[٣]. (١ : ٣٣).

حدثنا تميم بن المنتصر، أخبرنا إسحاق، عن شريك، عن الأعمش، عن أبي ظَبيان ـ أو مجاهد ـ، عن ابن عباس بنحوه[٤]. (١ : ٣٣).

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، حدثنا ابن ثور، قال: حدثنا معمر، حدثنا الأعمش أن ابن عباس قال: إن أولَ شيء خُلِق القلم[٥]. (١ : ٣٤).

حدثنا ابن حميد، حدّثنا جرير، عن عطاء، عن أبي الضّحى مسلم بن صُبَيْح، عن ابن عباس، قال: إن أوَّلَ شيء خلق ربي عزّ وجلّ القلم، فقال له: اكتب، فكتب ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة[٦]. (١ : ٣٤).

قال أبو جعفر: وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قولُ ابن عباس،

---

(١) أخرجه الحاكم من طريق الأعمش هذا، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه (المستدرك ٢/ ٤٩٧).
قلنا: إلا أن الأعمش مدلّس وقد عنعن هنا ولم يصرح بالتحديث وشطره صحيح مرفوعاً كما سبق سوى عبارة (ثم رفع بخار الماء ففتق منه السموات) فلم نجده مرفوعاً بسند صحيح والله أعلم.

(٢) وأخرجه البيهقي من طريق وكيع (٣/ ٩/ح ١٧٧٠٣) مع زيادة على ما عند الطبري وانظر ما سبق.

(٣) هذا إسناد صحيح إلى ابن عباس وقد صحَّ مرفوعاً كما سبق والله أعلم.

(٤) انظر ما قبله.

(٥) انظر ما قبله.

(٦) إسناده ضعيف وقد صحَّ الحديث مرفوعاً كما سبق.

للخبر الذي ذكرت عن رسول الله ﷺ [قبل]، أنه قال: أول شيء خلق اللهُ القلم[١]. (١: ٣٤).

قيل: أما قولُ ابن عباس: إن الله تبارك وتعالى كان عرشه على الماء قبل أن يخلق شيئاً، فكان أول ما خلق الله القلم - إن كان صحيحاً عنه أنه قاله - فهو خبرٌ منه أنَّ الله خلق القلم بعد خلقه عرشه، وقد رَوَىٰ عن أبي هاشم هذا الخبر شعبةُ، ولم يقل فيه ما قال سفيان؛ من أن الله عزّ وجلَّ كان على عرشه، فكان أول ما خلق القلم، بل روى ذلك كالذي رواه سائر من ذكرنا من الرواة عن ابن عباس أنه قال: أول ما خلق الله عزّ وجلّ القلم[٢]. (١: ٣٥).

وكذلك قولَ ابن إسحاق الذي ذكرناه عنه معناه أنّ الله خلق النورَ والظلمة بعد خلقه عرشه، والماء الذي عليه عرشه. وقول رسول الله ﷺ الذي رويناه عنه أوْلى قول في ذلك بالصواب، لأنه كان أعْلَم قائل في ذلك قولاً بحقيقته وصحته، وقد روينا عنه عليه السلام أنه قال: «أولُ شيء خلقه الله عزّ وجلّ القلم» من غير استثناء منه شيئاً من الأشياء أنه تقدّم خلق الله إياه خلق القلم، بل عمّ بقوله ﷺ: «إن أول شيء خلقه الله القلم»، كلَّ شيء، وأن القلم مخلوق قبله من غير استثنائه من ذلك عرشاً ولا ماء ولا شيئاً غيرَ ذلك.

فالرواية التي رويناها عن أبي ظَبْيان وأبي الضّحى، عن ابن عباس، أوْلى بالصحة عن ابن عباس من خبر مجاهد عنه الذي رواه عنه أبو هاشم؛ إذ كان أبو هاشم قد اختلف في رواية ذلك عنه شعبة وسفيان، على ما قد ذكرت من اختلافهما فيها.

أما ابن إسحاق فإنه لم يسند قولهُ الذي قاله في ذلك إلى أحد، وذلك من الأمور التي لا يدرَكُ علمها إلا بخبر من الله عز وجل، أو خبر من رسول الله ﷺ، وقد ذكرت الرواية فيه عن رسول الله ﷺ[٣]. (١/ ٣٥ - ٣٦).

---

(١) هذا ترجيح الطبري وسنذكر ما رجحه ابن كثير وابن حجر وما نسب إلى الجمهور والله أعلم.
(٢) سنناقش رأي الطبري هذا في نهاية الباب.
(٣) صحيح.

القول في الذي ثنى خلق القلم

حدثنا خلاد بن أسلم ، حدثنا النضر بن شُميل ، قال: حدثنا المسعوديّ ، أخبرنا جامع بن شداد ، عن صفوان بن محرز ، عن ابن حصين ـ وكان من أصحاب رسول الله ﷺ ـ قال: أتى قوم رسولَ الله ﷺ فدخلوا عليه ، فجعل يبشّرهم ويقولون: أعطِنا ، حتى ساء ذلك رسولَ الله ﷺ ، ثم خرجوا من عنده. وجاء قوم آخرون ، فدخلوا عليه فقالوا: جئنا نسلّم على رسول الله ﷺ ، ونتفقّه في الدين ، ونسأله عن بدء هذا الأمر ، قال: فاقبَلوا البشرى إذْ لم يقبلها أولئك الذين خرجوا ، قالوا: قَبِلنا ، فقال رسول الله ﷺ: «كان الله لا شيء غيره ، وكان عرشه على الماء ، وكُتِب في الذكر قبل كلّ شيء ، ثم خلق سبعَ سموات». ثم أتاني آت فقال: تلك ناقتُك قد ذهبتْ ، فخرجتُ ينقطع دونها السراب ، وَلَوَددت أني تركتها[1]. (١ : ٣٨).

حدثني أبو كُريب ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن جامع ابن شداد،

---

(١) في إسناده عبد الرحمن بن عبد الله المسعودي ثقة اختلط في آخر عمره إلاَّ أن النضر بن شميل سمع منه قبل الاختلاط ويتقى حديثه عن عاصم بن بهدلة وسلمة بن كهيل وليس ههنا كذلك فالإسناد صحيح.
وقد توبع عن جامع بن شداد عند الطبري نفسه كما بعد رواية وكما عند البخاري (كتاب بدء الخلق/ ح ٣١٩١).
عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: دخلت على النبي ﷺ وعقلت ناقتي بالباب فأتاه ناس من بني تميم فقال (اقبلوا البشرى يا بني تميم ، قالوا قد بشرتنا فأعطنا) (مرتين) ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن فقال اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم قالوا: قبلنا يا رسول الله. قالوا: جئنا نسألك عن هذا الأمر قال: (كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء وخلق السموات والأرض. . . الحديث).
وفي لفظ آخر للحديث عند البخاري (كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والأرض وكتب في الذكر كل شيء) (صحيح البخاري/ كتاب التوحيد/ ح ٧٤١٨) وأخرج مسلم في صحيحه (نحو حديث عمران بن حصين هذا) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة قال: وعرشه على الماء».
(صحيح مسلم/ كتاب القدر/ ح ٢٦٥٣).

عن صفوان بن محرز، عن عمران بن الحصين، قال: قال رسول الله ﷺ: «اقبلوا البشرى يا بني تميم»، فقالوا: قد بشَّرتنا فأعطنا، فقال: «اقبلوا البشرى يا أهل اليمن»، فقالوا: قد قبِلنا، فأخبِرْنا عن هذا الأمر كيف كان؟ فقال رسول الله ﷺ: «كان الله عز وجل على العرش، وكان قبل كلِّ شيء، وكتب في اللوح كل شيء يكون». قال: فأتاني آت فقال: يا عمران، هذه ناقتك قد حلَّت عقالها، فقمت، فإذا السراب ينقطع بيني وبينها، فلا أدري ما كان بعد ذلك[1]. (١: ٣٨).

---

(١) حديث صحيح أخرجه البخاري كما بينا قبل قليل.
عود على بدء: والقول الراجح عند الطبري وغيره في هذه المسألة:
لقد ذكر الطبري رأيه في هذه المسألة بعد إخراجه لروايات مرفوعة وموقوفة.
وخلاصة رأيه أنه يصحح الحديث النبوي الشريف (أول شيء خلقه الله عز وجل القلم).
ويقول بأن مفهوم الحديث واضح ودلالته واضحة من غير استثناء شيء من المخلوقات قبل خلقه القلم وأن القلم أول مخلوق من غير استثنائه من ذلك عرشاً ولا ماءً ولا شيئاً غير ذلك، وانظر تاريخ الطبري (١/ ٣٥ ـ ٣٦).
قلنا: والمعروف أن أئمة الحديث على جلالة قدرهم قد تفوتهم أحاديث وأحاديث ويرويها غيرهم. فقد أخرج البخاري كما أشرنا حديثاً آخر لم يذكره الطبري رحمه الله.
وهو حديث عمران بن حصين السابق وفيه (كان الله ولم يكن شيء غيره. وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء وخلق السموات والأرض) وفي رواية (ثم خلق السموات والأرض) (صحيح البخاري/ ح ٣١٩١/ و/ح ٧٤١٨):
قلنا: أما الحافظ ابن حجر فقد صار إلى الجمع بين المتعارضين ظاهراً إذ قال في الفتح عقب الحديث (٣١٩١):
وأما أول ما رواه أحمد والترمذي وصححه من حديث عبادة بن الصامت مرفوعاً (أول ما خلق الله القلم ثم قال: اكتب. فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة).
فجمع بينه وبين ما قبله بأن أوله القلم بالنسبة إلى ما عدا الماء والعرش أو بالنسبة إلى ما منه صور من الكتابة أي أنه قيل له اكتب أول ما خلق.
وحكى أبو العلاء الهمداني أن للعلماء قولين في أيهما خلق أولاً: العرش أو القلم؟ قال: والأكثر على سبق خلق العرش، واختار ابن جرير ومن تبعه الثاني (فتح الباري ٦/ ٤٣٠/ ط. الفكر).
وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: والذي عليه الجمهور فيما نقله الحافظ أبو العلاء الهمداني وغيره أن العرش مخلوق قبل ذلك... ثم ذكر حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عند مسلم.
وقال رحمه الله: وقد دلَّ هنا الحديث أن ذلك بعد خلق العرش فثبت تقديم العرش على القلم=

وقد قيل إن الأيام سبعة لا ستة.

* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سهل بن عسكر، حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم، حدثني عبد الصمد بن معقِل، قال: سمعت وهب بن مُنبّه: يقول: الأيام سبعة[١]. (١/ ٤٣).

وكلا القولين ـ اللذَيْن روينا أحدَهما عن الضحاك وعطاء، من أن الله خلق الأيام الستة، والآخر منهما عن وهب بن منبّه من أن الأيام سبعة ـ صحيح مؤتلف غير مختلف، وذلك أن معنى قول عطاء والضحاك في ذلك كان أنَّ الأيام التي خلق الله فيهنَّ الخلق من حين ابتدائه في خلق السماء والأرض وما فيهنّ إلى أن فرغ من جميعه ستة أيام، كما قال جل ثناؤه ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ﴾، وأن معنى قول وهب بن منبّه في ذلك كان أنّ عدد الأيام التي هي أيام الجمعة سبعة أيام لا ستة[٢]. (١: ٤٣).

وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قولُ من قال: اليوم الذي ابتدأ الله تعالى ذكره فيه خلقَ السموات والأرض يومُ الأحد؛ لإجماع السلَف من أهل العلم على ذلك.

= الذي كتب به المقادير كما ذهب إلى ذلك الجمهور.
ويحمل حديث القلم على أنه أول المخلوقات من هذا العالم، ويؤيد هذا ما رواه البخاري عن عمران بن حصين قال: قال أهل اليمن لرسول الله ﷺ: جئناك لنتفقه في الدين ولنسألك عن أول هذا الأمر فقال: (كان الله ولم يكن شيء قبله).
وفي رواية (معه) وفي رواية (غيره). (وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء وخلق السموات والأرض).
وفي لفظ (ثم خلق السموات والأرض) فسألوه عن ابتداء خلق السموات والأرض ولهذا قالوا:
جئناك نسألك عن أول هذا الأمر فأجابهم عما سألوا فقط، ولهذا لم يخبرهم بخلق العرش كما أخبر في حديث أبي رزين المتقدم (البداية والنهاية ١/ ٣٢).

(١) صحيح.
(٢) صحيح.

فأما ما قال ابن إسحاق في ذلك ، فإنه إنما استدل ـ بزعمه ـ على أن ذلك كذلك؛ لأنّ الله عزّ ذكره فرَغ من خلق جميع خلقه يوم الجمعة ، وذلك اليوم السابع ، وفيه استوى على العرش ، وجعل ذلك اليوم عيداً للمسلمين؛ ودليلُه على ما زعم أنه استدل به على صحة قوله فيما حكينا عنه من ذلك هو الدليل على خطئه فيه ، وذلك أن الله تعالى أخبر عباده في غير موضع من [محكَم] تنزيله ، أنه خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ، فقال: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ . وقال تعالى ذكره ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ .

ولا خلاف بين جميع أهل العلم أن اليومين اللذين ذكرهما الله تبارك وتعالى في قوله: ﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ ﴾ داخلان في الأيام الستة اللاتي ذكَرَهن قبل ذلك ، فمعلوم إذْ كان الله عزَّ وجلّ إنما خلق السموات والأرضينَ وما فيهنَّ في ستة أيام ، وكانت الأخبار مع ذلك متظاهرة عن رسول الله ﷺ بأن آخر ما خلق الله من خلقه آدم ، وأن خلقه إياه كان في يوم الجمعة ـ أن يوم الجمعة الذي فرغ فيه من خلق خلقه داخل في الأيام الستة التي أخبر الله تعالى ذكره أنه خلق خلقه فيهنَّ؛ لأن ذلك لو لم يكن داخلاً في الأيام الستة ، كان إنما خلق خلقه في سبعة أيام ، لا في ستة ، وذلك خلاف ما جاء به التنزيل؛ فتبين إذاً ـ إذْ كان الأمرُ كالذي وصفنا في ذلك ـ أن أوّل الأيام التي ابتدأ الله فيها خلق السموات والأرض وما فيهنّ من خلقه يوم الأحد؛ إذ كان الآخر يوم الجمعة ، وذلك ستة أيام ، كما قال ربنا جل جلاله.

فأما الأخبارُ الواردة عن رسول الله ﷺ وعن أصحابه بأنّ الفراغ من الخلق كان يوم الجمعة ، فسنذكرها في مواضعها إن شاء الله تعالى[(١)]. (١ : ٤٥/ ٤٦).

---

(١) صحيح.

القول فيما خلق الله في كل يوم من الأيام الستة التي ذكر الله في كتابه أنه خلق فيهن السموات والأرض وما بينهما

وقال آخرون: خلق الله عز وجل الأرض قبل السماء بأقواتها من غير أن يَدْحُوَها، ثم استوى إلى السماء فسواهنَّ سبع سموات، ثم دحا الأرض بعد ذلك.

* ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ بن داود، قال: حدثنا أبو صالح، قال: حدثني معاوية، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: قوله عزّ وجلّ حيث ذكر خلْق الأرض قبل السماء، ثم ذكر السماء قبل الأرض، وذلك أن الله خلق الأرض بأقواتها من غير أن يدحوَها قبل السماء، ثم استوى إلى السماء فسواهنَّ سبع سموات، ثم دحا الأرضَ بعد ذلك، فذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾[1]. (١ : ٤٨).

حدثني محمد بن سعد، قال: حدثني أبي، قال: حدثني عمي، قال: حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا﴾، يعني أنه خلق السموات والأرض، فلمّا فرغ من السماء قبل أن يخلق أقوات الأرض بثَّ أقوات الأرض فيها بعد خلق السماء؛ وأرسى الجبالَ - يعني بذلك دحوَها - ولم تكن تصلح أقواتُ الأرض ونباتُها إلا بالليل والنهار، فذلك قوله عزَّ وجلّ: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ ألم تسمع أنه قال: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا﴾[2]؟ (١ : ٤٨).

وغير مستحيل ما روينا في ذلك عن ابن عباس من القول، وهو أن يكون الله تعالى ذكره خلقَ الأرض ولم يدحُها، ثم خلَق السموات فسواهنَّ، ثم دحا الأرض بعد ذلك، فأخرج منها ماءها ومرعاها، والجبالَ أرساها، بل ذلك عندي هو الصواب من القول في ذلك؛ وذلك أنَّ معنى الدَّحْوِ غيرُ معنى الخلق، وقد قال الله عز وجل: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا

---

(١) بين علي وابن عباس انقطاع إلا أن المتن يشهد له ما أخرجه البخاري كما سنذكر.

(٢) إسناده ضعيف إلا أن البخاري أخرج في صحيحه ما يؤيده كما سنذكر بعد الآتي.

وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾[١].
(١ : ٤٨/ ٤٩).

فإن قال قائل: فإنَّك قد علمتَ أن جماعةً من أهل التأويل قد وجهت قول الله: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا﴾ إلى معنى «مع ذلك دحاها»، فما برهانك على صحة ما قلت، من أنَّ «ذلك» بمعنى «بَعْد» التي هي خلاف «قبل»؟

قيل: المعروف من معنى «بعد» في كلام العرب هو الذي قلنا من أنها بخلاف معنى «قبل» لا بمعنى «مع»؛ وإنما تُوَجَّه معاني الكلام إلى الأغلب عليه من معانيه المعروفة في أهله، لا إلى غير ذلك[٢]. (١ : ٤٩).

وإذا كان الأمرُ كذلك كان خلقُ الأرض قبل خلق السموات، ودَحْوُ الأرض وهو بسطها بأقواتها ومراعيها ونباتها، بعد خلْق السموات، كما ذكرنا عن ابن عباس[٣]. (١ : ٥٠/ ٥١).

---

(١) صحيح.

(٢) رجح الطبري هنا أن الأرض خلقت قبل السموات (ولكن بدون دحو) ثم خلق الله سبحانه السموات ثم دحا الأرض واعتمد على المعنى اللغوي واستشهد بروايتين ضعيفتين عن ابن عباس.

(٣) صحيح.
لقد ذكر الطبري رحمه الله آثاراً عن عدد من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم تبين جميعها أن كل يوم من الأيام الستة التي خلق الله فيها السموات والأرض تعادل ألف سنة مما يعد البشر، وهي أخبار راجحة فيها.
وهي تفاسير متأثرة بروايات أهل الكتاب، والله سبحانه يقول في محكم التنزيل: ﴿مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾.
فلا حجة إلا بخبر صحيح عن الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام وتبقى هذه الأقوال والأخبار احتمالات لا دليل لها سواء كانت راجحة عند الطبري أو غير راجحة عند غيره كابن الأثير (١/ ٤١).
ولقد روى غير واحد من الأئمة عن ابن عباس خبراً لم يذكره الطبري في تأريخه حول هذه الآية:
قال الإمام الشوكاني رحمه الله تعالى: أخرج عبد الرزاق وسعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الأنباري في المصاحف والحاكم وصححه عبد الله بن أبي مليكة قال:
(دخلت على عبد الله بن عباس أنا وعبد الله بن فيروز مولى عثمان بن عفان فقال له ابن =

القول في الليل والنهار أيهما خلق قبل صاحبه
وفي بدء خلق الشمس والقمر وصفتهما إذ كانت الأزمنة تعرف

حدثنا القاسم ، قال: حدثني الحسين ، قال: حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾ ، قال: ليلاً ونهاراً كذلك خلقهما الله عزّ وجلّ[1] . (١ : ٧٧) .

قال ابن جريج: وأخبرنا عبد الله بن كثير ، قال: ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ ، قال: ظلمة الليل وسَدَف النهار[2] . (١ : ٧٧) .

حدثنا بِشْر بن معاذ ، قال: حَدثنا يزيد بن زُرَيْع ، قال: حدثنا سعيد عن قتادة ، قوله عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾ ، كنا نحدّث أن محوَ آية الليل سوادُ القمر الذي فيه ، ﴿وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ ، منيرة ، وخلق الشمس أنورَ من القمر وأعظم[3] . (١ : ٧٧) .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال: حدثنا أبو عاصم ، قال: حدثنا عيسى. وحدثني الحارث ، قال: حدثنا الحسن ، قال: حدثنا ورقاء جميعاً عن ابن

= فيروز: يا أبا عباس قوله: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ . فكأن ابن عباس اتهمه فقال:
ما يوم كان مقداره خمسين ألف سنة؟ قال: إنما سألتك لتخبرني ، فقال ابن عباس: هما يومان ذكرهما الله في كتابه الله أعلم بهما ، وأكره أن أقول في كتاب الله ما لا أعلم ، فضرب الدهر من ضرباته حتى جلست إلى ابن المسيب فسأله عنهما إنسان فلم يخبره ، ولم يدر. فقلت: ألا أخبرك بما حضرت من ابن عباس؟ قال: بلى ، فأخبرته فقال للسائل: هذا ابن عباس قد أبى أن يقول فيها ، وهو أعلم مني (فتح القدير ٤/ ٣٠٢).
قلنا: ولو كان في بيان حقيقة الأيام الستة فائدة للمكلفين لذكره سبحانه في كتابه أو بينه على لسان نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام.

(١) صحيح.
(٢) صحيح.
(٣) صحيح.

أبي نَجِيح ، عن مجاهد : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ﴾ ، قال : ليلاً ونهاراً ، كذلك جعلهما الله عزّ وجلّ[١] . (١ : ٧٧) .

ولو صحَّ سندُ أحد الخبرين اللذين ذكرتهما لقلنا به؛ ولكن في أسانيدهما نظر؛ فلم نستجز قطع القول بتصحيح ما فيهما من الخبر عن سبب اختلاف حال الشمس والقمر؛ غير أنا بيقين نعلم أن الله عزَّ وجلَّ خالف بين صفتيهما في الإضاءة لما كان أعلم به من صلاح خلقه باختلاف أمريْهما ، فخالف بينهما ، فجعل أحدهما مضيئاً مُبصراً به ، والآخر ممحوّ الضوء[٢] . (١ : ٧٨) .

وإنما ذكرنا قدر ما ذكرنا من أمر الشمس والقمر في كتابنا هذا ، وإن كنا قد أعرضنا عن ذكر كثير من أمرهما وأخبارهما ، مع إعراضنا عن ذكر بدء خلق الله السموات والأرض وصفة ذلك ، وسائر ما تركنا ذكره من جميع خلق الله في هذا الكتاب؛ لأنَّ قصْدنا في كتابنا هذا ذكرُ ما قدمنا الخبر عنه أنَّا ذاكروه فيه من ذكر الأزمنة وتأريخ الملوك والأنبياء والرسل ، على ما قد شرطنا في أول هذا الكتاب ، وكانت التأريخات والأزمنة إنما توقَّت بالليالي والأيام التي إنما هي مقادير ساعات جري الشمس والقمر في أفلاكهما على ما قد ذكرنا في الأخبار التي رويناها عن رسول الله ﷺ ، وكان ما كان قبل خلق الله عزّ ذكره إياهما من خلقه في غير أوقات ولا ساعات ولا ليل ولا نهار[٣] . (١ : ٧٨/ ٧٩) .

ذكر السبب الذي به هلك عدو الله
وسولت له نفسه من أجله الاستكبار على ربه عز وجل

قال أبو جعفر : وأوْلى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال كما قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾ ؛ وجائز أن يكون فسوقُه عن أمر ربّه كان من أجل أنه كان من الجنّ ، وجائز أن يكون من أجل إعجابه بنفسه لشدة اجتهاده في عبادة ربه ، وكثرة

(١) صحيح .
(٢) صحيح .
(٣) صحيح .

علمه، وما كان أوتي من مُلك السماء الدنيا والأرض وخَزْن الجنان. وجائز أن يكون لغير ذلك من الأمُور، ولا يُدرَك علم ذلك إلاَّ بخبرٍ تقوم به الحجة، ولا خبرَ في ذلك عندنا كذلك، والاختلاف في أمره على ما حكيناه ورويناه[1]. (١ : ٨٨).

---

(١) صحيح وانظر تعليقنا بعد قليل.

الآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة

الواردة في خلق إبليس وقصته مع آدم عليه السلام

لقد ذكر الإمام الطبري رحمه الله روايات كثيرة في خلق إبليس اللعين وطبيعة عمله قبل طرده من رحمة الله وهل كان من الملائكة أم من الجان وما إلى ذلك، ولم نجد فيها رواية مرفوعة صحيحة، بل فيها روايات منكرة مخالفة لما في كتاب الله من آيات صريحة واضحة المعنى، وسنذكر هنا طرفاً من الآيات القرآنية الكريمة وبعضاً من الأحاديث الصحيحة الواردة في إبليس.

ولكن قبل ذلك نود أن نذكر رأي الطبري نفسه في بعض تلك الروايات ثم رأي الحافظ ابن كثير رحمه الله فيها:

قال الإمام محمد بن جرير الطبري رحمه الله تعالى بعد أن ذكر روايات عدة في أسباب إخراج آدم عليه السلام (وهي أسباب محتملة). قال الطبري:

ولا يدرك علم ذلك إلا بخبر تقوم به الحجة، ولا خبر في ذلك كذلك والاختلاف في أمره على ما حكيناه ورويناه (تأريخ الطبري ١/ ٨٨).

قلنا: وأما الحافظ ابن كثير وهو مؤرخ ومحدث ومفسر فقد ذكر روايات عدة (من روايات الطبري وغيره) تذكر أن إبليس كان صاحب عبادة وأنه كان رئيس الملائكة في السماء الدنيا، أو أنه كان خازناً من خزنة الجنة وأنه كان يدبر أمر السماء الدنيا . . . إلخ.

ثم عقب الحافظ ابن كثير رحمه الله قائلاً:

وقد روي في هذا آثار كثيرة عن السلف وغالبها من الإسرائيليات التي تنقل لينظر فيها، والله أعلم بحال كثير منها، ومنها ما يقطع بكذبه لمخالفته الحق الذي بأيدينا، وفي القرآن غنية عن كل ما عداه من الأخبار المتقدمة لأنها لا تكاد تخلو من تبديل وزيادة ونقصان وقد وضع فيها أشياء كثيرة وليس لهم (يعني لأهل الكتاب) من الحفاظ المتقنين الذي ينفون عنها تحريف الغالين وانتحال المبطلين، كما لهذه الأمة من الأئمة العلماء والسادة الأتقياء البررة النجباء.

ومن الجهابذة النقاد والحفاظ الجياد الذين دوَّنوا الحديث وحرّروه وبينوا صحيحه من حسنه ومن ضعيفه، ومن منكره وموضوعه ومتروكه ومكذوبه.

وعرفوا الوضاعين والكذابين والمجهولين وغير ذلك من أصناف الرجال، كل ذلك صيانة للجناب النبوي والمقام المحمدي خاتم الرسل وسيد البشرية عليه أفضل التحيات والصلوات والتسليمات أن ينسب إليه كذب أو يحدث عنه بما ليس منه. فرضي الله عنهم وأرضاهم (تفسير القرآن العظيم ٢١٧١).

١ ـ قال الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه :
﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَـٰنَ مِن صَلۡصَـٰلٍ كَٱلۡفَخَّارِ ۝١٤ وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ [الرحمن : ١٤ ـ ١٥] .
وقال سبحانه وتعالى : ﴿وَٱلۡجَآنَّ خَلَقۡنَـٰهُ مِن قَبۡلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾ [الحجر : ٢٧] .
وأخرج الإمام مسلم في صحيحه كتاب الزهد (٦٠/ ٢٩٩٦) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : «خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارجٍ من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم» .
وقال الحق سبحانه في كتابه الكريم : ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّـٰلِمِينَ بَدَلٗا﴾ [الكهف : ٥٠] .
وأخرج الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٦٠) عن الحسن البصري رحمه الله قال : (ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط . . . الخبر) .
وقال الحافظ ابن كثير : رواه ابن جرير بسند صحيح (تفسير القرآن العظيم ٥/ ٢١٧٠) .
٢ ـ وقال الحق سبحانه : ﴿قَالَ أَرَءَيۡتَكَ هَـٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ عَلَيَّ لَئِنۡ أَخَّرۡتَنِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَـٰمَةِ لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٦٢ قَالَ ٱذۡهَبۡ فَمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمۡ جَزَآءٗ مَّوۡفُورٗا ۝٦٣ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَـٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَـٰنُ إِلَّا غُرُورًا ۝٦٤ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَـٰنٞۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلٗا﴾ [الإسراء : ٦٢ ـ ٦٥] . المعنى أن إبليس اللعين قال للرب جراءة وكفراً : هذا الذي شرفته وعظمته عليّ لئن أخرتني (أنظرتني) لأحتنكن أي لأضلن ذريته إلا قليلاً منهم .
ومعنى (اذهب) : أي فقد أنظرتك كما في الآية الأخرى ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ۝٣٧ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ﴾ ثم أوعده ومن تبعه من ذرية آدم جهنم فقال :
﴿فَمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمۡ﴾ أي : على أعمالكم ﴿جَزَآءٗ مَّوۡفُورٗا﴾ أي : وافراً لا ينقص منه ، ﴿وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ﴾ كل داعٍ دعا إلى معصية الله عز وجل ﴿وَٱسۡتَفۡزِزۡ﴾ أي : استخفهم بذلك .
﴿وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ أي : واحمل عليهم بجنودك خيالتهم ورَجلَتهم فإن الرَّجل جمع راجل ومعناه تسلط عليهم بكل ما تقدر عليه .
ومنه قوله تعالى : ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَـٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمۡ أَزّٗا﴾ أي : تزعجهم إلى المعاصي إزعاجاً وتسوقهم إليها سوقاً ، وقال مجاهد : ﴿بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ كل راكب وماشٍ في معصية الله ، وقال قتادة : إن له خيلاً ورجالاً من الجن والإنس وهم الذين يطيعونه .
قلنا : وقريباً من هذا المعنى تفسير قوله تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَـٰطِينَ ٱلۡإِنسِ=

= وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾. (تفسير ابن كثير بتصرف واختصار وإضافات).

٣ ـ وأخرج مسلم في صحيحه (كتاب الجنة/ ٤/ ٢١٩٧) قال رسول الله ﷺ: «يقول الله عز وجل إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرّمت عليهم ما أحللت لهم».

وأخرج البخاري (٦/ ٣٣٥) ومسلم (٢/ ١٠٨٥) قال رسول الله ﷺ: «لو أن أحدهم إذا أراد أن يأتي أهله قال: باسم الله، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، فإنه إن يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره الشيطان أبداً».

وقد أورد الحافظ ابن كثير هذين الحديثين الشريفين في تفسير قوله تعالى ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ ثم ذكر رأي الطبري في تفسير هذه الآية فقال:

قال ابن جرير: وأولى الأقوال بالصواب أن يقال كل مولود ولدته أنثى عُصي الله فيه بتسميته بما يكرهه الله أو بإدخاله في غير الدين الذي ارتضاه الله، أو بالزنى بأمه، أو بقتله ووأده، أو غير ذلك من الأمور التي يعصى الله بفعله به أو فيه، فقد دخل في مشاركة إبليس فيه من ولد ذلك الولد له أو منه، لأن الله لم يخصص بقوله ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ معنى الشركة فيه بمعنى دون معنى فكل ما عُصي الله فيه أو به، وأطيع فيه الشيطان أو به فهو مشاركة).

ثم قال الحافظ ابن كثير: وهذا الذي قاله متجه، وكلّ من السلف رحمهم الله فسر بعض المشاركة ثم ذكر ابن كثير الحديثين الآنفي الذكر (تفسير القرآن العظيم/ ٥/ ٢١٠٨).

٤ ـ وأخرج الإمام مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إن الشيطان يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه في الناس فأقربهم عنده منزلة أعظمهم عنده فتنة، يجيء أحدهم فيقول ما زلت بفلان حتى تركته وهو يقول كذا وكذا، فيقول إبليس والله ما صنعت شيئاً، ويجيء أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين أهله قال فيقربه ويدنيه ويلتزمه ويقول نعم أنت». صحيح مسلم (كتاب المنافقين ح ٦٧/ ٢٨١٣).

٥ ـ وأخرج الترمذي في سننه (كتاب تفسير القرآن/ ح/ ٢٩٨٨) وابن حبان (كتاب الرقائق/ ح ٩٩٧) من حديث ابن مسعود مرفوعاً:

«إن للشيطان لَلَمَّة بابن آدم، وللملك لمَّة، فأما لمة الشيطان فإنها بالشرّ وتكذيب بالحق وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ من الشيطان) ثم قرأ: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب وهو حديث أبي الأحوص لا نعلمه مرفوعاً إلا من حديث أبي الأحوص. =

= ٦ ـ وأخرج البخاري في صحيحه (كتاب بدء الخلق/ ح ٣٢٩٢) (قال رسول الله ﷺ : «الرؤيا الصالحة من الله والحلمُ من الشيطان فإذا حلم أحدكم حلماً يخافه فليبصق عن يساره وليتعوذ بالله من شرها فإنها لا تضره».

٧ ـ وأخرج البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ : «الملائكة تحدث في العنان» والعنان: الغمام (بالأمر يكون في الأرض فتسمع الشياطين الكلمة فتقرها في أذن الكاهن كما تقر القارورة فيزيدون معها مئة كلمة» (صحيح البخاري/ كتاب بدء الخلق/ صفة إبليس وجنوده/ ح ٣٢٨٨).

وفي رواية أخرى «فيخلطون معها مئة كذبة» صحيح البخاري/ كتاب التوحيد/ (ح ٧٥٦١).

٨ ـ وأخرج الإمام أحمد في مسنده عن سبرة بن أبي فاكه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه، فقعد له بطريق الإسلام فقال له: أتسلم فتذر دينك ودين آبائك وآباء أبيك؟ قال: فعصاه فأسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال: أتهاجر وتذر أرضك وسماءك؟ وإنما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطول، قال: فعصاه فهاجر.

قال: ثم قعد له بطريق الجهاد فقال: هو جهد النفس والمال فتقاتل فتقتل فتُنْكَحُ المرأة ويُقسم المال، قال: فعصاه فجاهد، فقال رسول الله ﷺ : فمن فعل ذلك منهم فمات كان حقاً على الله أن يدخله الجنة أو قتل كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، وإن غرق كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، أو وقصته دابته كان حقاً على الله أن يدخله الجنة».

(مسند أحمد/ ح ١٥٩٥٨).

قال العلامة أرناؤوط: إسناده قوي (مسند أحمد ٢٥/ ٣١٦) والحديث أخرجه ابن حبان (ح ٤٥٩٣) والطبراني في الكبير (ح ٦٥٥٨).

شرح غريب الحديث:

(مثل المهاجر كمثل الفرس في الطول) أي أن الشيطان يريد أن يصور للإنسان الذي يريد الهجرة بدينه أن المهاجر يصير كالرجل المقيد خارج بلاده، كالفرس في الطول يدور ويرعى بقدر ذلك المكان والمهاجر يصير كذلك مقيداً لا يختلط به الناس لأنه غريب عنهم ومن غير بلادهم.

(والأطرق): جمع طريق. و(جهد المال والنفس): كناية عن إضاعة المال وجلب المشقة على النفس والله أعلم.

٩ ـ قال الله سبحانه في سورة الأعراف:

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ٢١].

وسنأتي على تفسير هذه الآية فيما يأتي من قصة آدم إن شاء الله تعالى:

وقال سبحانه وتعالى: =

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال: حدثنا ابن عُلَيَّة عن عَوْف ـ وحدثنا محمد بن بَشَّار وعمر بن شَبَّة ، قالا : حدثنا يحيى بن سعيد ، قال: حدثنا عوف. وحدثنا ابن بَشَّار ، قال: حدثنا ابن أبي عديّ ومحمد بن جعفر وعبد الوهاب الثقفيّ ، قالوا: حدثنا عوف. وحدثني محمد بن عُمارة الأسديّ ، قال: حدثنا إسماعيل بن أبان ، قال: حدثنا عَنْبسة عن عوف الأعرابيّ عن قَسامة بن زُهَير ، عن أبي موسىٰ الأشعريّ ، قال: قال رسول الله ﷺ : «إن الله خلقَ آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض ، فجاء بنو آدم على قدر الأرض؛ جاء منهم الأحمر ، والأسود ، والأبيض ، وبين ذلك ، والسهل ، والحَزْن ، والخبيث ، والطيب ، ثم بُلَّتْ طينته حتى صارت طيناً لازباً ، ثم تُركت حتى صارت حمأ مسنوناً ، ثم تركتْ حتى صارت صلصالاً كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾[1]. (١ : ٩١).

= ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٣٩ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٤٠ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ۝٤١ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ۝٤٢ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٣٩ ـ ٤٣].

١٠ ـ وطبيعة الشيطان العدائية لبني آدم معروفة لمن قرأ كتاب الله كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ وهو بطبيعته العدوانية هذه يحاول التدخل في كل صغيرة وكبيرة من شؤون الحياة اليومية عسى أن يجبر الإنسان إلى باب من أبواب المعصية كما في صحيح البخاري «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم». وحتى في أخص الخصوصيات ولذلك أمرنا الإسلام أن نكون حذرين في كل صغيرة وكبيرة كي لا نقع في معصية أو تلبيس إبليس.

وقد ورد في صحيح البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: (لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال: اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فإن كان بينهما ولد لم يضره الشيطان ولم يسلط عليه). (صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق ح/ ٣٢٨٣). وفي القرآن الكريم آيات قرآنية كثيرة تتحدث عن طبيعة إبليس اللعين ودوره في إفساد المجتمعات.

ولنا في الأحاديث الصحيحة والآيات القرآنية كفايةٌ ولله الحمد وله المنة والفضل.

وقد جمع الحافظ ابن كثير أحاديث كثيرة عند حديثه عن إبليس في بداية كتابه القيم البداية والنهاية فليراجع.

(١) هذا إسناد مركب صحح مداره على عوف الأعرابي وهو ثقة.

والشطر الأول من الحديث أخرجه الترمذي (ح ٢٩٥٥) وقال: حسن صحيح. وأخرج أحمد شطره الأول كذلك. =

وحدثنا ابن بَشَّار، قال: حدثنا يحيىٰ بن سعيد وعبد الرحمن بن مهديّ، قالا: حدثنا سفيان عن الأعمش، عن مسلم البَطِين، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس، قال: خُلِق آدم من ثلاثة: من صلصال، ومن حمأ، ومن طين لازب. فأما اللازب فالجيّد، وأما الحمأ فالحمئة، وأما الصلصال فالتراب المدقَّق، ويعني تعالى ذكره بقوله: ﴿مِن صَلْصَـٰلٍ﴾؛ من طين يابس له صلصلة، والصلصلة: الصوت[1]. (١: ٩١).

حدثني محمد بن خلف، قال: حدثنا آدم بن أبي إياس، قال: حدثنا أبو خالد سليمان بن حيَّان، قال: حدثني محمد بن عمرو عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، عن النبي عليه الصلاة والسلام. قال أبو خالد: [وحدثني الأعمش عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ]. قال أبو خالد: وحدثني داود بن أبي هند عن الشعبيّ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ. قال أبو خالد: وحدثني ابن أبي ذباب الدوْسيّ، قال: حدثني سعيد المقبُرِيّ، ويزيد بن هرمز عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «خلق الله عزّ وجلّ آدم بيده، ونفخ فيه من روحه، وأمر الملأ من الملائكة فسجدوا له، فجلس فعطَس فقال: الحمد لله، فقال له ربُّه: يرحمك ربّك، إيت أولئك الملأ من الملائكة فقل لهم: السلام عليكم. فأتاهم فقال: السلام عليكم، فقالوا له: وعليك السلام ورحمة الله، ثم رجع إلى ربه عزّ وجلّ فقال له: هذه تحيتك وتحية ذريتك بينهم[2]. (١: ٩٦).

= وقال العلامة أرناؤوط: إسناده صحيح، رجاله رجال الشيخين غير قسامة فقد روى له أصحاب السنن سوى ابن ماجه وهو ثقة. (المسند/ ح ١١٥٨٢).
ولفظه (إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض فجاء منهم الأبيض والأحمر والأسود وبين ذلك).
من حديث أبي موسى مرفوعاً (المسند/ ح ١٩٥٨٢) وأخرجه أبو داود (٤/ ٤٦٩٣) وأخرجه البيهقي في السنن (٩/ ٣). والله أعلم. (٢/ ٢٦٢) وقال صحيح الإسناد وأقره الذهبي، وأخرجه ابن حبان (بدء الخلق/ ح ١١٦٠) والله أعلم.

(١) هذا إسناد موقوف صحيح إلى ابن عباس والثلاثة التي ذكرها مذكورة في القرآن وهذا الأثر تفسير لغوي لهذه الألفاظ والله أعلم.

(٢) مدار هذه الرواية على سليمان بن حيان صدوق، والحديث أخرجه ابن حبان من طريق آخر عن سعيد المقبري عن أبي هريرة مرفوعاً وقال أرناؤوط: إسناده قوي (الموارد ح ٢٠٨٢). =

فلما أظهر إبليس من نفسه ما كان له مخفياً فيها من الكبر والمعصية لربه ، وكانت الملائكة قد قالت لربها عزّ وجلَّ حين قال لهم: إني جاعل في الأرض خليفة: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك. فقال لهم ربهم: إني أعلم ما لا تعلمون ، تبيّن لهم ما كان عنهم مستتراً ، وعلموا أن فيهم مَنْ منه المعصية لله عزّ وجلَّ والخلاف لأمره[١] . (١ : ٩٦) .

ثم علَّم الله عزَّ وجلَّ آدم الأسماء كلَّها. واختلف السلف من أهل العلم قبلنا في الأسماء التي عُلِّمَها آدم: أخاصّاً من الأسماء عُلِّم ، أم عامّاً؟ فقال بعضهم: علِّم اسم كل شيء[٢] . (١ : ٩٦) .

* ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب ، قال: حدثنا عثمان بن سعيد ، قال: حدثنا بشر بن عُمارة عن أبي رَوْق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال: علم الله تعالى آدم الأسماء كلَّها ، وهي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس: إنسان ، ودابة ، وأرض ، وسهل، وبحر ، وجبل ، وحمار؛ وأشباه ذلك من الأمم وغيرها[٣] . (١ : ٩٧) .

حدثني أحمد بن إسحاق الأهوازيّ ، قال: حدثنا أبو أحمد ، حدثنا شريك عن عاصم بن كليب ، عن الحسن بن سعد ، عن ابن عباس في قوله: ﴿ وَعَلَّمَ

= وأخرجه البيهقي (١٠/ح ٢٠٥٢٠) من طريق المقبري عن أبي هريرة. وأخرج البخاري في صحيحه (كتاب أحاديث الأنبياء/ ح ٣٣٢٦) عن أبي هريرة عن النبيﷺ قال: (خلق الله آدم وطوله ستون ذراعاً ثم قال اذهب فسلم على أولئك النفر من الملائكة واستمع ما يجيبونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك.
فقال السلام عليكم فقالوا: وعليك السلام ورحمة الله ، فزادوه ورحمة الله. فكل من يدخل الجنة على صورة آدم فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن).

(١) قول الطبري هنا في آخر المقطع (وعلموا أن فيهم من منه المعصية لله عز وجل والخلاف لأمره) فيه نظر.
فإن كان يعني به إبليس كان من الملائكة فلا إلاَّ إذا كان يعني أن إبليس وهو جني كان حاضراً مع ذلك الجمع من الملائكة ولكنه كان يخفي في نفسه الكبر والمعصية والله أعلم.

(٢) صحيح.

(٣) صحيح.

ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ ، قال : علمه اسم كلّ شيء ، حتى الفَسْوَة والفُسَيَّة[١] . (١ : ٩٧) .

حدثني علي بن الحسن ، حدثنا مسلم الجرمي ، قال : حدثنا محمد بن مصعب عن قيس بن الربيع ، عن عاصم بن كُليب ، عن سعيد بن معبد ، عن ابن عباس في قول الله عز وجل : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ قال : علَّمه اسم كلَّ شيء حتى الهنَّة والهُنَيَّة ، والفسْوَة والضرطة[٢] . (١ : ٩٧) .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى بن ميمون ، عن ابن أبي نَجيح ، عن مجاهد؛ في قول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ قال : ما خلق الله تعالى كله[٣] . (١ : ٩٧) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبي عن سفيان ، عن خَصِيف ، عن مجاهد : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ قال : علَّمه اسم كل شيء[٤] . (١ : ٩٧) .

حدثنا سفيان ، قال : حدثنا أبي عن شريك ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جُبَير ، قال : علَّمه اسمَ كلِّ شيء؛ حتى البعير ، والبقرة ، والشاة[٥] . (١ : ٩٨) .

حدثنا الحسن بن يحيىٰ ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا مَعْمَر ، عن قَتادة في قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ ، قال : علَّمه اسمَ كل شيء : هذا جبل ، وهذا بحر ، وهذا كذا ، وهذا كذا ، لكل شيء ، ثم عرضهم على الملائكة ، فقال : ﴿ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾[٦] . (١ : ٩٨) .

حدثنا بشر بن مُعاذ ، حدثنا يزيد بن زُرَيْع عن سعيد ، عن قَتادة ، قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ حتى بلغ ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ ، قال :

---

(١) صحيح .
(٢) صحيح .
(٣) صحيح .
(٤) صحيح .
(٥) صحيح .
(٦) صحيح .

يا آدم أنبئهم بأسمائهم ، فأنبأ كلَّ صِنْف من الخلق باسمه ، وألجأه إلى جنسه[١] . (١ : ٩٨) .

حدثنا القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين بن داود ؛ قال : حدثنا حجاج عن جرير بن حازم ومبارك ، عن الحسن وأبي بكر ، عن الحسن وقتادة ، قالا : علَّمه اسم كل شيء ؛ هذا الخيل ، وهذه البغال ، والإبل ، والجن ، والوحش ، وجعل يسمّي كلَّ شيء برسمه[٢] . (١ : ٩٨) .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا بشر بن مُعاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زُرَيْع ، قال : حدثنا سعيد عن قَتادة : قوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ ، فاستشار الملائكة في خلْق آدم عليه السلام فقالوا : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ ، وقد علمت الملائكة من عِلم الله أنه لا شيء أكره إلى الله عزَّ وجلّ من سفك الدماء والفساد في الأرض ، ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ، فكان في علم الله عزّ وجلّ أنه سيكون من تلك الخليقة أنبياء ورسلٌ وقوم صالحون وساكنو الجنة .

قال : وذُكِر لنا أن ابن عباس كان يقول : إن الله تعالى لما أخذ في خلق آدم قالت الملائكة : ما الله تعالى بخالق خلقاً أكرم عليه منا ، ولا أعلم منا ، فابتُلوا بخلْق آدم عليه السلام ـ وكلّ خَلْق مبتلىً ، كما ابتُليت السموات والأرض بالطاعة ـ فقال الله تعالى : ﴿ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾[٣] . (١ : ١٠٠ / ١٠١) .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زُرَيْع ، قال : حدثنا سعيد عن

---

(١) صحيح .

(٢) صحيح .
قلنا : هذه آثار عن الصحابة والتابعين تؤكد على أنه سبحانه وتعالى علم آدم اسم كل شيء ويؤيد ذلك ما أخرجه البخاري في صحيحه مرفوعاً (فيأتون آدم فيقولون أنت أبو الناس خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كلِّ شيء . . . الحديث) ضمن حديث طويل .

(٣) إسناد مرسل صحيح .

قتادة: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾، يعني: حوّاء، خلقت من آدم من ضِلع من أضلاعه[١]. (١: ١٠٥).

القول في قدر مكث آدم في الجنة ووقت خلق الله عزوجل إياه ووقت إهباطه إياه من السماء إلى الأرض

* ذكر الأخبار عن رسول الله ﷺ بذلك:

حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحَكَم، قال: حدثنا عليّ بن مَعْبَد، قال: حدَّثنا عبيد الله بن عمرو عن عبد الله بن محمد بن عَقيل، عن عمرو بن شُرَحْبيل عن سعيد بن سعد بن عُبادة، عن سعد بن عُبَادَة، عن رسول الله ﷺ، قال: «إن في الجمعة خمس خلال: فيه خُلِق آدم، وفيه أهبط إلى الأرض، وفيه تَوفَّى الله آدم، وفيه ساعةٌ لا يَسأل العبدُ فيها ربَّه شيئاً إلا أعطاه الله إياه؛ ما لم يسأل إثماً أو قطيعة، وفيه: تقوم الساعة، وما مِنْ ملَك مقرَّب. ولا سماءٍ ولا جبلٍ ولا أرض ولا ريح؛ إلا مشفق من يوم الجمعة»[٢]. (١: ١١٣).

حدثني محمد بن بشار ومحمد بن مَعمَر، قالا: حدثنا أبو عامر، حدثنا زُهَير بن محمد عن عبد الله بن محمد بن عَقِيل، عن عبد الرحمن بن يزيد الأنصاريّ؛ عن أبي لُبابة بن عبد المنذر، أن النبي ﷺ قال: «سيد الأيام يومُ الجمعة وأعظمُها، وأعظم عند الله من يوم الفطر ويوم النحر؛ وفيه خمس خلال: خلق الله تعالى فيه آدم، وأهبطه فيه إلى الأرض، وفيه توفَّى الله تعالى آدم، وفيه ساعة لا يسأل الله العبد شيئاً إلا أعطاه إياه ما لم يكن حراماً. وفيه تقوم الساعة؛ ما من ملك مقرَّب ولا سماء ولا أرض ولا جبال ولا رياح ولا بحر إلا وهو مشفق من يوم الجمعة أن تقوم فيه الساعة». واللفظ لحديث ابن بشار[٣]. (١: ١١٣).

---

(١) صحيح.

(٢) إسناده ضعيف وأخرجه الشافعي من طريق عبد الله بن محمد هذا (المسند ١/٣٧٦) وشطر من متنه صحيح كما سيأتي.

(٣) في إسناده زهير بن محمد ضعفه غير واحد وقال أبو حاتم محله الصدق وفي حفظه سوء، وكان حديثه بالشام أنكر من حديثه بالعراق لسوء حفظه مما حدث من حفظه ففيه أغاليط وما حدث من كتبه فهو صالح (تهذيب الكمال/ ٢٠٠٢).

حدثنا محمد بن معمر ، قال: حدثنا أبو عامر ، قال: حدثنا زُهير بن محمد عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن عمرو بن شرحبيل بن سعيد بن سعد بن عبادة عن أبيه ، عن جده ، عن سعد بن عبادة ، أن رجلاً أتىٰ النبي ﷺ ، فقال: يا رسول الله ، أخبرنا عن يوم الجمعة ، ماذا فيه من الخير؟ فقال: «فيه خُلِق آدم ، وفيه أهبط آدم ، وفيه تُوفي آدم ، وفيه ساعة لا يسأل العبد فيها شيئاً إلا أعطاه الله إياه؛ ما لم يسأل مأثماً أو قطيعة ، وفيه تقوم السـاعـة؛ ما من ملك مقرَّب ولا سماء ولا أرض ولا جبال ولا ريح إلا هنَّ يُشفِقن من يوم الجمعة»(١) . (١ : ١١٤) .

حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحَكَم ، قال: حدثنا أبو زُرْعَةَ ، قال: أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، عن عبد الرحمن الأعرج ، أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ : «خير يوم طلعت الشمس عليه يوم الجمعة؛ فيه خلق آدم ، وفيه أدخل الجنة وأخرج منها»(٢) . (١ : ١١٤) .

حدثني بحر بن نصر ، قال: أخبرنا ابن وهب ، قال: أخبرني ابن أبي الزّناد عن أبيه ، عن موسى بن أبي عثمان ، عن أبي هريرة ، قال: قال رسول الله ﷺ : «سيدُ الأيام يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه أدخل الجنة ، وفيه أخرج منها ، ولا تقوم الساعة إلا يوم الجمعة»(٣) . (١ : ١١٤) .

حدثنا الربيع بن سليمان ، قال: حدثنا شعيب بن اللَّيْث ، قال: حدثنا اللَّيْث بن سعد عن جعفر بن ربيعة ، عن عبد الرحمن بن هُرْمز ، أنه قال: سمعت

---

(١) إسناده ضعيف والحديث يؤيده ما بعده من حديث أبي هريرة كما سنذكر .

(٢) في إسناده أبو زرعة (وهب الله بن راشد) ذكره ابن حبان في الثقات وقال يخطىء. وقال أبو حاتم محله الصدق (لسان الميزان ترجمة ٩١٤١/ ٩٤٣٧).
والحديث صحيح أخرجه أبو داود من حديث أبي هريرة (١/ح ١٠٤٦) والحاكم في المستدرك (١/ ٢٧٧) والترمذي في سننه (١/ ٤٩٧) وشطر منه عند مسلم (١/ ٨٥٤).

(٣) لفظة (سيد الأيام) وردت في رواية الطبري هذه وأخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٢٧٧) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم فقد استشهد بعبد الرحمن بن أبي الزناد ولم يخرجا (سيد الأيام). ا هـ.
قلنا: وعبد الرحمن هذا ضعفه عدد غير قليل من الأئمة وروى له مسلم في مقدمة صحيحه وقال الحافظ: صدوق تغير حفظه لما قدم بغداد.

أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ : «لم تطلع الشمس على يوم مثل يوم الجمعة؛ فيه خلق آدم ، وفيه أخرِج من الجنة ، وفيه أعيد فيها»[١] . (١ : ١١٤) .

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال: حدثنا إسحاق بن منصور عن أبي كُدَيْنَة ، عن مغيرة ، عن زياد ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن القَرْثع ، عن سلمان ، قال: قال رسول الله ﷺ : «أتدري ما يوم الجمعة؟ هو يوم جَمَّع فيه أبوك» ، أو «أبوكم آدم» عليه السلام[٢] . (١ : ١١٥) .

حدثنا أبو كُريب ، قال: حدثنا حسن بن عطية ، قال: حدثنا قيس عن الأعمش، عن إبراهيم. عن القَرثع ، عن سلمان ، قال: قال رسول الله ﷺ : «أتدري ما الجمعة»؟ أو قال: كذا ، «فيها جَمَّعَ أبوكم آدم»[٣] . (١ : ١١٥/١١٦) .

حدثنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق ، قال: سمعت أبي يقول: أخبرنا أبو حمزة عن منصور ، عن إبراهيم ، عن القَرثع ، عن سلمان ، قال: قال لي رسول الله ﷺ : «أتدري ما يوم الجمعة؟» قلت: لا ، قال: «فيه جمع أبوك»[٤] . (١ : ١١٦) .

ذكر الوقت الذي فيه خلق آدم عليه السلام من يوم الجمعة والوقت الذي أهبط إلى الأرض

اختلف في ذلك ، فروي عن عبد الله بن سَلاَم وغيره في ذلك ما حدَّثنا أبو كريب ، قال: حدثنا ابن إدريس ، قال: أخبرنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، قال: قال رسول الله ﷺ : «خير يوم طلعت فيه الشمس يومُ الجمعة ، فيه خُلق آدم ، وفيه أسكن الجنة ، وفيه أهبط ، وفيه تقوم الساعة ، وفيه ساعة ـ [يقلّلها] ـ لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها خيراً إلاّ

(١) إسناده صحيح والحديث صحيح كما سبق.

(٢) حديث صحيح أخرجه الحاكم كما ذكرنا وابن خزيمة (ح/ ١٧٣٢) بأطول من هذا وصحح الدكتور الأعظمي إسناده وقال أخرجه الطبراني وأحمد. ا هـ.

(٣) صحيح.

(٤) صحيح.

آتاه الله إياه» ، فقال عبد الله بن سلام : قد علمت أيّ ساعة هي ، هي آخر ساعات النهار من يوم الجمعة ، قال الله عزّ وجلّ : ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾[١] . (١ : ١١٧).

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا المحاربيّ وعبدة بن سليمان وأسد بن عمرو ؛ عن محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو سلمة عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ نحوه ، وذكر فيه كلام عبد الله بن سَلَام بنحوه[٢] . (١ : ١١٧).

القول في الموضع الذي أهبط آدم وحواء إليه من الأرض حين أهبطا إليها

فهذا الذي قاله هؤلاء هو أولى بالصواب ، وأشبَه بما دلَّ عليه كتاب ربنا عزّ وجلّ ، وذلك أن الله عزَّ ذكره لما تقدم إلى آدم وزوجته حواء بالنهي عن طاعة عدوِّهما ، قال لآدم : ﴿ يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴾ ، فكان معلوماً أنَّ الشقاء الذي أعلمه أنه يكون إن أطاع عدوَّه إبليس ، هو مشقة الوصول إلى ما يُزِيل الجوعَ والعُرْيَ عنه ؛ وتلك هي الأسباب التي بها يَصل أولاده إلى الغذاء ، من حراثة وبذر وعلاج وسَقي ، وغير ذلك من الأسباب الشاقة المؤلمة . ولو كان جِبْريل أتاه بالغذاء الذي يصل إليه بِبَذره دون سائر المؤن غيره ، لم يكن هناك من الشقاء الذي توعَّده به ربه على طاعة الشيطان ومعصية الرحمن كبير خطب ، ولكن الأمر كان ـ والله أعلم ـ على ما روينا عن ابن عباس وغيره[٣] . (١ : ١٣٠).

وقد حدثني أحمد بن محمد الطوسيّ، قال : حدثنا الحسين بن محمد، قال : حدثنا جرير بن حازم عن كُلثوم بن جبر ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس ، عن النبي ﷺ ، قال : أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنَعْمان ـ يعني عرفة ـ فأخرج

---

(١) وكذلك أخرجه ابن أبي حاتم من طريق يزيد بن هارون عن محمد بن عمرو وإسناده حسن صحيح والله أعلم .
(٢) صحيح .
(٣) صحيح .

من صلبه كلَّ ذرية ذَرَأها، فنثرهم بين يديه كالذَّر، ثم كلمهم قُبُلاً، وقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ...﴾ إلى قوله: ﴿بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾[(١)]. (١: ١٣٤).

حدثني عمران بن موسى القزاز، حدثنا عبد الوارث بن سعيد، قال: حدثنا كلثوم بن جبر عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾، قال: مسح ربنا ظهر آدم، فخرجت كلّ نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة بنعمان هذه ـ وأشار بيده ـ فأخذ مواثيقهم، وأشهدهم على أنفسهم: ألست بربكم؟ قالوا: بلى[(٢)]. (١: ١٣٤).

حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا عمران بن عيَيْنة عن عطاء، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس، قال: أهبِط آدم حين أهبِط فمسح الله ظهره، فأخرَج منه كلّ نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة، ثم قال: ألست بربكم؟ قالوا: بلى، ثم تلى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾؛ فجفّ القلم من يومئذ بما هو

---

(١) إن كان شيخ الطبري هنا أحمد بن محمد بن نيزك الطوسي فإسناده حسن صحيح، وعلى أية حال فإن حديث ابن عباس هنا أخرجه الحاكم في المستدرك من طريق الحسن بن محمد المردودي ثنا جرير بن حازم عن كلثوم بن جبر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «أخذ الله الميثاق من ظهر آدم عليه السلام... إلخ الحديث) كما عند الطبري وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه (المستدرك ٢/ ٥٤٣) وأخرجه قبل ذلك في (١/ ٢٧) من طريق وهب بن جرير بن حازم ـ ثنا أبي عن كلثوم بن جرير. عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي ﷺ... الحديث. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقد احتج مسلم بكلثوم بن جبر ووافقه الذهبي (المستدرك مع التلخيص ١/ ٢٧) قلنا: والحديث أخرجه النسائي في الكبرى (١١١٩١) وقال: كلثوم هذا ليس بالمحفوظ. اهـ.
قلنا: والحديث أخرجه أحمد في مسنده (ح ٢٤٥٥) عن ابن عباس مرفوعاً وذكره الحافظ ابن كثير بسنده عند أحمد ثم قال: فهو إسناد جيد قوي على شرط مسلم (البداية والنهاية ١/ ١٤٤/ ط. الفكر).
وسنأتي على كلام العلماء في ترجيح وقفه أو رفعه بعد ذكر الروايات الموقوفة الآتية عند الطبري.
(٢) هذا الخبر أخرجه الطبري هنا مرفوعاً وانظر ما بعده.

كائن إلى يوم القيامة[1]. (١: ١٣٤/ ١٣٥).

---

(١) هكذا رواه الطبري موقوفاً وقد رواه قبل مرفوعاً. وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى بعد إيراده للرواية المرفوعة عند أحمد:
وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه إلاَّ أنه اختلف فيه علىٰ كلثوم بن جبر. فروى عنه مرفوعاً وموقوفاً وكذا روي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس موقوفاً. وهكذا رواه العوفي والوالبي والضحاك وأبو جمرة عن ابن عباس قوله: وهذا أكثر وأثبت والله أعلم.
وهكذا روي عن عبد الله بن عمر موقوفاً ومرفوعاً والموقوف أصح (البداية والنهاية ١/ ١٤٤).
وقال الشوكاني في تفسيره لهذه الآية من سورة الأعراف (١٧٢) وأخرج أحمد والنسائي وابن جرير والحاكم وصححه، وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم بنعمات يوم عرفة فأخرج من صلبه كل ذرية ذراها فنشرها بين يديه ثم كلمهم فقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ إلى قوله: ﴿الْمُبْطِلُونَ﴾ ثم قال الشوكاني رحمه الله وإسناده لا مطعن فيه، وقد أخرجه ابن أبي حاتم موقوفاً على ابن عباس (فتح القدير/ تفسير سورة الأعراف/ آية ١٧٢). قلنا: وأما من المعاصرين فإن الشيخ عبد الرزاق المهدي رجح وقفه وقال: (وهو أصح من المرفوع) وإن لم ينف الشيخ عبد الرزاق وجود الشواهد الكثيرة وبألفاظ متقاربة.
وأما المحدث الألباني فقد صحح رفعه (انظر السلسلة الصحيحة/ ح ١٦٢٣) قلنا: الحديث صحت روايته موقوفاً وكذلك مرفوعاً ويؤيد المرفوع ما يلي:
١ - الآية نفسها تشهد للحديث المرفوع وإن كان الحافظ ابن كثير ممن رجح الوقف.
٢ - وأخرجه الطبري في تفسيره من طريق أحمد بن أبي طيبة عن سفيان بن سعيد عن الأجلح عن الضحاك عن منصور عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ قال: أخذ من ظهورهم كما يؤخذ بالمشط من الرأس. فقال لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ قالت الملائكة: ﴿شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ﴾.
وقد أخرج الحافظ ابن كثير هذا الحديث ثم عقب قائلاً: أحمد بن أبي طيبة هذا أبو محمد الجرجاني قاضي قوقس، كان أحد الزهاد، أخرج له النسائي في سننه وقال أبو حاتم الرازي يكتب حديثه وقال: ابن عدي حدث بأحاديث كثيرة أكثرها غرائب، وقد روى هذا الحديث عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان الثوري عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو قوله (أي موقوفاً) وكذا رواه جرير عن منصور به، وهذا أصح والله أعلم (تفسير القرآن العظيم/ ١٥٠٧).
قلنا: وهذا يعني أن الحافظ ابن كثير يرجح وقف هذه الرواية كذلك، أما الموقوف هنا فضعيف والله أعلم.
٣ - الشاهد الثالث: أخرج البخاري في صحيحه (كتاب أحاديث الأنبياء/ ح ٣٣٣٤) عن أنس=

حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهريّ ، قال: حدثنا روح بن عبادة وسعد بن عبد الحميد بن جعفر ، عن مالك بن أنس ، عن زيد بن أبي أُنَيْسَة ، عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، عن مسلم بن يسار الجُهنيّ؛ أن عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه سئل عن هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ ، فقال عمر: سمعت رسول الله ﷺ قال: «إن الله خلق آدم ثم مسح على ظهره بيمينه واستخرج منه ذرية ، فقال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ، ثم مسح على ظهره فاستخرج منه ذرية فقال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون» ، فقال رجل: يا رسول الله ، ففيم العمل؟ قال: «إن الله تبارك وتعالى إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة ، [حتى يموت على عملٍ من عمل أهل الجنة] فيدخله الجنة ، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعملِ أهل النار حتى يموتَ على عملٍ من عمل أهل النار فيدخله النار»[1]. (١ : ١٣٥).

= رضي الله عنه يرفعه: «إن الله يقول لأهون أهل النار عذاباً: لو أن لك ما في الأرض من شيء كنت تفتدي به؟ قال: نعم. قال: فقد سألتك ما هو أهون من هذا وأنت في صلب آدم: أن لا تشرك بي فأبيت إلا الشرك».

قلنا: والحديث أخرجه مسلم من حديث أنس مرفوعاً (صحيح مسلم/ كتاب صفات المنافقين/ ح ٢٨٠٥).

٤ ـ الشاهد الرابع: حديث عمر بن الخطاب الآتي عند الطبري وغيره.

(١) هذا إسناد ضعيف والحديث أخرجه الترمذي في سننه (كتاب تفسير القرآن/ ح ٣٠٧٥) وأحمد في مسنده (ح ٣١١) وأبو داود (ح ٤٧٠٣) والإمام مالك في الموطأ (ح ١٦٦١) من طريق زيد بن أنيسة عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عن مسلم بن يسار الجهني عن عمر بن الخطاب مرفوعاً وصححه ابن حبان (ح ٦١٦٦).

وقال الترمذي: هذا حديث حسن. ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر. وقال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وقال الحافظ ابن كثير: وقد رواه أبو داود عن محمد بن مصفى عن بقية عن عمر بن جعثم عن زيد بن أبي أنيسة عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عن مسلم بن يسار عن نعيم بن ربيعة قال: كنت عند عمر بن الخطاب وقد سئل عن هذه الآية فذكر الحديث.

قلنا: وقد أخرجه أبو داود (٤٧٠٤) وحديث مالك أتم.

وقال الدارقطني: وقد تابع عمر بن جعثم أبو فروة بن يزيد بن سنان الرهاوي عن زيد بن أبي أنيسة قال: وقولهما أولى بالصواب من قول مالك رحمه الله (وهذه الأحاديث كلها دالة =

ذكر الأحداث التي كانت في عهد آدم عليه السلام بعد أن أهبط إلى الأرض

والصحيح من القول عندنا أنَّ الذي ذكر اللهُ في كتابه أنه قتل أخاه من ابني آدم هو ابن آدم لصلبه ، لِنَقْلِ الحجّة أن ذلك كذلك ، وأن هنَّاد بن السريّ حدثنا ، قال: حدثنا أبو معاوية ووكيع جميعاً عن الأعمش . ـ وحدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا جرير ، وحدثنا ابن وكيع ، قال: حدثنا جرير وأبو معاوية عن الأعمش ـ عن عبد الله بن مرة ، عن مسروق ، عن عبد الله ، قال: قال النبي ﷺ : «ما من نفس تُقتل ظلماً إلا كان على ابن آدم الأوّل كِفْلٌ منها» ، وذلك لأنه أولُ مَنْ سَنَّ القتل»[1] . (١ : ١٤٤) .

= على استخراجه تعالى ذرية آدم من ظهره كالذر وقسمهم قسمين أهل اليمين وأهل الشمال (البداية والنهاية ١/ ١٤٤).

قلنا: والحديث (حديث عمر) ذكره الألباني في الضعيفة (٣٠٧٠) وصححه لغيره في تخريج شرح الطحاوية. انظر المشكاة (٩٦) وانظر السلسلة الضعيفة (٣٠٧١).

وكذلك أرناؤوط: إذ قال صحيح لغيره (وانظر المسند ١/ ٤٠٠) وقال أيضاً: قلنا وفي الباب عن عمران بن حصين وعلي وجابر وعبد الرحمن بن قتادة السلمي وهي مخرجة في (صحيح ابن حبان ٣٣٣ ـ ٣٣٨). ومن حديث عمر نفسه عند الآجري في الشريعة (١٧٠ ـ ١٧١) وانظر التمهيد (٦/ ١٢٠٦) ا هـ. كلام أرناؤوط (المسند ١/ ٤٠٠).

قلنا: ونرى هنا جديراً أن نذكر كلام الإمام الحافظ ابن عبد البر في حكمه على الحديث:

يقول ابن عبد البر: هذا الحديث منقطع بهذا الإسناد لأن مسلم بن يسار هذا لم يَلْقَ عمر بن الخطاب. . ثم قال: وزيادة من زاد فيه نعيم بن ربيعة ليست حجة. لأن الذي لم يذكره أحفظ ، وإنما تقبل الزيادة من الحافظ المتقن ، وجملة القول في الحديث أنه حديث ليس إسناده بالقائم لأن مسلم بن يسار ونعيم بن ربيعة جميعاً غير معروفين بحمل العلم ، ولكن وخبر هذا الحديث قد صحَّ عن النبي ﷺ من وجوه كثيرة ثابتة يطول ذكرها (التمهيد ٦/ ٣) والله أعلم.

قلنا: وأخرج ابن أبي عاصم في السنة نحوه من حديث أبي هريرة. وصححه الألباني (٢٠٤ ، ٢٠٥)/ ص ٢٧٦ والله أعلم.

(١) حديث ابن مسعود هذا حديث صحيح أخرجه البخاري ولفظه (لا تُقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه أول من سن القتل) صحيح البخاري/ كتاب حديث الأنبياء/ ح ٣٣٣٥) وقال الحافظ ابن حجر: وأورده (أي البخاري) هنا ليلمح بقصة ابني آدم=

حدثنا ابن بشار ، قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهديّ ـ وحدثنا ابن وكيع قال: حدثنا أبي ـ جميعاً عن سفيان ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن مرة ، عن مسروق ، عن عبد الله ، عن النبي ﷺ نحوه[١] . (١ : ١٤٤) .

فقد بيَّن هذا الخبر عن رسول الله ﷺ صحةَ قول مَنْ قال: إن اللذين قصَّ الله في كتابه قصتهما من ابني آدم كانا ابنيْه لصلبه؛ لأنه لا شكَّ أنهما لو كانا من بني إسرائيل ـ كما رُوِي عن الحسن ـ لم يكن الذي وُصف منهما بأنه قتل أخاه أوّل من سنّ القتل ، إذ كان القتل في بني آدم قد كان قبل إسرائيل وولده[٢] . (١ : ١٤٤) .

فإن قال قائل: فما برهانك على أنهما ولدا آدم لصلبه ، وأن لم يكونا من بني إسرائيل[٣] ؟ (١ : ١٤٤) .

قيل: لا خلافَ بين سلف علماء أمتنا في ذلك ، إذا فسدَ قولُ من قال: كانا من بني إسرائيل[٤] . (١ : ١٤٥) .

ونرجع الآن إلى الزيادة في الإبانة عن خطأ قول من قال: إن أول ميت كان في أول الأرض آدم ، وإنكاره الذين قصّ الله نبأهما في قوله: ﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾ ، أن يكونا من صُلب آدم من أجل ذلك[٥] . (١ : ١٤٨) .

حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سلمة ، قال: حدثني محمد بن إسحاق عن جعفر بن الزبير ، عن القاسم بن عبد الرحمن ، عن أبي أمامة ، عن أبي ذرّ قال: قلت ، يا نبي الله ، أنبيّاً كان آدم؟ قال: «نعم ، كان نبيّاً ، كلَّمه الله قُبُلاً»[٦] . (١ : ١٥١) .

= حيث قتل أحدهما الآخر ولم يصح على شرطه شيء من قصتهما وفيما قصه الله علينا في القرآن من ذلك كفاية عن غيره (فتح الباري ٧/ ١٣).

(١) صحيح .

(٢) صحيح .

(٣) صحيح .

(٤) صحيح .

(٥) صحيح .

(٦) شيخ الطبري ضعيف إلا أن الحديث صحيح فقد أخرج ابن حبان في صحيحه (ح/ ٦١٩٠) عن أبي أمامة أن رجلاً قال يا رسول الله أنبي كان آدم؟ . قال: نعم ، قال: فكم كان بينه وبين نوح؟ قال: عشرة قرون) وصححه العلامة أرناؤوط (الموارد/ ح ٢٠٨٥).

ذكر وفاة آدم عليه السلام

اختُلِف في مدة عمره ، وابن كَمْ كان يوم قبضه الله عز وجل إليه .

فأما الأخبار عن رسول الله ﷺ فإنها واردة بما حدثني محمد بن خلف العسقلانيّ ، قال: حدثنا آدم بن أبي إياس ، قال: حدثنا أبو خالد سليمان بن حيان ، قال: حدثني محمد بن عمرو عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ - قال أبو خالد: وحدثني الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ . قال أبو خالد: وحدثني داود بن أبي هند عن الشعبي ، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ . قال أبو خالد: وحدثني ابن أبي ذباب الدَّوْسيُّ ، قال: حدثنا سعيد المقبُريّ ويزيد بن هرمز عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ - أنه قال: «خلق الله آدم بيده ونفخ فيه من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا له ، فجلس فعطَس فقال: الحمد لله ، فقال له ربه: يرحمك ربك ، إيت أولئك الملأ من الملائكة فقل لهم: السلام عليكم ، فأتاهم فقال لهم: السلام عليكم. قالوا له: وعليك السلام ورحمة الله ، ثم رجع إلى رَبِّه فقال له: هذه تحيتك وتحية ذريتك بينهم ، ثم قبض له يديه ، فقال له: خذ واختر ، قال: اخترت يمين ربي وكلتا يديه يمين ، ففتحها له ، فإذا فيها صورة آدم وذريته كلِّهم ، فإذا كلّ رجل مكتوب عنده أجلهُ ، وإذا آدم قد كتب له عمر ألف سنة ، وإذا قوم عليهم النور ، فقال: يا ربّ ، منْ هؤلاء الذين عليهم النور ، فقال: هؤلاء الأنبياء والرسل الذين أرسِل إلى عبادي ، وإذا فيهم رجل هو أضوؤهم نوراً ، ولم يكتب له من العمر إلا أربعون سنة ، فقال: يا ربّ ، ما بالُ هذا ، من أضوئهم نوراً ولم يكتب له من العمر إلا أربعون سنة؟ فقال: ذاك ما كتب له ، فقال: ياربّ ، انقص له من عمري ستين سنة». فقال رسول الله ﷺ : «فلما أسكنه الله الجنة ثم أهبط إلى الأرض كان يَعُدّ أيامه ، فلما أتاه ملك الموت ليقبِضه قال له آدم: عجَّلتَ عليّ يا ملك الموت! فقال: ما فعلت ، فقال: قد بقيَ من عمري ستون سنة ، فقال له مَلَك الموت: ما بقيَ من عمرك شيء ، قد سألتَ ربّك أن يكتبه لابنك داود ، فقال: ما فعلتُ». فقال: رسول الله ﷺ : «فنسي آدم ، فنسيتْ ذريته ، وجَحَد آدم فجحَدت ذريته ، فيومئذ

وَضَعَ الله الكتاب ، وأمر بالشهود»[1]. (١ : ١٥٥) .

---

(١) في إسناده سليمان بن حيان قال ابن عدي: له أحاديث صالحة وإنما أتي من سوء حفظه فيغلط ويخطىء ولكن يؤيده ما أخرجه ابن حبان في صحيحه (ح ٦١٦٧) دون ذكر سجود الملائكة لآدم من طريق محمد بن إسحاق بن خزيمة حدثنا محمد بن بشار حدثنا صفوان بن عيسى حدثنا الحارث بن عبد الرحمن بن أبي ذباب ، عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح ، عطس فقال الحمد لله ، فحمد الله بإذن الله ، فقال له ربه يرحمك ربك يا آدم ، اذهب إلى أولئك الملائكة - إلى ملأ جلوس - فسلمّ عليهم ، فقال السلام عليكم فقالوا: وعليك السلام ورحمة الله ثم رجع إلى ربه فقال: هذه تحيتك وتحية بنيك بينهم. وقال الله جل وعلا ويداه مقبوضتان: اختر أيهما شئت ، فقال: اخترت يمين ربي وكلتا يدي ربي يمين مباركة ، ثم بسطها ، فإذا فيها آدم وذريته ، فقال: أي رب ما هؤلاء؟ فقال: هؤلاء ذريتك ، فإذا كل إنسان مكتوب عمره بين عينيه فإذا فيهم رجل أضوؤهم أو من أضوئهم لم يكتب له إلا أربعين سنة قال: يا رب ، ما هذا؟ قال: هذا ابنك وقد كتبت له عمره أربعين سنة ، قال أي رب زده في عمره ، قال ذاك الذي كتبت له. قال: فإني جعلت له من عمري ستين سنة ، قال: أنت وذاك اسكن الجنة.

فسكن الجنة ما شاء الله ثم أهبط منها وكان آدم يعدّ لنفسه فأتاه ملك الموت فقال له آدم: عجلت ، قد كتبت لي ألف سنة ، قال: بلى ولكنك قد جعلت لابنك داود منها ستين سنة فجحد ، فجحدت ذريته ونسي فنسيت ذريته ، فمن يومئذ أمر بالكتاب والشهود).

قلنا: وإسناد الحديث هذا من الثقة والصدق.

وقال العلامة أرناؤوط: إسناده قوي (الموارد ١/ ٢٨٠٢) والحديث أخرجه الترمذي (ح ٣٣٦٨).

وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ عن أبي صالح عن النبي ﷺ ، والحديث أخرجه الترمذي (سنن الترمذي/ كتاب تفسير القرآن/ ح ٣٣٦٨) وقال: حسن صحيح.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه (المستدرك ٢/ ٣٢٤).

قلنا: ورواية الترمذي والحاكم من طريق أبي صالح عن أبي هريرة وفيهما أن عمره كان ستين سنة ثم زيد عليه أربعين سنة من عمر آدم وقد ذكر القاري أوجه الجمع بين الروايتين (المرقاة ١/ ٣٢٤) وتحفة الأحوذي ورجح الرواية (٣٠٧٦) على (٣٣٦٨)/ (ح ٤٤٧) إلا أن العلامة المباركفوري لم يقتنع بتلك الاحتمالات وقال: كل ما ذكره القاري من وجوه الجمع مخدوش إلا الوجه الأخير وهو أن الحديث الذي في تفسير سورة الأعراف (ح ٣٠٧٦) أرجح من الحديث الآتي في آخر كتاب التفسير فهو المعتمد - ووجه كون الأول أرجح من الثاني ظاهر من كلام الترمذي فإنه قال بعد رواية الأول: هذا حديث حسن صحيح (ح ٣٠٧٦) وقال بعد رواية الثاني (٣٣٦٨) هذا حديث حسن غريب وأيضاً في سند الثاني سعيد بن أبي سعيد =

حدثني ابن سنان ، قال: حدثنا موسى بن إسماعيل ، قال: حدثنا حماد بن سلمة عن عليّ بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، قال: لما نزلتْ آية الدَّيْن قال رسول الله ﷺ : «إنَّ أولَ منْ جحد آدم عليه السلام ثلاث مرات ، وإن الله تبارك وتعالى لما خلقه مسح ظهره فأخرج منه ما هو ذارٌ إلى يوم القيامة ، فجعل يعرضهم على آدم ، فرأى فيهم رجلاً يزهر ، فقال: أي ربّ ، أي نبيّ هذا؟ قال: هذا ابنك داود ، قال: أي ربّ ، كم عمره؟ قال: ستون سنة ، قال: أي ربّ ، زده في عمره ، قال: لا ، إلا أن تزيده أنت من عمرك ، وكان عمر آدم ألف سنة ، فوهب له من عمره أربعين عاماً ، فكتب الله عليه بذلك كتاباً وأشهد عليه الملائكة ، فلما احتُضِر آدم أتته الملائكة لتقبض روحه ، قال: إنه قد بقيَ من عمري أربعون سنة ، قالوا: إنك قد وهبتَها لابنك داود ، قال: ما فعلت ولا وهبت له شيئاً ، فأنزل الله عليه الكتاب ، وأقام عليه الملائكة شهوداً ، فأكمل لآدم ألف سنة ، وأكمل لداود مئة سنة»[1] . (١ : ١٥٦) .

= المقبري وكان قد تغير قبل موته بأربع سنين ـ هذا ما عندي والله أعلم . ا هـ. (٨/ ٤٤٧).
قلنا: وفي رواية للإمام أحمد من حديث ابن عباس مرفوعاً أنه قال: لما نزلت آية الدَّين قال رسول الله ﷺ : إن أول من جحد آدم ، إن الله عز وجل لما خلق آدم مسح ظهره وأخرج منه ما هو ذارىء إلى يوم القيامة فجعل يعرض ذريته عليه ، فرأى رجلاً يزهر ، فقال: أي رب من هذا؟ قال: هذا ابنك داود ، قال: أي رب كم عمره؟ قال: ستون عاماً ، قال: رب زد في عمره قال: لا إلاَّ أن أزيده من عمرك وكان عمر آدم ألف عام .
فزاده أربعين عاماً ، فكتب الله عز وجل عليه بذلك كتاباً ، وأشهد عليه الملائكة فلما احتضر آدم ، وأتته الملائكة لتقبضه قال: إنه قد بقي من عمري أربعين عاماً فقيل: إنك وهبتها لابنك داود. قال: ما فعلت وأبرز الله عليه الكتاب وشهدت عليه الملائكة).
قلنا: وفي إسناده ضعيفان يوسف بن مهران وعلي بن زيد بن جدعان؛ لذلك قال العلامة أرناؤوط: حسن لغيره وهذا إسناد ضعيف ، علي بن زيد وهو ابن جدعان ضعيف وكذا يوسف بن مهران وقال أرناؤوط بعد عزوه إلى المصادر وله شاهد بإسناد قوي من حديث أبي هريرة صححه ابن حبان (٦١٦٧) والله أعلم.
وانظر مسند أحمد (٢٢٧٠ ، ٢٧١٣ ، ٣٥١٩).

(١) هذا إسناد ضعيف وكذلك أخرجه أحمد بهذا الإسناد الضعيف (لضعف علي بن زيد بن جدعان ويوسف بن مهران) (مسند أحمد ح ٢٢٧). ويشهد له ما ذكرنا في الحديث السابق والله تعالى أعلم.

حدثنا علي بن حرب ، قال: حدثنا روح بن أسلم ، قال: حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت البنانيّ ، عن الحسن ، عن النبي ﷺ قال: «لما توفي آدم غسلته الملائكة بالماء وِتراً ، وألحدوا له ، وقالت: هذه سنّة آدم في ولده»(١) . (١ : ١٦٠) .

---

(١) هذا إسناد ضعيف والحديث حسن بمجموع طرقه ، وأخرج أحمد عن عتي بن ضمرة قال: رأيت شيخاً بالمدينة يتكلم فسألت عنه فقالوا: هذا أبيّ بن كعب فقال: إن آدم عليه السلام لما حضره الموت قال لبنيه. . . الحديث.
وفي آخره: فقبضوه وغسلوه وكفنوه وحنطوه وحفروا له وألحدوا له وصلوا عليه ثم دخلوا قبره فوضعوه في قبره ووضعوا عليه اللبن ثم خرجوا من القبر ثم حثوا عليه بالتراب ثم قالوا: يا بني آدم هذه سنتكم).
قلنا: هذا إسناد موقوف وفيه ضعف ، وأخرجه غير واحد موقوفاً ومرفوعاً فقد أخرج البيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٤٠٤) وابن أبي شيبة (٣/ ٢٤٣) وعبد الرزاق (ح ٦٠٨٦) مرفوعاً. والدارقطني (٢/ ٧١) عن أنس موقوفاً. وأخرجه الحاكم في المستدرك مرفوعاً وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وهو من النوع الذي لا يوجد للتابعي إلا الراوي الواحد فإن عتي بن ضمرة السعدي ليس له راوٍ غير الحسن ، وعندي أن الشيخين علّلاه بعلة أخرى وهو أنه روى عن الحسن عن أبيّ دون ذكر عُتي (المستدرك ١/ ٣٤٤).
وقال العلامة أرناؤوط: ومدار هذا الحديث عليه (أي عُتي بن ضمرة) وقد تفرد به ومثله يضعف فيما انفرد به والحديث هنا موقوف (أي في مسند أحمد) (ح ٢١٢٤٠).
وقد اختلف في رفعه ووقفه كما سنبينه. ا هـ.
قلنا: وأخرج الطبراني في الأوسط عن أبي بن كعب مرفوعاً (إن آدم غسلته الملائكة بماء وسدر وكفنوه وألحدوا له ودفنوه وقالوا: هذه سنتكم يا بني آدم في موتاكم).
وفي رواية (لما توفي آدم غسلته الملائكة بالماء وتراً ولحدت له وقالت: هذه سنة آدم وولده).
وقال الهيثمي: رواه كله الطبراني في الأوسط بإسنادين في أحدهما الحسين بن أبي السري وثقه ابن حبان وضعفه الجمهور وكذلك روح بن أسلم في السند الآخر: وثقه ابن حبان وضعفه الجمهور (مجمع الزوائد/ ح ١٣٧٥٤/ وح ١٣٧٥٥).
وأخرج الحاكم من طريق مبارك بن فضالة في المستدرك عن أنس قال: (كبرت الملائكة على آدم أربعاً وكبر أبو بكر على النبي ﷺ أربعاً. . . الحديث).
وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، والمبارك بن فضالة من أهل الزهد والعلم ، بحيث لا يخرج مثله إلا أن الشيخين لم يخرجا له لسوء حفظه (المستدرك ١/ ٣٨٥).
والحديث أخرجه الدارقطني (٢/ ٧١) وضعف إسناده ، وقال الحاكم: ولهذا الحديث شاهد =

حدثني أحمد بن المقدام ، قال: حدثنا المعتمر بن سليمان ، قال: قال أبي: وزعم قتادة عن صاحب له حدَّث عن أُبيّ بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ : «كان آدم رجلاً طُوالاً كأنه نخلة سَحوق»(١) . (١ : ١٦٠) .

= ثم أخرج حديثاً عن ابن عباس رضي الله عنه قال: آخر ما كبّر رسول الله ﷺ على الجنائز أربعاً . . . الحديث. وفي آخره: وكبرت الملائكة على آدم أربعاً).
ثم قال الحاكم: لست ممن يخفى عليه أن الفرات بن السائب ليس من شرط هذا الكتاب وإنما أخرجته شاهداً (المستدرك ١/ ٣٨٥).
قلنا: وهذه طرق تتعاضد ببعضها ، ولقد صحح المحدث الألباني الحديث في صحيح الجامع الصغير (لما توفي آدم غسلته الملائكة بالماء وتراً وألحدوا له وقالوا: هذه سنة آدم في ولده) (صحيح الجامع الصغير وزيادته ٥٢٠٧ ـ ١٦٨٠).

(١) لقد ذكرنا الرواية (١/ ١٦٠/ ٢٢٢) في قسم الضعيف وهي من طريق ابن حميد الرازي (متهم بالكذب) وقلما وجدنا له حديثاً في تأريخ الطبري لم يزد عليه ما لم يروه الثقات ولو بلفظة منكرة واحدة ، وكذلك نجد روايته (١/ ١٦٠/ ٢٢٢) في متنها ما هو صحيح وما هو منكر فكيف يقول آدم عليه السلام عند موته لزوجته حواء (فإني ما لقيت ما لقيت إلا منك ولا أصابني ما أصابني إلا منك).
وحديث محاججة آدم لموسى معروض في الصحاح ولفظه عند البخاري في كتاب التفسير/ باب ﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾/ ح ٤٨٣٨/ عن أبي هريرة مرفوعاً: حاجَّ موسى آدم عليهما السلام فقال له: أنت الذي أخرجت الناس بذنبك من الجنة وأشقيتهم قال آدم: يا موسى أنت الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه أتلومني على أمر قد كتبه الله عليّ قبل أن يخلقني أو قدره علي قبل أن يخلقني ، قال رسول الله ﷺ : فحج آدم موسى».
وأما بقية المتن فلها ما يشهد لها:
فقد أورد الحافظ ابن كثير رواية ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسن بن إسكاب حدثنا علي بن عاصم عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن أبيّ بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ : «إن الله خلق آدم طوالاً كثير شعر الرأس كأنه نخلة سحوق فلما ذاق الشجرة سقط عنه لباسه فأول ما بدا منه عورته فلما نظر إلى عورته جعل يشتدّ في الجنة فأخذت شعره شجرة فنازعها فناداه الرحمن عز وجل: يا آدم مني تفر. فلما سمع كلام الرحمن قال: يا رب: لا ولكن استحياء». (البداية والنهاية ١/ ١٢٧). وحسن ابن حجر إسناد ابن أبي حاتم هذا (الفتح ٧/ ١٠).
ثم ذكر الحافظ ابن كثير رواية ابن عساكر وهي مختصرة بعض الشيء عن رواية ابن أبي حاتم (وانظر مختصر تاريخ دمشق ٤/ ٢٢٢) وهي من طريق محمد بن إسحاق عن الحسن بن ذكوان عن الحسن البصري عن أبيّ بن كعب مرفوعاً ثم قال ابن كثير: =

وكانت وفاته يوم الجمعة ، وقد مضى ذكرنا الرواية بذلك ، فكرهنا إعادته[١] . (١ : ١٦١) .

ونرجع الآن إلى قصة قابيل وخبره وأخبار ولده وأخبار شيث وخبر ولده إذ كنا قد أتينا من ذكر آدم وعـدوه إبليس وذكر أخبارهمـا ، وما صنـع الله بإبليس إذ تجبر وتعظّم وطغى على ربه عزّ وجلّ فأشر وبطر نعمته التي أنعمها الله عليه ، وتمادى في جهله وغيّه ، وسأل ربه النظرة ، فأنظره إلى يوم الوقت المعلوم ، وما صنع الله بآدم صلوات الله عليه إذ خطئ ونسيَ عهد الله من تعجيل عقوبته له على خطيئته ، ثم تغمده إياه بفضله ورحمته ، إذ تاب إليه من زلّته فتاب عليه وهداه ، وأنقذه من الضلالة والردى حتى نأتيَ على ذكر مَن سلك سبيلَ كلّ واحد منهما؛ من تباع آدم عليه السلام على منهاجه وشيعة إبليس والمقتدين به في ضلالته ، إن شاء الله ، وما كان من صنع الله تبارك وتعالى بكل فريق منهم[٢] . (١ : ١٦٢) .

* * *

= ثم رواه من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن يحيى بن ضمرة عن أبيّ بن كعب عن النبيﷺ بنحوه وهذا أصح فإن الحسن لم يدرك أبياً. (البداية والنهاية ١/ ١٢٧).

قلنا: ولكن محمد بن إسحاق مدلّس وقد عنعن هنا ولم يصرح بالتحديث والله أعلم.

ثم قال ابن كثير:

ثم أورده أيضاً من طريق خيثمة بن سليمان الأطرابلسي عن محمد بن عبد الوهاب أبي قرصافة العسقلاني عن آدم بن أبي إياس عن شيبان عن قتادة عن أنس مرفوعاً نحوه (البداية والنهاية ١/ ١٢٧).

قلنا: فهذه روايات ثلاث تشهد لبعضها والله أعلم. ويشهد لبعض المتن ما أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب حديث الأنبياء/ ح ٣٣٢٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيﷺ قال: «خلق الله آدم وطوله ستون ذراعاً ثم قال اذهب فسلم على أولئك الملائكة... الحديث».

(١) صحيح.

(٢) صحيح.

(١/ ١٦٤): قلنا: لقد ذكر الطبري رحمه الله في قصص الأنبياء آيات وسوراً في أخبارهم إلا أنه رحمه الله خلط التفسير بعشرات الأقوال المستقاة من الإسرائيليات. =

= إلا أن ابن كثير فسّر تلك الآيات وقلل من استشهاده بتلك الإسرائيليات ولكنه مع ذلك لم يسلم منها.
ونحن هنا نذكر جانباً من تلك الآيات والسور وكما فسرها ابن كثير بعد حذف ما في التفسير من الإسرائيليات وبعد اختصار وتعليق أحياناً قليلة مع تخريج الآثار.

نبـيُّ اللهِ آدم
عَلَيْـهِ السَّـلام

[خلق آدم عليه السلام]:

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٠ ـ ٣٩].
وقال تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]...
وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]. وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ ...﴾ [الأعراف: ١٨٩].
وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَـٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَـٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّـٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَـَٔاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَـٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَـٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ =

فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ (٢٠) وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ (٢١) فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٢٢) قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ (٢٣) قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ (٢٤) قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ [الأعراف: ١١ ـ ٢٥].

كما قال في الآية الأخرى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٦) وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ (٢٧) وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ (٢٩) فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣٠) إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ (٣١) قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ (٣٢) قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٣٣) قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٣٤) وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ (٣٥) قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٣٦) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ (٣٧) إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ (٣٨) قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ (٤٠) قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (٤١) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ (٤٢) وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٣) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٢٦ ـ ٤٤].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (٦١) قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا (٦٢) قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا (٦٣) وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا (٦٤) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٦١ ـ ٦٥]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا (١١٥) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ (١١٦) فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ (١١٧) إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ (١١٨) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ (١١٩) فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ (١٢٠) فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ (١٢١) ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ (١٢٢) قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه: ١١٥ ـ ١٢٦].

= وقال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾ [ص: ٦٧ ـ ٨٨].

فهذا ذكر هذه القصة من مواضع متفرقة من القرآن، وقد تكلمنا على ذلك كله في التفسير، ولنذكر هاهنا مضمون ما دلت عليه هذه الآيات الكريمات، وما يتعلق بها من الأحاديث الواردة في ذلك عن رسول الله ﷺ، والله المستعان. فأخبر تعالى أنه خاطب الملائكة قائلاً لهم: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ أعلم بما يريد أن يخلق من آدم وذريته الذين يخلف بعضهم بعضاً كما قال: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ﴾، فأخبرهم بذلك على سبيل التنويه بخلق آدم وذريته، كما يخبر بالأمر العظيم قبل كونه، فقالت الملائكة سائلين على وجه الاستكشاف والاستعلام عن وجه الحكمة، لا على وجه الاعتراض والتنقيص لبني آدم والحسد لهم، كما قد يتوهمه بعض جهلة المفسرين، قالوا: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ أي: نعبدك دائماً لا يعصيك منا أحد، فإن كان المراد بخلق هؤلاء أن يعبدوك، فها نحن أولاء لا نفتر ليلاً ولا نهاراً. ﴿ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ أي أعلم من المصلحة الراجحة في خلق هؤلاء ما لا تعلمون، أي سيوجد منهم الأنبياء والمرسلون والصديقون والشهداء والصالحون.

ثم بيَّن لهم شرف آدم عليهم في العلم، فقال: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾. قال ابن عباس: هي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس: إنسان، ودابة، وأرض، وسهل، وبحر، وجبل، وجمل، وحمار... وأشباه ذلك من الأمم وغيرها.

وقال مجاهد: علَّمه اسم الصحفة، والقدر، حتى الفسوة والفسية. وقال مجاهد: علَّمه اسم كل دابة، وكل طير وكل شيء. وكذا قال سعيد بن جبير وقتادة وغير واحد. وقال الربيع: علَّمه أسماء الملائكة. وقال عبد الرحمن بن زيد: علمه أسماء ذريته. والصحيح: أنه علَّمه أسماء الذوات وأفعالها مكبّرها ومصغّرها، كما أشار إليه ابن عباس رضي الله عنهما.

وذكر البخاري هنا ما رواه هو ومسلم من طريق سعيد وهشام، عن قتادة، عن أنس بن =

= مالك ، عن رسول الله ﷺ قال: «يُجمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا ، فيأتون آدم فيقولون: أنت أبو البشر ، خلقك الله بيده ، وأسجد لك ملائكته ، وعلّمك أسماء كل شيء» . . وذكر تمام الحديث (صحيح البخاري /ح ٧٤١٠) ومسلم (١/ ٨٤/ ٣٢٢).

﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ .

﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ أي سبحانك أن يحيط أحد بشيء من علمك من غير تعليمك ، كما قال ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ ﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ أي أعلم السر كما أعلم العلانية .

وقيل: إن المراد بقوله: ﴿ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ ﴾ ما قالوا: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ وبقوله: ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ المراد بهذا الكلام إبليس حين أسرَّ الكبرَ والنَّفاسة على آدم عليه السلام ، قاله سعيد بن جبير ومجاهد والسدي والضحاك والثوري واختاره ابن جرير .

وقوله: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ ﴾ هذا إكرام عظيم من الله تعالى لآدم حين خلقه بيده ، ونفخ فيه من روحه ، كما قال: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ فهذه أربع تشريفات ، خلقه بيده الكريمة ، ونفخ فيه من روحه ، وأمر الملائكة بالسجود له ، وتعليمه أسماء الأشياء .

ولهذا قال له موسى الكليم حين اجتمع هو وإياه في الملأ الأعلى وتناظرا كما سيأتي: «أنت آدم أبو البشر الذي خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأسجد لك ملائكته ، وعلّمك أسماء كل شيء» .

وقال في الآية الأخرى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ .

ومعنى هذا أنه نظر نفسه بطريق المقايسة بينه وبين آدم ، فرأى نفسه أشرف من آدم فامتنع من السجود له ، مع وجود الأمر له ولسائر الملائكة بالسجود. والقياس إذا كان مقابلاً بالنص كان فاسد الاعتبار ، ثم هو فاسد في نفسه ، فإن الطين أنفع وخير من النار ، لأن الطين فيه الرزانة والحلم والأناة والنمو ، والنار فيها الطيش والخفة والسرعة والإحراق .

ثم إن آدم شرّفه الله بخلقه له بيده ونفخه فيه من روحه ، ولهذا أمر الملائكة بالسجود له ، كما قال: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ استحق هذا من الله =

= تعالى لأنه استلزم تنقصه لآدم وازدراءه به ، وترفعه عليه ، مخالفة الأمر الإلهي ، ومعاندة الحق في النص على آدم على التعيين.

وشرع في الاعتذار بما لا يجدي عنه شيئاً ، وكان اعتذاره أشد من ذنبه ، كما قال تعالى في سورة سبحان: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾.

وقال في سورة الكهف: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى﴾ أي خرج عن طاعة الله عمداً وعناداً واستكباراً عن امتثال أمره ، وما ذاك إلا لأنه خان طبعه ، ومادته الخبيثة أحوج ما كان إليه ، فإنه مخلوق من نار كما قال ، وكما جاء في صحيح مسلم عن عائشة عن رسول الله ﷺ قال: «خلقت الملائكة من نور ، وخلقت الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم».

قال الحسن البصري: لم يكن إبليس من الملائكة طرفة عين قط.

وقال في سورة ص: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٧١ ـ ٨٥].

وقال في سورة الأعراف: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ أي بسبب إغوائك إيَّاي لأقعدن لهم كل مرصد ، ولآتينَّهم من كل جهة منهم ، فالسعيد من خالفه والشقي من اتبعه. وقال الإمام أحمد: حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا أبو عقيل ـ هو عبد الله بن عقيل الثقفي ـ حدثنا موسى بن المسيب ، وعن سالم بن أبي الجعد ، عن سبرة بن أبي الفاكه ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه» وذكر الحديث المجتبى.

وقد اختلف المفسرون في الملائكة المأمورين بالسجود لآدم: أهم جميع الملائكة كما دل عليه عموم الآيات؟ وهو قول الجمهور. أو أن المراد بهم ملائكة الأرض ، كما رواه ابن جرير من طريق الضحاك عن ابن عباس؟ وفيه انقطاع ، وفي السياق نكارة ، وإن كان بعض المتأخرين قد رجّحه. ولكن الأظهر من السياقات الأولى ، ويدل عليه الحديث: «وأسجد له=

= ملائكته» وهذا عموم أيضاً. . . والله أعلم. وقوله تعالى لإبليس: ﴿فَٱهْبِطْ مِنْهَا﴾ و: ﴿ٱخْرُجْ مِنْهَا﴾ دليل على أنه كان في السماء فأمر بالهبوط منها، والخروج من المنزلة والمكانة التي كان قد نالها بعبادته، وتشبهه بالملائكة في الطاعة والعبادة، ثم سلب ذلك بكبره وحسده ومخالفته لربه، فأهبط إلى الأرض مذموماً مدحوراً.

وأمر الله آدم عليه السلام أن يسكن هو وزوجته الجنة فقال: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. وقال في الأعراف: ﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [طه: ١١٦ ـ ١١٩].

وسياق هذه الآيات يقتضي: أن خلق حواء كان قبل دخول آدم إلى الجنة لقوله: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ وهذا قد صرح به إسحاق بن يسار، وهو ظاهر هذه الآيات.

وقد اختلف المفسرون في قوله تعالى ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ وقد أبهم الله ذكرها وتعيينها ولو كان في ذكرها مصلحة تعود إلينا كما في غيرها من المحال التي تبهم في القرآن (رحم الله ابن كثير فكم من الدرر في تفسيره).

والجمهور على أنها هي التي في السماء وهي جنة المأوى، لظاهر الآيات والأحاديث كقوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ والألف واللام ليست للعموم ولا لمعهود لفظي، وإنما تعود على معهود ذهني، وهو المستقر شرعاً من جنة المأوى. وكقول موسى عليه السلام لآدم عليه السلام: «علام أخرجتنا ونفسك من الجنة. . .»؟ الحديث كما سيأتي الكلام عليه.

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي مالك الأشجعي ـ اسمه سعد بن طارق ـ عن أبي حازم سلمة بن دينار، عن أبي هريرة، وأبي مالك عن ربعي، عن حذيفة قالا: قال رسول الله ﷺ: «يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ فيقومُ المُؤمنونَ حينَ تزلفُ لهمُ الجَنَّة. فيأتُون آدمَ فيقولونَ: يا أبانا. . استفتح لنا الجنة، فيقولُ: وهل أَخْرَجَكُم مِنَ الجَنَّةِ إلاَّ خَطِيئَةُ أَبِيكُمْ».

فلما كان منه ما كان من أكله من الشجرة التي نُهي عنها، أُهبط إلى أرض الشقاء والتعب، والنصب والكَدَر، والسعي والنكد، والابتلاء والاختبار والامتحان، واختلاف السكان ديناً وأخلاقاً وأعمالاً، وقصوداً وإرادات، وأقوالاً وأفعالاً، كما قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا﴾ أي عن الجنة ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ أي من النعيم والنضرة والسرور، إلى دار التعب والكد والنكد، وذلك بما وسوس لهما وزينه في صدورهما، كما قال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا

ذكر الأحداث التي كانت في أيام بني آدم

من لدن ملك شيث بن آدم إلى أيام يرد

قال أبو جعفر: وهذا القول غير بعيد من الحق؛ وذلك أنه قول قد رُوي عن

= نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين﴾ يقول: ما نهاكما عن أكل هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين، أي لو أكلتما منها لصرتما كذلك.
﴿وقاسمهما﴾ أي حلف لهما على ذلك ﴿إني لكما لمن الناصحين﴾ كما قال في الآية الأخرى: ﴿فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى﴾ أي هل أدلك على الشجرة التي إذا أكلت منها حصل لك الخلد فيما أنت فيه من النعيم، واستمررت في ملك لا يبيد ولا ينقضي؟ وهذا من التغرير والتزوير والإخبار بخلاف الواقع.
والمقصود أن قوله: شجرة الخلد التي إذا أكلت منها خلدت، وقد تكون هي الشجرة التي قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا شعبة، عن أبي الضحاك، سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مئة عام لا يقطعها: شجرة الخلد» ورواه أيضاً عن غندر وحجاج، عن شعبة ورواه أبو داود والطيالسي في مسنده عن شعبة أيضاً به. قال غندر: قلت لشعبة: هي شجرة الخلد؟ قال: ليس فيها هي. تفرد به أحمد. وقوله: ﴿فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة﴾، كما قال في طه: ﴿فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة﴾.
﴿وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين ﴿٢٢﴾ قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾.
وهذا اعتراف ورجوع إلى الإنابة، وتذلل وخضوع واستكانة، وافتقار إليه تعالى في الساعة الراهنة، وهذا السر ما سرى في أحد من ذريته إلا كانت عاقبته إلى خير في دنياه وأخراه ﴿قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين﴾ وهذا خطاب لآدم وحواء وإبليس.
وقوله: ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم﴾ قيل هي قوله: ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾ روي هذا عن مجاهد، وسعيد بن جبير، وأبي العالية، والربيع بن أنس، والحسن، وقتادة، ومحمد بن كعب، وخالد بن معدان، وعطاء الخراساني، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم.
والله تعالى أعلم. اهـ. انتهى كلام الحافظ ابن كثير رحمه الله.

جماعة من سلف علماء أمة نبيناﷺ نحو منه ، وإن لم يكونوا بيّنوا زمانَ مَنْ حدث ذلك في ملكه ، سوىٰ ذكرهم أن ذلك كان فيما بين آدم ونوح صلى الله عليهما وسلم[١] . (١ : ١٦٦) .

❊ ذكر من رُوي ذلك عنه :

نبي الله إدريس عليه السلام

لقد ذكر الطبري رحمه الله روايات عدة في خبر إدريس عليه السلام وهي مستقاة من الروايات الإسرائيلية وذكرناها جميعاً في قسم الضعيف . قال الله تعالى في سورة مريم :

﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ .

والمراد بالمكان العليّ هنا والله أعلم ما أعطيه من شرف النبوة ، وقيل إنه رفع إلى الجنة (الشوكاني) وفي الحديث المتفق عليه أن رسول اللهﷺ مرّ بإدريس وهو في السماء الرابعة (صحيح البخاري/ كتاب الأنبياء/ ح ٣٣٤٢) من حديث أنس مرفوعاً في حادثة الإسراء/ وفيه: فلما مرّ جبريل بإدريس قال: «مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح فقلت: من هذا؟ قال: هذا إدريس» .

وأخرج أحمد من حديث معاوية بن الحكم السلمي أن رسول اللهﷺ سُئل عن الخط بالرمل فقال: «إنه كان نبي يخط به فمن وافق خطه فذاك» [مسند أحمد/ ح ٢٣٨٢٣] .

حدثنا محمد بن بشار ، قال: حدثنا أبو داود ، قال: حدثنا همّام ، عن قَتادة ، عن عِكْرمة ، عن ابن عباس ، قال: كان بين نوح وآدم عليهما السلام عشرة قرون ، كلُّهم على شريعة من الحق؛ فاختلفوا ، فبعث الله النبيين مبشِّرين ومنذرين ، قال: وكذلك هي في قراءة عبد الله : (كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فاختلفوا)[٢] (١ :١٧٨) .

---

(١) صحيح .

(٢) إسناده صحيح إلى ابن عباس رضي الله عنهما وأخرجه الحاكم من طريق شيخ الطبري هنا (محمد بن بشار) ثنا أبو داود ثنا همام عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما=

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال: أخبرنا عبد الرزاق ، قال: أخبرنا مَعْمَر ، عن قتادة: قوله عزّ وجلّ: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ ، قال: كانوا على الهُدى جميعاً فاختلفوا ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ ، فكان أول نبيّ بعث نوح عليه السلام[1]. (١ : ١٧٨) .

ذكر الأحداث التي كانت في عهد نوح عليه السلام

فأما كتاب الله فإنه ينبىء عنهم أنهم كانوا أهلَ أوثان ، وذلك أن الله عَزّ وجلّ يقول مخبراً عن نوح: ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾

= قال: كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة الحق فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين.

قال: وكذلك في قراءة عبد الله (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلفُوا).

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه (المستدرك مع التلخيص/ ٢/ ٥٤٦).

وأخرجه الحاكم أيضاً من طريق عبد الصمد بن عبد الوارث ثنا همام عن قتادة ثنا عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فلما اختلفوا بعث الله النبيين والمرسلين وأنزل كتابه فكانوا أمة واحدة.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه (المستدرك ٢/ ٤٤١).

قلنا: وأخرج البزار (ح ٢١٩٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان بين آدم وبين ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق قال: فلما بعث الله النبي ﷺ وأنزل كتابه قال: فكان الناس أمة واحدة).

وقال الهيثمي: رواه البزار وفيه عبد الصمد بن النعمان وثقه ابن معين وقال غيره: ليس بالقوي (مجمع الزوائد/ ح ١٠٨٥٨).

وأخرج أبو يعلى (ح ١١٨٣٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ قال: على الإسلام كلهم. وقال الهيثمي: ورجال أبي يعلى رجال الصحيح (مجمع الزوائد/ ح ١٠٨٥٧).

قلنا: وأما المرفوع فقد أخرج ابن حبان في صحيحه (ح ٦١٩٠) عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله ، أنبيّ كان آدم؟ قال: نعم ، قال: فكم بينه وبين نوح؟ قال: عشرة قرون. وقال الحافظ ابن كثير: وهذا على شرط مسلم ولم يخرجه (البداية والنهاية ١/ ١٦٠) والله تعالى أعلم.

(١) هذا إسناد مرسل صحيح ومعناه صحيح (انظر ما قبله).

وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا﴾. فبعث الله إليهم نوحاً مخوِّفهم بأسه، ومحذِّرهم سطوته، وداعياً لهم إلى التوبة والمراجعة إلى الحق[(١)]. (١ : ١٧٩).

قال ابن إسحاق: حتى إذا تمادوا في المعصية، وعظمت في الأرض منهم الخطيئة، وتطاول عليه وعليهم الشأن، واشتدَّ عليه منهم البلاء، وانتظر النجل بعد النجل، فلا يأتي قرن إلا كان أخبثَ من الذي قبله؛ حتى إن كان الآخر منهم ليَقول: قد كان هذا مع آبائنا ومع أجدادنا؛ هكذا مجنوناً! لا يقبلون منه شيئاً، حتى شكا ذلك من أمرهم نوح إلى الله عزّ وجلَّ، فقال كما قصَّ الله عزّ وجلَّ علينا في كتابه: ﴿رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيَ إِلَّا فِرَارًا﴾ إلى آخر القصة، حتى قال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ إلى آخر القصة. فلما شكا ذلك منهم نوح إلى الله عزّ وجلّ واستنصره عليهم أوحى الله إليه أن ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾. فأقبل نوح على عمل الفلك، ولها عن قومه، وجعل يقطع الخشب ويضرب الحديد، ويهيّىء عُدة الفلك من القار وغيره مما لا يُصلحه إلاَّ هوَ، وجعل قومه يمرُّون به، وهو في ذلك من عمله، فيسخرون منه، ويستهزئون به فيقول: ﴿إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾[(٢)]. (١ : ١٨٢/ ١٨٣).

قال أبو جعفر: وقد أخبر الله تعالى ذكره من الخبر عن الطوفان بخلاف ما قالوا، فقال وقوله الحق: ﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾؛ فأخبر عزّ ذكره أنّ ذريةَ نوح هم الباقون دون غيرهم[(٣)]. (١ : ١٩٢).

حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، في قوله:

---

(١) صحيح.

(٢) ذكر ابن إسحاق كلامه هذا بلا إسناد إلا أن معناه صحيح مأخوذ من تفسير الآيات وكما فسَّرها ابن إسحاق وعنه الطبري والله أعلم.

(٣) صحيح.

﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ ، قال: فالناس كلُّهم من ذرية نوح[١]. (١ : ١٩٢) .

حدثني علي بن داود ، قال: حدثنا أبو صالح ، قال: حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ يقول: لم يبق إلا ذرّية نوح[٢]. (١: ١٩٢) .

وهذا الذي ذكر عن الشعبيّ من التاريخ ينبغي أن يكون على تاريخ اليهود ، فأما أهل الإسلام فإنهم لم يؤرخوا إلا من الهجرة ، ولم يكونوا يؤرخون بشيء من قبل ذلك ، غير أن قريشاً كانوا ـ فيما ذكر ـ يؤرخون قبل الإسلام بعام الفيل ، وكان سائرُ العرب يؤرخون بأيامهم المذكورة ، كتاريخهم بيوم جَبَلة ، وبالكُلاب الأول ، والكلاب الثاني.

وكانت النَّصارى تؤرخ بعهد الإسكندر ذي القرنين؛ وأحسبهم على ذلك من التاريخ إلى اليوم.

وأما الفرس فإنهم كانوا يؤرِّخون بملوكهم ، هم اليوم فيما أعلم يؤرخون بعهد يزدجِرْد بن شهريار ، لأنه كان آخر مَنْ كان من ملوكهم له ملك بابل والمشرق[٣]. (١ : ١٩٣) .

---

(١) صحيح مرسل.

(٢) هذا إسناد موقوف والمعنى صحيح وهو تفسير للآية الكريمة من حبر الأمة ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) صحيح.

الآيات الواردة في قصة نوح عليه السلام مع تفسيرها اعتماداً على ابن كثير بعد حذف الإسرائيليات:

نـــوح فـــي القـــرآن:

وقد ذكر الله قصته وما كان من قومه ، وما أنزل بمن كفر به من العذاب بالطوفان ، وكيف أنجاه وأصحاب السفينة ، في غير ما موضع من كتابه العزيز ، ففي الأعراف ويونس وهود والأنبياء والمؤمنون والشعراء والعنكبوت والصافات؛ وأنزل فيه سورة كاملة.

فقال في سورة الأعراف: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ=

= فَأَنجَيْنَـٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴾ .

وقال تعالى في سورة يونس: ﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى
وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟
إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ
ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَـٰهُمْ خَلَـٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ
كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾ .

وقال تعالى في سورة هود: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ
إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا
نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَـٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾
قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا
كَـٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَـٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَـٰقُوا۟
رَبِّهِمْ وَلَـٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَـٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ
لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ
ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ يَـٰنُوحُ قَدْ جَـٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ
إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ
أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ
ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾ وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ
فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَـٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم
مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ
مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ
أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ
ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى
بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَـٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾
قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ
فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَـٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَـٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى
ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ
أَحْكَمُ ٱلْحَـٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَـٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن
تَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ
أَكُن مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَـٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَـٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَـٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ
سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ
مِن قَبْلِ هَـٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَـٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ وقال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن =

= قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٦ ـ ٧٧].

وقال تعالى في سورة المؤمنون: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٣ ـ ٣٠].

وقال تعالى في سورة الشعراء: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: ١٠٥ ـ ١٢٢].

وقال تعالى في سورة العنكبوت: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾. وقال تعالى في سورة الصافات: ﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ﴾.

وقال تعالى في سورة القمر: ﴿۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾.

وقال تعالى بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ =

= أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ
ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾
وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ
وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ
وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن
دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا
يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ
ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا﴾ .

وقد تكلمنا على كل موضع من هذه في التفسير. وسنذكر مضمون القصة مجموعاً من هذه الأماكن المتفرقة، ومما دلت عليه الأحاديث والآثار. وقد جرى ذكره أيضاً في مواضع متفرقة من القران فيها مدحه وذم من خالفه، فقال تعالى في سورة النساء: ﴿۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ
إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ
وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ
مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ
لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٣ ـ ١٦٥].

وقال في سورة الأنعام: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ
حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ
وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ
كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ
وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ الآيات. وتقدمت قصته في الأعراف.

وقال في سورة براءة: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾. وتقدمت قصته في يونس وهود.

وقال في سورة إبراهيم: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾.

وقال في سورة الإسراء: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾، وقال فيها أيضاً: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾. وتقدمت قصته في الأنبياء والمؤمنون والشعراء والعنكبوت.

وقال في سورة الأحزاب: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾، وقال في سورة ص: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو =

= ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ﴾.

وقال في سورة غافر: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾.

وقال في سورة الشورى: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾.

وقال تعالى في سورة ق: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾. وقال في سورة الذاريات: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾. وقال في سورة النجم: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾. وتقدمت قصته في سورة اقتربت الساعة. وقال تعالى في سورة الحديد: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾. وقال تعالى في سورة التحريم: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾.

وأما مضمون ما جرى له مع قومه مأخوذاً من الكتاب والسنة والآثار، فقد قدَّمنا عن ابن عباس: أنه كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام.

[عبـادة الأصنـام]:

ثم بعد تلك القرون الصالحة حدثت أمور، اقتضت أن آل الحال بأهل ذلك الزمان إلى عبادة الأصنام. وكان سبب ذلك ما رواه البخاري من حديث ابن جريج عن عطاء، عن ابن عباس عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ قال: هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وانتسخ العلم عبدت.

قال ابن عباس: وصارت هذه الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد. وهكذا قال عكرمة والضحاك وقتادة ومحمد بن إسحاق. قال ابن جرير في تفسيره: حدثنا ابن حميد، حدثنا مهران، عن سفيان، عن موسى، عن محمد بن قيس قال: كانوا قوماً صالحين بين آدم ونوح، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم، فصوروهم فلما ماتوا وجاء آخرون دب إليهم إبليس فقال: إنما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر، فعبدوهم.

وقد ذكر أنه لما تطاولت العهود والأزمان، جعلوا تلك الصور تماثيل مجسدة ليكون أثبت =

= لها ، ثم عبدت بعد ذلك من دون الله عز وجل. ولهم في عبادتها مسالك كثيرة جداً قد ذكرناها في مواضعها من كتابنا التفسير. . ولله الحمد والمنة.

وقد ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه لما ذكرت عنده أم سلمة وأم حبيبة تلك الكنيسة التي رأينها بأرض الحبشة ، ويقال لها «مارية» وذكرتا من حسنها وتصاوير فيها قال: «أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً ، ثم صوروا فيه تلك الصورة ، أولئك شرار الخلق عند الله عز وجل (صحيح البخاري/ كتاب الصلاة/ ح ٤٢٧) ومسلم (٥٢٨/١٦).

[نـوح يدعــو لعبــادة الله]:

والمقصود أن الفساد لما انتشر في الأرض وعمَّ البلاء بعبادة الأصنام فيها ، بعث الله عبده ورسوله نوحاً عليه السلام ، يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، وينهى عن عبادة ما سواه.

فكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض ، كما ثبت في الصحيحين من حديث أبي حيان ، عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ في حديث الشفاعة ، قال: «فيأتون آدم فيقولون: يا آدم. . أنت أبو البشر ، خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك وأسكنك الجنة ، ألا تشفع لنا إلى ربك؟ ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا؟ فيقول: ربي قد غضب غضباً شديداً لم يغضب قبله مثله ، ولا يَغْضب بعده مثله ، ونهاني عن شجرة فعصيت ، نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري. اذهبوا إلى نوح. فيأتون نوحاً فيقولون: يا نوح. . أنت أول الرسل إلى أهل الأرض ، وسماك الله عبداً شكوراً ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ألا ترى إلى ما بلغنا؟ ألا تشفع لنا إلى ربك عز وجل؟ فيقول: ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله ، نفسي نفسي» وذكر تمام الحديث كما أورده البخاري في قصة نوح. (صحيح البخاري/ كتاب الأنبياء/ ح ٣٣٤٠) ومسلم (١٩٤/٣٢٧).

فلما بعث الله نوحاً عليه السلام ، دعاهم إلى إفراد عبادة الله وحده لا شريك له ، وألا يعبدوا معه صنماً ولا تمثالاً ولا طاغوتاً وأن يعترفوا بوحدانيته ، وأنه لا إله غيره ولا رب سواه ، كما أمر الله تعالى من بعده من الرسل الذي هم كلهم من ذريته ، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ ، وقال فيه وفي إبراهيم: ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ ، أي كل نبي من بعد نوح من ذريته ، وكذلك إبراهيم.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ ، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾. ولهذا قال نوح لقومه: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ، وقال: ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا =

= ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ﴾ ، وقال: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ ، وقال: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ۝ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾ ، ﴿وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا﴾ . . الآيات الكريمات.

فذكر أنه دعاهم إلى الله بأنواع الدعوة في الليل والنهار ، والسر والإجهار ، بالترغيب تارة والترهيب أخرى، وكل هذا لم ينجح فيهم، بل استمر أكثرهم على الضلالة والطغيان، وعبادة الأصنام والأوثان ، ونصبوا له العداوة في كل وقت وأوان ، وتنقصوه ، وتنقّصوا مَنْ آمن به ، وتوعَّدوهم بالرجم والإخراج ، ونالوا منهم وبالغوا في أمرهم. ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ﴾ أي: السادة الكبراء منهم: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ ، ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ أي: لست كما تزعمون أني ضال ، بل على الهدى المستقيم ، رسول من رب العالمين ، أي: الذي يقول للشيء كن فيكون: ﴿أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ وهذا شأن الرسول أن يكون بليغاً ، أي فصيحاً ناصحاً ، أعلم الناس بالله عز وجل.

وقالوا له فيما قالوا: ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ﴾ تعجبوا أن يكون بشر رسولاً. وتنقصوا من اتبعه ورأوهم أراذلهم ، وقد قيل: إنهم كانوا من أفناد الناس وهم ضعفاؤهم ، كما قال هرقل: «وهم أتباع الرسل» ، وما ذاك إلا لأنه لا مانع لهم من اتباع الحق.

وقولهم: ﴿بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ﴾ أي بمجرد ما دعوتهم استجابوا لك من غير نظر ولا روية. وهذا الذي رموهم به هو عين ما يمدحون بسببه رضي الله عنهم ، فإن الحق الظاهر لا يحتاج إلى روية ولا فكر ولا نظر ، بل يجب اتباعه والانقياد له متى ظهر. ولهذا قال رسول الله ﷺ مادحاً الصديق: «ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت له كبوة غير أبي بكر ، فإنه لم يتلعثم» ، ولهذا كانت بيعته يوم السقيفة أيضاً سريعة من غير نظر ولا روية ، لأن أفضليته على من عداه ظاهرة جلية عند الصحابة رضي الله عنهم. ولهذا قال رسول الله ﷺ لما أراد أن يكتب الكتاب الذي أراد أن ينص فيه على خلافته فتركه ، قال: «يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر» رضي الله عنه (صحيح مسلم/ ٤٤/ ١/ ١١).

وقول كفرة قوم نوح له ولمن آمن به: ﴿فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ﴾ أي لم يظهر لكم أمر بعد اتصافكم بالإيمان ولا مزية علينا ﴿بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ۝ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾ .

وهذا تلطف في الخطاب معهم: وترفق بهم في الدعوة إلى الحق ، كما قال تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ ، وقال تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ وهذا منه.

يقول لهم: ﴿أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ﴾ أي النبوة والرسالة ﴿فَعُمِّيَتۡ =

= عَلَيْكُمْ﴾ أي فلم تفهموها ، ولم تهتدوا إليها ، ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾ أي أنغصبكم بها ، ونجبركم عليها؟ ﴿وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾ أي ليس لي فيكم حيلة والحالة هذه. ﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ أي لست أريد منكم أجرة على إبلاغي إياكم ما ينفعكم في دنياكم وأخراكم إن أطلب ذلك إلا من الله الذي ثوابه خير لي وأبقى مما تعطونني أنتم.

وقوله : ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ كأنهم طلبوا منه أن يبعد هؤلاء عنه ، ووعدوه أن يجتمعوا به إذا هو فعل ذلك ، فأبى عليهم ذلك وقال: ﴿إِنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ﴾ أي فأخاف إن طردتهم أفلا تذكرون. ولهذا لما سأل كفار قريش رسول الله ﷺ أن يطرد عنه ضعفاء المؤمنين ، كعمار وصهيب وبلال وخباب وأشباههم ، نهاه الله عن ذلك ، كما بيّناه في سورتي الأنعام والكهف.

﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾ أي بل أنا عبد ورسول ، لا أعلم من علم الله إلا ما أعلمني به ولا أقدر إلا على ما أقدرني عليه ، ولا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله : ﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ﴾ يعني من أتباعه ﴿لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أي لا أشهد عليهم بأنهم لا خير لهم عند الله يوم القيامة ، الله أعلم بهم وسيجازيهم على ما في نفوسهم إن خيراً فخير وإن شرا فشر ، كما قالوا في المواضع الأخرى : ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

وقد تطاول الزمان والمجادلة بينه وبينهم ، كما قال تعالى : ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ أي ومع هذه المدة الطويلة ، ما امن به إلا القليل منهم. وكان كلما انقرض جيل وصّوا من بعدهم بعدم الإيمان به ومحاربته ومخالفته. وكان الوالد إذا بلغ ولده وعقل عنه كلامه ، وصّاه فيما بينه وبينه ، ألا يؤمن بنوح أبداً ما عاش ، ودائماً ما بقي. وكانت سجاياهم تأبى الإيمان واتباع الحق ، ولهذا قال: ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾[نوح : ٢٧].

ولهذا : ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللَّهُ إِن شَاءَ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ أي إنما يقدر على ذلك الله عز وجل ، فإنه الذي لا يعجزه شيء ولا يكترثه أمر ، بل هو الذي يقول للشيء كن فيكون.

﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أي من يرد الله فتنته فلن يملك أحد هدايته ، هو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء ، وهو الفعال لما يريد ، وهو العزيز الحكيم ، العليم بمن يستحق الهداية ، ومن يستحق الغواية ، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة.

﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ﴾ تسلية له عما كان منهم إليه ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ وهذه تعزية لنوح عليه السلام في قومه أنه لن يؤمن منهم إلا من قد آمن ،=

= أي لا يسوءنك ما جرى ، فإن النصر قريب ، والنبأ عجب عجيب . ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾ .

وذلك أن نوحاً عليه السلام لما يئس من صلاحهم وفلاحهم ، ورأى أنه لا خير فيهم وتوصلوا إلى أذيَّته ومخالفته وتكذيبه بكل طريق ، من فعال ومقال ، دعا عليهم دعوة غضب الله عليهم فلبى الله دعوته وأجاب طلبته ، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ ، وقال تعالى: ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ ، وقال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، وقال تعالى: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴾ وقال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴾ ، وقال تعالى: ﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ [نوح: ٢٥ ـ ٢٧] .

[صنـع السفينـة]:

فاجتمع عليهم خطاياهم من كفرهم وفجورهم ودعوة نبيهم عليهم. فعند ذلك أمره الله تعالى أن يصنع الفلك ، وهي السفينة العظيمة .

وقدم الله تعالى إليه أن إذا جاء أمره ، وَحَلَّ بهم بأسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين ، أنه لا يعاوده فيهم ولا يراجعه ، فإنه لعله قد يدركه رقة على قومه عند معاينة العذاب النازل بهم ، فإنه ليس الخبر كالمعاينة؛ ولهذا قال: ﴿ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾ .

﴿ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ ﴾ أي: يستهزئون منه إستبعاداً لوقوع ما توعدهم به ﴿ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾ أي: نحن الذين نسخر منكم ونتعجب منكم في استمراركم على كفركم وعنادكم الذي يقتضي وقوع العذاب بكم وحلوله عليكم. ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ .

وقد كانت سجاياهم الكفر الغليظ والعناد البالغ في الدنيا ، وهكذا في الآخرة فإنهم يجحدون أيضاً أن يكون قد جاءهم رسول ، كما قال البخاري: (حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا عبد الواحد بن زياد ، حدثنا الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «يجيء نوح عليه السلام وأمته ، فيقول الله عز وجل: هل بلّغتَ؟ فيقول: أي رب ، فيقول لأمته: هل بلّغكم؟ فيقولون: لا ، ما جاءنا من نبي ، فيقول لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته ، فنشهد أنه قد بلّغ» ، وهو قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ ﴾ (وانظر صحيح البخاري كتاب الأنبياء/ ح ٣٣٣٩).

والوسط: العدل. فهذه الأمة تشهد على شهادة نبيها الصادق والمصدوق ، بأن الله قد بعث نوحاً بالحق ، وأنزل عليه الحق ، وأمره به ، وأنه بلغه إلى أمته على أكمل الوجوه وأتمها ، =

= ولم يدع شيئاً مما ينفعهم في دينهم إلا وقد أمرهم به ، ولا شيئاً مما قد يضرهم إلا وقد نهاهم عنه وحذرهم منه.

وهكذا شأن جميع الرسل ، حتى إنه حذر قومه من المسيح الدجال ، وإن كان لا يتوقع خروجه في زمانهم ، حذراً عليهم وشفقة ورحمة بهم.

كما قال البخاري: حدثنا عبدان ، حدثنا عبد الله ، عن يونس ، عن الزهري ، قال سالم: قال ابن عمر: قام رسول الله ﷺ في الناس فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم ذكر الدجال فقال: «إني لأنذركموه ، وما من نبي إلا وقد أنذر قومه. لقد أنذر نوح قومه ، ولكني أقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه: تعلمون أنه أعور ، وأن الله ليس بأعور» صحيح البخاري (ح ٣٣٣٧).

وهذا الحديث في الصحيحين أيضاً من حديث شيبان بن عبد الرحمن ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال: «ألا أحدثكم عن الدجال حديثا ما حدث به نبي قومه؟ إنه أعور وإنه يجيء معه بمثال الجنة والنار والتي يقول عليها الجنة هي النار ، وإني أنذركم كما أنذر به نوح قومه. لفظ البخاري (ح ٣٣٣٨).

قال الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ أي بأمرنا لك ، بمرأى منا لصنعتك لها ، ومشاهدتنا لذلك ، لنرشدك إلى الصواب في صنعتها. ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾[المؤمنون: ٢٦ ـ ٢٧].

فتقدم إليه بأمره العظيم العالي أنه إذا جاء أمره وحل بأسه ، أن يحمل في هذه السفينة من كل زوجين اثنين من الحيوانات ، وسائر ما فيه روح من المأكولات وغيرها لبقاء نسلها ، وأن يحمل معه أهله ، أي أهل بيته ، إلا من سبق عليه القول منهم ، أي إلا من كان كافراً فإنه قد نفذت فيه الدعوة التي لا ترد ، ووجب عليه حلول البأس الذي لا يرد ، وأمر أنه لا يراجعه فيهم إذا حل بهم ما يعاينه من العذاب العظيم ، الذي قد حتمه عليهم الفعال لما يريد. كما قدمنا بيانه قبل.

والمراد بالتنور عند الجمهور وجه الأرض ، أي نبعت الأرض من سائر أرجائها حتى نبعت التنانير التي هي محال النار.

[محتويـــات السفينـــة]:

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ هذا أمر بأنه عند حلول النقمة بهم أن يحمل فيها من كل زوجين اثنين.

وقوله: ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ أي من استجيبت فيهم الدعوة النافذة ممن كفر ، فكان منهم ابنه «يام» الذي غرق كما سيأتي بيانه ﴿وَمَنْ آمَنَ﴾ أي واحمل فيها من آمن بك من=

= أمتك. قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ هذا مع طول المدة والمقام بين أظهرهم، ودعوتهم الأكيدة ليلاً ونهاراً بضروب المقال وفنون المتلطفات والتهديد والوعيد تارة والترغيب والوعد أخرى.

قال الله تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴾.

أمره أن يحمد ربه على ما سخر له من هذه السفينة، فنجاه بها وفتح بينه وبين قومه، وأقر عينه ممن خالفه وكذبه، كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَـٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴾.

وهكذا يؤمر بالدعاء في ابتداء الأمر: أن يكون على الخير والبركة، وأن تكون عاقبته محمودة، كما قال تعالى لرسوله ﷺ حين هاجر: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴾.

وقد امتثل نوح عليه السلام هذه الوصية وقال: ﴿ ٱرْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ أي: على اسم الله ابتداء سيرها وانتهاؤه ﴿ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ وذو عقاب أليم، مع كونه غفوراً رحيماً، لا يرد بأسه عن القوم المجرمين، كما أحل بأهل الأرض الذين كفروا به وعبدوا غيره.

قال الله تعالى: ﴿ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ ﴾ وذلك أن الله تعالى أرسل من السماء مطراً لم تعهده الأرض قبله ولا تمطره بعده، كان كأفواه القِرَب، وأمر الأرض فنبعت من جميع فجاجها وسائر أرجائها كما قال تعالى: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَـٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴾ والدسر: المسامير ﴿ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا ﴾ أي: بحفظنا وكلاءتنا وحراستنا ومشاهدتنا لها ﴿ جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾.

[نهايـــة الطوفــــان]:

﴿ وَقِيلَ يَـٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَـٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾.

أي: لما فرغ من أهل الأرض، ولم يبق بها أحد ممن عبد غير الله عز وجل، أمر الله الأرض أن تبتلع ماءها، وأمر السماء أن تقلع أي تمسك عن المطر ﴿ وَغِيضَ ٱلْمَآءُ ﴾ أي نقص عما كان ﴿ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾ أي وقع بهم الذي كان قد سبق في علمه وقدره، من إحلاله بهم ما حل بهم، ﴿ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ أي نودي عليهم بلسان القدرة: بعداً لهم من الرحمة والمغفرة.

كما قال تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴾. وقال تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَـٰهُمْ خَلَـٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾. وقال تعالى: ﴿ وَنَصَرْنَـٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِنَآ =

ذكر الأحداث التي كانت بين نوح وإبراهيم
خليل الرحمن عليهما السلام

فكان من قصَّتهم ما حدَّثنا أبو كريب ، قال: حدثنا أبو بكر بن عَيَّاش ، قال: حدثنا عاصم ، عن أبي وائل ، عن الحارث بن حَسَّان البكريّ ، قال: قدمتُ على رسول الله ﷺ : فمررت بامرأة بالرَّبذة ، فقالت: هل أنتَ حاملي إلى رسول الله ﷺ ؟ قلتُ: نعم ، فحملتُها حتى قدمت المدينة ، فدخلتُ المسجد ، فإذا رسول الله ﷺ على المنبر ، وإذا بلالٌ متقلِّد السيف ، وإذا رايات سُودٌ ، قال: قلت: ما هذا؟ قالوا: عمرو بن العاص قدم من غَزْوته ، فلمَّا نزل رسول الله ﷺ عن منبره أتيته فاستأذنته ، فأذن له ، فقلتُ: يا رسول الله ، إنّ بالباب امرأةً من بني تميم ، قد سألتني أن أحمِلها إليك ، قال: يا بلال ، ائْذَن لها ، قال: فدخلتْ ، فلما جلستْ قال لي رسول الله ﷺ : هل كان بينكم وبين تميم شيء؟ قلت: نعم ، وكانت الدبَرَة عليهم ، فإن رأيت أن تجعل الدَّهناء بيننا وبينهم فعلت ، قال: تقول المرأة فأين تضطر مُضرَك يا رسول الله؟ قال: قلت: مثَلِي مثل معزىً حملت حَتْفاً ، قال: قلت: أو حملتُك تكونين عليّ خصماً! أعوذ بالله أن أكون كوفد عاد. قال رسول الله ﷺ : وما وفد عاد؟ قال: قلت: على الخبير سقطت؛ إن عاداً قحطت ، فبعثتْ من يَسْتَسْقِي لها ، فمرّوا على بكر بن معاوية بمكة يَسقيهم الخمر ، وتُغنّيهم الجرادتان شهراً ، ثم بعثوا رجلاً من عنده ، حتى أتى جبال مَهْرة ، فدعا ، فجاءت سحابات ، قال: وكلّما جاءت قال: اذهبي إلى

= ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ . وقال تعالى : ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ . وقال تعالى : ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾ ، وقال : ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ ، وقال تعالى : ﴿مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [سورة نوح] .

كذا ، حتى جاءت سحابة ، فنُودي منها: خُذها رماداً رِمْدَداً ، لا تدع من عاد أحداً. قال: فسمعه وكتمهم حتى جاءهم العذاب[(١)] . (١ : ٢١٧/٢١٨) .

قال أبو كريب: قال أبو بكر بعد ذاك في حديث عاد ، قال: فأقبل الذي أتاهم ، فأتى جبال مَهْرة فصعد فقال: اللهمّ إني لم أجئك لأسير فأفاديه ، ولا لمريض أشفيه ، فاسق عاداً ما كنت مُسْقيه! قال: فرُفعت له سحابات. قال: فنُودي منها: اختر ، فجعل يقول: اذهبي إلى بني فلان اذهبي إلى بني فلان. قال: فمرّت آخرها سحابة سوداء؛ فقال: اذهبي إلى عاد. قال: فنوديَ منها: خُذها رماداً رِمْدَداً ، لا تدع من عاد أحداً. قال: وكتمهم والقوم عند بكر بن معاوية يشربون. قال: وكره بكر بن معاوية أن يقول لهم من أجل أنهم عنده ، وأنهم في طعامه. قال: فأخذ في الغناء وذكَّرهم[(٢)] . (١ : ٢١٨) .

حدثنا أبو كريب ، قال: حدثنا زيد بن حُباب ، قال: حدثنا سلّام أبو المنذر النَّحْويّ ، قال: حدثنا عاصم ، عن أبي وائل ، عن الحارث بن يزيد البكريّ ، قال: خرجت لأشكوَ العلاء بن الحضرَميّ إلى رسول الله ﷺ ، فمررت بالرَّبذة ، فإذا عجوز منقطَع بها من بني تميم ، فقالت: يا عبد الله ، إن لي إلى رسول الله حاجةً ، فهل أنت مُبْلغي إليه؟ قال: فحملتُها ، فقدمتُ المدينة ـ قال أبو جعفر: أظنه قال: «فإذا رايات سود» ـ قال: قلت: ما شأن الناس؟ قالوا: يريد أن يبعث بعمرو بن العاص وجْهاً. قال: فجلست حتى فرغ ، قال: فدخل منزله ـ أو قال رَحْلَه ـ فاستأذنتُ عليه ، فأذن لي. قال: فدخلت فقعدت ، فقال لي رسول الله ﷺ : هل كان بينكم وبين تميم شيء؟ قال: قلت: نعم ، وكانت الدَّبَرة عليهم ، وقد مررت بالرَّبَذة ، فإذا عجوز منهم منقطَع بها ، فسألتني أن أحملها إليك ، وها هي بالباب ، فأذن لها رسول الله ﷺ فدخلت ، فقلت: يا رسول الله ، اجعل بيننا وبين تميم الدَّهنَاءَ حاجزاً ، فحمِيت العجوزُ واستوفزت ، وقالت: فأين تضطر

---

(١) هذا إسناد حسن صحيح والحديث أخرجه أحمد (ح ١٥٩٥٣) من طريق سلام أبي المنذر عن عاصم بن بهدلة عن أبي وائل عن الحارث بن حسَّان قال: مررت بعجوز بالربذة منقطع بها من بني تميم. . . الحديث مع اختلاف في الألفاظ ، والحديث أخرجه غير واحد كما سنبين بعد الرواية الآتية.

(٢) صحيح.

مضرَك يا رسول الله؟ قال: قُلت: أنا كما قالوا: «معزىً حملتْ حَتْفاً»، حملتُ هذه ولا أشعر أنها كائنة لي خصماً، أعوذ بالله ورسوله أن أكون كوافد عاد! قال: وما وافد عاد؟ قلت: على الخبير سقطت، قال: وهو يستطعمني الحديث قلت: إن عاداً قَحِطُوا فبعثوا «قَيْلاً» وافداً، فنزل على بَكْر، فسقاه الخمر شهراً، وتغنّيه جاريتان يقال لهما الجرادتان، فخرج إلى جبال مَهْرة، فنادى: إني لم أجيء لمريض فأداويه، ولا لأسير فأفاديه، اللهم اسق عاداً ما كنت تُسقيه! فمرَّت به سحابات سود، فنودي منها: خذها رماداً رِمْدَداً، لا تبقي من عاد أحداً. قال: فكانت المرأة تقول: لا تكن كوافد عاد، فما بلغني أنه أرسل عليهم من الريح يا رسول الله إلاَّ قدْرَ ما يجري في خاتمي. قال أبو وائل: وكذلك بلغني[1]. (١: ٢١٨/٢١٩).

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا حجاج، عن ابن جريج، قال: حُدّثت أنه لما أخذتهم الصيحة أهلك الله مَنْ بين المشارق والمغارب منهم، إلا رجلاً واحداً كان في حَرَم الله، منعه حرمُ الله من عذاب الله قيل: ومن هو يا رسول الله:؟ قال: أبو رِغال، وقال رسول الله ﷺ حين أتى على قرية ثمود لأصحابه: «لا يدخلنّ أحدٌ منكم القرية، ولا تشربوا من مائهم»، وأرَاهم مُرتقَى الفصيل، حين ارتقى في القارة.

قال ابن جريج: وأخبرني موسى بن عقبة، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمران، أنّ النبي ﷺ حين أتى على قرية ثمود قال: «لا تدخلُنَّ على هؤلاء

---

(١) هذا إسناد حسن صحيح والحديث أخرجه أحمد (ح ١٥٩٥٤) من طريق زيد بن حبان (كما عند الطبري) وإسناده حسن، وحديث الحارث هذا أخرجه الترمذي مختصراً كما عند أحمد والطبري وقال: روىٰ غير واحد هذا الحديث عن سلام أبي المنذر عن عاصم بن أبي النجود عن أبي وائل عن الحارث بن حسان ويقال الحارث بن يزيد. ا هـ. (سنن الترمذي/ ح ٣٢٧٣).
والحديث أخرجه النسائي في السنن الكبرى (ح ٨٦٠٧).
ولقد حسَّن الحافظ ابن حجر إسناده من رواية أحمد وقال: والظاهر أنه في قصة عاد الأخيرة لذكر مكة فيه وإنما بنيت بعد إبراهيم حين أسكن هاجر وإسماعيل بواد غير ذي زرع، فالذين ذكروا في سورة الأحقاف هم عاد الأخيرة (فتح الباري ٩/ ٥٥١/ طبعة دار الفكر).

المعذبين إلا أن تكونوا باكين ، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم؛ أن يصيبَكم ما أصابهم».

قال ابن جريج: قال جابر بن عبد الله: إن النبي ﷺ لما أتى على الحجْر ، حمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد ، فلا تسألوا رسولَكم الآيات ، هؤلاء قوم صالح سألوا رسولهم الآية ، فبعث الله لهم الناقة ، فكانت تَرِد من هذا الفجّ وتصدُر من هذا الفجّ ، فتشرب ماءهم يوم وِرْدها»[1]. (١ : ٢٣١) .

---

(١) لقد ذكر الطبري هنا حديثاً في قصة واحدة ولكن فرقه على ثلاثة أسانيد ، الأول من طريق ابن جريج قال: حدثت ، والثاني من طريق ابن جريج عن موسى بن عقبة عن عبد الله بن دينار عن ابن عمران مرفوعاً.
والثالث من طريق ابن جريج عن جابر مرفوعاً ، والحديث رواه غير واحد من الأئمة مختصراً ومطولاً وفي أسانيد أكثرها ضعيف سوى طريق سنذكرها.
أخرج أحمد في مسنده من طريق عبد الله بن عثمان بن خثيم عن أبي الزبير عن جابر قال: لما مر النبي ﷺ بالحجر قال لا تسألوا الآيات وقد سألها قوم صالح فكانت ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج فعصوا عن أمر ربهم فعقروها وكانت تشرب ماءهم يوماً ويشربون لبنها يوماً ، فعقروها فأخذتهم صيحة أهمد الله من تحت أديم السماء منهم ، إلا رجلاً واحداً كان في حرم الله ، قيل: من هو يا رسول الله؟ قال: أبو رغال ، فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه).
(مسند أحمد/ ح ١٤١٦٠).
وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط والبزار وأحمد بنحوه ورجال أحمد رجال الصحيح وقد تقدمت لهذا الحديث طرق مختصرة في غزوة تبوك (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد/ ح ١١٠٧٨).
قلنا: وحديث جابر (عند أحمد) أورده الحافظ ابن كثير وقال: وهذا الحديث على شرط مسلم وليس هو في شيء من الكتب الستة (قصص الأنبياء/ ١١٢).
قلنا: وحديث جابر هذا أخرجه الحاكم (٢/ ٣٤١) وصححه ووافقه الذهبي وأخرجه الطحاوي في شرح المشكل (ح ٣٧٥٧) وقال العلامة أرناؤوط: وسنده قوي (انظر مسند أحمد/ ح ١٤١٦٠).
قلنا: والحديث أخرجه الطبراني (ح ١٢٩٣١) وأورده الحافظ البوصيري من طريق محمد بن يحيى بن أبي عمر ثنا يحيى بن سليم عن ابن خثيم عن أبي الزبير ثنا جابر أن رسول الله ﷺ لما نزل الحجر في غزوة تبوك. . . الحديث) ولم يسم الرجل ، وقال البوصيري: هذا إسناد صحيح (إتحاف الخيرة المهرة/ ٨/ ح ٧٧١٣).
وأخرج البخاري في صحيحه (كتاب المغازي/ ح ٤٤٢٠) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: =

حدثني إسماعيل بن المتوكل الأشجعيّ ، قال: حدثنا محمد بن كثير ، قال: حدثنا عبد الله بن واقد ، عن عبد الله بن عثمان بن خُثَيْم ، قال: حدثنا أبو الطفيل قال: لما غزا رسول الله ﷺ غزوة تبوك ، نزل الحِجْر فقال: «أيها الناس لا تسألوا نبيَّكم الآيات ، هؤلاء قوم صالح سألوا نبيَّهم أن يبعث لهم آية ، فبعث الله تعالى ذكرهُ لهم الناقة آية ، فكانت تلِجُ عليهم يوم وِرْدها من هذا الفجّ فتشرب ماءهم ، ويوم وردهم كانوا يتزودون منه ، ثم يحلبونها مثل ما كانوا يتزوّدون من مائهم قبل ذلك لبناً ، ثم تخرج من ذلك الفجّ. فعتوا عن أمر ربهم وعقروها ، فوعدهم الله العذاب بعد ثلاثة أيام ، وكان وعداً من الله غير مكذوب ، فأهلك الله مَنْ كان منهم في مشارق الأرض ومغاربها إلاّ رجلاً واحداً كان في حرم الله ، فمنعه حرم الله من عذاب الله ، قالوا: ومَنْ ذلك الرجل يا رسول الله؟ قال: أبو رِغال[1]. (١ : ٢٣١/ ٢٣٢).

ذكر إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام
وذكر من كان في عصره من ملوك العجم

قال أبو جعفر: رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق.

ثم أقبل عليهم كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿ضَرْبَا بِٱلْيَمِينِ﴾. ثم جعل يكسرهنّ بفأس

= قال رسول الله ﷺ لأصحاب الحجر: «لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلاّ أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل ما أصابهم».

وأخرجه أحمد في مواضع في مسنده عن عبد الله بن عمر كما في (ح ٥٩٨٤) عن ابن عمر قال: (لما نزل رسول الله ﷺ بالناس عام تبوك نزل بهم الحجر عند بيوت ثمود. . . الحديث وفي آخره (ونهاهم أن يدخلوا على القوم الذين عذبوا ، قال: إني أخشى أن يصيبكم مثل ما أصابهم فلا تدخلوا عليه».

قلنا: وإسناده صحيح والحديث أخرجه مسلم (ح ٢٩٨١) وابن حبان (ح ٥٩٩١) من مسند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(١) إسناده ضعيف ولكن المتن صحيح (مختصر عن الذي قبله) فالحديث هنا صحيح لغيره والله أعلم.

وسبق أن ذكرنا رواية الإمام أحمد في مسنده (ح ١٤١٦٠) عن جابر رضي الله عنه قال: لما مرَّ رسول الله ﷺ بالحجر قال: «لا تسألوا الآيات فقد سألها قوم صالح . . . . الحديث».

وانظر الرواية السابقة فقد ذكرنا الحديث بتمامه.

في يده ، حتى إذا بقيَ أعظمُ صنم منها ربط الفأس بيده ، ثم تركهنَّ ، فلما رجع قومه رأوْا ما صنع بأصنامهم ، فراعهم ذلك ، فأعظموه و﴿ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَـٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ . ثم ذكروا فـ ﴿ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴾ - يعنون فتىً يسبها ويعيبها ويستهزىء بها ، لم نسمع أحداً يقولُ ذلك غيرهُ ، وهو الذي نظن صنع هذا بها . وبلغ ذلك نمرود وأشراف قومه ، فقالوا : ﴿ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴾ أي : ما يصنع به[1] . (١ : ٢٣٨/ ٢٣٩) .

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق :

قال : فلما أتيَ به فاجتمع له قومه عند ملكهم نمرود ، قالوا : ﴿ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَـٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝٦٢ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَـٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴾ ، غضب من أن يعبدوا معه هذه الصغار وهو أكبر منها ، فكسرهنّ ، فارعوَوْا ورجعوا عنه فيما ادعوا عليه من كسْرهنّ إلى أنفسهم فيما بينهم ، فقالوا : لقد ظلمناه وما نراه إلا كما قال . ثم قالوا وعرفوا أنها لا تضرّ ولا تنفع ولا تبطش : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَـٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴾ ، أي لا يتكلمون فيخبرونا : مَنْ صنع هذا بها ، وما تبطش بالأيدي فنصدقك ، يقول الله عزّ وجلّ : ﴿ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَـٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴾ ، أي نكسوا على رؤوسهم في الحجة عليهم لإبراهيم حين جادلهم ، فقال عند ذلك إبراهيم حين ظهرت الحجة عليهم بقولهم : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَـٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ۝٦٥ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ۝٦٦ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ .

قال : وحاجَّهُ قومه عند ذلك في الله جلَّ ثناؤه يستوصفونه إياه ويخبرونه أن آلهتهم خير مما يعبد ، فقال : ﴿ أَتُحَـٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ﴾ ، إلى قوله : ﴿ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ، يضرب لهم الأمثال ، ويصرِّف لهم العبرَ ، ليعلموا أن الله هو أحقّ أن يُخاف ويُعبد مما يعبدون من دونه[2][3] . (١ : ٢٣٩/ ٢٤٠) .

---

(١) صحيح .

(٢) صحيح .

(٣) مادام الحديث عن تحريق إبراهيم عليه السلام فلا بأس أن نذكر هنا حديثاً لم يخرجه الطبري في تأريخه فقد أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال :=

قال أبو جعفر: ثم إن نمرود ـ فيما يذكرون ـ قال لإبراهيم: أرأيت إلهك هذا الذي تعبد وتدعو إلى عبادته، وتذكره من قدرته التي تعظِّمه بها على غيره ما هو؟ ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾، فقال نمرود: فأنا ﴿أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾، فقال له إبراهيم: كيف تحيي وتميت؟ قال: آخذ الرجُلين قد استوجبَا القتل في حكمي، فأقتل أحدهما فأكون قد أمتُّه، وأعفو عن الآخر فأتركه فأكون قد أحييته، فقال له إبراهيم عند ذلك: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾، فعرف أنه كما يقول، فبُهت عند ذلك نمرود ولم يرجع إليه شيئاً، وعرف أنه لا يطيق ذلك. يقول الله عزّ وجلّ: ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾، يعني وقعت عليه الحجة.

قال: ثم إن نمرود وقومه أجمعوا في إبراهيم فقالوا: ﴿حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾[1]. (١: ٢٤٠).

حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا أبو أسامة، قال: حدثني هشام، عن محمد، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ: قال: «لم يكذب إبراهيم عليه السلام غير ثلاث: ثنتين في ذات الله، قوله ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾. وبينا هو يسير في أرض جبَّار من الجبابرة، إذ نزل منزلاً، فأتى الجبَّارَ رجلٌ فقال: إن في أرضك ـ أو قال: ها هنا ـ رجلاً معه امرأة من أحسن الناس، فأرسلَ إليه، فجاء فقال: ما هذه المرأة منك؟ قال: هي أختي، قال: اذهب فأرسلْ بها إليّ، فانطلق إلى سارة، فقال: إن هذا الجبار قد سألني عنك فأخبرته أنك أختي فلا تكذّبيني عنده، فإنك أختي في كتاب الله، فإنه ليس في الأرض مسلم غيري وغيرُك، قال: فانطلق بها وقام إبراهيم عليه السلام يصلِّي قال: فلما دخلت عليه فرآها أهوى إليها وذهب يتناولها، فأخذَ أخذاً شديداً، فقال: ادعي

= (يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة فيقول له إبراهيم ألم أقل لك لا تعصيني فيقول له أبوه: فاليوم لا أعصيك فيقول إبراهيم يا رب إنك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون، وأي خزي أخزى من أبي الأبعد؟!.
فيقول الله: إني حرمت الجنة على الكافرين. ثم يقال: يا إبراهيم ما تحت رجليك؟ فينظر فإذا هو بِذيخٍ متلطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار).

(١) ذكره الطبريّ بلا إسناد وهو تفسير للآيات القرآنية والمعنى صحيح.

الله ولا أضرّك ، فدعت له فأرسل فأهوى إليها فذهب يتناولها ، فأخِذ أخذاً شديداً ، فقال: ادعي الله ولا أضرّك ، فدعت له فأرسل ، ثم فعل ذلك الثالثة ، فأخذ ، فذكر مثل المرتين فأرسل. قال: فدعا أدنى حُجّابه فقال: إنكَ لم تأتني بإنسان ، ولكنك أتيتني بشيطان ، أخرجها وأعْطِها هاجر ، فأخرجت وأعطيت هاجر ، فأقبلت بها ، فلما أحسّ إبراهيم بمجيئها انفتل من صلاته ، فقال: مهيم! فقالت: كفى الله كيد الفاجر الكافر! وأخدم هاجر».

قال محمد بن سيرين: فكان أبو هريرة إذا حدث هذا الحديث يقول: فتلك أمكم يا بني ماء السماء[١] . (١ : ٢٤٥/٢٤٦) .

حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سلَمة ، قال: حدثنا محمد بن إسحاق ، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن الأعرج ، عن أبي هريرة ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لم يقل إبراهيم شيئاً قطّ «لم يكن» إلا ثلاثاً: قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ لم يكن به سقم ، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾ ، وقوله لفرعون حين سأله عن سارة فقال: مَنْ هذه المرأة معك؟ قال: أختي ، قال: فما قال إبراهيم عليه السلام شيئاً قطّ «لم يكن» إلا ذلك»[٢] . (١ : ٢٤٦) .

حدثني سعيد بن يحيىٰ الأمويّ ، قال: حدثني أبي ، قال: حدثنا محمد بن إسحاق ، قال: حدثنا أبو الزناد ، عن عبد الرحمن الأعرج ، عن أبي هريرة ، قال: قال رسول الله ﷺ : «لم يكذب إبراهيم في شيء قطّ إلا في ثلاث. . .». ثم ذكر نحوه[٣] . (١ : ٢٤٦) .

---

(١) هذا إسناد صحيح والحديث أخرجه البخاري من طريق الأعرج عن أبي هريرة مرفوعاً دون قوله (لم يكذب إبراهيم عليه السلام غير ثلاث ثنتين في ذات الله قوله إني سقيم) وقوله (بل فعله كبيرهم هذا) (صحيح البخاري/ كتاب البيوع/ ح ٢٢١٧).
وأخرجه البخاري من طريق محمد بن سيرين عن أبي هريرة مرفوعاً (لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات) صحيح البخاري/ كتاب أحاديث الأنبياء/ ح ٣٣٥٧).

(٢) شيخ الطبري في هذا الإسناد ضعيف وفيه محمد بن إسحاق مدلس وقد عنعن ولم يصرح بالتحديث إلا أن الحديث صحيح كما سبق ولم نجد فيما بين أيدينا من الروايات لفظة (فرعون) بدلاً من لفظة (جبار) والله أعلم.

(٣) صحيح.

حدثنا أبو كريب ، قال: حدثنا أبو أسامة ، قال: حدثني هشام ، عن محمد ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال: «لم يكذب إبراهيم غير ثلاث: ثنتين في ذات الله ، قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ ، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ ، وقوله في سارة: هي أختي»[1]. (١ : ٢٤٦).

حدثني ابن حميد ، قال: حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن المسيّب بن رافع ، عن أبي هريرة قال: ما كذب إبراهيم عليه السلام غير ثلاث كذبات: قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ ، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ ، وإنما قاله موعظة وقوله حين سأله الملك فقال: أختي ـ لسارة ـ وكانت امرأته[2]. (١ : ٢٤٧).

حدثني يعقوب ، قال: حدثني ابن عُلَيَّة ، عن أيوب ، عن محمد ، قال: إن إبراهيم لم يكذب إلا ثلاث كذبات: ثنتان في الله ، وواحدة في ذات نفسه ، وأما الثنتان فقوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ ، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ وقصته في سارة. وذكر قصتها وقصة الملك[3]. (١ : ٢٤٧).

حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سلمة ، قال: حدثني ابن إسحاق ، عن الزهريّ ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري ، قال: قال رسول الله ﷺ : «إذا فتحتم مصر فاستوصوا بأهلها خيراً ، فإنّ لهم ذمة ورَحِماً»[4]. (١ : ٢٤٧).

---

(١) صحيح.

(٢) شيخ الطبري هنا ضعيف وهو موقوف ولكن متنه صحيح وكذلك أخرجه البخاري.

(٣) هذا إسناد مرسل صحيح.

(٤) هذا إسناد مرسل ولقد روى الطبراني في المعجم الكبير (١٩/ ٦١) عن كعب بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا فتحت مصر فاستوصوا بالقبط خيراً فإن لهم دماً ورحماً.
وأخرج أبو يعلى (٣/ ١٤٧٣) قال رسول الله ﷺ : (إنكم ستقدمون على قوم جعد رؤوسهم فاستوصوا بهم خيراً فإنهم قوة لكم وإبلاغ إلى عدوكم بإذن الله تعالى) يعني قبط مصر.
وأخرج مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «إنكم ستقدمون أرضاً يذكر فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيراً ، فإن لهم ذمة ورحماً فإذا رأيتم رجلين يقتتلان في موضع لبنة فاخرج منها» (صحيح مسلم/ كتاب فضائل الصحابة/ ٢٦٦/ ح ٢٥٤٣).
وأخرج مسلم عن أبي ذر مرفوعاً: (إنكم ستفتحون مصراً وهي أرض يسمى فيها القيراط فإذا افتتحتموها فأحسنوا إلى أهلها فإن لهم ذمة ورحماً). . . الحديث. (صحيح مسلم/ ٢٢٦/ =

ذكر أمر بناء البيت

حدثني يعقوب بن إبراهيم والحسن بن محمد ، قالا : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، عن أيوب ، قال : نُبِّئْتُ عن سعيد بن جبير أنه حدث عن ابن عباس أن أوّلَ منْ سعىٰ بين الصفا والمروة لأمُّ إسماعيل ، وأنّ أوّل مَنْ أحدث من نساء العرب جرّ الذيول لأمِّ إسماعيل. قال: لما فرّت من سارة أرْخَتْ ذيلَها لتعفّي أثرها ، فجاء بها إبراهيم ومعها إسماعيل حتى انتهى بهما إلى موضع البيت ، فوضعهما ثم رجع ، فاتبعته فقالت: إلى أي شيء تكلنا؟ إلى طعام تكلنا؟ إلى شراب تكلنا؟ لا يرد عليها شيء ، فقالت: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم ، قالت: إذاً لا يضيعنا ، قال: فرجعت ومضى حتى إذا استوى على ثنيَّة كَدَاء ، أقبل على الوادي فقال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ . . .﴾ الآية. قال: ومع الإنسانة شنَّةٌ فيها ماء ، فنفذ الماء ، فعطشت فانقطع لبنُها ، فعطِش الصبيّ فنظرت: أيّ الجبال أدنى إلى الأرض ، فصعدت الصفا فتسمَّعت: هل تسمع صوتاً ، أو ترى أنيساً؟ فلم تسمع شيئاً فانحدرت ، فلما أتت على الوادي سعت ـ وما تريد السَّعْي ـ كالإنسان المجهود الذي يَسْعى وما يريد السعي ، فنظرت أيّ الجبال أدنى إلى الأرض ، فصعِدت المروَة ، فتسمَّعت: هل تسمع صوتاً أو ترى أنيساً؟ فسمعت صوتاً ، فقالت كالإنسان الذي يكذِّب سمعه: صه! حتى استيقنت ، فقالت: قد أسمعتني صوتك فأغثني ، فقد هلكت وهَلك مَنْ معي ، فجاء الملك بها حتى انتهى بها إلى موضع زمزم ، فضرب بقدمه ففارت عيناً ، فعجلت الإنسانة تُفرغ في شنَّتها ، فقال رسول الله ﷺ: «رحم الله أمّ إسماعيل ، لولا أنها عَجِلت لكانت زمزم عيناً معيناً».

وقال لها المَلك: لا تخافي الظمأ على أهل هذا البلد؛ فإنها عين يشرب ضيفان الله منها ، وقال: إن أبا هذا الغلام سيجيء فيبنيان لله بيتاً هذا موضعه.

قال: ومرّت رُفقة من جُرْهم تريد الشأم ، فرأوا الطيرَ على الجبل ، فقالوا: إن هذا الطير لعائف على ماء ، فهل علمتم بهذا الوادي من ماء؟ فقالوا: لا ،

= ٢٥٤٣) وأخرجه الحاكم (٢/٥٥٣) من طريق الزهري عن ابن كعب بن مالك عن أبيه كعب بن مالك مرفوعاً وصححه الحاكم على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

فأشرفوا فإذا هم بالإنسانة ، فأتوْها فطلبوا إليها أن ينزلوا معها ، فأذنت لهم ، قال: وأتىٰ عليها ما يأتي على هؤلاء الناس من الموت ، فماتت وتزوج إسماعيل امرأة منهم ، فجاء إبراهيم فسأل عن منزل إسماعيل حتى دُلَّ عليه فلم يجده ، ووجد امرأة له فَظّة غليظة ، فقال لها: إذا جاء زوجك فقولي له: جاء ها هنا شيخ من صفته كذا وكذا ، وأنه يقول لك: إني لا أرضَى لك عتبَة بابك فحوّلها ، وانطلق. فلما جاء إسماعيل أخبرته فقال: ذلك أبي ، وأنت عتبَة بابي. فطلقها ، وتزوج امرأة أخرى منهم ، وجاء إبراهيم حتى انتهى إلى منزل إسماعيل فلم يجده ووجد امرأة له سهلة طليقة فقال لها: أين انطلق زوجك؟ فقالت: انطلق إلى الصيد ، قال: فما طعامكم؟ قالت: اللحم والماء ، قال: اللهمّ بارك لهم في لحمهم ومائهم ، ثلاثاً. وقال لها: إذا جاء زوجك فأخبريه؛ قولي له جاء ها هنا شيخ من صفته كذا وكذا ، وإنه يقول لك: قد رضيتُ لك عتبة بابك ، فأثبتها ، فلما جاء إسماعيل أخبرته ، قال: ثم جاء الثالثة ، فرفعا القواعد من البيت(١).
(١: ٢٥٥/ ٢٥٦/ ٢٥٧).

حدثنا الحسن بن محمد ، قال: حدثنا يحيىٰ بن عباد ، قال: حدثنا حماد بن سَلَمة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس قال: جاء إبراهيم نبي الله بإسماعيل وهاجر فوضعهما بمكة في موضع زمزم ، فلما مضىٰ نادته هاجر: يا إبراهيم ، إنما أسألك ثلاث مرات: مَنْ أمرك أن تضعني بأرض

---

(١) الحديث أخرجه البخاري (ح ٣٣٦٤) و(٣٣٦٥) عن ابن عباس ، وقال ابن حجر: وأما ابن عباس فإن كان لم يسمعه من النبيﷺ فهو من مرسل الصحابة.
وأما ابن كثير فقال: وهذا الحديث من كلام ابن عباس وموشح برفع بعضه وفي بعضه غرابة وكأنه مما تلقاه ابن عباس من الإسرائيليات (قصص الأنبياء/ ١٣٧).
وقال العلامة أحمد شاكر رحمه الله: وهذا عجب منه (أي من ابن كثير) فما كان ابن عباس ممن يتلقى الإسرائيليات. ثم إن سياق الحديث يفهم منه ضمناً أنه مرفوع كله ثم لو سلمنا أن أكثره موقوفاً فما هناك دليل أو شبه دليل على أنه من الإسرائيليات بل يكون الأقرب مما عرفته قريش وتداولته على مر السنين من حديث جدّيهم إبراهيم وإسماعيل فقد يكون بعضه صحيحاً وبعضه خطأً.
ولكن الظاهر عندي أنه مرفوع كله في المعنى (وانظر البداية والنهاية ١/ ١٤٧) ومسند أحمد (ح ٣٢٥٠) بتحقيق الشيخ أرناؤوط.

ليس فيها زرع ولا ضرع ولا أنيس ولا ماء ولا زاد؟ قال: ربي أمرني، قالت: فإنه لن يضيعنا، قال: فلما قفا إبراهيم قال: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ﴾ يعني من الحزن ﴿وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾. فلما ظمىء إسماعيل جعل يدحص الأرض بعقبه فذهبت هاجر حتى علت الصفا، والوادي يومئذ لاخٍ ـ يعني عميق ـ فصعدت الصفا، فأشرفت لتنظر: هل ترى شيئاً؟ فلم تر شيئاً، فانحدرت فبلغت الوادي، فسمعت فيه حتى خرجت منه، فأتت المروة فصعدت فاستشرفت: هل ترى شيئاً؟ فلم تر شيئاً، ففعلت ذلك سبع مرات، ثم جاءت من المروة إلى إسماعيل، وهو يدحص الأرض بعقبه، وقد نبعت العين وهي زمزم، فجعلت تفحص الأرض بيدها عن الماء، وكلما اجتمع ماء أخذته بقدحها، فأفرغته في سقائها، قال: فقال النبي ﷺ: «يرحمها الله! لو تركتْها لكانت عيناً سائحة تجري إلى يوم القيامة».

قال: وكانت جُرْهم يومئذ بواد قريب من مكة، قال: ولزمت الطير الوادي حين رأت الماء، فلما رأت جُرْهم الطير لزمت الوادي، قالوا: ما لزمته إلا وفيه ماء، فجاؤوا إلى هاجر، فقالوا: لو شئت كنا معك وآنسناك والماء ماؤك، قالت: نعم! فكانوا معها حتى شبّ إسماعيل وماتت هاجر، فتزوج إسماعيل امرأة من جُرْهم، قال: فاستأذن إبراهيم سارة أن يأتي هاجر، فأذنت له، وشرطت عليه ألاَّ ينزل، وقدم إبراهيم ـ وقد ماتت هاجر ـ إلى بيت إسماعيل، فقال لامرأته: أين صاحبك؟ قالت: ليس ها هنا، ذهب يتصيّد، وكان إسماعيل يخرج من الحرم فيتصيّد ثم يرجع، فقال إبراهيم: هل عندك ضيافة؟ هل عندك طعام أو شراب؟ قالت: ليس عندي وما عندي أحد، قال إبراهيم: إذا جاء زوجُك فأقرئيه السلام، وقولي له: فليغيّر عتبة بابه، وذهب إبراهيم وجاء إسماعيل، فوجد ريحَ أبيه فقال لامرأته: هل جاءك أحد؟ قالت: جاءني شيخ صفته كذا ـ وكذا كالمستخفَّة بشأنه ـ قال: فما قال لك؟ قالت: قال لي: أقرئي زوجك السلام، وقولي له: فليغيِّر عتبة بابه، فطلّقها وتزوّج أخرى، فلبث إبراهيم ما شاء الله أن يلبَث، ثم استأذن سارة أن يزور إسماعيل، فأذنَت له واشترطت عليه ألا ينزل، فجاء إبراهيم حتى انتهى إلى باب إسماعيل، فقال لامرأته: أين صاحبك؟ قالت: ذهب يتصيَّد وهو يجيء الآن إن شاء الله، فانزل

يرحمك الله! قال لها: هل عندك ضيافة؟ قالت: نعم، قال هل عندك خبز أو بُرّ أو شعير أو تمر؟ قال: فجاءت باللبن واللحم، فدعا لهما بالبركة، فلو جاءت يومئذ بخبز أو بُرّ أو شعير أو تمر لكانت أكثر أرض الله برّاً وشعيراً وتمراً، فقالت: انزل حتى أغسل رأسك، فلم ينزل، فجاءته بالمقام فوضعته عند شقه الأيمن، فوضع قدمه عليه فبقي أثر قدمه عليه، فغسلت شِقّ رأسه الأيمن، ثم حولت المقام إلى شقّه الأيسر، فغسلت شِقّه الأيسر، فقال لها: إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام، وقولي له: قد استقامت عتبةُ بابك. فلما جاء إسماعيل وجد ريح أبيه، فقال لامرأته: هل جاءك أحد؟ قالت: نعم، شيخ أحسنُ الناس وجهاً وأطيبهم ريحاً، فقال لي: كذا وكذا، وقلت له: كذا وكذا، وغسلت رأسه وهذا موضع قدميه على المقام، قال: وما قال لك؟ قالت: قال لي: إذا جاء زوجُك فأقرئيه السلام، وقولي له: قد استقامت عتبة بابك، قال ذلك إبراهيم، فلبث ما شاء الله أن يلبث وأمره الله عز وجل ببناء البيت، فبناه هو وإسماعيل، فلما بنياه قيل: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾، فجعل لا يمرُّ بقوم إلا قال: يا أيها الناس، إنّه قد بُني لكم بيت فحجوه، فجعل لا يسمعه أحد؛ لا صخرة ولا شجرة ولا شيء إلا قال: لبّيك اللهم لبيك. قال: وكان بين قوله: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾، وبين قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ كذا وكذا عاماً؛ لم يحفظ عطاء[(١)]. (١: ٢٥٧/٢٥٨/٢٥٩).

حدثني محمد بن سنان، قال: حدثنا عبيد الله بن عبد المجيد أبو علي الحنفي، قال: أخبرنا إبراهيم بن نافع، قال: سمعت كثير بن كثير يحدِّث عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: جاء ـ يعني إبراهيم ـ فوجد إسماعيل يُصْلِح نَبْلاً له من وراء زمزم، فقال إبراهيم: يا إسماعيل، إن ربّك قد أمرني أن أبنيَ له بيتاً، فقال له إسماعيل: فأطع ربَّك فيما أمرك، فقال إبراهيم: قد أمرك أن تُعينَني عليه قال: إذاً أفعل، قال: فقام معه، فجعل إبراهيم يبنيه وإسماعيل يناوله الحجارة ويقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾، فلما ارتفع البنيان

(١) في إسناده عطاء اختلط بأمره إلا أن رواية حماد عنه (هاهنا) قبل الاختلاط عند الجمهور والخبر عند البخاري كما سبق أن ذكرنا عند الرواية السابقة إلا أن هذه الرواية متضمنة بعض غرابة والخبر رواه البخاري كما سبق (٣٣٦٥) وأحمد (٣٢٥٠).

وضعُف الشيخ عن رفع الحجارة قام على حجر ، وهو مقام إبراهيم ، فجعل يناوله ويقولان : ﴿ نَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[(١)] . (١ : ٢٥٩/ ٢٦٠) .

فلما فرغ إبراهيم من بناء البيت الذي أمره الله عزَّ وجلّ ببنائه ، أمره الله أن يؤذّن في الناس بالحج ، فقال له : ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾[(٢)] . (١ : ٢٦٠) .

---

(١) في إسناده محمد بن سنان ضعيف إلاّ أن المتن جزء من حديث طويل أشرنا إليه سابقاً (ح ٣٣٦٥) وفي آخره : (فجاء فوافق إسماعيل من وراء زمزم يصلح نبلاً له فقال : يا إسماعيل إن ربك أمرني أن أبني بيتاً . . . الحديث) من طريق إبراهيم بن نافع عن كثير بن كثير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس) وليس في رواية البخاري فلما ارتفع البنيان وضعف الشيخ . . . إلخ) .

(٢) صحيح .

لقد ذكر الإمام الطبري روايات عدة [ذكرناها في قسم الضعيف] منها ما هي مرفوعة أو موقوفة تؤكد أن الذبيح إسحاق ، وأخرى تؤكد أن الذبيح إسماعيل وقال الطبري في نهاية المطاف إلى كون الذبيح إسحاق ، وإن كان أثناء مناقشته للأدلة غير مقتنع بصحة أسانيد الأحاديث المرفوعة في هذه المسألة إذ يقول (١/ ٢٦٣) وقد روى عن رسول الله ﷺ كلا القولين : لو كان فيهما صحيح لم نعد إلى غيره ، غير أن الدليل من القرآن على صحة الرواية التي رويت عنه ﷺ أنه قال : (هو إسحاق) أوضح وأبين منه على صحة الأخرى وهذا يعني أن ضعف تلك الروايات المرفوعة واضح عند الطبري إلاّ أنه يرجح بعضها على بعض بما يستنبطه من فهم الآيات القرآنية كقرائن ودلائل .

وأما الحافظ ابن كثير فهو يقول بالرأي الآخر ويرى أن ما ذهب إليه ابن جرير بعيد جداً وأن ما استدل به محمد بن كعب على أنه إسماعيل أثبت وأصح وأقوى (تفسير القرآن العظيم/ سورة الصافات/ ٢٩٨٩) .

وأما الإمام الشوكاني فقد ساق مختلف الأدلة ثم قال : وبما سقناه من الاختلاف في الذبيح هل هو إسحاق أو إسماعيل وما استدل به المختلفون في ذلك تعلم أنه لم يكن في المقام ما يوجب القطع أو يتعين رجحانه تعييناً ظاهراً ، وقد رجّح كل قولٍ طائفة من المحققين المنصفين كابن جرير فإنه رجح أنه إسحاق ، ولكنه لم يستدل على ذلك إلا ببعض ما سقناه ها هنا وكابن كثير فإنه رجح أنه إسماعيل وجعل الأدلة على ذلك أقوىٰ وأصح ، وليس الأمر كما ذكره فإنها إن لم تكن دون أدلة القائلين بأن الذبيح إسحاق لم تكن فوقها ولا أرجح منها ولم يصح عن رسول الله ﷺ في ذلك شيء ، وما روي عنه فهو إما موضوع أو ضعيف جداً ، ولم يبق إلا مجرد استنباطات من القرآن كما أشرنا إلى ذلك فيما سبق وهي محتملة ولا تقوم الحجة بمحتمل فالوقف هو الذي لا ينبغي مجاوزته وفيه السلامة من الترجيح بلا مرجح ومن=

ذكر ابتلاء الله إبراهيم بكلمات

فلما عرف الله تعالى من إبراهيم الصبرَ على كلِّ ما ابتلاه به ، والقيام بكلِّ ما ألزمه من فرائضه ، وإيثاره طاعته على كلِّ شيء سواها ، اتخذه خليلاً ، وجعلَه لمن بعده من خلقه إماماً ، واصطفاه إلى خلقه رسولاً ، وجعل في ذرِّيته النبوةَ والكتاب والرسالة ، وخَصَّهم بالكتب المنزلة ، والحِكَم البالغة ، وجعل منهم الأعلام والقادة والرؤساء والسادة ، كلَّما مضى منهم نجيبٌ خلفه سيد رفيع ، وأبقى لهم ذكراً في الآخرين ، فالأمم كلها تتولاه وتُثني عليه ، وتقول بفضله إكراماً من الله له بذلك في الدنيا ، وما ادَّخر له في الآخرة من الكرامة أجلُّ وأعظمُ من أن يحيط به وصف واصف[1] . (١ : ٢٨٦) .

= الاستدلال بما هو محتمل (فتح القدير ٣/ ٤٩٣) .

قلنا : ومن الذين ناقشوا هذه المسألة كذلك بالتفصيل الإمام ابن قيم الجوزية في كتابه القيم زاد المعاد ورجح كون الذبيح إسماعيل (زاد المعاد ١/ ٧١) والله تعالى أعلم .

لقد روىٰ الطبري رحمه الله روايات عدة في وصف (الذبح العظيم) الذي كان فداءً لولد إبراهيم عليهما السلام وقد ذكرناها في قسم الضعيف وهي مستوحاة من الإسرائيليات إلا أن الذي ثبت أنه كان كبشاً وكفىٰ ، وكما قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى فأما ما روى عن ابن عباس أنه كان وعلاً وعن حسن أنه كان تيساً من الأروىٰ واسمه جرير فلا يكاد يصح عنهما ثم غالب ما ها هنا من الآثار مأخوذ من الإسرائيليات وفي القرآن كفاية كما جرى من الأمر العظيم والاختبار الباهر وأنه فدي بذبح عظيم .

قلنا : والخبر أخرجه أحمد في مسنده (ح/ ١٦٦٣٧) من طريق صفية بنت شيبة أم منصور قالت : (أخبرتني امرأة من بني سليم ولّدت عامة أهل دارنا : أرسل رسول الله ﷺ إلى عثمان بن طلحة وقالت مرة : إنها سألت عثمان بن طلحة لم دعاك النبي ﷺ؟ قال : إني كنت رأيت قرني الكبش حين دخلت البيت فنسيت أن آمرك أن تخمرهما ، فخمرهما فإنه لا ينبغي أن يكون في البيت شيء يشغل المصلي ، قال سفيان : لم تزل قرنا الكبش في البيت حتى احترق البيت فاحترقا) .

قلنا : وإسناده صحيح والحديث أخرجه أبو داود وفيه (الأسلمية) بدلاً من قوله (امرأة من بني سليم) وصححه من المعاصرين كلٌّ من المحدث الألباني والعلامة أرناؤوط والحديث أخرجه البيهقي (٢/ ٦١٥/ ح ٤٢٩٧) والله أعلم .

(١) لقد ذكر الإمام الطبري رحمه الله روايات كثيرة استغرقت الصفحات (٢٩٧ ـ ٢٨٦) وهي =

ذكر لوط بن هاران وقومه

وكان قطعهم السبيل ـ فيما ذكر ـ إتيانهم الفاحشة إلى مَنْ ورد بلدهم.

= روايات موقوفة أو من أقوال التابعين سوى حديثين مرفوعين ولكن ضعيفين ولقد ذكرناها جميعاً في قسم الضعيف.

والطبري رحمه الله ذكر هذه الروايات في تفسيره للقرآن الكريم ثم قال: والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله عز وجل اختبر إبراهيم خليله بكلمات أوحاهن إليه وأمره أن يعمل بهن وأتمهن كما أخبر الله جل ثناؤه عنه أنه فعل وجائز أن تكون تلك الكلمات جميع ما ذكره من ذكرنا قوله في تأويل الكلمات، وجائز أن تكون بعضه، ثم قال: وإذا كان ذلك كذلك فغير جائز لأحد أن يقول: عنى الله بالكلمات التي ابتلي بهن إبراهيم شيئاً من ذلك بعينه دون شيء ولا عنى به كل ذلك إلا بحجة يجب التسليم لها من خبر عن الرسول ﷺ أو إجماع من الحجة، ولم يصح منه شيء من ذلك خبر عن الرسول بنقل الواحد ولا بنقل الجماعة؛ التي يجب التسليم لما نقلته (تفسير سورة البقرة/ الآية ١٢٤/ ح ١٥٩٥).

وذكر الحافظ ابن كثير تضعيف الطبري لهاتين الروايتين المرفوعتين ثم قال: وهو كما قال (أي الطبري) فإنه لا تجوز روايتهما إلا ببيان ضعفهما، وضعفهما من وجوه عدة فإن كلاً من السندين مشتمل على غير واحد من الضعفاء مع ما في متن الحديث مما يدل على ضعفه (تفسير القرآن العظيم/ ١/ ٣٨٦).

وأخيراً فإن الحافظ ابن كثير رحمه الله يقول:

والذي قاله أولاً (أي الطبري) من أن الكلمات تشمل جميع ما ذكر أقوى من هذا الذي جوَّزه من قول مجاهد ومن قال مثله لأن السياق يعطي غير ما قالوه والله أعلم (٧/ ٣٨٦/ المصدر السابق).

وقال الإمام الشوكاني رحمه الله بعد سرده لهذه الروايات: وإذا لم يصح شيء عن رسول الله ﷺ ولا جاءنا من طريق تقوم بها الحجة تعيين تلك الكلمات، لم يبق لنا إلا أن نقول: إنها ما ذكره الله سبحانه بقوله ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ﴾ إلى آخر الآيات ويكون ذلك بياناً للكلمات والسكوت وإحالة العلم في ذلك على الله سبحانه، وأما ما روي عن ابن عباس ونحوه من الصحابة ومن بعدهم في تعيينها فهو أولاً أقوال الصحابة لا تقوم بها حجة فضلاً عن أقوال من بعدهم وعلى تقرير أنه لا مجال للاجتهاد في ذلك وأنه له حكم الرفع فقد اختلفوا في التعيين اختلافاً يمنع معه العمل ببعض ما روي عنها دون البعض الآخر بل اختلفت الروايات عن الواحد منهم كما قدمنا عن ابن عباس فكيف يجوز العمل بذلك وبهذا تعرف ضعف قول من قال: إنه يصار إلى العموم ويقال تلك الكلمات هي جميع ما ذكرنا هنا فإن هذا يستلزم تفسير كلام الله بالضعيف والمتناقض وما لا تقوم به الحجة. ا هـ. (فتح القدير ١/ ١٨٩).

* ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله تعالى: ﴿وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ﴾، قال: السبيل طريقُ المسافر إذا مرّ بهم، وهو ابن السبيل قطعوا به وعملوا به ذلك العمل الخبيث[١]. (١: ٢٩٣).

حدثنا موسى بن هارون، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال: حدثنا أسباط، عن السُّدي في خبر ذكره، عن أبي مالك وعن أبي صالح، عن ابن عباس - وعن مرة الهمدانيّ عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ: بعث الله الملائكة لتُهلك قومَ لوط، فأقبلت تمشي في صورة رجال شباب؛ حتى نزلوا على إبراهيم فتضيَّفوه، فكان من أمرهم وأمر إبراهيم ما قد مضىٰ ذكرنا إياه في خبر إبراهيمَ وسارة. فلما ذهب عن إبراهيم الروع جاءتْه البشرى، وأطلعته الرسل على ما جاؤوا له، وأنّ الله أرسلَهم لهلاك قوم لوط ناظرهم إبراهيم وحاجَّهم في ذلك كما أخبر الله عنه، فقال: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ﴾[٢]. (١: ٢٩٧).

حدثني المثنى، قال: حدثنا إسحاق بن الحجاج، قال: حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم، قال: حدثني عبد الصمد بن معقل، أنه سمع وهباً يقول: قال لوط لهم: ﴿لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾، فوجدَ عليه الرسل وقالوا: إنَّ ركنك لشديد. فلما يئس لوط من إجابتهم إياه إلى شيء مما دعاهم إليه وضاق بهم ذرْعاً، قالت الرسل له حينئذ: ﴿يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ﴾[٣]. (١: ٣٠٠).

---

(١) قال الشوكاني: والظاهر أنهم كانوا يفعلون ما يكون سبباً لقطع الطريق من غير تقييد بسبب خاص.

(٢) هذا إسناد ضعيف إلا أن تفسيره للآيات صحيح.

(٣) صحيح.

(١/ ٣٠٧): بعد أن ميزنا الصحيح من الضعيف من الآثار الواردة في قصة لوط عليه السلام نذكر هنا تفسير ابن كثير للآيات (بعد اختصار وحذف الإسرائيليات).

نَبيُّ الله لُوْط
عَلَيْهِ السَّلَام

قال الحافظ ابن كثير:

= ومما وقع في حياة إبراهيم الخليل من الأمور العظيمة: قصة قوم لوط عليه السلام، وما حل بهم من النقمة العميمة. ولوط ابن أخي إبراهيم الخليل.

وكان لوط قد نزح عن محلة عمه الخليل عليهما السلام بأمره له وإذنه، فنزل بمدينة، ولها أهل من أفجر الناس وأكفرهم وأسوئهم طوية، وأردئهم سريرة وسيرة، يقطعون السبيل ويأتون في ناديهم المنكر، ولا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون. ابتدعوا فاحشة لم يسبقهم إليها أحد من بني آدم، وهي إتيان الذكران من العالمين، وترك ما خلق الله من النسوان لعباده الصالحين.

فدعاهم لوط إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، ونهاهم عن تعاطي هذه المحرمات والفواحش والمنكرات، والأفاعيل المستقبحات، فتمادوا على ضلالهم وطغيانهم، واستمروا على فجورهم وكفرانهم، فأحل الله بهم من البأس الذي لا يرد ما لم يكن في خلدهم وحسابهم وجعلهم مُثْلة في العالمين، وعبرة يتعظ بها الألباء من العالمين.

[القرآن وشذوذ قومه]:

ولهذا ذكر الله تعالى قصتهم في غير ما موضع في كتابه المبين. فقال تعالى في سورة
الأعراف: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ (٨٠) إِنَّكُمْ
لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ (٨١) وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن
قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٨٢) فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ
ٱلْغَٰبِرِينَ (٨٣) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف:
٨٠ ـ ٨٤].

وقال تعالى في سورة هود: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن
جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (٦٩) فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ
إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ (٧٠) وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ (٧١) قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ
وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ (٧٢) قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ
عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ (٧٣) فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ (٧٤) إِنَّ
إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ (٧٥) يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ (٧٦)
وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ (٧٧) وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن
قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ
مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ (٧٨) قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ (٧٩) قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ
ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ (٨٠) قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ
مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (٨١) فَلَمَّا جَآءَ =

أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود: ٦٩ ـ ٨٣].

وقال تعالى في سورة الحجر: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٥١ ـ ٧٧].

وقال تعالى في سورة الشعراء: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: ١٦٠ ـ ١٧٥].

وقال تعالى في سورة النمل: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ﴾ [النمل: ٥٤ ـ ٥٨].

وقال تعالى في سورة العنكبوت: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد =

= تَرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٢٨ ـ ٣٥]
وقال تعالى في سورة الصافات: ﴿وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الصافات: ١٣٣ ـ ١٣٨].

وقال تعالى في سورة الذاريات بعد قصة ضيف إبراهيم وبشارتهم إياه بغلام عليم: ﴿۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [الذاريات: ٣١ ـ ٣٧].

وقال في سورة القمر: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْاْ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُواْ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُواْ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾. وقد تكلمنا على هذه القصص في أماكنها من هذه السور في التفسير. وقد ذكر الله لوطاً وقومه في مواضع أخرى من القرآن، تقدم ذكرها مع نوح وعاد وثمود.

والمقصود الآن إيراد ما كان من أمرهم، وما أحل الله لهم مجموعاً من الآيات والآثار.. وبالله المستعان.

[لوط والشواذ]:

وذلك أن لوطاً عليه السلام لما دعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ونهاهم عن تعاطي ما ذكر الله عنهم من الفواحش، لم يستجيبوا له ولم يؤمنوا به حتى ولا رجل واحد منهم، ولم يتركوا ما عنه نُهوا. بل استمروا على حالهم، ولم يرعووا عن غيهم وضلالهم، وهموا بإخراج رسولهم بين ظهرانيهم. وما كان حاصل جوابهم عن خطابهم إذ كانوا لا يعقلون إلا أن قالوا: ﴿أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ فجعلوا غاية المدح ذمّاً يقتضي الإخراج، وما حملهم على مقالتهم هذه إلا العناد واللجاج.

فطهره الله وأهله إلا امرأته، وأخرجهم منها أحسن إخراج.

وما كان هذا جوابهم إلا لما نهاهم عن ارتكاب الطامة العظمى، والفاحشة الكبرى، التي لم يسبقهم إليها أحد من العالمين أهل الدنيا. ولهذا صاروا مثلة فيها وعبرة لمن عليها. وكانوا مع ذلك يقطعون الطريق، ويخونون الرفيق، ويأتون في ناديهم ـ وهو مجتمعهم ومحل حديثهم وسمرهم ـ المنكر من الأقوال والأفعال على اختلاف أصنافه.

وربما وقع منهم الفعلة العظيمة في المحافل ولا يستنكفون، ولا يرعوون لوعظ واعظ ولا نصيحة من عاقل. وكانوا في ذلك وغيره كالأنعام بل أضل سبيلاً، ولم يقلعوا عما كانوا =

= عليه في الحاضر ، ولا ندموا على ما سلف من الماضي ، ولا راموا في المستقبل تحويلاً ، فأخذهم الله أخذاً وبيلاً .

وقالوا له فيما قالوا : ﴿ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ فطلبوا منه وقوع ما حذرهم منه من العذاب الأليم ، وحلول البأس العظيم . فعند ذلك دعا عليهم نبيهم الكريم ، فسأل من رب العالمين وإله المرسلين أن ينصره على القوم المفسدين .

فغار الله لغيرته ، وغضب لغضبته ، واستجاب لدعوته ، وأجابه إلى طلبته وبعث رسله الكرام ، وملائكته العظام ، فمروا على الخليل إبراهيم وبشروه بالغلام العليم ، وأخبروه بما جاؤوا له من الأمر الجسيم والخطب العميم : ﴿ ۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ ، وقال : ﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ ، وقال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ﴾ . وذلك أنه كان يرجو أن يجيبوا أو ينيبوا ويسلموا ويقلعوا ويرجعوا ، ولهذا قال تعالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ أي : أعرض عن هذا وتكلم غيره ، فإنه قد حتم أمرهم ، ووجب عذابهم وتدميرهم وهلاكهم ، ﴿ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ﴾ أي : قد أمر به من لا يرد أمره ، ولا يرد بأسه ، ولا معقب لحكمه ، ﴿ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ . قال المفسرون : لما فصلت الملائكة من عند إبراهيم أقبلوا في صور شبان حسان ، اختباراً من الله تعالى لقوم لوط وإقامة للحجة عليهم . فاستضافوا لوطاً عليه السلام وذلك عند غروب الشمس ، فخشي إن لم يضيفهم أن يضيفهم غيره ، وحسبهم بشراً من الناس ، و﴿ سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وقتادة ومحمد بن إسحاق : شديد بلاؤه . وذلك لما يعلم من مدافعته الليلة عنهم ، كما كان يصنع بهم في غيرهم ، وكانوا قد اشترطوا عليه أن لا يضيف أحداً ، ولكن رأى من لا يمكن المحيد عنه .

وقوله : ﴿ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ﴾ أي هذا مع ما سلف لهم من الذنوب العظيمة الكبيرة الكثيرة ، ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ﴾ يرشدهم إلى غشيان نسائهم وهن بناته شرعاً ، لأن النبي للأمة بمنزلة الوالد ، كما ورد في الحديث ، وكما قال تعالى : ﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ﴾ وفي قول بعض الصحابة والسلف : وهو أب لهم . وهذا كقوله : ﴿ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ .

وهذا هو الذي نص عليه مجاهد وسعيد بن جبير والربيع بن أنس وقتادة والسدي ومحمد بن=

= إسحاق ، وهو الصواب. والقول الآخر خطأ مأخوذ من أهل الكتاب.
وقوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ نهي لهم عن تعاطي ما لا يليق من الفاحشة ، وشهادة عليهم بأنه ليس فيهم رجل له مسكة ولا فيه خير ، بل الجميع سفهاء ، فجرة أقوياء ، كفرة أغبياء. وكان هذا من جملة ما أراد الملائكة أن يسمعوه منه من قبل أن يسألوه عنه. فقال قومه ـ عليهم لعنة الله الحميد المجيد ، مجيبين لنبيهم فيما أمرهم به من الأمر السديد ـ: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ يقولون ـ عليهم لعائن الله ـ: لقد علمت يا لوط أنه لا أرب لنا في نسائنا ، وإنك لتعلم مرادنا وغرضنا.
واجهوا بهذا الكلام القبيح رسولهم الكريم ، ولم يخافوا سطوة العظيم ، ذي العذاب الأليم.
ولهذا قال عليه السلام: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ ود أن لو كان له بهم قوة ، أو له منعة وعشيرة ينصرونه عليهم ، ليحل بهم ما يستحقونه من العذاب على هذا الخطاب.
وقد قال الزهري عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعاً: «نحن أحق بالشك من إبراهيم ، ويرحم الله لوطاً ، لقد كان يأوي إلى ركن شديد ، ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي». ورواه أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة [البخاري/ ح ٣٨٦].
وقال محمد بن عمرو بن علقمة ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «رحمة الله على لوط ، إنه كان يأوي إلى ركن شديد ـ يعني الله عز وجل ـ فما بعث الله بعده من نبي إلا في ثروة من قومه». الترمذي/ كتاب تفسير القران/ (ح ٣١٢٧).
وقال تعالى: ﴿وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ فأمرهم بقربان نسائهم ، وحذرهم الاستمرار على طريقتهم وسيئاتهم. وهذا وهم في ذلك لا ينتهون ولا يرعوون ، بل كلما نهاهم يبالغون في تحصيل هؤلاء الضيفان ويحرصون ، ولم يعلموا ما حم به القدر مما هم إليه صائرون ، وصبيحة ليلتهم إليه منقلبون. ولهذا قال تعالى مقسماً بحياة نبيه محمد صلوات الله وسلامه عليه: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ ، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ﴾.
ذكر المفسرون وغيرهم: أن نبي الله لوطاً عليه السلام جعل يمانع قومه الدخول ويدافعهم والباب مغلق ، وهم يرومون فتحه وولوجه ، وهو يعظهم وينهاهم من وراء الباب ، وكل ما لهم في إلحاح وإنحاح ، فلما ضاق الأمر وعسر الحال قال ما قال: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ لأحللت بكم النكال.
قالت الملائكة: ﴿يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾.
قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ﴾. فذلك أن الملائكة تقدمت إلى لوط عليه السلام امرين له بأن يسري هو وأهله من=

= آخر الليل ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ يعني عند سماع صوت العذاب إذا حل بقومه، وأمروه أن يكون سيره في آخرهم كالساقة لهم.

وقوله: ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ﴾ على قراءة النصب: يحتمل أن يكون مستثنى من قوله: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ كأنه يقول إلا امرأتك فلا تسر بها، ويحتمل أن يكون في قوله: ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتُكَ﴾ أي فإنها ستلتفت فيصيبها ما أصابهم، ويقوي هذا الاحتمال قراءة الرفع، ولكن الأول أظهر في المعنى.. والله أعلم.

[عقابهم]:

وقالوا له مبشرين بهلاك هؤلاء البغاة العتاة، الملعونين النظراء والأشباه الذين جعلهم الله سلفاً لكل خائن مريب: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾. فلما خرج لوط عليه السلام بأهله، وخلصوا من بلادهم وطلعت الشمس فكانت عند شروقها، جاءهم من أمر الله ما لا يرد، ومن البأس الشديد.

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود: ٨٢ ـ ٨٣].

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ والسجيل فارسي معرب: وهو الشديد الصلب القوي، ﴿مَّنضُودٍ﴾ أي يتبع بعضها بعضاً في نزولها عليهم من السماء ﴿مُّسَوَّمَةً﴾ أي معلمة مكتوب على كل حجر اسم صاحبه الذي يهبط عليه فيدمغه، كما قال: ﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾، وكما قال تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾، قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾ يعني قلبها فأهوى بها منكسة عاليها سافلها، وغشاها بمطر من حجارة من سجيل: متتابعة، مسومة، مرقومة، على كل حجر اسم صاحبه الذي سقط عليه.

قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ أي خانتاهما في الدين فلم يتبعاهما فيه، وليس المراد أنهما كانتا على فاحشة ـ حاشا وكلا ـ فإن الله لا يُقدِّر على نبي قط أن تبغي امرأته، كما قال ابن عباس وغيره من أئمة السلف والخلف: ما بغت امرأة نبي قط، ومن قال خلاف هذا فقد أخطأ خطأً كبيراً.

قال الله تعالى في قصة الإفك، لما أنزل براءة أم المؤمنين عائشة بنت الصديق، زوج رسول الله ﷺ، حين قال لها أهل الإفك ما قالوا، فعاتب الله المؤمنين وأنّب وزجرَ، ووعظ وحذَّر، قال فيما قال: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ أي سبحانك أن تكون زوجة نبيك بهذه المثابة.

وقوله هنا: ﴿وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ أي وما هذه العقوبة ببعيدة ممن أشبههم في =

= فعلهم. ولهذا ذهب من ذهب من العلماء إلى أن اللائط يرجم ، سواء أكان محصناً أو لا. ونص عليه الشافعي وأحمد بن حنبل وطائفة كثيرة من الأئمة. واحتجوا أيضاً بما رواه الإمام أحمد وأهل السنن من حديث عمرو بن أبي عمرو ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن رسول الله ﷺ قال: «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به». وذهب أبو حنيفة إلى أن اللائط يلقى من شاهق جبل ويتبع بالحجارة كما فعل بقوم لوط ، لقوله تعالى: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ﴾ (وانظر سنن أبي داود/ كتاب الحدود/ ح ٤٤٦٢).

وجعل الله مكان تلك البلاد بحيرة منتنة لا ينتفع بمائها ، ولا بما حولها من الأرض المتاخمة لفنائها ، لرداءتها ودناءتها ، فصارت عبرة ومثلة وعظة واية على قدرة الله تعالى وعظمته ، وعزته في انتقامه ممن خالف أمره ، وكذب رسله ، واتبع هواه وعصى مولاه ، ودليلاً على رحمته بعباده المؤمنين في إنجائه إياهم من المهلكات ، وإخراجه إياهم من الظلمات إلى النور ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ۝٨ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

وقال الله تعالى: ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُشۡرِقِينَ ۝٧٣ فَجَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٍ ۝٧٤ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ ۝٧٥ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٖ مُّقِيمٍ ۝٧٦ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ أي من نظر بعين الفراسة والتوسم فيهم ، كيف غير الله تلك البلاد وأهلها؟ وكيف جعلها بعدما كانت اهلة عامة هالكة غامرة؟

كما روى الترمذي وغيره مرفوعاً: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله» ثم قرأ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ﴾. وقوله: ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٖ مُّقِيمٍ﴾ أي لبطريق مهيع مسلوك إلى الآن. كما قال: ﴿وَإِنَّكُمۡ لَتَمُرُّونَ عَلَيۡهِم مُّصۡبِحِينَ ۝١٣٧ وَبِٱلَّيۡلِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ ، وقال تعالى: ﴿وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ ، وقال تعالى: ﴿فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٣٥ فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝٣٦ وَتَرَكۡنَا فِيهَآ ءَايَةٗ لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾.

أي: تركناها عبرة وعظة لمن خاف عذاب الآخرة ، وخشي الرحمن بالغيب ، وخاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ، فانزجر من محارم الله وترك معاصيه ، وخاف أن يشابه قوم لوط. ومن تشبه بقوم فهو منهم ، وإن لم يكن من كل وجه ، فمن بعض الوجوه ، كما قال بعضهم:

فإن لم تكونوا قوم لوط بعينهم ... فما قوم لوط منكم ببعيد

نَبيُّ الله إبراهيم الخَليْل
عَلَيْهِ السَّلام

[دعوته لأبيه]:

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وكان أول دعوته لأبيه ، وكان أبوه ممن يعبد الأصنام ، لأنه أحق الناس بإخلاص النصيحة له =

= كما قال تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (٤١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (٤٢) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٣) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا (٤٤) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (٤٥) قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (٤٦) قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (٤٧) وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴾ [مريم: ٤١ ـ ٤٨].

فذكر تعالى ما كان بينه وبين أبيه من المحاورة والمجادلة، وكيف دعا أباه إلى الحق بألطف عبارة وأحسن إشارة، بين له بطلان ما هو عليه من عبادة الأوثان التي لا تسمع دعاء عابدها، ولا تبصر مكانه، فكيف تغني عنه شيئاً أو تفعل به خيراً من رزق أو نصر؟ ثم قال له منبهاً على ما أعطاه الله من الهدى والعلم النافع، وإن كان أصغر سناً من أبيه: ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴾ أي: مستقيماً واضحاً سهلاً حنيفاً يفضي بك إلى الخير في دنياك وأخراك.

فلما عرض هذا الرشد عليه، وأهدى هذه النصيحة إليه لم يقبلها منه ولا أخذها عنه، بل تهدده وتوعده قال: ﴿ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ﴾ قيل: بل أنت سالم من ناحيتي، وزاده خيراً فقال: ﴿ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾.

قال ابن عباس وغيره: أي لطيفاً، يعني في أن هداني لعبادته والإخلاص له. ولهذا قال: ﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴾.

وقد استغفر له إبراهيم عليه السلام كما وعده في أدعيته، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه كما قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾.

وقال البخاري: حدثنا إسماعيل بن عبد الله: حدثني أخي عبد الحميد، عن ابن أبي ذئب، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصيني؟ فيقول له أبوه: فاليوم لا أعصيك. فيقول إبراهيم: يا رب.. إنك وعدتني ألا تخزيني يوم يبعثون، فأي خزي أخزى من أبي الأبعد؟ فيقول الله: إني حرمت الجنة على الكافرين. ثم يقال: يا إبراهيم... ما تحت رجليك؟ فينظر فإذا هو بذيخ متلطخ. فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار». هكذا رواه في قصة إبراهيم منفرداً. وقال في التفسير: وقال إبراهيم بن طهمان، عن ابن أبي ذئب، عن سعيد المقبري، عن أبيه، عن أبي هريرة [البخاري/ كتاب الأنبياء/ ح ٣٣٥٠/ والتفسير/ ح ٧٦٨].

وهكذا رواه النسائي عن أحمد بن حفص بن عبد الله، عن أبيه، عن إبراهيم بن طهمان به. وقد رواه البزار عن حديث حماد بن سلمة، عن أيوب، عن محمد بن سيرين، عن=

= أبي هريرة ، عن النبي ﷺ بنحوه ، وفي سياقه غرابة ، ورواه أيضاً من حديث قتادة عن عقبة بن عبد الغافر ، عن أبي سعيد ، عن النبي ﷺ بنحوه.

وقال تعالى : ﴿ ۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ هذا يدل على أن اسم أبي إبراهيم ازر.

[عبادة الكواكب]:

ثم قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾.

وهذا المقام مقام مناظرة لقومه ، وبيان لهم أن هذه الأجرام المشاهدة من الكواكب النيرة ، لا تصلح للألوهية ، ولا أن تعبد مع الله عز وجل ، لأنها مخلوقة مربوبة مصنوعة مدبرة مسخرة ، تطلع تارة وتأفل أخرى ، فتغيب عن هذا العالم ، والرب تعالى لا يغيب عنه شيء ولا تخفى عليه خافية ، بل هو الدائم الباقي بلا زوال ، لا إله إلا هو ولا رب سواه.

فبيَّن لهم أولاً عدم صلاحية الكوكب لذلك ، ثم ترقىٰ منها إلى القمر الذي هو أضوأ منها وأبهى من حسنها ، ثم ترقى إلى الشمس التي هي أشد الأجرام المشاهدة ضياء وسناء وبهاء ، فبيَّن أنها مسخرة مسيرة مقدرة مربوبة ، كما قال تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾.

ولهذا قال : ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً ﴾ أي طالعة ﴿ قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ﴾ أي لست أبالي بهذه الآلهة التي تعبدونها من دون الله ، فإنها لا تنفع شيئاً ، ولا تسمع ولا تعقل ، بل هي مربوبة مسخرة كالكواكب ونحوها ، أو مصنوعة منحوتة منجورة.

[البابليون وعبادة الأصنام]:

وأما أهل بابل فكانوا يعبدون الأصنام ، وهم الذين ناظرهم في عبادتهم وكسرها عليهم ، =

= وأهانها وبيّن بطلانها ، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ .

وقال في سورة الأنبياء: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (٥١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (٥٢) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (٥٣) قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٥٤) قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ (٥٥) قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ (٥٦) وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ (٥٧) فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (٥٨) قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (٥٩) قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (٦٠) قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (٦١) قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ (٦٢) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ (٦٣) فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ (٦٤) ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ (٦٥) قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (٦٦) أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٧) قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ (٦٨) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ [الأنبياء: ٥١ ـ ٧٠] .

وقال في سورة الشعراء: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (٧٠) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ (٧١) قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (٧٢) أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (٧٣) قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ (٧٤) قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ (٧٧) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (٨٢) رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [الشعراء: ٦٩ ـ ٨٣] .

وقال في سورة الصافات: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ (٨٣) إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٤) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ (٨٥) أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ (٨٦) فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٨٧) فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ (٨٨) فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ (٨٩) فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ (٩٠) فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٩١) مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ (٩٢) فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ (٩٣) فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ (٩٤) قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ (٩٥) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (٩٦) قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ (٩٧) فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾ .

يخبر الله تعالى عن إبراهيم خليله عليه السلام ، أنه أنكر على قومه عبادة الأوثان ، وحقرها عندهم وصغرها وتنقصها ، فقال: ﴿مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾؟ أي معتكفون عندها وخاضعون لها ، قالوا: ﴿وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾ أي ما كانت حجتهم إلا صنيع الآباء والأجداد ، وما كانوا عليه من عبادة الأنداد .

﴿قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ، كما قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا =

= تَعۡبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفۡكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ . قال قتادة: فما ظنكم به أنه فاعل بكم إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره؟ .

وقال لهم: ﴿هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴾ سلموا له أنها لا تسمع داعياً ولا تنفع ولا تضر شيئاً، وإنما الحامل لهم على عبادتها الاقتداء بأسلافهم ومن هو مثلهم في الضلال من الآباء الجهال؛ ولهذا قال لهم: ﴿أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمۡ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٧٥ ـ ٧٧].

وهذا برهان قاطع على بطلان إلهية ما ادعوه من الأصنام، لأنه تبرأ منها وتنقص بها، فلو كانت تضر لضرته، أو تؤثر لأثرت فيه. ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ﴾؟ ويقولون: هذا الكلام الذي تقوله لنا وتنتقص به آلهتنا، وتطعن بسببه في آبائنا، أتقوله محقاً جاداً فيه أم لاعباً؟

﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمۡ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ يعني بل أقول لكم ذلك جاداً محقاً، إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو، ربكم ورب كل شيء، فاطر السموات والأرض، الخالق لهما على غير مثال سبق، فهو المستحق للعبادة وحده لا شريك له، وأنا على ذلكم من الشاهدين.

[موقفه من الأصنام]:

وقوله: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ﴾ أقسم ليكيدن هذه الأصنام التي يعبدونها بعد أن تولوا مدبرين إلى عيدهم. قيل: إنه قال: هذا خفية في نفسه. وقال ابن مسعود: سمعه بعضهم.

قال تعالى: ﴿فَنَظَرَ نَظۡرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٞ﴾ عرض لهم في الكلام حتى توصل إلى مقصوده من إهانة أصنامهم ونصرة دين الله الحق، وبطلان ما هم عليه من عبادة الأصنام التي تستحق أن تكسر وأن تهان غاية الإهانة.

﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمۡ﴾ أي ذهب إليها مسرعاً مستخفياً، فوجدها في بهو عظيم، وقد وضعوا بين أيديها أنواعاً من الأطعمة قرباناً إليها فقال لها على سبيل التهكم والازدراء: ﴿أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمۡ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ﴾ لأنها أقوى وأبطش وأقهر، فكسرها بقدوم في يده كما قال تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمۡ جُذَٰذًا﴾ أي حطاماً، كسرها كلها ﴿إِلَّا كَبِيرٗا لَّهُمۡ لَعَلَّهُمۡ إِلَيۡهِ يَرۡجِعُونَ﴾ قيل: إنه وضع القدوم في يد الكبير، فلما وجدوا ما حل بمعبودهم: ﴿قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وهذا فيه دليل ظاهر لهم لو كانوا يعقلون، وهو ما حل بآلهتهم التي كانوا يعبدونها، فلو كانت آلهة لدفعت عن أنفسها من أرادها بسوء لكنهم قالوا من جهلهم وقلة عقلهم وكثرة ضلالهم وخبالهم: ﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، ﴿قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتٗى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ﴾ أي يذكرها بالعيب والتنقص لها والازدراء بها، فهو المقيم عليها والكاسر لها وعلى قول ابن مسعود، أي يذكرها بقوله: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ=

= أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ﴾ ﴿قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ أي في الملأ الأكبر على رؤوس الأشهاد ، لعلهم يشهدون مقالته ويسمعون كلامه ، ويعاينون ما يحل به من الاقتصاص منه. وكان هذا أكبر مقاصد الخليل عليه السلام أن يجتمع الناس كلهم ، فيقيم على جميع عباد الأصنام الحجة على بطلان ما هم عليه ، كما قال موسى عليه السلام لفرعون: ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى﴾.

فلما اجتمعوا وجاؤوا به كما ذكروا: ﴿قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ قيل معناه: هو الحامل لي على تكسيرهم ، وإنما عرض لهم في القول ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾. وإنما أراد بقوله هذا أن يبادروا إلى القول بأن هذه لا تنطق ، فيعترفوا بأنها جماد كسائر الجمادات.

﴿فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أي فعادوا على أنفسهم بالملامة ، فقالوا: إنكم أنتم الظالمون. أي في تركها لا حافظ لها ولا حارس عندها. ﴿ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ قال السدي: أي ثم رجعوا إلى الفتنة ، فعلى هذا يكون قوله: ﴿إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أي في عبادتها.

وقال قتادة: أدركت القوم حيرة سوء ، أي فأطرقوا ثم قالوا: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾ أي لقد علمت يا إبراهيم أن هذه لا تنطق ، فكيف تأمرنا بسؤالها؟! فعند ذلك قال لهم الخليل عليه السلام: ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾. كما قال: ﴿فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ﴾ قال مجاهد: يسرعون. قال: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ أي: كيف تعبدون أصناماً أنتم تنحتونها من الخشب والحجارة ، وتصورونها وتشكلونها كما تريدون ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾.

وسواء أكانت: «ما» مصدرية أو بمعنى «الذي» فمقتضى الكلام أنكم مخلوقون ، وهذه الأصنام مخلوقة ، فكيف يتعبد مخلوق لمخلوق مثله؟ فإنه ليس عبادتكم لها بأولى من عبادتها لكم ، وهذا باطل ، فالآخر باطل للتحكم ، إذ ليست العبادة تصلح ولا تجب إلا للخالق وحده لا شريك له.

[حرق إبراهيم]:

﴿قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾. عدلوا عن الجدال والمناظرة لما انقطعوا وغلبوا ، ولم تبق لهم حجة ولا شبهة إلا استعمال قوتهم وسلطانهم ، لينصروا ما هم عليه من سفههم وطغيانهم ، فكادهم الرب جل جلاله ، وأعلى كلمته ودينه وبرهانه كما قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾.

وذلك أنهم شرعوا يجمعون حطباً من جميع ما يمكنهم من الأماكن ، وأطلقوا فيها النار فاضطرمت وتأججت والتهبت وعلا لها شرر ثم ألقوه من البنيان الذي بنوه له إلى النار قال: =

= حسبنا الله ونعم الوكيل ، كما روى البخاري عن ابن عباس أنه قال: حسبنا الله ونعم الوكيل ، قالها إبراهيم حين ألقي في النار ، وقالها محمد حين قيل له: ﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ ﴾ الآية.

وقال أبو يعلى: حدثنا أبو هشام الرفاعي ، حدثنا إسحاق بن سلمان ، عن أبي جعفر الرازي ، عن عاصم بن أبي النجود ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال: قال ﷺ : «لما ألقي إبراهيم في النار ، قال: اللهم إنك في السماء واحد ، وأنا في الأرض واحد أعبدك»!.

﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ قال علي بن أبي طالب: أي لا تضرُّ به.

وقال ابن عباس وأبو العالية: لولا أن الله قال: ﴿ وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ لآذى إبراهيم بردها.

فأرادوا أن ينتصروا فخذلوا ، وأرادوا أن يرتفعوا فاتضعوا ، وأرادوا أن يغلبوا فغلبوا. قال الله تعالى: ﴿ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴾ ، وفي آية أخرى: ﴿ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴾ ففازوا بالخسارة والسفال هذا في الدنيا ، وأما في الآخرة فإن نارهم لا تكون عليهم برداً ولا سلاماً ، ولا يلقون فيها تحية ولا سلاماً ، بل هي كما قال تعالى: ﴿ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾.

قال البخاري: حدثنا عبيد الله بن موسى ، أو ابن سلام عنه ، أنبأنا ابن جريج ، عن عبد الحميد بن جبير ، عن سعيد بن المسيب ، عن أم شريك ، أن رسول الله ﷺ أمر بقتل الوزغ ، وقال: «كان ينفخ على إبراهيم». [صحيح البخاري/ كتاب الأنبياء/ ح ٣٣٥٩].

ورواه مسلم من حديث ابن جريج ، وأخرجه النسائي وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة ، كلاهما عن عبد الحميد بن جبير بن شيبة عنه [مسلم/ ١٤٣/ ٢٢٣٧].

وقال أحمد: حدثنا محمد بن بكر ، حدثنا ابن جريج ، أخبرني عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي أمية ، أن نافعاً مولى ابن عمر أخبره أن عائشة أخبرته أن رسول الله ﷺ قال: «اقتلوا الوزغ فإنه كان ينفخ النار على إبراهيم» ، قال: فكانت عائشة تقتلهن [مسند أحمد/ ح ٢٥٧٠١].

وقال أحمد: حدثنا إسماعيل: حدثنا أيوب عن نافع ، أن امرأة دخلت على عائشة فإذا رمح منصوب فقالت: ما هذا الرمح؟ فقالت: نقتل به الأوزاغ؛ ثم حدثت عن رسول الله ﷺ : «أن إبراهيم لما ألقي في النار جعلت الدواب كلها تطفىء عنه إلا الوزغ ، فإنه جعل ينفخها عليه». تفرد به أحمد من هذين الوجهين [أحمد/ ح ٢٥٨٨٥].

وقال أحمد: حدثنا عفان ، حدثنا جرير ، حدثنا نافع ، حدثتني سمامة مولاة الفاكه بن المغيرة ، قالت: دخلت على عائشة فرأيت في بيتها رمحاً موضوعاً ، فقلت: يا أم المؤمنين. . ما تصنعين بهذا الرمح؟ قالت: هذا لهذه الأوزاغ نقتلهن به ، فإن رسول الله ﷺ حدثنا: «أن إبراهيم حين ألقي في النار لم يكن في الأرض دابة إلا تطفىء عنه النار ، غير الوزغ كان ينفخ عليه ، فأمرنا رسول الله ﷺ بقتله». ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن =

= أبي شيبة ، عن يونس بن محمد ، عن جرير بن حازم به . [أحمد/ ٢٤٨٣٤] وابن ماجه [ح ٣٢٣١].

[مناظرة إبراهيم مع خصمه]:

قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ .

ذكر تعالى مناظرة خليله مع هذا الملك الجبار المتمرد الذي ادعى لنفسه الربوبية ، فأبطل الخليل عليه دليله ، وبيّن كثرة جهله وقلة عقله ، وألجمه الحجة ، وأوضح له طريق المحجة .

قال المفسرون وغيرهم من علماء النسب والأخبار : وهذا الملك هو ملك بابل ، واسمه النمرود . ملك الدنيا فيما ذكروا أربعة : مؤمنان وكافران ، فالمؤمنان : ذو القرنين ، وسليمان . والكافران : النمرود ، وبختنصر .

ولما دعاه إبراهيم الخليل إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، حمله الجهل والضلال وطول الآمال على إنكار الصانع ، فحاج إبراهيم الخليل في ذلك ، وادعى لنفسه الربوبية ، فلما قال الخليل : ﴿ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ﴾ . قال قتادة والسدي ومحمد بن إسحاق : يعني أنه إذا أوتي بالرجلين قد تحتم قتلهما ، فإذا أمر بقتل أحدهما وعفا عن الآخر فكأنه قد أحيا هذا وأمات الآخر .

وهذا ليس بمعارضة للخليل ، بل هو كلام خارج عن مقام المناظرة ، ليس بمنع ولا بمعارضة ، بل هو تشغيب محض ، وهو انقطاع في الحقيقة ، فإن الخليل استدل على وجود الصانع بحدوث هذه المشاهدات من إحياء الحيوانات وموتها ، على وجود فاعل ذلك الذي لا بد من استنادها إلى وجوده : ضرورة عدم قيامها بنفسها ، ولا بد من فاعل لهذه الحوادث المشاهدة ، من خلقها وتسخيرها ، وتسيير هذه الكواكب والرياح والسحاب والمطر ، وخلق هذه الحيوانات التي توجد مشاهدة ، ثم إماتتها . ولهذا قال إبراهيم : ﴿ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ﴾ فقول هذا الملك الجاهل : ﴿ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ﴾ إن عنى أنه الفاعل لهذه المشاهدات فقد كابر وعاند ، وإن عنى ما ذكره قتادة والسدي ومحمد بن إسحاق ، فلم يقل شيئاً يتعلق بكلام الخليل ، إذ لم يمنع مقدمة ، ولا عارض الدليل .

لما كان انقطاع مناظرة هذا الملك قد تخفى على كثير من الناس ممن حضره وغيرهم ، ذكر دليلاً آخر بين وجود الصانع ، وبطلان ما ادعاه النمرود وانقطاعه جهرة : ﴿ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ ﴾ أي هذه الشمس مسخرة كل يوم ، تطلع من المشرق كما سخرها خالقها ومسيرها وقاهرها ، وهو الذي لا إله إلا هو خالق كل شيء ، فإن كنت كما زعمت من أنك الذي تحيي وتميت فائتِ بهذه الشمس من المغرب ، فإن الذي =

= يحيي ويميت والذي يفعل ما يشاء ولا يمانع ولا يغالب ، بل قد قهر كل شيء ودان له كل شيء ، فإن كنت كما تزعم فافعل هذا ، فإن لم تفعله فلست كما زعمت ، وأنت تعلم وكل أحد يعلم أنك لا تقدر على شيء من هذا ، بل أنت أعجز وأقل من أن تخلق بعوضة أو تنتصر منها .

فبيَّن ضلاله وجهله وكذبه فيما ادعاه ، وبطلان ما سلكه وتبجح به عند جهلة قومه ، ولم يبق له كلام يجيب الخليل به ، بل انقطع وسكت ولهذا قال: ﴿ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ .

[هجرة الخليل عليه السلام]:

قال الله: ﴿ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ ، وقال تعالى: ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴾ [الأنبياء: ٧١ ـ ٧٣] .

لما هجر قومه في الله ، وهاجر من بين أظهرهم ، وكانت امرأته عاقراً لا يولد لها ، ولم يكن له من الولد أحد ، وهبه الله تعالى بعد ذلك الأولاد الصالحين ، وجعل في ذريته النبوة والكتاب ، فكل نبي بعث بعده فهو من ذريته ، وكل كتاب نزل من السماء على نبي من الأنبياء من بعده ، فعلى أحد نسله وعقبه ، خلعة من الله وكرامة له ، حيث ترك بلاده وأهله وأقرباءه ، وهاجر إلى بلد يتمكن فيها من عبادة ربه عز وجل ودعوة الخلق إليه .

الأرض التي قصدها بالهجرة أرض الشام ، وهي التي قال الله عز وجل: ﴿ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴾ . قاله أبي بن كعب وأبو العالية وقتادة وغيرهم . وروى العوفي عن ابن عباس قوله: ﴿ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴾ مكة ، ألم تسمع إلى قوله: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ .

ثم المشهور أن إبراهيم عليه السلام لما هاجر من بابل خرج بسارة مهاجراً من بلاده كما تقدم والله أعلم .

وقال البخاري (ح ٣١٥٨) حدثنا محمد بن محبوب ، حدثنا حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن محمد ، عن أبي هريرة قال: «لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات: اثنتان منهم في ذات الله ، قوله: ﴿ إِنِّى سَقِيمٌ ﴾ ، وقوله: ﴿ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا ﴾ وقال: بينا هو ذات يوم وسارة ، إذ أتى على جبار من الجبابرة ، فقيل له: إن هاهنا رجلاً معه امرأة من أحسن الناس ، فأرسل إليه وسأله عنها ، فقال: من هذه؟ قال: أختي ، فأتى سارة فقال: يا سارة . . ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك ، وإن هذا سألني فأخبرته أنك أختي فلا تكذبيني .

فأرسل إليها ، فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فأُخِذ ، فقال: ادعي الله لي ولا أضرك ، =

= فدعت الله فأُطلِق ، ثم تناولها الثانية فأخذ مثلها أو أشد ، فقال: ادعي الله لي ولا أضرك ، فدعت فأطلق. فدعا بعض حجبته فقال: إنكم لم تأتوني بإنسان وإنما أتيتموني بشيطان فأخدمها هاجر. فأتته وهو قائم يصلي فأومأ بيده مهيم ، فقالت: رد الله كيد الكافر ـ أو الفاجر ـ في نحره ، وأخدم هاجر. قال أبو هريرة: فتلك أمكم يا بني ماء السماء». تفرد به من هذا الوجه موقوفاً. وقد رواه الحافظ أبو بكر البزار ، عن عمرو بن علي الفلاس ، عن عبد الوهاب الثقفي ، عن هشام بن حسان ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال: إن إبراهيم لم يكذب قط إلا ثلاث كذبات ، كل ذلك في ذات الله ، قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ ، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ وبينما هو يسير في أرض جبار من الجبابرة إذ نزل منزلاً ، فأتي جبار فقيل له: إنه قد نزل هاهنا رجل معه امرأة من أحسن الناس ، فأرسل إليه فسأله عنها فقال: إنها أختي ، فلما رجع إليها قال: إن هذا سألني عنك فقلت: إنك أختي. وإنها ليس اليوم مسلم غيري وغيرك ، وإنك أختي ، فلا تكذبيني عنده. فانطلق بها ، فلما ذهب يتناولها أخذ ، فقال: ادعي الله لي ولا أضرك ، فدعت له فأرسل ، فذهب يتناولها فأخذ مثلها أو أشد منها ، فقال: ادعي الله لي ولا أضرك ، فدعت فأرسل ، ثلاث مرات ، فدعا أدنى حشمه ، فقال: إنك لم تأتني بإنسان ، ولكن أتيتني بشيطان ، أخرجها وأعطها هاجر. فجاءت وإبراهيم قائم يصلي. فلما أحس بها انصرف ، فقال: مهيم؟ فقالت: كفى الله كيد الظالم وأخدمني هاجر». وأخرجاه من حديث هشام. ثم قال البزار: لا يعلم إسناده عن محمد ، عن أبي هريرة إلا هشام ، ورواه غيره موقوفاً.

وقال الإمام أحمد: حدثنا علي بن حفص ، عن ورقاء ـ وهو أبو عمر اليشكري ـ عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات؛ قوله حين دعي إلى الهتهم فقال: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ ، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ ، وقوله لسارة: إنها أختي».

قال: ودخل إبراهيم قرية فيها ملك من الملوك أو جبار من الجبابرة. فقيل: دخل إبراهيم الليلة بامرأة من أحسن الناس ، قال: فأرسل إليه الملك أو الجبار: من هذه معك؟ قال: أختي ، قال: فأرسل بها إليه ، وقال: لا تكذبي قولي ، فإني قد أخبرته أنك أختي إنه ما على الأرض مؤمن غيري وغيرك.

فلما دخلت عليه قام إليها ، فأقبلت تتوضأ وتصلي وتقول: اللهم إن كنت تعلم أني آمنت بك وبرسولك وأحصنت فرجي إلا على زوجي ، فلا تسلط عليَّ الكافر. قال: فغط حتى ركض برجله. قال أبو الزناد: قال أبو سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة أنها قالت: اللهم إن يمت يقال هي قتلته ، قال: فأرسل.

قال: ثم قام إليها ، قال: فقامت تتوضأ وتصلي ، وتقول: اللهم إن كنت تعلم أني آمنت بك وبرسولك وأحصنت فرجي إلا على زوجي. فلا تسلط عليَّ الكافر. قال: فغط حتى ركض=

= برجله. قال أبو الزناد: وقال أبو سلمة، عن أبي هريرة أنها قالت: اللهم إن يمت يقل هي قتلته، قال: فأرسل. قال: فقال في الثالثة أو الرابعة: ما أرسلتم إليّ إلا شيطاناً، أرجعوها إلى إبراهيم وأعطوها هاجر. قال: فرجعت، فقالت لإبراهيم: أشعرت أن الله رد كيد الكافرين وأخدم وليدة؟ تفرد به أحمد من هذا الوجه، وهو على شرط الصحيح [مسند أحمد/ ح ٩٢٥٢].

وقد رواه البخاري عن أبي اليمان، عن شعيب بن أبي حمزة، عن أبي الزناد، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ به مختصراً.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أُبيّ، حدثنا سفيان، عن علي بن زيد بن جدعان، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ في كلمات إبراهيم الثلاث التي قالها: «ما منها كلمة إلا مَاحَلَ بها عن دين الله، فقال: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾، وقال: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾، وقال للملك حين أراد امرأته: هي أختي».

فقوله في الحديث: هي أختي أي في دين الله، وقوله لها: «إنه ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك»، يعني زوجين مؤمنين غيري وغيرك، ويتعين حمله على هذا لأن لوطاً كان معهم وهو نبي عليه السلام. وقوله لها لما رجعت إليه: مهيم؟ معناه ما الخبر؟ فقالت: إن الله رد كيد الكافرين، وفي رواية: الفاجر وهو الملك، وأخدم جارية.

وكان إبراهيم عليه السلام من وقت ذهب بها إلى الملك، قام يصلي لله عز وجل، ويسأله أن يدفع عن أهله، وأن يرد بأس هذا الذي أراد أهله بسوء. وهكذا فعلت هي أيضاً. فلما أراد عدو الله أن ينال منها أمراً قامت إلى وضوئها وصلاتها، ودعت الله عز وجل بما تقدم من الدعاء العظيم. ولهذا قال تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ فعصمها الله وصانها لعصمة عبده ورسوله وحبيبه وخليله إبراهيم عليه السلام.

وقد ذهب بعض العلماء إلى نبوة ثلاث نسوة: سارة، وأم موسى، ومريم عليهن السلام. والذي عليه الجمهور أنهن صِدِّيقات رضي الله عنهن وأرضاهن.

ثم إن الخليل عليه السلام رجع من بلاد مصر إلى أرض التيمن وهي الأرض المقدسة التي كان فيها. وصحبتهم هاجر القبطية المصرية.

[هجرة إبراهيم بابنه إسماعيل وأمه]:

قال البخاري: قال عبد الله بن محمد ـ هو أبو بكر بن أبي شيبة ـ حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن أيوب السختياني وكثير بن كثير بن المطلب بن أبي وداعة، يزيد أحدهما على الآخر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل، اتخذت منطقاً لتعفي أثرها على سارة، ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل وهي ترضعه، حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء. فوضعهما هنالك ووضع عندهما جراباً فيه تمر، وسقاء فيه ماء. =

= ثم قفى إبراهيم منطلقاً فتبعته أم إسماعيل ، فقالت: يا إبراهيم . . أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس به أنيس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مراراً وجعل لا يلتفت إليها ، فقالت له: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم ، قالت: إذاً لا يضيعنا. ثم رجعت. فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند ثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ، ثم دعا بهؤلاء الدعوات ورفع يديه فقال: ﴿رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ .

وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء ، حتى إذا نفد ما في السقاء عطشت وعطش ابنها ، وجعلت تنظر إليه يتلوى ـ أو قال يتلبط ـ فانطلقت كراهية أن تنظر إليه ، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها ، فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحداً ، فلم تر أحداً. فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت بطن الوادي رفعت طرف درعها ، ثم سعت سعي الإنسان المجهود ، حتى جاوزت الوادي ثم أتت المروة فقامت عليها ، ونظرت هل ترى أحداً ، فلم تر أحداً ، فعلت ذلك سبع مرات. قال ابن عباس: قال النبي ﷺ : «ذلك سعي الناس بينهما».

فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت: صه ، تريد نفسها. ثم تسمعت فسمعت أيضاً ، فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غواث ، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم ، فبحث بعقبه ـ أو قال بجناحه ـ حتى ظهر الماء ، فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا. وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعدما تغرف. قال ابن عباس: قال النبي ﷺ : «يرحم الله أم إسماعيل! لو تركت زمزم ـ أو قال: لو لم تغرف من الماء ـ لكانت زمزم عيناً معيناً» ، قال: فشربت وأرضعت ولدها ، فقال لها الملك: لا تخافي الضيعة فإن هاهنا بيتاً لله يبنيه هذا الغلام وأبوه ، وإن الله لا يضيع أهله.

وكان البيت مرتفعاً من الأرض كالرابية ، تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وعن شماله ، فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم ، أو أهل بيت من جرهم ، مقبلين من طريق كداء ، فنزلوا في أسفل مكة فرأوا طائراً عائفاً ، فقالوا: إن هذا الطائر ليدور على ماء ، لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء. فأرسلوا جرياً أو جريين فإذا هم بالماء ، فرجعوا فأخبرهم بالماء فأقبلوا.

قال: وأم إسماعيل عند الماء ، فقالوا: أتأذنين لنا أن ننزل عندك؟ قالت: نعم ، ولكن لا حق لكم في الماء عندنا. قالوا: نعم. قال عبد الله بن عباس: قال النبي ﷺ : «فألفى ذلك أم إسماعيل وهي تحب الأنس» ، فنزلوا وأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم. وشب الغلام وتعلم العربية منهم ، وأنفسهم وأعجبهم حين شب. فلما أدرك زوجوه امرأة منهم.

وماتت أم إسماعيل ، فجاء إبراهيم بعدما تزوج إسماعيل يطالع تركته فلم يجد إسماعيل ، =

= فسأل امرأته عنه فقالت: خرج يبتغي لنا ، ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم ، فقالت: نحن بِشَرٍّ ، نحن في ضيق وشدة ، وشكت إليه ، قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام وقولي له: يغيّر عتبة بابه.

فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئاً ، فقال: هل جاءكم من أحد؟ فقالت: نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك فأخبرته ، وسألني كيف عيشنا؟ فأخبرته أنّا في جهد وشدة ، قال: هل أوصاك بشيء؟ قالت: نعم ، أمرني أن أقرأ عليك السلام ، ويقول لك غَيِّرْ عتبة بابك. قال: ذاك أبي ، وقد أمرني أن أفارقك فالحقي بأهلك ، وطلقها وتزوج منهم أخرى ، ولبث عنهم إبراهيم ما شاء الله ، ثم أتاهم بعد فلم يجده فدخل على امرأته فسألها عنه ، فقالت: خرج يبتغي لنا ، قال: كيف أنتم؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم ، فقالت: نحن بخير وسعة ، وأثنت على الله عز وجل ، فقال: وما طعامكم؟ قالت: اللحم ، قال: فما شرابكم؟ قالت: الماء. قال: «اللهم بارك لهم في اللحم والماء».

قال النبي ﷺ: «ولم يكن لهم يومئذ حب ، ولو كان لهم حب لدعا لهم فيه» ، قال: فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه. قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ، ومريه يثبّت عَتَبَة بابه ، فلما جاء إسماعيل قال: هل أتاكم من أحد؟ قالت: نعم ، أتانا شيخ حسن الهيئة ، وأثنت عليه ، فسألني عنك فأخبرته ، فسألني كيف عيشنا؟ فأخبرته أنّا بخير ، قال: أفأوصاك بشيء؟ قالت: نعم هو يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تثبت عتبة بابك ، قال: ذاك أبي وأنت العتبة ، أمرني أن أمسكك.

ثم لبث عندهم ما شاء الله ، ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يبري نبلاً له تحت دوحة قريباً من زمزم ، فلما راه قام إليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد ثم قال: يا إسماعيل. . إن الله أمرني بأمر ، قال: فاصنع ما أمرك به ربك ، قال: وتعينني؟ قال: وأعينك. قال فإن الله أمرني أن أبني هاهنا بيتاً ، وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها. قال: فعند ذلك رفعا القواعد من البيت ، وجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني ، حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر ووضعه له ، فقام عليه وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

قال: فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾. ثم قال: حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا أبو عامر عبد الملك بن عمرو ، حدثنا إبراهيم بن نافع ، عن كثير بن كثير ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال: لما كان بين إبراهيم وبين أهله ما كان ، خرج بإسماعيل وأم إسماعيل ، ومعهم شنة فيها ماء ، وذكر تمامه بنحو ما تقدم.

وهذا الحديث من كلام ابن عباس وموضح برفع بعضه. وفي بعضه غرابة. وكأنه مما نفاه ابن عباس عن الإسرائيليات ، وفيه أن إسماعيل كان رضيعاً إذ ذاك*. =

= * قلنا: الحديث أخرجه البخاري (ح ٣٣٦٤) و(ح ٣٣٦٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما وقال الحافظ في الفتح (٧/ ٥٠) وأما ابن عباس فإن كان لم يسمعه من النبي فهو من مرسل الصحابة ولم يعتمد البخاري على هذا الإسناد الخالص كما ترى.
وقال في موضع آخر: وهذا القدر صرح ابن عباس برفعه عن النبي ﷺ وفيه إشعار بأن جميع الحديث مرفوع (فتح الباري ٧/ ٥٤).
وعند أهل التوراة أن الله أمر إبراهيم بأن يختن ولده إسماعيل وكل من عنده من العبيد وغيرهم فختنهم، وذلك بعد مضي تسع وتسعين سنة من عمره، فيكون عمر إسماعيل يومئذ ثلاث عشرة سنة، وهذا امتثال لأمر الله عز وجل في أهله، فيدل على أنه فعله على وجه الوجوب.
ولهذا كان الصحيح من أقوال العلماء أنه واجب على الرجال، كما هو مقرر في موضعه.
وقد ثبت في الحديث الذي رواه البخاري: حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا مغيرة بن عبد الرحمن القرشي، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: «اختتن إبراهيم النبي عليه السلام وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم». تابعه عبد الرحمن بن إسحاق عن أبي الزناد، وتابعه عجلان، عن أبي هريرة، ورواه محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة وهكذا رواه مسلم عن قتيبة. وفي بعض الألفاظ: «اختتن إبراهيم بعدما أتت عليه ثمانون سنة واختتن بالقدوم»، والقدوم هو الآلة، وقيل: موضع.
وهذا اللفظ لا ينافي الزيادة على الثمانين.. والله أعلم، لما سيأتي من الحديث عند ذكر وفاته، عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «اختتن إبراهيم وهو ابن مئة وعشرين سنة، وعاش بعد ذلك ثمانين سنة». رواه ابن حبان في صحيحه.
وليس في هذا السياق ذكر قصة الذبيح وأنه إسماعيل، ولم يذكر في قدمات إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث مرات: أولاهن بعد أن تزوج إسماعيل بعد موت هاجر، وكيف تركهم من حين صغر الولد ـ على ما ذكر ـ إلى حين تزويجه لا ينظر في حالهم، وقد ذكر أن الأرض كانت تطوى لهم، وقيل: إنه كان يركب البراق إذا سار إليهم، فكيف يختلف عن مطالعة حالهم وهم في غاية الضرورة الشديدة والحاجة الأكيدة؟! وكأن بعض هذا السياق متلقى من الإسرائيليات ومطرز بشيء من المرفوعات، ولم يذكر فيه قصة الذبيح، وقد دللنا على أن الذبيح هو إسماعيل على الصحيح في سورة الصافات.
[قصة الذبيح]:
قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ =

= ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ﴾ [الصافات: ٩٩ - ١١٣].

يذكر تعالى عن خليله إبراهيم أنه لما هاجر من بلاد قومه ، سأل ربه أن يهب له ولداً صالحاً ، فبشره الله بغلام حليم ، وهو إسماعيل عليه السلام ، وهذا ما لا خلاف فيه بين أهل الملل ، لأنه أول ولده وبكره.

وقوله: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ﴾ أي شب وصار يسعى في مصالحه كأبيه. قال مجاهد: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ﴾ أي شب وارتحل وأطاق ما يفعله أبوه من السعي والعمل. فلما كان هذا ، رأى إبراهيم عليه السلام في المنام أنه يؤمر بذبح ولده هذا ، وفي الحديث عن ابن عباس مرفوعا: «رؤيا الأنبياء وحي».

وهذا اختيار من الله عز وجل لخليله في أن يذبح هذا الولد العزيز الذي جاءه على كبر ، وقد طعن في السن ، بعدما أمر بأن يسكنه هو وأمه في بلاد قفر ، ووادٍ ليس به حسيس ولا أنيس ، ولا زرع ولا ضرع. فامتثل أمر الله في ذلك ، وتركهما هناك ثقة بالله وتوكلا عليه ، فجعل الله لهما فرجاً ومخرجاً ، ورزقهما من حيث لا يحتسبان.

ثم لما أمر بعد هذا كله بذبح ولده هذا الذي قد أفرده عن أمر ربه ، وهو بكره ووحيده الذي ليس له غيره ، أجاب ربه وامتثل أمره ، وسارع إلى طاعته. ثم عرض ذلك على ولده ليكون أطيب لقلبه وأهون عليه من أن يأخذه قسراً ويذبحه قهراً: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ﴾. فبادر الغلام الحليم ، سر والده الخليل إبراهيم ، فقال: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ وهذا الجواب في غاية السداد والطاعة للوالد ولرب العباد.

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ﴾ قيل: «أسلما» أي استسلما لأمر الله وعزما على ذلك. وقيل: وهذا من المقدم والمؤخر ، والمعنى: «تله للجبين» أي ألقاه على وجهه.

فعند ذلك نودي من الله عز وجل: ﴿أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ﴾ أي قد حصل المقصود من اختبارك وطاعتك ، ومبادرتك إلى أمر ربك ، وبذلت ولدك للقربان ، كما سمحت ببدنك للنيران ، وكما مالك مبذول للضيفان! ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ﴾ أي الاختبار الظاهر البين.

وقوله: ﴿وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ﴾ أي جعلناه فداء ذبح ولده ما يسره الله تعالى له من العوض عنه. والمشهور عن الجمهور أنه كبش ثم ذكر ابن كثير بعض الروايات في وصف الكبش.

ثم قال: ثم غالب ما هاهنا من الآثار مأخوذ من الإسرائيليات. وفي القرآن كفاية عما جرى من الأمر العظيم ، والاختبار الباهر ، وأنه فدي بذبح عظيم ، وقد ورد في الحديث أنه كان كبشاً.

قال الإمام أحمد: حدثنا سفيان ، حدثنا منصور ، عن خاله نافع ، عن صفية بنت شيبة=

= قالت: أخبرتني امرأة من بني سليم، وولدت عامة أهل دارنا قالت: أرسل رسول الله ﷺ إلى عثمان بن طلحة، وقالت مرة: إنها سألت عثمان: لم دعاك رسول الله ﷺ؟ قال: قال لي رسول الله: «إني كنت رأيت قرني الكبش حين دخلت البيت، فنسيت أن آمرك أن تخمرهما فخمرهما فإنه لا ينبغي أن يكون في البيت شيء يشغل المصلي». [مسند أحمد/ ح ١٦٦٣٧].

قال سفيان: لم يزل قرنا الكبش معلقين في البيت حتى احترق البيت فاحترقا. وكذا روي عن ابن عباس أن رأس الكبش لم يزل معلقاً عند ميزاب الكعبة حتى يبس.

وهذا وحده دليل على أن الذبيح إسماعيل، لأنه كان هو المقيم بمكة، وإسحاق لا نعلم أنه قدمها في حال صغره.. والله أعلم. وهذا هو الظاهر من القرآن، بل كأنه نص على أن الذبيح هو إسماعيل، لأنه ذكر قصة الذبيح ثم قال بعده: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ومن جعله حالاً فقد تكلف، ومستنده أنَّه إسحاق إنما هو إسرائيليات، وكتابهم فيه تحريف، ولا سيما هاهنا قطعاً لا محيد عنه، فإن عندهم أن الله أمر إبراهيم أن يذبح ابنه ووحيده، وفي نسخة من المعربة: بكره إسحاق، بلفظة إسحاق هاهنا مقحمة مكذوبة مفتراة، لأنه ليس هو الوحيد ولا البكر إنما ذاك إسماعيل.

وإنما حملهم على هذا حسد العرب، فإن إسماعيل أبو العرب الذين يسكنون الحجاز الذين منهم رسول الله ﷺ، وإسحاق والد يعقوب ـ وهو إسرائيل ـ الذي ينتسبون إليه، فأرادوا أن يجرّوا هذا الشرف إليهم، فحرفوا كلام الله وزادوا فيه وهم قوم بهت ولم يقروا بأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء.

وقد قال بأنه إسحاق طائفة كثيرة من السلف وغيرهم، وإنما أخذوه ـ والله أعلم ـ من كعب الأحبار، أو من صحف أهل الكتاب. وليس في ذلك حديث صحيح عن المعصوم حتى نترك لأجله ظاهر الكتاب العزيز، ولا يفهم هذا من القرآن، بل المفهوم بل المنطوق بل النص عند التأمل على أنه إسماعيل [لقد فصلنا القول في هذا البحث في مكان آخر فلا نعلق هنا على ترجيح ابن كثير].

وما أحسن ما استدل به ابن كعب القرظي على أنه إسماعيل وليس بإسحاق من قوله: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾، قال: فكيف تقع البشارة بإسحاق وأنه سيولد له يعقوب، ثم يؤمر بذبح إسحاق وهو صغير قبل أن يولد له؟ هذا لا يكون، لأنه يناقض البشارة المتقدمة... والله أعلم.

وقد اعترض السهيلي على هذا الاستدلال بما حاصله أن قوله: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ﴾ جملة تامة، وقوله: ﴿وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ جملة أخرى ليست في حيز البشارة. قال: لأنه لا يجوز من حيث العربية أن يكون مخفوضاً إلى أن يعاد معه حرف الجر، فلا يجوز أن يقال مررت بزيد ومن بعده عمرو، حتى يقال ومن بعده بعمرو. وقال: فقوله: ﴿وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ =

= ﴿يَعْقُوبَ﴾ منصوب بفعل مضمر تقديره: ووهبنا لإسحاق يعقوب، وفي هذا الذي قاله نظر.
ورجح أنه إسحاق، واحتج بقوله: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ﴾ قال: وإسماعيل لم يكن عنده إنما كان في حال صغره هو وأمه بجبال مكة فكيف يبلغ معه السعي؟ وهذا أيضاً فيه نظر، لأنه قد روي أن الخليل كان يذهب في كثير من الأوقات راكباً البراق إلى مكة، يطلع على ولده وابنه ويرجع.. والله تعالى أعلم.
فمن حكى القول عنه بأنه إسحاق: كعب الأحبار، وروي عن عمر والعباس وعلي وابن مسعود، ومسعود وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد وعطاء والشعبي ومقاتل وعبيد بن عمير، وأبي ميسرة وزيد بن أسلم وعبد الله بن شقيق، والزهري والقاسم وابن أبي بردة ومكحول، وعثمان بن حاضر والسدي والحسن وقتادة، وأبي الهذيل وابن سابط، وهو اختيار ابن جرير، وهذا عجب وهو أحدث الروايتين عن ابن عباس.
ولكن الصحيح عنه ـ وعن أكثر هؤلاء ـ أنه إسماعيل عليه السلام، قال مجاهد وسعيد والشعبي ويوسف بن مهران وعطاء وغير واحد عن ابن عباس: هو إسماعيل عليه السلام.
وقال ابن جرير:
حدثني يونس، أنبأنا ابن وهب، أخبرني عمرو بن قيس، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس أنه قال: المفدى إسماعيل وزعمت اليهود أنه إسحاق وكذبت اليهود.
قال عبد الله بن الإمام أحمد سألت أبي عن الذبيح: من هو؟ إسماعيل أو إسحاق، فقال: إسماعيل. وقال ابن أبي حاتم: وسمعت أبي يقول: الصحيح أن الذبيح إسماعيل. وروي عن علي وابن عمر وأبي هريرة، وأبي الطفيل، وسعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، والحسن ومجاهد، والشعبي، ومحمد بن كعب، وأبي جعفر محمد بن علي، وأبي صالح أنهم قالوا: الذبيح هو إسماعيل عليه السلام. وحكاه البغوي أيضاً عن الربيع عن أنس والكلبي وأبي عمرو بن العلاء.

نَبيُّ اللهِ إسحَاق
عَلَيهِ السَّلاَم

[مولده]:
قال الله تعالى: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ﴾. وقد كانت البشارة به من الملائكة لإبراهيم وسارة.
قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ =

= وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود: ٦٩ ـ ٧٣].

قال تعالى: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥١ ـ ٥٦].

وقال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الذاريات: ٢٤ ـ ٣٠].

يذكر تعالى: أن الملائكة لما وردوا على الخليل حسبهم أولاً أضيافاً، فعاملهم معاملة الضيوف، وشوى لهم عجلاً سميناً من خيار بقره، فلما قرَّبه إليهم وعرض عليهم، لم ير لهم همة إلى الأكل بالكلية، وذلك لأن الملائكة ليس فيهم قوة الحاجة إلى الطعام فـ﴿نَكِرَهُمْ﴾ إبراهيم: ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾ أي لندمر عليهم. فاستبشرت عند ذلك سارة غضباً لله عليهم، وكانت قائمة على رؤوس الأضياف كما جرت به عادة الناس من العرب وغيرهم، فلما ضحكت استبشاراً بذلك، قال الله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ أي بشرتها الملائكة بذلك: ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٍ﴾ أي في صرخة: ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ أي كما تفعل النساء عند التعجب وقالت: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ أي كيف يلد مثلي وأنا كبيرة وعقيم أيضاً، وهذا بعلي، أي زوجي، شيخاً؟ تعجبت من وجود ولد والحالة هذه. ولهذا قالت: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾.

وكذلك تعجب إبراهيم عليه السلام استبشاراً بهذه البشارة وتثبيتاً لها وفرحاً بها: ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ﴾ أكدوا الخبر بهذه البشارة وقرروه معه، فبشروهما ﴿بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ وهو إسحاق أخو إسماعيل، غلام عليم مناسب لمقامه وصبره، وهكذا وصفه ربه بصدق الوعد والصبر. وقال في الآية الأخرى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾.

وهذا مما استدل به محمد بن كعب القرظي وغيره على أن الذبيح هو إسماعيل، وإن إسحاق لا يجوز أن يؤمر بذبحه بعد أن وقعت البشارة بوجوده ووجود ولده يعقوب المشتق من العقب من بعده.

فقوله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ دليل على أنها تستمتع بوجود ولدها إسحاق، ثم من بعده يولد ولده يعقوب. أي يولد في حياتهما لتقرّ أعينهما به كما قرت بولده، ولو لم يرد هذا لم يكن لذكر يعقوب وتخصيص التنصيص عليه من دون سائر نسل =

= إسحاق فائدة ، ولما عين بالذكر دل على أنهما يتمتعان به ويسران بولده ، كما سرا بمولد أبيه من قبله ، وقال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا﴾ ، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ .

وهذا إن شاء الله ظاهر قوي ، ويؤيده ما ثبت في الصحيحين من حديث سليمان بن مهران الأعمش ، عن إبراهيم بن يزيد التيمي ، عن أبيه ، عن أبي ذر ، قال: قلت: يا رسول الله. . . أي مسجد وضع أول؟ قال: «المسجد الحرام» ، قلت: ثم أي؟ قال: «المسجد الأقصى» ، قلت: كم بينهما؟ قال: «أربعون سنة» ، قلت: ثم أي؟ قال: «ثم حيث أدركت الصلاة فصل فكلها مسجد». وعند أهل الكتاب ، أن يعقوب عليه السلام هو الذي أسس المسجد الأقصى ، وهو مسجد إيليا ببيت المقدس شرفه الله.

وهذا متجه ويشهد له ما ذكرناه من الحديث ، فعلى هذا يكون بناء يعقوب عليه السلام وهو - إسرائيل - بعد بناء الخليل وابنه إسماعيل المسجد الحرام بأربعين سنة سواء. وقد قال بناؤهما ذلك بعد وجود إسحاق ، لأن إبراهيم عليه السلام لما دعا ، قال في دعائه كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٣٥ - ٤١] .

وما جاء في الحديث من أن سليمان بن داود عليهما السلام ، لما بنى بيت المقدس سأل الله خلالاً ثلاثة ، كما ذكرناه عند قوله: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾ ، - وكما سنورده في قصته - فالمراد من ذلك والله أعلم ، أنه جدد بناءه كما تقدم من أن بينهما أربعين سنة ، ولم يقل أحد إن بين سليمان وإبراهيم أربعين سنة سوى ابن حبان في تقاسيمه وأنواعه. وهذا القول لم يوافق عليه ولا سبق إليه.

[بناء البيت العتيق]:

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٦ - ٢٧] ، وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦ - ٩٧] .

قال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا =

= يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٤ ـ ١٢٩].

يذكر تعالى عن عبده ورسوله وصفيه وخليله، إمام الحنفاء ووالد الأنبياء إبراهيم عليه السلام أنه بنى البيت العتيق الذي هو أول مسجد وضع لعموم الناس، يعبدون الله فيه، وبوأه الله مكانه، أي أرشده إليه ودله عليه.

فأمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام أن يبني له بيتاً يكون لأهل الأرض كتلك المعابد لملائكة السموات، وأرشده الله إلى مكان البيت المهيأ له، المعين لذلك منذ خلق السموات والأرض، كما ثبت في الصحيحين: «إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق الله السموات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة».

ولم يجىء في خبر صحيح عن المعصوم أن البيت كان مبنياً قبل الخليل عليه السلام، ومن تمسك في هذا بقوله: ﴿مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾ فليس بناهض ولا ظاهر، لأن المراد مكانه المقدر في علم الله، المقرر في قدره، المعظم عند الأنبياء موضعه، من لدن آدم إلى زمان إبراهيم.

وقد قال الله: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ أي أن أول بيت وضع لعموم الناس للبركة والهدى. البيت الذي ببكة. وقيل: محل الكعبة: ﴿فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ﴾ أي على أنه بناء الخليل، والد الأنبياء من بعده وإمام الحنفاء من ولده، الذين يقتدون به ويتمسكون بسنته، ولهذا قال: ﴿مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ﴾ أي الحجر الذي كان يقف عليه قائماً لما ارتفع البناء عن قامته، فوضع له ولده هذا الحجر المشهور، ليرتفع عليه لما تعالى البناء وعظم الفناء. كما ذكر في حديث ابن عباس الطويل.

وقد كان هذا الحجر ملصقاً بحائط الكعبة على ما كان عليه من قديم الزمان إلى أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فأخره عن البيت قليلاً، لئلا يشغل المصلين عنده الطائفين بالبيت، واتبع عمر بن الخطاب رضي الله عنه في هذا، فإنه قد وافقه ربه في أشياء، منها قوله لرسوله ﷺ: لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى، فأنزل الله: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾. وقد كانت آثار قدمي الخليل باقية في الصخرة إلى أول الإسلام. وقد قال أبو طالب في قصيدته اللامية المشهورة:

وثور ومن أرسى ثبيراً مكانه وراق ليرقى في حراء ونازل=

= وبالبيت حق البيت من بطن مكة ... وبالله إن الله ليس بغافل
وبالحجر المسود إذ يمسحونه ... إذا اكتنفوه بالضحى والأصائل
وموطىء إبراهيم في الصخر رطبة ... على قدميه حافياً غير ناعل

يعني أن رجله الكريمة غاصت في الصخرة فصارت على قدر قدمه حافية لا منتعلة. ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ﴾ أي في حال قولهما: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ فهما في غاية الإخلاص والطاعة لله عز وجل، وهما يسألان من الله عز وجل السميع العليم أن يتقبل منهما ما هما فيه من الطاعة العظيمة والسعي المشكور: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٨].

والمقصود أن الخليل بنى أشرف المساجد في أشرف البقاع، في واد غير ذي زرع، ودعا لأهلها بالبركة، وأن يرزقوا من الثمرات، مع قلة المياه وعدم الأشجار والزروع والثمار، وأن يجعله حرماً مُحرماً وآمناً مُحتماً.

فاستجاب الله ـ وله الحمد ـ له مسألته، ولبى دعوته، وأتاه طلبته، فقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا﴾. وسأل الله أن يبعث فيهم رسولاً منهم، أي من جنسهم، وعلى لغتهم الفصيحة البليغة النصيحة، لتتم عليهم النعمتان: الدنيوية والدينية، سعادة الأولى والآخرة.

وقد استجاب الله له فبعث فيهم رسولاً وأي رسول! ختم به أنبياءه ورسله، وأكمل له من الدين ما لم يؤت أحد قبله، وعم بدعوته أهل الأرض على اختلاف أجناسهم ولغاتهم وصفاتهم، في سائر الأقطار والأمصار والأعصار إلى يوم القيامة، وكان هذا من خصائصه من بين سائر الأنبياء، لشرفه في نفسه وكمال شفقته على أمته، ولطفه ورحمته، وكريم محتده وعظيم مولده، وطيب مصدره ومورده.

ولهذا استحق إبراهيم الخليل عليه السلام إذ كان باني الكعبة لأهل الأرض، أن يكون منصبه ومحله وموضعه في منازل السموات ورفيع الدرجات عند البيت المعمور، الذي هو كعبة أهل السماء السابعة، المبارك المبرور، الذي يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة يتعبدون فيه، ثم لا يعودون إلى يوم البعث والنشور.

وقد ذكرنا في التفسير من سورة البقرة صفة بنائه للبيت، وما ورد في ذلك من الأخبار والآثار بما فيه كفاية، فمن أراد فليراجعه ثمَّ... ولله الحمد.

وفي الصحيحين من حديث مالك، عن ابن شهاب، عن سالم: أن عبد الله بن محمد بن أبي بكر أخبر، عن ابن عمر، عن عائشة: أن رسول الله ﷺ قال: «ألم ترَ أن قومك حين بنوا الكعبة اقتصروا عن قواعد إبراهيم؟ فقلت: يا رسول الله.. ألا تردها على قواعد إبراهيم؟ =

= فقال: «لولا حدثان قومك بالكفر لفعلت». وفي رواية: «لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية ـ أو قال بكفر ـ لأنفقت كنز الكعبة في سبيل الله، ولجعلت بابها بالأرض، ولأدخلت فيها الحجر». صحيح البخاري/ ح (٤٤٨٤) وح (١٥٨٦).

وقد بناها ابن الزبير رحمه الله في أيامه على ما أشار إليه رسول الله ﷺ حسبما أخبرته به خالته عائشة، أم المؤمنين عنه، فلما قتله الحجاج في سنة ثلاثةٍ وسبعين كتب إلى عبد الملك بن مروان الخليفة إذ ذاك، فاعتقدوا أن ابن الزبير إنما صنع ذلك من تلقاء نفسه. فأمر بردها إلى ما كانت عليه، فنقضوا الحائط الشامي وأخرجوا منها الحجر، ثم سدوا الحائط وردموا الأحجار في جوف الكعبة، فارتفع بابها الشرقي، وسدوا الغربي بالكلية، كما هو مشاهد إلى اليوم. ثم لما بلغهم أن ابن الزبير إنما فعل هذا لما أخبرته عائشة أم المؤمنين ندموا على ما فعلوا، وتأسفوا أن لو كانوا تركوه وما تولى من ذلك. ثم لما كان في زمن المهدي بن المنصور استشار الإمام مالك بن أنس في ردها على الصفة التي بناها ابن الزبير فقال له: إني أخشى أن يتخذها الملوك لعبة. يعني كلما جاء ملك بناها على الصفة التي يريد. فاستقر الأمر على ما هي عليه اليوم.

[ثناء الله على خليله إبراهيم]:

قال الله تعالى: ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ لما وفى ما أمره به ربه من التكاليف العظيمة، جعله للناس إماماً يقتدون به ويأتمون بهديه. وسأل الله أن تكون هذه الإمامة متصلة بسببه، وباقية في نسبه، وخالدة في عقبه فأجيب إلى ما سأل ورام وسلمت إليه الإمامة بزمام، واستثنى من نيلها الظالمون. واختص بها من ذريته العلماء العاملون، كما قال تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾.

فالضمير في قوله: ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ ﴾ عائد على إبراهيم على المشهور، ولوط وإن كان ابن أخيه إلا أنه دخل في الذرية تغليباً، وهذا هو الحامل للقائل الآخر أن الضمير على نوح كما قدمنا في قصته.. والله أعلم.

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ﴾ الآية. فكل كتاب أنزل من السماء على نبي من الأنبياء بعد إبراهيم الخليل، فمن ذريته وشيعته، وهذه خلعة سنية لا تضاهى، ومرتبة عليّة لا تباهى. وذلك أنه ولد له لصلبه ولدان ذكران عظيمان: إسماعيل من هاجر، ثم إسحاق من سارة، ووُلِدَ له يعقوب ـ وهو إسرائيل ـ الذي ينتسب=

= إلى سائر أسباطهم ، فكانت فيهم النبوة ، وكثروا جداً بحيث لا يعلم عددهم إلا الذي بعثهم واختصهم بالرسالة والنبوة ، وحتى ختموا بعيسى ابن مريم من بني إسرائيل.

وإما إسماعيل عليه السلام ، فكانت منه العرب على اختلاف قبائلها ، كما سنبينه فيما بعد إن شاء الله تعالى ، ولم يوجد من سلالته من الأنبياء سوى خاتمهم على الإطلاق وسيدهم ، وفخر بني آدم في الدنيا والآخرة: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم القرشي ، المكي ثم المدني صلوات الله وسلامه عليه.

فلم يوجد من هذا الفرع الشريف والغصن المنيف سوى هذه الجوهرة الباهرة ، والدرة الزاهرة ، وواسطة العقد الفاخرة ، وهو السيد الذي يفتخر به أهل الجمع ، ويغبطه الأولون والآخرون يوم القيامة. وقد ثبت عنه في صحيح مسلم أنه قال: «سأقوم مقاماً يرغب إليّ الخلق كلهم حتى إبراهيم». فمدح إبراهيم أباه مدحة عظيمة في هذا السياق ، ودل كلامه على أنه أفضل الخلائق بعده عند الخلاق ، في هذه الحياة الدنيا ويوم يكشف عن ساق.

وقال البخاري: حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يعوذ الحسن والحسين ويقول: «إن أباكما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق: أعوذ بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة». ورواه أهل السنن من حديث منصور به. [البخاري/ ح ٣٣٧١].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ وذكر المفسرون لهذا السؤال أسباباً بسطناها في التفسير وقررناها بأتم تقرير.

والحاصل: أن الله عز وجل أجابه إلى ما سأل ، فأمره أن يعمد إلى أربعة من الطيور ، اختلفوا في تعيينها على أقوال ، والمقصود حاصل على كل تقدير ، فأمره أن يمزق لحومهن وريشهن ، ويخلط ذلك بعضه في بعض ، ثم يقسمه قسماً ويجعل على كل جبل منهن جزءاً ففعل ما أمر به ، ثم أمر أن يدعوهن بإذن ربهن ، فلما دعاهن جعل كل عضو يطير إلى صاحبه ، وكل ريشة تأتي إلى أختها ، حتى اجتمع بدن كل طائر على ما كان عليه ، وهو ينظر إلى قدرة الذي يقول للشيء: كن فيكون ، فأتين إليه سعياً ، ليكون أبين له وأوضح لمشاهدته من أن يأتين طيراناً.

وقد كان إبراهيم عليه السلام يعلم قدرة الله تعالى على إحياء الموتى علماً يقيناً لا يحتمل النقيض ، ولكن أحب أن يشاهد ذلك عياناً ، ويترقى من علم اليقين إلى عين اليقين! فأجابه الله إلى سؤاله وأعطاه غاية مأموله.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ =

﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٦٦ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٦٧ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٥ ـ ٦٨].

ينكر تعالى على أهل الكتاب من اليهود والنصارى في دعوى كل من الفريقين، كون الخليل على ملتهم وطريقتهم، فبرأه الله منهم، وبيّن كثرة جهلهم وقلة عقلهم في قوله: ﴿وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ أي فكيف يكون على دينكم وأنتم إنما شرع لكم ما شرع بعده بمدد متطاولة؟ ولهذا قال ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، إلى أن قال: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧].

فبين أنه كان على دين الله الحنيف، وهو القصد إلى الإخلاص، والانحراف عمداً عن الباطل إلى الحق الذي هو مخالف لليهودية والنصرانية والشرك.

كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٣٠ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٣١ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝١٣٢ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ۝١٣٣ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٣٤ وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٣٥ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ۝١٣٦ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝١٣٧ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ۝١٣٨ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ۝١٣٩ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝١٤٠ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٠ ـ ١٤١].

فنزه الله عز وجل خليله عليه السلام عن أن يكون يهودياً أو نصرانياً، وبيّن أنه إنما كان حنيفاً مسلماً ولم يكن من المشركين، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ يعني الذين كانوا على ملته من أتباعه في زمانه، ومن تمسك بدينه من بعدهم: ﴿وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ﴾ يعني محمداً ﷺ، فإن الله شرع له الدين الحنيف الذي شرع للخليل، وكمله الله تعالى له، وأعطاه ما لم يُعط نبياً ولا رسولاً من قبله، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٦١ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١ ـ ١٦٣]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٢٠ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ

= مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠ ـ ١٢٣].

وقال البخاري: حدثنا إبراهيم بن موسى، حدثنا هشام، عن معمر، عن أيوب، عن عكرمة، عن ابن عباس أن النبي ﷺ لما رأى الصور في البيت لم يدخل حتى أمر بها فمحيت، ورأى إبراهيم وإسماعيل بأيديهما الأزلام فقال: «قاتلهم الله.. والله ما استقسما بالأزلام قط». لم يخرجه مسلم. وفي بعض ألفاظ البخاري: «قاتلهم الله... لقد علموا أن شيخنا لم يستقسم بها قط». [البخاري/ كتاب الأنبياء/ ح ٣٣٥٢] و[الحج/ ١٦٠١].

وقوله: ﴿أُمَّةً﴾ أي قدوة إماماً مهتدياً داعياً إلى الخير، يُقتدى به فيه ﴿قَانِتًا لِّلَّهِ﴾ أي خاشعاً له في جميع حالاته وحركاته وسكناته ﴿حَنِيفًا﴾ أي مخلصاً على بصيرة ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ﴾ أي قائماً بشكر ربه بجميع جوارحه من قلبه ولسانه وأعماله ﴿ٱجْتَبَـٰهُ﴾ أي اختاره الله لنفسه واصطفاه لرسالته، واتخذه خليلاً، وجمع له بين خيري الدنيا والآخرة.

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ يرغب تعالى في اتباع إبراهيم عليه السلام، لأنه كان على الدين القويم والصراط المستقيم، وقد قام بجميع ما أمره به ربه، ومدحه تعالى بذلك فقال: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ ولهذا اتخذه الله خليلاً، والخلة هي غاية المحبة كما قال بعضهم:

قد تخللت مسلك الروح مني　　وبذا سُمّي الخليل خليلا

وهكذا نال هذه المرتبة خاتم الأنبياء وسيد المرسلين محمد صلوات الله وسلامه عليه، كما ثبت في الصحيحين وغيرهم من حديث جندب البجلي وعبد الله بن عمرو وابن مسعود عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أيها الناس.. إن الله اتخذني خليلاً». وقال أيضاً في آخر خطبة خطبها: «أيها الناس.. لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن صاحبكم خليل الله». أخرجاه من حديث أبي سعيد. [البخاري/ ح ٣٩٠٤] ومسلم [٢/ ٢٣٨٢].

وثبت أيضاً من حديث عبد الله بن الزبير وابن عباس وابن مسعود. وروى البخاري في صحيحه: حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا شعبة، عن حبيب بن أبي ثابت، عن سعيد بن جبير، عن عمرو بن ميمون، قال: إن معاذاً لما قدم اليمن صلى بهم الصبح فقرأ: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ فقال رجل من القوم: لقد قرت عين أم إبراهيم!.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبيّ، حدثنا محمود بن خالد السلمي، حدثنا الوليد، عن إسحاق بن يسار قال: لما اتخذ الله إبراهيم خليلاً ألقى في قلبه الوجل، حتى إن كان خفقان قلبه ليسمع من بعد كما يسمع خفقان الطير في الهواء.

وقد ذكره الله تعالى في القرآن كثيراً في غير ما موضع بالثناء عليه والمدح له، فقيل: إنه =

= مذكور في خمسة وثلاثين موضعاً، منها خمسة عشر (موضعاً) في البقرة وحدها.

وهو أحد أولي العزم الخمسة المنصوص على أسمائهم تخصيصاً من بين سائر الأنبياء في آيتي الأحزاب والشورى، وهما قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾، وقوله: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ۖ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ الآية. ثم هو أشرف أولي العزم بعد محمد ﷺ.

وهو الذي وجده عليه السلام في السماء السابعة مسنداً ظهره بالبيت المعمور الذي يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة ثم لا يعودون إليه آخر ما عليهم، وما وقع في حديث شريك بن أبي نمير عن أنس في حديث الإسراء، من أن إبراهيم في السادسة، وموسى في السابعة، فمما انتقد على شريك في هذا الحديث. والصحيح الأول.

وقال أحمد: حدثنا محمد بن بشر: حدثنا محمد بن عمرو، حدثنا أبو سلمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم، يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن». تفرد به أحمد [مسند أحمد/ ٨٣٩٩].

ثم مما يدل على أن إبراهيم أفضل من موسى الحديث الذي قال فيه: «وأخرت الثالثة ليوم يرغب إليَّ الخلق كلهم حتى إبراهيم». رواه مسلم من حديث أُبيّ بن كعب رضي الله عنه.

وهذا هو المقام المحمود الذي أخبر عنه صلوات الله وسلامه عليه بقوله: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر»، ثم ذكر استشفاع الناس بآدم، ثم بنوح، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى، فكلهم يحيد عنها حتى يأتوا محمداً ﷺ فيقول: «أنا لها، أنا لها» الحديث بتمامه.

وقال البخاري: حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا يحيى بن سعيد، حدثنا عبيد الله، حدثني سعيد، عن أبي هريرة قال: قيل: يا رسول الله، من أكرم الناس؟ قال: «أكرمهم أتقاهم»، فقالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: «فأكرم الناس يوسف نبي الله، ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله»، قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: «فعن معادن العرب تسألوني؟»، قالوا: نعم، قال: «فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا» [صحيح البخاري/ ح ٣٣٨٣].

وهكذا رواه البخاري في مواضع أخرى ومسلم والنسائي من طرق، عن يحيى بن سعيد القطان، عن عبيد الله ـ وهو ابن عمر ـ العمري به.

ثم قال البخاري: قال أبو أسامة ومعتمر عن عبيد الله، عن سعيد، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ: قلت: وقد أسنده في موضع آخر من حديثهما، وحديث عبيدة بن سليمان، والنسائي من حديث محمد بن بشر، أربعتهم عن عبيد الله بن عمر، عن سعيد، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ ولم يذكروا أباه. =

وقال أحمد: حدثنا محمد بن بشر ، حدثنا محمد بن عمر ، حدثنا أبو سلمة ، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الله». تفرد به أحمد [مسند أحمد/ ح٨٣٩٩].

وقال البخاري: إسحاق بن منصور ، أخبرنا عبد الصمد ، حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله ، عن أبيه ، عن ابن عمر ، عن النبي ﷺ قال: «الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم». تفرد به من طريق عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار ، عن أبيه ، عن ابن عمر به.

فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد: حدثنا يحيىٰ ، عن سفيان ، حدثني مغيرة بن النعمان ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن النبي ﷺ: «يحشر الناس عراة غرلاً ، فأول من يكسى إبراهيم عليه السلام» ، ثم قرأ: ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ﴾ فأخرجاه في الصحيحين من حديث سفيان الثوري وشعبة بن الحجاج ، وكلاهما عن مغيرة بن النعمان النخعي الكوفي ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس به (أحمد/ ح ١٩٥٠) والبخاري (ح ٣٣٤٩).

وهذه الفضيلة المعينة لا تقتضي الأفضلية بالنسبة إلى ما قابلها مما ثبت لصاحب المقام المحمود ، الذي يغبطه به الأولون والآخرون.

وأما الحديث الآخر الذي قاله الإمام أحمد: حدثنا وكيع وأبو نعيم ، حدثنا سفيان ـ هو الثوري ـ عن مختار بن فلفل ، عن أنس بن مالك ، قال رجل للنبي ﷺ: يا خير البرية ، فقال: «ذاك إبراهيم» فقد رواه مسلم من حديث الثوري وعبد الله بن إدريس ، وعلي بن مشهر ومحمد بن فضيل ، أربعتهم عن المختار بن فلفل [وانظر مسند أحمد/ ١٢٨٢٦].

وهذا من باب الهضم والتواضع مع والده الخليل عليه السلام كما قال: «لا تفضلوني على الأنبياء» ، وقال: «لا تفضلوني على موسى ، فإن الناس يصعقون يوم القيامة ، فأكون أول من يفيق ، فأجد موسى باطشاً بقائمة العرش ، فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور؟».

وهذا كله لا ينافي ما ثبت بالتواتر عنه صلوات الله وسلامه عليه من أنه سيد ولد آدم يوم القيامة. وكذلك حديث أُبيّ بن كعب في صحيح مسلم: «وأخرت الثالثة ليوم يرغب إليَّ الخلق كلهم حتى إبراهيم».

ولما كان إبراهيم عليه السلام أفضل الرسل وأولي العزم بعد محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، أمر المصلي أن يقول في تشهده ، ما ثبت في الصحيحين من حديث كعب بن عجرة وغيره ، قال: قلنا: يا رسول الله.. هذا السلام عليك قد عرفناه ، فكيف الصلاة عليك؟ قال: «قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم

حدثني الحارث ، قال: حدثنا ابن سعد ، قال: أخبرنا هشام ، عن أبيه قال: فهاجر إبراهيم من بابل إلى الشأم فجاءته سارة ، فوهبت له نفسَها فتزوجها ، وخرجت معه وهو يومئذ ابن سبع وثلاثين سنة ، فأتى حرَّان ، فأقام بها زماناً ، ثم أتى الأردنّ فأقام بها زماناً ، ثم خرج إلى مصر فأقام بها زماناً ، ثم رجع إلى الشأم فنزل السبع (أرض بين إيليا وفلَسطين) واحتفر بئراً ، وبنى مسجداً. ثم إن بعض أهل البلد آذاه فتحوّل من عندهم ، فنزل منزلاً بين الرملة وإيليا ، فاحتفر به بئراً أقام به ، وكان قد وُسِّع عليه في المال والخدم ، وهو أوّل من أضاف الضيف ، وأوّل من ثَرَد الثريد ، وأوّل من رأى الشيب.

قال: وولد لإبراهيم عليه السلام إسماعيل وهو أكبر ولده ـ وأمه هاجر وهي قبْطية ، وإسحاق ، وكان ضرير البصر ، وأمه سارة ابنة بتويل بن ناخور بن ساروع بن أرغوا بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح ـ ومدن ، ومدين ، ويقسان ، وزمران ، وأسبق ، وسوح؛ وأمهم قنطورا بنت مقطور من العرب العاربة.

فأما يقسان فلحق بنوه بمكة ، وأقام مدن ومدين بأرض مدين ، فسميت به ، ومضى سائرهم في البلاد وقالوا لإبراهيم: يا أبانا أنزلت إسماعيل وإسحاق معك ، وأمرتنا أن ننزل أرض الغربة والوحشة! فقال: بذلك أمرت ، قال: فعلَّمهم اسماً من أسماء الله تبارك وتعالى ، فكانوا يستسقون به ويستنصرون ، فمنهم من نزل خراسان ، فجاءتهم الخزر فقالوا: ينبغي للذي علمكم هذا أن يكونَ خير أهل الأرض ، أو ملك الأرض ، قال: فسموا ملوكهم خاقان.

قال أبو جعفر: ويقال في يسبق: يسباق ، وفي سوح: ساح[١].

(١: ٣١٠/ ٣١١)

وقال بعضهم: تزوج إبراهيم بعد سارة امرأتين من العرب ، إحداهما قَنطورا بنت يقطان ، فولدت له ستة بنين ، وهم الذين ذكرنا ، والأخرى منهما

= وعلى آل إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد» (البخاري ح ٤٧٩٧).

(١) ضعيف.

حجور بنت أرهير ، فولدت له خمسة بنين: كيسان ، وشورخ ، وأميم ، ولوطان ، ونافس[(١)] . (١ : ٣١١) .

---

(١) ضعيف.
لقد ذكرنا الروايات في قصة أيوب في قسم الضعيف فليس فيها ما صح سنده وسنذكر هنا ما صح من أحاديث مرفوعة في قصة أيوب عليه السلام ولم يذكرها الطبري في تأريخه: فقد أخرج البخاري في صحيحه/ كتاب الأنبياء/ باب قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ ح/ ٣٣٩١ وأحمد (ح ٨١٦٥) عن أبي هريرة مرفوعاً (بينما أيوب يغتسل عرياناً خر عليه جراد من ذهب فجعل يحثي في ثوبه فناداه ربه عز وجل: يا أيوب ، ألم أكن أغنيتك عمّا ترى؟ قال: بل يا رب ولكن لا غنى لي عن بركتك).
وفي رواية أخرى لأحمد من حديث أبي هريرة مرفوعاً: (لما عافى الله أيوب عليه السلام أمطر عليه جراداً من ذهب فجعل يأخذ بيده ويجعل في ثوبه قال: فقيل له يا أيوب أما تشبع؟! قال: يا رب ومن يشبع من رحمتك).
وقال ابن كثير: رواه ابن حبان في صحيحه عن عبد الله بن محمد الأزدي عن إسحاق بن راهويه عن عبد الصمد به ، ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة وهو على شرط الصحيح والله أعلم. (البداية والنهاية ١/ ٣١١).

نَـبيُّ الله أيـوب
عليه السلام

وهو من الأنبياء المنصوص على الإيحاء إليهم في سورة النساء في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ﴾ الآية[النساء: ١٦٣] .
قال الله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣ ـ ٨٤]. وقال تعالى في سورة ص: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾[ص: ٤١ ـ ٤٤] .
[ابتلاؤه بالمرض]:
وابتلي في جسده بأنواع من البلاء ، وهو في ذلك كله صابر محتسب ، ذاكر الله عز وجل في ليله ونهاره وصباحه ومسائه.
وطال مرضه حتى عافه الجليس ، وأوحش منه الأنيس ، وانقطع عنه الناس ، ولم يبق أحد يحنو عليه سوى زوجته ، كانت ترعى له حقه ، وتعرف قديم إحسانه إليها وشفقته عليها.
فكانت تتردد إليه فتصلح من شأنه ، وتعينه على قضاء حاجته ، وتقوم بمصلحته ، رضي الله=

= عنها وأرضاها ، وهي صابرة معه على ما حل بهما من فراق المال والولد ، وما يختص بها من المصيبة بالزوج ، وضيق ذات اليد ، بعد السعادة والنعمة والخدمة والحرمة. فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «أشد الناس بلاء الأنبياء ، ثم الصالحون ، ثم الأمثل فالأمثل» ، وقال: «يبتلى الرجل على حسب دينه ، فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه». [أحمد/ ١٦٠٧] والترمذي (٢٣٩٨)] وقال حسن صحيح.

ولم يزد هذا كله أيوب عليه السلام إلا صبراً واحتساباً وحمداً وشكراً حتى إن المثل لَيُضرب بصبره عليه السلام ، ويُضرب المثل أيضاً بما حصل له من أنواع البلايا.

[شفــــاؤه]:

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة ، حدثنا عمرو بن مرزوق ، حدثنا همام ، عن قتادة ، عن النضر بن أنس ، عن بشير بن نهيك ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال: «لما عافى الله أيوب عليه السلام أمطر عليه جراداً من ذهب ، فجعل يأخذ منه بيده ويجعل في ثوبه. قال: فقيل له: يا أيوب ، أما تشبع؟ قال: يا رب. ومن يشبع من رحمتك؟». [أحمد/ ح ٧٣١٣].

وهكذا رواه الإمام أحمد عن أبي داود الطيالسي ، وعبد الصمد ، عن همام ، عن قتادة به.

ورواه ابن حبان في صحيحه ، عن عبد الله بن محمد الأزدي ، عن إسحاق بن راهويه ، عن عبد الصمد به ، ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب ، وهو على شرط الصحيح ، والله أعلم.

وقال الإمام أحمد: حدثنا سفيان ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة: أرسل اللهُ على أيوب رِجْلاً من جراد من ذهب ، فجعل يقبضها في ثوبه ، فقيل: يا أيوب ، ألم يكفك ما أعطيناك؟ قال: أي رب ، من يستغني عن ذلك! هذا موقوف ، وقد روي عن أبي هريرة من وجه مرفوعاً.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق: حدثنا معمر ، عن همام بن منبه قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة ، قال رسول الله ﷺ : «بينما أيوب يغتسل عرياناً خر عليه رجل جراد من ذهب ، فجعل أيوب يحثي في ثوبه ، فناداه ربه عز وجل: يا أيوب. . ألم أكن أغنيتك عما ترى؟ قال: بلى يا رب ، ولكن لا غنى لي عن بركتك». [رواه البخاري من حديث عبد الرزاق به/ ح ٢٧٦].

وقوله: ﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَ﴾ أي: اضرب الأرض برجلك ، فامتثل ما أمر به ، فأنبع الله عيناً باردة الماء ، وأمر أن يغتسل فيها ويشرب منها ، فأذهب الله عنه ما كان يجده من الألم والأذى ، والسقم والمرض ، الذي كان في جسده ظاهراً وباطناً ، وأبدله الله بعد ذلك كله صحة ظاهرة وباطنة ، وجمالاً تامّاً ومالاً كثيراً ، حتى صب له من المال صباً ، وأخلف الله له أهله ، كما قال تعالى: ﴿وَءَاتَيۡنَـٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ﴾ ، وقوله: ﴿رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا﴾ أي رفعنا عنه =

= شدته ، وكشفنا ما به من ضر ، رحمة به ورأفة وإحساناً ، ﴿ وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴾ أي : تذكرة لمن ابتلي في جسده أو ماله أو ولده ، فله أسوة بنبي الله أيوب ، حيث ابتلاه الله بما هو أعظم من ذلك فصبر واحتسب حتى فرج الله به . ا.هـ كلام الحافظ (بعد حذف للإسرائيليات واختصار) .

نبيُّ الله شُعَيب
عليهِ السّلام

[قصة مدين في القرآن] :

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله :

قال الله تعالى في سورة الأعراف بعد قصة قوم لوط : ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾ ۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴾ [الأعراف : ٨٥ ـ ٩٣] .

وقال في سورة هود بعد قصة قوم لوط أيضاً : ﴿ ۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ =

= كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ [هود: ٨٤ ـ ٩٥].

وقال في الحجر بعد قصة قوم لوط أيضاً: ﴿وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾﴾. وقال تعالى في الشعراء بعد قصتهم: ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: ١٧٦ ـ ١٩١].

[مدين وشعيب]:

كان أهل مدين قوماً عرباً يسكنون مدينتهم «مدين» التي هي قريبة من أرض معان من أطراف الشام، مما يلي ناحية الحجاز قريباً من بحيرة قوم لوط، وكانوا بعدهم بمدة قريبة، ومدين قبيلة عُرفت بهم، وهم من بني مدين بن مديان بن إبراهيم الخليل. وشعيب نبيهم هو ابن ميكيل بن يشجن. وذكره ابن إسحاق.

قال: ويقال له بالسريانية «يترون» وفي هذا نظر. ويقال: شعيب بن يشخر بن لاوي بن يعقوب، ويقال: شعيب بن نويب بن عيفا بن مدين بن إبراهيم، ويقال: شعيب بن صيفر بن عيفا بن ثابت بن مدين بن إبراهيم، وقيل غير ذلك في نسبه. قال ابن عساكر: ويقال جدته، ويقال: أمه، بنت لوط. وكان ممن آمن بإبراهيم وهاجر معه ودخل معه دمشق.

وعن وهب بن منبه أنه قال: شعيب وملغم ممن آمن بإبراهيم يوم أحرق بالنار، وهاجر معه إلى الشام، فزوجهما بنتي لوط عليه السلام. ذكره ابن قتيبة. وفي هذا كله نظر، والله تعالى أعلم.

وذكر أبو عمر بن عبد البر في الاستيعاب في ترجمة سلمة بن سعد العنزي: أنه قدم على رسول الله ﷺ فأسلم وانتسب إلى عنزة، فقال: «نعم الحي عنزة، مبغي عليهم منصورون رهط شعيب وأَخْتان موسىٰ».

فلو صح هذا لدل على أن شعيباً صهر موسى وأنه من قبيلة من العرب العاربة يقال لهم عنزة، =

= لا أنهم من عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان ، فإن هؤلاء بعده بدهر طويل ، والله أعلم .

وفي حديث أبي ذر الذي في صحيح ابن حبان في ذكر الأنبياء والرسل قال: «أربعة من العرب: هود وصالح وشعيب ونبيك يا أبا ذر». وكان بعض السلف يسمي شعيباً «خطيب الأنبياء» ويعني لفصاحته وعلو عبارته وبلاغته في دعاية قومه إلى الإيمان برسالته.

وقد روى ابن إسحاق بن بشر عن جويبر ومقاتل ، عن الضحاك ، عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذكر شعيباً قال: «ذاك خطيب الأنبياء». وكان أهل مدين كفاراً يقطعون السبيل ويخيفون المارة ، ويعبدون الأيكة ، وهي شجرة من الأيك حولها غيضة ملتفة بها. وكانوا من أسوأ الناس معاملة ، يبخسون المكيال والميزان ، ويطففون فيها ، ويأخذون بالزائد ويدفعون بالناقص. فبعث الله فيهم رجلاً منهم وهو رسول الله شعيب عليه السلام فدعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، ونهاهم عن تعاطي هذه الأفاعيل القبيحة من بخس الناس أشياءهم ، وإخافتهم لهم في سبلهم وطرقاتهم ، فآمن به بعضهم وكفر أكثرهم ، حتى أحل الله بهم البأس الشديد ، وهو الولي الحميد.

كما قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي دلالة وحجة واضحة ، وبرهان قاطع على صدق ما جئتكم به وأنه أرسلني ، وهو ما أجرى الله على يديه من المعجزات التي لم ينقل إلينا تفصيلها ، وإن كان هذا اللفظ قد دخل عليها إجمالاً.

﴿فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾. أمرهم بالعدل ونهاهم عن الظلم، وتوعدهم على خلاف ذلك فقال: ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٨٥ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ﴾ أي: طريق ، ﴿تُوعِدُونَ﴾ أي: تتوعدون الناس بأخذ أموالهم من مكوس وغير ذلك وتخيفون السبل.

قال السدي في تفسيره عن الصحابة: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ﴾ أي أنهم كانوا يأخذون العشور من أموال المارة. وقال إسحاق بن بشر عن جويبر ، عن الضحاك ، عن ابن عباس قال: كانوا قوماً طغاة يجلسون على الطريق ، يبخسون الناس ، يعني يعشرونهم ، وكانوا أول من سن ذلك.

﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ نهاهم عن قطع الطريق الحسية الدنيوية ، والمعنوية الدينية.

﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ ذكرهم بنعمة الله تعالى عليهم في تكثيرهم بعد القلة ، وحذرهم نقمة الله بهم إن خالفوا ما أرشدهم إليه ودلهم عليه. كما قال لهم في القصة الأخرى: ﴿وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ أي: لا تركبوا ما أنتم عليه وتستمروا =

= فيه فيمحق الله بركة ما في أيديكم ، ويفقركم ويذهب ما به يغنيكم. وهذا مضاف إلى عذاب الآخرة ، ومن جمع له هذا وهذا ، فقد باء بالصفقة الخاسرة!.

فنهاهم أولاً عن تعاطي ما لا يليق من التطفيف وحذرهم سلب نعمة الله عليهم في دنياهم ، وعذابه الأليم في أخراهم ، وعنَّفهم أشد تعنيف. ثم قال لهم آمراً بعدما كان عن صده زاجراً: ﴿ وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ﴾.

قال ابن عباس والحسن البصري: ﴿ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ ﴾ أي: رزق الله خير لكم من أخذ أموال الناس. وقال ابن جرير: ما يفضل لكم من الربح بعد وفاء الكيل والميزان: خير لكم من أخذ أموال الناس بالتطفيف. قال: وقد روي هذا عن ابن عباس.

وهذا الذي قاله وحكاه حسن ، وهو شبيه بقوله تعالى: ﴿ قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ كَثۡرَةُ ٱلۡخَبِيثِۚ ﴾ يعني أن القليل من الحلال خير لكم سن الكثير من الحرام ، فإن الحلال مبارك وإن قل ، والحرام ممحوق وإن كثر ، كما قال تعالى: ﴿ يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ ﴾.

وقال رسول الله ﷺ : «إن الربا وإن كثر فإن مصيره إلى قل» رواه أحمد. أي إلى قلة. وقال رسول الله ﷺ : «البيعان بالخيار ما لم يتفرقا فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما». [مسند أحمد/ ٣٧٥٤ و٥٣١٤] و[البخاري/ ٣٤/ ١٩/ ٤٢].

والمقصود أن الربح الحلال مبارك فيه وإن قل ، والحرام لا يجدي وإن كثر. ولهذا قال نبي الله شعيب: ﴿ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ ﴾. وقوله: ﴿ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ﴾ أي افعلوا ما آمركم به ابتغاء وجه الله ورجاء ثوابه ، لا لأراكم أنا وغيري.

﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾ يقولون هذا على سبيل الاستهزاء والتنقص والتهكم: أصلاتك هذه التي تصليها ، هي الآمرة لك بأن تحجر علينا فلا نعبد إلا إلهك؟ ونترك ما يعبد آباؤنا الأقدمون وأسلافنا الأولون؟ أو ألا نتعامل إلا على الوجه الذي ترتضيه أنت ، ونترك المعاملات التي تأباها ، وإن كنا نحن نرضاها؟.

﴿ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾ قال ابن عباس وميمون بن مهران وابن جريج وزيد بن أسلم وابن جرير: يقول ذلك أعداء الله على سبيل الاستهزاء.

﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾. هذا تلطف معهم في العبارة ، ودعوة لهم إلى الحق بأبين إشارة. يقول لهم: أرأيتم أيها المكذبون ﴿ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي ﴾ أي على أمر بيّن من الله تعالى أنه أرسلني إليكم ، ﴿ وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ ﴾ يعني النبوة والرسالة ، يعني وعمي عليكم معرفتها ، فأي حيلة لي=

= فيكم؟ وهذا كما تقدم عن نوح عليه السلام أنه قال لقومه سواء.

وقوله: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ أي لست آمركم بالأمر إلا وأنا أول فاعل له، وإذا نهيتكم عن الشيء فأنا أول من يتركه.

وهذه هي الصفة المحمودة العظيمة، وضدها هي المردودة الذميمة، كما تلبس بها علماء بني إسرائيل في آخر زمانهم، وخطباؤهم الجاهلون، قال تعالى: ﴿۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ وذكرنا عندها في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يؤتى بالرجل فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه ـ أي تخرج أمعاؤه من بطنه ـ فيدور بها كما يدور الحمار برحاه، فيجمع أهل النار فيقولون: يا فلان، مالك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى، كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه». [صحيح البخاري/ ح ٣٢٦٧] و[مسلم ٥٨/ ٢٩٨٩].

وهذه صفة مخالفي الأنبياء من الفجار والأشقياء، فأما السادة من النجباء، والألباء من العلماء، الذين يخشون ربهم بالغيب، فحالهم كما قال نبي الله شعيب: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ﴾ أي: ما أريد في جميع أمري إلا الإصلاح في الفعال والمقال بجهدي وطاقتي. ﴿وَمَا تَوْفِيقِىٓ﴾ أي في جميع الأحوال ﴿إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ أي عليه أتوكل في سائر الأمور، وإليه مرجعي ومصيري في كل أمري. وهذا مقام ترغيب.

ثم انتقل إلى نوع من الترهيب فقال: ﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾.

أي لا يحملنكم مخالفتي وبغضكم ما جئتكم به على الاستمرار على ضلالكم وجهلكم ومخالفتكم، فيحل الله بكم من العذاب والنكال، نظير ما أحله بنظرائكم وأشباهكم، من قوم نوح وقوم هود وقوم صالح من المكذبين المخالفين.

وقوله: ﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾ قيل معناه: في الزمان، أي ما بالعهد من قدم، مما قد بلغكم ما أحل بهم على كفرهم وعتوهم. وقيل معناه: وما هم منكم ببعيد في المحلة والمكان. وقيل: في الصفات والأفعال المستقبحات، من قطع الطريق، وأخذ أموال الناس جهرة وخفية بأنواع الحيل والشبهات.

والجمع بين هذه الأقوال ممكن، فإنهم لم يكونوا بعيدين منهم لا زماناً ولا مكاناً ولا صفات.

ثم مزج الترهيب بالترغيب فقال: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ أي: أقلعوا عما أنتم فيه، وتوبوا إلى ربكم الرحيم الودود، فإنه من تاب إليه تاب عليه، فإنه رحيم بعباده، أرحم بهم من الوالده بولدها: ﴿وَدُودٌ﴾ وهو الحبيب، ولو بعد التوبة على=

= عبده ، ولو من الموبقات العظام. ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾.

رُوي عن ابن عباس وسعيد بن جبير والثوري أنهم قالوا: كان ضرير البصر. وقد رُوي في حديث مرفوع: أنه بكى من حب الله حتى عمي ، فرد الله عليه بصره ، وقال: «يا شعيب.. أتبكي خوفاً من النار؟ أو من شوقك إلى الجنة؟ فقال: بل من محبتك ، فإذا نظرت إليك فلا أبالي ماذا يصنع بي ، فأوحى الله إليه: هنيئاً لك يا شعيب لقائي ، فلذلك أخدمتك موسى بن عمران كليمي».

رواه الواحدي عن أبي الفتح محمد بن علي الكوفي ، عن علي بن الحسن بن بندار ، عن عبد الله محمد بن إسحاق الرملي ، عن هشام بن عمار ، عن إسماعيل بن عباس ، عن يحيىٰ بن سعيد ، عن شداد بن أوس ، عن النبي ﷺ بنحوه. وهو غريب جداً ، وقد ضعفه الخطيب البغدادي.

وقولهم: ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ هذا من كفرهم البليغ ، وعنادهم الشنيع ، حيث قالوا: ﴿مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾ أي: ما نفهمه ولا نعقله ، لأننا لا نحبه ولا نريده ، وليس لنا همة إليه ، ولا إقبال عليه. وهو كما قال كفار قريش لرسول الله ﷺ: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾.

وقولهم: ﴿وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ أي: مضطهداً مهجوراً ، ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ﴾ أي: قبيلتك وعشيرتك فينا ﴿لَرَجَمْنَٰكَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: تخافون قبيلتي وعشيرتي وترعونني بسببهم ، ولا تخافون عذاب الله؟ ولا تراعوني لأني رسول الله؟ فصار رهطي أعز عليكم من الله: ﴿وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾ أي: جانب الله وراء ظهوركم ﴿إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ أي: هو عليم بما تعملونه وما تصنعونه ، محيط بذلك كله ، وسيجزيكم عليه يوم ترجعون إليه.

﴿وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ وَٱرْتَقِبُوٓاْ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾. هذا أمر تهديد شديد ووعيد أكيد ، بأن يستمروا على طريقتهم ومنهجهم وشاكلتهم ، فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار ومن يحل عليه الهلاك والبوار: ﴿مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ أي في هذه الحياة الدنيا ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ أي في الآخرة ﴿وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ﴾ أي مني ومنكم فيما أخبر وبشر وحذر. ﴿وَٱرْتَقِبُوٓاْ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ هذا كقوله: ﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾.

﴿۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ =

= فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ .

طلبوا بزعمهم أن يردوا من آمن منهم إلى ملتهم ، فانتصب شعيب للمحاجة عن قومه فقال : ﴿أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾ أي هؤلاء لا يعودون إليكم اختياراً ، وإنما يعودون إليكم إن عادوا ، اضطراراً مكرهين ، وذلك لأن الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب لا يسخطه أحد ، ولا يرتد أحد عنه ، ولا محيد لأحد منه .

ولهذا قال : ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ﴾ أي فهو كافينا ، وهو العاصم لنا وإليه ملجؤنا في جميع أمورنا .

ثم استفتح على قومه ، واستنصر ربه عليهم في تعجيل ما يستحقونه إليهم فقال : ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ أي الحاكمين . فدعا عليهم ، والله لا يرد دعاء رسوله إذا استنصروه على الذين جحدوه وكفروه وخالفوه . ومع هذا صمموا على ما هم عليه مشتملون ، وبه متلبسون : ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾ .

[عقاب الله] :

قال الله تعالى : ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ ذكر في سورة الأعراف أنهم أخذتهم رجفة ، أي رجفت بهم أرضهم ، وزلزلت زلزالاً شديداً ، أزهقت أرواحهم من أجسادهم ، وصيّرت حيوان أرضهم كجمادها ، وأصبحت جثثهم جاثية ، لا أرواح فيها ولا حركات بها ، ولا حواس لها .

وقد جمع الله عليهم أنواعاً من العقوبات ، وصنوفاً من المثلات ، وأشكالاً من البليات وذلك لما اتصفوا به من قبيح الصفات ، سلط الله عليهم رجفة شديدة أسكتت الحركات وصيحة عظيمة أخمدت الأصوات وظلة أرسل عليهم منها شرر النار من سائر أرجائهم والجهات .

ولكنه تعالى أخبر عنهم في كل سورة بما يناسب سياقها ويوافق طباقها ، في سياق قصة الأعراف أرجفوا نبي الله وأصحابه ، وتوعدوهم بالإخراج من قريتهم ، أو ليعودون في ملتهم راجعين . فقال تعالى : ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ فقابل الإرجاف بالرجفة ، والإخافة بالخيفة ، وهذا مناسب لهذا السياق ومتعلق بما تقدمه من السياق .

وأما في سورة هود : فذكر أنهم أخذتهم الصيحة ، فأصبحوا في ديارهم جاثمين ، وذلك لأنهم قالوا لنبي الله على سبيل التهكم والاستهزاء والتنقص : ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ فناسب أن يذكر الصيحة التي هي كالزجر عن تعاطي هذا الكلام القبيح ، الذي واجهوا به هذا الرسول الكريم الأمين الفصيح ، فجاءتهم صيحة أسكتتهم مع رجفة أسكنتهم .

وأما في سورة الشعراء : فذكر أنه أخذهم عذاب يوم الظلة ، وكان ذلك إجابة لما طلبوا ، =

= وتقريباً إلى ما إليه رغبوا ، فإنهم قالوا: ﴿ إِنَّمَا أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ . قال الله تعالى وهو السميع العليم: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ .

ومن زعم من المفسرين كقتادة وغيره: أن أصحاب الأيكة أمة أخرى غير أهل مدين ، فقوله ضعيف. وإنما عمدتهم شيئان: أحدهما: أنه قال: ﴿ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾ ولم يقل أخوهم كما قال: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ . والثاني: أنه ذكر عذابهم بيوم الظلة، وذكر في أولئك الرجفة أو الصيحة.

والجواب عن الأول: أنه لم يذكر الأخوة بعد قوله: ﴿ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ لأنه وصفهم بعبادة الأيكة ، فلا يناسب ذكر الأخوة هاهنا ، ولما نسبهم إلى القبيلة ساغ ذكر شعيب بأنه أخوهم ، وهذا الفرق من النفائس اللطيفة العزيزة الشريفة.

وأما احتجاجهم بيوم الظلة ، فإن كان دليلاً بمجرده على أن هؤلاء أمة أخرى ، فليكن تعداد الانتقام بالرجفة والصيحة دليلاً على أنهم أمتان أخريان ، وهذا لا يقوله أحد يفهم شيئاً من هذا الشأن. فأما الحديث الذي أورده الحافظ ابن عساكر في ترجمة النبي شعيب عليه السلام ، من طريق محمد بن عثمان بن أبي شيبة ، عن أبيه ، عن معاوية بن هشام ، عن هشام بن سعد ، عن شقيق بن أبي هلال ، عن ربيعة بن سيف ، عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً: «إن قوم مدين وأصحاب الأيكة أمتان بعث الله إليهم شعيباً النبي عليه السلام». فإنه حديث غريب. وفي رجاله من تكلم فيه. والأشبه أنه من كلام عبد الله بن عمرو. مما أصابه يوم اليرموك من تلك الزاملتين من أخبار بني إسرائيل. . والله أعلم.

ثم قد ذكر الله عن أهل الأيكة من المذمة ما ذكره عن أهل مدين من التطفيف في المكيال والميزان ، فدل على أنهم أمة واحدة ، أهلكوا بأنواع من العذاب. وذكر في كل موضع ما يناسبه من الخطاب.

وقوله: ﴿ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ذكروا أنه أصابهم حر شديد ، وأسكن الله هبوب الهواء عنهم سبعة أيام ، فكان لا ينفعهم مع ذلك ماء ولا ظل ، ولا دخولهم في الأسراب ، فهربوا من محلتهم إلى البرية ، فأظلتهم سحابة ، فاجتمعوا تحتها ليستظلوا بظلها ، فلما تكاملوا فيها أرسلها الله ترميهم بشرر وشهب ، ورجفت بهم الأرض ، وجاءتهم صيحة من السماء ، فأزهقت الأرواح ، وأخرجت الأشباح.

﴿ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ ، ونجى الله شعيباً ومن معه من المؤمنين ، كما قال تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ . =

= وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ۝٩٠ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ۝٩١ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾، وهذا في مقابلة قولهم: ﴿لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾.

ثم ذكر تعالى عن نبيهم: أنه نعاهم إلى أنفسهم موبخاً ومؤنباً ومقرعاً، فقال تعالى: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾ أي أعرض عنهم مولياً عن محلتهم بعد هلكتهم قائلاً: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ أي قد أديت ما كان واجباً عليّ من البلاغ التام والنصح الكامل، وحرصت على هدايتكم بكل ما أقدر عليه وأتوصل إليه، فلم ينفعكم ذلك، لأن الله لا يهدي من ضل وما لهم من ناصرين، فلست أتأسف بعد هذا عليكم، لأنكم لم تكونوا تقبلون النصيحة، ولا تخافون يوم الفضيحة.

ولهذا قال: ﴿فَكَيْفَ ءَاسَىٰ﴾ أي أحزن ﴿عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾ أي لا يقبلون الحق ولا يرجعون إليه ولا يلتفتون إليه فحلَّ بهم من بأس الله الذي لا يرد ما لا يدفع ولا يمانع، ولا محيد لأحد أريد به عنه، ولا مناص عنه. وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في تاريخه عن ابن عباس: أن شعيباً عليه السلام كان بعد يوسف عليه السلام.

نبيُّ الله يُوسف
عليه السلام

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

[من الأمور العجيبة في حياة إسرائيل]:

وقد أنزل الله عز وجل في شأنه وما كان من أمره سورة من القرآن العظيم، ليُتدبر ما فيها من الحكم والمواعظ والآداب والأمر الحكيم. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [يوسف: ١ ـ ٣].

وجملة القول في هذا المقام: أنه تعالى يمدح كتابه العظيم الذي أنزله على عبده ورسوله الكريم، بلسان عربي فصيح، بيّن واضح جلي، يفهمه كل عاقل ذكي، فهو أشرف كتاب نزل من السماء، أنزله أشرف الملائكة على أشرف الخلق في أشرف زمان ومكان، بأفصح لغة وأظهر بيان.

فإن كان السياق في الأخبار الماضية أو الآتية أحسنها وأبينها وأظهر الحق مما اختلف الناس فيه، ودمغ الباطل وزيفه ورده. وإن كان في الأوامر والنواهي فأعدل الشرائع وأوضح المناهج، وأبين حكماً وأعدل حكماً، فهو كما قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا =

= ﴿وَعَدْلًا﴾ ، يعني صدقاً في الأخبار ، وعدلاً في الأوامر والنواهي .

ولهذا قال تعالى : ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ أي بالنسبة إلى ما أوحي إليك فيه .

كما قال تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ [الشورى : ٥٢ ـ ٥٣] .

وقال تعالى : ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا﴾ [طه : ٩٩ ـ ١٠١] .

يعني من أعرض عن هذا القرآن واتبع غيره من الكتب فإنه يناله هذا الوعيد . كما قال في الحديث المروي في المسند والترمذي عن أمير المؤمنين علي ، مرفوعاً وموقوفاً : «من ابتغى الهدى في غيره أضله الله» .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سريج بن النعمان ، حدثنا هشام ، أنبأنا خالد عن الشعبي ، عن جابر : أن عمر بن الخطاب أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب ، فقرأه على النبي ﷺ قال : فغضب وقال : «أتتهوكون فيها يا بن الخطاب؟ والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية . لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبونه أو بباطل فتصدقونه ، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيًّا ما وسعه إلا أن يتبعني» . إسناد صحيح [مسند أحمد ح ١٥١٥٨] .

ورواه أحمد من وجه آخر عن عمرو وفيه : فقال رسول الله ﷺ : «والذي نفسي بيده لو أصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم ، أنتم حظي من الأمم وأنا حظكم من النبيين» .

وقد أوردت طرق هذا الحديث وألفاظه في أول سورة يوسف . وفي بعضها : أن رسول الله ﷺ خطب الناس فقال في خطبته : «أيها الناس . . إني قد أوتيت جوامع الكلم وخواتيمه ، واختصر لي اختصاراً ، وقد أتيتكم بها بيضاء نقية فلا تتهوكوا ، ولا يغرنكم المتهوكون» ، ثم أمر بتلك الصحيفة فمحيت حرفاً حرفاً . [مسند أحمد/ ح ١٨٣٦٣] .

[حلم يوسف عليه السلام] :

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [يوسف : ٤ ـ ٦] .

قد قدمنا أن يعقوب كان له من البنين اثنا عشر ولداً ذكراً وسميناهم وإليهم تنسب أسباط بني إسرائيل كلهم ، وكان أشرفهم وأجلهم يوسف عليه السلام . وقد ذهب طائفة من العلماء إلى =

= أنه لم يكن فيهم نبي غيره ، وباقي إخوته لم يوح إليهم. وظاهر ما ذكر من فعالهم ومقالهم في هذه القصة يدل على هذا القول.

ومن استدل على نبوتهم بقوله: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ﴾ وزعم أن هؤلاء هم الأسباط فليس استدلاله بقوي ، لأن المراد بالأسباط شعوب بني إسرائيل وما كان يوجب فيهم من الأنبياء الذين ينزل عليهم الوحي من السماء. . والله أعلم.

ومما يؤيد أن يوسف عليه السلام هو المختص من بين إخوته بالرسالة والنبوة أنه ما نص على واحد من إخوته سواه ، فدل على ما ذكرناه. ويستأنس لهذا بما قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد ، حدثنا عبد الرحمن ، عن عبد الله بن دينار ، عن أبيه ، عن ابن عمر ، أن رسول الله ﷺ قال: «الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم». انفرد به البخاري ، فرواه عن عبد الله بن محمد وعبدة ، عن عبد الصمد بن عبد الوارث به. وقد ذكرنا طرقه في قصة إبراهيم بما أغنى عن إعادته هنا. . ولله الحمد والمنة. [انظر صحيح البخاري/ كتاب الأنبياء/ ح ٣٣٩٠] ومسند أحمد [ح ٧١٦].

قال المفسرون وغيرهم: رأى يوسف عليه السلام وهو صغير قبل أن يحتلم ، كأن أحد عشر كوكباً ، وهم إشارة إلى بقية إخوته ، والشمس والقمر وهما عبارة عن أبويه ، قد سجدوا له ، فهاله ذلك.

فلما استيقظ قصها على أبيه ، فعرف أبوه أنه سينال منزلة عالية ورفعة عظيمة في الدنيا والآخرة ، بحيث يخضع له أبوه وإخوته فيها ، فأمره بكتمانها وألا يقصها على إخوته ، كيلا يحسدوه ويبغوا له الغوائل ، ويكيدوه بأنواع الحيل والمكر ، وهذا يدل على ما ذكرناه.

ولهذا جاء في بعض الآثار: «استعينوا على قضاء حوائجكم بكتمانها ، فإن كل ذي نعمة محسود». وعند أهل الكتاب أنه قصها على أبيه وإخوته معاً ، وهو غلط منهم.

﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾ أي وكما أراك هذه الرؤيا العظيمة ، فإذا كتمتها ﴿يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾ أي يخصك بأنواع اللطف والرحمة ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ أي يفهمك من معاني الكلام وتعبير المنام ما لا يفهمه غيرك.

﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾ أي بالوحي إليك ﴿وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ أي بسببك ، ويحصل لهم بك خير الدنيا والآخرة. ﴿كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ﴾ أي ينعم عليك ويحسن إليك بالنبوة ، كما أعطاها أباك يعقوب ، وجدك إسحاق ، ووالد جدك إبراهيم الخليل ، ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾. لهذا قال رسول الله ﷺ لما سئل: أي الناس أكرم؟ قال: «يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله».

﴿۞ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ =

= عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٨ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ۝٩ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ [يوسف: ٧ ـ ١٠].

[التخلص من يوسف عليه السلام]:

ينبه تعالى على ما في هذه القصة من الآيات والحكم، والدلالات والمواعظ والبينات. ثم ذكر حسد إخوة يوسف له على محبة أبيه له ولأخيه ـ يعنون شقيقه لأمه بنيامين ـ أكثر منهم، وهم عصبة أي جماعة يقولون: فكنا نحن أحق بالمحبة من هذين ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ أي بتقديمه حبهما علينا.

ثم اشتوروا فيما بينهم في قتل يوسف، أو إبعاده إلى أرض لا يرجع منها، ليخلو لهم وجه أبيهم: أي لتتمحض محبته لهم وتتوفر عليهم، وأضمروا التوبة بعد ذلك.

فلما تمالؤوا على ذلك وتوافقوا عليه: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ﴾ أي المارة من المسافرين ﴿إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ ما تقولون لا محالة، فليكن هذا الذي أقول لكم، فهو أقرب حالاً من قتله أو نفيه وتغريبه.

فأجمعوا رأيهم على هذا، فعند ذلك ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ۝١١ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝١٢ قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ۝١٣ قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾ طلبوا من أبيهم أن يرسل معهم أخاهم يوسف، وأظهروا له أنهم يريدون أن يرعى معهم، وأن يلعب وينبسط وقد أضمروا له ما الله به عليم.

فأجابهم الشيخ، عليه من الله أفضل الصلاة والتسليم: يا بني.. يشق عليَّ أن أفارقه ساعة من النهار، ومع هذا أخشى أن تشغلوا في لعبكم وما أنتم فيه، فيأتي الذئب فيأكله، ولا يقدر على دفعه عنه لصغره وغفلتكم عنه.

﴿قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾ أي لئن عدا عليه الذئب فأكله من بيننا، أو اشتغلنا عنه حتى وقع هذا ونحن جماعة، إنا إذاً لخاسرون، أي عاجزون هالكون.

﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝١٥ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ۝١٦ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ۝١٧ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٥ ـ ١٨].

لم يزالوا بأبيهم حتى بعثه معهم، وأجمعوا على إلقائه في غيابة الجب، أي في قعره على راعونته، وهي الصخرة التي تكون في وسطه يقف عليها «الماتح» وهو الذي ينزل ليملأ الدلاء إذا قل الماء، والذي يرفعها بالحبل يسمى «الماتح». =

= فلما ألقوه فيه ، أوحى الله إليه: أنه لا بد لك من فرج ومخرج من هذه الشدة التي أنت فيها ، ولتخبرن إخوتك بصنيعهم هذا في حال أنت فيهم عزيز ، وهم محتاجون إليك خائفون منك ، ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ قال مجاهد وقتادة: وهم لا يشعرون بإيحاء الله إليه ذلك. وعن ابن عباس: ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ أي لتخبرنهم بأمرهم هذا في حال لا يعرفونك فيها ، رواه ابن جرير عنه.

فلما وضعوه فيه ورجعوا عنه ، أخذوا قميصه فلطخوه بشيء من دم ، ورجعوا إلى أبيهم عشاءً وهم يبكون ، أي على أخيهم. ولهذا قال بعض السلف: لا يغرنك بكاء المتظلم فرب ظالم وهو باك. وذكر بكاء إخوة يوسف وقد جاؤوا أباهم عشاءً يبكون ، أي في ظلمة الليل ، ليكون أمشى لغدرهم لا لعذرهم.

﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا ﴾ أي ثيابنا ﴿ فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ ﴾ أي في غيبتنا عنه في استباقنا. وقوله: ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾ أي ما أنت بمصدق لنا في الذي أخبرناك من أكل الذئب له ، ولو كنا غير متهمين عندك. فكيف وأنت تتهمنا في هذا؟ فإنك خشيت أن يأكله الذئب ، وضمنّا لك ألا يأكله لكثرتنا حوله ، فصرنا غير مصدقين عندك ، فمعذور أنت في عدم تصديقك لنا والحالة هذه.

﴿ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾ أي مكذوبٍ مفتعل ، فوضعوه على قميصه ، ليوهموه أنه أكله الذئب. قالوا: ونسوا أن يخرقوه ، وآفة الكذب النسيان! ولما ظهرت عليهم علائم الريبة لم يَرُجْ صنيعهم على أبيهم ، فإنه كان يفهم عداوتهم له ، وحسدهم إياه على محبته له من بينهم أكثر منهم ، لما كان يتوسم فيه من الجلالة والمهابة التي كانت عليه في صغره لما يريد الله أن يخصه به من نبوته. ولما راودوه عن أخذه فبمجرد ما أخذوه أعدموه ، وغيبوه عن عينيه ، وجاؤوا وهم يتباكون ، وعلى ما تمالؤوا يتواطؤون ؛ ولهذا: ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾.

[انتقاله من الجب إلى بيت عزيز مصر]:

﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾.

يخبر الله تعالى عن قصة يوسف حين وضع في الجب: أنه جلس ينتظر فرج الله ولطفه به ، فجاءت سيارة ، أي مسافرون ، فأرسلوا بعضهم ليستقوا من ذلك البئر ، فلما أدلى أحدهم دلوه تعلق فيه يوسف.

فلما رآه ذلك الرجل ﴿ قَالَ يَا بُشْرَى ﴾ أي يا بشارتي ﴿ هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً ﴾ أي أوهموا أنه=

= معهم غلام من جملة متجرهم ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ أي هو عالم بما تمالأ عليه إخوته ، وبما أسرَّه واجدوه من أنه بضاعة لهم ، ومع هذا لا يغيره تعالى ، لما له في ذلك من الحكمة العظيمة والقدر السابق والرحمة بأهل مصر ، بما يجري الله على يدي هذا الغلام الذي يدخلها في صورة أسير رقيق ، ثم بعد هذا يملكه أزمة الأمور وينفعهم الله به في دنياهم وأخراهم ، بما لا يحد ولا يوصف.

ولما استشعر إخوة يوسف بأخذ السيارة له لحقوهم ، وقالوا هذا غلامنا أبق منا ، فاشتروه منهم بثمن بخس ، أي قليل نزر ، وقيل: هو الزيف ، ﴿دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ۝٢٠ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ﴾ أي أحسني إليه ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ وهذا من لطف الله به ورحمته وإحسانه إليه ، بما يريد أن يؤهله له ويعطيه من خيري الدنيا والآخرة.

وقال ابن إسحاق عن أبي عبيدة ، عن ابن مسعود قال: أفرس الناس ثلاثة: عزيز مصر حيث قال لامرأته: ﴿أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ﴾ والمرأة التي قالت لأبيها عن موسى: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ وأبو بكر الصديق حين استخلف عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي وكما قيضنا هذا العزيز وامرأته يحسنان إليه ، ويعتنيان به ، مكنّا له في أرض مصر ﴿وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ أي فهمها ، وتعبير الرؤيا من ذلك ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾ أي إذا أراد شيئاً فإنه يقيض له أسباباً وأموراً لا يهتدي إليها العباد. ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ فدل على أن هذا كله كان وهو قبل بلوغ الأشد وهو حد الأربعين الذي يوحي الله فيه إلى عباده النبيين عليهم الصلاة والسلام من رب العالمين.

وقد اختلفوا في مدة العمر الذي هو بلوغ الأشد: فقال مالك وربيعة وزيد بن أسلم والشعبي: هو الحلم. وقال سعيد بن جبير: ثماني عشرة سنة. وقال الضحاك: عشرون سنة ، وقال عكرمة: خمس وعشرون سنة. وقال السدي: ثلاثون سنة وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة: ثلاث وثلاثون سنة وقال الحسن: أربعون سنة ، ويشهد له قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ [الأحقاف: ١٥].

محاولة امرأة العزيز الإغرائية:

﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٢٣ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٢٤ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٢٥ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن =

= نَفْسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَاۚ وَٱسْتَغْفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ﴾ [يوسف: ٢٣ ـ ٢٩].

يذكر تعالى ما كان من مراودة امرأة العزيز ليوسف عليه السلام عن نفسه وطلبها منه ما لا يليق بحاله ومقامه وهي في غاية الجمال والمال، والمنصب والشباب وكيف غلقت الأبواب عليها وعليه، وتهيأت له وتصنعت ولبست أحسن ثيابها وأفخر لباسها وهي مع هذا كله امرأة الوزير.

وهذا كله من أن يوسف عليه السلام شاب بديع الجمال والبهاء، إلا أنه نبي من سلالة الأنبياء، فعصمه ربه عن الفحشاء، وحماه عن مكر النساء، فهو سيد السادة النجباء، السبع الأتقياء، المذكورين في الصحيحين عن خاتم الأنبياء، في قوله عليه الصلاة والسلام من رب الأرض والسماء: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه، ورجل معلق قلبه بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل تصدق بصدقةٍ فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله» [صحيح البخاري/ ٦٦٠/ كتاب الأذان].

والمقصود أنها دعته إليها وحرصت على ذلك أشد الحرص، فقال: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ﴾ يعني زوجها صاحب المنزل، سيدي ﴿أَحْسَنَ مَثْوَايَۖ﴾ أي أحسن إليَّ وأكرم مقامي عنده ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ وقد تكلمنا على قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦۚ﴾ بما فيه كفاية ومقنع في التفسير.

وأكثر أقوال المفسرين هاهنا متلقى من كتب أهل الكتاب، فالإعراض عنه أولى بنا. والذي يجب أن يعتقد: أن الله تعالى عصمه وبرأه، ونزهه عن الفاحشة وحماه عنها وصانه منها، ولهذا قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾.

﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ﴾ أي هرب منها طالباً الباب ليخرج منه فراراً منها، فاتبعته في أثره ﴿وَأَلْفَيَا﴾ أي وجدا ﴿سَيِّدَهَا﴾ أي زوجها ﴿لَدَا ٱلْبَابِۚ﴾ فبدرته بالكلام وحرضته عليه ﴿قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ اتهمته وهي المتهمة، وبرأت عرضها، ونزهت ساحتها، فلهذا قال يوسف عليه السلام: ﴿هِيَ رَٰوَدَتْنِي عَن نَّفْسِيۚ﴾ احتاج إلى أن يقول الحق عند الحاجة.

[وشهد شاهد من أهلها]:

فقال: ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ أي لأنه يكون قد راودها فدافعته حتى قدَّت مقدم قميصه، ﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ أي =

= لأنه يكون قد هرب منها فاتبعته وتعلقت فيه فانشق قميصه لذلك ، وكذلك كان ، ولهذا قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾ أي هذا الذي جرى من مكركن ، أنت راودتيه عن نفسه ، ثم اتهمتيه بالباطل.
ثم أضرب بعلها عن هذا صفحاً فقال : ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ﴾ أي لا تذكره لأحد ، لأن كتمان مثل هذه الأمور هو الأليق والأحسن ، وأمرها بالاستغفار لذنبها الذي صدر منها والتوبة إلى ربها ، فإن العبد إذا تاب إلى الله تاب الله عليه.
﴿ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [يوسف : ٣٠ ـ ٣٤].
يذكر تعالى ما كان من قبل نساء المدينة ، من نساء الأمراء وبنات الكبراء في الطعن على امرأة العزيز وعيبها ، والتشنيع عليها في مراودتها فتاها ، وحبها الشديد له ، وهو لا يساوي هذا ، لأنه مولى من الموالي وليس مثله أهلاً لهذا. ولهذا قلن : ﴿ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ أي في وضعها الشيء في غير محله.
﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ ﴾ أي بتشنيعهن عليها والتنقص لها ، والإشارة إليها بالعيب والمذمة بحب مولاها وعشق فتاها ، فأظهرن ذمّاً وهي معذورة في نفس الأمر ، فلهذا أحبت أن تبسط عذرها عندهن ، وتبين أن هذا الفتى ليس كما حسبن ، ولا من قبيل ما لديهن. فأرسلت إليهن فجمعتهن في منزلها ، وأعتدت لهن ضيافة مثلهن ، وأحضرت من جملة ذلك شيئاً مما يقطع بالسكاكين ، كالأترج ونحوه ، وآتت كل واحدة منهن سكيناً ، وكانت قد هيأت يوسف عليه السلام ، وألبسته أحسن الثياب ، وهو في غاية طراوة الشباب ، وأمرته بالخروج عليهن بهذه الحالة ، فخرج وهو أحسن من البدر لا محالة.
﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ ﴾ أي أعظمنه وأجللنه وهبنه ، وما ظنن أن يكون مثل هذا في بني آدم ، وبهرهن حسنه حتى اشتغلن عن أنفسهن ، وجعلن يحززن في أيديهن بتلك السكاكين ولا يشعرن بالجراح ﴿ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾.
وقد جاء في حديث الإسراء : «فمررت بيوسف وإذا هو قد أعطي شطر الحسن». قال السهيلي وغيره من الأئمة : معناه أنه كان على النصف من حسن آدم عليه السلام ، لأن الله تعالى خلق آدم بيده ، ونفخ فيه من روحه. فكان في غاية نهايات الحسن البشري. ولهذا يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم وحسنه ، ويوسف كان على النصف من حسن آدم.
﴿ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ﴾ ثم مدحته بالعفة التامة فقالت : ﴿ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ =

= ﴿فَاسْتَعْصَمَ﴾ أي امتنع ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾ .

وكان بقية النساء حرضنه على السمع والطاعة لسيدته ، فأبى أشد الإباء ، ونأى لأنه من سلالة الأنبياء ، ودعا فقال في دعائه لرب العالمين : ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ يعني إن وكلتني إلى نفسي ، فليس لي من نفسي إلا العجز والضعف ، ولا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله. فأنا ضعيف إلا ما قويتني وعصمتني وحفظتني ، وحطتني بحولك وقوتك .

ولهذا قال تعالى : ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾[يوسف : ٣٤ ـ ٤١] .

[سجن يوسف عليه السلام] :

يذكر تعالى عن العزيز وامرأته أنه بدا لهم ، أي ظهر لهم من الرأي بعدما علموا براءة يوسف أن يسجنوه إلى وقت ، ليكون ذلك أقل لكلام الناس في تلك القضية ، وأحمد لأمرها ، وليظهروا أنه راودها عن نفسها فسجن بسببها ، فسجنوه ظلماً وعدواناً. وكان هذا مما قدر الله له ، ومن جملة ما عصمه به ، فإنه أبعد له عن معاشرتهم ومخالطتهم .

قال الله : ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ﴾ قيل : كان أحدهما ساقي الملك. فلما رأيا يوسف في السجن أعجبهما سمته وهديه ، ودله وطريقته ، وقوله وفعله ، وكثرة عبادته ربه ، وإحسانه إلى خلقه ، فرأى كل واحد منهما رؤيا تناسبه .

فقصاها عليه وطلبا منه أن يعبرها لهما وقالا : ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ فأخبرهما أنه عليم بتعبيرها ، خبير بأمرها ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا﴾ قيل معناه مهما رأيتما من حلم فإني أعبره لكم قبل وقوعه فيكون كما أقول. وقيل معناه : أني أخبركم بما يأتيكما من الطعام قبل مجيئه حلواً وحامضاً ، كما قال عيسى : ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾[آل عمران : ٤٩] .

وقال لهما : إن هذا من تعليم الله إياي ، لأني مؤمن به موحد له متبع ملة آبائي الكرام : إبراهيم الخليل ، وإسحاق ويعقوب. ﴿مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ =

عَلَيْنَا﴾ أي أن هدانا لهذا ، ﴿وَعَلَى ٱلنَّاسِ﴾ أي بأن أمرنا أن ندعوهم إليه ونرشدهم وندلهم عليه وهو في فطرهم مركوز ، وفي جبلتهم مغروز ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ .

ثم دعاهم إلى التوحيد وذم عبادة ما سوى الله عز وجل ، وصغّر أمر الأوثان وحقّرها ، وضعف أمرها فقال : ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ﴾ أي المتصرف في خلقه الفعال لما يريد ، الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ﴾ أي وحده لا شريك له و﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ أي المستقيم والصراط القويم ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي فهم لا يهتدون إليه مع وضوحه وظهوره .

وكانت دعوته لهما في هذه الحال في غاية الكمال ، لأن نفوسهما معظمة له ، منبعثة على تلقي ما يقول بالقبول ، فناسب أن يدعوهما إلى ما هو الأنفع لهما مما سألا عنه وطلبا منه . ثم لما قام بما وجب عليه وأرشد إلى ما أرشد إليه قال : ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ أي وقع هذا لا محالة ، ووجب كونه على كل حالة .

وقد روي عن ابن مسعود ومجاهد وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم أنهما قالا : لم نر شيئاً ، فقال لهما : ﴿ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ . ﴿ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ . يخبر تعالى أن يوسف قال للذي ظنه ناجياً منهما وهو الساقي : ﴿ ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ يعني اذكر أمري وما أنا فيه من السجن بغير جرم عند الملك . وفي هذا دليل على جواز السعي في الأسباب ، ولا ينافي ذلك التوكل على رب الأرباب .

﴿ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ﴾ أي فأنسى الناجي منهما الشيطان أن يذكر ما وصاه به يوسف عليه السلام . قال مجاهد ومحمد بن إسحاق وغير واحد : وهو الصواب ، وهو منصوص أهل الكتاب .

﴿ فَلَبِثَ﴾ يوسف ﴿ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ والبضع : ما بين الثلاث إلى التسع ، ومن قال إن الضمير في قوله : ﴿ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ﴾ عائد على يوسف فقد ضعف ما قاله ، وإن كان قد روي عن ابن عباس وعكرمة . والحديث الذي رواه ابن جرير في هذا الموضع ضعيف من كل وجه ، تفرد بإسناده إبراهيم بن يزيد الخوزي المكي وهو متروك . ومرسل الحسن وقتادة لا يقبل ، ولا هاهنا بطريق الأولى والأحرى . . والله أعلم .

[خروج يوسف من السجن] :

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا =

= ﴿فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [يوسف: ٤٣ ـ ٤٩].

هذا كان من جملة أسباب خروج يوسف عليه السلام من السجن على وجه الاحترام والإكرام، وذلك أن ملك مصر لما قصها على ملئه وقومه لم يكن فيهم من يحسن تعبيرها، بل ﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾ أي أخلاط أحلام من الليل، لعله لا تعبير لها، ومع هذا فلا خبرة لنا بذلك. ولهذا قالوا: ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ﴾ فعند ذلك تذكر الناجي منهما، الذي وصاه يوسف بأن يذكره عند ربه فنسيه إلى حينه هذا، وذلك عن تقدير الله عز وجل وله الحكمة في ذلك. فلما سمع رؤيا الملك، ورأى عجز الناس عن تعبيرها، تذكر أمر يوسف، وما كان أوصاه به من التذكار.

ولهذا قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ﴾ أي تذكر ﴿بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ أي بعد مدة من الزمن فقال لقومه وللملك: ﴿أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ أي فأرسلون إلى يوسف فجاءه فقال: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

فبذل يوسف عليه السلام ما عنده من العلم بلا تأخر ولا شرط، ولا طلب الخروج سريعاً، بل أجابهم إلى ما سألوه، وعبر لهم ما كان من منام الملك، الدال على وقوع سبع سنين من الخصب ويعقبها سبع جدب ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ﴾ يعني يأتيهم الغيث والخصب والرفاهية ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ يعني ما كانوا يعصرونه من الأقصاب والأعناب والزيتون والسمسم وغيرها.

فعبر لهم، وعلى الخير دلهم، وأرشدهم إلى ما يعتمدونه في حالتي خصبهم وجدبهم، وما يفعلونه من ادخار حبوب سني الخصب في السبع الأول في سنبله، إلا ما يرصد بسبب الأكل، ومن تقليل البذر في سني الجدب في السبع الثانية، إذ الغالب على الظن أنه لا يرد البذر من الحقل، وهذا يدل على كمال العلم وكمال الرأي والفهم.

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٠ ـ ٥٣].

لما أحاط الملك علماً بكمال علم يوسف عليه الصلاة والسلام، وتمام عقله، ورأيه السديد وفهمه، أمر بإحضاره إلى حضرته، ليكون من جملة خاصته. فلما جاءه الرسول بذلك، =

أحب ألا يخرج حتى يتبين لكل أحد أنه حبس ظلماً وعدواناً ، وأنه بريء الساحة مما نسبوه إليه بهتاناً. ﴿قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ يعني الملك ﴿فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ﴾ قيل معناه: إن سيدي العزيز يعلم براءتي مما نسب إليَّ ، أي فمر الملك فليسألهن: كيف كان امتناعي الشديد عند مراودتهن إياي؟ وحثهن لي على الأمر الذي ليس برشيد ولا سديد؟.

فلما سئلن عن ذلك اعترفن بما وقع من الأمر ، وما كان منه من الأمر الحميد ﴿قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ﴾. فعند ذلك ﴿قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ﴾ وهي زليخا ﴿ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ﴾ أي: ظهر وتبين ووضح ، والحق أحق أن يتبع ﴿أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ أي فيما يقوله ، ومن أنه بريء ، وأنه لم يراودني ، وأنه حُبس ظلماً وعدواناً ، وزوراً وبهتاناً.

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾ قيل: إنه من كلام يوسف ، أي إنما طلبت تحقيق هذا لِيعلم العزيز أني لم أخنه بظهر الغيب. وقيل: إنه من تمام كلام زليخا ، أي: إنما اعترفت بهذا ليعلم زوجي أني لم أخنه في نفس الأمر ، وإنما كان مراودة لم يقع معها فعل فاحشة.

وهذا القول هو الذي نصره طائفة من أئمةِ المتأخرين وغيرهم. ولم يحك ابن جرير وابن أبي حاتم سوى الأول. ﴿۞وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ قيل: إنه من كلام يوسف. وقيل: من كلام زليخا وهو مفرع على القولين الأولين وكونه من تمام كلام زليخا أظهر وأنسب وأقوىٰ ، والله أعلم.

[تولي يوسف وزارة المالية]:

﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يوسف: ٥٤ _ ٥٧].

لما ظهر للملك براءة عرضه ، ونزاهة ساحته عما كانوا أظهروا عنه مما نسبوه إليه ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ﴾ أي أجعله من خاصتي ، ومن أكابر دولتي ، ومن أعيان حاشيتي ، فلما كلمه وسمع مقاله وتبين حاله ﴿قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ﴾ أي ذو مكانة وأمانة.

﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾ طلب أن يوليه النظر فيما يتعلق بالأهرام لما يتوقع من حصول الخلل فيما بعد مضي سبع سني الخصب ، لينظر فيها بما يرضي الله في خلقه ، من الاحتياط لهم والرفق بهم ، وأخبر الملك أنه حفيظ ، أي قوي على حفظ ما لديه أمين عليه ، عليم بضبط الأشياء ومصالح الأهرام. وفي هذا دليل على جواز طلب الولاية لمن علم من نفسه الأمانة والكفاءة.

قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ﴾ أي بعد السجن والضيق والحصر، صار مطلق الركاب بديار مصر، ﴿ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ﴾ أي أين شاء حل منها مكرماً محسوداً معظماً.

﴿ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ أي هذا كله من جزاء الله وثوابه للمؤمن مع ما يدخر له في آخرته من الخير الجزيل والثواب الجميل. ولهذا قال: ﴿ وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾.

[التقاء يوسف بإخوته]:

﴿ وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [يوسف: ٥٨ ـ ٦٢].

يخبر تعالى عن قدوم إخوة يوسف عليه السلام إلى الديار المصرية يمتارون طعاماً، وذلك بعد إتيان سني الجدب وعمومها على سائر العباد والبلاد. وكان يوسف عليه السلام إذ ذاك الحاكم في أمور الديار المصرية ديناً ودنياً. فلما دخلوا عليه عرفهم ولم يعرفوه، لأنه لم يخطر ببالهم ما صار إليه يوسف عليه السلام من المكانة والعظمة، فلهذا عرفهم وهم له منكرون.

قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ ﴾ أي أعطاهم من الميرة ما جرت به عادته، من إعطاء كل إنسان حمل بعير لا يزيده عليه ﴿ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ﴾ وكان قد سألهم عن حالهم، وكم هم؟ فقالوا: كنا اثني عشر رجلاً، فذهب منا واحد وبقي شقيقه عند أبينا. فقال: إذا قدمتم من العام المقبل فائتوني به معكم.

﴿ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴾؟ أي قد أحسنت نزلكم وقراكم، فرغبهم ليأتوه به ثم رهبهم إن لم يأتوه به فقال: ﴿ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴾ أي فلست أعطيكم ميرة، ولا أقريكم بالكلية، عكس ما أسدى إليهم أولاً. فاجتهد في إحضاره معهم ليبل شوقه منه بالترغيب والترهيب.

﴿ قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ ﴾ أي سنجتهد في مجيئه معنا وإتيانه إليك بكل ممكن، ﴿ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴾ أي وإنا لقادرون على تحصيله. ثم أمر فتيانه أن يضعوا بضاعتهم وهي ما جاؤوا به يتعوضون به عن الميرة في أمتعتهم من حيث لا يشعرون بها ﴿ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾.

﴿ فَلَمَّا رَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ۖ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ =

أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٦٣ ـ ٦٨].

يذكر تعالى ما كان من أمرهم بعد رجوعهم إلى أبيهم وقولهم له: ﴿مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ﴾ أي بعد عامنا هذا إن لم ترسل معنا أخانا، فإن أرسلته معنا لم يمنع منا. ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي﴾ أي شيء نريد وقد ردّت إلينا بضاعتنا؟ ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾ أي نمتار لهم ونأتيهم بما يصلحهم في سنتهم ومحلهم، ﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ﴾ بسببه ﴿كَيْلَ بَعِيرٍ﴾. قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ أي في مقابلة ذهاب ولده الآخر.

وكان يعقوب عليه السلام أضن شيء بولده بنيامين، لأنه كان يشم فيه رائحة أخيه ويتسلى به عنه، ويتعوض بسببه منه. فلهذا قال: ﴿لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾ أي إلا أن تغلبوا كلكم عن الإتيان به. ﴿فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾.

أكد المواثيق وقرر العهود، واحتاط لنفسه في ولده، ولن يغني حذر من قدر! ولولا حاجته وحاجة قومه إلى الميرة، لما بعث الولد العزيز، ولكن الأقدار لها أحكام، والرب تعالى يقدر ما يشاء ويختار ما يريد، ويحكم ما يشاء وهو الحكيم العليم.

ثم أمرهم ألا يدخلوا المدينة من باب واحد، ولكن ليدخلوا من أبواب متفرقة. وقيل: أراد ألا يصيبهم أحد بالعين، وذلك لأنهم كانوا أشكالاً حسنة وصوراً بديعة. قاله ابن عباس ومجاهد ومحمد بن كعب وقتادة والسدي والضحاك.

وقيل: أراد أن يتفرقوا لعلهم يجدون خبراً ليوسف أو يحدثون عنه بأثر. قاله إبراهيم النخعي، والأول أظهر. ولهذا قال: ﴿وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾. وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ

﴿كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ۝٧٦ ۞ قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ۝٧٧ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٧٨ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ﴾ [يوسف: ٦٨ ـ ٧٩].

يذكر تعالى ما كان من أمرهم حين دخلوا بأخيهم بنيامين على شقيقه يوسف، وإيوائه إليه، وإخباره له سراً عنهم بأنه أخوه، وأمره بكتم ذلك عنهم، وسلاه عما كان منهم من الإساءة إليه.

ثم احتال على أخذه منهم وتركه إياه عنده دونهم، فأمر فتيانه بوضع سقايته، وهي التي كان يشرب بها ويكيل بها للناس الطعام، عن غرة في متاع بنيامين، ثم أعلمهم بأنهم قد سرقوا صواع الملك، ووعدهم جعالة على رده، حمل بعير، وضمنه المنادي لهم. فأقبلوا على من اتهمهم بذلك فأنّبوه وهجّنوه فيما قاله لهم: ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ﴾ يقولون: أنتم تعلمون منا خلاف ما رميتمونا به من السرقة.

﴿قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ۝٧٤ قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وهذه كانت شريعتهم: أن السارق يدفع إلى المسروق منه. ولهذا قالوا: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

قال الله تعالى: ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ﴾ ليكون ذلك أبعد للتهمة وأبلغ في الحيلة، ثم قال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾ أي لولا اعترافهم بأن جزاءه من وجد في رحله فهو جزاؤه، لما كان يقدر يوسف على أخذه منهم في سياسة ملك مصر ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ﴾ أي في العلم ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾.

وذلك لأن يوسف كان أعلم منهم، وأتم رأياً وأقوى عزماً وحزماً، وإنما فعل ما فعل عن أمر الله له في ذلك، لأنه يترتب على هذا الأمر مصلحة عظيمة بعد ذلك، من قدوم أبيه وقومه عليه ووفودهم إليه.

فلما عاينوا استخراج الصواع من حمل بنيامين ﴿۞ قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ﴾ يعنون يوسف.

﴿۞ قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ﴾ وهي كلمته بعدها، وقوله ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ أجابهم سراً لا جهراً، حلماً وكرماً وصفحاً وعفواً، فدخلوا معه في الترفق والتعطف فقالوا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٧٨ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ﴾ أي إن أطلقنا المتهم وأخذنا البريء، وهذا ما لا نفعله ولا نسمح به، وإنما نأخذ من وجدنا متاعنا عنده.

﴿ فَلَمَّا اسْتَيْئَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ارْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٨١﴾ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [يوسف: ٨٠ ـ ٨٧]

يقول تعالى مخبراً عنهم لما استيأسوا من أخذه منه: خلصوا يتناجون فيما بينهم، قال كبيرهم: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ ﴾ لتأتنني به إلا أن يحاط بكم؟ لقد أخلفتم عهده، وفرطتم فيه كما فرطتم في أخيه يوسف من قبله، فلم يبق لي وجه أقابله ﴿ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ ﴾ أي لا أزال مقيماً هاهنا ﴿ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي ﴾ في القدوم عليه، ﴿ أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي ﴾ بأن يقدرني على رد أخي إلى أبي ﴿ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾.

﴿ ارْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ ﴾ أي أخبروه بما رأيتم من الأمر في ظاهر مشاهد ﴿ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٨١﴾ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾ أي فإن هذا الذي أخبرناك به ـ من أخذهم أخانا لأنه سرق ـ أمر اشتهر بمصر وعلمه من مع العير التي كنا نحن وهم هناك ﴿ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾.

﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ أي ليس الأمر كما ذكرتم، لم يسرق، فإنه ليس سجية له ولا خلقة. وإنما ﴿ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾.

ثم قال: ﴿ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ ﴾ أي بحالي وما أنا فيه من فراق الأحبة ﴿ الْحَكِيمُ ﴾ فيما يقدره ويفعله، وله الحكمة البالغة والحجة القاطعة. ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ ﴾ أي أعرض عن بنيه: ﴿ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾ ذكره حزنه الجديد بالحزن القديم، وحرك ما كان كامناً.

وقوله: ﴿ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ ﴾ أي من كثرة البكاء، ﴿ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ أي مكظم من كثرة حزنه وأسفه وشوقه إلى يوسف. فلما رأى بنوه ما يقاسيه من الوجد وألم الفراق ﴿ قَالُوا ﴾ له على وجه الرحمة والرأفة والحرص عليه: ﴿ تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴾. يقولون: لا تزال تتذكره حتى ينحل جسدك وتضعف قوتك، فلو رفقت بنفسك كان أولى بك.

﴿ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ يقول لبنيه: لست أشكو إليكم ولا إلى أحد من الناس ما أنا فيه، إنما أشكوه إلى الله عز وجل، وأعلم أن الله سيجعل=

= لي مما أنا فيه فرجاً ومخرجاً ، وأعلم أن رؤيا يوسف لا بد أن تقع ، ولا بد أن أسجد له أنا وأنتم حسب ما أرى . ولهذا قال : ﴿ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .
ثم قال لهم محرضاً على تطلب يوسف وأخيه ، وأن يبحثوا عن أمرهما : ﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ أي لا تيأسوا من الفرج بعد الشدة ، فإنه لا ييأس من روح الله وفرجه ، وما يقدره من المخرج في المضايق ، إلا القوم الكافرون .
﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [يوسف : ٨٨ ـ ٩٣] .
يخبر تعالى عن رجوع إخوة يوسف إليه وقدومهم عليه ، ورغبتهم فيما لديه من الميرة ، والصدقة عليهم برد أخيهم بنيامين إليهم : ﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ ﴾ أي من الجدب وضيق الحال وكثرة العيال ، ﴿ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ ﴾ أي ضعيفة لا يقبل مثلها منا إلا أن تتجاوز عنا ﴿ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴾ .
فلما رأى ما هم فيه من الحال ، وما جاؤوا به مما لم يبق عندهم سواه من ضعيف المال ، تعرف إليهم وعطف عليهم ، قائلاً لهم عن أمر ربه وربهم ، وقد حسر عن جبينه الشريف ، وما يحويه من الحال الذي يعرفون فيه : ﴿ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴾ .
﴿ قَالُوٓاْ ﴾ وتعجبوا كل العجب ، وقد ترددوا إليه مرارا عديدة ، وهم لا يعرفون أنه هو ﴿ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ﴾ .
﴿ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ﴾ يعني أنا يوسف الذي صنعتم معه ما صنعتم ، وسلف من أمركم فيه ما فرطتم . وقوله : ﴿ وَهَٰذَآ أَخِى ﴾ تأكيد لما قال ، وتنبيه على ما كانوا أضمروا لهما من الحسد ، وعملوا في أمرهما من الاحتيال . ولهذا قال : ﴿ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ﴾ أي بإحسانه إلينا وصدقته علينا ، وإيوائه لنا وشده معاقد عزنا ، وذلك بما أسلفنا من طاعة ربنا ، وصبرنا على ما كان منكم ، وطاعتنا وبرنا لأبينا ، ومحبته الشديدة لنا ، وشفقته علينا ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ .
﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا ﴾ أي فضلك وأعطاك ما لم يعطنا ﴿ وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴾ أي فيما أسدينا إليك ، وها نحن بين يديك . ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ﴾ أي لست أعاتبكم على ما كان منكم بعد يومكم هذا . ثم زادهم على ذلك فقال : ﴿ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ ومن زعم أن الوقف على قوله ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ﴾ وابتدأ بقوله : =

﴿ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ﴾ فقوله ضعيف والصحيح الأول .

ثم أمرهم بأن يذهبوا بقميصه ، وهو الذي يلي جسده ، فيضعوه على عيني أبيه ، فإنه يرجع إليه بصره بعدما كان ذهب ، بإذن الله ، وهذا من خوارق العادات ودلائل النبوات وأكبر المعجزات . ثم أمرهم أن يتحملوا بأهلهم أجمعين إلى ديار مصر ، إلى الخير والدعة وجمع الشمل بعد الفرقة ، على أكمل الوجوه وأعلى الأمور .

﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ أَلۡقَىٰهُ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗاۖ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [يوسف : ٩٤ ـ ٩٨] .

قال عبد الرزاق : أنبأنا إسرائيل ، عن أبي سنان ، عن عبد الله بن أبي الهذيل ، سمعت ابن عباس يقول : ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ ﴾ قال : لما خرجت العير هاجت ريح ، فجاءت يعقوب بريح قميص يوسف فقال : ﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴾ قال : فوجد ريحه من مسيرة ثلاثة أيام . وكذا رواه الثوري وشعبة وغيرهم عن أبي سنان به . وقال الحسن البصري وابن جريج المكي : كان بينهما مسيرة ثمانين فرسخاً ، وكان له منذ فارقه ثمانون سنة .

وقوله : ﴿ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴾ أي تقولون : إنما قلت هذا من الفند ، وهو الخرف وكبر السن . قال ابن عباس وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة ﴿ تُفَنِّدُونِ ﴾ تسفهون .

وقال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ أَلۡقَىٰهُ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗاۖ ﴾ أي بمجرد ما جاء ألقى القميص على وجه يعقوب فرجع من فوره بصيراً بعدما كان ضريراً . وقال لبنيه عند ذلك : ﴿ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ أي أعلم أن الله سيجمع شملي بيوسف ، وسيقر عيني به ، وسيريني فيه ومنه ما يسرني .

فمنذ ذلك : ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴾ طلبوا منه أن يستغفر لهم الله عز وجل عما كانوا فعلوا ونالوا منه ومن ابنه ، وما كانوا عزموا عليه ، ولما كان من نيتهم التوبة قبل الفعل وفقهم الله للاستغفار عند وقوع ذلك منهم ، فأجابهم أبوهم إلى ما سألوا ، وما عليه عولوا فقال : ﴿ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ .

[يوسف وأبواه] :

﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ۞ رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [يوسف : ٩٩ ـ ١٠١]

هذا إخبار عن حال اجتماع المتحابين بعد الفرقة الطويلة .

ذكر يعقوب وأولاده

ثم خبره تعالى عن إخوة يوسف ومجيئهم إلى أبيه عشاءً يبكون ، يذكرون له

= وظاهر سياق القصة يرشد إلى تحديد المدة تقريباً ، فإن المرأة راودته وهو شاب فامتنع ، فكان في السجن بضع سنين ، ثم أخرج فكانت سنوات الخصب السبع ، ثم لما أمحل الناس في السبع البواقي ، جاء إخوته يمتارون في السنة الأولى وحدهم ، وفي الثانية ومعهم أخوه بنيامين ، وفي الثالثة تعرف إليهم وأمرهم بإحضار أهليهم أجمعين ، فجاؤوا كلهم.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾ واجتمع بهما خصوصاً وحدهما دون إخوته ، ﴿وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ .

قال الله تعالى : ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ .

ورفعهما على العرش ، أي أجلسهما معه على سريره : ﴿وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا﴾ أي سجد له الأبوان والإخوة الأحد عشر ، تعظيماً وتكريماً وكان هذا مشروعاً لهم ، ولم يزل ذلك معمولاً به في سائر الشرائع حتى حرم في ملتنا.

﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ﴾ أي هذا تعبير ما كنت قصصته عليك : من رؤيتي الأحد عشر كوكباً والشمس والقمر ، حين رأيتهم لي ساجدين ، وأمرتني بكتمانها ، ووعدتني ما وعدتني عند ذلك ﴿قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ﴾ أي بعد الهم والضيق ، جعلني حاكماً نافذ الكلمة في الديار المصرية حيث شئت ﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾ أي البادية. وكانوا يسكنون أرض العربات من بلاد الخليل ﴿مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ﴾ أي فيما كان منهم من الأمر الذي تقدم وسبق ذكره.

ثم قال : ﴿إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ﴾ أي إذا أراد شيئاً هيَّأ أسبابه ، ويسرها وسهلها من وجوه لا يهتدي إليها العباد ، بل يقدرها وييسّرها بلطيف صنعه وعظيم قدرته. ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾ بالأمور ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في خلقه وشرعه وقدره.

ثم لما رأى يوسف عليه السلام نعمته قد تمت ، وشمله قد اجتمع ، وعرف أن هذه الدار لا يقر بها قرار ، وأن كل شيء فيها ومن عليها فان ، وما بعد التمام إلا النقصان ، فعند ذلك أثنى على ربه بما هو أهله ، واعترف له بعظيم إحسانه وفضله ، وسأل منه ـ وهو خير المسؤولين ـ أن يتوفاه ، أي حين يتوفاه على الإسلام ، وأن يلحقه بعباده الصالحين ، وهكذا كما يقال في الدعاء : «اللهم أحينا مسلمين وتوفنا مسلمين» أي حين تتوفانا. اهـ كلام ابن كثير بتصرف.

أن يوسف أكله الذئب، وقول والدهم: ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾[١]. (١ : ٣٣٣).

ثم خبّره جلّ جلاله عن مجيء السيارة، وإرسالهم واردهم، وإخراج الوارد يوسف وإعلامه أصحابه به بقوله: ﴿ يَـٰبُشْرَىٰ هَـٰذَا غُلَـٰمٌ ﴾ يبشرهم[٢]. (١ : ٣٣٣).

وتحدث النساء بأمر يوسف وأمر امرأة العزيز بمصر ومراودتها إياه على نفسها فلم ينكتم، وقلن: ﴿ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ﴾ قد وصل حبّ يوسف إلى شغاف قلبها فدخل تحته حتى غلب على قلبها. وشغاف القلب: غلافه وحجابه[٣]. (١ : ٣٤٠).

حدثني سليمان بن عبد الجبار، قال: حدثنا محمد بن الصلت، قال: حدثنا أبو كُدَيْنَة، عن حُصَين، عن مجاهد، عن ابن عباس: ﴿ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا ﴾، قال: أعطتهن أترُجّاً، وأعطت كلَّ واحدة منهن سكيناً.

فلما فعلت امرأةُ العزيز ذلك بهنّ، وقد أجلست يوسف في بيت ومجلس غير المجلس الذي هنَّ فيه جلوس، قالت ليوسف: ﴿ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ﴾، فخرج يوسف عليهنّ، فلما رأينه أجللنه وأكبرنه وأعظمنه، وقطّعن أيديهن بالسكاكين التي في أيديهنَّ، وهن يحسبن أنهنَّ يقطعن بها الأترجَّ، وقلن: معاذ الله ما هذا إنس، ﴿ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾. فلما حلَّ بهنَّ ما حلَّ من قطع أيديهن من أجل نظرة نظرنها إلى يوسف وذهاب عقولهنَّ، وعرفتهنَّ خطأ قيلهنَّ: ﴿ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ﴾، وإنكارهنّ ما أنكرن من أمرها أقرّت عند ذلك لهنَّ بما كان من مراودتها إياه على نفسها، فقالت: ﴿ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ﴾ بعد ما حلّ سراويله[٤]. (١ : ٣٤٠/ ٣٤١).

حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا عمرو بن محمد، عن أسباط، عن السديِّ: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ﴾ من الزنى، واستغاث بربه عزّ وجلَّ

---

(١) صحيح.
(٢) صحيح.
(٣) صحيح.
(٤) صحيح.

فقال: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾. فأخبر الله عزّ وجلّ أنه استجاب له دعاءه، فصرَف عنه كيدهنّ ونجاه من ركوب الفاحشة، ثم بدا للعزيز من بَعْد ما رأى من الآيات ما رأى من قَدِّ القميص من الدُّبر، وخمش في الوجه، وقطع النسوة أيديهنَّ وعلمه ببراءة يوسف مما قُرف به في ترك يوسف مطلقاً[1]. (١ : ٣٤١).

فقيل: كان إحسانه ما حدثنا به إسحاق بن أبي إسرائيل، قال: حدثنا خلف بن خليفة، عن سلمة بن نبيط، عن الضحاك قال: سأل رجل الضحاك عن قوله: ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾: ما كان إحسانه؟ قال: كان إذا مرض إنسان في السجن قام عليه، وإذا احتاج جمع له، وإذا ضاق عليه المكان وَسَّع له، فقال لهما يوسف: ﴿لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ﴾ في يومكما هذا ﴿إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ في اليقظة. فكره صلى الله عليه أن يعبِّر لهما ما سألاه عنه، وأخذ في غير الذي سألا عنه لما في عبارة ما سألا عنه من المكروه على أحدهما فقال: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾[2]. (١ : ٣٤٣).

حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا ابن فضيل، عن عمارة - يعني ابن القعقاع - عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله، في الفتيين اللذين أتيا يوسف في الرؤيا إنما كانا تحالما ليختبراه، فلما أوّل رؤياهما قالا: إنما كنا نلعب فقال: ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ ثم قال لـ «نبو» - وهو الذي ظن يوسف أنه ناج منهمَا -: ﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ يعني عند الملك، وأخبره أني محبوس ظلْماً، ﴿فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾، غفلة عرضت ليوسف من قبَل الشيطان[3]. (١ : ٣٤٣/ ٣٤٤).

فحدثنا بشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، ﴿أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ﴾ فالسمان المخاصيب، والبقرات العجاف هُنَّ السنون المحول الجدوب. قوله: ﴿وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ﴾ أما الخضر

---

(١) صحيح.
(٢) صحيح.
(٣) صحيح.

فهنَّ السنون المخاصيب، وأما اليابسات فهن الجدوب المحول[١]. (١ : ٣٤٥).

فلما أخبر يوسف نبو بتأويل ذلك، أتى نبو الملك، فأخبره بما قال له يوسف، فعلم الملك أنَّ الذي قال يوسف من ذلك حقّ، قال: ائتوني به.

فحدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا عمرو، عن أسباط، عن السديّ، قال: لما أتى الملك رسوله فأخبره، قال: ائتوني به، فلما أتاه الرسول ودعاه إلى الملك أبى يوسف الخروج معه، وقال: ﴿ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ﴾[٢]. (١ : ٣٤٥/ ٣٤٦).

قال السديّ: قال ابن عباس: لو خرج يوسف يومئذ قبل أن يعلم الملك بشأنه ما زالت في نفس العزيز منه حاجة، يقول: هذا الذي راود امرأتي. فلما رجع الرسول إلى الملك من عند يوسف جمع الملك أولئك النسوة، فقال لهنَّ: ما خطبكنَّ إذ راودتنّ يوسف عن نفسه! قلن - فيما حدثنا ابن وكيع، قال: حدَّثنا عمرو، عن أسباط، عن السديّ قال: لما قال الملك لهنَّ: ﴿ مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ ﴾؛ ولكن امرأة العزيز أخبرتنا أنها راودته عن نفسه، ودخل معها البيت، فقالت امرأة العزيز حينئذ: ﴿ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾. فقال يوسف: ذلك هذا الفعل الذي فعلت من ترديدي رسول الملك بالرسالات التي أرسلت في شأن النسوة، ليعلم أطفير سيدي ﴿ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾ في زوجته راعيل، ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴾[٣]. (١ : ٣٤٦).

فلما تبين للملك عذرُ يوسف وأمانته قال: ﴿ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا ﴾ أُتِي به ﴿ كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ﴾. فقال يوسف للملك: ﴿ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ ﴾[٤]. (١ : ٣٤٧).

فحدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله:

---

(١) صحيح.
(٢) صحيح.
(٣) معنى هذا التفسير صحيح إلا أن الأسماء (أطفير، وراعيل) لم ترد في خبر صحيح.
(٤) صحيح.

﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ قال: كان لفرعون خزائن كثيرة غير الطعام ، فسلَّم سلطانه كلَّه إليه ، وجعل القضاء إليه أمره ، وقضاؤه نافذ[١] . (١ : ٣٤٧) .

حدثنا ابن وكيع ، قال: حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُ﴾ قال: استعمله الملك على مصر ، وكان صاحبَ أمرها ، وكان يلي البيع والتجارة وأمرها كله ، فذلك قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُ﴾ . فلما ولي يوسف للملك خزائن أرضه واستقرَّ به القرار في عمله، ومضت السنون السبع المخصبة التي كان يوسف أمرَ بترك ما في سنبل ما حصدوا من الزرع فيها فيه، ودخلت السنون المجدبة وقَحط الناس، أجدبت بلاد فلسطين فيما أجدب من البلاد، ولحق مكروه ذلك آل يعقوب في موضعهم الذي كانوا فيه، فوجه يعقوب بنيه[٢] . (١ : ٣٤٧/ ٣٤٨) .

وحدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال: كان يوسف حين رأى ما أصاب الناسَ من الجهد قد آسى بينهم ، فكان لا يحمّل للرجل إلا بعيراً واحداً ، ولا يحمّل الواحد بعيريْن تقسيطاً بين الناس ، وتوسيعاً عليهم ، فقدم عليه إخوتُه فيمن قدم عليه من الناس يلتمسون الميرة من مصر ، فعرفهم وهم له منكرون لما أراد الله تعالى أن يبلغ بيوسف فيما أراد. ثم أمر يوسف بأن يوقِر لكلّ رجل من إخوته بعيرَه ، فقال لهم: ائتوني بأخيكم من أبيكم ، لأحمِّل لكم بعيراً آخر ، فتزدادوا به حمل بعير: ﴿أَلَا تَرَوۡنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ﴾ فلا أبخسه أحداً ، ﴿وَأَنَا۠ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ﴾ . وأنا خيرُ من أنزل ضيفاً على نفسه من الناس بهذه البلدة ، فأنا أضيفكم ﴿فَإِن لَّمۡ تَأۡتُونِي﴾ بأخيكم من أبيكم فلا طعامَ لكم عندي أكيله ، ولا تقربوا بلادي. وقال لفتيانه الذين يكيلون الطعام لهم: ﴿ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ﴾ وهي ثمن الطعام الذي اشتروه به ﴿فِي رِحَالِهِمۡ﴾[٣] . (١ : ٣٤٩) .

حدثنا بشر ، قال: حدثنا يزيد بن زريع ، قال: حدثنا سعيد ، عن قتادة:

---

(١) صحيح .

(٢) صحيح .

(٣) إسناده ضعيف ومعناه صحيح في تفسيره للآيات .

﴿ ٱجْعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ ﴾ ، أي وَرقهم ، فجعلوا ذلك في رحالهم وهم لا يعلمون[١] . (١ : ٣٤٩) .

فقال يعقوب : ﴿ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ﴾ يقول : إلا أن تهلكوا جميعاً ، فيكون حينئذ ذلك لكم عذراً عندي ، فلما وثقوا له بالإيمان قال يعقوب : ﴿ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾[٢] . (١ : ٣٥١) .

ثم أوصاهم بعد ما أذن لأخيهم من أبيهم بالرحيل معهم ، ألاّ تدخلوا من باب واحد من أبواب المدينة خوفاً عليهم من العين ، وكانوا ذوي صورة حسنة ، وجمال وهيئة ، وأمرهم أن يدخلوا من أبواب متفرّقة ، كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : ﴿ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ﴾ ، قال : كانوا قد أوتوا صورة وجمالاً ، فخشي عليهم أنفس الناس ، فقال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ﴾ ، وكانت الحاجة التي في نفس يعقوب فقضاها ما تخوَّف على أولاده أعينَ الناس لهيئتهم وجمالهم[٣] . (١ : ٣٥١) .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : حدثنا عفان ، قال : حدثنا عبد الواحد ، عن يونس ، عن الحسن أنه كان يقول : الصُّوَاع والسقاية سواء ، هما الإناء الذي يشرب فيه ، وجعل ذلك في رَحْل أخيه ، والأخ لا يشعر فيما ذكر[٤] . (١ : ٣٥٢) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السديّ : ﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ﴾ ، والأخ لا يشعر ، فلما ارتحلوا أذَّن مؤذن قبل أن ترتحل العير : ﴿ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴾[٥] . (١ : ٣٥٢) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السديّ ، قال :

---

(١) صحيح .
(٢) صحيح .
(٣) صحيح .
(٤) صحيح .
(٥) صحيح .

﴿ قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُواْ ﴾ تأخذونه؛ فهو لكم. فبدأ يوسف بأوعية القوم قبل وعاء أخيه بنيامين، ففتَّشها ثم استخرجها من وعاء أخيه لأنه أخَّر تفتيشه[١]. (١: ٣٥٣/ ٣٥٤).

حدثنا الحسن بن محمد، قال: حدثنا شبابة، قال: حدثنا ورقاء، عن ابن أبي نَجيح، عن مجاهد: قوله: ﴿ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ ﴾ إلا بعلَّة كادها الله له، فاعتلَّ بها يوسف، فقال إخوة يوسف حينئذٍ: ﴿ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ﴾ يعنون بذلك يوسف[٢]. (١: ٣٥٤).

فلما رجعوا إلى أبيهم فأخبروه خبر بنيامين، وتخلَّف روبيل قال لهم: بل سَوَّلتْ لكم أنفسكم أمراً أردتموه، فصبرٌ جميل لا جزع فيه على ما نالني من فقد ولدي، عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً بيوسف وأخيه وروبيل.

ثم أعرض عنهم يعقوب وقال: ﴿ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾ يقول الله عزّ وجلّ: ﴿ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾، مملوء من الحزن والغيظ. فقال له بنوه الذين انصرفوا إليه من مصر حين سمعوا قوله ذلك: تالله لا تزال تذكر يوسف فلا تفتر من حبّه وذكره حتى تكون دنفَ الجسم، مخبولَ العقل من حبّه وذكره، هرِماً بالياً أو تموت!

فأجابهم يعقوب فقال: إنما أشكو بثي وحزني إلى الله لا إليكم، وأعلم من الله ما لا تعلمون من صدق رؤيا يوسف؛ أنَّ تأويلها كائن، وأني وأنتم سنسجد له[٣]. (١: ٣٥٧).

حدثنا ابن وكيع قال: حدثنا عمرو، عن أسباط، عن السدِّي، قال: لما قال لهم يوسف: ﴿ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ﴾ اعتذروا وقالوا: ﴿ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴾. قال لهم يوسف: ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾. فلما عرَّفهم يوسف نفسه سألهم عن أبيه[٤]. (١: ٣٥٩).

---

(١) صحيح.
(٢) صحيح.
(٣) صحيح.
(٤) صحيح.

حدثنا ابن وكيع ، قال: حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السديّ ، قال: قال يوسف: ما فعل أبي بعدي؟ قالوا: لما فاته بنيامين عميَ من الحزن فقال: ﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ﴾ عِير بني يعقوب، قال يعقوب: ﴿إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾[(١)]. (١ : ٣٥٩).

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة: ﴿وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا﴾ قال: كانت تحية الناس أن يسجد بعضهم لبعض ، وقال يوسف لأبيه: ﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا﴾ ، يعني بذلك: هذا السجود منكم ، يدل على تأويل رؤياي التي رأيتها من قبل ، صنع إخوتي بي ما صنعوا ، وتلك الكواكب الأحد عشر والشمس والقمر ﴿قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا﴾. يقول: قد حقق الرؤيا بمجيء تأويلها[(٢)]. (١ : ٣٦٢)

* * *

قصة الخضر وخبره وخبر موسى وفتاه يوشع عليه السلام

والذي روى أبيّ بن كعب في ذلك عنه ﷺ ما حدثنا أبو كريب ، قال: حدثنا يحيى بن آدم ، قال: حدثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن سعيد ، قال: قلت لابن عباس: إن نوفاً يزعم أن الخضر ليس بصاحب موسى ، فقال: كذَب عدو الله ، حدثنا أبيّ بن كعب عن رسول الله ﷺ قال: إن موسى قام في بني إسرائيل خطيباً فقيل: أيّ الناس أعلم؟ فقال: أنا ، فعتب الله عليه حين لم يردّ العلم إليه ، فقال: بل عبدٌ لي عند مجمع البحرين ، فقال: يا ربّ ، كيف به قال: تأخذ حوتاً فتجعله في مِكْتل فحيث تفقده فهو هناك. قال: فأخذ حوتاً فجعله في مكتل ، ثم قال لفتاه: إذا فقدتَ هذا الحوت فأخبرني. فانطلقا يمشيان على ساحل البحر حتى أتيا صخرة ، فرقَد موسى فاضطرب الحوت في المكتل ،

---

(١) صحيح.
(٢) صحيح.

فخرج فوقع في البحر ، فأمسك الله عنه جَرْية الماء فصار مثل الطاق ، فصار للحوت سرَباً ، وكان لهما عجباً. ثم انطلقا ، فلما كان حين الغداء قال موسى لفتاه: ﴿ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴾ قال: ولم يجد موسى النصَب حتى جاوز حيث أمرَه الله ، قال: فقال: ﴿ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ قال: فقال: ﴿ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾. قال: يقصّان آثارهما. قال: فأتيا الصخرة ، فإذا رجل نائم مسجّىً بثوبه ، فسلَّم عليه موسى فقال: وأنَّىٰ بأرضنا السلام! قال: أنا موسى ، قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم ، قال: يا موسى ، إني على علم من علم الله ، علمنيه الله لا تعلمه ، وأنت على علم من علم الله علَّمكه الله لا أعلمه ، قال: فإني أتبعك على أن تعلمني ممَّا عُلمْتَ رُشْداً. ﴿ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾. فانطلقا يمشيان على الساحل ، فإذا بملاح في سفينة ، فعرف الخضر ، فحمله بغير نَوْل ، فجاء عصفور فوقع على حرفها فنقر ـ أو فنقد ـ في الماء ، فقال الخضر لموسىٰ: ما ينقص علمي وعلمك من علم الله إلا مقدار ما نقر ـ أو نقد ـ هذا العصفور من البحر.

قال أبو جعفر: أنا أشكُّ ، وهو في كتابي هذا «نقر». قال: فبينما هم في السفينة لم يُفجأ موسى إلا وهو يتد وتداً أو ينزع تخْتاً منها ، فقال له موسى: حمَلنا بغير نَوْل وتخرقها لتُغرقَ أهلها! ﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ ﴾ ـ قال فكانت الأولى من موسى نسياناً ـ قال: ثم خرجا فانطلق يمشيان فأبصرا غلاماً يلعب مع الغلمان ، فأخذ برأسه فقتله ، فقال له موسى: ﴿ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴾.

فانطلقا حتى إذا أتيا أهلَ قرية استطعما أهلها ، فلم يجدا أحداً يطعمهم ولا يسقيهم ، فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقضّ فأقامه بيده ـ قال: مسحه بيده ـ فقال له موسى: لم يُضيفونا ولم ينزلونا ، ﴿ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾. ﴿ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ﴾ قال: فقال رسول الله ﷺ: «لوددت أنه كان صبر حتى يقصّ

علينا قصصهم»[١]. (١ : ٣٦٦/ ٣٦٧/ ٣٦٨)

حدثني العباس بن الوليد ، قال: أخبرني أبي قال: حدثنا الأوزاعي ، قال: حدثني الزهريّ ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن ابن عباس: أنه تمارَى هو والحُرّ بن قيس بن حصن الفزاريّ في صاحب موسى ، فقال ابن عباس: هو الخضر ، فمرَّ بهما أبيّ بن كعب ، فدعاه ابن عباس فقال: إني تماريت أنا وصاحبي هذا في صاحب موسى عليه السلام الذي سأل السبيلَ إلى لقائه ، فهل سمعتَ رسول الله يذكر شأنه؟ قال: نعم إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بينا موسى عليه السلام في ملأ من بني إسرائيل ، إذ جاءه رجل فقال: تعلم مكان أحد أعلم منك؟ قال موسى: لا ، فأوحى الله إلى موسى: بَلى عبدنا الخَضِر ، فسأل موسى السبيلَ إلى لقائه ، فجعل الله الحوت آية ، وقال له: إذا افتقدت الحوت فارجع فإنك ستلقاه ، فكان موسى يتبع أثر الحوت في البحر ، فقال فتى موسى لموسى: ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾ ، قال موسى: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ ، فوجدا الخضر ، فكان من شأنهما ما قصَّ الله في كتابه»[٢]. (١ : ٣٦٨/ ٣٦٩) .

حدثني محمد بن مرزوق قال: حدثنا حجاج بن المنهال ، قال: حدثنا عبد الله بن عمر النميريّ ، عن يونس بن يزيد ، قال: سمعت الزهريّ يحدث قال: أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن ابن عباس: أنه تمارى هو والحُرّ بن قيس بن حصن الفزاريّ في صاحب موسى ، فذكر نحو حديث العباس عن أبيه[٣]. (١ : ٣٦٩) .

ثم رجع الحديث إلى حديث السديّ. قال: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً

---

(١) هذا إسناد صحيح والحديث صحيح ومن طريق سفيان هذا أخرجه البخاري مختصراً (ح ٤٧٢٥) ومطولاً (ح ٤٧٢٦) من طريق ابن جريج عن عمرو بن دينار به وسنأتي على ذكر الحديث بعد قليل.

(٢) هذا إسناد صحيح وأخرجه البخاري من طريق الأوزاعي به كما عند الطبري (صحيح البخاري/ كتاب العلم/ ح ٧٨) و(ح ٧٤٧٨).

(٣) صحيح ، وانظر ما قبله.

﴿مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ﴾ يقول: كثرةً من الناس يسقون[١]. (١ : ٣٩٧).

حدثني أحمد بن محمد الطوسيّ، قال: حدَّثنا الحُمَيْديّ عبد الله بن الزبير، قال: حدثنا سفيان، قال: حدثني إبراهيم بن يحيىٰ بن أبي يعقوب، عن الحكم بن أبان، عن عكْرمة، عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ قال: «سألت جبرئيل: أيّ الأجلين قَضَىٰ موسى؟ قال: أتمهما وأكملهما»[٢]. (١ : ٣٩٩).

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني ابن إسحاق، عن حكيم بن جبير، عن سعيد بن جبير، قال: قال لي يهوديّ بالكوفة ـ وأنا أتجهَّز للحج ـ: إني أراك رجلاً يتبع العلم، أخبرني أيَّ الأجلين قضى موسى؟ قلت: لا أعلم وأنا الآن قادم على حَبْر العرب ـ يعني ابن عباس ـ فسأسأله عن ذلك، فلما قدمت مكة سألت ابن عباس عن ذلك وأخبرته بقول اليهوديّ، فقال ابن عباس: قضَىٰ أكثرَهما وأطيَبهما؛ إنَّ النبيّ إذا وَعد لم يُخلف. قال سعيد: فقدمت العراق فلقيت اليهوديَّ فأخبرته، فقال: صدق وما أنزل الله على موسى. هذا والله العالم[٣]. (١ : ٣٩٩)

---

(١) صحيح.

(٢) في إسناده إبراهيم بن يحيى بن أبي يعقوب، قال الحافظ في ترجمته عن الحكم بن أبان وعنه سفيان بن عيينة بخبر منكر والرجل نكرة وحديثه عن الحميدي وهذا الرجل ذكره ابن حبان في الثقات (لسان الميزان/ ترجمة ٣٨١).

قلنا: ومن طريق إبراهيم هذا أخرجه الحاكم في المستدرك عن ابن عباس (أن النبي ﷺ سأل جبريل أي الأجلين قضى موسى قال: أتمهما) وقال الحاكم: هذا حديث صحيح ولم يخرجاه (المستدرك ٢/ ٤٠٧).

وأخرجه البزار من طريق أحمد بن أبان القرشي عن سفيان عن إبراهيم بن أعين عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعاً، وقال البزار: لا نعرفه مرفوعاً عن ابن عباس إلا من هذا الوجه (كشف الأستار عن زوائد البزار ٣/ ٦٣).

وأخرج الخطيب عن أبي ذر مرفوعاً: (إذا سُئلت أي الأجلين قضى موسى؟ فقل: خيرهما وأبرهما... الحديث) (تأريخ بغداد ٢/ ١٢٨) وفي إسناده عوبد بن أبي عمران متروك.

وللحديث طرق أخرى مرسلة وموقوفة تتعارض بها جميعاً كما سنذكر بعد الروايتين التاليتين:

(٣) هذا إسناد ضعيف إلا أن المتن صحيح موقوفاً كما أخرجه البخاري في طريقه من طريق سالم الأفطس عن سعيد بن جبير قال: سألني يهودي من أهل الحيرة أي الأجلين قضى موسى؟ قلت: لا أدري حتى أقدم على حبر العرب فأسأله فقدمت ابن عباس فقال: قضى أكثرهما =

فنودي: ﴿ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ . ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى ﴾ ، يقول: أضرب بها الورق ، فيقع للغنم من الشجر ﴿ وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴾ ، يقول: حوائج أخرى أحمل عليها المزود والسقاء ، فقال له: ﴿ أَلْقِهَا يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴾ ، ﴿ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ ، يقول: لم ينتظر. فنوديَ: ﴿ يَـٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ ، ﴿ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْـَٔامِنِينَ ﴾ ﴿ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ ﴾ العصا واليد آيتان ، فذلك حين يدعو موسى ربه ، فقال: ﴿ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ﴾ ، يقول: كيما يصدقني ﴿ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾ قال: ﴿ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴾ - يعني بالقتيل - ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَـٰنًا ﴾ - والسلطان الحجة - ﴿ فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴾ ، ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾[1]. (١: ٤٠٠/ ٤٠١).

ولما جاوز ببني إسرائيل البحر أتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم ، ﴿ قَالُوا۟

= وأطيبهما إن رسول الله إذا قال فعل (صحيح البخاري/ ح ٢٦٨٤).
وإليك أقوال أئمة الحديث في هذه المسألة:
قال الحافظ ابن حجر بعد شرحه للحديث (٢٦٨٤): وهو في حكم المرفوع لأن ابن عباس كان لا يعتمد على أهل الكتاب كما سيأتي بيانه في الباب الذي يليه (٥/ ٦٢٧/ ط. دار الفكر).
وقال الحافظ ابن كثير: فهذه طرق متعاضدة (تفسير القرآن العظيم ٢٦٥٦/ ط. المنار).
وقال الإمام الشوكاني: بعد سرده لبعض طرق الحديث: وأما روايات أنه قضى أتم الأجلين فلها طرق يقوي بعضها بعضاً (فتح القدير ٤/ ٢٠٦).
أما من المعاصرين فقد رجح الشيخ عبد الرزاق المهدي وقفه (أحكام القرآن/ ١٧١٦).
وأما المحدث الألباني فقد ذكر طرق الحديث وبين ضعف أسانيدها وذكر المرسل منها والموقوف والمرفوع ثم قال: فهذه طرق تتعاضد كما قال ابن كثير في تفسيره (٦/ ٣٣٥) فالحديث قوي. وقد رواه ابن جرير بسند صحيح عن ابن عباس موقوفاً فهو من يقوي المرفوع لأنه في حكمه والله أعلم (السلسلة الصحيحة ح ١٨٨٠) قلنا: والقول ما قاله الألباني إلا أنه لم يذكر أن البخاري أخرجه كذلك موقوفاً عن ابن عباس (ح ٢٦٨٤) والله أعلم.

(١) صحيح.

﴿يَـٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَـٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ وواعد الله موسى حين أهلك فرعون وقومَه ونجاه وقومَه ثلاثين ليلة[١].

(١ : ٤٢١).

---

(١) صحيح.

لقد ذكرنا الرواية (١/ ٤٢٣/ ق٦٧٧) في قسم الضعيف فإسناده لا يستقيم وفي متنه نكارة وهو خبر طويل يتضمن تفسير بعض الآيات في قصة موسىٰ عليه السلام إلا أن جزءاً منه يسيراً (في بداية الخبر) من مكان الحسن ـ وقد أخرجه الطبري موقوفاً على ابن عباس أنه قال: (تجلى منه مثل طرف الخنصر فجعل الجبل دكاً وخر موسىٰ صعقاً).

فقد أخرج الترمذي من طريق عبد الله بن عبد الرحمن أخبرنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾.

قال حماد هكذا وأمسك سليمان بطرف إبهامه على أنملة إصبعه اليمنى، قال: فساخ الجبل ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب صحيح لا نعرفه إلا من حديث حماد بن سلمة حدثنا عبد الوهاب الوراق البغدادي، حدثنا معاذ عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس عن النبي ﷺ نحوه، هذا حديث حسن. اهـ. (سنن الترمذي/ كتاب تفسير القرآن/ ح ٣٠٧٤).

وأخرجه الحاكم من طريقين عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس مرفوعاً وفيه قال حماد هكذا ووضع الإبهام على مفصل الخنصر الأيمن قال فقال حميد لثابت: تحدِّث بمثل هذا قال: فضرب ثابت صدر حميد ضربة بيده وقال رسول الله ﷺ يحدث به وأنا لا أحدث به.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم (المستدرك ٢/ ٣٢٠) والحديث أخرجه الطبري في تفسيره (ح ١٥٠٧٨) و(ح ١٥٠٨٨) وأخرجه أحمد من طريق معاذ بن معاذ العنبري قال: حدثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت عن أنس مرفوعاً (المسند ح ١٢٢٦٠).

قلنا: وإسناده حسن صحيح. وقال العلامة أرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم ورجاله ثقات رجال الشيخين غير حماد بن سلمة فمن رجال مسلم. اهـ.

والحديث ذكره ابن الجوزي في الموضوعات (١/ ١٢٢) وأما ابن عدي (٦١/ ٤٣٠) فقد عده من غرائب حماد بن سلمة، وأما من المعاصرين فقد صححه العلامة أرناؤوط كما ترى وكذلك صححه المحدث الألباني (كما في صحيح سنن الترمذي) وأما الشيخ عبد الرزاق المهدي فضعفه وقال: ومع ذلك ذكره الألباني في صحيح الترمذي جرياً منه على ظاهر الإسناد والذي أراه أنه معلول لكن لا يتهيأ الحكم عليه بالوضع. وقد ورد من وجه آخر أخرجه الطبري (١٥٠٩٦). عن الأعمش عن رجل عن أنس وهذا إسناد ضعيف فيه راوٍ لم =

فلما كلَّم الله موسى طمع في رؤيته ، فسأل ربه أن ينظر إليه ، فقال له: إنَّكَ ﴿لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

ثم قال الله لموسى: ﴿إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ﴾ إلى قوله: ﴿سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾. وقال له: ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ﴾ ، ومعه عهد الله في ألواحه.

ولما انتهى موسى إلى قومه فرأى ما هم فيه من عبادة العجل ألقى الألواح من يده ، وكانت ـ فيما يذكرون ـ من زبرجد أخضر ، ثم أخذ برأس أخيه ولحيته ويقول: ﴿مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ۝٩٢ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي﴾. فقال: ﴿ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ، فارعوى موسى وقال: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

وأقبل على قومه فقال: ﴿يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ﴾ إلى قوله ﴿عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ﴾. وأقبل على السامريّ فقال: ﴿فَمَا خَطۡبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ۝٩٥ قَالَ بَصُرۡتُ بِمَا لَمۡ يَبۡصُرُواْ بِهِۦ﴾ إلى قوله: ﴿وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمٗا﴾. ثم أخذ الألواح ، يقول الله: ﴿أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَۖ وَفِي نُسۡخَتِهَا هُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ هُمۡ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ﴾[1]. (١ : ٤٢٦/ ٤٢٧).

حدثنا أبو كريب ، قال: حدثنا مصعب بن المقدام ، عن حماد بن سلمة ، عن عمار بن أبي عمار ، مولى بني هاشم ، عن أبي هريرة ، قال: قال

= يُسمَّ فالحديث غير قوي ومع ذلك فليحرر (حاشية فتح القدير ٢/ ٢٩٩).

قلنا: وما ذهب إليه الترمذي والحاكم وغيرهما من المتقدمين ثم الألباني وأرناؤوط من المعاصرين هو الأرجح. . . وحماد لم ينفرد بهذا الحديث فقد أخرج نحوه ابن أبي عاصم (٤٨٢) من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس وابن منده من طريق أحمد محمد الصيد عن سعيد بن عامر عن ثابت عن أنس وقال غريب من حديث شعبة (الرد على الجهمية/ ٥٩).

قلنا: وفي إسناده أحمد الصيد مجهول الحال فهذان طريقان يضاف إليهما طريق الأعمش الضعيف فهي طرق تتعاضد جميعاً ليرتفع الحديث إلى الحسن إن شاء الله والله تعالى أعلم.

(١) صحيح.

رسول الله ﷺ: «إن ملَك الموت كان يأتي الناس عِياناً حتى أتى موسى فلطمه ففقأ عينه، قال: فرجع فقال: يا ربِّ إنَّ عبدك موسى فقأ عيني، ولولا كرامتَه عليك لشققت عليه، فقال: ائت عبدي موسى، فقل له: فليضعْ كفه على متن ثور، فله بكلّ شعرة وارت يدُه سنة؛ وخيِّره بين ذلك وبين أن يموت الآن، قال: فأتاه فخيَّره، فقال له موسى: فما بعد ذلك؟ قال: الموت، قال: فالآن إذاً، قال: فشمَّه شمة قبض روحه. قال: فجاء بعد ذلك إلى الناس خُفية»[1]. (١ : ٤٣٤).

---

(١) هذا إسناد حسن صحيح وحماد ثقة إلا أن له أوهاماً وهو أعلم الناس بحديث ثابت وحميد الطويل تجنبه البخاري وقال الحاكم: ما خرَّج مسلم لحماد بن سلمة في الأصول إلاَّ من حديثه عن ثابت وقد خرَّج له في الشواهد عن طائفة (وانظر ميزان الاعتدال، ترجمة ٢٢٥١).
قلنا: ولعلَّ ما في الحديث من غرابة من أوهام حماد ونعني بذلك عبارة (كان ملك الموت يأتي الناس عياناً) وإلا فبقية الحديث صحيح أخرجه البخاري عن أبي هريرة (ح ٣٤٠٧) ولفظه: (أرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام، فلما جاءه صكه، فرجع إلى ربه فقال: أرسلتني إلى عبدٍ لا يريد الموت قال: ارجع إليه فقل له يضع يده على متن ثور فله بما غطى يده بكل شعرة سنة. قال أي رب ثم ماذا؟ قال: ثم الموت قال فالآن. قال فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة.
قال أبو هريرة رضي الله عنه فقال رسول الله ﷺ: «لو كنت ثمّ لأريتكم قبره إلى جانب الطريق تحت الكثيب الأحمر» قال: وأخبرنا معمر عن همام حدثنا أبو هريرة عن النبي ﷺ نحوه. ا هـ.
وقال الحافظ ابن حجر تعليقاً على هذه الرواية قوله (قال وأخبرنا معمر عن همام... إلخ) هو موصول بالإسناد المذكور، ووهم من قال إنه معلق فقد أخرجه أحمد عن عبد الرزاق عن معمر، ومسلم عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق كذلك (فتح الباري ٧/ ١٠٤).
قلنا: وأما حديث أحمد فهو في مسند أبي هريرة (ح ١٠٩٠٤) وقال الشيخ أرناؤوط: رجاله رجال الصحيح وفي أوله نكارة وهي قوله (كان ملك الموت يأتي الناس عياناً) وهذه اللفظة تفرد بها عمار بن أبي عمار وعنه حماد بن سلمة ولكل منهما بعض المناكير. ا هـ.
قلنا: وأما حديث عبد الرزاق مرفوعاً، فهو كذلك من حديث أبي هريرة (ح ٢٠٥٣٠) وأما مسلم فقد رواه موقوفاً (١٥٧/ح ٢٣٧٢) مرفوعاً والحديث أخرجه الحاكم وصححه على شرط مسلم (المستدرك ٢/ ٥٧٨) وأخرجه أحمد (ح ٨١٧٢) من طريق همام عن أبي هريرة مرفوعاً وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد مرفوعاً كما عند الطبري (كان ملك الموت يأتي الناس عياناً... الحديث وفي آخره فكان يأتي الناس خفية).
وقال الهيثمي: في الصحيح طرف منه رواه أحمد والبزار ورجاله رجال الصحيح/ مجمع الزوائد (٨/ ٢٠٤/ ح ١٣٧٨٣).
=

=

نبيُّ الله موسى
عليه السَّلام

لقد استشهد الطبري رحمه الله بالآيات القرآنية وفسَّرها بياناً لقصة موسى عليه السلام ولكنه رحمه الله خلط التفسير بالإسرائيليات وآثرنا هنا أن نذكر تفسير ابن كثير لهذه الآيات (كما في البداية والنهاية) بعد أن حذفنا الإسرائيليات واختصرنا ولله الحمد.

قال الحافظ ابن كثير:

وهو موسى بن عمران ، قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥١ ـ ٥٣].

وقد ذكره الله تعالى في مواضع كثيرة متفرقة من القرآن. وذكر قصته في مواضع متعددة مبسوطة وغير مطولة. وقد تكلمنا على ذلك كله في مواضعه من التفسير. وسنورد سيرته هاهنا من ابتدائها إلى آخرها من الكتاب والسنة. وما ورد في الآثار المنقولة من الإسرائيليات التي ذكرها السلف وغيرهم إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان. [قلنا هكذا قال ابن كثير ، ولكننا حذفنا ما ذكره ابن كثير من الإسرائيليات أثناء تفسيره للآيات الواردة في قصة موسى عليه السلام وبني قومه].

قال الله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ﴾ [القصص: ١ ـ ٦]. يذكر تعالى ملخص القصة ثم يبسطها بعد هذا ، فذكر أنه يتلو على نبيه خبر موسى وفرعون بالحق ، أي بالصدق الذي كأن سامعه مشاهد للأمر معاين له.

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ أي تجبر وعتا وطغى وبغى ، وآثر الحياة الدنيا ، وأعرض عن طاعة الرب الأعلى ، وجعل أهلها شيعاً ، أي قسم رعيته إلى أقسام ، وفرق وأنواع ، يستضعف طائفة منهم ، وهم شعب بني إسرائيل الذين هم من سلالة نبي الله يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الله. وكانوا إذ ذاك خيار أهل الأرض. وقد سلط عليهم هذا الملك الظالم الغاشم الكافر الفاجر ، يستعبدهم ويستخدمهم في أخس الصنائع والحرف وأرداها وأدناها ومع هذا ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾.

وكان الحامل له على هذا الصنيع القبيح أن بني إسرائيل كانوا يتدارسون فيما بينهم ما يأثرونه عن إبراهيم عليه السلام ، من أنه سيخرج من ذريته غلام يكون هلاك ملك مصر على يديه وذلك ـ والله أعلم ـ حين كان جرى على سارة امرأة الخليل من ملك مصر من إرادته إياها =

= على السوء وعصمة الله لها. وكانت هذه البشارة مشهورة في بني إسرائيل ، فتحدث بها القبط فيما بينهم ، ووصلت إلى فرعون فذكرها له بعض أمرائه وأساورته وهم يسمرون عنده ، فأمر عند ذلك بقتل أبناء بني إسرائيل ، حذراً من وجود هذا الغلام ، ولن يغني حذر من قدر! .
ولهذا قال الله تعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وهم بنو إسرائيل ، ﴿ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ أي الذين يؤول ملك مصر وبلادها إليهم: ﴿ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ﴾ أي سنجعل الضعيف قوياً والمقهور قاهراً والذليل عزيزاً ، وقد جرى هذا كله لبني إسرائيل ، كما قال تعالى: ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟﴾ الآية ، وقال تعالى: ﴿ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ وسيأتي تفصيل ذلك في موضعه إن شاء الله .

[قتل غلمان بني إسرائيل]:
والمقصود أن فرعون احترز كل الاحتراز ألا يوجد موسىٰ ، حتى جعل رجالاً وقوابل يدورون على الحبالى ، ويعلمون ميقات وضعهن ، فلا تلد امرأة ذكراً إلا ذبحه أولئك الذباحون من ساعته .
قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ﴾ ولهذا قالت بنو إسرائيل لموسىٰ: ﴿ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ﴾ فالصحيح أن فرعون إنما أمر بقتل الغلمان أولاً ، حذراً من وجود موسىٰ .

[طفولة موسىٰ في بيت فرعون]:
قال الله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص: ٧ ـ ٩] .
هذا الوحي وحي إلهام وإرشاد كما قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا . . . ﴾ الآية.
وليس هو بوحي نبوة كما زعمه ابن حزم وغير واحد من المتكلمين بل الصحيح الأول ، كما حكاه أبو الحسن الأشعري عن أهل السنة والجماعة .
والمقصود أنها أرشدت إلى هذا الذي ذكرناه ، وألقي في خلدها وروعها ألا تخافي ولا تحزني ، فإنه إن ذهب فإن الله سيرده لك ، وإن الله سيجعله نبياً مرسلاً ، يعلي كلمته في الدنيا والآخرة ، فكانت تصنع ما أمرت به فذهب مع النيل فمر على دار فرعون ﴿ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ﴾ قال الله تعالى: ﴿ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ﴾ قال بعضهم: هذه (لام) العاقبة ، وهو ظاهر إن كان متعلقاً بقوله: ﴿ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ﴾ وأما إن جعل متعلقاً بمضمون الكلام ، وهو آل =

= فرعون قيضوا لالتقاطه ليكون لهم عدوًّا وحزناً ، وصارت اللام معللة كغيرها . والله أعلم. ويقوّي هذا التقدير الثاني قوله : ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ﴾ وهو الوزير السوء ﴿وَجُنُودَهُمَا﴾ تابعين لهما ﴿كَانُوا خَٰطِـِٔينَ﴾ أي كانوا على خلاف الصواب ، فاستحقوا هذه العقوبة والحسرة.

فلما رأته ووقع نظرها عليه أحبته حباً شديداً ، فلما جاء فرعون قال : ما هذا؟ وأمر بذبحه ، فاستوهبته منه ودفعت عنه وقالت : ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ﴾ .

وقولها : ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ قد أنالها الله ما رجت من النفع ، أما في الدنيا فهداها الله به ، وأما في الآخرة فأسكنها جنته بسببه : ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ وذلك أنهما تبنياه ، لأنه لم يكن يولد لهما ولد ، قال الله تعالى : ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ . أي لا يدرون ماذا يريد الله بهم ، أن قيضهم لالتقاطه ، من النقمة العظيمة بفرعون وجنوده؟

قال الله تعالى : ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص : ١٠ ـ ١٣].

قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وأبو عبيدة والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم : ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا﴾ أي من كل شيء من أمور الدنيا إلا من موسى ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ﴾ أي لتظهر أمره وتسأل عنه جهرة ﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ أي صبَّرناها وثبتناها ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ﴾ وهي ابنتها الكبيرة : ﴿قُصِّيهِ﴾ أي اتبعي أثره واطلبي لي خبره ﴿فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ﴾ قال مجاهد : عن بعد. وقال قتادة : جعلت تنظر إليه وكأنها لا تريده. ولهذا قال : ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ وذلك لأن موسى عليه السلام لما استقر بدار فرعون أرادوا أن يغذوه برضاعة فلم يقبل ثدياً ولا أخذ طعاماً ، فحاروا في أمره ، واجتهدوا على تغذيته بكل ممكن فلم يفعل ، كما قال تعالى : ﴿۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ﴾ فأرسلوه مع القوابل والنساء إلى السوق ، لعلهم يجدون من يوافق رضاعته. فبينما هم وقوف به والنساء عكوف عليه إذ بصرت به أخته ، فلم تظهر أنها تعرفه بل قالت : ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾ .

فأطلقوها وذهبوا معها إلى منزلهم ، فأخذته أمه ، فلما أرضعته التقم ثديها وأخذ يمتصه ويرتضعه ، ففرحوا بذلك فرحاً شديداً ، وذهب البشير إلى «اسية» يعلمها بذلك ، فاستدعتها إلى منزلها وعرضت عليها أن تكون عندها ، وأن تحسن إليها.

فرجعت به تحوزه إلى رحلها ، وقد جمع الله شمله بشملها.

قال الله تعالى : ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ أي كما =

= وعدها برده ورسالته ، فهذا رده ، وهو دليل على صدق البشارة برسالته ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ .
وقد امتن على موسى بهذا ليلة كلمه ، فقال له فيما قال: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ وذلك أنه كان لا يراه أحد إلا أحبه ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ قال قتادة وغير واحد من السلف: أي تطعم وترفه وتغذى بأطيب المآكل، وتلبس أحسن الملابس بمرأى مني ، وذلك كله بحفظي وكلاءتي لك فيما صنعت بك ولك ، وقدرته من الأمور التي لا يقدر عليها غيري. ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ۖ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ .

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ ۖ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص: ١٤ ـ ١٧] .

لما ذكر تعالى أنه أنعم على أمه برده لها وإحسانه بذلك وامتنانه عليها ، شرع في ذكر أنه لما بلغ أشده واستوى ، وهو احتكام الخَلق والخُلق ، وهو سن الأربعين في قول الأكثرين ، آتاه الله حكماً وعلماً ، وهو النبوة والرسالة التي كان بشّر بها أمه حين قال: ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ .

[إقامة موسى في مدين]:

ثم شرع في ذكر سبب خروجه من بلاد مصر ، وذهابه إلى أرض مدين وإقامته هنالك ، حتى كمل الأجل وانقضى الأمد ، وكان ما كان من كلام الله له ، وإكرامه بما أكرمه به ، كما سيأتي. قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ قال ابن عباس وسعيد بن جبير وعكرمة وقتادة والسدي: وذلك نصف النهار ، وعن ابن عباس: بين العشاءين. ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ﴾ أي يتضاربان ويتهارشان ﴿هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ﴾ أي إسرائيلي ﴿وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾ أي قبطي. قاله ابن عباس وقتادة والسدي ومحمد بن إسحاق.

﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ وذلك أن موسى عليه السلام ، كانت له بديار مصر صولة ، بسبب نسبته إلى تبني فرعون له وتربيته في بيته ، وكان بنو إسرائيل قد عزُّوا وصارت لهم وجاهة ، وارتفعت رؤوسهم بسبب أنهم أرضعوه ، وهم أخواله ـ أي من الرضاعة ـ فلما استغاث ذلك الإسرائيلي موسى عليه السلام على ذلك القبطي أقبل إليه موسى ﴿فَوَكَزَهُ﴾ قال مجاهد: أي طعنه بجمع كفه ، ﴿فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ أي فمات منها.

وقد كان ذلك القبطي كافراً مشركاً بالله العظيم ، ولم يرد موسى قتله بالكلية ، وإنما أراد=

= زجره وردعه ، ومع هذا ﴿ قَالَ﴾ موسى : ﴿ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ﴾ أي من العز والجاه ﴿ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ .

﴿ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص : ١٨ ـ ٢١] .

يخبر تعالى أنَّ موسى أصبح بمدينة مصر خائفاً ـ أي من فرعون ومَلَئه ـ أن يعلموا أن هذا القتيل الذي رفع إليه أمره ، إنما قتله موسى في نصرة رجل من بني إسرائيل ، فتقوى ظنونهم أن موسى منهم ، ويترتب على ذلك أمر عظيم .

فصار يسير في المدينة في صبيحة ذلك اليوم ﴿ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ أي يتلفت ، فبينما هو كذلك ، إذ ذلك الرجل الإسرائيلي الذي استنصره بالأمس يستصرخه ، أي يصرخ به ويستغيثه على آخر قد قتله ، فعنفه موسى ولامه على كثرة شره ومخاصمته ، قال له : ﴿ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ﴾ ثم أراد أن يبطش بذلك القبطي ، الذي هو عدو لموسى وللإسرائيلي ، فيردعه عنه ويخلصه منه ، فلما عزم على ذلك وأقبل على القبطي ﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ .

قال بعضهم : إنما قال هذا الكلام الإسرائيلي الذي اطلع على ما صنع موسىٰ بالأمس ، وكأنه لما رأى موسى مقبلاً إلى القبطي اعتقد أنه جاء إليه ، لما عنفه قبل ذلك بقوله : ﴿ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ﴾ فقال ما قال لموسى ، وأظهر الأمر الذي كان وقع بالأمس . فذهب القبطي فاستعدى فرعون على موسى . وهذا الذي لم يذكر كثير من الناس سواه . ويحتمل أن قائل هذا هو القبطي ، وأنه لما رآه مقبلاً إليه خافه ، ورأى من سجيته انتصاراً جديداً للإسرائيلي . فقال ما قال من باب الظن والفراسة : إن هذا لعله قاتل ذلك القتيل بالأمس ، أو لعله فهم من كلام الإسرائيلي حين استصرخه عليه ما دله على هذا ، والله أعلم .

والمقصود أن فرعون بلغه أن موسى هو قاتل ذلك المقتول بالأمس فأرسل في طلبه ، وسبقهم رجل ناصح من طريق أقرب . ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ﴾ ساعياً إليه مشفقاً عليه فقال : ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ﴾ أي من هذه البلدة ﴿ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ أي فيما أقوله لك .

قال الله تعالى : ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ أي فخرج من مدينة مصر من فوره على وجهه لا يهتدي إلى طريق ولا يعرفه ، قائلاً : ﴿ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن =

= دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ۝٢٣ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ﴾ [القصص: ٢١ ـ ٢٤].

يخبر تعالى عن خروج عبده ورسوله وكليمه من مصر خائفاً يترقب، أي يتلفت، وخشية أن يدركه أحد من قوم فرعون، وهو لا يدري أين يتوجه، ولا إلى أين يذهب، وذلك لأنه لم يخرج من مصر قبلها. ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلۡقَآءَ مَدۡيَنَ﴾ أي اتجه له طريق يذهب فيه، ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي عسى أن تكون هذه الطريق موصلة إلى المقصود، وكذا وقع، فقد أوصلته إلى مقصود وأي مقصود.

[اتصاله بالابنتين وأبيهما الشيخ]:

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ﴾ وكانت بئراً يسقون منها، ومدين هي المدينة التي أهلك الله فيها أصحاب الأيكة، وهم قوم شعيب عليه السلام، وقد كان هلاكهم قبل زمن موسى عليه السلام في أحد قولي العلماء. ولما ورد الماء المذكور ﴿وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ﴾ أي تكفكفان عنهما غنمهما أن تختلط بغنم الناس.

﴿قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ﴾ أي لا نقدر على ورود الماء إلا بعد صدور الرعاء، لضعفنا، وسبب مباشرتنا هذه الرعية ضعف أبينا وكبره. قال الله تعالى: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾.

قال المفسرون: وذلك أن الرعاء كانوا إذا فرغوا من وِرْدِهم، وضعوا على فم البئر صخرة عظيمة، فتجيء هاتان المرأتان فيشرعان غنمهما في فضل أغنام الناس، فلما كان ذلك اليوم جاء موسى فرفع تلك الصخرة وحده، ثم استقى لهما وسقى غنمهما، ثم رد الحجر كما كان قال أمير المؤمنين عمر: وكان لا يرفعه إلا عشرة، وإنما استقى ذنوباً واحداً فكفاهما.

ثم تولى إلى الظل، ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ﴾.

﴿فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢٥ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ۝٢٦ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٢٧ قَالَ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ﴾ [القصص: ٢٥ ـ ٢٨].

لما جلس موسى عليه السلام في الظل وقال: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ﴾ فذهبتا إلى أبيهما فأخبرتاه بما كان من أمر موسى عليه السلام. فأمر إحداهما، أن تذهب إليه فتدعوه: ﴿فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ﴾ أي مشي الحرائر، ﴿قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ﴾ صرحت بهذا لئلا يوهم كلامها ريبة، وهذا من تمام حيائها وصيانتها: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ﴾ وأخبره خبره وما كان من أمره في خروجه من بلاد مصر فراراً من=

= فرعونها: ﴿قَالَ﴾ له ذلك الشيخ: ﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي خرجت من سلطانهم فلست في دولتهم.

وقد اختلفوا في هذا الشيخ من هو؟ فقيل: هو شعيب عليه السلام. وهذا هو المشهور عند كثيرين، وممن نص عليه الحسن البصري ومالك بن أنس، وجاء مصرحاً به في حديث، ولكن في إسناده نظر. وصرح طائفة بأن شعيباً عليه السلام عاش عمراً طويلاً بعد هلاك قومه، حتى أدركه موسى عليه السلام وتزوج بابنته.

روىٰ ابن أبي حاتم وغيره عن الحسن البصري: أن صاحب موسى عليه السلام هذا، اسمه شعيب، وكان سيد الماء، ولكن ليس بالنبي صاحب مدين.

والمقصود: أنه لما أضافه وأكرم مثواه، وقص عليه ما كان من أمره بشره بأنه قد نجا، فعند ذلك قالت إحدى البنتين لأبيها: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ﴾ أي لرعي غنمك، ثم مدحته بأنه قوي أمين.

قال ابن مسعود: أفرس الناس ثلاثة: صاحب يوسف حين قال لامرأته: ﴿أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ﴾ وصاحبة موسى حين قالت: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ وأبو بكر حين استخلف عمر بن الخطاب.

﴿قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

استدل بهذه جماعة من أصحاب أبي حنيفة رحمه الله، على صحة ما إذا باعه أحد هذين العبدين أو الثوبين ونحو ذلك، أن يصح، لقوله: ﴿إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ﴾. وفي هذا نظر، لأن هذه مراوضة لا معاقدة.. والله أعلم.

ثم قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ يقول: إن موسى قال لصهره: الأمر على ما قلت، فأيهما قضيت فلا عدوان عليَّ، والله على مقالتنا سامع وشاهد، ووكيل عليَّ وعليك، ومع هذا فلم يقضي موسى إلا أكمل الأجلين وأتمهما وهو العشر سنين كوامل تامة.

قال البخاري: حدثنا محمد بن عبد الرحيم، حدثنا سعيد بن سليمان، حدثنا مروان بن شجاع، عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جبير، قال: سألني يهودي من أهل الحيرة: أيّ الأجلين قضى موسىٰ؟ فقلت: لا أدري حتى أقدم على حبر العرب فأسأله. فقدمت فسألت ابن عباس فقال: قضى أكثرهما وأطيبهما، إن رسول الله إذا قال فعل. (ح ٢٦٨٤).

تفرد به البخاري من هذا الوجه، وقد رواه النسائي في حديث الفتون، كما سيأتي من طريق القاسم بن أبي أيوب، عن سعيد بن جبير به.

وقد رواه ابن جرير عن أحمد بن محمد الطوسي، وابن أبي حاتم، عن أبيه، كلاهما عن الحميدي، عن سفيان بن عيينة، حدثني إبراهيم بن يحيىٰ بن أبي يعقوب عن الحكم بن=

= أبان، عن عكرمة، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «سألت جبريل أي الأجلين قضى موسى؟ قال: أتمهما وأكملهما». (جامع البيان/ ج ٢/ ٦٨).
وإبراهيم هذا غير معروف إلا بهذا الحديث. وقد رواه البزار عن أحمد بن أبان القرشي، عن سفيان بن عيينة، عن إبراهيم بن أعين، عن الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن ابن عباس.

قال الله تعالى: ﴿ ۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾ [القصص: ٢٩ ـ ٣٢].

تقدم أن موسى أتمَّ الأجلين وأكملهما، وقد يؤخذ هذا من قوله: ﴿ ۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ ﴾.
وقوله: ﴿ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ﴾ أي من عند صهره.
قالوا: واتفق ذلك في ليلة مظلمة باردة، وتاهوا في طريقهم فلم يهتدوا إلى السلوك في الدرب المألوف، واشتد الظلام والبرد.
فبينما هو كذلك إذ أبصر عن بعد ناراً تأجج في جانب الطور ـ وهو الجبل الغربي منه عن يمينه فـ ﴿ قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا ﴾ وكأنه والله أعلم رآها دونهم: ﴿ لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ ﴾ أي لعلي أستعلم من عندها عن الطريق: ﴿ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ فدل على أنهم كانوا قد تاهوا عن الطريق في ليلة باردة مظلمة، لقوله في الآية الأخرى: ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴾ فدل على وجود الظلام وكونهم تاهوا عن الطريق، وجمع الكل في سورة النمل في قوله: ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ وقد أتاهم بخبر وأي خبر، ووجد عندها هدىً وأي هدىً، واقتبس منها نوراً وأي نور؟!
قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾. وقال في النمل: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ أي سبحان الله الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [النمل: ٩].
وقال في سورة طه: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴾ [طه: ١١ ـ ١٦]
=

= قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ وكان موسى في واد اسمه «طوى» فكان موسى مستقبلاً القبلة، وتلك الشجرة عن يمينه من ناحية الغرب، فناداه ربه بالواد المقدس طوى، فأمر أولاً بخلع نعليه تعظيماً وتكريماً وتوقيراً لتلك البقعة المباركة، ولا سيما في تلك الليلة المباركة.

ثم خاطبه تعالى كما يشاء قائلاً له: ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾ أي أنا رب العالمين الذي لا إله إلا هو، الذي لا تصلح العبادة وإقامة الصلاة إلا له.

[عصا موسى]:

ثم أخبره أن هذه الدنيا ليست بدار قرار، وإنما الدار الباقية يوم القيامة، التي لا بد من كونها ووجودها: ﴿لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ أي من خير وشر، وحضه وحثه على العمل لها، ومجانبة من لا يؤمن بها ممن عصى مولاه واتبع هواه. ثم قال له مخاطباً ومؤانساً ومبيناً له أنه القادر على كل شيء، والذي يقول للشيء كن فيكون: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ أي أما هذه عصاك التي تعرفها منذ صحبتها؟ ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾ أي بلى هذه عصاي التي أعرفها وأتحققها، ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾. وهذا خارق عظيم وبرهان قاطع على أن الذي يكلمه هو الذي يقول للشيء كن فيكون، وأنه الفعال بالاختيار.

وقد قال الله تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ﴾ أي قد صارت حية عظيمة لها ضخامة هائلة وأنياب تصك، وهي مع ذلك في سرعة حركة الجان، وهو ضرب من الحيات يقال له: الجان والجنان، وهو لطيف ولكنه سريع الاضطراب والحركة جداً، فهذه جمعت الضخامة والسرعة الشديدة، فلما عاينها موسى عليه السلام: ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾ أي هارباً منها؛ لأن طبيعته البشرية تقتضي ذلك ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ﴾ أي ولم يلتفت، فناداه ربه قائلاً له: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ﴾.

فلما رجع أمره الله تعالى أن يمسكها ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾ فيقال إنه هابها شديداً، فلما استمكن منها إذا هي قد عادت كما كانت عصا فسبحان القدير العظيم، رب المشرقين والمغربين!.

ثم أمره تعالى بإدخال يده في جيبه، ثم أمره بنزعها فإذا هي تتلألأ كالقمر بياضاً من غير سوء، أي من غير برص ولا بهق، ولهذا قال: ﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ﴾ قيل معناه: إذا خفت فضع يدك على فؤادك يسكن جأشك.

وقال في سورة النمل: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ أي هاتان الآيتان وهما: العصا واليد، هما البرهانان المشار إليهما في قوله: =

= ﴿ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾ ومع ذلك سبع آيات أخرى. فذلك تسع آيات بينات وهي المذكورة في آخر سورة الإسراء، حيث قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾.

وهي المبسوطة في سورة الأعراف في قوله: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ كما سيأتي الكلام على ذلك في موضعه.

وهذه التسع الآيات غير العشر الكلمات. فإن التسع من كلمات الله القدرية، والعشر من كلماته الشرعية، وإنما نبهنا على هذا لأنه قد اشتبه أمرها على بعض الرواة، فظن أن هذه هي هذه، كما قررنا ذلك في تفسير آخر سورة بني إسرائيل.

والمقصود أن الله سبحانه لما أمر موسى عليه السلام بالذهاب إلى فرعون: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [القصص: ٣٣ - ٣٥].

يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله وكليمه موسى عليه السلام، في جوابه لربه عز وجل، حين أمره بالذهاب إلى عدوه الذي خرج من ديار مصر فراراً من سطوته وظلمه، حين كان من أمره ما كان في قتل ذلك القبطي ولهذا: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾ أي اجعله معي معيناً وردءاً ووزيرا يساعدني، ويعينني على أداء رسالتك إليهم فإنه أفصح مني لساناً وأبلغ بياناً.

قال الله تعالى مجيباً له إلى سؤاله: ﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا ﴾ أي برهاناً ﴿ فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ﴾ أي فلا ينالون منكما مكروهاً بسبب قيامكما بآياتنا، ﴿ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾.

وقال في سورة طه: ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴾ قيل: إنه أصابه في لسانه لثغة، بسبب تلك الجمرة التي وضعها على لسانه، والتي كان فرعون أراد اختبار عقله، حين أخذ بلحيته وهو صغير فهمّ بقتله، فخافت عليه آسية وقالت: إنه طفل، فاختبره بوضع ثمرة وجمرة بين يديه فهم بأخذ الثمرة فصرف الملك يده إلى الجمرة، فأخذها فوضعها على لسانه فأصابته لثغة بسببها. فسأل =

= زوال بعضها بمقدار ما يفهمون قوله ، ولم يسأل زوالها بالكلية. قال الحسن البصري: والرسل إنما يسألون بحسب الحاجة ، ولهذا بقيت في لسانه بقية.

ولهذا قال فرعون ـ قبحه الله ـ فيما زعم أنه يعيب به الكليم: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ أي يفصح عن مراده ، ويعبر عما في ضميره وفؤاده. ثم قال موسى عليه السلام: ﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾.

أي: قد أجبناك إلى جميع ما سألت ، وأعطيناك الذي طلبت. وهذا من وجاهته عند ربه عز وجل ، حين شفع أن يوحي الله إلى أخيه فأوحى إليه. وهذا جاه عظيم ، قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾ ، وقال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا﴾.

وقد سمعت أم المؤمنين عائشة رجلاً يقول لأناس وهم سائرون في طريق الحج: أي أخ آمن على أخيه؟ فسكت القوم ، فقالت عائشة لمن حول هودجها: هو موسى بن عمران حين شفع في أخيه هارون فأوحى إليه. قال الله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا﴾.

وقال تعالى في سورة الشعراء: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٠ ـ ١٩].

تقدير الكلام: فأتياه فقالا له ذلك ، وبلغاه ما أرسلا به من دعوته إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له ، وأن يفك أسر بني إسرائيل من قبضته وقهره وسطوته ، ويتركهم يعبدون ربهم حيث شاؤوا ويتفرغون لتوحيده ودعائه والتضرع لديه.

فتكبر فرعون في نفسه وعتا وطغى ، ونظر إلى موسى بعين الازدراء والتنقص قائلاً له: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ أي أما أنت الذي ربيناه في منزلنا؟ وأحسنا إليه وأنعمنا عليه مدة من الدهر؟.

وهذا يدل على أن فرعون الذي بعث إليه هو الذي فر منه ، ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي وقتلت الرجل القبطي ، وفررت منا وجحدت نعمتنا.

﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ أي قبل أن يوحى إليّ وينزل عليّ ، ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

ثم قال مجيباً لفرعون عما امتن به من التربية والإحسان إليه: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي وهذه النعمة التي ذكرت ، من أنك أحسنت إليَّ وأنا رجل واحد من بني إسرائيل تقابل ما استخدمت هذا الشعب العظيم بكماله ، واستعبدتهم في أعمالك وخدمتك وأشغالك. =

= ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

يذكر تعالى ما كان بين فرعون وموسى من المقاولة والمحاجة والمناظرة، وما أقامه الكليم على فرعون اللئيم، من الحجة العقلية المعنوية ثم الحسية. وذلك أن فرعون ـ قبحه الله ـ أظهر جحد الصانع تبارك وتعالى وزعم أنه الإله: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾، ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾.

وهو في هذه المقالة معاند، يعلم أنه عبد مربوب، وأن الله هو الخالق البارئ المصور، الإله الحق كما قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾. ولهذا قال لموسى عليه السلام على سبيل الإنكار لرسالته، والإظهار أنه ما ثم رب أرسله: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ لأنهما قالا له: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فكأنه يقول لهما: ومن رب العالمين؟ الذي تزعمان أنه أرسلكما وابتعثكما؟.

فأجابه موسى قائلاً: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ يعني رب العالمين خالق هذه السموات والأرض المشاهدة، وما بينهما من المخلوقات المتعددة، من السحاب والرياح والمطر والنبات والحيوانات التي يعلم كل موقن أنها لم تحدث بأنفسها، ولا بد لها من موجد ومحدث وخالق. وهو الله الذي لا إله إلا هو رب العالمين.

﴿قَالَ﴾ أي فرعون ﴿لِمَنْ حَوْلَهُ﴾ من أمرائه ومرازبته ووزرائه، على سبيل التهكم والتنقص لما قرره موسى عليه السلام: ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ يعني كلامه هذا. ﴿قَالَ﴾ موسى مخاطباً له ولهم: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي هو الذي خلقكم والذين من قبلكم، من الآباء والأجداد، والقرون السالفة في الآباد، فإن كل أحد يعلم أنه لم يخلق نفسه، ولا أبوه ولا أمه، ولا يحدث من غير محدث، وإنما أوجده وخلقه رب العالمين، وهذان المقامان هما المذكوران في قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾.

ومع هذا كله لم يستفق فرعون من رقدته، ولا نزع عن ضلالته بل استمر على طغيانه وعناده وكفرانه: ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي هو المسخر لهذه الكواكب الزاهرة المسيرة للأفلاك الدائرة. خالق الظلام والضياء، ورب الأرض والسماء، رب الأولين والآخرين، خالق الشمس والقمر، والكواكب السائرة، والثوابت الحائرة، خالق الليل بظلامه، والنهار بضيائه، والكل تحت قهره وتسخيره وتيسيره سائرون، وفي فلك يسبحون، يتعاقبون في سائر الأوقات ويدورون، فهو تعالى الخالق المالك المتصرف في خلقه بما يشاء.

فلما قامت الحجج على فرعون وانقطعت شبهه، ولم يبق له قول سوى العناد، عدل إلى=

= استعمال سلطانه وجاهه وسطوته ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩ ـ ٣٣].

وهذان هما البرهانان اللذان أيده الله بهما، وهما العصا واليد، وذلك مقام أظهر فيه الخارق العظيم، الذي بهر العقول والأبصار، حين ألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين، أي عظيم الشكل، بديع في الضخامة والهول، والمنظر العظيم الفظيع الباهر.

وهكذا لما أدخل موسى عليه السلام يده في جيبه واستخرجها، أخرجها وهي كفلقة القمر تتلألأ نوراً يبهر الأبصار، فإذا أعادها إلى جيبه واستخرجها رجعت إلى صفتها الأولى.

ومع هذا كله لم ينتفع فرعون ـ لعنه الله ـ بشيء من ذلك، بل استمر على ما هو عليه، وأظهر أن هذا كله سحر، وأراد معارضته بالسحرة، فأرسل يجمعهم من سائر مملكته ومن هم في رعيته وتحت قهره ودولته، كما سيأتي بسطه وبيانه في موضعه، من إظهار الله الحق المبين والحجة الباهرة القاطعة على فرعون ومَلَئه، وأهل دولته وملته... ولله الحمد والمنة.

* * *

وقال تعالى في سورة طه: ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾ اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [سورة طه: ٤٠ ـ ٤٦].

يقول تعالى مخاطباً موسى فيما كلمه به ليلة أوحى إليه، وأنعم بالنبوة عليه، وكلمه منه إليه: قد كنت مشاهداً لك وأنت في دار فرعون، وأنت تحت كنفي وحفظي ولطفي، ثم أخرجتك من أرض مصر إلى أرض مدين بمشيئتي وقدرتي وتدبيري، فلبثت فيها سنين ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ﴾ أي مني لذلك، فوافق ذلك تقديري وتسييري ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ أي اصطفيتك لنفسي برسالتي وبكلامي.

﴿اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾ يعني: ولا تفترا في ذكري إذا قدمتما عليه ووفدتما إليه، فإنه ذلك عون لكما على مخاطبته ومجاوبته، وأداء النصيحة إليه وإقامة الحجة عليه.

ثم قال تعالى: ﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ وهذا من حلمه تعالى وكرمه ورأفته ورحمته بخلقه، مع علمه بكفر فرعون وعتوه وتجبره، وهو إذ ذاك أردى خلقه، وقد بعث إليه صفوته من خلقه في ذلك الزمان، ومع هذا يقول لهما ويأمرهما أن يدعوا إليه بالتي هي أحسن برفق ولين، ويعاملاه بألطف معاملة من يرجو أن يتذكر أو يخشى.

كما قال لرسوله: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، =

وقال تعالى: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ ﴾ ﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ﴾ وذلك أن فرعون كان جباراً عنيداً وشيطاناً مريداً ، له سلطان في بلاد مصر طويل عريض ، وجاه وجنود ، وعساكر وسطوة ، فهاباه من حيث البشرية ، وخافا أن يسطو عليهما في بادىء الأمر ، فثبتهما تعالى وهو العلي الأعلى فقال: ﴿ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ كما قال في الآية الأخرى ﴿ . . . إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ ﴾ .

فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡۖ قَدۡ جِئۡنَٰكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡنَآ أَنَّ ٱلۡعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ يذكر تعالى أنه أمرهما أن يذهبا إلى فرعون فيدعواه إلى الله تعالى أن يعبده وحده لا شريك له وأن يرسل معهما بني إسرائيل ويطلقهم من أسره وقهره ولا يعذبهم. ﴿ قَدۡ جِئۡنَٰكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَۖ ﴾ وهو البرهان العظيم في العصا واليد ، ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴾ تقييد مفيد بليغ عظيم ، ثم تهدداه وتوعداه على التكذيب فقالا: ﴿ إِنَّا قَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡنَآ أَنَّ ٱلۡعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ أي كذب بالحق بقلبه ، وتولى عن العمل بقالبه .

❊ ❊ ❊

[اتصال موسى بفرعون]

وقال الله مخبراً عن فرعون: ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُواْ وَٱرۡعَوۡاْ أَنۡعَٰمَكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ ﴾ [طه: ٤٩ ـ ٥٥] .

يقول تعالى مخبراً عن فرعون: إنه أنكر إثبات الصانع تعالى قائلاً: ﴿ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ أي هو الذي خلق الخلق وقدر لهم أعمالاً وأرزاقاً وآجالاً ، وكتب ذلك عنده في كتابه اللوح المحفوظ ، ثم هدى كل مخلوق إلى ما قدره له ، فطابق عمله فيهم على الوجه الذي قدره وعلمه ، وقدرته وقدره لكمال علمه ، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿ سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ أي قدر قدراً وهدى الخلائق إليه .

﴿ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ﴾ يقول فرعون لموسى: فإذا كان ربك هو الخالق المقدر الهادي الخلائق لما قدره ، وهو بهذه المثابة من أنه لا يستحق العبادة سواه ، فلم عبد الأولون غيره؟ وأشركوا به من الكواكب والأنداد ما قد علمت؟ فهلا اهتدى إلى ما ذكرته القرون الأولى؟ ﴿ قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾ أي هم وإن عبدوا غيره فليس ذلك بحجة لك ، ولا يدل على خلاف ما أقول لأنهم جهلة مثلك ، وكل شيء فعلوه مُسَطّر عليهم في الزبر ، من صغير وكبير ، وسيجزيهم على ذلك ربي عز وجل ، ولا يظلم أحداً مثقال ذرة ، =

= لأن جميع أفعال العباد مكتوبة عنده في كتاب لا يضل عنه شيء ولا ينسى ربي شيئاً.
ثم ذكر له عظمة الرب وقدرته على خلق الأشياء، وجعله الأرض مهاداً والسماء سقفاً محفوظاً، وتسخيره السحاب والأمطار لرزق العباد ودوابهم وأنعامهم، كما قال: ﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَىٰ﴾ أي لذوي العقول الصحيحة المستقيمة، والفطر القويمة غير السقيمة، فهو تعالى الخالق الرزاق، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١ - ٢٢].
ولما ذكر إحياء الأرض بالمطر، واهتزازها بإخراج نباتها فيه نبه به على المعاد فقال: ﴿مِنْهَا﴾ أي من الأرض ﴿خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ كما قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧].
ثم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾. يخبر تعالى عن شقاء فرعون وكثرة جهله وقلة عقله، في تكذيبه بآيات الله واستكباره عن اتباعها، وقوله لموسى: إن هذا الذي جئت به سحر، ونحن نعارضك بمثله، ثم طلب من موسى أن يواعده إلى وقت معلوم ومكان معلوم.
وكان هذا من أكبر مقاصد موسى عليه السلام: أن يظهر آيات الله و حججه وبراهينه جهرة بحضرة الناس. ولهذا ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ﴾ وكان يوم عيد من أعيادهم ومجتمع لهم ﴿وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾ أي من أول النهار في وقت اشتداد ضياء الشمس، فيكون الحق أظهر وأجلى، ولم يطلب أن يكون ذلك ليلاً في ظلام، كما يروج عليهم محالاً وباطلاً، بل طلب أن يكون نهارا جهرة، لأنه على بصيرة من ربه، ويقين بأن الله سيظهر كلمته ودينه، وإن رغمت أنوف القبط!.

* * *

[موسى والسحرة]:
قال الله تعالى: ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ﴾ [سورة طه: ٦٠ - ٦٤].
يخبر تعالى عن فرعون أنه ذهب فجمع من كان ببلاده من السحرة، وكانت بلاد مصر في ذلك =

= الزمان مملوءة سحرة فضلاء ، في فنهم غاية ، فجمعوا له من كل بلد ومن كل مكان ، فاجتمع منهم خلق كثير وجم غفير ، وحضر فرعون وأمراؤه وأهل دولته وأهل بلده عن بكرة أبيهم . وذلك أن فرعون نادى فيهم أن يحضروا هذا الموقف العظيم ، فخرجوا وهم يقولون: ﴿ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴾ .

وتقدم موسى عليه السلام إلى السحرة فوعظهم ، وزجرهم عن تعاطي السحر الباطل ، الذي فيه معارضة لآيات الله وحججه فقال: ﴿ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ﴾ .

قيل معناه: أنهم اختلفوا فيما بينهم ، فقائل يقول: هذا كلام نبي وليس بساحر ، وقائل منهم يقول: بل هو ساحر . . فالله أعلم. أسروا التناجي بهذا وغيره . ﴿ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا ﴾ يقولون: إن هذا وأخاه هارون ، ساحران عليمان مطبقان متقنان لهذه الصناعة ، ومرادهما أن يجتمع الناس عليهما ويصولا على الملك وحاشيته ، ويستأصلاكم عن آخركم ويستأمرهما عليكم بهذه الصناعة .

﴿ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴾ وإنما قالوا الكلام الأول ليتدبروا ويتواصوا ، ويأتوا ، بجميع ما عندهم من المكيدة والمكر والخديعة والبهتان .

وهيهات! كذبت والله الظنون ، وأخطأت الآراء ، أنّى يعارض البهتان ، والسحر والهذيان خوارق العادات التي أجراها الديّان على يدي عبده الكليم ، ورسوله الكريم المؤيد بالبرهان، الذي يبهر الأبصار وتحار فيه العقول والأذهان .

وقولهم: ﴿ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ﴾ أي جميع ما عندكم ﴿ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ﴾ أي جملة واحدة ، ثم حضوا بعضهم بعضاً على التقدم في هذا المقام ، لأن فرعون كان قد وعدهم ومنّاهم ، وما يعدهم الشيطان إلا غروراً .

﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾ [سورة طه: ٦٥ ـ ٦٩] .

لما اصطف السحرة ووقف موسى وهارون عليهما السلام تجاههم قالوا له: إما أن تلقي قبلنا ، وإما أن نلقي قبلك ﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ﴾ أنتم ، وكانوا قد عمدوا إلى حبال وعصي ، فأودعوها الزئبق وغيره ، من الآلات التي تضطرب بسببها تلك الحبال والعصي اضطراباً يخيل للرائي أنها تسعى باختيارها ، وإنما تتحرك بسبب ذلك ، فعند ذلك سحروا أعين الناس واسترهبوهم ، وألقوا حبالهم وعصيهم ، وهم يقولون: ﴿ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ .

قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ ، وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴾ أي خاف =

= على الناس أن يفتنوا بسحرهم ومحالهم ، قبل أن يلقي ما في يده ، فإنه لا يصنع شيئاً قبل أن يؤمر ، فأوحى الله إليه في الساعة الراهنة : ﴿ لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ ﴾ فعند ذلك ألقى موسى عصاه وقال : ﴿ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ .

وذلك أن موسى عليه السلام لما ألقاها ، صارت حية عظيمة بحيث إن الناس انحازوا منها وهربوا سراعاً وتأخروا عن مكانها وأقبلت هي على ما ألقوه من الحبال والعصي ، فجعلت تلقفه واحداً واحداً في أسرع ما يكون من الحركة ، والناس ينظرون إليها ويتعجبون منها ، وأما السحرة فإنهم رأوا ما هالهم وحيرهم في أمرهم ، واطلعوا على أمر لم يكن في خلدهم ولا بالهم ولا يدخل تحت صناعاتهم وأشغالهم ، فعند ذلك وهنالك تحققوا بما عندهم من العلم أن هذا ليس بسحر ولا شعوذة، ولا محال ولا خيال ، ولا زور ولا بهتان ولا ضلال ، بل حق لا يقدر عليه إلا الحق ، الذي بعث هذا المؤيد به بالحق ، وكشف الله عن قلوبهم غشاوة الغفلة ، وأنارها بما خلق فيها من الهدى وأزاح عنها القسوة ، وأنابوا إلى ربهم وخروا له ساجدين ، وقالوا جهرة للحاضرين ولم يخشوا عقوبة ولا بلوى ﴿ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴾ كما قال تعالى : ﴿ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ [سورة طه : ٧٠ ـ ٧٦] .

وذلك لأن فرعون لما رأى هؤلاء السحرة قد أسلموا وأشهروا ذكر موسى وهارون في الناس على هذه الصفة الجميلة ، أفزعه ذلك ورأى أمراً بهره ، وأعمى بصيرته وبصره ، وكان فيه كيد ومكر وخداع وصنعة بليغة في الصد عن سبيل الله ، فقال مخاطباً السحرة بحضرة الناس : ﴿ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ﴾ أي هلا شاورتموني فيما صنعتم من الأمر الفظيع بحضرة رعيتي؟! ثم تهدد وتوعد وأبرق وأرعد ، وكذب فأبعد قائلاً : ﴿ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ﴾ ، وقال في الآية الأخرى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٢٣] .

=

= وهذا الذي قاله من البهتان الذي يعلم كل فرد عاقل ما فيه من الكفر والكذب والهذيان ، بل يروج مثله على الصبيان ، فإن الناس كلهم من أهل دولته وغيرهم يعلمون أن موسى لم يره هؤلاء يوماً من الدهر ، فكيف يكون كبيرهم الذي علمهم السحر؟ ثم هو لم يجمعهم ولا علم باجتماعهم ، حتى كان فرعون هو الذي استدعاهم ، واجتباهم من كل فج عميق ، وواد سحيق ، من حواضر بلاد مصر والأطرف ، ومن المدن والأرياف .

* * *

قال الله تعالى في سورة الأعراف : ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا
فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ (١٠٣) وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٠٤) حَقِيقٌ
عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ (١٠٥) قَالَ إِن كُنتَ
جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ (١٠٦) فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ (١٠٧) وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ
بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ (١٠٨) قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ (١٠٩) يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا
تَأْمُرُونَ (١١٠) قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ (١١١) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ (١١٢) وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ
فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ (١١٣) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ (١١٤) قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ
إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ (١١٥) قَالَ أَلْقُوا۟ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ
وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ (١١٦) ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (١١٧) فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ
وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (١١٨) فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ (١١٩) وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ (١٢٠) قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ
ٱلْعَٰلَمِينَ (١٢١) رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ (١٢٢) قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ
لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (١٢٣) لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (١٢٤) قَالُوٓا۟
إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ (١٢٥) وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا
مُسْلِمِينَ﴾ [سورة الأعراف : ١٠٣ ـ ١٢٦] .

وقال تعالى في سورة يونس : ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا
فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ (٧٥) فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ (٧٦) قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ
لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ (٧٧) قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا
ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ (٧٨) وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ (٧٩) فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ
لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ (٨٠) فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ
عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ (٨١) وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس : ٧٥ ـ ٨٢] .

وقال تعالى في سورة الشعراء : ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ (٢٩) قَالَ أَوَلَوْ
جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ (٣٠) قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ (٣١) فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ (٣٢) وَنَزَعَ يَدَهُۥ
فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ (٣٣) قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ (٣٤) يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ
فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (٣٥) قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ (٣٦) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ (٣٧) فَجُمِعَ
ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ (٣٨) وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ (٣٩) لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ (٤٠) =

﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩ ـ ٥١] .

والمقصود أن فرعون كذب وافترى وكفر غاية الكفر في قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ وأتى ببهتان يعلمه العالمون في قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، وقوله: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ يعني يقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى وعكسه، ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي ليجعلنهم مثلة ونكالاً لئلا يقتدي بهم أحد من رعيته وأهل ملته. ولهذا قال: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ أي على جذوع النخل لأنها أعلى وأشهر ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾ يعني في الدنيا.

﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أي لن نطيعك ونترك ما وقع في قلوبنا من البينات والدلائل القاطعات ﴿وَٱلَّذِى فَطَرَنَا﴾ قيل: معطوف، وقيل: قسم ﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾ أي فافعل ما قدرت عليه ﴿إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ﴾ أي إنما حكمك علينا في هذه الحياة الدنيا، فإذا انتقلنا منها إلى الدار الآخرة صرنا إلى حكم الذي أسلمنا له واتبعنا رسله: ﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ أي ثوابه خير مما وعدتنا به من التقريب والترغيب ﴿وَأَبْقَىٰٓ﴾ أي أدوم من هذه الدار الفانية. وفي الآية الأخرى: ﴿قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ﴾ أي ما اجترمنا من المآثم والمحارم ﴿أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي من القبط، بموسى وهارون عليهما السلام.

وقالوا له أيضاً: ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا﴾ أي ليس لنا عندك ذنب إلا إيماننا بما جاءنا به رسولنا، واتباعنا آيات ربنا لما جاءتنا ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ أي ثبتنا على ما ابتلينا به من عقوبة هذا الجبار العنيد، والسلطان الشديد، بل الشيطان المريد، ﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾.

وقالوا أيضاً يعظونه ويخوفونه بأس ربه العظيم: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ يقولون له: فإياك أن تكون منهم، فكان منهم ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ﴾ أي المنازل العالية، ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ فاحرص أن تكون منهم، فحالت بينه وبين ذلك الأقدار التي لا تغالب ولا تمانع، وحكم العلي العظيم بأن فرعون ـ لعنه الله ـ من أهل الجحيم، ليباشر العذاب الأليم، يصب من فوق رأسه الحميم. ويقال له على وجه التقريع والتوبيخ، وهو المقبوح المنبوح والذميم اللئيم: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾.

= والظاهر من هذه السياقات أن فرعون ـ لعنه الله ـ صلبهم وعذبهم رضي الله عنهم ، قال عبد الله بن عباس وعبيد بن عمير : كانوا من أول النهار سحرة ، فصاروا من آخره شهداء بررة! ويؤيد هذا قولهم : ﴿ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ﴾ .

[كبار قوم فرعون يحرضونه على إيذاء موسى] :

ولما وقع ما وقع من الأمر العظيم ، وهو الغلب الذي غلبته القبط في ذلك الموقف الهائل وأسلم السحرة الذين استنصروا بهم ، لم يزدهم ذلك إلا كفراً وعناداً وبعداً عن الحق . قال الله تعالى بعد أن قصّ ما تقدم في سورة الأعراف : ﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف : ١٢٧ ـ ١٢٩] .

يخبر تعالى عن الملأ من قوم فرعون ، وهم الأمراء والكبراء ، أنهم حضُّوا ملكهم فرعون على أذية نبي الله موسى عليه السلام ، ومقابلته بدل التصديق بما جاء به ، والكفر والرد والأذى .

قالوا : ﴿ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ﴾ يعنون ـ قبحه الله ـ أن دعوته إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، والنهي عن عبادة ما سواه ، فساد بالنسبة إلى اعتقاد القبط ، لعنهم الله . وقرأ بعضهم : ﴿ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ﴾ أي وعبادتك . ويحتمل شيئين أحدهما : ويذر دينك ، وتقويه القراءة الأخرى . والثاني : ويذر أن يعبدك ، فإنه كان يزعم أنه إله ، لعنه الله .

﴿ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ﴾ أي لئلا يكثر مقاتلتهم ﴿ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ﴾ أي غالبون . ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ﴾ أي إذا هم هموا بأذيتكم والفتك بكم فاستعينوا أنتم بربكم واصبروا على بليتكم ﴿ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ أي فكونوا أنتم المتقين تكون لكم العاقبة ، كما قال في الآية الأخرى : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَا رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحۡمَتِكَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ .

وقولهم : ﴿ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ﴾ أي قد كانت الأبناء تقتل قبل مجيئك وبعد مجيئك إلينا ﴿ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ﴾ . وقال الله تعالى في سورة غافر : ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُواْ سَٰحِرٞ كَذَّابٞ﴾ .

وكان فرعون الملك ، وهامان الوزير ، وكان قارون إسرائيلياً من قوم موسى ، إلاّ أنه كان في دين فرعون وملئه ، وكان ذا مال جزيل جداً ، كما ستأتي قصته فيما بعد إن شاء الله تعالى .

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ ٱقۡتُلُوٓاْ أَبۡنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسۡتَحۡيُواْ نِسَآءَهُمۡۚ وَمَا كَيۡدُ =

= ﴿ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ وهذا القتل للغلمان من بعد بعثة موسى إنما كان على وجه الإهانة والإذلال، والتقليل لملأ بني إسرائيل لئلا يكون لهم شوكة يمتنعون بها، ويصولون على القبط بسببها وكانت القبط منهم يحذرون، فلم ينفعهم ذلك، ولم يرد عنهم قدر الذي يقول لكل شيء: كن فيكون.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ ولهذا يقول الناس على سبيل التهكم: «صار فرعون مذكراً» وهذا منه، وفرعون في زعمه خاف على الناس أن يضلهم موسى عليه السلام!.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ أي عذت له ولجأت إليه واستجرت بجنابه، من أن يسطو فرعون وغيره عليّ بسوء. وقوله: ﴿مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ﴾ أي جبار عنيد لا يرعوي ولا ينتهي، ولا يخاف عذاب الله وعقابه، لأنه لا يعتقد معاداً ولا جزاء، ولهذا قال: ﴿مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾.

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٨ ـ ٢٩].

وهذا الرجل من آل فرعون، وكان يكتم إيمانه من قومه خوفاً منهم على نفسه، وزعم بعض الناس أنه كان إسرائيلياً، وهو بعيد ومخالف لسياق الكلام لفظاً ومعنى.. والله أعلم.

قال ابن جريج: قال ابن عباس: لم يؤمن من القبط بموسى إلا هذا، والذي جاء من أقصى المدينة وامرأة فرعون. رواه ابن أبي حاتم.

والمقصود أن هذا الرجل كان يكتم إيمانه، فلما همَّ فرعون ـ لعنه الله ـ بقتل موسى عليه السلام، وعزم على ذلك وشاور ملأه فيه خاف هذا المؤمن على موسى، فتلطف في رد فرعون بكلام جمع فيه الترغيب والترهيب، فقال على وجه المشورة والرأي.

قال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ﴾ أي من أجل أنه قال: ربي الله فمثل هذا لا يقابل بهذا بل بالإكرام والاحترام أو الموادعة وترك الانتقام، يعني لأنه: ﴿وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ أي بالخوارق التي دلت على صدقه فيما جاء به عمن أرسله، فهذا إن وادعتموه كنتم في سلامة، لأنه: ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ﴾ ولا يضركم ذلك ﴿وَإِن يَكُ صَادِقًا﴾ وقد تعرضتم له ﴿يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ أي وأنتم تشفقون أن ينالكم أيسر جزاء مما يتوعدكم به، فكيف بكم إن حل جميعه عليكم؟ وهذا الكلام في هذا المقام، من أعلى مقامات التلطف والاحتراز والعقل التام.

وقوله: ﴿يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يحذرهم أن يسلبوا هذا الملك العزيز، فإنه ما تعرضت الدول للدين إلا سلبوا ملكهم وذلوا بعد عزهم!. =

= وكذا وقع لآل فرعون ، ما زالوا في شك وريب ، ومخالفة ومعاندة لما جاءهم موسى به حتى أخرجهم الله ممَّا كانوا فيه من الملك والأملاك والدور والقصور ، والنعمة والحبور ، ثم حولوا إلى البحر مهانين ، ونقلت أرواحهم بعد العلو والرفعة إلى أسفل السافلين.

ولهذا قال هذا الرجل المؤمن الصادق ، البار الراشد ، التابع للحق ، الناصح لقومه ، الكامل العقل : ﴿ يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي : عالين على الناس حاكمين عليهم ، ﴿ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ ﴾؟ أي لو كنتم أضعاف ما أنتم فيه من العدد والعدة ، والقوة والشدة لما نفعنا ذلك ، ولا رد عنا بأس مالك الممالك.

﴿ قَالَ فِرۡعَوۡنُ﴾ أي في جوابه هذا كله : ﴿ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ أي ما أقول لكم إلا ما عندي ﴿ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾. وكذب في كل من هذين القولين وهاتين المقدمتين ، فإنه قد كان يتحقق في باطنه وفي نفسه أن هذا الذي جاء به موسى من عند الله لا محالة ، وإنما كان يظهر خلافه بغياً وعدواناً ، وعتوّاً وكفراناً.

قال الله تعالى إخباراً عن موسى : ﴿ قَالَ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسۡتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ فَأَغۡرَقۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعٗا ﴿١٠٣﴾ وَقُلۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ لِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱسۡكُنُواْ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفٗا﴾ [الإسراء : ١٠٢ ـ ١٠٤].

وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَٰتُنَا مُبۡصِرَةٗ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [النمل : ١٣ ـ ١٤].

وأما قوله : ﴿ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ فقد كذب أيضاً ، فإنه لم يكن على رشاد من الأمر ، بل كان على سفه وضلال وخبل وخيال ، فكان أولاً ممن يعبد الأصنام والأوثان ، ثم دعا قومه الجهلة الضالين إلى أن اتبعوه وطاوعوه وصدقوه فيما زعم من الكفر والمحال في دعواه أنه رب ، تعالى الله ذو الجلال!

قال الله تعالى : ﴿ وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِي قَوۡمِهِۦ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوۡلَآ أُلۡقِيَ عَلَيۡهِ أَسۡوِرَةٞ مِّن ذَهَبٍ أَوۡ جَآءَ مَعَهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مُقۡتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ سَلَفٗا وَمَثَلٗا لِّلۡأٓخِرِينَ﴾.

وقال تعالى : ﴿ فَأَرَىٰهُ ٱلۡأٓيَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰٓ﴾.

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ فِرۡعَوۡنَۖ وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ ﴿٩٧﴾ يَقۡدُمُ قَوۡمَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡوِرۡدُ ٱلۡمَوۡرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ بِئۡسَ ٱلرِّفۡدُ ٱلۡمَرۡفُودُ﴾. والمقصود بيان كذبه في قوله : ﴿ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ وفي قوله : ﴿ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ =

= بَعْدِهِمْۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ .

يحذرهم ولي الله إن كذبوا برسول الله موسى أن يحل بهم ما حل بالأمم من قبلهم ، من النقمات والمثلات ، مما تواتر عندهم وعند غيرهم ، مما حل بقوم نوح وعاد وثمود ومن بعدهم إلى زمانهم ذلك ، مما أقام به الحجج على أهل الأرض قاطبة ، في صدق ما جاء به الأنبياء ، لما أنزل من النقمة بمكذبيهم من الأعداء ، وما أنجى الله من اتبعهم من الأولياء وخوفهم يوم القيامة ، وهو يوم التنادي ، أي حين ينادي الناس بعضهم بعضاً ، حين يولون إن قدروا على ذلك ، ولا إلى ذلك سبيلاً : ﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾ ، وقال تعالى : ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن : ٣٣ ـ ٣٦] .

وقرأ بعضهم : ﴿يَوْمَ ٱلتَّنَادِ﴾ بتشديد الدال ، أي يوم الفرار ، ويحتمل أن يكون يوم القيامة ، ويحتمل أن يكون يوم يُحِلّ الله بهم البأس ، فيودون الفرار ولات حين مناص ﴿فَلَمَّآ أَحَسُّوا۟ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا۟ وَٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء : ١٢ ـ ١٣] .

ثم أخبرهم عن نبوة يوسف في بلاد مصر ، وما كان منه من الإحسان إلى الخلق في دنياهم وأخراهم . وهذا من سلالته وذريته ، ويدعو الناس إلى توحيد الله وعبادته ، وألا يشركوا به أحداً من بريته ، وأخبر عن أهل الديار المصرية في ذلك الزمان ، وأن من سجيتهم التكذيب بالحق ومخالفة الرسل . ولهذا قال : ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًاۚ﴾ أي وكذبتم في هذا . ولهذا قال : ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْۖ﴾ أي يردون حجج الله وبراهينه ودلائل توحيد بلا حجة ولا دليل عندهم من الله ، فإن هذا أمر يمقته الله غاية المقت ، أي يبغض من تلبس به من الناس ، ومن اتصف به من الخلق ، ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ قرئ بالإضافة وبالنعت ، وكلاهما متلازم : أي هكذا إذا خالفت القلوب الحق ـ ولا تخالفه إلا بلا برهان ـ فإن الله يطبع عليها ، أي يختم عليها بما فيها .

وعند ذلك قال موسى : ﴿يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ فأمرهم بالتوكل على =

= الله والاستعانة به، والالتجاء إليه، فائتمروا بذلك فجعل الله لهم مما كانوا فيه فرجاً ومخرجاً.

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

أوحى الله تعالى إلى موسى وأخيه هارون عليهما السلام أن يتخذا لقومهما بيوتاً متميزة فيما بينهم عن بيوت القبط، ليكونوا على أهبة الرحيل إذا أُمروا به، ليعرف بعضهم بيوت بعض.

وقوله: ﴿ وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ﴾ قيل: مساجد، وقيل معناه: كثرة الصلاة فيها. قاله مجاهد وأبو مالك وإبراهيم النخعي والربيع والضحاك وزيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن وغيرهم. ومعناه على هذا: الاستعانة على ما هم فيه من الضر والشدة والضيق بكثرة الصلاة، كما قال تعالى: ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ ﴾ وكان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر صلى. وقيل معناه: أنهم لم يكونوا حينئذ يقدرون على إظهار عبادتهم في مجتمعاتهم ومعابدهم، فأُمروا أن يصلوا في بيوتهم، عوضاً عما فاتهم من إظهار شعائر الدين الحق في ذلك الزمان، الذي اقتضى حالهم إخفاءه خوفاً من فرعون ومَلَئه، والمعنى الأول أقوى لقوله: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ وإن كان لا ينافي الثاني أيضاً... والله أعلم. وقال سعيد بن جبير: ﴿ وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ﴾ أي متقابلة.

[غرق فرعون و جنوده]:

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يونس: ٨٨ ـ ٨٩].

هذه دعوة عظيمة دعا بها كليم الله موسى على عدو الله فرعون، غضباً لله عليه، لتكبره عن اتباع الحق، وصده عن سبيل الله ومعاندته وعتوه وتمرده، واستمراره على الباطل، ومكابرته الحق الواضح الجلي الحسي والمعنوي، والبرهان القطعي، فقال: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ ﴾ يعني قومه من القبط، ومن كان على ملّته ودان بدينه ﴿ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ ﴾ أي وهذا يغتر به من يعظم أمر الدنيا، فيحسب الجاهل أنهم على شيء، ولكن هذه الأموال وهذه الزينة، من اللباس والمراكب الحسنة الهنية، والدور الأنيقة والقصور المبنية، والمآكل الشهية والمناظر البهية، والملك العزيز والتمكين، والجاه العريض في الدنيا لا الدين.

﴿ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾ قال ابن عباس ومجاهد: أي أهلكها.

وقوله: ﴿ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ قال ابن عباس: أي اطبع عليها، وهذه دعوة غضب لله تعالى ولدينه ولبراهينه. فاستجاب الله تعالى لها، وحققها وتقبلها، كما استجاب لنوح في قومه حيث قال: ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ =

= ﴿يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ ولهذا قال تعالى مخاطباً لموسى حين دعا على فرعون وملئه ، وأمّن أخوه هارون على دعائه فنزل ذلك منزلة الداعي أيضاً : ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ .

قال الله تعالى : ﴿ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى الْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ ۖ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الشعراء : ٥٢ ـ ٦٨] .

قال علماء التفسير : لما ركب فرعون في جنوده طالباً بني إسرائيل يقفو أثرهم كان في جيش كثيف عرمرم .

والمقصود أن فرعون لحقهم بالجنود ، فأدركهم وتراءى الجمعان ، ولم يبق ثَمَّ ريب ولا لبس ، وعاين كل من الفريقين صاحبه وتحققه وراه ، ولم يبق إلا المقاتلة والمجادلة والمحاماة. فعندها قال أصحاب موسى وهم خائفون : ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ وذلك لأنهم اضطروا في طريقهم إلى البحر فليس لهم طريق ولا محيد إلا سلوكه وخوضه ، وهذا ما لا يستطيعه أحد ولا يقدر عليه ، وفرعون قد غالقهم وواجههم ، وعاينوه في جنوده وجيوشه وعَدِده وعُدَده ، وهم منه في غاية الخوف والذعر ، لما قاسوا في سلطانه من الإهانة والمكر .

فشكوا إلى نبي الله ما هم فيه مما قد شاهدوه وعاينوه ، فقال لهم الرسول الصادق المصدوق : ﴿كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ وكان في الساقة فتقدم إلى المقدمة ، ونظر إلى البحر وهو يتلاطم بأمواجه ، ويتزايد زبد أجاجه ، وهو يقول : هاهنا أمرت . ومعه أخوه هارون ، ويوشع بن نون ، وهو يومئذ من سادات بني إسرائيل وعلمائهم وعبادهم الكبار ، وقد أوحى الله إليه وجعله نبيّاً بعد موسى وهارون عليهما السلام ، كما سنذكره فيما بعد إن شاء الله ، ومعهم أيضاً مؤمنو آل فرعون ، وهم وقوف ، وبنو إسرائيل بكمالهم عليهم عكوف .

فلما تفاقم الأمر وضاق الحال واشتد الأمر ، واقترب فرعون و جنوده في جدهم وحدهم وحديدهم ، وغضبهم وحنقهم ، وزاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر ، عند ذلك أوحى الحليم العظيم القدير ، رب العرش الكريم ، إلى موسى الكليم : ﴿أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ ۖ﴾ فلما ضربه ، انفلق بإذن الله .

قال الله تعالى : ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ ۖ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ ويقال : إنه انفلق اثني عشر طريقاً ، لكل سبط طريق يسيرون فيه ، وهكذا كان ماء البحر قائماً مثل الجبال ، مكفوفاً بالقدرة العظيمة الصادرة من الذي يقول للشيء كن فيكون . =

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ﴾ والمقصود أنه لما ال أمر البحر إلى هذه الحال، فبإذن الرب العظيم الشديد المحال، أمر موسى عليه السلام أن يجوزه ببني إسرائيل، فانحدروا فيه مسرعين مستبشرين مبادرين، وقد شاهدوا من الأمر العظيم ما يحير الناظرين، ويهدي قلوب المؤمنين. فلما جاوزه وجاوزوه وخرج اخرهم منه، وانفصلوا عنه، وكان ذلك عند قدوم أول جيش فرعون إليه، ووفودهم عليه.

فأراد موسى عليه السلام أن يضرب البحر بعصاه ليرجع كما كان عليه. لئلا يكون لفرعون وجنوده وصول إليه، ولا سبيل عليه، فأمره القدير ذو الجلال أن يترك البحر على هذه الحال، كما قال وهو الصادق في المقال: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَن لَّا تَعْلُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ﴾ [الدخان: ١٧ ـ ٣٣].

فقوله تعالى: ﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا﴾ أي ساكناً على هيئته، لا يُغيِّره عن هذه الصفة. قاله عبد الله بن عباس ومجاهد وعكرمة والربيع والضحاك وقتادة وكعب الأحبار وسماك بن حرب وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وغيرهم.

فلما تركه على هيئته وحالته وانتهى فرعون، فرأى ما رأى، وعاين ما عاين، هاله هذا المنظر العظيم، وتحقق ما كان يتحققه قبل ذلك من أن هذا من فعل رب العرش الكريم، فأحجم ولم يتقدم، وندم في نفسه على خروجه في طلبهم والحالة هذه حيث لا ينفعه الندم، لكنه أظهر لجنوده تجلداً وعاملهم معاملة العدا، وحملته النفس الكافرة والسجية الفاجرة على أن قال لمن استخفهم فأطاعوه، وعلى باطله تابعوه: انظروا كيف انحسر البحر لي لأدرك عبيدي الآبقين من يدي، الخارجين على طاعتي وبلدي؟ وجعل يوري في نفسه أن يذهب خلفهم، ويرجو أن ينجو وهيهات ويقدم تارة ويحجم تارات!.

فبادر هذا وفرعون لا يملك من نفسه ضرّاً ولا نفعاً، فلما رأته الجنود قد سلك البحر اقتحموا وراءه مسرعين، فحصلوا في البحر أجمعين أكتعين أبصعين، فعند ذلك أمر الله تعالى كليمه فيما أوحاه إليه أن يضرب بعصاه البحر.

فضربه فارتطم عليهم البحر كما كان، فلم ينج منهم إنسان.

قال تعالى: ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم =

= مُؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ أي في إنجائه أولياءه فلم يغرق منهم أحد، وإغراقه أعداءه فلم يخلص منهم أحد آية عظيمة، وبرهان قاطع على قدرته تعالى العظيمة، وصدق رسوله فيما جاء به عن ربه من الشريعة الكريمة، والمناهج المستقيمة.

وقال تعالى: ﴿۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ [يونس: ٩٠ ـ ٩٢].

يخبر تعالى عن كيفية غرق فرعون زعيم كفرة القبط، وأنه لما جعلت الأمواج تخفضه تارة وترفعه أخرى، وبنو إسرائيل ينظرون إليه وإلى جنوده، ماذا أحل الله به وبهم من البأس العظيم والخطب الجسيم، ليكون أقر لأعين بني إسرائيل، وأشفى لنفوسهم. فلما عاين فرعون الهلكة وأحيط به، وباشر سكرات الموت وأناب حينئذ وتاب، وامن حين لا ينفع نفساً إيمانها، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾. وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [غافر: ٨٤ ـ ٨٥].

وهكذا دعا موسى على فرعون وملئه أن يطمس على أموالهم، ويشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم، أي حين لا ينفعهم ذلك، ويكون حسرة عليهم. وقد قال تعالى لهما ـ أي لموسى وهارون ـ حين دعوا بهذا: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ فهذا من إجابة الله تعالى دعوة كليمه وأخيه هارون عليهما السلام.

وقوله تعالى: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ استفهام إنكاري، ونص على عدم قبوله تعالى منه ذلك. لأنه ـ والله أعلم ـ لو رد إلى الدنيا كما كان لعاد إلى ما كان عليه، كما أخبر تعالى عن الكفار إذا عاينوا النار وشاهدوها أنهم يقولون: ﴿يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، قال الله: ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾، وقوله: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾.

قال: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ أي مصاحباً درعك المعروفة بك: ﴿لِتَكُونَ﴾ أي أنت آية ﴿لِمَنْ خَلْفَكَ﴾ أي من بني إسرائيل، ودليلاً على قدرة الله الذي أهلكك، ولهذا قرأ بعض السلف: «لتكون لمن خلفك آية» ويحتمل أن يكون المراد: ننجيك بجسدك لتكون علامة لمن وراءك من بني إسرائيل على معرفتك وأنك هلكت.. والله أعلم، وقد كان هلاكه وجنوده في يوم عاشوراء.

كما قال الإمام البخاري في صحيحه: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا غندر، حدثنا شعبة بن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قدم النبي ﷺ المدينة واليهود تصوم يوم=

= عاشوراء ، قال: «ما هذا اليوم الذي تصومونه؟» ، فقالوا: هذا يوم ظهر فيه موسى على فرعون. قال النبي ﷺ لأصحابه: «أنتم أحق بموسى منهم فصوموا». وأصل هذا الحديث في الصحيحين وغيرهما . . والله أعلم [صحيح البخاري/ ح ٤٦٨٠] ومسلم (١٣/ ١٩/ ١٢٧).

وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز المهيمن على ما عداه من الكتب: ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ١٣٨ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾. قالوا: هذا الجهل والضلال ، وقد عاينوا من ايات الله وقدرته ما دلهم على صدق ما جاءهم به رسول ذي الجلال والإكرام ، وذلك أنهم مروا على قوم يعبدون أصناماً ، قيل: كانت على صور البقرة ، فكأنهم سألوهم: لِمَ يعبدونها؟ فزعموا لهم أنها تنفعهم وتضرهم ويسترزقون بها عند الضرورات ، فكأن بعض الجهال منهم صدقوهم في ذلك ، فسألوا نبيهم الكليم الكريم العظيم ، أن يجعل لهم الهة كما لأولئك الهة ، فقال لهم مبيناً: إنهم لا يعقلون ولا يهتدون: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾.

ثم ذكرهم نعمة الله عليهم ، في تفضيله إياهم على عالمي زمانهم بالعلم والشرع ، والرسول الذي بين أظهرهم ، وما أحسن به إليهم ، وما امتن به عليهم من إنجائهم من قبضة فرعون الجبار العنيد ، وإهلاكه إياه وهم ينظرون ، وتوريثه إياهم ما كان فرعون وملؤه يجمعونه من الأموال والسعادة ، وما كانوا يعرشون ، وبيّن لهم أنه لا تصلح العبادة إلا لله وحده لا شريك له ، لأنه الخالق الرازق القهار ، وليس كل بني إسرائيل سأل هذا السؤال ، بل هذا الضمير عائد على الجنس في قوله: ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ﴾ أي قال بعضهم كما في قوله: ﴿وَحَشَرۡنَٰهُمۡ فَلَمۡ نُغَادِرۡ مِنۡهُمۡ أَحَدٗا ٤٧ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّٗا لَّقَدۡ جِئۡتُمُونَا كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةِۭۚ بَلۡ زَعَمۡتُمۡ أَلَّن نَّجۡعَلَ لَكُم مَّوۡعِدٗا﴾ فالذين زعموا هذا بعض الناس لا كلهم.

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن الزهري ، عن سنان بن أبي سنان الديلي ، عن أبي واقد الليثي ، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ قبل حنين ، فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله . . اجعل لنا هذه ذات أنواط كما للكفار ذات أنواط ، وكان الكفار ينوطون سلاحهم بسدرة يعكفون حولها ، فقال النبي ﷺ: «الله أكبر . . هذا كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ﴾ إنكم تركبون سنن الذين من قبلكم». ورواه النسائي عن محمد بن رافع ، عن عبد الرزاق به. ورواه الترمذي عن سعيد بن عبد الرحمن المخزومي ، عن سفيان بن عيينة ، عن الزهري به ، ثم قال: حسن صحيح [أحمد/ ٢١٩٥٩] والترمذي [٢١٨٠].

وقد روى ابن جرير من حديث محمد بن إسحاق ومعمر وعقيل عن الزهري ، عن سنان بن أبي سنان ، عن أبي واقد الليثي ، أنهم خرجوا من مكة مع رسول الله ﷺ إلى حنين ، قال: =

= وكان للكفار سدرة يعكفون عندها ، ويعلقون بها أسلحتهم ، يقال لها : «ذات أنواط» قال: فمررنا بسدرة خضراء عظيمة ، قال: فقلنا: يا رسول الله . . اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط قال: «قلتم والذي نفسي بيده كما قال قوم موسى: ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [جامع البيان/ ٩/ ٤٥].

* * *

والمقصود أن موسى عليه السلام ، لما انفصل من بلاد مصر وواجه بلاد بيت المقدس وجد فيها قوماً من الجبارين ، من الحيثانيين والفزاريين والكنعانيين ، وغيرهم. فأمرهم موسى عليه السلام بالدخول عليهم ومقاتلتهم ، وإجلائهم إياهم عن بيت المقدس ، فإن الله كتبه لهم ، ووعدهم إياه على لسان إبراهيم الخليل وموسى الكليم الجليل ، فأبوا ونكلوا عن الجهاد ، فسلط الله عليهم الخوف ، وألقاهم في التيه يسيرون ويحلون ويرتحلون ويذهبون ويجيئون ، في مدة من السنين طويلة هي من العدد أربعون ، كما قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [سورة المائدة: ٢٠ ـ ٢٦].

يذكرهم نبي الله نعمة الله عليهم وإحسانه إليهم بالنعم الدينية والدنيوية ، ويأمرهم بالجهاد في سبيل الله ومقاتلة أعدائه فقال: ﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ ﴾ أي تنكصوا على أعقابكم ، وتنكلوا عن قتال أعدائكم ﴿ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴾ أي فتخسروا بعد الربح ، وتنقصوا بعد الكمال.

﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ ﴾ أي عتاة كفرة متمردين ﴿ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴾ خافوا من هؤلاء الجبارين وقد عاينوا هلاك فرعون ، وهو أجبر من هؤلاء وأشد بأساً ، وأكثر جمعاً وأعظم جنداً. وهذا يدل على أنهم ملومون في هذه المقالة ، ومذمومون على هذه الحالة ، من الذلة عن مصاولة الأعداء ، ومقاومة المردة الأشقياء.

وقد ذكر كثير من المفسرين هاهنا آثاراً فيها مجازفات كثيرة باطلة ، يدل العقل والنقل على خلافها من أنهم كانوا أشكالاً هائلة ضخاماً جداً ، حتى إنهم ذكروا أن رسل بني إسرائيل لما قدموا عليهم تلقاهم رجل من رسل الجبارين ، فجعل يأخذهم واحداً واحداً ، ويلْقِهم في =

= أكمامه وحجزة سراويله ، وهم اثنا عشر رجلاً ، فجاء بهم فنثرهم بين يدي ملك الجبارين ، فقال: ما هؤلاء؟ ولم يعرف أنهم من بني آدم حتى عرفوه. وكل هذه هذيانات وخرافات لا حقيقة لها.
وأن الملك بعث معهم عنباً كل عنبة تكفي الرجل ، وشيئاً من ثمارهم ليعلموا ضخامة أشكالهم ، وهذا ليس بصحيح.
وذكروا هاهنا أن عوج بن عنق خرج من عند الجبارين إلى بني إسرائيل ليهلكهم ، وكان طوله ثلاثة آلاف وثلاثمئة وثلاثة وثلاثين ذراعاً وثلث ذراع. هكذا ذكره البغوي وغيره ، وليس بصحيح ، كما قدمنا بيانه عند قوله ﷺ: «إن الله خلق آدم طوله ستون ذراعاً ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن». قالوا: فعمد عوج إلى قمة جبل فاقتلعها ثم أخذ بيديه ليلقيها ، فجاء طائر فنقر تلك الصخرة فخرقها فصارت طوقاً في عنق عوج بن عنق. ثم عمد موسى إليه ، فوثب في الهواء عشرة أذرع ، وبيده عصاه وطولها عشرة أذرع ، فوصل إلى كعب قدمه فقتله.
يُروى هذا عن نوف البكالي ، ونقله ابن جرير عن ابن عباس وفي إسناده إليه نظر ، ثم هو مع هذا كله من الإسرائيليات ، وكل هذه من وضع جهال بني إسرائيل ، فإن الأخبار الكاذبة قد كثرت عندهم ولا تمييز لهم بين صحيحها وباطلها ، ثم لو كان هذا صحيحاً لكان بنو إسرائيل معذورين في النكول عن قتالهم ، وقد ذمهم الله على نكولهم ، وعاقبهم بالتيه على ترك جهادهم ومخالفتهم رسولهم ، وقد أشار عليهم رجلان صالحان منهم بالإقدام ، ونهياهم عن الإحجام ، ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ أي: يخافون الله ، وقرأ بعضهم: ﴿يُخَافُونَ﴾ أي: يهابون ﴿أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ أي: بالإسلام والإيمان والطاعة والشجاعة ﴿ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: إذا توكلتم على الله ، واستعنتم به ولجأتم إليه ، نصركم على عدوكم وأيدكم عليهم وأظفركم بهم.
﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ فصمم ملؤهم على النكول عن الجهاد ، ووقع أمر عظيم ووهن كبير ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ قال ابن عباس: اقض بيني وبينهم ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ عوقبوا على نكالهم بالتيهان في الأرض ، يسيرون إلى غير مقصد ، ليلاً ونهاراً وصباحاً ومساءً.
لكن أصحاب محمد ﷺ يوم بدر لم يقولوا له كما قال قوم موسى لموسى ، بل لما استشارهم في الذهاب إلى النفير تكلم الصديق فأحسن وتكلم غيره من المهاجرين. ثم جعل يقول: «أشيروا عليَّ» ، حتى قال سعد بن معاذ: كأنك تعرض بنا يا رسول الله؟ فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً ، إنَّا لصُبّر في الحرب ، صُدّق في اللقاء ، لعل الله أن يريك منا ما تقر به =

ذكر يوشع بن نون عليه السلام

فقال بعضهم: لم يسِرْ يوشع إلى أريحا، ولا أُمِر بالمسير إليها إلاّ بعد موت موسى، وبعد هلاك جميع من كان أبى المسيرَ إليها مع موسى بن عمران، حين أمرهم الله تعالى بقتال مَنْ فيها من الجبارين، وقالوا: مات موسى وهارون جميعاً في التيه قبل خروجهما منه[(١)]. (١ : ٤٣٥).

= عينك، فسر بنا على بركة الله. فسر رسول الله ﷺ بقول سعد ونشطه ذلك.

وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا سفيان، عن مخارق بن عبد الله الأحمسي، عن طارق ـ هو ابن شهاب ـ أن المقداد قال لرسول الله ﷺ يوم بدر: يا رسول الله.. إنا لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا فإنا معكما مقاتلون. وهذا إسناد جيد من هذا الوجه، وله طرق أخرى. [مسند أحمد/ح ١٨٤٩١].

قال أحمد: حدثنا أسود بن عامر، حدثنا إسرائيل، عن مخارق، عن طارق بن شهاب، قال: قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، لقد شهدت من المقداد مشهداً، لأن أكون أنا صاحبه، أحب إليّ مما عدل به، أتى رسول الله ﷺ وهو يدعو على المشركين فقال: والله يا رسول الله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ ولكننا نقاتل عن يمينك، وعن يسارك ومن بين يديك ومن خلفك، فرأيت وجه رسول الله ﷺ يشرق لذلك وسر بذلك. رواه البخاري في التفسير، والمغازي من طرق عن مخارق به. [مسند أحمد/ ٣٦٩٨] وصحيح البخاري [كتاب المغازي/ ح ٣٩٥٢].

وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه: حدثنا علي بن الحسين بن علي، حدثنا أبو حاتم الرازي، حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري، حدثنا حميد، عن أنس، أن رسول الله ﷺ لما سار إلى بدر استشار المسلمين، فأشار عليه عمر، ثم استشارهم فقالت الأنصار: يا معشر الأنصار.. إياكم يريد رسول الله ﷺ قالوا: إذاً لا نقول له كما قال بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ والذي بعثك بالحق لو ضربت أكبادها إلى برك الغماد لاتبعناك.

رواه الإمام أحمد عن عبيدة بن حميد، عن حميد الطويل، عن أنس به، ورواه النسائي، عن محمد بن المثنى، عن خالد بن الحارث، عن حميد، عن أنس به نحوه. وأخرجه ابن حبان في صحيحه عن أبي يعلى، عن عبد الأعلى، عن معتمر، عن حميد، عن أنس به نحوه.

(١) صحيح.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عبد الكريم بن الهيثم، قال: حدثنا إبراهيم بن بشار، قال: حدثنا سفيان، قال: قال أبو سعيد، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: قال الله تعالى: لما دعا موسى يعني بدعائه قوله: ﴿رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ۝٢٥ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾. قال: فدخلوا التيه، فكلّ من دخل التيه ممن جاوز العشرين سنة مات في التيه، قال: فمات موسى في التيه، ومات هارون قبله. قال: فلبثوا في تيههم أربعين سنة، وناهضَ يوشعُ بمن بقي معه مدينة الجبّارين فافتتح يوشع المدينة[1]. (١: ٤٣٥).

---

(١) صحيح.
لقد ذكر الطبري روايات عدة في ذكر يوشع بن نون فتى موسى عليه السلام وجلّها مأخوذ من الإسرائيليات ونحن ذاكرون هنا ما صحّ سنده في خبر يوشع هذا علماً أننا لم نجد نصاً نبوياً صريحاً ينص على نبوته إلا أن ابن كثير ذكر أنه نبي وقال:
اتفق أهل الكتاب على ذلك كما في قصص الأنبياء لابن كثير، ولم نجد كما ذكرنا نصاً نبوياً يؤكد ذلك إلاّ أن مفهوم حديثين نبويين يحتملان ذلك:
الأول: ما أخرجه أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة مرفوعاً (ح ٨٣١٥) إن الشمس لم تحبس على بشرٍ إلا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس، وقال الحافظ ابن كثير: انفرد به أحمد من هذا الوجه وهو على شرط البخاري (قصص الأنبياء/ ٣٣١). وأخرجه الطحاوي كذلك (شرح مشكل الآثار ح ١٠٦٩).
الثاني: ما أخرجه البخاري (كتاب فرض الخمس/ ح ٣١٢٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه: لا يتبعني رجل ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبني بها ولما يبن بها، ولا أحد بنى بيوتاً ولم يرفع سقوفها، ولا أحد اشترى غنماً أو خلفات وهو ينتظر ولادها، فغزا، فدنا من القرية صلاة العصر أو قريباً من ذلك فقال للشمس: إنك مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها علينا، فحبست حتى فتح الله عليهم فجمع الغنائم... الحديث وفي آخره: ثم أحلّ الله لنا الغنائم رأى ضعفنا وعجزنا فأحلها لنا».
والحديث أخرجه مسلم (ح ١٧٤٧) وأحمد (ح ٨٢٣٨) وغير واحد، والله أعلم. قلنا: فإذا كانت الشمس لم تحبس إلا ليوشع بن نون كما في الحديث الأول وأن نبياً من الأنبياء خرج غازياً فدعا فحبس الله الشمس له ولجيشه حتى فتحوا المصر، فالجمع بين الحديثين يشير إلى أن يوشع بن نون نبي، وهو الذي خرج غازياً فحدث للشمس ما قدر الله لها من الحبس.
وهذا استنباط وفهم للنصوص ولعله لا يكون كذلك والله أعلم. =

قال أبو جعفر: فلما نزلت نقمة الله بقارون حمِد الله على ما أنعم به عليهم المؤمنون الذين وعظوه وأنذروه بأمر الله، ونصحوا له من المعرفة بحقّه والعمل بطاعته، وندِم الذين كانوا يتمنّوْن ما هو فيه من كثرة المال، والسعة في العيش على أمنيتهم، وعرفوا خطأ أنفسهم في أمنيتها، فقالوا ما أخبر الله عزّ وجلّ عنهم في كتابه: ﴿وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾، فصرَف عنا ما ابتلى به قارون وأصحابه مما كنا نتمناه بالأمس لخسف بنا كما خسف به وبهم. فنجّى الله تعالى من كلّ هول وبلاء نبيَّه موسى والمؤمنين به المتمسكين بعهده من بني إسرائيل، وفتاه يوشع بن نون المتبعين له بطاعتهم ربهم، وأهلك أعداءه وأعداءهم: فرعون وهامان وقارون والكنعانيين بكفرهم وتمردهم عليه وعتوهم، بالغرق بعضاً، وبالخسف بعضاً، وبالسيف بعضاً، وجعلهم عبراً لمن اعتبر بهم، وعظة لمن اتعظ بهم، مع كثرة أموالهم وكثرة عدد جنودهم، وشدة بطشهم، وعظم خلقهم وأجسامهم، فلم تغن عنهم أموالهم ولا أجسامهم ولا قواهم ولا جنودهم وأنصارهم عنهم من الله شيئاً؛ إذْ كانوا يجحدون بآيات الله، ويسعوْنَ في الأرض فساداً، ويتّخذون عباد الله لأنفسهم خوَلاً، وحاق بهم ما كانوا منه آمنين؛ نعوذ بالله من عمل يقرِّب من سخطه، ونرغب إليه في التوفيق لما يدني من محبته، ويزلف إلى رحمته[1]! فلما ملك

= وأما الحافظ ابن حجر فقد قال رحمه الله أثناء شرحه للحديث: قوله (غزا نبي من الأنبياء) أي أراد الغزو، وهذا النبي هو يوشع بن نون كما رواه الحاكم من طريق كعب الأحبار وبين تسمية القرية كما سيأتي، وقد ورد أصله من طريق مرفوعة صحيحة أخرجها أحمد من طريق هشام عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «إن الشمس لم تحبس لبشر إلا ليوشع بن نون ليالي سار إلى بيت المقدس» (فتح الباري ٦/ ٣٤٦/ ط الفكر).

قلنا: وقال القاضي عياض رحمه الله في شرح مسلم (ح ١٧٤٧ ـ غزا نبي من الأنبياء.. الحديث) وقال: إن الذي حبست عليه الشمس هو يوشع بن نون (إكمال المعلم ٦/ ٥٣) والله تعالى أعلم بالصواب.

(١) صحيح.

ذكر خبر داود عليه السلام

لقد أخرج الطبري روايات عدة في أخبار داود عليه السلام من (١/ ٤٧٦ ـ ١/ ٤٨٥) وجميعها بأسانيد ضعيفة جداً أو ضعيفة على الأقل ولم يصح في تفاصيل متونها بل أغلبها مستقاة من=

سليمان بناءه وشرّفه، وكان عمر داود ـ فيما وردت به الأخبار عن رسول الله ﷺ ـ مئة سنة. (١ : ٤٨١).

= الإسرائيليات وحتى تفسير الآيات خلطها رحمه الله ببعض الإسرائيليات.
فآثرنا أن نذكر الآيات القرآنية مع تفسيرها اللغوي عند الحافظ ابن كثير بعد حذف ما في التفسير من الإسرائيليات، ولكننا لا نرى بأساً أن نذكر ما صحّ سنده من حديث روي في قصة داود عليه السلام قبل أن نذكر الآيات القرآنية مع تفسيرها:
١ ـ أخرج البخاري في صحيحه عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: كنا أصحاب محمد ﷺ نتحدث أن عدة أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ولم يجاوز معه إلا بضعة عشر وثلاثمئة مؤمن (صحيح البخاري/ كتاب المغازي/ ح ٣٩٥٨).
قلنا: والملاحظ أن الروايات الصحيحة لا تبالغ في ذكر الأعداد والأرقام، بينما الروايات الضعيفة المتأثرة أو المستقاة من الإسرائيليات تذكر أرقاماً خيالية.
٢ ـ أخرج البخاري في صحيحه قال رسول الله ﷺ: «أحبّ الصلاة إلى الله صلاة داود وأحب الصيام إلى الله صيام داود، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً ولا يفرّ إذا لاقى» صحيح البخاري/كتاب الأنبياء (ح ٣٤١٩) ومسلم (١١٥٩/١٨٩).
قلنا: وهذه صورة داود العابد الناسك المجاهد وهي صورة في الأعالي كالثريا، بينما صورته الإسرائيليات كما يشتهي اليهود من تشويه صورة الأنبياء بما لا يليق بعصمتهم عليهم الصلاة والسلام.
٣ ـ لقد رزق الله سبحانه داود صوتاً جميلاً يتلو به كلام الله سبحانه، وعندما سمع رسول الله ﷺ صوت أبي موسى الأشعري وهو يتلو القرآن قال عليه الصلاة والسلام: «لقد أعطي أبو موسى مزماراً من مزامير داود» مسند أحمد/ح ٨٦٥٤ من حديث أبي هريرة/ وقال ابن كثير: على شرط مسلم.
٤ ـ وأخرج البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «خفف الله على داود القرآن فكان يأمر بدوابه فتسرج، فيقرأ القرآن قبل أن تسرج دوابه، ولا يأكل إلا من عمل يده» صحيح البخاري/ كتاب الأنبياء (ح ٣٤١٧).
وسنذكر الآن بعض الآيات القرآنية الكريمة الواردة في ذكر نبي الله داود عليه السلام مع شيء يسير من التفسير اللغوي:
١ ـ قال الله تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ قال الطبري: قتلوهم بقضاء الله وقدره وقال الشوكاني: أي بأمره وإرادته.
﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ المعنى: الملك السلطان والحكمة النبوة. ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ =

ذكر خبر سليمان بن داود عليهما السلام

ثم ملك سليمان بن داود بعد أبيه داود أمرَ بني إسرائيل ، وسخّر الله له الجنّ والإنس والطير والريح ، وآتاه مع ذلك النبوة ، وسأل ربَّه أن يُؤتيه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ، فاستجاب الله له فأعطاه ذلك[1] . (١ : ٤٨٦) .

= ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ قال الطبري : يعني الله تعالى ذكره بذلك : ولولا دفع الله أي أن يدفع الله الناس بعضهم ببعض وهم أهل الطاعة له والإيمان به .

٢ ـ وقال تعالى في سورة سبأ ﴿ ۞ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ .

٣ ـ وقال تعالى : ﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿١٩﴾ وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ﴾ يعني ذا قوة في العبادة والعمل الصالح .

٤ ـ وقال سبحانه وتعالى في سورة (ص) : ﴿ ۞ وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ﴿٢١﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّۤ رَاكِعٗاۤ وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ﴾ .

قلنا : والآية القرآنية بينت أنه عليه السلام أيقن أن الله ابتلاه فاستغفر لذنبه وسجد لله سبحانه ، فما هو هذا الابتلاء ومن أي ذنب استغفر وتاب وسجد؟

ظاهر الآيات القرآنية وهي ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ﴾ تشير إلى أن داود عليه السلام حكم لأحد الخصمين قبل أن يسمع من الآخر .

(١) صحيح .

نَبيُّ اللهِ سُليْمَان
عَلَيْهِ السَّلام

[وراثـة النبـوة] :

قال الله تعالى : ﴿وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ﴾ أي : وَرِثه في النبوة والملك ، وليس المراد ورثه في المال ، لأنه قد كان له بنون غيره ، فما كان ليخص بالمال دونهم ، ولأنه قد ثبت في الصحاح من غير وجه عن جماعة من الصحابة أن رسول الله ﷺ قال : «لا نورث ما تركنا فهو صدقة» وفي لفظه : «نحن=

= معاشر الأنبياء لا نورث» فأخبر الصادق المصدوق أن الأنبياء لا تورث أموالهم عنهم كما يورث غيرهم ، بل تكون أموالهم صدقة من بعدهم على الفقراء والمحاويج لا يخصون بها أقرباءهم ، لأن الدنيا كانت أهون عليهم وأحقر عندهم من ذلك كما هي عند الذي أرسلهم واصطفاهم وفضلهم ، وقال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ يعني: أنه عليه السلام كان يعرف ما تتخاطب به الطيور بلغاتها وتعبر للناس عن مقاصدها وإرادتها ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ أي: من كل ما يحتاج الملك إليه من العدد والآلات والجنود والجيوش والجماعات من الجن والإنس والطيور والوحوش والشياطين السارحات والعلوم والفهوم والتعبير عن ضمائر المخلوقات من الناطقات والصامتات ، ثم قال: ﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾ أي: من بارئ البريات وخالق الأرض والسموات كما قال تعالى: ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَـٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَـٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ .

يخبر تعالى عن عبده ونبيه وابن نبيه سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام أنه ركب يوماً في جيشه جميعه من الجن والإنس والطير ، فالجن والإنس يسيرون معه والطير سائرة معه تظله بأجنحتها من الحر وغيره ، وعلى كل من هذه الجيوش الثلاثة وزعة ـ أي نقباء ـ يردون أوله على آخره. فلا يتقدم أحد عن موضعه الذي يسير فيه ولا يتأخر عنه ، قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَـٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَـٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ فأمرت وحذرت واعتذرت عن سليمان وجنوده بعدم الشعور.

والمقصود أن سليمان عليه السلام فهم ما خاطبت به تلك النملة لأمتها من الرأي السديد والأمر الحميد ، وتبسم من ذلك على وجه الاستبشار ، والفرح والسرور بما أطلعه الله عليه دون غيره ، وليس كما يقوله بعض الجهلة من أن الدواب كانت تنطق قبل سليمان ، وتخاطب الناس حتى أخذ عليهم سليمان بن داود العهد وألجمها فلم تتكلم مع الناس بعد ذلك ، فإن هذا لا يقوله إلا الذين لا يعلمون ، ولو كان هذا هكذا لم يكن لسليمان في فهم مقالها مزية على غيره ، إذ قد كان الناس كلهم يفهمون ذلك ، ولو كان قد أخذ عليها العهد ألا تتكلم مع غيره وكان هو يفهمها ، لم يكن هذا أيضاً فائدة يعوّل عليها ولهذا قال: ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ﴾ أي: ألهمني وأرشدني ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ فطلب من الله أن يقيضه للشكر على ما أنعم به عليه وعلى ما خصه به من المزية على غيره ، وأن ييسر عليه العمل الصالح ، وأن يحشره إذا توفاه مع عباده الصالحين ، وقد استجاب الله تعالى له.

وقال الله تعالى: ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ =

عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ
وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾
وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا
يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ
إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِي
هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّيٓ أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن
سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِي فِيٓ أَمْرِي مَا
كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ
إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ
فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم
بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [النمل :
٢٠ ـ ٣٧].

يذكر تعالى ما كان من أمر سليمان والهدهد ، وذلك أن الطيور كان على كل صنف منها مقدمون يقدمون بما يطلب منهم ، ويحضرون عنده بالنوبة ، كما هي عادة الجنود مع الملوك ، فلما تطلبه سليمان عليه السلام ذات يوم فقده ولم يجده في موضعه من محل خدمته ﴿فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾ أي : ما له مفقود من هاهنا ، أو قد غاب عن بصري فلا أراه بحضرتي ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ توعده بنوع من العذاب اختلف المفسرون فيه ، والمقصود حاصل على تقدير ﴿أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ أي : بحجة تنجيه من هذه الورطة .

قال الله تعالى : ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ أي : فغاب الهدهد غيبة ليست بطويلة ثم قدم منها ﴿فَقَالَ﴾ لسليمان : ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ أي : اطلعت على ما لم تطلع عليه ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ أي : بخبر صادق ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ يذكر ما كان عليه ملوك سبأ في بلاد اليمن من المملكة العظيمة والتبابعة المتوجين ، وكان الملك قد آل في ذلك الزمان إلى امرأة منهم ابنة ملكهم لم يخلف غيرها فملكوها عليهم .

وقال الثعلبي : أخبرني أبو عبد الله بن قبحونة ، حدثنا أبو بكر بن حرجة ، حدثنا ابن أبي الليث ، حدثنا أبو كريب ، حدثنا أبو معاوية ، عن إسماعيل بن مسلم ، عن الحسن ، عن أبي بكرة ، قال : ذكرت بلقيس عند رسول الله ﷺ فقال : «لا يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة» إسماعيل بن مسلم هذا هو المكي الضعيف .

وقد ثبت في صحيح البخاري من حديث عوف ، عن الحسن ، عن أبي بكرة أن رسول الله ﷺ لما بلغه أن أهل فارس ملكوا عليهم ابنة كسرى قال : «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة» .

ورواه الترمذي والنسائي من حديث حميد ، عن الحسن ، عن أبي بكرة ، عن النبي ﷺ بمثله وقال الترمذي: حسن صحيح. وقوله: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: مما من شأنه أن تؤتاه الملوك ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ يعني: سرير مملكتها كان مزخرفاً بأنواع الجواهر واللآلىء والذهب والحلي الباهر.

ثم ذكر كفرهم بالله ، وعبادتهم الشمس من دون الله ، وإضلال الشيطان لهم ، وصده إياهم عن عبادة الله تعالى وحده لا شريك له ، الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما يخفون وما يعلنون ، أي يعلم السرائر والظواهرمن المحسوسات والمعنويات: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۩﴾ أي: له العرش العظيم الذي لا أعظم منه في المخلوقات.

فعند ذلك بعث سليمان عليه السلام كتاباً يتضمن دعوته لهم إلى طاعة الله وطاعة رسوله والإنابة والإذعان إلى الدخول في الخضوع لملكه وسلطانه ؛ ولهذا قال لهم: ﴿أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ﴾ أي: لا تستكبروا عن طاعتي وامتثال أوامري ﴿وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ أي: وأقدموا عليّ سامعين مطيعين بلا معاودة ولا مراودة ، فلما جاءها الكتاب مع الطير ـ ومن ثم اتخذ الناس البطائق ـ ولكن أين الثريا من الثرى ، تلك البطاقة كانت مع سائر سامع مطيع فاهم عالم بما يقول ويقال له ، فذكر غير واحد من المفسرين وغيرهم أن الهدهد حمل الكتاب وجاء إلى قصرها فألقاه إليها وهي في خلوة لها ثم وقف ناحية ينتظر ما يكون من جوابها عن كتابها ، فجمعت أمراءها ووزراءها وأكابر دولتها إلى مشورتها ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ ثم قرأت عليهم عنوانه أولاً ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ﴾ ثم قرأته: ﴿وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ ثم شاروتهم في أمرها وما قد حل بها وتأدبت معهم وخاطبتهم وهم يسمعون: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ يعني: ما كنت لأبتّ أمراً إلا وأنتم حاضرون ﴿قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ يعنون لنا قوة وقدرة على الجلاد والقتال ومقاومة الأبطال ، فإن أردت منا ذلك فإنا عليه من القدارين ﴿و﴾ مع هذا ﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ فبذلوا لها السمع والطاعة ، وأخبروها بما عندهم من الاستطاعة ، وفوضوا إليها في ذلك الأمر لترى فيه ما هو الأرشد لها ولهم.

فكان رأيها أتم وأشد من رأيهم ، وعلمت أن صاحب هذا الكتاب لا يغالَب ولا يمانع ولا يخالف ولا يخادع ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ تقول برأيها السديد: إن هذا الملك لو قد غلب على هذه المملكة لم يخلص الأمر من بينكم إلا إليّ ، ولم تكن الحدة والشدة والسطوة البليغة إلا عليّ ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ أرادت أن تصانع عن نفسها ، وأهل مملكتها بهدية ترسلها وتحف تبعثها. ولم تعلم أن سليمان عليه السلام لا يقبل منهم والحالة هذه صرفاً ولا عدلاً ، لأنهم كافرون ، وهو وجنوده عليهم قادرون.

ولهذا: ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ هذا

= وقد كانت تلك الهدايا مشتملة على أمور عظيمة ، ذكره المفسرون.

ثم قال لرسولها إليه ووافدها الذي قدم عليه والناس حاضرون يسمعون: ﴿ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ يقول: ارجع بهديتك التي قدمت بها إلى من قد مَنَّ بها ، فإن عندي مما قد أنعم الله عليّ وأسداه إليّ من الأموال والتحف والرجال ما هو أضعاف هذا ، وخير من هذا الذي أنتم تفرحون به وتفخرون على أبناء جنسكم بسببه ﴿ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾ أي: فلأبعثن إليهم بجنود لا يستطيعون دفاعهم ولا نزالهم ولا ممانعتهم ولا قتالهم ، ولأخرجنهم من بلادهم وحوزتهم ومعاملتهم ودولتهم أذلة ﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ عليهم الصغار والعار والدمار.

فلما بلغهم ذلك عن نبي الله لم يكن لهم بد من السمع والطاعة ، فبادروا إلى إجابته في تلك الساعة وأقبلوا صحبة الملكة أجمعين سامعين مطيعين خاضعين. فلما سمع بقدومهم عليه ووفودهم إليه قال لمن بين يديه ممن هو مسخر له من الجان ما قصه الله عنه في القران: ﴿ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [النمل: ٣٨ ـ ٤٤].

لما طلب سليمان من الجان أن يحضروا له عرش بلقيس ، وهو سرير مملكتها التي تجلس عليه وقت حكمها ، قبل قدومها عليه ﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ يعني: قبل أن ينقضي مجلس حكمك ، وكان فيما يقال من أول النهار إلى قريب الزوال يتصدى لمهمات بني إسرائيل وما لهم من الأشغال ﴿ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ﴾ أي: وإني لذو قدرة على إحضاره إليه وأمانة على ما فيه من الجواهر النفيسة لديك ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وقيل: هو رجل من مؤمني الجان ، أو جبريل: ﴿ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ قيل: معناه قبل أن تبعث رسولاً إلى أقصى ما ينتهي إليه طرفك من الأرض ثم يعود إليك. وقيل: قبل أن يصل إليك أبعد من تراه الناس. وقيل: قبل أن يكلّ طرفك إذا أدمت النظر به ، قبل أن تطبق جفنك. وقيل: قبل أن يرجع إليك طرفك إذا نظرت به إلى أبعد غاية منك ثم أغمضته. وهذا أقرب ما قيل.

﴿ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ﴾ أي: فلما رأى عرش بلقيس مستقراً عنده في هذه المدة القريبة من بلاد اليمن إلى بيت المقدس في طرفة عين ﴿ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ أي: هذا من فضل الله عليّ، وفضله على عبيده، ليختبرهم على الشكر أو خلافه ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا =

= يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ﴾ أي: إنما يعود نفع ذلك عليه ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ﴾ أي: غني عن شكر الشاكرين، ولا يتضرر بكفر الكافرين.

ثم أمر سليمان عليه السلام أن يغيّر حلي هذا العرش، وينكر لها ليختبر فهمها وعقلها، ولهذا قال:

﴿نَنظُرۡ أَتَهۡتَدِيٓ أَمۡ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهۡتَدُونَ ۝٤١ فَلَمَّا جَآءَتۡ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِۖ قَالَتۡ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ﴾ وهذا من فطنتها وغزارة فهمها، لأنها استبعدت أن يكون عرشها لأنها خلفته وراءها بأرض اليمن، ولم تكن تعلم أن أحداً يقدر على هذا الصنع العجيب الغريب، قال الله تعالى إخباراً عن سليمان وقومه: ﴿وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهَا وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ ۝٤٢ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ إِنَّهَا كَانَتۡ مِن قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ﴾ أي: ومنعها عبادة الشمس التي كانت تسجد لها هي وقومها من دون الله اتباعاً لدين آبائهم وأسلافهم، لا لدليل قادهم إلى ذلك ولا جادلهم على ذلك.

وكان سليمان قد أمر ببناء صرح من زجاج وعمل في ممره ماء، وجعل عليه سقفاً من زجاج، وجعل فيه السمك وغيرها من دواب الماء، وأمرت بدخول الصرح وسليمان جالس على سريره فيه ﴿فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

وقال تعالى في سورة ص: ﴿وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝٣٠ إِذۡ عُرِضَ عَلَيۡهِ بِٱلۡعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلۡجِيَادُ ۝٣١ فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ۝٣٢ رُدُّوهَا عَلَيَّۖ فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ ۝٣٣ وَلَقَدۡ فَتَنَّا سُلَيۡمَٰنَ وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدٗا ثُمَّ أَنَابَ ۝٣٤ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ۝٣٥ فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ ۝٣٦ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ ۝٣٧ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ۝٣٨ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ۝٣٩ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ﴾ [ص: ٣٠ ـ ٤٠].

يذكر تعالى أنه وهب لداود سليمان عليهما السلام، ثم أثنى الله تعالى عليه فقال: ﴿نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ أي: رجاع مطيع لله، ثم ذكر تعالى ما كان من أمره في الخيل ﴿ٱلصَّٰفِنَٰتُ﴾ وهي التي تقف على ثلاثة وطرف حافر الرابعة، ﴿ٱلۡجِيَادُ﴾ وهي المضمرة السراع.

﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ﴾ يعني: الشمس. وقيل: الخيل على ما سنذكره من القولين ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّۖ فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ﴾ قيل: مسح عراقيبها وأعناقها بالسيوف. وقيل: مسح عنها العرق لما أجراها وسابق بينها بين يديه على القول الآخر.

والذي عليه أكثر السلف الأول، فقالوا: اشتغل بعرض تلك الخيول حتى خرج وقت العصر وغربت الشمس. وروي هذا عن علي بن أبي طالب وغيره. والذي يقطع به أنه لم يترك الصلاة عمداً من غير عذر، اللهم إلا أن يقال إنه كان سائغاً في شريعتهم، فأخر الصلاة لأجل أسباب الجهاد وعرض الخيل من ذلك. =

وأما من قال: الضمير في قوله: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ عائد على الخيل، وأنه لم ينته وقت الصلاة وأن المراد بقوله: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ يعني: مسح العرق عن عراقيبها وأعناقها، فهذا القول اختاره ابن جرير، ورواه الوالبي عن ابن عباس في مسح العرق. ووجه هذا القول ابن جرير بأنه ما كان ليعذب الحيوان بالعرقبة، ويهلك مالاً بلا سبب ولا ذنب لها، وهذا الذي قاله فيه نظر لأنه قد يكون هذا سائغاً في ملتهم، وقد ذهب بعض علمائنا إلى أنه إذا خاف المسلمون أن يظفر الكفار على شيء من الحيوانات من أغنام ونحوها جاز ذبحها وإهلاكها لئلا يتقووا بها، وعليه حمل صنيع جعفر بن أبي طالب يوم عقر فرسه بمؤتة. وقد قيل: إنها كانت خيلاً عظيمة.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾. ذكر ابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهما من المفسرين هاهنا آثاراً كثيرة عن جماعة من السلف، وأكثرها أو كلها متلقاة من الإسرائيليات، وفي كثير منها نكارة شديدة، وقد نبهنا على ذلك في كتابنا التفسير واقتصرنا هاهنا على مجرد التلاوة.

ومضمون ما ذكره أن سليمان عليه السلام غاب عن سريره أربعين يوماً ثم عاد إليه، ولما عاد أمر ببناء بيت المقدس فبناه بناءً محكماً، وقد قدمنا أنه جدده، وأن أول من جعله مسجداً إسرائيل عليه السلام، كما ذكرنا ذلك عند قول أبي ذر، قلت: يا رسول الله أي مسجد وضع أولاً؟ قال: «المسجد الحرام» قلت: ثم أي؟ قال: «مسجد بيت المقدس»، قلت: كم بينهما؟ قال: «أربعون سنة».

وأما الحكم الذي يوافق حكم الله تعالى فقد أثنى الله تعالى عليه وعلى أبيه في قوله: ﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ وقد ذكر شريح القاضي وغير واحد من السلف أن هؤلاء القوم كان لهم كرم فنفشت فيه غنم قوم آخرين، أي: رعته بالليل فأكلت شجره بالكلية، فتحاكموا إلى داود عليه السلام فحكم لأصحاب الكرم بقيمته، فلما خرجوا على سليمان قال: بم حكم لك نبي الله؟ فقالوا: بكذا وكذا، فقال: أما لو كنت أنا لما حكمت إلا بتسليم الغنم إلى أصحاب الكرم فيستغلونها نتاجاً ودرّاً حتى يصلح أصحاب الغنم كرم أولئك ويردوه إلى ما كان عليه، ثم يتسلموا غنمهم، فبلغ داود عليه السلام ذلك فحكم به.

وقريب من هذا ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «بينما امرأتان معهما ابناهما إذ عدا الذئب فأخذ ابن إحداهما فتنازعتا في الآخر فقالت الكبرى: إنما ذهب بابنك. وقالت الصغرى: بل إنما ذهب بابنك. فتحاكمتا إلى داود فحكم به للكبرى، فخرجتا على سليمان فقال: اتوني بالسكين أشقه نصفين لكل واحدة منكما نصفه. فقالت الصغرى: يرحمك الله هو ابنها. فقضى به لها» (البخاري/ ح٣٤٢٧).

ولعل كل من الحكمين كان سائغاً في شريعتهم ، ولكن ما قاله سليمان أرجح ، ولهذا أثنى الله عليه بما ألهمه إياه بعد ذلك فقال : ﴿ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴾ .

ثم قال : ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً ﴾ أي : وسخرنا لسليمان الريح عاصفة ﴿ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴾ وقال في سورة ص : ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾ .

لما ترك الخيل ابتغاء وجه الله عوضه الله منها الريح التي هي أسرع سيراً وأقوى وأعظم ولا كلفة عليه لها ﴿ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾ أي : حيث أراد من أي البلاد .

قال تعالى : ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ : ١٢ ـ ١٣] .

وقوله : ﴿ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ أي : وسخر الله له من الجن عمالاً يعملون له ما يشاء لا يفترون ولا يخرجون عن طاعته ومن خرج منهم عن الأمر عذبه ونكل به ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ ﴾ وهي الأماكن الحسنة وصدور المجالس ﴿ وَتَمَٰثِيلَ ﴾ وهي الصور في الجدران ، وكان هذا سائغاً في شريعتهم وملتهم ﴿ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ ﴾ قال ابن عباس : الجفنة كالجوبة من الأرض ، وعنه كالحياض . وكذا قال مجاهد والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم . وعلى هذه الرواية يكون الجواب جمع جابية وهي الحوض الذي يجبى فيه الماء .

وأما القدور الراسيات فقال عكرمة : أثافيها منها ، يعني : أنهن ثوابت لا يزلن عن أماكنهن ، وهكذا قال مجاهد وغير واحد . ولما كان هذا بصدد إطعام الطعام والإحسان إلى الخلق من إنسان وحيوان قال تعالى : ﴿ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴾ أي : قد عصوا فقيدوا مقرنين اثنين اثنين في الأصفاد وهي القيود ، وهذا كله من جملة ما هيأه الله وسخر له من الأشياء التي هي من تمام الملك ؛ الذي لا ينبغي لأحد من بعده ، ولم يكن أيضاً لمن كان قبله .

وقد قال البخاري : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن محمد بن زياد ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : «إن عفريتاً من الجن تفلت عليَّ البارحة ليقطع عليَّ صلاتي فأمكنني الله منه فأخذته فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد =

= حتى تنظروا إليه كلكم فذكرت دعوة أخي سليمان: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾ فرددته خاسئاً» وكذا رواه مسلم والنسائي من حديث شعبة [انظر صحيح البخاري/ ٣٤٢٣].

وقال مسلم: حدثنا محمد بن سلمة المرادي، حدثنا عبد الله بن وهب، عن معاوية بن صالح، حدثني ربيعة بن يزيد، عن أبي إدريس الخولاني عن أبي الدرداء قال: قام رسول الله ﷺ يصلي فسمعناه يقول: «أعوذ بالله منك ألعنك بلعنة الله» ثلاثاً، وبسط يده كأنه يتناول شيئاً، فلما فرغ من الصلاة قلنا: يا رسول الله قد سمعناك تقول في الصلاة شيئاً لم نسمعك تقوله قبل ذلك، ورأيناك بسطت يدك قال: «إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي فقلت: أعوذ بالله منك ثلاث مرات، ثم قلت: ألعنك بلعنة الله التامة، فلم يستأخر ثلاث مرات، ثم أردت أخذه، والله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقاً يلعب به ولدان أهل المدينة» [انظر صحيح مسلم/ كتاب المساجد ومواضع الصلاة/ ٤٠/ ٢].

وقال أحمد: حدثنا أبو أحمد، حدثنا مرة بن معبد، حدثنا أبو عبيد حاجب سليمان، قال: رأيت عطاء بن يزيد الليثي قائماً يصلي، فذهبت أمر بين يديه فردني ثم قال: حدثني أبو سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قام فصلى صلاة الصبح وهو خلفه فقرأ فالتبست عليه القراءة. فلما فرغ من صلاته قال: «لو رأيتموني وإبليس فأهويت بيدي فما زلت أخنقه حتى وجدت برد لعابه بين أصبعي هاتين الإبهام والتي تليها، ولولا دعوة أخي سليمان لأصبح مربوطاً بسارية من سواري المسجد يتلاعب به صبيان المدينة، فمن استطاع منكم ألا يحول بينه وبين القبلة أحد فليفعل». روى أبو داود منه: «فمن استطاع» إلى آخره عن أحمد بن سريج، عن أحمد الزبيري به [مسند أحمد/ ١١٧٨٠] وسنن أبي داود/ ح٦٩٩].

نبيُّ الله زكريا عَلَيْهِ السَّلام

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:

[قصة زكريا ويحيى عليهما السلام]:

قال الله تعالى في كتابه العزيز: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ۝٨ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ۝٩ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ۝١٠ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ =

= ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ١ ـ ١٥].

وقال تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ [آل عمران: ٣٧ ـ ٤١].

وقال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩ ـ ٩٠].

وقال تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأنعام: ٨٥].

والمقصود أن الله تعالى أمر رسوله ﷺ أن يقص على الناس خبر زكريا عليه السلام وما كان من أمره حين وهبه الله ولداً على الكبر، وكانت امرأته مع ذلك عاقراً في حال شبيبتها قد أسنت أيضاً؛ حتى لا ييأس أحد من فضل الله ورحمته ولا يقنط من فضله تعالى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾ قال قتادة عند تفسيرها: إن الله يعلم القلب النقي ويسمع الصوت الخفي، وقال بعض السلف: قام من الليل فنادى ربه مناداة أسرَّها عمن كان حاضراً عنده مخافتة فقال: يا رب يا رب يا رب. فقال الله: لبيك لبيك لبيك. ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى﴾ أي: ضعف وخار من الكبر ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ استعارة من اشتعال النار في الحطب، أي: غلب على سواد الشعر شيبه، وقوله: ﴿وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ أي: ما عودتني فيما أسألك إلا الإجابة وكان الباعث له على هذه المسألة أنه لما كفل مريم بنت عمران وكان كلما دخل عليها محرابها وجد عندها فاكهة في غير إبانها ولا في أوانها وهذه من كرامات الأولياء، فعلم أن الرزاق للشيء في غير أوانه قادر على أن يرزقه ولداً وإن كان قد طعن في سنه ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ وقوله: ﴿وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا﴾ قيل: المراد بالموالي العصبة، وكأنه خاف من تصرفهم بعده في بني إسرائيل بما لا يوافق شرع الله وطاعته فسأل وجود ولد من صلبه يكون براً تقياً مرضياً ولهذا قال: ﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ﴾ أي: من عندك بحولك وقوتك ﴿وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى﴾ أي: في النبوة والحكم في بني إسرائيل ﴿وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ يعني: كما كان آباؤه وأسلافه من ذرية يعقوب أنبياء فاجعله مثلهم في الكرامة التي أكرمتهم بها من النبوة والوحي، وليس المراد =

هاهنا وراثة المال كما زعم ذلك من زعمه من الشيعة ووافقهم ابن جرير هاهنا وحكاه عن أبي صالح من السلف ، لوجوه:

أحدها: ما قدمناه عند قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ أي: في النبوة والملك لما ذكرنا في الحديث المتفق عليه بين علماء المواريث في الصحاح والمسانيد والسنن وغيرها من طرق عن جماعة من الصحابة أن رسول الله ﷺ قال: «لا نورث ما تركنا فهو صدقة» [صحيح البخاري/ ٦٧٢١] نص على أن رسول الله ﷺ لا يورث ، ولهذا منع الصديق أن يصرف ما كان يختص به في حياته إلى أحد من ورثته الذين لولا هذا النص لصرف إليهم ، وهم ابنته فاطمة وأزواجه التسع وعمه العباس رضي الله عنهم ، واحتج عليهم الصديق في منعه إياهم بهذا الحديث ، وقد وافقه على روايته عن رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وأبو هريرة وآخرون رضي الله عنهم.

والثاني: أن الترمذي رواه بلفظ يعم سائر الأنبياء: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث» وصححه.

الثالث: أن الدنيا كانت أحقر عند الأنبياء من أن يكنزوا لها أو يلتفتوا إليها أو يهمهم أمرها حتى يسألوا الأولاد ليحوزوها بعدهم ، فإن من لا يصل إلى قريب من منازلهم في الزهادة لا يهتم بهذا المقدار أن يسأل ولداً يكون وارثاً له فيها.

الرابع: أن زكريا عليه السلام كان نجاراً يعمل بيده ويأكل من كسبها ، كما كان داود عليه السلام يأكل من كسب يده ، والغالب ولا سيما من مثل حال الأنبياء أنه لا يجهد نفسه في العمل إجهاداً يستفضل منه مالاً يكون ذخيرة له ولمن يخلفه من بعده. وهذا أمر بيّن واضح لكل من تأمله وتدبره وتفهمه إن شاء الله.

قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد ، يعني: ابن هارون ، أنبأنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أبي رافع ، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «كان زكريا نجاراً» وهكذا رواه مسلم وابن ماجه من غير وجه ، عن حماد بن سلمة به [مسلم/ ح٢٣٧٩] و[أحمد/ ح١٧٩٥٢].

وقوله: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ وهذا مفسر بقوله: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: ٣٩].

فلما بشر بالولد وتحقق البشارة شرع يستعلم على وجه التعجب وجود الولد له والحالة هذه ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ أي: كيف يوجد ولد من شيخ كبير ، ﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا﴾ يعني: وقد كانت امرأتي في حال شبيبتها عاقراً لا تلد ، والله أعلم.

كما قال الخليل: ﴿أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ وقالت سارة: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٧٢ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ

= ﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ۝ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود: ٧٢ ـ ٧٤].

وهكذا أجيب زكريا عليه السلام، قال له الملك الذي يوحى إليه بأمر ربه: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ﴾ أي: هذا سهل يسير عليه ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ أي: قدرته أوجدتك بعد أن لم تكن شيئاً مذكوراً، أفلا يوجد منك ولد وإن كنت شيئاً؟!

وقال تعالى: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ ومعنى إصلاح زوجته أنها كانت لا تحيض فحاضت. وقيل: كان في لسانها شيء، أي: بذاءة.

﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً﴾ أي: علامة على وقت تعلق مني المرأة بهذا الولد المبشر به ﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ يقول علامة ذلك أن يعتريك سكوت لا تنطق معه ثلاثة أيام إلا رمزاً، وأنت في ذلك سويّ الخلق صحيح المزاج معتدل البنية، وأمر بكثرة الذكر في هذه الحال بالقلب، واستحضار ذلك بفؤاده بالعشي والإبكار، فلما بشر بهذه البشارة خرج مسروراً بها على قومه من محرابه ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ والوحي هاهنا هو الأمر الخفي إما بكتابة، كما قاله مجاهد والسدي، أو إشارة كما قاله مجاهد أيضاً ووهب وقتادة، قال مجاهد وعكرمة ووهب والسدي وقتادة: اعتقل لسانه من غير مرض. وقال ابن زيد: كان يقرأ ويسبح ولكن لا يستطيع كلام أحد.

وقوله تعالى: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ يخبر تعالى عن وجود الولد، وفق البشارة الإلهية لأبيه زكريا عليه السلام، وأن الله علمه الكتاب والحكمة وهو صغير في حال صباه.

وأما قوله: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾ وعن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة والضحاك: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾ أي: رحمة من عندنا، رحمنا بها زكريا فوهبنا له هذا الولد، وعن عكرمة: ﴿وَحَنَانًا﴾ أي: محبة عليه، ويحتمل أن يكون ذلك صفة لتحنن يحيى على الناس ولا سيما على أبويه، وهو محبتهما والشفقة عليهما وبره بهما.

وأما الزكاة فهي طهارة الخلق وسلامته من النقائص والرذائل. والتقوى طاعة الله بامتثال أوامره وترك زواجره. ثم ذكر بره بوالديه وطاعته لهما أمراً ونهياً وترك عقوقهما قولاً وفعلاً فقال: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ ثم قال: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ هذه الأوقات الثلاثة أشد ما تكون على الإنسان، فإنه ينتقل في كل منها من عالم إلى عالم آخر، فيفقد الأول بعدما كان ألفه وعرفه، ويصير إلى الآخر ولا يدري ما بين يديه، ولهذا يستهل صارخاً إذا خرج من بين الأحشاء وفارق لينها وضمها، وينتقل إلى هذه الدار ليكابد همومها وغمها!.

وكذلك إذا فارق هذه الدار وانتقل إلى عالم البرزخ بينها وبين دار القرار، وصار بعد الدور =

= والقصور إلى عرصة الأموات سكان القبور ، وانتظر هناك النفخة في الصور ليوم البعث والنشور ، فمن مسرور ومحبور ومن محزون ومثبور ، وما بين جبير وكسير وفريق في الجنة وفريق في السعير.
ولما كانت هذه المواطن الثلاثة أشق ما تكون على ابن آدم سلم الله على يحيى في كل موطن منها فقال: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾.
وأما قوله في الآية الأخرى: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ فقيل: المراد بالحصور الذي لا يأتي النساء ، وقيل غير ذلك ، وهو أشبه لقوله: ﴿هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾.
وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان ، أنبأنا أبو خلف موسى بن خلف ، وكان يعد من البدلاء حدثنا يحيى بن أبي كثير ، عن زيد بن سلام ، عن جده ممطور ، عن الحارث الأشعري أن النبي ﷺ قال: «إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بهن وأن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن ، فإما أن تبلغهن وإما أن أبلغهن. فقال: يا أخي إني أخشى إن سبقتني أن أعذب أو يخسف بي ، قال: فجمع يحيى بني إسرائيل في بيت المقدس حتى امتلأ المسجد فقعد على الشرف فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الله عز وجل أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن وآمركن أن تعملوا بهن. وأولهن أن تعبدوا الله لا تشركوا به شيئاً ، فإن مثل ذلك مثل من اشترى عبداً من خالص ماله بورق أو ذهب فجعل يعمل ويؤدي غلته إلى غير سيده ، فأيكم يسره أن يكون عبده كذلك ، وإن الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئاً.
آمركم بالصلاة فإن الله ينصب وجهه قبل عبده ما لم يلتفت فإذا صليتم فلا تلتفتوا. وآمركم بالصيام فإن الله مثل ذلك كمثل رجل معه صرة من مسك في عصابة كلهم يجد ريح المسك ، وإن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك.
آمركم بالصدقة ، فإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو فشدوا يده إلى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه فقال: هل لكم أن أفتدي نفسي منكم فجعل يفتدي نفسه منهم بالقليل والكثير حتى فك نفسه.
آمركم بذكر الله عز وجل كثيراً ، فإن مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعاً في إثره فأتى حصناً حصيناً فتحصن فيه ، وإن العبد أحصن ما يكون من الشيطان إذا كان في ذكر الله عز وجل.
قال: وقال رسول الله ﷺ: «وأنا آمركم بخمس الله أمرني بهن: بالجماعة والسمع والطاعة والهجرة والجهاد في سبيل الله ، فإن من خرج عن الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يرجع ، ومن دعا بدعوى الجاهلية فهو من جثا جهنم ، قال: يا رسول الله وإن صام وصلى؟ قال: وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم ، ادعوا المسلمين بأسمائهم بما سماهم الله عز وجل المسلمين المؤمنين عباد الله عز وجل» (أحمد/ ح ١٧١٧٠).
وهكذا رواه أبو يعلى عن هدبة بن خالد ، عن أبان بن زيد ، عن يحيى بن أبي كثير به. =

= وكذلك رواه الترمذي من حديث أبي داود الطيالسي وموسى بن إسماعيل ، وكلاهما عن أبان بن يزيد العطار به ، ورواه ابن ماجه عن هشام بن عمار ، عن محمد بن شعيب بن سابور ، عن معاوية بن سلام ، عن أخيه زيد بن سلام ، عن أبي سلام ، عن الحارث الأشعري به ، ورواه الحاكم من طريق مروان بن محمد الطاطري ، عن معاوية بن سلام ، عن أخيه به. ثم قال: تفرد به مروان الطاطري، عن معاوية بن سلام. [انظر «أبو يعلىٰ» ١٥٧١] والطبراني/ ٣/ ٣٤٣٠].
قلت: وليس كما قال. ورواه الطبراني عن محمد بن عبدة ، عن أبي توبة الربيع بن نافع ، عن معاوية بن سلام ، عن أبي سلام ، عن الحارث الأشعري. فذكر نحوه فسقط ذكر زيد بن سلام ، عن أبي سلام ، عن الحارث الأشعري فذكر نحو هذه الرواية ، قلنا الحديث أخرجه أحمد (١/ ٦٠٥).

نبيُّ الله عيسىٰ
عليه السَّلام

قال تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٣ ـ ٣٧].
يذكر تعالى أنه اصطفى آدم عليه السلام والخلص من ذريته المتبعين شرعه الملازمين طاعته ، ثم خصّص فقال: ﴿وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ فدخل فيهم بنو إسماعيل ، ثم ذكر فضل هذا البيت الطاهر الطيب وهم آل عمران ، والمراد بعمران هذا والد مريم عليها السلام.
﴿وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ وقرىء بضم التاء ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ أي: في خدمة بيت المقدس ، وكانوا في ذلك الزمان ينذرون لبيت المقدس خداماً من أولادهم.
وقولها: ﴿وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ استدل به على تسمية المولود يوم يولد ، وكما ثبت في الصحيحين عن أنس في ذهابه بأخيه إلى رسول الله ﷺ فحنك أخاه وسماه عبد الله. وجاء في حديث الحسن عن سمرة مرفوعاً: «كل غلام رهينة بعقيقته تذبح عنه يوم سابعه ويسمى ويحلق رأسه» رواه أحمد وأهل السنن وصححه الترمذي. [أحمد/ ٤/ ٢٠١ ، والترمذي/ ح١٥٢٢].
وقولها: ﴿وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ قد استجيب لها في هذا كما تقبل منها نذرها ، فقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن الزهري ، عن ابن=

المسيب ، عن أبي هريرة ، أن النبي ﷺ قال: «ما من مولود إلا والشيطان يمسه حين يولد ليستهل صارخاً من مس الشيطان إلا مريم وابنها» ، ثم يقول أبو هريرة: واقرؤوا إن شئتم: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾.

أخرجاه من حديث عبد الرزاق ورواه ابن جرير عن أحمد بن الفرج عن بقية ، عن عبد الله بن الزبيدي ، عن الزهري ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ بنحوه.

ذكر كثيرٌ من المفسرين أن أمها حين وضعتها لفتها في خرقها ثم خرجت بها إلى المسجد فسلمتها إلى العُبَّاد الذين هم مقيمون به ، وكانت ابنة إمامهم وصاحب صلاتهم فتنازعوا فيها ، والظاهر أنها إنما سلمتها إليهم بعد رضاعها وكفالة مثلها في صغرها.

ثم لما دفعتها إليهم تنازعوا في أيهم يكفلها ، وكان زكريا نبيهم في ذلك الزمان ، وقد أراد أن يستبد بها دونهم من أجل زوجته أختها أو خالتها على القولين. فشاحوه في ذلك وطلبوا أن يقترع معهم ، فساعدته المقادير فخرجت قرعته غالبة لهم ، وذلك أن الخالة بمنزلة الأم.

قال الله تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ أي: بسبب غلبه لهم في القرعة كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾.

قال الله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ قال المفسرون: اتخذ لها زكريا مكاناً شريفاً من المسجد لا يدخله سواها ، فكانت تعبد الله فيه وتقوم بما يجب عليها من سدانة البيت إذا جاءت نوبتها ، وتقوم بالعبادة ليلها ونهارها ، حتى صارت يضرب بها المثل بعبادتها في بني إسرائيل ، واشتهرت بما ظهر عليها من الأحوال الكريمة والصفات الشريفة ، حتى إنه كان نبي الله زكريا كلما دخل عليها موضع عبادتها يجد عندها رزقاً فيسألها: ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾ فتقول: ﴿هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ أي: رزق رزقنيه الله ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾. فعند ذلك وهنالك طمع زكريا في وجود ولد من صلبه وإن كان قد أسن وكبر ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾.

﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي =

= ﴿بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [آل عمران: ٤٢ ـ ٥١]

يذكر تعالى أن الملائكة بشرت مريم باصطفاء الله لها من بين سائر نساء عالم زمانها، بأن اختارها لإيجاد ولد منها من غير أب، وبشرت بأن يكون نبياً شريفاً ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ﴾ أي: في صغره يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وكذلك في حال كهولته، فدل على أنه يبلغ الكهولة ويدعو إلى الله فيها، وأمرت بكثرة العبادة والقنوت والسجود والركوع لتكون أهلاً لهذه الكرامة، ولتقوم بشكر هذه النعمة.

فقول الملائكة: ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ﴾ أي: اختارك واجتباك ﴿وَطَهَّرَكِ﴾ أي: من الأخلاق الرذيلة، وأعطاك الصفات الجميلة ﴿وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ يحتمل أن يكون المراد عالمي زمانها كقوله لموسى: ﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ﴾ وكقوله عن بني إسرائيل: ﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ومعلوم أن إبراهيم عليه السلام أفضل من موسى، وأن محمداً ﷺ أفضل منهما، وكذلك هذه الأمة أفضل من سائر الأمم قبلها وأكثر عدداً وأفضل علماً وأزكى عملاً من بني إسرائيل وغيرهم.

ويحتمل أن يكون قوله: ﴿وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ محفوظ العموم فتكون أفضل نساء الدنيا ممن كان قبلها أو وُجِد بعدها لأنها إن كانت نبية على قول من يقول بنبوتها ونبوة سارة أم إسحاق ونبوة أم موسى محتجاً بكلام الملائكة والوحي إلى أم موسى، كما يزعم ذلك ابن حزم وغيره، فلا يمتنع على هذا أن تكون مريم أفضل من سارة وأم موسى لعموم قوله: ﴿وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ إذ لم يعارضه غيره... والله أعلم.

وأما قول الجمهور كما قد حكاه أبو الحسن الأشعري وغيره عن أهل السنة والجماعة من أن النبوة مختصة بالرجال، وليس في النساء نبية فيكون أعلى مقامات مريم، كما قال الله تعالى: ﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ فعلى هذا لا يمتنع أن تكون أفضل الصديقات المشهورات ممن كان قبلها وممن يكون بعدها... والله أعلم. وقد جاء ذكرها مقروناً مع آسية بنت مزاحم وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ﷺ ورضي الله عنهن وأرضاهن.

وقد روى الإمام أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي من طرق عديدة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عبد الله بن جعفر، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة بنت خويلد» [البخاري/ ح ٣٤٣٢] و[أحمد ٦٤٠] و[مسلم ٢٤٣٠].

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، أنبأنا معمر، عن قتادة، عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «حسبك من نساء العالمين بأربع: مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، =

= وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد» [أحمد/ ح١٢٣٩٤].

ورواه الترمذي عن أبي بكر بن زنجويه ، عن عبد الرزاق به وصححه ، ورواه ابن مردويه من طريق عبد الله بن أبي جعفر الرازي وابن عساكر من طريق تميم بن زياد ، كلاهما عن أبي جعفر الرازي ، عن ثابت ، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «خير نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران ، وآسية امرأة فرعون ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد رسول الله».

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن الزهري ، عن ابن المسيب ، قال: كان أبو هريرة يحدث أن النبي ﷺقال: «خير نساء ركبن الإبل صالح نساء قريش أحناه على ولد في صغره وأرعاه لزوج في ذات يده» قال أبو هريرة: لم تركب مريم بعيراً قط. [مسند أحمد/ ٧٦٥٤].

وقد رواه مسلم في صحيحه عن محمد بن رافع وعبد بن حميد ، كلاهما عن عبد الرزاق به. [صحيح مسلم/ ٢٠١/ ٢٥٢٧].

وقال أحمد: حدثنا زيد بن الحباب ، حدثني موسى بن علي ، سمعت أبي يقول: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «خير نساء ركبن الإبل نساء قريش أحناه على ولد في صغره وأرأفه بزوج على قلة ذات يده» ، قال أبو هريرة: وقد علم رسول الله ﷺأن ابنة عمران لم تركب الإبل. تفرد به وهو على شرط الصحيح. ولهذا الحديث طرق أخرى عن أبي هريرة.

وقال أبو يعلى الموصلي: حدثنا يونس بن محمد ، حدثنا داود بن أبي الفرات ، عن علباء بن أحمر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال: خطَّ رسول الله ﷺفي الأرض أربع خطوط فقال: «أتدرون ما هذا»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم ، فقال رسول الله ﷺ: «أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون» ورواه النسائي من طرق عن داود بن أبي هند.

وقد رواه ابن عساكر من طريق أبي بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث ، حدثنا يحيى بن حاتم العسكري: أنبأنا بشر بن مهران بن حمدان ، حدثنا محمد بن دينار ، عن داود بن أبي هند ، عن الشعبي ، عن جابر بن عبد الله ، قال: قال رسول الله ﷺ: «حسبك منهن أربع سيدات نساء العالمين: فاطمة بنت محمد ، وخديجة بنت خويلد ، وآسية بنت مزاحم ، ومريم بنت عمران».

وقال أبو القاسم البغوي: حدثنا وهب بن بقية ، حدثنا خالد بن عبد الله الواسطي ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن عائشة ، أنها قالت لفاطمة: «أرأيت حين أكببت على رسول الله ﷺفبكيت ثم ضحكت؟ قالت: أخبرني أنه ميت من وجعه هذا فبكيت ، ثم أكببت عليه فأخبرني أني أسرع أهله لحوقاً به وأني سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم بنت عمران =

= فضحكت». وأصل هذا الحديث في الصحيح. وهذا إسناد على شرط مسلم وفيه أنهما أفضل الأربع المذكورات.

وهكذا الحديث الذي رواه الإمام أحمد: حدثنا عثمان بن محمد، حدثنا جرير، عن يزيد ـ هو ابن أبي زياد ـ عن عبد الرحمن بن أبي نعيم، عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «فاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلا ما كان من مريم بنت عمران» إسناد حسن وصححه الترمذي ولم يخرجوه، وقد روي نحوه من حديث علي بن أبي طالب ولكن في إسناده ضعف.

والمقصود أن هذا يدل على أن مريم وفاطمة أفضل هذه الأربع. ثم يحتمل الاستثناء أن تكون مريم أفضل من فاطمة ويحتمل أن يكونا على السواء في الفضيلة.

ولكن ورد حديث إن صح عين الاحتمال الأول فقال الحافظ أبو القاسم بن عساكر: أنبأنا أبو الحسين بن الفراء وأبو غالب وأبو عبد الله ابنا البنا، قالوا: أنبأنا أبو جعفر بن المسلمة، أنبأنا أبو طاهر المخلص، حدثنا أحمد بن سليمان، حدثنا الزبير هو ابن بكار، حدثنا محمد بن الحسن، عن عبد العزيز بن محمد، عن موسى بن عقبة، عن كريب، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «سيدة نساء أهل الجنة مريم بنت عمران ثم فاطمة ثم خديجة ثم آسية امرأة فرعون». فإن كان هذا اللفظ محفوظاً بثم التي للترتيب فهو مبيّن لأحد الاحتمالين اللذين دل عليهما الاستثناء، وتقدم على ما تقدم من الألفاظ التي وردت بواو العطف التي لا تقتضي الترتيب ولا تنفيه، والله أعلم.

وقد روى هذا الحديث أبو حاتم الرازي عن داود الجعفري، عن عبد العزيز بن محمد وهو الدراوردي، عن إبراهيم، عن عقبة، عن كريب، عن ابن عباس مرفوعاً، فذكره بواو العطف لا بثم الترتيبية، فخالفه إسناداً ومتناً. . . . فالله أعلم.

فأما الحديث الذي رواه ابن مردويه من حديث شعبة، عن معاوية بن قرة، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا ثلاث: مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام» وهكذا الحديث الذي رواه الجماعة إلا أبا داود من طرق، عن شعبة، عن عمرو بن مرة، عن مرة الهمداني، عن أبي موسى الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ: «كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام».

فإنه حديث صحيح كما ترى اتفق الشيخان على إخراجه، ولفظه يقتضي حصر الكمال في النساء في مريم وآسية، ولعل المراد بذلك في زمانهما فإن كلاًّ منهما كفلت نبيّاً في حال صغره، فآسية كفلت موسى الكليم، ومريم كفلت ولدها عبد الله ورسوله، فلا ينفي كمال غيرهما في هذه الأمة كخديجة وفاطمة. =

= فخديجة خدمت رسول الله ﷺ قبل البعثة خمسة عشر سنة وبعدها أزيد من عشر سنين، وكانت له وزير صدق بنفسها ومالها، رضي الله عنها وأرضاها. وأما فاطمة بنت رسول الله ﷺ فإنّها خصت بمزيد فضيلة على أخواتها لأنها أُصيبت برسول الله ﷺ وبقية أخواتها متن في حياة النبي ﷺ.

وأما عائشة فإنها كانت أحب أزواج رسول الله ﷺ إليه ولم يتزوج بكراً غيرها، ولا يعرف في سائر النساء في هذه الأمة - بل ولا في غيرها - أعلم منها ولا أفهم، وقد غار الله لها حين قال لها أهل الإفك ما قالوا فأنزل الله براءتها من فوق سبع سموات، وقد عمرت بعد رسول الله ﷺ قريباً من خمسين سنة تبلغ عنه القرآن والسنة وتفتي المسلمين وتصلح بين المختلفين وهي أشرف أمهات المؤمنين حتى خديجة بنت خويلد أم البنات والبنين في قول طائفة من العلماء السابقين واللاحقين، والأحسن الوقف فيهما رضي الله عنهما، وما ذاك إلا لأن قوله ﷺ: «وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام» يحتمل أن يكون عاماً بالنسبة إلى المذكورات وغيرهن، ويحتمل أن يكون عاماً بالنسبة إلى ما عدا المذكورات.... والله أعلم.

والمقصود هاهنا ذكر ما يتعلق بمريم بنت عمران عليها السلام، فإن الله طهرها واصطفاها على نساء عالم زمانها، ويجوز أن يكون تفضيلها على النساء مطلقاً كما قدمنا.

[ميلاد عيسى ابن مريم]:

قال الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (١٦) فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ
حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧) قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا (١٨) قَالَ
إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا (١٩) قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ
بَغِيًّا (٢٠) قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا (٢١)
۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا (٢٢) فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا
وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا (٢٣) فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٢٤) وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ
ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (٢٥) فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ
لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا (٢٦) فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا (٢٧)
يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (٢٨) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى
ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩) قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى
بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ
أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (٣٣) ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ (٣٤) مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ
مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ (٣٥) وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٣٦)
فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [مريم: ١٦ - ٣٧].

ذكر تعالى هذه القصة بعد قصة زكريا التي هي كالمقدمة لها والتوطئة قبلها، كما ذكر في =

= سورة آل عمران ، وقرن بينهما في سياق واحد ، وكما قال في سورة الأنبياء : ﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٩ ـ ٩١].

وقد تقدم أن مريم لما جعلتها أمها محررة تخدم بيت المقدس ، وأنه كفلها زوج أختها أو خالتها نبي ذلك الزمان زكريا عليه السلام ، وأنه اتخذ لها محراباً وهو المكان الشريف من المسجد ، لا يدخله أحد عليها سواه ، وأنها لما بلغت اجتهدت في العبادة ، فلم يكن في ذلك الزمان نظيرها في فنون العبادات ، وظهر عليها من الأحوال ما غبطها به زكريا عليه السلام ، وأنها خاطبتها الملائكة بالبشارة لها باصطفاء الله لها وبأنه سيهب لها ولداً زكيّاً يكون نبيّاً كريماً طاهراً مكرماً مؤيداً بالمعجزات ، فتعجبت من وجود ولد من غير والد ، لأنها لا زوج لها ، ولا هي ممن تتزوج ، فأخبرتها الملائكة بأن الله قادر على ما يشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له : كن فيكون ، فاستكانت لذلك وأنابت وسلمت لأمر الله ، وعلمت أن هذا فيه محنة عظيمة لها ، فإن الناس يتكلمون فيها بسببه ، لأنهم لا يعلمون حقيقة الأمر ، وإنما ينظرون إلى ظاهر الحال من غير تدبر ولا تعقل.

وكانت إنما تخرج من المسجد في زمن حيضها أو لحاجة ضرورية لا بد منها من استقاء ماء أو تحصيل غذاء ، فبينما هي يوماً قد خرجت لبعض شؤونها و﴿ ٱنتَبَذَتْ ﴾ أي : انفردت وحدها شرقي المسجد الأقصى إذ بعث الله إليها الروح الأمين جبريل عليه السلام ﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ فلما رأته ﴿ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾ قال أبو العالية : علمت أن التقي ذو نهية. وهذا يرد قول من زعم أنه كان في بني إسرائيل رجل فاسق مشهور بالفسق اسمه «تقي» فإن هذا قول باطل بلا دليل ، وهو من أسخف الأقوال.

﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ ﴾ أي : خاطبها الملك ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ ﴾ أي : لست ببشر ولكني ملك بعثني الله إليك ﴿ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴾ أي : ولداً زكيّاً.

﴿ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ ﴾ أي : كيف يكون لي غلام أو يوجد لي ولد ﴿ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾ أي : ولست ذات زوج وما أنا ممن يفعل الفاحشة ﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ﴾ أي : فأجابها الملك عن تعجبها من وجود ولد منها والحالة هذه قائلاً : ﴿ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ﴾ أي : وعد أنه سيخلق منك غلاماً ولست بذات بعل ، ولا تكونين ممن تبغين ﴿ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ﴾ أي : وهذا سهل عليه ويسير لديه ، فإنه على ما يشاء قدير.

وقوله : ﴿ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ﴾ أي : ولنجعل خلقه والحالة هذه دليلاً على كمال قدرتنا على أنواع الخلق ، فإنه تعالى خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى ، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى ، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر ، وخلق بقية الخلق من ذكر وأنثى. وقوله : ﴿ وَرَحْمَةً =

﴿مِّنَّاۚ﴾ أي: نرحم به العباد بأن يدعوهم إلى الله في صغره وكبره في طفولته وكهولته ، بأن يفردوا الله بالعبادة وحده لا شريك له ، وينزهوه عن اتخاذ الصاحبة والأولاد والشركاء والنظراء والأضداد والأنداد.

وقوله: ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ يحتمل أن يكون هذا من تمام كلام جبريل معها ، يعني: أن هذا أمر قضاه الله وحتمه وقدره وقرره ، وهذا معنى قول محمد بن إسحاق واختيار ابن جرير ، ولم يحك سواه... والله أعلم. ويحتمل أن يكون قوله: ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ كناية عن نفخ جبريل فيها كما قال تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾.

والصحيح أن تعقيب كل شيء بحسبه ، كقوله: ﴿فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ وكقوله: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ ومعلوم أن بين كل حالين أربعين يوماً كما ثبت في الحديث المتفق عليه. قال محمد بن إسحاق: شاع واشتهر في بني إسرائيل أنها حامل ، فما دخل على أهل بيت ما دخل على ال بيت زكريا.

وقوله: ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ أي: فألجأها واضطرها الطلق إلى جذع النخلة ، وهو بنص الحديث الذي رواه النسائي بإسناد لا بأس به عن أنس مرفوعاً والبيهقي بإسناد وصححه عن شداد بن أوس مرفوعاً أيضاً ببيت لحم الذي بنى عليه بعض ملوك الروم فيما بعد على ما سنذكره هذا البناء المشاهد الهائل.

﴿قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ فيه دليل على جواز تمني الموت عند الفتن ، وذلك أنها علمت أن الناس يتهمونها ولا يصدقونها بل يكذبونها حين تأتيهم بغلام على يدها ، مع أنها قد كانت عندهم من العابدات الناسكات المجاورات في المسجد المنقطعات إليه المعتكفات فيه ، ومن بيت النبوة والديانة فحملت بسبب ذلك من الهم ما تمنت أن لو كانت ماتت قبل هذا الحال أو كانت ﴿نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ أي: لم تخلق بالكلية. وقوله: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ﴾ وقرىء (مَنْ تَحْتَها).

وفي المضمر قولان ، أحدهما أنه جبريل ، قاله العوفي عن ابن عباس قال: ولم يتكلم عيسى إلا بحضرة القوم. وبهذا قال سعيد بن جبير وعمرو بن ميمون والضحاك والسدي وقتادة. وقال مجاهد والحسن وابن زيد وسعيد بن جبير في رواية: هو ابنها عيسى ، واختاره ابن جرير.

وقوله: ﴿أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ قيل: النهر ، وإليه ذهب الجمهور. وجاء فيه حديث رواه الطبراني لكنه ضعيف واختاره ابن جرير وهو الصحيح. وعن الحسن والربيع بن أنس وابن أسلم وغيرهم أنه ابنها. والصحيح الأول لقوله: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ فذكر الطعام والشراب ، ولهذا قال: ﴿فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا﴾.

قوله: ﴿ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ وهذا من تمام كلام الذي ناداها من تحتها قال: ﴿ فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا﴾ أي: فإن رأيت أحداً من الناس ﴿ فَقُولِيٓ﴾ له أي بلسان الحال والإشارة ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ أي: صمتاً، وكان من صومهم في شريعتهم ترك الكلام والطعام. قاله قتادة والسدي وابن أسلم. ويدل على ذلك قوله: ﴿ فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ فأما في شريعتنا فيكره للصائم صمت يوم إلى الليل.

وقوله تعالى: ﴿ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ ﴿ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾ أي: أمراً عظيماً منكراً. ظاهر سياق القرآن العظيم يدل على أنها حملته بنفسها وأتت به قومها وهي تحمله. والمقصود أنهم لما رأوها تحمل معها ولدها ﴿ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾ والفرية هي الفعلة المنكرة العظيمة من الفعال والمقال.

ثم قالوا لها: ﴿ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾ قيل: شبهوها بعابد من عباد زمانهم كانت تساميه في العبادة، وكان اسمه هارون. قاله سعيد بن جبير. وقيل: أرادوا بهارون أخا موسى شبهوها به في العبادة، وأخطأ محمد بن كعب القرظي في زعمه أنها أخت موسى وهارون نسباً فإن بينهما من الدهور الطويلة ما لا يخفى على أدنى من عنده من العلم ما يرده عن هذا القول الفظيع، وكأنه غره أن في التوراة أن مريم أخت موسى وهارون ضربت بالدف يوم نجى الله موسى وقومه وأغرق فرعون وملأه، فاعتقد أن هذه هي هذه.

وهذا في غاية البطلان والمخالفة للحديث الصحيح مع نص القرآن كما قررناه في التفسير مطولاً ولله الحمد والمنة. وقد ورد في الحديث الصحيح الدال على أنه قد كان لها أخ اسمه هارون، وفي ذكر قصة ولادتها وتحرير أمها لها ما يدل على أنها ليس لها أخ سواها، والله أعلم.

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الله بن إدريس، سمعت أبي يذكره، عن سماك، عن علقمة بن وائل، عن المغيرة بن شعبة قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى نجران فقالوا: أرأيت ما تقرؤون: ﴿ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾ وموسى قبل عيسى بكذا وكذا؟ قال: فرجعت فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بالأنبياء والصالحين قبلهم» [مسند أحمد/ ح١٨٢٢٦].

وكذا رواه مسلم والنسائي والترمذي من حديث عبد الله بن إدريس، وقال الترمذي: حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديثه، وفي رواية: «ألا أخبرتهم أنهم كانوا يتسمون بأسماء صالحيهم وأنبيائهم» [مسلم/ ٩/ ٢١٣٥] والترمذي [ح/ ٣١٥٥].

والمقصود أنهم قالوا: ﴿ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾ ودل الحديث على أنها قد كان لها أخ نسبي اسمه هارون، وكان مشهوراً بالدين والصلاة والخير، ولهذا قالوا: ﴿ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ

= أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ أي: لست من بيت هذه شيمتهم ولا سجيتهم، لا أخوك ولا أمك ولا أبوك، فاتهموها بالفاحشة العظمى، ورموها بالداهية الدهياء.

فلما ضاق الحال وانحصر المجال وامتنع المقال، عَظُمَ التوكل على ذي الجلال، ولم يبقَ إلا الإخلاص والاتكال ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ أي: خاطبوه وكلموه فإن جوابكم عليه وما تبغون من الكلام لديه، فعندها ﴿قَالُوا﴾ من كان منهم جباراً شقياً: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ أي: كيف تحيلينا في الجواب على صبي صغير لا يعقل الخطاب، وهو مع ذلك رضيع في مهده ولا يميز بين مخيض وزبدة، وما هذا منك إلا على سبيل التهكم بنا والاستهزاء والنقص لنا والازدراء، إذ لا تردين علينا قولاً نطقياً، بل تحيلين في الجواب على من كان في المهد صبيّاً فعندها: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ الْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَـٰنِي بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَـٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣٠ ـ ٣٣].

هذا أول كلام تفوه به عيسى ابن مريم، فكان أول ما تكلم به أن ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ اعترف لربه تعالى بالعبودية، وأن الله ربه، فنزه جناب الله عن قول الظالمين في زعمهم أنه ابن الله، بل هو عبده ورسوله وابن أمته، ثم برأ أمه مما نسبها إليه الجاهلون وقذفوها به ورموها بسببه بقوله: ﴿ءَاتَىٰنِيَ الْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ فإن الله لا يعطي النبوة من هو كما زعموا لعنهم الله وقبحهم، وكما قال تعالى: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَـٰنًا عَظِيمًا﴾ وذلك أن طائفة من اليهود في ذلك الزمان قالوا: إنها حملت به من زنى في زمن الحيض، لعنهم الله فبرأها الله من ذلك، وأخبر عنها أنها صديقة واتخذ ولدها نبيّاً مرسلاً أحد أولي العزم الخمسة الكبار، ولهذا قال: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ وذلك أنه حيث كان دعا إلى عبادة الله وحده لا شريك له ونزه جنابه عن النقص والعيب من اتخاذ الولد والصاحبة تعالى وتقدس ﴿وَأَوْصَـٰنِي بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ وهذه وظيفة العبيد في القيام بحق العزيز الحميد بالصلاة، والإحسان إلى الخليقة بالزكاة، وهي تشتمل على طهارة النفوس من الأخلاق الرذيلة وتطهير الأموال الجزيلة بالعطية للمحاويج على اختلاف الأصناف وقرى الأضياف والنفقات على الزوجات والأرقاء والقرابات وسائر وجوه الطاعات وأنواع القربات.

ثم قال: ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ أي: وجعلني براً بوالدتي، وذلك أنه تأكد حقها عليه لتمحض جهتها إذ لا والد له سواها، فسبحان من خلق الخليقة وبرأها وأعطى كل نفس هداها. ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ أي: لست بفظ ولا غليظ، ولا يصدر مني قول ولا فعل ينافي أمر الله وطاعته. ﴿وَالسَّلَـٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ وهذه المواطن الثلاثة التي تقدم الكلام عليها في قصة يحيى بن زكريا عليهما السلام.

ثم لما ذكر تعالى قصته على الجلية وبيّن أمره ووضحه وشرحه قال: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَـٰنَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن =

= فَيَكُونُ﴾ ، كما قال تعالى بعد ذكر قصته وما كان من أمره في آل عمران: ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٨ ـ ٦٣].

ولهذا لما قدم وفد نجران وكانوا ستين راكباً يرجع أمرهم إلى أربعة عشر منهم ، ويؤول أمر الجميع إلى ثلاثة هم أشرافهم وساداتهم وهم العاقب والسيد وأبو حارثة بن علقمة ، فجعلوا يناظرون في أمر المسيح فأنزل الله صدر سورة آل عمران في ذلك ، وبيّن أمر المسيح وابتداء خلقه وخلق أمه من قبله. وأمر رسوله بأن يباهلهم إن لم يستجيبوا له ويتبعوه ، رأوا ثم نكصوا وامتنعوا عن المباهلة ، وعدلوا إلى المسالمة والموادعة ، وقال قائلهم وهو العاقب عبد المسيح: يا معشر النصارى. . لقد علمتم أن محمداً لنبي مرسل ، ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم ، ولقد علمتم أنه ما لاعن قوم نبيّاً قط فبقي كبيرهم ولا نبت صغيرهم ، وإنها للاستئصال منكم إن فعلتم ، فإن كنتم قد أبيتم إلا إلف دينكم والإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم ، فطلبوا ذلك من رسول الله ﷺ وسألوه أن يضرب عليهم جزية وأن يبعث معهم رجلاً أميناً ، فبعث معهم أبا عبيدة بن الجراح وقد بيّنا ذلك في تفسير آل عمران وقد بسطنا هذه القصة في السيرة النبوية.

والمقصود أن الله تعالى بيّن أمر المسيح فقال لرسوله: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ يعني من أنه عبد مخلوق من امرأة من عباد الله ، ولهذا قال: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَانَهُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ أي: لا يعجزه شيء ولا يكربه ولا يؤوده بل هو القدير الفعال لما يشاء ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ هو من تمام كلام عيسى لهم في المهد ، أخبرهم أن الله ربه وربهم وإلهه وإلههم ، وأن هذا هو الصراط المستقيم.

قال الله تعالى: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ أي: فاختلف أهل الزمان ومن بعدهم فيه. فمن قائل من اليهود: إنه ولد زِنْية ، واستمروا على كفرهم وعنادهم. وقابلهم آخرون في الكفر فقالوا: هو الله ، وقال آخرون: هو ابن الله.

وقال المؤمنون: هو عبد الله ورسوله ، وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، وهؤلاء هم الناجون المثابون والمؤيدون المنصورون ، ومن خالفهم في شيء من هذه القيود فهم الكافرون الضالون الجاهلون ، وقد توعدهم العلي العظيم الحكيم العليم بقوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

قال البخاري: حدثنا صدقة بن الفضل ، أنبأنا الوليد ، حدثنا الأوزاعي ، حدثني عمير بن =

= هانىء ، حدثني جنادة بن أبي أمية ، عن عبادة بن الصامت ، عن النبي ﷺ قال: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ، ألقاها إلى مريم وروح منه ، والجنة حق والنار حق ، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل».
قال الوليد: فحدثني عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، عن عمير ، عن جنادة وزاد: «من أبواب الجنة الثمانية أيها شاء». وقد رواه مسلم عن داود بن رشيد ، عن الوليد ، عن جابر به ومن طريق أخرى عن الأوزاعي به [البخاري/ ح٣٤٣٥ ومسلم كتاب الإيمان/ ٤٦/ ٢٨].

[تنزيه الله عن الولد]:

وقال تعالى في آخر سورة مريم: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾﴾ شيئاً عظيماً من القول وزوراً ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾.

فبين أنه تعالى لا ينبغي له الولد لأنه خالق كل شيء ومالكه ، وكل شيء فقير إليه ، خاضع ذليل لديه وجميع سكان السموات والأرض عبيده ، هو ربهم لا إله إلا هو لا رب سواه كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾.

فبيّن أنه خالق كل شيء فكيف يكون له ولد؟ والولد لا يكون إلا بين شيئين متناسبين ، والله تعالى لا نظير له ولا شبيه ولا عديل له ، فلا صاحبة له ، فلا يكون له ولد كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ يقرر أنه الأحد الذي لا نظير له في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ﴿الصَّمَدُ﴾ وهو السيد الذي كمل علمه وحكمته ورحمته وبلغ جميع صفاته ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ أي: لم يوجد منه ولد ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ أي: ولم يتولد عن شيء قبله ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ أي: وليس له عدل ولا مكافىء ولا مساو ، فقطع النظير المداني والأعلى والمساوي ، فانتفى أن يكون له ولد ، إذ لا يكون الولد إلا متولداً بين شيئين متعادلين أو متقاربين ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وقال تبارك وتعالى وتقدس: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ =

= وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٧١ ـ ١٧٣].

وقال تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة: ١١٠ ـ ١١١].

يذكره تعالى بنعمته عليه وإحسانه إليه في خلقه إياه من غير أب، بل من أم بلا ذكر، وجعله له آية للناس ودلالة على كمال قدرته تعالى ثم إرساله بعد هذا كله ﴿ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ ﴾ في اصطفائها واختيارها لهذه النعمة العظيمة وإقامة البرهان على براءتها مما نسبه إليها الجاهلون ولهذا قال: ﴿ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ وهو جبريل بإلقاء روحه إلى أمه وقرنه معه في حال رسالته ومدافعته عنه لمن كفر به ﴿ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ﴾ أي: تدعو الناس إلى الله في حال صغرك في مهدك وفي كهولتك ﴿ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ أي: الخط والفهم، نص عليه بعض السلف ﴿ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ وقوله: ﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى ﴾ أي: تصوره وتشكله من الطين على هيئة الطير على أمر الله له بذلك ﴿ فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ﴾ أي: بأمري، يؤكد تعالى بذكر الإذن له في ذلك لرفع التوهم.

وقوله: ﴿ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ ﴾ وقال بعض السلف: وهو الذي يولد أعمى ولا سبيل لأحد من الحكماء إلى مداواته ﴿ وَٱلْأَبْرَصَ ﴾ هو الذي لا طب فيه بل قد مرض بالبرص وصار داؤه عضالاً ﴿ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ أي: من قبورهم أحياء ﴿ بِإِذْنِى ﴾ وقد تقدم ما فيه دلالة على وقوع ذلك مراراً متعددة بما فيها كفاية.

وقوله: ﴿ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ وذلك حين أرادوا صلبه فرفعه الله إليه وأنقذه من بين أظهرهم صيانة لجنابه الكريم عن الأذى، وسلامة له من الردى.

وقوله: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾ قيل: المراد بهذا الوحي وحي إلهام أي أرشدهم الله إليه ودلهم عليه كما قال: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾، ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ ﴾ وقيل: المراد وحي بواسطة الرسول وتوفيق في قلوبهم لقبول الحق، ولهذا استجابوا قائلين: ﴿ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾.

وهذا من جملة نعم الله على عبده ورسوله عيسى ابن مريم أن جعل له أنصاراً وأعواناً ينصرونه=

= ويدعون معه إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، كما قال تعالى لعبده محمد ﷺ ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٦٢ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ، وقال تعالى : ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٤٨ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٤٩ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝٥٠ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٥١ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۝٥٢ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٥٣ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [آل عمران : ٤٨ ـ ٥٤] .

كانت معجزة كل نبي في زمانه بما يناسب أهل ذلك الزمان ، فذكروا أن موسى عليه السلام كانت معجزته مما يناسب أهل زمانه وكانوا سحرة أذكياء ، فبعث بآيات بهرت الأبصار وخضعت لها الرقاب ، ولما كان السحرة خبيرين بفنون السحر وما ينتهي إليه وعاينوا ما عاينوا من الأمر الباهر الهائل الذي لا يمكن صدوره إلا عمن أيّده الله وأجرى الخارق على يديه تصديقاً له ، أسلموا سراعاً ولم يتلعثموا .

وهكذا عيسى ابن مريم بعث في زمن الطبائعية الحكماء ، فأرسل بمعجزات لا يستطيعونها ولا يهتدون إليها ، وأنى لحكيم إبراء الأكمه الذي هو أسوأ حالاً من الأعمى ، والأبرص والمجذوم ومن به مرض مزمن ، وكيف يتوصل أحد من الخلق إلى أن يقيم الميت من قبره؟ هذا ـ مما يعلم كل أحد ـ معجزة دالة على صدق من قامت به وعلى قدرة من أرسله .

وهكذا محمد ﷺ وعليهم أجمعين بعث في زمن الفصحاء البلغاء ، فأنزل الله عليه القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، فلفظه معجز تحدى به الإنس والجن أن يأتوا بمثله أو بعشر سور من مثله أو بسورة ، وقطع عليهم بأنهم لا يقدرون لا في الحال ولا في الاستقبال ، فإن لم يفعلوا ولن يفعلوا وما ذاك إلا لأنه كلام الخالق عز وجل ، والله تعالى لا يشبهه شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله .

والمقصود أن عيسى عليه السلام لما أقام عليهم الحجج والبراهين استمر أكثرهم على كفرهم وضلالهم وعنادهم وطغيانهم ، فانتدب من بينهم طائفة صالحة فكانوا له أنصاراً وأعواناً قاموا بمتابعته ونصرته ومناصحته ، وذلك حين همّ به بنو إسرائيل ووشوا به إلى بعض ملوك ذلك الزمان ، فعزموا على قتله وصلبه فأنقذه الله منهم ورفعه إليه من بين أظهرهم ، وألقى شبهه على أحد أصحابه فأخذوه فقتلوه وصلبوه وهم يعتقدونه عيسى ، وهم في ذلك غالطون ، وللحق مكابرون ، وسلم لهم كثير من النصارى ما ادعوه ، وكلا الفريقين في ذلك مخطئون .=

قال تعالى: ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ ، وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ ﴾ إلى أن قال بعد ذلك: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴾ .

فعيسى عليه السلام هو خاتم أنبياء بني إسرائيل ، وقد قام فيهم خطيباً فبشرهم بخاتم الأنبياء الآتي بعده ونوه باسمه وذكر لهم صفته ليعرفوه ويتابعوه إذا شاهدوه ، إقامة للحجة عليهم وإحساناً من الله إليهم كما قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ .

وقال محمد بن إسحاق: حدثني ثور بن يزيد ، عن خالد بن معدان ، عن أصحاب رسول الله ﷺ أنهم قالوا: يا رسول الله ، أخبرنا عن نفسك. قال: «دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى عيسى ، ورأت أمي حين حملت بي كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام».

وقد رُوِيَ عن العرباض بن سارية وأبي أمامة عن النبي ﷺ نحو هذا وفيه: «دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى» وذلك أن إبراهيم لما بنى الكعبة قال: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ الآية.

ولما انتهت النبوة في بني إسرائيل إلى عيسى قام فيهم خطيباً فأخبرهم أن النبوة قد انقطعت عنهم ، وأنها بعده في النبي العربي الأمي خاتم الأنبياء على الاطلاق أحمد ، وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم الذي هو من سلالة إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه السلام ، وفيه قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ يحتمل عود الضمير إلى عيسى عليه السلام ويحتمل عوده إلى محمد ﷺ .

ثم حرض تعالى عباده المؤمنين على نصرة الإسلام وأهله ونصرة نبيه ومؤازرته ومعاونته على إقامة الدين ونشر الدعوة فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ أي: من يساعدني في الدعوة إلى الله ﴿ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ﴾ ، قال الله تعالى: ﴿ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ﴾ يعني: لما دعا عيسى ابن مريم بني إسرائيل وغيرهم إلى الله تعالى ، منهم من آمن ومنهم من كفر ، وكان ممن آمن به أهل أنطاكية بكاملها فيما ذكره غير واحد من أهل السير والتواريخ والتفسير وكفر اخرون من بني إسرائيل وهم جمهور اليهود ، فأيد الله من آمن به على من كفر فيما بعد وأصبحوا ظاهرين عليهم قاهرين لهم كما قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ

= ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ الآية فكل من كان إليه أقرب كان غالباً لمن دونه ، ولما كان قول المسلمين فيه هو الحق الذي لا شك فيه ـ من أنه عبد الله ورسوله ـ كانوا ظاهرين على النصارى؛ الذين غلوا فيه، وأطروه، وأنزلوه فوق ما أنزل الله به.

[رفع عيسى والكذب في دعوى الصلب]:

قال الله تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [آل عمران: ٥٤ ـ ٥٥].

وقال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَـٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٥ ـ ١٥٩].

فأخبر تعالى أنه رفعه إلى السماء بعدما توفاه بالنوم على الصحيح المقطوع به، وخلصه ممن كان أراد أذيته من اليهود الذين وشوا به إلى بعض الملوك الكفرة في ذلك الزمان. وأخبر تعالى بقوله: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ أي: بعد نزوله إلى الأرض في آخر الزمان قبل قيام الساعة، فإنه ينزل ويقتل الخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية ولا يقبل إلا الإسلام، كما بيّنا ذلك بما ورد فيه من الأحاديث عند تفسير هذه الآية الكريمة من سورة النساء، كما أوردنا ذلك مستقصى في كتاب «الفتن والملاحم» عند أخبار المسيح الدجال، فذكرنا ما ورد في نزول المسيح المهدي عليه السلام من ذي الجلال لقتل المسيح الدجال الكذاب الداعي إلى الضلال، وهذا ذكر ما ورد في الآثار في صفة رفعه إلى السماء:

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان، حدثنا أبو معاوية، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: لما أراد الله أن يرفع عيسى إلى السماء خرج على أصحابه وفي البيت اثنا عشر رجلاً منهم من الحواريين، يعني فخرج عليهم من عين في البيت ورأسه يقطر ماء، فقال: إن منكم من يكفر بي اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن بي، ثم قال: أيكم يلقى عليه شبهي فيقتل مكاني فيكون معي في درجتي؟ فقام شاب من أحدثهم سناً فقال له: اجلس. ثم أعاد عليهم فقام الشاب فقال: أنا. فقال: أنت هو ذاك. فألقي عليه شبه عيسى، ورفع عيسى من روزنة في البيت إلى السماء.

قال: وجاء الطلب من اليهود فأخذوا الشبه فقتلوه ثم صلبوه فكفر به بعضهم اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن به وافترقوا ثلاث فرق، فقالت طائفة: كان الله فينا ما شاء، ثم صعد إلى السماء، وهؤلاء اليعقوبية، وقالت فرقة: كان فينا ابن الله ما شاء ثم رفعه الله إليه، وهؤلاء النسطورية، وقالت فرقة: كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء ثم رفعه الله إليه، وهؤلاء =

= المسلمون ، فتظاهرت الكافرتان على المسلمة فقتلوها ، فلم يزل الإسلام طامساً حتى بعث الله محمداً ﷺ .

قال ابن عباس : وذلك قوله تعالى : ﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾ . وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس على شرط مسلم . ورواه النسائي عن أبي كريب ، عن أبي معاوية به نحوه ، ورواه ابن جرير عن مسلم بن جنادة ، عن أبي معاوية . وهكذا ذكر غير واحد من السلف ، وممن ذكر ذلك مطولاً محمد بن إسحاق بن يسار [جامع البيان/ ٢٨].

نَبِيُّ الله يُونس عَليهِ السَّلام

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى :

[يونس في القرآن] :

قال الله تعالى في سورة يونس : ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس : ٩٨] .

وقال تعالى في سورة الأنبياء : ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء : ٨٧ ـ ٨٨] .

وقال تعالى في سورة الصافات : ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِا۟ئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الصافات : ١٣٩ ـ ١٤٨] .

وقال تعالى في سورة القلم : ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [القلم : ٤٨ ـ ٥٠] .

[موقف أهل نينوى] :

قال أهل التفسير : بعث الله يونس عليه السلام إلى أهل «نينوى» من أرض الموصل ، فدعاهم إلى الله عز وجل ، فكذبوه وتمردوا على كفرهم وعنادهم ، فلما طال ذلك عليه من أمرهم خرج من بين أظهرهم ، ووعدهم حلول العذاب بهم .

قال ابن مسعود ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة ، وغير واحد من السلف والخلف : فلما خرج من بين ظهرانيهم ، وتحققوا نزول العذاب بهم قذف الله في قلوبهم التوبة والإنابة ، وندموا على ما كان منهم إلى نبيهم ، ثم عجوا إلى الله عز وجل ، وتضرعوا إليه ، وتمسكنوا لديه ، وكانت ساعة عظيمة هائلة . =

= فكشف الله العظيم ـ بحوله وقوته ورأفته ورحمته ـ عنهم العذاب الذي كان قد اتصل بهم سببه.

ولهذا قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ﴾ أي هلا وجدت فيما سلف من القرون قرية آمنت بكاملها، فدل على أنه لم يقع ذلك، بل كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾، وقوله: ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ أي آمنوا بكاملهم.

وقد كانوا مئة ألف لا محالة، واختلفوا في الزيادة: فعن مكحول عشرة آلاف، وروى الترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم من حديث زهير عمن سمع أبا العالية: حدثني أُبيّ بن كعب، أنه سأل رسول الله ﷺ عن قوله: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِا۟ئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ قال: «يزيدون عشرين ألفاً» فلولا هذا الرجل المبهم لكان هذا الحديث فاصلاً في هذا الباب.

[ابتلاع الحوت يونس]:

والمقصود أنه عليه السلام لما ذهب مغاضباً بسبب قومه، ركب سفينة في البحر فلجت بهم، واضطربت وساجت بهم وثقلت بما فيها، وكادوا يغرقون على ما ذكره المفسرون.

قالوا: فاشتوروا فيما بينهم على أن يقترعوا، فمن وقعت عليه القرعة ألقوه من السفينة ليتخففوا منه. فلما اقترعوا وقعت القرعة على نبي الله يونس لما يريده الله به من الأمر العظيم.

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾. وذلك أنه لما وقعت عليه القرعة أُلقي في البحر.

وبعث الله عز وجل حوتاً عظيماً من البحر، فعند ذلك وهنالك، قال ما قال بلسان الحال والمقال، كما أخبر عنه ذو العزة والجلال؛ الذي يعلم السر والنجوى، ويكشف الضر والبلوى، يسمع الأصوات وإن ضعفت، وعالم الخفيات وإن دقت، ومجيب الدعوات وإن عظمت، حيث قال في كتابه المبين، المنزل على رسوله الأمين، وهو أصدق القائلين ورب العالمين وإله المرسلين: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ﴾ أي إلى أهله ﴿مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ أن نضيّق عليه، وقيل معناه: نقدر من التقدير وهي لغة مشهورة، قَدِرَ وقَدّرَ كما قال الشاعر:

فلا عائد ذاك الزمان الذي مضى ... تباركت، ما تقدر يكن لك الأمر

﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ قال ابن مسعود وابن عباس وعمرو بن ميمون وسعيد بن جبير ومحمد بن كعب والحسن وقتادة والضحاك: ظلمة الحوت، وظلمة البحر، وظلمة الليل.

وقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ قيل: معناه فلولا أنه=

= سبح الله هنالك ، وقال ما قال من التهليل والتسبيح ، والاعتراف لله بالخضوع ، والتوبة إليه والرجوع إليه للبث هنالك إلى يوم القيامة .
وقيل معناه : ﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ﴾ من قبل أخذ الحوت له ﴿ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾ أي المطيعين المصلين الذاكرين الله كثيراً ، قاله الضحاك بن قيس وابن عباس وأبو العالية ووهب بن منبه وسعيد بن جبير والضحاك والسدي وعطاء بن السائب والحسن البصري وقتادة وغير واحد ، واختاره ابن جرير .
ويشهد لهذا ما رواه الإمام أحمد وبعض أهل السنن عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال له : «يا غلام . . إني معلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، تعرَّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة» [مسند أحمد/ح ٢٦٦٩/ سنن الترمذي/ح ٢٥١٦] .
قال ابن جرير : حدثني عمران بن بكار الكلاعي ، حدثنا يحيى بن صالح ، حدثنا أبو يحيى بن عبد الرحمن ، حدثني بشر بن منصور ، عن علي بن زيد ، عن سعيد بن المسيب قال : سمعت سعد بن مالك ـ وهو ابن أبي وقاص ـ يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «اسم الله الذي إذا دعي به أجاب ، وإذا سئل به أعطى : دعوة يونس بن متى» ، قال : فقلت : يا رسول الله . . . هي ليونس خاصة أم لجماعة المسلمين؟ قال : هي ليونس خاصة وللمؤمنين عامة إذا دعوا بها ، ألم تسمع قول الله تعالى : ﴿ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٨٧ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فهو شرط من الله لمن دعاه به . [جامع البيان ج ١٧/ ٨٢] .
وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو خالد الأحمر ، عن كثير بن زيد ، عن المطلب بن حنطب قال أبو خالد : أحسبه عن مصعب ـ يعني ابن سعد ـ عن سعد قال : قال رسول الله ﷺ : «من دعا بدعاء يونس استجيب له» قال أبو سعيد الأشج ، يريد به : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ . وهذان طريقان عن سعد [وانظر أبو يعلىٰ ٢/ ٧٠٧] .
وثالث أحسن منهما : وقال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل بن عمير ، حدثنا يونس بن أبي إسحاق الهمداني ، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سعد ، حدثني والدي محمد ، عن أبيه سعد ـ وهو ابن أبي وقاص رضي الله عنه ـ قال : مررت بعثمان بن عفان في المسجد فسلمت عليه ، فملأ عينيه مني ثم لم يرد عليّ السلام ، فأتيت عمر بن الخطاب فقلت : يا أمير المؤمنين . . . هل حدث في الإسلام شيء؟ قال : لا ، وما ذاك؟ قلت : لا ، إلا أني مررت بعثمان آنفاً في المسجد فسلمت عليه فملأ عينيه مني ثم لم يرد عليّ السلام قال : فأرسل عمر إلى عثمان فدعاه ، فقال : ما منعك ألا تكون رددت على أخيك السلام؟ قال : ما فعلت ، قال سعد : قلت : بلى ، حتى حلف وحلفت ، قال : ثم إن عثمان ذكر فقال : بلى ، وأستغفر الله وأتوب إليه ، إنك مررت بي آنفاً ، وأنا أحدث نفسي بكلمة سمعتها من رسول الله ﷺ لا والله ما ذكرتها قط إلا تغشى بصري وقلبي غشاوة ، قال سعد : فأنا أنبئك بها ، إن =

= رسول الله ﷺ ذكر لنا أول دعوة ، ثم جاء أعرابي فشغله حتى قام رسول الله ﷺ فاتّبعته ، فلما أشفقت أن يسبقني إلى منزله ضربت بقدمي الأرض ، فالتفت إليّ رسول الله ﷺ فقال: «من هذا؟ أبو إسحاق؟» ، قال: قلت: نعم يا رسول الله ، قال: «مه»؟ قلت: لا والله ، إلا أنك ذكرت لنا أول دعوة ، ثم جاء هذا الأعرابي فشغلك ، قال: «نعم . . دعوة ذي النون إذ هو في بطن الحوت: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فإنه لم يدع بها مسلم ربه في شيء إلا استجاب له». ورواه الترمذي والنسائي من حديث إبراهيم بن محمد بن سعد به [أحمد/ح١٤٦٢ ، والترمذي/ ح ٣٥٠٠].

[فضل يونس عليه السلام]:
قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ وذكره تعالى في جملة الأنبياء الكرام في سورتي النساء والأنعام ، عليهم من الله أفضل الصلاة والسلام.
وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي وائل ، عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ : «لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى» ورواه البخاري من حديث سفيان الثوري به. [مسند أحمد/ ٣٧٠٣].
وقال البخاري أيضاً: حدثنا حفص بن عمر ، حدثنا شعبة ، عن قتادة ، عن أبي العالية ، عن ابن عباس ، عن النبي ﷺ قال: «ما ينبغي لعبد أن يقول إني خير من يونس بن متى ، ونسبه إلى أبيه». رواه أحمد ومسلم وأبو داود من حديث شعبة به ، قال شعبة فيما حكاه أبو داود عنه: لم يسمع قتادة من أبي العالية سوى أربعة أحاديث ، وهذا أحدها [صحيح البخاري/ ح ٣٤١٣].

[قوم يس]:
وهم أصحاب القرية أصحاب «يس» قال الله تعالى: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٨﴾ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ۞وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ﴾ [يس: ١٣ ـ ٢٩] اشتهر عن كثير من السلف والخلف أن هذه القرية «أنطاكية» رواه ابن إسحاق فيما بلغه عن ابن عباس وكعب الأحبار ووهب بن منبه ، وكذا روي عن بريدة بن الخصيب وعكرمة وقتادة والزهري وغيرهم. قال ابن =

= إسحاق: فيما بلغه عن ابن عباس وكعب ووهب، أنهم قالوا: وكان له ملك اسمه أنطيخس بن أنطيخس وكان يعبد الأصنام. فبعث الله إليه ثلاثة من الرسل وهم: صادوق ومصدوق وشلوم، فكذبهم.

وهذا ظاهر أنهم رسل من الله عز وجل، وزعم قتادة أنهم كانوا رسلاً من المسيح، وكذا قال ابن جرير، عن وهب، عن ابن سليمان، عن شعيب الجبائي: كان اسم المرسلين الأولين. شمعون، ويوحنا، واسم الثالث: بولس، والقرية أنطاكية.

وهذا القول ضعيف جداً، لأن أهل أنطاكية لما بعث إليهم المسيح ثلاثة من الحواريين كانوا أول مدينة آمنت بالمسيح في ذلك الوقت، ولهذا كانت إحدى المدن الأربع التي تكون فيها بطارقة النصارى. وهن: أنطاكية، والقدس، والإسكندرية، وروميه، ثم بعدها القسطنطينية ولم يهلكوا، وأهل هذه القرية المذكورة في القرآن أهلكوا، كما قال في آخر قصتها بعد قتلهم صديق المرسلين: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ﴾ ولكن إن كانت الرسل الثلاثة المذكورون في القرآن. بعثوا إلى أهل أنطاكية قديماً فكذبوهم وأهلكهم الله، ثم عمرت بعد ذلك، فلما كان في زمن المسيح آمنوا برسله إليهم، فلا يمنع هذا... والله أعلم.

فأما القول بأن هذه القصة المذكورة في القرآن هي قصة أصحاب المسيح ضعيف لما تقدم، ولأن ظاهر سياق القرآن يقتضي أن هؤلاء الرسل من عند الله.

قال الله تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا﴾ يعني لقومك يا محمد ﴿أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ﴾ يعني المدينة ﴿إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ أي أيدناهما بثالث في الرسالة، ﴿فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾ فردوا عليهم بأنهم بشر مثلهم، كما قالت الأمم الكافرة لرسلهم، يستبعدون أن يبعث الله نبياً بشرياً، فأجابوا بأن الله يعلم أنا رسله إليكم، ولو كنا كذبنا عليه لعاقبنا وانتقم منا أشد الانتقام. ﴿وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ أي إنما علينا أن نبلغكم ما أرسلنا به إليكم، والله هو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ أي تشاءمنا بما جئتمونا به. ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾ قيل: بالمقال، وقيل: بالفعال، ويؤيد الأول قوله: ﴿وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ توعدهم بالقتل والإهانة. ﴿قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ أي مردود عليكم ﴿أَئِن ذُكِّرْتُم﴾ أي بسبب أنا ذكرنا بالهدى ودعوناكم إليه، توعدتمونا بالقتل والإهانة ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ أي لا تقبلون الحق ولا تريدونه.

وقوله تعالى: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾ يعني لنصرة الرسل وإظهار الإيمان بهم ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ أي يدعونكم إلى الحق المحض بلا أجرة ولا جعالة. ثم دعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ونهاهم عن عبادة ما سواه مما لا ينفع شيئاً لا في الدنيا ولا في الآخرة. ﴿إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ أي إن تركت عبادة الله وعبدت معه سواه. =

ذكر الخبر عن أَصحاب الكهف

وكان أصحابُ الكهف فتيةً آمنوا بربِّهم؛ كما وصفهم الله عزّ وجلّ به من

= ثم قال مخاطباً للرسل: ﴿إِنِّي ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ﴾ قيل: فاستمعوا مقالتي واشهدوا لي بها عند ربكم، وقيل معناه: فاستمعوا يا قومي إيماني برسل الله جهرة، فعند ذلك قتلوه، قال تعالى: ﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ﴾ يعني لما قتله قومه أدخله الله الجنة، فلما رأى فيها من النضرة والسرور ﴿قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ يعني: ليؤمنوا بما آمنت به فيحصل لهم ما حصل لي.

قال ابن عباس: نصح قومه في حياته بقوله: ﴿يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ وبعد مماته في قوله: ﴿قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ رواه ابن أبي حاتم.

وكذلك قال قتادة: لا يلقى المؤمن إلا ناصحاً، لا يلقى غاشّاً، لما عاين ما عاين من كرامة الله. ﴿يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ تمنى والله أن يعلم قومه بما عاين من كرامة الله وما هو عليه!.

قال قتادة: فلا والله ما عاتب الله قومه بعد قتله: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿۞ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾ أي وما احتجنا في الانتقام منهم إلى إنزال جند من السماء عليهم.

هذا معنى ما رواه ابن إسحاق عن بعض أصحابه، عن ابن مسعود، قال مجاهد وقتادة: وما أنزل عليهم جنداً، أي رسالة أخرى. قال ابن جرير: والأول أولى.

قلت: وأقوى، ولهذا قال: ﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾ أي وما كنا نحتاج في الانتقام إلى هذا حين كذبوا رسلنا وقتلوا ولينا ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ﴾.

أي قد أخمدت أصواتهم، وسكنت حركاتهم، ولم يبق منهم عين تطرف.

وهذا كله مما يدل على أن القرية ليست أنطاكية، لأن هؤلاء أهلكوا بتكذيبهم رسل الله إليهم، وأهل أنطاكية آمنوا واتبعوا رسل المسيح من الحواريين إليهم، فلهذا قيل: إن أنطاكية أول مدينة آمنت بالمسيح.

فأما الحديث الذي رواه الطبراني من حديث حسين الأشقر، عن سفيان بن عيينة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «السبق ثلاثة: فالسابق إلى موسى: يوشع بن نون، والسابق إلى عيسى: صاحب يس، والسابق إلى محمد: علي بن أبي طالب»، فإنه حديث لا يثبت، لأن حسيناً هذا متروك شيعي من الغلاة، وتفرده بهذا مما يدل على ضعفه بالكلية.. والله أعلم. [الحديث أخرجه الطبراني ١١/ ١١١٥٢].

صفتهم في القرآن المجيد؛ فقال لنبيّه محمد ﷺ: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾.

والرّقيم هو الكتاب الذي كان القوم الذين منهم كان الفتية كتبوه في لوحٍ بذكر خبرهم وقصصهم، ثم جعلوه على باب الكهف الذي أووْا إليه، أو نقروه في الجبل الذي أووْا إليه، أو كتبوه في لوح وجعلوه في صندوق خلّفوه عندهم، «إذ أوى الفتيةُ إلى الكهف».

وكان عددُ الفتية ـ فيما ذكر ابنُ عباس ـ سبعةً، وثامنهم كلبهم[1]. (٢ : ٥)

حدّثنا ابن بشّار، قال: حدّثنا عبد الرحمن، قال: حدّثنا إسرائيل، عن سِماك، عن عِكْرِمة، عن ابن عباس: ﴿مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾، قال: أنا من القليل، كانوا سبعة[2]. (٢ : ٥).

حدّثنا بشر، قال: حدّثنا يزيد، قال: حدّثنا سعيد، عن قتادة، قال: ذكر لنا أنّ ابن عباس كان يقول: أنا من أولئك القليل الذين استثنى الله تعالى؛ كانوا سبعةً وثامنهم كلبهم[3]. (٢ : ٥).

يونس بن متى

فكان ـ فيما ذُكِر ـ من أهل قرية من قرى الموصِل يقال لها: نينَوى، وكان قومه يعبدون الأصنام، فبعث الله إليهم يونس بالنهْي عن عبادتها، والأمر بالتوبة إلى الله من كفرهم، والأمر بالتوحيد، فكان من أمره وأمر الذين بُعِث إليهم ما قصّه الله في كتابه، فقال عزّ وجلّ: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ وقال: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ

---

(١) صحيح.

(٢) إسناده حسن وانظر ما بعده.

(٣) صحيح.

قلنا: ذكر ابن كثير طرق هذا الأثر عن ابن عباس ثم قال: فهذه أسانيد صحيحة إلى ابن عباس انهم كانوا سبعة وهو موافق لما قدمنا (تفسير القرآن العظيم/ ٢١٥٤).

سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[١]. (٢ : ١١).

حدثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة عن ابن إسحاق ، عن يزيد بن زياد ، عن عبد الله بن أبي سلمة ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس ، قال : خرج به ـ يعني الحوت ـ حتى لفظه في ساحل البحر ، فطرحه مثل الصبيّ المنفوس ، لم ينقص من خلقه شيء[٢]. (٢ : ١٦).

إرسال الله رسله الثلاثة

الذين ذكرهم في تنزيله ، فقال : ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ . . .﴾ الآيات التي ذكر تعالى ذكره في خبرهم[٣]. (٢ : ١٨).

ذكر بقية خبر تُبّع أيام قباذ وزمن أنوشروان

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمَة ، عن ابن إسحاق ، عن أبي مالك بن ثعْلبة بن أبي مالك القُرَظيّ ، قال : سمعتُ إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله يحدّث أنّ تُبّعاً لما دنا من اليمن ليدخلها ، حالت حِمْير بينه وبين ذلك ، وقالوا : لا تدخلْها علينا وقد فارقت ديننا ، فدعاهم إلى دينه ، وقال : إنّه دينٌ خير من دينكم ، قالوا : فحاكمْنا إلى النار ، قال : نعم ـ قال : وكانت باليمن فيما يزعُم أهل اليمن نارٌ تحكُم بينهم فيما يختلفون فيه ، تأكل الظالم ولا تضرّ المظلوم ـ فلما قالوا ذلك لتُبّع قال : أنصفتم ، فخرج قومُه بأوثانهم وما يتقرّبون به في دينهم ، وخرج الحَبْران بمصاحفهما في أعناقهما متقلّديها حتى قعدوا للنار عند مخرجها الذي تخرج النار منه ، فخرجت النار إليهم ، فلما أقبلت نحوهم حادُوا عنها وهابوها ، فذمَرهم مَنْ حضرهم من الناس ، وأمروهم بالصّبر فصبروا ،

---

(١) صحيح.
(٢) صحيح.
(٣) صحيح.

حتى غشيتْهم وأكلت الأوثان وما قرّبوا معها ، ومَنْ حمل ذلك من رجال حِمْير ، وخرج الحَبْران بمصاحفهما في أعناقهما تعرَق جباههما ، لم تضرّهما ، فأصفقت حِمْير عند ذلك على دينه؛ فمن هناك وعن ذلك كان أصلُ اليهوديّة باليمن[(١)] . (٢ : ١٠٨/١٠٩) .

ذكر مولد رسول الله ﷺ

حدّثنا ابن المثنّى ، قال : حدّثنا وهب بن جرير ، قال : حدّثنا أبي ، قال : سمعت محمد بن إسحاق يحدّث عن المطّلب بن عبد الله بن قَيْس بن محرمة ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : ولدت أنا ورسول الله ﷺ عامَ الفيل[(٢)] . (٢ : ١٥٥) .

وحُدّثت عن يحيى بن معين ، قال : حدّثنا حجّاج بن محمد ، قال : حدّثنا يونس بن أبي إسحاق ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عبّاس ، قال : وُلد رسول الله ﷺ عامَ الفيل[(٣)] . (٢ : ١٥٥) .

حدّثت عن إبراهيم بن المنذر ، قال : حدثنا عبدُ العزيز بن أبي ثابت ، قال : حدّثنا الزّبير بن موسى ، عن أبي الحُويرث ، قال : سمعت عبدَ الملك بن مَرْوان يقول لقُباث بن أشْيَم الكِنانيّ اللّيثيّ : يا قباث ، أنتَ أكبر أم رسول الله ﷺ ؟ قال : رسول الله ﷺ أكبر مني وأنا أسنّ منه ، ولد رسول الله ﷺ عامَ الفيل ، ووقفت بي أميّ على روث الفيل محيلاً أعقله[(٤)] . (٢ : ١٥٦) .

---

(١) والخبر أخرجه ابن هشام (١/ ٢٧) وأبو مالك هذا مقبول عن ابن عمر وانظر البداية والنهاية ٢/ ٩٥ .

(٢) الحديث أخرجه أحمد (ح ٣٦٢٨) والحاكم في المستدرك (٢/ ٦٠٢) وأحمد (٤/ ١٧٨٩١) وابن سعد في طبقاته (١/ ١٠١) ورجاله بين الثقة والصدوق والحديث حسن والله تعالى أعلم .

(٣) بين الطبري وابن معين انقطاع إلا أن الحديث صحيح أخرجه الحاكم (٢/ ٦٠٢) وصححه على شرط الشيخين وأخرجه الطبراني (١٢٤٣٢) .
وقال الهيثمي : رجاله موثوقون (مجمع الزوائد ١/ ١٩٦) والبيهقي (١/ ٧٥) .

(٤) قال الحافظ ابن كثير : نص عليه ابن إسحاق ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه عن عفان عن سعيد بن مينا عن جابر وابن عباس أنهما قالا : ولد رسول الله ﷺ عام الفيل يوم الإثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول وفيه بعث وفيه عرج به إلى السماء وفيه هاجر وفيه مات ، وهو المشهور عند الجمهور والله أعلم .

حدثنا ابن حُميد، قال: حدثنا سَلمة، عن محمد بن إسحاق، عن ثور بن يزيد، عن خالد بن مَعْدان الكَلاعيّ، أنّ نفراً من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله، أخبِرْنا عن نفسك، قال: نعم، أنا دَعْوَةُ أبي إبراهيم، وبُشْرَى عيسى، ورَأتْ أمي حين حَمَلت بي أنَّه خرَج منها نورٌ أضاءَ لها قصورَ بُصْرى من أرْضِ الشام، واسْتُرْضِعْت في بني سعد بن بَكْر، فَبَيْنَا أنا مع أخٍ لي خلفَ بُيُوتِنا نرعى بَهْماً لنا، أتاني رجلان عليهما ثياب بيض بطسْتٍ من ذهبٍ مملوءةٍ ثلجاً، فأخذاني، فشقّا بطني، ثم استخْرجا منه قلبي، فشقّاه فاستخرجا منه عَلَقَة سوداء، فَطَرَحاها، ثم غسلا بطني وقلبي بذلك الثَّلج حتى أنْقَيَاه، ثم قال أحدهما لصاحبه: زنْه بعشرة من أمّته، فَوَزَنني بهم فوزْنتهُم، ثم قال: زِنْهُ بمئةٍ من أمَّتِه، فوزَنَني بهم فَوَزَنْتُهم، ثم قال: زنه بألف من أمَّتِه، فوزنني بهم فوزَنْتُهُم، ثم قال: دعْه عنْك، فلو وَزَنْتَهُ بأمَّتِه لوَزَنَها[1]. (٢ : ١٦٥).

ذكر منْ قال ذلك:

حدّثني القاسم بن الحسن، قال: حدَّثني الحسين، قال: حدَّثني حجاج، عن أبي بكر بن عبد الله، عن عكرمة: أن الرّوم وفارس اقتتلوا في أدنى الأرض. قال: وأدنى الأرض يومئذ أذْرِعات، بها التقوْا فهُزِمَت الرُّوم، فبلغ ذلك

---

(١) قلنا: الحديث في سيرة ابن هشام هكذا كما عند الطبري (١/ ١٤٦) وأما شق صدره عليه السلام وغسله (وهو صغير) فصحيح كما أخرج مسلم (الإيمان/ ٢٦١) عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج منه علقة فقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه ثم أعاده في مكانه وجاء الغلمان يسعون إلى أمه فقالوا إن محمداً قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون، قال: إني كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره. والحديث أخرجه أحمد (ح/ ١٢٢٢١).

وأورده البوصيري عن أبي يعلى بسنده إلى عتبة بن عبد أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ كيف كان أول شأنك يا رسول الله؟ قال: كانت حاضنتي من بني سعد بن بكر فانطلقت أنا وابن لها في بهم لنا ولم نأخذ معنا زاداً فقلت: يا أخي اذهب فائتنا بزاد من عند أمنا فانطلق أخي ومكثت عند البهم فأقبل إليّ طيران أبيضان كأنهما نسران فقال أحدهما لصاحبه: أهو هو؟ قال: نعم فأقبلا يبتدراني فأخذاني فبطحاني للقفا فشقا بطني. . . إلخ الحديث وفي آخره: قالت: إني رأيت خرج مني نور أضاءت منه قصور الشام.

=

النبيّ ﷺ وأصحابَه وهم بمكة؛ فشقّ ذلك عليهم - وكان النبيّ ﷺ يكرَهُ أن يظهر الأمِّيُّون من المجوس على أهل الكتاب من الرّوم - وفرح الكفّار بمكّة وشمِتوا، فلقوا أصحاب النبيّ ﷺ، فقالوا: إنّكم أهل كتاب والنَّصارى أهل كتاب ونحن أمِّيُّون، وقد ظهر إخوانُنا من أهل فارس على إخوانكم من أهْل الكتاب، وإنّكم إن قاتلتمونا لنظهرَنَّ عليكم؛ فأنزل الله: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ - إلى - ﴿وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾، فخرج أبو بكْر الصدّيق إلى الكفّار فقال: أفرحتم بظهور إخْوانكم على إخْواننا! فلا تفرحوا ولا يقرّنَّ الله أعيُنَكم، فوالله ليظْهرَنَّ الرُّوم على فارس، أخبرنا بذلك نبيُّنا، فقام إليه أُبيّ بن خَلَف الجمحيّ، فقال: كذبتَ يا أبا فَصيل! فقال له أبو بكر: أنت أكذبُ يا عدوّ الله! فقال: أناحبك! عشرَ قلائص منِّي، وعشر قلائص منك، فإن ظهرت الروم على فارس غرِمتُ، وإن ظهرت فارس غرِمتَ إلى ثلاث سنين، ثم جاءَ أبو بكر إلى النبيّ ﷺ، فأخبره، فقال: ما هكذا ذكرتُ، إنّما البِضع ما بين الثّلاث إلى التِّسع، فزَايِدْه في الخطر ومادّه في الأجل. فخرج أبو بكر فلقيَ أبَيّاً فقال: لعلّك ندمتَ، قال: لا، تعال أزايِدْك في الخطَر وأمادّك في الأجَل، فاجْعَلْها مئة قلوص إلى تسعِ سنين، قال: قد فعلْت[1]. (٢: ١٨٤/ ١٨٥).

حدّثني إبراهيم بن سعيد الجوهريّ، قال: حدّثنا يحيى بن صالح، عن الحسن بن أيوب الحضرميّ، قال: حدّثنا عبد الله بن بُسْر، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «لتدركنّ قرناً»، فعاش مئة سنة[2]. (٢: ٢٣٦).

ذكر رسول الله ﷺ

فتوفّي عبد المطلب بعد الفيل بثماني سنين؛ كذلك حدّثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلَمة، قال: حدّثني محمّد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر: وكان عبد المطّلب يوصي برسول الله ﷺ عَمّه أبا طالب، وذلك أنّ أبا طالب، وعبد الله أبا رسول الله ﷺ كانا لأمّ، فكان أبو طالب هو الذي يلِي أمرَ

(١) هذا الخبر أخرجه الطبري هنا عن عكرمة مرسلاً، وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

(٢) صحيح.

رسول الله ﷺ بعد جدّه ، وكان يكون معه . ثم إن أبا طالب خرج في ركب من قريش إلى الشّام تاجراً ، فلمّا تهيّأ للرحيل وأجمع السير ضَبَّ به رسول الله ﷺ - فيما يزعمون - فرقّ له أبو طالب ، فقال: والله لأخرجنّ به معي ، ولا يفارقني ولا أفارقه أبداً ، أو كما قال: فخرج به معه ، فلمّا نزل الركب بُصْرى من أرض الشأم ، وبها راهب يقال له بَحِيرَى في صومعة له ، وكان ذا علم من أهل النّصرانية ، ولم يزل في تلك الصومعة مذ قطّ راهب ، إليه يصير علمهم عن كتاب - فيما يزعمون - يتوارثونه كابراً عن كابر ، فلما نزلوا ذلك العام ببحِيْرَى ، صنع لهم طعاماً كثيراً ، وذلك أنه رأى رسول الله ﷺ وهو في صومعته ، عليه غمامة تُظلّه من بين القوم ، ثم أقبلوا حتى نزلوا في ظلّ شجرة قريباً منه ، فنظر إلى الغمامة حين أظلّت الشّجرة ، وتهصّرت أغصان الشجرة على رسول الله ﷺ ، حتى استظلّ تحتها ، فلما رأى ذلك بحيرى ، نزل من صومعته ، ثم أرسل إليهم فدعاهم جميعاً ، فلما رأى بحِيرَى رسول الله ﷺ جعل يلحظه لحظاً شديداً ، وينظر إلى أشياء من جَسده قد كان يجدُها عنده من صفته. فلما فرغ القوم من الطّعام وتفرّقوا ، سأل رسول الله ﷺ عن أشياء في حاله؛ في يقَظتِهِ وفي نومه ، فجعل رسول الله ﷺ يُخبِرُه فيجدُها بَحيرى موافقةً لما عنده من صِفته ، ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتَم النبوّة بين كَتِفَيْه ، ثم قال بَحِيرى لعمّه أبي طالب: ما هذا الغلام منك؟ قال: ابني ، فقال له بَحِيرى: ما هو بابنك ، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حَيّاً. قال: فإنه ابنُ أخي ، قال: فما فعل أبوه؟ قال: مات وأمّه حُبْلى به ، قال: صدقتَ ، ارجع به إلى بلدك ، واحذَرْ عليه يَهُود؛ فوالله لِئَنْ رأوه وعرفوا منه ما عرفْتُ ، ليبغُنَّه شرّاً ، فإنه كائن له شأن عظيم ، فأسرع به إلى بلده ، فخرج به عمّهُ سريعاً حتى أقدمه مكّة .

وقال هشام بن محمَّد: خرج أبو طالب برسول الله ﷺ إلى بُصْرَى من أرْضِ الشأم؛ وهو ابنُ تسع سنين[1] . (٢ : ٢٧٧) .

حدّثني العباس بن محمَّد ، قال: حدّثنا أبو نوح ، قال: حدّثنا يونس بن أبي إسحاق ، عن أبي بكر بن أبي موسى ، عن أبي موسى ، قال: خرج

(١) صحيح.

أبو طالب إلى الشأم ، وخرج معه رسول الله ﷺ في أشْيَاخ من قُريش ، فلما أشرفُوا على الرّاهب هَبطُوا فحلُّوا رحالَهم ، فخرج إليهم الراهب - وكانوا قبل ذلك يمرُّون به فلا يخرجِ إليهم ولا يلتفت. قال: فهم يحلُّون رحالهم؛ فجعل يتخلَّلُهُم حتى جاء فأخَذ بيد رسول الله ﷺ ، فقال: هذا سيّدُ العالمين ، هذا رسولُ ربّ العالمين؛ هذا يبعثه الله رحمةً للعالمين. فقال له أشياخ قُريش: ما عَلّمَك؟ قال: إنّكم حين أشرفتم من العَقَبة لم تبق شَجرَة ولا حَجَر إلاّ خَرّ ساجداً؛ ولا يسجدون إلا لنبيّ ، وإني أعرِفه بخاتَم النبوّة ، أسفَلَ من غُضْروفِ كتفه مثل التّفاحة.

ثم رجع فصَنَع لهم طعاماً ، فلما أتاهم به كان هو في رِعْيَة الإبل. قال: أرسلوا إليه ، فأقبل وعليه غَمامة ، فقال: انظروا إليه؛ عليه غمامة تُظلُّه! فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فَيء الشجرة فلما جلس مال فيء الشجرة عليه فقال: انظروا إلى فيء الشجرة مال عليه؛ قال: فبينما هو قائم عليهم؛ وهو يناشدُهم ألاّ يذهبوا به إلى الرّوم؛ فإنّ الرّوم إن رأوْه عرفوه بالصّفة فقتلوه؛ فالتفتَ فإذا هو بسبعة نفرٍ قد أقبلوا من الرُّوم؛ فاستقبلهم ، فقال: ما جاء بكم؟ قالوا: جئنا أنّ هذا النبيّ خارج في هذا الشهر ، فلم يبقَ طريق إلا بُعِثَ إليها ناس ، وإنا اخْترْنا خيرةَ بعثِنا إلى طريقك هذا؛ قال لهم: هل خَلَّفتم خَلْفَكُم أحداً هو خَيرٌ منكم؟ قالوا: لا؛ إنما اخترنا خيرة لطريقك هذا ، قال: أفرأيتم أمراً أراد الله أن يقضِيَه ، هل يستطيع أحد من الناس رَدّه! قالوا: لا؛ فتابعوه وأقاموا معه ، قال: فأتاهم ، فقال: أنشدكم الله ، أيّكم وليّه؟ قالوا: أبو طالب ، فلم يزلْ يناشِده حتى ردّه ، وبعث معه أبو بكر رضي الله تعالى عنه بلالاً ، وزوّده الراهب من الكَعْك والزّيت[1]. (٢ : ٢٧٨/ ٢٧٩).

---

(١) قلنا: الحديث أخرجه الترمذي من طريق أبي نوح هنا وقال هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وقال الجزري: إسناده صحيح ورجاله رجال الصحيح أو أحدهما وذكر أبي بكر وبلال فيه غير محفوظ وعدّه أئمتنا وهماً فإن سن النبي ﷺ إذ ذاك اثنا عشر سنة وأبو بكر أصغر منه بسنين وبلال لعله لم يكن ولد في ذلك الوقت.

قلنا: والحديث أخرجه الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يوافقه الذهبي وقال: أظنه موضوعاً وبعضه باطل ، وقال ابن كثير: وهكذا رواه غير واحد من الحفاظ من حديث أبي نوح عبد الرحمن بن غزوان الخزاعي ويقال الضبي ويعرف بقراد سكن بغداد ، وهو من =

حدّثنا ابن حميد، قال: حدّثنا سَلمة، قال: حدّثني محمّد بن إسحاق عن محمّد بن عبد الله بن قيس بن مخْرمة، عن الحسن بن محمّد بن عليّ بن أبي طالب، عن أبيه محمّد بن عليّ، عن جَدّه عليّ بن أبي طالب، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ، يقول: ما هممتُ بشيء ممّا كان أهلُ الجاهليّة يعملون به غيرَ مرّتين، كلّ ذلك يحول الله بيني وبين ما أريد من ذلك. ثمّ ما هممتُ بسوء حتى أكرَمنِي الله عَزّ وجلّ برسالته؛ فإنّي قد قلت ليلةً لغلامٍ من قريش كان يرعى مَعِي بأعلى مكة: لو أبصرتَ لي غَنَمِي حتى أدخلَ مكّة، فأسمرَ بها كما يسمُر الشباب! فقال: أفعل؛ فخرجتُ أريد ذلك؛ حتى إذا جئتُ أوّلَ دارٍ من دُور مكّة، سمعت عَزْفاً بالدّفوف والمزامير، فقلت: ما هذا؟ قالوا: فلان بن فلان تزوّج بفلانة بنت فلان. فجلستُ أنظر إليهم، فضرب الله على أذني فنمْت فما أيقظني إلاّ مَسّ الشمس؛ قال: فجئت صاحِبِي، فقال: ما فعلت؟ قُلت: ما صنعت شيئاً، ثم أخبرتُه الخبر. قال: ثم قلتُ له ليلةً أخرى مثلَ ذلك، فقال: أفعل، فخرجتُ فسمعتُ حين جئت مكّة مثلَ ما سمعت حين دخلتُ مكّة تلك اللّيلة، فجلستُ أنظر، فضرب الله على أذني؛ فوالله ما أيقظني إلاّ مَسُّ الشمس؛ فرجعت إلى صاحبي فأخبرتُه الخبر. ثم ما هممتُ بعدها بسوء حتى أكرمني الله عَزّ وجلّ برسالته[(١)]. (٢: ٢٧٩).

= الثقات الذين أخرج لهم البخاري، ووثقه جماعة من الأئمة الحفاظ، ولم أر أحداً جرحه مع هذا، وفي حديثه هذا غرابة. وقال ابن حجر: رجاله ثقات وليس فيه سوى هذه اللفظة فيحتمل أنها مدرجة فيه منقطعة من حديث آخر وهماً من أحد رواته.

قلنا: ولقد ذكر ابن كثير ما في هذه الرواية من الغرائب في البداية والنهاية، وحكم الذهبي على بطلان هذا الحديث في ميزان الاعتدال.

(١) إسناده ضعيف والحديث حسن صحيح أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٢٤٥) وصححه على شرط مسلم وقال الهيثمي رواه البزار ورجاله ثقات (المجمع ٨/ ٢٦٦).

قلنا: والحديث ذكره ابن كثير برواية البيهقي من طريق محمد بن إسحاق عن محمد بن عبد الله بن قيس به...

ثم قال ابن كثير: وهذا حديث غريب جداً (البداية والنهاية ٢/ ٢٤٨. ط. دار الفكر).

قلنا: والحديث ضعفه المحدث الألباني وعقب على تصحيح الحاكم له على شرط مسلم ووافقه الذهبي لهذا التصحيح قائلاً (أي الألباني):

وهو وهم منه لأمرين: =

واختلف السَّلَف في سنّ رسول الله ﷺ حين نُبّىء كم كانت؟ فقال بعضهم: نُبّىءَ رسول الله ﷺ بعدما بنتْ قريش الكعبة بخمس سنين؛ وبعدما تمّت له من مولده أربعون سنة.

ذكر من قال ذلك:

حدّثني محمد بن خلَف العسقلانيّ، قال: حدّثنا آدم، قال: حدّثنا حمّاد بن سلَمة، قال: حدّثنا أبو جَمْرة الضّبْعيّ، عن ابن عباس، قال: بُعِث رسول الله ﷺ لأربعين سنة[١]. (٢: ٢٩٠).

حدّثنا عمرو بن علي وابن المثَنّى، قالا: حدّثنا يحيى بن محمّد بن قيس قال: سمعتُ ربيعة بن أبي عبد الرحمن يذكر عن أنَس بن مالك، أنّ رسولَ الله ﷺ بُعث على رأس أربعين[٢]. (٢: ٢٩١).

حدّثنا العباس بن الوليد، قال: أخبرني أبي، قال: حدّثنا الأوزاعيّ، قال: حدّثني ربيعة بن أبي عبد الرحمن، قال: حدثني أنس بن مالك أنَّ رسول الله ﷺ بُعث على رأس أربعين[٣]. (٢: ٢٩١).

حدّثني ابنُ عبد الرحيم البرْقيّ، قال: حدّثنا عمرو بن أبي سلَمة، عن الأوزاعيّ، قال: حدّثني ربيعة بن أبي عبد الرحمن، قال: حدّثني أنس بن مالك، أنّ رسول الله ﷺ بُعث على رأس أربعين[٤]. (٢: ٢٩١).

= ـ الأول: أن ابن إسحاق إنما يروي له مسلم مقروناً بغيره كما ذكر الذهبي نفسه في الميزان والحاكم لم يروه عنه مقروناً بغيره كما ترىٰ فليس هو على شرط مسلم.

ـ الثاني: أن محمداً بن عبد الله بن قيس ليس بمشهور العدالة فلم يوثقه غير ابن حبان، وتوثيقه عندما ينفرد به لا يوثق به لأن من قاعدته أن يوثق المجهولين كما أفاده المحققون كالحافظ ابن حجر في اللسان.

(١) قلنا: في إسناده حماد بن سلمة لما كبر ساء حفظه وبقية رجاله ثقات وآدم وأبو جمرة من رجال الصحيح والحديث صحيح كما سيأتي بعد قليل.

(٢) حديث أنس حديث صحيح وهو جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس (ح ٣٥٤٧) وفيه (أنزل عليه وهو ابن أربعين) وكذلك (ح ٣٥٤٨).

(٣) حديث صحيح.

(٤) ضعيف.

حدثني أبو شُرَحْبيل الحِمْصيّ ، قال: حَدّثني أبو اليمان ، قال: حدّثنا إسماعيل بن عَيّاش ، عن يحيى بن سعيد ، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، عن أنس بن مالك ، قال: أنزل على النبيّ ﷺ وهو ابن أربعين[١] (٢ : ٢٩١) .

حدّثنا ابن المثنّى ، قال: حدّثنا الحجّاج بن المنهال ، قال: حدّثنا حَمّاد ، قال: حدّثنا عَمْرو بن دينار ، عن عُروة بن الزُّبَير ، قال: بُعِث رسول الله ﷺ وهو ابن أربعين[٢] . (٢ : ٢٩١) . .

حدثنا ابن المثنّى ، قال: حَدّثنا الحجاج ، عن حَمّاد ، قال: أخبَرنا عمرو ، عن يحيى بن جَعْدة ، أنّ رسول الله ﷺ قال لفاطمة: إنّه كان يُعْرَض عليّ القرآن كلّ عام مَرّة؛ وإنه قد عُرِض عليّ العامَ مرتين؛ وإنه قد خُيِّلَ إليّ أن أجَلِي قد حضر؛ وأنّ أوّلَ أهلي لحاقاً بي أنتِ؛ وإنه لم يُبعث نبيّ إلاّ بُعِث الذي بعده بنصفٍ من عمره ، وبعث عيسى لأربعين ، وبعثتُ لعشرين»[٣] . (٢ : ٢٩١) .

حدّثني عبيد الله بن محمد الورّاق ، قال: حدّثنا روْح بن عبادة ، قال: حدّثنا هشام ، قال: حدّثنا عِكْرمة ، عن ابن عباس ، قال: بُعِث رسول الله ﷺ لأربعين سنة ، فمكَثَ بمكّة ثلاث عشرة سنة[٤] . (٢ : ٢٩٢) .

حدّثنا أبو كُريب ، قال: حدّثنا أبو أسامة ومحمّد بن ميمون الزّعفرانيّ ، عن هشام بن حسّان ، عن عِكْرمة ، عن ابن عبّاس ، قال: بُعِث رسول الله ﷺ وأنزل عليه وهو ابن أربعين سنة ، فمكَث بمكّة ثلاث عشرة سنة[٥] . (٢ : ٢٩٢) .

* * *

(١) صحيح .

(٢) صحيح .

(٣) صحيح .

(٤) صحيح .

(٥) صحيح .

فهرس الموضوعات

المقدمة ٥

أولاً

١ ـ تعريف التاريخ ٥
أسباب اهتمام الأمة المسلمة بكتابة التأريخ ٦
نشأة التاريخ عند المسلمين رواية ثم تدويناً وتبويباً أو تصنيفاً ٩
أ ـ مدرسة المدينة ١١
ب ـ مدرسة الشام ١٢
ج ـ مدرسة مصر في التأريخ ١٢
د ـ مدرسة العراق ١٣
هـ ـ مدرسة اليمن ١٣
الأخباريون الثقات وغير الثقات ١٤
النصف الثاني من القرن الهجري الثالث وظهور المؤرخين الكبار أو العمالقة ٢٠
الإمام المؤرخ المحدث المفسر محمد بن جرير الطبري ٢٣
عصره ٢٣
نشأته وطلبه للعلم ورحلاته ٢٤
أقوال العلماء فيه وترجمتهم له ٢٥
وفاته ٢٦
شيوخه في التأريخ ٢٧
الطبري مؤرخاً ومنهجه في التأريخ ماله وما عليه ٣١
ميزات منهج الطبري في تأريخه ٣٢
النقد الموجّه لتأريخ الطبري ٣٥

الطبري والتفسير الإسلامي للتأريخ ٣٨
نقد الرواية التأريخية ومسألة إعادة كتابة التأريخ الإسلامي ٣٨
الشروط والضوابط المنهجية لكتابة التأريخ الإسلامي ٤٣
فصل من كتاب إسلامية المعرفة ، مخطط مقترح لإسلامية علم التأريخ ... ٤٧

ثانياً

كتاب تاريخ الطبري ٦١

ثالثاً

الإمام الطبري مؤرخاً ٧٣
المبحث الأول: علم التأريخ والطبري ٧٣
أولاً: تعريف علم التاريخ ٧٣
ثانياً: أهمية علم التاريخ ومشروعيته ٧٤
ثالثاً: تدوين علم التاريخ ٧٦
رابعاً: الطبري يدرس التاريخ ٧٧
المبحث الثاني: كتب الطبري في التاريخ ٧٩
أولاً: ذيل المذيل للطبري ٧٩
ثانياً: تاريخ الأمم والملوك ٨١
ثالثاً: محتويات تاريخ الأمم والملوك ٨٢
رابعاً: مصادر الطبري في تاريخه ٨٥
خامساً: أهمية تاريخ الطبري وقيمته العلمية ٨٨
سادساً: ثناء العلماء على تاريخ الطبري ٩٠
سابعاً: ذيول تاريخ الطبري وتكملاته ٩٢
ثامناً: مختصرات تاريخ الطبري وترجماته ٩٤
تاسعاً: تحقيق تاريخ الطبري وطبعه ونشره ٩٥
المبحث الثالث: منهج الطبري في تاريخه ٩٩
أولاً: المنهجية عند الطبري ٩٩
ثانياً: سمات منهج الطبري في التاريخ قبل الإسلام ١٠٠
ثالثاً: معالم منهج الطبري في التاريخ الإسلامي ١٠١
١ ـ نظام الحوليات ١٠١

٢ ـ نقل الروايات ١٠٢
٣ ـ الاعتماد على المصادر ١٠٤
٤ ـ جمع الأخبار وضبط النصوص ١٠٥
٥ ـ الاستطراد في ذكر الأسباب والتفصيلات المصاحبة ١٠٥
٦ ـ وضع العناوين للأحداث ١٠٥
٧ ـ التوسع في سيرة الخلفاء ١٠٦
٨ ـ الإكثار من الوثائق التاريخية ١٠٦
٩ ـ تسجيل النصوص الأدبية ١٠٦
رابعاً: المآخذ على تاريخ الطبري ١٠٧
خامساً: المآخذ على منهج الطبري ١١٠

رابعاً

تاريخ الطبري ـ قسم الصحيح ١١٥
تراجم رواة أسانيد الطبري ١١٧
الكنى ١٤٩
مقدمة الطبري ١٥٥
القول في الزمان ما هو ١٥٨
القول في كم قدر جميع الزمان من ابتدائه إلى انتهائه وأوله إلى آخره ١٥٩
القول في الدلالة على حدوث الأوقات والأزمان والليل والنهار ١٦٦
القول في الإبانة عن فناء الزمان والليل والنهار وأن لا شيء يبقى
غير الله تعالى ذكره ١٦٧
القول في الدلالة على أنَّ الله عز وجل القديم الأول قبل كل شيء وأنّه
هو المحدث كل شيء بقدرته تعالى ذكره ١٦٨
القول في ابتداء الخلق ما كان أوله ١٧١
القول في الذي ثنى خلق القلم ١٧٥
القول فيما خلق الله في كل يوم من الأيام الستة التي ذكر الله في كتابه أنَّه
خلق فيهن السموات والأرض وما بينهما ١٧٩
القول في الليل والنهار أيهما خلق قبل صاحبه وفي بدء خلق الشمس
والقمر وصفتهما إذ كانت الأزمنة تعرف ١٨١

ذكر السبب الذي به هلك عدو الله وسولت له نفسه من أجله الاستكبار على ربه عز وجل ١٨٢
الآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة الواردة في خلق إبليس وقصته مع آدم عليه السلام ١٨٣
القول في قدر مكث آدم في الجنة ووقت خلق الله عز وجل إياه ووقت إهباطه إياه من السماء إلى الأرض ١٩٢
ذكر الوقت الذي فيه خلق آدم عليه السلام من يوم الجمعة والوقت الذي أهبط إلى الأرض ١٩٤
القول في الموضع الذي أهبط آدم وحواء إليه من الأرض حين أهبطا إليها . ١٩٥
ذكر الأحداث التي كانت في عهد آدم عليه السلام بعد أن أُهبط إلى الأرض . . ١٩٩
ذكر وفاة آدم عليه السلام ٢٠١
نبيُّ الله آدم عليه السلام ٢٠٧
ذكر الأحداث التي كانت في أيام بني آدم من لدن ملك شيث بن آدم إلى أيام يرد ٢١٣
نبي الله إدريس عليه السلام ٢١٤
ذكر الأحداث التي كانت في عهد نوح عليه السلام ٢١٥
نوح في القرآن ٢١٧
عبادة الأصنام ٢٢١
نوح يدعو لعبادة الله ٢٢٢
صنع السفينة ٢٢٥
محتويات السفينة ٢٢٦
نهاية الطوفان ٢٢٧
ذكر الأحداث التي كانت بين نوح وإبراهيم خليل الرحمن عليهما السلام . . ٢٢٨
ذكر إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام وذكر من كان في عصره من ملوك العجم ٢٣٢
ذكر أمر بناء البيت ٢٣٧
ذكر ابتلاء الله إبراهيم بكلمات ٢٤٢

ذكر لوط بن هاران وقومه ٢٤٣
نبيُّ الله لوط عليه السلام ٢٤٤
لوط والشواذ ٢٤٧
عقابهم ٢٥٠
نبيُّ الله إبراهيم الخَليل عليه السلام ٢٥١
دعوته لأبيه ٢٥١
عبادة الكواكب ٢٥٣
البابليون وعبادة الأصنام ٢٥٣
موقفه من الأصنام ٢٥٥
حرق إبراهيم ٢٥٦
مناظرة إبراهيم مع خصمه ٢٥٨
هجرة الخليل عليه السلام ٢٥٩
هجرة إبراهيم بابنه إسماعيل وأمه ٢٦١
قصة الذبيح ٢٦٤
نبيُّ الله إسحاق عليه السلام ٢٦٧
مولده ٢٦٧
بناء البيت العتيق ٢٦٩
ثناء الله على خليله إبراهيم ٢٧٢
نبيُّ الله أيوب عليه السلام ٢٧٩
ابتلاؤه بالمرض ٢٧٩
شفاؤه ٢٨٠
نبيُّ الله شعيب عليه السلام ٢٨١
قصة مدين في القرآن ٢٨١
مدين وشعيب ٢٨٢
نبيُّ الله يوسف عليه السلام ٢٨٩
من الأمور العجيبة في حياة إسرائيل ٢٨٩
حلم يوسف عليه السلام ٢٩٠
انتقاله من الجب إلى بيت عزيز مصر ٢٩٣

وشهد شاهد من أهلها ٢٩٥
سجن يوسف عليه السلام ٢٩٧
خروج يوسف من السجن ٢٩٨
تولي يوسف وزارة المالية ٣٠٠
يوسف وأبواه ٣٠٦
ذكر يعقوب وأولاده ٣٠٧
قصة الخضر وخبره وخبر موسى وفتاه يوشع عليه السلام ٣١٤
نبيُّ الله موسى عليه السلام ٣٢٢
قتل غلمان بني إسرائيل ٣٢٣
طفولة موسى في بيت فرعون ٣٢٣
إقامة موسى في مدين ٣٢٥
موسى والسحرة ٣٣٦
كبار قوم فرعون يحرضونه على إيذاء موسى ٣٤١
ذكر يوشع بن نون عليه السلام ٣٥٢
ذكر خبر داود عليه السلام ٣٥٤
ذكر خبر سليمان بن داود عليهما السلام ٣٥٦
نبيُّ الله سُليمان عليه السلام ٣٥٦
وراثة النبوة ٣٥٦
نبيُّ الله زكريا عليه السلام ٣٦٤
قصة زكريا ويحيى عليهما السلام ٣٦٤
نبيُّ الله عيسى عليه السلام ٣٦٩
ميلاد عيسى ابن مريم ٣٧٤
تنزيه الله عن الولد ٣٨٠
رفع عيسى والكذب في دعوى الصلب ٣٨٤
نبيُّ الله يُونس عليه السلام ٣٨٥
يونس في القرآن ٣٨٥
موقف أهل نينوى ٣٨٥
ابتلاع الحوت يونس ٣٨٦

فضل يونس عليه السلام ٣٨٨
قوم يس ٣٨٨
ذكر الخبر عن أصحاب الكهف ٣٩٠
يونس بن متى ٣٩١
إرسال الله رسله الثلاثة ٣٩٢
ذكر بقية خبر تُبّع أيام قباذ وزمن أنوشروان ٣٩٢
ذكر مولد رسول الله ﷺ ٣٩٣
ذكر رسول الله ﷺ ٣٩٥
فهرس الموضوعات ٤٠١

صحيح تاريخ الطبري

السيرة النبوية

للإمام أبي جعفر بن جرير الطبري
(٢٢٤ - ٣١٠ هـ)

حققه وخرج رواياته وعلق عليه
محمد بن طاهر البرزنجي

بإشراف ومراجعة المحقق
محمد صبحي حسن حلاق

المجلد الثاني

دار ابن كثير
دمشق - بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

صحيح

تاريخ الطبري

السيرة النبوية

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

1428 هـ ـ 2007 م

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع
التصوير و النقل و الترجمة و التسجيل المرئي و المسموع
و الحاسوبي و غيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من

دار ابن كثير

للطباعة و النشر و التوزيع

دمشق ـ بيروت

الرقم الدولي :

الموضوع : تاريخ

العنوان : صحيح و ضعيف تاريخ الطبري 1\10

التأليف : الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري

نوع الورق : أبيض

ألوان الطباعة : لونان

عدد الصفحات : 5616

القياس : 17×24

نوع التجليد : فني - كعب لوحة

الوزن : 10 كغ

التنفيذ الطباعي : مطابع المستقبل

التجليد : مؤسسة فؤاد البعينو للتجليد

دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا ـ بناء الجابي
ص.ب : 311 ـ هاتف : 2225877 ـ 2228450 ـ فاكس : 2243502
بيروت ـ برج أبي حيدر ـ خلف دبوس الأصلي ـ بناء الحديقة
ص.ب : 113/6318 ـ تلفاكس : 01/817857 - جوال : 03/204459
www.ibn-katheer.com - info@ibn-katheer.com

دار ابن كثير

ذكر اليوم الذي نُبّىء فيه رسول الله ﷺ من الشهر الذي نُبِّىء فيه وما جاء في ذلك

١ ـ قال أبو جعفر: صَحّ الخبرُ عن رسول الله ﷺ بما حدَّثنا به ابن المثنّى، قال: حدَّثنا محمّد بن جعفر، قال: حدّثنا شُعبة، عن غَيْلان بن جرير، أنه سمع عبد الله بن معبد الزِّمّانيّ، عن أبي قتَادة الأنصاريّ، أنَّ رسول الله ﷺ سئل عن صوم الإثنين، فقال: ذلك يوم وُلدتُ فيه، ويوم بعثتُ ـ أو أنزل عليّ ـ فيه[1]. (٢: ٢٩٣).

٢ ـ حدّثنا أحمد بن منصور، قال: حدّثنا الحسن بن موسى الأشيب، قال: حدّثنا أبو هلال، قال: حدّثنا غَيْلان بن جرير المَعْوَلِيّ قال: حدّثنا عبد الله بن معبد الزِّمّانيّ، عن أبي قَتادة، عن عمر رحمه الله أنه قال للنبيّ ﷺ: يا نبيّ الله، صومُ يوم الإثنين؟ قال: ذاك يوم وُلدتُ فيه، ويوم أنزلت عليّ فيه النبوّة[2]. (٢/ ٢٩٣).

---

(١) رجال هذا الإسناد رجال الصحيحين، غير عبد الله بن معبد، فلم يروه البخاري وقال في الكبير (٥/ت ٦٢٢): لا نعرف سماعه من أبي قتادة. والحديث أخرجه مسلم في صحيحه (٥/ ٥١): حدثنا محمد بن المثنى ومحمد بن بشار (واللفظ) لابن المثنى، قال: ثنا محمد ابن جعفر، ثنا شعبة عن غيلان بن جرير سمع عبد الله بن معبد الزِّماني عن أبي قتادة الأنصاري. مرفوعاً، ولكن بصيغة أطول مما ذكره الطبري.
وأخرجه أيضاً (٥/ ٥٢) ولكن مختصراً كما رواه الطبري، فقال مسلم: ثني زهير بن حرب حدثنا عبد الرحمن بن مهدي بن ميمون عن غيلان عن عبد الله بن معبد الزماني عن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سُئل عن صوم الإثنين فقال: فيه وُلدت وفيه أنزل عليّ. اهـ.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح والله أعلم.

(٢) رجال هذا الإسناد ثقات غير أبي هلال البصري وهو محمد بن سليم ضعفه غير واحد.
وخلاصة القول فيه ما قاله ابن حبان في المجروحين (٢/ ٢٨٣): والذي أميل إليه في أبي=

٣ ـ حدّثنا إبراهيم بن سعيد ، قال: حدّثنا موسى بن داود ، عن ابن لَهيعة ، عن خالد بن أبي عمران ، عن حَنَش الصَّنْعانيّ ، عن ابن عباس ، قال: ولد النبيّ ﷺ يوم الإثنين ، واستنبِىء يوم الإثنين[١] .

قال أبو جعفر: وهذا ممَّا لا خلاف فيه بين أهل العلم. (٢ : ٢٩٣) .

وقال آخرون: بل أنزل لأربع وعشرين ليلة خلَتْ منه .

ذكر من قال ذلك:

٤ ـ حدّثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سَلَمَة ، قال: حدّثني محمد بن إسحاق ، قال: حدّثني مَنْ لا يُتّهم عن سَعِيد بن أبي عروبة ، عن قتَادة بن دعامة السدُوسيّ ، عن أبي الجلْد ، قال: نَزَل الفرقان لأربع وعشرين ليلة خَلَتْ من رمضان[٢] . (٢ : ٢٩٤) .

= هلال الراسبي ترك ما انفرد به من الأخبار التي خالف فيها الثقات ، والاجتماع بما وافق الثقات وقبول ما انفرد به من الروايات التي لم يخالف فيها الأثبات التي ليس فيها مناكير . ا هـ.
قلنا: وقد وافق على هذه الرواية كما سبق شعبة (أمير المؤمنين في الحديث). والحديث صحيح كما سبق أن ذكرنا في (تخريج) الخبر السابق والله أعلم .

(١) هذا حديث صحيح وإسناده ضعيف لضعف ابن لهيعة .

(٢) إسناده ضعيف جداً لضعف شيخ الطبري ابن حميد الرازي ، ولجهالة الراوي بين ابن إسحاق وسعيد بن أبي عروبة وضعف سلمة بن الفضل والله أعلم .
ولكن أخرج الإمام أحمد في مسنده (٤/ ١٠٧): حدثنا عبد الله ثني أبي ثنا أبو سعيد مولى ابن هاشم ثنا عمران أبو العوام عن قتادة عن أبي المليح عن واثلة بن الأسقع أن رسول الله ﷺ قال: أنزلت صحف إبراهيم عليه السلام في أول ليلة من رمضان وأنزلت التوراة لستٍّ مضين من رمضان والإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان وأنزل الفرقان لأربع وعشرين خلت من رمضان .
ورجال إسناد أحمد ثقات سوى أن قتادة عنعن هنا وهو من الطبقة الثالثة من المدلسين ، وهؤلاء لا يحكم على روايتهم بالاتصال إلا إذا صرحوا بالتحديث. وأخرجه الطبراني في الكبير (٢٢/ ٧٥/ ح ١٨٥).
وأخرجه أبو عبيد في فضائله (٣٤٤) عن واثلة من طريق آخر وأخرجه ابن عساكر (٢/ ٣٣٢ ، ٥/ ٧٠٦) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وهذا طريق منقطع ولكن الذهبي وابن حجر وغيرهما لم يعتبرا ذلك قادحاً لأن الواسطة بين علي وابن عباس ثقة معروف وهو التابعي الجليل مجاهد وكذلك أثنى أحمد على هذه الطريق . =

وقال آخرون: بل نزل لسبعَ عشرة خَلتْ من شهر رمضان؛ واستشهدوا لتحقيق ذلك بقول الله عزَّ وجَلّ: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾؛ وذلك مُلتقَى رسول الله ﷺ والمشركين ببدْر؛ وأنّ التقاء رسول الله ﷺ والمشركين ببدْر كان صبيحة سبع عشرة من رمضان. (٢ : ٢٩٤).

قال أبو جعفر: وكانَ رسول الله ﷺ من قبل أن يظهرَ له جبريل عليه السّلام برسالة الله عزّ وجَلّ إليْه ـ فيما ذكر عنه ـ يرى ويعاين آثاراً وأسباباً من آثار مَنْ يريد الله إكرامه واختصاصه بفضله؛ فكان مِنْ ذلك ما قد ذكرت فيما مضى من خبره عن المَلكَيْن اللذيْن أتياه فشقّا بطنه، واستخرجا ما فيه من الغِلّ والدَّنس؛ وهو عند أمّه من الرضاعة حَليمة[١]، ومن ذلك أنه كان إذا مَرّ في طريق لا يمرّ ـ فيما ذكر عنه ـ بشجرٍ ولا حَجَر فيه إلاّ سلّم عليه[٢]. (٢ : ٢٩٤ ـ ٢٩٥).

٥ ـ حدّثني الحارث بن محمّد، قال: حدّثنا محمّد بن سعد، قال: أخبرَنا محمّد بن عمر، قال: حدّثنا عليّ بن محمّد بن عبيد الله بن عمر بن الخطّاب، عن منصور بن عبد الرحمن، عن أمّه، عن بَرّة بنت أبي تجراة، قالت: إنّ رسول الله ﷺ حين أراد الله كرَامته وابتداءه بالنبوّة، كان إذا خرج لحاجته أبْعَدَ حتى لا يرى بيتاً، ويفضي إلى الشِّعَاب وبطون الأوْدية، فلا يمرّ بحجرٍ ولا شجرة إلاّ قالت: السّلام عليك يا رسولَ الله، فكان يلتفِتُ عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى أحداً[٣]. (٢ : ٢٩٥).

= قلنا: فالحديث بمجموع طرقه يرقىٰ إلى الحسن والله أعلم.

(١) سيأتي تخريج أحاديث شق الصدر في (٢/ ٣٠٥).

(٢) سيأتي ذكر الأحاديث في ذلك فيما يلي من هذا الجزء.

(٣) إسناده ضعيف وهو حديث صحيح بشواهده وسنذكر ما ورد في الباب:

١ ـ أخرجه كذلك ابن سعد (١/ ١٥٧) من طريق الواقدي وهو ضعيف.

٢ ـ وكذلك أخرجه أبو نعيم. (الخصائص ١/ ١٩٨).

٣ ـ أخرج البزار وأبو نعيم عن عائشة مرفوعاً: لما أوحىٰ الله تعالى إليَّ جعلت لا أمرُّ بحجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله. وأشار الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٦٠) إلى ضعف رواية البزار.

٤ ـ وعن علي قال: خرجت مع النبيﷺ فجعل لا يمرُّ على حجر ولا شجر إلا سلم عليه. قال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط والتابعي أبو عمار الحواني. =

٦ ـ قال أبو جعفر: وكانت الأمم تتحدّث بمبعثه وتخبر علماء كلّ أمة منها قومها بذلك؛ وقد حَدّثني الحارث، قال: حدّثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حَدّثني عليّ بن عيسى الحكميّ، عن أبيه، عن عامر بن ربيعة، قال: سمعت زيد بن عمرو بن نُفيل يقول: أنا أنتظر نبيّاً من ولد إسماعيل، ثم من بني عبد المطّلب ولا أراني أدركه؛ وأنا أؤمن به وأصدّقه، وأشهد أنه نبيّ، فإن طالت بك مدّة فرأيته، فأقرئه منِّي السلام، وسأخبرك ما نَعْتُه حتى لا يخفى عليك! قلت: هَلمّ، قال: هو رجل ليس بالقصير ولا بالطويل، ولا بكثير الشعر ولا بقليله، وليست تفارق عينيْه حمرة، وخاتم النبوّة بين كتفيْه، واسمه أحمد، وهذا البلد مولدهُ ومبعثه، ثم يخرِجه قومه منها، ويكرَهون ما جاء به، حتى يهاجرَ إلى يثرب فيظهرُ أمرُه؛ فإيّاك أن تُخدَعَ عنه، فإنّي طُفْت البلادَ كُلّها أطلب دين إبراهيم، فكلّ من أسأل من اليهود والنصارى والمجوس يقولون: هذا الدّين وراءك، وينعتونه مثل ما نعتُّهُ لك؛ ويقولون: لم يبق نبيٌّ غيره.

قال عامر: فلمّا أسلمتُ أخبرتُ رسول الله ﷺ قول زيد بن عمرو وأقرأته منه السّلام، فردّ عليه رسول الله ﷺ؛ وترحّم عليه، وقال: قد رأيتُه في الجنّة يسحبُ ذيولاً[1]. (٢: ٢٩٥/٢٩٦).

= ٥ ـ أخرج مسلم في صحيحه كتاب الفضائل (ح: ٢٢٧٧) عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ إنّي لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليَّ قبل أن أُبعث.

٦ ـ أخرج الطيالسي وأبو نعيم من طريق يزيد بن بابنوس عن عائشة حديثاً مرفوعاً وفيه أن الحجر والشجر كانا يسلِّمان عليه (١/ ٩٦).

(١) إسناده ضعيف فهو من طريق الواقدي وأخرجه ابن سعد في طبقاته (١/ ١٦١) من الطريق نفسه وله متابعة عند ابن سعد أيضاً (١/ ١٦٢) ولكن باختصار عن هذه الرواية وفيه قال زيد بن عمرو بن نفيل: شاعت النصرانية واليهودية فكرهتهما، فكنت بالشام وما ولاه حتى أتيت راهباً في صومعة فوقفت عليه، فذكرت له اغترابي عن قومي وكراهتي عبادة الأوثان واليهودية والنصرانية، فقال لي: أراك تريد دين إبراهيم! يا أخا أهل مكة إنك لتطلب ديناً ما يؤخذ اليوم به؛ وهو دين أبيك إبراهيم! كان حنيفاً ولم يكن يهودياً ولا نصرانياً، كان يصلي ويسجد إلى هذا البيت الذي ببلادك فالحق ببلدك، فإن نبياً يبعث من قومك في بلدك يأتي بدين إبراهيم بالحنيفية وهو أكرم الخلق على الله. اهـ. =

= وفي سند الرواية السابقة (رواية ابن سعد): أخبرنا علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف القرشي ، عن إسماعيل بن مجالد ، عن مجالد الشعبي ، عن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب قال: قال زيد بن عمرو بن نفيل ، به.
- علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف (أبو الحسن المدائني القرشي صاحب التصانيف).
قال ابن عدي: ليس بالقوي في الحديث (الكامل ٥/ ٢١٣ ت ١٣٦٦).
وقال ابن معين: ثقة ثقة ثقة. كما في لسان الميزان (٥/ ٨١ ت ٥٩٤٥) وقال الطبري: كان عالماً بأيام الناس صدوقاً في ذلك (المصدر السابق).
- إسماعيل بن مجالد بن سعيد الهمداني الكوفي نزيل بغداد أخرج له البخاري والترمذي. (تهذيب الكمال ٣/ ١٨٤ ت ٤٧٥).
قال أحمد بن حنبل: ما أراه إلا صدوقاً. (تأريخ بغداد ٦/ ٢٤٦).
وقال ابن معين: ليس به بأس (الجرح والتعديل ١/ ١/ ٢٠٠) وقال في رواية أخرى: ثقة (تاريخ الدوري ٢/ ٣٧).
وقال أبو زرعة: ليس هو ممن يكذب هو وسط (المرجع السابق).
وقال البخاري: صدوق (الميزان ١/ ٢٤٦/ ت ٩٣٠) وقال الدارقطني: ليس فيه شك أنه ضعيف (المصدر السابق).
وقال عثمان بن أبي شيبة: كان ثقة صدوقاً وليتني كتبت عنه (ثقات ابن شاهين/ بشار و٣).
وقال ابن عدي في الكامل (١/ ٣٢٠/ ت ١٤٣): وإسماعيل هذا قد حدّث عنه يحيىٰ بن معين وقد وثقه وهو خير من أبيه مجالد يكتب حديثه. اهـ.
وقال الحافظ في التقريب: صدوق يخطىء (١/ ٧٣/ ت ٥٤٤).
قلنا: والقول ما قاله الذهبي في الكاشف (١/ ١٢٨) صدوق والله أعلم.
- مجالد بن سعيد بن عمير الكوفي والد إسماعيل بن مجالد (تهذيب الكمال ٢٧/ ٢٢/ ت ٦٣٨).
قال البخاري: كان يحيىٰ بن سعيد يضعفه وكان عبد الرحمن بن مهدي لا يروي عنه شيئاً (كتاب الضعفاء الصغير/ ت ٣٦٨) وقال ابن معين: لا يحتج بحديثه (تأريخ الدوري ٢/ ٥٤٩) وقال أيضاً: مجالد ضعيف واهي الحديث (الجرح والتعديل ٤/ ١/ ٣٦٢).
قال الحافظ المزي: روىٰ له مسلم مقروناً بغيره والباقون سوىٰ البخاري (تهذيب الكمال - الموضع السابق).
وقال الحافظ في التقريب (٢/ ٢٢٩/ ت ٩١٩): ليس بالقوي وقد تغيَّر.
في آخر عمره. من صغار السادسة.
قلنا: وهو كما قال ابن حجر.
فالسند ضعيف لضعف مجالد بن سعيد وفيه انقطاع وله شاهد بنحوه أخرجه البخاري في صحيحه (مناقب الأنصار/ ح ٣٨٢٧). =

٧ ـ حدّثني أحمد بن سنان القطان الواسطيّ ، قال: حدّثنا أبو معاوية قال: حدّثنا الأعمش ، عن أبي ظَبْيان ، عن ابن عبّاس ، أنّ رجلاً من بني عامر أتَى النبيّ ﷺ ، فقال: أرني الخاتَم الذي بين كتفيك؛ فإن يَكُ بك طِبٌّ داويتُك؛ فإني أطبّ العرب ، قال: أتحبّ أن أريَكَ آية؟ قال: نعم؛ ادعُ ذاك العذْق ، قال: فنظر إلى عذْق في نخلة ، فدعاه فجعلَ ينقُز؛ حتى قام بين يديه ، قال: قل له فليرجعْ ، فرجع ، فقال العامريّ: يا بني عامر ، ما رأيتُ كاليوم أسحر[1] ! (٢ : ٢٩٧) .

قال أبو جعفر: والأخبار عن الدلالة على نبوته ﷺ أكثر من أن تحصى ، ولذلك كتاب يفرد إن شاء الله .

(٢ : ٢٩٧) . ونرجع الآن إلى :

= والشاهد الآخر (ح ٣٨٢٨) معلقاً. ووصله الحاكم (٣/ ٤٤٠) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.
قلنا: بل أخرجاه كما سبق في الحديث (٣٨٢٧).

(١) رجال هذا الإسناد رجال الصحيح. غير أن الأعمش (سليمان بن مهران) مدلِّس ذكره الحافظ ابن حجر في الطبقة الثانية من المدلسين (تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس [٦٧/ ت ٥٥ (٢٢)] وكما هو معلوم فإن أصحاب المرتبة الثانية أو الطبقة الثانية من المدلسين حسب تصنيف الحافظ هم الذين احتمل الأئمة تدليسهم وأخرجوا لهم في الصحيح لإمامتهم وقلة تدليسهم في جنب ما رووا.
وقال الذهبي في ترجمته: متىٰ قال حدثنا فلا كلام (ويعني الذهبي الحكم علىٰ روايته بالاتصال) ومتىٰ قال (عن) تطرّق إليه التدليس إلاّ في شيوخ أكثر عنهم كإبراهيم وأبي وائل وأبي صالح السمان فإن روايته عن هذا الصنف محمولة على الاتصال (الميزان ٢/ ٢٢٤/ ت ٣٥١٧).
قلنا: ولعل روايته هذه (عن أبي ظبيان) متصلة للأسباب التالية:
١ ـ لم يذكر أبا ظبيان في الذين دلّس عنهم الأعمش.
٢ ـ العلّة في الذين أكثر عنهم فقد رمز الحافظ المزي بأن روايته عن أبي ظبيان عند البخاري ومسلم وأبي داود والنسائي وغيرهم.
وأخرج البخاري في صحيحه (٨/ ٣٨٢/ ٤٧٠٦ الفتح) رواية الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس معنعناً وقال الحافظ في الفتح (٨/ ٣٨٣): وليس له في البخاري عن ابن عباس سوىٰ هذا الحديث. وانظر تحفة الأشراف (٤/ ٣٧٨/ ٣٧٩).
٣ ـ إذا كان الأعمش من الطبقة الثانية فهو من احتمل الأئمة تدليسهم خلا الذين عرفوا بتدليس الأعمش عنهم ـ والله أعلم.

كر الخبر عمّا كان من أَمر نبيِّ الله ﷺ عند ابتداء الله تعالى ذكره إيّاه بإكرامه بإرسال جبريل عليه السّلام إليه بوحيه

٨ ـ قال أبو جعفر: قد ذكرنا قبلُ بعضَ الأخبار الواردة عن أوّل وقت مجيء جبريل نبينا محمّداً ﷺ بالوحْي من الله، وكم كان سنّ النبيّ ﷺ يومئذ؛ ونذكر الآن صفة ابتداء جبريل إياه بالمصير إليه، وظهوره له بتنزيل ربّه.

فحدّثني أحمد بن عثمان المعروف بأبي الجوزاء، قال: حدّثنا وهب بن جرير، قال: حدّثنا أبي، قال: سمعتُ النُّعمان بن راشد، يحدّث عن الزّهريّ، عن عُرْوة، عن عائشة أنها قالت: كان أوّل ما ابتدىء به رسول الله ﷺ من الوَحْي الرؤيا الصادقة، كانت تجيء مثلَ فَلَق الصُّبْح، ثم حُبِّبَ إليه الخلاء، فكان بغار حراء يتحنَّث فيه الليالي ذوات العدد قبل أن يرجع إلى أهله، ثم يرجع إلى أهله، فيتزوّد لمثلها؛ حتى فجأه الحقّ، فأتاه، فقال: يا محمّد، أنتَ رسول الله! قال رسول الله ﷺ: فجثوْتُ لركبتي وأنا قائم، ثمّ زحفتُ ترجُفُ بوادِري، ثمّ دخلت على خديجة، فقلت: زمّلوني، زمّلوني! حتى ذهب عني الرَّوْع، ثم أتاني فقال: يا محمّد، أنت رسولُ الله. قال: فلقد هممت أن أطرَح نفسي من حَالِقٍ من جبل، فتبدَّى لي حين هممت بذلك، فقال: يا محمّد، أنا جبريل، وأنت رسول الله. ثم قال: اقرأ، قلت: ما أقرأ؟ قال: فأخذني فغطَّني ثلاث مرات، حتى بلغ منّي الجهد، ثم قال: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ فقرأتُ. فأتيتُ خديجة. فقلت: لقد أشفقتُ على نفسي، فأخبرتها خبرِي، فقالت: أبشِرْ، فوالله لا يُخزِيكَ الله أبداً؛ ووالله إنّك لتَصِلُ الرَّحم، وتصدقُ الحديث، وتؤدّي الأمانة، وتحملُ الكَلَّ وتَقْرِي الضّيف، وتُعين على نوائب الحقّ، ثم انطلقتْ بي إلى ورقة بن نوفل بن أسد، قالت: اسمع من ابن أخيك، فسألني فأخبرته خبري، فقال: هذا الناموسُ الذي أنزل على موسى بن عمران، ليتني فيها جَذَعٌ! ليتني أكون حيّاً حينَ يخرجُك قومُك! قلت: أمُخْرِجيَّ هم؟ قال: نعم؛ إنه لم يجئ رجُلٌ قطُّ بما جئتَ به إلاّ عُودِيَ، ولئن أدركني يومك أنصرك نصراً مؤزّراً[١].

---

(١) إسناده ضعيف، والحديث صحيح ما عدا الزيادة: «ثم كان أول ما نزل عليَّ من القرآن. . . . ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾». =

«ثم كان أول ما نزل عليّ من القرآن بعد «اقرأ» ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾ و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ ، و﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾» (٢ : ٢٩٨/ ٢٩٩) .

٩ ـ حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهْب ، قال : أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، قال : حَدّثني عُرْوة ، أنّ عائشة أخبرته . ثم ذكر نحوه ؛ غير أنه لم يَقُلْ : «ثم كان أوّل ما أنزل عليّ من القرآن»[١] . إلى آخره . (٢ : ٢٩٩) .

١٠ ـ حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، عن محمّد بن إسحاق ، قال : حدّثني وهب بن كَيْسان مولى آل الزّبير ، قال : سمعتُ عبدَ الله بن الزُّبير ، وهو يقول لعُبيد بن عمير بن قَتَادة الليثيّ : حدِّثنا يا عُبَيْد كيف كان بدء ما ابتدىء به رسول الله ﷺ من النبوّة حين جاء ..ريل عليه السّلام؟ فقال عُبيد ـ وأنا حاضر يحدّث عبد الله بن الزُّبير ومَنْ عنده من النّاس ـ : كان رسول الله ﷺ يجاورُ في حراء من كلِّ سنة شهراً ، وكان ذلك مما تحنّثُ به قريش في الجاهلية ـ والتحنث : التبرّر ـ وقال أبو طالب :

«وَرَاقٍ لِيَرْقى في حِرَاءَ ونَازِلِ»

فكان رسول الله ﷺ يجاورُ ذلك الشهر من كلّ سنة ، يطعم مَنْ جاءه من المساكين ، فإذا قَضَى رسول الله ﷺ جواره من شهره ذلك ، كان أوّل ما يبدأ به ـ إذا انصرف من جوار.ـ الكعبة قبل أن يدخُل بيته ، فيطوف بها سبعاً ، أو ما شاء الله من ذلك ، ثم يرجع إلى بيته ، حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله عَزّ وجلّ فيه

= ولقد أخرجه غير واحد منهم البخاري الذي أخرجه في صحيحه (باب (١) بدء الوحي ح ٣ ، البغا) من طريق عقيل عن ابن شهاب الزهري عن عروة بن الزبير عن عائشة بها رضي الله عنها مع بعض الاختلاف في الألفاظ وفي رواية البخاري وصف أكثر لورقة بن نوفل (ابن عم خديجة وكان امرأً تنصّر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخاً كبيراً قد عمي فقالت له خديجة : يا بن عم اسمع من ابن أخيك . . . إلخ الحديث) .
وكذلك أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب بدء الوحي رقم (١٦٠) والله أعلم .

(١) إسناده صحيح ، وهو حديث صحيح كما مر بنا (أخرجه البخاري ومسلم) .

ما أراد من كرامته ، من السّنة التي بعثه فيها؛ وذلك في شهر رمضان ، خرج رسول الله ﷺ إلى حِرَاء ـ كما كان يخرج لجواره ـ معه أهله؛ حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته ورحم العباد بها ، جاءه جبريل بأمر الله فقال رسول الله ﷺ : فجاءني وأنا نائم بنَمَطٍ من ديباجٍ ، فيه كتاب ، فقال: اقرأ ، فقلت: ما أقرأ؟ فغتّني ، حتى ظننت أنه الموتُ ، ثم أرسلني فقال: اقرأ ، فقلت: ماذا أقرأ؟ وما أقول ذلك إلا افتداءً منه أن يعود إليّ بمثل ما صنع بي؛ قال: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ إلى قوله: ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ ، قال: فقرأته ، قال: ثم انتهى ، ثم انصرفَ عنّي وهببْت من نومي؛ وكأنّما كتب في قلبي كتاباً.

قال: ولم يكن من خَلْق الله أحدٌ أبغضَ إليّ من شاعر أو مجنون؛ كنت لا أطيق أن أنظرِ إليهما ، قال: قلت إنّ الأبْعَدَ ـ يعني نفسه ـ لشَاعر أو مجنون ، لاتحدّث بها عنّي قريش أبداً! لأعمدنّ إلى حَالِقٍ من الجبل فلأطرحنّ نفسي منه فلأقتلنّها فلأستريحنّ.

قال: فخرجت أريد ذلك؛ حتى إذا كنت في وسط من الجبل؛ سمعت صوتاً من السماء يقول: يا محمّد ، أنتَ رسول الله ، وأنا جبريل ، قال: فرفعتُ رأسي إلى السّماء؛ فإذا جبْرئيلُ في صورة رجل صافّ قدميه في أفق السماء ، يقول: يا محمّد ، أنت رسول الله وأنا جبرئيل. قال: فوقفت أنظرُ إليه ، وشغلني ذلك عمّا أردت؛ فما أتقدّم وما أتأخّر؛ وجعلت أصرفُ وجهي عنه في آفاق السماء فلا أنظر في ناحية منها إلا رأيته كذلك؛ فما زلتُ واقفاً ما أتقدّم أمامي ، ولا أرجع ورائي؛ حتى بعثتْ خديجة رسلَها في طلبي؛ حتى بلغوا مكة ورجعوا إليها وأنا واقف في مكاني. ثم انصرف عني وانصرفت راجعاً إلى أهلي؛ حتى أتيت خديجة ، فجلست إلى فخذِها مُضيفاً فقالت: يا أبا القاسم؛ أين كنت؟ فوالله لقد بعثتُ رسلي في طلبك ، حتى بلغوا مكة ورجعوا إليّ. قال: قلت لها: إنَّ الأبْعَدَ لشاعر أو مجنون ، فقالت: أعيذك بالله من ذلك يا أبا القاسم! ما كان الله ليصنع ذلك بك مع ما أعلم منكَ من صدق حديثك ، وعظم أمانتك ، وحسن خلقك ، وصلة رحمك! وما ذاك يا بن عمّ! لعلّك رأيت شيئاً؟ قال: فقلت لها: نعم. ثمّ حدّثتُها بالذي رأيت؛ فقالت: أبشرْ يابن عمّ واثبت ، فوالذي نفس خديجة بيده إني لأرجو أن تكونَ نبيّ هذه الأمة ، ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ،

ثم انطلقتْ إلى ورقة بن نوفل بن أسد ـ وهو ابن عمّها ، وكان ورقة قد تنصّر وقرأ الكتب ، وسمع من أهلِ التوراة والإنجيل ـ فأخبرته بما أخبرها به رسول الله ﷺ أنه رأى وسمع ، فقال ورقة : قُدُّوس ، قُدُّوس ! والذي نفس ورَقَة بيده ، لئن كنت صدقتني يا خديجة ، لقد جاءه النّاموس الأكبر ـ يعني بالنّاموس جبْرئيل عليه السّلام الذي كان يأتي موسى ـ وإنه لنبيّ هذه الأمّة ، فقولي له فليثبُتْ . فرجعت خديجة إلى رسول الله ﷺ ، فأخبرته بقول ورقة ، فسهَّل ذلك عليه بعضَ ما هو فيه من الهمّ ، فلما قضى رسول الله ﷺ جواره ، وانصرف صنع كما كان يصنع ؛ وبدأ بالكعبة فطاف بها ، فلقيَه ورقة بن نوفل ، وهو يطوفُ بالبيت ، فقال : يابن أخي ، أخبِرْني بما رأيت أو سمعت ، فأخبره رسول الله ﷺ ، فقال له ورقة : والذي نفسي بيده ، إنك لنبيّ هذه الأمّة ، ولقد جاءك النّاموس الأكبر الذي جاء إلى موسى ، ولتُكذبنَّهْ ولتؤذينَّهْ ، وَلتُخرَجنَّهْ ، ولتقاتلنّهْ ؛ ولئن أنا أدركتُ ذلك لأنصرنّ الله نصراً يعلمُه . ثم أدنى رأسَه فقبّل يافُوخه ، ثم انصرف رسول الله ﷺ ، إلى منزله[1] . (٢ : ٣٠٠/ ٣٠١/ ٣٠٢) .

١١ ـ حدثنا ابنُ المثنّى ، قال : حدّثنا عثمان بن عمر بن فارس ، قال : حَدّثنا عليّ بن المبارك ، عـن يحـيى ـ يعني ابن أبي كثير ـ قال : سألتُ أبا سلمة : أيّ القرآن أنزل أوّل؟ فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴾ ، فقلت : يقولون : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ﴾ ! فقال أبو سلمَة : سألتُ جابرَ بن عبد الله : أيُّ القرآن أنزِل أوّل؟ فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴾ ، فقلت : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ ، فقال : لا أخبرك إلاّ ما حدّثنا النبيّ ﷺ ، قال : جاورتُ في حِرَاء ، فلما قضيتُ جِواري ، هبطتُ فاستبطنت الوادي ، فنوديتُ ، فنظرتُ عن يميني وعن شمالي ، وخلْفي وقُدّامي ، فلم أرَ شيئاً ، فنظرتُ فوقَ رأسي ، فإذا هو جالسٌ عَلَى عرشٍ بين السّماء والأرض ، فخشيتُ منه ـ قال

(١) إسناده ضعيف ورواه بطوله ابن هشام في سيرته (١/ ٢٩٨ ـ ٣٠٢) .
قال ابن إسحاق : وحدثني وهب بن كيسان مولى آل الزبير قال : سمعت عبد الله بن الزبير وهو يقول لعبيد بن عمير بن قتادة الليثي ـ وهذا إسناد مرسل صحيح ـ وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث . وعبيد هذا ذكر مسلم أنه ولد على عهد النبي . وقال البخاري : رأى النبي ﷺ كما في التراجم وإذا كان ذلك كذلك فالحديث متصل السند ، وكذلك رواه الطيالسي من طريق آخر وهو منقطع لجهالة التابعي الذي رواه عن عائشة (منحة المعبود ٢/ ٨٧) .
قلنا : والحديث حسن بمجموع طرقه والله أعلم .

ابن المثنّى: هكذا قال عثمان بن عمر، وإنّما هو «فجُئثت منه»(١) فلقيتُ خديجة، فقلت: دَثِّروني، فدَثّروني، وصبُّوا عليّ ماءً، وأنزل عليّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ (٢: ٣٠٣ ـ ٣٠٤).

١٢ ـ حدّثنا أبو كُريب، قال: حدّثنا وكيع عن عليّ بن المبارك، عن يحيى ابن أبي كَثير، قال: سألتُ أبا سلَمة عن أوّلِ ما نزل من القرآن، قال: نزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ أوّل، قال: قلت: إنّهم يقولُون: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾، فقال: سألت جابر بن عبد الله، فقال: لا أحدّثك إلا ما حدّثنا رسول الله ﷺ، قال: جاورتُ بحراء، فلمَا قضيت جواري، هبطت فسمعت صوتاً، فنظرت عن يميني فلم أرَ شيئاً وعن شمالي فلم أرَ شيئاً، ونظرت أمامي فلم أرَ شيئاً، ونظرت خَلْفي فلم أرَ شيئاً، فرفعت رأسي، فرأيت شيئاً، فأتيت خديجة، فقلت: دَثِّروني، وصبُّوا عليّ ماءً، قال: فدثَّرُوني وصبُّوا عليَّ ماء بارداً، فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾(٢). (٢: ٣٠٤).

١٣ ـ حدّثني أحمد بن محمد بن حبيب الطّوسي، قال: حدّثنا أبو داود الطيالسيّ، قال: أخبرنا جعفر بن عبد الله بن عثمان القُرشيّ، قال: أخبرني عمر ابن عروة بن الزبير، قال: سمعتُ عروة بن الزبير يحدِّث عن أبي ذَرّ الغِفاريّ

---

(١) إسناده صحيح وسيأتي الحديث عنه في الرواية التالية.

(٢) إسناده صحيح وأخرجه البخاري من طريق يحيىٰ بن أبي كثير به (ح ٤٩٢٢) ومسلم مع اختلاف في اللفظ (ح ١٦١).

وهذه الرواية تفيد أن قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ أول ما نزل من القرآن، ويعارضه ظاهراً الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم والطبري وغيرهم أن قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ هو أول ما نزل من القرآن وهو قول الجمهور كما قال ابن كثير، وقد جمع العلماء بين الروايتين ـ ومنهم الزركشي ـ جمعاً حسناً فقالوا: أول ما نزل من القرآن هو قوله تعالى ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ وأول سورة نزلت هي سورة المدثر. وعند الإمام رواية تزيل هذا التعارض الظاهر (المسند ٣/ ٣٢٥) [عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: أخبرني جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: ثم فتر الوحي عني فترة، فبينا أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصري قبل السماء فإذا الملك الذي جاءني قاعد على كرسي بين السماء والأرض فَجُئِثْتُ منه فرقاً حتى هويت إلى الأرض فجئت أهلي فقلت لهم زملوني، زملوني، فأنزل الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾. ثم حمي الوحي وتتابع].

والحديث أخرجه كذلك البخاري في صحيحه (ح ٤٩٢٦) ومسلم (ح/ ١٦١).

قال: قلتُ: يا رسولَ الله، كيف علمتَ أنك نبيّ أوّل ما علمت، حتى علمت ذلك واستيْقنت؟ قال: يا أبا ذَرّ، أتاني مَلَكان وأنا ببعض بطْحَاء مكة، فوقع أحدُهما في الأرض والآخر بين السّماء والأرض، فقال أحدهما لصاحبه: أهو هو؟ قال: هو هو، قال: فزنْه برجُل، فوُزِنْت برجل فرجحتُه، ثم قال: زِنْه بعشرة، فوزنني بعشرة فرجحتهم، ثم قال: زنه بمئة، فوزنني بمئة فرجحتهم. ثم قال: زنه بألف، فوزنني بألف فرجحتهم، فجعلوا ينتثرون على كفّة الميزان، قال: فقال أحدهما للآخر: لو وزنته بأمّته رَجَحها، ثم قال أحدهُما لصاحبه: شُقَّ بطنَه فشقّ بطنِي، ثم قال أحدهما: أخرج قلبَه ـ أو قال: شقَّ قلبَه ـ فشقّ قلبي، فأخرج منه مغْمَز الشيطان وعلَقَ الدّم، فطرحها، ثم قال أحدهما للآخر: اغسِلْ بطنه غَسْل الإناء، واغسلْ قلبه غسْل الإناء ـ أو اغسِلْ قلبه غسل المُلاءة ـ ثم دعا بالسَّكينة، كأنّها وجه هِرَّة بيضاء فأدخِلَتْ قلبي، ثم قال أحدهما لصاحبه: خِطْ بطنَه، فخاطا بطنِي، وجعلا الخاتم بين كتِفيّ، فما هو إلا أن ولَّيا عنّي فكأنّما أعاين الأمرَ معاينة[1]. (٢: ٣٠٤/ ٣٠٥).

---

(١) لم نجد ترجمة لأحمد بن محمد بن حبيب الطوسي ولا لجعفر بن عبد الله بن عثمان القرشي ـ ولكن الحديث صحيح فقد أخرج أحمد في المسند (٤/ ١٨٤ ـ ١٨٥) نحو رواية الطبري هذه من حديث عتبة بن عبد السلمي رضي الله عنه وفيه [فأقبل طيران أبيضان كأنهما نسران فقال أحدهما لصاحبه: أهو هو؟ قال: نعم. فأقبلا يبتدراني، فأخذاني فبطحاني إلى القفا فشقا بطني ثم استخرجا قلبي فشقاه فأخرجا منه علقتين سوداوين، فقال أحدهما لصاحبه ـ قال يزيد في حديثه ـ: ائتني بماء ثلج، فغسلا به جوفي ثم قال: ائتني بماء برد فغسلا به قلبي ثم قال: ائتني بالسكينة فذرّاها في قلبي، ثم قال أحدهما لصاحبه: خطه، فخاطه وختم عليه بخاتم النبوة، فقال أحدهما لصاحبه: اجعله في كفة واجعل ألفاً من أمته في كفة فإذا أنا أنظر إلى الألف فوقي أشفق أن يخرّ عليَّ بعضهم فقال: لو أن أمته وزنت به لمال بهم، ثم انطلقا وتركاني. . إلى آخر الحديث.

وفيه زيادة لا توجد في رواية الطبري ا. هـ. وأخرج الدارمي نحوه في المقدمة باب كيف كان أول شأن النبي (جـ ١/ ٨) والحاكم في المستدرك (٢/ ٦١٦) والطبراني في الكبير (١٧/ ١٣١) وقال الحاكم: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

وقال الهيثمي تعليقاً على رواية أحمد: إسناد أحمد حسن (مجمع الزوائد ٨/ ٢٢٢) ا هـ.

وهو جزء من حديث (أنا دعوة إبراهيم) عند ابن إسحاق مختصراً بسند مرسل (سيرة ابن هشام جـ ١/ ٢٢٠).

وفي منحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي أبي داود (٢/ ٨٧/ ح ٢٣١٨): حدثنا أبو داود =

١٤ - حدّثنا محمّد بن عبد الأعلىٰ ، قال: حدّثنا ابن ثَوْر ، عن معمَر ، عن الزّهريّ ، قال: فَتَر الوحيُ عن رسول الله ﷺ فترةً ، فحزنَ حزناً شديداً ، جعل يغدو إلى رؤوس شواهق الجبال ليتردّى منها ، فكلّما أوْفى بذرْوَة جَبل تبدّى له جبْرئيل ، فيقول: إنك نبي الله؛ فيسكن لذلك جأشُهُ ، وترجع إليه نفسه ، فكان النبي ﷺ يحدّث عن ذلك ، قال: بينا أنا أمشي يوماً ، إذ رأيتُ الملَك الذي كان يأتيني بحراءٍ ، على كرسيّ بين السّماء والأرض ، فجُئثتُ منه رعباً ، فرجعت إلى خديجة ، فقلت: زمّلوني ، فزمّلناه ـ أي دثّرناه ، فأنزل الله عزّ وجلّ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ﴾ ، قال الزهري: فكان أوّل شيء أنزل عليه: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ حتى بلغ ﴿مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾[(١)] (٢: ٣٠٥/٣٠٦).

١٥ - حدّثني يونس بن عبد الأعلى ، قال: أخبرنا ابنُ وهْب ، قال: أخبرَني يونس ، عن ابن شهاب ، قال: أخبرني أبو سلمة بن عبد الرّحمن ، أنّ جابر بنَ عبد الله الأنصاريّ ، قال: قال رسول الله ﷺ وهو يحدّث عن فَتْرة الوحي: بينا أنا أمشي سمعتُ صوتاً من السّماء ، فرفعت رأسي ، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالساً على كرسيّ بين السّماء والأرض. قال رسول الله ﷺ : فجُئثت منه فَرَقاً ، وجئت فقلت: زمّلوني ، زمّلوني! فدثّروني ، فأنزل الله عزّ وجَلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا

= قال: حدثنا حماد بن سلمة قال: أخبرني أبو عمران الجوني عن رجل عن عائشة أن رسول الله اعتكف. . . إلى آخر الحديث.

وفيه جمع الطيالسي بين شق البطن وغسله وأمر جبريل لمحمد ﷺ بقوله [(اقرأ) وختمه لظهره الشريف] وفي إسناده مجهول كما هو واضح والله أعلم.

(١) إسناده معضل ولكن المتن صحيح وقد سبق أن تحدثنا عن الشطر الثاني من متن هذه الرواية ونعني بذلك من قوله (بينا أنا أمشي يوماً إذ رأيت الملك. . إلى آخره).

وأخرجه أحمد في المسند (الفتح الرباني ٢٠/ ٢٠٧ ـ ٢٠٩) من حديث طويل جاء في آخره: [وفتر الوحي فترة حتى حزن رسول الله ﷺ فيما بلغنا حزناً غدا منه مراراً كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال ، فكلما أوفىٰ بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه تبدّىٰ له جبريل عليه السلام فقال: يا محمد إنك رسول الله حقاً ، فيسكن ذلك جأشه وتقر نفسه عليه الصلاة والسلام ، فيرجع فإذا طالت عليه وفتر الوحي غدا مثل ذلك فإذا أوفى بذروة جبل تبدىٰ له جبريل فقال له مثل ذلك) اهـ.

﴿ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾، قال: ثم تتابع الوحي[١]. (٢: ٣٠٦).

١٦ ـ قال أبو جعفر: فلما أمرَ الله عزّ وجلّ نبيه محمّداً ﷺ أن يقوم بإنذار قومه عقابَ الله على ما كانوا عليه مقيمين من كفرهم بربّهم وعبادتهم الآلهة والأصنام دون الذي خلقهم ورزقهم؛ وأن يحدّث بنعمة ربه عليه بقوله: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾، وذلك ـ فيما زعم ابن إسحاق ـ النبوّة.

حدّثنا ابنُ حُميد، قال: حدثنا سلمَة، عن ابن إسحاق: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾، أي ما جاءك من الله من نعمته وكرامته من النبوّة فحدّث؛ اذكرها وادعُ إليها. قال: فجعلَ رسول الله ﷺ يذكر ما أنعم الله عليه وعلى العباد به من النبوّة سرّاً إلى مَنْ يطمئنّ إليه من أهله؛ فكان أوّل مَنْ صدّقه وآمن به واتّبعه من خلْق الله ـ فيما ذكر ـ زوجته خديجة رحمها الله[٢]. (٢: ٣٠٦/ ٣٠٧).

١٧ ـ حدّثني الحارث، قال: حدّثنا ابنُ سعد، قال: قال الواقديّ: أصحابُنا مجمعون على أنّ أوّلَ أهل القبلة استجاب لرسول الله ﷺ خديجة بنت خويلد رحمها الله[٣]. (٢: ٣٠٧).

---

(١) الحديث صحيح، وحديث جابر بن عبد الله الأنصاري هذا أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب بدء الوحي ٤/ح ٤) ومسلم في صحيحه (كتاب الإيمان باب بدء الوحي ح ١٦١) وغيرهما مع اختلاف يسير في الألفاظ والله أعلم.

(٢) إسناده ضعيف وهو حديث صحيح وستتكلم عن متنه بعد الآتي إن شاء الله.

(٣) إسناده ضعيف ومتنه صحيح والآثار الواردة في ذلك كثيرة منها الحسنة والضعيفة والمرفوعة والموقوفة وسنذكر منها ما يفي بالغرض:

أ ـ أخرج أحمد (٦/ ١١٧) عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله ﷺ إذا ذكر خديجة أثنىٰ عليها فأحسن الثناء قالت: فغرتُ يوماً فقلت: ما أكثر ما تذكُر حمراء الشدقين قد أبدلك الله خيراً منها. قال: أبدلني الله خيراً منها!! قد آمنت بي إذ كفر الناس ورزقني الله أولادها وحرمني أولاد الناس).

وقال الهيثمي في الزوائد عن رواية أحمد هذه: رواه أحمد وإسناده حسن (مجمع الزوائد ٩/ ٢٢٤).

ب ـ أخرج أحمد (١/ ٣٧٣) وابن أبي حاتم (١٣٦) والترمذي (ح ٣٧٣٤) من طريق شعبة وأبي عوانة عن أبي بلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس: (كان أول من أسلم من الناس مع رسول الله ﷺ علي بعد خديجة). وهذا إسناد حسن.

قال أبو جعفر: ثم اختلف السَّلف فيمن اتّبع رسول الله ﷺ وآمن به وصدّقه على ما جاء به من عندِ الله من الحقّ بعد زوجته خديجة بنت خويلد، وصلّى معه.

فقال بعضهم: كان أوّل ذَكَرٍ آمن برسول الله ﷺ وصلّى معه وصدّقه بما جاءه من عند الله عليّ بن أبي طالب عليه السّلام.

ذكر بعض من قال ذلك ممن حضرنا ذكره

١٨ - حدّثنا ابن حميد، قال: حدّثنا إبراهيم بن المختار، عن شعبة، عن أبي بلَج، عن عمرو بن ميمون، عن ابن عباس، قال: أوّل مَنْ صلّى عليّ[١]. (٢: ٣٠٩/ ٣١٠).

١٩ - حدّثنا زكريّاء بن يحيى الضّرير، قال: حدثنا عبد الحميد بن بحر، قال: أخبرنا شريك عن عبد الله بن محمّد بن عَقيل، عن جابر، قال: بُعث النبيّ ﷺ يوم الإثنين، وصلّى عليّ يوم الثلاثاء[٢]. (٢: ٣١٠).

= قلنا: ومعلوم أن السيدة خديجة رضي الله عنها هي أول من سمعت خبر نزول الوحي على رسول الله ﷺ ومن فمه الشريف ﷺ فصدقته وأيدته كما مر بنا في الروايات السابقة في بدء الوحي والله أعلم.
وسنعود إلى هذه المسألة بعد روايات قليلة إن شاء الله تعالى.

(١) إسناده ضعيف وهو صحيح فله متابعة غير تامة عند أحمد وغيره؛ فقد أخرج أحمد (١/ ٣٧٣) ثنا سليمان بن داود ثنا أبو عوانة عن أبي أبلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس قال: أول من صلىٰ مع النبي ﷺ بعد خديجة علي. وقال مرة: أسلم. وإسناده حسن.
وأخرج الترمذي (ح ٣٧٣٤) عن ابن عباس: قال: أول من صلىٰ علي. وقال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه لا نعرفه من حديث شعبة. وأخرج ابن أبي عاصم في الأوائل (٤٧/ ح ٧٥) أن خديجة أول من أسلم مع رسول الله ﷺ وعلي. وإسناده حسن. [حدثنا محمد بن مرزوق ثنا عبد العزيز بن الخطاب ثنا علي بن غراب ثنا يوسف بن صهيب عن ابن بريدة عن أبيه به].
وكذلك أخرجه الطبراني في الكبير (٢٢/ ٤٥٢) والله أعلم.

(٢) إسناده ضعيف، ومتنه صحيح فقد أخرجه الحاكم من روايتين الأولىٰ بأطول مما عند الطبري وهي في المستدرك (٣/ ١١٢) عن بريدة... وفي آخر الحديث: وأوحي إلى رسول الله ﷺ يوم الإثنين وصلّىٰ عليٌّ يوم الثلاثاء. قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الذهبي: صحيح - والرواية الثانية (١/ ١١٢): عن أنس رضي الله عنه: نبئَ النبي ﷺ يوم=

٢٠ ـ حدّثنا ابن المثنّى ، قال : حدّثنا محمّد بن جعفر ، قال : حدّثنا شُعبة ، عن عمرو بن مُرّة ، عن أبي حمزة ، عن زيد بن أرْقم ، قال : أوّل مَنْ أسلمَ مع رسول الله ﷺ عليٌّ بن أبي طالب . قال : فذكرتُهُ للنَّخَعِيّ ، فأنكره ، وقال : أبو بكر أوّلُ مَنْ أسلم[(١)] . (٢ : ٣١٠) .

٢١ ـ حدّثنا أبو كُريب ، قال : حدّثنا وكيع ، عن شُعبة ، عن عمرو بن مُرّة ، عن أبي حَمْزة مولى الأنصار ، عن زيد بن أرقم ، قال : أوّلُ مَنْ أسلم مع رسول الله ﷺ عليٌّ بن أبي طالب عليه السّلام[(٢)] . (٢ : ٣١٠) .

٢٢ ـ حدثنا أبو كريب ، قال : حدّثنا عبيد بن سعيد ، عن شعبة ، عن عمرو ابن مرة ، قال : سمعت أبا حمزة (رجلاً من الأنصار) ، يقول : سمعت زيد بن أرقم ، يقول : أوّلُ رجل صلّى مع رسول الله ﷺ عليٌّ عليه السّلام[(٣)] . (٢ : ٣١٠) .

٢٣ ـ حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، قال : حدّثني محمد بن إسحاق ، قال : فحدّثني عبد الله بن أبي نَجِيح ، عن مجاهد بن جبر أبي الحجّاج ، قال : كان مِنْ نعمة الله على عليّ بن أبي طالب ، وما صنعَ الله له وأراده به من الخير ، أنّ قريشاً أصابتْهم أزمة شديدة ، وكان أبو طالب ذا عيالٍ كثير ؛ فقال رسول الله ﷺ للعبّاس عَمّه ـ وكان من أيْسَرِ بني هاشم : يا عبّاس ؛ إنّ أخاك أبا طالب كثيرُ العيال ، وقد أصاب النّاس ما تَرى من هذه الأزْمة ، فانطلِقْ بنا فلنخفِّف عنه من عياله ؛ آخذ من بنيه رجلاً ، وتأخذ من بنيه رجلاً ، فنكفّهما عنه . قال العباس : نعم ، فانطلقا حتى أتيا أبا طالب ، فقالا : إنّا نريد أن نخفّف

= الإثنين وأسلم علي يوم الثلاثاء . وسكت عنه الحاكم وكذا الذهبي .

(١) إسناده صحيح وقد أخرجه الترمذي (٥/ح ٣٧٣٥) من طريق شيخ الطبري . أي محمد بن المثنىٰ وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

(٢) إسناده صحيح وهو جزء من الحديث الذي سبق ذكره .

(٣) إسناده صحيح وقد سبق أن ذكرنا رواية أحمد عن ابن عباس : أول من صلىٰ مع رسول الله ﷺ بعد خديجة علي (المسند ح ٣٥٤٢ طبعة شاكر) وصححه العلامة شاكر وأخرج أبو داود الطيالسي في مسنده (ح ٢٧٥٣) من طريق ابن عباس : أول من صلىٰ مع رسول الله ﷺ بعد خديجة علي .

عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ماهم فيه ، فقال لهما أبو طالب: إذا تركتما لي عَقيلاً فاصنعا ما شئتما ، فأخذ رسول الله ﷺ عليّاً فضمّه إليه ، وأخذ العبّاس جعفراً فضمّه إليه ، فلم يزل عليّ بن أبي طالب مع رسول الله ﷺ حتى بعثَه الله نبيّاً ، فاتّبعه عليّ فآمن به وصدّقه ، ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه[١]. (٢ : ٣١٣).

٢٤ ـ حدثني ابنُ عبد الرحيم البَرْقيّ ، قال: حدّثنا عمرو بن أبي سَلمة ، قال: حدّثنا صدقَة، عن نصر بن علقمة، عن أخيه، عن ابن عائذ ، عن جبير بن نفير ، قال: كان أبو ذرّ وابن عَبَسة كلاهما يقول: لقد رأيتُني رُبْع الإسلام ، ولم يُسْلِم قَبْلِي إلا النبيّ وأبو بكر وبلال، كلاهما لا يدري متَى أسلم الآخر[٢]. (٢ : ٣١٥).

---

(١) إسناده ضعيف ومتنه صحيح فقد أخرجه ابن هشام في السيرة (١/ ٣١٢) قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد بن جبر بن أبي الحجاج قال: كان نعمة الله علىٰ عليّ بن أبي طالب . . . إلى آخره.
وهذا إسناد حسن فقد صرّح ابن إسحاق بالتحديث.

(٢) إسناده ضعيف والحديث صحيح.
والحديث أخرجه الحاكم والطبراني ومسلم إضافة إلى الطبراني في تأريخه وأحمد في المسند وكذلك الحافظ المزي في تهذيب الكمال ولكن اختلفوا في تعيين الصحابي الذي هو رابع أربعة وكما سنبين:
١ ـ أخرج أحمد في مسنده (٤/ ١١٢) حديثاً طويلاً وفيه قال أبو أمامة: يا عمرو بن عبسة ـ صاحب عقل الصدقة رجل من بني سليم ـ بأي شيء تدعي أنك رابع الإسلام. . . الحديث.
٢ ـ أخرج الحاكم (٣/ ٣٤١) من طريق عمرو بن أبي سلمة قال: حدثنا صدقة عن نصر بن علقمة عن أخيه عن ابن عائذ عن جبير بن نفير قال: كان أبو ذر يقول: لقد رأيتني ربع الإسلام لم يسلم قبلي إلا النبي ﷺ وأبو بكر وبلال. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
ووافقه الذهبي. أي أن الطبري (الذي روىٰ هذا الحديث في تأريخه بنفس إسناد الحاكم ولكن من طريق شيخه ابن عبد الرحيم البرقي) زاد اسم عمرو بن عبسة.
٣ ـ أخرج الطبراني (٢/ح ١٦١٨) رواية الحاكم الآنفة الذكر ولم يذكر فيها اسم عمرو بن عبسة. (من طريق عبد الله بن سعيد بن أبي مريم ثنا عمرو بن أبي سلمة به).
٤ ـ وأخرج مسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين (٥٢) باب إسلام عمرو بن عبسة السلمي حديثاً طويلاً وفيه: عن أبي أمامة قال: قال عمرو بن عبسة السلمي: كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس علىٰ ضلالة وأنهم ليسوا علىٰ شيء وهم يعبدون الأوثان فسمعت =

٢٥ ـ حدّثنا أبو كُرَيب ، قال: حدّثنا وكيع ، قال: حدّثنا شُعبة ، عن عمرو بن مرّة ، قال: قال إبراهيم النَّخعيّ: أبو بكر أوّل مَنْ أَسلم[١] . (٢ : ٣١٥) .

٢٦ ـ وأما ابن إسحاق ، فإنه قال في ذلك ما حدّثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سلمة عنه: ثم أسلمَ زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ فكان أوّل ذَكَرٍ أسلم ، وصلّى بعد عليّ بن أبي طالب ، ثم أسلم أبو بكر بن أبي قُحافة الصدّيق ، فلما أسلم أظهر إسلامَه ، ودعا إلى الله عزَّ وجلّ وإلى رسوله. قال: وكان أبو بكر رجلاً مألفاً لقومه ، محبباً سهلاً ، وكان أنسَب قريش لقريش ، وأعلم قريش بها ، وبما كان فيها من خير أو شرّ ، وكان رجلاً تاجراً ذا خُلق ومعروفٍ ، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر ، لعلمه وتجاربِهِ وحسن مجالسته ، فجعل يدعو إلى الإسلام مَنْ وثِق به من قومِه ممّن يغشاه ويجلس إليه ، فأسلم على يديه ـ فيما بلغني ـ: عثمان بن عفان ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقّاص ، وطلحة بن عبيد الله ، فجاء بهم إلى رسول الله ﷺ حين استجابوا له ، فأسلموا وصلَّوْا ، فكان هؤلاء الثمانية ، النّفر الذين سبقوا إلى الإسلام ، فصلَّوْا وصدّقُوا برسول الله ﷺ وآمنوا بما جاء به من عند الله؛ ثم تتابع الناسُ في الدخول في الإسلام؛ الرجال منهم والنساء؛ حتى فشا ذِكْرُ الإسلام بمكّة وتحدّث به الناس[٢] . (٢ : ٣١٦/ ٣١٧) .

= برجل بمكة. . . الحديث. وفيه أيضاً قلت له: فمن معك على هذا؟ قال: حر وعبد (قال: ومعه يومئذ أبو بكر وبلال ممن آمن به) فقلت: إني متبعك. . . إلى آخر الحديث.

٥ ـ وأخرج الحافظ المزي نحواً من رواية مسلم ولكن بسند عالٍ مع اختلاف في بعض الألفاظ وفيه قال أبو أمامة: يا عمرو بن عبسة صاحب العَقل عقل الصدقة بأي شيء تدعي أنك رابع الإسلام؟!.

(١) إسناده مرسل صحيح.

(٢) إسناده ضعيف وقد أخرجه ابن إسحاق منقطعاً مفرقاً بين رواية إسلام زيد بن حارثة ورواية إسلام أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ورواية ثالثة بعنوان (ذكر من أسلم من الصحابة بدعوة أبي بكر رضي الله عنهما (سيرة ابن هشام ١/ ٣١٤ ـ ٣١٨) وقال الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٧٤): وبسنده عن ابن عباس قال: أسلم زيد بن حارثة بعد علي فكان أول من أسلم بعده.

وللأستاذ الفاضل أكرم ضياء العمري (وهو من المؤرخين المعاصرين للتأريخ الإسلامي) رأي=

٢٧ ـ ثم إنّ الله عزّ وجلّ أمر نبيّه محمّداً ﷺ بعد مبعثه بثلاث سنين أن يصدَع بما جاءه منه ، وأن يبادِيَ الناسَ بأمره ، ويدعوَ إليه ، فقال له : ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ وكان قبل ذلك ـ في السّنين الثلاث من مبعثه ؛ إلى أن أمر بإظهار الدّعاء إلى الله ـ مستسرّاً مخفياً أمره ﷺ ، وأنزل عليه : ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ۝٢١٤ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢١٥ فَإِنۡ عَصَوۡكَ فَقُلۡ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ ، قال : وكان أصحابُ رسول الله ﷺ إذا صلَّوْا ذهبوا إلى الشِّعاب ، فاستخفَوْا من قومهم ؛ فبينا سعد بن أبي وقّاص في نفر من أصحاب النبي ﷺ في شعب من شعاب مكة إذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلُّون ، فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون ؛ حتى قاتلوهم ، فاقتتلوا ، فضرب سعد بن أبي وقّاص يومئذ رجلاً من المشركين بلَحْيِ جملٍ فشجّه ، فكان أوّلَ دم أهَرِيق في الإسلام .

فحدّثنا أبو كُرَيب وأبو السائب ، قالا : حدّثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن سَعيد بن جُبير ، عن ابن عبّاس ، قال : صعِد رسول الله ﷺ ذات يوم الصَّفَا ، فقال : يا صَبَاحاه! فاجتمعتْ إليه قريش ، فقالوا : مالك؟ قال : أرأيتكم إنْ أخبرتكم أنّ العدوّ مصبّحكم أو ممسِّيكم ، أما كنتم تصدّقونني؟! قالوا : بَلى ؛ قال : فإني نذير لكم بين يديْ عذابٍ شديد . فقال أبو لهب : تبّاً لك! ألهذا دعوتنا ـ أو جمعتنا! فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ﴾[١] إلى آخر السورة . (٢ : ٣١٨/ ٣١٩) .

٢٨ ـ حدّثنا أبو كُرَيب ، قال : حدّثنا أبو أسامة ، عن الأعمش ، عن عمرو بنِ مرّة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عبّاس ، قال : لما نزلتْ هذه الآية : ﴿وَأَنذِرۡ

= جدير بالذكر في سبب الاختلاف في تحديد أسماء من أسلموا بادىء ذي بدء بعد خديجة رضي الله عنها فيقول : ويبدو أن رسول الله ﷺ لم يخبره بأسماء سائر من أسلم وإنما سمّىٰ أبا بكر وبلالاً فقط حرصاً علىٰ سلامة من أسلم من الأذىٰ وربما لأنه إنما أسلم بعد إجابة سؤاله عمن أسلم يومئذ ، وتعبير عمرو بن عبسة : (فلقد رأيتني إذ ذاك ربع الإسلام) إنما هو بحسب ما بدا له وإلاّ فقد كان عدد المسلمين أكثر من ذلك في المرحلة التي أظهرت فيها قريش جرأتها علىٰ الإسلام وأذاها للمسلمين كما يدل قول الرسول ﷺ : (ألا ترى حالي وحال الناس!) .

(١) رجاله رجال الصحيح غير أن الأعمش مدلس وقد عنعن هنا إلا أنه صرّح بالتحديث كما سيأتي في الرواية التالية .

عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ ، خرج رسول الله ﷺ حتى صعِد الصّفا ، فهتف: يا صباحاه! فقالوا: من هذا الذي يهتف؟ قالوا: محمّد ، فقال: يا بني فلان ، يا بني عبد المطّلب ، يا بني عبد مناف! فاجتمعوا إليه ، فقال: أرأيتكم لو أخبرتُكم أنّ خيلاً تخرج بسفْح هذا الجَبَل ، أكنتم مصَدِّقيَّ؟ قالوا: ما جرّبنا عليك كذباً ، قال: فإني نذيرٌ لكم بين يديْ عذابٍ شديد. فقال أبو لهب: تبّاً لك! ما جمعتنا إلاّ لهذا! ثم قام ، فنزلت هذه السورة: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ﴾ إلى آخر السورة[1] . (٢: ٣١٩) .

٢٩ ـ فحدّثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سَلمة ، حدثنا محمد بن إسحاق ، عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن بن أبي الحسن ، قال: لما نزلتْ هذه الآية على رسول الله ﷺ : ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ ، قام رسول الله ﷺ بالأبطح ، ثم قال: يا بني عبد المطّلب ، يا بني عند مناف ، يا بني قصيّ ـ قال: ثم فخَذ قريشاً قبيلة قبيلة ، حتى مرّ على آخرهم ـ إني أدعوكم إلى الله وأنذركم عذابه[2] . (٢: ٣٢٢) .

---

(١) رجاله رجال الصحيح والحديث أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب التفسير] باب (وأنذر عشيرتك الأقربين) (ح ٤٧٧٠) (الفتح ٨/ ٥٠١)]. من طريق الأعمش: حدثني عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت (وأنذر عشيرتك الأقربين) صعد النبيﷺ على الصفا فجعل ينادي: يا بني فهر يا بني عدي لبطون قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو فجاء أبو لهب وقريش. فقال: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدّقي؟ قالوا: نعم ، ما جرّبنا عليك إلاّ صدقاً. قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد.
فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم ، ألهذا جمعتنا. فنزلت ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾. ا هـ.
والحديث أخرجه البخاري في مواضع أخرى ومسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان باب قوله تعالى: (وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ)/ ٢٠٥ .

(٢) إسناده ضعيف والحديث صحيح كما مرّ بنا.
ـ مسألة استخدام قريش لأسلوب المفاوضات مع أبي طالب عسى أن يكف عن مناصرة ابن أخيه عليه أفضل الصلاة والسلام:
ذكر الطبري ثلاث روايات ضعيفة الإسناد (٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥) ولكن المعنى الذي من أجله سرد الطبري هذه الروايات صحيح فقد أخرج الحاكم (٣/ ٥٧٧) من طريق موسى بن=

٣٠ ـ حدّثنا علي بن نصر بن علي الجهضميّ ، وعبد الوارث بن عبد الصمد ابن عبد الوارث ـ قال علي بن نصر: حدّثنا عبدُ الصّمد بن عبد الوارث ، وقال عبدُ الوارث: حدّثني أبي ـ قال: حدّثنا أبان العطّار ، قال: حدّثنا هشام بن عُروة ، عن عُروة ، أنه كتب إلى عبد الملك بن مروان: أما بعد ، فإنّه ـ يعني رسول الله ﷺ ـ لمّا دعا قومه لمَا بعثه الله من الهُدى والنور الذي أنزل عليه ، لم يبعُدوا منه أوّل ما دعاهم ، وكادوا يسمعون له؛ حتى ذكر طواغيتَهم. وقدم ناس من الطائف من قُريش لهم أموال ، أنكروا ذلك عليه ، واشتدُّوا عليه ، وكرهوا ما قال [لهم] ، وأغرَوْا به مَنْ أطاعهم ، فانصفق عنه عامّةُ الناس ، فتركوه إلاّ من حفظه الله منهم؛ وهم قليل؛ فمكث بذلك ما قدّر الله أن يمكث. ثم ائتمرت رؤوسهم بأن يفتِنوا مَنْ تبعه عن دين الله من أبنائهم وإخوانهم وقبائلهم ، فكانت فتنة شديدة الزلزال على مَن اتَّبع رسول الله ﷺ من أهل الإسلام؛ فافتتن مَن افتتن ، وعَصَم الله منهم مَنْ شاء؛ فلمّا فعل ذلك بالمسلمين ، أمرهم رسول الله ﷺ أن يخرجُوا إلى أرض الحبَشة ـ وكان بالحبشة مَلِكٌ صالح يقال له النجاشيّ ، لا يُظلَم أحدٌ بأرضه ، وكان يُثْنَى عليه مع ذلك صلاح ، وكانت أرض الحبشة مَتْجرَاً لقريش يتّجرون فيها ، يجدون فيها رَفاغاً من الرزق ، وأمناً ومتجراً حسناً ـ فأمرهم بها رسول الله ﷺ ، فذهب إليها عامّتهم لما قهِروا بمكّة ، وخاف

= طلحة أخبرني عقيل بن أبي طالب قال: (جاءت قريش إلى أبي طالب فقالوا: إن ابن أخيك يؤذينا في نادينا ومجلسنا فانهه عن أذانا. فقال لي: يا عقيل ائت محمداً. قال فانطلقت إليه فأخرجته ـ قال طلحة: بنت صغيرة ـ فجاء في الظهر من شدة الحر فجعل يطلب الفيء يمشي فيه من شدة حر الرمضاء فأتيناهم. فقال أبو طالب: إن بني عمك زعموا أنك تؤذيهم في ناديهم وفي مجلسهم فانته عن ذلك. فحلق رسول الله ﷺ ببصره إلى السماء فقال: ترون هذه الشمس؟ قالوا: نعم. قال: ما أنا بأقدر على أن أدع ذلك منكم على أن تشعلوا منها شعلة. فقال أبو طالب: ما كذبنا ابن أخي قط فارجعوا) ـ وسكت عنه الحاكم وكذا الذهبي وصححه الألباني من المعاصرين (السلسلة الصحيحة ١/ ١٤٧) وكذلك رواه الطبراني في الكبير وأبو يعلى.

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ١٥): ورجال أبي يعلىٰ رجال الصحيح وصححه ابن حجر بإسناد أبي يعلىٰ من حديث عقيل بن أبي طالب (المطالب العالية المسانيد الثمانية ٤/ ح ٤٢٧٨).

عليهم الفتن ، ومكث هو فلم يبْرح ، فمكث بذلك سنوات؛ يشتدّون على مَنْ أسلم منهم.

ثـم إنـه فشـا الإسـلام فيهـا ، ودخـل فيـه رجـال مـن أشـرافهـم[(١)] . (٢ : ٣٢٨/ ٣٢٩) .

قال أبو جعفر: فاختُلف في عدد مَنْ خَرَج إلى أرض الحبَشة ، وهاجر إليها هذه الهجرة ، وهي الهجْرة الأولىٰ.

فقال بعضهم: كانوا أحدَ عشرَ رجلاً وأرْبَعَ نسوة[(٢)] . (٢ : ٣٢٩) .

---

(١) إسناده مرسل وهو صحيح بشواهده كما سيأتي وهذه هي الهجرة الأولىٰ وهي ثابتة في السيرة وقد بوّب لها البخاري في صحيحه. وسيتحدث عنها الطبري بالتفصيل في الروايات اللاحقة (راجع الضعيفة ح ٤١ ـ ٤٢ ـ ٤٣).

(٢) قلنا: لم يرد حديث صحيح فيه أسماء الصحابة الذين ذكرهم الطبري في رواياته مجموعين ولكن وردت روايات صحيحة بذكر بعض من أسمائهم متفرقاً كما سنبين ذلك في الروايات الآتية ذكرها وقد بينا في قسم الضعيف من السيرة أن الروايات (٤١ ، ٤٢ ، ٤٣) ضعيفة ولكن معناها في الهجرة إلى الحبشة صحيحة مع بعض تفاصيلها.

١ - قال الذهبي في تأريخ الإسلام (السيرة النبوية ١٨٣) قال يعقوب العنسوي في تأريخه (حدثني العباس بن عبد العظيم حدثني بشار بن موسىٰ الخفاف ثنا الحسن بن زياد البرجميّ - إمام مسجد محمد بن واسع ثنا قتادة قال: أول من هاجر إلى الله تعالىٰ بأهله عثمان بن عفان. سمعت النضر بن أنس يقول: سمعت أبا حمزة يعني أنس بن مالك يقول: خرج عثمان برقيّة بنت رسول الله ﷺ إلى الحبشة فأبطأ خبرهم فقدمت امرأة من قريش فقالت: يا محمد قد رأيت خَتَنَك ومعه امرأته. فقال: (علىٰ أي حال رأيتهما)؟ قالت: رأيته حمل امرأته علىٰ حمار من هذه الدبابة وهو يسوقها. فقال رسول الله ﷺ : صحبهما الله ، إن عثمان أول من هاجر بأهله بعد لوط) قلنا: وهذه الرواية في المطبوع من التأريخ والمعرفة (٣/ ٢٥٥). ولقد أشار ابن حجر في الفتح (٧/ ١٨٨) باب الهجرة إلى الحبشة. فقال: وأخرج يعقوب بن سفيان بسند موصول إلى أنس قال: (أبطأ على رسول الله).

٢ - ثم قال الذهبي بعد هذه الرواية: ورواه يحيىٰ بن أبي طالب عن بشار ، عن عبد الله بن إدريس ثنا ابن إسحاق حدثني الزهري عن أبي بكرة بن عبد الرحمن وعروة وعبد الله بن أبي بكر وصلت الحديث عن أبي بكر عن أم سلمة.

قالت: لما أُمرنا بالخروج إلى الحبشة ، قال رسول الله ﷺ حين رأىٰ ما يصيبنا من البلاء: (الحقوا بأرض الحبشة فإنّ بها ملكاً لا يُظْلَمُ عنده أحد فأقيموا ببلاده حتىٰ يجعل الله لكم مخرجاً مما أنتم فيه. فقدمنا عليه فاطمأننا في بلاده).

=

=

٣ ـ ثم قال الذهبي/ ١٨٤ : قال البغوي في تاسع (المُخلصيات) وروىٰ ابن عون عن عمير بن إسحاق عن عمرو بن العاص بعض هذا الحديث.

٤ ـ ولقد أخرج ابن إسحاق حديث الهجرة الأولىٰ إلىٰ الحبشة بدون سند (سيرة ابن هشام ١/ ٣٩٧) وذكر ابن إسحاق أسماء من هاجروا في الأولىٰ بدون إسناد كذلك (١/ ٣٩٨).

٥ ـ أخرج الحاكم (٢/ ٣٠٩) من حديث أبي موسىٰ رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن ننطلق إلىٰ أرض النجاشي. . . الحديث.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وقد سها فضيلة الشيخ الطرهوني عند إشارته لرواية الحاكم هذه فقال: وسكت الذهبي (صحيح السيرة ٢/ ٥٤٥).

٦ ـ وأما حديث عبد الله بن مسعود قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلىٰ النجاشي ونحن نحو من ثمانين رجلاً. فيهم عبد الله بن مسعود وجعفر وعبد الله بن عرفطة وعثمان بن مظعون وأبو موسىٰ. فأتوا النجاشي وبعثت قريش عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدية. . . الحديث) فقد قال الهيثمي في المجمع (٦/ ٢٤): رواه الطبراني وفيه حديج بن معاوية وثقه أبو حاتم وقال: في بعض حديثه ضعف وضعفه ابن معين وغيره ، وبقية رجاله ثقات.

٧ ـ وأخرجه أحمد (١/ ٤٦١) من طريق حسن بن موسىٰ قال: سمعت حديجاً أخا زهير بن معاوية عن أبي إسحاق عن عبد الله بن عتبة عن ابن مسعود قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى النجاشي ونحن نحو من ثمانين رجلاً. . . الحديث وقال الحافظ ابن كثير تعقيباً على رواية الإمام أحمد: هذا إسناد جيد قوي وسياق حسن (السيرة ٢/ ١١) ، (البداية والنهاية ٥/ ٩٦).

٨ ـ عن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أمه ليلىٰ قالت: كان عمر بن الخطاب من أشد الناس علينا في إسلامنا فلما تهيأنا للخروج إلى أرض الحبشة أتىٰ عمر بن الخطاب وأنا على بعيري وأنا أريد أن أتوجه. فقال: أين يا أم عبد الله. فقلت: آذيتمونا في ديننا فنذهب في أرض الله حيث لا نؤذىٰ فقال: صحبكم الله. ثم ذهب فجاء زوجي عامر بن ربيعة فأخبرته بما رأيت من رقة عمر فقال: ترجين أن يسلم والله لا يسلم حتى يسلم حمار الخطاب. قال الهيثمي: رواه الطبراني وقد صرّح ابن إسحاق بالسماع فهو صحيح (مجمع الزوائد ٦/ ٢٤).

٩ ـ حديث الهجرة الطويل من رواية أم سلمة ابنة أبي أمية بن المغيرة زوج النبيﷺ : لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير الجار. النجاشي أمنّا علىٰ ديننا وعبدنا الله وحده لا نؤذىٰ. . . الحديث الطويل أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ١١٥) وابن إسحاق (سيرة ابن هشام ١/ ٣٤٤) وأحمد (١/ ٢٠١ ـ ٢٠٤) وعقب الهيثمي علىٰ رواية أحمد في مجمع الزوائد (٦/ ٢٧) قائلاً: ورجال أحمد رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرّح بالسماع فالحديث بهذا صحيح. اهـ.

=

= قلنا: وإسناد أحمد كالآتي: ثنا يعقوب ثنا أبي عن محمد بن إسحاق حدثني محمد بن مسلم ابن عبيد الله بن شهاب عن أبي بكر.

١٠ - أما عن أسمائهم فقد أخرج ابن سعد في طبقاته (١/ ٢٠٤) قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني يونس بن محمد عن أبيه قال: وحدثني عبد الحميد بن جعفر عن محمد بن يحيىٰ بن حيّان قال: تسمية الرجال والنساء: (عثمان بن عفان معه امرأته رقية بنت رسول الله ﷺ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة معه امرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو، والزبير بن العوام بن خويلد بن أسد، ومصعب بن عمير بن هاشم بن عبد المناف بن عبد الدار، وعبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة، وأبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن مخزوم معه امرأته أم سلمة بنت أمية بن المغيرة. وعثمان بن مظعون الجمحي وعامر ابن ربيعة العنزي حليف بني عدي بن كعب معه امرأته ليلىٰ بنت أبي خيثمة، وأبو سبرة بن أبي رُهم بن عبد العزّى العامري، وحاطب بن عمرو بن عبد شمس وسهيل بن بيضاء من بني الحارث بن فهر وعبد الله بن مسعود حليف بني زهرة).

وهذا إسناد ضعيف وعليه اعتمد الطبري في تأريخه (٢/ ٣٢٩ - ٣٣٠) فرواه من طريق شيخه الحارث عن محمد بن سعد به فإسناد الطبري ضعيف أيضاً.

١١ - وقد طوّل ابن إسحاق في ذكر أسماء من شارك في الهجرة الأولىٰ واستغرقت الصفحات (٣٩٨) إلى (٤٠٨) في سيرة ابن هشام الجزء الأول إذ يقول في الصفحة (٤٠٨):

فكان جميع من لحق بأرض الحبشة وهاجر إليها من المسلمين سوىٰ أبنائهم الذين خرجوا بهم معهم صغاراً وولدوا بها ثلاثة وثمانين رجلاً إن كان عمّار بن ياسر فيهم وهو يشك فيه اهـ.

قلنا: وقد ذكر ابن إسحاق هذه الأسماء بلاغاً.

١٢ - وأشار ابن حجر في الفتح إلى ذكر أسمائهم (٧/ ١٨٨) فقال: وقد سرد ابن إسحاق أسماءهم فأما الرجال فهم: عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وأبو حذيفة بن عتبة ومصعب بن عمير وأبو سلمة بن عبد الأسد وعثمان بن مظعون وعامر بن ربيعة وسهيل بن بيضاء وأبو سبرة بن أبي رهم العامري. قال: ويقال بدله حاطب بن عمرو العامري. قال: فهؤلاء العشرة أول من خرج من المسلمين إلى الحبشة.

قال ابن هشام: وبلغني أنه كان عليهم عثمان بن مظعون.

وأما النسوة فهن: رقية بنت النبي ﷺ وسهلة بنت سهل امرأة أبي حذيفة، وأم سلمة بنت أبي أمية امرأة أبي سلمة وليلىٰ بنت أبي حثمة امرأة عامر بن ربيعة.

ثم قال ابن حجر: ووافقه الواقدي في سردهن وزاد اثنين عبد الله بن مسعود وحاطب بن عمرو مع أنه ذكر في أول كلامه أنهم كانوا أحد عشر رجلاً فالصواب ما قاله ابن إسحاق أنه اختلف في الحادي عشر هل هو أبو سبرة أو حاطب، وأما ابن مسعود (والكلام لابن حجر) فجزم ابن إسحاق بأنه إنما كان في الهجرة الثانية ويؤيده ما رواه أحمد بسند حسن عن ابن مسعود =

= قال: (بعثنا النبي ﷺ إلى النجاشي ونحن نحو من ثمانين رجلاً فيهم عبد الله بن مسعود وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن عرفطة وعثمان بن مظعون وأبو موسىٰ الأشعري). فذكر الحديث.

قلنا: حديث أحمد هذا في المسند (١/ ٤٦١) والبيهقي في الدلائل (٢/ ٢٩٨) ثم قال ابن حجر: وقد استشكل ذكر أبي موسىٰ فيهم لأن المذكور في الصحيح أن أبا موسىٰ خرج من بلاده هو وجماعة قاصداً النبي ﷺ بالمدينة فألقتهم السفينة بأرض الحبشة فحضروا مع جعفر إلى النبي ﷺ بخيبر، ويمكن الجمع بأن يكون أبو موسىٰ هاجر أولاً إلىٰ مكة فأسلم فبعثه النبي ﷺ مع من بعث إلى الحبشة، فتوجه إلىٰ بلاد قومه وهم مقابل الحبشة من الجانب الشرقي فلما تحقق استقرار النبي ﷺ وأصحابه بالمدينة هاجر هو ومن أسلم من قومه إلىٰ المدينة فألقتهم السفينة لأجل هيجان الريح إلى الحبشة فهذا محتمل وفيه جمع بين الأخبار فليعتمد. ا هـ. (الفتح ٧/ ١٨٩).

١٣ - أخرج البخاري في صحيحه (كتاب مناقب الأنصار - باب هجرة الحبشة ح ٣٨٧٦) عن أبي موسىٰ رضي الله عنه (بلغنا مخرج النبي ﷺ ونحن باليمن فركبنا سفينة فألقتنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة فوافَقْنا جعفر بن أبي طالب، فأقمنا معه حتىٰ قدمنا، فوافقنا النبي ﷺ حين افتتح خيبر، فقال النبي ﷺ: «لكم أنتم يا أهل السفينة هجرتان».

١٤ - أخرج البخاري في صحيحه (ح ٣٨٧٣) عن عائشة رضي الله عنها: (أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير، فذكرتا للنبي ﷺ فقال: إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا علىٰ قبره مسجداً، وصوّروا فيه تيك الصور، أولئك شرار الناس عند الله يوم القيامة).

١٥ - أخرج الطبري في التفسير (١٠/ ح ١٢٣١٧) حدثني المثنىٰ قال: حدثنا عبد الله بن صالح قال: حدثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ﴾ قال: كان رسول الله ﷺ وهو بمكة خاف علىٰ أصحابه من المشركين، فبعث جعفر بن أبي طالب وابن مسعود وعثمان بن مظعون في رهط من أصحابه إلى النجاشي ملك الحبشة... إلخ) وفي إسناده المثنى بن إبراهيم الأملي لم نجد له ترجمة.

وأخرج ابن أبي حاتم في تفسير هذه الآية (٤/ ٦٦٧٧) ثنا أبي ثنا أبو صالح حدثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: بعث رسول الله ﷺ جعفر بن أبي طالب وابن مسعود وعثمان بن مظعون في رهط من أصحابه إلى النجاشي فلما دخلوا عليه قال... إلخ). ورجال إسناده ثقات إلاّ أن بين علي وابن عباس انقطاعاً وإن كان بعضهم لا يعتبر ذلك علة قادحة كالذهبي وابن حجر والسيوطي وأثنىٰ عليه أحمد (أما من المعاصرين فقد اعتبره الألباني ضعيفاً إلاّ أنه يصلح للشواهد عنده) وله شاهد كما سيأتي لاحقاً في ....

اشتداد إيذاء المشركين لرسول الله ﷺ ودعوته

قال أبو جعفر: ولما خرجَ مَنْ خرجَ من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرضِ الحبَشة مهاجراً إليها، ورسولُ الله ﷺ مقيمٌ بمكة، يدعُو إلى الله سرّاً وجهراً، قد منَعه الله بعمّه أبي طالب وبمَن استجاب لنُصرته من عشيرته، ورأت قريش أنّهم لا سبيلَ لهم إليه، رموْه بالسحْر والكَهانة والجنون؛ وأنه شاعر، وجعلوا يصدّون عنه مَنْ خافوا منه أن يسمع قوله فيتَّبعه؛ فكان أشدّ ما بلغوا منه حينئذ - فيما ذكر. (٢: ٣٣٠/ ٣٣١/ ٣٣٢).

٣١ - ما حدّثنا ابن حميد، قال: حدّثنا سلمة، قال: حدّثني محمد بن إسحاق، عن يحيى بن عُروة بن الزبير، عن أبيه عُرْوة، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: قلتُ له: ما أكثر ما رأيتَ قريشاً أصابت من رسول الله ﷺ فيما كانت تُظهر من عداوته! قال: قد حضرتُهم وقد اجتمع أشرافهم يوماً في الحِجْر، فذكروا رسول الله ﷺ فقالوا: ما رأينا مثلَ ما صبرنا عليه من هذا الرجل قَطّ! سَفّه أحلامنا، وشتم آباءنا، وعاب ديننا، وفرّق جماعتنا، وسبّ آلهتنا! لقد صبرْنا منه على أمر عظيم، أو كما قالوا.

فبينا هُمْ كذلك إذْ طلَع رسول الله ﷺ فأقبل يمشي حتى استلم الركن، ثم مرّ بهم طائفاً بالبيت، فلما مرّ بهم غمزُوه ببعض القول. قال: فعرفت ذلك في وجه رسول الله ﷺ، ثم مضى، فلمّا مرَّ بهم الثانية غمزوه مثلها؛ فعرَفت ذلك في وجهه، ثم مضَى، ثم مرّ بهم الثالثة، فغمزوه بمثلها، فوقف فقال: أتسمعون يا معشرَ قريش! أما والذي نفسُ محمدٍ بيده، لقد جئتكم بالذّبح! قال: فأخذت القومَ كلمته؛ حتى ما منهم رجلٌ إلا كأنما على رأسه طائر واقع؛ وحتى إنَّ أشدّهم فيه وصاةً قبل ذلك ليرفؤه بأحسن ما يجد من القول؛ حتى إنه ليقول: انصرف يا أبا القاسم راشداً، فوالله ما كنتَ جهُولاً!

= ١٦ - أخرج النسائي في التفسير (١/ ٤٤٣/ ح ١٦٨) أن عمرو بن علي بن مقدِّم قال: سمعت هشام بن عروة يحدث عن أبيه عن عبد الله بن الزبير قال: نزلت هذه الآية في النجاشي وأصحابه ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾ وإسناده صحيح وإن كان فيه عمر بن علي بن عطاء (مدلس) ولكنه صرّح بالتحديث هنا والله أعلم.

قال: فانصرف رسول الله ﷺ؛ حتى إذا كان الغد، اجتمعوا في الحِجْر، وأنا معهم، فقال بعضُهم لبعض: ذكرتم ما بَلغ منكم، وما بلغَكم عنه؛ حتى إذا باداكم بما تكرهون تركتموه! فبينا هم كذلك إذْ طلع رسول الله ﷺ، فوثبوا إليه وثبة رجل واحد؛ وأحاطوا به يقولون له: أنت الذي تقول كذا وكذا! لما يبلغهم من عيب آلهتهم ودينهم، فيقول رسول الله ﷺ: نعم أنا الذي أقول ذلك؛ قال: فلقد رأيتُ رجلاً منهم آخذاً بجُمْع ردائه. قال: وقام أبو بكر الصّديق دونه. يقول وهو يبكي: ويلكم! أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله! ثم انصرفوا عنه. فإنّ ذلك أشدّ ما رأيتُ قريشاً بلغت منه قطّ[1]. (٢: ٣٣٢/ ٣٣٣).

---

(١) إسناده ضعيف والحديث صحيح وقد رواه أئمة الحديث مطولاً كما عند الطبري ومختصراً كذلك.

أما مطولاً فقد رواه ابن إسحاق بسنده موصولاً إلى عبد الله بن عمرو بن العاص (سيرة ابن هشام ١/ ٣٥٨ ـ ٣٥٩) وأخرجه أحمد كذلك من طريق ابن إسحاق مطولاً (٢٠/ ٣١٩ ـ ٣٢٠) وقال الهيثمي تعليقاً علىٰ هذه الرواية المطولة: رواه أحمد وقد صرّح ابن إسحاق بالسماع وبقية رجاله رجال الصحيح (المجمع ٦/ ١٦).

أما مختصراً فقد أخرجه البخاري في مواضع عدة منها:

كتاب مناقب الأنصار (٢٩) باب ما لقي النبيﷺ وأصحابه من المشركين بمكة (ح ٣٨٥٦): عن عروة بن الزبير قال: سألت ابن عمرو بن العاص: أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون بالنبيﷺ؟. قال: بينا النبيﷺ يصلي في حجر الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه في عنقه فخنقه خنقاً شديداً فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي ﷺ. قال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ الآية.

تابعه ابن إسحاق حدثني يحيىٰ بن عروة عن عروة قلت لعبد الله بن عمرو. وقال عبدة عن هشام عن أبيه: قيل لعمرو بن العاص. وقال محمد بن عمرو عن أبي سلمة حدثني عمرو بن العاص.

وعقب ابن حجر في الفتح على هذا الكلام. قوله (وقال عبدة عن هشام: أي ابن عروة عن أبيه: قيل لعمرو بن العاص) هكذا (والكلام لابن حجر) خالف هشام بن عروة أخاه يحيىٰ بن عروة في الصحابي. فقال يحيىٰ (عبد الله بن عمرو بن العاص). وقال هشام (عمرو بن العاص) ويرجّحُ رواية يحيىٰ موافقة محمد بن إبراهيم التيمي عن عروة علىٰ أن قول هشام غير مدفوع لأن له أصلاً من حديث عمرو بن العاص بدليل رواية أبي سلمة عن عمرو الآتية عقب هذا. فيحتمل أن يكون عروة سأله مرة وسأل أباه أخرىٰ ويؤيد اختلاف السياقين. وقد ذكرت=

٣٢ ـ حدّثنا يونس بن عبد الأعلى ، قال: حدّثنا بشر بن بكر ، قال: حدّثنا الأوزاعيّ ، قال: حدّثنا يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلَمة بن عبد الرحمن ، قال: قلتُ لعبد الله بن عمرو: حدّثني بأشدّ شيء رأيتَ المشركين صَنَعُوا برسول الله ﷺ . قال: أقبل عُقْبة بن أبي مُعَيْط ورسولُ الله ﷺ عند الكعبة ، فلوى ثوبه في عنُقه ، وخَنَقَه خنقاً شديداً ، فقام أبو بكر مِنْ خَلْفه ، فوضع يده على مَنكِبه ، فدفعه عن رسول الله ﷺ ، ثم قال أبو بكر: يا قوم: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾[(١)] (٢ : ٣٣٣) .

٣٣ ـ قال أبو جعفر: ولما استقرّ بالذين هاجروا إلى أرض الحبَشة القرارُ بأرض النّجاشيّ واطمأنّوا ، تآمرت قريشٌ فيما بينها في الكَيْد بمن ضَوَى إليها من المسلمين ، فوجّهوا عمرو بن العاص ، وعبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزوميّ إلى النّجاشيّ ، مع هدايا كثيرة أهدوْها إليه وإلى بطارقته ، وأمروهما

= أن عبد الله بن عروة رواه عن أبيه بإسناد آخر عن عثمان فلا مانع من التعدد. ا هـ. (الفتح ٧/ ١٦٩).

وعقب ابن حجر أيضاً علىٰ قول البخاري: (وقال محمد بن عمرو عن أبي سلمة: حدثني عمرو بن العاص). فقال في الموضع السابق (٧/ ١٦٩):

وصله البخاري في خلق أفعال العباد من طريقه وأخرجه أبو يعلىٰ وابن حبان عنه من وجه آخر عن محمد بن عمرو ولفظه: (ما رأيت قريشاً أرادوا قتل رسول الله ﷺ إلاّ يوماً أغروا به وهم في ظل الكعبة جلوس وهو يصلي . . . إلخ) مختصراً.

وكذلك أشار ابن حجر في الموضع السابق أي (٧/ ١٦٩) إلى رواية أخرىٰ مختصرة فقال:

وقد أخرج أبو يعلىٰ والبزار بإسناد صحيح عن أنس قال: لقد ضربوا رسول الله ﷺ مرة حتى أُغشيَ عليه فقام أبو بكر فجعل ينادي: أتقتلون رجلاً أن يقول ربيَ الله. فتركوه وأقبلوا علىٰ أبي بكر. وهذا من مراسيل الصحابة وقد أخرجه أبو يعلىٰ بإسناد حسن مطولاً من حديث أسماء بنت أبي بكر أنهم (قالوا لها: ما أشد ما رأيت المشركين بلغوا من رسول الله ﷺ ؟) فذكر نحو سياق ابن إسحاق المتقدم قريباً. ا هـ. وقال الأستاذ العمري بعد سرده لرواية عروة عن عبد الله بن عمرو بن العاص: وكان عمرو بن العاص والد عبد الله بن عمرو بن العاص شاهد عيان للحادثة والغالب أنه سمع الخبر منه. قلنا: ولعله نسي أن يشير إلىٰ ما قاله البخاري في الصحيح والحافظ في الفتح عن رواية أبيه عمرو بن العاص والله أعلم.

قلنا: وروايتا أبي يعلىٰ برقم (٦/ ٣٦٢) و(١/ ٥٢) فراجعهما هناك وانظر تعليق الأستاذ العمري علىٰ إسنادي أبي يعلىٰ في كتابه القيم (صحيح السيرة ١/ ١٥٢) والحاشية.

(١) حديث صحيح وقد سبق تخريجه في الذي قبله.

أن يسألا النجاشيّ تسليم من قِبَلَهُ وبأرضه من المسلمين إليهم. فشخَص عمرو وعبد الله إليه في ذلك ، فنفذا لما أرسلهما إليه قومُهما ، فلم يصلا إلى ما أمَّل قومهما من النجاشيّ ، فرجعا مقبوحَيْن[1] (٢ : ٣٣٥) .

---

(١) ذكر الطبري هذا الكلام بلا إسناد ومعناه صحيح كما تقدم في الهجرة ، وقد أخرج أحمد (٥/ ٢٩٠) عن أم سلمة ابنة أبي أمية بن المغيرة زوج النبي ﷺ قالت : «لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار ، النجاشي ، أمنا على ديننا وعبدنا الله وحده لا نؤذى ، ولا نسمع شيئاً نكرهه ، فلما بلغ ذلك قريشاً ، ائتمروا أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين جلدين ، وأن يهدوا النجاشي هدايا ما يستطرف من متاع مكة ، وكان أعجب ما يأتيه منها الأدم ، فجمعوا له أدماً كثيراً ولم يتركوا بطريقاً من بطارقته إلا أهدوا له هدية ، وبعثوا بذلك مع أبي عبد الله ابن أبي ربيعة المخزومي ، وعمرو بن العاص بن وائل السهمي ، وأمروهما أمرهم. وقالوا لهما : ادفعوا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلموا النجاشي فيهم ، ثم قدموا للنجاشي هداياه. ثم اسألوه أن يسلمهم إليكم قبل أن يكلمهم.

قالت : فخرجا فقدما علىٰ النجاشي ، ثم قالا لكل بطريق منهم : إنه قد ضوىٰ إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينكم ، وجاؤوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم. وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم ليردهم إليهم ، فإذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه أن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم ، فإن قومهم أعلم بهم عيباً. وأعلم بما عابوا عليهم.

فقالوا لهما : نعم ، ثم قربوا هداياهم إلى النجاشي ، فقبلها منهم ، ثم كلماه. فقالوا له : أيها الملك ، قد صبأ إلى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك ، وجاؤوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنت وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأبنائهم وعشائرهم لتردهم إليهم ، فهم أعلم بهم عيباً وأعلم بما عابوا عليهم ، وعايبوهم فيه.

ولم يكن أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع النجاشي كلامهم. فقالت بطارقته حوله : صدقوا أيها الملك قومهم أعلم بهم عيباً ، وأعلم بما عابوا عليهم ، فأسلمهم إليهم ، فليردوهم إلى بلادهم وقومهم.

فغضب النجاشي وقال : لا هيم الله إذ لا أسلمهم إليهما ولا أكاد. قوماً جاوروني ، ونزلوا بلادي ، واختاروني على من سواي ، حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان في أمرهم ، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما ، ورددتهم إلى قومهم ، وإن كانوا علىٰ غير ذلك منعتهم منهما ، وأحتسب جوارهم ما جاوروني. قالت : ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم ، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا فقالوا بعضهم لبعض : ما تقولون في الرجل إذا جئتموه؟ قالوا : نقول والله ما علمنا وما أمرنا به نبينا ﷺ كائن في ذلك ما هو كائن ، فلما جاؤوا وقد دعا النجاشي أساقفته ، فنشروا مصاحفهم حوله ، سألهم فقال : ما هذا الدين=

= الذي قد فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلوا في ديني ، ولا في دين أحد من هذه الأمم؟
قالت: وكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ، قال: أيها الملك ، كنا قوماً أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف ، فكنا علىٰ ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا ، نعرف نسبه وصدقه ، وأمانته وعفافه ، فدعانا إلىٰ الله ـ عز وجل ـ لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دون الله من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وشهادة الزور ، وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة ، وأمرنا أن نعبد الله لا نشرك به شيئاً وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة. ـ قالت: فعدد عليه أمور الإسلام ـ فصدقناه وآمنا به ، واتبعناه علىٰ ما جاء به ، فعبدنا الله وحده لا نشرك به شيئاً ، وحرمنا ما حرم علينا ، وأحللنا ما أحل لنا ، فعدا علينا قومنا ، فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله ـ عز وجل ـ ، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا ـ وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك علىٰ من سواك ، ورغبنا في جوارك ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك.
قال: فقال النجاشي: هل معك مما جاء به من عند الله من شيء؟
قالت: فقال له جعفر: نعم. قالت: فقال له النجاشي: فاقرأه ، فقرأ عليه صدراً من (كهيعص) قالت: فبكى النجاشي ، حتى أخضل لحيته ، وبكت أساقفته ، حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلي عليهم.
ثم قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به عيسىٰ ليخرج من مشكاة واحدة. انطلقا ، فوالله لا أسلمهم إليكم ، ولا أكاد.
قالت أم سلمة: فلما خرجا من عنده ، قال عمرو بن العاص: والله لآتينه غداً أعيبهم عنده بما أستأصل به خضراءهم.
فقال له عبد الله بن أبي ربيعة وكان أتقىٰ الرجلين فينا: لا تفعل ، فإن لهم أرحاماً وإن كانوا قد خالفونا.
قال: والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسىٰ ابن مريم عليه السلام عبد.
قالت: ثم غدا عليه ، فقال: أيها الملك ، إنهم يقولون في عيسىٰ ابن مريم قولاً عظيماً ، فأرسل إليهم فسلهم عما يقولون فيه.
قالت: فأرسل إليهم ليسألهم عنه. قالت: ولم ينزل بنا مثلها قطُّ ، واجتمع القوم ، فقال بعضهم لبعض: ماذا تقولون في عيسى ابن مريم إذا سألكم عنه؟ قالوا: نقول والله ما قال الله ، وما جاءنا به نبينا كائناً في ذلك ما هو كائن. قالت: فلما دخلوا عليه قال لهم: ماذا ما تقولون في عيسىٰ ابن مريم؟ فقال جعفر بن أبي طالب: نقول فيه الذي جاء به نبينا ﷺ ، =

٣٤ ـ وأسلم عمر بن الخطاب رحمه الله ، فلمّا أسلم وكان رجلاً جَلْداً جليداً منيعاً ، وكان قد أسلَم قبل ذلك حمزةُ بن عبد المطّلب ، ووجد أصحاب رسول الله ﷺ في أنفسهم قوّةً ، وجعل الإسلام يفشُو في القبائل ، وحَمَى النجاشيّ مَنْ ضَوَى إلى بلده منهم[1] (٢ : ٣٣٥) .

= هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول .
قال : فضرب النجاشي بيده إلى الأرض ، فأخذ منها عوداً ، ثم قال : ما عدا عيسىٰ ابن مريم ما قلت هذا العود ، فتناخرت بطارقته حوله حين قال ما قال .
فقال : وإن نخرتم والله ، اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي ـ والسيوم الآمنون ـ من سبكم غرم ، ثم من سبكم غرم ، ما أحب أن لي دبراً ذهباً وأني آذيت رجلاً (والدبر بلسان الحبشة : الجبل) ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لي بها ، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين ردّ عليّ ملكي ، فآخذ الرشوة ، وما أطاع الناس فيَّ فأطيعهم فيه .
فخرجا من عنده مقبوحين مردوداً عليهما ما جاءا به ، وأقمنا عنده في خير دار مع خير جار .
فوالله إنه لعلىٰ ذلك إذ نزل به من ينازعه في ملكه ، قالت : والله ما علمنا حزناً قط كان أشد من حزن حزناه عند ذلك ، تخوفاً أن يظهر ذلك على النجاشي ، فيأتي رجل لا يعرف من حقنا ما كان النجاشي يعرف .
قالت : وسار إليه النجاشي ، وبينهما عرض النيل ، قالت : فقال أصحاب رسول الله ﷺ من رجل يخرج حتى يحضر وقيعة القوم ثم يأتينا؟ فقال الزبير بن العوام : أنا . قالت : وكان من أحدث القوم سناً . قالت : وله قربة فجعلوها في صدره ، فسبح عليها حتىٰ خرج إلى ناحية النيل التي بها ملتقى القوم ثم انطلق حتى حضرهم .
قالت : ودعونا ـ الله عز وجل ـ للنجاشي بالظهور علىٰ عدوه ، والتمكين له في بلاده . قالت : فوالله ! إنا لعلى ذلك متوقعون لما هو كائن؛ إذ طلع الزبير وهو يسعى ، فلمع بثوبه؛ وهو يقول : ألا أبشروا؛ فقد ظفر النجاشي ، وأهلك الله عدوَّه ، ومكن له في بلاده . قالت : فوالله ! ما علمتنا فرحنا فرحة قط مثلها . قالت : ورجع النجاشي ، وقد أهلك الله عدوه ، ومكن له في بلاده . واستوسق عليه أمر الحبشة ، فكنا عنده في خير منزل حتى قدمنا على رسول الله ﷺ وهو بمكة» . وإسناد أحمد إسناد حسن وقال الهيثمي : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع (المجمع ٦/ ٢٧) .
وصححه العلامة شاكر (ح ١٧٤٠) والحديث أخرجه أيضاً أبو نعيم في الحلية (١/ ١١٥) .

(١) ذكر الطبري ما ذكر هنا بلا إسناد ، ومعناه صحيح؛ أي أن في إسلام عمر وحمزة قوة للمسلمين آنذاك وهما يومئذ من أشداء قريش .
وقد أخرج البخاري في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه : (ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر) الفتح (٧/ ٤١) . =

خبر الصحيفة ومقاطعة المسلمين
وحصارهم في شعب أبي طالب

٣٥ ـ اجتمعت قريش ، فائتمرت بينها : أن يكتبوا بينهم كتاباً يتعاقدون فيه ؛ على ألا ينكحوا إلى بني هاشم وبني المطلب ولا ينكحوهم ولا يبيعوهم شيئاً ، ولا يبتاعوا منهم ، فكتبوا بذلك صحيفة ، وتعاهدوا وتواثقوا على ذلك ، ثم علّقوا الصحيفة في جوف الكعبة ، توكيداً بذلك الأمر على أنفسهم ، فلمّا فعلت ذلك قريش ، انحازت بنو هاشم وبنو المطّلب إلى أبي طالب ، فدخلوا معه في شِعْبِهِ ، واجتمعوا إليه ، وخرج من بني هاشم أبو لهب عبد العُزّى بن عبد المطلب إلى قريش ، وظاهرَهم عليه ، فأقاموا على ذلك من أمرهم سنتيْن أو ثلاثاً ؛ حتى جهِدُوا ألاّ يصل إلى أحد منهم شيء إلا سرّاً مستخفياً به مَن أراد صلتهم من قريش . وذكر أن أبا جهل لقيَ حكيم بنَ حزام بن خُويلد بن أسد ، معه

= وأخرج ابن سعد (٣/ ٢٧٠) أخبرنا عبد الله بن نُمير ويعلىٰ ومحمّد ابنا عبيد قالوا : أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال : سمعت عبد الله بن مسعود يقول : ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر .

قال محمد بن عبيد في حديثه : لقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلي بالبيت حتى أسلم عمر فلما أسلم عمر قاتلهم حتى تركونا نصلي اهـ.

قلنا : وإسناد ابن سعد إسناد صحيح وقد ذكر زيادة عمّا رواه البخاري وهذه الزيادة من طريق محمد بن عبيد والزيادة تقبل من أمثالهم من الثقات .

وأخرج الطبراني في المعجم الكبير (٩/ ١٨١) عن عبد الله بن مسعود قوله : (إن إسلامه كان نصراً) وإسناده حسن . وعن عبد الله بن مسعود أنه قال : إن كان إسلام عمر لفتحاً وهجرته لنصراً وإمارته رحمة ، والله ما استطعنا أن نصلي بالبيت حتى أسلم عمر . فلما أسلم عمر قاتلهم حتى دعونا فصلينا . قال الهيثمي : رواه الطبراني وفي رواية : ما استطعنا أن نصلي عند الكعبة ظاهرين . ورجاله رجال الصحيح إلاّ أن القاسم لم يدرك جده ابن مسعود (مجمع الزوائد ٩/ ٦٣) .

وأخرج الطبراني في الأوسط (١/ ٣٣٤) في حديث طويل قصة وفاة عمر رضي الله عنه بعد طعنه وفيه أن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال له : أليس قد دعا رسول الله ﷺ أن يعز الله بك الدين والمسلمين إذ يخافون بمكة فلما أسلمت كان إسلامك عزاً وظهر بك الإسلام ورسول الله ﷺ وأصحابه ، وحسّن الهيثمي إسناده (مجمع الزوائد ٩/ ٧٦) .

غلام يحمل قمحاً يريد به عَمَّته خديجة بنت خويلد ، وهي عند رسول الله ﷺ ومعه في الشِّعب ، فتعلّق به ، وقال : أتذهب بالطّعام إلى بني هاشم! والله لا تبرحُ أنت وطعامك حتى أفضحك بمكّة! فجاء أبو البختريّ بن هشام بن الحارث بن أسد ، فقال: مالك وله! قال: يحمل الطعام إلى بني هاشم ، فقال له أبو البختريّ : طعامٌ لعمَّته عنده بَعَثَتْ إليه فيه ، أفتمنعه أن يأتيَها بطعامها! خلِّ سبيلَ الرّجل. فأبى أبو جهل حتى نال أحدُهما من صاحبه ، فأخذ أبو البَخْتريّ لَحْيَ بعير ، فضربه فشجّه ، ووطئه وطئاً شديداً ، وحمزة بن عبد المطلب قريبٌ يرى ذلك ، وهم يكرهون أن يبلُغ ذلك رسولَ الله ﷺ وأصحابه ، فيشمَتوا بهمْ ، ورسول الله ﷺ في كلّ ذلك يدعو قومَه سرّاً وجهراً ، آناء الليل وآناء النهار؛ والوحي عليه من الله متتابعٌ بأمره ونهيه ، ووعيد مَنْ ناصبه العداوة ، والحجج لرسول الله ﷺ عَلَى مَنْ خالفه(١) . (٢ : ٣٣٥/ ٣٣٦/ ٣٣٧) .

---

(١) لقد أورد أصحاب المغازي والسير تفاصيل كثيرة عن حصار المشركين لرسول الله ﷺ وأصحابه في شعب أبي طالب. كبعض التفاصيل التي ذكرها الطبري هنا بلا إسناد ولكن أصل التحالف ضد رسول الله ﷺ وأصحابه ثابتة في السنة وسنذكر طرفاً منها :
١ ـ أخرج البخاري في صحيحه كتاب الحج ـ باب نزول النبي مكة (ح ١٥٨٩). وفي مناقب الأنصار باب تقاسم المشركين علىٰ النبي ﷺ . (ح ٣٨٨٢).
عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال لنا رسول الله ﷺ ونحن بمنىٰ: (نحن نازلون غداً بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر). وذلك أن قريشاً وبني كنانة تحالفت علىٰ بني هاشم وبني المطلب أن لا ينكحوهم ولا يبايعوهم حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ . يعني بذلك المحصب. وأخرجه البخاري أيضاً من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما في كتاب الفرائض (ح ٦٧٦٤) وأخرجه مسلم في كتاب الفرائض (ح ١٦١٤) وغيرهما.
وبوّب له البخاري في كتاب مناقب الأنصار فقال: باب تقاسم المشركين علىٰ النبي ﷺ .
وقال ابن حجر في شرحه للباب: ولما لم يثبت عند البخاري شيء من هذه القصة اكتفىٰ بإيراد حديث أبي هريرة لأن فيه دلالة علىٰ أصل القصة لأن الذي أورده أهل المغازي في ذلك كالشرح لقوله في الحديث: (تقاسموا على الكفر) الفتح (٧/ ١٩٣).
وقال الحافظ ابن حجر: وقيل: كان ابتداء حصارهم في المحرم سنة سبع من المبعث.
قال ابن إسحاق: فأقاموا علىٰ ذلك سنتين أو ثلاثاً ، وجزم موسىٰ بن عقبة بأنها كانت ثلاث سنين حتىٰ جهدوا ولم يكن يأتيهم شيء من الأقوات إلاّ خفية حتى كانوا يؤذون من اطلعوا علىٰ أنه أرسل إلى بعض أقاربه شيئاً من الصِّلات إلىٰ أن قام في نقض الصحيفة نفر من =

أذى المشركين لرسول الله ﷺ

٣٦ ـ ولم يزل رسولُ الله ﷺ مقيماً مع قُريش بمكّة يدعوهم إلى الله سرّاً وجهراً ، صابراً على أذاهم وتكذيبهم إياه واستهزائهم به؛ حتى إن كان بعضهم ـ فيما ذكر ـ يطرح عليه رحِم الشّاة وهو يصلّي ، ويطرحها في بُرْمته إذا نُصبت له؛ حتى اتخذ رسول الله ﷺ منهم ـ فيما بلغني ـ حجراً يستتر به منهم إذا صلّى(١) .

وفاة خديجة وأبي طالب

٣٧ ـ وذلك فيما حدّثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق: قبل هجرته إلى المدينة بثلاث سنين ، فعظُمت المصيبة على رسولِ الله ﷺ بهلاكهما؛ وذلك أن قريشاً وصلُوا من أذاه بعد موت أبي طالب إلى ما لم يكونوا يصلُونَ إليه

= أشدهم في ذلك صنيعاً هشام بن عمرو بن الحارث العامري . . . إلخ .
وفي آخر الأمر أخرجوا الصحيفة فمزقوها وأبطلوا حكمها (الفتح ٧/ ١٩٢) .
أما تفاصيل القصة فقد رواها ابن إسحاق بلاغاً (سيرة ابن هشام ١/ ٤٣٠ ـ ٤٣٤) وأخرجه البيهقي مرسلاً عن الزهري وأبي الأسود (الدلائل ٢/ ٣١١ ـ ٣١٤) وقال الأستاذ العمري في صحيح السيرة (١/ ١٨١): وإذا لم تثبت تفاصيل دخول المسلمين شعب أبي طالب فإن أصل الحادث ثابت ، كما أن ذلك لا يعني عدم وقوع تفاصيل الحادث تأريخياً فإن عروة رائد مدرسة المغازي وهو يروي عن الصحابة في الغالب . ا هـ.

(١) ذكر الطبري بلاغاً (فقال: كان بعضهم ـ فيما ذكر ـ يطرح عليه رحم الشاة وهو يصلي) وقد ورد نحو هذا في الصحيح.
فقد أخرج البخاري في كتاب الصلاة/ باب المرأة تطرح عن المصلي شيئاً من الأذى ، وفي كتاب مناقب الأنصار/ باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين. عن عبد الله بن مسعود قال: (بينما رسول الله ﷺ يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس ، وقد نحرت جزور بالأمس ، فقال أبو جهل: أيكم يقوم إلىٰ جزور بني فلان فيأخذه ، فيظل في كتفي محمد إذا سجد ، فانبعث شقي القوم فأخذه ، فلما سجد النبي ﷺ وضعه بين كتفيه . . . إلىٰ آخر الحديث).
وانظر فتح الباري (١/ ٥٩٤) و(٧/ ١٦٥) وكذلك صحيح مسلم ، باب ما لقي النبي من أذى المشركين والمنافقين (١٧٤).

في حياته منه؛ حتى نَثَر بعضُهم على رأسه التراب(١).

(١) إسناده معضل ولكن جاء أن خديجة رضي الله عنها ماتت قبل الهجرة بثلاث سنين. فقد أخرج البخاري في صحيحه في مناقب الأنصار (ح ٣٨٩٦). من طريق هشام بن عروة عن أبيه قال: (توفيت خديجة قبل مخرج النبي ﷺ إلى المدينة بثلاث سنين فلبث سنتين أو قريباً من ذلك ونكح عائشة وهي بنت ست سنين وبنىٰ بها وهي بنت تسع سنين).
وانظر فتح الباري (٧/ ٢٢٣) وكذلك أخرج ابن سعد في طبقاته (٨/ ١٨) بسند فيه الواقدي وهو ضعيف عن عائشة قالت: توفيت خديجة قبل أن تفرض الصلاة وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين.
أما موت أبي طالب فقد ذكر الطبري عن ابن إسحاق أنه مات في السنة التي ماتت فيها خديجة رضي الله عنها أي في السنة العاشرة من البعثة (بثلاث سنين قبل الهجرة) وهذا ما ذكره ابن هشام في السيرة من قول ابن إسحاق بلاغاً (١/ ٦٦) وكذلك قال الذهبي في (تأريخ الإسلام/ السيرة النبوية/ ٢٣٦): وذكر الواقدي أنهم خرجوا من الشعب قبل الهجرة بثلاث سنين وأنهما توفيا في ذلك العام. وتوفيت خديجة قبل أبي طالب بخمسة وثلاثين يوماً.
وذكر أبو عبد الله الحاكم أن موتها كان بعد موت أبي طالب بثلاثة أيام وكذا قال غيره. اهـ.
وقال ابن حجر في الفتح (٧/ ١٩٤): وقد ذكرنا أنه (أي أبا طالب) مات بعد خروجهم من الشعب وذلك في آخر السنة العاشرة من المبعث وكان يذب عن النبي ﷺ ويرد عنه كل من يؤذيه وهو مقيم مع ذلك على دين قومه. اهـ. وانظر أنساب الأشراف (١/ ٤٠٦).

خروج النبي ﷺ إلىٰ الطائف

ذكرنا الحديث (٥٢) في قسم الضعيف، ولكن أصل الخروج إلىٰ الطائف صحيح. فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه (٣/ ١٤٢٠) عن عائشة رضي الله عنها أنها سألت رسول الله ﷺ: هل أتىٰ عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ فقال ﷺ: «لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي علىٰ ابن عبد يا ليل بن عبد كلال فلم يجبني إلىٰ ما أردت. فانطلقت وأنا مهموم علىٰ وجهي فلم أستفق إلاّ بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا بها جبريل فناداني فقال: إن الله عز وجل قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، قال: فناداني ملك الجبال وسلّم عليّ، ثم قال: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين. فقال له رسول الله ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً).
والمراد من قوله عليه الصلاة والسلام: العقبة: أي الطائف كما قال الزرقاني. لا عقبة منىٰ (انظر شرح المواهب ١/ ٢٩٨).

استماع الجن لتلاوة رسول الله ﷺ وإسلامهم

٣٨ ـ ثم إنّ رسولَ الله ﷺ انصرف من الطّائف راجعاً إلى مكّة حين يئس من خبرِ ثقيف ، حتى إذا كان بنخلة ، قام من جوفْ الليل يصلّي ، فمرّ به نفرٌ من الجنّ الذين ذكر الله عزّ وجلّ.

قال محمدّ بن إسحاق: وهم ـ فيما ذكر لي ـ سبعة نفر من جنّ أهل نَصيبين اليمن ، فاستَمعوا له ، فلما فرغ من صلاته ولّوْا إلى قومهم مُنْذرين ، قد آمنوا وأجابوا إلى ما سمعوا ، فقصّ الله عزَّ وجلَّ خَبَرهم عليه: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ إلى قوله: ﴿وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾(١). وقال: ﴿قُلْ أُوحِىَ

(١) ذكر ابن إسحاق هذا الأثر بلاغاً وسنذكر له شواهد عدة تؤكد صحة ورود الجن واستماعهم إلى رسول الله ﷺ وهو يقرأ القرآن.
١ ـ فقد أخرج أبو نعيم في (الدلائل/ ٣٠٤) والبيهقي في الدلائل (٢/ ٢٢٨) والحاكم (٢/ ٤٥٦) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: هبطوا علىٰ النبي ﷺ وهو يقرأ القرآن ببطن نخلة فلما سمعوه قالوا: أنصتوا قالوا: صه. وكانوا سبعة أحدهم زوبعة فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ . . .﴾ الآية إلى ﴿ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ واللفظ للبيهقي ، والبيهقي أورده بلفظ سبعة موافقاً لما عند الطبري (بلاغاً). وكذلك أخرجه الطبري مسنداً في تفسيره للآية في سورة الأحقاف (٢٦/ ٣٠) عن ابن عباس: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ قال: كانوا سبعة نفر من أهل نصيبين فجعلهم رسول الله ﷺ رسلاً إلىٰ قومهم ـ وقد ذكر ابن كثير رواية الطبري هذه قائلاً ، وقد روىٰ عن ابن عباس غير ما ذكر عنه أولاً من وجه جبير فقال ابن جرير: [حدثنا أبو كريب حدثنا عبد الحميد الحماني ، حدثنا النضر بن عربي عن عكرمة عن ابن عباس في قوله. . . ثم ذكر الحديث].
واعتبر البيهقي هذه الرواية حكاية عن قصة سماع الجن لتلاوة رسول الله ﷺ في المرة الأولى. أما:
٢ ـ القصة الأخرى كما يسميها الحافظ البيهقي في الدلائل (٢/ ٢٢٩) فمن طريق الشعبي عن علقمة قال: قلت لعبد الله بن مسعود هل صحب رسول الله ﷺ ليلة الجن منكم أحد؟ فقال ما صحبه منا أحد. ولكنا فقدناه ذات ليلة بمكة فقلنا: اغتيل ، استطير ، ما فعل؟ قال: فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فلما كان في وجه الصبح أو قال في السحر إذ نحن به يجيء من قِبَلِ حراء ، فقلنا: يا رسول الله ، فذكروا الذي كانوا فيه فقال: ـ إنه أتاني داعي الجن فأتيتهم فقرأت عليهم ، قال: فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم. والحديث أخرجه مسلم في =

﴿إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ. . .﴾ إلى آخر القصّة من خبرهم في هذه السورة.

رسول الله ﷺ يعرض نفسه على القبائل في المواسم ويعرّفهم بدعوة الحق

٣٩ ـ وكان رسولُ الله ﷺ يعرضُ نفسَه في المواسم ـ إذا كانت ـ على قبائل العرب، يدعوهم إلى الله [وإلى نصرته] ويخبرهم أنه نبيّ مرسل، ويسألهم أن يصدِّقوه ويمنعوه حتى يبين عن الله ما بعثه به. حدّثنا ابن حُمَيد، قال: حدّثنا سلَمة، قال: حدّثني محمّد بن إسحاق، قال: حدّثني حسين بن عبيد الله بن عبد الله بن عباس، قال: سمعت ربيعة بن عبّاد يُحَدّثُ أبي، قال: إنيّ لَغلامٌ شابٌّ مع أبي بمنىً، ورسول الله ﷺ يقف على منازل القبائل من العرب، فيقول: يا بني

= الصلاة باب الجهر بالقراءة في الصحيح (ح ١٥٠) وأحمد (١/ ٤٣٦) والترمذي في التفسير (ح ٣٢٥٨) عن علقمة به. أما أبو نعيم (٣٠٤) والحاكم (٢/ ٤٥٦) فقد أخرجاه بلفظ (وكانوا تسعة).

٣ ـ وأخرج البخاري في صحيحه كتاب الأذان باب الجهر بقراءة صلاة الفجر (٧٧٣) عن عبد الله بن عباس قال: (انطلق النبي ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأُرسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا: مالكم؟ قالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأُرسلت علينا الشهب! قالوا: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء. فانصرف أولئك الذين توجّهوا نحو تهامة إلىٰ النبي ﷺ وهو بنخلة عامدين إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء فهنالك حين رجعوا إلى قومهم وقالوا: (يا قومنا إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً).
فأنزل الله على نبيه ﷺ ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَيَّ﴾ وإنما: أوحي إليه قول الجن. وكذلك أخرجه البخاري في كتاب التفسير (٧٢) سورة ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَيَّ﴾ (ح ٤٩٢١) عن ابن عباس أيضاً.
وأخرجه مسلم في صحيحه عن ابن عباس (١/ ٣٣١).

وروايات استماع الجن إلى رسول الله ﷺ ولقائهم به كثيرة جمعها الحافظ ابن كثير في تفسير سورة الأحقاف وحاول الجمع بينها، وبيان ما قاله أئمة الحديث والتفسير في ذلك ومنهم البيهقي رحمه الله تعالىٰ. ولقد وفّق الشوكاني بين هذه الروايات قائلاً في تفسيره لآية الجن في سورة الأحقاف: والجمع بين الروايات بالحمل على قصتين وقعت منه ﷺ مع الجن حضر إحداهما ابن مسعود ولم يحضر الأخرىٰ. ا هـ.

فلان ، إنّي رسولُ الله إليكم؛ يأمرُكم أنْ تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وأنْ تخلعوا ما تَعْبدون من دونه من هذه الأنداد ، وأن تؤمنوا بي وتصدّقوني وتمنعوني؛ حتى أبين عن الله ما بعثني به.

قال: وخلْفه رجلٌ أحْوَل وضيء ، له غديرتان ، عليه حُلّة عَدنيّة ، فإذا فَرَغ رسول الله ﷺ من قوله ، وما دعا إليه ، قال الرجل: يا بنِي فلان ، إنّ هذا إنما يدعوكم إلى أن تسلَخُوا اللات والعُزّى من أعناقكم ، وحلفاءكم من الجنّ من بني مالك بن أقيش ، إلى ما جاء به من البدْعة والضلالة ، فلا تطيعوه ولا تسمعوا له.

قال: فقلت لأبي: يا أبتِ مَن هذا الرجل الذي يتّبعه؛ يردّ عليه ما يقول؟ قال: هذا عمّه عبد العُزّى أبو لهب بن عبد المطّلب(١).

---

(١) إسناده ضعيف وهو حديث صحيح وسنذكر له بعض المتابعات:
١ ـ أخرج أحمد في المسند (٣/ ٤٩٣) من طريق محمد بن المنكدر عن ربيعة بن عباد قال: رأيت النبي ﷺ بذي المجاز يدعو الناس وخلفه رجل أحول يقول: لا يصدنكم هذا عن دين آلهتكم. قلت: من هذا؟ قالوا: هذا عمه أبو لهب. وإسناده حسن.
وفي رواية أخرى لأحمد (٣/ ٤٩٣) عن أبي الزناد عن ربيعة الديلمي وكان جاهلياً أسلم فقال: رأيت رسول الله ﷺ بصر عيني بسوق ذي المجاز يقول: يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا. ويدخل في فجاجها والناس متقصفون عليه فما رأيت أحداً يقول شيئاً وهو لا يسكت يقول: أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا. إلاّ أن وراءه رجل أحول وضيء الوجه ذا غديرتين يقول: إنه صابىء كاذب. فقلت: من هذا؟ قالوا: محمد بن عبد الله وهو يذكر النبوة ، قلت: من هذا الذي يكذبه؟ قالوا: عمه أبو لهب ـ قلت: إنك كنت يومئذ صغيراً قال: لا والله إني يومئذ لأعقل.
وفي الرواية التي بعد هذه الرواية (٣/ ٤٩٣) أنه سمع ربيعة بن عباد الديلمي يقول: رأيت رسول الله ﷺ يطوف على الناس في منازلهم قبل أن يهاجر إلى المدينة يقول: أيها الناس إن الله عز وجل يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، ووراءه رجل يقول: هذا يأمركم أن تدعوا دين آبائكم ، فسألت: من هذا الرجل؟ فقيل: أبو لهب.
وفي الرواية التالية لهذه (٣/ ٤٩٢) قال الآخر من خلفه: يا بني فلان هذا يريد منكم أن تسلخوا اللات والعزى وحلفاءكم من الجن من بني مالك بن أقيش إلى ما جاء به من البدعة والضلالة فلا تسمعوا له ولا تتبعوه. فقلت لأبي: من هذا؟ قال: عمه أبو لهب اهـ.
والحديث أخرجه الحاكم (١/ ١٥) من طريق محمد بن المنكدر سمع ربيعة بن عباد الدؤلي يقول: رأيت رسول الله ﷺ بمنى في منازلهم قبل أن يهاجر إلى المدينة يقول: يا أيها الناس إن الله يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا. قال: ووراءه رجل يقول: يا أيها الناس إن هذا=

بدء اتصال النبي ﷺ بأهل المدينة
وإسلام إياس بن معاذ

٤٠ ـ حدّثنا ابنُ حُمَيد ، قال: حدّثنا سلمَة ، عن محمد بن إسحاق ، قال: حدّثني الحُصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن مُعاذ؛ أخو بنِي عبد الأشهل، عن محمود بن لَبِيد؛ أخي بني الأشهل ، قال: لمّا قدم أبو الحَيْسَر أنسُ ابن رافع مكّة ، ومعه فتيةٌ من بني عبد الأشهل ، فيهم إياس بن مُعاذ؛ يلتمسون الحلْف من قُرَيْش على قومهم من الخزْرج ، سمع بهم رسول الله ﷺ ، فأتاهم فجلس إليهم ، فقال لهم: هل لكم إلى خيرٍ مما جئتم له؟ قالوا: وما ذاك؟ قال: أنا رسول الله ، بعثني إلى العبّاد ، أدعوهم إلى الله أن يعبدوا الله ، ولا يشركوا به شيئاً ، وأنزل عليّ الكتابَ. ثم ذكر لهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن. فقال إياس ابن مُعاذ ـ وكان غلاماً حَدَثَـاً: أيْ قوم؛ هذا والله خيرٌ مما جئتم له. قال: فيأخذ أبو الحَيْسَر أنس بن رافع حَفْـنَـةً من البطْحَاء ، فضربَ بها وجه إياس بن معاذ ، وقال: دَعنا منك ، فلَعمرِي لقد جئنا لغير هذا. قال: فصمت إياس ، وقام رسول الله ﷺ عنهم وانصرفوا إلى المدينة، فكانت وقعة بُعَاث بين الأوس والخزرج.

قال: ثم لم يلبث إياس بن مُعاذ أن هلك. قال محمود بن لَبِيد: فأخبرني مَنْ حضره من قومي عند موته أنهم لم يزالوا يسمعونه يُهلّل الله ويكبّرُه ، ويحمده ويسبّحه ، حتى مات ، فما كانوا يشكُّون أنه قد مات مسلماً ، لقد كان استشعر

= يأمركم أن تتركوا دين آبائكم. فسألت: من هذا الرجل؟ قيل: أبو لهب ـ وقال الحاكم: هذا حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين ورواته عن آخرهم ثقات أثبات.

قلنا: وفي إسناده سعيد بن سلمة وهو ليس من شرط البخاري: قال المزي (استشهد به البخاري وروىٰ له مسلم حديثاً واحداً والنسائي آخر) تهذيب الكمال (١٠/ ٤٧٨/ ت ٢٢٨٨) وقال الحافظ: صدوق صحيح الكتاب يخطئ من حفظه. التقريب (١/ ٢٩٧/ ت ١٨٤).

وكذلك أخرجه الحاكم من طريق آخر (١/ ١٥) من طريق ابن أبي الزناد عن أبيه عن ربيعة رضي الله عنه.

وأخرجه الطبراني في الكبير (٥/ ٦١/ ح ٤٥٨٢ ، ٤٥٨٣ ، ٤٥٨٤). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٢٥): رواه أحمد وابنه والطبراني في الكبير بنحوه والأوسط باختصار أسانيد. وأحد أسانيد عبد الله بن أحمد ثقات الرجال. ا هـ.

الإسـلام فـي ذلـك المجلـس حيـن سمـع مـن رسـول الله ﷺ مـا سمـع[١]. (٢ : ٣٥٢/ ٣٥٣) .

بيعة العقبة الأولىٰ

٤١ ـ حدّثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سلمة ، قال: حدّثني محمّد بن إسحاق ، قال: حدّثني يزيد بن أبي حبيب ، عن مَرْثد بن عبد الله اليَزَنيّ ، عن أبي عبد الرحمن بن عُسيلة الصُّنابحيّ ، عن عُبادة بن الصّامت قال: كنت فيمَنْ حضَر العقَبَة الأولىٰ؛ وكُنّا اثني عشر رجلاً ، فبايعْنا رسول الله ﷺ على بَيْعة النساء؛ وذلك قبل أن تُفْتَرَضَ الحرب؛ على ألاّ نشرك بالله شيئاً ، ولا نسرِق ولا نزنِيَ ، ولا نقتلَ أولادنا ، ولا نأتِيَ ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيَه في معروف؛ فإنْ وَفيتُمْ فلكم الجنّة ، وإن غشيتم شيئاً من ذلك فأخذتم بحدّه في الدنيا؛ فهو كفارة له ، وإن سترتم عليه إلى يوم القيامة؛ فأمركم إلى الله؛ إن شاء عذّبكم ، وإن شاء غفر لكم[٢]. (٢ : ٣٥٦) .

---

(١) إسناده ضعيف وهو حديث حسن ـ أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٤٢٠) بسند حسن من طريق ابن إسحاق وأحمد في المسند (٢/ ٢٦٦ ـ الفتح الرباني) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٣٦) : رواه أحمد والطبراني ورجاله ثقات .
وأخرجه ابن هشام في السيرة (٢/ ٨٠) من طريق ابن إسحاق وقد صرّح بالتحديث .
قلنا: وحديث ابن إسحاق حسن إذا صرح بالتحديث وهو هنا كذلك .
فالحديث حسن والله أعلم .
وقال ابن حجر في ترجمة إياس بن معاذ بعد أن ذكر هذا الحديث: رواه جماعة عن ابن إسحاق هكذا وهو من صحيح حديثه لكن رواه زياد البكائي عن ابن إسحاق عن محمد بن عبد الرحمن بن عمرو ـ بدل الحصين ـ والأول أرجح أشار إلى ذلك البخاري في تأريخه (الإصابة ١/ ٣١٣ ـ ٣١٤ ـ ت ٣٨٧) . وأما وقعة بعاث التي ورد ذكرها في هذه الرواية فقد بيّنتها رواية أخرىٰ أخرجها البخاري في صحيحه (باب مناقب الأنصار/ ح ٣٧٧٧) . والبيهقي في الدلائل (٢/ ٤٢١) عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان يوم بعاث يوماً قدّمه الله تعالىٰ لرسوله فقدم رسول الله ﷺ المدينة وقد افترق ملؤهم وقُتِلت سَرواتهم وجُرحوا فقدَّمه الله لرسوله في دخولهم في الإسلام) . واللفظ للبيهقي . ا هـ .

(٢) إسناده ضعيف وهو حديث صحيح كما سيأتي في تخريج الحديث التالي . وفي إسناد الطبري هنا عن أبي عبد الرحمن بن عسيلة ، والصواب عبد الرحمن ولعله تصحيف والله أعلم .

قصة إسلام سعد بن معاذ

٤٢ ـ حدّثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سلمة عن محمّد بن إسحاق ، قال: وحدّثني عبيد الله بن المغيرة بن مُعَيْقِيب ، وعبد الله بن أبي بكر بن محمّد بن عمرو بن حزم ، أنّ أسعدَ بن زرارة خرج بمُصْعَب بن عمير؛ يريد به دارَ بني عبْد الأشهل ، ودار بني ظَفَر؛ وكان سعد بن مُعاذ بن النّعمان بن امرىء القيس ، ابن خالة أسعد بن زرارة ، فدخل به حائطاً من حوائط بنى ظَفَر ، على بئر يقال لها بئر مَرْق؛ فجلسا في الحائط ، واجتمع إليهما رجالٌ ممّن أسلم ، وسعد بن معاذ وأسيدْ بن حُضَير يومئذ سيّدا قومهما من بني عبد الأشْهل؛ وكلاهما مُشرِك على دين قومه ، فلمّا سمعا به ، قال سعد بن مُعاذ لأسَيْد بن حُضَير: لا أبا لك! انطلق إلى هذين الرجلين اللذيْن قد أتيا دارنا ليسفّها ضعفاءنا ، فازجرهما وانههما أن يأتيَا دارنا ، فإنه لولا أنّ أسعد بن زرارة منّا حيث قد علمت ، كفيتُك ذلك؛ هو ابن خالتي ، ولا أجد عليه مقدَماً ، فأخذ أسَيْد بن حُضير حَرْبَتَه. ثم أقبل إليهما؛ فلما رآه أسْعَد بن زُرارة قال لمُصْعَب: هذا سيّد قومه قد جاءك ، فاصدق الله فيه. قال مُصعب: إنْ يجلسْ أكلّمه ، قال: فوقف عليهما مُتَشَتِّماً ، فقال: ما جاء بكما إلينا ، تسفّهان ضعفاءنا! اعتزلانا إن كانت لكما في أنفسكما حاجة. فقال له مُصعب: أوَ تجلسُ فتسمع ، فإن رضيتَ أمراً قبلته ، وإن كرهته كُفّ عنك ما تكره؟ قال: أنصفت؛ ثم ركز حربته وجلس إليهما ، فكلّمه مُصعَب بالإسلام ، وقرأ عليه القرآن ، فقالا فيما يذكر عنهما: والله لَعرفْنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلّم ، في إشراقه وتسهّله. ثم قال: ما أحسنَ هذا وأجمله! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدّين؟ قالا له: تغتسل ، فتطهّر ثوبيك ، ثم تشهد شهادة الحقّ ، ثم تصلّي ركعتين.

قال: فقام فاغتسلَ ، وطهّر ثوبيْه ، وشهد شهادة الحقّ ، ثم قام فركع ركعتين ، ثم قال لهما: إنّ ورائي رجلاً؛ إن اتّبعكما لم يتخلّف عنه أحدٌ من قومه؛ وسأرسله إليكما الآن؛ سعد بن معاذ ، ثم أخذ حربتَه ، وانصرف إلى سعد وقومه؛ وهم جلُوس في ناديهم؛ فلمّا نظر إليه سعد بن مُعاذ مقبلاً ، قال: أحلفُ بالله ، لقد جاءكم أسَيْد بن حُضَير بغيْر الوجه الذي ذهب به من عندكم؛ فلمّا وقف

على النّادي ، قال له سعد: ما فعلت؟ قال: كلّمت الرجلَيْن ، فوالله ما رأيت بهما بأساً ، وقد نهيتهما فقالا: نفعل ما أحببت ، وقد حُدّثت أن بني حارثة ، قد خرجوا إلى أسْعَد بن زُرارة ليقتلوه؛ وذلك أنهم عرفوا أنه ابنُ خالتك ليُخْفِروك ، قال: فقام سعد مُغضباً مبادراً تخوّفاً للذي ذكر له من بني حارثة. فأخذ الحرْبةَ من يده ، ثم قال: والله ما أراك أغنيْت شيئاً؛ ثم خرج إليهما؛ فلمَا رآهما سعد مطمئنّين ، عرف أنّ أسَيْداً إنما أراد أن يسمَع منهما ، فوقف عليهما متشتّماً ، ثم قال لأسعد بن زرارة: يا أبا أمامة ، لولا ما بيني وبينَك من القرابة ما رمْتَ هذا منّي. تغشانا في دارنا بما نكره! وقد قال أسعد لمُصعب: أي مُصعب! جاءك والله سيِّد مَن وراءه منْ قومه ، إن يتبعك لم يخالف عليك منهم اثنان ، فقال له مصعب: أوَ تقعد فتسمع ، فإن رضيتَ أمراً ورغبت فيه قبلتَه ، وإنْ كرهتَه عزلنا عنك ما تكره؟ قال سعد: أنصفت؛ ثم ركز الحربة ، فجلس فعرَض عليه الإسلام ، وقرأ عليه القرآن. قالا: فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلّم به؛ في إشراقه وتسهّله.

ثم قال لهما: كيف تصنعون إذا أنتُمْ أسلمتم ودخلتم في هذا الدّين؟ قالا: تغتسِل فتطهّر ثوبيك ، ثم تشهد شهادة الحقّ ، ثم تصلّي ركعتين. قال: فقام فاغتسل وطهّر ثوبيه ، وشهِد شهادة الحقّ ، وركع ركعتينْ ، ثم أخذ حربته فأقبل عامِداً إلى نادي قومه ، ومعه أسَيد بن حُضير؛ فلمّا رآه قومه مقبلاً: قالوا: نحلف بالله لقد رجع سَعْد إليكم بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم؛ فلمّا وقف عليهم ، قال: يا بني عبد الأشهل؛ كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيّدنا وأفضلنا رأياً ، وأيمنُنا نقيبةً ، قال: فإنّ كلامَ رجالِكم ونسائكم عليّ حرامٌ حتى تؤمنوا بالله ورسوله. قال: فوالله ما أمسى في دار عَبْدِ الأشهل رجلٌ ولا امرأة إلا مسلماً أو مسلمة.

ورجع أسعد ومصعب إلى منزل أسعد بن زرارة ، فأقام عنده يدعُو النّاس إلى الإسلام حتى لم تبقَ دار من دُور الأنصار إلاّ وفيها رجال ونساء مسلمون إلاّ ما كان من دار بني أميّة بن زيد وخَطْمَة ووائل وواقف؛ وتلك أوس الله؛ وهم من أوْس بن حارثة؛ وذلك أنه كان فيهم أبو قيْس بن الأسْلَت؛ وهو صَيْفي ، وكان شاعراً لهم ، وقائداً يسمعون منه ، ويطيعونه ، فوقف بهم عن الإسلام ، فلم يزل على

ذلك حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة؛ ومضى بَدْر وأحُد والخندق.

قال: ثم إنَّ مُصعب بن عُمير، رجع إلى مكّة وخرج من خرج من الأنصار من المسلمين إلى الموْسِم مع حُجَّاج قومهم من أهلِ الشرك؛ حتى قدموا مكّة؛ فواعدوا رسول الله ﷺ العقَبة من أوسط أيام التّشريق حين أراد الله بهم ما أراد من كرامتِهِ، والنّصر لنبيه ﷺ وإعزاز الإسلام وأهله، وإذلال الشرْك وأهله[1]. (٢: ٣٥٧/ ٣٥٨/ ٣٥٩/ ٣٦٠).

٤٢/أ ـ حدّثنا ابنُ حُمَيد، قال: حدّثنا سلمَة، عن ابن إسحاق؛ أنّ ابن شهاب ذكر عن عائذ الله بن عبد الله أبي إدريس الخولاني، عن عُبادة بن

---

(١) إسناده ضعيف وقد أخرجه ابن هشام من طريق ابن إسحاق عن عبيد الله بن المغيرة وعبد الله ابن أبي بكر مرسلاً وأخرجه البيهقي من طريق موسىٰ بن عقبة عن الزهري مرسلاً (٢/ ٤٣٠) مع اختلاف في بعض الألفاظ من طريق عروة وقال الهيثمي في مجمع الزوائد بعد سرده هذه القصة: رواه الطبراني مرسلاً وفيه ابن لهيعة وفيه ضعف وهو حسن الحديث وبقية رجاله ثقات (مجمع الزوائد ٦/ ٤٢) وأخرج ابن سعد كذلك قصة إسلام سعد بن معاذ من طريق الواقدي وهو متروك (الطبقات ٣/ ٤٢٠). ولكن باختصار.

أي أن ابن هشام رواه مرسلاً من حديث عبد الله بن المغيرة وعبد الله بن أبي بكر وأخرجه البيهقي من حديث الزهري كذلك مرسلاً أي أن مخارج هذين المرسلين مختلف، أضف إلى ذلك رواية الطبراني المرسلة عن عروة.

ولو اتبعنا مذهب الشافعي وشروطه في قبول المرسل لرأينا أنها تنطبق علىٰ ما نحن بصدده ونفي قصة إسلام سعد بن معاذ. فمن شروطه رحمه الله: (أن يروى مرسلاً بمعناه عن راوٍ آخر لم يأخذ عن شيوخ الأول فيدل ذلك علىٰ تعدد مخرج الحديث).

ومن شروطه كذلك أن يكون قد قال به أكثر أهل العلم، ومعلوم أن أئمة السير والمغازي كابن هشام والطبري وابن سعد من المتقدمين وابن كثير والذهبي من المتأخرين قد أخرجوا هذه الرواية وأشاروا إلىٰ ما فيها.

نقول: لو أخذنا بالشروط الآنفة الذكر لكان الحديث حسناً إن شاء الله تعالىٰ. علماً بأننا قد أخذنا بهذه الشروط لأنها روايات في السيرة وليست في الحلال والحرام، وليس فيها نكارة أو غرابة والله أعلم.

وللمزيد في المعرفة عن اختلاف العلماء في العمل بالمراسيل راجع ما كتبه الحافظ العلائي في جامع التحصيل وما جاء في شرح علل الترمذي لابن رجب وكذلك ما جاء في كتاب منهج النقد في علوم الحديث للأستاذ نور الدين عتر ص٣٧٣.

الصامت ، عن النبيّ ﷺ مثله[١] . (٢ : ٣٥٦/ ٣٥٧) .

مصعب بن عمير: داعية الإسلام في المدينة وقارئها يمهد الطريقَ لهجرة رسول الله ﷺ

٤٣ ـ حدّثنا ابن حُميد ، قال: حدّثنا سَلمة ، عن ابن إسحاق ، قال: فلمّا انصرف عنه القومُ بعث معهم رسول الله ﷺ مُصعب بن عمير بنِ هاشم بن عبد مناف بن عبد الدّار بن قُصَيّ ، وأمره أن يقرئهم القرآن ، ويعلِّمهم الإسلام ، ويفقّههم في الدّين؛ فكان يسمّى مُصعب بالمدينة: المقرىء ، وكان مَنْزِلُه على أسعد بن زرارة بن عُدس أبي أمامة[٢] . (٢ : ٣٥٧) .

---

(١) إسناده ضعيف وهو صحيح فقد أخرج حديث عبادة بن الصامت هذا في بيعة العقبة الأولىٰ: البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم ـ أما البخاري فقد أخرجه في مواضع عدة منها في باب وفود الأنصار وبيعة العقبة (٣/ح ٣٨٩٣) وكذلك في كتاب التفسير ـ تفسير سورة الممتحنة وغير ذلك من المواضع .
وأخرجه مسلم في صحيحه باب الحدود كفارات لأهلها (٣/ح ١٧٠٩) وأحمد في مسنده (٥/ ٣٢٣) ولفظ البخاري في إحدىٰ رواياته: أن رسول الله ﷺ قال وحوله عصابة من أصحابه: تعالوا بايعوني علىٰ أن لا تشركوا بالله شيئاً ، ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، ولا تعصوني في معروف. فمن وفىٰ منكم فأجره علىٰ الله ، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به في الدنيا فهو كفارة ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله فأمره إلىٰ الله إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه. فبايعناه على ذلك. (الفتح ٧/ ٢١٩/ح ٣٨٩٢/ باب ٤٣).

(٢) إسناده ضعيف ولكن معناه في إرسال مصعب بن عمير وهجرته في أوائل من هاجروا إلى المدينة وقيامه بعمل تعليم الناس وإقرائهم القرآن وتفقيههم في دين الله ثابت في السنة كما سنذكر روايات البخاري في ذلك من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه وذلك بعد أن نذكر الطرق المرسلة لإرسال مصعب بن عمير إلىٰ المدينة من قبل رسول الله ﷺ وقول العلماء في ذلك :
قلنا :
١ ـ إسناد الطبري إلىٰ ابن إسحاق ضعيف وقد أرسله ابن إسحاق .
٢ ـ وكذلك أخرجه ابن هشام في السيرة النبوية (٢/ ٨٦) عن ابن إسحاق مرسلاً فقال: فحدثني عاصم بن عمير بن قتادة: أنه (أي مصعب) كان يصلي بهم ، وذلك أن الأوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمّه بعض. =

= ٣ ـ وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٤٣٧) عن ابن إسحاق مرسلاً. فقال: (ثم انصرفوا وبعث رسول الله ﷺ معهم مصعب بن عمير، قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول الله ﷺ إنما بعثه بعدهم وإنما كتبوا له أن الإسلام قد فشا فينا فابعث إلينا رجلاً من أصحابك يقرئنا القرآن ويفقهنا في الإسلام ويقيمنا لسنته وشرائعه ويؤمنا في صلاتنا فبعث مصعب بن عمير. . . إلخ).

٤ ـ وأخرج البيهقي في الدلائل (٢/ ٤٣٨) عن يزيد بن أبي حبيب قال: لما انصرف عن رسول الله ﷺ القوم بعث رسول الله ﷺ معهم مصعب بن عمير. وإسناده مرسل كما ترىٰ. فيزيد أرسل عن الصحابة كما في علل الدارقطني (٤/ ٩٨).

وقال ابن كثير: وقد روىٰ البيهقي عن ابن إسحاق قال: فحدثني عاصم عن عمر بن قتادة أن رسول الله ﷺ إنما بعث مصعباً حين كتبوا إليه أن يبعثه إليهم وهو الذي ذكره موسىٰ بن عقبة كما تقدم، إلاّ أنه جعل المرة الثانية هي الأولىٰ. قال البيهقي: وسياق ابن إسحاق أتم (البداية والنهاية ٣/ ١٤٩).

وقال الشيخ الفاضل إبراهيم العلي في السيرة الصحيحة (ص ١٠٥/ الحاشية رقم ٣) معلقاً على رواية ابن إسحاق السابقة الذكر عن عاصم بن عمر بن قتادة (ابن كثير ٢/ ١٨٠) ونسبه إلىٰ البيهقي وسنده حسن ورجاله ثقات. ا هـ.

قلنا: أما رجاله فثقات كما قال ولكن سنده مرسل ولعله قصد أن سنده إلى عاصم حسن وإلا فهو مرسل.

٥ ـ وفي حديث عروة الطويل الذي سيأتي ذكره والذي أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٤٠) وفي آخره: ورجع مصعب بن عمير إلى رسول الله ﷺ وكان يدعىٰ المقرىء.

قال الهيثمي: رواه الطبراني مرسلاً وفيه ابن لهيعة وفيه ضعف وهو حسن الحديث وبقية رجاله ثقات.

قلنا: فهذه روايات مرسلة كلها ولكنها تعتضد بما أخرجه البخاري في المسألة كما يلي:

٦ ـ أخرج في صحيحه ـ كتاب مناقب الأنصار ـ ٤٦ ـ باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة (ح ٣٩٢٤) ـ عن البراء رضي الله عنه قال: (أول من قدم علينا مصعب بن عمير وابن أمّ مكتوم، ثم قدم علينا عمار بن ياسر وبلال رضي الله عنهم).

٧ ـ وأخرج في الباب نفسه/ ح ٣٩٢٥ ـ عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: (أول من قدم علينا مصعب بن عمير وابن أمّ مكتوم وكانوا يقرئون الناس. . . الحديث) وقد شرح ابن حجر هذه المسألة شرحاً وافياً في فتح الباري (٧/ ٢٦١) وناقش قول موسىٰ بن عقبة بأن أول من قدم المدينة مطلقاً أبو سلمة بن عبد الأسد، وجمع ابن حجر بين القولين قائلاً: فيجمع بين ذلك وبين ما وقع هنا بأن أبا سلمة خرج لا لقصد الإقامة بالمدينة بل فراراً من المشركين. بخلاف مصعب بن عمير فإنه خرج إليها للإقامة بها وتعليم من أسلم من أهلها بأمر النبي ﷺ

بيعة العقبة الثانية

٤٤ ـ فحدّثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سَلمة ، عن محمّد بن إسحاق ، قال: حدّثني مَعْبَد بن كعب بن مالك بن أبي كعب بن القيْن ، أخو بني سَلمة ، أنّ أخاه عبد الله بن كَعْب ـ وكان من أعلم الأنصار ـ حدّثه أنّ أباه كعب بن مالك حدّثه ـ وكان كعب ممّن شهد العقبَة ، وبايع رسول الله ﷺ بها ـ قال: خرجنا في حُجّاج قومنا ، وقد صلّينا وفقهنا ، ومعنا البَراءُ بن مَعْرُور ، سيّدُنا وكبيرنا. فلمّا وُجّهنا لسفرنا ، وخرجنا من المدينة ، قال البرَاء لنا: والله يا هؤلاء ، إنيّ قد رأيتُ رأياً ، والله ما أدري أتُوافقونني عليه أم لا! قال: فقلنا: وما ذاك؟ قال: قد رأيتُ ألاّ أدعَ هذه البنيَّة منّي بظهر ـ يعني الكعبة ـ وأنْ أصلِّيَ إليها. قال: فقلنا: والله ما بلغنا عن نبيّنا أنه يصلي إلاّ إلى الشام ، وما نريدُ أن نخالفه. قال: فقال: إنّي لمُصلٍّ إليها ، قال: فقلنا له: لكنّا لا نفعل ، قال: فكنّا إذا حضرت الصّلاة صلّينا إلى الشام ، وصلى إلى الكعبة حتى قدمنا مكة.

قال: وقد عِبْنا عليه ما صنَع ، وأبَى إلاّ الإقامة على ذلك؛ فلما قدِمْنَا مكّة قال لي: يا بنَ أخي ، انطلِقْ بنا إلى رسول الله ﷺ ؛ حتى أسأله عمّا صنعتُ في سفري هذا ، فإنّي والله لقدْ وقعَ في نفسي منه شيء؛ لما رأيت من خِلافكم إيّاي فيه.

قال: فخرجْنا نسأل عن رسول الله ﷺ ـ وكنّا لا نعرفه ، ولم نرَهُ قبل ذلك ـ فلقينا رجُلاً من أهلِ مكّة ، فسألناه عن رسول الله ﷺ ، فقال: هل تعرفانه؟ قلنا: لا ، قال: فهل تعرفان العبّاس بن عبد المطّلب عمّه؟ قلنا: نعم ـ قال: وقد كنا نعرف العبّاس ، كان لا يزال يقدمُ علينا تاجراً ـ قال: فإذا دخلتما المسجد فهو الرّجل الجالس مع العباس بن عبد المطلب ، قال: فدخلنا المسجد؛ فإذا العبّاس جالس ورسول الله ﷺ جالس مع العبّاس؛ فسلّمنا؛ ثم جلسنا إليه ، فقال

= فَلِكُلّ أولية من جهة. اهـ.

٨ ـ وأخرج البخاري في صحيحه ـ كتاب التفسير ـ ٨٧ ـ سورة (سبح اسم ربك الأعلى) عن البراء رضي الله عنه قال: (أول من قدم علينا من أصحاب النبي ﷺ مصعب بن عمير وابن أمّ مكتوم فجعلا يقرئاننا القرآن ، ثم جاء عمار وبلال وسعد ، ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين ، ثم جاء النبي ﷺ . . . . الحديث).

رسول الله ﷺ للعبّاس: هل تعرفُ هذيْن الرّجُلين يا أبا الفضل؟ قال: نعم؛ هذا البَرَاء بن معرور سيّد قومه؛ وهذا كعب بن مالك ـ قال: فوالله ما أنسى قولَ رسول الله ﷺ: الشاعر؟ قال: نعم ـ قال: فقال له البَراء بن معرور: يا نبيّ الله؛ إني خرَجتُ في سفري هذا؛ وقد هداني الله للإسلام، فرأيت ألاّ أجعل هذه البنيّة منّي بظهر، فصلّيت إليها؛ وقد خالفني أصحابي في ذلك؛ حتى وقع في نفسي من ذلك شيء؛ فماذا ترى يا رسول الله؟ قال: قد كنتَ على قِبْلَةٍ لو صبرت عليها! فرجع البَراء إلى قِبْلة رسول الله ﷺ؛ وصلّى معنا إلى الشام، قال: وأهلُه يزعمون أنه صلّى إلى الكعبة حتى مات؛ وليس ذلك كما قالوا؛ نحن أعلم به منهم.

قال: ثم خرجْنا إلى الحجّ، وواعَدنا رسول الله ﷺ العقَبة من أوسط أيام التّشريق.

قال: فلما فرغنا من الحجِّ؛ وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله ﷺ لها؛ ومعنا عبد الله بن عمرو بن حَرَام، أبو جابر. أخبرناه، وكنّا نكتُم مَنْ معنا من المشركين من قومنا أمرَنا؛ فكلّمناه، وقلنا له: يا أبا جابر؛ إنّك سيّد من سادتنا، وشريفٌ من أشرافنا، وإنّا نرغبُ بك عمّا أنت فيه أن تكون حطباً للنار غداً. ثم دعَوْنَاه إلى الإسلام؛ وأخبرناه بميعاد رسول الله ﷺ إيّانا العقَبة.

قال: فأسلم، وشهد معنا العقَبة ـ وكان نقيباً ـ فبتْنا تلك اللّيلة مع قومنا في رِحالنا حتى إذا مضى ثُلث الليل، خرجْنا من رِحَالنا لميعاد رسول الله ﷺ، نتسلل مستخفين تسلُّل القَطا؛ حتى اجتمعنا في الشِّعب عند العقَبة؛ ونحن سبعون رجلاً، ومعهم امرأتان من نسائهم: نُسيبة بنت كعب أمّ عُمارة إحدى نساء بني مازن بن النّجار، وأسماء بنت عمرو بن عديّ، إحدى نساء بني سَلمة؛ وهي أمّ منيع؛ فاجتمعنَا بالشِّعب ننتظر رسول الله ﷺ؛ حتى جاءنا ومعه عَمُّه العبّاس بن عبد المطّلب وهو يومئذ على دين قومه؛ إلاّ أنه أحبّ أن يحضُرَ أمرَ ابن أخيه، ويتوثّق له؛ فلمّا جلس كان أوّل مَنْ تكلم العباس بن عبد المطلب، فقال: يا معشرَ الخزرج ـ وكانت العربُ إنما يسمُّون هذا الحيّ من الأنصار: الخزرج؛ خزرجها وأوسها ـ إن محمداً منّا حيث قد علمتم؛ وقد منعناه من قومنا ممّن هو على مثل رأينا؛ وهو في عزّ من قومه ومنَعَة في بلده؛ وإنه قد أبى إلاّ الانقطاعَ إليكم واللّحُوق بكم؛ فإن كنتم ترَوْن أنّكم وافون له بما دعوتموه إليه؛ ومانعوه

ممّن خالفه؛ فأنتم وما تحمّلتم من ذلك؛ وإن كنتم تروْن أنّكم مُسلموهُ وخاذلوه بعد الخروج إليكم؛ فمن الآن فدَعُوه، فإنّه في عزّ ومَنَعةٍ من قومه وبلده.

قال: فقلنا له: قد سمعنا ما قلت؛ فتكلّم يا رسولَ الله؛ وخذ لنفسك وربّك ما أحبَبتَ.

قال: فتكلّم رسول الله ﷺ فتلا القرآن، ودعا إلى الله، ورغّب في الإسلام، ثمّ قال: أبايعُكم عَلىَ أن تمنعوني ممّا تمنعون منه نساءكم وأبناءكم.

قال: فأخذ البَراء بن معرور بيده، ثم قال: والذي بعثَك بالحقّ لنمنعنّك مما نمنَع منه أزُرَنا، فبايعْنا يا رسولَ الله، فنحن والله أهل الحرب وأهل الحلْقة؛ ورثناها كابراً عن كابر.

قال: فاعترض القول - والبراء يكلّم رسول الله ﷺ - أبو الهيثم بن التَّيِّهان، حليف بني عبد الأشهل، فقال: يا رسول الله؛ إنّ بيننا وبين النّاس حِبالاً وإنّا قاطعوها - يعني اليهود - فهل عَسيتَ إن نحنُ فعلْنا ذلك، ثم أظهرَك الله، أن ترجعَ إلى قومك، وتَدَعَنا! قال: فتبسّم رسول الله ﷺ، ثم قال: بل الدَّم الدَّم، الهدْم الهدْم! أنتم منّي وأنا منكم؛ أحارب مَنْ حاربتم وأسالم من سالمتم.

وقد قال رسول الله ﷺ: أخرجوا إليّ منكم اثنَيْ عشر نقيباً؛ يكونون على قومهم بما فيهم. فأخرجوا اثني عشر نقيباً؛ تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس[1]. (٢: ٣٦٠/ ٣٦١/ ٣٦٢/ ٣٦٣).

---

(١) إسناده ضعيف وهو حديث حسن فقد أخرجه ابن هشام في السيرة (٢/ ٩٤ - ٩٥ - ٩٦ - ٩٧) من طريق ابن إسحاق قال: حدثني معبد بن كعب بن مالك بن أبي كعب أن أخاه عبد الله بن كعب - وكان من أعلم الأنصار - حدثه أن أباه كعباً حدثه، وكان كعب ممن شهد العقبة، وبايع رسول الله ﷺ بها. قال: خرجنا في حجاج قومنا المشركين وقد صلينا... إلى قوله وأهله يزعمون أنه صلىٰ إلى الكعبة حتى مات وليس ذلك كما قالوا، ونحن أعلم به منهم - وهذا إسناد حسن فقد صرح ابن هشام هنا بالتحديث. ثم أخرج ابن هشام بقية رواية الطبري من الطريق نفسه. فقال: قال ابن إسحاق: حدثني معبد بن كعب أن أخاه عبد الله بن كعب حدّثه أن أباه كعب بن مالك حدثه، قال كعب: ثم خرجنا إلى الحج وواعدنا رسول الله ﷺ العقبة من أوسط أيام التشريق... الحديث إلى قوله: قال كعب بن مالك: (وقد كان قال=

٤٥ ـ حدّثنا ابنُ حُميد، قال: حدّثنا سلمة، قال: حدّثنا محمّد بن إسحاق، قال: وحدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة، أنّ القومَ لمّا اجتمعوا لبيعةِ رسول الله ﷺ، قال العباس بن عبادة بن نَضْلة الأنصاريّ، ثم أخو بني سالم بن عوف: يا معشرَ الخزرج، هلْ تدرون عَلَامَ تبايعون هذا الرجل؟ قالوا: نعم، قال: إنّكم تبايعونه على حرْب الأحمر والأسود من الناس؛ فإن كنتم تروْن أنكم إذا نُهكت أموالكم مصيبة؛ وأشرافُكم قتلاً أسلمتموه؛ فمن الآن فهو والله خِزْيُ الدّنيا والآخرة إن فعلتم، وإن كنتم تروْن أنكم وافون له بما دعوتموه إليه، على نهْكة الأموال، وقتْل الأشراف فخذوه، فهو والله خيرُ الدّنيا والآخرة. قالوا: فإنّا نأخذه على مصيبة الأموال، وقتل الأشراف؛ فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفينا؟ قال: الجنّة، قالوا: ابسُط يدَك، فبسطَ يده فبايعوه.

وأما عاصم بن عمر بن قَتادة، فقال: والله ما قال العبّاس ذلك إلاّ ليشدَّ العَقْدَ

= رسول الله ﷺ: أخرجوا إليّ منكم اثني عشر نقيباً ليكونوا علىٰ قومهم بما فيهم. فأخرجوا منهم اثني عشر نقيباً، تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس) وقد صرّح ابن إسحاق بالتحديث هنا فإسناده حسن.

وقد ذكر ابن هشام جملتين ليستا من كلام الصحابي كعب رضي الله عنه وهما: بيت لعوف بن أيوب الأنصاري وكذا عبارة أخرى هي قول ابن هشام: (وهو يشرح معنى كلمة الهدم) فقال: ويقال: الهدم الهدم أي ذمتي ذمتكم وحرمتي حرمتكم وقد فصل ابن هشام بين هاتين العبارتين وبين قول الصحابي مالك.

وقد ذكر الهيثمي هذه الرواية، وقال: فهذا حديث ابن مالك عن العقبة وما حضر منها رواه أحمد والطبراني بنحوه ورجال أحمد رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرّح بالسماع (المجمع ٦/ ٤٥).

والحديث أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٤٦٠ ـ ٤٦١ ـ ٤٦٢) بإسناد قد صرّح فيه ابن إسحاق بالتحديث فهو إسناد حسن وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٦٢٤ ـ ٦٢٥) مختصراً من حديث جابر بن عبد الله الأنصاري وقال: هذا حديث صحيح الإسناد جامع لبيعة العقبة ولم يخرجاه.

وقال الذهبي: صحيح. وأخرجه البيهقي في سننه (٩/ ٩) وغيرهم. وانظر الفصول في سيرة الرسول لابن كثير (١١١/ ١١٢).

وانظر تأريخ الإسلام للذهبي قسم السيرة النبوية ـ العقبة الثانية الصفحات (٢٩٧ ـ ٢٩٨ ـ ٢٩٩).

لرسول الله ﷺ في أعناقهم. وأما عبدُ الله بن أبي بكر ، فقال: والله ما قال العبّاس ذلك إلاّ ليؤخّر القوم تلك الليلة رجاء أن يحضرها عبد الله بن أبيّ ابن سَلُول ، فيكون أقوى لأمر القوم. والله أعلم أيّ ذلك كان؛ فبنو النّجار يزعمون أن أبا أمامة أسعد بن زرارة كان أوّل مَنْ ضرب على يديه ، وبنو عبد الأشهل يقولون: بل أبو الهيثم بن التّيّهان[1]. (٢: ٣٦٣/ ٣٦٤).

٤٦ ـ قال ابن حُميد ، قال: سلمة ، قال محمّد: وأما معبَد بن كعب بن مالك فحدّثني ـ قال أبو جعفر: وحدّثني سعيد بن يحيى بن سعيد ـ قال: حدّثني أبي ، قال: حدّثنا محمّد بن إسحاق ، عن معبد بن كعب ، قال: فحدّثني في حديثه عن أخيه عبد الله بن كعْب عن أبيه كعب بن مالك ، قال: كان أوّل مَنْ ضرب على يد رسول الله ﷺ البرَاء بن معرور ، ثم تتَابع القوم؛ فلمّا بايعنا رسول الله ﷺ صرخ الشّيطان من رأس العَقبة بأنفذ صوت سمعته قطّ: يا أهلَ الجباجب هل لكم في

(١) إسناده ضعيف ولكن له شاهد من حديث جابر بن عبد الله عند أحمد في مسنده (٣/ ٣٣٩ ـ ٣٤٠) وفيه: فقلنا: يا رسول الله علام نبايعك؟ قال: تبايعوني علىٰ السمع والطاعة في النشاط والكسل وعلىٰ النفقة في العسر واليسر وعلىٰ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعلىٰ أن تقولوا في الله لا تأخذكم فيه لومة لائم وعلىٰ أن تنصروني إذا قدمت يثرب فتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة ، فقمنا نبايعه فأخذ بيده أسعد بن زرارة وهو أصغر السبعين فقال: رويداً يا أهل يثرب إنا لم نضرب إليه أكباد المطي إلاّ ونحن نعلم أنه رسول الله إن إخراجه اليوم مفارقة العرب كافة وقتل خياركم وأن تعضكم السيوف فأما أنتم قوم تصبرون علىٰ السيوف إذا مستكم وعلىٰ قتل خياركم وعلىٰ مفارقة العرب كافة فخذوه أجركم على الله عز وجل ، وأما أنتم قوم تخافون من أنفسكم ضيقة فذروه فهو أعذر عند الله ، قالوا: يا أسعد بن زرارة أمط عنا يدك فوالله لا نذر هذه البيعة ولا نستقيلها ، فقمنا إليه رجلاً رجلاً يأخذ علينا بشرطه العباس ويعطينا علىٰ ذلك الجنة.
وأخرجه أحمد كذلك في موضع آخر (٣/ ٣٢٢ ـ ٣٢٣) وقال الهيثمي:
رواه أحمد والبزار ، ورجال أحمد رجال الصحيح ـ (المجمع ٦/ ٤٦) والحديث أخرجه الحاكم كذلك في المستدرك (٢/ ٦٢٤ ـ ٦٢٥) وصححه ووافقه الذهبي ، وصححه ابن كثير علىٰ شرط مسلم (السيرة النبوية ٢/ ١٩٦).
وحسّنه ابن حجر في الفتح (٧/ ٢٢٢) وقال ابن كثير: هذا إسناد جيد علىٰ شرط مسلم (السيرة ٢/ ١٩٦) والحديث أخرجه كذلك ابن حبان (١٦٨٦) وغيرهم والله أعلم.
وأما العباس بن عبادة بن نضلة الأنصاري الذي ورد ذكره في رواية الطبري فسيأتي ذكره في الرواية التالية للطبري.

مُذمّم والصُّباءِ معه ، قد اجتمعوا على حربكم! فقال رسول الله ﷺ : ما يقول عدو الله؟ هذا أَزَبّ العقبة ، هذا ابن أزْيب؛ اسمع عدوّ الله؛ أما والله لأفرُغَنَّ لك. ثمّ قال رسول الله ﷺ : ارفضّوا إلى رحالكم. فقال له العبّاس بن عبادة بن نضلة: والّذي بعثَك بالحقّ لئن شئت لنميلنّ غداً على أهل مِنىً بأسيافنا ، فقال رسول الله ﷺ : لم نُؤمَر بذلك؛ ولكن ارجعوا إلى رحالكم ، قال: فرَجعنا إلى مضاجعنا ، فنِمْنا عليها؛ حتى أصبحنا؛ فلمّا أصبحنا غدَتْ علينا جلّةُ قريش حتى جاؤونا في منازلنا ، فقالوا: يا معشرَ الخزرج؛ إنّا قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا ، وتبايعونه على حربنا؛ وإنّه والله ما من حيّ من العرب أبغض إلينا أن تنشَبَ الحرب بيننا وبينهم منكم؛ قال: فانبعث من هناك من مشركي قومنا يحلفون لهم بالله: ما كان من هذا شيء وما علمناه.

قال: وصدقوا لم يعلموا. قال: وبعضنا ينظرُ إلى بعض؛ وقام القوم وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة المخزوميّ ، وعليه نعلان جديدان.

قال: فقلت كلمة كأنّي أريد أن أشرِك القوم بها فيما قالوا: يا أبا جابر؛ أما تستطيع أن تتّخذ وأنت سيّد من ساداتنا مثل نعلي هذا الفتى من قريش؟ قال: فسمعها الحارث ، فخلعهما من رجليْه؛ ثم رمى بهما إليّ ، وقال: والله لتنعلنَّهما. قال: يقول أبو جابر: مَهْ أحفظت والله الفتى! فارْدُدْ عليه نعليه ، قال: قلت: والله لا أردّهما؛ فأل والله صالح؛ والله لئن صدق الفأل لأسلُبنّه.

فهذا حديث كعب بن مالك عن العَقبة وما حضر منها[1] . (٢: ٣٦٤/ ٣٦٥) .

٤٧ ـ وقد حدّثنا ابن حُميد ـ قال: حدّثنا سلمَة ، قال: حدَثني محمد بن إسحاق ، قال: حدّثني عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت ، عن أبيه الوليد ، عن عبادة بن الصامت ـ وكان أحد النقباء ـ قال: بايعْنا رسول الله ﷺ على بيعة

---

(١) حديث حسن وإسناده مركب فهو من طريقين إلىٰ ابن إسحاق ، أما الأولىٰ فضعيف لأنه من طريق ابن حميد الرازي ، وأما الثانية فمن طريق سعيد بن يحيىٰ بن سعيد عن أبيه (وهما من رجال الصحيح) عن ابن إسحاق به ـ والحديث أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٤٦٢) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٤٥): رواه أحمد والطبراني بنحوه ورجال أحمد رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرّح بالسماع. ا هـ.
وراجع ما ذكرناه في تخريج الحديث (٤٣) فلا داعي للإعادة والإطالة.

الحرب؛ وكان عُبادة من الاثني عشر الّذين بايعوا في العقَبة الأولى[1] . (٢ : ٣٦٨) .

الهجرة إلىٰ المدينة

٤٨ ـ فحدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثني محمّد بن إسحاق ، قال : حدّثني عبد الله بن أبي نَجيح ، عن مجاهد بن جَبْر أبي الحجاج ، عن ابن عبّاس ، قال : وحدّثني الكلبيّ ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس والحسن ابن عُمارة ، عن الحكم بن عُتَيبة ، عن مقسَم ، عن ابن عبّاس قال : لمّا اجتمعوا لذلك واتّعدُوا أن يدخلوا دار الندوة ، ويتشاوروا فيها في أمر رسول الله ﷺ غَدَوْا

---

(١) إسناده ضعيف وهو صحيح لغيره ، والحديث من شطرين : الأول ـ الكلام عن بيعة الحرب (أي بيعة العقبة الثانية) وأن عبادة بن الصامت كان ممن حضر تلك البيعة ، والشطر الثاني هو الكلام عن بيعة العقبة الأولىٰ وكون عبادة ممن حضرها ـ قلنا : أما الشطر الأول فقد أخرجه البيهقي بأطول مما عند الطبري كما في الدلائل (٣/ ٤٥٢) من طريق يونس عن ابن إسحاق. قال : حدثني عبادة بن الوليد عن عبادة بن الصامت عن أبيه عن جده عبادة بن الصامت قال : (بايعنا رسول الله ﷺ بيعة الحرب علىٰ السمع والطاعة في يسرنا وعسرنا ومنشطنا ومكرهنا وأثرة علينا . . . الحديث) .

وأخرجه البيهقي من طريق آخر عن عبادة (الدلائل ٢/ ٤٥١) ولفظه : أنّا بايعنا رسول الله ﷺ علىٰ السمع والطاعة في النشاط والكسل والنفقة في العسر واليسر وعلىٰ الأمر بالمعروف . . . الحديث . وفيه : (وعلىٰ أن ننصر رسول الله ﷺ إذا قدم علينا يثرب . بما نمنع منه أنفسنا وأزواجنا وأبناءنا ولنا الجنة فهذه بيعة رسول الله ﷺ بايعناه عليها) .

وقد أخرج ابن كثير هذه الرواية في السيرة وقال : وهذا إسناد جيد ولم يخرجوه (البداية والنهاية ٣/ ١٦١) .

وأما الشطر الثاني من رواية الطبري (وكان عبادة من الاثني عشر الذين بايعوا في العقبة الأولىٰ) فقد أخرج البخاري في صحيحه ـ ٦٣ ـ كتاب مناقب الأنصار (٤٣) باب وفود الأنصار إلى النبي ﷺ بمكة وبيعة العقبة/ ح ٣٨٩٣ ـ عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال : (إني من النقباء الذين بايعوا رسول الله ﷺ وقال : بايعناه على أن لا نشرك بالله شيئاً ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل النفس التي حرّم الله إلاّ بالحق ولا ننهب ولا نقضي بالجنة إن فعلنا ذلك ، فإن غشينا في ذلك شيئاً كان قضاء ذلك إلى الله .

وأخرجه البخاري في مواضع أخرىٰ وكذلك مسلم وأحمد ذكرناها بالتفصيل في تخريج الأثر (٤١) عند الحديث عن بيعة العقبة الأولىٰ فراجعها هناك .

في اليوم الذي اتّعدوا له: وكان ذلك اليوم يسمى الزَّحْمَة؛ فاعترضَهُم إبليس في هيئة شيخ جليل، عليه بتٌّ له، فوقف على باب الدار، فلما رأوْه واقفاً على بابها، قالوا: مَن الشيخُ؟ قال: شيخٌ من أهل نَجْد، سمع بالذي اتّعدتم له، فحضر معكم ليسْمَعَ ما تقولون، وعسى ألاّ يعدمكُم منه رأي ونُصحٌ، قالوا: أجَلْ، فادخُلْ، فدخل معهم، وقد اجتمع فيها أشراف قريش كلّهم، من كلّ قبيلة؛ من بني عبد شمس شَيْبة وعُتْبة ابنا ربيعة وأبو سفيان بن حرب، ومن بني نَوْفل بن عبد مناف طُعَيْمَة بن عديّ وجبير بن مُطْعِم والحارث بن عامر بن نوفل، ومن بني عبد الدار بن قُصَيّ النَّضر بن الحارث بن كلَدَة، ومن بني أسَد بن عبد العُزّى أبو البختريّ بن هشام وزَمعة بن الأسود بن المطلب، وحكيم بن حِزام، ومن بني مخزوم أبو جهل بن هِشام، ومن بني سهم نُبيه ومُنبِّه ابنا الحجاج، ومن بني جُمَح أميّة بن خلَف؛ ومَنْ كان معهم وغيرهم ممن لا يُعدُّ من قريش.

فقال بعضُهم لبعض: إنّ هذا الرجلَ قد كان أمْره ما قد كان وما قد رأيتم؛ وإنّا والله ما نأمنه على الوثوب علينا بمَنْ قد اتّبعه من غيرنا، فأجمعوا فيه رأياً؛ قال: فتشاوروا. ثم قال قائلٌ منهم: احبسُوه في الحديد، وأغلقوا عليه باباً، ثمّ تربّصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين قبله: زُهَيْراً، والنّابغة ومَنْ مضى منهم؛ من هذا الموت حتى يصيبَه منه ما أصابهم.

قال: فقال الشيخُ النجديّ: لا والله، ما هذا لكم برأي؛ والله لو حبستموُه - كما تقولون - لخرج أمرهُ من وراء الباب الذي أغلقتمُوه دونَه إلى أصحابه؛ فلأوشكوا أن يثبُوا عليكم فينتزعوه من أيديكم، ثم يكاثروكم حتى يغلبوكم على أمركم هذا؛ ما هذا لكم برأي فانظروا في غيره.

ثم تشاوروا، فقال قائل منهم: نخرجه من بين أظهرنا فنَنفيه من بلدنا؛ فإذا خرج عنّا فوالله ما نبالي أين ذهبَ، ولا حيث وقع، إذا غاب عنا وفرغنا منه. فأصلحنا أمرَنا، وألفتنا كما كانت.

قال الشيخ النجدي: والله ما هذا لكم برأي؛ ألم ترَوْا حسنَ حديثه، وحلاوة منطقه، وغَلبته على قلوب الرجال بما يأتي به! والله لو فعلتُم ذلك ما أمنتُ أن يحلّ على حيّ من العرب، فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه

عليه ، ثم يسير بهم إليكم حتى يطأكم بهم ، فيأخذ أمركم من أيديكم ثم يفعل بكم ما أراد. أديروا فيه رأياً غير هذا!

قال: فقال أبو جهل بن هشام: والله إنّ لي فيه لرأياً ما أراكم وقعتم عليه بعدُ! قالوا: وما هو يا أبا الحكَم؟ قال: أرى أن تأخذوا من كلّ قبيلة فتىً شابّاً جلْداً ، نسيباً وسيطاً فينا ، ثم نعطي كلّ فتىً منهم سيفاً صارماً ثم يعمدُون إليه ، ثم يضربونه بها ضرْبة رجل واحد فيقتلونه فنستريح؛ فإنّهم إذا فعلوا ذلك تفرّق دمه في القبائل كلّها؛ فلم يقدر بنُو عبد مناف على حَرْب قومهم جميعاً ، ورضُوا منَّا بالعقل فعقلناه لهم.

قال: فقال الشيخ النجديّ: القول ما قال الرجُل ، هذا الرأي لا رأْيَ لكم غيره.

فتفرّق القوم على ذلك وهم مجمعون له ، فأتى جبريل رسول الله ﷺ ، فقال: لا تبتْ هذه الليلة على فراشك الذي كنتَ تبيت عليه!

قال: فلمّا كان العَتمةُ من اللّيل ، اجتمعوا على بابه فترصّدوه متى ينام ، فيثبون عليه. فلمّا رأى رسول الله ﷺ مكانهم ، قال لعلي بن أبي طالب: نمْ على فراشي ، واتّشحْ ببرْدي الحضرميّ الأخضر؛ فنمْ فإنه لا يخلُص إليك شيء تكرهه منهم. وكان رسول الله ﷺ ينام في بُرده ذلك إذا نام[1].

---

(١) هذا إسناد مركب من طريقين: أحدهما من طريق ابن حميد إلىٰ ابن عباس وهو ضعيف لضعف ابن حميد وإن كان ابن إسحاق قد صرّح بالتحديث هنا.
أما الطريق الثاني فهو من طريق الكلبي وهو ضعيف. والحديث أخرجه ابن هشام في السيرة النبوية (٢/ ١٣٦) ولكنه ضعيف لإبهامه اسم شيخه في هذه الرواية. وأخرجه ابن سعد روايات عدة كلها من طريق الواقدي وهو متروك (الطبقات ١/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨) وقد ذكر ابن كثير هذه القصة بطولها وأشار إلى روايات الواقدي قائلاً:
وهذه القصة التي رواها ابن إسحاق قد رواها الواقدي بأسانيده عن عائشة وابن عباس وعلي وسراقة بن مالك بن جعشم وغيرهم دخل حديث بعضهم في بعض فذكر نحو ما تقدم (البداية والنهاية ٣/ ١٧٤) ولقد أخرجه البيهقي في الدلائل من طرق:
الأول (٢/ ٤٦٦): من طريق موسىٰ بن عقبة عن الزهري مرسلاً مختصراً دون ذكر اجتماعهم بدار الندوة وتفاصيل ذلك.
الثاني (٢/ ٤٦٧): من طريق يونس بن بكير عن ابن إسحاق معلقاً ولكن بشيء من التفصيل=

= ذكر فيه اجتماعهم بدار الندوة واعتراض الشيطان في صورة رجل وادعائه بأنه نجدي . . . إلخ .
الثالث (٢/ ٤٦٨): من طريق سعيد بن يحيىٰ بن سعيد عن أبيه عن ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس. ولم يصرح فيه ابن إسحاق بالتحديث.
الرابع (٢/ ٤٩٦): من طريق الكلبي عن زاذان عن عبد الله بن عباس مختصراً.
أما الذهبي فقد ذكر القصة في السيرة النبوية ثم أشار إلى طرقه التي ذكرناها سابقاً عن البيهقي فقال الذهبي:
رواه سعيد بن يحيىٰ بن سعيد الأموي عن أبيه ثنا ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس (ح) قال ابن إسحاق: وحدثني الكلبي عن باذام مولىٰ أم هانىء عن ابن عباس فذكر معنى الحديث. وأخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة (٦٣) من طريق الفضل بن غانم عن سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق به. وهذا إسناد ضعيف لضعف الفضل بن غانم والله أعلم.
وأخرج ١/ ٣٤٨ ـ ثنا عبد الرزاق ثنا معمر قال: وأخبرني عثمان الجزري أن مقسماً مولىٰ ابن عباس أخبره عن ابن عباس في قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ ﴾ قال: تشاورت قريش ليلة بمكة فقال بعضهم: إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق يريدون النبي ﷺ وقال بعضهم: بل اقتلوه وقال بعضهم: بل أخرجوه فأطلع الله عز وجل نبيه على ذلك فبات عليٌّ علىٰ فراش النبي ﷺ تلك الليلة وخرج النبي ﷺ حتى لحق بالغار وبات المشركون يحرسون علياً يحسبونه النبي ﷺ فلما أصبحوا ثاروا إليه فلما رأوا علياً رد الله مكرهم فقالوا: أين صاحبك هذا؟ قال: لا أدري ، فاقتصوا أثره فلما بلغوا الجبل خلط عليهم فصعدوا في الجبل فمروا بالغار فرأوا علىٰ بابه نسج العنكبوت فقالوا: لو دخل هاهنا لم يكن نسج العنكبوت علىٰ بابه فمكث فيه ثلاث ليال ـ وفي إسناده كما ترىٰ عثمان بن عمرو الجزري. قال الحافظ في التقريب: فيه ضعف. قلنا: وقد ذكرنا هذه الرواية من باب الاستشهاد (أو الاعتبار) لا من قبيل الاحتجاج به. وهذه الرواية أخرجها عبد الرزاق في المصنف (٥/ ٣٨٩) وقال الحافظ في الفتح (٧/ ٢٣٦): سنده حسن. وقال ابن كثير: إسناده حسن وهو من أجود ما روي في قصة العنكبوت علىٰ فم الغار.
قال الألباني المحدث في السلسلة الضعيفة (٣/ ٢٦٢ ـ ٢٦٣/ح ١١٢٩) بعد نقله لكلام ابن كثير: [وهذا إسناد حسن. . . إلخ].
كذا قال (والكلام للألباني) ، وليس بحسن في نقدي لأن عثمان الجزري إن كان هو عثمان ابن عمرو بن ساج الجزري فقد قال ابن أبي حاتم في (الجرح والتعديل ٣/ ١/ ١٦٢) عن أبيه: لا يحتج به. وأورده الذهبي في الضعفاء وقال: تكلم فيه.
وإن كان هو عثمان بن ساج الجزري ليس بينهما عمرو ، فقد جنح الحافظ في «التهذيب» إلى =

= أنه غير الأول ، ولا يعرف حاله ، ولم يفرق بينهما في «التقريب» وقال: فيه ضعف.
وابن عمرو لم يوثقه أحد غير ابن حبان ، ومن المعروف تساهله في التوثيق ، ولذلك فهو ضعيف لا يحتج به كما قال أبو حاتم.
وقال الهيثمي في (المجمع ٧/ ٢٧) ، رواه أحمد والطبراني وفيه عثمان بن عمرو الجزري ، وثقه ابن حبان وضعفه غيره ، وبقية رجاله رجال الصحيح. ولذلك قال المحقق أحمد شاكر في تعليقه علىٰ المسند: في إسناده نظر. ثم إن الآية المتقدمة ﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ فيها ما يؤكد ضعف الحديث ، لأنها صريحة بأن النصر والتأييد إنما كان بجنود لا ترىٰ. والحديث يثبت أن نصره ﷺ كان بالعنكبوت وهو مما يرىٰ. فتأمل.
والأشبه بالآية أن الجنود فيها إنّما هم الملائكة ، وليس العنكبوت ولا الحمامتين وكذلك قال البغوي في تفسيره (٤/ ١٧٤) للآية.
وقال المؤرخ الإسلامي الكبير (أكرم العمري): وقد ورد حديث ضعيف جداً يفيد أن الرسول ﷺ لما بات في غار ثور أمر الله شجرة فنبتت في وجه الغار وأمر حمامتين وحشيتين فوقفتا بفم الغار ، وأن ذلك سبب صدود المشركين عن الغار. . . ومثل هذه الأساطير تسربت إلىٰ مصادر كثيرة في الحديث والسيرة (صحيح السيرة ١/ ٢٠٨ ، وراجع ما كتبه العمري في حاشية هذه الصفحة).
وقصة تآمر رجالات قريش لقتل رسول الله ﷺ وإخبار الله سبحانه نبيه بمكرهم ذلك ومبيت علي رضي الله عنه مكان الرسول ﷺ ورد في بداية حديث طويل أخرجه الطبراني مرسلاً عن عروة. وقال الهيثمي في المجمع (٦/ ٥٢): رواه الطبراني مرسلاً وفيه ابن لهيعة وفيه كلام وحديثه حسن.
وأخرج البزار عن أبي بشر بن معاذ العقدي ثنا عوين بن عمرو القيسي ، ثنا أبو مصعب المكي قال: أدركت زيد بن أرقم والمغيرة بن شعبة وأنس بن مالك يحدثون أن النبي ﷺ لما كان ليلة بات في الغار أمر الله تبارك وتعالى شجرة فنبتت في وجه الغار فسترت وجه النبي ﷺ ، وأمر الله تبارك وتعالىٰ العنكبوت فنسجت علىٰ وجه الغار. . . إلى آخره.
قال البزار: لا نعلم رواه إلّا عوين بن عمرو وهو بصري مشهور ، وأبو مصعب فلا نعلم حدث عنه إلّا عوين وكان عوين ورباح أخوين.
(كشف الأستار عن زوائد البزار ٢/ ٢٩٩/ح ١٧٤١ ـ باب الهجرة إلى المدينة).
قلنا: وفيه عوين بن عمرو. قال الحافظ: لا يتابع على حديثه (اللسان ٥/ ٣٥٧/ ت ٦٤٤٢).
قلنا: فرواية الطبري (٤٨) حسنة بمجموع طرقها سوىٰ زيادة نسج العنكبوت وإنبات الشجرة أمام الغار فغير صحيحة علماً بأن هذه الزيادة ليست في رواية الطبري التي نحن بصددها هنا

٤٩ ـ قال أبو جعفر: وأذِنَ الله عزّ وجلّ لرسوله ﷺ عندَ ذلك بالهجرة، فحدّثنا عليّ بن نصر الجهضميّ، قال: حدّثنا عبد الصّمد بن عبد الوارث، وحدّثنا عبد الوارث بن عبد الصّمد بن عبد الوارث، قال: حدّثنا أبي، قال: حدّثنا أبان العطّار، قال: حدّثنا هشام بن عُرْوة، عن عُرْوة، قال: لمّا خرج أصحابُ رسول الله ﷺ إلى المدينة، وقَبْل أن يخرج ـ يعني رسول الله ﷺ ـ وقبل أن تنزل هذه الآية التي أمِرُوا فيها بالقتال، استأذنه أبو بكر؛ ولم يكن أمرَه بالخروج مَعَ مَنْ خرج من أصحابه، حبسه رسول الله ﷺ، وقال له: أنظِرْني، فإنّي لا أدري؛ لعلّي يُؤذن لي بالخروج. وكان أبو بكر قد اشترى راحلتين يعدّهما للخروج مع أصحاب رسول الله ﷺ إلى المدينة؛ فلمّا استنظره رسول الله ﷺ، وأخبره بالذي يرجو من ربّه أن يأذَن له بالخروج، حَبَسهما وعَلَفهما، انتظارَ صحبة رسول الله ﷺ، حتى أسمنهما، فلما حبس عليه خروج النبيّ ﷺ، قال أبو بكر: أتطمع أن يؤذن لك؟ قال: نعم. فانتظره فمكث بذلك.

فأخبرتني عائشة، أنهم بينا هم ظُهْراً في بيتهم، وليس عند أبي بكر إلاّ ابنتاه: عائشة وأسماء؛ إذا هم برسول الله ﷺ، حين قام قائم الظّهيرة ـ وكان لا يخطئه يوماً أن يأتِيَ بيتَ أبي بكر أوّل النهار وآخرَه ـ فلما رأى أبو بكر النبي ﷺ جاء ظُهْراً، قال له: ما جاء بك يا نبي الله إلاّ أمرٌ حدث؟ فلمّا دخلَ عليهم النبيّ ﷺ البيت، قال لأبي بكر: أخْرِجِ مَنْ عندك، قال: ليس علينا عَيْن، إنّما هما ابنتاي، قال: إنّ الله قد أذِنَ لي بالخروج إلى المدينة، فقال أبو بكر: يا رسولَ الله، الصّحابة، الصّحابة! قال: الصحابة. قال أبو بكر: خذ إحدى الرّاحلتين ـ وهما الرّاحلتان اللتان كان يعلِفهما أبو بكر، يُعِدُّهما للخروج، إذا أذِنَ لرسول الله ﷺ ـ فأعطاه إحدى الرّاحلتين، فقال: خذها يا رسول الله فارتحلْها، فقال النبيّ ﷺ: قد أخذتُها بالثمن، وكان عامر بن فُهَيرة مُولّداً من مُوَلّدي الأزْدِ، كان للطُّفَيْل بن عبد الله بن سَخْبَرَةَ، وهو أبو الحارث بن الطُّفَيل، وكان أخا عائشة بنت أبي بكر وعبد الرحمن بن أبي بكر لأمّهما، فأسلم عامر بن فُهيرة، وهو مملوك لهم، فاشتراه أبو بكر فأعتقه، وكان حَسَنَ الإسلام، فلمّا

= والله أعلم. ومعلوم أن تآمر مشركي قريش لقتله عليه الصلاة والسلام قد ثبت بنص التنزيل الكريم والله أعلم.

خرج النبيّ ﷺ وأبو بكر ، كان لأبي بكر مَنِيحةٌ من غَنمٍ تروحُ على أهله ، فأرسل أبو بكر عامراً في الغنم إلى ثور ، فكان عامر بن فهَيْرة يروح بتلك الغَنَم على رسول الله ﷺ بالغار في ثَوْر ، وهو الغار الذي سمّاه الله في القرآن ، فأرسل بظهرهما رجلاً من بني عبد بن عديّ ، حليفاً لقريش من بني سَهْم ، ثم آل العاص ابن وائل؛ وذلك العَدَويّ يومئذ مشركٌ ، ولكنّهما استأجراه ، وهو هاد بالطّريق. وفي الليالي التي مكثا بالغار كان يأتيهما عبدُ الله بن أبي بكر حين يُمسي بكلّ خبر بمكّة ، ثم يصبح بمكّة ويريح عامر الغنم كلّ ليلة ، فيحلُبان ، ثم يسرح بُكرَةً فيصبح في رُعْيانِ النّاس ، ولا يُفْطنُ له؛ حتى إذا هدأت عنهما الأصوات ، وأتاهما أنْ قد سُكت عنهما ، جاءهما صاحبهما ببعيريْهما ، فانطلقا وانطُلق معهما بعامر بن فُهَيْرةَ يخدمُهما ويعينهما ، يُردفه أبو بكر ويُعقبه علىٰ رَحْله ، ليس معهما أحدٌ إلاّ عامر بن فُهَيْرة وأخو بني عديّ يهديهما الطّريق ، فأجاز بهما في أسفلَ مكة ، ثم مضى بهما حتى حاذَى بهما الساحل ، أسفلَ من عُسْفان ، ثم استجاز بهما حتى عارض الطّريق بعدما جاوز قُدَيْداً ، ثم سلك الخَرّار ، ثم أجاز على ثنيّة المَرَة ، ثم أخذ على طريق يقال لها المدْلجة بين طريق عَمْق وطريق الرَّوْحاء ، حتى توافَوْا طريق العَرْج ، وسلك ماء يقال له الغابر عن يمين ركُوبة؛ حتى يَطْلع على بطن رئم ، ثم جاء حتى قدِم المدينة على بني عمرو بن عوف قبل القائلة[١] . (٢ : ٣٧٥/ ٣٧٦/ ٣٧٧) .

---

(١) إسناده صحيح وإن كان عروة قد ذكر كلاماً قبل أن يقول: فأخبرتني عائشة ، وهو صحيح كما عند البخاري ، إلاّ أن البخاري لم يذكر في نهاية الحديث التفاصيل الدقيقة عن مراحل الطريق وأسماء الأماكن التي مرّوا بها إلاّ أنه اختصر في وصف طريق هجرتهما قائلاً: وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدّليل ، فأخذ بهم طريق السواحل.

فقد أخرج البخاري في صحيحه ـ كتاب مناقب الأنصار / ح ٣٩٠٥/ أن عائشة رضي الله عنها قالت: لم أعقل أبويّ قطّ إلاّ وهما يدينان الدّين ، ولم يمرّ علينا يوم إلاّ يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النهار: بكرة وعشية. . . . الحديث وفيه [والنبي ﷺ يومئذ بمكة. فقال النبي ﷺ للمسلمين: إني رأيت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين ، وهما الحرتان. فهاجر من هاجر قبل المدينة ، ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة ، وتجهّز أبو بكر قبل المدينة ، فقال له رسول الله ﷺ : علىٰ رسلك ، فإني أرجو أن يؤذن لي. فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبي أنت؟ قال: نعم ، فحبس أبو بكر نفسه علىٰ رسول الله ﷺ ليصحبه ، وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السَّمُر ـ وهو الخبط ـ أربعة أشهر]. =

= قال ابن شهاب: قال عروة: قالت عائشة: فبينما نحن يوماً جلوساً في بيت أبي بكر في نحو الظهيرة قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله ﷺ متقنعاً ـ في ساعة لم يكن يأتينا فيها ـ فقال أبو بكر: فداك أبي وأمي، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر. قالت: فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن، فأذن له، فدخل. فقال النبي ﷺ لأبي بكر: أخرج من عندك، فقال أبو بكر: إنما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله، قال: فإني قد أذن لي في الخروج. فقال أبو بكر: الصحابة بأبي أنت يا رسول الله. قال رسول الله ﷺ: نعم. قال أبو بكر: فخذ بأبي أنت يا رسول الله إحدى راحلتي هاتين. قال رسول الله ﷺ: بالثمن. قالت عائشة: فجهزناها أحب الجهاز، وصنعنا لهما سفرة في جراب. فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به علىٰ فم الجراب، فبذلك سميت ذات النطاق. قالت: ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار في جبل ثور. فمكثا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر وهو غلام شاب ثقف لقن، فيدلج من عندهما بسحر، فيصبح مع قريش بمكة كبائت، فلا يسمع بأمر يُكتادان به إلا وعاه حتىٰ يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام، ويرعىٰ عليهما عامر بن فهيرة مولىٰ أبي بكر منحة من غنم فيريحها عليهما حتى تذهب ساعة من العشاء فيبيتان في رسل ـ وهو لبن منحتهما ورضيفهما ـ حتى ينعق بها عامر بن فهيرة بغلس، يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث. واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلاً من بني الدِّيل، وهو من بني عبدِ بن عدي هادياً خرِّيتاً ـ والخرِّيت الماهر بالهداية ـ وقد غمس حلفاً في آل العاص بن وائل السهمي، وهو على دين كفار قريش، فأمناه، فدفعا إليه راحلتيهما، وواعداه غار ثور ـ بعد ثلاث ليال براحلتيهما صبح ثلاث، وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل، فأخذ بهم طريق السواحل (الفتح ٧/ ٢٣١ ـ ٢٣٢) والحديث أخرجه أبو نعيم في الدلائل مختصراً قليلاً (٢/ ٣٢٦ ـ ٣٢٧/ج ٢٣٠) عن عائشة رضي الله عنها وفي آخره: فأخذ بهم طريق السواحل وهو طريق أذاخر... أما تفاصيل الطريق وأسماء الأماكن التي مر بها رسول الله ﷺ مع الصديق في الهجرة المباركة فقد أورده الطبري في هذه الرواية، وكذلك أخرج الحاكم حديثاً في ذكر تفاصيل ذلك مع بعض الزيادات من طريق محمد بن إسحاق حدثني محمد بن جعفر ابن الزبير ومحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حسين عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها... وفيه: [فسلك بهما أسفل من مكة ثم مضىٰ بهما حتىٰ هبط بهما علىٰ الساحل أسفل من عسفان، ثم استجاز بهما علىٰ أسفل أمج ثم عارض الطريق بعد أن أجاز قديداً ثم سلك بهما الحجاز ثم أجاز بهما ثنية المرار ثم سلك بهما الحيفاء ثم أجاز بهما مدلجة ثقف ثم استبطن بهما مدلجة صحاح ثم سلك بهما مذحج ثم ببطن مذحج من ذي الغصن ثم ببطن ذي كشر ثم أخذ الجباجب ثم سلك ذي سلم من بطن أعلىٰ مدلجة ثم أخذ القامة ثم هبط العرج ثم سلك ثنية الغائر عن يمين ركوبه ثم هبط بطن ريم، فقدم قباء علىٰ بني عمرو بن عوف ـ وقال الذهبي: هذا حديث صحيح علىٰ شرط مسلم ولم يخرجاه ـ

٥٠ ـ وقد حدّثنا ابن حميد قال: حدّثنا سلمَة ، قال: حدّثني محمّد بن إسحاق ، قال: حدّثني محمّد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين التميميّ ، قال: حدّثني عُروة بن الزّبير ، عن عائشة زوْج النبيّ ﷺ ، قالت: كان رسول الله ﷺ لا يخطئه أحد طرفَي النهار أن يأتيَ بيت أبي بكر إمّا بُكْرةً ، وإمّا عشيّة؛ حتى إذا كان اليوم الذي أذن الله فيه لرسوله بالهجرة ، وبالخروج من مكّة من بين ظهرانيْ قومه ، أتانا رسول الله ﷺ بالهاجِرة ، في ساعة كان لا يأتي فيها. قالت: فلمّا رآه أبو بكر قال: ما جاء رسول الله ﷺ هذه السّاعة إلا لأمرٍ حدث. قالت: فلمّا دخل تأخّر أبو بكر عن سريره فجلس رسول الله ﷺ ، وليس عند أبي بكر إلاّ أنا وأختي أسماء بنت أبي بكر ، فقال رسول الله ﷺ : أخْرِجْ عَنّي مَنْ عندك ، قال: يا نبيّ الله ، إنّما هما ابنتايَ ، وما ذاك فداك أبي وأمّي! قال: إنّ الله عزّ وجلّ قد أذن لي بالخروج والهجرة ، فقال أبو بكر: الصُّحبة يا رسول الله ، قال: الصّحبة.

قالت: فوالله ما شعرتُ قَطّ قبل ذلك اليوم أنّ أحداً يبكي من الفرح؛ حتى رأيت أبا بكر يومئذ يبكي من الفرح. ثم قال: يا نبيّ الله ، إنّ هاتيْنِ راحلتايَ ، كنت أعددتُهما لهذا. فاستأجرا عبد الله بن أرقد ـ رجلاً من بني الدِّيل بن بكْر ، وكانت أمّه امرأةً من بني سَهْم بن عمرو ، وكان مشركاً ـ يدلّهما على الطّريق ، ودفعا إليه راحلتيهما ، فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما ، ولم يعلم ـ فيما بلغني ـ بخروج رسول الله ﷺ أحدٌ حين خرج إلاّ عليٌّ بن أبي طالب وأبو بكر الصدّيق ، وآل أبي بكر؛ فأمّا عليّ بن أبي طالب فإنّ رسول الله ﷺ ـ فيما بلغني ـ أخبره بخروجه ، وأمرَهَ أن يتخلّف بعده بمكّة حتى يؤدّيَ عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للنّاس ، وكان رسول الله ﷺ وليس بمكة أحدٌ عنده شيء يخشىَ عليه إلاّ وضعه عند رسول الله ﷺ ، لِمَا يُعرف من صدقه وأمانته. فلمّا أجمعَ رسول الله ﷺ للخروج أتى أبا بكر بن أبي قُحافة ، فخرجا من خَوْخَة لأبي بكر في ظهر بيته ، ثم عَمدَا إلى غار بثَوْر جبل بأسفل مكة ، فدخلاه ، وأمر أبو بكر ابنه عبد الله بن أبي بكر أنْ يسمع لهما ما يقول الناس فيهما نهارَه ، ثم يأتيهما إذا

= وسكت عنه الذهبي وصححه ابن حجر في الفتح (٧/ ٢٣٨)].

أمسى بما يكون في ذلك اليوم من الخَبر ، وأمَر عامرَ بن فُهَيرة مولاه أن يرعَى غنمه نهاره ، ثم يُريحها عليهما إذا أمسى بالغار. وكانت أسماءُ بنت أبي بكر تأتيهما من الطعام إذا أمست بما يصلحهما ، فأقام رسول الله ﷺ في الغار ثلاثاً ، ومعه أبو بكر ، وجعلت قريش حين فقدُوه مئة ناقة لمن يردّه عليهم ، فكان عبد الله بن أبي بكر يكون في قريش ومعهم ، ويستمع ما يأتمرون به ، وما يقولون في شأن رسول الله ﷺ وأبي بكر ، ثم يأتيهما إذا أمسى فيخبرهما الخَبر ، وكان عامر ابن فُهَيرة مولَى أبي بكر يرعَى في رُعيْان أهلِ مكّة ، فإذا أمسى أراح عليهما غنم أبي بكر ، فاحتلبا وذبحا ، فإذا غدا عبد الله بن أبي بكر من عندهما إلى مكّة اتّبع عامر بن فهيرة أثرَه بالغنم ، حتى يُعفّيَ عليه؛ حتى إذا مضت الثلاث ، وسكن عنهما الناس ، أتاهما صاحبُهما الذي استأجرا ببعيريهما ، وأتتهما أسماء بنت أبي بكر بسفرتهما ، ونسيت أن تجعل لها عِصاماً. فلما ارتحلا ذهبت لتعلّق السُّفرة ، فإذا ليس فيها عِصامٌ فحلّت نطاقها ، فجعلَتْه لها عصَاماً ، ثم عَلّقتها به ـ فكان يقال لأسماء بنت أبي بكر: ذات النّطاقين؛ لذلك ـ فلما قَرّب أبو بكر الرّاحلتين إلى رسول الله ﷺ ، قَرّب له أفضلهما ، ثم قال له: اركب فداك أبي وأمّي! فقال رسول الله ﷺ : إنّي لا أركب بعيراً ليس لي ، قال: فهو لك يا رسولَ الله بأبي أنت وأمّي! قال: لا ولكن ما الثمن الذي ابتعتها به؟ قال: كذا وكذا ، قال: قد أخذتها بذلك ، قال: هي لك يا رسول الله ، فركبا فانطلقا ، وأردف أبو بكر عامر بن فُهَيرة مولاهُ خَلْفَه يخدمُهما بالطريق[1]. (٢ : ٣٧٧/ ٣٧٨/ ٣٧٩) .

---

(١) إسناده ضعيف وهو حديث صحيح كما سبق تخريجه في الحديث السابق (٧٠) وفيها: [وجعلت قريش حين فقدوه مئة ناقة لمن يرده عليهم] وهي عند البخاري (كتاب مناقب الأنصار/ح ٣٩٠٦) بصيغة أخرىٰ من حديث سراقة بن جعشم أنه قال: جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله ﷺ وأبي بكر دية كلٍّ واحد منهما لمن قتله أو أسره. . . الحديث.

قال الحافظ: قوله (دية كل واحد) أي مئة من الإبل وصرّح بذلك عقبة وصالح بن كيسان في روايتهما عن الزهري وفي حديث أسماء بنت أبي بكر عند الطبراني: (وخرجت قريش حين فقدوهما في بغائهما وجعلوا في النبي ﷺ مئة ناقة. . . الحديث).

لم يتطرق الطبري رحمه الله إلىٰ قصة أم معبد إلاّ عابراً من خلال ذكره للقصيدة التي قالها الجن وفيه:

جـزىٰ الله ربّ النـاس خيـر جـزائـه ... رفيقيـن حَـلاّ خيمتـي أمّ معبـد=

٥١ ـ قال أبو جعفر: وقدِم دليلهُما بهما قُباءَ، على بني عمرو بن عوف، لثْنَتيْ ليلةً خلَتْ من شهر ربيع الأول، يوم الإثنين حين اشتد الضُّحى، وكادت الشمس أن تعتدل[1]. (٢: ٣٨١).

= وقد ذكرنا هذه الرواية (٧١) في الضعيف، وقد ذكر أصحاب السير والمغازي أنه ﷺ نزل هو وصاحبه الصديق رضي الله عنه في طريق الهجرة بخيمة تسمىٰ (خيمة أم معبد) وخلاصة القصة أنها اعتذرت له ﷺ عن إطعامهما لعدم وجود طعام في بيتها وكان لها شاة لا تدر لبناً لهزالها فمسح عليه الصلاة والسلام ضرع الشاة بيده الشريفة ثم حلب في إناء وشرب منه الجميع ـ والحديث رواه الطبراني في الكبير (٤/ ٥٦) وقال الهيثمي في المجمع (٦/ ٥٨): وفي إسناده جماعة لم أعرفهم.

وأخرجه ابن سعد من طريق عبد الملك بن وهب المذحجي وهو كذاب (الطبقات ١/ ٢٣٠) وأخرجه ابن سيد الناس (عيون الأثر ١/ ١٨٨) وفيه من هو متهم ـ الكديمي ـ وطرق الحديث هذه ضعيفة.

وأخرج البزار عن حديث قيس بن نعمان السكوني (وهو صحابي رضي الله عنه) أنه قال: لما انطلق رسول الله ﷺ وأبو بكر يستخفيان نزلا بأبي معبد فقال والله مالنا شاة وإن شاءنا لحوامل فما بقي لنا لبن فقال رسول الله ﷺ ـ أحسبه ـ: فما تلك الشاة؟ فأتى بها. فدعا رسول الله ﷺ لها بالبركة ثم حلب عبئاً فسقاه ثم شربوا فقال: أنت الذي يزعم قريش أنك صابىء؟ قال: إنهم يقولون.

قال: أشهد أن ما جئت به حق. ثم قال: أتبعك؟ قال: لا حتى تسمع أنا قد ظهرنا، فاتبعه بعد. (كشف الأستار ٢/ ٣٠١/ ح ١٧٤٣) وأشار الهيثمي إلى رواية البزار هذه قائلاً (المجمع ٦/ ٥٨): رواه البزار ورجاله رجال الصحيح. ولكن البزار يرىٰ في رواية الصحابي هذه مخالفة لبقية روايات حديث أم معبد فقال: لا نعلم روىٰ قيس عن النبي إلا هذا ولا نعلمه بهذا اللفظ إلا عنه وهو يخالف سائر الأحاديث في قصة أم معبد. ولكن هذا حدث به عبيد بن إياد.

وقال الحافظ أخرجها الطبراني من حديث قيس بن النعمان بسند صحيح وسياق أتم. (الإجابة ٥/ ٥٠٦).

ولا نريد أن نطيل في ذكر قصة أم معبد ورواياتها لأن الطبري لم يذكرها إلا عابراً كما ذكرنا ونحن بصدد تحقيق ما ذكره الطبري من الروايات ومن أراد أن يقف علىٰ باقي روايات قصة أم معبد المتبقية فليرجع إلى ما كتبه المؤرخ العمري بالتفصيل عن هذه القصة ورواياتها من مقال ـ فهي لا تقوم بها حجة (صحيح السيرة ١/ ٢١٢ ـ ٢١٥).

(١) ذكر الطبري هذا الكلام بلا إسناد وهو من شطرين. أما الشطر الأول فهو صحيح وهو قوله (وقدم دليلهما بهما قباء علىٰ بني عمرو بن عوف) فقد أشرنا سابقاً إلى أنه جزء من حديث

٥٢ - حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلمَة، قال: حدّثني محمّد بن إسحاق، قال: حدّثني محمّد بن جعفر بن الزبير، عن عُروة بن الزّبير، عن عبد الرحمن بن عويم بن ساعدة، قال: حدّثني رجال قومي من أصحاب رسول الله ﷺ، قالوا: لما سمِعْنَا بمخرج رسول الله ﷺ من مكة، وتوكَّفنا قدومه، كنّا نخرج إذا صلّينا الصبح إلى ظاهِر حَرّتنا، ننتظرُ رسول الله ﷺ؛ فوالله ما نَبْرَح حتى تغلبنا الشمس على الظلال؛ فإذا لم نجد ظِلاًّ دخلنا بيوتنا، وذلك في أيام حارّةٍ؛ حتى إذا كان في اليوم الذي قَدِم فيه رسول الله ﷺ جلسنا كما كنّا نجلس؛ حتى إذا لم يبق ظلٌّ دخلنا بيوتنا، وقدِم رسول الله ﷺ حين دخلنا البيوت، فكان أوّل مَنْ رآه رجلٌ من اليهود، وقد رأى ما كنَّا نصنع، وإنّا كُنّا ننتظر قدومَ رسول الله ﷺ، فصرخ بأعلى صوته: يا بني قَيْلة هذا جَدُّكم قد جاء.

قال: فخرجنا إلى رسول الله ﷺ، وهو في ظلّ نخلة، ومعه أبو بكر في مثل سِنِّه وأكثرُنا مَنْ لم يكن رأى رسول الله ﷺ قبل ذلك، قال: وركبه الناس، وما نعرفه من أبي بكر؛ حتى زال الظلّ عن رسول الله ﷺ، فقام أبو بكر، فأظلّه بردائه، فعرفناه عند ذلك[1]. (٢: ٣٨١/ ٣٨٢).

= أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٨) وفي آخره (فقدم قباء علىٰ بني عمرو بن عوف) وقال الحاكم: هذا حديث صحيح علىٰ شرط مسلم ولم يخرجاه وسكت عنه الذهبي.
قلنا: وهو من طريق ابن إسحاق وقد صرّح بالتحديث فهو إسناد حسن والله أعلم.
أما الشطر الثاني من رواية الطبري:
فقد ذكره ابن هشام كذلك بلاغاً (السيرة النبوية ٢/ ١٥٦) ولكن أخرج البخاري في صحيحه كتاب (مناقب الأنصار/ ج ٣٩٠٦) عن عروة بن الزبير مرسلاً من حديث طويل، وفيه (فعدل بهم ذات اليمين حتىٰ نزل بهم في بني عمرو بن عوف وذلك يوم الإثنين من شهر ربيع الأول) وقال ابن حجر معقباً: وهذا هو المعتمد (الفتح ٧/ ٢٤٤).
وأخرج الطبراني في المعجم الكبير (٧/ ١٧٢) (عن عاصم بن عدي رضي الله عنه قال: قدم رسول الله ﷺ يوم الإثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول فأقام بالمدينة عشر سنين).
وقال الهيثمي في المجمع (٦/ ٦٣): رواه الطبراني ورجاله ثقات.

(١) إسناده ضعيف وهو حديث صحيح فقد أخرج البخاري في صحيحه (٦٣ ـ كتاب مناقب الأنصار/ ح ٣٩٠٦) عن عروة بن الزبير مرسلاً وفيه: وسمع المسلمون بالمدينة فخرج رسول الله ﷺ من مكة فكانوا يغدون كلّ غداة إلىٰ الحرة فينتظرونه حتى يردّهم حرّ الظهيرة فانقلبوا يوماً بعدما أطالوا انتظارهم، فلما أووا إلىٰ بيوتهم أوفىٰ رجل من يهود علىٰ أطم من =

٥٣ - فأقام رسول الله ﷺ بقُباء في بني عمرو بن عوف يوم الإثنين ، ويوم الثلاثاء ، ويوم الأربعاء ، ويوم الخميس ، وأسَّس مسجدهم؛ ثم أخرجه الله عزّ وجلّ من بين أظهرهم يوم الجمعة؛ وبنو عمرو بن عوف يزعمون أنّه مكث فيهم أكثرَ من ذلك. والله أعلم.

= آطامهم لأمر ينظر إليه ، فبصر برسول الله وأصحابه مبيّضين يزول بهم السراب فلم يملك اليهودي أن قال بأعلىٰ صوته: يا معشر العرب ، هذا جدكم الذي تنتظرون.

فثار المسلمون إلى السلاح فتلقوا رسول الله بظهر الحرة فعدل بهم ذات اليمين حتىٰ نزل بهم في بني عمرو بن عوف وذلك يوم الإثنين من شهر ربيع الأول فقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله ﷺ صامتاً فطفق من جاء من الأنصار ـ ممن لم ير رسول الله ﷺ - يُحيِّي أبا بكر حتّى أصابت الشمس رسول الله ﷺ فأقبل أبو بكر حتىٰ ظلل عليه بردائه فعرف الناس رسول الله ﷺ عند ذلك.

قال الحافظ معقباً على سند هذه الرواية عند البخاري: قوله (قال ابن شهاب: فأخبرني عروة ابن الزبير أن رسول الله ﷺ لقي الزبير في الركب) هو متصل إلى ابن شهاب بالإسناد المذكور أولاً ، وقد أفرده الحاكم في وجه آخر عن يحيىٰ بن بكير بالإسناد المذكور ولم يستخرجه الإسماعيلي أصلاً وصورته مرسل. لكن وصله الحاكم أيضاً من طريق معمر عن الزهري قال: (أخبرني عروة أنه سمع الزبير ـ به) (الفتح ٧/ ٢٤٣).

قلنا: وحديث الحاكم الذي أشار إليه ابن حجر يحكي أصل القصة كما في المستدرك (٣/ ١١) عن الزهري قال: (أخبرني عروة بن الزبير أنه سمع الزبير يذكر أنه لقي الركب من المسلمين كانوا تجاراً بالشام قافلين من مكة عارضوا رسول الله ﷺ وأبا بكر بثياب بيض حين سمعوا بخروجهم فلما سمع المسلمون بالمدينة بمخرج رسول الله ﷺ كانوا يغدون كل غداة إلىٰ الحرة فينتظرونه حتىٰ يؤذيهم حر الظهيرة فانقلبوا يوماً بعدما أطالوا انتظاره فلما أووا إلىٰ بيوتهم أوفىٰ رجل من يهود أطماً من آطامهم لينظر إليه فبصر برسول الله ﷺ وأصحابه مبيّضين يزول بهم السراب فلم يملك اليهودي أن قال بأعلىٰ صوته: يا معشر العرب هذا صاحبكم الذي تنتظرون فثار المسلمون إلى السلاح فتلقوا رسول الله بظهر الحرة). وقال الحاكم: صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي. ا هـ.

وللحديث رواية أخرىٰ تصلح في الشواهد وهو ما أشار إليه الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٦٠ ـ ٦١) وقال: رواه البزار وفيه عبد الله بن أسلم وثقه ابن حبان وغيره وضعفه ابن معين وغيره.

قلنا: خلاصة القول: الحديث الذي رواه الطبري في قصة انتظار أهل المدينة قدوم رسول الله ﷺ صحيح لغيره والله أعلم.

ويقول بعضهم: إنّ مقامه بقُباء كان بضعة عشر يوماً[١]. (٢: ٣٨٣).

(١) تحدث الطبري هنا عن مدة بقائه في بني عمرو بن عوف بقباء فذكر قولاً في ذلك وهو تعيين المدة بثلاثة أيام ثم خرج من عندهم في اليوم الرابع، والقول الآخر والذي نسبه إلىٰ بني عمرو بن عوف أنه مكث فيهم أكثر وذلك قولاً آخر يحدد مدة بقائه عليه الصلاة والسلام فيهم بضعة عشر يوماً. وقد ذكر الطبري ذلك بلا إسناد، وقد ذكر ابن إسحاق ذلك بلا إسناد أيضاً (السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ١٥٩) دون ذكر الرأي الثالث. ولقد جمع الحافظ ابن حجر أقوال أئمة المغازي والسير في تحديد تلك الأيام في شرحه لحديث عروة المرسل (الفتح ٧/ ٢٤٤) وقال رحمه الله: وبه جزم ابن حبان فإنه قال: (أقام بها الثلاثاء والأربعاء والخميس) يعني وخرج الجمعة؛ فكأنه لم يعتد بيوم الخروج، وكذا قال موسىٰ بن عقبة: إنه أقام فيهم ثلاث ليالٍ فكأنه لم يعتد بيوم الخروج ولا الدخول، وعن قوم من بني عمرو بن عوف أنه أقام فيهم اثنين وعشرين حكاه الزبير بن بكار، وفي مرسل عروة بن الزبير ما يقرب منه كما يذكر عقب هذا... ثم عقب الحافظ علىٰ قول عروة بن الزبير في الحديث نفسه (أي ٣٩٠٦ كتاب مناقب الأنصار) فقال رحمه الله:

في حديث أنس الآتي في الباب الذي يليه أنه أقام فيهم أربع عشرة ليلة، وقد ذكرت قبله ما يخالفه والله أعلم. ثم أردف ـ ابن حجر قائلاً: قال ـ موسىٰ بن عقبة عن ابن شهاب (أقام فيهم ثلاثاً). قال: ورروىٰ ابن شهاب عن مجمع بن حارثة (أنه أقام اثنتين وعشرين ليلة) وقال ابن إسحاق: أقام فيهم خمساً وبنو عمرو بن عوف يزعمون أكثر من ذلك.

قلت (والكلام للحافظ): ليس أنس من بني عمرو بن عوف، فإنهم من الأوس وأنس من الخزرج وقد جزم بما ذكرته فهو أولىٰ بالقبول من غيره اهـ. (الفتح ٧/ ٢٤٤).

وقد أخرج الذهبي من طريق عطاء بن عثمان الخراساني عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس حديثاً وفيه: (فنزل عليه في بني عمرو بن عوف ثلاث ليال). (تأريخ الإسلام/ السيرة النبوية/ ٣٣٤).

قلنا: وإسناده ضعيف فهو من طريق عثمان بن عطاء الخراساني عن أبيه أحاديث منكرة (الضعفاء/ ت ١٥٥) وقال مسلم والدارقطني: ضعيف الحديث. وقال النسائي: ليس بثقة (تهذيب الكمال ١٩/ ٤٤٤/ ت ٤٤٤٦).

قلنا: وحديث أنس الذي أشار إليه الحافظ في تعيين مدة بقائه ﷺ أقوىٰ سنداً وأصح من غيره، فقد أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب مناقب الأنصار/ ح ٣٩٣٢) وفيه: (لما قدم رسول الله ﷺ المدينة نزل في علو المدينة، وفي حي يقال لهم بنو عمرو بن عوف، قال: فأقام فيهم أربع عشرة ليلة... الحديث). قلنا: فهذا نص صحيح صريح في تحديد تلك المدة... وهذا هو الراجح والله أعلم.

قال أبو جعفر: واختلف السلف من أهل العلم في مدة مقام رسول الله ﷺ بعدما استنبىء، فقال بعضهم: كانت مدة مقامه بها إلى أن هاجرٍ إلى المدينة عشر سنين، وذكر من قال ذلك.

٥٤ - حدّثني محمّد بن إسماعيل ، قال: حدّثنا عمرو بن عثمان الحمصيّ ، قال: حدّثنا أبي ، قال: حدّثنا محمد بن مسلم الطائفيّ ، عن عمرو بن دينار ، قال: هاجرَ رسول الله ﷺ على رأس عَشْرٍ من مُخْرَجه[(١)]. (٢ : ٣٨٤).

٥٥ - قال أبو جعفر: وقال آخرون: بل أقام بعدما استنبِىء بمكّة ثلاث عشرة سنة.

ذكر من قال ذلك:

حدّثنا ابن المثنّى ، قال: حدّثنا حجّاج بن المنهال ، قال: حدّثنا حمّاد - يعني ابن سلمة - عن أبي جَمْرة ، عن ابن عبّاس ، قال: أقام رسول الله ﷺ بمكّة ثلاث عشرة سنة يوحَى إليه[(٢)]. (٢ : ٣٨٤).

٥٦ - حدثني محمّد بن خلف ، قال: حدّثنا آدم ، قال: حدّثنا حمّاد بن سلَمة ، قال: حدّثنا أبو جَمْرَةَ الضُّبَعيّ ، عن ابن عباس ، قال: بُعِثَ رسول الله ﷺ لأربعين سنة[(٣)] ، وأقام بمكّة ثلاث عشرة سنة. (٢ : ٣٨٤).

٥٧ - حدّثني محمّد بن معمَر ، قال: حدّثنا رَوْح ، قال: حدّثنا زكرياء بن إسحاق ، قال: حدّثنا عمرو بن دينار ، عن ابن عبّاس ، قال: مكَث رسول الله ﷺ بمكّة ثلاث عشرة سنة[(٤)]. (٢ : ٣٨٥).

٥٨ - حدّثني عبيد بن محمد الورّاق ، قال: حدّثنا رَوْح ، قال: حدّثنا هشام ، قال: حدّثنا عِكْرمة ، عن ابن عبّاس ، قال: بُعِث النبيّ ﷺ لأربعين سنة ، فمكث بمكّة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه ، ثم أمر بالهجرة[(٥)]. (٢ : ٣٨٥).

٥٩ - وقال بعضهم: كان مقامه بمكة خمس عشرة سنة:

---

(١) إسناده حسن.
(٢) إسناده صحيح وسنتحدث عنه بعد الرواية (٥٧).
(٣) إسناده صحيح.
(٤) إسناده صحيح ، أخرجه البخاري عن روح به (كتاب مناقب الأنصار ح ٣٩٠٣). ومسلم (١٨٢٦/٤) رقم (١١٧/ ٢٣٥١) وبزيادة: (وتوفي وهو ابن ثلاث وستين).
(٥) إسناده صحيح ، أخرجه البخاري عن روح به (ح/ ٣٩٠٢) وزاد (فهاجر عشر سنين ومات وهو ابن ثلاث وستين).

ذكر من قال ذلك:

حدّثني بذلك الحارث، عن ابن سعد، عن محمّد بن عمر، عن إبراهيم بن إسماعيل، عن داود بن الحصين، عن عِكْرمة، عن ابن عباس؛ واستشهد بهذا البيت من قول أبي قيس صِرمة بن أبي أنس، غير أنه أنشد ذلك:

ثَـوَى في قُرَيـشٍ خَمْـسَ عَشْـرَةَ حِجَّـةً يُـذَكِّـرُ لـو يَلْقَـى صَدِيقـاً مُـوَاتِيَـا!(١)

(٢ : ٣٨٦).

٦٠ ـ حدّثني محمّد بن إسماعيل، قال: حدّثني سعيد بن أبي مريم. وحدّثني عبد الرّحمن بن عبد الله بن عبد الحكَم، قال: حدّثنا أبي، قالا جميعاً: حدّثنا عبد العزيز بن أبي حازم، قال: حدّثني أبو حازم، عن سَهْل بن سعد، قال: ما أصاب الناس العدَد؛ ما عدُّوا من مبعث رسول الله ﷺ، ولا من وفاته، ولا عدُّوا إلاّ من مقدَمه المدينة(٢) (٢ : ٣٨٩).

٦١ ـ حدّثني محمد بن إسماعيل، قال: حدّثنا سعيد بن أبي مريم، قال: حدّثنا يعقوب بن إسحاق، قال: حدّثني محمّد بن مسلم، عن عمرو بن دينار، عن عبد الله بن عبّاس، قال: كان التأريخ في السّنة التي قدِم فيها رسول الله ﷺ المدينة، وفيها وُلد عبدُ الله بن الزّبير(٣). (٢ : ٣٨٩).

٦٢ ـ حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكَم، قال: حدّثنا يعقوب بن

---

(١) إسناده ضعيف، وقد أخرجه مسلم (٤/ ٢٨٢٧/ رقم ١٢٣) عن ابن عباس من طريق عمار بن أبي عمار. ورجح ابن حجر رواية البخاري في صحيحه (ح/ ٣٨٥١) على رواية مسلم (١٥ سنة) والله أعلم.

(٢) إسناده صحيح وقد أخرجه البخاري عن سهل بن سعد ولفظه: ما عدّوا من مبعث النبي ولا من وفاته، ما عدّوا إلا من مقدمه المدينة (مناقب الأنصار ح/ ٣٩٣٤).

(٣) إسناده حسن وهو حديث صحيح أخرجه الحاكم من طريق سعيد بن أبي مريم عن محمد بن مسلم عن عمرو بن دينار عن ابن عباس (المستدرك ٣/ ١٣) وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في تأريخه (٢/ ١٣٣) وأخرجه البخاري (ح ٣٩٣٤) من حديث سهل بن سعد، وكذلك ما أخرجه الطبري (٢/ ١٣٤) والحاكم (٣/ ١٣) من حديث عبد الله بن عباس وصححه ووافقه الذهبي كما سبق أن ذكرنا والله أعلم.
وسنعود إلى هذه المسألة بعد الرواية (١٤٢) إن شاء الله تعالى.

إسحاق بن أبي عبّاد؛ قال: حدّثنا محمد بن مسلم الطائفيّ، عن عمرو بن دينار، عن ابن عبّاس، قال: كان التأريخ في السنَة التي قَدِم رسول الله ﷺ فيها، فذكر مثله[١]. (٢: ٣٩٠).

٦٣ ـ حدّثنا ابن حُمَيد، قال: حدّثنا سلَمة، عن ابن إسحاق، عن الزهريّ، قال: قدِم رسول الله ﷺ المدينة يوم الإثنين، لاثنتي عشرة ليلة خلتْ من شهر ربيع الأول.

قال أبو جعفر: فإذا كان الأمرُ في تأريخ المسلمين كالذي وصفت، فإنّه وإن كان من الهجرة، فإنّ ابتداءهم إياه قبل مقدَم النبيّ ﷺ المدينة بشهرين وأيام؛ هي اثنا عشر؛ وذلك أنّ أوّل السّنة المحرّم، وكان قدومُ النبيّ ﷺ المدينة، بعد مُضِيّ ما ذكرت من السنة، ولم يؤرّخ التأريخ من وقت قدومه، بل من أول تلك السنة[٢]. (٢: ٣٩٣).

ذكر ما كان
من الأمور المذكورة في أول سنة من الهجرة

٦٤ ـ قال أبو جعفر: قد مضَى ذكرُنا وقْت مقدَم النبيّ ﷺ المدينة، وموضعه

---

(١) إسناده صحيح وهو حديث صحيح كما تقدم.
تعليق على الأحاديث (٨٤ ـ ٩١).
لقد ذكر ابن حجر بعضاً من هذه الروايات في الفتح ثم قال: واستفدنا من مجموع هذه الآثار أن الذي أشار بالمحرم عمر وعثمان وعلي (الفتح ٧/ ٢٦٩).
وقال ابن كثير: اتفق الصحابة رضي الله عنهم في سنة ست عشرة وقيل سبع عشرة أو ثماني عشرة في الدولة العمرية على جعل ابتداء التأريخ الإسلامي من سنة الهجرة (البداية والنهاية ٣/ ٢٠٤).
وقال ابن كثير كذلك: وقد ذكرنا هذا الفصل محرراً بأسانيده وطرقه في السيرة العمرية ولله الحمد، والمقصود أنهم جعلوا ابتداء التأريخ الإسلامي سنة الهجرة وجعلوا أولها من المحرم فيما اشتهر عنهم وهو قول جمهور الأئمة (البداية والنهاية ٣/ ٢٠٥).

(٢) إسناده ضعيف وهو حديث صحيح، سبق أن ذكرنا أن الطبراني أخرجه في الكبير (١٧/ ١٧٢).
ووثق الهيثمي رجاله (المجمع ٦/ ٦٣).

الذي نزل فيه حين قدمها ، وعلى مَنْ كان نزوله ، وقَدْر مُكْثه في الموضع الذي نزله ، وخبر ارتحاله عنه. ونذكر الآن ما لم نذكرْ قبلُ ممّا كان من الأمور المذكورة في بقيّة سنة قدومه؛ وهي السَّنة الأولى من الهجرة. فمن ذلك تجميعهُ ﷺ بأصحابه الجمُعة في اليوم الذي ارتحل فيه من قُبَاء؛ وذلك أنّ ارتحاله عنها كان يوم الجمعة عامداً المدينة ، فأدركتْه الصلاة ، صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف ، ببطن واد لهم ـ قد اتُّخذ اليوم في ذلك الموضع مسجداً فيما بلغني ـ وكانت هذه الجمعة ، أوّلَ جمعة جمّعها رسول الله ﷺ في الإسلام ، فخطب في هذه الجمعة؛ وهي أول خطبة خطبها بالمدينة فيما قيل[1] . (٢ : ٣٩٤) .

خطبة رسول الله ﷺ
في أولّ جمعة جَمَّعها بالمدينة

٦٥ ـ حدّثني يونس بن عبد الأعْلى ، قال: أخبرَنا ابنُ وهْب ، قال: حدّثني سعيد بن عبد الرحمن الجُمحيّ ، أنه بلغه عن خطبة رسول الله ﷺ في أوّلِ جمعة صلاّها بالمدينة في بني سالم بن عوف :

الحمد لله ، أحمَده وأستعينه ، وأستغفره وأستهديه ، وأومن به ولا أكفُره ، وأعادي مَنْ يكفره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له ، وأنّ محمَّداً عبدُه ورسوله؛ أرسله بالهُدى والنور والموعظة على فَتْرَة من الرسل ، وقلّةٍ من العلم ، وضلالة من النّاس ، وانقطاع من الزمان ، ودُنُوٍّ من الساعة ، وقُرْبٍ من الأجَل؛ مَنْ يُطع الله وَرَسُولَه فَقَد رَشدَ ، ومن يعْصهما فقد غوَى وفرّط؛ وضَلّ ضلالاً بَعيداً ، وأوصيكمُ بتقوى الله ، فإنه خيرُ ما أوصَىٰ به المسلمُ المسلمَ؛ أن يَحُضّه على الآخرة ، وأن يأمرَه بتقوى الله ، فاحذروا ما حذّركم الله من نفسه ، ولا أفضل من ذلك نصيحة ، ولا أفضل من ذلك ذكراً؛ وإنّ تقوى الله لمن عَمِلَ به على وَجلٍ ومخافة من ربّه عَوْنُ صدْق على ما تَبْغُون من أمر الآخرة ، ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمره في السرّ والعلانية ، لا ينوي بذلك إلاّ وجهَ الله يكن له

(١) ذكر الطبري هذا الكلام بلا إسناد، وكذلك أخرجه ابن هشام عن ابن إسحاق بلاغاً مع اختلاف في الألفاظ (السيرة النبوية ٢/ ١٥٩).

ذكراً في عاجل أمره ، وذُخْراً فيما بعد الموت ، حين يفتقر المرء إلى ما قدّم ، وما كان من سِوَى ذلك يَوَدُّ ﴿ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ . والذي صدق قوله ، وأنجز وَعْدَه ، لا خُلفَ لذلك ، فإنّه يقول عزّ وجلّ : ﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ . فاتقوا الله في عاجل أمركم وآجله في السرّ والعلانية ، فإنّه ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴾ ، ومَنْ يتّق الله فقد فاز فَوْزاً عظيماً. وإنّ تقوى الله يُوَقِّي مقته ، ويوقّي عقوبته ، ويوقّي سَخَطه ، وإنّ تقوى الله يُبيِّض الوجوه ، ويرْضي الربَّ ، ويرفع الدّرجة .

خذوا بحظّكم ، ولا تفرِّطوا في جَنْب الله ؛ قد علّمكم الله كتابه ، ونهج لكم سبيلَه ، ليعلَم الّذين صدقوا ويعلَم الكاذبين ، فأحْسِنوا كما أحْسَن الله إليكم ، وعادوا أعداءه ، وجاهدوا في الله حقَّ جهاده هو اجتباكم وسمّاكم المسلمين ، ﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ﴾ ، ولا قوّة إلا بالله. فأكثِرُوا ذكْرَ الله ، واعملوا لما بعد اليوم ، فإن مَنْ يصلح ما بينه وبين الله يَكْفه الله ما بينه وبين النّاس ، ذلك بأنّ الله يقضِي على النّاس ولا يقضُون عليه ، ويملِكُ من النّاس ولا يملكون منه ؛ الله أكبرُ ، ولا قوّةَ إلاّ بالله العظيم[1] ! (٢ : ٣٩٤/ ٣٩٥/ ٣٩٦) .

٦٦ - حدّثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سلمَة ، عن ابن إسحاق ، أنّ رسول الله ﷺ ركب ناقتَه ، وأرخَى لها الزّمام ، فجعلَت لا تَمُرُّ بدار من دُور

---

(١) هذا إسناد مرسل صحيح إلى مرسله وقد أورد ابن كثير رواية ابن جرير هذه ثم قال: هكذا أوردها ابن جرير وفي السند إرسال (البداية والنهاية ٣/ ٢١١).
قلنا: وأخرج البيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٥٢٤) بسنده إلىٰ التابعي الجليل أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال: (كانت أول خطبة خطبها النبي ﷺ بالمدينة أنه قام فيهم فحمد الله. . . الحديث). وهو مختصر عن رواية الطبري ولقد أورد ابن كثير رواية البيهقي هذه كذلك وقال عقبها: وهذه الطريق أيضاً مرسلة إلاّ أنها مقوية لما قبلها وإن اختلفت الألفاظ. (البداية والنهاية ٣/ ٢١٢).
قلنا: وقد سبق أن ذكرنا طريقة تحقيقنا لتأريخ الطبري في أننا نعدل عن رأي الجمهور إلىٰ شروط الشافعي في قبول الحديث المرسل، وقد تحقق شرط من شروطه هنا وهو قبول الحديث المرسل إذا اختلفت مخارجه وهو هنا كذلك.
وقد عدلنا إلى قول الشافعي لأن هذه الرواية في السيرة وليس في الحلال والحرام والله أعلم.

الأنصار إلاّ دعاه أهلُها إلى النزول عندهم ، وقالوا له: هَلمّ يا رسولَ الله! إلى العَدَد والعُدّة والمنَعة؛ فيقول لهم ﷺ : خَلُّوا زِمامها فإنَّها مأمورة؛ حتى انتهى إلى موضع مسجده اليوم ، فبرَكت على باب مسجده؛ وهو يومئذ مِرْبَدٌ لغلامَيْن يتيمين من بني النّجار في حِجْر مُعاذ بن عَفْراء؛ يقال لأحدهما سهل وللآخر سهيل ، ابنا عمرو بن عباد بن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النَّجار. فلما بركَتْ لم ينزل عنها رسول الله ﷺ ، ثم وثَبَتْ فسارتْ غيرَ بعيد ، ورسول الله ﷺ واضعٌ لها زمامها لا يَثْنِيها به ، ثم التفتت خلْفها ، ثم رجعت إلى مَبْرَكِها أوّل مرة ، فبركت فيه ووضعت جِرانَها ، ونزل عنها رسول الله ﷺ ، فاحتمل أبو أيوب رحله ، فوضعه في بيته ، فدعَتْه الأنصار إلى النزول عليهم ، فقال رسول الله ﷺ : المرءُ مع رحله. فنزل على أبي أيوب خالد بن زيـد بن كليب ، في بني غَنْم بـن النجّار. (٢ : ٣٩٦) .

قال أبو جعفر: وسألَ رسول الله ﷺ عن المِرْبَد لمن هو؟ فأخبره مُعاذ بن عفراء ، وقال: هو ليتيميْن لي ، سأرضيهما. فأمر به رسول الله ﷺ أن يُبْنى مسجداً ، ونزل على أبي أيّوب ، حتى بنى مسجدَه ومساكنه. وقيل: إن رسول الله ﷺ اشترى موضعَ مسجده ، ثم بناه[1] . (٢ : ٣٩٦) .

---

(١) إسناده ضعيف إلىٰ ابن إسحاق وكذلك رواه ابن هشام (مع اختلاف في صيغة الرواية) ـ عن ابن إسحاق معضلاً. وقد روىٰ حديث: (دعوها فإنها مأمورة). عدد من أئمة الحديث والمغازي والسير فقد رواه البيهقي من طريق سعيد بن منصور ثنا عطاف بن خالد ثنا صديق بن موسىٰ عن عبد الله بن الزبير أن رسول الله ﷺ قدم المدينة فاستناخت راحلته بين دار جعفر بن محمد بن علي وبين دار الحسن بن زيد. فأتاه الناس فقالوا: يا رسول الله المنزل. فانبعثت به راحلته فقال: (دعوها فإنها مأمورة) ثم خرجت به حتىٰ جاءت موضع المنبر فاستناخت ثم تحللت ، وثم عريش كانوا يعرشونه ويعمرونه ويتبردون فيه ، فنزل رسول الله ﷺ عن راحلته فيه فآوىٰ إلىٰ الظل. فأتاه أبو أيوب فقال: يا رسول الله! إن منزلي أقرب المنازل إليك. فانقل رحلك إليّ؟ قال: نعم. فذهب برحله إلىٰ المنزل ثم أتاه رجل فقال: يا رسول الله أين تحلّ؟ قال: إن الرجل مع رحله حيث كان (البداية والنهاية لابن كثير ٣/ ٢٠٠).
قلنا: وفي إسناده عطاف بن خالد وثقه ابن معين وابن حنبل وأبو داود وضعفه الدارقطني وابن حبان. وقال ابن عدي في الكامل (٥/ ٣٧٩/ت ١٥٤٣): والعطاف روىٰ عنه أهل المدينة وغيرهم ويروي قريباً من مئة حديث كما قال أحمد بن حنبل. ولم أرَ بحديثه بأساً إذا حدّث عنه ثقة. اهـ.

٦٧ ـ والصحيح عندنا في ذلك، ما حدّثنا مجاهد بن موسى، قال: حدّثنا يزيد بن هارون، قال: أخبرنا حمَّاد بن سلَمة، عن أبي التَّيّاح، عن أنس بن مالك، قال: كان موضع مسجدِ النبيّ ﷺ لبني النَّجار، وكان فيه نخل وحَرْث وقبورٌ من قبور الجاهليّة، فقال لهم رسول الله ﷺ: ثامنُوني به، فقالوا: لا نبتغي به ثمناً إلاّ ما عند الله. فأمَر رسول الله ﷺ بالنَّخْل فقطِع، وبالحرْث فأفسد، وبالقبور فنبشتْ، وكان رسول الله ﷺ قبل ذلك يصلّي في مرابضِ الغنم، وحيث أدركته الصلاة[1]. (٢: ٣٩٦/ ٣٩٧).

= قلنا: والذي حدث عنه هنا هو الإمام الثقة سعيد بن منصور. وقد أخرج ابن كثير أيضاً رواية أخرىٰ للبيهقي من طريق إبراهيم بن صرمة ثنا يحيىٰ بن سعيد عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة: فلما دخلنا جاء الأنصار برجالها ونسائها فقالوا: إلينا يا رسول الله فقال: (دعوا الناقة فإنها مأمورة فبركت على باب أبي أيوب فخرجت جوار من بني النجار يضربن بالدفوف وهن يقلن:

نحن جوار من بني النجار يا حبذا محمداً من جار

... الحديث). ثم قال ابن كثير: هذا حديث غريب من هذا الوجه لم يروه أحد من أصحاب السنن وقد أخرجه الحاكم في المستدرك كما يروىٰ (البداية والنهاية ٣/ ١٩٨).

وقال الألباني: وعلته ابن صرمة هذا. فقد قال ابن معين فيه: كذاب. خبيث وضعفه غيره (دفاع عن الحديث النبوي والسيرة/ ٢٤).

قلنا: وفيه محمد بن سليمان مجهول الحال. (١/ ١٨٣). والحديث أخرجه كذلك موسىٰ بن عقبة في مغازيه كما أخرجه ابن إسحاق معضلاً. وأخرجه ابن سعيد مطولاً ومختلفاً بعض الشيء (١/ ٢٣٦).

اختلف رأي كلٍّ من العمري وهمام وأبو صعيلك.

أما الأول فقد قال عن رواية ابن سعد: وأخرجها ابن سعد بسند فيه الواقدي (الطبقات ١/ ٢٣٦ ـ ٢٣٧) وبسند معضل (١/ ٢٣٧). وأما همام وأبو صعيلك فقد قالا: رواه ابن سعد في الطبقات (ج١ص ٢٣٦/ ٢٣٧) ورجاله ثقات وسنده متصل.

وقالا: فيكون الحديث صحيحاً من طريق ابن سعد. علماً بأن العمري قال: ويعتمد حديث عبد الله بن الزبير بحديث أنس فيرقىٰ إلىٰ الحسن لغيره.

خلاصة القول أن للحديث روايتان معضلتان (أبي إسحاق وموسىٰ بن عقبة)، ورواية موصولة عن عبد الله بن الزبير وهي ضعيفة وأخرىٰ عن أنس وهي ضعيفة أيضاً. ولعلها تتقوىٰ ببعضها وقال الأستاذ العمري في حاشية صحيح السيرة النبوية (١/ ٢١٩): ويعتضد حديث عبد الله بن الزبير بحديث أنس فيرقىٰ إلى الحسن.

(١) إسناده حسن والحديث صحيح أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب مناقب الأنصار/ ح ٣٩٣٢)=

٦٨ ـ قال أبو جعفر: وتولَّى بناء مسجده ﷺ هو بنفسه وأصحابه من المهاجرين والأنصار[١]. (٢: ٣٩٧).

٦٩ ـ وفي هذه السّنة بُنِي مسجد قُباء[٢]. (٢: ٣٩٧).

وفي هذه السنة مات أبو أحَيْحَة بماله بالطائف. ومات الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل السَّهْميّ فيها بمكّة.

* * *

وفيها بَنى رسول الله ﷺ بعائشة بعد مقدَمِه المدينة بثمانيَة أشهر في ذي القَعْدة في قول بعضهم، وفي قول بعضٍ: بعد مقدَمِه المدينة بسبعة أشهر، في شَوَّال،

= عن أنس بن مالك رضي الله عنه. ولفظ البخاري: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة نزل في علو المدينة، في حيّ يقال لهم: بنو عمرو بن عوف، قال: فأقام فيهم أربع عشرة ليلة، ثم أرسل إلىٰ ملأ بني النجار، قال: فجاؤوا متقلدي سيوفهم. قال: وكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ على راحلته وأبو بكر ردْفه وملأ بني النجار حوله حتىٰ ألقىٰ بفناء أبي أيوب قال: فكان يصلي حيث أدركته الصلاة ويصلي في مرابض الغنم، قال: ثم إنه أمر ببناء المسجد فأرسل إلىٰ ملأ بني النجار فجاؤوا فقال: يا بني النجار ثامنوني بحائطكم هذا، فقالوا: لا والله لا نطلب ثمنه إلاّ إلى الله. فكان فيه ما أقول لكم: كانت فيه قبور المشركين وكانت فيه خِرَبٌ وكان فيه نخل. فأمر رسول الله ﷺ بقبور المشركين فنبشت وبالخرب فسويت، وبالنخل فقطع، قال: فصفوا النخل قبلة المسجد، قال: وجعلوا عِضَادَتيه حجارة. قال: جعلوا ينقلون ذلك الصخر وهم يرتجزون ورسول الله ﷺ معهم يقولون:

اللهم إنه لا خير إلا خير الآخره فانصر الأنصار والمهاجره

والحديث أخرجه مسلم في صحيحه كتاب المساجد (١/ ٥٤) باب ابتناء مسجد النبي ﷺ (ح ١١٧٣) من طريق أبي التياح الضبعي. حدثنا أنس بن مالك ولفظه كلفظ البخاري السابق.

وكذلك أخرجه البخاري في مواضع أخرىٰ منها في كتاب الصلاة باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد (ح ٤٢٨) وأخرجه النسائي في كتاب المساجد (ح ٧٠١) وغيرهم.

(١) قلنا: ذكر الطبري هذا بلا إسناد وهو كذلك كما هو مبيّن في الروايات الصحيحة الآنفة الذكر والله أعلم.

(٢) ذكر الطبري تأريخ بناء مسجد قباء هكذا، وتطرق إلىٰ بنائه عابراً كذلك في مواضع سابقة ولم يذكر بالتفصيل ما ذكره أئمة الحديث والمغازي والسير في بناء مسجد قباء.

وكان تزوّجها بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين بعد وفاة خديجة وهي ابنة ستّ سنين ، وقد قيل: تزوّجها وهي ابنةُ سبع[١] . (٣: ٣٩٨).

قال أبو جعفر: وتزوّجها رسول الله ﷺ ـ فيما قيل ـ في شوّال ، وبَنى بها حين بنى بها في شَوّال[٢] . (٣: ٣٩٩) .

وفيها ـ في قول بعضهم ـ وُلِد عبد الله بن الزُّبير. وفي قول الواقديّ: وُلِدَ في السَّنَة الثانية من مقْدَم رسول الله ﷺ المدينة في شوال[٣] . (٢: ٤٠٠) .

قال أبو جعفر: وكان أوَّلَ مولودٍ ولد من المهاجرين في دار الهِجْرَة[٤] .

(٢: ٤٠١)

[غزوة ذات العُشيرة]

٧٠ ـ قال: وفيها خرجَ رسول الله ﷺ يعترض لِعَيرات قريش حين أبدأت إلى الشَّام في المهاجرين ـ وهي غزوة ذات العُشيرة ـ حتى بلغ يَنْبُع؛ واستخلف على المدينة أبا سلَمة بن عبد الأسد؛ وكان يحمل لواءه حمزة بن عبد المطلب. فحدثنا سليمان بن عمرو بن خالد الرّقيُّ ، قال: حدّثنا محمّد بن سلَمة ، عن محمَّد بن إسحاق ، عن محمّد بن يزيد بن خُثَيْم؛ عن محمد بن كعب القرظيّ؛ قال: حدّثنا أبوك يزيد بن خُثَيْم ، عن عمَّار بن ياسر ، قال: كنت أنا وعليّ رفيقين مع رسول الله ﷺ في غزوة العُشَيْرَة ، فنزلنا منزلاً ، فرَأينا رجالاً من بني مُدْلِج يعملون في نخْل لهم ، فقلت: لو انطلقنا! فنظرنا إليهم كيف يعملون ، فانطلقنا فنظرنا إليهم ساعة ، ثم غَشينَا النُّعَاسُ ، فعمدنا إلى صَوْر من النخل؛ فنمْنا تحته في دقْعاء من التراب ، فما أيقَظنا إلاّ رسول الله ﷺ ، أتانا وقد تَتَرَّبْنَا في ذلك التراب؛ فحرّك علياً برجله ، فقال: قم يا أبا تراب؛ ألاَ أخبرك بأشقى النَّاس؟ أحمر ثمود عاقر النَّاقة ، والذي يضربُك [يا عَلِيّ] علَى هذا ـ يعني قَرْنَه ـ فيخضِب هذه منها؛ وأخذ بلحيته[٥] . (٢: ٤٠٨/٤٠٩).

---

(١) إسناده صحيح.

(٢) إسناده صحيح.

(٣) إسناده صحيح.

(٤) إسناده صحيح.

(٥) لم يصرح ابن إسحاق بالتحديث هنا ولكن ابن هشام أخرجه في السيرة مصرّحاً (أي ابن=

٧١ - حدّثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سلَمة ، قال: حدّثني محمّد بن إسحاق ، قال: حدّثني يزيد بن محمد بن خُثَيْم المحاربيّ ، عن محمد بن كعب القرظيّ ، عن محمد بن خُثَيْم - وهو أبو يزيد - عن عمّار بن ياسر ، قال: كنت أنا وعليّ رفيقين ، فذكر نحوه[١] . (٢ : ٤٠٩) .

٧٢ - وقد قيل في ذلك غير هذا القول؛ وذلك ما حدّثني به محمد بن عبيد المحاربيّ ، قال: حدّثنا عبد العزيز بن أبي حازم ، عن أبيه ، قال: قيل لسهل بن

= إسحاق) بالتحديث ، والحديث رواه الحاكم في المستدرك من الطريق نفسه وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه بهذه الزيادة.
إنما اتفقا على حديث أبي حازم عن سهيل بن سعد: قم يا أبا تراب (المستدرك ٣/ ١٤١) وسكت عنه الذهبي.
وأخرجه الطبراني مختصراً (مجمع الزوائد ٩/ ١٣٦).
وقال البخاري في تأريخه: وهذا إسناد لا يعرف سماع يزيد بن محمد ولا محمد بن كعب من ابن خثيم ولا ابن خثيم في عمار - وسنرجع للحديث عن غزوة العشيرة بعد الرواية التالية.

(١) إسناده ضعيف ، راجع الرواية السابقة.
غزوة ذات العشيرة (٢/ ٤٠٨)
أخرج البخاري في صحيحه (كتاب المغازي ح ٣٩٤٩) - عن أبي إسحاق (كنت إلىٰ جنب زيد ابن أرقم فقيل له: كم غزا النبي ﷺ من غزوة؟ قال: تسع عشرة. قال: كم غزوت أنت معه؟ قال: سبع عشرة. قلت: فأيهم كان أول؟ قال: العشير أو العشيرة ، فذكرت ذلك لقتادة فقال: العشيرة).
والحديث أخرجه مسلم في صحيحه (باب غزوات النبي ﷺ/ ح ١٢٥٤).
ولفظه عند أحمد: (سألت زيد بن أرقم رضي الله عنه: كم غزا النبي ﷺ؟ قال: تسع عشرة غزوة. وغزوت معه سبع عشرة وسبقتني بغزوتين).
وقال الحافظ ابن حجر: ومراده (أي مراد زيد بن أرقم) الغزوات التي خرج النبي ﷺ فيها بنفسه سواء قاتل أم لم يقاتل.
لكن روىٰ أبو يعلىٰ من طريق أبي الزبير عن جابر أن عدد الغزوات إحدى وعشرون ، وأصله في مسلم. (ح ١٨١٣).
فعلى هذا ففات زيد بن أرقم ذكر اثنتين منها ولعلها الأبواء وبواط ، وكأن ذلك خفي عليه لصغره ويؤيد ما قلته ما وقع عند مسلم بلفظ (قلت: ما أول غزوة غزاها؟ قال: ذات العشير أو العشيرة). والعشيرة كما تقدم هي الثالثة (الفتح ٧/ ٢٨١) وحديث زيد بن الأرقم (تسع عشرة غزوة أو العشير أو العشيراء) أخرجه كذلك مسلم (١٢٥٤/ ١٤٣). =

سعد: إنّ بعضَ أمراء المدينة يريد أن يبعث إليك تَسُبُّ علياً عند المنبر ، قال: أقول ماذا؟ قال: تقول: أبا تراب ، قال: والله ما سَمّاه بذلك إلاّ رسول الله ﷺ ، قال: قلتُ: وكيف ذاك يا أبا العبّاس؟ قال: دخل عليّ على فاطمة ، ثم خرج من عندها ، فاضطجع في فَيءِ المسجد: قال: ثم دخلَ رسول الله ﷺ على فاطمة ، فقال لها: أين ابنُ عمِّك؟ فقالت: هو ذاك مضطجع في المسجد ، قال: فجاءه رسول الله ﷺ ؛ فوجده قد سقط رداؤه عن ظهره ، وخلَص التراب إلى ظهره ، فجعل يمسح التّراب عن ظهره ، ويقول: اجلس أبا تراب. فوالله ما سَمّاه به إلاّ رسول الله ﷺ ؛ ووالله ما كان له اسمٌ أحبّ إليه منه![1] (٢: ٤٠٩).

[سرية عبد الله بن جحش]

٧٣ ـ قال أبو جعفر الطبريّ: ولمّا رَجَع رسول الله ﷺ من طلب كُرْز بن جابر الفِهريّ إلى المدينة ، وذلك في جُمادى الآخرة ، بعث في رجب عبدَ الله بن جَحْش معه ثمانية رهْط من المهاجرين؛ ليس فيهم من الأنصار أحدٌ؛ فيما حدّثنا ابن حُمَيد ، قال: حدّثنا سلَمة قال: حدّثني محمّد بن إسحاق ، قال: حدّثني الزّهريُّ ويزيد بن رُومان؛ عن عُرْوة بن الزبير بذلك.

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق ، عن الزهريّ ويزيد بن رُومان ، عن عروة ، قال: وكتبَ رسول الله ﷺ له كتاباً ـ يعني لعبد الله بن جَحْش ـ وأمره ألاّ ينظر فيه حتى يسير يومين؛ ثم ينظر فيه فيَمضي لما أمرَه به ، ولا يستكرِه أحداً من أصحابه ، فلمّا سار عبدُ الله بن جحش يومين ، فتح الكتاب ، ونظر فيه ، فإذا فيه: «وإذا نظرتَ في كتابي هذا؛ فسِرْ حتى تنزل نَخْلة بين مكّة والطّائف؛ فترصّدْ بها قريشاً ، وتعلّمْ لنا من أخبارهم» فلمّا نظرَ عبدُ الله في الكتاب ، قال: سمعاً وطاعةً؛ ثم قال لأصحابه: قد أمرني رسول الله ﷺ أن أمضيَ إلى نَخْلة ، فأرصد بها قريشاً حتى آتيَه منهم بخبَر ، وقد نهاني أن أستكرِهَ أحداً منكم؛ فمن كان منكم

---

(١) رجاله رجال الصحيح غير المحاربي وهو صدوق كما قال الحافظ في التقريب: وهذه الرواية تبين أنه ﷺ سمّى علياً أبا تراب في المسجد وهذا مخالف للروايتين السابقتين للطبري (قسم الضعيف) في أنه ﷺ سمّاه بذلك في غزوة العشيرة وحديث تسميته بأبي تراب (عندما وجده نائماً في المسجد) في صحيح البخاري وبه يؤخذ والله تعالىٰ أعلم.

يريد الشهادة ، ويرغب فيها فلينطلِقْ ، ومَنْ كره ذلك فلْيرجِع؛ فأمّا أنا فماضٍ لأمر رسول الله ﷺ .

فمضى ومضى معه أصحابُه ، فلم يتخلّف عنه منهم أحد ، وسلَك على الحجاز؛ حتى إذا كان بمَعدِنَ فوق الفُرْع [يقال له بحْران] ، أضلّ سعد بن أبي وقاص وعُتْبة بن غَزْوان بعيراً لهما كانا يَعْتقبانه ، فتخلّفا عليه في طلبه. ومضى عبد الله بن جحش وبقيّة أصحابه حتى نزل بنخْلة ، فمرّت بهِ عيرٌ لقريش تحمل زَبيباً وأدَماً وتجارة من تجارة قريش فيها؛ عمرو بن الحضرميّ ، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة وأخوه نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزوميّان ، والحكَم بن كَيْسان مولى هشام بن المغيرة. فلمّا رآهم القوم هابوهم؛ وقد نزلوا قريباً منهم ، فأشرف لهم عُكّاشة بن محْصَن ـ وقد كان حلَق رأسه ـ فلما رأوْه أمنوا ، وقالوا: عُمّار لا بأس عليكم منهم. وتشاور القوم فيهم؛ وذلك في آخر يوم من رجب؛ فقال القوم: والله لئن تركتم القومَ هذه الليلة ليدخُلنّ الحرم؛ فليمتنعُنَّ به منكم؛ ولئن قتلتموهم لتقتُلنّهم في الشهر الحرام. فتردّد القوم ، وهابوا الإقدام عليهم؛ ثم تشجّعوا عليهم ، وأجمعوا على قتل مَنْ قدروا عليه منهم ، وأخْذِ ما معهم؛ فرمى واقدُ بن عبد الله التميميّ عمرو بنَ الحضرميّ بسهم فقتله ، واستأسر عثمان ابن عبد الله والحكم بن كيسان ، وأفلت نوفل بن عبد الله فأعجزهم ، وأقبل عبد الله بن جحش وأصحابه بالعِير والأسيرين؛ حتى قدِموا على رسول الله ﷺ بالمدينة.

قال: وقد ذكرَ بعضُ آل عبد الله بن جحش ، أنّ عبد الله بن جَحْش ، قال لأصحابه: إنّ لرسول الله ﷺ ممّا غنمتم الخمسَ ـ وذلك قبل أن يفرض الله من الغنائم الخمس ـ فعزل لرسول الله ﷺ خُمْس الغنيمة ، وقسّم سائرها بين أصحابه؛ فلمّا قدمُوا على رسول الله ﷺ ، قال: ما أمرتُكم بقتال في الشَّهر الحرام. فوقّف العير والأسيرين؛ وأبَى أن يأخذ من ذلك شيئاً. فلمّا قال ذلك رسول الله ﷺ سُقِط في أيدي القوم ، وظنُّوا أنّهم قد هَلَكوا ، وعنّفَهم المسلمون فيما صنعوا ، وقالوا لهم: صنعْتُمْ مالم تُؤْمَروا به ، وقاتلتم في الشَّهرِ الحرام ولم تؤمروا بقتال! وقالت قريش: قد استحلَّ مُحمدٌ وأصحابُهُ الشَّهرَ الحرام ، فسفكوا فيه الدّم وأخذوا فيه الأموال ، وأسَرُوا فيه الرّجال ، فقال مَنْ يردّ ذلك عليهم من

المسلمين ممّن كان بمكّة: إنما أصابوا ما أصابوا في شعبان. وقالت يهود: تفاءل بذلك علىٰ رسول الله ﷺ: عمرو بن الحضرميّ قتله واقد بن عبد الله: «عمرو» عمرت الحرب، و«الحضرميّ» حضرت الحرب، و«واقد بن عبد الله» وقدت الحرب؛ فجعل الله عزّ وجلّ ذلك عليهم لا لهم.

فلمّا أكثر الناس في ذلك أنزل الله عزّ وجلّ على رسوله ﷺ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ...﴾ الآية. فلمّا نزل القرآن بهذا من الأمر وفرّج الله عن المسلمين ما كانوا فيه من الشَّفَق، قبض رسول الله ﷺ العير والأسيرين.

وبعثَت إليه قريش في فداء عثمان بن عبد الله والحكَم بن كيسان، فقال رسول الله ﷺ: لا نُفْدِيكموهما؛ حتى يَقدَم صاحبانا ـ يعني سعد بن أبي وقّاص وعتبْة بن غزوان ـ فإنّا نخشاكم عليهما؛ فإن تقتلوهما نقتل صاحبيكم. فقدم سعد وعُتْبة، ففاداهما رسول الله ﷺ منهم؛ فأما الحكَم بن كَيْسان فأسلم فحسُن إسلامه، وأقام عند رسول الله ﷺ حتى قتل يوم بئر مَعُونة شهيداً[(١)]. (٢: ٤١٠/ ٤١١/ ٤١٢/ ٤١٣).

---

(١) إسناده إلى ابن إسحاق ضعيف وكذلك أخرجه ابن هشام في السيرة النبوية عن عروة مرسلاً (٢/ ٢٨٨ ـ ٢٩٢) مع بعض الاختلاف.
والحديث في هذا عن الزهري ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير (٢/ ٢٢٩) فحديث سرية عبد الله بن جحش مرسل عند كليهما (الطبري وابن هشام) وأخرجه البيهقي في السنن (٩/ ١٢) عن عروة كذلك مرسلاً ـ وأحمد (٢١/ ٢٥/ الفتح الرباني) وفي إسناده انقطاع وكذلك ابن أبي شيبة (١٤/ ٣٥٢) منقطعاً ورواه البيهقي مرسلاً في سننه (٩/ ٥٨) وهذه طرق ضعيفة تتقوىٰ ببعضها وبما أخرجه البيهقي موصولاً بسند رجاله ثقات من طريق سليمان التيمي عن الحضرمي عن أبي السوار عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه، وقال البيهقي في السنن عقب هذه الرواية (٩/ ١١): سنده صحيح إن كان الحضرمي هو ابن لاحق ـ ا هـ ـ.
وقال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد ٦/ ١٩٨).
وأما من المعاصرين فقد ضعف محققا سيرة ابن هشام حديث سرية عبد الله بن جحش، إذ قال الشيخان الجليلان الدكتور همام سعيد ومحمد أبو صعيليك في نهاية تحقيقهما للخبر: فيكون الخبر ضعيفاً (سيرة ابن هشام/ الحاشية ٢/ ٢٨٩).
أما الشيخ الفاضل سيد بن عباس الحليمي فقد ذكر طرق الرواية وبيّن ضعفها غير رواية البيهقي من حديث جندب بن عبد الله فقال: وإسناده حسن إن كان حضرمي هو ابن لاحق.
(الفصول في سيرة الرسول/ ٦٠/ الحاشية).

وأما الواقديّ فإنه زعم أنّ رسول الله ﷺ بعث عبد الله بن جحش سَرِيّةً في اثني عشر رجلاً من المهاجرين[١] . (٢ : ٤١٠)

ذكر بقية ما كان في السنة الثانية
من سني الهجرة

قال أبو جعفر : وقال آخرون : إنّما صُرِفت القبلة إلى الكعبة لستّة عشر شهراً مضت من سِنِي الهجرة .

ذكر من قال ذلك :

٧٤ ـ حدّثَنا المثنّى بن إبراهيم الآمُلِيّ ، قال : حدّثنا الحجّاج ، قال : حدّثنا همَّام بن يحيى ، قال : سمعتُ قَتادة ، قال : كانوا يصلُّون نحو بيتِ المقدِس ، ورسولُ الله ﷺ بمكَّةَ قبل الهجرة ، وبعدما هاجر رسول الله ﷺ نحو بيت المقدس ستّة عشر شهراً ، ثم وُجِّه بعد ذلك نحو الكعبة البيت الحرام[٢] . (٢ : ٤١٧) .

٧٥ ـ حدّثني يونسُ بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابنُ وهب ، قال : سمعتُ ابنَ زيد يقول : استقبل النبيّ ﷺ بيتَ المقدسِ ستَّةَ عشر شهراً ، فبلغه أن يهودَ تقول : والله ما دَرَى محمَّدٌ وأصحابه أين قبلتُهم حتَّى هديناهم! فكرِهَ ذلك النبيّ ﷺ ، ورفع وجهَه إلى السماء ، فقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ . . . ﴾[٣] الآية . (٢ : ٤١٧) .

= وقال الأستاذ العمري في صحيح السيرة النبوية : والحديث يرقىٰ بمجموع طرقه إلى الصحيح لغيره (صحيح السيرة ٢/ ٣٤٧ الحاشية) . والقول ما قاله العمري والله أعلم .

(١) صحيح .

(٢) إسناده ضعيف ومتنه صحيح كما سنبين بعد الرواية التالية .

(٣) حديث تحويل القبلة نحو الكعبة بعد ستة عشر شهراً حديث صحيح أخرجه غير واحد من الأئمة ، فقد أخرج البخاري : (عن البراء بن عازب رضي الله عنهما : أن النبي ﷺ كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده ـ أو قال أخواله ـ من الأنصار وأنه صلىٰ قبل بيت المقدس ستة عشر شهراً ، أو سبعة عشر شهراً وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت ، وأنه صلىٰ أول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم ، فخرج رجل ممن صلىٰ معه فمرّ على أهل مسجد وهم راكعون ، فقال : أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله ﷺ قبل مكة فداروا ـ كما هم ـ قبل=

وفيها كانت وقعة بدر الكبرَى بين رسول الله ﷺ والكفار من قُريش ، وذلك في شهر رمضان منها[١]. (٢ : ٤١٨) .

وقال آخرون : كانتْ يوم الجمعة صبيحةَ سبع عشرة من شهر رمضان.

ذكر من قال ذلك :

٧٦ ـ حدّثنا ابنُ المثنّى ، قال : حدّثنا محمد بن جعفر ، قال : حدّثنا شُعبة ، قال : سمعتُ أبا إسحاق يُحدّث عن حُجَير ، عن الأسود وعلْقَمة : أنّ عبد الله بن مسعود ، قال : التمِسُوها في سبع عَشرة. وتلا هذه الآية : ﴿يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ يوم بدر ، ثم قال : أو تسعَ عشرةَ ، أو إحدى وعشرين[٢]. (٢ : ٤١٩) .

ذكر وقعة بدر الكبرى

٧٧ ـ حدّثنا عليّ بن نصر بن عليّ ، وعبد الوارث بن عبد الصّمد بن عبد الوارث ـ قال عليّ : حدّثنا عبد الصَّمد بن عبد الوارث ، وقال عبد الوارث :

= البيت ، وكانت اليهود قد أعجبهم إذ كان يصلي قبل بيت المقدس ، وأهل الكتاب ، فلما ولىٰ وجهه قبل البيت أنكروا ذلك . . .) الحديث. (صحيح البخاري ـ كتاب الإيمان ـ باب الصلاة من الإيمان/ ح ٤٠) وفي مواضع أخرى منها باب التوجه نحو القبلة وكتاب التفسير باب سيقول السفهاء . . .
(وأخرجه مسلم في صحيحه باب تحويل القبلة/ ح ٥٢٥) وغيرهما.

(١) صحيح.

(٢) إسناده صحيح والحديث أخرجه كذلك الحاكم في المستدرك (٣/ ٢١) وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي والبيهقي في السنن (٤/ ٣١٠) وأبو داود في سننه (ح ١٣٨٤).
وقال الحافظ في التلخيص الحبير (٤/ ٨٩) : أما غزوة بدر فمتفق عليها بين أهل السير : ابن إسحاق وموسى بن عقبة وأبو الأسود وغيرهم ، واتفقوا علىٰ أنها كانت في رمضان ، قال ابن عساكر : والمحفوظ أنها كانت في يوم الجمعة ، وروي أنها كانت في يوم الإثنين وهو شاذ ، ثم الجمهور على أنها كانت سابع عشرة وقيل ثاني عشرة ، وجمع بينهما بأن الثاني ابتداء الخروج والسابع عشر يوم الوقعة (تلخيص الحبير ٤/ ٨٩).
قلنا : والأرجح أن يوم الوقعة هو يوم السابع عشر ونهاية الغزوة هو التاسع عشر توفيقاً بين قولي ابن مسعود والله تعالى أعلم.

حدّثني أبي ـ قال: حدّثنا أبان العطار، قال: حدّثنا هشام بن عُروة، عن عُروة، أنه كتب إلى عبد الملك بن مروان: أمّا بعد، فإنك كتبتَ إليّ في أبي سفيان ومخرَجه، تَسْألني كيف كان شأنه؟ كان من شأنه أنّ أبا سُفيان بن حَرْب أقبل من الشام في قريب من سبعين راكباً من قبائل قريش كلّها، كانوا تجاراً بالشام، فأقبلوا جميعاً معهم أموالُهم وتجارتهم، فذكروا لرسول الله ﷺ وأصحابه؛ وقد كانت الحرب بينهم قبل ذلك، فقُتلت قتلى، وقُتِل ابن الحضرميّ في ناس بنَخْلَة، وأسِرَتْ أسارَى من قريش، فيهم بعضُ بني المغيرة، وفيهم ابن كَيْسان مولاهم، أصابهم عبد الله بن جَحْش وواقد حليف بني عديّ بن كعب، في ناسٍ من أصحاب رسول الله ﷺ بعثهم مع عبد الله بن جحش، وكانت تلك الوقعة هاجت الحرب بين رسول الله ﷺ وبين قريش، وأول ما أصاب به بعضهم بعضاً من الحرب، وذلك قبلَ مخرج أبي سفيان وأصحابه إلى الشام. ثم إنّ أبا سفيان أقبل بعد ذلك ومَن معه من رُكْبان قريش مقبلين من الشام، فسلَكوا طريق الساحل، فلمّا سمع بهم رسول الله ﷺ ندبَ أصحابه وحدّثهم بما معهم من الأموال، وبقلّة عَدَدِهم، فخرجوا لا يريدون إلاّ أبا سفيان والركْبَ معه؛ لا يروْنها إلاّ غنيمة لهم؛ لا يظنّون أن يكون كبيرُ قتال إذا لقُوهم، وهي التي أنزل الله عزّ وجلّ فيها: ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾.

فلما سمعَ أبو سفيان أنّ أصحابَ رسول الله ﷺ معترضون له، بعث إلى قريش: إنّ محمداً وأصحابه معترضون لكم، فأجيرُوا تجارتكم، فلمّا أتى قريشاً الخبرُ ـ وفي عيرِ أبي سفيان؛ من بُطون كعب بن لُؤيّ كلّها ـ نَفرَ لها أهلُ مكة؛ وهي نَفْرة بني كعب بن لُؤيّ، ليس فيها من بني عامر أحدٌ إلاّ من كان من بني مالك بن حِسْل؛ ولم يَسمع بنَفْرَة قريش رسول الله ﷺ ولا أصحابه؛ حتى قدِم النبيّ ﷺ بدراً ـ وكان طريق ركبان قريش؛ مَنْ أخذ منهم طريق الساحل إلى الشام ـ فخفض أبو سفيان عن بدْر، ولزِم طريقَ الساحل، وخاف الرّصَد على بدْر، وسار النبيّ ﷺ، حتى عرّس قريباً من بدر، وبعث النبيّ ﷺ الزبير بن العوام في عصابة من أصحابه إلى ماء بدر، وليسوا يحسبُون أنّ قريشاً خرجت لهم، فبينا رسول ﷺ قائمٌ يصلّي؛ إذ ورد بعض روايا قريش ماءَ بدر، وفيمن ورد من الرّوايا غلام لبني الحجّاج أسودُ؛ فأخذه النّفرُ الذين بعثهم رسول الله ﷺ مع الزبير إلى

الماء ، وأفلت بعضُ أصحاب العبد نحو قريش ، فأقبلوا به حتى أتوْا به رسول الله ﷺ وهو في مُعَرّشه ، فسألوه عن أبي سفيان وأصحابه ؛ لا يحسبون إلاّ أنه معهم ، فطفِق العبد يحدّثهم عن قريش ومن خرج منها ، وعن رؤوسهم ، ويصدُقهم الخبر ؛ وهم أكره شيء إليهم الخبر الذي يخبرهم ؛ وإنما يطلبون حينئذ بالركْب أبا سفيان وأصحابه ، والنبيّ ﷺ يصلّي ؛ يركع ويسجد يرى ويَسمع ما يُصنع بالعبد ، فطفِقوا إذا ذكر لهم أنها قريش جاءتهم ، ضربوه وكذّبوه ، وقالوا : إنما تكتمنا أبا سفيان وأصحابه ؛ فجعل العبد إذا أذلَقوه بالضرب ، وسألوه عن أبي سفيان وأصحابه ـ وليس له بهم علم ؛ إنما هو من رَوَايا قريش ـ قال : نعم ، هذا أبو سفيان ، والركْب حينئذ أسفل منهم ؛ قال الله عزّ وجلّ : ﴿ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ﴾ حتَّى بلغ ـ ﴿ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ ، فطفِقوا إذا قال لهم العبد : هذه قريش قد أتتكم ضربوه ، وإذا قال لهم : هذا أبو سفيان تركوه .

فلمّا رأى صنيعَهم النبيّ ﷺ انصرف من صلاته وقد سمع الذي أخبرهم ، فزعموا أنَّ رسول الله ﷺ ، قال : والذي نفسي بيده ، إنكم لتضربونه إذا صَدَقَ ، وتتركونه إذا كذب! قالوا : فإنه يحدّثنا أنّ قريشاً قد جاءت ، قال : فإنه قد صدق ؛ قد خرجت قريش تجير رِكابها ، فدعا الغلام فسأله فأخبره بقريش ، وقال : لا عِلْمَ لي بأبي سفيان ، فسأله : كم القوم؟ فقال : لا أدري ؛ والله هم كثير عددهم ، فزعموا أن النبيّ ﷺ ، قال : مَنْ أطعمهم أوّل مِنْ أمس؟ فسمّى رجلاً أطعمهم ، فقال : كم جزائر نَحرَ لهم؟ قال : تسع جزائر ، قال : فَمَنْ أطعمهم أمسِ؟ فسمّى رجلاً ، فقال : كم نحر لهم؟ قال : عشر جزائر ؛ فزعموا أنّ النبيّ ﷺ قال : القومُ ما بين التسعمئة إلى الألف . فكان نَفْرة قريش يومئذ خمسين وتسعمئة .

فانطلق النبي ﷺ فنزل الماء وملأ الحِياضَ ، وصفّ عليها أصحابه ، حتى قدم عليه القوم ، فلمّا ورد رسول الله ﷺ بدراً قال : هذه مصارعُهم ؛ فوجدوا النبيّ ﷺ قد سبقهم إليه ونزل عليه . فلمّا طلعوا عليه زعموا أنّ النبيّ ﷺ قال : هذه قريش قد جاءت بجلَبتها وفخرها ؛ تحادُك وتُكذّبُ رسولك! اللهمّ إني أسألك ما وعدتني .

فلما أقبلوا استقبلهم ، فحثَا في وجوههم التراب ؛ فهزمَهم الله ، وكانوا قبل

أن يلقاهم النبيّ ﷺ قد جاءهم راكب من أبي سفيان والركب الذين معه: أن ارْجعوا ـ والركْب الذين يأمرون قريشاً بالرجْعَةِ بالجُحْفة ـ فقالوا: والله لا نرجع حتى ننزل بـدراً، فنقيم به ثلاثَ ليال، ويرانا مَن غشينا من أهل الحجاز؛ فإنـه لن يرانا أحد من العرب وما جمعْنا فيقاتلنا. وهم الذين قال الله عزّ وجل: ﴿ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴾؛ فالتقـوا هُمْ والنبيّ ﷺ، ففتح الله على رسوله، وأخزى أئمـة الكُفْر وشفى صدورَ المسلمين منهم.[(١)] (٢: ٤٢١/ ٤٢٢/ ٤٢٣/ ٤٢٤).

٧٨ ـ حدّثني هارون بن إسحاق، قال: حدّثنا مصعب بن المِقْدام، قال: حدّثنا إسرائيل، قال: حدّثنا أبو إسحاق، عن حارثة، عن عليّ عليه السلام، قال: لما قَدِمْنَا المدينة أصبنا من ثمارها، فاجتَويْناها، وأصابنا بها وعْكٌ، وكان رسول الله ﷺ يتخبّر عن بدر؛ فلما بلغنا أنّ المشركين قد أقبلُوا سار رسول الله ﷺ إلى بدر ـ وبدر: بئر ـ فسبَقْنا المشركين إليها، فوجدنا فيها رجليْن، منهم رجلٌ من قِريش، ومولىً لعُقبْة بن أبي مُعَيْط؛ فأما القرشيّ فانفلت، وأمّا مولى عُقْبة فأخذناه، فجعَلنا نقول: كم القوم؟ فيقول: هم والله كثير، شديدٌ بأسهم؛ فجعل المسلمون إذا قال ذلك ضربُوه، حتى انتهوْا به إلى رسول الله ﷺ، فقال له: كم القوم؟ فقال: هم والله كثير، شديد بأسهم، فجهد النبي ﷺ أن يخبره كم هم، فأبى. ثم إنّ رسول الله ﷺ سأله: كم ينحرون من الجُزُر؟ فقال: عشراً كلّ يوم، قال رسول الله ﷺ: القوم ألف.

ثم إنه أصابنَا من الليل طَشٌّ من المطر، فانطلقنا تحت الشجر والحجَف نستظلُّ تحتها من المطر، وبات رسول الله ﷺ يدعو ربّه: اللّهمّ إنْ تهلِكْ هذه العِصابة لا تُعبَد في الأرض. فلمّا أن طلع الفجر نادى: الصلاة عباد الله! فجاء الناس من تحت الشجر والحَجف، فصلى بنا رسول الله ﷺ، وحَرّض على القتال، ثم قال: إنّ جَمْع قريش عند هذه الضِّلْعة من الجبل. فلما أن دنا القوم منّا وصافَفْناهم؛ إذا رجلٌ من القوم على جَمل أحمر يسير في القوم، فقال رسول الله ﷺ: يا عليّ، نادِ لي حمزة ـ وكان أقربهم إلى المشركين ـ: مَنْ

---

(١) إسناده مرسل.

صاحبُ الجمل الأحمر؟ وماذا يقول لهم؟ وقال رسول الله ﷺ : إنْ يكن في القوم مَنْ يأمر بالخير؛ فعسى أن يكونَ صاحب الجمل الأحمر ، فجاء حمزة ، فقال: هو عتْبة بن ربيعة؛ وهو ينهى عن القتال ، ويقول لهم: إنّي أرى قوماً مُسْتَميتين لا تصلون إليهم وفيكم خير؛ يا قوم اعصبُوها اليومَ برأسي ، وقولوا: جَبُنَ عُتْبة ابن ربيعة؛ ولقد علمتم أنّي لستُ بأجبنِكم.

قال: فسمعَ أبو جهل فقال: أنت تقول هذا! والله لو غيرك يقول هذا لعضضتُه! لقد ملئت رِئتُك وجوفك رُعباً ، فقال عتبة: إيّايَ تُعَيّر يا مصَفّر استِه! ستَعلم اليومَ أيّنا أجْبَن!

قال: فبرز عُتبة بن ربيعة وأخوه شيبة بن ربيعة ، وابنه الوليد ، حميّةً ، فقالوا: مَنْ يبارز؟ فخرج فِتْيَةٌ من الأنصار ستّة ، فقال عُتبة: لا نريدُ هؤلاء؛ ولكن يبارزُنا من بني عمّنا من بني عبد المطلب. فقال رسول الله ﷺ : يا عليّ قُم ، يا حمزة قم ، يا عُبيدة بن الحارث قم ، فقتل الله عتبةَ بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة ، وجرح عُبيدة بن الحارث؛ فقتلنا منهم سبعين ، وأسْرنا منهم سبعين.

قال: فجاء رجل من الأنصار قصير بالعبّاس بن عبد المطلب أسيراً ، فقال: يا رسولَ الله؛ والله ما هذا أسَرني ، ولكن أسَرَني رجل أجْلَح من أحسن الناس وجهاً ، على فرس أبْلق ، ما أراه في القوم ، فقال الأنصاريّ: أنا أسرته ، فقال رسول الله ﷺ : لقد آزرك الله بملَكٍ كريم. قال عليّ: فأسِر من بني عبد المطّلب العباس وعَقيل ونوفل بن الحارث[1]. (٢: ٤٢٤/ ٤٢٥/ ٤٢٦).

---

(١) رجاله ثقات ومصعب وثقه ابن معين والدارقطني ـ وحديث علي هذا (لما قدمنا المدينة. . .) أخرجه أبو داود (بأوجز من الطبري) في سننه (ح ٢٦٦٥/ باب في المبارزة) وأحمد في المسند (١/ ١١٧) وقال الهيثمي: ورجال أحمد رجال الصحيح غير حارثة بن مضرب وهو ثقة. (مجمع الزوائد ٦/ ٧٦).
قلنا: وأخرجه البزار (كشف الأستار/ ١٧٦١) وأخرجه الحاكم كذلك من حديث ابن عباس (٣/ ١٨٧) والله أعلم.
وتبقىٰ مسألة عنعنة أبي إسحاق هنا وهو مدلّس ولكن البخاري قبل هذه العنعنة إن كان من طريق إسرائيل عن أبي إسحاق وكذلك هاهنا فلا ضير والله أعلم.

٧٩ ـ حدّثني جعفر بن محمد البزُوريّ ، قال: حدّثنا عُبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن حارثة ، عن عليّ ، قال: لمّا أن كان يومُ بدر ، وحضر البأس اتّقينا برسول الله ، فكان من أشدّ الناس بأساً ، وما كان منّا أحدٌ أقربَ إلى العدوّ منه[١]. (٢: ٤٢٦).

٨٠ ـ حدّثنا عمرو بن علي ، قال: حدّثنا عبد الرحمن بن مهديّ ، عن شُعبة ، عن أبي إسحاق ، عن حارثة بن مضرّب ، عن عليّ ، قال: سمعتُه يقول: ما كان فينا فارسٌ يوم بدر غير مِقْداد بن الأسود ، ولقد رأيتُنا وما فينا إلاّ نائمٌ ، إلاّ رسول الله ﷺ قائماً إلى شجرة يصلّي ، ويدعو حتى الصبح[٢]. (٢: ٤٢٦/ ٤٢٧).

٨١ ـ حدّثنا ابنُ حُميد ، قال: حدّثنا سلمة ، قال: حدّثني محمد بن إسحاق ، قال: فحدّثني محمد بن مسلم الزهريّ وعاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر ويزيد بن رومان عن عُروة وغيرهم من علمائنا ، عن عبد الله بن عباس ، كلٌّ قد حدّثني بعض هذا الحديث؛ فاجتمع حديثهم فيما سُقتُ من حديث بدر ، قالوا: لما سمع رسول الله ﷺ بأبي سفيان مقبلاً من الشام ، ندَب المسلمين إليهم ، وقال: هذه عيرُ قريش فيها أموالهم ، فاخرُجوا إليها ، لعلّ الله أن يُنَفلكموها ، فانتدب الناس فَخفّ بعضهم وثقُل بعضهم؛ وذلك أنهم لم يظنُّوا أنّ رسول الله ﷺ يلقى حَرْباً ، وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتحسّس الأخبار ، ويسأل مَنْ لقيَ من الرُّكبان تخوُّفاً على أموال الناس؛ حتى أصاب خبراً من بعض الركبان: أنّ محمداً قد استنفرَ أصحابه لك ولِعيرك. فحذر عند ذلك ، فاستأجر ضَمْضَم بن عمرو الغفاريّ ، فبعثه إلى مكة ، وأمره أن يأتيَ قريشاً يستنفرهم إلى أموالهم ، ويخبرهم أنّ محمداً قد عَرَض لها في أصحابه[٣] فخرج ضمضم بن عمرو سريعاً إلى مكة. (٢: ٤٢٧).

٨٢ ـ حدّثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سلمة ، قال: قال ابنُ إسحاق: وحدّثني

(١) حديث علي هذا أخرجه أحمد في المسند وصححه العلامة شاكر رحمه الله، والله تعالى أعلم.

(٢) رجاله رجال الصحيح غير حارثة بن مضرّب وهو ثقة.

(٣) إسناده ضعيف إلى ابن إسحاق. وأخرجه ابن هشام في السيرة (٢/ ٢٩٥ بتحقيق همام وأبو صعيليك). والحديث رواه البيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٣٢) مطولاً والطبراني وحسَّن الهيثمي إسناده (مجمع الزوائد ٦/ ٧٣) والحديث صحيح ، والله تعالىٰ أعلم.

مَن لا أتّهم عن عِكْرمة مولى ابن عباس ، عن ابن عباس ويزيد بن رُومان ، عن عُروة ، قال: وقد رأتْ عاتكةُ بنت عبد المطلب قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث ليال رؤيا أفزَعتها ، فبعثتْ إلى أخيها العباس بن عبد المطلب فقالت له: يا أخي ، والله لقد رأيتُ الليلة رؤيا لقد أفظعتني ، وتخوّفت أن يدخلَ على قومك منها شرٌّ ومصيبة ، فاكتُمْ عليَّ ما أحدّثك [به] قال لها: وما رأيت؟ قالت: رأيت راكباً أقبل على بعير له حتى وقف بالأبطح. ثم صرخ بأعلى صوته: أن انفِروا يا آل غُدَر لمصارعكم في ثلاث! فأرى الناس اجتمعوا إليه ، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه؛ فبينا هم حولَه مَثَلَ به بعيره على ظهر الكعبة ، ثم صرخ بأعلى صوته بمثلها: أن انفروا يا آلُ غدر لمصارعكم في ثلاث! ثمّ مثل به بعيرهُ على رأس أبي قُبَيْس ، فصرخ بمثلها ، ثم أخذَ صخرة فأرسلها ، فأقبلتْ تهوي حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضَّت فما بقيَ بيت من بيوت مكة ، ولا دارٌ من دورها إلاّ دخلت منها فِلْقة.

قال العباس: والله إنّ هذه لرؤيا رأيتِ فاكتُميها ولا تذكريها لأحد.

ثم خرج العباس فلقيَ الوليد بن عتبة بن ربيعة ـ وكان له صديقاً ـ فذكرها له واستكتمه إياها ، فذكرها الوليد لأبيه عُتْبة ، ففشا الحديث؛ حتى تحدّثت به قريش [في أنديتها].

قال العبّاس: فغدوت أطوف بالبيت وأبو جهل بن هشام في رهْط من قريش قُعودٌ يتحدّثون برؤيا عاتكة؛ فلمّا رآني أبو جهل ، قال: يا أبا الفضْل؛ إذا فرغتَ من طوافك فأقبل إلينا. قال: فلمّا فرغت أقبلتُ إليه حتى جلست معهم ، فقال لي أبو جهل: يا بني عبد المطّلب؛ متى حَدَثَتْ فيكم هذه النبيّة! قال: قلتُ: وما ذاك؟ قال: الرؤيا التي رأت عاتكة ، قال: قلت: وما رأت؟ قال: يا بني عبد المطّلب ، أما رضيتُم أن تتنبّأ رجالُكم ، حتى تتنبّأ نساؤكم! قد زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال: انفرُوا في ثلاث ، فسنتربّص بكم هذه الثلاث؛ فإن يكن ما قالت حقّاً فسيكون ، وإن تمضِ الثلاث ولم يكن من ذلك شيء؛ نكتب عليهم كتاباً أنّكم أكذبُ أهل بيتٍ في العرب.

قال العباس: فوالله ما كان منّي إليه كبير إلاّ أني جحدت ذلك وأنكرت أن تكون رأتْ شيئاً. قال: ثم تفرّقنا؛ فلمّا أمسيتُ لم تبقَ امرأةٌ من بني عبد المطلب

إلاّ أتتْنِي ، فقالت : أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم ، ثم قد تناول النساء وأنت تسمع ؛ ثم لم يكن عندك غَيْرة لشيء مما سمعت! قال : قلت : قد والله فعلتُ ؛ ما كان منّي إليه من كبيرٍ ، وايمُ الله لأتعرّضنّ له ؛ فإن عاد لأكفيتكموه .

قال : فغدوتُ في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة ، وأنا حديد مغضَب ، أرى أن قد فاتني منه أمرٌ أحبّ أن أدرِكه منه .

قال : فدخلت المسجد فرأيته ؛ فوالله إنّي لأمشي نحوه أتعرّضه ليعود لبعض ما قال فأقع به ـ وكان رجلاً خفيفاً حديدَ الوجه ، حديدَ اللسان ، حديد النظر ـ إذْ خرج نحو باب المسجد يشتدّ . قال : قلتُ في نفسي : ماله لعنه الله! أكلّ هذا فرَقاً من أن أشاتمه! قال : وإذا هو قد سمع مالم أسمع ؛ صوت ضمضم بن عمرو الغفاريّ ، وهو يصرخ ببطن الوادي واقفاً على بعيره ، قد جدَّع بعيره ، وحوَّل رحلَه ، وشقّ قميصه ، وهو يقول : يا معشر قريش ، اللطيمة اللَّطيمة! أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه، لا أرى أن تدركوها ؛ الغوث الغوث!

قال : فشغلني عنه وشغله عني ما جاء من الأمر . فتجهّز الناس سراعاً ، وقالوا : أيظنّ محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرميّ! كلاّ والله ليعلمُنّ غيرَ ذلك . فكانوا بين رجلين : إمّا خارج ، وإمّا باعث مكانه رجلاً ، وأوعَبَتْ قريش فلم يتخلّف من أشرافها أحدٌ ؛ إلاّ أنّ أبا لهب بن عبد المطلب تخلّف ، فبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة ؛ وكان لاط له بأربعة آلاف درهم كانت له عليه ، أفْلَس بها ، فاستأجره بها على أن يجزيَ عنه بعثه ، فخرج عنه وتخلّف أبو لهب[1] . (٢ : ٤٢٨/ ٤٢٩/ ٤٣٠) .

---

(١) هذان إسنادان أحدهما عن ابن عباس وفيهما مبهم ، والآخر مرسل ، وكذلك أخرجه ابن هشام في السيرة (٢/ ٢٩٦) وللحديث طرق منها ما هو مرسل كذلك كما عند الطبراني وآخره عنده ولكنه مرفوع وفيه ضعف (مجمع الزوائد ٦/ ٧٣٢) .

وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ١٩) وضعفه الذهبي ، ونسبه الحافظ إلى ابن مندة (الإصابة ٤/ ٣٤٧) .

وقال الشيخ إبراهيم العلي : (وبهذه الطرق يتقوىٰ الحديث فيرتفع إلىٰ درجة الحسن لغيره) (صحيح السيرة/ ١٦٤/ الحاشية) .

=

وأمّا عامة السلف؛ فإنهم قالوا: كانوا ثلاثمئة رجل وبضْعة عشرَ رجلاً.

ذكر من قال ذلك:

٨٣ ـ حدّثنا هارون بن إسحاق، قال: حدّثنا مُصعَب بن المقْدام، وحدّثني أحمد بن إسحاق الأهوازيّ، قال: حدّثنا أبو أحمد الزُّبيريّ، قالا: حدّثنا إسرائيل، قال: حدثنا أبو إسحاق، عن البَراء، قال: كنّا نتحدّث أنّ عدّة أصحاب بدر على عِدّة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ـ ولم يَجُزْ معه إلاّ مؤمن ـ ثلاثمئة وبضعة عشر[1]. (٢: ٤٣٢).

= وقال الأستاذ العمري في السيرة النبوية الصحيحة، (٢/ ٣٥٦) معلقاً على إسناد الحاكم وغيره: وثمة روايات أخرى لا تخلو من ضعف لكنها تعتضد للدلالة علىٰ صحة الحادثة.
قلنا: واتباعاً لمنهج التحقيق الذي ذكرنا في مقدمة السيرة فإنا نذكر أمثال هذه الروايات في الصحيح وبالشروط التي ذكرنا والله تعالىٰ أعلم.

(١) إسناده صحيح وحديث البراء هذا أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (كتاب المغازي ٦ ـ باب عدة أصحاب بدر/ ح ٣٩٥٨).
ـ لقد ذكرنا الرواية (س ١٨٧) المطولة في قسم الضعيف وبينا هناك أنه ضعيف السند إلى ابن إسحاق وقد رواه ابن إسحاق مرسلاً ـ وأغلب الأمور الواردة في المتن ضعيفة سوىٰ الآتي:
١ ـ قوله (بعث بسبس بن عمرو الجهني) فقد أخرج مسلم في (صحيحه/ باب ثبوت الجنة للشهيد/ح ١٩٠١) عن أنس رضي الله عنه قال: (بعث رسول الله ﷺ بسبسة عيناً ينظر ما صنعت عير أبي سفيان فجاء ومافي البيت أحد غيري وغير رسول الله ﷺ. قال: لا أدري ما استثنىٰ بعض نسائه).
قال: فحدثته الحديث قال: فخرج رسول الله ﷺ فتكلم فقال: (إن لنا طلبة فمن كان ظهره حاضراً فليركب معنا فجعل رجال يستأذنونه في ظهرانيهم في علو المدينة فقال: لا إلاّ من كان ظهره حاضراً).
والحديث أخرجه كذلك أحمد في مسنده (٣/ ١٣٦) ويرىٰ الحافظ ابن حجر أن الصواب هو بسبس (أي كما عند الطبري) انظر الإصابة (١/ ١٥١).
٢ ـ قوله: (فاستشار النبي ﷺ الناس وأخبرهم عن قريش فقام أبو بكر رضي الله عنه فقال فأحسن، ثم قام عمر بن الخطاب فقال فأحسن ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله امض كما أمرك الله فنحن معك... إلخ). فقد أخرجه البخاري بأوجز من هذا (باب قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾/ ح ٣٩٥٢) عن ابن مسعود رضي الله عنه: شهدت من المقداد=

٨٤ - حدّثنا ابن بشار ، قال: حدّثنا أبو عامر ، قال: حدّثنا سُفيان ، عن أبي إسحاق ، عن البرَاء ، قال: كنّا نتحدّث أن أصحاب النبيّ ﷺ كانوا يوم بدر ثلاثمئة وبضعة عشر رجلاً ، على عدّة أصحاب طالوت؛ مَنْ جاز معه النهر؛ وما جاز معه إلاّ مؤمنٌ[١] . (٢: ٤٣٢) .

٨٥ - حدّثنا ابنُ وكيع ، قال: حدّثنا أبي؛ عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن البرَاء ، بنحوه[٢] . (٢: ٤٣٢) .

٨٦ - حدّثنا إسماعيل بن إسرائيل الرّمْليّ ، قال: حدّثنا عبد الله بن محمد بن المغيرة ، عن مِسْعر ، عن أبي إسحاق ، عن البرَاء ، قال: عِدّة أهل بدر عدّة أصحاب طالوت[٣] . (٢: ٤٣٢) .

٨٧ - حدّثني أحمد بن إسحاق ، قال: حدّثنا أبو أحمد ، قال: حدّثنا مِسْعَر ، عن أبي إسحاق ، عن البرَاء ، مثله[٤] . (٢: ٤٣٣) .

٨٨ - حدّثنا الحسن بن يحيىٰ ، قال: أخبرنا عبد الرزّاق ، قال: أخبرنَا

= ابن الأسود مشهداً لأن أكون صاحبه أحبّ إليّ مما عدل به: أتى النبي ﷺ وهو يدعو على المشركين فقال: لا نقول كما قال قوم موسىٰ: (اذهب أنت وربك فقاتلا) ولكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك ، فرأيت النبي ﷺ أشرق وجهه وسرّه ، يعني قوله).
ومسلم في صحيحه باب غزوة بدر (٣/ ١٤٠٤) والحديث أخرجه الطبري في تأريخه كما سنذكر بعد قليل (٢/ ٤٣٤).
٣ - قوله (قال له سعد بن معاذ: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: أجل. قال: قد آمنا بك وصدقناك. . . الحديث).
فقد أخرج مسلم في صحيحه (باب غزوة بدر/ح ١٧٧٩) عن أنس ، رضي الله عنه وفيه: (فقام سعد بن عبادة فقال: إيانا تريد يا رسول الله؟ والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها ولو أمرتنا أن نضرب أكبادنا إلىٰ برك الغماد لفعلنا . . الحديث).
وأخرجه أحمد في المسند (٣/ ١٠٠).

(١) إسناده صحيح.
(٢) إسناده صحيح.
(٣) إسناده صحيح.
(٤) إسناده صحيح.

مَعمر ، عن قَتادة ، قال: كان مع النبيّ ﷺ يوم بدر ثلاثمئة وبضعة عشر رجلاً[١]. (٢ : ٤٣٣) .

٨٩ - حدّثنا محمد بن عُبَيْد المحاربيّ ، قال: حدّثنا إسماعيل بن إبراهيم أبو يحيى ، قال: حدّثنا المخارق ، عن طارق ، عن عبد الله بن مسعود ، قال: لقد شهدتُ من المقداد مشهداً لأنْ أكونَ أنا صاحبه أحبّ إليّ مما في الأرض من شيء؛ كان رجلاً فارساً ، وكان رسول الله ﷺ إذا غضب احمارّتْ وجنتاه؛ فأتاه المقدادُ على تلك الحال ، فقال: أبشِرْ يا رسولَ الله؛ فوالله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾ ، ولكن والذي بعثك بالحق لنكونن من بين يديك ومن خلفك ، وعن يمينك وعن شمالك ، أو يفْتَح الله لك[٢]. (٢ : ٤٣٤) .

٩٠ - ثم ارتحل رسول الله ﷺ من ذَفران ، فسلك على ثنايا يقال لها الأصافر ، ثم انحطّ منها على بلد يقال لها الدَّبَّة ، وترك الحَنّان بيمين - وهو كثيب عظيم كالجبل - ثم نزل قريباً من بَدْر ، فركب هو ورجلٌ من أصحابه - كما حدّثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سلمة ، قال: حدّثني محمد بن إسحاق ، عن محمد بن يحيىٰ بن حَبّان - حتى وقف على شَيْخ من العرب؛ فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه ، وما بلغه عنهم ، فقال الشيخ: لا أخبركما حتى تخبراني ممّن أنتما! فقال له رسول الله ﷺ : إذا أخبرتَنا أخبرناك؛ فقال: وذاك بذلك! قال: نعم ، قال الشيخ: فإنّه بلغني أنّ محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان صدَقَنِي الذي أخبرني فهو اليوم بمكان كذا وكذا - للمكان الذي به رسول الله ﷺ - وبلغنِي أنّ قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا؛ فإن كان الذي حدّثني صدقني فهم اليوم بمكان

---

(١) إسناده صحيح .

(٢) حديث عبد الله بن مسعود هذا أخرجه البخاري في صحيحه مع اختلاف يسير في الألفاظ من طريق مخارق عن طارق بن شهاب قال: سمعت عبد الله بن مسعود يقول: شهدت من المقداد ابن الأسود مشهداً لأن أكون صاحبه أحبُّ إليّ مما عدل به: أتى النبي ﷺ وهو يدعو علىٰ المشركين فقال: لا نقول كما قال قوم موسىٰ: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ﴾ وكلنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك. فرأيت النبي ﷺ أشرق وجهه وسَرَّه يعني قوله. (فتح الباري ٩/ ٤ - باب قول الله تعالىٰ ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾/ ح ٣٩٥٢).

كذا وكذا ـ للمكان الذي به قريش ـ فلما فرغ من خبره ، قال : ممّن أنتما؟ فقال رسول الله ﷺ : نحن من ماء؛ ثم انصرف عنه. قال: يقول الشيخ: ما «من ماءٍ» ، أمِنْ ماءِ العِرَاق[١]»! . (٢ : ٤٣٥/٤٣٦) .

٩١ ـ ثم رجع رسول الله ﷺ إلى أصحابه؛ فلمّا أمسى بعث عليّ بن أبي طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص ، في نَفرٍ من أصحابه إلى ماء بَدْر يلتمسون له الخبر عليه ـ كما حدّثنا ابن حميد ، قال: حدّثنا سلَمة ، قال: حدّثنا محمد بن إسحاق ، كما حدّثني يزيد بن رومان ، عن عُروة بن الزبير ـ فأصابوا راويةً لقريش فيها أسْلَم؛ غلام بني الحجّاج ، وعَرِيض أبو يَسَار ، غلام بني العاص بن سعيد؛ فأتوْا بهما رسول الله ﷺ ، ورسول الله ﷺ قائم يصلّي؛ فسألوهما ، فقالا: نحن سقاة قريش؛ بعثونا لنسقيَهم من الماء ، فكره القوم خبرَهما ، ورَجوا أن يكونا لأبي سفيان؛ فضربوهما ، فلما أذْلَقوهما قالا: نحن لأبي سفيان ، فتركوهما ، وركع رسول الله ﷺ ، وسجد سجدتين ، ثم سلّم ، فقال: إذَا صدقاكم ضربتموهما ، وإذا كذباكم تركتموهما! صَدَقَا والله! إنّهما لقريش؛ أخبراني: أين قريش؟ قالا: هم وراءَ الكثيب الذي ترى بالعُدْوَة القُصْوَى ـ والكثيب: العَقَنْقَل ـ فقال رسول الله ﷺ : لهما: كم القوم؟ قالا: كثيرٌ ، قال: ما عِدَّتهم؟ قالا: لا ندري ، قال: كم ينحرون كلّ يوم؟ قالا: يوماً تسعاً ويوماً عشراً ، قال رسول الله ﷺ : القوم ما بين التسعمئة والألف. ثم قال لهما رسول الله ﷺ : فَمَنْ فيهم من أشراف قريش؟ قالا: عُتْبة بن ربيعة ، وشَيْبة بن ربيعة ، وأبو البختَريّ بن هشام ، وحكيم بن حِزَام ، ونوْفل بن خُويلد ، والحارث بن عامر بن نوفل ، وطُعَيْمَة بن عَدِيّ بن نوفل ، والنضْر بن الحارث بن كَلَدة ، وزَمْعَة بن الأسود ، وأبو جهل بن هشام ، وأمَيَّة بن خلَف ، ونُبيه ومُنبّه ابنا الحجاج ، وسُهَيْل بن

(١) إسناده إلى ابن إسحاق ضعيف وقد رواه ابن إسحاق عن محمد بن يحيى بن حبان مرسلاً؛ فمحمد هذا وإن كان ثقة ولكنه لم يدرك الواقعة فقد توفي سنة ١٢١ هـ. وهو ابن أربع وسبعين سنة (كما قال الحافظ في التقريب/ت ٦٣٨١) فيكون مولده سنة (٤٧ هـ) أي: بعد بدر بـ (٤٥ سنة) والله تعالىٰ أعلم.
وكذلك رواه ابن هشام من طريق ابن إسحاق عن محمد بن يحيى منقطعاً (السيرة النبوية ٢/ ٣٠٧/ بتحقيق همام).

عمرو ، وعمرو بن عبد ودّ. فأقبل رسول الله ﷺ على الناس ، فقال: هذه مكّة قد ألْقَتْ إليكم أفْلاذَ كبِدِها[١]. (٢ : ٤٣٦/ ٤٣٧) .

(١) إسناده ضعيف ولمتنه ما يشهد له فقد أخرجه مسلم في صحيحه باب غزوة بدر من حديث أنس (ح ١٧٧٩) وفيه: ورسول الله ﷺ قائم يصلي فلما رأى ذلك انصرف وقال: (والذي نفسي بيده لتضربوه إذا صدقكم وتتركوه إذا كذبكم) والحديث أخرجه كذلك عبد الرزاق في مصنفه (٥/ ٣٤٩) كما عند الطبري بصيغة التثنية ، وأبو داود في سننه باب الأسير ينال منه ويضرب (٣/ ١٣١).

أما تخمين رسول الله ﷺ لعدد المشركين وتحديده بالألف فقد أخرج أحمد في المسند من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: (لما قدمنا المدينة أصبنا من ثمارها فاجتويناها ، فأصابنا بها وعك ، فكان النبي ﷺ يتخبّر عن بدر فلما بلغنا أن المشركين قد أقبلوا سار رسول الله ﷺ إلىٰ بدر ، وبدر بئر ، فسبقنا المشركون إليها فوجدنا فيها رجلين منهم رجل من قريش ومولىٰ لعقبة بن أبي معيط ، فأما القرشي فانفلت ، وأما مولىٰ عقبة فأخذناه ، فجعلنا نقول له: كم القوم؟ فيقول: هم والله كثير عددهم ، شديد بأسهم ، فجهد رسول الله ﷺ أن يخبره فأبىٰ ، ثم إن النبي ﷺ سأله: كم ينحرون من الجزر؟ قال: عشر لكل يوم. فقال رسول الله ﷺ : القوم ألف كل جزور لمئة ونيفها ـ أخرجه أبو داود (ح ٢٦٦٥) وأحمد في المسند (١/ ١١٧).

والحاكم (٣/ ١٨٨) من حديث ابن عباس وقال الهيثمي: رجال أحمد رجال الصحيح غير حارثة بن مضرب وهو ثقة (مجمع الزوائد ٦/ ٧٦).

وصحح العلامة شاكر إسناده ، وقال العمري: وفيه أبو إسحاق السبيعي مدلس ولكن العلة زالت لوروده من طريق أخرىٰ (السيرة النبوية الصحيحة ٢/ ٣٥٧).

أما قوله: (فقال: هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها).

فكذلك أخرجه ابن هشام عن ابن إسحاق معلقاً (السيرة النبوية/ ٢/ ٣٠٨). والله أعلم.

* لقد ذكرنا الرواية (٢/ ٤٣٧ ـ ٤٣٩) س/ ١٢٥ وتكملته في قسم الضعيف لضعف إسناده ومتنه سوىٰ عبارة أخيرة في تكملة الرواية (٢/ ٤٣٩) وهي: (وبعث الله السماء فأصاب رسول الله ﷺ وأصحابه منها ما لبّد الأرض ولم يمنعهم المسير) فقد ثبت بدليل الكتاب الكريم كما في قوله تعالى: ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال: ١١].

وبوّب له البخاري في صحيحه/ كتاب المغازي ، ٤ ـ باب قوله تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ . . . ﴾ [الأنفال: ٩ ـ ١٣] الفتح (٩/ ١٣).

وكذلك جاء في رواية للإمام أحمد في مسنده (الفتح الرباني ٢١/ ٣٠). من حديث علي وهو يصف ليلة المعركة وفيه:

(ثم إنه أصابنا من الليل طش من مطر).

٩٢ ـ حدّثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سلمَة ، قال: قال محمّد بن إسحاق:

وحدّثني إسحاق بن يسار وغيره من أهل العلم عن أشياخ من الأنصار ، قالوا: لما اطمأنّ القومُ ، بعثوا عُمَير بن وهب الجُمَحِيّ ، فقالوا: احزُرْ لنا أصحابَ محمد ، قال: فاستجال بفرسه حول العسكر ، ثم رجع إليهم ، فقال: ثلاثمئة رجل ، يزيدون قليلاً أو ينقصون؛ ولكن أمْهلوني حتى أنظر؛ أللقوم كمين أم مَدَد؟ قال: فضرب في الوادي؛ حتى أبْعد فلم ير شيئاً ، فرجع إليهم ، فقال: ما رأيت شيئاً ، ولكني قد رأيتُ ـ يا معشرَ قريش ـ الوَلايا تحمل المنايا ، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع؛ قوم ليس لهم مَنَعة ولا مَلْجأ إلاّ سيوفُهم؛ والله ما أرى [أن] يقتل رجل منهم حتى يُقتل رجل منكم؛ فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خيرُ العيش بعد ذلك! فَرَوْا رَأيكم.

فلمّا سمع حَكيم بن حزام ذلك ، مشى في الناس ، فأتى عتبةَ بن ربيعة ، فقال: يا أبا الوليد ، إنك كبيرُ قريش الليلة وسيّدُها ، والمطاع فيها؛ هل لك ألاّ تزال تذكر منها بخير إلى آخر الدهر! قال: وما ذاك يا حكيم؟ قال: ترجع بالناس ، وتحمل دمَ حليفك عمرو بن الحضرميّ! قال: قد فعلت ، أنتَ عليّ بذلك؛ إنما هو حليفي فعليّ عَقْله ، وما أصيب من ماله؛ فائتِ ابنَ الحنْظَلية؛ فإنّي لا أخشى أن يشجرُ أمرَ الناس غيرُه ـ يعني أبا جهل بن هشام ـ رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق. ثم قام عُتْبة بن ربيعة خطيباً ، فقال: يا معشرَ قريش ، إنكم والله ما تصنعون بأن تَلْقوا محمداً وأصحابه شيئاً؛ والله لئن أصبتُموه لا يزال رجلٌ ينظر في وَجْهِ رجل يكره النَّظَر إليه ، قتل ابن عمّه أو ابن خاله أو رجلاً من عشيرته؛ فارجعوا وخلُّوا بين محمّد وبين سائر العرب؛ فإن أصابوه فذاك الذي أردتم ، وإن كان غير ذلك ألفاكم ولم تعرَّضوا منه ما تريدون. قال حكيم: فانطلقتُ أؤمُّ أبا جهل؛ فوجدته قد نَشَل دِرْعاً له من جِرابها؛ فهو يُهيّئها. فقلت: يا أبا الحكم؛ إنّ عُتْبةَ قد أرسلني إليك بكذا وكذا ـ للذي قال ـ فقال: انتفخ والله سَحْرُه حين رأى محمداً وأصحابه؛ كلا والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمّد وأصحابه ، وما بعتْبة ما قال؛ ولكنه قد رأى محمداً وأصحابه أكلةَ جَزور؛ وفيهم ابنه فقد تخوّفكم عليه. ثم بعث إلى عامر بن الحضرميّ ، فقال له: هذا حَلِيفُك ، يريد أن يرجع بالناس ، وقد رأيت ثأرَك بعينيك ، فقم فانشُد خُفْرتك

ومقتَلَ أخيك. فقام عامر بن الحضرميّ فاكتشف ثم صرخ: واعمراه! واعمراه! فحميَت الحربُ، وحَقِبَ أمر الناس؛ واستوسقوا على ما هم عليه من الشرّ، وأفسِد على الناس الرأي الذي دعاهم إليه عُتبة بن ربيعة.

فلما بلغ عُتبةَ بن ربيعة قولُ أبي جهل: «انتفخ سَحْره»، قال: سيعلم المُصَفِّرُ اسْتَهُ من انتفخ سَحْره، أنا أم هو! ثم التمس بَيْضَة يُدْخِلها في رأسه فما في الجيش بيضة تَسَعُه من عِظم هامته، فلما رأى ذلك اعتَجَر على رأسه ببُرْد له.

وقد خرج الأسود بن عبد الأسود المخزوميّ ـ وكان رجلاً شرساً سيِّىءَ الخُلق ـ فقال: أعاهد الله لأشْرَبنّ من حَوْضِهم ولأهْدِمنّه أو لأمُوتنّ دونه. فلما خرج خرج له حمزة بن عبد المطلب، فلمّا التقيا ضربه حمزة، فأطنّ قدمه بنصف ساقه؛ وهو دُونَ الحوض، فوقع على ظهره تَشْخُبُ رجله دماً نحو أصحابه؛ ثم حَبَا إلى الحوض حتى اقتحم فيه، يريد ـ زَعَمَ ـ أن يُبِرَّ يمينَه، واتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض.

ثم خرج بعده عُتْبة بن ربيعة بين أخيه شَيْبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عُتْبة؛ حتى إذا فَصَل من الصفّ دعَا إلى المبارزة، فخرج إليه فتْية من الأنصار ثلاثة نفر منهم: عوف ومُعَوِّذ ابنا الحارث ـ وأمهما عفراء ـ ورجل آخر يقال له عبد الله بن رواحة، فقال: مَنْ أنتم؟ قالوا: رهط من الأنصار. فقالوا: ما لنا بكم حاجة! ثم نادى مناديهم: يا محمد، أخْرِجْ إلينا أكفاءَنا من قومنا، فقال رسول الله ﷺ: قم يا حمزة بن عبد المطلب، قم يا عبيدة بن الحارث، قم يا عليّ بن أبي طالب؛ فلما قاموا ودَنوْا منهم، قالوا: مَنْ أنتم؟ قال عبيدة: عبيدة، وقال حمزة: حمزة، وقال عليّ: عليّ، قالوا: نعم أكفاءٌ كِرَام! فبارز عُبيدة بن الحارث ـ وكان أسنّ القوم ـ عُتْبة بن ربيعة، وبارز حمزة شَيْبَة بن ربيعة، وبارز عليٌّ الوليد ابن عتبة؛ فأمّا حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله، وأما عليٌّ فلم يمهل الوليد أن قتله؛ واختلف عُبيدة وعتبة بينهما بضربتين، كلاهما أثبَت صاحبه، وكرَّ حمزة وعليّ بأسيافهما على عُتْبة، فذفّفا عليه فقتلاه، واحتملا صاحبهما عبيدة فجاءا به إلى أصحابه؛ وقد قطعت رجله، فمُخُّها يسيل، فلما أتوا بعبيدة إلى رسول الله ﷺ

قال: ألستُ شهيداً يا رسول الله[(١)]! قال: بلى ، فقال عبيدة: لو كان أبو طالب حيّاً لعلم أني أحقّ بما قال منه حيث يقول:

ونُسْلِمُـــهُ حتـــى نُصَـــرَّعَ حَـــوْلَـــه ونَـذْهَـلَ عـن أَبنـائِنـا وَالحَـلاَئِـلِ

(٢: ٤٤٢ـ٤٤٤ـ٤٤٥)

٩٣ - حدّثنا الزُّبير بن بكار ، قال: حدّثنا عثامة بن عمرو السهميّ ، قال: حدّثني مُسوَّر بن عبد الملك اليَربوعيّ ، عن أبيه ، عن سعيد بن المسيّب ، قال: بينَا نحن عند مروان بن الحَكَم؛ إذ دخل حاجبُه ، فقال: هذا أبو خالد حكيم بن حزام ، قال: ائذنْ له ، فلمّا دخل حكيم بن حِزام ، قال: مرحباً بك يا أبا خالد! ادْنُ ، فحال له مروان عن صدْر المجلس؛ حتى كان بينه وبين الوِسادة ، ثمّ استقبله مرْوان ، فقال: حَدّثنا حديثَ بدْر ، قال: خرجنا حتى إذا نزلنا الجُحْفَة رجعت قبيلة من قبائل قريش بأسْرها ، فلم يشهد أحدٌ من مشركيهم بَدْراً. ثم خرجنا حتى نزلنا العُدْوة التي ذكرها الله عزّ وجلّ ، فجئت عُتْبة بن ربيعة ، فقلت: يا أبا الوليد ، هل لك أن تذهب بشَرَف هذا اليوم ما بقيت؟ قال: أفعل ماذا؟ قلت: إنكم لا تطلبون من محمّد إلا دَم ابن الحضرميّ؛ وهو حليفك ، فتحمّل ديتَه وترجع بالناس. فقال: أنت وذاك ، وأنا أتحمّل بِديتِه ، واذهبْ إلى ابن الحنظلِيّة - يعني أبا جهل - فقل له: هل لك أن ترجعَ اليوم بمَنْ معك عن ابن عمّك؟ فجئته فإذا هو في جماعة من بين يديه ومن ورائه ، وإذا ابنُ الحضرميّ واقف على رأسه؛ وهو يقول: قد فَسَخْتُ عقْدي من عبد شمس ، وعقْدي إلى بني مخزوم. فقلت له: يقول لك عُتْبة بن ربيعة: هل لك أن ترجعَ اليوم عن ابن عمك بمَنْ معك؟ قال: أما وجدَ رسولاً غيرك! قلت: لا ، ولم أكن لأكونَ رسولاً لغيره. قال حكيم: فخرجت مبادراً إلى عُتْبة؛ لئلا يَفُوتَني من الخبر شيء ، وعتبة مُتّكىء على إيماء بن رَحَضة الغِفاريّ؛ وقد أهْدَى إلى المشركين عشر جزائر ، فطلع أبو جهل والشرّ في وجهه ، فقال لعتبة: انتفخ سَحْرُك! فقال له عتبة: ستعلم! فَسلّ أبو جهل سيفه ، فضرب به متنَ فرسه ، فقال إيماء بن رَحَضة: بئس

(١) إسناده ضعيف ، وراجع تعليقنا على الرواية التالية.

الفأل هذا! فعند ذلك قامت الحرب[١]. (٢ : ٤٤٣).

٩٤ ـ حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلمة، قال: قال محمد بن إسحاق:

(١) في إسناده عثامة بن عمرو السهمي لم نجد له ترجمة وهذا الخبر يتقوى بالذي قبله وبما سنذكر:
١ ـ فقد سبق ذكر الرواية (٢/ ٤٢٤ ـ ٤٢٥ ـ ٤٢٦) وذكرنا عندها ما يؤيدها وفيها: فقال: (هو عتبة بن ربيعة وهو ينهىٰ عن القتال... إلخ).
وكذلك أخرج الحاكم في المستدرك (٣/ ١٨٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: (لما نزل المسلمون وأقبل المشركون، نظر رسول الله ﷺ إلى عتبة بن ربيعة وهو على جمل أحمر فقال: إن يكن عند أحد من القوم خير فهو عند صاحب الجمل الأحمر إن يطيعوه يرشدوا وهو يقول: يا قوم أطيعوني في هؤلاء القوم فإنكم إن فعلتم لن يزال ذلك في قلوبكم، ينظر كل رجل إلى قاتل أخيه، وقاتل أبيه، فاجعلوا حقها برأسي وارجعوا، فقال أبو جهل: انتفخ والله سحره حين رأى محمداً وأصحابه، إنما محمد وأصحابه كأكلة جزور ولقد التقينا، فقال عتبة: ستعلم من الجبان المفسد لقومه، أما والله إني لأرىٰ قوماً يضربونكم ضرباً، أما ترون كأن رؤوسهم الأفاعي، وكأن وجوههم السيوف، ثم دعا أخاه وابنه، فخرج بينهما ودعا بالمبارزة) وقال الهيثمي: رواه البزار ورجاله ثقات (المجمع ٦/ ٧٦).
٢ ـ وأما المبارزة بين الصحابة من جهة وعدد من المشركين من جهة أخرىٰ (الوليد بن عتبة وابني ربيعة) فقد أخرج البخاري في صحيحه عن قيس بن عباد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة، وقال قيس بن عباد وفيهم أنزلت (هذان خصمان اختصموا في ربهم) قال: هم الذين تبارزوا يوم بدر، حمزة وعلي وعبيدة أو أبو عبيدة بن الحارث، وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة، (كتاب المغازي ح/ ٣٩٦٥).
وأخرج البخاري عن أبي ذر رضي الله عنه يقسم: لنزلت هؤلاء الآيات في هؤلاء الرهط الستة يوم بدر... (صحيح البخاري/ح ٣٩٦٨) وحديث المبارزة أخرجه كذلك أحمد. وقال الهيثمي: ورجال أحمد رجال الصحيح غير حارثة بن مضرب وهو ثقة (المجمع ٦/ ٧٦).
٣ ـ وأما إرسال قريش لعمير بن وهب الجمحي ليحزر جيش المسلمين: فقد أخرجه كذلك ابن هشام من طريق ابن إسحاق مرسلاً (السيرة النبوية بتحقيق همام ٢/ ٣١٥) ورواه ابن سعد معلقاً (الطبقات ٢/ ١٦) ولقد جوّد العمري إسناده وأضاف قائلاً: إذ يغلب الظن أن شيوخ ابن إسحاق بن يسار فيه من الصحابة ولو تحقق ذلك فإن الحديث صحيح لأن جهالة الصحابي لا تضر خاصة وهم كثرة. (السيرة النبوية الصحيحة ٢/ ٣٥٩).
ولم نجد للمقطع الأخير من رواية الطبري تأييداً من رواية صحيحة وذلك من قوله (قال: ألست شهيداً يا رسول الله؟... إلخ) والله أعلم.

وحدّثني عاصم بن عمرو بن قتادة؛ أن عتبة بن ربيعة قال للفتية من الأنصار حين انتسبوا: أكفاءٌ كرامٌ، إنما نريد قومنا، ثم تزاحف الناس؛ ودنا بعضُهم من بعض، وقد أمر رسول الله ﷺ أصحابه ألاّ يحملوا حتى يأمرهم؛ وقال: إن اكتنفكُم القوم فانضحوهم عنكم بالنَّبل؛ ورسول الله ﷺ في العريش معه أبو بكر[1]. (٢: ٤٤٦).

٩٥ ـ فحدّثني محمد بن عبيد المحاربيّ، قال: حدّثنا عبدُ الله بن المبارك، عن عكرمة بن عَمّار، قال: حدّثني سماك الحنفيّ، قال: سمعتُ ابنَ عباس يقول: حدّثني عمر بن الخطاب، قال: لما كان يوم بدْر، ونظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وعِدّتهم، ونظر إلى أصحابه نيّفاً على ثلاثمئة، استقبل القبلة، فجعل يدعو، يقول: اللهمّ أنجزْ لي ما وعدتَني، اللهمّ إن تَهْلِك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبَد في الأرض؛ فلم يزل كذلك حتى سقط رداؤه، فأخذ أبو بكر فوضع رداءه عليه، ثمّ التزمه من ورائه، ثم قال: كفاك يا نبيّ الله؛ بأبي أنت وأمي، مناشدتك ربّك؛ فإنه سينجز لك ما وعدك! فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[2].

(٢: ٤٤٧).

---

(١) إسناده ضعيف. وأما قوله: (وقال: اكتنفكم القوم فانضحوهم عنكم بالنبل).
فقد أخرج البخاري من طريقين عن أبي أسيد رضي الله عنه قال: قال لنا رسول الله ﷺ يوم بدر: إذا أكثبوكم ـ يعني أكثروكم ـ فارموهم واستبقوا نبلكم. (صحيح البخاري كتاب المغازي/ح ٣٩٨٤، ح ٣٩٨٥).
والحديث أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٧٠) والله أعلم.

(٢) إسناده حسن صحيح، وحديث عمر هذا أخرجه مسلم مع بعض الاختلاف فقد أخرج عن عمر رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله إلىٰ المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمئة وتسعة عشر رجلاً، فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة ثم مدّ يديه فجعل يهتف بربه: (اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض) فما زال يهتف بربه، ماداً يديه مستقبل القبلة، حتىٰ سقط رداؤه عن منكبيه. فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك فأنزل الله عز وجل: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ فأمده الله بالملائكة (صحيح مسلم/ باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر/ح ١٧٦٣).

٩٦ ـ حدّثنا ابنُ وكيع ، قال: حدّثنا الثقفيُّ ـ يعني عبد الوهاب ـ عن خالد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أنّ النبي ﷺ ، قال وهو في قبّته يومَ بدر: اللهمّ إني أسألُك عهدك ووعدك؛ اللهمّ إن شئت لم تُعْبَدْ بَعْدَ اليوم!

قال: فأخذ أبو بكر بيده ، فقال: حسبُك يا نبيّ الله ، فقد ألححت على ربّك ـ وهو في الدّرع ـ فخرج وهو يقول: ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ۝٤٥ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾[١]. (٢: ٤٤٧/٤٤٨).

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق. قال: وقد خَفَق رسول الله ﷺ خفقةً وهو في العريش؛ ثم انتبه ، فقال: يا أبا بكر ، أتاك نصرُ الله ، هذا جبريل آخذ بِعنان فرسه يقوده ، على ثناياه النَّقع. قال: وقد رُمِيَ مِهْجَعٌ مولى عمر بن الخطاب بسهم فقُتل؛ فكان أوّلَ قتيل من المسلمين ، ثم رُمِيَ حارثة بن سُراقة ، أحد بني عديّ بن النجار وهو يشرب من الحوْض فقتِل. ثم خرج رسول الله ﷺ فحرَّضهم ، ونفّل كلّ امرىء منهم ما أصاب ، وقال: والّذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتَلَ صابراً محتسِباً مُقْبِلاً غير مُدْبِر؛ إلاّ أدخله الله الجنة. فقال عميرُ بن الحُمَام ، أخو بني سَلمة ، وفي يده تَمراتٌ يأكُلهنّ: بَخْ بَخْ ، فما بينِي وبين أن أدخلَ الجنة إلا أن يقْتلني هؤلاء! ثم قذف التَّمرَاتِ من يده ، وأخذ سيفه ، فقاتل القوم حتى قُتِل وهو يقول:

رَكْضـــاً إلـــى اللهِ بغيْـــر زادِ ... إلاَّ التُّقَـــى وَعمـــلِ المَعـــادِ
وَالصَّبْـــر فـــي اللهِ علـــى الجهـــادِ ... وكـــلُّ زادٍ عُـــرْضَـــةُ النَّفَـــادِ

---

(١) إسناده ضعيف ، وهو حديث صحيح أخرجه البخاري في صحيحه في مواضع منها في (المغازي/ ح ٣٩٥٣) ولفظه: قال النبي ﷺ يوم بدر: اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إن شئت لم تعبد ، فأخذ أبو بكر بيده ، فقال: حسبك. فخرج وهو يقول: ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾ وقال الحافظ في الفتح (٩/ ١٩٨): هذا من مراسيل الصحابة فإن ابن عباس لم يحضر ذلك ولعله أخذه عن عمر أو عن أبي بكر ، ثم ذكر الحافظ حديث مسلم الآنف الذكر.

غَيْـــر التُّقَـــى والبِـــرّ والـــرَّشَـــادِ [(١)]

(٢ : ٤٤٨) .

---

(١) ذكر الطبري هذه الرواية وقال: رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق (وسند ابن إسحاق السابق ضعيف) ولكن ما ذكره الطبري هنا له ما يشهد له متفرقاً كما يلي:
١ ـ جاء في رواية الطبري (وقد خفق رسول الله ﷺ خفقة وهو في العريش ثم انتبه فقال: يا أبا بكر أتاك نصر الله هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على ثناياه النقع).
وحكم الشيخان الجليلان (همام وأبو صعيليك) بضعف هذا الخبر وفيه نظر فقد أخرج الأموي في مغازيه كما قال ابن كثير في البداية والنهاية (٣/ ٢٨٤): خفق النبي ﷺ خفقة في العريش ثم انتبه فقال: أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله هذا جبريل معتجر بعمامة آخذ بعنان فرسه يقوده على ثناياه النقع أتاك نصر الله وعدته).
وحسّن المحدث الألباني هذه الرواية في تحقيقه لفقه السيرة للشيخ الغزالي رحمه الله (٢٤٣/ الحاشية) وكذلك حسَّن الأستاذ العمري إسناده (السيرة النبوية الصحيحة ٢/ ٣٦٥) الحاشية.
ويؤيده ما أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٢٨) من حديث عبد الله بن ثعلبة بن صعير وفي آخره: خفق رسول الله ﷺ خفقة في العريش ثم انتبه فقال: (أبشر يا أبا بكر هذا جبريل معتجر بعمامته، آخذ بعنان فرسه يقوده، على ثناياه النقع أتاك نصر الله وَعِدتُه) وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وأقرّه الذهبي والحديث أخرجه أحمد في المسند (٥/ ٤٣١).
ومن طريق أبي صالح عن علي قال: (قيل لي ولأبي بكر: مع أحدكما جبريل ومع الآخر ميكائيل، وإسرافيل ملك عظيم يحضر الصف ويشهد القتال) وأخرجه أحمد وأبو يعلىٰ وصححه الحاكم (فتح الباري ٩/ ٢٣٧).
وجاء تعقيب الحافظ هذا في شرحه لحديث البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما (أن النبي ﷺ قال يوم بدر: هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب) صحيح البخاري/ كتاب المغازي/ باب شهود الملائكة بدراً/ ح ٣٩٩٥).
٢ ـ أما استشهاد حارثة بن سراقة فقد أخرج البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه (أصيب حارثة يوم بدر وهو غلام، فجاءت أمه إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله قد عرفت منزلة حارثة مني... الحديث) كتاب المغازي باب فضل من شهد بدراً /ح ٣٩٨٢.
٣ ـ وأخرج مسلم في صحيحه حديثاً وفيه: فقال رسول الله ﷺ: لا يقدمن أحد منكم إلىٰ شيء حتى أكون أنا دونه، فدنا المشركون فقال رسول الله ﷺ: قوموا إلىٰ جنة عرضها السموات والأرض. قال يقول عمير بن الحمام الأنصاري: يا رسول الله، جنة عرضها السموات والأرض؟ قال: نعم. قال: بخ بخ فقال رسول الله ﷺ: ما يحملك على قولك بخ بخ؟ قال: والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها قال: فإنك من أهلها. فأخرج تمرات=

٩٧ ـ حدّثنا ابن حُميد ، قال: حدّثنا سلَمة ، قال: قال محمد بن إسحاق. وحدّثني محمد بن مسلم الزهريّ ، عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعَير العُذرِيّ ، حليف بني زُهرة ، قال: لما التقى النَّاس ، ودنا بعضُهم من بعض ، قال أبو جهل: اللهمّ أقْطَعنَا لِلرَّحم ، وآتانا بما لا يُعرف؛ فأحِنْه الغداة ، فكان هو المستفتِح على نفسه.

ثم إنّ رسول الله ﷺ أخذ حَفْنة من الحصباء ، فاستقبل بها قريشاً ، ثم قال: شاهت الوُجوه! ثم نَفَحهم بها ، وقال لأصحابه: شُدُّوا ، فكانت الهزيمة ، فقتل الله مَنْ قتلَ من صناديد قريش ، وأسِر مَنْ أسِر منهم ، فلما وضع القوم أيديَهم يأسرون ، ورسول الله ﷺ في العريش ، وسعد بن مُعاذ قائم على باب العريش الذي فيه رسول الله ﷺ ، متوشِّحاً السيف ، في نفر من الأنصار يحرُسون رسول الله ﷺ ، يخافون عليه كَرَّةَ العدوّ ، ورأى رسول الله ﷺ - فيما ذكر لي - في وجه سعد بن معاذ الكَرَاهيةَ لِمَا يصنع الناس ، فقال رسول الله ﷺ : لكأنّك يا سعد تكره ما يصنع الناس! قال: أجلْ والله يا رسولَ الله! كانت أوّل وقعة أوقَعها الله بالمشركين؛ فكان الإثخَانُ في القتل أعجَبَ إليّ من استبقاء الرجال[1]. (٢: ٤٤٩).

= من قرنه ، فجعل يأكل منهن ، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه ، إنها لحياة طويلة قال: فرفس بما كان معه من التمر ، ثم قاتلهم حتىٰ قُتل. صحيح مسلم (باب ثبوت الجنة للشهيد/ح ١٩٠١) والمستدرك (٣/ ٤٢٦) والبيهقي في السنن (٩/ ٤٣) والله أعلم.

(١) إسناده ضعيف ولكن أخرج الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٢٨) من حديث عبد الله بن ثعلبة بن صعير قال: (كان المستفتح يوم بدر أبا جهل قال: اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لا نعرف فأحنه الغداة ، فبينما هم على تلك الحال وقد شجع الله المسلمين على لقاء العدو وقللهم في أعينهم حتىٰ طمعوا فيهم. . . الحديث).
وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٧٤) وأحمد في المسند (٥/ ٤٣١) وأما قوله : (ثم إن رسول الله ﷺ أخذ حفنة من الحصباء فاستقبل بها قريشاً ثم قال: شاهت الوجوه ثم نفحهم بها) فالطبري أخرج هذه الرواية بسند ضعيف مرسلاً كما نرىٰ إلا أنه أخرجها في تفسيره (١٣/ ٤٤٢) و(١٣/ ٤٤٣) بإسنادين مرسلين صحيحين (عن عروة وقتادة).
وقال العمري معقباً على الروايتين المرسلتين: وهما يعتضدان لأن المرسل إذا تعددت =

٩٨ ـ حدّثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سَلمة ، قال: قال محمد بن إسحاق: حدّثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزّبير ، عن أبيه ، قال: وحدّثني أيضاً عبد الله ابن أبي بكر ، وغيرهما ، عن عبد الرّحمن بن عوْف ، قال: كان أميّة بن خلَف لي صَديقاً بمكّة ـ وكان اسمي عبد عمْرو ، فسمِّيتُ حين أسلمتُ: «عبد الرحمن» ، ونحن بمكة ـ قال: فكان يلْقانِي ونحن بمكّة ، فيقول: يا عبدَ عمرو ، أرغِبْت عن اسم سمَّاكَه أبوك؟ فأقول: نعم ، فيقول: فإنّي لا أعرف «الرحمن»؛ فاجعل بيني وبينك شيئاً أدعوك به؛ أما أنتَ فلا تجيبني باسمك الأوّل ، وأمّا أنا فلا أدعوك بما لا أعرف. قال: فكان إذا دعاني: «يا عبد عمرو» ، لم أجبه ، فقلت: اجعل بيني وبينك يا أبا عليّ ما شئت ، قال: فأنت «عبد الإله» ، فقلت: نعم ، فكنت إذا مررت به قال: يا عبد الإله ، فأجيبه ، فأتحدّث معه؛ حتى إذا كان يومُ بدر ،

= مخارجه يقوى. وقال أيضاً: وتدل على صحة ذلك (رمي الحصىٰ في وجوه المشركين) الآية الكريمة ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا﴾ [الأنفال: ١٧] راجع السيرة النبوية الصحيحة. (٢/٣١٣) قلنا: ويؤيد رواية الطبري ما أخرجه الطبراني في الكبير (ح ٣١٢٧) عن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر أمر رسول الله ﷺ فأخذ كفاً من الحصىٰ فاستقبلنا بها فرمىٰ بها وقال: (شاهت الوجوه) فانهزمنا فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾.

وقال الهيثمي: رواه الطبراني وسنده حسن (مجمع الزوائد ٦/ ٨٤).

وأخرج الطبراني رواية أخرى من حديث ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لعليّ: ناولني كفاً من حصىٰ فناوله فرمىٰ بها القوم. . . . الحديث وفي آخره: فنزلت: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾.

وقال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد ٦/ ٨٤).

أما رفع عبارة (والله لكأنك يا سعد تكره ما يصنع القوم) إلى رسول الله ﷺ فلم نجد له طريقاً غير طريق ابن إسحاق المرسل الضعيف الآنف الذكر والله أعلم.

لقد ذكرنا الرواية (٢/ ٤٤٩/ ٤٥٠/ ٤٥١)س ١٣٠ في قسم الضعيف لضعف الإسناد إلى ابن إسحاق ووجود مبهم في طريق ابن إسحاق كذلك ، ولم نجد لمتنه الطويل ما يؤيده إلاّ أن طلب رسول الله ﷺ من أصحابه أن يأسروا بعضاً من مقاتلي بني هاشم بدلاً من قتلهم يؤيده ما أخرجه أحمد في المسند عن علي رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ يوم بدر: من استطعتم أن تأسروا من بني عبد المطلب فإنهم خرجوا كرهاً (١/ ٨٩/ ح ٦٧٨) وصحح العلامة شاكر إسناده (٢/ ٧٦/ ٧٧).

وقال الهيثمي: رواه أحمد والبزار ورجال أحمد ثقات (المجمع ٦/ ٨٥).

مررت به وهو واقف مع ابنه عليّ بن أميَّة ، آخذاً بيده ، ومعي أدراعٌ قد استلبتُها ، فأنا أحملها. فلمّا رآني قال: يا عبد عمرو! فلم أجبه ، فقال: يا عبد الإله ، قلت: نعم ، قال: هل لك فيّ ، فأنا خير لك من هذه الأدراع التي معك؟ قال: قلت: نعمْ ، هلُمَّ إذاً. قال: فطرحتُ الأدراع من يدي وأخذت بيده ويد ابنه عليّ ، وهو يقول: ما رأيتُ كاليوم قطّ! أما لكم حاجة في اللّبن! قال: ثم خرجت أمشي بهما[1] . (٢: ٤٥١/ ٤٥٢) .

٩٩ ـ حدّثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سلمَة عن محمد بن إسحاق ، قال: حدّثني عبد الواحد بن أبي عوْن ، عن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن بن عوف ، قال: قال لي أميّة بن خلف وأنا بينه وبين ابنه ، آخِذٌ بأيديهما: يا عبدَ الإله ، مَن الرجل منكم ، المعْلم بريشة نعامة في صدره؟ قال: قلت: ذاك حمزة بن عبد المطلب ، قال: ذاك الذي فَعل بنا الأفاعيل! قال عبد الرحمن: فوالله إنّي لأقودهما إذْ رآه بلال معي ـ وكان هو الذي يعذّب بلالاً بمكّة على أن يترك الإسلام فيخرجُه إلى رَمْضاء مكة إذا حميَتْ ، فيضجعه على ظهره ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضَع على صدره ، ثم يقول: لا تزالُ هكذا حتى تفارقَ دين محمد ، فيقول بلال: أحدٌ أحَدٌ ـ فقال بلال حين رآه: رأس الكفر أميّة بن خَلف ، لا نجوتُ إن نَجَوْتَ؛ قال: قلت: أيْ بلال ، أسيرَيّ! قال: لا نجوتُ إن نجا. قال: قلت: تسمَع يا بن السوداء! قال: لا نجوتُ إن نجَا ، ثم صرخ بأعلى صوته: يا أنصارَ الله ، رأس الكفر أميّة بن خلَف ، لا نجوتُ إن نجا! قال: فأحاطوا بنا ، ثم جعلونا في مثل المسَكَة وأنا أذُبُّ عنه؛ قال: فضرب رجلٌ ابنه فوقع. قال: وصاح أميّة صيحة ما سمعت بمثلها قطّ. قال: قلتُ: انجُ بنفسك ، ولا نجاءَ؛ فوالله ما أغني عنك شيئاً. قال: فهبرُوهما بأسيافهم حتى فرغوا منهما.

قال: فكان عبد الرحمن يقول: رحم الله بلالاً! ذهبت أدراعي وفجعني بأسيريَّ[2] . (٢: ٤٥٢/ ٤٥٣) .

---

(١) إسناده ضعيف وسنتحدث عنه بعد الرواية التالية.

(٢) إسناده ضعيف والخبر أخرجه ابن هشام في السيرة من طريق ابن إسحاق وصحح الشيخ العلي إسناده في حاشية صحيح السيرة (٢/ ١٧٨) والأولىٰ أن يقال: حسن الإسناد فالمعروف من=

١٠٠ ـ حدّثنا ابنُ حُميد ، قال: حدّثنا سلَمة ، قال: قال محمد: وحدّثني ثور ابن زيد مولى بني الدِّيل ، عن عكْرمة مولى ابنِ عبَّاس ، عن ابن عبَّاس قال: وحدّثني عبد الله بن أبي بكر ، قالا : كان مُعاذ بن عمرو بن الجَمُوح أخو بني سَلمة يقول: لما فرغ رسول الله ﷺ من عدوّه ، أمرَ بأبي جهل أن يلتَمس في القتلى ، وقال: اللهمّ لا يعجزنّك ، قال: فكان أوّل مَنْ لقِيَ أبا جهل معاذ بن عمرو بن الجموح ، قال: سمعت القوم وأبو جهل في مثل الحرَجة وهم يقولون: أبو الحكَم لا يُخْلَص إليه. فلما سمعتها جعلته من شأني ، فصَمدْت نحوه ، فلمّا أمكنني حملتُ عليه فضربته ضربة أطنَّت قدَمه بنصف ساقه؛ فوالله ما شَبَّهتُها حين طاحت إلا النّواة تَطيح من تحت مِرْضَخةِ النّوى حين يُضرب بها .

قال: وضربني ابنُه عِكْرمة على عاتقي؛ فطرح يدي ، فتعلقت بجلْدة من جنبي ، وأجهضني القتال عنه؛ فلقد قاتلت عامَّة يومي ، وإني لأسحبها خلْفِي؛ فلما آذتْني جعلت عليها رجلي ، ثم تمَطّيت بها ، حتى طرحتُها .

قال: ثم عاش مُعاذ بعد ذلك ، حتى كان في زمن عثمان بن عفان. قال: ثم مرّ بأبي جهل ـ وهو عقير ـ مُعَوّذ بن عفراء ، فضربه حتى أثبتَه؛ فتركه وبه رمق؛

= رواية ابن إسحاق عند أئمة الحديث تحسين حديثه إذا صرّح بالتحديث وكذلك فعل في هذه الرواية (وتصحيحه سهو من الشيخ الفاضل وإلا فلا يخفىٰ عليه ما ذكرنا من تحسين رواية ابن إسحاق كما هو واضح في تحقيقه لروايته من طريق عبد الواحد بن عوف ويؤيد ما عند ابن هشام والطبري ما أخرجه البخاري عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: كاتبت أمية ابن خلف كتاباً بأن يحفظني في صاغيتي بمكة وأحفظه في صاغيته بالمدينة ، فلما ذكرت (الرحمن) قال: لا أعرف الرحمن كاتبني باسمك الذي كان في الجاهلية ، فكاتبته (عبد عمرو) فلما كان في يوم بدر خرجت إلى جبل لأحرزه حين نام الناس ، فأبصره بلال فخرج حتى وقف علىٰ مجلس من الأنصار فقال: أمية بن خلف لا نجوت إن نجا أمية ، فخرج معه فريق من الأنصار في آثارنا فلما خشيت أن يلحقونا خلفت لهم ابنه لأشغلهم فقتلوه ، ثم أبوا حتىٰ يتبعونا ـ وكان رجلاً ثقيلاً فلما أدركونا قلت له: ابرك فبرك فألقيت عليه نفسي لأمنعه ، فتجللوه بالسيوف من تحتي حتىٰ قتلوه ، وأصاب أحدهم رجلي بسيفه ، وكان عبد الرحمن ابن عوف يريه ذلك الأثر في ظهر قدمه).
(صحيح البخاري كتاب الوكالة باب إذا وكل المسلم حربياً في دار الحرب/ح ٢٣٠١) والحديث أخرجه مسلم كذلك (ح ١٧٠٢).

وقاتل معوّذ حتى قُتل ، فمرّ عبد الله بن مسعود بأبي جهل حين أمر رسول الله ﷺ أن يُلتَمس في القتلى ، وقد قال لهمْ رسول الله ﷺ - فيما بلغني -: انظروا إنْ خفِيَ عليكم في القتلى إلى أثر جُرْح بركبتِهِ؛ فإني ازدحمت أنا وهو يوماً على مأدُبة لعبد الله بن جُدعان؛ ونحن غلامان؛ وكنت أشفَّ منه بيسير؛ فدفعته ، فوقع على ركبتيه ، فَجُحِشَ في إحداهما جَحْشاً لم يزل أثرُه فيه بعد. قال عبد الله بن مسعود: فوجدته بآخر رَمَق ، فعرفته ، فوضعت رجلي على عنقه. قال: وقد كان ضَبَثَ بي مرّة بمكة ، فآذاني ولكزَني. ثم قلت: هل أخزاك الله يا عدوّ الله! قال: وبماذا أخزاني! أعْمَدُ من رجل قَتلتموه؟! أخبرني لمن الدَّبْرَة [اليوم] قال: قلت: لله ولرسوله[١]. (٢: ٤٥٤/ ٤٥٥).

١٠١ - حدّثنا ابنُ حُميد ، قال: حدّثنا سَلمة ، عن محمد بن إسحاق: وزعم رجال من بني مخزوم أنّ ابن مسعود ، كان يقول: قال لي أبو جهل: لقد ارتقيتَ يا رُوَيْعِيَ الغنم مرتقىً صعباً! ثم احتززتُ رأسه؛ ثم جئت به رسول الله ﷺ فقلت: يا رسولَ الله ، هذا رأس عدوّ الله أبي جهل ، قال: فقال رسول الله ﷺ: آللهِ الذي لا إله غيره! - وكانت يمينَ رسول الله ﷺ - قال: قلتُ: نعم؛ والله الذي لا إله غيره ، ثم ألقيتُ رأسه بين يديْ رسول الله ﷺ . قال: فحمد الله[٢] [٢: ٤٥٥/ ٤٥٦].

---

(١) إسناده ضعيف وأصل قصة مقتل أبي جهل في صحيح البخاري في عدة مواضع فقد أخرج البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ يوم بدر: من ينظر ما صنع أبو جهل؟ فانطلق ابن مسعود فوجده قد ضربه أبناء عفراء حتىٰ برد ، فأخذ بلحيته فقال: أنت أبو جهل؟ قال: وهل فوق رجل قتله قومه أو قال قتلتموه (صحيح البخاري/ كتاب المغازي/ باب قتل أبي جهل/ ح ٣٩٦٣).
والحديث أخرجه مسلم في صحيحه (كتاب الجهاد/ ح ١٨٠٠).
وأخرجه البخاري كذلك بأطول من روايته السابقة (صحيح البخاري/ كتاب الخمس/ باب من لم يخمس الأسلاب).
ورواه البيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٨٣) كما عند الطبري ورواه غيرهم.
ورواه ابن هشام في السيرة (٢/ ٣٣٢/ تحقيق همام) من طريق محمد بن إسحاق بسند حسن والله تعالى أعلم.

(٢) إسناده ضعيف ولكن أخرج الطبراني (ح/ ٨٤٦٨) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: أدركت أبا جهل يوم بدر صريعاً فقلت: أي عدوّ الله قد أخزاك الله؟ قال: وبمَ أخزاني من =

١٠٢ ـ حدّثنا ابنُ حُميد، قال: حدّثنا سَلمة عن محمّد بن إسحاق، قال: وحدّثني يزيد بن رُومان عن عُروة بن الزبير، عن عائشة، قالت: لما أمرَ رسول الله ﷺ بالقتلى أن يُطرَحوا في القَلِيب طُرحوا فيه؛ إلاّ ما كان من أميّة بن خلَف؛ فإنه انتفخ في دِرْعه حتى ملأها، فذهبوا ليحرّكوه، فتزايلَ لحمه فأقرّوه، وألقوا عليه ما غيَّبه من التراب والحجارة، فلما ألقاهم في القَلِيب، وقف رسول الله ﷺ عليهم، فقال: يا أهلَ القلِيب، هل وجدتم ما وَعَدَكم ربكم حقّاً! فإني وجدتُ ما وعدني ربي حقّاً. فقال له أصحابه: يا رسولَ الله، أتكلّم قوماً موتَى! قال: لقد علموا أن ما وعدتُهم حقّ، قالت عائشة: والناس يقولون: «لقد سمعوا ما قلت لهم»، وإنّما قال رسول الله ﷺ: «لقد علموا»[1]. (٢: ٤٥٦).

= رجل قتلتموه، ومعي سيف لي، فجعلت أضربه ولا يحتك فيه شيء ومعه سيف له جيد، فضربت يده فوقع السيف من يده فأخذته، ثم كشفت المغفر عن رأسه فضربت عنقه، ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته، فقال: الله الذي لا إله إلا هو، قلت: الله الذي لا إله إلا هو. قال: فانطلق فاستثبت فانطلقت وأنا أسعىٰ مثل الطائر ثم جئت وأنا أسعىٰ مثل الطائر أضحك فأخبرته فقال رسول الله ﷺ: انطلق. فانطلقت معه فرأيته فلما وقف عليه ﷺ قال: هذا فرعون هذه الأمة.

وقال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن وهب بن أبي كريمة وهو ثقة (مجمع الزوائد ٦/ ٧٩).

(١) إسناده ضعيف وهو حديث صحيح أخرجه ابن هشام بسند حسن من طريق ابن إسحاق قال: وحدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير عن عائشة (كما عند الطبري) ـ (السيرة النبوية ٢/ ٣٣٩) بتحقيق همام وأبو صعيليك، وأخرج البخاري في صحيحه عن قتادة عن أنس بن مالك عن أبي طلحة أن نبي الله ﷺ أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش فقذفوا في طويٍّ من أطواء بدر خبيث مخبث وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشد عليها رحلها ثم مشى واتبعه أصحابه وقالوا ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته حتى قام على شفة الركيِّ، فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان، أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله؟ فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً، فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً. قال: فقال عمر: يا رسول الله، ما تكلم من أجساد لا أرواح لها، فقال رسول الله ﷺ: والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم.

قال قتادة: أحياهم الله حتى أسمعهم قوله، توبيخاً وتصغيراً ونقيمة وحسرة وندماً (صحيح البخاري/ كتاب المغازي/ ح٣٩٧٦) والحديث رواه مسلم في صحيحه (باب عرض مقعد =

١٠٢/ أ ـ حدّثنا ابنُ حُميد ، قال: حدّثنا سَلمة ، عن محمد بن إسحاق . قال: وحدّثني حُميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، قال: سمع أصحابُ رسول الله ﷺ رسول الله ﷺ ، وهو يقول من جوف الليل: يا أهلَ القلِيب ، يا عُتْبة بن ربيعة ، يا شيبة بن ربيعة ، يا أمية بن خلَف ، يا أبا جهل بن هشام ـ فعدَّدَ مَنْ كان معهم في القَلِيب ـ هل وجدتم ما وعدكُمْ ربّكم حقّاً ؟ فإني قد وجدتُ ما وعدني ربِّي حقّاً! قال المسلمون: يا رسولَ الله؛ أتنادي قوماً قد جَيَّفوا! فقال: ما أنتم بأسمعَ لما أقول منهم؛ ولكنَّهم لا يستطيعون أن يجيبوني[١]. (٢: ٤٥٦/ ٤٥٧) .

١٠٣ ـ حدّثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سَلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال: وحدّثني عبد الرحمن بن الحارث وغيره من أصحابنا ، عن سليمان بن موسى الأشدَق ، عن مكحول ، عَنْ أبي أمامة الباهليّ ، قال: سألت عبادة بن الصّامت عن الأنفال ، فقال: فينا معشرَ أصحاب بدر نزلتَ؛ حين اختلفنا في النَّفل ، وساءت فيه أخلاقنا ، فنزعه الله من أيدينا ، فجعله إلى رسوله ، فقسَّمه رسول الله ﷺ بين المسلمين عن بَواء ـ يقول على السَّوَاء ـ فكان في ذلك تقوى الله ، وطاعة رسوله ، وصلاح ذات البين[٢]. (٢: ٤٥٨) .

= الميت/ ٤/ ٢٢٠٣/ ح٢٨٧٤) وأحمد في مسنده (٣/ ١٠٤) وغيرهم ، والله أعلم .

(١) إسناده ضعيف والحديث صحيح أخرجه ابن هشام في السيرة من طريق ابن إسحاق هذا وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث فإسناده حسن .
وأخرج مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ترك قتلى بدر ثلاثاً ثم أتاهم فقام عليهم فناداهم فقال: يا أبا جهل بن هشام يا أمية بن خلف يا عتبة بن ربيعة ، يا شيبة بن ربيعة أليس قد وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً؟ فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً. فسمع عمر قول النبي ﷺ فقال: يا رسول الله كيف يسمعوا وأنىٰ يجيبوا وقد جيفوا؟! قال: (والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا). ثم أمر بهم فسحبوا فألقوا في قليب بدر ، (صحيح مسلم/ كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها/ ح٢٨٢٤) والحديث رواه أحمد في المسند (٣/ ٢٨٧) .
وقد سبق أن ذكرنا روايات أخرى عند الحديث عن سند الرواية السابقة (٢/ ١٠١) .

(٢) إسناده ضعيف إلى ابن إسحاق وأخرجه ابن هشام في السيرة من طريق ابن إسحاق وقد صرّح بالتحديث وسنده حسن وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٢٦) وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي والله أعلم .

١٠٤ - قال: ثمّ بعث رسول الله ﷺ عند الفتح عبدَ الله بن رواحة بشيراً إلى أهل العالية بما فتح الله على رسوله ﷺ وعلى المسلمين، وبعث زيد بن حارثة إلى أهل السافلة.

قال أسامة بن زيد: فأتانا الخبر حين سوّينا التّراب على رقيّة بنت رسول الله ﷺ التي كانت عند عثمان بن عفان، كان رسول الله ﷺ خلفني عليها مع عثمان.

قال: ثم قدم زيد بن حارثة فجئته وهو واقف بالمصلّى قَد غَشيهُ الناس وهو يقول: قُتِل عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو جهل بن هشام، وزَمعة بن الأسود، وأبو البَختريّ بن هشام، وأميّة بن خَلف، ونبيه ومنبّه ابنا الحجاج. قال: قلت: يا أبهْ أحقٌّ هذا! قال: نعم والله يا بُنيَّ. ثم أقبل رسول الله ﷺ قافلاً إلى المدينة؛ فاحتمل معه النَّفَل الذي أصيب من المشركين، وجعل على النَّفلِ عبد الله بن كعب بن زيد بن عوف بن مبذول بن عمرو بن مازن بن النَّجار. ثم أقبلَ رسول الله ﷺ حتى إذا خرج من مضيق الصَّفْراء، نزل على كَثِيب بين المضيق وبين النازية ـ يقال له سَيَر ـ إلى سَرْحة بـه، فقسَّم هنالك النَّفَل الَّذي أفـاء الله على المسلمين من المشركين على السَّواء، واستُقيَ له من ماء به يقال له الأرواق[(١)]. (٢: ٤٥٨/ ٤٥٩).

١٠٥ - حدّثنا ابنُ حُميد، قال: حدّثنا سلَمة قال: قال محمد بن إسحاق: كما حدّثني بعضُ أهل العلْم من أهل مكة؛ قال: ثم خرج رسول الله ﷺ؛ حتى إذا كان بعرْق الظّبية، قتل عُقبْة بن أبي مُعَيط، فقال حين أمر به رسول الله ﷺ أن يُقتل: فمنْ للصبية يا محمد! قال: النار، قال: فقتله عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح

(١) ذكر الطبري هذه الرواية مبدوءاً بقوله (قال) وأغلب الظن أنه يشير إلى طريق ابن إسحاق السابق (١٠٣) عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: (إن النبي ﷺ خلف عثمان بن عفان وأسامة بن زيد علىٰ بنت رسول الله ﷺ، فجاء زيد بن حارثة على العضباء ناقة رسول الله ﷺ بالبشارة قال أسامة: فسمعت الهيعة فخرجت فإذا زيد قد جاء بالبشارة فوالله ما صدقت حتىٰ رأينا الأسارىٰ وضرب رسول الله ﷺ لعثمان بسهمه) وقال الحاكم: هذا حديث صحيح علىٰ شرط مسلم ولم يخرجاه، وسكت عنه الذهبي وأخرجه البيهقي في السنن (٩/ ١٧٤).
وصحح العليّ إسناده (صحيح السيرة/ ١٨٨/ الحاشية).

الأنصاريّ ؛ ثم أحد بني عمرو بن عوف[(١)] . (٢ : ٤٥٩) .

١٠٦ ـ قال : كما حدثني أبو عبيدة بن محمد بن عمَّار بن ياسر ، قال : ولما انتهى رسول الله ﷺ إلى عِرْق الظبية حين قتل عُقبة لَقِيَه أبو هند مولى فَرْوة بن عمرو البَيَاضيّ بحَميت مملوء حَيْساً ، وكان قد تخلَّف عن بدر ، ثم شهد المشاهد كلّها مع رسول الله ﷺ ، وكان حجَّام رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : إنما أبو هند امرؤٌ من الأنصار ، فأنكحوه وأنكحوا إليه ، ففعلوا. ثم مضَى رسول الله ﷺ حتى قدِم المدينة قبل الأسارى بيوم[(٢)] . (٢ : ٤٥٩/ ٤٦٠) .

---

(١) إسناده ضعيف ولكن قوله : (فقال حين أمر به رسول الله ﷺ أن يقتل : فمن للصبية يا محمد؟! قال : النار) جاء من طريقين صحيحين :
الأول : أخرجه أبو داود في سننه ـ باب في قتل الأسير صبراً ـ (ح ٢٦٨٦) عن مسروق قال لابن عقبة بن أبي معيط : حدثنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وكان غير كذاب أن رسول الله ﷺ أمر بعنق أبيك أن تضرب صبراً ، ثم مر به فقال : من للصبية بعدي؟ قال : لهم النار ، حسبك ما رضي لك رسول الله ﷺ .
وكذلك ذكره الهيثمي وقال : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات. (مجمع الزوائد ٦/ ٥٩).
والثاني : رواه الطبراني في المعجم الكبير (ح ٥٢/ ١٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : فادىٰ رسول الله ﷺ أسارىٰ بدر وكان فداء كل رجل منهم أربعة آلاف ـ وقتل عقبة بن أبي معيط قبل الفداء قام إليه علي بن أبي طالب فقتله صبراً ، قال : من للصبية يا رسول الله؟ قال : النار . وقال الهيثمي : رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد ٦/ ٨٩).

(٢) إسناده ضعيف ولكن أخرج أبو داود في سننه ـ كتاب النكاح باب في الأكفاء . . . وفيه : (إنما أبو هند رجل من الأنصار) وحسن الشيخان (همّام وأبو صعيليك) حديث أبي داود هذا والله تعالىٰ أعلم.
ذكرنا الرواية (٢/ ٤٦٠/ ١٣٨) في قسم الضعيف ومتنه كذلك سوى قول رسول الله ﷺ : (استوصوا في الأسارىٰ خيراً) فقد قال الهيثمي : رواه الطبراني وإسناده حسن (مجمع الزوائد ٦/ ٨٦) والله أعلم .
(٢/ ٤٦٠ ـ ٤٦١): إسناده ضعيف إلى ابن إسحاق وقد ذكره ابن إسحاق عن نبيه بن وهب وهذا إسناد مرسل إلاّ أن الطبراني رواه من طريق ابن إسحاق موصولاً ، فقد أخرجه في الكبير (٢٢/ ٣٩٣) والصغير (١/ ٢٥٠) من حديث محمد بن إسحاق حدثني نبيه بن وهب عن أبي عزيز أخي مصعب بن عمير قال : كنت في الأسارىٰ يوم بدر فقال رسول الله ﷺ : استوصوا=

١٠٧ ـ حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحاق ، قال : فحدّثني الحسنُ بن عُمارة ، عن الحكم بن عتيبة بنِ مقْسَم ، عن ابن عبّاس ، قال : كان الذي أسر العبَّاس أبو اليَسَر كعب بن عمرو أخو بني سلمة ، وكان أبو اليَسَر رجلاً مجموعاً ، وكان العبَّاس رجلاً جسيماً ، فقال رسول الله ﷺ لأبي اليَسَر : كيف أسرت العباس يا أبا اليَسَر؟ فقال : يا رسولَ الله؛ لقد أعانني عليه رجلٌ ما رأيته قبلَ ذلك ولا بعده؛ هيئته كذا وكذا ، قال رسول الله ﷺ : لقدأعانك عليه مَلك كريم[1] . (٢ : ٤٦٣) .

١٠٨ ـ حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : قال محمّد بن إسحاق ، عن الكلبيّ ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، أنّ رسول الله ﷺ قال للعبّاس بن عبد المطلب حين انتهى به إلى المدينة : يا عبَّاس ، افد نفسَك وابنيْ أخيك عَقِيل

= بالأسارىٰ خيراً ، وكنت في نفر من الأنصار وكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم أكلوا التمر وأطعموني الخبز بوصية رسول الله ﷺ إياهم .

وقال الطبراني : لا يروىٰ عن أبي عزيز بن عمير إلاّ بهذا الإسناد تفرّد به محمد بن إسحاق (المعجم الصغير ١/ ٢٥٠) .

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٨٦) وفيه : (أكلوا التمر وأطعموني البر لوصية رسول الله ﷺ) ثم قال الهيثمي : رواه الطبراني في الصغير والكبير وإسناده حسن ، وليس في روايتي الطبراني عبارة : (شدّ يديك به فإن أمه ذات متاع لعلها أن تفتديه منك) . والله أعلم .

(١) إسناده ضعيف ولكن يؤيده ما أخرج أحمد في مسنده . (ح ١٨٦٠١) عن أبي إسحاق عن البراء أو غيره قال : جاء رجل من الأنصار بالعباس قد أسره ، فقال العباس : يا رسول الله ليس هذا أسرني ، أسرني رجل من القوم أنزع من هيئته كذا وكذا فقال رسول الله ﷺ للرجل : (لقد آزرك الله بملك كريم) . وقال الهيثمي : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح (المجمع ٦/١/ ٨٥) .

وأخرج أحمد في مسنده (ح/ ٩٥٠) من طريق إسرائيل عن أبي إسحاق عن حارثة بن مضرب عن علي رضي الله عنه قال : لما قدمنا المدينة . . . الحديث الطويل وفي آخره : فقتلنا منهم سبعين وأسرنا سبعين فجاء رجل من الأنصار قصير بالعباس بن عبد المطلب أسيراً فقال العباس : يا رسول الله إن هذا والله ما أسرني لقد أسرني رجل أجلح من أحسن الناس وجهاً علىٰ فرس أبلق ما أراه في القوم . فقال الأنصاري : أنا أسرته يا رسول الله فقال : اسكت فقد أيدك الله بملك كريم فقال علي رضي الله تعالىٰ عنه : فأسرنا وأسرنا من بني عبد المطلب العباس وعقيلاً ونوفل بن الحارث ، وقال الهيثمي : رواه أحمد والبزار ورجال أحمد رجال الصحيح غير حارثة بن مضرب وهو ثقة (المجمع ٦/ ٧٦) .

ابن أبي طالب ونوفل بن الحارث ، وحليفك عُتْبة بن عمرو بن جَحْدم ، أخا بني الحارث بن فهر ، فإنك ذو مال.

فقال: يا رسولَ الله؛ إنّي كنتُ مُسْلِماً؛ ولكنّ القوم استكرهوني ، فقال: الله أعلم بإسلامك؛ إن يكن ما تذكر حقاً فالله يجزيك به ، فأمّا ظاهرُ أمرك فقد كان علينا ، فافْدِ نفسَك ـ وكان رسول الله ﷺ قد أخذ منه عشرين أوقيّة من ذهب ـ فقال العبّاس: يا رسولَ الله ، احسبها لي في فدائي ، قال: لا؛ ذاك شيء أعطاناه الله عزّ وجلّ منك ، قال: فإنّه ليس لي مال. قال: فأين المال الذي وضعتَه بمكة حيث خرجتَ من عند أم الفضل بنت الحارث ، ليس معكما أحد. ثم قلتَ لها: إن أصِبتُ في سفري هذا فللفضل كذا وكذا ، ولعبد الله كذا وكذا ، ولِقُثَم كذا وكذا ، ولعبيد الله كذا وكذا! قال: والّذي بعثَك بالحقّ ما علِمَ هذا أحد غيري وغيرها؛ وإني لأعلم أنك رسول الله ، ففدَى العبّاس نفسَه وابني أخيه وحليفَه[1]. (٢: ٤٦٥/٤٦٦).

١٠٩ ـ حدّثنا ابنُ حُميد ، قال: حدّثنا سَلمَة ، عن محمد بن إسحاق ، قال: فحدّثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عبّاد ، عن عائشة زوْج النبيّ ﷺ ، قالت: لما بعث أهل مكة في فداء أُسَرائهم ، بعثت زينب بنت رسول الله ﷺ في فداء أبي العاص بن الربيع بمال ، وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة أدخلتْها بها على أبي العاص حين بَنَىٰ عليها.

قالت: فلمّا رآها رسول الله ﷺ رقّ لها رِقّةً شديدةً ، وقال: إن رأيتم أن

---

(١) إسناده إلى ابن إسحاق ضعيف وفي طريق ابن إسحاق الكلبي اتهم بالكذب ، ولكن أصل القصة في فداء العباس صحيح ، وقال في مجمع الزوائد عن عباس الحديث وفيه ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ﴾ فقال العباس: فيّ والله نزلت حين أخبرت رسول الله ﷺ بإسلامي وسألته أن يحاسبني بالعشرين الأوقية التي وجدت معي فأعطاني بها عشرين عبداً كلهم تاجر بمالٍ في يده مع ما أرجو من مغفرة الله جل ذكره.
قلت (أي الهيثمي): في الصحيح بعضه ، رواه الطبراني في الأوسط والكبير باختصار ورجال الأوسط رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرّح بالسماع ، (مجمع الزوائد ٧/ ٢٨).
قلنا: والحديث صحح ابن حجر إسناده (المطالب العالية/ ٤٣٠٠) والحديث أخرجه الطبري في التفسير (١٤/ ٧٣).

تُطْلِقُوا لها أسيرَها وتَرُدّوا عليها الذي لها فافعلوا! فقالوا: نعم يا رسول الله ، فأطلَقُوه ورَدُّوا عليها الذي لها.

وكان رسول الله ﷺ قد أخذَ عليه ـ أو وَعَدَ رسول الله ﷺ ـ أن يخلّيَ سبيلَ زينب إليه ، أو كان فيما شَرَط عليه في إطلاقه؛ ولم يظهر ذلك منه ولا من رسول الله ﷺ ، فيعلم ما هو! إلاّ أنَّه لما خرج أبو العاص إلى مكَّة وخُلِّيَ سبيلُه ، بعث رسول الله ﷺ زيدَ بن حارثة ورجلاً من الأنصار مكانه ، فقال: كونا ببطن يأجَج؛ حتى تمرَّ بكما زينب فتصحباها ، حتى تأتياني بها ، فخرجا مكانهما؛ وذلك بعد بدر بشهر أو شَيْعه. فلما قدِم أبو العاص مكَّة أمرها باللحوق بأبيها؛ فخرجت تجهّز[1]. (٢: ٤٦٨/ ٤٦٩).

١١٠ ـ حدّثنا ابنُ حُميد ، قال حدّثنا سلمة بن الفضل ، قال: قال محمّد بن إسحاق ، حدّثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عُروة بن الزبير ، قال: جلس عُمَير بن وهب الجُمحيّ مع صفوان بن أميَّة بعد مصاب أهل بدر من قريش بيسير في الحِجر ـ وكان عُمير بن وهب شيطاناً من شياطين قريش ، وكان ممن يؤذي رسول الله ﷺ وأصحابه ، ويلْقَوْن منه عناء وهم بمكَّة ، وكان ابنُه وهب بن عمير في أسارَى بَدْر ـ فذكر أصحاب القَليب ومصابهم ، فقال صفوان: والله إنْ في العيش خير بعدهم ، فقال عُمَيْر: صدقت والله! أما والله لولا ديْن عليّ ليس له عندي قضاء وعيالٌ أخْشى عليهم الضَّيْعة بعدي ، لركبت إلى محمَّد حتى أقتله ، فإنَّ لي قِبَلهم علَّةً ، ابني أسيرٌ في أيديهم.

فاغتنمها صفوان بن أمية ، فقال: عليَّ دينُك أنا أقضيه عنك ، وعيالك مع

---

(١) إسناده ضعيف إلى ابن إسحاق وأخرجه أبو داود في سننه (٣/ ح ٢٦٩٢ باب فداء الأسير) من طريق محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق حدثني يحيىٰ بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عبّاد بن عبد الله عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما بعث أهل مكة... الحديث. وإسناده حسن.
وفي آخره: وكان رسول الله ﷺ أخذ عليه أو وعده أن يخلّي سبيل زينب إليه ، وبعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة ورجلاً من الأنصار فقال: كونا ببطن يأجج حتىٰ تمر بكما زينب فتصحباها حتىٰ تأتيا بها ـ وأخرجه أحمد بأوجز منها (المسند ٦/ ٣٧٦) وجوّد الساعاتي إسناد ابن إسحاق (الفتح الرباني ١٤/ ١٠١) ورواية ابن إسحاق هذا في السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٦٥٣) والله أعلم.

عيالي أواسيهم ما بقُوا ، لا يَسعُني شيء ويعجز عنهم ، قال عمير: فاكتُم عليّ شأني وشأنك: قال: أفعل.

قال: ثمّ إنّ عميراً أمر بسيفه فشُحِذ له وسُمّ ، ثم انطلق حتى قدِم المدينة ، فبينا عمر بن الخطاب في نفر من المسلمين في المسجد يتحدّثون عن يوم بدر ، ويذكرون ما أكرمهم الله عزّ وجلّ به ، وما أراهم في عَدُوّهم؛ إذ نظر عمر إلى عُمير بن وهب حين أناخ بعيره على باب المسجد ، متوشّحاً السيف ، فقال: هذا الكلب عدُوّ الله عمير بن وهب ، ما جاء إلا لشَرّ! وهو الذي حرّش بيننا ، وَحَزَرَنا للقوم يوم بدر. ثمَّ دخل عمر على رسول الله ﷺ ، فقال: يا نبيّ الله ، هذا عدوُّ الله عُمير بن وهب قد جاء متوشّحاً سيفه ، قال: فأدْخِله عليَّ.

قال: فأقبل عُمَر حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه ، فلبّبه بها ، وقال لرجال ممَّن كان معه من الأنصار: ادخُلوا على رسول الله ﷺ فاجلسوا عنده ، واحذروا هذا الخبيث عليه ، فإنه غير مأمون. ثم دخل به على رسول الله ﷺ .

فلمّا رآه رسول الله ﷺ وعمر آخذ بحمالة سيفه ، قال: أرسلْه يا عمر ، ادْنُ يا عمير ، فدَنا ثم قال: أنعِمُوا صبَاحاً - وكانت تحيّة أهل الجاهليّة بينهم - فقال رسول الله ﷺ : قد أكرمنا الله بتحيَّة خير من تحيَّتك يا عمير؛ بالسَّلام تحيَّة أهل الجنّة ، قال: أما والله يا محمد إن كنْت لحديث عَهد بها. قال: ما جاء بك يا عُمير؟ قال: جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم ، فأحسنوا فيه. قال: فما بالُ السَّيْف في عنقك! قال: قَبحها الله من سيوف! وهل أغنت شيئاً! قال: اصدُقْني بالذي جئتَ له ، قال: ما جئت إلاّ لذلك ، فقال: بلى ، قعدتَ أنت وصفوان بن أمية في الحِجْر ، فذكرتما أصحاب القَلِيب من قريش ، ثم قلت: لولا دَيْن عليّ وعيالي لخرجتُ حتى أقتُلَ محمداً ، فتحمَّل لك صفوان بديْنِك وعيالك ، على أن تقتلني له. والله عزّ وجلّ حائل بيني وبينك. فقال عمير: أشهدُ أنك رسول الله؛ قد كنَّا يا رسولَ الله نكذّبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء ، وما ينزل عليك من الوحي؛ وهذا أمرٌ لم يَحضره إلاّ أنا وصفوان؛ فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله؛ فالحمد لله الَّذِي هداني للإسلام ، وساقني هذا المساق ، ثم تشهّدَ شهادة الحقّ؛ فقال رسول الله ﷺ : فَقِّهُوا أخاكم في دينه ، وأقرئوه وعَلِّموه القرآن ، وأطلقوا له أسيرَه.

قال: فَفَعَلُوا ، ثم قال: يا رسول الله ، إني كنت جَاهِداً في إطفاء نور الله ، شديد الأذى لمن كان على دين الله؛ وإنّي أحبّ أن تأذن لي فأقدَم مكّة فأدعُوهم إلى الله وإلى الإسلام؛ لعلّ الله أن يهديَهم! وإلا آذيتُهم في دينهم كما كنتُ أوذِي أصحابك في دينهم.

قال: فأذن له رسول الله ﷺ ، فلحق بمكّة ، وكان صفوان حين خرج عمير بن وهب يقول لقريش: أبشروا بوقْعَةٍ تأتيكم الآن في أيام تنْسيكم وقْعة بدر ، وكان صفوان يسأل عنه الركبان؛ حتى قَدِم راكبٌ فأخبره بإسلامه ، فحلف ألاّ يكلّمه أبداً ولا ينفعه بنفعٍ أبداً. فلما قدم عُمير مكّة أقام بها يدعو إلى الإسلام ، ويؤذي مَنْ خالفه أذىً شديداً فأسلم على يديه أناس كثير[1]. (٢ : ٤٧٢/ ٤٧٣/ ٤٧٤).

١١١ ـ فلما انقضى أمرُ بدر ، أنزل الله عزّ وجلّ فيه من القرآن الأنفال بأسْرِها. حدّثنا أحمدُ بن منصور ، قال: حدّثنا عاصم بن عليّ ، قال: حدّثنا عِكْرمة بن عمار ، قال: حدّثنا أبو زُمَيْل ، قال: حدّثني عبد الله بن عباس؛ حدّثني عُمر بن الخطاب ، قال: لمَّا كان يوم بدر التقوْا ، فهزم الله المشركين ، فقتِل منهم سبعون رجلاً ، وأسِرَ سبعون رجلاً ، فلمَّا كان يومئذ شاوَرَ رسول الله ﷺ أبا بكر وعليّاً وعمر ، فقال أبو بكر: يا نَبِيَّ الله ، هؤلاء بنو العمّ والعشيرة والإخوان؛ فإني أرَى أن تأخذ منهم الفِدْيَة؛ فيكون ما أخذنا منهم قوّة ، وعسى الله أن يهديَهم ،

---

(١) إسناده مرسل ضعيف وأخرجه ابن هشام في السيرة (١/ ٦٦١) من طريق ابن إسحاق عن عروة (وهو مرسل صحيح) وله طريق مرسلٌ آخر عن ابن شهاب أخرجه موسىٰ بن عقبة في مغازيه كما قال الحافظ في الإصابة (٣/ ٣٦).
وذكر الحافظ طريقاً آخر لهذا الحديث موصولاً عند ابن مندة (من طريق أبي الأزهر عن عبد الرزاق عن جعفر بن سليمان عن أبي عمران الجوني عن أنس أو غيره). والطبراني وقال: لا أعلمه إلاّ عن أنس بن مالك (الإصابة ٣/ ٣٧).
قلنا: وفي إسناد ابن مندة ضعف لأن أبا الأزهر تُـكُـلِّمَ في حفظه (وهو صدوق) فقد وضعنا أمثال هذه الروايات في الصحيح لتعدد مخارج المرسل الصحيح ووجود طريق آخر موصول ضعيف وخاصة فيما يتعلق بقصص إسلام الصحابة.
ولقد تحدثنا عن الشروط في ذلك بما فيه الكفاية عند حديثنا عن إسلام عدد من الأنصار علىٰ يد الصحابي الجليل مصعب بن عمير في المدينة المنورة قبل مجيء رسول الله ﷺ وهجرته المباركة إلىٰ المدينة والله أعلم.

فيكونوا لنا عَضُداً ، فقال رسول الله ﷺ : ما ترى يا بن الخطاب؟ قال: قلتُ: لا والله ، ما أرى الذي رأى أبو بكر ، ولكني أرى أن تمكِّنني من فلان فأضربَ عنقه ، وتمكِّن حمزة من أخ له فيضرب عنقه ، وتمكّن عليّاً من عَقِيل فيضرب عنقه ، حتى يعلم الله أن ليس في قلوبنا هَوَادَة للكفّار؛ هؤلاء صناديدهم وقادتهم وأئمّتهم.

قال: فهوي رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ، ولم يهوَ ما قلت أنا ، فأخذ منهم الفِداء ، فلمَّا كان الغدُ قال عمر: غدوتُ إلى النبيّ ﷺ وهو قاعِدٌ وأبو بكر ، وإذا هما يبكيان ، قال: قلت: يا رسول الله أخبِرْني ماذا يبكيك أنت وصاحبك؟ فإن وجدتُ بكاءً بكيتُ ، وإن لم أجِدْ تباكيتُ لبُكائكما. فقال رسول الله ﷺ : للَّذي عرض عليّ أصحابُك من الفداء. لقد عُرِض عليّ عذابُكم أدْنى من هذه الشجرة ـ لشجرة قريبة ـ وأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾؛ ثم أحلّ لهم الغنائم.

فلمَّا كان من العام القابل في أُحُد عُوقِبُوا بما صنعوا ، قُتِل من أصحاب رسول الله ﷺ سبعون ، وأسر سبعون ، وكسرت رباعِيَّتُهُ وهُشِمَتِ البَيْضة على رأسه ، وسال الدم على وجهه ، وفرَّ أصحابُ النبيّ ﷺ ، وصعدوا الجبل ، فأنزل الله عزّ وجلّ هذه الآية: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ، ونزلت هذه الآية الأخرى:

﴿۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً﴾[١]. (٢: ٤٧٤/ ٤٧٥).

قال: وفي غزوة بدر انتفَل رسول الله ﷺ سيفه ذا الفَقَار ، وكان لمُنَبِّه بن الحجاج[٢]. (٢/ ٤٧٨).

---

(١) إسناده حسن والحديث إلىٰ قوله (ثم أحل لهم الغنائم) أخرجه مسلم في صحيحه (باب الإمداد بالملائكة/ح ١٧٦٣) وأحمد في مسنده (١/ ٣٠) وأخرجه الحاكم مختصراً في المستدرك (٢/ ٣٢٩) وصحح إسناده وقال الذهبي: على شرط مسلم ـ والله أعلم.

(٢) قلنا: ذكر الطبري هذه العبارة بلا إسناد ولكن جاء في بداية الحديث الذي أخرجه الترمذي والبيهقي والحاكم وغيرهم عن ابن عباس رضي الله عنهما: (تنفل رسول الله ﷺ سيفه ذا الفقار يوم بدر وهو الذي رأىٰ فيه الرؤيا يوم أحد. . . الحديث) الحاكم (٢/ ٢٢١) وصححه=

قال أبو جعفر: ومات في هذه السنة ـ أعني سنة اثنتين من الهجرة ـ في ذي الحجَّة عثمان بن مظعون، فدفنَه رسول الله ﷺ بالبقيع، وجعل عند رأسه حَجَراً علامة لقبره[١]. (٢: ٤٨٥).

١١٢ ـ قال أبو جعفر: وأما الواقديّ، فإنّه زعم أنّ ابن أبي سَبْرة حدّثه عن إسحاق بن عبد الله عن أبي جعفر، أن عليّ بن أبي طالب عليه السلام بنَى بفاطمة عليها السَّلام في ذي الحجَّة، على رأس اثنين وعشرين شهراً.

قال أبو جعفر: فإن كانت هذه الرواية صحيحة فالقول الأول باطل[٢]. (٢: ٤٨٥/٤٨٦).

ثم دخلت السنة الثالثة من الهجرة

خبر كعب بن الأشرف

١١٣ ـ كما حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سَلمة، عن محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن المغيث بن أبي بُرْدة بن أسير الظَّفْرِيّ، وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، وعاصم بن عمر بن قتادة، وصالح بن أبي أمامة بن سهل، قال: كلٌّ قد حدثني بعض حديثه، قال: قال كعب بن الأشرف ـ وكان رجلاً من طيء، ثم أحد بني نَبْهان، وكانت أمّه من بني النَّضير، فقال حين بلغه الخبر: ويلكم أحَقٌّ هذا! أتروْن أنّ محمداً قتل هؤلاء الّذين يسمِّي هذان الرجلان ـ

= وأخرجه الترمذي (ح ١٥٦١) وقال: حسن غريب وصحح الساعاتي إسناده (الفتح الرباني ١٧/ ٢٢١).

(١) صحيح.

(٢) في إسناده الواقدي وهو متروك ولكن متنه أقرب إلى الروايات الصحيحة مما ذكره الواقدي قبل ذلك.

ولذلك قال الطبري: فإن كانت هذه الرواية صحيحة فالقول الأول باطل.

قلنا: أخرج البخاري في صحيحه (المغازي/ ح ٤٠٠٣) عن علي رضي الله عنه قال: (كانت لي شارف من نصيبي من المغنم يوم بدر وكان النبي ﷺ أعطاني مما أفاء الله عليه من الخمس يومئذ، فلما أردت أبتني بفاطمة عليها السلام بنت النبي ﷺ . . . الحديث).

وأخرجه مسلم (ح ١٩٧٩) وأخرج البيهقي في دلائل النبوة (٣/ ١٦٢) عن ابن مندة: (أن علياً رضي الله عنه تزوج فاطمة بالمدينة بعد سنة من الهجرة وابتنى بها بعد ذلك بنحو من سنة وولدت لعلي الحسن والحسين ومحسناً وأم كلثوم الكبرىٰ وزينب الكبرىٰ) والله أعلم.

يعني زيد بن حارثة ، وعبد الله بن رواحة؟ وهؤلاء أشراف العرب وملوك الناس. والله لئن كان محمَّد أصاب هؤلاء القوم لبَطنُ الأرضِ خيرٌ لنا من ظهرها.

فلما تيقَّن عدوُّ الله الخبر ، خرج حتَّى قدم مكَّة ، فنزل على المطَّلب بن أبي وَدَاعة بن ضُبَيْرة السَّهمي ، وعنده عاتكة بنت أسَيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس ، فأنزلَته وأكرمتْه ، وجعل يحرّض على رسول الله ﷺ ، وينشد الأشعار ، ويبكي على أصحاب القَليب الذين أصيبوا ببدر من قريش. ثم رجع كعب بن الأشرف إلى المدينة ، فشبَّبَ بأم الفضل بنت الحارث ، فقال:

أَرَاحِلٌ أنْتَ لم تَحْلُل بمَنقَبةٍ ... وتاركٌ أنت أُمَّ الفضل بالحَرَمِ!
صفْرَاءُ رادعةٌ لو تُعْصَرُ انْعَصرت ... منْ ذي القوارير والحنَّاء والكَتم
يرْتَجُّ ما بين كعبيْها ومرْفقها ... إذا تأتّتْ قياماً ثم لم تَقُم
أشباهُ أُمِّ حكيمٍ إذْ تُواصِلُنا ... والحبْلُ منها مَتينٌ غيرُ مُنْجَذمِ
إحْدَى بنِي عامرٍ جُنَّ الفُؤادُ بها ... ولو تَشاء شَفتْ كعباً من السَّقمِ
فرعُ النِّساءِ وفرعُ القومِ والدُها ... أهلُ التَّحِلَّةِ والإيفاءِ بالذِّمَم
لم أرَ شمساً بليْلٍ قبلها طَلَعتْ ... حتى تجلّتْ لنا في ليلةِ الظُّلَم

ثم شَبَّبَ بنساء من نساء المسلمين حتى آذاهم؛ فقال النبيّ ﷺ كما حدّثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن المغيث بن أبي بُرْدة: مَنْ لي من ابن الأشرف! قال: فقال محمد بن مسلمة ، أخو بني عبد الأشهل: أنا لك به يا رَسولَ الله ، أنا أقتله. قال: فافْعَل إن قَدَرْت على ذلك ، فرجع محمَّد بن مسلمة ، فمكث ثلاثاً لا يأكل ولا يشرب. إلاّ ما يعلّقُ [به] نفسه ، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ ، فدعاه فقال له: لِمَ تركتَ الطعام والشراب؟ قال: يا رسول الله ، قلت قولاً لا أدري أفِي به أم لا! قال: إنما عليك الجَهْد ، قال: يا رسول الله ، إنه لابُدَّ لنا من أن نقول. قال: قولوا ما بدا لكم ، فأنتم في حلّ من ذلك!

قال: فاجتمع في قتله محمَّد بن مسلمة وسِلْكَان بن سلامة بن وَقْش ـ وهو أبو نائلة أحدُ بني عبد الأشهل ، وكان أخا كعب من الرّضاعة ـ وعَبَّادُ بن بشر بن وقْش ، أحد بني عبد الأشْهَل ، والحارث بن أوس بن مُعاذ ، أحد بني عبد الأشهل ، وأبو عَبْس بن جَبْر ، أخو بني حارثة. ثم قَدَّموا إلى ابن الأشرف قبل أن

يأتوه سِلْكان بن سلامة أبا نائلة ، فجاءه فتحدَّث معه ساعة ، وتناشدا شعراً ـ وكان أبو نائلة يقول الشعر ـ ثم قال: ويحك يا بن الأشرف! إني قد جئتك لحاجة أريد ذكرها لك ، فاكتُم عليّ ، قال: أفعل ، قال: كان قدوم هذا الرّجل بلاءً [علينا] عادَتْنا العرب ورَموْنا عن قوسٍ واحدة ، وقطعَتْ عنا السُّبُلُ حتى ضاع العِيَال ، وجُهِدَتِ الأنفس ، وأصبحنا قد جُهدنا وجُهد عيالُنا! فقال كعب: أنا ابن الأشرف ، أما والله لقد كنتُ أخبرتك يا بنَ سلامة أنّ الأمْرَ سيصير إلى ما كنت أقول ، فقال سلْكان: إني قد أردت أن تبيعنا طعاماً ونَرْهَنك ونُوثّق ذلك ، وتُحْسن في ذلك. قال: ترهنوني أبناءكم! فقال: لقد أردت أن تفضَحنَا! إن معي أصحاباً لي على مثل رأيي ، وقد أردت أن آتيَك بهم فتبيعهم ، وتحسن في ذلك ، ونرهنك من الحَلْقَةِ ما فيه لك وفاء ـ وأراد سِلْكان ألاّ ينكر السلاح إذا جاؤوا بها ـ فقال: إنّ في الحلقة لوفاء ، قال: فرجع سِلْكان إلى أصحابه ، فأخبرهم خبَره ، وأمرهم أن يأخذوا السلاح فينطلقوا فيجتمعوا إليه ، فاجتمعوا عند رسول الله ﷺ[١] . (٢ : ٤٨٧/ ٤٨٨/ ٤٨٩) .

١١٣/ أ ـ حدّثنا عليُّ بن عبدِ الله حدَّثنا سفيانُ قال عمروٌ: سمعتُ جابرَ بن عبدِ الله رضي الله عنهما يقول: «قال رسول الله ﷺ : منْ لكعب بن الأشرف؟ فإنه قد آذى الله ورسوله. فقام محمدُ بن مَسْلمة فقال: يا رسول الله ، أتحِبُّ أنْ أقتُلَه؟ قال: نعم. قال: فائـذَنْ لي أن أقولَ شيئاً. قال: قل: فأتاهُ محمدُ بن مسلمةَ فقال: إنَّ هذا الرجلَ قد سألنا صدَقةً ، وإنه قد عَنّانا ، وإني قد أتيتُك أستسلِفُك قال: وأيضاً والله لتملنَّه. قال: إنا قد اتبَعْناهُ ، فلا نحِبُّ أن نَدعَهُ حتى ننظرَ إلى أيِّ شيءٍ يصيرُ شأنه ، وقد أردْنا أن تُسلِفَنا وَسْقاً أو وَسْقَين ـ وحدَّثنا عمرو غيرَ مرة فلم يذكر «وسقاً أو وَسقين» أو فقلت له: فيه «وسقاً أو وسقين»؟ فقال: أرى فيه «وسقاً أو وسقين» ـ فقال: نعم. ارهَنُوني. قالوا: أيُّ شيء تريد؟ قال: ارْهَنُوني نساءَكم. قالوا: كيف نَرهنُك نساءنا وأنتَ أجملُ العرب؟ قال: فارهنوني أبناءكم. قالوا: كيف نَرْهَنُكَ أبناءنا فيُسَبُّ أحُدهم فيقال: رُهِنَ بوَسْق أو وسقَين ، هذا عارٌ علينا ، ولكنّا نرهَنكَ اللأمَةَ. قال سفيان: يعني السلاحَ. فواعَدَهُ أن

---

(١) إسناده ضعيف ولكن أصل القصة في قتل كعب بن الأشرف صحيح، فقد أخرجه البخاري في صحيحه.

يأتيه ، فجاءهُ ليلاً ومعه أبو نائلةً ـ وهو أخو كعب من الرَّضاعة ـ فدَعاهم إلى الحِصْنِ ، فَنزَلَ إليهم. فقالت له امرأتهُ: أينَ تخرُج هذه الساعة؟ فقال: إنما هو محمدُ بن مَسْلمةَ وأخي أبو نائلة. وقال غيرُ عمروٍ: قالت أسمعُ صوتاً كأنهُ يَقْطُرُ منه الدَّمُ. قال: إنما هو أخي محمدُ بن مَسلمة ورضيعي أبو نائلة. إن الكريمَ لو دُعِي إلى طَعْنةٍ بليلٍ لأجاب. قال: ويُدْخِلُ محمدُ بن مَسلمةَ معهُ رجلَين ـ قيل لسفيان: سماهم عمروٌ؟ قال: سَمى بعضَهم. قال عمروٌ: جاء معه برجلَين ، وقال غيرُ عمرو: أبو عَبسٍ بن جَبر والحارثُ بن أوسٍ وعبّاد بن بشر ـ قال عمرو جاء معه برجلين فقال: إذا ما جاء فإني قائلٌ بشَعَرِه فأَشُمُّه ، فإذا رأيتموني استمكَنْتُ مِنْ رأسِه فدونكم فاضربوه. وقال مرَّةً: ثم أُشِمُّكم. فنزَلَ إليهم مُتوشِّحاً وهو يَنْفَحُ منه رِيحُ الطِّيبِ فقال: ما رأيتُ كاليوم ريحاً ـ أي أطيبَ ـ وقال غيرُ عمرو: قال عندي أعْطَرُ نساءِ العرب وأكملُ العرب. قال عمرو فقال: أتأذنُ لي أَنْ أَشُمَّ رأسَك؟ قال: نعم. فَشَمَّهُ ، ثم أشَمَّ أصحابَه ثم قال: أتأذنُ لي؟ قال: نعم. فلما اسْتَمْكَنَ منهُ قال: دُونكم. فقَتلوه. ثمَّ أتَوُا النبيَّ ﷺ فأخبروه»[(١)].

١١٤ ـ حدّثنا ابنُ حميد قال: حدّثنا سلَمة ، عن محمَّد بن إسحاق قال: فحدّثني ثَوْر بن زيد الدِّيليّ ، عن عِكْرمة مولى ابن عبّاس ، عن ابن عباس ، قال: مشى معهم رسول الله ﷺ إلى بقيع الغَرْقَد ، ثم وجَّههم وقال: انطلقوا على اسم الله ، اللَّهمَّ أعِنْهم. ثم رجع رسول الله ﷺ إلى بيته في ليلة مُقْمِرة ، فأقبلوا حتى انتهوْا إلى حصنه ، فَهتَفَ به أبو نائلة ـ وكان حديثَ عهد بعُرْس ـ فوثب في مِلْحَفتِهِ؛ فأخذت امرأته بناحيتها ، وقالت: إنك امرؤ مُحاربٌ؛ وإنّ صاحبَ الحرب لا ينزِل في مثل هذه الساعة. قال: إنه أبو نائلة؛ لو وجدني نائماً لما أيقظِني ، قالت: والله إني لأعرِف في صوته الشرّ. قال: يقول لها كعب: لو دُعِيَ الفتى لطعنة أجاب ، فنزل فتحدَّث معهم ساعة ، وتحدّثوا معه ، ثم قالوا له: هل لك يا بن الأشرف ، أن نتماشى إلى شِعْب العجوز فنتحدّث به بقية ليلتنا هذه! قال: إنْ شئتم! فخرجوا يتماشوْن ، فمشوْا ساعة. ثم إنّ أبا نائلة شام يدَه في فَوْدِ

---

(١) صحيح البخاري/ كتاب المغازي/ ح ٤٠٣٧/ باب قتل كعب بن الأشرف.
والحديث أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجهاد والسير (باب قتل كعب بن الأشرف/ح ١٨٠١) وابن هشام في السيرة (٢/ ٥١) من طريق ابن إسحاق والله أعلم.

رأسه ، ثم شمّ يدَه ، فقال: ما رأيتُ كالليلة طيباً أعطَرَ قطّ. ثم مَشى ساعة ثم عاد لمثلها ، حتى اطمأنّ ثمّ مشى ساعة ، فعاد لمثلها ، فأخذ بفودَيْ رأسه ، ثم قال: اضربوا عدوّ الله؛ فاختلَفتْ عليه أسيافهم ، فلم تُغْنِ شيئاً. قال محمَّد بن مسلمة: فذكرت مغْوَلاً في سيفي حين رأيتُ أسيافنا لا تغني شيئاً ، فأخذته ، وقد صاح عدوُّ الله صيحة لم يبق حولَنا حِصنٌ إلاّ أوقدت عليه نار. قال: فوضعته في ثُنْدوته ، ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانَتَه ، ووقع عدوُّ الله ، وقد أصيب الحارث بن أوْس بن معاذ بجُرْح في رأسه أو رجله ، أصابه بعضُ أسيافنا. قال: فخرجنا حتى سلكْنا على بني أميَّة بن زيد ، ثم على بني قرَيْظة ، ثم على بُعاث حتى أسْنَدْنا في حرّة العُرَيْض ، وقد أبطأ علينا صاحبنا الحارث بن أوس ونَزَفه الدّمُ ، فوقفْنَا له ساعة ، ثم أتانا يتبع آثارنا. قال: فاحتملناه فجئنا به رسول الله ﷺ آخر الليل وهو قائم يصلّي ، فسلَّمنَا عليه ، فخرج إلينا ، فأخبرناه بقتل عدوّ الله ، وتفل على جُرْح صاحبنا ، ورجعنا إلى أهلنا ، فأصبحنا وقد خافت يهود بوقعتنا بعدوّ الله ، فليس بها يهوديّ إلاّ وهو يخاف على نفسه[(١)].
(٢: ٤٩٠/٤٩١).

---

(١) إسناده ضعيف إلى ابن إسحاق وأخرجه ابن هشام (٢/ ٥٥) من طريق ابن إسحاق فحدثني ثور ابن زيد عن عكرمة عن ابن عباس وإسناده حسن كما قال الحافظ في الفتح (٧/ ٣٣٨) وقال في المطالب العالية (ح ٤٣١٢): أخرجه إسحاق بن راهويه وإسناده حسن متصل - وتصريح ابن إسحاق بالتحديث يرد كلام الحافظ الهيثمي في المجمع (٦/ ١٩٦) رواه أحمد والبزار إلا أنه قال: إن النبي ﷺ لما وجه محمد بن مسلمة وأصحابه إلى كعب بن الأشرف والباقي بنحوه رواه الطبراني ثم رجع رسول الله ﷺ إلى بيته وفيه ابن إسحاق وهو مدلس وبقية رجاله رجال الصحيح. اهـ.

قلنا: فلا ضير لأنه صرّح بالتحديث فيكون حديثه حسناً والله أعلم.

وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ١٠٧) عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: مشى معهم رسول الله ﷺ إلى بقيع الغرقد حين وجههم ثم قال: انطلقوا على اسم الله. اللهم أعنهم. ثم قال الحاكم: قد احتج البخاري بثور بن يزيد وعكرمة ، واحتج مسلم ، بمحمد ابن إسحاق وهذا حديث غريب صحيح ولم يخرجاه (٢/ ١٠٧).

وأخرجه أحمد (١/ ٢٦٦) (ح ٢٣٩٧) من طريق ابن إسحاق حدثني ثور بن يزيد عن عكرمة عن ابن عباس قال: مشى معهم.... الحديث.. وأخرج أبو داود في سننه (الخراج والإمارة ح ٣٠٠٠) من طريق الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه =

مقتل أبي رافع اليهوديّ

١١٥ ـ قال أبو جعفر: وفي هذه السَّنة كان مقتل أبي رافع اليهوديّ ـ فيما قيل ـ وكان سبب قتله، أنَّه كان ـ فيما ذُكِر عنه ـ يُظاهر كعبَ بن الأشرف علىَ رأس رسول الله ﷺ، فوجَّه إليه ـ فيما ذُكِر ـ رسول الله ﷺ في النصف من جمادى الآخرة من هذه السنة عبد الله بن عَتِيك. فحدّثنا هارون بن إسحاق الهمْدانيّ، قال: حدثنا مصعب بن المقدام، قال: حدّثني إسرائيل، قال: حدّثنا أبو إسحاق، عن البَراء، قال: بعث رسول الله ﷺ إلى أبي رافع اليهوديّ ـ وكان بأرض الحجاز ـ رجالاً من الأنصار، وأمَّر عليهم عبد الله بن عقبة ـ أو عبد الله بن عتيك ـ وكان أبو رافع يؤذِي رسول الله ﷺ ويبغي عليه، وكان في حصن له بأرض الحجاز، فلما دَنَوْا منه وقد غربت الشمس، وراحَ النَّاس بسَرْحهم، قال لهم عبد الله بن عقبة ـ أو عبد الله بن عَتِيك: اجلسوا مكانكم، فإني أنطلق وأتلطَّف للبوّاب، لعلّي أدخل! قال: فأقبل حتَّى إذا دنا من الباب، تقنّع بثوبه؛ كأنه يقضي حاجة، وقد دخل النَّاس، فهتف به البوّاب: يا عبد الله، إن كنت تريد أن تدخل فادخل، فإني أريدُ أنْ أغلق الباب. قال: فدخلت فكمَنْتُ تحت آرِيّ حمار؛ فلمّا دخل النَّاس أغلق الباب ثم عَلَّقَ الأقاليد على وَدّ. قال: فقمت إلى الأقاليد فأخذتها، ففتحت الباب، وكان أبو رافع يسْمرُ عنده في علاليّ؛ فلما ذهب عنه أهل سَمَره، فصعدتُ إليه فجعلت كلَّما فتحت باباً أغلقته عَليّ مِنْ داخل. قلت: إن القوم نَذِروا بي لم يخلصوا إليّ حتى أقتله. قال: فانتهيتُ إليه؛ فإذا هو في بيت مظلم وسْط عياله؛ لا أدري أين هو من البيت! قلت: أبا رافع!

= وكان أحد الثلاثة الذين تيب عليهم وكان كعب بن الأشرف يهجو النبي ﷺ ويحرض عليه كفار قريش وكان النبي ﷺ حين قدم المدينة وأهلها أخلاط منهم المسلمون والمشركون يعبدون الأوثان واليهود وكانوا يؤذون النبي ﷺ وأصحابه فأمر الله عز وجل نبيه بالصبر والعفو ففيهم أنزل الله: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ الآية.

فلما أبىٰ كعب بن الأشرف أن ينزع عن أذى النبي ﷺ أمر النبي ﷺ سعد بن معاذ أن يبعث رهطاً يقتلونه فبعث محمد بن مسلمة وذكر قصة قتله فلمّا قتلوه... الحديث).

وقصة كعب بن الأشرف وإيذائه بذلك النبي ﷺ أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٥/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤) والله أعلم.

قال: مَنْ هذا؟ قال: فأهوَيْتُ نحو الصوت ، فأضربهُ ضربة بالسيف ، وأنا دَهِش فما أغنيت شيئاً وصاح؛ فخرجت من البيت ومكثت غير بعيد. ثم دخلت إليه ، فقلت: ما هذا الصوت يا أبا رافع؟ قال: لأمّك الويْل! إنّ رجلاً في البيت ضربني قبل بالسيف ، قال: فأضربه فأثخنه ولم أقتله. قال: ثم وضعتُ ضبيب السَّيف في بطنه ، حتى أخرجته من ظهره ، فعرفت أني قد قتلته ، فجعلت أفتح الأبواب باباً فباباً ، حتى انتهيت إلى درجة؛ فوضعت رجلي ، وأنا أرى أني انتهيت إلى الأرض ، فوقعت في ليلة مقمرة؛ فانكسرتْ ساقي ، قال: فعصَّبتها بعمامتي ، ثم إني انطلقتُ حتى جلست عند الباب ، فقلت: والله لا أبرح الليلة حتى أعلَم: أقتلته أم لا؟ قال: فلما صاح الدّيك ، قام الناعي عليه على السُّور ، فقال: أنْعي أبا رافع ربَّاح أهل الحجاز! قال: فانطلقت إلى أصحابي ، فقلت: النَّجاء! قد قتل الله أبا رافع ، فانتهيت إلى النبيّ ﷺ ، فحدّثته فقال: ابسُط رجلك ، فبسطتها فمسحها فكأنما لم أشتكها قطُّ[(١)] . (٢: ٤٩٣/ ٤٩٤) .

---

(١) إسناده حسن وقصة قتل رافع بن أبي الحقيق أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب المغازي ـ باب قتل أبي رافع عبد الله بن أبي الحقيق) وكالآتي:
١ ـ حدّثني إسحاق بن نَصرٍ حدثَنا يحيىٰ بن آدمَ حدَّثنا ابنُ أبي زائدةَ عن أبيهِ عن أبي إسحاقَ عن البراء بن عازب رضيَ الله عنهما قال: «بَعثَ رسول الله ﷺ رَهْطاً إلى أبي رافعٍ ، فدَخَل عليه عبدُ الله بن عَتيكٍ بَيتَهُ ليلاً وهو نائمٌ فقتلهُ» (ح ٤٠٣٨).
٢ ـ حدّثنا يوسفُ بنُ موسى حدثنا عُبيد الله بن موسى عن إسرائيلَ عن أبي إسحاقَ عن البَراء ابن عازب قال: «بَعثَ رسول الله ﷺ إلى أبي رافعٍ اليهوديِّ رجالاً منَ الأنصار ، فأَمَّرَ عليهم عبدَ الله بن عَتيكٍ ، وكان أبو رافعٍ يُؤذي رسول الله ﷺ ويُعينُ عليه ، وكان في حصن له بأرض الحِجاز ، فلما دَنَوْا منه ـ وقد غَرَبَتِ الشمسُ وراحَ الناس بسَرْحِهم ـ فقال عبدُ الله لأصحابِه: اجلِسوا مَكانكم ، فإني مُنطلِقٌ ومُتلطِّفٌ للبوابِ لعلِّي أن أدخلَ. فأقبلَ حتى دَنا من الباب ، ثمَّ تَـقَـنَّعَ بثوبه كأنه يقضي حاجةً ، وقد دَخَلَ الناسُ ، فهتفَ بهِ البَوابُ: يا عبدَ الله إن كنت تُريدُ أن تَدخلَ فادخلْ ، فإني أريدُ أن أغلقَ البابَ. فدخلتُ فكَمَنْتُ ، فلما دخلَ الناسُ أغلَقَ البابَ ثم عَلَّقَ الأغاليق على وَدٍّ. قال: فقمتُ إلى الأقاليدِ فأخذتُها ففتحتُ البابَ ، وكان أبو رافعٍ يُسْمَرُ عِندَه ، وكان في عَلالِيَّ لهُ ، فلما ذَهبَ عنه أهلُ سَمَره صعدْتُ إليهِ فجعلتُ كلما فتحتُ باباً أغلقتُ عليَّ مِنْ داخلٍ. قلتُ: إن القومُ نَذِرُوا بي لم يَخْلُصوا إليَّ حتى أقتُلَه. فانتهيْتُ إليه ، فإذا هو في بيت مُظلِمٍ وَسْطَ عياله ، لا أدري أينَ هوَ منَ البيت. فقلتُ: يا أبا رافع. قال: مَنْ هذا؟ فأهْوَيتُ نحوَ الصَّوت فأضربُه ضربةً بالسيف وأنا دَهِشٌ فما أَغْنَيْتُ شيئاً. وصاحَ ، فخرَجتُ منَ البيت فأمْكُثُ غيرَ بعيد ، ثمَّ دخلتُ إليه =

= فقلتُ: ما هذا الصوتُ يا أبا رافع؟ فقال: لأُمِّكَ الوَيْلُ، إنَّ رجلاً في البيت ضربني قبلُ بالسيف. قال: فأَضْربُهُ ضربةً أثْخَنَتْهُ ولم أقتُله. ثمَّ وضعت ضَبِيبَ السيف في بطنه حتىٰ أخذ في ظهرِه، فعرَفتُ أني قَتلتُه، فجعلت أفتحُ الأبوابَ باباً باباً حتى انتهيتُ إلى درجة له، فوضعتُ رجلي وأنا أرَى أني قد انتهيتُ إلى الأرضِ فوقعت في ليلة مُقْمِرَةٍ، فانكسرَتْ ساقي، فعَصَبْتُها بعمامةٍ ثم انطلَقْتُ حتى جلَستُ على الباب فقلتُ: لا أخرجُ الليلةَ حتى أعلم أقتلْته؟ فلمّا صاحَ الدِّيكُ قام الناعي على السور فقال: أنعي أبا رافع تاجر أهل الحجاز، فانطلَقْتُ إلى أصحابي فقلتُ: النَّجاء فقد قَتل الله أبا رافع، فانتهيت إلى النبيِّ ﷺ فحدَّثته، فقال لي: ابْسُط رجلك، فبسطتُ رِجلي فَمَسَحَهَا، فكأنها لم أَشْتَكِها قطُّ».

(ح ٤٠٣٩).

٣ ـ وأخرج البخاري حدثنا أحمد بن عثمان حدثنا شريح هو ابن مسلمة حدثنا إبراهيم بن يوسف عن أبيه عن أبي إسحاق: قال سمعت البراء بن عازب رضي الله عنه قال: (بعث رسول الله ﷺ إلى أبي رافع عبد الله بن عتيك وعبد الله بن عتبة في ناس معهم فانطلقوا حتى دنوا من الحصن فقال لهم عبد الله بن عتيك: امكثوا أنتم حتى أنطلق أنا فأنظر، قال: فتلطفت أن أدخل الحصن ففقدوا حماراً لهم، قال: فخرجوا بقبس يطلبونه قال: فخشيت أن أعرف، قال: فغطيت رأسي كأني أقضي حاجة، ثم نادىٰ صاحب الباب من أراد أن يدخل فليدخل قبل أن أغلقه فدخلت ثم اختبأت في مربط حمار عند باب الحصن فتعشَّوا عند أبي رافع وتحدثوا حتى ذهبت ساعة من الليل ثم رجعوا إلى بيوتهم فلما هدأت الأصوات ولا أسمع حركة خرجت قال: ورأيت صاحب الباب حيث وضع مفتاح الحصن في كوة، فأخذته ففتحت به باب الحصن، قال: قلت إن نذر بي القوم انطلقت على مهل، ثم عمدت إلى أبواب بيوتهم فغلقتها عليهم من ظاهر ثم صعدت إلى أبي رافع في سلم فإذا البيت مظلم قد طفىء سراجه فلم أدر أين الرجل فقلت: يا أبا رافع؟ قال: من هذا؟ قال: فعمدت نحو الصوت فأضربه وصاح فلم تغنِ شيئاً قال: ثم جئت كأني أغيثه فقلت: مالك يا أبا رافع؟ وغيّرت صوتي فقال: ألا أعجبك؟ لأمك الويل، دخل عليّ رجل فضربني بالسيف! قال: فعدت له أيضاً فأضربه أخرى فلم تغن شيئاً، فصاح وقام أهله. قال: ثم جئت وغيرت صوتي كهيئة المغيث فإذا هو مستلقٍ على ظهره فأضع السيف في بطنه ثم أنكفىء عليه حتى سمعت صوت العظم ثم خرجت دهشاً حتى أتيت السلم أريد أن أنزل فأسقط منه فانخلعت رجلي فعصبتها، ثم أتيت أصحابي أحجل فقلت: انطلقوا فبشروا رسول الله ﷺ فإني لا أبرح حتى أسمع الناعية فلما كان في وجه الصبح صعد الناعية فقال: أنعىٰ أبا رافع قال: فقمت أمشي ما بي قلبة، فأدركت أصحابي قبل أن يأتوا النبي ﷺ فبشرته).

(صحيح البخاري/ ٦٤) كتاب المغازي / ح ٤٠٤٠.

وذكر الهيثمي رواية أخرىٰ أخرجه الطبراني عن عبد الله بن عتيك أن النبي ﷺ حين بعثه هو

وفيها كانت غزوة رسول الله ﷺ أُحُداً؛ وكانت في شوّال يوم السبت لسبع ليالٍ خلوْن منه ـ فيما قيل ـ من سنة ثلاث من الهجرة.

* * *

غزوة أُحـــد

١١٦ ـ قال أبو جعفر: وكان الَّذي هاج غزوة أُحُد بين رسول الله ﷺ ومشركي قريش وقْعة بدر وقتل مَنْ قُتل ببدْر من أشراف قريش ورؤسائهم؛ فحدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلَمة، عن محمد بن إسحاق، قال: وحدّثني محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزُّهريّ، ومحمد بن يحيى بن حَبّان، وعاصم بن عمر بن قَتادة، والحُصَيْن بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن مُعاذ وغيرُهم من علمائنا؛ كلّهم قد حدّث ببعض هذا الحديث عن يوم أُحُد، وقد اجتمع حديثهم كلّهم فيما سُقْتُ من الحديث عن يوم أُحُد، قالوا:

لما أصيبتْ قريش ـ أو من قاله منهم ـ يوم بدر من كفار قريش من أصحاب القَلِيب، فرجع فَلُّهم إلى مكة، ورجع أبو سفيان بن حرب بعِيره، مشى عبد الله ابن أبي ربيعة، وعِكْرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أميَّة، في رجال من قريش ممّن أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم ببدر؛ فكلَّموا أبا سفيان بن حرب ومَنْ كانت له في تلك العِير من قريش تجارة، فقالوا: يا معشرَ قريش، إنّ محمَّداً قد وَتَرَكم، وقتل خياركم، فأعينونا بهذا المال على حَرْبه، لعلَّنا أن ندرك منه ثأراً بمن أصيب منَّا، ففعلوا، فاجتمعت قريش لحرب رسول الله ﷺ حين فعل ذلك

= وأصحابه لقتل ابن أبي حقيق وهو بخيبر نهى عن قتل النساء والصبيان، وقال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح خلا محمد بن مصطفى وهو ثقة وفيه كلام لا يضر. (المجمع ٥/ ٣١٦).

وقال الحافظ في الفتح: وذلك فيما أخرجه الحاكم في (الإكليل) من حديثه مطولاً وأوله أن الرهط الذين بعثهم رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أبي حقيق ليقتلوه وهم عبد الله بن عتيك وعبد الله بن أنيس وأبو قتادة وحليف لهم ورجل من الأنصار وأنهم قدموا خيبر ليلاً فذكر الحديث ـ الفتح (٩/ ٢٨٣).

قلنا: والإكليل كتاب للحاكم مفقود والله أعلم.

أبو سفيان وأصحاب العِير بأحابيشها ومن أطاعها من قبائل كِنانة وأهل تهامة؛ وكلّ أولئك قد استَعوَوْا على حرب رسول الله ﷺ .

وكان أبو عَزَّة عمرو بن عبد الله الجُمحيّ قد منّ عليه رسول الله ﷺ يوم بدر. وكان فقيراً ذا بنات ، وكان في الأسارى ، فقال: يا رسولَ الله ، إني فقير ذو عيال وحاجة قد عرفتها ، فامنن عليّ صلّى الله عليك! فمنّ عليه رسول الله ﷺ ، فقال صَفوان بن أميّة: يا أبا عزّة ، إنك امرؤٌ شاعرٌ ، فأعنّا بلسانك ، فاخرج معنا. فقال: إنّ محمداً قد منَّ عليَّ فلا أريد أن أظاهِرَ عليه ، فقال: بلَى فأعنَّا بنفسك ، فلك الله إن رجعتَ أن أغنيَك ، وإن أصِبْتَ أن أجعل بناتِك مع بناتي يصيبهنّ ما أصابهنّ من عسر ويسر. فخرج أبو عزّة يسير في تهامة ، ويدعو بني كنانة. وخرج مسافع بن عبد مناف بن وهب بن حُذافة بن جُمح؛ إلى بني مالك بن كنانة يحرّضهم ويدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ ، ودعا جبير بن مُطْعِم غُلاماً له يقال له وحشيّ ، كان حبشيّاً يقذف بحربة له قَذْف الحَبشة ، قلَّما يُخْطىء بها ، فقال له: اخرج مع النّاس، فإن أنت قتلت عمّ محمد بعمي طُعَيْمة بن عديٍّ فأنت عَتيقٌ.

فخرجت قريش بحدّها وجَدّها وأحابيشها ، ومَن معها من بني كِنانة وأهل تِهامة ، وخرجوا معهم بالظُّعُن التماس الحفيظة؛ ولئلّا يفرّوا. فخرج أبو سفيان ابن حرب ـ هو قائد النّاس ، معه هند بنت عُتبة بن ربيعة ـ وخرج عِكْرمة بن أبي جهل بن هشام بن المغيرة بأم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة ، وخرج الحارث بن هشام بن المغيرة بفاطمة بنت الوليد بن المغيرة ، وخرج صفوان بن أميّة بن خلف ببِرْزَةَ ـ قال أبو جعفر: وقيل ببرّة ـ بنت مسعود بن عمرو بن عمير الثّقفيّة؛ وهي أمّ عبد الله بن صفوان ـ وخرج عمرو بن العاص بن وائل بريْطة بنت منبّه بن الحجّاج ، وهي أمّ عبد الله بن عمرو بن العاص ، وخرج طلحة بن أبي طلحة ، وأبو طلحة عبد الله بن عبد العزّى بن عثمان بن عبد الدّار بسُلافة بنت سعد بن شهيد ـ وهي أمّ بني طلحة مُسافع والجُلاس وكلاب؛ قتلوا يومئذ وأبوهم ـ وخرجت خناس بنت مالك بن المضرّب إحدى نساء بني مالك بن حِسْل ، مع ابنها أبي عزيز بن عمير؛ وهي أمّ مُصْعَب بن عمير ، وخرجت عَمْرة بنت علقمة إحدى نساء بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة؛ وكانت هند بنت عُتْبة بن ربيعة كُلّمَا مَرّتْ بوحشيّ أو مَرَّ بها قالت: إيه أبا دَسْمَة! اشْف واشْتَف ـ وكان وحشيّ

يكنى أبا دَسْمة ـ فأقبلوا حتى نزلوا بعَيْنين بجبل ببطن السَّبْخَة؛ من قناة على شفير الوادي ممَّا يلِي المدينة.

فلمَّـا سمع بهـم رسـول الله ﷺ والمسلمـون قـد نـزلـوا حيـث نـزلـوا قـال رسول الله ﷺ للمسلمين: إني قد رأيت بقراً فأوّلتها خيراً، ورأيت في ذُباب سيفي ثَلْماً، ورأيت أنّي أدخلت يدي في درع حَصِينَة فأوّلتها المدينة؛ فإنْ رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا؛ فإن أقاموا أقاموا بشرّ مقام؛ وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها. ونزلت قريش منزلَها من أُحُد يوم الأربعاء. فأقاموا به ذلك اليوم ويوم الخميس ويوم الجمعة. وراح رسول الله ﷺ حين صلَّى الجمعة، فأصبح بالشِّعب من أحُد. فالتقوْا يومَ السّبت للنّصف من شوّال؛ وكان رأي عبد الله بن أبيّ ابن سَلول مع رأي رسول الله ﷺ، يرى رأي رسول الله ﷺ في ذلك: ألاّ يخرج إليهم؛ وكان رسول الله ﷺ يكره الخروجَ من المدينة، فقال رجال من المسلمين ممن أكرم الله بالشهادة يوم أحُد وغيرهم ممَّن كان فاته بدر وحضوره: يا رسول الله، اخرج بنا إلى أعدائنا، لا يروْن أنّا جَبُنّا عنهم وضَعُفْنا، فقال عبدُ الله بن أبي ابن سَلُول: يا رسولَ الله، أقمْ بالمدينة ولا تخرجْ إليهمْ؛ فوالله ما خرجنا منها إلى عَدوٍّ لنا قطّ إلاّ أصاب منّا، ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه، فَدعْهم يا رسولَ الله؛ فإن أقاموا أقاموا بشرّ مجلس، وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم. ورماهم النِّساء والصبيان بالحجارة من فوقهم، وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاؤوا. فلم يزل الناس برسول الله ﷺ الذين كان من أمرهم حُبُّ لقاء القوم؛ حتى دخل رسول الله ﷺ، فلبِس لأمته؛ وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة، وقد مات في ذلك اليوم رجل من الأنصار يقال له مالك بن عمرو، أحد بني النَّجار، فصلَّى عليه رسول الله ﷺ؛ ثم خرج عليهم وقد ندم الناس، وقالوا: استكرَهْنا رسول الله ﷺ ولم يكن ذلك لنا.

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحـاق: قال: قالوا: لما خرجْ عليهم رسول الله ﷺ قالوا: يا رسولَ الله؛ استكرهناك ولم يكن ذلك لنا، فإنْ شئت فاقعُد صلى الله عليك! فقال رسول الله ﷺ: ما ينبغي لنبيّ إذا لبس لأمَتَه أن يضَعها حتى يقاتل؛ فخرج رسول الله في ألف رجل من أصحابه؛ حتى إذا كانوا بالشَّوط بين أُحد والمدينة انخزل عنه عبد الله بن أبيّ ابن سلول بثلث الناس،

فقال: أطاعهم فخرج وعصاني؛ والله ما ندري علام نقتل أنفسنا هاهنا أيها الناس! فرجع بمن اتَّبعه من الناس من قومه من أهل النِّفاق وأهل الرِّيْب، واتَّبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام، أخو بني سلمة، يقول: يا قوم أذكّرُكم الله أن لا تخذلوا نبيَّكم وقومكم عند ما حضر من عدوّهم! قالوا: لو نعلم أنّكم تقاتلون ما أسلمناكم؛ ولكنَّا لا نرى أن يكون قتال، فلما استعصوْا عليه، وأبَوْا إلاّ الانصراف عنه. قال: أبعدكم الله أعداء الله! فسيغني الله عنكم!.

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق: قال: ومضى رسول الله ﷺ حتى سلك في حَرّة بني حارثة، فَذبّ فرسٌ بذنبه، فأصاب كلّاب سيف، فاستلّه، فقال رسول الله ﷺ ـ وكان يُحبُّ الفأل ولا يعتاف ـ لصاحب السيف: شِمْ سيفَك، فإني أرى السيوف ستُسَلُّ اليوم. ثمّ قال رسول الله ﷺ لأصحابه: مَنْ رجُلٌ يخرج بنا على القوم من كثَبٍ، من طريق لا يمُرُّ بنا عليهم؟ فقال أبو حثمة أخو بني حارثة بن الحارث: أنا يا رسول الله، فقدّمه فنفذ به في حَرّة بني حارثة وبين أموالهم حتى سلَك به في مال المِرْبع بن قيظيّ ـ وكان رجلاً منافقاً ضرير البصر ـ فلمّا سمع حسّ رسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين، قام يَحْثِي في وجوههم التراب، ويقول: إن كنتَ رسول الله؛ فإني لا أحلُّ لك أن تدخل حائطي؛ قال: وقد ذكر لي أنه أخذ حَفْنة من تراب في يده، ثم قال: لو أعلم أني لا أصيب بها غيرك يا محمد لضربت بها وجهك. فابتدره القوم ليقتلوه، فقال رسول الله ﷺ: لا تفعلوا؛ فهذا الأعمى البصر، الأعمى القلب. وقد بَدَر إليه سعد بن زيد أخو بني عبد الأشهل حين نهىَ رسول الله ﷺ عنه، فضربه بالقوس في رأسه فشجَّه، ومضى رسول الله ﷺ على وجهه؛ حتى نزل الشِّعب من أُحد في عُدْوة الوادي إلى الجبل، فجعل ظهره وعسكره إلى أُحد، وقال: لا يقاتلنّ أحدٌ حتى نأمره بالقتال؛ وقد سَرّحت قريش الظّهر والكُراع في زروع كانت بالصَّمْغة من قناة للمسلمين. فقال رجل من المسلمين حينَ نهى رسول الله ﷺ عن القتال: أتُرعَى زروع بني قَيْلة ولمَّا نُضارب! وتعبَّأ رسول الله ﷺ للقتال وهو في سبعمئة رجل، وتعبَّأت قريش وهم ثلاثة آلاف رجل؛ ومعه مئتا فرس قد جَنَبُوها، فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد وعلى ميسرتها عِكْرمة بن أبي جهل، وأمَّرَ رسول الله ﷺ على الرُّماة عبد الله بن جُبَيْر، أخا بني عمرو بن عوف وهو يومئذ

معلَمٌ بثياب بيض ، والرماة خمسون رجلاً ، وقال: انضح عنا الخيل بالنَّبل لا يأتونا من خلْفنا إن كانت لنا أو علينا؛ فاثبت مكانك لا نؤْتيَنَّ من قِبَلك ، وظاهر رسول الله ﷺ بين دِرْعين[١]. (٢: ٤٩٩/ ٥٠٠/ ٥٠١/ ٥٠٢ وتكملته ٥٠٤/ وتكملته ٥٠٦/ ٥٠٧) .

١١٧ ـ حدّثني الحارث ، قال: حدّثنا ابن سعد ، قال: أخبرنا محمد بن عمر ، قال: كانت أم سَمُرة بن جندَب تحت مُرَيّ بن سِنَان بن ثعلبة ، عمّ أبي سعيد الخُدريّ ، فكان ربيبَه ، فلمّا خرج رسول الله ﷺ إلى أُحد ، وعرض أصحابه ، فردّ من استصغر ردّ سَمُرة بن جندب ، وأجاز رافع بن خديج ، فقال سَمُرة بن جندب لربيبه مُرَيّ بن سنان: يا أبتِ ، أجاز رسول الله ﷺ رافع بن خديج؛ وردني وأنا أصرع رافع بن خَديج ، فقال: مُرَيّ بن سنان: يا رسول الله ، رددت ابني ، وأجزت رافع بن خَدِيج وابني يصرعه! فقال النبي ﷺ لرافع وسمُرة: تصارعا ، فصرع سمُرة رافعاً ، فأجازه رسول الله ﷺ فشهدها مع المسلمين.

قال: وكان دليل النبيّ ﷺ أبو حَثْمَة الحارثيّ[٢]. (٢: ٥٠٥/ ٥٠٦) .

---

(١) طريق ابن إسحاق هذا ضعيف كما سبق ، إلاّ أن قوله ﷺ: (ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها) صحيح بمجموع طرقه ، فقد أخرجه الطبري في تفسيره من مرسل قتادة (٧/ ٣٧٢) وأخرجه عبد الرزاق من مرسل عروة (المصنف ٥/ ٣٦٤) والبيهقي من مرسل الزهري (الدلائل ٣/ ٢٠٨) وهذه مراسيل متعددة المخارج تتقوىٰ بما أخرجه أحمد موصولاً من حديث جابر (المسند ٣/ ٣٥١) من طريق أبي الزبير معنعناً وهو مدلس.
وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح (المجمع ٦/ ١٠٧/ ح ١٠٠٥٧) وكذلك صححه الألباني والعمري بمجموع طرقه (انظر فقه السيرة للغزالي/ تحقيق الألباني/ والسيرة النبوية الصحيحة للعمري).

(٢) ذكر الطبري هذا الخبر وبهذه التفاصيل عن الواقدي بلاغاً ، والواقدي متروك ولم نجد ما يؤيد هذه التفاصيل من رواية صحيحة ، وأما ردّه للصحابة الذين ذكرهم (لكونهم صغاراً آنذاك) فلم يثبت ذلك سوىٰ لصحابيين هما ابن عمر والبراء رضي الله عنهما (علىٰ ما نعلم وعلمنا قاصر) فقد أخرج البخاري في صحيحه (باب غزوة الخندق/ ح ٤٠٩٧) عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ عرضه يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة فلم يجزه وعرضه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة فأجازه.
وأخرج الطبراني في الكبير (ح ١١٦٦) عن البراء رضي الله عنه قال: (عُرضت أنا وابن عمر =

١١٨ ـ فحدثنا هارون بن إسحاق ، قال: حدّثنا مُصعب بن المقدام ، قال: حدّثنا إسرائيل. وحدّثنا ابنُ وكيع ، قال: حدّثنا أبي عن إسرائيل ، قال: حدّثنا أبو إسحاق ، عن البَراء ، قال: لمَّا كان يومُ أُحُد ، ولقِيَ رسول الله ﷺ المشركين أجْلسَ رسول الله ﷺ رجالاً بإزاء الرّماة ، وأمَّر عليهم عبد الله بن جُبير ، وقال لهم: لا تبرحوا مكانكم إن رأيتمونا ظهرْنا عليهم ، وإنْ رأيتموهم ظَهَرُوا علينا فلا تعينونا. فلمَّا لقِيَ القوم هزَم المشركين حتى رأيت النساء قد رَفعن عن سوقهنّ ، وبدت خلاخيلهنّ ، فجعلوا يقولون: الغنيمة الغنيمة! فقال عبد الله: مهلاً ، أما علمتم ما عهد إليكم رسول الله ﷺ! فأبَوْا ، فانطلقوا ، فلمّا أتوْهم صَرَف الله وجوههم؛ فأصيب من المسلمين سبعون(١). (٢: ٥٠٧/٥٠٨).

١١٩ ـ حدثني محمَّد بن سعد ، قال: حدّثني أبي ، قال: حدّثني عمّي ، قال: حدّثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عبَّاس ، قال: أقبل أبو سفيان في ثلاث ليال خلوْن من شوّال ، حتَّى نزل أُحُداً ، وخرج النّبي ﷺ ، فأذّن في الناس فاجتمعوا ، وأمَّر الزّبير على الخيل؛ ومعه يومئذ المِقداد بن الأسود الكِنديّ ،

= علىٰ النبي ﷺ فاستصغرنا وشهدنا أحد). وقال الهيثمي: هو في الصحيح خلا قوله: وشهدنا أحداً.
ورواه الطبراني: ورجاله رجال الصحيح (المجمع ٦/ ١٠٩).
قلنا: الذي في الصحيح هو أن ابن عمر عرض يوم أحدٍ فلم يجزه ﷺ ، ومتن الطبراني فيه مخالفة ظاهرة لما هو أصح منه (أي حديث البخاري) والله أعلم.

(١) هذان إسنادان كلاهما من طريق إسرائيل ، والإسناد الأول حسن صحيح والحديث أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب المغازي/ ح ٤٠٤٣) من طريق إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء رضي الله عنه وتمامه:
وأشرف أبو سفيان فقال: أفي القوم محمد؟ فقال: لا تجيبوه، فقال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ فقال: لا تجيبوه. فقال: أفي القوم ابن الخطاب؟ فقال: إن هؤلاء قتلوا فلو كانوا أحياء لأجابوا ، فلم يملك عمر نفسه فقال: كذبت يا عدو الله أبقىٰ الله عليك ما يخزيك ، قال أبو سفيان: اعلُ هبل فقال النبي ﷺ: أجيبوه. قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا الله أعلىٰ وأجلّ. قال أبو سفيان: لنا العزى ولا عزىٰ لكم فقال النبي ﷺ: أجيبوه. قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا: الله مولانا ولا مولىٰ لكم. فقال أبو سفيان: يوم بيوم بدر والحرب سجال وتجدون مثلةً لم آمر بها ولم تسؤني. ا هـ.
والحديث أخرجه البيهقي في الدلائل (٣/ ٢٣٠) وأبو داود في سننه (ح ٢٦٦٢) والله أعلم.

وأعطى رسول الله ﷺ اللّواء رجلاً من قريش يقال له مُصعب بن عمير ، وخرج حمزة بن عبد المطّلب بالحسَّر ، وبُعِث حمزةُ بين يديه ، وأقبل خالد بن الوليد على خيل المشركين؛ ومعه عِكْرمة بن أبي جهل ، فبعث رسول الله ﷺ الزّبير ، وقال: استقبلْ خالدَ بن الوليد؛ فكنْ بإزائِه حتَّى أوذنك ، وأمر بخيل أخرى، فكانوا من جانب آخر ، فقال: لا تبرحُنّ حتى أوذنكم. وأقبل أبو سفيان يحمِل اللات والعُزَّى ، فأرسلَ النبيّ ﷺ إلى الزُّبير أن يحمِل ، فحمل على خالد بن الوليد؛ فهزمه الله ومَنْ معه ، فقال: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ﴾ - إلى قوله - ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾ وإنّ الله عزّ وجلّ وَعَدَ المؤمنين أن ينصرهم؛ وأنَّه معهم. وأنّ رسول الله ﷺ بعث ناساً من الناس؛ فكانوا من ورائهم ، فقال رسول الله ﷺ : كونوا هاهنا ، فرُدُّوا وجهَ مَن فرّ منَّا ، وكونوا حرّاساً لنا من قِبَل ظهورنا. وأنّ رسول الله ﷺ لمَّا هزم القوم هو وأصحابه ، قال الذين كانوا جُعِلوا من ورائهم بعضهم لبعض ، ورأوا النساء مُصْعدات في الجبل، ورأَوُا الغنائم: انطلقوا إلى رسـول الله ﷺ ؛ فأدركوا الغنيمـة قبلَ أن يسبقونـا إليهـا ؛ وقالت طائفة أخرى: بل نطيع رسول الله ﷺ فنثبُت مكاننا؛ فذلك قوله لهم: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا﴾ الـذين أرادوا الغنيمـة ، ﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾ الذين قالوا: نطيع رسول الله ونثبت مكاننا ، فكان ابن مسعود يقول: ما شعـرت أن أحداً من أصحاب النبيّ ﷺ كان يريد الدُّنيا وعرضَها؛ حتى كـان يومئذ[1] . (٢: ٥٠٨/٥٠٩) .

---

(١) إسناده إلى ابن عباس ضعيف ولكن صحَّ من طريق آخر عن ابن عباس رضي الله عنهما كما أخرج أحمد في مسنده عن عبيد الله عن ابن عباس (١/ح ٢٦٠٩) قال: ما نصر الله عز وجل في موطن كما نصر في يوم أحد. قال: فأنكرنا ذلك. فقال ابن عباس: بيني وبين من أنكر ذلك كتاب الله عز وجل: إن الله عز وجل يقول في يوم أحد: (ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه) يقول ابن عباس: والحسّ: القتل (حتىٰ إذا فشلتم) إلى قوله: ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وإنما عنىٰ بهذا الرماة وذلك أن النبي ﷺ أقامهم في موضع ثم قال:
(احموا ظهورنا فإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا وإن رأيتمونا غنمنا فلا تشركونا) فلما غنم النبي ﷺ وأباحوا عسكر المشركين أكبّ الرماة جميعاً في العسكر ينهبون وقد التقت صفوف أصحاب النبي ﷺ فهم هكذا وشبك أصابع يديه والتبسوا فلما أحلّ الرماة تلك الخلّة التي =

١٢٠ ـ فحدّثني بشر بن آدم ، قال: حدّثنا عمرو بن عاصم الكِلابيّ ، قال: حدّثنا عبيد الله بن الوازع ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال: قال الزُّبير: عَرَض رسول الله ﷺ سيفاً في يده يوم أُحُد؛ فقال: مَنْ يأخذ هذا السيف بحقه؟ قال: فقمت فقلت: أنا يا رسول الله؛ قال: فأعرض عنِّي ، ثم قال: مَنْ يأخذ هذا السَّيف بحقِّه؟ فقمت فقلت: أنا يا رسول الله ، فأعرض عني ، ثم قال: من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ قال: فقام أبو دُجَانة سماك بن خَرَشَةَ ، فقال: أنا آخذه بحقِّه؛ وما حقُّه؟ قال: حقه ألاّ تقتل به مسلماً ، وألاّ تفرّ به عن كافر؛ قال: فدفعه إليه. قال: وكان إذا أراد القتال أعْلِم بعصابة؛ قال: فقلت: لأنظرنّ اليوم ما يصنع ، قال: فجعل لا يرتفع له شيء إلاّ هتكه وأفراه؛ حتى انتهى إلى نسوة في سفح جبل ، معهنّ دُفوف لهنّ؛ فيهنّ امرأةٌ تقول:

نَحْـــــنُ بنـــــاتُ طَـــــارِقْ إنْ تُقْبِلـــــوا نُعـــــانِـــــقْ
ونَبْسُـــــــطِ النَّمَـــــــارِقْ أو تـــــدْبِـــــرُوا نُفَـــــارِقْ

= كانوا فيها ، دخلت الخيل من ذلك الموضع على أصحاب رسول الله ﷺ فضرب بعضهم ، والتبسوا وقتل من المسلمين ناس كثير ، وقد كان لرسول الله وأصحابه أول النهار حتى قتل من أصحاب لواء المشركين سبعة أو تسعة ورجال المسلمين حوله . . . إلى آخر الحديث.

وقال الهيثمي: رواه أحمد وفيه عبد الرحمن بن أبي الزناد وقد وثق علىٰ ضعفه (مجمع الزوائد ٦/ ١١١) وقال ابن كثير: وهذا حديث غريب وهو من مرسلات ابن عباس وله شواهد من وجوه كثيرة (البداية والنهاية ٤/ ٢٦).

وأما قول ابن مسعود في نهاية رواية الطبري فصحيح كما أخرج أحمد في مسنده (ح ٤٤١٤) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (إن النساء يوم أحد كُنّ خلف المسلمين يُجهزنَ علىٰ جرحىٰ المشركين فلو حلفت يومئذ رجوت أن أبرّ: إنه ليس أحد منا يريد الدنيا حتى أنزل الله ﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ﴾ : فلما خالف أصحاب رسول الله ﷺ وعصوا ما أمروا به . . . . الحديث).

وقال الهيثمي: رواه أحمد وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط. (مجمع الزوائد ٦/ ١١٠).

علماً بأن العلامة شاكر صحح هذا الإسناد بينما ضعفه الألباني لأن حماداً هذا سمع من عطاء قبل الاختلاط وبعده (فقه السيرة للغزالي/ ٢٧٩).

قلنا: وما قاله المحدث الألباني قاله العقيلي نقلاً عن ابن المديني عن يحيىٰ بن سعيد القطان ولكن جمهور المحدثين على أن حماداً سمع منه قبل الاختلاط فتصحيح العلامة شاكر أرجح والله تعالىٰ أعلم ، وأما موضع الألوية وبيد من كانت فلم تصح رواية في ذلك كما قال العمري ولم تصح رواية في موضع الألوية (السيرة النبوية الصحيحة ٢/ ٣٨١) والله أعلم.

فِـــــراقَ غَيْـــــرِ وامِــــــقْ

قال: فرفع السّيف ليضربَها، ثم كفّ عنها. قال: قلت: كلّ عملك قد رأيت، أرأيت رفعك للسيف عن المرأة بعد ما أهويت به إليها! قال: فقال: أكرمت سيف رسول الله أن أقتل به امرأة[1]. (٢: ٥١٠/ ٥١١).

١٢٠/ أ - رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق، فقال رسول الله ﷺ: مَنْ يأخذ هذا السيف بحقِّه؟ فقام إليه رجال، فأمسكه عنهم؛ حتَّى قام إليه أبو دُجَانة سماك بن خَرَشة أخو بني ساعدة، فقال: وما حقُّه يا رسول الله؟ قال: أن تضرب به في العدوّ حتى ينحَنِيَ؛ فقال: أنا آخذه بحقِّه يا رسول الله؛ فأعطاه إياه - وكان أبو دُجَانة رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب إذا كانت، وكان إذا أعلِم بعصابة له حمراء يعصبها على رأسه علم النَّاس أنه سيقاتل - فلمّا أخذ السيف من يد رسول الله ﷺ أخذ عصابته تلك، فعصب بها رأسه؛ ثم جعل يتبختر بين الصّفين[2]. (٢: ٥١١).

١٢١ - حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلَمة، عن محمد بن إسحاق، عن يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزُّبير، عن أبيه، عن جدّه، قال: قال الزبير: والله لقد رأيتُني أنظر إلى خَدَم هند بنت عتبة وصواحبها مشمّرات هوارب، ما دون أخْذِهنَّ قليل كثير؛ إذ مالت الرُّماة إلى العسكر حين كَشَفْنَا القوم عنه يريدون النَّهب، وخلَّوْا ظهورنا للخيل؛ فأتينا من أدبَارنا وصَرخَ صَارِخٌ: ألا إن محمداً قد قتِلَ! فانكفأنا وانكفأ علينا القوم؛ بعد أن أصبنا أصحاب اللواء حتى ما يدنو منه أحدٌ من القوم[3]. (٢: ٥١٣).

١٢٢ - قال أبو جعفر: فلمّا أتيَ المسلمون من خلفهم انكشفوا وأصاب منهم

---

(١) حديث صحيح أخرجه البزار (ح ١٧٨٧) والبيهقي في الدلائل (٣/ ٢٣٣) من حديث الزبير بن العوام. وقال الهيثمي: رواه البزار ورجاله ثقات (مجمع الزوائد ٦/ ١٠٩).
وأخرجه مسلم مختصراً من حديث أنس رضي الله عنه (صحيح مسلم - فضائل الصحابة/ ح ٢٤٧٠) والحاكم في المستدرك (٣/ ٢٣٠) والله أعلم.

(٢) (تكملة: ١١٧): إسناده ضعيف كما سبق إلاّ أن متنه صحيح كما ذكرنا في الرواية السابقة.

(٣) إسناده إلى ابن إسحاق ضعيف ولكن أخرجه ابن هشام من طريق ابن إسحاق هذا وقد صرّح بالتحديث فإسناده حسن والحديث أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٢٨٨).

المشركون، وكان المسلمون لمّا أصابهم ما أصابهم من البلاء أثلاثاً: ثلث قتيل، وثلث جريح، وثلث منهزم؛ وقد جهدته الحرب حتى ما يدري ما يصنع، وأصيبت رَبَاعِيَةُ رسول الله ﷺ السفلى، وشُقَّتْ شفته، وكُلِم في وجنتيه وجبْهته في أصول شعره، وعلاه ابنُ قميئة بالسّيف على شقّه الأيمن؛ وكان الذي أصابه عُتْبة بن أبي وقاص[١]. (٢: ٥١٤/ ٥١٥).

١٢٣ ـ حدّثنا ابن بشار، قال: حدّثنا ابن أبي عَدِيّ، عن حُمَيد، عن أنس بن مالك، قال: لمّا كان يوم أحدٍ، كُسِرَتْ رَبَاعِيَةُ رسول الله ﷺ وشُجَّ، فجعل الدم يسيل على وجهه، وجعل يمسح الدم عن وجهه، ويقول: كيف يُفلح قومٌ خضَّبوا وجه نبيّهم بالدم. وهو يدعوهم إلى الله عزّ وجلّ! فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ الآية[٢]. (٢: ٥١٥).

١٢٣/ أ ـ قال أبو جعفر: وقاتَل مُصعب بن عمير دون رسول الله ﷺ ومعه لواؤه حتى قتل؛ وكان الذي أصابه ابن قَمِيئة الليثيّ. وهو يظنّ أنَّه رسول الله ﷺ؛ فرجع إلى قريش، فقال: قتلت محمداً. فلما قتِل مُصعب بن عمير أعطى رسول الله ﷺ اللواءَ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل أرطاة بن عبد شُرَحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصيّ؛ وكان أحدَ النّفر الَّذين يحملون اللِّواء، ثم مَرّ به سباع بن عبد العُزَّى الغُبْشانيّ ـ وكان يكنى بأبي نِيَار ـ فقال له حمزة بن عبد المطَّلب: هلمَّ إليّ يا بن مُقَطِّعة البُظور ـ وكانت أمّه أم أنمار مولاة شريق بن عمرو بن وهب الثقفيّ، وكانت ختَّانة بمكّة ـ فلمَّا التقيا ضربه حمزة فقتله، فقال وَحْشِيّ غُلَامُ جبَير بن مطعِم: والله إني لأنْظُر إلى حمزة يَهُذُّ الناس بسيفه، ما يُليق شيئاً يمرُّ به؛ مثل الجمل الأورق؛ إذ تقدَّمني إليه سباع بن عبد العزّى، فقال له حمزة: هلُمَّ إليّ يا بن مقطّعة البظور! فضربه؛ فكأنما أخطأ رأسَه، وهزت حربتي حتى إذا رضيتُ منها دفعتُها عليه فوقعت في لَبّته حتى خرجت من بين رجليه، وأقبل

(١) ذكر الطبري هذا بلاغاً وإصابة رباعيته ﷺ صحيح كما سنذكر بعد قليل.
(٢) حديث صحيح أخرجه الترمذي في سننه (كتاب التفسير/ح ٣٠٠١، ٣٠٠٢) وقال: حسن صحيح وأخرجه مسلم في صحيحه (باب غزوة أحد/ ١٧٩١) وأخرجه البخاري موصولاً من حديث ابن عباس (ح ٤٠٧٤) مختصراً ومعلقاً من حديث أنس والله أعلم.

نحوي ، فغلب فوقع ، فأمهلته حتى إذا مات جئت فأخذتُ حربتي ؛ ثم تنحَّيت إلى العسكر ؛ ولـم يكن لي بشيء حاجة غيره. وقد قتل عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح أخو بني عمرو بن عوف مسافع بن طلحة وأخاه كِلاَبَ بن طلحة ؛ كلاهما يُشعره سهماً ؛ فيأتي أمّه سُلافة فَيَضَعُ رأسه في حجرها ؛ فتقول : يا بنيَّ ! مَنْ أصابك؟ فيقول : سمعتُ رجلاً حين رماني يقول : خذها وأنا ابن الأقلح! فتقول : أقلحيّ! فنذَرَتْ لله إن أمكنها الله من رأس عاصم أن تشرب فيه الخَمْرَ. وكان عاصم قد عاهد الله ألاّ يمسّ مشركاً أبداً ولا يمسَّه مشركٌ[1]. (٢ : ٥١٦/٥١٧) .

---

(١) ذكر الطبري هنا تفاصيل وبلا إسناد ولبعضها ما يشهد لها :

فقد أخرج البخاري في صحيحه ـ كتاب المغازي/ باب قتل حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه (ح ٤٠٧٢) حديثاً طويلاً من طريق جعفر بن عمرو بن أمية الضمري وعبيد الله بن عدي بن الخيار عن وحشي (مولىٰ جبير بن مطعم) وفيه فلما أن خرج الناس عام عينين (وعينين جبل بحيال أحد بينه وبينه واد) خرجت مع الناس إلى القتال فلما اصطفوا للقتال خرج سباع فقال : هل من مبارز؟ قال فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب فقال : يا سباع ، يا بن أم أنمارٍ مقطعة البظور ، أتحادّ الله ورسوله ﷺ؟ قال : ثم شدّ عليه فكان كأمس الذاهب قال : وكمنت لحمزة تحت صخرة ، فلما دنا مني رميته بحربتي فأضعها في ثنيته حتى خرجت من بين وركيه ، قال : فكان ذاك العهد به ا هـ.

وأخرج البخاري في صحيحه ـ كتاب المغازي (ح ٤٠٨٦) من حديث أبي هريرة الطويل في سرية عاصم بن ثابت رضي الله عنه. . . . وفي آخره (وبعثت قريش إلىٰ عاصم ليؤتوا بشيء من جسده يعرفونه ، وكان عاصم قتل عظيماً من عظمائهم يوم بدر ، فبعث الله عليه مثل الظلة من الدّبْر فحمته من رُسُلِهم فلم يقدروا منه على شيء) وقال الحافظ في شرح هذا الحديث : ووقع عند ابن إسحاق وكذا في رواية بريدة بن سفيان أن عاصماً لما قتل أرادت هذيل أخذ رأسه ليبيعوه من سلافة بنت سعد بن شهيد وهي أم مسافع وجلاس ابني طلحة العبدري ، وكان عاصم قتلهما يوم بدر وكانت نذرت لئن قدرت على رأس عاصم لتشربنَّ الخمر في قحفِه ، فمنعته الدبر ، (فإن كان محفوظاً) احتمل أن تكون قريش لم تشعر بما جرىٰ لهذيل من منع الدبر لها من أخذ رأس عاصم ، فأرسلت من يأخذه أو عرفوا بذلك ورجوا أن تكون الدبر تركته فيمكنوا من أخذه ـ وقال الحافظ كذلك.

وفي رواية الأسود عن عروة (فبعث الله عليهم الدبر تطير في وجوههم وتلدغهم فحالت بينهم وأن يقطعوا).

وفي رواية ابن إسحاق عن عاصم بن عمر عن قتادة قال : (كان عاصم بن ثابت أعطى الله عهداً أن لا يمسه مشرك ولا يمس مشركاً أبداً) (فتح الباري ٧/ ٤٤٤).

١٢٤ ـ حدّثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال: حدّثني حُميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، قال: لقد وجدنا بأنس بن النَّضر يومئذ سبعين ضربة وطعنة فما عرفه إلاّ أخته ، عرفتْه بحسن بنانِه[١]. (٢: ٥١٧/٥١٨).

١٢٥ ـ حدّثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال: كان أوّل مَنْ عرف رسول الله ﷺ بعد الهزيمة وقول الناس: «قُتِل رسول الله ﷺ» ـ كما حدثني ابن شهاب الزهريّ ـ كعب بن مالك ، أخو بني سلمة ، قال: عرفت عينيه تزهرَان تحت المغْفر ، فناديت بأعلى صوتي: يا معشرَ المسلمين أبشروا! هذا رسول الله ﷺ ! فأشار إليّ رسول الله ﷺ : أن أنصت. فلمّا عرف المسلمون رسول الله ﷺ نهضوا به ، ونهض نحو الشِّعب ، معه عليّ بن أبي طالب ، وأبو بكر بن أبي قحافة ، وعمر بن الخطاب ، وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام ، والحارث بن الصِّمَّة ، في رهط من المسلمين. فلما أسند رسول الله ﷺ في الشِّعب أدركه أبيّ بن خلف وهو يقول: أين مُحَمَّد! لا نجَوْتُ إن نجوتَ! فقال القوم: يا رسولَ الله ، أيعطف عليه رجل مِنَّا؟ قال: دعوه ، فلمَّا دنا تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصمَّة ـ قال: يقول بعض الناس فيما ذكر لي: فلمَّا أخذها رسول الله ﷺ ، انتفض بها انتفاضة تطايَرْنا عنه تطايُر الشَّعْراء عن ظهر البعير إذا انتفض بها؛ ثم استقبله فطعنه في عنقه طعنة تَدأدَأ منها عن فرسه مِرَاراً[٢]. (٢: ٥١٨).

---

(١) إسناده إلى ابن إسحاق ضعيف ولكن أخرجه ابن هشام من طريق ابن إسحاق عن حميد عن أنس وكذلك البيهقي (٣/ ٢٤٥) وقال المحققان (همام وأبو صعيليك): فيكون الحديث مقبولاً لكون حميد يدلّس عن الثقات وتدليسه هنا ثابت (تهذيب سيرة ابن هشام ٣/ ١٢٠).

(٢) إسناده ضعيف ولكن أخرج الطبراني عن كعب بن مالك قال: لما كان يوم أحد وصرنا إلىٰ الشّعب ، كنت أول من عرفته ، فقلت: هذا رسول الله ﷺ فأشار إليّ بيده ، أن اسكت ، ثم ألبسني لأمته ، ولبس لأمتي فلقد ضربت حتىٰ جرحت عشرين جراحة ـ أو قال: بضعة وعشرين جرحاً ـ كل من يضربني يحسبني رسول الله ﷺ . وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط والكبير باختصار ، ورجال الأوسط ثقات (المجمع ٦/ ١١٢).

وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٢٠١) وصحح إسناده ووافقه الذهبي والبيهقي في الدلائل. (٣/ ٢٣٧).

١٢٦ ـ حدّثنـا ابنُ حميـد ، قال: حدّثنـا سلَمـة ، قال: حدثني محمـد بن إسحاق ، قال: حدّثني صالح بن كيسان ، عمَّن حدثه ، عن سعد بن أبي وقَّاص ، أنه كان يقول: والله ما حَرَصْت على قتل رجل قطّ ما حرَصْت على قتل عُتْبة بن أبي وقَّاص؛ وإن كان ما علمتُ لَسيِّيء الخلق ، مبغَّضاً في قومه؛ ولقد كفاني منه قولُ رسول الله ﷺ : «اشتدّ غضب الله على من دَمَّى وجه رسول الله»[1]. (٢: ٥١٩) .

١٢٧ ـ حدّثنا محمد بن الحُسين ، قال: حدّثنا أحمد بن المفضل ، قال: حدّثنا أسباط ، عن السُّديّ ، قال: أتى ابن قميئة الحارثيّ أحد بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة ، فرمى رسول الله ﷺ بحجر ، فكسر أنفه ورباعيتَه ، وشجَّه في وجهه ، فأثقله وتفرّق عنه أصحابه ، ودخل بعضهم المدينة ، وانطلق بعضهم فوق الجبل إلى الصخرة ، فقاموا عليها ، وجعل رسول الله ﷺ يدْعُو الناس: إليّ عباد الله! إليّ عباد الله! فاجتمع إليه ثلاثون رجلاً ، فجعلوا يسيرون بين يديه ، فلم يقف أحد إلاّ طلحة وسهل بن حُنَيف ، فحماه طلحة ، فرمي بسهم في يده فيبسَتْ يَدُه ، وأقبل أبيّ بن خَلف الجُمحي؛ وقد حلف ليقتلنّ النبي ﷺ ، فقال: بل أنا أقتله ، فقال: يا كذّاب ، أين تَفِرُّ! فحمل عليه فطعنه النبيّ في جيب الدرع؛ فجرح جرحاً خفيفاً ، فوقع يخورُ خُوَارَ الثور ، فاحتملوه ، وقالوا: ليس بك جراحة ، فما يجزعك؟ قال: أليس قال: «لأقتلنَّك»! لو كانت بجميع ربيعة ومضر لقتلتهم! فلم يلبث إلاّ يوماً أو بعض يوم حتى مات من ذلك الجرح[2]. (٢: ٥١٩/ ٥٢٠) .

---

(١) إسناده ضعيف ولكن أخرج البخاري في صحيحه ـ كتاب المغازي ـ (ح ٤٠٧٣): (اشتد غضب الله علىٰ قوم فعلوا بنبيه ـ يشير إلىٰ رباعيته) وأخرج البخاري (ح ٤٠٧٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: (اشتد غضب الله على قومٍ دمّوا وجه نبي الله ﷺ).
والحديث أخرجه مسلم (٢/ ١٤١٧).

(٢) هذا إسناد مرسل ، والشج في وجهه ﷺ وكسر رباعيته وتفرّق بعض الصحابة عنه يوم أحد صحيح كما سبق.
وأما استماتة طلحة في الدفاع عن رسول الله ﷺ (مع غيره من الصحابة المعروفين وإصابة يده رضي الله عنه أثناء ذلك فصحيح. كما أخرج البخاري في صحيحه ـ كتاب المغازي (ح ٤٠٦٣) عن قيس قال: رأيت يد طلحة شلاء وقىٰ بها النبي ﷺ يوم أحد).

١٢٧/ أ ـ وفشا في النَّـاس أن رسول الله ﷺ قد قُتل ، فقال بعض أصحاب الصخرة: ليت لنا رسولاً إلى عبد الله بن أبيّ فيأخذ لنا أَمَنة من أبي سفيان! يا قوم إن محمداً قد قتل ، فارجعوا إلى قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم. قال أنس بن النّضر: يا قوم إن كان محمَّد قد قتِل؛ فإن ربّ محمد لم يقتل. فقاتِلوا على ما قاتل عليه محمَّد: اللهمّ إني أعتذر إليك مما يقول هؤلاء ، وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء! ثم شدّ بسيفه فقاتل حتى قتل؛ وانطلق رسول الله ﷺ يدعو النَّاس حتَّى انتهى إلى أصحاب الصخرة؛ فلمّا رأوه وَضَعَ رَجُلٌ سهماً في قوسه ، فأراد أن يرميَه فقال: أنا رسولُ الله؛ ففرحوا بذلك حين وجدوا رسول الله ﷺ حيّاً ، وفرح رسول الله ﷺ حين رأى أنّ في أصحابه مَنْ يمتنع به؛ فلمَّا اجتمعوا وفيهم رسول الله ﷺ ذهب عنهم الحزن؛ فأقبلوا يذكرون الفتح ، وما فاتهم منه ، ويذكرون أصحابهم الذين قتلوا ، فقال الله عزّ وجلّ للذين قالوا: «إن محمداً قد قتل ، فارجعوا إلى قومكم»: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ

= وأما مقتل أبي بن خلف الجمحي علىٰ يد رسول الله ﷺ يوم أُحُد؛ فقد ورد من ثلاثة طرق. (مرسل السدي (كما عند الطبري) ومرسل سعيد بن المسيب (كما عند ابن سعد) وورد موصولاً عند الواحدي في أسباب النزول/ ص ٥٦).

وأما ابن سعد فقد أخرج في طبقاته (٢/ ٤٦) من طريق الزهري عن سعيد بن المسيب أن أبي بن خلف الجمحي أسر يوم بدرٍ فلما افتدى من رسول الله ﷺ قال لرسول الله ﷺ : إن عندي فرساً أعلفها كل يوم فرق ذُرَةٍ لعلي أقتلك عليها ، فقال رسول الله ﷺ : بل أنا أقتلك عليها إن شاء الله. فلما كان يوم أحد أقبل أبي بن خلف يركض فرسه تلك حتى دنا من رسول الله ﷺ فاعترض رجال من المسلمين له ليقتلوه. فقال لهم رسول الله ﷺ : استأخروا استأخروا ، فقام رسول الله ﷺ بحربة في يده فرمىٰ بها أبي بن خلف فكسرت الحربة ضلعاً من أضلاعه فرجع إلى أصحابه ثقيلاً فاحتملوه حتىٰ ولّوا به ، وطفقوا يقولون له: لابأس بك فقال لهم أبيّ: يقل لي: بل أنا أقتلك إن شاء الله ، فانطلق به أصحابه فمات ببعض الطريق فدفنوه ، قال سعيد بن المسيب: وفيه أنزل الله تبارك وتعالىٰ: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ﴾.

قلنا: وقد سبق أن جعلنا بعض الروايات المرسلة في قسم الصحيح بشرط تعدد مخارج المرسل ووجود طريق آخر موصولاً ولو ضعيفاً ضعفاً يسيراً ، والأمر كذلك في هذا الموضع والله أعلم.

أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[1] . (٢ : ٥٢٠) .

١٢٧/ ب ـ فأقبل أبو سفيان حتّى أشرف عليهم ، فلمّا نظروا إليه نسوا ذلك الذي كانوا عليه ، وأهمَّهم أبو سفيان ، فقال رسول الله ﷺ : ليس لهم أن يعلُونا؛ اللّهمّ إنْ تقتَل هذه العصابة لا تُعْبَد! ثم نَدَب أصحابه ، فرَمَوْهم بالحجارة حتى أنزلوهم؛ فقال أبو سفيان يومئذ: اعلُ هُبَل ، حنظلة بحنظلة ، ويومٌ بيوم بدر. وقتلوا يومئذ حنظلة بن الراهب ، وكان جُنُباً فغسَّلته الملائكة؛ وكان حنظلة بن أبي سفيان قُتِل يوم بدر؛ وقال أبو سفيان: لنا العزّى ولا عزّى لكم! فقال رسول الله ﷺ لعمر: قل: الله مولانا ولا مولى لكم. فقال أبو سفيان: أفيكم محمَّد! أما إنَّها قد كانت فيكم مُثلة؛ ما أمرت بها ولا نهيت عنها ، ولا سَرَّتْني ولا ساءتني؛ فذكر الله عزّ وجلّ إشراف أبي سفيان عليهم ، فقال: ﴿ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ﴾ والغمّ الأول: ما فاتهم من الغنيمة والفتح ، والغمّ الثاني: إشراف العدوّ عليهم ، ﴿ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ ﴾ من الغنيمة ﴿ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ﴾ من القتل حين تذكرون. فشغلهم أبو سفيان[2] . (٢ : ٥٢١) .

---

(١) إن كان هذا جزءاً من الرواية السابقة (٢/ ٥١٩/ ١٢٧) فالإسناد مرسل (عن السدي) وأما شجاعة أنس بن النضر ودفاعه عن رسول الله ﷺ حتىٰ استشهاده (وذلك في معركة أحد) فصحيح كما أخرج البخاري (في صحيحه ـ كتاب المغازي/ ح ٤٠٤٨) عن أنس رضي الله عنه أن عمه غاب عن بدر فقال: غبت عن أول قتال النبي ﷺ لئن أشهدني الله مع النبي ﷺ ليرين الله ما أُجدُّ فلقي يوم أحد فهزم الناس فقال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء ـ يعني المسلمين ـ وأبرأ إليك مما جاء به المشركون ، فتقدم بسيفه فلقي سعد بن معاذ فقال: أين يا سعد؟ إني أجد ريح الجنة دون أحد فمضىٰ فقتل فما عرف حتىٰ عرفته أخته بشامة أو ببنانه وبه بضع وثمانون من طعنة وضربة ورمية بسهم.

(٢) إن كان هذا المقطع تابعاً للرواية السابقة فهو من مراسيل السدي ، وأما ما ذكر من تفاصيل وعبارات مرفوعة إلىٰ رسول الله ﷺ فكالآتي:

١ ـ قوله عليه الصلاة والسلام: (ليس لهم أن يعلونا) فصحيح كما ذكرنا.

٢ ـ قوله عليه الصلاة والسلام: (إن تقتل هذه العصابة لا تعبد) فقد أخرجه البخاري كما سبق من قوله عليه الصلاة والسلام في غزوة بدر ، وأخرجه مسلم من قوله ﷺ في غزوة أحد وأشار إلى ذلك الحافظ في الفتح ولا تعارض فلعله قاله ﷺ في الغزوتين والله أعلم. =

١٢٨ ـ قال أبو جعفر: وأما ابنُ إسحاق، فإنه قال ـ فيما حدّثنا ابنُ حُميد قال: حدّثنا سلمة عنه ـ: بينا رسول الله ﷺ في الشِّعب؛ ومعه أولئك النَّفر من أصحابه إذ علَتْ عالية من قريش الجبل، فقال رسول الله ﷺ: اللَّهمَّ إنَّه لا ينبغي لهم أن يعلُونا؛ فقاتل عمر بن الخطاب ورهط معه من المهاجرين حتى أهبطوهم عن الجبل؛ ونهض رسول الله ﷺ إلى صَخْرة من الجبل ليعلوها. وقد كان بدّن رسول الله ﷺ، وظاهَرَ بين دِرْعَيْن، فلما ذهب لينهض لم يستطع؛ فجلس تحته

= ٣ ـ وأما قول أبي سفيان وردّ سيدنا عمر عليه بأمر من رسول الله ﷺ فصحيح كما سبق.

٤ ـ وأما قصة غسيل الملائكة حنظلة فصحيح كما أخرج الحاكم في المستدرك (٣/ ٢٠٤) عن عبد الله بن الزبير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول عند قتل حنظلة بن أبي عامر بعد أن التقى هو وأبو سفيان حين علاه شداد بن الأسود بالسيف فقتله فقال رسول الله ﷺ: إن صاحبكم تغسله الملائكة فاسألوا صاحبته فقالت: إنه خرج لما سمع الهائعة وهو جنب فقال رسول الله ﷺ: لذلك غسلته الملائكة.

وقال الحاكم (٣/ ٢٠٥): صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ويؤيده ما أخرجه الطبراني من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أصيب حمزة بن عبد المطلب وحنظلة بن الراهب وهما جنب فقال رسول الله ﷺ: (لقد رأيت الملائكة تغسلهما). وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن (مجمع الزوائد ٣/ ٢٣).

ولقد أخرج الحافظ ابن كثير هذه الرواية بطولها (أي ١٢٧، أ، ب، حـ) فقال: قال ابن جرير في تأريخه: حدثنا محمد بن الحسين ثنا أحمد بن الفضل حدثنا أسباط عن السدي قال: أتى ابن قمئة الحارثي فرمى رسول الله ﷺ بحجر فكسر أنفه... ثم ذكر ابن كثير الخبر كما عند الطبري إلى قوله: فقال أبو سفيان يومئذ اعل هبل حنظلة بحنظلة ويوم أحد بيوم بدر وذكر تمام القصة. ثم قال الحافظ ابن كثير: وهذا غريب جداً وفيه نكارة (البداية والنهاية ٤/ ٢٥).

قلنا: ولم يوضح الحافظ ابن كثير رحمه الله وجه الغرابة والنكارة في هذا الخبر ولعلّه عنى بالغرابة ما جمعه السدي في روايته الطويلة هذه (إن كانت بسند واحد) تفاصيل كثيرة لم نجدها عند غيره بسند واحد بل هي عدة أحاديث وردت بأسانيد مختلفة جمعها السدي هنا ومن عادة السدي أن يجمع مرويات عدد من الصحابة دون أن يميّز بين كلامهم (كما يفعل في التفسير) ولعل هذا من ذاك، وأما وجه النكارة فلعل الحافظ عنى بذلك قوله:

(فقال بعض أصحاب الصخرة: ليت لنا رسولاً إلى عبد الله بن أبيّ فيأخذ لنا أمنة من أبي سفيان) ولعله أراد بالنكارة عبارة أخرى هي: (وانطلق رسول الله ﷺ يدعو الناس حتى انتهى إلى أصحاب الصخرة فلما رأوه وضع رجل سهماً في قوسه فأراد أن يرميه فقال: أنا رسول الله ففرحوا بذلك حين وجدوا رسول الله ﷺ حياً) وهذا مع كونه ضعيف السند فهو مخالف لما ثبت من أن كعب بن مالك هو الذي عرف رسول الله ﷺ.

طلحة بن عبيد الله ، فنهض حتَّى استوى عليها[١]. (٢ : ٥٢١ ـ ٥٢٢) .

١٢٩ ـ حدّثنا ابن حميد ، قال: حدّثنا سلمة ، قال: قال محمد: قال رسول الله ﷺ ، كما حدّثنا يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن عبد الله بن الزبير ، عن الزُّبير ، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول يومئذ: أوجب طلحة حين صنع برسول الله ما صنع[٢]. (٢ : ٥٢٢) .

١٣٠ ـ قال أبو جعفر: وقد كان حنظلة بن أبي عامر الغسيل التقى هو وأبو سفيان بن حرب ، فلمّا استعلاه حنظلة رآه شدّاد بن الأسود ـ وكان يقال له. ابن شَعوب. قد علا أبا سفيان ، فضربه شدّاد فقتله ، فقال رسول الله ﷺ : إن صاحبكم ـ يعني حنظلة ـ لتغسلُه الملائكة. فسلوا أهله: ما شأنه؟ فسئلت صاحبته ، فقالت: خرج وهو جُنُب حين سمع الهائعة؛ فقال رسول الله ﷺ : لذلك غسَّلته الملائكة[٣]. (٢ : ٥٢٢) .

---

(١) إسناده ضعيف إلى ابن إسحاق ، ورواه ابن إسحاق بلاغاً إلاّ أن الإمام أحمد أخرج في مسنده (ح ٢٦٠٩) حديثاً طويلاً عن ابن عباس رضي الله عنهما وفيه:
حتىٰ إذا طلع رسول الله ﷺ بين السعدين نعرفه بتكفئه إذا مشىٰ ، قال: وفرحنا حتىٰ كأنه لم يصبنا ما أصابنا ، قال: فرقىٰ نحونا ، وهو يقول: اشتد غضب الله علىٰ قوم دموا وجه رسوله ويقول مرة أخرىٰ: اللهم إنه ليس لهم أن يعلونا. . . حتىٰ انتهىٰ إلينا فمكث ساعة. . . . الحديث.
وقال الهيثمي: رواه أحمد وفيه عبد الرحمن بن أبي الزناد وقد وثق علىٰ ضعفه ـ وأخرج نحوه الحاكم في المستدرك (٢/ ٢٩٧) وصحح إسناده ووافقه الذهبي وقال الحافظ ابن كثير: هذا حديث غريب وسياقه عجيب (التفسير ١/ ٤١٢) والله أعلم.
وأما مساندة طلحة لرسول الله ﷺ في نهوضه لقعوده فسنتحدث عنه بعد الرواية التالية.

(٢) إسناده إلىٰ ابن إسحاق ضعيف ولكن له متابعة عند ابن هشام في سيرته من طريق ابن إسحاق حدثني يحيىٰ بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن الزبير به وإسناده حسن ، وأخرج الترمذي في سننه (ح ١٦٩٢) من حديث الزبير رضي الله عنه قال: كان علىٰ النبي ﷺ يوم أحد درعان فنهض إلىٰ الصخرة فلم يستطع فقعد طلحة تحته حتىٰ استوىٰ على الصخرة. قال الزبير: فسمعت النبي ﷺ يقول: أوجب طلحة ، وقال الترمذي: حسن غريب وأخرجه الحاكم (٣/ ٣٧٤) وصححه وأقره الذهبي.

(٣) ذكر الطبري هذا بلا إسناد والحديث صحيح أخرجه الحاكم (٣/ ٢٠٤) وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي ورواه الطبراني وحسّن الهيثمي إسناده (٣/ ٢٣).

١٣١ ـ قال أبو جعفر: ثم إن أبا سفيان بن حرب أشرف على القوم ـ فيما حدّثنا هارون بن إسحاق قال: حدّثنا مصعب بن المقدام، قال: حدّثنا إسرائيل. وحدّثنا ابن وكيع، قال: حدّثني أبي، عن إسرائيل، قال: حدّثنا أبو إسحاق، عن البَرَاء، قال: ثمّ إن أبا سفيان أشرف علينا، فقال: أفي القوم محمد؟ فقال رسول الله ﷺ: لا تجيبوه؛ مرتين، ثمّ قال: أفي القوم ابن أبي قُحافة؟ ثلاثاً، فقال رسول الله ﷺ: لا تجيبوه، ثم قال: أفِي القوم ابن الخطاب؟ ثلاثاً، فقال رسول الله ﷺ: لا تجيبوه، ثم التفت إلى أصحابه، فقال: أمّا هؤلاء فقد قُتِلوا، لو كانوا في الأحياء لأجابوا، فلم يملك عمرُ بنُ الخطّاب نفسَه أن قال: كذبتَ يا عدوّ الله، قد أبقى الله لك ما يخزيك! فقال: اعْلُ هُبَل! اعلُ هُبَل! فقال رسول الله ﷺ: أجيبوه، قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا: الله أعْلَى وأجَل. قال أبو سفيان: ألا لنا العُزّى ولا عُزّى لكم! فقال رسول الله ﷺ: أجيبوه، قالوا: ما نقول؟ قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم! قال أبو سفيان: يومٌ بيوم بدر، والحرب سِجَال؛ أمّا إنكم ستجدون في القوم مُثـلاً لم آمُرْ بها ولم تسؤني[1].
(٢: ٥٢٦/٥٢٧).

١٣٢ ـ وفرغ الناس لقتلاهم، فقال رسول الله ﷺ ـ كما حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلَمة، قال: حدّثني محمد بن إسحاق، عن محمّد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة المازنيّ أخي بني النَّجار، أنّ رسول الله ﷺ، قال: مَن رجلٌ ينظر لي ما فعل سعد بن الربيع؟ ـ وسعد أخو بني الحارث بن الخزرج ـ أفي الأحياء هو أم في الأموات؟ فقال رجل من الأنصار: أنا أنظر لك يا رسولَ الله ما فعل؛ فنظر فوجده جريحاً في القتلَى به رمَق، قال: فقلت له: إنّ رسول الله ﷺ أمرني أن أنظر له: أفي الأحياء أنت أم في الأموات؟ قال: فأنا في الأموات، أبلغْ رسول الله عنّي السَّلام، وقل له: إنّ سعدَ بن الربيع يقول لك: جزاك الله خير ما جزي نبي عن أمته وأبلغ عني قومك السلام وقل لهم إن سعد بن الربيع يقول لكم: إنه لا عُذْر لكم عند الله إن خُلِصَ إلى نبيّكم ﷺ وفيكم عينٌ

---

(١) حديث صحيح كما سبق أن ذكرنا فقد أخرجه البخاري في المغازي (ح ٤٠٤٣) وأحمد في مسنده (٤/ ٢٩٣) وغيرهما مع اختلاف يسير والله أعلم.

تطرف ، ثم لم أبـرح حتَّى مـات؛ فجئت رسول الله ﷺ فأخبرتُـه خبـرَه[(١)]. (٢ : ٥٢٨) .

وخرج رسول الله ﷺ ـ فيما بلغني ـ يلتمس حمزة بن عبد المطَّلب ، فوجده ببطن الوادي قد بُقِرَ بَطْنُه عن كبده ، ومثلَ به ، فجُدِعَ أنفه وأذناه.

١٣٣ ـ حدّثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال: فحدّثني محمد بن جعفر بن الزبير ، أنّ رسول الله ﷺ حين رأى بحمزة ما رأى ، قال: لولا أن تحزن صفيَّة أو تكون سنَّة من بعدي لتركته حتى يكونَ في أجواف السباع وحواصل الطَّير؛ ولئن أنا أظهرَني الله على قريش في موطن من المواطن لأمثلنَّ بثلاثين رجلاً منهم؛ فلمَّا رأى المسلمون حزْنَ رسول الله ﷺ وغيظه على ما فُعِل بعمِّه ، قالوا: والله لئن ظهرْنا عليهم يوماً من الدهر لنَمثُلَنّ بهم مُثْلَةً لم يمثلها أحد من العرب بأحد قطّ![(٢)] (٢ : ٥٢٨/ ٥٢٩) .

---

(١) إسناده ضعيف، والحديث صحيح بمجموع طرقه فقد أخرجه الحاكم في المستدرك من طريقين أحدهما من طريق ابن إسحاق والآخر من طريق غير ابن إسحاق وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبي (المستدرك ٣/ ٢٠١) ولفظه:
(عن زيد بن ثابت قال: بعثني رسول الله ﷺ يوم أحد لطلب سعد بن الربيع وقال لي: إن رأيته فأقرئه مني السلام وقل له: يقول لك رسول الله: كيف تجدك؟ قال: فجعلت أطوف بين القتلى فأصبته وهو في آخر رمق وبه سبعون ضربة ما بين طعنة برمح أو ضربة بسيف ورمية بسهم فقلت له: يا سعد إن رسول الله ﷺ يقرأ عليك السلام ويقول لك: خبرني كيف تجدك؟ قال: علىٰ رسول الله السلام وعليك السلام قل له: يا رسول الله أجدني أجد ريح الجنة وقل لقومي الأنصار: لا عذر لكم عند الله أن يخلص إلى رسول الله ﷺ وفيكم شفر يطرف قال: وفاضت نفسه رحمه الله).
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وقال الذهبي: صحيح. وله طريق آخر مرسل ذكره في المطالب العالية (ح ٤٣١٧) من حديث عمرو بن يحيىٰ المازني وطريق آخر من مرسل يحيىٰ بن سعيد في طبقاته (٣/ ٥٢٣) أخبرنا معن بن عيسىٰ قال: أخبرنا مالك ابن أنس عن يحيىٰ بن سعيد أنه قال: لما كان يوم أحد قال رسول الله ﷺ: من يأتيني بخبر سعد بن الربيع . . . الحديث.
قلنا: وهذه مراسيل متعددة المخارج تتقوىٰ بما عند الحاكم في مستدركه فيكون الحديث صحيحاً والله تعالىٰ أعلم.

(٢) إسناده ضعيف ، ولكن أخرج الحاكم في المستدرك (١/ ٣٦٥) عن أنس رضي الله عنه قال: (لما كان يوم أحد مرّ رسول الله ﷺ بحمزة بن عبد المطلب وقد جذع ومثّل به فقال: لولا أن=

١٣٤ - حدّثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سلَمة ، قال: حدّثنا محمد بن إسحاق ، قال: أخبرني بُرَيدة بن سفيان بن فروة الأسلميّ ، عن محمد بن كعب القُرَظيّ، عن ابن عباس. قال ابن حميد ، قال سلَمة: وحدّثني محمد بن إسحاق، قال: وحدّثني الحسن بن عُمارة ، عن الحكم بن عتيبة ، عن مِقسَم ، عن ابن عباس، قال: إن الله عزّ وجلّ أنزل في ذلك من قول رسول الله ﷺ وقول أصحابه: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ﴾، إلى آخر السورة ، فعفا رسول الله ﷺ وصبر ونهى عن المُثْلَة[1]. (٢/ ٥٢٩) .

١٣٥ - قال ابن إسحاق: وأقبلَتْ - فيما بلغني - صفيَّةُ بنتُ عبد المطّلب لتنظر إلى حمزة - وكان أخاها لأبيها وأمها - فقال رسول الله ﷺ لابنها الزّبير بن العوام: القَها فأرجعها ، لا ترى ما بأخيها. فلقيها الزبير فقال لها: يا أمّهْ؛ إنّ رسول الله ﷺ يأمرك أن ترجعي ، فقالت: ولم ، وقد بلغني أنه مُثِلَ بأخي وذلك في الله قليل! فما أرضانا بما كان من ذلك! لاحتسبنّ ولأصبرنّ إن شاء الله. فلمّا جاء الزبير رسول الله ﷺ فأخبره بذلك ، قال: خَلّ سبيلها ، فأتَتْهُ فنظرتْ إليه وصَلّتْ عليه ؛ واسترجعَتْ واستغفرت له ؛ ثم أمرَ رسول الله ﷺ به فَدُفِن[2]. (٢: ٥٢٩) .

= تجد صفية في نفسها لتركته حتى تأكله العافية حتىٰ يحشره الله من بطون الطير والسباع فكفنه في نمرة. . . الحديث).
وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم والحديث أخرجه البيهقي في السنن وأبو داود (ح ٣١٣٦) وغيرهم.

(١) إسناده ضعيف والحديث صحيح فقد أخرج الترمذي في سننه (ح ٣١٢٩) عن أبيّ بن كعب رضي اللهعنه قال: (أصيب من الأنصار يوم أحد أربعة وستون وأصيب من المهاجرين ستة فيهم حمزة ، فمثلوا بقتلاهم. فقالت الأنصار: لئن أصبنا منهم يوماً من الدهر لنزيدنّ عليهم فلما كان يوم فتح مكة نادى رجل لا يعرف: لا قريش بعد اليوم ، مرتين فأنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ﴾ فقال النبي ﷺ: كفوا عن القوم). وقال الترمذي حسن غريب وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٥٩) وصحح إسناده ووافقه الذهبي.

(٢) حديث صحيح أخرجه البيهقي في الدلائل (٣/ ٢٩٠) وأبو يعلىٰ (٢/ ٤٥) بإسناد حسن والله أعلم. وكذلك أخرجه أحمد في مسنده (١/ ١٦٥).

١٣٦ ـ حدّثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سلَمة ، قال: حدّثني محمد بن إسحاق ، قال: حدّثني عاصم بن قتادة ، عن محمود بن لَبِيد ، قال: لمّا خرج رسول الله ﷺ إلى أُحد وقع حُسَيْل بن جابر ـ وهو اليمان أبو حذيفة بن اليمان وثابت بن وقْش بن زَعوراء في الآطام مع النساء والصبيان ، فقال أحدُهما لصاحبه؛ وهما شيخان كبيران: لا أبا لك! ما تنتظر؟ فوالله إنْ بقي لواحد منّا من عمره إلاّ ظِمْء حِمَار؛ إنّما نحن هامة اليوم أو غدٍ؛ أفلا نأخذ أسيافنا ، ثم نلحق برسول الله ﷺ ، لعلّ الله عزّ وجلّ يرزقنا شهادة مع رسول الله ﷺ ! فأخذا أسيافهما ، ثم خرجا حتى دخلا في النّاس ، ولم يُعلَم بهما؛ فأمّا ثابت بن وقْش فقتله المشركون ، وأما حُسَيْل بن جابر ، اليَمَان ، فاختلفت عليه أسياف المسلمين فقتلوه؛ ولا يعرفونه. فقال حُذَيفة: أبي والله! قالوا: والله إنْ عرفناه. وصدقوا ، قال حُذَيفة: يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين! فأراد رسول الله ﷺ أن يَدِيَهُ فتصدّق حُذَيفة بِديَتِه على المسلمين ، فزادته عند رسول الله ﷺ خيراً[١]. (٢: ٥٣٠).

١٣٧ ـ حدّثنا ابنُ حُميد ، قال: حدّثنا سلمة قال: حدثني محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، قال: كان فينا رجلٌ أتِيٌّ لا يُدْرَى من أين هو ، يقال له قُزْمَان ، فكان رسول الله ﷺ يقول إذا ذُكِر له: إنّه لَمِنْ أهل النار؛ فلمّا كان يوم أُحُد ، قاتل قتالاً شديداً ، فقتَل هو وحده ثمانيةً من المشركين أو تسعة؛ وكان شهماً شجاعاً ذا بأس؛ فأثبتته الجراحة ، فاحتمل إلى دار بني ظَفَر. قال: فجعل رجالٌ من المسلمين يقولون: والله لقد أبليت اليوم يا قُزمان؛ فأبشر! قال: بم أبشر! فوالله إن قاتلتُ إلاّ على أحساب قومي؛ ولولا ذلك ما قاتلت؛ فلمّا اشتدّت عليه جراحته ، أخذ سهماً من كنانته فقطع رواهِشَه فنزفه الدم فمات؛ فأخبر بذلك رسول الله ﷺ ، فقال: أشهد أنّي رسولُ الله حقاً[٢]! (٢: ٥٣١).

---

(١) إسناده إلى ابن إسحاق والحديث أخرجه ابن هشام من طريق ابن إسحاق هذا وسنده حسن فقد صرّح ابن إسحاق بالتحديث وأخرجه البخاري في صحيحه في مناقب الأنصار (ح ٣٨٢٤) من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة.

(٢) إسناده ضعيف إلا أن الحديث صحيح فقد أخرجه البخاري من روايته (ح ٤٢٠٢ ، ٤٢٠٣) دون أن يُسمِّي الرجل ودون تسمية الغزوة إلاّ أنه أخرج الروايتين في غزوة خيبر مع اختلاف=

١٣٨ - قال: ومرّ رسول الله ﷺ بدار من دور الأنصار من بني عبد الأشهل وظَفَر، فسمع البكاء والنوائح على قتلاهم؛ فَذَرَفتْ عينَا رسول الله ﷺ فبكى ثم قال: لكنّ حمزة لا بواكيَ له! فلمّا رجع سعد بن معاذ وأسيد بن خُضَيْر إلى دار بني عبد الأشهل أمَرَ نساءهم أن يتحزَّمْنَ ثم يذهبن فيبكين على عمّ رسول الله ﷺ(١). (٢: ٥٣٢).

١٣٩ - قال أبو جعفر: فلمَّا انتهى رسول الله ﷺ إلى أهله ناول سيفَه ابنته فاطمة، فقال: اغسِلي عن هذا دمَهُ يا بنيَّة؛ وناولها عليٌّ عليه السلام سيفه، وقال: وهذا فاغسلي عنه؛ فوالله لقد صدقني اليوم. فقال رسول الله ﷺ: «لئن كنتَ صدقت القتال لقد صدق معك سهل بن حُنَيْف، وأبو دُجَانة سماك بن خَرَشَةَ»(٢). (٢: ٥٣٣).

= في الألفاظ، بينما ذكر مسلم أن ذلك كان في غزوة حنين (ح ١١٢) والله أعلم.

(١) حديث (لكن حمزة لا بواكي له) حديث صحيح فقد أخرج أبو يعلىٰ بإسنادين (ح ٣٥٧٦، ح ٣٦١٠) عن ابن عمر وعن أنس بن مالك رضي الله عنهما:
(لما رجع رسول الله ﷺ من أحد سمع نساء الأنصار يبكين فقال: لكن حمزة لا بواكي له. فبلغ ذلك نساء الأنصار فبكين حمزة فقام رسول الله ﷺ ثم استيقظ وهنّ يبكين فقال: يا ويحهن ما زلن يبكين منذ اليوم ولا يبكين على هالك بعد اليوم).
وقال الهيثمي (المجمع ٦/ ١٢٠): رواه أبو يعلى بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح والحديث أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٤٠) وجوّد الساعاتي إسناده (الفتح الرباني ٧/ ١٠٧) والله أعلم.

(٢) ذكر الطبري هذا الحديث بلا إسناد والحديث صحيح أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (ح ٦٥٠٧) عن ابن عباس رضي الله عنه قال: (دخل علي بن أبي طالب علىٰ فاطمة يوم أحد فقال: خذي هذا السيف غير ذميم. فقال النبي ﷺ: لئن كنت أحسنت القتال لقد أحسنه سهل ابن حنيف، وأبو دجانة سماك بن خرشة). وقال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٢٤) وصححه على شرط البخاري والله أعلم.

- غزوة حمراء الأسد -

(٢/ ٥٣٤) ذكر الطبري روايات ضعيفة في هذه الغزوة إلاّ أن الحادثة ثابتة في السيرة فقد أخرج البخاري في صحيحه - كتاب المغازي باب ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾/ (ح ٤٠٧٧) من طريق هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ=

ذكر الأحداث التي كانت في سنة أربع من الهجرة
- (غزوة الرجيع) -

١٤٠ - قال أبو جعفر: وأما غيرُ ابنِ إسحاق، فإنَّه قصّ من خبر هذه السريَّة غير الذي قصّه، والذي قصّه غيره من ذلك ما حدّثنا أبو كُرَيب، قال: حدّثنا جعفر بن عون العمريّ، قال: حدّثنا إبراهيم بن إسماعيل، عن عمرو - أو عمر - ابن أَسِيد، عن أبي هُريرة، أنّ رسول الله ﷺ بعث عشرة رهط، وأمَّر عليهم عاصم بن ثابت، فخرجوا حتى إذا كانوا بالهَدْأة ذُكِرُوا لحيّ من هُذَيل، يقال لهم: بنو لِحْيان، فبعثوا إليهم مئة رجل رامياً؛ فوجدوا مأكَلهم حيث أكلوا التَّمر، فقالوا: هذه نَوَى يثرب، ثمّ اتَّبعوا آثارهم؛ حتى إذا أحسّ بهم عاصمٌ وأصحابه التجؤوا إلى جبل، فأحاط بهم الآخرون، فاستنزلوهم، وأعطَوْهم العهدَ؛ فقال عاصم: والله لا أنزل على عهد كافرٍ، اللّهمّ أخبر نبيَّك عنّا. ونزل إليهم ابن الدّثِنَة البيَاضِيّ، وخُبيب، ورجل آخر، فأطلق القوم أوتار قِسيِّهم،

= ﴿أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ قالت لعروة: يابن أختي كان أبواك منهم: الزبير وأبو بكر. لما أصاب رسول الله ﷺ ما أصاب يوم أحدٍ وانصرف عنه المشركون خاف أن يرجعوا، قال: من يذهب في أثرهم فانتدب منهم سبعون رجلاً قال: كان فيهم أبو بكر والزبير.

قلنا: ومعلوم أن جيش الصحابة يوم أحد كان أكثر من هذا العدد وقد فسّر بعض العلماء قولها رضي الله عنها (فانتدب لها سبعون) أي سبقوا غيرهم إلىٰ ذلك ثم تتابع من بقي من الجيش (انظر زاد المعاد (٣/ ٢٤٣).

وأخرج الطبراني في الكبير (ح ١١٦٣٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما انصرف أبو سفيان والمشركون عن أحد وبلغوا الروحاء، قال أبو سفيان: لا محمداً قتلتم، ولا الكواعب أردفتم، شرّ ما صنعتم. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فندب الناس فانتدبوا حتى بلغوا حمراء الأسد، أو بئر بني عيينة - فأنزل الله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ﴾ وذلك أن أبا سفيان قال للنبي ﷺ: موعدك موسم بدرٍ حيث قتلتم أصحابنا، فأما الجبان فرجع وأما الشجاع فأخذ أهبة القتال والتجارة، فأتوه فلم يجدوا به أحداً، وتسوّقوا، فأنزل الله عز وجل: ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾ وقال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن منصور الجواز وهو ثقة (المجمع ٦/ ١٢١).

والحديث أخرجه الطبراني موصولاً ومرسلاً.

ثمّ أوْثقوهم ، فجرحوا رجلاً من الثلاثة ، فقال: هذا والله أوّل الغَدْر؛ والله لا أتَّبعكم. فضربوه فقتلوه ، وانطلقوا بخُبيب وابن الدثِنَة إلى مكَّة ، فدفعوا خُبيباً إلى بني الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف ، وكان خبيب هو الذي قتل الحارث بأحُد؛ فبينما خُبَيب عند بنات الحارث؛ إذ استعار من إحدى بنات الحارث موسَى يستحدّ بها للقتل ، فما راع المرأة ـ ولها صبيّ يدْرُجُ ـ إلاّ بخُبيب قد أجلَس الصبيَّ على فَخِذِه ، والموسَى في يده ، فصاحت المرأة ، فقال خُبَيب: أتخْشَيْن أنِّي أقتُله! إنّ الغدر ليس من شأننا. قال: فقالت المرأة بعد: ما رأيتُ أسيراً قطّ خيراً من خُبيب؛ لقد رأيته وما بمكة من ثمرة ، وإن في يده لقِطْفاً من عنب يأكله؛ إن كانَ إلاّ رِزْقاً رزقه اللهُ خبيباً.

وبعث حيّ من قريش إلى عاصم ليُؤْتَوْا من لحمه بشيء ، وقد كان لعاصم فيهم آثار بأحُد؛ فبعث الله عليه دَبْراً ، فحمَتْ لَحمه ، فلم يستطيعوا أن يأخذوا من لحمه شيئاً ، فلمَّا خرجوا بخُبَيب من الحرم ليقتلُوه ، قال: ذَرُوني أُصَلّي ركعتيْن ، فتركوه فصلَّى سجدتين ، فجرت سُنَّة لمن قُتل صبْراً أن يصلِّيَ ركعتين. ثم قال خُبَيب: لولا أن يقولوا جَزِعَ لزدت ، وما أبالي:

«عَلَى أيِّ شِقٍّ كان لله مَصْرَعي»

ثم قال:

وذلك في ذاتِ الإله وإن يَشَأْ يُبَارِكْ على أوصالِ شِلْو مُمَزَّع

اللهم أحْصِهِم عدداً ، وخذهم بَدَداً.

ثم خرج به أبو سِرْوَعة بن الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف؛ فضربه فقتله[١]. (٢: ٥٤٠/ ٥٤١).

---

(١) حديث صحيح أخرجه البخاري في صحيحه مع اختلاف يسير في الألفاظ. فقد أخرج البخاري في صحيحه كتاب المغازي ـ باب فضل من شهد بدراً (ح ٣٩٨٩):
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «بعث رسول الله ﷺ عشرة عيناً ، وأمر عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري جد عاصم بن عمر بن الخطاب ، حتىٰ إذا كانوا بالهدأة بين عسفان ومكة ، ذكروا لحي من هذيل يقال لهم بنو لحيان ، فنفروا لهم بقريب من مئة رجل رامٍ ، فاقتصوا آثارهم حتى وجدوا مأكلهم التمر في منزل نزلوه.
فقالوا: تمر يثرب فاتبعوا آثارهم ، فلما أحس بهم عاصم وأصحابه لجؤوا إلى موضع ، =

ذكر خبر بئر معونة

١٤١ ـ قال أبو جعفر: وفي هذه السنة ـ أعني سنة أربع من الهجرة ـ كان من أمر السريّة التي وجّهها رسول الله ﷺ، فقُتلت ببئر مَعْونة. وكان سبب توجيه

= فأحاط بهم القوم فقالوا لهم: انزلوا فأعطوا أيديكم، ولكم العهد والميثاق أن لا نقتل منكم أحداً.

فقال عاصم بن ثابت: أيها القوم، أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر، ثم قال: اللهم أخبر عنا نبيك ﷺ، فرموهم بالنبل فقتلوا عاصماً، ونزل إليهم ثلاثة نفر على العهد والميثاق، منهم خبيب وزيد بن الدثنة ورجل آخر، فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قسيهم فربطوهم بها.

قال الرجل الثالث: هذا أول الغدر، والله لا أصحبكم، إن لي بهؤلاء أسوة ـ يريد القتلىٰ ـ فجروه وعالجوه، فأبى أن يصحبهم (فقتلوه) فانطلقوا بخبيب وزيد بن الدثنة حتىٰ باعوهما بعد وقعة بدر، فابتاع بنو الحارث بن عامر بن نوفل خبيباً ـ وكان خبيب قتل الحارث بن عامر بن نوفل يوم بدر ـ فلبث خبيب عندهم أسيراً حتى أجمعوا قتله، فاستعار من بعض بنات الحارث موسى يستحد بها، فأعارته، فأدرج بني لها وهي غافلة حتى أتاه، فوجدته مجلسه على فخذه والموسى بيده. قالت: ففزعت فزعة عرفها خبيب، فقال: أتخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك.

قالت: والله ما رأيت أسيراً قط خيراً من خبيب، والله لقد وجدته يوماً يأكل قطفاً من عنب في يده، وإنه لموثق بالحديد وما بمكة من ثمرة.

وكانت تقول: إنه لرزق رزقه الله خبيباً؛ فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه في الحل، قال لهم خبيب: دعوني أصلي ركعتين، فتركوه، فركع ركعتين فقال: والله لولا أن تحسبوا أن ما بي جزع لزدت، ثم قال: اللهم أحصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تبق منهم أحداً. ثم أنشأ يقول:

فلسـت أبـالـي حيـن أقتـل مسلمـاً ... علـى أي جنـب كـان لله مصرعـي
وذلـك فـي ذات الإلـه وإن يشـأ ... يبـارك علـىٰ أوصـال شلـو ممـزع

ثم قام إليه أبو سروعة عقبة بن الحارث فقتله، وكان خبيب سن لكل مسلم قتل صبراً الصلاة، وأخبر ـ يعني النبي ﷺ ـ أصحابه يوم أصيبوا خبرهم، وبعث ناس من قريش إلى عاصم بن ثابت حين حدثوا أنه قتل، أن يؤتوا بشيء منه يعرف ـ وكان قتل رجلاً عظيماً من عظمائهم ـ فبعث الله لعاصم مثل الظلة من الدبر فحمته من رسلهم، فلم يقدروا أن يقطعوا منه شيئاً».

والحديث أخرجه البخاري في موضع آخر (باب غزوة الرجيع ورعل وذكوان ح ٤٠٨٦) وأخرجه البيهقي في الدلائل (٣/ ٣٢٣) وأحمد (٢/ ٢٩٥) وغيرهم.

النبيّ ﷺ إيَّاهم لِمَا وجَّههم له ما حدّثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سلَمة ، قال: وحدّثني محمد بن إسحاق ، قال: فأقام رسول الله ﷺ بالمدينة بقيّة شوّال وذا القَعْدة وذا الحِجَّة والمحرَّم ، ووليَ تلك الحجَّة المشركون.

ثم بعث أصحاب بئر معونة في صفَر على رأس أربعة أشهر من أحُد ، وكان من حديثهم ما حدّثني أبي إسحاق بن يَسار ، عن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث ابن هشام ، وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وغيرهما من أهل العلم ، قالوا: قدم أبو برَاء عامر بن مالك بن جعفر ملاَعِبُ الأسنَّة ـ وكان سيِّد بني عامر بن صَعْصعة ـ على رسول الله ﷺ المدينة ، وأهدى له هدية ، فأبى رسول الله ﷺ أن يقبَلها ، وقال: يا أبا بَراء ، لا أقبل هديّة مشرك ، فأسْلِمْ إن أردتَ أن أقبل هديّتك. ثم عرض عليه الإسلام ، وأخبره بما له فيه ، وما وعد الله المؤمنين من الثَّواب ، وقرأ عليه القرآن فلم يسلِم ولم يبعُد ، وقال: يا محمَّد ، إنَّ أمرك هذا الذي تدعو إليه حَسَنٌ جميل ، فلو بعثت رجالاً من أصحابك إلى أهل نَجْد فدعَوْهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك. فقال رسول الله ﷺ : إنّي أخشى عليهم أهل نجْد! فقال أبو بَراء: أنا لهم جارٌ ، فابعثهم فليدعُوا النَّاس إلى أمرك. فبعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمرو أخا بني ساعدة المُعْنِقَ ليموت في أربعين رجلاً من أصحابه من خيار المسلمين ، منهم الحارث بن الصِّمَّة ، وحرام بن مِلْحان أخو بني عديّ بن النّجار ، وعُروة بن أسماء بن الصَّلْت السُّلَميّ ، ونافع بن بُدَيْل بن ورقاء الخُزاعي ، وعامر بن فُهَيرة مولى أبي بكر؛ في رجال مُسَمَّيْنَ من خيار المسلمين[1]. (٢: ٥٤٥/٥٤٦).

---

(١) إسناده إلى ابن إسحاق ضعيف وقد ذكره ابن إسحاق مرسلاً ، والخبر أخرجه ابن هشام في السيرة من طريق ابن إسحاق هذا فيكون إسناد ابن هشام (٢/ ١٧٤) مرسلاً صحيحاً ، وكذلك أخرجه خليفة بن خياط (تأريخ خليفة/ ٧٦) وأخرجه موسىٰ بن عقبة في مغازيه مرسل عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب (وانظر فتح الباري ٧/ ٢٤٦) وإن كان العدد الذي ذُكر فيه (٤٠ رجلاً) مخالفاً لما في صحيح البخاري وغيره (٧٠ رجلاً).
وإلاّ فبقية التفاصيل لها ما يؤيدها من الروايات الصحيحة كما سنذكر ومافي الصحيح من عددٍ أصح وألزم ـ وإن كان الحافظ قد ذكر وجهاً من الجمع إذ قال: (ويمكن الجمع بينه وبين الذي في الصحيح بأن الأربعين كانوا رؤساء وبقية العدد أتباعاً) (فتح الباري ٧/ ٤٤٧).
قلنا: وما سوىٰ الاختلاف في العدد فأصل القصة صحيح ثابت فعن كعب بن مالك رضي الله=

١٤٢ ـ حدّثني محمد بن مرزوق ، قال: حدّثنا عمرو بن يونس ، عن عكرمة ، قال: حدّثنا إسحاق بن أبي طلحة ، قال: حدّثني أنس بن مالك في أصحاب النبي ﷺ الذين أرسلهم رسول الله ﷺ إلى أهل بئر معونة؛ قال: لا أدري ، أربعين أو سبعين! وعلى ذلك الماء عامِرُ بن الطُّفَيل الجعفريّ ، فخرج أولئك النَّفر من أصحاب النبيّ ﷺ الذين بُعثوا؛ حتى أتوْا غاراً مشرِفاً على الماءِ قعدوا فيه. ثم قال بعضهم لبعض: أيُّكم يبلِّغ رسالة رسول الله ﷺ أهل هذا الماء؟ فقال ـ أراه ابن مِلْحان الأنصاري ـ: أنا أبلِّغ رسالَة رسول الله ﷺ ، فخرج حتى أتى حِوَاءً منهم ، فاحتبى أمام البيوت ، ثم قال: يا أهلَ بئر معونة ، إنِّي رسولُ رسولِ الله إليكم ، إنِّي أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً عبده ورسوله ، فآمنوا بالله ورسوله. فخرج إليه من كِسْرِ البيت برمح فضرب به في جَنْبه حتى خرج من الشِّقِّ الآخر ، فقال: الله أكبر ، فُزْتُ وربّ الكعبة! فاتبعوا أثره حتى أتوا أصحابه في الغار ، فقتلهم أجمعين عامِرُ بن الطُّفَيل.

قال إسحاق: حدّثني أنس بن مالك أنّ الله عزّ وجلّ أنزل فيهم قُرْآناً: «بَلِّغوا عنا قومنا أنا قد لقينا ربَّنا ، فرضِيَ عنَّا ، ورضينا عنه» ، ثم نُسِخت ، فرفعت بعد ما قرأناه زماناً ، وأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ ﴾[1] . (٢: ٥٤٩ ـ ٥٥٠) .

= عنه قال: جاء ملاعب الأسنة إلى النبي ﷺ بهدية ، فعرض عليه الإسلام فأبىٰ أن يسلم فقال النبي ﷺ : فإني لا أقبل هدية من مشرك ، قال: فابعث إلى أهل نجد من شئت فأنا لهم جار فبعث إليهم بقوم فيهم المنذر بن عمرو ، وهو الذي يقال له المعتق ليموت أو أعتق عند الموت فاستجاش عليهم عامر بن الطفيل بني عامر فأبوا أن يطيعوه وأبو أن يحضروا ملاعب الأسنة فاستجاش عليهم بني سليم فأطاعوه فأتبعهم بقريب من مئةِ رجل رامٍ فأدركوهم ببئر معونة فقتلوهم إلا عمرو بن أمية.

وقال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد ٦/ ١٢٧).

(١) حديث أنس بن مالك هذا حديث صحيح كما عند البخاري وغيره إلاّ أن الراوي لم يشك في كونهم سبعين كما عند الطبري ، ولعله من أوهام شيخ الطبري محمد بن مرزوق فقد قال الحافظ: صدوق له أوهام.

ولقد أخرج البخاري في صحيحه (كتاب المغازي ح ٤٠٩١) من طريق إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة قال: حدثني أنس أن النبي ﷺ بعث خاله ـ أخٌ لأم سليم ـ في سبعين راكباً وكان =

١٤٣ ـ حدّثني العبّاس بن الوليد ، قال: حدّثني أبي ، قال: حدّثنا الأوزاعيّ ، قـال: حدّثنـي إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة الأنصاريّ عن أنس بن مالك ، قال: بعث رسول الله ﷺ إلى عامر بن الطُّفيل الكلابيّ سبعين رجلاً من الأنصار. قال: فقال أميرُهم: مكانكم حتى آتيَكم بخبر القوم! فلمّا جاءهم قال: أتؤمّنونِي حتى أخبرَكم برسالة رسول الله ﷺ؟ قالوا: نعم؛ فبينا هو عندهم؛ إذ وخزَه رجلٌ منهم بالسِّنان. قال: فقال الرّجل: فُزْتُ وربِّ الكعبة! فقتل ، فقال عامر: لا أحسبه إلاّ أنّ له أصحاباً ، فاقتصّوا أثرَه حتى أتوْهم فقتلوهم ، فلم يفلت منهم إلا رَجُلٌ واحِدٌ.

قال أنس: فكنا نقرأ فيما نُسِخ: «بَلِّغوا عَنّا إخْوانَـنَـا أنْ قَدْ لقينَا رَبَّنا ، فرضيَ عنا ورضينا عنه»[١]. (٢: ٥٥٠).

= رئيس المشركين عامر بن الطفيل خيّر بين ثلاث خصال فقال: يكون لك أهل السهل ولي أهل المدر أو أكون خليفتك أو أغزوك بأهل غطفان بألفٍ وألفٍ فطعن عامرٌ في بيت أم فلان فقال غدة كغدة البكر في بيت امرأة من آلِ بني فلان ائتوني بفرسي فمات على ظهر فرسه فانطلق حرامٌ أخو أم سليم وهو رجل أعرج ورجل من بني فلان قال: كونا قريباً حتىٰ آتيهم فإن آمنوا كنتم قريباً وإن قتلوني أتيتم أصحابكم فقال: أتؤمنوني أبلغ رسالة رسول الله ﷺ فجعل يحدثهم وأومؤوا إلى رجلٍ فأتاه من خلفه فطعنه قال همّام: أحسبه حتىٰ أنفذه بالرمح قال: الله أكبر فزت ورب الكعبة فلحق الرجل فقتلوا كلهم غير الأعرج كان في رأس جبلٍ فأنزل الله تعالىٰ علينا ثم كان من المنسوخ.

إنا قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا فدعا النبي ﷺ عليهم ثلاثين صباحاً على رعل وذكوان وبني لحيان وعصية الذين عصوا الله ورسوله ﷺ.

(١) سبق أن تحدثنا عن حديث أنس بن مالك عند الرواية السابقة وذكرنا رواية البخاري ونضيف هنا فنذكر رواية للإمام مسلم في صحيحه (باب ثبوت الجنة للشهيد ح/ ١٦٧٧) من حديث أنس رضي الله عنه قال: «جاء ناس إلى النبي ﷺ فقالوا: أن ابعث معنا رجالاً يعلمونا القرآن والسنة ، فبعث إليهم سبعين رجلاً من الأنصار يقال لهم: القراء فيهم خالي حرام ، يقرؤون القرآن ، ويتدارسون بالليل يتعلمون ، وكانوا بالنهار يجيئون بالماء فيضعونه في المسجد ، ويحتطبون فيبيعونه ، ويشترون به الطعام لأهل الصفة وللفقراء ، فبعثهم النبي ﷺ إليهم ، فعرضوا لهم فقتلوهم قبل أن يبلغوا المكان. فقالوا: اللهم بلغ عنا نبينا ، أنا قد لقيناك فرضينا عنك ، ورضيت عنا. قال: وأتى رجل حراماً خال أنس من خلفه فطعنه برمح حتى أنفذه ، فقال حرام: فزتُ وربِّ الكعبة ، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: (إن إخوانكم قد قتلوا وإنهم قالوا: اللهم بلغ عنا نبينا أن قد لقيناك ، فرضينا عنك ورضيت عنا). =

= والحديث أخرجه البيهقي في الدلائل (٣/ ٣٤٧) والله أعلم.
وأخرج البخاري كذلك في صحيحه (كتاب المغازي/ ح ٤٠٩٠) عن أنس رضي الله عنه قال: (إن رعلاً وذكوان وعصية وبني لحيان استمدوا رسول الله ﷺ على عدو فأمدّهم بسبعين من الأنصار كنا نسميهم القراء في زمانهم، كانوا يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل حتى كانوا ببئر معونة قتلوهم وغدروا بهم فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقنت شهراً يدعو في الصبح على أحياء من أحياء العرب على رعل وذكوان وعصية وبني لحيان) والحديث أخرجه مسلم (باب استحباب القنوت في جميع الصلاة (ح ٦٧٧) وغيره والله أعلم.

ـ ذكر خبر جلاء بني النضير ـ

في تأريخ هذا الجلاء اختلاف فصاحب المغازي ابن إسحاق يرىٰ أن الغزوة كانت بعد أحدٍ.
ونسب الحافظ ابن حجر مذهب ابن إسحاق إلى جُلِّ أهل المغازي (الفتح ٧/ ٣٨٥) ويرىٰ ابن القيم رحمه الله رأي ابن إسحاق فيقول: بل الذي لا شك فيه أنها كانت بعد أحد (زاد المعاد ٣/ ٢٤٩).
وأما البخاري فقد ذكر غزوة بني النضير بعد غزوة بدرٍ فقال: باب حديث بني النضير ومخرج رسول الله ﷺ في دية الرجلين، وما أرادوا من الغدر برسول الله ﷺ. قال الزهري عن عروة: كانت على رأس ستة أشهر من وقعة بدر قبل وقعة أحد وقول الله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن دِيَـٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ وجعله ابن إسحاق بعد بئر معونة (فتح الباري ٧/ ٣٨٢).
وقال الحافظ في الفتح: وصله عبد الرزاق في مصنفه عن الزهري أتم من هذا، ولفظه عن الزهري وهو في حديثه عن عروة: ثم كانت غزوة بني النضير وهم طائفة من اليهود على رأس ستة أشهر من وقعة بدرٍ (فتح الباري ٧/ ٣٨٤).
وقال الحافظ أيضاً: وروىٰ ابن مردويه قصة بني النضير بإسناد صحيح إلى معمر عن الزهري: (أخبرني عبد الله بن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: كتب كفار قريش إلىٰ عبد الله بن أبيّ وغيره ممن يعبد الأوثان قبل بدرٍ يهددونهم بإيوائهم النبي ﷺ وأصحابه ويتوعدونهم أن يغزوهم بجميع العرب فهمّ ابن أبيّ ومن معه بقتال المسلمين، . . . الحديث).
وفيه: (فلما كانت وقعة بدرٍ كتب كفار قريش بعدها إلىٰ اليهود أنكم أهل الحلقة والحصون يتهددونهم فأجمع بنو النضير على الغدر. . . إلى آخره) ثم يسرد الحافظ تمام الخبر ويعقب قائلاً:
وكذلك أخرجه عبد بن حميد في تفسير عن عبد الرزاق وفي ذلك ردّ على ابن التين في زعمه أنه ليس في هذه القصة حديث بإسناد. قلت (الحافظ): فهذا أقوىٰ مما ذكر ابن إسحاق من =

= أن سبب غزوة بني النضير طلبه ﷺ أن يعينوه في دية الرجلين لكن وافق ابن إسحاق جلّ أهل المغازي والله أعلم. (الفتح ٧/ ٣٨٥).

ويرىٰ الحافظ أن السهيلي ذهب مذهباً غريباً عندما رجّح قول الزهري (الفتح ٧/ ٣٨٥).

ويرىٰ الأستاذ العلي (من المعاصرين) أن ما ذهب إليه ابن إسحاق هو الراجح، وأن الإمام الزهري وهم أو غلط عليه كما قال ابن القيم (انظر صحيح السيرة ٢٤٣ ـ ٢٤٤) ويستشهد برأي ابن القيم وابن حزم وغيرهما ـ ويعقب الأستاذ العلي على حديث صحيح أخرجه الحاكم عن عائشة رضي الله عنها تقول فيها: كانت غزوة بني النضير (وهم طائفة من اليهود) على رأس ستة أشهر من بدر.

فيقول الأستاذ الفاضل: والناظر في حديث عائشة رضي الله عنها يرىٰ أنه مؤيد للرأي القائل أن غزوة بني النضير كانت بعد بدرٍ بستة أشهر كما قال الزهري رحمه الله، وهو في سند حديث عائشة فالجواب عنه ما قال ابن القيّم رحمه الله تعالىٰ في ذلك من الخطأ في النقل عن الزهري أو هو وهم من الزهري رحمه الله والله أعلم. (صحيح السيرة ص ٢٤٤).

قلنا: والذي نراه أقرب إلى الصحة والله أعلم هو ترتيب البخاري في صحيحه لهذه الغزوة بعد وقعة بدرٍ الكبرىٰ واختيار البخاري هذا يؤيده ما رواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٨٣) بسند صحيح من حديث عائشة رضي الله عنها.

فقد أخرج الحاكم عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كانت غزوة بني النضير، وهم طائفة من اليهود على رأس ستة أشهر من غزوة بدر، وكان منزلهم ونخلهم بناحية المدينة، فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على الجلاء، وعلى أن لهم ما أقلت الإبل والأمتعة والأموال إلا الحلقة يعني السلاح ـ فأنزل الله فيهم ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا﴾ فقاتلهم النبي ﷺ حتى صالحهم على الجلاء، فأخلاهم إلىٰ الشام، وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء فيما خلا، وكان الله قد كتب عليهم ذلك، ولولا ذلك لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبي، وأما قوله: (لأول الحشر) فكان ذلك أول حشر في الدنيا إلى الشام».

وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي. وقال المحدّث الألباني: وإنما هو صحيح فقط لأن زيد بن المبارك الصنعاني وشيخه محمد بن ثور ليسا من رجالهما (فقه السيرة للغزالي/ تحقيق الألباني ص ٣٠٣).

قلنا: وهذا حديث بإسناد موصول صحيح وبه يؤخذ، وتوهيم ابن القيم وغيره للزهري مسألة فيها نظر، فاتفاق أكثر أهل المغازي لا يقاوم حديثاً صحيحاً والله أعلم.

وأمّا بقية الأحاديث الصحيحة في غزوة بني النضير فهي كالآتي:

١ ـ فقد أخرج البخاري (كتاب المغازي/ ح ٤٠٢٩) ومسلم (كتاب التفسير/ ح ٣٠٣١) عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس رضي الله عنهما: سورة الحشر، قال: قل: سورة

غزوة ذات الرقاع

١٤٤ ـ حدّثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سَلَمة ، قال: حدّثني محمد بن إسحاق ، قال: حدّثني محمد بن جعفر بن الزبير ومحمد ـ يعني ابن عبد الرحمن ـ عن عُروة بن الزُّبير ، عن أبي هُريرة ، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى نجْد ، حتى إذا كنَّا بذات الرّقاع من نَخْل ، لقيَ جمعاً من غطفان؛ فلم يكن بيننا قتال؛ إلاّ أن الناس قد خافُوهم ، ونزلت صلاة الخوف ، فَصَدَع أصحابَه صدعين ، فقامت طائفة مواجهة العدوّ ، وقامت طائفة خلْف رسول الله ﷺ ، فكبّر رسول الله ﷺ ، فكبَّرُوا جميعاً ، ثم ركع بِمَنْ خلْفه ، وسجد بهم ، فلمّا قاموا مشوا القهقرى إلى

= النضير. واللفظ للبخاري ولفظ مسلم:
(قلت لابن عباس رضي الله عنهما: سورة التوبة قال: آلتوبة؟ قال: بل هي الفاضحة ما زالت تنزل (ومنهم ومنهم) حتىٰ ظنوا ألا يبقى منَّا أحدٌ منهم إلاّ ذكر فيها قال: قلت: سورة الأنفال قال: تلك سورة بدر. قال: قلت فالحشر؟ قال: نزلت في بني النضير). (صحيح مسلم/ باب في سورة براءة والأنفال والحشر).
٢ ـ وأخرج البخاري في صحيحه (كتاب المغازي/ ح ٤٠٣٠) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (كان الرجل يجعل للنبي ﷺ النخلات حتى افتتح قريظة والنضير فكان بعد ذلك يردّ عليهم).
٣ ـ وأخرج البخاري في صحيحه (كتاب المغازي/ ح ٤٠٣١) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (حرّق رسول الله ﷺ نخل بني النضير وقطّع ، وهي البويرة ، فنزلت ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾).
٤ ـ وأخرج البخاري في صحيحه (كتاب المغازي/ ح ٤٠٣٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ حرّق نخل بني النضير ، قال: ولها يقول حسان بن ثابت:
وهان على سراة لؤي ... حريق بالبويرة مستطير
قال: فأجابه أبو سفيان بن الحارث:
أدام الله ذلك من صنيع ... وحرّق في نواصيها السعير
ستعلم أينا منها بنزه ... وتعلم أي أرضينا تضير
والحديث أخرجه مسلم في صحيحه: (كتاب الجهاد والسير ، باب جواز قطع أشجار الكفار وتحريقها/ ح ١٧٤٦).
ولفظه: أن رسول الله ﷺ قطع نخل بني النضير وحرّق ولها يقول حسان رضي الله عنه:
وهان على سراة بني لؤي ... حريق بالبويرة مستطير
وفي ذلك نزلت: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا﴾. الآية.

مصافّ أصحابهم ، ورجع الآخرون ، فصلُّوا لأنفسهم ركعة ، ثم قاموا فصلَّى بهم رسول الله ﷺ ركعة وجلسوا ، ورجع الَّذين كانوا مواجهين العدوّ ، فصلَّوا الركعة الثانية ، فجلسوا جميعاً ، فجمعهم رسول الله ﷺ بالسلام ، فسلَّم عليهم[١]. (٢ : ٥٥٦) .

١٤٤/أ ـ قال أبو جعفر: وقد اختلفت الرّواية في صفة صلاة رسول الله ﷺ هذه الصلاة ببطن نخْل اختلافاً متفاوتاً ، كرهت ذكره في هذا الموضع خشية إطالة الكتاب ، وسأذكره إن شاء الله في كتابنا المسمّى «بسيط القول في أحكام شرائع الإسلام» في كتاب صلاة الخوف منه[٢]. (٢ : ٥٥٧) .

١٤٥ ـ حدّثنا محمد بن بشّار ، قال: حدّثنا معاذ بن هِشَام ، قال: حدّثني أبي ، عن قتادة ، عن سليمان اليشكريّ ، أنَّه سأل جابرَ بن عبد الله عن إقصار الصّلاة ، أيّ يوم أنزل ، أو في أيّ يوم هو؟ فقال جابر: انطلقنا نتلقّى عيرَ قريش آتية من الشّام؛ حتى إذا كنّا بنخْل جاء رجلٌ من القوم إلى رسول الله ﷺ ، فقال: يا محمد ، قال: نعم ، قال: هل تخافني؟ قال: لا ، قال: فمن يمنعُك منِّي؟ قال: الله يمنعني منك. قال: فسلّ السيفَ ثم تهدّده وأوعده. ثم نادى بالرحيل

---

(١) إسناده ضعيف ولكن حديث أبي هريرة هذا في صلاة الخوف حديث صحيح فقد أخرجه أحمد والنسائي مع اختلاف يسير ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: صليت مع رسول الله ﷺ صلاة الخوف عام غزوة نجد ، فقام إلى صلاة العصر . . . الحديث.
وفي آخره: (ثم كان السلام ، فسلَّم وسلَّموا جميعاً ، فكان لرسول الله ﷺ ركعتان ولكل طائفة ركعتان).
وكذلك أخرجه أبو داود بروايتين:
الأولى: (٢/ ١٢٤٠) من طريق حيوة وابن لهيعة عن أبي الأسود أنه سمع عروة يحدث عن مروان أنه سأل أبا هريرة: هل صليت مع رسول الله صلاة الخوف؟ قال أبو هريرة: عام غزوة نجد قام رسول الله إلى صلاة العصر . . . . الحديث.
والرواية الثانية: عند أبي داود (٢/ح ١٢٤١) من طريق محمد بن جعفر بن الزبير ومحمد بن الأسود عن عروة عن أبي هريرة: خرجنا مع رسول الله إلى نجد حتى إذا كنا بذات الرقاع من نخل لقي جمعاً من غطفان. . فذكر معناه ولفظه على غير لفظ حيوة ، وقال فيه: حين ركع بمن معه وسجد قال: فلما قاموا وامتشوا القهقرىٰ إلى مصاف أصحابهم ولم يذكر استدبار القبلة. اهـ. والله أعلم.
(٢) إسناده صحيح.

وأخْذ السلاح. ثم نودي بالصّلاة، فصلَّى نبيّ الله ﷺ بطائفة من القوم، وطائفة أخرى تحرُسهم، فصلَّى بالذين يلُونَه ركعتين، ثم تأخَّر الَّذين يلُونه على أعقابهم، فقاموا في مصافّ أصحابهم، ثمّ جاء الآخرون فصلَّى بهم ركعتيْن، والآخرون يحرسونهم. ثم سلَّم، فكانت للنبيّ ﷺ أربع ركعات، وللقوم ركعتين ركعتين؛ فيومئذ أنزل الله عزّ وجلّ في إقصار الصّلاة، وأمِر المؤمنون بأخْذ السلاح[١]. (٢ : ٥٥٧).

١٤٦ ـ حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سَلمَة، قال: حدّثني محمد بن إسحاق، عن عمرو بن عبيد، عن الحسن البصريّ، عن جابر بن عبد الله الأنْصاريّ؛ أنّ رجلاً من بني محارب يقال له فلان بن الحارث، قال لقومه من غَطَفان ومحارب: ألاّ أقتلُ لكم محمداً؟ قالوا: نعم، وكيف تقتله؟ قال: أفْتِكُ به؛ فأقبلَ إلى رسول الله ﷺ وهو جالسٌ، وسيفُ رسول الله ﷺ في حجره، فقال: يا محمّد، انظرْ إلى سيفك هذا! قال: نعم، فأخذه فاستلّه، ثم جعل يهزّه ويهمّ به، فيكبته الله عزّ وجلّ. ثم قال: يا محمّد، أما تخافني؟ قال: لا، وما أخاف منك؟ قال: أما تخافني وفي يدي السيف؟ قال: لا، يمنعني الله منك! قال: ثم غمَد السيف، فردّه إلى رسول الله ﷺ، فأنزل الله عزّ وجلّ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ﴾[٢]. (٢ : ٥٥٧/٥٥٨).

---

(١) حديث صحيح أخرجه البخاري (ح/٤١٣٦)، ومسلم في باب صلاة الخوف (٨٤٣) وغيرهما.

(٢) إسناده ضعيف، وأصل القصة صحيح كما في الرواية السابقة ولم يعرج البخاري ولا مسلم باسم الرجل، إلا أن رواية الإمام الحاكم في المستدرك (٣/ ٢٩) ذكرت اسمه (غورث بن الحارث) ضمن حديث صححه الحاكم على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

ـ [روايات البخاري وغيره في غزوة ذات الرقاع] ـ

أخرج البخاري في صحيحه (كتاب المغازي/ ب ١٤٨/ ح ٤١٣٦):

حدثنا إسماعيل قال حدثني أخي عن سليمان عن محمد عن أبي عتيق عن ابن شهاب عن سنان بن أبي سنان الدؤليّ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أخبره أنه غزا مع رسول الله ﷺ قبل نجد فلَما قفل رسول الله ﷺ قفل معه فأدركتهم القائلة في واد كثير العضاة =

= فنزل رسول الله ﷺ وتفرق الناس في العضاة يستظلون بالشجر ونزل رسول الله ﷺ تحت سمرة فعلق بها سيفه. قال جابر: فنمنا نومةً ثم إذا رسول الله ﷺ يدعونا فجئناه فإذا عنده أعرابي جالس فقال رسول الله ﷺ: إنّ هذا اخترط سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده صلتاً فقال لي: من يمنعك مني قلت له: الله فها هو ذا جالس، ثم لم يعاقبه رسول الله ﷺ.
وقال أبان: حدثنا يحيىٰ بن أبي كثير عن أبي سلمة عن جابر قال: كنا مع النبي ﷺ بذات الرقاع فإذ أتينا على شجرة ظليلة تركناها للنبي ﷺ فجاء رجل من المشركين وسيف النبي ﷺ معلق بالشجرة فاخترطه فقال له: تخافني؟ قال: لا. قال: فمن يمنعك مني؟ قال: الله فهدده أصحاب النبي ﷺ وأقيمت الصلاة فصلى بطائفة ركعتين ثم تأخروا وصلىٰ بالطائفة الأخرى ركعتين وكان للنبي ﷺ أربع وللقوم ركعتان. وقال مسدد عن أبي عوانة عن أبي بشرٍ: اسم الرجل غورث بن الحارث وقاتل فيها محارب خَصَفَة.
وقال أبو الزبير عن جابر كنا مع النبي ﷺ بنخل فصلّى الخوف: وقال أبو هريرة صليت مع النبي ﷺ غزوة نجد صلاة الخوف وإنما جاء أبو هريرة إلى النبي ﷺ أيام خيبر.
وأخرج أحمد في مسنده (٣/ ١١١) عن جابر بن عبد الله قال: (قاتل رسول الله ﷺ محارب خصفة فرأوا من المسلمين غرة، فجاء رجل منهم يقال له: غورث بن الحارث حتى قام على رأس رسول الله ﷺ بالسيف فقال: من يمنعك مني؟ قال: الله عز وجل، فسقط السيف من يده فأخذه رسول الله ﷺ. فقال: من يمنعك مني؟ قال: كن كخير آخذ، قال: أتشهد أن لا إله إلا الله قال: لا ولكني أعاهدك أن لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك. فخلى سبيله. قال: فذهب إلى أصحابه قال: قد جئتكم من عند خير الناس).
وأخرجه الحاكم بزيادة: (فلما حضرت الصلاة صلى رسول الله صلاة الخوف... إلى آخر الحديث).
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي (المستدرك مع التلخيص ٣/ ٣٠).
وأخرج ابن هشام من طريق ابن إسحاق قال: وحدثني وهب بن كيسان عن جابر بن عبد الله قال: خرجت مع رسول الله ﷺ إلى غزوة ذات الرقاع من نخل، على جمل لي ضعيف، فلما قفل رسول الله ﷺ قال: جعلت الرفاق تمضي وجعلت أتخلف، حتى أدركني رسول الله ﷺ فقال: مالك يا جابر؟ قال: قلت: يا رسول الله، أبطأ بي جملي هذا، قال: أنخه، قال: فأنخته، وأناخ رسول الله ﷺ؛ ثم قال: أعطني هذه العصا من يدك، أو اقطع لي عصاً من شجرة قال: ففعلت. قال: فأخذها رسول الله ﷺ فنخسه بها نخسات ثم قال: اركب، فركبت، فخرج والذي بعثه بالحق يواهق ناقته مواهقة.
قال: وتحدثت مع رسول الله ﷺ فقال لي: أتبيعني جملك هذا يا جابر؟ قال: قلت: يا رسول الله بل أهبه لك، فقال: لا، ولكنّ بعنيه، قال: قلت: فسُمْنيه يا رسول الله، =

= قال: قد أخذته بدرهم، قال: قلت: لا، إذن تغبنني يا رسول الله! قال: فبدرهمين؛ قال: قلت: لا. قال: فلم يزل يرفع لي رسول الله في الثمن حتى بلغ الأوقية.
قال: فقلت: أفقد رضيت يا رسول الله، قال: نعم. قلت: فهو لك. قال: قد أخذته. قال: ثم قال: يا جابر! هل تزوجت بعد؟ قال: قلت: نعم، يا رسول الله؛ قال: أثيباً أم بكراً؟ قال: قلت: لا بل ثيباً، قال: أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك! قال: قلت: يا رسول الله، إن أبي أصيب يوم أحد وترك بناتٍ له سبعاً، فنكحت امرأة جامعة، تجمع رؤوسهن، وتقوم عليهن، قال: أصبت إن شاء الله، أما إنّا لو قد جئنا صراراً أمرنا بجزور فنحرت، وأقمنا عليها يومنا ذاك. وسمعت بنا فنفضت نمارقها. قال: قلت: والله يا رسول الله مالنا من نمارق. قال: إنها ستكون، فإذا أنت قدمت فاعمل عملاً كيساً.
قال: فلما جئنا صراراً أمر رسول الله ﷺ بجزور فنحرت وأقمنا عليها ذلك اليوم، فلما أمسىٰ رسول الله ﷺ دخل ودخلنا، قال: فحدثت المرأة الحديث، وما قال لي رسول الله ﷺ.
قالت: فدونك فسمع وطاعة، قال: فلما أصبحت أخذت برأس الجملُ، فأقبلت به حتى أنخته على باب رسول الله ﷺ قال: ثم جلست في المسجد قريباً منه، قال: وخرج رسول الله ﷺ فرأى الجملَ فقال: ما هذا؟ قالوا: يا رسول الله هذا جمل جاء به جابر، قال فأين جابر؟ قال: فدعيت له فقال: اذهب بجابر فأعطه أوقية، قال: فذهبت معه فأعطاني أوقية وزادني شيئاً يسيراً. قال: فوالله ما زال ينمو عندي، ويرى مكانه من بيتنا حتى أصيب أمس فيما أصيب لنا: يعني يوم الحرة). السيرة النبوية (٢/ ٢٠٧).
قلنا: وهذا إسناد حسن فقد صرّح ابن إسحاق بالتحديث والله أعلم.
وأصل القصة في الصحيحين كما ذكرنا سابقاً ولكن دون التصريح باسم الغزوة.

- تحديد تأريخ غزوة ذات الرقاع -

قال الإمام البخاري في صحيحه (كتاب المغازي/ باب ١٤٨ غزوة ذات الرقاع): وهي غزوة محارب خصفة من بني ثعلبة من غطفان فنزل نخلاً وهي بعد خيبر لأن أبا موسىٰ جاء بعد خيبر، ثم بدأ البخاري بذكر الروايات في هذه الغزوة إلى أن ذكر في آخرها: وقال أبو هريرة: صليت مع النبي ﷺ غزوة نجدٍ صلاة الخوف وإنما جاء أبو هريرة إلى النبي ﷺ أيام خيبر. اهـ.
وأيد الحافظ في الفتح ما ذهب إليه البخاري (فتح الباري ٧/ ٤١٨) وكذلك اختار الحافظ ابن كثير فقد قال رحمه الله:
جاء في رواية الشافعي وأحمد والنسائي عن أبي سعيد أن النبي ﷺ حبسه المشركون يوم الخندق عن الظهر والعصر والمغرب والعشاء فصلاهن جميعاً وذلك قبل نزول صلاة الخوف، قالوا وإنما نزلت صلاة الخوف بعُسفانِ كما رواه أبو عياش الزرقي قال: كنا مع النبي ﷺ بعسفان فصلى بنا الظهر وعلى المشركين يومئذ خالد بن الوليد، فقالوا: لقد أصبنا =

= منهم نفلة، ثم قالوا: إن لهم صلاة بعد هذه هي أحبُّ إليهم من أموالهم وأبنائهم فنزلت (يعني صلاة الخوف) بين الظهر والعصر فصلى بنا العصر ففرقنا فريقين وذكر الحديث.
أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي (الفصول في سيرة الرسول) (١٥٩).
وقال الحافظ أيضاً: وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ نازلاً بين ضجنان وعسفان محاصراً المشركين فقال المشركون: إن لهؤلاء صلاة هي أحب إليهم من أبنائهم وأبكارهم أجمعوا أمركم ثم ميلوا ميلة واحدة فجاء جبريل عليه السلام فأمره أن يقسم أصحابه نصفين. . . وذكر الحديث ثم قال الحافظ:
رواه النسائي والترمذي وقال: حسن صحيح، وقد علم بلا خلاف أن غزوة عسفان كانت بعد الخندق فاقتضى هذا أن ذات الرقاع بعدها بل بعد خيبر، ويؤيد ذلك أن أبا موسىٰ الأشعري وأبا هريرة رضي الله عنهما شهداها، أما أبو موسىٰ الأشعري ففي الصحيحين عنه أنه شهد غزوة ذات الرقاع وأنهم كانوا يلفون على أرجلهم الخرق لما نقبت ـ فسميت بذلك، وأما أبو هريرة: فعن مروان بن الحكم أنه سأل أبا هريرة: هل صليت مع رسول الله ﷺ صلاة الخوف؟ قال: نعم. قال: متى؟ قال: عام غزوة نجد، وذكر صفة من صفات صلاة الخوف. أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي.
وقد ذكروا أنه كانت من الحوادث في هذه الغزوة قصة جمل جابر وبيعه من رسول الله ﷺ وفي ذلك نظر لأنه جاء أن ذلك في غزوة تبوك إلا أن هذا أنسب لما أنه كان قد قتل أبوه في أحد، وترك الأخوات فاحتاج أن يتزوج سريعاً من يكفلهن له (الفصول في سيرة الرسول/ ١٦١).
وأما من المعاصرين فكذلك يرىٰ الأستاذ إبراهيم العلي إذ قال في كتاب السيرة النبوية:
قال الإمام البخاري إن غزوة ذات الرقاع كانت بعد غزوة خيبر وأيده في ذلك ابن كثير في سيرته، وابن حجر في الفتح وابن القيم في زاد المعاد.
إلا أن محمد بن إسحاق وجماعة من أهل السير والمغازي قالوا: إنها كانت في جمادىٰ الأولى بعد غزوة بني النضير بشهرين وذلك في السنة الرابعة للهجرة.
قلت: ومافي الصحيحين أصح، وأولىٰ بالتقديم، وله من أحاديث الصحابة رضوان الله عليهم ما يسنده ويقويه من قول أبي هريرة: «صليت مع النبي ﷺ في غزوة نجد صلاة الخوف» وإنما جاء أبو هريرة إلى النبي ﷺ أيام خيبر.
ويؤيده أيضاً ما جاء من حديث أبي موسىٰ الأشعري السابق في سبب تسمية هذه الغزوة بهذا الاسم، وإخباره بأنه حضرها، وإنما جاء أبو موسىٰ الأشعري مع جعفر بعد غزوة خيبر.
ويؤيده أيضاً ما جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: «غزوت مع رسول الله ﷺ قبل نجد فذكر صلاة الخوف وإنما كانت إجازة النبي ﷺ لابن عمر بالقتال عام الخندق» (السيرة النبوية/ غزوة ذات الرقاع). =

ذكر الخبر عن غزوة الخندق

١٤٧ ـ وفيها: كانت غزوةُ رسول الله ﷺ الخندَق في شوّال؛ حدّثنا بذلك ابنُ حُميد، قال: حدّثنا سَلَمة، عن ابن إسحاق: وكان الذي جَرّ غزوة رسول الله ﷺ الخندق ـ فيما قيل ـ ما كان من إجلاء رسول الله ﷺ بني النَّضِير عن ديارهم[1]. (٢: ٥٦٤/ ٥٦٥).

= وأما الدكتور البوطي فله رأي مخالف (راجع فقه السيرة للبوطي/ غزوة ذات الرقاع/ ص ٢٩١).

زواج النبي ﷺ بزينب بنت جحش

لقد ذكرنا روايتي الطبري (٢١٢، ٢١٣) في قسم الضعيف لضعف الإسناد ونكارة في المتن وسنذكر هنا بعض ما صحَّ من الروايات في هذه المسألة:

فقد أخرج البخاري من حديث أنس رضي الله عنه قال: «جاء زيد بن حارثة يشكو، فجعل النبي ﷺ يقول: اتق الله و ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ قال أنس: لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً لكتم هذه، قال: فكانت زينب تفخر على أزواج النبي ﷺ تقول: زوجكن أهاليكن وزوجني الله تعالى من فوق سبع سموات» (صحيح البخاري/ كتاب التوحيد / ح ٧٤٢٠).

وأخرج الإمام مسلم في صحيحه (كتاب النكاح/١٤٢٨/ ٨٩) عن أنس رضي الله عنه قال: لما انقضت عدة زينب قال رسول الله ﷺ لزيد (فاذكرها علي) قال: فانطلق زيد حتى أتاها وهي تخمر عجينها قال: فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها أن رسول الله ﷺ ذكرها فوليتها ظهري ونكصت على عقبي، فقلت: يا زينب! أرسل رسول الله ﷺ يذكرك، قالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أؤامر ربي، فقامت إلى مسجدها، ونزل القرآن وجاء رسول الله ﷺ، فدخل عليها بغير إذن.

قال: فقال: ولقد رأيتنا أن رسول الله ﷺ أطعمنا الخبز واللحم حين امتد النهار، فخرج الناس وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام فخرج رسول الله ﷺ واتبعته، فجعل يتتبع حجر نسائه يسلم عليهن، ويقلن: يا رسول الله! كيف وجدت أهلك، قال: فما أدري أنا أخبرته أن القوم قد خرجوا أو أخبرني. قال: فانطلق حتى دخل البيت فذهبت أدخل معه، فألقى الستر بيني وبينه ونزل الحجاب. قال: ووعظ القوم بما وعظوا به» لفظ مسلم.

وأخرج البخاري في صحيحه/ باب تفسير ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ والترمذي في سننه (٥/ ح ٣٢١٢) عن أنس قال: نزلت هذه الآية ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ﴾ في شأن زينب بنت جحش جاء زيد يشكو فهم بطلاقها فاستأمر النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾. قال أبو عيسى: هذا حديث صحيح. اهـ.

(١) إسناده ضعيف وقد أخرج الطبراني عن محمد بن إسحاق قال: كانت الخندق في شوال سنة=

١٤٨ ـ فحدّثنا ابنُ حُميد ، قال: حدّثنا سَلمة ، قال: حدّثني محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن رُومان ، مولى آل الزُّبير ، عن عُرْوة بن الزبير ومَنْ لا أتّهم عن عبيد الله بن كعب بن مالك ، وعن الزُّهريّ ، وعن عاصم بن عمر ابن قتادة ، وعن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وعن محمد بن كَعْب القُرَظيّ وعن غيرهم من علمائنا؛ وكلٌّ قد اجتمع حديثه في الحديث عن الخندق ، وبعضهم يحدّث مالا يحدّث بعض؛ أنه كان من حديث الخندق أن نفراً من اليهود منهم سلاَم بن أبي الحُقَيق النَّضريّ وحُيَيّ بن أخْطبَ النَّضريّ ، وكنانة

= خمس وفيها مات سعد بن معاذ رضي الله عنه وقال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله ثقات (مجمع الزوائد ٦/ ١٤٢).

قلنا: وأما عن تأريخ الغزوة فالأكثرون على أنها كانت في شوال سنة (٥) هـ. كما قال الحافظ ابن كثير: وقد كانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس من الهجرة نص على ذلك ابن إسحاق وعروة وابن الزبير وقتادة والبيهقي وغير واحد من العلماء سلفاً وخلفاً ، وقد صرح الزهري بأن الخندق كانت بعد أحد بسنتين ، ولا خلاف أن أحداً في شوال سنة ثلاث (السيرة النبوية ٣/ ١٨٠).

وقد فصّل ابن حجر في ذكر أقوال المؤرخين والمحدثين وناقشها طويلاً (انظر فتح الباري ٧/ ٣٩٣).

وأما من المعاصرين فكذلك الأستاذ العمري أسهب في ذكر هذه الأقوال (السيرة النبوية ٢/ ٤١٨).

قلنا: ولا توجد رواية صحيحة من ناحية السند تذكر الغزوة (الخندق) وقعت في السنة الفلانية وإن كان أكثر المحدثين وعلماء السير على أنها وقعت في السنة الخامسة من الهجرة. ومن جانب آخر فهناك من علماء السير والمغازي وغيرهم يرى أن الغزوة لم تكن في السنة الخامسة وإنما قبلها ، ومن هؤلاء موسىٰ بن عقبة وابن حزم وليس لديهم دليلاً صريحاً في ذلك وإنما توحي ظاهر رواية صحيحة بذلك ـ وهي في صحيح البخاري وإن كان البخاري نفسه لم يقل بصيغة الجزم أنها وقعت في السنة الرابعة وإنما نسبها إلى موسى بن عقبة: إذ قال (كتاب المغازي): غزوة الخندق وهي الأحزاب قال موسىٰ بن عقبة كانت في شوال سنة أربع ثم ذكر البخاري بعد هذا العنوان مباشرة رواية ابن عمر رضي الله عنهما وفيها: (أن النبي ﷺ عرضه يوم أحد وهو ابن أربع عشرة فلم يجزه ، وعرضه يوم الخندق هو ابن خمس عشرة سنة فأجازه) ورد الجمهور الاستدلال بهذه الرواية الصحيحة بأن ابن عمر رضي اللهعنهما كان يوم أحد في بداية الرابعة عشرة ويوم الخندق في نهاية الخامسة عشرة والله تعالىٰ أعلم (وانظر فتح الباري ٥/ ٢٧٨).

ابن الربيع بن أبي الحُقَيق النَّضريّ ، وهَوْذَةَ بن قيس الوائليّ ، وأبو عمّار الوائليّ ، في نفر من بني النَّضير ونَفَر من بني وائل؛ هم الذين حزَّبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ ؛ خرجوا حتى قدموا على قريش بمكّة؛ فدَعَوْهم إلى حرْب رسول الله ﷺ ، وقالوا: إنَّا سنكونُ معكم عليه حتى نستأصِله ، فقالت لهم قريشُ: يا معشرَ يهود؛ إنَّكم أهلُ الكتاب الأول ، والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمَّد ، أفدِينُنا خيرٌ أم دينه؟ قالوا: بل دينكم خيْرٌ من دينه ، وأنتم أولَى بالحقِّ منه. قال: فهم الذين أنزل الله عزّ وجلّ فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ٥١ ـ ٥٤].

فلمّا قالوا ذلك لقريش ، سرّهم ما قالوا ونشِطوا لما دعوْهم إليه من حرب رسول الله ﷺ ، فأجمعوا لذلك واتَّعدوا له.

ثم خرج أولئك النَّفر من يَهود حتى جاؤوا غَطفَان من قيْس عَيْلان فدعوْهم إلى حَرْب رسول الله ﷺ ، وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه؛ وأنّ قريشاً تابعوهم على ذلك وأجمعوا فيه ، فأجابوهم.

فخرجت قريش وقائدُها أبو سفيان بن حرْب ، وخرجت غَطفان وقائدها عُيَيْنة ابن حِصْن بن حذيفة بن بدر في بني فَزارة ، والحارث بن عوْف بن أبي حارثة المرّي في بني مرّة ، ومسعود بن رُخَيْلَة بن نُوَيْرَةَ بن طَريف بن سُحْمةَ بن عبد الله ابن هلال بن خلاوة بن أشْجعَ بن رَيْث بن غَطفان؛ فيمن تابعه من قومه من أشجع.

فلمّا سمع بهم رسول الله ﷺ وبما أجمعوا له من الأمر ، ضرب الخندق على المدينة(١). (٢: ٥٦٥/٥٦٦).

---

(١) إسناده مرسل إلاّ أن السيوطي رواه عن ابن عباس ، (لباب النقول لأسباب النزول/١٧) ويؤيده ما أخرجه الحافظ ابن كثير في تفسيره (١/ ٥١٣) من طريق ابن إسحاق قال: حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان الذين حزبوا الأحزاب من قريش وغطفان وبني قريظة: حيي بن أخطب وسلام بن أبي الحقيق وأبو رافع والربيع بن أبي الحقيق وأبو عامر وحوح بن عامر وهودة بن قيس ، فأما وحوح وأبو عامر وهودة فمن بني وائل ، وكان سائرهم من بني النضير ، فلما قدموا على قريش قالوا: هؤلاء =

= أحبار يهود وأهل العلم بالكتب الأُول فاسألوهم أدينكم خير أم دين محمد؟ فسألوهم فقالوا: دينكم خير من دينه وأنتم أهدى منه وممن اتبعه فأنزل الله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ إلى قوله عز وجل ﴿وَءَاتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾.

قلنا: وفي إسناده محمد بن أبي محمد لم يوثقه سوى ابن حبان، وحسَّن العمري إسناد هذه الرواية والله أعلم (السيرة النبوية الشريفة ٢/ ٤١٩). وأخرج الحافظ ابن كثير كذلك من طريق ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقري حدثنا سفيان عن عمرو عن عكرمة قال: جاء حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف إلىٰ أهل مكة فقالوا: نحن نصل الأرحام، وننحر الكوماء ونسقي الماء على اللبن، ونفك العاني ونسقي الحجيج ومحمد صنبور قطع أرحامنا واتبعه سراق الحجيج من غفار فنحن خير أم هو؟ فقالوا: أنتم خير وأهدى سبيلا فأنزل الله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا﴾. الآية.

ثم قال الحافظ (ابن كثير): وقد روي هذا من غير وجه عن ابن عباس وجماعة من السلف وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن أبي عدي عن داود عن عكرمة عن ابن عباس قال: لما قدم كعب ابن الأشرف مكة قالت قريش: ألا ترىٰ هذا الصنبور المنبتر من قومه يزعم أنه خير منا ونحن أهل الحجيج وأهل السدانة وأهل السقاية قال: أنتم خير فنزلت فيهم ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ ونزل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ - إلى - ﴿نَصِيرًا﴾ (ابن كثير ١/ ٥١٣). ويؤيده ما أخرجه الطبراني في الكبير (١١/ ٢٥١) في سبب نزول الآية وقال الهيثمي: وفيه يونس بن سليمان الجمال ولم أعرفه وبقية رجاله رجال الصحيح (المجمع ٧/ ٦) والله أعلم.

هذا ما استطعنا جمعه حول أسباب هذه الغزوة. وللأستاذ العمري عبارة جديرة بالذكر في معرض الحديث عن أسباب هذه الوقعة إذ يقول: (وتعتبر غزوة الأحزاب المدينة حلقة من حلقات الصراع العسكري بين المسلمين وقريش فالحرب معلنة بين الطرفين ولا حاجة لتلمس الأسباب الرئيسية لوقوع القتال ولكن ثمة عوامل مباشرة في التأثير يمكن بيانها) (السيرة النبوية ٢/ ٤١٨).

لقد ذكر الرواية (٢/ ٥٦٧/ ٢١٧) في قسم الضعيف وفيها قصة مفصلة للصخرة التي اعترضت سبيل الحفر إلاّ أن قصة الصخرة وردت في روايات أخرى صحيحة فأصلها في صحيح البخاري كجزء من حديث طويل وفيه عن جابر رضي الله عنه قال: إنا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة فجاؤوا النبيﷺ فقالوا: هذه كدية عرضت في الخندق فقال: أنا نازلٍ ثم قام وبطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقاً فأخذ النبيﷺ المعول فضرب فعاد كثيباً أهيل أو أهيم... إلى آخر الحديث. (صحيح البخاري/ كتاب المغازي / ٧/ ٣١٧).

وأخرج الإمام أحمد في مسنده (٤/ ٣٠٣): =

١٤٩ ـ فلما اشتدّ البلاء على النّاس بعث رسول الله ﷺ ـ كما حدثّنا ابن حميد، قال: حدّثنا سلمة، قال: حدّثني محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة. وعن محمّد بن مسلم بن شهاب الزهريّ ـ إلى عُيَينة بن حصن، وإلى الحارث بن عَوْف بن أبي حارثة المرّيّ ـ وهما قائدا غَطفان ـ فأعطاهما ثلْث ثمار المدينة؛ على أن يرجِعَا بمَنْ معهما عن رسول الله ﷺ وأصحابه، فجرى بينه وبينهم الصلح؛ حتى كتبوا الكتاب، ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح إلاّ المراوضة في ذلك، ففعَلا، فلما أراد رسول الله ﷺ أن يفعل، بعث إلى سعد ابن مُعاذ وسعد بن عبادة؛ فذكر ذلك لهما، واستشارهما فيه فقالا: يا رسول الله؛ أمرٌ تحبُّه فنصنعه، أم شيءٌ أمرك الله عزّ وجلّ به؛ لابُدَّ لنا من العمل به، أم شيءٌ تصنعه لنا؟ قال: بل شيء أصنعه لكم؛ والله ما أصْنَعُ ذلك إلاّ أني رأيت العرب قد رَمَتْكم عن قوس واحدة، وكالبُوكم من كلّ جانب، فأردت أن أكسِرَ عنكم شوكتَهم لأمرٍ ما ساعة. فقالَ له سعْد بن معاذ: يا رسولَ الله؛ قد كُنَّا نحنُ وهؤلاء

= عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «لما كان حين أمرنا رسول الله ﷺ بحفر الخندق عرضت لنا في بعض الخندق صخرة لا تأخذ فيها المعاول، فاشتكينا إلى رسول الله ﷺ فجاءنا فأخذ المعول فقال: (بسم الله، فضرب ضربة فكسر ثلثها، وقال: الله أكبر: أعطيت مفاتيح الشام والله إني لأبصر قصورها الحمر الساعة، ثم ضرب الثانية فقطع الثلث الآخر فقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس والله إني لأبصر قصر المدائن أبيض، ثم ضرب الثالثة، وقال: بسم الله فقطع بقية الحجر فقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا الساعة).

والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ١٣١) وقال: رواه أحمد وفيه ميمون أبو عبد الله وثقه ابن حبان وضعفه جماعة وبقية رجاله ثقات وحسّن الحافظ إسناده (الفتح ٧/ ٣٩٧) وله شاهد من حديث عبد الله بن عمرو رواه الطبراني ولفظه:

(أمر رسول الله ﷺ بالخندق فخندق على المدينة، فقالوا: يا رسول الله: إنا وجدنا صفاةً لا نستطيع حفرها، فقام النبيﷺ وقمنا معه، فلما أتى أخذ المعول، فضرب به ضربة وكبر فسمعت هدَّة لم أسمع مثلها قط، فقال: «فتحت فارس» ثم ضرب أخرى وكبّر فسمعت هدَّة لم أسمع مثلها قط فقال: «فتحت الروم» ثم ضرب أخرى وكبر فسمعت هدَّة لم أسمع مثلها قط فقال: «جاء الله بحِمْيَرَ أعواناً وأنصاراً».

وقال الهيثمي في المجمع (٦/ ١٣١): رواه الطبراني بإسنادين في أحدهما حيي بن عبد الله وثقه ابن معين وضعفه جماعة، وبقية رجاله رجال الصحيح. ا هـ.

القوم على شِرْك بالله عزّ وجلّ وعبادة الأوثان ، ولا نعبد الله ولا نعرفه؛ وهم لا يطمعون أن يأكلوا منا تمرة إلاّ قِرىً أو بيعاً ، أفحين أكرمَنا الله بالإسلام ، وهدانا له ، وأعزَّنا بك ، نُعْطيهم أموالنا! ما لنا بهذا من حاجة؛ والله لا نعطيهم إلاّ السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم. فقال رسول الله ﷺ : فأنت وذاك! فتناول سعدٌ الصحيفة؛ فمحا ما فيها من الكتاب ، ثم قال: ليَجْهدوا علينا[١]. (٢: ٥٧٢/٥٧٣).

---

(١) إسناده ضعيف ولكن أخرج البزار (كشف الأستار/ح ١٨٠٣) وكما ذكره الهيثمي كذلك عن أبي هريرة قال: (جاء الحارث الغطفاني إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد ناصفنا تمر المدينة (وإلا ملأتها عليك خيلاً ورجالاً) فقال: «حتى أستأمر السعود: سعد بن عبادة ، وسعد بن معاذ» يعني يشاورهما ، فقالا: لا والله ، ما أعطينا الدنية من أنفسنا في الجاهلية ، فكيف وقد جاء الله بالإسلام؟! فرجع إلى الحارث فأخبره فقال: غدرت يا محمد ، قال: فقال حسان بن ثابت رضي الله عنه:

يا جار من يغدر بذمة جاره ... منكم فإن محمداً لا يغدر
إن تغدروا فالغدر من عاداتكم ... واللؤم ينبت في أصول السخبر
وأمانة النهدي حين لقيتها ... مثل الزجاجة صدعها لا يُجبر

قال: فقال الحارث: كف عنا يا محمد لسان حسان ، فلو مُزج به ماء البحر لمزج).

وقال الهيثمي: رواه البزار والطبراني ولفظه: عن أبي هريرة قال: جاء الحارث الغطفاني إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد شاطرنا تمر المدينة ، فقال: «حتى أستأمر السعود» فبعث إلى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وسعد بن الربيع وسعد بن خيثمة وسعد بن مسعود. فقال: «إني قد علمت إن العرب قد رمتكم عن قوسٍ واحدة ، وإن الحارث سألكم تشاطروه تمر المدينة ، فإن أردتم أن تدفعوه عامكم هذا ، وننظر في أمركم بعد؟»).

فقالوا: يا رسول الله ، أوحي من السماء ، فالتسليم لأمر الله ، أو عن رأيك وهواك؟ فرأينا تبع هواك ورأيك؟ فإن كنت إنما تريد الإبقاء علينا ، فوالله لقد رأيتنا إياهم على سواء ما ينالون منا تمرة إلا شراءً أو قرىً ، فقال رسول الله ﷺ: «هو ذا تسمعون ما يقولون» قالوا: غدرت يا محمد ، فقال حسان بن ثابت رضي الله عنه:

يا جار من يغدر بذمة جاره ... منكم فإن محمداً لا يغدر
وأمانة المُرِّي حين لقيتها ... كسر الزجاجة صدعها لا يجبر
إن تغدروا فالغدر من عاداتكم ... واللؤم ينبت في أصول السخبر

ورجال البزار والطبراني فيهما: محمد بن عمرو ، وحديثه حسن ، وبقية رجاله ثقات. (مجمع الزوائد/ ٦/ ١٣٢).

وللحديث روايات أخرىٰ ضعيفة تصلح كشواهد منها ما أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف =

١٥٠ ـ حدّثنا ابن حُميد ، قال: حدّثنا سلمة ، قال: حدّثني محمد بن إسحاق عن أبي ليلى عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن بن سهل الأنصاريّ ، ثم أحد بني حارثة ، أنّ عائشة أمّ المؤمنين كانت في حِصْن بني حارثة يوم الخندق ، وكان من أحرز حصون المدينة ، وكانت أمّ سَعْد بن مُعاذ معها في الحصن.

قالت عائشة: وذلك قبل أن يضرَب علينا الحجاب. قالت: فمرَّ سعدٌ وعليه درْعٌ مقلَّصة ، قد خرجت منها ذِراعه كلُّها ، وفي يده حربته يَرْقَدُّ بها ويقول:

لَبِّـثْ قليـلاً يَشْهَـدِ الهَيْجَـا حَمَـلْ   لا بَـأْسَ بـالمَـوْتِ إذَا حـانَ الأَجَـلْ

قالت له أمّه: الحق يا بُنَيّ ، فقد والله أخَّرْتَ.

قالت عائشة: فقلتُ لها: يا أمّ سعد؛ والله لودَدْتُ أنْ دِرْعَ سعد كانت أسبغَ مما هي! قالت: وخفت عليه حيث أصاب السهم منه.

= (١٤/ ٤٢٠) عن أبي معشر وابن سعد في طبقاته (٢/ ٧٣) وغيرهما والله أعلم.
لقد ذكر الرواية (٢/ ٥٧٣ ـ ٥٧٤/ ٢٢٠) في قسم الضعيف إلا أن مقتل عمرو بن عبدود العامري على يد علي بن أبي طالب رضي الله عنه وذلك يوم الخندق فصحيح كما أخرج الحاكم في المستدرك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قتل رجل من المشركين يوم الخندق فطلبوا أن يواروه فأبىٰ رسول الله ﷺ حتى أعطوه الدية ، وقتل من بني عامر بن لؤي عمرو بن عبد ود ، قتله علي بن أبي طالب مبارزة.
وقال الحاكم: وهذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي (المستدرك مع التلخيص ٣/ ٣٢).
وقد ذكر الأستاذ إبراهيم العلي كلاماً قيّماً أحببنا أن نذكره هنا إذ قال في كتابه (السيرة النبوية/ ٢٧٣) ، (بعد أن ذكر حديث ابن عباس السابق):
وقد جاءت قصة مبارزة علي بن أبي طالب رضي الله عنه لعمرو بن عبد ود العامري مفصلة عند ابن إسحاق في السيرة مستقصاة ومستوفاة ، إلا أنها مرسلة ، ولم يصل بها ابن إسحاق إلى صحابي روى هذا الحديث ، ولذلك لم أورد التفاصيل هنا ، واقتصرت على ما ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما ، من أن قاتل عمرو بن عبد ود العامري هو علي بن أبي طالب كما مر في الحديث السابق الذي أوردناه.
هذا ما وصلت إليه بعد بذل الجهد فقد بحثت عن إسناد لهذا الحديث مفصلاً فلم أصل إلى ذلك ، فاقتصرت على ما مضى ، والله تعالى أعلم ، فليس كل ما أورده أهل السير وأخذ مأخذ المسلمات ثبت عند أهل الحديث والمحدثين ، فاعلم هذا أخي القارىء بارك الله فيك. ا هـ.

قالت: فَرُمِيَ سعد بن معاذ بسهْم، فقطع منه الأكْحل، رماه[١]. (٢: ٥٧٤/ ٥٧٥).

١٥١ ـ فيما حدّثنا ابن حميد، قال: حدّثنا سلَمة، قال: حدّثنا محمد بن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة ـ حِبَّانُ بن قيس بن العرِقة أحدُ بني عامر بن لؤيّ؛ فلمّا أصابه قال: خذْها وأنا ابن العَرِقة؛ فقال سعدٌ: عَرَّقَ الله وجهك في النَّار! اللَّهمّ إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقني لها، فإنَّه لا قومَ أحبّ إليّ أن أجاهدهم من قوم آذوْا رسولَك، وكذّبوه وأخرجوه. اللهمّ وإن كنت قد وضعتَ الحرب بيننا وبينهم فاجعله لي شهادة ولا تُمِتْني حتى تقرّ عيني من بني قُرَيظة[٢]. (٢: ٥٧٥).

١٥٢ ـ حدّثنا سُفيان بن وكيع، قال: حدّثنا محمد بن بشر، قال: حدّثنا محمد بن عمرو، قال: حدّثني أبي، عن علقمة، عن عائشة، قالت: خرجتُ يوم الخَنْدق أقْفو آثار الناس، فوالله إني لأمشي إذْ سمعت وئيد الأرض خلْفي ـ تعني حِسَّ الأرض ـ فالتفتُّ فإذا أنا بسعد؛ فجلست إلى الأرض، ومعه ابن أخيه الحارث بن أوْس ـ شهد بدراً مع رسول الله ﷺ، حدّثنا بذلك محمد بن عمرو ـ يحمل مِجَنَّه، وعلَى سعد دِرْع من حديد قد خرجت أطرافه منها.

قالت: وكان من أعظم الناس وأطولهم.

قالت: فأنا أتخوّفُ على أطراف سعد، فمرّ بي يرتجز، ويقول:

لَبِّثْ قليلاً يُدْرِكِ الهَيْجَا حَمَلْ ... ما أَحْسَنَ المَوْتَ إذا حان الأجَلْ!

قالت: فلمّا جاوزني قمتُ فاقتحمت حديقة فيها نَفَر من المسلمين، فيهم عمر بن الخطاب وفيهم رجل عليه تَسْبِغَة له ـ قال محمد: والتَّسبغة: المِغْفَر ـ

---

(١) إسناده ضعيف ومتنه صحيح فيما يتعلق بسعد بن معاذ كما سنذكر بعد روايتين، وأما أن عائشة رضي الله عنها كانت يوم الخندق في حصن بني حارثة فقد أخرج الطبراني في المعجم الكبير (ح ٤٣٧٨) عن رافع بن خديج رضي الله عنه قال: لم يكن حصن أحصن من حصن بني حارثة، فجعل النبي ﷺ النساء والصبيان والذراري فيه وقال: (إن أَلَمَّ بِكُنَّ أَحَدٌ فألمعن بالسيف) إلى آخر الحديث.

وقال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله ثقات (المجمع ٦/ ١٣٣).

(٢) إسناده ضعيف، والحديث صحيح والذي قبله كما سنذكر بعد الرواية التالية.

لا تُرى إلا عيناه ، فقال عمر: إنك لَجَرِيئة؛ ما جاء بك؟ ما يدريك لعلَّه يكون تحوُّز أو بلاء! فوالله ما زال يلومني حتى وددتُ أن الأرض تنشقّ لِي فأدخل فيها ، فكشف الرجل التَّسبغة عن وجهه ، فإذا هو طلحة؛ فقال: إنك قد أكثرت ، أين الفرار ، وأين التحوُّز إلاّ إلى الله عزّ وجلّ!

قالت: فَرُمِيَ سعد يومئذ بسهم ، رماه رجلٌ يقال له ابن العَرِقَة؛ فقال: خذها وأنا ابنُ العَرِقَة ، فقال: سعْد: عرّق الله وجهك في النار! فأصاب الأكحَل منه فقطعه. قال محمد بن عمرو: زعموا أنَّه لم ينقطع من أحد قطّ إلاّ لم يزل يبضّ دماً حتى يموت. فقال سعد: اللَّهمّ لا تمِتْني حتى تقرّ عيني في بني قُريظة! وكانوا حلفاءه ومواليه في الجاهلية[1]. (٢: ٥٧٥/ ٥٧٦).

---

(١) إسناده ضعيف وأصله صحيح. فقد أخرج البخاري في صحيحه (كتاب المغازي ١٢٢/ ٤) عن عائشة رضي الله عنها قالت: أصيب سعد يوم الخندق ورماه رجل من قريش يقال له حبانُ ابن العَرقة رماه في الأكحل فضرب النبي ﷺ خيمة في المسجد ليعوده من قريب فلما رجع رسول الله ﷺ من الخندق وضع السلاح واغتسل فأتاه جبريل عليه السلام وهو ينفض رأسه من الغبار فقال: قد وضعت السلاح والله ما وضعته اخرج إليهم قال النبي ﷺ: فأين؟ فأشار إلى بني قريظة فأتاهم رسول الله ﷺ فنزلوا على حكمه فردّ الحكم إلى سعد قال: فإني أحكم فيهم أن تقتل المقاتلة وأن تسبي النساء والذرية وأن تقسم أموالهم.

قال هشام: فأخبرني أبي عن عائشة أن سعداً قال: اللهم إنك تعلم أنه ليس أحد أحبّ إليّ أن أجاهدهم فيك من قوم كذبوا رسولك ﷺ وأخرجوه ، اللهم فإني أظن أنك وضعت الحرب بيننا وبينهم فإن كان بقي من حرب قريش شيء فأبقني له حتى أجاهدهم فيك وإن كنت وضعت الحرب فافجرها واجعل موتتي فيها فانفجرت من لبَّته فلم يرعهم وفي المسجد خيمة من بني غفار إلا الدم يسيل إليهم فقالوا: يا أهل الخيمة ما هذا الذي يأتينا من قبلكم فإذا سعد يغذو جرحه دماً فمات منها رضي الله عنه.

وأخرج الإمام أحمد في مسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرجت يوم الخندق أقفو آثار الناس قالت: فسمعت وئيد الأرض ورائي يعني حسّ الأرض ، قالت: فالتفت فإذا أنا بسعد ابن معاذ ومعه ابن أخيه الحارث بن أوس يحمل مجنة قالت: فجلست إلى الأرض ، فمر سعد وعليه درع من حديد قد خرجت منها أطرافه فأنا أتخوف على أطراف سعد ، قالت: وكان سعد من أعظم الناس وأطولهم ، قالت: فمر وهو يرتجز ويقول:

لبـث قليـلاً يـدرك الهيجـا جمـل ... مـا أحسـن المـوت إذا حـان الأجـل

قالت: فقمت فاقتحمت حديقة فإذا فيها نفر من المسلمين ، وإذا فيهم عمر بن الخطاب وفيهم رجل عليه سبغة يعني له مغفراً.

=

= فقال عمر: ما جاء بك ، لعمري والله إنك لجريئة وما يؤمنك أن يكون بلاء أو يكون تحوّز.
قالت: فما زال يلومني حتى تمنيت أن الأرض انشقت ساعتئذ فدخلت فيها. قالت: فرفع الرجل السبغة عن وجهه فإذا طلحة بن عبيد الله. فقال: يا عمر ويحك إنك قد أكثرت منذ اليوم ، وأين التحوز أو الفرار إلا إلى الله عز وجل ، قالت: ويرمي سعداً رجل من المشركين من قريش يقال له ابن العرقة بسهم له فقال له: «خذها وأنا ابن العرقة» فأصاب أكحله فقطعه فدعا الله ـ عز وجل ـ سعد فقال: «اللهم لا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة». قالت: وكانوا حلفاءه ومواليه في الجاهلية. قالت: فرقأ كَلْمُه وبعث الله ـ عز وجل ـ الريح على المشركين فكفى الله ـ عز وجل ـ المؤمنين القتال ، وكان الله قوياً عزيزاً فلحق أبو سفيان ومن معه بتهامة ولحق عيينة بن حصن ومن معه بنجد.
ورجعت بنو قريظة فتحصنوا في صياصيهم ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة وأمر بقبة من أدم فضربت على سعد في المسجد.
قالت: فجاءه جبريل عليه السلام وإنَّ على ثناياه لنقع الغبار فقال: «لقد وضعت السلاح! والله ما وضعت الملائكة بعد السلاح ، اخرج إلى بني قريظة فقاتلهم».
قالت: فلبس رسول الله ﷺ لأمته وأذن في الناس بالرحيل أن يخرجوا ، فخرج رسول الله ﷺ فمر على بني غنم وهم جيران المسجد ، فقال: «من مر بكم؟» فقالوا: مر بنا دحية الكلبي ، وكان دحية تشبه لحيته [وسنه] ووجهه جبريل عليه السلام قالت: فأتاهم رسول الله ﷺ فحاصرهم خمساً وعشرين ليلة فلما اشتد حصْرُهم واشتد البلاء ، قيل لهم: انزلوا على حكم رسول الله ﷺ ، فاستشاروا أبا لبابة بن عبد المنذر فأشار إليهم أنه الذبح ، فقالوا: ننزل على حكم سعد بن معاذ ، فقال رسول الله ﷺ: «انزلوا على حكم سعد بن معاذ» [فنزلوا]. وبعث رسول الله ﷺ إلى سعد بن معاذ ، فأتي به على حمار عليه إكاف من ليف قد حمل عليه وحفّ به قومه ، وقالوا له: يا أبا عمرو حلفاؤك ومواليك وأهل النكاية ، ومن قد علمت. فقال: قد أنى لي أن لا يأخذني في الله لومة لائم.
قال: قال أبو سعيد: فلما طلع قال رسول الله ﷺ: «قوموا إلى سيدكم فأنزلوه» قال عمر: سيدنا الله ، قال: «أنزلوه» فأنزلوه ، قال رسول الله ﷺ: «احكم فيهم» قال سعد: فإني أحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم ، وتسبى ذراريهم ، وتقسم أموالهم.
فقال رسول الله ﷺ: «لقد حكمت فيهم بحكم الله ـ عز وجل ـ وحكم رسوله».
قال: ثم دعا سعد فقال: اللهم إن كنت أبقيت على نبيك من حرب قريش شيئاً فأبقني لها ، وإن كنت قطعت الحرب بينه وبينهم فاقبضني إليك.
قالت: فانفجر كَلْمُهُ ، وكان قد برأ إلا مثل الخرص.
قالت: ورجع إلى قبته التي ضرب عليه رسول الله ﷺ.
قالت عائشة: فحضره رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر قالت: فوالذي نفس محمد بيده ، إني

١٥٣ ـ حدّثنا ابن حميد ، قال: حدّثنا سلمة ، قال: حدّثني محمد بن إسحاق ، قال: حدّثنا يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القُرظيّ؛ قال: قال فتى من أهل الكوفة لحذيفة بن اليَمان: يا أبا عبد الله ، رأيتم رسولَ الله وصحبتموه! قال: نعم يابن أخي ، قال: فكيف كنتم تصنعون؟ قال: والله لقد كنّا نجهد ، فقال الفتى: والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض ، ولحملناه على أعناقنا. فقال حذيفة: يابن أخي؛ والله لقد رأيتُنا مع رسول الله ﷺ بالخندق ، وصلَّى هَوِيّاً من الليل ، ثم التفت إلينا ، فقال: مَنْ رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم [ثم يَرجع] ـ يشرُط له رسول الله ﷺ إن يرجع ـ أدخله الله الجنَّة؟ فما قام رجل. ثم صلَّى رسول الله ﷺ هَوِيّاً من الليل ، ثم التفت إلينا فقال مثله ، فما قام منَّا رجل ، ثم صلَّى رسول الله ﷺ هَوِيّاً من الليل ، ثم التفت إلينا ، فقال: مَنْ رجُل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع ـ يشرُط له رسول الله ﷺ الرجعة ـ أسأل الله أن يكون رفيقي في الجنة؟ فما قام رجُلٌ من القوم من شدّة الخوف وشدّة الجوع وشدّة البرد. فلما لم يقم أحدٌ دعاني رسول الله ﷺ فلم يكن لي بدّ من القيام حين دعاني. فقال: يا حذيفة؛ اذهب فادخل في القوم فانظر ما يفعلون ، ولا تحدثنّ شيئاً حتى تأتينَا؛ قال: فذهبت فدخلتُ في القوم والريحُ وجنود الله تفعل بهم ما تفعل؛ لا تقرُّ لهم قِدْراً ولا ناراً ولا بناء. فقام أبو سفيان بن حرب ، فقال: يا معشرَ قريش ، لينظر امرؤٌ جليسَه ، قال: فأخذتُ بيد الرجل الذي كان إلى جنبي ، فقلت: مَنْ أنت؟ قال: أنا فلان بن فلان. ثم قال أبو سفيان: يا معشرَ

= لأعرف بكاء عمر من بكاء أبي بكر وأنا في حجرتي وكانوا كما قال الله عز وجل: ﴿رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾.

قال علقمة: فقلت: أي أمه ، فكيف كان رسول الله ﷺ يصنع؟ قالت: كانت عينه لا تدمع على أحد ، ولكنه كان إذا وجد فإنما هو آخذ بلحيته.

قال الهيثمي: في الصحيح بعضه ، رواه أحمد وفيه محمد بن عمرو بن علقمة وهو حسن الحديث وبقية رجاله ثقات (مجمع الزوائد ٦/ ١٣٨).

قلنا: وجوّد ابن كثير إسناده والله أعلم.

لقد ذكرنا الرواية الطويلة (٢/ ٥٧٧ ـ ٥٧٨ ـ ٥٧٩) (٢٢٣) في قسم الضعيف ولم نجد ما يؤيد هذه القصة الطويلة من طريق صحيح إلاّ أن العبارة المرفوعة إلى رسول الله ﷺ (الحرب خدعة) دون ذكر هذه القصة فثابتة كما عند البخاري ومسلم وغيرهما وهو حديث متواتر.

قريش ، إنّكم والله ما أصبحتم بدار مُقام ، لقد هلك الكُرَاع والخُفّ ، وأخلَفَتْنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الَّذي نكره؛ ولقينا مِنْ هذه الريح ما ترَوْن؛ والله ما تطمئنّ لنا قِدْرٌ ، ولا تقوم لنا نار ، ولا يستمسك لنا بناءٌ؛ فارتحلوا فإني مرتحل .

ثم قام إلى جمَله وهو معقول ، فجلس عليه ، ثم ضربه فوثب به على ثلاث؛ فما أطلق عِقَاله إلاّ وهو قائم؛ ولولا عهدُ رسول الله ﷺ إليّ ألا أحْدِث شيئاً حتى آتيه ، ثم شئت لقتلتُه بسهم. قال حذيفة :

فرجعتُ إلى رسول الله ﷺ ، وهو قائم يصلِّي في مِرْط لبعض نسائه مُرَحَّلٍ؛ فلمّا رآني أدخلني إلىٰ رحله وطرح عليّ طرف المِرْط ثم ركع وسجد؛ فأذْلَقْتُه ، فلمَّا سلَّم أخبرتُه الخبر ، وسمعتْ غطفان بما فعلتْ قريش ، فانشمروا راجعين إلى بلادهم[(١)] . (٢ : ٥٧٩/ ٥٨٠/ ٥٨١) .

---

(١) إسناده ضعيف ومتنه صحيح مفرقاً ، فقد أخرج أحمد (٥/ ٣٩٢):
عن محمد بن كعب القرظي قال: «قال فتى منا من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان: يا أبا عبد الله لقد رأيتم رسول الله ﷺ وصحبتموه؟ قال: نعم يا بن أخي ، قال: فكيف كنتم تصنعون؟ قال: والله كنا نجهد. قال: والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض ، ولجعلناه على أعناقنا ، قال: فقال حذيفة: يابن أخي والله لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ بالخندق وصلى رسول الله ﷺ من الليل هوياً. ثم التفت إلينا فقال: «من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ، يشترط له رسول الله ﷺ أن يرجع ، أدخله الله الجنة»؛ فما قام رجل ، ثم صلى رسول الله ﷺ هوياً ، ثم التفت إلينا فقال: «من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع ، يشترط له رسول الله ﷺ الرجعة ، أسأل الله أن يكون رفيقي في الجنة» ، فما قام رجل من القوم من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد.
فلما لم يقم أحد دعاني رسول الله ﷺ فلم يكن لي بد في القيام حين دعاني فقال: «يا حذيفة فاذهب فادخل في القوم فانظر ما يفعلون ولا تحدثن شيئاً حتى تأتينا». قال: فذهبت فدخلت في القوم ، والريح وجنود الله تفعل ما تفعل لا تقر لهم قدر ، ولا نار ، ولا بناء ، فقام أبو سفيان بن حرب فقال: يا معشر قريش لينظر امرؤ إلى جليسه ، فقال حذيفة فأخذت بيد الرجل الذي جنبي فقلت من أنت؟ فقال: أنا فلان بن فلان. ثم قال أبو سفيان: يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع ، وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا منهم الذي نكره ولقينا من هذه الريح الذي ترون ، والله ما تطمئن لنا قدر ، ولا تقوم لنا نار ، ولا يستمسك لنا بناء ، فارتحلوا فإني مرتحل ثم قام إلى جمله وهو معقول ، فجلس عليه ثم ضربه فوثب على ثلاث ، فما أطلق عقاله إلا وهو قائم ، ولولا عهد رسول الله ﷺ لا تحدث شيئاً حتى تأتيني ثم شئت لقتلته بسهم.
=

غزوة بَنِي قريظة

١٥٤/أ ـ فلما كانت الظُّهْر ، أتى جبريل رسول الله ﷺ ـ كما حدّثنا ابن حُميد ، قال: حدّثنا سلَمة ، قال: حدّثني محمَّد بن إسحاق ، عن ابن شهاب الزُّهريّ ـ معتجراً بعمامة من إستبرق ، على بغْلةٍ عليها رِحَالة ، عليها قطيفة من ديباج ، فقال: أقد وضعتَ السِّلاح يا رسول الله؟ قال: نعم ، قال جبريل:

= قال حذيفة: ثم رجعت إلى رسول الله ﷺ وهو قائم يصلي في مرط لبعض نسائه مرحل ، فلما رآني أدخلني إلى رحله ، وطرح عليَّ طرف المرط ثم ركع وسجد وإنه لفيه ، فلما سلم أخبرته الخبر ، وسمعت غطفان بما فعلت قريش وانشمروا إلى بلادهم.
والحديث أخرجه مسلم في صحيحه (كتاب الجهاد/ باب غزوة الأحزاب ٣/ح ١٧٨٨) وفيه: [فمضيت كأنما أمشي في حمام حتى أتيتهم فإذا أبو سفيان يُصْلِي ظهره بالنار فوضعت سهمي في كبد قوسي وأردت أن أرميه ثم ذكرت قول رسول الله ﷺ : لا تذعرهم عليّ ولو رميته لأصبته قال: فرجعت كأنما أمشي في مثل الحمام ، فأتيت رسول الله ﷺ ثم أصابني البرد حين فرغت وقررت فأخبرت رسول الله ﷺ فألبسني رسول الله ﷺ من فضل عباءة كانت عليه يصلي فيها ، فلم أزل نائماً حتى الصبح ، فلما أن أصبحت قال رسول الله ﷺ : قم يا نومان].
وأخرج الحاكم في المستدرك (٣/ ٣١) من طريق بلال العبسي عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما أن الناس تفرقوا عن رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب فلم يبق معه إلا اثنا عشر رجلاً فأتاني رسول الله ﷺ وأنا جاثي من البرد وقال: يا بن اليمان قم فانطلق إلى عسكر الأحزاب فانظر إلى حالهم. قلت: يا رسول الله: والذي بعثك بالحق ما قمت إليك إلا حياء منك من البرد. قال: فابرز الحرة وبرد الصبح انطلق يا بن اليمان ولا بأس عليك من حر ولا برد حتى ترجع إليّ. قال: فانطلقت إلى عسكرهم فوجدت أبا سفيان يوقد النار في عصبة حوله قد تفرق الأحزاب عنه قال حتى إذا جلست فيهم قال فحسب أبو سفيان أنه دخل فيهم من غيرهم قال: ليأخذ كل رجل منكم بيد جليسه. قال: فضربت بيدي على الذي عن يميني وأخذت بيده ثم ضربت بيدي على الذي عن يساري فأخذت بيده فلبثت فيهم هنية ثم قمت فأتيت رسول الله ﷺ وهو قائم يصلي فأومأ إليّ بيده أن ادن فدنوت ثم أومأ إليّ أيضاً أن ادن فدنوت حتى أسبل عليّ من الثوب الذي كان عليه وهو يصلي فلما فرغ من صلاته قال: ابن اليمان اقعد ما الخبر؟ قلت: يا رسول الله تفرق الناس عن أبي سفيان فلم يبق إلا عصبة توقد النار قد صب الله عليه من البرد مثل الذي صب علينا ولكنا نرجو من الله مالا يرجون).
وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي (المستدرك مع التلخيص ٣/ ٣١).

ما وضعت الملائكةُ السِّلاحَ وما رجعت الآن إلا من طلب القوم؛ إن الله يأمرُك يا محمَّد بالسَّير إلى بني قُريظة ، وأنا عامد إلى بني قُريظة[1] . (٢ : ٥٨١) .

١٥٤/ب ـ فأمر رسول الله ﷺ منادياً ، فأذّن في النَّاس: إنّ مَنْ كان سامعاً مطيعاً فلا يصلّينّ العصر إلاّ في بني قُريظة[2] . (٢ : ٥٨١) .

١٥٥ ـ حدثنا ابنُ وكيع ، قال: حدّثنا محمد بن بشر ، قال: حدّثنا محمَّد بن عمرو ، قال: حدّثني أبي عن علقمة ، عن عائشة ، قالت: ضرب رسول الله ﷺ على سعد قُبَّة في المسجد ، ووضع السّلاح ـ يعني عند منصرف رسول الله ﷺ من الخندق ـ ووضع المسلمون السِّلاح ، فجاءه جبريل عليه السَّلام ، فقال: أَوَضعتم السلاح! فوالله ما وضعت الملائكة بَعْدُ السلاح ، اخرُجْ إليهم فقاتِلْهم ، فدعا رسول الله ﷺ بلأمتِه فلبسها ، ثم خرج وخرج المسلمون؛ فمرّ ببني غَنْم ، فقال: من مَرّ بكم؟ قالوا: مرّ علينا دِحْيَة الكلبيّ ـ وكان يشبَّهُ سُنَّـتُه ولِحيته ووجهه بجبريل عليه السلام ـ حتى نزل عليهم ، وسعدٌ في قُـبَّـته التي ضرب عليه رسول الله ﷺ في المسجد؛ فحاصرهم شهراً ـ أو خمساً وعشرين ليلة ـ فلما اشتدّ عليهم الحصار قيل لهم: انزلوا على حكم رسول الله ﷺ ، فأشار أبو لُبابة بن عبد

---

(١) إسناده ضعيف ولكن حديث مجيء جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ وأمره إياه بالخروج إلى بني قريظة صحيح. فقد أخرج البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما رجع النبي ﷺ من الخندق ووضع السلاح واغتسل أتاه جبريل عليه السلام. فقال: قد وضعت السلاح والله ما وضعناه فاخرج إليهم قال: فإلى أين قال: هاهنا وأشار إلى بني قريظة فخرج النبي ﷺ . (صحيح البخاري/ كتاب المغازي/ باب فرجع النبي ﷺ من الأحزاب إلى بني قريظة ومحاصرته إياهم/ ح ٤٤١٧). (ومسلم/ الجهاد والسير/ ح ١٧٦٩) وغيرهما.

(٢) أغلب الظن أن الطبري جعل هذا الجزء تتمة للرواية السابقة (٢/ ٥٨١/ ١٥٤) فإسناده ضعيف ولكن قوله ﷺ : «فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة» فصحيح مع اختلاف بسيط ، فقد أخرج البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ يوم الأحزاب: «لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة. . . الحديث». [صحيح البخاري/ كتاب المغازي/ح ٤١١٩ ، ومسلم/ح ١٧٧٠ وغيرهما].
وأخرج الطبراني ضمن حديث طويل عن كعب بن مالك رضي الله عنه وفيه: (فعزم على الناس ألاّ يصلوا العصر إلاّ في بني قريظة. . . الحديث).
وقال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير ابن أبي الهذيل وهو ثقة (المجمع ٦/ ١٤٠).

المنذر إنه الذبح ، فقالوا: ننزل على حكم سعد بن مُعاذ ، فقال رسول الله ﷺ : انزلوا على حكمه ، فنزلوا ، فبعث إليه رسول الله ﷺ بحمار بإكَاف من لِيف ، فحمِل عليه. قالت عائشة: لقد كان بَرَأ كَلْمُه حتى ما يُرى منه إلا مثل الْخُرْص[(١)] . (٢: ٥٨٣) .

---

(١) إسناده ضعيف ولكن له متابع فقد أخرج أحمد عن عائشة بأطول من هذا كما ذكرنا بعد الرواية (٢/ ٥٧٥) وفيه: (فأصاب أكحله فقطعه فدعا الله ـ عز وجل ـ سعد فقال: اللهم لا تمتني حتى تقر عيني من قريظة ، قالت: وكانوا حلفاءه ومواليه في الجاهلية ، قالت: فرقأ كلمه ـ وبعث الله الريح على المشركين فكفى الله عز وجل المؤمنين القتال ـ وكان الله قوياً عزيزاً ـ فلحق أبو سفيان ومن معه بتهامة ولحق عيينة بن حصن ومن معه بنجد ورجعت بنو قريظة فتحصنوا في صياصيهم ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة وأمر بقبة من أدم فضربت على سعد في المسجد قالت: فجاءه جبريل عليه السلام وإنّ علىٰ ثناياه لنقع الغبار فقال: لقد وضعت السلاح والله ما وضعت الملائكة بَعْدُ السلاح اخرج إلى بني قريظة فقاتلهم ـ قالت: فلبس رسول الله ﷺ لأمته وأذن في الناس بالرحيل أن يخرجوا فخرج رسول الله ﷺ فمرّ على بني غنم وهم جيران المسجد فقال: من مرّ بكم؟ فقالوا: مرّ بنا دحية الكلبي وكان دحية تشبه لحيته وسنه ووجهه جبريل عليه السلام قالت: فأتاهم رسول الله ﷺ فحاصرهم خمساً وعشرين ليلة فلما اشتد حصرهم واشتد البلاء قيل لهم: انزلوا على حكم رسول الله ﷺ فاستشاروا أبا لبابة بن المنذر فأشار إليهم أنه الذبح فقالوا: ننزل على حكم سعد بن معاذ فنزلوا وبعث رسول الله ﷺ إلى سعد بن معاذ فأتي به على حمار عليه إكاف من ليف قد حمل عليه ، وخفّ به قومه ، وقالوا له: يا أبا عمرو حلفاؤك ومواليك وأهل النكاية ومن قد علمت. فلم يرجع إليهم شيئاً ولا يلتفت إليهم حتى إذا دنا من دورهم التفت إلى قومه فقال: قد أنى لي أن لا يأخذني في الله لومة لائم. قال: قال أبو سعيد فلما طلع قال رسول الله ﷺ : قوموا إلى سيدكم فأنزلوه. قال عمر: سيدنا الله. قال: أنزلوه فأنزلوه. قال رسول الله ﷺ : احكم فيهم.

قال سعد: فإني أحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم وتقسم أموالهم. فقال رسول الله ﷺ : لقد حكمت فيهم بحكم الله عز وجل وحكم رسوله ، قال: ثم دعا سعد فقال: اللهم إن كنت أبقيت على نبيك من حرب قريش شيئاً فأبقني لها وإن كنت قطعت الحرب بينه وبينهم فاقبضني إليك قالت: فانفجر كلمه وكان قد برأ إلاّ مثل الخرص قالت: ورجع إلى قبته التي ضرب عليه رسول الله ﷺ قالت عائشة: فحضره رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر ، قالت: فوالذي نفس محمد بيده إني لأعرف بكاء عمر من بكاء أبي بكر وأنا في حجري وكانوا كما قال الله عز وجل: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ قال علقمة فقلت: أي أمه ، فكيف كان رسول الله ﷺ يصنع؟ قالت: كانت عينه لا تدمع على أحد ، ولكنه كان إذا وجد فإنما هو آخذ بلحيته).

=

١٥٦ ـ قال ابن إسحاق ، فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله ﷺ ، فتواثبت الأوس ، فقالوا : يا رسول الله ، إنَّهم مَوَالينا دون الخزْرج ، وقد فعلت في موالِي الخزرج بالأمس ما قد علمت ـ وقد كان رسول الله ﷺ قبل بني قُريظة حاصر بني قَيْنُقاع ، وكانوا حلفاء الخزْرج ، فنزلوا على حكمه؛ فسأله إيَّاهم عبد الله بن أبيّ ابن سَلُول ، فوهبهم له . فلمّا كلّمه الأوْس قال رسول الله ﷺ : ألا ترضوْن يا معشرَ الأوْس أن يحكم فيهم رجل منكم! قالوا : بلى ، قال : فذاك إلى سَعْد بن معاذ ـ وكان سعد بن معاذ قد جعله رسول الله ﷺ في خَيْمة امرأة من أسلم يقال لها رُفَيْدة في مسجده ، كانت تُدَاوي الجرحى ، وتحتسب بنفسها على خدمة مَنْ كانت به ضَيْعة من المسلمين؛ وكان رسول الله ﷺ قد قال لقومه حين أصابه السَّهم بالخندق : اجعلوه في خيمة رُفَيْدة ، حتى أعودَه من قريب ـ فلما حكَّمه رسول الله ﷺ في بني قريظة ، أتاه قومُه ، فاحتملوه على حِمار قد وطَّؤوا له بوسادة من أدَمٍ ـ وكان رجلاً جسيماً ـ ثم أقبلوا معه إلى رسول الله ﷺ ، وهم يقولون : يا أبا عمرو ، أحْسِنْ في مواليك؛ فإنّ رسول الله ﷺ إنَّما ولاّك ذلك لتُحْسِن فيهم . فلما أكثروا عليه قال : قد أنى لسعد ألاّ تأخُذَه في الله لومة لائم . فرجع بعضُ مَنْ كان معه من قومه إلى دار بني عبد الأشهل ، فنعَى لهم رجال بني قُريظة قبل أن يصل إليهم سعد بن معاذ عن كلمته التي سمع منه[١] . (٢ : ٥٨٦/ ٥٨٧) .

١٥٧ ـ قال أبو جعفر : فلما انتهى سعْدٌ إلى رسول الله ﷺ والمسلمين ، قال رسول الله ﷺ ـ فيما حدّثنا ابنُ وكيع ، قال : حدّثنا محمد بن بشر ، قال : حدّثنا محمد بن عمرو ، قال : حدّثني أبي ، عن علقمة : في حديث ذكره ، قال : قال أبو سعيد الخُدرِيّ : فلما طلعَ ـ يعني سعداً ـ قال رسول الله ﷺ : قوموا إلى سيدكم ـ أو قال : إلى خيركم ـ فأنزلوه ، فقال رسول الله ﷺ : احكم فيهم ، قال : فإنّي أحكم فيهم أن تقتل مُقاتلتهم ، وأن تُسْبَى ذَرارِيُّهم ، وأن تُقْسَم أموالُهم .

= قال الهيثمي : في الصحيح بعضه . رواه أحمد وفيه محمد بن عمرو بن علقمة وهو حسن الحديث وبقية رجاله ثقات (مجمع الزوائد ٦/ ١٣٨) .

(١) ذكره الطبري هنا عن ابن إسحاق بلا إسناد ولأكثره ما يشهد له وقد ذكرنا بعض ذلك ونعود إلى الحديث عنه بعد التكملة .

فقال: لقد حكمْت فيهم بحكم الله وحكم رسوله[(١)]. (٢: ٥٨٧).

١٥٧/أ - رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق: وأمَّا ابن إسحاق فإنَّه قال في حديثه: فلما انتهى سعدٌ إلى رسول الله ﷺ والمسلمون؛ قال رسول الله ﷺ: قوموا إلى سيِّدكم، فقاموا إليه، فقالوا: يا أبا عمرو، إنّ رسول الله ﷺ قد ولّاك [أمر] مواليك لتحكم فيهم، فقال سعد: عليكم بذلك عهد الله وميثاقه أنّ الحكم فيها ما حكمت! قالوا: نعم، قال: وعلى من هاهنا؟ في النَّاحية التي فيها رسول الله ﷺ، وهو معرض عن رسول الله ﷺ إجلالاً له - فقال رسول الله ﷺ: نعم، قال سعْد: فإني أحكُم فيهم بأن تُقتَلَ الرّجال، وتُقسمَ الأموال، وتسبَى الذراريُّ والنساء[(٢)]. (٢: ٥٨٧/ ٥٨٨).

١٥٨ - حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلمة، قال: حدّثني محمد بن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ، عن علقمة بن وقّاص الليثيّ، قال: قال رسولُ الله ﷺ لسعد: لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرْقِعَة[(٣)]. (٢: ٥٨٨).

١٥٩ - قال ابنُ إسحاق: ثمّ استُنْزلوا، فحبسهم رسول الله ﷺ في دار ابنة الحارث، امرأة من بني النجّار، ثمّ خرجَ رسول الله ﷺ إلى سوق المدينة التي هي سوقها اليوم، فخندق بها خنادق، ثم بعث إليهم فضرب أعناقهم في تلك

---

(١) إسناده ضعيف والحديث صحيح.
فقد أخرج البخاري في صحيحه (كتاب المغازي/ باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة ومحاصرته إياهم/ ح ٣٠٤٣).
عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: نزل أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ فأرسل النبي ﷺ إلى سعد فأتى على حمار فلما دنا من المسجد قال للأنصار: قوموا إلى سيدكم أو خيركم فقال: هؤلاء نزلوا على حكمك فقال: تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم قال: قضيت بحكم الله وربما قال: بحكم الملك، وأخرجه مسلم في (كتاب الجهاد/ ح ١٧٦٨) وغيرهما.

(٢) تكملة (١٥٦): إسناده ضعيف والحديث صحيح كما سبق أن ذكرنا.

(٣) إسناده ضعيف وقد أخرجه ابن هشام في السيرة (٢/ ١٩٧) عن علقمة بن وقاص الليثي وإسناده مرسل ولكن الحديث صحيح كما ذكرنا ولم ترد عند البخاري ومسلم وغيرهما زيادة (من فوق سبعة أرقعة) والله أعلم.

الخنادق؛ يُخرَج بهم إليه أرْسَالاً؛ وفيهم عدوّ الله حُيَيُّ بن أخطب، وكعب بن أسد؛ رأس القوم، وهم ستمئة أو سبعمئة؛ المكثِّرُ لهم يقول: كانوا من الثمانمئة إلى التسعمئة. وقد قالوا لكعب بن أسد - وهم يُذْهَب بهم إلى رسول الله ﷺ أرسَالاً -: يا كعب، ما ترى ما يصنع بنا! فقال كعب: في كلّ موطن لا تعقلون: ألا تروْن الداعي لا ينزع، وأنّه من ذُهِبَ به منكم لا يرجع، هو والله القتل! فلم يزل ذلك الدّأبُ حتى فرغ منهم رسول الله ﷺ، وَأتِيَ بِحُيَيّ بن أخطب عدوّ الله وعليه حلَّة لَه فقّاحِيّة قد شقَّقها عليه من كلّ ناحية كموضع الأنملة، أنملة أنملة لئلا يُسْلبَها، مجموعة يداه إلى عنقه بحبل، فلمّا نظر إلى رسول الله ﷺ، قال: أما والله ما لمْتُ نفسي في عداوتك؛ ولكنه من يَخْذُلِ الله يُخْذَل.

ثم أقبل على الناس، فقال: أيها الناس، إنّه لا بأس بأمر الله، كتاب الله وقَدَرُه، وملحمةٌ قد كتبت على بني إسرائيل، ثم جلس فضُربت عنقه، فقال جبل بن جَوّال الثعلبيّ:

لعَمْـرُك مَـا لامَ ابْـنُ أَخْطَـبَ نَفْسَـهُ ... ولكنـــه مَـــنْ يَخْـــذُل اللهَ يُخْـــذَلِ
لَجَـاهَـدَ حتـى أَبْلَـغَ النَّفْس عُـذْرَهَـا ... وقَلْقَـلَ يَبْغِـي العِـزَّ كـلَّ مُقَلْقَـلِ[1]

(٢: ٥٨٨/٥٨٩).

١٦٠ - حدّثنا ابنُ حُميد، قال: حدّثنا سلمة، قال: حدّثني محمد بن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير، عن عائشة، قالت: لم يُقتل من نسائهم إلا امرأة واحدة قالت: والله إنها لعندي تحدَّثُ معي، وتضحك ظهراً وبطناً، ورسولُ الله ﷺ يقتلُ رجالهم بالسوق؛ إذ هتف هاتفٌ باسمها: أين فُلانة؟ قالت: أنا والله. قالت: قلت: ويلك مالك! قالت: أُقتَل! قلت: ولِمَ؟ قالت: حَدَثٌ أحدثتُه. قالت: فانطُلِقَ بها فضُربت عنقُها. فكانت

---

(١) ذكر الطبري هذه الرواية عن ابن إسحاق بلا إسناد. وأخرج الطبراني حديثاً وفيه: (فأخرجوا رسلاً رسلاً فضربت أعناقهم وأخرج حيي بن أخطب فقال رسول الله ﷺ: هل أخزاك الله قال: قد ظهرت عليّ وما ألوم نفسي فيك، فأمر به رسول الله ﷺ فأخرج إلى أحجار الزيت التي بالسوق فضربت عنقه... إلى آخر الحديث).
وقال الهيثمي: رواه الطبراني مرسلاً وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن وفيه ضعف (مجمع الزوئد ٦/١٣٩).

عائشة تقول: ما أنْسَى عجبنا منها، طيبَ نفس وكثرة ضحك، وقد عرفَتْ أنها تُقْتَل[(١)]. (٢: ٥٨٩).

١٦١ ـ فلما انقضىٰ شأن بني قريظة انفجر جُرْحُ سعد بن معاذ، وذلك أنه دعا ـ كما حدّثني ابن وكيع، قال: حدّثنا ابن بشر، قال: حدّثنا محمد بن عمرو؛ قال: حدّثني أبي، عن علقمة، في خبر ذكره عن عائشة: ثم دعا سعد بن معاذ ـ يعني بعد أن حكم في بني قريظة ما حكم ـ فقال: اللهمّ إنَّك قد علمت أنَّه لم يكن قوم أحبَّ إليّ أن أقاتلَ أو أجاهد من قوم كذَّبوا رسولك. اللهمّ إن كنتَ أبقيت من حرب قريش على رسولك شيئاً فأبقني لها، وإن كنتَ قد قطعت الحرب بينه وبينهم فاقبضني إليك. فانفجر كَلْمُه، فَرَجَعَه رسول الله ﷺ إلى خيمته التي ضربت عليه في المسجد. قالت عائشة: فحضره رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمر، فوالَّذي نفس محمد بيده؛ إني لأعرف بكاء أبي بكر من بكاء عمر وإني لفي حُجرتي. قالت: وكانوا كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾.

قال علقمة: أي أمَّهْ! كيف كان يصنع رسول الله ﷺ؟ قالت: كانت عينه

(١) إسناده ضعيف وأخرجه ابن هشام في السيرة من طريق ابن إسحاق وقد صرّح بالتحديث فإسناده حسن (وقد حدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة عن عائشة رضي الله عنها).
والحديث أخرجه أحمد في مسنده (٦/ ٢٧٧) وأخرجه الحاكم في المستدرك من طريق ابن إسحاق هذا ولفظه:
(ما قتل رسول الله ﷺ امرأة قط من بني قريظة إلا امرأة واحدة والله إنها لعندي تضحك ظهراً لبطن وأن رسول الله ﷺ ليقتل رجالهم بالسيوف إذ يقول هاتف باسمها أين فلانة قالت: أنا والله قلت: فويلك مالك. فقالت: أقتل والله، قلت: ولم؟ قالت: لحدث أحدثته فانطلق بها فضرب عنقها فما أنسى عجباً منها طيبة نفسها وكثرة ضحكها وقد عرفت أنها تقتل).
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه (المستدرك مع التلخيص ٣/ ٣٦).
ذكر الرواية (٢/ ٥٩١/ ٢٣٠) في قسم الضعيف فقد ذكره الطبري من قول ابن إسحاق بلاغاً.
ولم نجد لهذه التفاصيل متابعاً أو شاهداً والذي في الصحيح أنه ﷺ فعل ذلك في خيبر كما جاء في (صحيح البخاري/ كتاب المغازي/ ح ٤٢٢٨) عن ابن عمر رضي الله عنهما: (قسم رسول الله يوم خيبر للفرس سهمين وللرجل سهماً. . . الحديث).

لا تَدْمَعُ على أحدٍ؛ ولكنّه كان إذا اشتدّ وَجْدُه على أحد ، أو إذا وَجَد فإنما هو آخذٌ بلحيته[١] . (٢ : ٥٩٢/ ٥٩٣) .

ولمّا انصرف رسول الله ﷺ عن الخندق ، قال: الآن نَغْزوهم ـ يعني قريشاً ـ ولا يغزوننا ، فكان كذلك حتى فتح الله تعالى على رسوله ﷺ مكّة[٢] . (٢ : ٥٩٣) .

١٦٢ ـ واختلف في وقت غزوة النبيّ ﷺ بني المصطلق؛ وهي الغزوة التي يقال لها غزوة المُرَيْسيع ـ والمريسيع : اسم ماء من مياه خُزاعة بناحية قديد إلى الساحل ـ فقال : ابن إسحاق ـ فيما حدّثنا ابن حميد ، قال: حدّثنا سلمة ، عنه ، أنّ رسول الله ﷺ غزا بني المصطلِق من خُزَاعة ، في شعبان سنة ست من الهجرة[٣] . (٢ : ٥٩٣/ ٥٩٤) .

ذكر الأحداث التي كانت في سنة ست من الهجرة

غزوة بني لِحيان

١٦٣ ـ قال أبو جعفر : وخرج رسول الله ﷺ في جُمادى الأولى على رأس ستّة أشهر من فتح بني قُريظة إلى بني لِحيان ، يطلب بأصحاب الرّجيع؛ خُبَيب بن عديّ وأصحابه؛ وأظهر أنه يريد الشأم ليصيب من القوم غِرَّةً . فخرج من المدينة ، فسلك على غُراب (جبل بناحية المدينة على طريقه إلى الشأم) ثم على مَخِيض ،

(١) إسناده ضعيف ولكن له متابع عند أحمد كما سنذكر عند الرواية (٣٨٠) فهو جزء من حديث طويل عن عائشة رضي الله عنها وقال الهيثمي بعد سرده للرواية: في الصحيح بعضه رواه أحمد وفيه محمد بن عمرو بن علقمة وهو حسن الحديث وبقية رجاله ثقات .
(المجمع ٦/ ١٣٨).

(٢) ذكر الطبري هذا الحديث المتعلق بغزوة الخندق ضمن حديثه عن غزوة بني قريظة ولعله ذكره عن ابن إسحاق بلاغاً (أي تابعاً للرواية التي قبلها (٢/ ٥٩٣/ ٢٣٢).
وأما الحديث المرفوع فصحيح كما أخرج البخاري في صحيحه (كتاب المغازي/ غزوة الخندق) من حديث سليمان بن صرد رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ يوم الأحزاب: (نغزوهم ولا يغزونا) (مختصر صحيح البخاري / ح ١٥٥١) تحقيق الدكتور البغا .

(٣) لقد تحدثت روايات الطبري التأريخية عن هذه الغزوة ضمن أحداث السنة السادسة للهجرة كما سيأتي .

ثم على التَّراء؛ ثم صفَّق ذات اليسار، ثم على يَيْن، ثم على صُخَيْرات اليمام، ثم استقام به الطريق على المحجَّة من طريق مكة، فأغَذَّ السير سريعاً؛ حتى نزل على غُرَان؛ وهي منازل بني لحيان ـ وغُرَان وادٍ بين أمَج وعُسْفان ـ إلى بلد يقال له ساية، فوجدهم قد حذِرُوا وتمنَّعوا في رؤوس الجبال، فلمّا نزَلها رسول الله ﷺ وأخطأه من غرّتهم ما أراد، قال: لو أنَّا هبطنا عُسفان لرأى أهل مكَّة أنَّا قد جئنا مكَّة. فخرج في مئتي راكب من أصحابه حتى نزل عُسفان، ثم بعث فارسيْن من أصحابه؛ حتى بلغا كُرَاع الغَمِيم، ثم كَرَّا وراح قافلاً.

حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلمة، قال: حدّثني ابنُ إسحاق. قال: والحديث في غزوة بني لحيان ـ عن عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر، عن عبيد الله بن كعب[1]. (٢ : ٥٩٥).

---

(١) إسناده ضعيف ولقد جاء ذكر هذه الغزوة في عدة روايات منها الصحيحة ومنها الضعيفة.
فقد أخرج أبو داود في سننه (صلاة الخوف/ح ١٢٣٦) عن أبي عياش الزرقي قال: كنا مع رسول الله ﷺ بعسفان فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد... الحديث، وفي آخره: فصلاها رسول الله ﷺ مرتين، مرة بأرض عسفان ومرة بأرض بني سليم. والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٣٣٨) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وأقره الذهبي.
وأخرج أحمد في مسنده (٢/ ٥٢٢) والترمذي في سننه (ح ٣٠٣٨) من طريق عبد الله بن شقيق حدثنا أبو هريرة أن رسول الله ﷺ نزل بين ضجنان وعسفان فقال المشركون: إن لهؤلاء صلاة هي أحب إليهم حتى من أبنائهم وأبكارهم وهي العصر... الحديث).
وقال الترمذي: حسن صحيح وعقب الحافظ ابن كثير على هذه الروايةقائلاً: إن كان أبو هريرة شهد هذا فهو بعد خيبر وإلا فهو من مرسلات الصحابي ولا يضر ذلك عند الجمهور والله أعلم.
وأخرج مسلم في صحيحه (صلاة المسافرين ح ٣٠٧) عن جابر رضي الله عنه قال: (غزونا مع رسول الله ﷺ قوماً من جهينة فقاتلوا قتالاً شديداً فلما أن صلى الظهر قال المشركون لو ملنا عليهم ميلة لاقتطعناهم وأخبر جبريل رسول الله ﷺ بذلك وذكر لنا رسول الله ﷺ قال: وقالوا إنه ستأتيهم صلاة هي أحب إليهم من الأولاد... إلخ الحديث).
وقال الحافظ ابن كثير معقباً على الحديث قائلاً: ولم يذكر في سياق حديث جابر عند مسلم ولا عند أبي داود الطيالسي أمر عسفان ولا خالد بن الوليد لكن الظاهر أنها واحدة (البداية والنهاية ٣/ ٢٢٧ طبعة دار الفكر).
وأخرج البيهقي في الدلائل (٣/ ٣٦٥) حديثاً في غزوة بني لحيان ولكن بسند معضل والله =

غــزوة ذي قَـــرَد

١٦٤ ـ حدّثنا ابنُ حُميد، قال: حدّثنا سَلمة، قال: حدّثني محمد بن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر ومَنْ لا أتَّهم، عن عُبيد الله بن كعب بن مالك، كلٌّ قد حَدَّثَ في غزوة ذي قَرَد بعض الحديث، أنه أوّل من نَذِرَ بهم سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلميّ، غدا يريد الغابة متوشحاً قوسه ونَبْله، ومعه غلام لطلحة بن عبد الله[1]. (٢: ٥٩٦).

وأما الرّواية عن سلَمة بن الأكوع بهذه الغزوة من رسول الله ﷺ بعد مقدَمه المدينة، منصرفاً من مكة عام الحديبية، فإن كان ذلك صحيحاً، فينبغي أن يكون ما رُوِي عن سلمة بن الأكوع كان إمّا في ذي الحجَّة من سنة ستّ من الهجرة، وإمَّا في أول سنة سبع، وذلك أنّ انصراف رسول الله ﷺ من مكَّة إلى المدينة عام الحديبَيَة كان في ذي الحجَّة من سنة ستّ من الهجرة، وبين الوقت

= أعلم. وأخرج ابن هشام من طريق ابن إسحاق عن عبد الله بن كعب بن مالك منقطعاً والله أعلم (٣/ ٢١٧).

وأخرج ابن سعد في الطبقات الكبرىٰ (٢/ ٢٨٩) قال: أخبرنا عبد الله بن إدريس عن محمد بن إسحاق حدثني عاصم بن عمر وعبد الله بن أبي بكر أن رسول الله ﷺ خرج في غزوة بني لحيان وأظهر أنه يريد الشام ليصيب منهم غرة... إلخ الرواية.

وهذا إسناد منقطع.

وأخرج ابن سعد في طبقاته: أخبرنا روح بن عبادة أخبرنا حسين المعلّم عن يحيىٰ بن أبي كثير عن أبي سعيد مولى المهدي عن أبي سعيد الخدري قال: بعث رسول الله ﷺ بعثاً إلى بني لحيان من هذيل وقال: لينبعث من كل رجلين أحدهما والآخر بينهما (الطبقات الكبرى ٢/ ٢٨٩/ طبعة دار إحياء التراث).

وأخرج ابن سعد: أخبرنا إسماعيل بن عبد الكريم الصنعاني، حدثني إبراهيم بن عقيل بن معقل عن أبيه عن وهب قال أخبرني جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله ﷺ يقول أول ما غزا عُسفان ثم رجع: آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون. (الطبقات ٢/ ٢٨٩).

(١) هذا إسناد ضعيف ولكن حديث سلمة بن الأكوع في غزوة ذي قرد صحيح كما سيأتي بعد الرواية التالية.

الذي وقّته ابن إسحاق لغزوة ذي قرَد والوقت الَّذِي رُوي عن سلمة بن الأكوع قريب من ستة أشهر[1]. (٢: ٥٩٦).

١٦٥ ـ حدّثنا حديث سلَمة بن الأكوع الحسنُ بن يحيى، قال: حدّثنا أبو عامر العَقَدِيّ، قال: حدّثنا عِكْرمة بن عَمّار اليماميّ، عن إياس بن سلَمة، عن أبيه، قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ إلى المدينة ـ يعني بعد صلْح الحديْبيَة ـ فبعث رسول الله ﷺ بظهره مع رباح غلام رسول الله، وخرجتُ معه بفرس لطلحة بن عبيد الله. فلمّا أصبحنا إذا عبد الرحمن بن عُيَيْنة قد أغار على ظَهْر رسول الله ﷺ، فاستاقه أجمع، وقتل راعيه. قلت: يا رَباح؛ خذ هذا الفرس وأبلغْه طلحة. وأخبرْ رسول الله أنّ المشركين قد أغاروا على سَرْحِه. ثم قمت على أكَمة فاستقبلت المدينة، فناديت ثلاث أصوات: يا صَبَاحاه! ثم خرجت في آثار القوم أرميهم بالنَّبْل، وأرتجز وأقول: «أنا ابن الأكوع، واليوم يوم الرضّع».

قال: فوالله ما زلتُ أرميهم وأعقِر بهم، فإذا رجع إليّ فارس منهم أتيت شجرةً وقعدت في أصلها، فرميتُه فعقرْت به؛ وإذا تضايق الجبل فدخلوا في مُتَضايَق علوْت الجَبل، ثم أرَدّيهم بالحجارة؛ فوالله ما زلت كذلك حتى ما خلَقَ الله بعيراً من ظهرْ رسول الله ﷺ إلاّ جعلته وراء ظَهْري، وَخَلّوْا بيني وبينه وحتَّى ألقوْا أكثر من ثلاثين رُمحاً وثلاثين بُرْدةً، يستخفُّون بها لا يُلْقُون شيئاً إلاّ جعلت عليه آراماً حتَّى يعرفه رسول الله ﷺ وأصحابه، حتى إذا انتهَوْا إلى متضايق من ثنيَّة وإذا هم قد أتاهم عُيَيْنة بن حِصْن بن بدر مُمِدّاً، فقعدوا يَتَضَحّوْن، وقعدت على قَرْن فوقهم، فنظر عيينة، فقال: ما الذي أرى؟ قالوا: لقينا من هذا البَرْح، لا والله ما فارقنا هذا منذ غلَس، يرمينا حتى استنقذ كلّ شيء في أيدينا.

قال: فليقُمْ إليه منكم أربعة. فعمَد إليَّ أربعة منهم. فلمَّا أمكنوني من الكلام، قلت: أتعرفوني؟ قالوا: مَنْ أنت؟ قلت: سلَمة بن الأكوع؛ والذي كرَّم وَجْهَ محمد لا أطلبُ أحداً منكم إلاّ أدركته، ولا يطلبني رجل منكم فيدركني، قال أحدهم: أنا أظنّ، قال: فرجعوا فما برحت مكاني ذاك حتى نظرت إلى

---

(١) صحيح.
قلنا: والأرجح أنها وقعت قبل خيبر بثلاث ليال كما نصت على ذلك الرواية عند مسلم كما سيأتي.

فوارس رسول الله ﷺ يتخلَّلون الشجر؛ أوّلهم الأخْرَم الأسديّ ، وعلى إثْره أبو قَتادة الأنصاريّ ، وعلى إثْره المِقْداد بن الأسود الكِنديّ ، فأخذت بعِنان فرس الأخْرم ، [فولّوا مدبرين] ، فقلت: يا أخرم؛ إنّ القوم قليل ، فاحذرهم لا يقتطعوك حتى يلحقَ بنا رسولُ الله وأصحابه. فقال: يا سلمة ، إن كنتَ تؤمن بالله واليوم الآخر ، وتعلم أنّ الجنة حقّ والنار حقّ ، فلا تحُلْ بيني وبين الشهادة. قال: فخلَّيتُه ، فالتقى هو وعبد الرحمن بنُ عُيَينة ، فعقر الأخرم بعبد الرحمن فرسه ، فطعنه عبدُ الرحمن فقتله ، وتحوّل عبد الرحمن على فرسه ، ولحِقَ أبو قَتادة عبد الرحمن فطعنه وقتله ، وعقَرَ عبد الرحمن بأبي قتادة فرسه ، وتحوّل أبو قتادة على فرس الأخرم؛ فانطلقوا هاربين.

قال سلمة: فوالذي كَرَّم وجه محمد ، لَتبعتُهم أعْدُو على رجليّ؛ حتى ما أرى ورائي من أصحاب محمد ﷺ ولا غبارهم شيئاً.

قال: ويعدِلُون قبل غروب الشمس إلى شِعْب فيه ماء يقال له ذو قَرَد يشربون منه وهم عِطَاش؛ فنظروا إليّ أعدو في آثارهم ، فَحلَّيْتُهم عنه فما ذاقوا منه قطرة.

قال: ويُسندون في ثنيّة ذي أثير ، ويعطف عليّ واحدٌ فأرْشُقه بسهم فيقع في نُغْض كتفه ، فقلت:

خُـــذهـــا وأنـــا ابـــنُ الأكـــوع واليـــومُ يـــومُ الـــرُّضَّـــع

فقال: أكْوَعِي غُدْوَةً! قلت: نعم يا عدّو نفسه؛ وإذا فَرَسان على الثنيَّة ، فجئت بهما أقودُهما إلى رسول الله ، ولحِقني عامر عميّ بعدما أظلمت بسَطيحة فيها مِذْقَة من لبن ، وسطيحة فيها ماء ، فتوضّأتُ وصلّيت وشربت ، ثمّ جئت إلى رسول الله ﷺ وهو على الماء الذي حلّيْتُهم عنه ، عند ذي قَرَد ، وإذا رسول الله قدَ أخذ تلك الإبل التي استنقذتُ من العدوّ ، وكلّ رُمح ، وكلّ بُردة؛ وإذا بلال قد نَحرَ ناقة من الإبل التي استنقَذت من العدوّ ، فهو يشوي لرسول الله ﷺ من كَبِدها وَسَنامها ، فقلت: يا رسولَ الله؛ خلِّني فلأنتخِب مئةَ رجل من القوم ، فأتَّبعُ القوم فلا يبقى منهم عين ، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدا ـ وقد بانت ـ نواجذُه. [في ضوء النار]. ثم قال: أكنتَ فاعلاً! فقلتُ: إي والّذي أكرمك!

فلمّا أصبحنا قال رسول الله ﷺ : إنّهم ليُقرَّوْن بأرض غَطَفان. قال: فجاء رجلٌ من غَطَفان ، فقال: نحر لهم فلان جَزوراً ، فلمَّا كشطوا عنها جلدها رأوْا

غُباراً؛ فقالوا: أتيتمْ! فخرجوا هاربين ، فلمَّا أصبحنا قال رسول الله ﷺ : خير فُرْسانِنا اليوم أبو قتادة ، وخير رَجّالتنا سَلمة بن الأكْوع ، ثمَّ أعطانِي رسول الله ﷺ [سهمين] سهم الفارس ، وسهْم الراجل؛ [فجمعهما لي جميعاً] ، ثم أردفنِي رسولُ الله وراءه على العَضباء؛ [راجعين إلى المدينة]. فبينما نحن نسير؛ وكان رجل من الأنصار لا يُسْبَق شَدّاً فجعل يقول: ألا من مسابق! فقال ذاك مِرَاراً؛ فلمّا سمعتُه قلتُ: أما تُكرم كريماً ولا تهاب شريفاً! فقال: لا ، إلاّ أن يكون رسول الله ، فقلت: يا رسولَ الله ، بأبي أنتَ وأمي! ائذَنْ لي فلأسابق الرجل! قال: إن شئت، قال: فطفرت فعدوتُ، فربطتُ شَرَفاً أو شرفيْن فألحقه وأصكُّه بين كتفيْه، فقلت: سبقتك والله! فقال: إنّي أظنّ ، فسبقته إلى المدينة ، فلم نمكث بها إلا ثلاثاً حتى خرجنا إلى خَيْبر(١) . (٢: ٥٩٦/ ٥٩٧/ ٥٩٨/ ٥٩٩/ ٦٠٠) .

---

(١) هذا إسناد حسن صحيح ، والحديث أخرجه مسلم في صحيحه مع اختلاف في الألفاظ (صحيح مسلم/ الجهاد/ ح ١٨٠٧).
وفي آخره: (فرجعنا أي من الغزوة إلى المدينة فوالله ما لبثنا بالمدينة إلا ثلاث ليالٍ حتى خرجنا إلى خيبر).
والحديث أخرجه البخاري مختصراً جداً فقد بوّب البخاري للغزوة في صحيحه قائلاً: (غزوة ذات القرد وهي الغزوة التي أغاروا على لقاح النبي ﷺ قبل خيبر بثلاث).
ثم أخرج البخاري من طريق يزيد بن أبي عبيد قال: سمعت سلمة بن الأكوع يقول: خرجت قبل أن يؤذن في الأولى وكانت لقاح رسول الله ﷺ ترعى بذي قرد قال: فلقيني غلام لعبد الرحمن ابن عوف فقال: أخذت لقاح رسول الله ﷺ . قلت: من أخذها قال: غطفان قال: فصرخت ثلاث صرخات: يا صباحاه قال: فأسمعت ما بين لابتي المدينة ثم اندفعت على وجهي حتى أدركتهم وقد أخذوا يستقون من الماء فجعلت أرميهم بنبلي وكنت رامياً وأقول أنا ابن الأكوع اليوم يوم الرضع. وأرتجزُ حتى استنفذت اللقاح منهم واستلبت منهم ثلاثين بردة قال: وجاء النبي ﷺ والناس فقلت: يا نبي الله قد حميت القوم الماء وهم عطاش فابعث إليهم الساعة فقال: يا بن الأكوع ملكت فاسجح قال: ثم رجعنا ويردفني رسول الله ﷺ على ناقته حتى دخلنا المدينة.
وسنذكر هنا جزءاً من حديث مسلم فيما يتعلق بهذه المسألة:
ثم قدمنا المدينة فبعث رسول الله ﷺ بظهره مع رباح غلام رسول الله ﷺ وأنا معه ، وخرجت معه بفرس طلحة أنديه مع الظهر ، فلما أصبحنا إذا عبد الرحمن الفزاري قد أغار على ظهر رسول الله ﷺ ، فاستاقه أجمع ، وقتل راعيه قال: فقلت: يا رباح خذ هذا الفرس فأبلغه طلحة بن عبيد الله ، وأخبر رسول الله ﷺ أن المشركين قد أغاروا على سرحه قال: ثم قمت=

على أكمة فاستقبلت المدينة. فناديت ثلاثاً: يا صباحاه. ثم خرجت في آثار القوم أرميهم بالنبل وأرتجز أقول:

أنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع

فألحق رجلاً منهم فأصك سهماً في رحله، حتى خلص السهم إلى كتفه قال: قلت:

خذها وأنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع

قال: فوالله ما زلت أرميهم وأعقر بهم. فإذا رجع إلي فارس أتيت شجرة فجلست في أصلها ثم رميته فعقرت به. حتى إذا تضايق الجبل فدخلوا في تضايقه. علوت الجبل فجعلت أرديهم بالحجارة. قال: فما زلت كذلك أتبعهم حتى ما خلق الله من بعير من ظهر رسول الله ﷺ إلا خلفته وراء ظهري، وخلوا بيني وبينه، ثم اتبعتهم أرميهم، حتى ألقوا أكثر من ثلاثين بردة وثلاثين رمحاً، يستخفون ولا يطرحون شيئاً إلا جعلت عليه أراماً من الحجارة، يعرفها رسول الله ﷺ وأصحابه.

حتى أتوا متضايقاً من ثنية فإذا هم قد أتاهم فلان بن بدر الفزاري فجلسوا يتضحون (يعني يتغذّون) وجلست على رأس قرن فقال الفزاري: ما هذا الذي أرىٰ؟ قالوا: لقينا من هذا البرح. والله ما فارقنا منذ غلس يرمينا حتى انتزع كل شيء في أيدينا.

قال: فليقم إليه نفر منكم. أربعة. قال: فصعد إليّ منهم أربعة في الجبل قال: فلما أمكنوني من الكلام. قال: قلت: هل تعرفوني؟ قالوا: لا. ومن أنت؟ قال: قلت: أنا سلمة بن الأكوع والذي كرم وجه محمد ﷺ لا أطلب رجلاً منكم إلا أدركته. ولا يطلبني رجل منكم فيدركني. قال أحدهم: أنا أظن. قال: فرجعوا فما برحت مكاني حتى رأيت فوارس رسول الله ﷺ يتخللون الشجر.

قال: فإذا أولهم الأخرم الأسدي، على إثره أبو قتادة الأنصاري وعلى إثره المقداد بن الأسود الكندي قال: فأخذت بعنان الأخرم قال: فولوا مدبرين.

قلت: يا أخرم!! احذرهم، لا يقتطعون حتى يلحق رسول الله ﷺ وأصحابه.

قال: يا سلمة! إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر وتعلم أن الجنة حق والنار حق فلا تحل بيني وبين الشهادة قال: فخليته، فالتقى هو وعبد الرحمن قال: فعقر بعبد الرحمن فرسه، وطعنه عبد الرحمن فقتله وتحول على فرسه، ولحق أبو قتادة فارس رسول الله ﷺ بعبد الرحمن فطعنه فقتله. فوالذي كرم وجه محمد ﷺ لتبعتهم أعدو على رجلي، حتى ما أرىٰ ورائي من أصحاب محمد ﷺ ولا غبارهم شيئاً حتى يعدلوا قبل غروب الشمس إلى شعب فيه ماء يقال له: ذو قرد، ليشربوا منه وهم عطاش، قال: فنظروا إلي أعدو وراءهم فحليتهم عنه (يعني أجليتهم عنه) فما ذاقوا منه قطرة.

قال: ويخرجون فيشتدون في ثنية. قال: فأعدو فألحق رجلاً منهم، فأصكه بسهم في نغض كتفه، قال: قلت: خذها وأنا ابن الأكوع، واليوم يوم الرضع.

١٦٦ ـ حدثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سلَمة ، قال: وحدّثني محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، أنَّ أوّل فارسٍ لحِقَ بالقوم مُحرز بن نَضْلة ، أخو بني أسد بن خزيمة ـ ويقال لمحرز: الأخْرَم ، ويقال له: قمير ـ وأنَّ الفزع لما كان ، جالَ فرسٌ لمحمود بن مسلمة في الحائط حين سمع صاهلة الخيل ، وكان فرساً صَنِيعاً جامّاً ، فقال نساءٌ من نساء بني عبد الأشهل حين رأين الفرس يجول في الحائط بجذْع من نخل هو مربوط به: يا قُمَير ، هل لك في أن تركبَ هذا الفرس ـ فإنّه كما ترى ـ ثمّ تلحق برسول الله ﷺ وبالمسلمين! قال:

= قال: يا ثكلته أمه! أكوعه بكرة. قال: قلت: نعم يا عدو نفسه! أكوعك بكرة. قال: وأردوا فرسين على ثنية. قال: فجئت بهما أسوقهما إلى رسول الله ﷺ. وقال: ولحقني عامر بسطيحة فيها مذقة من لبن وسطيحة فيها ماء ، فتوضأت وشربت.

ثم أتيت رسول الله ﷺ وهو على الماء الذي حلأتهم عنه فإذا رسول الله ﷺ قد أخذ تلك الإبل ، وكل شيء استنقذته من المشركين ، وكل رمح وبردة ، وإذا بلال نحر ناقة من الإبل الذي استنقذت من القوم وإذا هو يشوي لرسول الله ﷺ من كبدها وسنامها قال: قلت: يا رسول الله! خلني فأنتخب من القوم مئة رجل فأتبع القوم ، فلا يبقى منهم مخبر إلا قتلته.

قال: فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه في ضوء النار فقال: (يا سلمة أتراك كنت فاعلاً؟) قلت: نعم. والذي أكرمك! فقال: (إنهم الآن ليقرون في أرض غطفان) قال: فجاء رجل من غطفان فقال: نحر فلان جزوراً فلما كشفوا جلدها رأوا غباراً. فقالوا: أتاكم القوم. فخرجوا هاربين فلما أصبحنا قال رسول الله ﷺ: (كان خير فرساننا اليوم أبو قتادة ، وخير رجالتنا سلمة).

قال: ثم أعطاني رسول الله ﷺ سهمين ، سهم الفارس وسهم الراجل فجمعهما لي جميعاً ثم أردفني رسول الله ﷺ وراءه على العضباء راجعين إلى المدينة.

قال: فبينما نحن نسير قال: وكان رجل من الأنصار لا يسبق شداً. قال: فجعل يقول: ألا مسابق إلى المدينة؟ هل من مسابق؟ فجعل يعيد ذلك قال: فلما سمعت كلامه قلت: أما تكرم كريماً ولا تهاب شريفاً؟ قال: لا. إلا أن يكون رسول الله ﷺ. قال: قلت: يا رسول الله بأبي وأمي ! ذرني فلأسابق الرجل. قال: (إن شئت) قال: قلت: أذهب إليك. وثنيت رجلي فطفرت فعدوت. قال: فربطت عليه شرفاً أو شرفين أستبقي نفسي ، ثم عدوت في إثره ، فربطت عليه شرفاً أو شرفين ، ثم إني رفعت حتى ألحقه ، قال: فأصكه بين كتفيه. قال: قلت: قد سبقت والله! قال: أنا أظن. قال فسبقته إلى المدينة.

(صحيح مسلم/ الجهاد ـ باب غزوة ذي قرد/ ح ١٨٠٧).

والحديث أخرجه البيهقي في الدلائل (٤/ ١٨٢) وابن سعد في طبقاته الكبرىٰ (٢/ ٨٢) وغيرهم والله أعلم.

نعم ، فأعطنيه إياه ، فخرج عليه ، فلم يَنْشَبْ أن بَذّ الخيل بِجَمامه حتى أدرك القوم ، فوقف لهم بين أيديهم ، ثم قال: قفوا معشرَ اللكيعَة حتى يلحق بكم مَنْ وراءكم من أدباركم من المهاجرين والأنصار.

قال: وحَمَل عليه رجُلٌ منهم فقَتله ، وجال الفرس فلم يقدروا عليه؛ حتى وقف على أريَّـةٍ في بني عبد الأشهل ، فلم يقتل من المسلمين غيره ، وكان اسم فرس محمود ذا اللمّةِ[١] . (٢ : ٦٠٢) .

---

(١) إسناده إلى ابن إسحاق ضعيف وقد ذكره ابن إسحاق منقطعاً ولكن أخرج مسلم في صحيحه حديثاً طويلاً عن سلمة بن الأكوع ذكرناه في بداية هذه الغزوة وفيه تفاصيل مقتل الأخرم وسنذكر هنا الجزء المتعلق بذلك ولفظه: (فما برحت مكاني حتى رأيت فوارس رسول الله ﷺ يتخللون الشجر قال: فإذا أولهم الأخرم الأسدي على إثره أبو قتادة الأنصاري وعلى إثره المقداد بن الأسود الكندي قال: فأخذت بعنان الأخرم. قال: فولوا مدبرين قلت: يا أخرم احذرهم ، لا يقتطعونك حتى يلحق رسول الله ﷺ وأصحابه قال: يا سلمة: إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر وتعلم أن الجنة حق والنار حق ، فلا تحل بيني وبين الشهادة. قال: فخليته فالتقى هو وعبد الرحمن ، قال: فعقر بعبد الرحمن فرسه وطعنه عبد الرحمن فقتله وتحول على فرسه ولحق أبو قتادة فارس رسول الله ﷺ بعبد الرحمن فطعنه فقتله . . .).
(صحيح مسلم/ باب غزوة ذي قرد/ح ١٨٠٧).

(غزوة بني المصطلق)

لقد ذكرنا الرواية المطولة (٢٣٩) في قسم الضعيف وسنذكر هنا ما أخرجه أئمة الحديث في هذه الغزوة:

١ ـ أخرج البخاري في صحيحه (باب من ملك من العرب رقيقاً فوهب وباع/ح ٢٥٤١). أن ابن عوف قال: كتبت إلى نافع فكتب إليّ أن النبي ﷺ أغار على بني المصطلق وهم غارون وأنعامهم تسقى على الماء فقتل مقاتلتهم وسبىٰ ذراريهم وأصاب يومئذ جويرية حدثني به ابن عمر ، وكان في ذلك الجيش. ولفظ مسلم في صحيحه (عن ابن عون قال: كتبت إلى نافع أسأله عن الدعاء قبل القتال؟ قال: فكتب إليّ إنما كان ذلك في أول الإسلام قد أغار رسول الله ﷺ على بني المصطلق وهم غارون وأنعامهم تسقى على الماء فقتل مقاتلتهم وسبىٰ سبيهم ، وأصاب يومئذ قال: يحيىٰ أحسبه قال: جويرية أو البتة ابنة الحارث).
وحدثني هذا الحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وكان في ذلك الجيش. (صحيح مسلم/ باب جواز الإغارة على الكفار الذين بلغتهم دعوة الإسلام/ ح ١٧٣٠).
قلنا: وقد ذكرنا رواية الطبري المطولة في قسم الضعيف لضعف إسنادها ولمخالفة متنها لمتن الرواية المتفق عليها من أنهم كانوا غارين ولسنا نزعم أن ما ذهبنا إليه وهو اختيار جمهور العلماء سلفاً وخلفاً بل إن عدداً منهم لم يروا تعارضاً بين رواية ابن إسحاق ورواية الشيخين=

= ومنهم حافظ عصره الإمام ابن حجر والذي قال: ويحتمل أن يكون لما دهم المسلمون بني المصطلق وهم على الماء ثبتوا قليلاً وقاتلوا ولكن وقعت الغلبة عليهم. (الفتح ٧/ ٤٣١).
بينما يرىٰ الإمام ابن قيم الجوزية أن القتال لم يقع فذلك وهم مخالف لما في الصحيح واستدل بحديث الصحيحين (أغار رسول الله ﷺ على بني المصطلق وهم غارون) (وراجع زاد المعاد ٦/ ١٨٥).
ونرى صدىٰ هذا الاختلاف بين المعاصرين فالغزالي رحمه الله يستعيد الرواية الصحيحة التي تذكر حدوث الغزوة على حين غرة وإن كان لا يردها البتة ويذكر لها وجهاً من التأويل.
وحديث الصحيحين في هذا لا موضع له إلاّ أن يكون وصفاً لمرحلة ثانية من القتال بأن يكون أخذ القوم عن غرّة جاء بعدما وقعت الخصومة بينهم وبين المسلمين وأمسىٰ كلا الفريقين يُبيِّت للآخر ويستعد للنَّيل منه. (فقه السيرة/ ١١).
وتعليق المحدث الألباني على ما ذكره الغزالي من روايات ضعيفة في الغزوة تشير إلى أن الألباني رحمه الله ضعف رواية ابن إسحاق.
وأما المؤرخ المعاصر الأستاذ العمري فقد أشار إلى ضعف رواية ابن إسحاق التي رواها الطبري وابن هشام قائلاً (في الحاشية): من مراسيل ثلاثة من شيوخه الثقات ويعني شيوخ ابن إسحاق ولم يميز كلام بعضهم عن بعض بالتعدد بل جمع كلامهم وألف بينه. (السيرة النبوية الشريفة/ ٢/ ٤٠٧).
وقال العمري في الصفحة ذاتها: ورواية مسلم صريحة في أن الغارة وقعت دون إنذار لبني المصطلق لأنهم ممن بلغتهم دعوة الإسلام وقد كانوا يعتبرون في حرب مع المسلمين منذ اشتراكهم مع قريش في غزوة أحد، كما كانوا يجمعون الجموع لحرب المسلمين فبوغتوا واضطربوا ولم يتمكنوا من المقاومة قليلاً، بل إن رواية الصحيحين لا تشير إلى المقاومة ولكن ابن إسحاق ذكر وقوع قتال على ماء المريسيع ثم انهزم بنو المصطلق وقتل بعضهم وأخذ المسلمون أبناءهم ونساءهم وأموالهم فتمت قسمة ذلك بينهم (السيرة النبوية للعمري/ ٤٠٧).
قلنا: وتبويب الإمام النووي رحمه الله لصحيح مسلم يشير إلىٰ أن دعوة الإسلام بلغتهم قبل هذه الغزوة كما في (صحيح مسلم/ كتاب الجهاد/ باب جواز الإغارة على الكفار الذين بلغتهم دعوة الإسلام).
ولذلك فإن إعراض الغزالي عن رواية الصحيحين وسكون نفسه (كما قال هو) إلى رواية ابن جرير الضعيفة غير صحيح فروايات الشيخين لا تعارض بروايات تاريخية ضعيفة وما أتانا من حديث رسول الله ﷺ صحيحاً فعلى الرأس والعين. وكذلك الشيخ الفاضل إبراهيم العلي فإنه يرد على مقالة الغزالي تلك في السيرة ويناقش طويلاً في كتابه السيرة النبوية (٢٤٨ ـ ٢٤٩) ومع ذلك فإن الأستاذ العلي لا يرى تعارضاً بين رواية الصحيحين ورواية ابن إسحاق =

١٦٧ ـ حدّثنا أبو كُريب ، قال: حدّثنا يحيى بن آدم ، قال: حدّثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن زيد بن أرقم ، قال: خرجت مع عميّ في غَزاةٍ ، فسمعت عبد الله بن أبيّ ابن سلول يقول لأصحابه: ﴿لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ والله ، ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾؛ فذكرت ذلك لعميّ ، فذكره عميّ لرسول الله ﷺ ، فأرسل إليّ فحدّثته ، فأرسل إلى عبد الله وأصحابه ، فحلفوا ما قالوا؛ قال: فكذّبني رسول الله ﷺ وصدّقه ، فأصابني هَمٌّ لم يصبْني مثله قطّ ، فجلست في البيت ، فقال لي عميّ: ما أردتَ إلى أن كَذّبك رسولُ الله ومقتَك! قال: حتّى أنزل الله عزّ وجلّ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ ، قال: فبعث إليّ رسول الله ﷺ فقرأها ، ثم قال: إنّ الله صدّقك يا زيد[1]. (٢: ٦٠٧/٦٠٨).

١٦٨ ـ رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق. وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبيّ الذي كان من أمر أبيه. فحدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سلَمة قال: حدّثني محمد ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قَتادة؛ أنّ عبدَ الله بن عبد الله بن أبيّ ابن سَلول أتى رسول الله ﷺ ، فقال: يا رسولَ الله ، إنّه قد بلغني أنّك تريد قتلَ عبد الله بن

= مستشهداً بتوفيق الحافظ ابن حجر بينهما كما ذكرنا سابقاً والله أعلم. وأما هبوب ريح لموت كبير من المنافقين فقد أخرج مسلم في صحيحه (كتاب صفة المنافقين/ح ٢٧٨٢) عن جابر ابن عبد الله رضي الله عنه قال: قدم رسول الله ﷺ من سفر فلما كان قرب المدينة هاجت ريح شديدة تكاد أن تدفن الراكب ، فزعم أن رسول الله ﷺ قال: بعثت هذه الريح لموت منافق. فلما قدم المدينة فإذا منافق عظيم من المنافقين قد مات).

قلنا: ولم تذكر هذه الرواية غزوة بني المصطلق ولا رفاعة.

(١) حديث صحيح أخرجه البخاري في (صحيحه/ كتاب التفسير/ سورة المنافقين ح/ ٤٩٠٠) عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: كنت في غزاة فسمعت عبد الله بن أبي يقول: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله ولئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل فذكرت ذلك لعمي أو لعمر فذكره للنبي ﷺ فدعاني فحدثته فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أبي وأصحابه فحلفوا ما قالوا فكذبني رسول الله وصدقه فأصابني همّ لم يصبني مثله قط فجلست في البيت فقال لي عمي: ما أردت إلى أن كذبك رسول الله ﷺ ومقتك. فأنزل الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ فبعث إليّ النبي ﷺ فقرأ فقال: «إن الله قد صدقك يا زيد». والحديث أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب صفات المنافقين وأحكامهم/ح ٢٧٧٢) وأحمد في مسنده (٤/ ٣٦٩) وغيرهم.

أبيّ ـ فيما بلغني عنه ـ فإن كنت فاعلاً فمرْني به ، فأنا أحملُ إليك رأسه؛ فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجلٌ أبرّ بوالده منّي؛ وإنّي أخشى أن تأمرَ به غيري فيقتلَه ، فلا تدعْني نفسي أن أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبيّ يمشي في الناس فأقتلَه؛ فأقتلَ مؤمناً بكافر فأدخل النار ، فقال رسول الله ﷺ : بل نرفُق به ، ونحسِن صحبتَه ما بقيَ معنا. وجعل بعد ذلك إذا أحْدَثَ الحَدَثَ ، كان قومه هم الذين يعاتبونه ويأخذونه ، ويُعنِّفونه ويتوعَّدُونه ، فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب حين بلغه ذلك عنهم من شأنهم: كيف ترى يا عمر! أما والله لو قتلتهُ يومَ أمرْتَنِي بقتله ، لأرعِدَت له آنف لو أمرتُهَا اليوم بقتله لقتلتْه. قال: فقال عمر: قد والله علمتُ ، لأمرُ رسولِ الله أعظمُ بركة من أمري[(١)]. (٢ : ٦٠٨).

---

(١) إسناده ضعيف كما سبق ولكن لمتنه ما يشهد له وكالآتي:

١ ـ أما طلب عبد الله من رسول الله ﷺ أن يقتل والده فقد أخرجه البزار دون ذكره لغزوة بني المصطلق.

فقد أخرج البزار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: مرَّ رسول الله ﷺ بعبد الله بن أبي وهو في ظل أطم فقال: عبر علينا ابن أبي كبشة (يعني بذلك رسول الله) فقال له ابنه عبد الله بن عبد الله: يا رسول الله ، والذي أكرمك لئن شئت لأتيتك برأسه. فقال: (لا ولكن بر أباك وأحسن صحبته).

قال الهيثمي رواه البزار ورجاله ثقات (مجمع الزوائد ٩/ ٣١٨).

وفي رواية الترمذي في تفسير سورة المنافقين زيادة على ما في الصحيحين عن جابر ولفظه: (فقال له ابنه عبد الله بن عبد الله: والله لا تنفلت حتى تقرّ أنّك الذليل ورسول الله ﷺ العزيز ففعل) (سنن الترمذي/ح ٣٣١٥).

وقال أبو عيسىٰ: حسن صحيح ـ وأما ربط هذا الطلب وتوقيته بغزوة بني المصطلق فقد جاء من طرق مرسلة أو منقطعة متعددة المخارج وتشهد لبعضها البعض ويؤيدها أصل القصة من حديث أبي هريرة عند البزار وحديث الترمذي السابق في سننه وهذه الطرق كالآتي:

١ ـ طريق الطبري في تأريخه هذا وكذلك أخرجه ابن هشام في السيرة من حديث عاصم بن عمر بن قتادة.

٢ ـ طريق الحميدي في مسنده (٢/ ٥٢٠) حدثنا سفيان بن عيينة حدثنا أبو هارون المدني قال: قال عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول لأبيه والله لا تدخل المدينة أبداً حتى تقول: رسول الله ﷺ الأعز وأنا الأذل قال وجاء النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد أن تقتل أبي فوالذي بعثك بالحق ما تأملت وجهه قط هيبة له ولئن شئت أن آتيك برأسه لآتينك فإني أكره أن أرى قاتل أبي.

=

١٦٩ - حدثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سلَمة ، قال: حدّثني محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عُروة ، عن عائشة زوْج النبيّ ﷺ ، قالت: لما قسَمَ رسول الله ﷺ سبايا بني المصطلق ، وقعت جُوَيرية بنت الحارث في السهم لثابت بن قيس بن الشماس - أو لابن عمٍّ له - فكاتبتْه على نفسها - وكانت امرأة حُلْوَةٌ مُلّاحة ، لا يراها أَحَدٌ إلا أخذت بنفسه - فأتتْ رسول الله ﷺ

= ٣ - وأخرج الطبراني نحوه عن عروة بن الزبير مرسلاً. وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح (المجمع ٩/ ٣١٨).
وقال الحافظ ابن كثير في التفسير (٤/ ٣٧٢) وذكر عكرمة وابن زيد وغيرهما (أن الناس لما قفلوا راجعين إلى المدينة وقف عبد الله بن عبد الله هذا على باب المدينة واستل سيفه فجعل الناس يمرون عليه فلما جاء أبوه عبد الله بن أبي قال له ابنه: وراءك فقال: مالك ويلك؟ فقال: والله لا تجوز من هاهنا حتى يأذن لك رسول الله فإنه العزيز وأنت الذليل... إلخ الحديث).
وفي رواية للبزار أن عبد الله استأذن رسول الله في قتل أبيه فقال ﷺ : لا ولكن بر أباك وأحسن صحبته (المجمع ٩/ ٣٨١) وقال: رجاله ثقات. والله أعلم.
وأما تذكير رسول الله ﷺ لعمر بطلبه رضي الله عنه أن يضرب عنق عبد الله بن أبي فقد أخرج الحافظ ابن كثير من طريق ابن أبي حاتم أن عمرو بن ثابت الأنصاري وعروة بن الزبير قالا... وفي آخر الرواية: (فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أرسل إلى عمر فدعاه فقال له رسول الله ﷺ : أي عمر أكنت قاتله لو أمرتك بقتله؟ قال عمر: نعم. فقال رسول الله: والله لو قتلته يومئذ لأرغمت أنوف رجال لو أمرتهم اليوم بقتله لقتلوه فيتحدث الناس أني قد وقعت على أصحابي فأقتلهم صبراً) وأنزل الله عز وجل ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ﴾ - إلى قوله تعالى ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾ .
قال الحافظ ابن كثير معقباً: (وهذا سياق غريب وفيه أشياء نفيسة لا توجد إلا فيه). (التفسير ٤/ ٣٧٢) والله أعلم.
وأخرج البخاري (٤/ ١٤٦/ ٤٩٠٥) ومسلم (٨/ ١٩/ ح ٢٥٨٤).
عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: كنا في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار فقال الأنصاري: ياللأنصار وقال المهاجري: يا للمهاجرين فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: ما بال دعوىٰ جاهلية؟ قالوا: يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار. فقال: دعوها فإنها منتنة ، فسمع بذلك عبد الله بن أبي فقال: فعلوها؟ أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. فبلغ النبي ﷺ فقام عمر فقال: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق. فقال النبي ﷺ : دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه... الحديث (صحيح البخاري/ ح ٤٩٠٥) ومسلم (ح ٢٥٨٤).

تستعينه على كتابتها ، قالت: فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حُجرتي كرِهتها ، وعرفت أنه سيرَى منها مثلَ ما رأيت ، فدخلتْ عليه ، فقالت: يا رسول الله ، أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيِّد قومه ، وقد أصابني من البلاء ما لم يَخْفَ عليك؛ فوقعت في السَّهم لثابت بن قيس بن الشماس ـ أو لابن عمٍّ له ـ فكاتبتُه على نفسي ، فجئتك أستعينك على كتابتي ، فقال لها: فهل لك في خير من ذلك؟ قالت: وما هو يا رسول الله؟ قال: أقضي كتابَتك وأتزوّجك ، قالت: نعم يا رسولَ الله ، قال: قد فعلت ، قالت: وخرج الخبر إلى النَّاس أنَّ رسولَ الله ﷺ قد تزوَّج جويرية بنت الحارث ، فقال النَّاس: أصهارُ رسول الله ﷺ ، فأرسلوا ما بأيديهم.

قالت: فلقد أعتق بتزويجه إياها مئة أهل بيت من بني المصطلق ، فما أعلم امرأةً كانت أعظم بركة على قومها منها[١] . (٢ : ٦١٠) .

حـــديث الإفـــك

١٧٠ ـ حدّثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال: وأقبل رسول الله ﷺ من سفره ذلك ـ كما حدّثني أبي إسحاق ، عن الزهريّ ، عن عُروة ، عن عائشة ـ حتى إذا كان قريباً من المدينة ـ وكانت [معه] عائشة في سفره ذلك ـ قال أهل الإفك فيها ما قالوا[٢] . (٢ : ٦١٠/ ٦١١) .

١٧١ ـ حدثنا ابنُ حميد قال: حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزّهريّ ، عن علقمة بن وقّاص الليثيّ وعن سعيد بن المسيَّب ، وعن عُرْوة بن الزبير وعن عبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة [بن مسعود] قال الزهريّ: كُلّ قد حدّثني بعضَ هذا الحديث ، وبعضُ القومِ كان أوعَى له من بعض. قال: وقد جمعت لك كلّ الذي حدّثني القوم.

---

(١) إسناده إلى ابن إسحاق ضعيف وقد عنعن ابن إسحاق ولم يصرح بالتحديث إلا أن أحمد رواه في مسنده من طريق ابن إسحاق وقد صرّح بالتحديث فإسناده حسن (٦/ ٢٧٧).
والحاكم في مستدركه (٤/ ٢٦) وأبو داود في سننه (٢/ح ٣٩٣١).

(٢) إسناده ضعيف والحديث صحيح كما سنذكر بعد رواية.

حدّثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سلَمة ، قال: حدّثني محمد بن إسحاق ، قال: حدّثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزّبير ، عن أبيه ، عن عائشة ، قال: وحدّثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاريّ ، عن عمرة بنت عبد الرحمن ، عن عائشة ، قال: وكلّ قد اجتمعَ حديثه في خبر قصّة عائشة عن نفسها حين قال أهل الإفك فيها ما قالوا: فكلٌّ قد دخل في حديثها عن هؤلاء جميعاً ، ويحدّث بعضُهم مالم يحدّث بعضٌ ، وكلّ كان عنها ثقة ، وكلٌّ قد حدّث عنها بما سمع .

قالت عائشة: كان رسولُ الله ﷺ إذا أراد سفراً أقْرَعَ بين نسائه ، فأيّتهنُ خرج سهمُها خرج بها معه؛ فلمّا كانت غزوة بني المصطلق ، أقرع بين نسائه كما كان يصنع؛ فخرج سهمي عليهنّ ، فخرج بي رسولُ الله ﷺ ، قالت: وكان النساء إذ ذاك إنّما يأكلن العُلَق لم يُهيّجهنّ اللّحم فيثْقُلْنَ. قالت: وكنت إذا رُحِلَ لي بعيري جلستُ في هودجي ، ثمَّ يأتي القوم الذين يرحلون لي ، ويحملونني فيأخذون بأسفل الهودج ، فيرفعونه فيضعونه على ظهر البعير ، فيشدّونه بحباله ، ثم يأخذون برأس البعير ، فينطلقون به. قالت: فلما فرغ رسولُ الله ﷺ من سفره ذلك ، وجّه قافلاً ، حتى إذا كان قريباً من المدينة نزل منزلاً ، فبات فيه بعضَ الليل ، ثم أذّنَ في النّاس بالرحيل ، فلمّا ارتحل النّاس خرجتُ لبعض حاجتي وفي عنقي عقْدٌ لي فيه جَزْعُ ظَفار ، فلمّا فرغتُ انسلّ من عنقي ولا أدري؛ فلمّا رجعتُ إلى الرَّحْل ذهبتُ ألتمسه في عنقي فلم أجده ، وقد أخذ النّاس في الرحيل. قالت: فرَجعْتُ عَوْدِي على بدئي إلى المكان الذي ذهبت إليه؛ فالتمسته حتى وجدته ، وجاء خلافي القوم الذين كانوا يرحّلون لي البعير ، وقد فرغوا من رحلته ، فأخذوا الهودج ، وهم يظنون أنّي فيه كما كنت أصنع ، فاحتملوه ، فشدّوه على البعير ، ولم يشكُّوا أنّي فيه ، ثم أخذوا برأس البعير فانطلقوا به ، ورجعت إلى العسكر وما فيه داع ولا مجيب ، قد انطلق الناس ، قالت: فتلفّفت بجلبابي ثمّ اضطجعت في مكاني الذي ذهبت إليه؛ وعرفت أنْ لو قد افتقدوني قد رجعوا إليّ. قالت: فوالله إنّي لمضطجعة ، إذ مرّ بي صفوان بن المُعَطّل السُلَميّ ، وقد كان تخلّف عن العسكر لبعض حاجته ، فلم يبتْ مع النّاس في العسكر؛ فلمّا رأى سوادِي أقبل حتى وقف عليّ فعرَفني - وقد كان يراني قبل أن

يُضْرَب علينا الحجابَ ـ فلمّا رآني قال: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون! أظعينة رسول الله! وأنا متلفّفة في ثيابي. قال: ما خَلَّفَك رحمكِ الله؟ قالت: فما كلّمته، ثم قرّب البعير فقال: ارْكبي رحمكِ الله! واستأخر عنِّي. قالت: فركبتُ وجاءَ فأخذ برأس البعير، فانطلق بي سريعاً يطلب الناس؛ فوالله ما أدركنا الناس، وما افتُقدت حتى أصبحت، ونزل النَّاس، فلما اطمأنّوا طلع الرجل يقودني، فقال أهلُ الإفك فِيَّ ما قالوا. فارتجّ العسكر، ووالله ما أعلم بشيء من ذلك، ثمّ قدمنا المدينة، فلم أمكُثْ أن اشتكيت شكوى شديدة، ولا يبلغني شيء من ذلك؛ وقد انتهى الحديث إلى رسول الله ﷺ وإلى أبَوَيَّ، ولا يذكران لي من ذلك قليلاً ولا كثيراً، إلاّ أنّي قد أنكرتُ من رسول الله ﷺ بعض لُطْفه بي؛ كنتُ إذا اشتكيتُ رحِمني ولَطُف بي؛ فلم يفعل ذلك في شكْواي تلك، فأنكرت منه، وكان إذا دخل عليَّ وأمي تُمَرّضُني، قال: كيف تيكُم؟ لا يزيد على ذلك. قالت: حتى وَجدتُ في نفسي ممَّا رأيت من جَفائه عنِّي، فقلت له: يا رسولَ الله، لو أذنت لي فانتقلت إلى أمّي فمرّضتْني! قال: لا عَلَيْكِ! قالت: فانتقلت إلى أمّي، ولا أعلم بشيء ممَّا كان، حتى نقِهتْ من وجعي بعد بضع وعشرين ليلة. قالت: وكنّا قوماً عَرَباً لا نتّخذ في بيوتنا هذه الكُنُف التي تتّخذها الأعاجم، نعافها ونكرهها؛ إنّما كنا نخرجُ في فُسَح المدينة؛ وإنّما كان النساء يخرجْنَ كلّ ليلة في حوائجهنّ؛ فخرجت ليلةً لبعض حاجتي، ومعي أمّ مِسْطح بنت أبي رُهْم بن المطَّلب بن عبد مناف، وكانت أمّها بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم، خالة أبي بكر. قالت: فوالله إنّها لتمشي معي، إذْ عثرت في مِرْطِها، فقالت: تَعِس مِسْطح! قالت: قلتُ: بئس لعمر الله ما قلتِ لرجل من المهاجرين قد شهد بدراً! قالت: أوَ ما بلغك الخبر يا بنتَ أبي بكر! قالت: قلت: وما الخبر؟ فأخبرتني بالَّذي كان من قولِ أهل الإفك. قالت: قلت: وقد كان هذا! قالت: نعم والله لقد كان. قالت: فوالله ما قدرتُ على أن أقْضِيَ حاجتي، ورجعت فما زِلْتُ أبكي حتى ظننتُ أنّ البكاء سيصدع كبدي، قالت: وقلت لأمّي: يغفر الله لكِ! تحدّث الناسِ بما تحدّثوا به وبلغك ما بلغك؛ ولا تذكرين لي من ذلك شيئاً! قالت: أي بُنيّة خفِّضِي الشأن؛ فوالله قلّما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبُّها لها ضرائر إلا كثَّرن وكثَّر الناس عليها.

قالت: وقد قام رسول الله ﷺ في الناس يخطبهم ولا أعلم بذلك. ثم قال: أيّها الناس، ما بالُ رجال يُؤذُونني في أهلِي، ويقولون عليهنّ غير الحقّ! والله ما علمتُ منهنّ إلاّ خيراً، ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت منه إلا خيراً! وما دخل بيتاً من بيوتي إلاّ وهو معي. قالت: وكان كِبْر ذلك عند عبد الله بن أبيّ ابن سَلُول في رجال من الخزرج؛ مع الذي قال مسطح وحَمْنَة بنت جحش ـ وذلك أنّ أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله ﷺ، [ولم تكن من نسائه امرأة تناصبني في المنزلة عنده غيرها، فأما زينب فعصمها الله، وأما حمنة بنت جحش]، فأشاعت من ذلك ما أشاعت، تضارّني لأختها زينب بنت جحش ـ فشقِيت بذلك.

فلمّا قال رسول الله ﷺ تلك المقالة، قال أسيد بن حُضَيْر أخو بني عبد الأشهل: يا رسول الله، إن يكونوا من الأوْس نكْفكَهُم، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج فمرْنا بأمرك؛ فوالله إنّهم لأهلٌ أن تضرَب أعناقهم. قالت: فقام سعد ابن عبادة ـ وكان قبل ذلك يُرى رجلاً صالحاً ـ فقال: كذبت لعمر الله لا تضْرَب أعناقهم! أما والله ما قلتَ هذه المقالة إلاّ أنّك قد عرفت أنّهم من الخزرج، ولو كانوا من قومك ما قلت هذا! قال أسيد: كذبت لعمر الله! ولكنك منافق تجادل عن المنافقين! قالت: وتثاوره النّاس حتّى كاد أن يكون بين هذين الحيّين من الأوْس والخزرج شرّ، ونزل رسول الله ﷺ، فدخل عليّ، قالت: فدعا عليّ بن أبي طالب وأسامة بن زيد؛ فاستشارهما، فأمّا أسامة فأثنى خيراً وقاله، ثم قال: يا رسولَ الله، أهلُك، ولا نعلم عليهنّ إلا خيراً؛ وهذا الكذب والباطل. وأمّا عليّ فإنه قال: يا رسولَ الله؛ إنّ النساء لكثيرٌ؛ وإنك لقادرٌ على أن تستخلف؛ وسل الجارية فإنّها تَصدُقك. فدعا رسول الله ﷺ بَريرَة يسألها. قالت: فقام إليها عليّ فضربها ضرباً شديداً؛ وهو يقول: اصدُقي رسول الله؛ قالت: فتقول: والله ما أعلم إلاّ خيراً، وما كنت أعيبُ على عائشة؛ إلاّ أنّي كنتُ أعجِن عجيني فآمرها أن تحفظه فتنام عنه، فيأتي الدّاجن فيأكله.

ثم دخلَ عليَّ رسول الله ﷺ وعندي أبَوايَ، وعندي امرأة من الأنصار؛ وأنا أبْكي وهي تبكي معي؛ فجلس فحمِد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا عائشة؛ إنّه قد كان ما بلغك من قول الناس؛ فاتّقي الله؛ وإن كنتِ قارفْتِ سوءاً ممّا يقول النّاس

فتوبي إلى الله؛ فإنَّ الله يقبل التَّوبة عن عباده؛ قالت: فوالله ما هو إلاّ أن قال ذلك، تقلّص دمعي؛ حتى ما أحسُّ منه شيئاً، وانتظرتُ أبَوَيَّ أن يجيبا رسول الله ﷺ فلم يتكلّما. قالت: وايْمُ الله لأنا كنتُ أحقَرُ في نفسي وأصغُر شأناً من أن ينزّل الله عزَّ وجلَّ فيّ قرآناً يقرأ به في المساجد، ويصلّى به، ولكنّي قد كنت أرجو أن يرَى رسول الله في نومه شيئاً يكذّب الله به عنّي، لما يعلم من براءتي، أو يخبر خبراً؛ فأما قرآنٌ ينزل فيّ، فوالله لنَفسِي كانتْ أحْقَر عندي من ذلك. قالت: فلمّا لم أرَ أبْويَ يتكلمان. قالت: قلت ألا تجيبانِ رسولَ الله! قالت: فقالا لي: والله ما ندري بماذا نجيبه! قالت: وايمُ الله ما أعلمُ أهلَ بيت دخلَ عليهم ما دخلَ على آل أبي بكر في تلك الأيام! قالت: فلما استعجَما عليّ استعبرتُ فبَكيت ثم قلت: والله لا أتوب إلى الله مما ذكرت أبداً؛ والله لئن أقررت بما يقول الناس ـ والله يعلم أني منه بريئة ـ لتصدّقني؛ لأقولنّ مالم يكن؛ ولئن أنا أنكرت ما تقولون لا تصدّقونني. قالت: ثم التمست اسمَ يعقوب فما أذكره؛ فقلت: ولكن سأقول كما قال أبو يوسف: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾.

قالت: فوالله ما بَرِحَ رسول الله ﷺ مجلسَه حتى تغشَّاه من الله ما كان يتغشَّاه، فَسُجِّيَ بثوبه، ووضعت وسادة من أدَم تحت رأسه؛ فأمَّا أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت؛ فوالله ما فزعت كثيراً ولا باليت؛ قد عرفت أنّي بَريئة، وأنَ الله غير ظالِمي، وأمَّا أبوايَ؛ فوالَّذي نفس عائشة بيده، ما سُرِّيَ عن رسول الله ﷺ حتى ظننت لتخرجَنَّ أنفسُهما فَرَقاً أن يأتيَ من الله تحقيق ما قال الناس. قالت: ثم سُرِّيَ عن رسولِ الله ﷺ، فجلس وإنَّه ليتحدّر منه مثل الجُمان في يوم شاتٍ. فجعل يمسح العرق عن جبينه، ويقول: أبشري يا عائشة؛ فقد أنزل الله براءتك، قالت: فقلت: بحمد الله وذمّكم. ثمّ خرج إلى الناس فخطبهم، وتلا عليهم ما أنزل الله عزَّ وجلَّ من القرآن فِيّ.

ثم أمر بمسطح بن أثاثة وحسان بن ثابت وحَمْنة بنت جحش ـ وكانوا ممَّن أفصح بالفاحشة ـ فضرِبُوا حَدَّهم(١).

(٢: ٦١١/ ٦١٢/ ٦١٣/ ٦١٤/ ٦١٥/ ٦١٦).

---

(١) إسناده ضعيف والحديث صحيح فقد أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب المغازي/ح ٤١٤١) ومسلم في صحيحه (كتاب التوبة/ح ٢٧٧٠ وكتاب النكاح/حكم=

= العزل ح ١٤٣٨). وغيرهما مع اختلاف يسير وتقديم وتأخير لا يضر والله أعلم.
قال البخاري في صحيحه:
حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا إبراهيم بن سعد عن صالح عن ابن شهاب قال حدثني عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ حين قال لها أهل الإفك ما قالوا وكلهم حدثني طائفة من حديثها وبعضهم كان أوعىٰ لحديثها من بعض وأثبت له اقتصاصاً وقد وعيت عن كل رجل منهم الحديث الذي حدثني عن عائشة وبعض حديثهم يصدق بعضاً وإن كان بعضهم أوعى له من بعض قالوا: قالت عائشة: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين أزواجه فأيهن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه. قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزوةٍ غزاها فخرج فيها سهمي فخرجت مع رسول الله ﷺ بعد ما أنزل الحجاب فكنت أحمل في هودجي وأنزل فيه فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك وقفل دنونا من المدينة قافلين آذن ليلة بالرحيل فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي فلمست صدري فإذا عقد لي من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه.
قالت: وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلوني فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب عليه وهم يحسبون أني فيه وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يهبلن ولم يغشهن اللحم إنما يأكلن العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل فساروا ووجدت عقدي بعد ما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها منهم داعٍ ولا مجيب فتيممت منزلي الذي كنت به وظننت أنهم سيفقدوني فيرجعون إليّ، فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم فعرفني حين رآني وكان رآني قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي ووالله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه وهوى حتى أناخ راحلته، فوطىء على يدها فقمت إليها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش موغرين في نحر الظهيرة وهم نزول قالت: فهلك من هلك وكان الذي تولى كبر الإفك عبد الله بن أبي ابن سلول. قال عروة:
أخبرت أنه كان يشاعِ ويتحدث به عنده فيقره ويستمعه ويستوشيه. وقال عروة أيضاً: لم يُسمَّ من أهل الإفك أيضاً إلا حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش في ناسٍ آخرين لا علم لي بهم غير أنهم عصبة كما قال الله تعالى وإن كبر ذلك يقال عبد الله بن أبي ابن سلول قال عروة: كانت عائشة تكره أن يسب عندها حسان وتقول إنه الذي قال:

فإن أبي ووالده وعرضي ... لعرض محمد منكم وقاء

قالت عائشة: فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمت شهراً والناس يفيضون في قول أصحاب =

= الإفك لا أشعر بشيء من ذلك وهو يريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنت أرىٰ منه حين أشتكي إنما يدخل عليّ رسول الله ﷺ فيسلم ثم يقول: كيف تيكم؟ ثم ينصرف فذلك يريبني ولا أشعر بالشر حتى خرجت حين نقهت فخرجت مع أم مسطح قبل المناصع متبرزنا وكنا لا نخرج إلا ليلاً إلى ليل وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريباً من بيوتنا قالت: وأمرنا أمر العرب الأول في البرية قبل الغائط وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا.

قالت: فانطلقت أنا وأم مسطح وهي ابنة أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف وأمها بنت صخر ابن عامر خالة أبي بكر الصديق وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي حين فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت: تعس مسطح، فقلت لها: بئس ما قلت أتسبين رجلاً شهد بدراً فقالت: أي هنتاه ألم تسمعي ما قال؟! قالت: وقلت: ما قال؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك قالت: فازددت مرضاً على مرض فلما رجعت إلى بيتي دخل علي رسول الله ﷺ فسلم ثم قال: كيف تيكم؟ فقلت له: أتأذن لي أن آتي أبويّ.

قالت: وأريد أن أستيقن الخبر من قبلهما قالت: فأذن لي رسول الله ﷺ فقلت لأمي: يا أمتاه ماذا يتحدث الناس قالت: يا بنية هوني عليك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها لها ضرائر إلا كثرن عليها قالت: فقلت: سبحان الله أو قد تحدث الناس بهذا قالت: فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت أبكي قالت: ودعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي يسألهما ويستشيرهما في فراق أهله قالت: فأما أسامة فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم لهم في نفسه فقال أسامة: أهلك ولا نعلم إلا خيراً، وأما علي فقال: يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وسل الجارية تصدقك.

قالت: فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال: أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك قالت له بريرة: والذي بعثك بالحق ما رأيت عليها أمراً قط أغمصه غير أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله. قالت: فقام رسول الله ﷺ من يومه فاستعذر من عبد الله بن أبي وهو على المنبر فقال: يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني عنه أذاه في أهلي والله ما علمت على أهلي إلا خيراً ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً وما يدخل على أهلي إلا معي قالت: فقام سعد بن معاذ أخو بني عبد الأشهل فقال: أنا يا رسول الله أعذرك فإن كان من الأوس ضربت عنقه وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك قالت: فقام رجل من الخزرج وكانت أم حسان بنت عمه من فخذه وهو سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج قالت: وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً ولكن احتملته الحمية فقال لسعد: كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله، ولو كان من رهطك ما أحببت أن يقتل فقام أسيد بن=

= حضير وهو ابن عم سعد فقال لسعد بن عبادة: كذبت لعمر الله لنقتلنه فإنك منافق تجادل عن المنافقين.

قالت: فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله ﷺ قائم على المنبر قالت: فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا وسكت قالت: فبكيت يومي ذلك كله لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم قالت: وأصبح أبواي عندي وقد بكيت ليلتين ويوما لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم حتى إني لأظن أن البكاء فالق كبدي فبينا أبواي جالسان عندي وأنا أبكي فاستأذنت عليَّ امرأة من الأنصار فأذنت لها فجلست تبكي معي قالت: فبينا نحن على ذلك دخل رسول الله ﷺ علينا فسلم ثم جلس قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها وقد لبث شهراً لا يوحى إليه في شأني شيء.

قالت: فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال: أما بعد يا عائشة إنه بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف ثم تاب تاب الله عليه. قالت: فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعي حتى ما أحسّ منه قطرةً فقلت لأبي: أجب رسول الله ﷺ عني فيما قال. فقال أبي: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ فقلت لأمي: أجيبي رسول الله ﷺ فيما قال. قالت أمي: ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ. فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ من القرآن كثيراً، إني والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم إني بريئة لا تصدقونني ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني بريئة منه لتصدقنني فوالله لا أجد لي ولكم مثلاً إلا أبا يوسف حين قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾.

ثم تحولت واضطجعت على فراشي والله يعلم حينئذ أني بريئة وأن الله مبرئي ببراءتي ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحياً يتلى لشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في أمري ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها فوالله ما رام رسول الله ﷺ مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى إنه ليتحدر منه العرق مثل الجمان وهو في يوم شات من ثقل القول الذي أنزل عليه قالت: فسري عن رسول الله ﷺ وهو يضحك فكانت أول كلمة تكلم بها أن قال: يا عائشة أما الله فقد برأك قالت: فقالت لي أمي قومي إليه فقلت: لا والله لا أقوم إليه فإني لا أحمد إلا الله عز وجل قالت: وأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾ العشر الآيات ثم أنزل الله تعالى هذا في براءتي.

قال أبو بكر الصديق وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره: والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال.

فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

قال أبو بكر الصديق: بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي فرجع إلى مسطح النفقة التي كان=

١٧٢ ـ فلمّا نزل هذا في عائشة وفيمنْ قال لها ما قال قال أبو بكر ـ وكان ينفِق على مِسْطَح لقرابته منه وحاجته: والله لا أنفِق على مِسْطح شيئاً أبداً، ولا أنفعه بنفع أبداً بعد الذي قال لعائشة، وأدخل علينا ما أدخل! قال: فأنزل الله عزَّ وجلَّ في ذلك: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ الآية.

قالت: فقال أبو بكر: والله لأحِبُّ أن يغفر الله لي. فرجع إلى مِسْطح نفقته التي كان ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبداً[1]. (٢: ٦١٨).

ذكر الخبر عن عُمرة النبيّ ﷺ
التي صدَّه المشركون فيها عن البيت، وهي قصّة الحُديبية

١٧٣ ـ حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا الحكَم بن بشير، قال: حدّثنا عمر بن ذرّ الهمْدانيّ، عن مجاهد، أن النبيّ ﷺ اعتمر ثلاث عُمَرٍ، كلّها في ذي القعدة؛

= ينفق عليه وقال: والله لا أنزعها منه أبداً قالت عائشة: وكان رسول الله ﷺ سأل زينب بنت جحش عن أمري فقال لزينب: ماذا علمت أو رأيت؟ فقالت: يا رسول الله أحمي سمعي وبصري والله ما علمت إلا خيراً قالت عائشة: وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ فعصمها الله بالورع.

قالت: وطفقت أختها حمنة تحارب لها فهلكت فيمن هلك.

قال ابن شهاب: فهذا الذي بلغني من حديث هؤلاء الرهط ثم قال عروة: قالت عائشة: والله إن الرجل الذي قيل له ما قيل ليقول: سبحانه الله فوالذي نفسي بيده ما كشفت من كنف أنثى قط قالت: ثم قتل بعد ذلك في سبيل الله.

وأما الجزء الأخير من رواية الطبري ونعني تنفيذ حد القذف بضرب مسطح وحسان وحمنة فقد أخرج الترمذي في سننه (٥/ ح ٣١٨١) عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما نزل عذري قام رسول الله ﷺ على المنبر فذكر ذلك وتلا القرآن فلما نزل أمر برجلين وامرأة فضربوا حدّهم).

وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن إسحاق.

والحديث أخرجه ابن ماجه (ح/ ٢٧٦٥) وأما بالنسبة لما قالته السيدةِ عائشة رضي الله عنها عندما علمت بنزول آيات قرآنية ببراءتها فقد أخرج البخاري في صحيحه (ح ٤١٤٣) رواية في آخرها: (فأنزل الله عذرها. قالت: بحمد الله لا بحمد أحد ولا بحمدك).

والله تعالى أعلم.

(١) لقد صح هذا من قصة أبي بكر مع مسطح كما جاء في حديث البخاري ومسلم الآنف الذكر فليراجع.

يرجع في كلّها إلى المدينة[١]. (٢ : ٦٢٠) .

١٧٤ ـ حدّثنا ابن حميد ، قال: حدّثنا سلَمة ، قال: حدّثني محمد بن إسحاق ، عن محمد بن مسلِم الزهريّ ، عن عروة بن الزُّبير ، عن المِسْور بن مَخرَمة ومروان بن الحَكَم ؛ أنّهما حدّثاه قالا: خرج رسولُ الله ﷺ عامَ الحديبيَة ، يريد زيارة البيت ، لا يريد قتالاً ، وساق معه سبعين بَدَنة ، وكان النّاس سبعمئة رجل ؛ كانت كلّ بَدَنة عن عشرة نفر[٢]. (٢ : ٦٢٠) .

١٧٥ ـ وأمّا حديث ابن عبد الأعلى ؛ فحدّثنا عن محمد بن ثور ، عن مَعْمَر ، عن الزهري ، عن عُروة بن الزُّبير ، عن المِسْوَر بن مَخْرَمة[٣]. (٢ : ٦٢٠) .

١٧٦ ـ وحدّثني يعقوب ، قال: حدّثني يحيى بن سعيد ، قال: حدّثنا عبد الله ابن مبارك ، قال: حدّثني معمر عن الزهريّ ، عن عُروة بن الزبير ، عن المِسْوَر ابن مَخْرَمة ومرْوان بن الحكَم ، قالا: خرج رسولُ الله ﷺ من الحديبيَة في بضْعة عشر ومئة من أصحابه . . . . ثم ذكر الحديث[٤]. (٢ : ٦٢١) .

١٧٧ ـ حدّثنا الحسن بن يحيى ، حدّثنا أبو عامر ، قال: حدّثنا عِكْرمة بن عمَّار اليمامي ، عن إياس بن سلمة ، عن أبيه ، قال: قدمنا مع رسول الله ﷺ

(١) إسناده ضعيف ولقد ذكر مجاهد العدد قائلاً: (ثلاث عمر) ولكن البخاري أخرج في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه قال: اعتمر رسول الله ﷺ أربع عمر كلهن في ذي القعدة إلا التي كانت مع حجته عمرة من الحديبية في ذي القعدة ، وعمرة من العام المقبل من ذي القعدة وعمرة من الجعرانة حيث قسم غنائم حنين في ذي القعدة وعمرة مع حجته (صحيح البخاري/ كتاب المغازي/ ح ٤١٤٨).
قلنا : واعتماداً على حديث أنس هذا وغيره ذهب جمهور أهل الحديث وأئمة المغازي والسير إلى أنها كانت في ذي القعدة من سنة ست للهجرة.

(٢) إسناده ضعيف إلى ابن إسحاق ولكن أخرجه ابن هشام من طريق ابن إسحاق مصرحاً بالتحديث عن الزهري فإسناده هذا حسن (٢/٢٢٧). وسنتحدث عن الخلاف في عدد الجيش بعد آخر رواية في ذلك إن شاء الله.

(٣) هذا إسناد صحيح ولعل الطبري يريد ذكر طريق آخر للحديث السابق وهو الأغلب ، أم أنه يعني الحديث الآتي بعد قليل والله أعلم.

(٤) إسناده صحيح.

الحديبية ، ونحن أربعة عشرومئة[١] . (٢ : ٦٢١) .

١٧٨ ـ حدّثنا يوسف بن موسى القَطّان ، قال : حدّثنا هِشام بن عبد الملك وسعيد بن شُرَحْبيل المصريّ ، قالا : حدّثنا الليث بن سعد المصريّ ، قال : حدّثنا أبو الزُّبير ، عن جابر ، قال : كنَّا يوم الحديبية ألفاً وأربعمئة[٢] . (٢ : ٦٢١) .

١٧٩ ـ حدثني محمد بن سعد ، قال : حدّثني أبي ، قال : حدّثني عمي ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : كان أهلُ البيعة تحت الشَّجرة ألفاً وخمسمئة وخمسة وعشرين[٣] . (٢ : ٦٢١) .

١٨٠ ـ حدثنا ابن المثنَّى ، قال : حدّثنا أبو داود ، قال : حدّثنا شُعْبة ، عن عمرو بن مرّة ، قال : سمعتُ عبدَ الله بن أبي أوفَى ، يقول : كنَّا يومَ الشَّجرة ألفاً وثلاثمئة ، وكانت أسْلَمُ ثُمن المهاجرين[٤] . (٢ : ٦٢١) .

١٨١ ـ حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن الأعمش ، عن أبي سُفيان ، عن جابر بن عبد الله الأنصاريّ ، قال : كنَّا أصحابَ الحديبية أربعة عشر مئة[٥] . (٢ : ٦٢١) .

---

(١) إسناده حسن صحيح .

(٢) حديث جابر في صحيح البخاري ولفظه : قال لنا رسول الله ﷺ يوم الحديبية : أنتم خير أهل الأرض ، وكنا ألفاً وأربعمئة ولو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة (صحيح البخاري/ كتاب المغازي/ح ٤١٥٥ ، ومسلم/ الإمارة/ ح ١٨٥٦) .

(٣) إسناده ضعيف وكذلك نسبه الحافظ في الفتح إلى ابن مردويه من حديث ابن عباس (فتح الباري (٧/ ٤٤١) ولكن الذي في صحيح البخاري من حديث جابر : فقلت لجابر : كم كنتم يومئذ؟ قال : لو كنا مئة ألف لكفانا خمس عشرة مئة (ح ٤١٥٣) .

(٤) هذا حديث صحيح أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب المغازي/ ح ٤١٥٥) عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما : (كان أصحاب الشجرة ألفاً وثلاثمئة وكانت أسلم ثمن المهاجرين) والحديث أخرجه مسلم (ح ١٨٥٧) .

(٥) إسناده ضعيف ولكن حديث جابر صحيح .

قال البخاري في صحيحه : حدثني عبد الله بن محمد حدثنا سفيان قال : سمعت الزهري حين حدّث هذا الحديث حفظت بعضه وثبتني معمر عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم يزيد أحدهما على صاحبه قائلاً : خرج النبي ﷺ عام الحديبية في بضع =

١٨٢ - ثم قال: مَنْ رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها؟ فحدّثنا ابنُ حُميد، قال: حدّثنا سلَمة، عنِ ابن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر، أنّ رجلاً من أسْلم قال: أنا يا رسولَ الله، قال: فسلك بهم على طريق وَعْرٍ حَزْن بين شعَاب، فلما أن خرجوا منه ـ وقد شقّ ذلك على المسلمين، وأفضَوْا إلى أرض سَهْلة عند منقطع الوادي ـ قال رسول الله ﷺ للناس: قولوا: نستغفر الله ونتوب إليه. ففعلوا. فقال رسولُ الله ﷺ: والله إنها للحِطّة التي عُرِضَتْ على بني إسرائيل فلم يقولوها[1]. (٢: ٦٢٣).

= عشرة مئة من أصحابه فلما أتى ذا الحليفة قلد الهدي وأشعره وأحرم منها بعمرة وبعث عيناً له من خزاعة وسار النبي ﷺ حتى كان بغدير الأشطاط أتاه عينه قال إن قريشاً جمعوا لك جموعاً وقد جمعوا لك الأحابيش وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ومانعوك فقال: أشيروا أيها الناس عليَّ أترون أن أميل إلى عيالهم وذراري هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت فإن يأتونا كان الله عز وجل قد قطع عيناً من المشركين وإلا تركناهم محروبين قال أبو بكر: يا رسول الله خرجت عامداً لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حرب أحد فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه قال: امضوا على اسم الله. (صحيح البخاري/ كتاب المغازي/ باب ٣٥/ ح٤١٧٨ ـ ٤١٧٩).

ـ أقوال العلماء في عدد أفراد الجيش المسلم:

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالىٰ: والجمع بين هذا الاختلاف أنهم كانوا أكثر من ألف وأربعمئة فمن قال: ألفاً وخمسمئة جبر الكسر ومن قال: ألفاً وأربعمئة ألغاه ويؤيده قوله في الرواية الثالثة من حديث البراء وألفاً وأربعمئة أو أكثر واعتمده النووي.

وأما البيهقي فمال إلى الترجيح وقال: إن رواية من قال ألف وأربعمئة أصح (فتح الباري ٧/ ٤٤١).

وأما من المعاصرين فقد قال المؤرخ العمري: وبلغ عدد المسلمين في الحديبية ألفاً وأربعمئة رجل، ذكر ذلك شهود العيان من الصحابة وهم جابر بن عبد الله والبراء بن عازب ومعقل بن يسار وسلمة بن الأكوع والمسيب بن حزن.

وقال جابر في رواية: أنهم ألف وخمسمئة، وقال الصحابي عبد الله بن أبي أوفىٰ أنهم ألف وثلاثمئة.

واتفاق خمسة من شهود العيان على أنهم ألف وأربعمئة أولىٰ من سواه من الأقوال فهو أصح الصحيح وإن كان الجمع ليس بمتعذر والاختلاف ليس بكبير/ السيرة النبوية (٢/ ٤٣٥).

(١) إسناده ضعيف ولكن أخرج البزار (كشف الأستار/ح ١٨١٢): عن أبي سعيد الخدري أنه قال:

خرجنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا بعسفان قال لنا رسول الله ﷺ: «إن عيون المشركين الآن على ضجنان فأيكم يعرف طريق ذات الحنظل؟» فقال رسول الله ﷺ حين أمسىٰ: «هل =

١٨٣ ـ قال ابن شهاب: ثم أمر رسولُ الله ﷺ الناس فقال: اسلكوا ذات اليمين بين ظَهْرَي الحَمْضِ في طريق تُخرِجه على ثنيّة المُرَار على مهبَط الحديبيَة من أسفل مكة. قال: فسلك الجيش ذلك الطريق، فلمّا رأت خيل قريش قَتَرَة الجيش، وأنّ رسولَ الله ﷺ قد خالفهم عن طريقهم، ركضوا راجعين إلى قريش، وخرج رسول الله ﷺ، حتى إذا سلك في ثنيَّة المُرار، بركَتْ ناقته، فقال الناس: خلأتْ! فقال: ما خلأتْ، وما هو لها بخُلقٍ؛ ولكن حبَسها حابسُ الفيل عن مكة؛ لا تدعوني قريش اليومَ إلى خُطّة يسألوني صلَةَ الرَّحِم إلا أعطيتهم إياها. ثم قال للناس: انزِلوا، فقيل: يا رسولَ الله ما بالوادي ماء ننزل عليه! فأخرجَ سهماً من كنانته فأعطاه رجلاً من أصحابه، فنزل في قَلِيب تلك القُلب فغرزه في جَوْفه. فجاش الماء بالرّيّ حتى ضربَ الناسُ عليه بِعَطَن[1]. (٢/ ٦٢٣/ ٦٢٤).

= من رجل ينزل فيسعى بين يدي الركاب؟» فقال رجل: أنا يا رسول الله، فنزلت فجعلت الحجارة تنكبه والشجر يتعلق بثيابه فقال رسول الله ﷺ: «اركب» ثم نزل آخر فجعلت الحجارة (تنكبه) والشجر يتعلق بثيابه، فقال رسول الله ﷺ: «اركب». ثم وقعنا على الطريق، حتى سرنا في ثنية يقال لها: الحنظل فقال رسول الله ﷺ: «ما مثل هذه الثنية إلا كمثل الباب الذي دخل فيه بنو إسرائيل؛ قيل لهم: ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم، لا يجوز أحد الليلة هذه الثنية إلا غفر له».

فجعل الناس يسرعون ويجوزون، وكان آخر من جاز قتادة بن النعمان في آخر القوم.

قال: فجعل الناس يركب بعضهم بعضاً حتى تلاحقنا. قال: فنزل رسول الله ﷺ ونزلنا.

وقال الهيثمي: رواه البزار ورجاله ثقات (٦/ ١٤٤).

(١) ذكره الطبري عن الزهري بلا إسناد ومتنه صحيح كما أخرج البخاري في صحيحه (كتاب الشروط) عن المسور بن مخرمة رضي الله عنهما ومروان رحمه الله يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه قالا: خرج رسول الله ﷺ زمن الحديبية حتى كانوا ببعض الطريق قال النبي ﷺ: إن خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش فانطلق يركض نذيراً لقريش وسار النبي ﷺ حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته فقال الناس حل حل فألحت فقالوا: خلأت القصواء فقال النبي ﷺ ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل، ثم قال: والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها... الحديث وفيه:

وإن قريشاً قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم فإن شاؤوا ماددتهم مدّة، ويخلوا بيني وبين =

١٨٤ ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى الصنعانيّ ، قال: حدثنا محمد بن ثور ، عن معمَر ، عن الزُّهريّ ، عن عرْوة ، عن المِسْوَر بن مَخْرَمة. وحدّثني يعقوب ابن إبراهيم ، قال: حدّثنا يحيى بن سعيد القطان ، قال: حدّثنا عبد الله بن المبارك ، قال: حدّثنا مَعْمَر ، عن الزّهِريّ ، عن عروة ، عن المسْور بن مَخْرمة ومرْوان بن الحكم ، قالا: نزَل رسولُ الله ﷺ بأقصى الحُدَيْبِيَة على ثمَد قليل الماء؛ إنما يتبرَّضُه الناس تبرّضاً فلم يُلبِّثْه الناس أنْ نَزَحُوه ، فشُكِيَ إلى رسول الله ﷺ العطش ، فنزع سهماً من كنانته ، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه ، فوالله ما زال يجيش لهم بالريّ حتى صدروا عنه؛ فبينا هم كذلك جاء بُدَيْل بن ورقاء الخُزاعيّ في نفر من قومِه من خُزاعة ـ وكانوا عَيْبَةَ نُصْحِ رسول الله ﷺ من أهل تِهامة ـ فقال: إني تركت كعب بن لؤيّ وعامر بن لؤَي قد نزلوا أعْدَاد مياه الحديبية؛ معهم العُوذُ المطافيل؛ وهم مقاتلوك وصادُّوك عن البيت. فقالَ النبيّ ﷺ: إنّا لم نأتِ لقتال أحد ، ولكنّا جئنا معتمرين ، وإنّ قريشاً قد نهكَتْهم الحرب وأضرَّتْ بهم ، فإن شاؤوا مادَدْناهم مُدَّة ويُخَلُّوا بيني وبين الناس ، فإن أظْهر ، فإن شاؤوا أن يدخلُوا فيما دخل فيه الناس فَعَلوا وإلاّ فقد جَمُّوا؛ وإن هم أبوْا فوالذي نفسي بيدِه لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالِفتي ، أو ليُنَفِّذنّ الله أمره ، فقال بُدَيل: سنبلغُهم ما تقول.

فانطلق حتى أتى قريشاً فقال: إنا قد جئناكم من عند هذا الرجل ، وسمعناه يقول قولاً؛ فإن شئتم أن نعرِضه عليكم فعْلنا ، فقال سفهاؤهم: لا حاجةَ لنا أن تحدّثنا عنه بشيء ، وقال ذو الرأي منهم: هاتِ ما سمعتَه يقول: قال: سمعتُه يقول كذا وكذا ، فحدّثَهم بما قال النبيّ ﷺ.

فقام عروة بن مسعود الثقفيّ ، فقال: أيْ قوْم؛ ألستُم بالوالد! قالوا: بلى ، قال: أولستُ بالولد! قالوا: بلى ، قال: فهل تتّهمونني؟ قالوا: لا ، قال: ألستُمْ تعلمون أني استنفرت أهلَ عُكاظ؛ فلما بَلّحوا عليَّ جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني! قالوا: بلى.

= الناس فإن أظهر؛ فإن شاؤوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا ، وإلا فقد جموا وإن هم أبوا ، فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي.
(صحيح البخاري/ كتاب الشروط ح ٢٧٣١ ـ ٢٧٣٢).

رجع الحديث إلى حديث ابن عبد الأعلى ويعقوب. قال: فإنّ هذا الرّجل قد عرض عليكم خُطَّةَ رُشْد فاقبلوها، ودعوني آتِه. فقالوا: ائته، فأتاه، فجعل يكلّم النبيّ ﷺ، فقال النبيّ نحواً من مقالته لبُدَيل، فقال عروة عند ذلك: أيْ محمد، أرأيتَ إن استأصلت قومَك، فهل سمعتَ بأحد من العرب اجتاح أصله قبلك! وإن تكن الأخرى، فوالله إنّي لأرى وجوهاً وأوشاباً من الناس خلُقاً أن يَفِرُّوا ويَدَعُوك. فقال أبو بكر: امْصص بَظْرَ اللات - واللاتُ طاغية ثقيف التي كانوا يعبدون - أنحن نَفِرُّ عنه ونَدَعُه! فقال: مَنْ هذا؟ فقالوا: أبو بكر، فقال: أما وَالذي نفسي بيده لولا يَدٌ كانت لك عندي لم أجْزِك بها لأجبتك؛ وجعل يكلّم النبيّ ﷺ، فكلّما تكلّم كلّمه أخذ بلحيته - والمغيرةُ بن شعبة قائمٌ على رأس النبيّ ﷺ، ومعه السيف وعليه المغفر؛ فكلّما أهوَى عروة بيده إلى لحية النبيِّ ﷺ ضرب يده بنعْل السيف، وقال: أخِّرْ يدَك عن لحيته، فرفع عُروة رأسَه، فقال: مَنْ هذا؟ قالوا: المغيرة بن شعبة، قال: أي غُدَرُ؛ ألستُ أسعىَ في غَدْرتك! وكان المغيرةُ بن شعبة صحبَ قوماً في الجاهليّة، فقتلهم، وأخذ أموالهم، ثم جاء فأسلم، فقال النبيّ ﷺ: أما الإسلام فقد قبلْنا، وأما المالُ فإنه مال غَدْر، لا حاجة لنا فيه.

وإنّ عُرْوة جعل يرمُق أصحابَ النبي ﷺ بعينه. قال: فوالله إنْ يتنخّم النبيّ نُخامة إلا وقعت في كَفّ رجل منهم فَدلكَ بها وجهه وجلده؛ وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضّأ كادوا يقتتلون على وضوئه؛ وإذا تكلّموا عنده خفضوا أصواتهم وما يُحِدّون النظر إليه تعظيماً له. فرجع عُروة إلى أصحابه، فقال: أيْ قوم، والله لقد وفدتُ على الملوكِ، ووفدت على كسرى وقيصرَ والنَّجاشيّ؛ والله إنْ رأيتُ ملِكاً قطّ يُعَظّمه أصحابه ما يُعظِّم أصحابُ محمّدٍ محمداً، والله إن يتنخّم نُخامة إلا وقعت في كفّ رجل منهم فدَلكَ بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضّأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلّموا عنده خفضوا أصواتهم، وما يُحِدّون النظر إليه تعظيماً له؛ وإنّه قد عرض عليكم خُطةَ رُشْد فاقبلوها، فقال رجل من كنانة:

دعوني آتِه، فقالوا: ائته، فلمّا أشرفَ على النبيّ ﷺ وأصحابه، قال النبيّ ﷺ: هذا فلان، وهو من قوم يُعَظّمون البُدْنَ فابعثوها له، فبعِثَتْ له،

واستقبله قومٌ يُـلَبّون ، فلما رأى ذلك قال: سبحان الله! ما ينبغي لهؤلاء أن يُصَدّوا عن البيت[١]!

---

(١) إسناده صحيح والحديث أخرجه البخاري بأطول من هذا في صحيحه (كتاب الشروط/ح ٢٧٣١ ـ ٢٧٣٢) ولفظه:
عن المسور بن مخرمة ومروان رحمهما الله تعالى يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه قالا: خرج رسول الله ﷺ زمن الحديبية حتى كانوا ببعض الطريق قال النبي ﷺ: (إن خالد بن الوليد بالغميم، في خيل لقريش طليعة، فخذوا ذات اليمين)، فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش، فانطلق يركض نذيراً لقريش، وسار النبي ﷺ حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها، بركت راحلته. فقال الناس «حل حل» فألحت، فقالوا: خلأت القصواء فقال ﷺ: (ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل).
ثم قال: (والذي نفسي بيده لا يسألونني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها) ثم زجرها فوثبت. قال: «فعدل عنهم حتى ينزل بأقصىٰ الحديبية على ثمد قليل الماء يتبرضه الناس تبرضاً. فلم يلبثه الناس حتى نزحوه وشكي إلى رسول الله ﷺ العطش، فانتزع سهماً من كنانته، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتىٰ صدروا عنه».
. . . فبينما هم كذلك، إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه من خزاعة ـ وكانوا عيبة نصح رسول الله ﷺ من أهل تهامة فقال: إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا أعداد مياه الحديبية، ومعهم العوذ المطافيل، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت، فقال رسول الله ﷺ: (إنا لم نجيء لقتال أحد ولكنا جئنا معتمرين وإن قريشاً قد نهكتهم الحرب، وأضرت بهم، فإن شاؤوا ماددتهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس فإن أظهر، فإن شاؤوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا وإلا فقد جموا، وإن هم أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري حتى تنفرد سالفتي ولينفذن الله أمره) فقال بديل: سأبلغهم ما تقول.
قال: فانطلق حتى أتى قريشاً قال: إنا جئناكم من هذا الرجل وسمعناه يقول قولاً، فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا، فقال سفهاؤهم: لا حاجة لنا أن تخبرونا عنه بشيء، وقال ذوو الرأي منهم: هات ما سمعته قال: سمعته يقول: كذا وكذا.
. . . فحدثهم بما قال النبي ﷺ فقام عروة بن مسعود فقال: أي قوم: ألستم بالوالد؟ قالوا: بلىٰ. قال: أولست بالولد؟ قالوا: بلىٰ. قال: فهل تتهموني، قالوا: لا، قال: ألستم تعلمون أني استنفرت أهل عكاظ. فلما بلحوا عليّ جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني؟
قالوا: بلىٰ قال: فإن هذا قد عرض عليكم خطة رشد اقبلوها ودعوني آته. قالوا: ائته، فأتاه فجعل يكلم النبي ﷺ فقال النبي ﷺ نحواً من قوله لبديل. فقال عروة عند ذلك:
أي محمد: أرأيت إن استأصلت أمر قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك؟ وإن تكن الأخرى فإني والله لا أرى وجوهاً وإني لأرىٰ أشواباً من الناس خليقاً أن يفروا ويدعوك فقال له أبو بكر رضي الله عنه: امصص بظر اللات. أنحن نفر عنه وندعه؟! =

= فقال: من ذا؟ قالوا: أبو بكر، قال: أما والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم أجزك لها لأجبتك. قال: وجعل يكلم النبي ﷺ فكلما تكلم كلمة أخذ بلحيته والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي ﷺ ومعه السيف وعليه المغفر فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية النبي ﷺ ضرب يده بنعل السيف وقال له: أخر يدك عن لحية رسول الله ﷺ. فرفع عروة رأسه فقال: من هذا؟ قال: المغيرة بن شعبة، فقال: أي غدر ألست أسعى في غدرتك؟!

وكان المغيرة صحب قوماً في الجاهلية فقتلهم، وأخذ أموالهم، ثم جاء فأسلم فقال النبي ﷺ: (أما الإسلام فأقبل وأما المال فلست منه في شيء) ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبي ﷺ بعينه، قال: فوالله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون إليه النظر تعظيماً له.

فرجع عروة إلى أصحابه فقال: أي قوم، والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرىٰ والنجاشي، والله إن رأيت مليكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمدٍ محمداً، والله إن يتنخم نخامة إلا وقعت في يد رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلموا أخفضوا أصواتهم عنده وما يحدون إليه النظر تعظيماً له، وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها.

فقال رجل من بني كنانة: دعوني آتيه؟ فقالوا: ائته، فلما أشرف على النبي ﷺ وأصحابه قال رسول الله ﷺ: (هذا فلان: وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له).

فبعثت له، واستقبله الناس يلبون، فلما رأى ذلك قال: سبحان الله، ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت، فلما رجع إلى أصحابه قال: رأيت البدن قد قلدت وأشعرت، فما أرىٰ أن يصدوا عن البيت». فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص فقال: دعوني آته. فقالوا: ائته فلما أشرف عليهم قال النبي ﷺ: هذا مكرز، وهو رجل فاجر فجعل يكلم النبي ﷺ.

... فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو قال معمر: فأخبرني أيوب عن عكرمة: أنه لما جاء سهيل بن عمرو قال النبي ﷺ: (قد سهل الله أمركم) قال معمر قال الزهري في حديثه: «فجاء سهيل بن عمرو فقال: هات اكتب بيننا وبينك كتاباً، فدعا النبي ﷺ الكاتب؛ فقال النبي ﷺ: (بسم الله الرحمن الرحيم) فقال سهيل: أما الرحمن فوالله ما أدري ما هي ولكن اكتب «بسمك اللهم» كما كنت تكتب، فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم.

فقال النبي ﷺ: اكتب «باسمك اللهم» ثم قال: (هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله) فقال سهيل: لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت، ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله. =

فقال النبي ﷺ: «والله إني لرسول الله وإن كذبتموني ، اكتب محمد بن عبد الله».
قال الزهري: وذلك لقوله: «لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها».
فقال له النبي ﷺ: «على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به» فقال سهيل: «والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة ، ولكن ذلك من العام المقبل. فكتب. فقال سهيل: وعلى أن لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا. قال المسلمون: سبحان الله! كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلماً».
فبينما هم كذلك إذ دخل أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده وقد خرج من أسفل الكعبة حتى رمىٰ بنفسه بين أظهر المسلمين ، فقال سهيل: هذا يا محمد أول ما أقاضيك عليه أن ترده إليّ.
فقال النبي ﷺ: (إنا لم نقض الكتاب بعد) قال: فوالله إذاً لم أصالحك على شيء أبداً. قال النبي ﷺ: (فأجزه لي) قال: ما أنا بمجيزه لك. قال: «بلى فافعل». قال: ما أنا بفاعل. قال مكرز: بل قد أجزناه لك. قال أبو جندل: أي معشر المسلمين أرد إلى المشركين وقد جئت مسلماً؟ ألا ترون ما لقيت؟ وكان قد عذب عذاباً شديداً في الله».
قال: فقال عمر بن الخطاب: فأتيت نبي الله ﷺ فقلت: ألست نبي الله حقاً؟ قال: بلىٰ. قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلىٰ. قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذاً؟ قال: (إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري) قلت: أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: بلىٰ أفأخبرتك أنا نأتيه العام قال: قلت: لا قال: إنك آتيه ومطوِّف به.
قال: فأتيت أبا بكر فقلت: يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقاً؟ قال: بلىٰ قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلىٰ. قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذاً؟ قال: أيها الرجل إنه لرسول الله ﷺ وليس يعصي أمر ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه ، فوالله إنه على الحق. قلت: أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى. أفأخبرك أنك تأتيه العام. قلت: لا. قال: فإنك آتيه ومطوف به قال عمر رضي الله عنه: فعملت لذلك أعمالاً.
قال: فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله ﷺ لأصحابه: (قوموا ، فانحروا ثم احلقوا) ، قال: فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات ، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس. فقالت أم سلمة: يا نبي الله أتحب ذلك؟ اخرج ، ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنك ، وتدعو حالقك فيحلقك ، فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك: نحر بدنه ودعا حالقه ، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً.
ثـم جـاءه نسوة مؤمنات فأنزل الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ مُهَـٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ﴾ حتى بلغ ﴿ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ ﴾ ، فطلق عمر يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك فتزوج إحداهما معاوية بن أبي سفيان والأخرى صفوان بن أمية.

١٨٥ ـ وحدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن الزهريّ؛ قال في حديثه: ثم بعثوا إليه الحلَيْس بن عَلْقَمة ـ أو ابن زَبّان ـ وكان

= ... ثم رجع النبي ﷺ إلى المدينة، فجاءه أبو بصير رجل من قريش وهو مسلم (وقال يحيى عن ابن المبارك: فقدم عليه أبو بصير بن أسيد الثقفي مسلماً مهاجراً. فاستأجر الأخنس بن شريق رجلاً كافراً من بني عامر بن لؤي ومعه مولى لهم، وكتب معهما إلى رسول الله ﷺ يسأله الوفاء) فأرسلوا في طلبه رجلين فقالوا: العهد الذي جعلت لنا، فدفعه إلى الرجلين.

فخرجا به حتى بلغا به ذا الحليفة، فنزلوا يأكلون من تمر لهم، فقال أبو بصير لأحد الرجلين: والله إني لأرى سيفك يا فلان هذا جيداً. فاستله الآخر فقال: أجل والله إنه لجيد لقد جربت به، ثم جربت. فقال أبو بصير: أرني أنظر إليه فأمكنه منه، فضربه به حتى برد. وفر الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد يعدو فقال رسول الله ﷺ: (لقد رآى هذا ذعراً).

فلما انتهى إلى النبي ﷺ قال: قتل والله صاحبي وإني لمقتول، فجاء أبو بصير فقال: يا نبي الله قد والله أوفى الله ذمتك قد رددتني إليهم، ثم أنجاني الله منهم فقال النبي ﷺ: (ويل أمه مسعر حرب لو كان له أحد) فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم، فخرج حتى أتى سيف البحر. قال: وينفلت منهم أبو جندل بن سهيل فلحق بأبي بصير، فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير حتى اجتمعت فيهم عصابة.

قال: فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم، فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده الله والرحم لما أرسل إليهم فمن أتاه فهو آمن فأرسل النبي ﷺ إليهم. فأنزل الله عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ حتى بلغ ﴿ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾.

وكانت حميتهم أنهم لم يقروا أنه نبي الله ﷺ ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم، وحالوا بينهم وبين البيت.

وأخرج البخاري في صحيحه كتاب المغازي (غزوة الحديبية) عن المسور بن مخرمة رضي الله عنهما قال: (خرج النبي ﷺ عام الحديبية في بضع عشرة مئة من أصحابه فلما أتىٰ ذا الحليفة قلّد الهدي وأشعره وأحرم منها بعمرة وبعث عيناً له من خزاعة، وسار النبي ﷺ حتى كان بغدير الأشطاط أتاه عينه قال: إن قريشاً جمعوا لك جموعاً، وقد جمعوا لك الأحابيش وهم مقاتلوك وصادّوك عن البيت ومانعوك.

قال: أشيروا أيها الناس عليّ أترون أن أميل إلى عيالهم وذراري هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت فإن يأتونا كان الله عز وجل قد قطع عيناً من المشركين وإلا تركناهم محروبين.

قال أبو بكر: يا رسول الله خرجت عامداً لهذا البيت لا تريد قتل أحد، فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه. قال: امضوا على اسم الله). اهـ.

يومئذ سيّد الأحابِيش؛ وهو أحد بلْحارث بن عبد مناة بن كنانة ، فلمّا رآه رسولُ الله ﷺ قال: إنّ هذا من قوم يتألهون ، فابعثوا الهَدْيَ في وجهه حتى يراه ، فلمّا رأى الهديَ يسيل عليه من عُرْض الوادي في قلائده ، قد أكل أوبارَه من طول الحبس ، رجع إلى قريش ، ولم يصل إلى رسول الله ﷺ إعظاماً لما رأى ، فقال: يا معشرَ قريش ، إنّي قد رأيتُ مالا يحلّ صدّه: الهدي في قلائده ، قد أكل أوباره من طول الحبس عن مَحِلّهِ؛ قالوا له: اجلس ، فإنما أنت رجل أعرابيٌّ لا عِلْم لك[1]. (٢: ٦٢٧/٦٢٨).

١٨٦ - رجع الحديث إلى حديث ابن عبد الأعلى ويعقوب. فقام رجل منهم يقال له مِكْرَز بن حفص ، فقال لهم: دَعُوني آته ، قالوا: ائته ، فلمّا أشرف عليهم قال النبي ﷺ: هذا مِكْرز بن حفص؛ وهو رجل فاجر؛ فجاء فجعل يكلّم النبيّ ﷺ ؛ فبينا هو يكلّمه إذ جاء سهيل بن عمرو.

وقال أيوب عن عكرمة: إنّه لما جاء سُهَيل قال النبي ﷺ: قد سَهُل لكم من أمركم[2]. (٢: ٦٢٨).

١٨٧ - وأما الحسن بن يحيى فإنه حدّثنا قال: حدّثنا أبو عامر قال: حدّثنا عِكرمة بن عمار اليماميّ ، عن إياس بن سلمة ، عن أبيه ، أنه قال: لما اصطلحنا نحن وأهلُ مكة ، أتيتُ الشجرة فكسحتُ شوكها ، ثم اضطجعتُ في ظلّها ، فأتاني أربعةُ نفر من المشركين من أهل مكة ، فجعلوا يقعُون في رسول الله ﷺ ، فأبغضتُهم. قال: فتحوّلت إلى شجرة أخرى ، فعلّقوا سلاحهم ، ثم اضطجعوا؛ فبينا هم كذلك؛ إذ نادى مناد من أسفل الوادي: يا للمهاجرين! قُتل ابن زُنَيْم! فاخترطتُ سيفي ، فشددت على أولئك الأربعة وهم رقود؛ فأخذت سلاحهم

---

(١) إسناده إلى ابن إسحاق ضعيف كما سبق ولكن أخرجه ابن هشام بسند حسن من طريق ابن إسحاق (٣/ ٣١٢) والله تعالى أعلم.

(٢) حديث ابن عبد الأعلى ويعقوب حديث صحيح كما ذكرنا سابقاً والعبارة الأخيرة التي رواها مرفوعاً (قد سهل الله من أمركم) فكذلك صحيح. كما أخرجه البخاري وإن كان الطبري لم يوضح طريق هذا السند واكتفى بقوله: (وقال أيوب عن عكرمة) فتمامه عند البخاري من حديث المسور ومروان (وقال معمر: فأخبرني أيوب عن عكرمة أنه لمّا جاء سهيل بن عمرو قال النبي ﷺ: قد سهل الله أمركم). اهـ.

فجعلته ضِغْثاً في يدي ، ثم قلت : والذي كرّم وجهَ محمد ﷺ ؛ لا يرفعُ أحدٌ منكم رأسه إلاّ ضربت الذي فيه عيناه. قال : فجئت بهم أقودهم إلى رسول الله ﷺ ، وجاءَ عَمّي عامر برجل من العَبَلاَتِ ، يقال له مكرز ؛ يقوده مجفّفاً ، حتى وقفنا بهم على رسول الله ﷺ في سبعين من المشركين ، فنظر إليهم رسولُ الله ﷺ ، فقال : دعوهم يكن لهم بَدْء الفجور ، فعفا عنهم. قال : فأنزل الله عزّ وجل : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾(١). (٢ : ٦٢٩/ ٦٣٠).

١٨٨ ـ حدّثنا بشر بن معاذ ؛ قال : حدّثنا يزيد بن زُرَيْع ، قال : حدّثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذُكِر لنا أنّ رجلاً من أصحابِ النبيّ ﷺ يقال له زُنَيم ، اطّلع الثنيّة من الحديبيَة ، فرماه المشركون فقتلوه ، فبعث رسولُ الله ﷺ خيلاً ، فأتوْه باثني عشر رجلاً فارساً من الكفار ، فقال لهم نبيّ الله ﷺ : هل لكم عليّ عهد؟ هل لكم عليّ ذمة؟ قالوا : لا ، قال : فأرسلهم رسولُ الله ﷺ ؛ فأنزل الله في ذلك القرآن : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾ ـ إلى قوله : ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾(٢). (٢ : ٦٣٠).

١٨٩ ـ وأمّا ابنُ إسحاق ، فإنه ذكر أن قريشاً إنما بعثتْ سهيل بن عمرو بعد رسالة كان رسول الله ﷺ أرسلها إليهم مع عثمان بن عفان.

---

(١) والحديث صحيح أخرجه البخاري في صحيحه :
أتيت شجرة فكسحت شوكها. واضطجعت في أصلها ، فأتاني أربعة من أهل مكة من المشركين ، فجعلوا يقعون في رسول الله ﷺ فأبغضتهم ، فتحولت إلى شجرة أخرى ، وعلقوا سلاحهم واضطجعوا فبينما هم كذلك : إذ نادى مناد من أسفل الوادي : يا للمهاجرين. قتل ابن زنيم قال : فاخترطت سيفي ثم شددت على هؤلاء الأربعة ، وهم رقود فأخذت سلاحهم فجعلته ضغثاً في يدي ، قال : ثم قلت : والذي كرم وجه محمد لا يرفع أحد منكم رأسه إلا ضربت الذي فيه عيناه. قال : ثم جئت بهم أسوقهم إلى رسول الله ﷺ.
قال : وجاء عمي عامر برجل من العبلات يقال له مكرز يقوده إلى رسول الله ﷺ على فرس مجفف في سبعين من المشركين فنظر إليهم رسول الله ﷺ فقال : (دعوهم يكن لهم بدء الفجور وثناه) فعفا عنهم رسول الله ﷺ وأنزل الله : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾.

(٢) هذا إسناد ضعيف ولكن له ما يؤيده من رواية سابقة (١٨٧) وما رواه البخاري في صحيحه عن قتل زنيم وسبب نزول الآية.

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال: حدّثنا سلمَة ، عن محمّد بن إسحاق ، قال: حدّثني بعضُ أهلِ العلم أنّ رسولَ الله ﷺ دعا خِرَاشَ بن أميّة الخُزاعيّ ، فبعثه إلى قريش بمكة ، وحمله على جمل له يقال له الثعلب؛ ليبلّغ أشرافَهم عنه ما جاء له ، فعقروا به جمل رسول الله وأرادوا قتله ، فمنعتْه الأحابيش ، فخلَّوْا سبيلَه؛ حتى أتى رسولَ الله ﷺ[1] . (٢: ٦٣٠/ ٦٣١) .

١٩٠ ـ حدّثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال: حدّثني من لا أتَّهم ، عن عِكْرمة مولى ابنِ عبّاس ، أنّ قريشاً بعثوا أربعين رجلاً منهم ـ أو خمسين رجلاً ـ وأمروهم أن يُطيفوا بعسكر رسول الله ﷺ ليُصيبوا لهم من أصحابه ، فأخذُوا أخذاً ، فأتِيَ بِهِمْ رسول الله ﷺ ، فعفا عنهم ، وخلّى سبيلهم ـ وقد كانوا رَمَوْا في عسكر رسول الله ﷺ بالحجارة والنَّبْل ـ ثم دعا النبي ﷺ عُمر بن الخطاب ليبعثَه إلى مكة ، فيبلّغ عنه أشرافَ قريشٍ ما جاءَ له؛ فقال: يا رسولَ الله؛ إني أخاف قريشاً على نفسي؛ وليس بمكَّة من بَني عديّ بن كعب أحد يمنعني؛ وقد عرفَتْ قريش عداوتي إيّاها ، وغلظَتي عليها ، ولكنِّي أدلك على رجل هو أعزّ بها منِّي ، عثمان بن عفان!

---

(١) هذا إسناد ضعيف ولكن أخرج أحمد في المسند (٤/ ٣٢٣) من حديث مروان بن الحكم والمسور رضي الله عنهما وفيه:
وقد كان رسول الله ﷺ قبل ذلك بعث خراش بن أمية إلى مكة وحمله على جمل له يقال له الثعلب ، فلما دخل مكة عقرت به قريش وأرادوا قتل خراش ، فمنعهم الأحابيش حتى أتى رسول الله ﷺ فدعا عمر ليبعثه إلى مكة ، فقال: يا رسول الله إني أخاف قريشاً على نفسي وليس بها من بني عدي أحد يمنعني وقد عرفت قريش عداوتي إياها ، وغلظتي عليها ، ولكن أدلك على رجل هو أعز مني ، عثمان بن عفان.
قال: فدعاه رسول الله ﷺ ، فبعثه إلى قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب ، وأنه جاء زائراً لهذا البيت معظماً لحرمته ، فخرج عثمان حتى أتى مكة ولقيه أبان بن سعيد بن العاص فنزل عن دابته وحمله بين يديه وردف خلفه ، وأجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ ، فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش ، فبلغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به. فقالوا لعثمان: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف به ، فقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ فاحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أن عثمان قد قتل.
والحديث أخرجه ابن هشام (٣/ ٣٠٨) من طريق ابن إسحاق والله أعلم.

فدعا رسولُ الله ﷺ عثمان ، فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب؛ وإنما جاء زائراً لهذا البيت ، معظّماً لحرمته.

فخرج عثمان إلى مكّة ، فلقيَه أبَان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة ـ أو قبْل أن يدخلها ـ فنزل عن دابّته ، فحمله بين يديه ، ثم رَدفه وأجاره؛ حتى بلّغ رسالَة رسول الله ﷺ ، فانطلق عثمان حتى أتَى أبا سفيان وعظماء قريش ، فبلّغهم عن رسولِ الله ﷺ ما أرسلَهُ به ، فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله ﷺ إليهم: إن شئتَ أن تطوف بالبيت فطُفْ به؛ قال: ما كنت لأفعَل حتى يطوف به رسولُ الله ﷺ؛ فاحتبسْته قريش عندها ، فبلغ رسولَ الله ﷺ والمسلمين أنّ عثمان قد قُتل[1]. (٢: ٦٣١/ ٦٣٢).

١٩١ ـ حدّثني يونس بن عبد الأعلَى ، قال: أخبرنا ابن وهب ، قال: أخبرنا القاسم بن عبد الله بن عمر ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد الله؛ أنهم كانوا يوم الحديبية أربعة عشر مئة. قال: فبايعنا رسولَ الله ﷺ ، وعمرُ آخذ بيده تحت الشجرة ، وهي سَمُرة ، فبايعناه غير الجَدّ بن قيس الأنصاريّ ، اختبأ تحت بطن بعيره.

قال جابر: بايعْنـا رسول الله على ألاّ نَفِـرّ؛ ولم نبايعـه على الموت[2]. (٢: ٦٣٢).

---

(١) إسناده ضعيف ولمتنه شواهد ذكرناها آنفاً وأما أسر الصحابة لعدد من مقاتلي قريش فقد أخرجه مسلم في صحيحه (باب قوله تعالى: وهو الذي كف أيديهم عنكم) (ح ١٨٠٨).
(من حديث أنس رضي الله عنه) أن ثمانين رجلاً من أهل مكة هبطوا على رسول الله ﷺ من جبل التنعيم متسلحين يريدون غرة النبي ﷺ وأصحابه فأخذهم سلماً فاستحياهم ، فأنزل الله عز وجل: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾.
والحديث أخرجه الترمذي (ح ٣٢٦٤) وقال: حسن صحيح.

(٢) هذا حديث صحيح أخرجه مسلم في صحيحه/ كتاب الإمارة/ باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال ولفظه:
(قال جابر رضي الله عنه: كنا أربع عشر مئة فبايعناه وعمر آخذ بيده ، تحت الشجرة وهي سمرة فبايعناه غير جد بن قيس الأنصاري اختبأ تحت بطن بعيره).
ومن رواية أخرى لمسلم (١٨٥٨/ ٧٦) عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: لقد رأيتني يوم الشجرة والنبي ﷺ يبايع الناس وأنا رافع غصناً من أغصانها عن رأسه ، ونحن أربعة عشرة =

١٩٢ - وقد قيل في ذلك ما حدّثنا الحسن بن يحيى ، قال: أخبرَنا أبو عامر ، قال: أخبرنا عِكْرمة بن عمّار اليماميّ ، عن إياس بن سلَمة بن الأكوع ، عن أبيه ، أنّ النبيّ ﷺ دعا الناس للبيعة في أصل الشجرة ، فبايعتُه في أوّل الناس ، ثم بايع وبايع؛ حتى إذا كان في وسط من الناس ، قال: بايعْ يا سلَمة ، قال: قلت: قد بايعتُك يا رسولَ الله في أوّل الناس! قال: وأيضاً؛ ورآني النبي ﷺ أعْزَلَ ، فأعطاني حَجَفة أو دَرَقةً. قال: ثم إنّ رسولَ الله بايع الناس؛ حتى إذا كان في آخرهم ، قال: ألا تبايعُ يا سلمةُ! قلت: يا رسول الله؛ قد بايعتك في أوّل الناس وأوسطهم! قال: وأيضاً ، قال: فبايعتُه الثالثة ، فقال رسول الله ﷺ: فأين الدَّرَقة ، والحَجَفة التي أعطيتُك؟ قلتُ: لقيَني عمّي عامر أعزَل فأعطيته إياها ، فضحك رسولُ الله ﷺ وقال: إنك كالذي قال الأول: اللهمّ ابغني حبيباً هو أحبّ إليّ من نفسي[١]. (٢: ٦٣٣).

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق. قالَ: فبايع رسول الله ﷺ النَّاس ، ولم يتخلَّفْ عنه أحد من المسلمين حضرها إلاّ الجَدُّ بن قيس ، أخو بني سلمة ، قال: كان جابر بن عبد الله يقول: لكأنيّ أنظرُ إليه لاصقاً بإبط ناقته ، قد ضَبأَ إليها يستتر بها من الناس. ثم أتى رسولَ الله ﷺ أنَّ الذي كان من أمر عثمان باطل[٢]. (٢: ٦٣٣).

= مئة. قال لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه أن لا نفر.
والحديث أخرجه أحمد في مسنده والله أعلم.

(١) حديث سلمة هذا حديث صحيح أخرجه مسلم في صحيحه (باب غزوة ذي قرد/ ح١٨٠٧).
ولفظه: (قدمنا مع رسول الله ﷺ الحديبية ونحن أربع عشر مئة.... الحديث) وفيه:
قال: ثم إن رسول الله ﷺ دعانا إلى البيعة في أصل الشجرة فبايعه أول الناس. ثم بايع وبايع حتى إذا كان في وسط الناس قال: (بايعني يا سلمة) قال: قلت: يا رسول الله قد بايعتك أول الناس قال: (وأيضاً) قال: ورآني رسول الله ﷺ عزلاً فأعطاني حجفة أو درقة ، ثم بايع حتى إذا كان في آخر الناس قال: (ألا تبايع يا سلمة؟) قال: قلت: يا رسول الله قد بايعتك في أول الناس وأوسطهم قال: (وأيضاً) فبايعته الثالثة فقال: (يا سلمة أين حجفتك أو درقتك التي أعطيتك؟) قال: قلت: يا رسول الله لقيني عامر عزلاً فأعطيتها إياه. فضحك رسول الله ﷺ ثم قال: (إنك كالذي قال الأول: اللهم ابغني حبيباً هو أحب إليّ من نفسي).
والحديث أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٥٣) والبيهقي في الدلائل (٤/ ١٨٢) والله أعلم.

(٢) حديث صحيح أخرجه مسلم في صحيحه (كتاب الإمارة/ باب استحباب مبايعة الإمام الجيش=

١٩٣ ـ قال ابن إسحاق: قال الزهريّ: ثم بعثتْ قريش سهيلَ بن عمرو، أخا بني عامر بن لؤيّ إلى رسول الله ﷺ؛ وقالوا له: ائت محمداً فصالحْه، ولا يكن في صلْحه إلاّ أن يرجعَ عنّا عامه هذا، فو الله لا تحدّث العرب أنه دخل علينا عنوة أبداً.

قال: فأقبل سُهيل بن عمرو، فلمّا رآه رسولُ الله ﷺ مقبلاً، قال: قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل. فلمّا انتهَى سهيل إلى رسول الله ﷺ تكلّم فأطال الكلام، وتراجعا، ثم جرى بينهما الصلح، فلمّا التأم الأمر، ولم يبق إلا الكتاب وثب عمر بن الخطاب، فأتى أبا بكر، فقال: يا أبا بكر، أليس برسول الله! قال: بلى، قال: أو لَسْنا بالمسلمين! قال: بلى، قال: أو ليسُوا بالمشركين! قال: بلى؛ قال: فَعَلاَمَ نُعْطي الدنيّةَ في ديننا! قال أبو بكر: يا عُمر الزَمْ غَرْزَه؛ فإني أشهد أنه رسول الله، قال عمر: وأنا أشهد أنه رسول الله. قال: ثم أتى رسولَ الله ﷺ فقال: يا رسول الله، ألستَ برسول الله! قال: بلى، قال: أوَلَسْنَا بالمسلمينَ! قال: بلى، قال: أوليسوا بالمشركين! قال: بلى، قال: فعلامَ نعطي الدنيّة في ديننا! فقال: أنا عبد الله ورسوله لن أخالفَ أمرَه، ولن يُضيِّعَني. قال: فكان عمر يقول: ما زلت أصومُ وأتصدَّقُ وأصلِّي وأعتق من الذي صنعت يومئذ، مخافة كلامي الذي تكلّمت به؛ حتى رجوت أن يكون خيراً[١]. (٢: ٦٣٣/ ٦٣٤).

١٩٤ ـ حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلَمة، عن محمد بن إسحاق، عن بُرَيْدة بن سفيان بن فروة الأسلميّ، عن محمد بن كعب القرظيّ، عن علقمة بن قيس النخعيّ، عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: ثمّ دعاني رسولُ الله ﷺ، فقال: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم. فقال سُهَيل: لا أعرف هذا، ولكن اكتب: «باسمك اللهمّ» فقال رسول الله: اكتب «باسمك اللهمّ» فكتبتُها. ثم قال: اكتب: «هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو»

= ٣/ ١٤٨٣) والله أعلم.

(١) سبق أن ذكرنا روايات البخاري ومسلم في الصلح الذي جرىٰ بين رسول الله ﷺ وممثل قريش سهيل بن عمرو (البخاري/ كتاب الشروط) ومسلم (كتاب الجهاد/ باب صلح الحديبية).

فقال سهيل بن عمرو: لو شهدتُ أنك رسولُ الله لم أقاتلْك؛ ولكن اكتب اسمَك واسم أبيك، قال: فقالَ رسولُ الله ﷺ: اكتب: «هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو؛ اصطلحا على وضْع الحرب عن الناس عشر سنين، يأمن فيهنّ الناس، ويكفّ بعضهم عن بعض، على أنه مَنْ أتى رسولَ الله من قريش بغير إذن وليه ردّه عليهم، ومن جاء قريشاً ممنّ مع رسول الله لم تَرُدَّه عليه. وأنّ بيننا عَيْبة مكفوفة، وأنه لا إسلال ولا إغلال؛ وأنه مَنْ أحب أن يدخلَ في عَقْد رسولِ الله وعهده دخل فيه، ومن أحبّ أن يدخلَ في عَقْد قريش وعهدهم، دخل فيه» ـ فتواثبت خُزاعة فقالوا: نحن في عَقْد رسول الله وعهده، وتواثبتْ بنو بكر، فقالوا: نحن في عَقْد قريش وعهدها ـ «وأنك ترجع عَنَّا عامك هذا، فلا تدخل علينا مكة، وأنه إذا كان عام قابل خرجْنا عنك، فدخلتَها بأصحابك؛ فأقمت بها ثلاثاً، وأن معك سلاح الراكب، السيوف في القُرُب لا تدخلها بغير هذا».

فبينا رسول الله ﷺ يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو، إذ جاء أبو جَنْدل بن سهيل بن عمرو يَرْسُف في الحديد، قد انفلتَ إلى رسولِ الله ﷺ ـ قال: وقد كان أصحابُ رسول الله ﷺ خرجوا وهم لا يشكّون في الفتح، لرؤيا رآها رسولُ الله ﷺ؛ فلمّا رأوْا ما رأوْا من الصلح والرجوع، وما تحمَّل عليه رسولُ الله ﷺ في نفسه، دخل الناسَ من ذلك أمرٌ عظيمٌ حتى كادوا أن يهلكوا ـ فلمّا رأى سهيل أبا جندل، قام إليه فضرب وجهه، وأخذ بلَبَبِه، فقال: يا محمد قد لجَّت القضيَّة بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا! قال: صدقْت، قال: فجعل يَنْتِزُه بلَبَبِه، ويجرُّه ليَرُدّه إلى قريش، وجعل أبو جندل يصرُخ بأعلى صوتِه: يا معشر المسلمين، أُرَدُّ إلى المشركين يفتنونني في ديني! فزاد الناس ذلك شرّاً إلى ما بهم فقال رسولُ الله ﷺ: يا أبا جندل، احتسِبْ، فإن الله جاعلٌ لك ولمن معك من المستضعَفين فَرَجاً ومخرجاً؛ إنّا قد عقدنا بيننا وبين القوم عَقْداً وصلحاً، وأعطيناهم على ذلك عهداً، وأعطونا عهداً، وإنا لا نغدِر بهم.

قال: فوثب عمر بن الخطاب مع أبي جندل يمشي إلى جنبه، ويقول: اصبر يا أبا جندل؛ فإنّما هم المشركون؛ وإنما دَمُ أحدهم دمُ كلب!.

قال: ويُدْني قائم السيف منه، قال: يقولُ عمر: رجوت أن يأخذَ السيفَ

فيضرب به أباه ، قال: فضنَّ الرجل بأبيه .

فلمّا فرغ من الكتاب أشهد على الصلح رجالاً من المسلمين ، ورجالاً من المشركين: أبا بكر بن أبي قُحافة ، وعمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن سهيل بن عمرو ، وسعد بن أبي وقّاص ، ومحمود بن مسلمة أخا بني عبد الأشهل ، ومِكْرز بن حفص بن الأخْيَف ـ وهو مشرك ـ أخا بني عامر بن لؤيّ ، وعلي بن أبي طالب ، وكتب وكان هو كاتب الصحيفة(١) . (٢ : ٦٣٤/ ٦٣٥/ ٦٣٦) .

١٩٥ ـ حدثنا هارون بن إسحاق ، قال: حدثنا مُصعب بن المقدام ، وحدّثنا سفيان بن وكيع ، قال: حدّثنا أبي ، قالا جميعاً: حدّثنا إسرائيل ، قال: حدثنا أبو إسحاق ، عن البَرَاء ، قال: اعتَمر رسولُ الله ﷺ في ذي القَعْدة ، فأبى أهلُ مكة أن يَدَعُوه يدخل مكة ، حتى يقاضيَهم على أن يقيم بها ثلاثة أيام. فلمّا كتب الكتاب كتب: «هذا ما تقاضى عليه محمد رسول الله؛ فقالوا: لو نعلم أنك رسولُ الله ما منعناك؛ ولكن أنت محمد بن عبد الله ، قال: أنا رسول الله ، وأنا

(١) إسناده ضعيف ومتنه مركب من أكثر من رواية فأما تسمية علي بن أبي طالب كاتباً لوثيقة الصلح فقد أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٥/ ٣٤٣) عن ابن عباس وصحح العمري إسناده. ا هـ.
وأخرجه البخاري في صحيحه (الصلح/ ح٢٦٩٨) عن البراء بن عازب رضي الله عنه كذلك، وجاء في رواية عند أحمد في مسنده (٤/ ٣٢٥) من طريق ابن إسحاق بسند حسن حديثٌ وفيه: (بيننا عيبة مكفوفة وأنه لا إسلال ولا إغلال ، وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه. . . . الحديث وفيه: وأنك ترجع عنا عامك هذا ، فلا تدخل علينا مكة ، وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك فتدخلها بأصحابك وأقمت فيهم ثلاثاً معك سلاح الراكب لا تدخلها بغير السيوف في القرب).
وأما روايات الصحيحين فقد ذكرت بعضاً من هذه الشروط في أحاديث متفرقة وكما يلي:
١ ـ من حديث ابن عمر (صحيح البخاري/ باب الصلح مع المشركين/ ح ٢٧٠١).
٢ ـ من حديث البراء (صحيح البخاري/ح ٢٧٠٠).
٣ ـ حديث البراء (صحيح مسلم/ ح ١٧٨٣) ولفظ مسلم في حديث البراء بن عازب.
(لما أُحْصِرَ النبي ﷺ عند البيت صالحه أهل مكة على أن يدخلها فيقيم بها ثلاثاً ولا يدخلها إلاّ بجلبان السلاح: السيف وقرابه ، ولا يخرج بأحد معه من أهلها ولا يمنع أحد يمكث بها كان معه. . . إلخ الحديث).

محمد بن عبد الله ، قال لعليّ عليه السلام: امْح «رسولَ الله» ، قال: لا والله لا أمحاك أبداً ، فأخذه رسولُ الله ﷺ ـ وليس يُحسِن يكتب ـ فكتب مكان «رسول الله» «محمد» فكتب: «هذا ما قاضى عليه محمد ، لا يدخل مكة بالسلاح إلا السيوف في القراب ، ولا يخرج من أهلها بأحد أراد أن يتّبعه ، ولا يمنع أحداً من أصحابه أراد أن يقيم بها». فلما دخلها ومضَى الأجل ، أتْوا عليًّا عليه السلام ، فقالوا له: قل لصاحبك: اخرجْ عنّا فقد مضى الأجل ، فخرج رسولُ الله ﷺ(١) . (٢ : ٦٣٦/ ٦٣٧) .

١٩٦ ـ حدّثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال: حدثنا محمد بن ثور ، عن معمَر ، عن الزهريّ ، عن عروة بن الزبير ، عن المِسْور بن مخرمة. وحدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال: حدّثنا يحيى بن سعيد ، قال: حدّثنا عبد الله بن المبارك ، قال: حدّثنا معمَر ، عن الزّهريّ ، عن عُرْوَة ، عن المِسْور بن مَخْرمة ومرْوان بن الحكَم في قصة الحديبيَة: فلما فرغ رسول الله ﷺ من قضيّته قال لأصحابه: قوموا فانحرُوا ، ثم احلِقُوا. قال: فو الله ما قام منهم رجلٌ حتى قال ذلك ثلاث مرّات؛ فلمّا لم يقمْ منهم أحد ، قام فدخلَ على أمّ سلَمة ، فذكر لها

(١) حديث براء هنا حديث صحيح أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب الصلح) ولفظه:
(اعتمر النبي ﷺ في ذي القعدة فأبى أهل مكة أن يَدعُوه يدخل مكة ، حتى قاضاهم على أن يقيم بها ثلاثة أيام فلما كتبوا الكتاب كتبوا: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله ﷺ فقالوا: لا نقرُّ بها. فلو نعلم أنك رسول الله ما منعناك لكن اكتب محمد بن عبد الله ، قال: أنا رسول الله وأنا محمد بن عبد الله ، ثم قال لعليّ: امح رسول الله قال: والله لا أمحوك أبداً فأخذ رسول الله ﷺ الكتاب فكتب هذا ما قاضىٰ عليه محمد بن عبد الله ، لا يدخل مكة سلاح إلا في القراب وأن لا يخرج من أهلها بأحدٍ إن أراد أن يتبعه وأن لا يمنع أحداً من أصحابه أراد أن يقيم بها فلما دخل ومضى الأجل أتوا علياً فقالوا: قل لصاحبك اخرج عنا فقد مضى الأجل ، فخرج النبي ﷺ فتبعتهم ابنة حمزة: يا عمّ يا عمّ فتناولها عليّ فأخذ بيدها وقال لفاطمة عليها السلام: دونك ابنة عمك احمليها ، فاختصم فيها عليّ وزيد وجعفر ، فقال علي: أنا أحق بها وهي ابنة عمي ، وقال جعفر: ابنة عمي وخالتها تحتي ، وقال زيد: ابنة أخي.
فقضى بها النبي ﷺ لخالتها وقال: الخالة بمنزلة الأم ، وقال لعليّ: أنت مني وأنا منك. وقال لجعفر: أشبهت خلقي وخُلقي. وقال لزيد: أنت أخونا ومولانا).
والحديث أخرجه مسلم في صحيحه (باب صلح الحديبية/ ح ١٧٨٣).

ما لَقِي من الناس ، فقالت له أمّ سلمة: يا نبيّ الله ، أتحبّ ذلك! اخرج ثم لا تكلّم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بَدَنَتَك؛ وتدعوَ حالِقك فيحلقك؛ فقام فخرج فلم يكلّم أحداً منهم كلمة حتى فعل ذلك؛ نحر بدَنته ودعا حالِقه فحلقه. فلمّا رأوْا ذلك قاموا فنحرُوا؛ وجعل بعضهم يحلِق بعضاً؛ حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غَمًّا[1]. (٢: ٦٣٧).

١٩٧ - حدثنا ابن حُميد، قال: حدّثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: حدّثني عبد الله بن أبي نَجِيح، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: حلَق رجالٌ يوم الحديبية، وقصّر آخرون؛ فقال رسولُ الله ﷺ: يرحم الله المحلِّقين، قالوا: والمقصِّرين يا رسول الله؟ قال: يرحم الله المحلّقين، قالوا: والمقصِّرين يا رسول الله؟ قال: يرحم الله المحلِّقين، قالوا: يا رسولَ الله: والمقصِّرين؟ قال: والمقصِّرين؛ قالوا: يا رسولَ الله؛ فلِمَ ظاهرتَ الترحُّم للمحلّقين دون المقصِّرين؟ قال: لأنهم لم يشكُّوا[2]. (٢/ ٦٣٧).

١٩٨ - حدّثنا ابن حُميد قال: حدّثنا سلَمة ، عن أبان بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي نَجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عبّاس ، قال: أهدى رسولُ الله ﷺ

---

(١) إسناده صحيح والحديث جزء من الحديث الطويل الذي أخرجه البخاري في صحيحه كما ذكرنا سابقاً (في كتاب الشروط من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم ح/ ٢٧٣١) وقد ذكرنا الحديث بطوله سابقاً والله أعلم.
ولقد ذكر البخاري بعض شروط الصلح من حديث البراء (ح/ ٢٧٠٠) ومسلم (ح/ ١٧٨٣) ومن حديث ابن عمر رضي الله عنهما عند البخاري كذلك (ح/ ٢٧٠١).
أما الإمام أحمد فقد ذكر جميع الشروط في رواية واحدة وذلك من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم. وانظر صحيح ابن حبان (ح١٦٩٦) والمطالب العالية (٢٠٦٤، ٤٣٤٧) والله تعالى أعلم.

(٢) إسناد الطبري إلى ابن إسحاق ضعيف ولكن أخرجه ابن هشام في السيرة النبوية من طريق ابن إسحاق قال: فحدثني عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس وهذا إسناد حسن ولقد أخرج البخاري في صحيحه (كتاب الحج/ باب الحلق والتقصير).
(عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: اللهم اغفر للمحلقين. قالوا: وللمقصرين. قال: اللهم اغفر للمحلقين. قالوا: وللمقصرين. قالها ثلاثاً. قال: وللمقصرين).
ورواه مسلم (كتاب الحج/ باب تفضيل الحلق) وغيرهما.

عامَ الحديبيَة في هداياه جملاً لأبي جهل؛ في رأسه بُرَة من فِضّة، ليغيظ المشركين بذلك[(١)]. (٢: ٦٣٨).

١٩٩ ـ رجع الحديث إلى حديث الزهريّ الذي ذكرنا قبل ثم رجع النبي ﷺ إلى المدينة ـ زاد ابنُ حُميد عن سلمة في حديثه، عن ابن إسحاق عن الزهريّ، قال: يقول الزهريّ: فما فُتحَ في الإسلام فتحٌ قبلَه كان أعظمَ منه؛ إنما كان القتال حيث التقى النَّاس ـ فلما كانت الهدنة، ووضعت الحرب أوزارها، وأمن الناس كلُّهم بعضهم بعضاً فالتقوا؛ وتفاوضوا في الحديث والمنازعة، فلم يكلّم أحد بالإسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه، فلقد دخل في تيْنِك السنتيْن في الإسلام مثلُ ما كان في الإسلام قبل ذلك وأكثر[(٢)]. (٢: ٦٣٨).

٢٠٠ ـ وقالوا جميعاً في حديثهم عن الزُّهْرِي، عن عُروة، عن المِسْور ومروان: فلما قدِم رسولُ الله ﷺ المدينة، جاءه أبو بَصير؛ ـ رجل من قريش ـ قال ابن إسحاق في حديثه: أبو بصير عُتْبة بن أسَيْد بن جارية ـ وهو مسلمٌ، وكان ممن حُبِس بمكة، فلمّا قدِم على رسول الله كتب فيه أزهر بن عبد عَوْف والأخنس بن شَرِيق بن عمرو بن وهب الثقفيّ إلى رسول الله ﷺ، وبعث رجلاً من بني عامر بن لؤي، ومعه مولى لهم. فقدما على رسول الله ﷺ بكتاب الأزهر

(١) إسناده إلى ابن إسحاق ضعيف ولكن الإمام أحمد أخرجه من طريق ابن إسحاق مصرحاً بالتحديث عن عبد الله بن أبي نجيح فإسناده حسن (المسند ١/ ٢٣٤).
والحديث أخرجه ابن هشام في السيرة وأبو داود في سننه (كتاب المناسك/ باب في الهدي) من طريق ابن إسحاق كما عند الطبري والله تعالى أعلم.

(٢) هكذا ذكر الطبري قول الزهري الإمام رحمه الله، وكذلك نسب ابن هشام هذا الكلام والتعليق النفيس إلى الإمام الزهري رحمه الله ـ ولقد أيد ابن هشام رحمه الله قول الزهري هذا فقال معقباً: والدليل على قول الزهري أن رسول الله ﷺ خرج إلى الحديبية في ألف وأربعمئة في قول جابر بن عبد الله، ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بسنتين في عشرة آلاف. ا هـ.
قلنا (المحققان): ولا غرابة في قول الزهري وتأييد ابن هشام له بل هكذا كان يعدّ الصحابة بعد ذلك يوم الحديبية فتحاً عظيماً وباباً واسعاً لانتصار الإسلام. ولقد أخرج البخاري في صحيحه. (كتاب المغازي/ باب غزوة الحديبية/ ح ٤١٥٠) حديثاً عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: (تعدّون أنتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحاً ونحن نعدّ الفتح: بيعة الرضوان يوم الحديبية)..... إلى آخر الحديث.

والأخنس ، فقال رسولُ الله ﷺ : يا أبا بصير ؛ إنَّا قد أعْطيْنا هؤلاء القوم ما قد علمت ؛ ولا يصلح لنا في ديننا الغَدْر ، وإنّ الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرَجاً ومخرجاً .

قال : فانطلق معهما حتى إذا كان بذي الحُلَيْفة ، جلس إلى جدار وجلس معه صاحباه ، فقال أبو بصير : أصارمٌ سيفك هذا يا أخا بني عامر؟ قال : نعم ، قال : أنظر إليه؟ قال : إن شئت! فاستلّه أبو بَصير ، ثمّ علاه به حتى قتله ، وخرج المولى سريعاً حتى أتى رسولَ الله ﷺ وهو جالس في المسجد ، فلما رآه رسول الله طالعاً ، قال : إنّ هذا رجل قد رأى فَزَعاً ، فلمّا انتهى إلى رسولِ الله قال : ويلك! مالك! قال : قتَل صاحبُكم صاحبي ؛ فو الله ما برح حتى طلع أبو بصير متوشِّحاً السيف ، حتى وقف على رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسولَ الله ، وفتْ ذمّتك ، وأدِّيَ عنك ، أسلمتني ورددتَني إليهم ثم أنجاني الله منهم . فقال النبي ﷺ : ويلُ أمِّه مِسْعَرُ حَرْب! ـ وقال ابن إسحاق في حديثه : محَشّ حَرْب ـ لو كان معه رجالٌ! فلمّا سمع ذلك عرف أنه سيرُدّه إليهم . قال : فخرج أبو بصير حتى نزل بالعيص من ناحية ذي المَرْوة على ساحل البحر بطريق قريش الذي كانوا يأخذون إلى الشام . وبلغ المسلمين الذين كانوا احتُبسوا بمكة قولُ رسول الله ﷺ لأبي بصير : «ويل أمّه محشّ حرب لو كان معه رجال» ، فخرجوا إلى أبي بصير بالعيص ؛ وينفلت أبو جندل بن سُهَيل بن عمرو ، فلحق بأبي بصير ؛ فاجتمع إليه قريب من سبعين رجلاً منهم ؛ فكانوا قد ضيّقوا على قُرَيش ؛ فو الله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لهم فقتلوهم ، وأخذوا أموالهم ، فأرسلت قريش إلى النبيّ ﷺ يناشدونه بالله وبالرّحم لَمَا أرسل إليهم! فمن أتاه فهو آمِن ، فآواهم رسول الله ﷺ ، فقدموا عليه المدينة .

زاد ابن إسحاق في حديثه : فلمّا بلغ سهيلَ بن عمرو قتلُ أبي بصير صاحبَهم العامريّ أسند ظهرَه إلى الكعبة ، وقال : لا أؤخّر ظهري عن الكعبة ؛ حتى يُودُوا هذا الرجل ؛ فقال أبو سفيان بن حرب : والله إنّ هذا لهو السَّفه! والله لا يُودَى! ثلاثاً[١] . (٢ : ٦٣٨/ ٦٣٩) .

---

(١) لقد ذكرنا سابقاً أن البخاري أخرج حديث مروان ومسور رضي الله عنهما وفي آخر الحديث قصة أبي بصير . (صحيح البخاري/ كتاب الشروط/ ح٢٧٣١) والله تعالى أعلم .

٢٠١ ـ وقال ابن عبد الأعلى ويعقوب في حديثهما: ثم جاءه ـ يعني رسولَ الله ـ نسوةٌ مؤمناتٌ، فأنزل الله عزّ وجلّ عليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ﴾ ـ حتى بلغ: ﴿بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾. قال: فطلّق عمر بن الخطاب يومئذ امرأتيْن كانتا له في الشرْك. قال: فنهاهم أن يردّوهنّ، وأمرهم أن يردُّوا الصّداق حينئذ.

قال رجل للزهريّ: أمِنْ أجل الفُروج؟ قال: نعم؛ فتزوّج إحداهما معاوية بن أبي سفيان، والأخرى صَفوان بن أميّة[١]. (٢: ٦٤٠).

٢٠١ ـ زاد ابن إسحاق في حديثه: وهاجرتْ إلى رسول الله ﷺ أمّ كلثوم بنت عُقْبة بن أبي مُعَيْط في تلك المدّة؛ فخرج أخواها عُمارة والوليد ابنا عُقْبة؛ حتى قَدِما على رسول الله ﷺ يسألانِه أن يردّها عليهما بالعهد الذي كان بينه وبين قريش في الحديبية؛ فلم يفعل، أبَى الله عزّ وجلّ ذلك[٢]. (٢: ٦٤٠).

---

(١) هذا الجزء مكمل لحديث ابن عبد الأعلىٰ ويعقوب السابق، وإسناد الحديث صحيح وكذلك أخرجه البخاري كما مرّ بنا في صحيحه من حديث طويل ذكرناه بطوله في قسم الصحيح فليراجع والله تعالى أعلم.

(٢) جزء من حديث صحيح أخرجه البخاري في صحيحه فقد قال الإمام البخاري رحمه الله: حدثني إسحاق أخبرنا يعقوب حدثني ابن أخي ابن شهاب عن عمه أخبرني عروة بن الزبير أنه سمع مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة يخبران خبراً من خبر رسول الله ﷺ في عمرة الحديبية فكان فيما أخبرني عروة عنهما أنه لما كاتب رسول الله ﷺ سهيل بن عمرو يوم الحديبية على قضية المدة وكان فيما اشترط سهيل بن عمرو أنه قال: لا يأتيك منا أحد وإن كان على دينك إلا رددته إلينا وخليت بيننا وبينه وأبى سهيل أن يقاضي رسول الله ﷺ إلا على ذلك فكره المؤمنون ذلك وأمعضوا فتكلموا فيه فلما أبى سهيل أن يقاضي رسول الله ﷺ إلا على ذلك كاتبه رسول الله ﷺ فردَّ رسول الله ﷺ أبا جندل بن سهيل يومئذ إلى أبيه سهيل بن عمرو ولم يأتِ رسول الله ﷺ أحد من الرجال إلا رده في تلك المدة وإن كان مسلماً وجاءت المؤمنات مهاجرات فكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ممن خرج إلى رسول الله ﷺ وهي عاتق فجاء أهلها يسألون رسول الله ﷺ أن يرجعها إليهم حتى أنزل الله تعالى في المؤمنات ما أنزل.

قال ابن شهاب: وأخبرني عروة بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: إن رسول الله ﷺ كان يمتحن من هاجر من المؤمنات بهذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾.

=

٢٠٢ ـ وقال أيضاً في حديثه: كان ممَّن طلَّق عمر بن الخطاب؛ طلق امرأتَيْه قُرَيْبَة بنت أبي أمية بن المغيرة، فتزوّجها بعده معاوية بن أبي سفيان؛ وهما على شِرْكهما بمكَّة، وأمّ كلثوم بنت عمرو بن جَرْوَل الخُزاعيّة أمّ عُبيد الله بن عمر؛ فتزوّجها أبو جَهْم بن حُذافة بن غانم، رجلٌ من قومها؛ وهما على شركهما بمكة[1]. (٢: ٦٤٠).

٢٠٣ ـ وأما الرواية الأخرى عن سلَمة بن الأكوع في هذه السريّة، أن أميرها كان أبا بكر بن أبي قحافة؛ حدّثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرَنا أبو عامر، قال: حدّثنا عِكْرمة بن عَمار، عن إياس بن سلمة، عن أبيه، قال: أمَّرَ رسولُ الله ﷺ علينا أبا بكر؛ فغزونا ناساً من بني فَزارة، فلمَّا دنوْنا من الماء أمرَنا أبو بكر فعرّسنا؛ فلمَّا صلَّينا الصبح، أمرنا أبو بكر فشنَنَّا الغارة عليهم. قال: فوردنا الماء فقتلنا به من قتلنا. قال: فأبصرت عُنُقاً من الناس؛ وفيهم النّساء والذراريُّ قد كادوا يسبقون إلى الجبل، فطرحت سهماً بينهم وبين الجبل، فلمَّا رأوا السَّهم وقفوا، فجئت بهم أسوقهم إلى أبي بكر؛ وفيهِم امرأة من بني فَزارة عليها قَشْعُ أدَم، معها ابنة لها من أحسن العرب. قال: فنفلني أبو بكر ابنتها، قال: فقدمت المدينة، فلقيني رسولُ الله ﷺ بالسوق، فقال: يا سلَمة، لله أبوك! هب لي المرأة! فقلت: يا رسولَ الله؛ والله لقد أعجبَتْني وما كشفت لها ثوباً. قال: فسكت عني حتى إذا كان من الغد لقيَني في السّوق، فقال: يا سلَمة، لله أبوك! هبْ لي المرأة، فقلت: يا رسولَ الله؛ والله ما كشفت لها ثوباً؛ وهي لك يا رسولَ الله. قال: فبعث بها رسول الله إلى مكّة؛ ففادى بها أسارى من المسلمين

= وعن عمّه قال: بلغنا حين أمر الله رسوله ﷺ أن يرد إلى المشركين ما أنفقوا على من هاجر من أزواجهم وبلغنا أن أبا بصير... فذكره بطوله.
(صحيح البخاري/ كتاب المغازي/ باب ٣٥/ح ٤١٨٠ ـ ٤١٨١) وانظر فتح الباري (ح/ ٢٧١٢).

(١) ذكرنا سابقاً حديث البخاري الطويل في غزوة الحديبية وفيه: (فطلق عمر يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك فتزوج إحداهما معاوية بن أبي سفيان والأخرى صفوان بن أمية).
قال الحافظ ابن كثير: وفي رواية عقيل عن الزهري وهو عند البخاري تعليقاً أنها قريبة بنت أبي أمية، تزوجها معاوية، والأخرى بنت جرول، تزوجها أبو الجهم، وهكذا قال ابنُ إسحاق (البداية والنهاية ٣/ ٣٩٢).

كانوا في أيدي المشركين. فهذه الرواية عن سلمة[١]. (٢: ٦٤٣/ ٦٤٤).

٢٠٤ ـ قال محمد بن عمر: وفيها سريّة كُرز بن جابر الفهريّ إلى العُرنيّين الذين قتلوا راعي رسولِ الله ﷺ، واستاقوا الإبل في شوّال من سنة ستّ؛ وبعثه رسول الله في عشرين فارساً[٢]. (٢: ٦٦٤).

---

(١) إسناده حسن صحيح والحديث أخرجه الإمام أحمد من طريق بهز عن عكرمة بن عمار به.
وكذلك أخرجه مسلم في صحيحه والبيهقي في الدلائل (٢/ ٢٩٠) والله أعلم. ولفظ مسلم: (غزونا فزارة وعلينا أبو بكر رضي الله عنه أمّره رسول الله ﷺ علينا، فلما كان بيننا وبين الماء ساعة أمرنا أبو بكر فعرَّسنا، ثم شن الغارة فورد الماء، فقتل من قتل عليه وسبى، وأنظر إلى عنق من الناس فيهم الذراري فخشيت أن يسبقوني إلى الجبل، فرميت بسهم بينهم وبين الجبل فلما رأوا السهم وقفوا فجئت بهم أسوقهم وفيهم امرأة من بني فزارة عليها قشع من أدم ـ قال: القشع النطع ـ معها ابنة لها من أحسن العرب، فسقتهم حتى أتيت بهم أبا بكر رضي الله عنه فنفلني أبو بكر ابنتها، فقدمنا المدينة وما كشفت لها ثوباً فلقيني رسول الله ﷺ في السوق فقال: يا سلمة، هب لي المرأة، فقلت: يا رسول الله لقد أعجبتني وما كشفت لها ثوباً، ثم لقيني رسول الله ﷺ من الغد في السوق فقال لي: يا سلمة هب لي المرأة لله أبوك، فقلت: هي لك يا رسول الله. فو الله ما كشفت لها ثوباً فبعث بها رسول الله ﷺ إلى أهل مكة ففدىٰ بها ناساً من المسلمين كانوا أسروا بمكة) (مختصر صحيح مسلم/ ح١١٤٥/ باب في التنفيل وفداء المسلمين بالأسارى/ كتاب السير).

(٢) ذكر الطبري سرية كرز إلى العُرنيِّين عن الواقدي بلا إسناد دون التطرق إلى التفاصيل وقصة عكل وعرينة صحيح كما أخرجه البخاري قال: حدثني عبد الأعلى بن حماد حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد عن قتادة أن أنساً رضي الله عنه حدثهم أن ناساً من عكل وعرينة قدموا المدينة على النبي ﷺ وتكلموا بالإسلام فقالوا: يا نبي الله إنا كنا أهل ضرع ولم نكن أهل ريف واستوخموا المدينة فأمرهم رسول الله ﷺ بذود وراع وأمرهم أن يخرجوا فيه فيشربوا من ألبانها وأبوالها فانطلقوا حتى إذا كانوا ناحية الحرة كفروا بعد إسلامهم وقتلوا راعي النبي ﷺ واستاقوا الذود فبلغ النبي ﷺ فبعث الطلب في آثارهم فأمر بهم فسمروا أعينهم وقطعوا أيديهم وتركوا في ناحية الحرة حتى ماتوا على حالهم.
قال قتادة: بلغنا بعد ذلك أن النبي ﷺ كان يحث على الصدقة وينهى عن المثلة.
قال أبو عبد الله وقال شعبة وأبان وحماد عن قتادة من عرينة: وقال يحيى بن أبي كثير وأيوب عن أبي قلابة عن أنس: قدم نفر من عكل أخرجه البخاري في (كتاب المغازي/ باب قصة عكل وعرينة/ ح ٤١٩٢) والحديث أخرجه مسلم (باب حكم المحاربين والمرتد ح/ ٦٧١) وأحمد (١/ ١٠٧) وابن ماجه (ح ٢٥٧٨) وغيرهم.

ذكر خروج رسل رسول الله ﷺ إلى الملوك

٢٠٥ ـ حدّثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن ابن شهاب الزّهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة بن مسعود ، عن عبد الله ابن عباس ، قال: حدّثني أبو سُفيان بن حرب ، قال: كنَّا قوماً تجّاراً ، وكانت الحرب بيننا وبين رسول الله قد حصرتنا حتى نَهكَتْ أموالَنا؛ فلمَّا كانت الهُدْنَة بينَنا وبين رسول الله ، لم نأمَنْ ألاّ نجد أمناً؛ فخرجتُ في نَفَر من قريش تُجّار إلى الشأم؛ وكان وجهُ متجرنا منها غَزَّة ، فقدمناها حين ظهر هِرَقْل على مَنْ كان بأرضه من فارس؛ وأخرجهم منها ، وانتزع له منهم صليبه الأعظم؛ وكانوا قد استلبوه ، فلمَّا بلغ ذلك منهم ، وبلغه أن صليبه قد استنقذ له ـ وكانت حِمْصُ منزله ـ خرج منها يمشي على قدميْه متشكراً لله حين ردّ عليه ما ردّ ، ليصلّيَ في بيت المقدس ، تُبْسَطُ له البُسط ، وتلقَى عليها الرياحين ، فلمّا انتهى إلى إيلياء وقضى فيها صلاته ، ومعه بطارقته وأشراف الروم ، أصبح ذات غَداة مهموماً يقلّب طرفه إلى السماءِ ، فقال له بطارقته: والله لقد أصبحت أيها الملك الغداةَ مهموماً ، قال: أجلْ ، أُريتُ في هذه الليلة أن مُلكَ الختان ظاهرٌ! قالوا له: أيها الملك ، ما نعلم أمَّةً تختتن إلاّ يهود؛ وهم في سلطانك وتحت يدك؛ فابعث إلى كلّ مَنْ لك عليه سلطان في بلادك ، فمرْه فليضرب أعناقَ كلّ مَنْ تحت يديه من يهودَ ، واسترحْ من هذا الهمّ. فو الله إنّهم لفي ذلك من رأيهم يُديرونه؛ إذْ أتاه رسولُ صاحب بُصْرَى برجلٍ من العرب ، يقوده ـ وكانت الملوك تَهادَى الأخبار بينها ـ فقال: أيها الملك؛ إنَّ هذا الرجل من العرب من أهل الشَّاءِ والإبل؛ يحدّث عن أمر حَدَث ببلاده عجب؛ فسلْه عنه.

فلمَّا انتهى به إلى هِرَقْل رسول صاحب بُصرى ، قال هرقل لتَرْجُمانه: سلْه ، ما كان هذا الحدَث الَّذي كان ببلاده؟ فسأله فقال: خرج بين أظهرنا رَجُلٌ يزعُم أنه نبيّ ، قد اتّبعه ناسٌ وصدّقوه ، وخالفه ناس؛ وقد كانت بينهم ملاحم في مواطن كثيرة؛ فتركتهم على ذلك. قال: فلمَّا أخبره الخبر قال: جَرّدُوه ، فجرَّدوه؛ فإذا هو مختُون ، فقال هرقل: هذا والله الذي أريت؛ لا ما تقولون؛ أعطوه ثوبه؛ انطلق عنا. ثم دعا صاحبَ شُرْطته ، فقال له: قَلّب لي الشأم ظهراً وبطناً؛ حتى

تأتيني برجل من قوم هذا الرجل ـ يعني النبيّ ﷺ .

قال أبو سفيان: فو الله إنّا لبغزَّةَ ، إذ هجم علينا صاحب شرطته؛ فقال: أنتم من قوم هذا الرجل الذي بالحجاز؟ قلنا: نعم ، قال: انطلقوا بنا إلى الملك؛ فانطلقنا؛ فلما انتهينا إليه قال: أنتم من رَهْط هذا الرجل؟ قلنا: نعم؛ قال: فأيّكم أمسّ به رحماً؟ قلت: أنا.

قال أبو سفيان: وايمُ الله ما رأيتُ من رجل أرى أنَّه كان أنكَر من ذلك الأغلف ـ يعني هرقل ـ فقال: ادْنُهْ فأقعدني بين يديْه ، وأقعد أصحابي خَلْفي ، ثم قال: إني سأسأله؛ فإن كَذَبَ فَردُّوا عليه؛ فو الله لو كذبتُ ما رَدُّوا عليّ؛ ولكني كنتُ امرَأ سيداً أتكرَّمُ عن الكذب؛ وعرفت أن أيْسر ما في ذلك إنْ أنا كذَبته أن يحفظُوا ذلك عليّ؛ ثم يحدّثوا به عني؛ فلم أكذبه ، فقال: أخبرني عن هذا الرجل الذي خرج بين أظهركم يدّعي ما يدّعي! قال: فجعلتُ أزَهّدُ له شأنه؛ وأصغِّرُ له أمره؛ وأقول له: أيّها الملك ، ما يهمّك من أمره! إنّ شأنه دون ما يبلغك؛ فجعل لا يلتفت إلى ذلك ، ثم قال: أنبئني عَمَّا أسألك عنه من شأنه. قلت: سَلْ عَمَّا بدا لك؛ قال: كيف نسبُه فيكم؟ قلت: محضٌ؛ أوسطنا نسَباً. قال: فأخبرني هل كان أحد من أهل بيته يقول مثل ما يقول ، فهو يتشبَّه به؟ قلت: لا. قال: فهل كان له فيكم مُلْكٌ فاستلبتموه إيَّاه؛ فجاء بهذا الحديث لتردُّوا عليه ملكه؟ قلت: لا؛ قال: فأخبرني عن أتْبَاعِه منكم ، مَنْ هم؟ قال: قلت: الضعفاء والمساكين والأحداث من الغِلْمان والنِّساء ، وأما ذوو الأسنان والشَّرَف من قومه؛ فلم يتّبعه منهم أحدٌ. قال: فأخبِرْني عَمَّنْ تَبِعه ، أيحبّه ويلزمُه أم يقليه ويفارقه؟ قال: قلت: ما تبعه رجل ففارقه. قال: فأخبرني كيف الحرب بينكم وبينه؟ قال: قلت: سِجَالٌ يُدال علينا وندال عليه؛ قال: فأخبرني هل يَغْدِر؟ فلم أجد شيئاً ممَّا سألني عنه أغمزه فيه غيرها ، قلت: لا ، ونحن منه في هُدْنة ، ولا نأمن غَدْره. قال: فوالله ما التفت إليها منّي ، ثم كرّ عليّ الحديث.

قال: سألتك كيف نسبه فيكم ، فزعمتَ أنه مَحْضٌ ، من أوسطكم نسباً؛ وكذلك يأخذ الله النبيّ إذا أخذه؛ لا يأخذه إلا من أوْسَط قومه نسباً. وسألتك: هل كان أحدٌ من أهل بيته يقول بقوله؛ فهو يتشبَّه به؛ فزعمت أن لا؛ وسألتك: هل كان له فيكم مُلْكٌ فاستلبتموه إياه؛ فجاءَ بهذا الحديث يطلب به ملكه؟

فزعمت أن لا . وسألتك عن أتباعه ، فزعمت أنَّهم الضعفاء والمساكين والأحداث والنساء؛ وكذلك أتباع الأنبياء في كلّ زمان ، وسألتكُ عَمّن يتَّبعه ، أيحبه ويلزمه أم يَقْلِيه ويفارقه؟ فزعمت أنه لا يتبعه أحدٌ فيفارقه؛ وكذلك حلاوة الإيمان لا تدخل قلباً فتخرج منه. وسألتك: هل يغدر؟ فزعمت أن لا؛ فلئن كنتَ صدقتني عنه ليغلبَنِّي على ما تحت قدميّ هاتين؛ ولوددت أنِّي عنده فأغسل قدميه. انطلق لشأنك.

قال: فقمتُ من عنده وأنا أضرب إحدى يديّ بالأخرى؛ وأقول: أي عبادَ الله؛ لقد أمرَ أمْرُ ابن أبي كَبْشة! أصبح ملوكُ بني الأصفر يهابونَه في سلطانهم بالشام!

قال: وقدم عليه كتاب رسول الله ﷺ مع دحيَة بن خليفة الكلبيّ: بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى هِرَقْل عظيم الروم. السَّلام على من اتَّبع الهدى. أمَّا بعد: أسْلِمْ تَسْلَم ، وأسْلِمْ يُؤْتِك الله أجْرَك مرّتين؛ وإن تتولّ فإنّ إثْمَ الأكَّارين عليك ـ يعني تِحمَّالَه[1] . (٢: ٦٤٦/٦٤٧/٦٤٨/٦٤٩) .

---

(١) إسناده ضعيف ولكن حديث ابن عباس في هذه القصة حديث صحيح فقد أخرج البخاري عن حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن أبا سفيان أخبره من فيه إلى فيه قال: «انطلقت في المدة التي كانت بيني وبين رسول الله ﷺ قال: فبينما أنا بالشام ، إذ جيءبكتاب من رسول الله ﷺ إلىٰ هرقل: يعني عظيم الروم. قال: وكان دحية الكلبي جاء به ، فدفعه إلى عظيم بصرىٰ فدفعه عظيم بصرىٰ إلى هرقل.
فقال هرقل: هل هنا أحد من قوم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي ، قالوا: نعم. قال: فدعيت في نفر من قريش. فدخلنا على هرقل فأجلسنا بين يديه فقال: أيكم أقرب نسباً من هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان: فقلت: أنا. فأجلسوني بين يديه وأجلسوا أصحابي خلفي ، ثم دعا بترجمانه فقال له: قل لهم: إني سائل هذا عن الرجل الذي يزعم أنه نبي. فإن كذبني فكذبوه.
قال: فقال أبو سفيان: وايم الله! لولا مخافة أن يؤثر علي الكذب لكذبت.
ثم قال لترجمانه: سله كيف حسبه فيكم؟ قال: قلت: هو فينا ذو حسب قال: فهل كان من آبائه ملك؟ قلت: لا. قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا. قال: ومن يتبعه: أشراف الناس أم ضعفاؤُهم؟ قال: قلت: بل ضعفاؤهم. قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قال: قلت: بل يزيدون.
قال: هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه سخطة له؟ قال: قلت: لا. قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم. قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قال: قلت: تكون الحرب بيننا وبينه=

= سجالاً يصيب منا ونصيب منه. قال: فهل يغدر؟ قلت: لا. ونحن منه في مدة لا ندري ما هو صانع فيها. قال: فو الله ما أمكنني من كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه قال: فهل قال هذا القول أحد قبله. قال: قلت: لا.

قال لترجمانه: قل له: إني سألتك عن حسبه، فزعمت أنه فيكم ذو حسب، وكذلك الرسل تبعث في أحساب قومها.

وسألتك: هل كان في آبائه ملك؟ فزعمت أن لا. فقلت: لو كان من آبائه ملك فقلت: رجل يطلب ملك آبائه.

وسألتك عن أتباعه؛ أضعفاؤهم أم أشرافهم؟ فقلت: بل ضعفاؤهم وهم أتباع الرسل.

وسألتك: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فزعمت أن لا؟ فقد عرفت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس، ثم يذهب فيكذب على الله. وسألتك: هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخله سخطة له؟ فزعمت أن لا. وكذلك الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب.

وسألتك: هل يزيدون أو ينقصون؟ فزعمت: أنهم يزيدون، وكذلك الإيمان حتى يتم.

وسألتك: هل قاتلتموه؟ فزعمت أنكم قد قاتلتموه. فتكون الحرب بينكم وبينه سجالاً، ينال منكم وتنالون منه. وكذلك الرسل تبلى ثم تكون لهم العاقبة.

وسألتك: هل يغدر؟ فزعمت أنه لا يغدر. وكذلك الرسل لا تغدر وسألتك: هل قال هذا القول أحد قبله؟ فزعمت أن لا. فقلت: لو قال هذا القول أحد قبله قلت رجل ائتم بقول قيل قبله.

قال: ثم قال: بم يامركم؟ فقلت: يأمرنا بالصلاة والزكاة والصلاة والعفاف.

قال: إن يكن ما تقول فيه حقاً، فإنه نبي وقد كنت أعلم أنه خارج، ولم أكن أظنه منكم، ولو أني أعلم أني أخلص إليه لأحببت لقائه ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه، وليبلغن ملكه ما تحت قدمي قال: ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ فقرأه فإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدىٰ، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام. أسلم تسلم. وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين. وإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

قال أبو سفيان: فلما قال ما قال، وفرغ من قراءة الكتاب، كثر عنده الصخب وارتفعت الأصوات وأخرجنا، فقلت لأصحابي حين أخرجنا: لقد أمِرَ أمرُ ابن أبي كبشة، إنه يخافه ملك بني الأصفر. فما زلت موقناً أنه سيظهر حتى أدخل الله علي الإسلام».

وكان ابن الناطور ـ صاحب إيلياء وهرقل ـ أسقفاً على نصارىٰ الشام يحدث أن هرقل حين=

٢٠٦ ـ حدّثنا سفيان بن وكيع، قال: حدّثنا يحيى بن آدم، قال: حدّثنا عبد الله بن إدريس، قال: حدّثنا محمد بن إسحاق، عن الزُّهريّ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة، عن ابن عبَّاس، قال: أخبرني أبو سفيان بن حَرْب، قال: لمَّا كانت الهُدْنة بيننا وبين رسول الله ﷺ عامَ الحديبيَة، خرجتُ تاجراً إلى الشأم. ثم ذكر نحو حديث ابنِ حميد، عن سلَمة، إلا أنه زاد في آخره: قال: فأخذ الكتاب فجعله بين فخذيه وخاصرته[1]. (٢: ٦٤٩).

= قدم إيلياء أصبح يوماً خبيث النفس، فقال بعض بطارقته: قد استنكرنا هيئتك. قال ابن الناطور: وكان هرقل حزاء ينظر في النجوم.

فقال لهم حين سألوه: إني رأيت الليلة حين نظرت في النجوم ملك الختان قد ظهر، فمن يختتن من هذه الأمة؟ قالوا: ليس يختتن إلا اليهود. فلا يهمنك شأنهم واكتب إلى مدائن ملكك، فيقتلوا من فيهم من اليهود، فبينما هم على أمرهم أتي هرقل برجل أرسل به ملك غسان يخبر عن خبر رسول الله ﷺ.

فلما استخبره هرقل قال: اذهبوا فانظروا أمختتن هو أم لا؟ فنظروا إليه فحدثوه أنه مختتن، وسأله عن العرب فقال: هم يختتنون. فقال هرقل: هذا ملك هذه الأمة قد ظهر، ثم كتب هرقل إلى صاحب له برومية وكان نظيره في العلم. وسار هرقل إلى حمص، فلم يرم حمص حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأي هرقل على خروج النبي ﷺ وأنه نبي.

فأذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة له بحمص، ثم أمر بأبوابها فغلقت، ثم اطلع فقال: يا معشر الروم، هل لكم في الفلاح والرشد، وأن يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبي؟ فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد غلقت، فلما رأى هرقل نفرتهم، وأيس من الإيمان قال: ردوهم عليّ. وقال: إني قلت مقالتي آنفاً أختبر بها شدتكم على دينكم، فقد رأيت. فسجدوا له ورضوا عنه، فكان ذلك آخر شأن هرقل».

(صحيح البخاري/ كتاب بدء الوحي، باب حديث أبي سفيان عند هرقل/ح ٧) وأخرجه مسلم (باب كتاب النبي إلى هرقل/ ح١٧٧٣) والترمذي (ح ٢٧١٨) وغيرهم والله أعلم.

(١) إسناده ضعيف ولكن له متابع كما عند البخاري في صحيحه (بدء الوحي/ ح٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أبا سفيان بن حرب رضي الله عنه أخبره (أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش وكانوا تجاراً بالشام في المدة التي كان رسول الله ﷺ مادّاً فيها أبا سفيان وكفار قريش . . . الحديث وفي آخره:

ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعث به دحية إلىٰ عظيم بصرىٰ فدفعه إلى هرقل فقرأه . . . إلخ).

وراجع تخريج الرواية السابقة (٢٠٦) إلا أن الطبري ذكر عام الحديبية بالتحديد وسنتطرق إلى توقيت إرساله ﷺ للرسل إلى الملوك بعد انتهائنا من الجزء الثاني هذا إن شاء الله تعالىٰ. =

٢٠٧ ـ وفيها كتب رسول الله ﷺ إلى كسرى ، وبعث الكتاب مع عبد الله بن حُذافة السهميّ؛ فيه: بسم الله الرحمن الرحيم؛ من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس. سلامٌ على مَن اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله؛ وشهد أن لا إله إلا الله ، وأنّي رسول الله ، إلى الناس كافَّة ، ليُنذِرَ مَنْ كان حَيّاً؛ أَسْلِمْ تسلَمْ فإنْ أبيت فعليك إثم المجوس.

فمزّق كتاب رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله: مُزِّق ملكه![1] (٢: ٦٥٤).

٢٠٨ ـ حدّثنا ابن حُميد ، قال: حدّثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن حبيب ، قال: وبعث عبد الله بن حُذافة بن قيس بن عديّ بن سعد بن سهم إلى كِسْرى بن هرمز ملك فارس وكتب معه: بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى كِسْرى عظيم فارس؛ سلام عَلَى من اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله ، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ وأن محمداً عبده ورسوله؛ وأدعوك بدعاء الله؛ فإني أنا رسول الله إلى الناس كافَّةً لأنذر من كان حَيًّا ويحقّ القول على الكافرين ، فأسلِمِ تَسلَم ، فإن أبيت؛ فإن إثم المجوس عليك.

فلمّا قرأه مزّقه ، وقال: يكتب إليّ هذا وهو عبدي![2] (٢: ٦٥٤/ ٦٥٥).

٢٠٩ ـ حدّثنا ابنُ حُمَيد ، قال: حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن الزُّهريّ ، عن أبي سلَمة بن عبد الرحمن بن عوف؛ أن عبد الله بن حُذافة قدِمَ بكتاب رسول الله ﷺ على كسرى ، فلمّا قرأه شقّه ، فقال

= ذكرنا الروايتين (٢٦٩/ ٢٧٠) في قسم الضعيف ، أما أصل المسألة أي إرساله ﷺ كتاباً إلى النجاشي فصحيح كما أخرج مسلم في صحيحه (باب كتب النبي ﷺ إلى ملوك الكفار/ ح١٧٧٤) عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن نبي الله ﷺ كتب إلى كسرىٰ وقيصر وإلى النجاشي وإلىٰ كل جبار يدعوهم إلى الله تعالى وليس النجاشي الذي صلى عليه النبي ﷺ والحديث أخرجه الترمذي (ح ٢٧١٦) وقال: حسن صحيح غريب.
وأما رواية الطبري: أنه ﷺ أرسل إلى النجاشي الذي أسلم وفي ذلك مخالفة لرواية مسلم والترمذي وغيرهما والله أعلم.

(١) ذكر الطبري هذا الكلام بلا إسناد وله ما يؤيده كما سنذكر بعد الرواية (٢٠٨).

(٢) هذا إسناد مرسل ضعيف وأخرجه ابن هشام من طريق ابن إسحاق بسند مرسل والحديث جزء من حديث صحيح كما سنذكر بعد روايتين.

رسول الله: مُزّق ملكُه! حين بلغه أنه شقّ كتابه[1]. (٢ : ٦٥٥).

٢١٠ ـ ثم رجع إلى حديث يزيد بن أبي حبيب. قال: ثمّ كتب كِسْرى إلى باذان؛ وهو على اليمن: أن ابعث إلى هذا الرّجل الذي بالحجاز رجليْن من عندك جَلْدَيْن، فلْيأتياني به؛ فبعث باذانُ قهرمانه وهو بابَوَيْه ـ وكان كاتباً حاسباً بكتاب فارس ـ وبعث معه رجلاً من الفُرْس يقال له خُرّ خُسره، وكتب معهما إلى رسولِ الله ﷺ يأمره أن ينصرف معهما إلى كسرى، وقال لبابويه: ائت بلد هذا الرجل، وكلِّمه وائْتني بخبره، فخرجا حتى قدما الطائف فوجدا رجالاً من قريش بنَخِب من أرض الطائف فسألاهم عنه، فقالوا: هو بالمدينة، واستبشروا بهما وفرحوا؛ وقال بعضهم لبعض: أبشِرُوا فقد نَصِب له كسرى ملك الملوك، كُفيتم الرجل!.

فخرجا حتى قَدِما على رسول الله ﷺ، فكلّمه بابويه، فقال: إنّ شاهانشاه ملك الملوك كِسْرى؛ قد كتب إلى الملك باذان، يأمره أن يبعث إليك مَنْ يأتيه بك؛ وقد بعثني إليك لتنطلق معي؛ فإن فعلتَ كتَب فيك إلى ملك الملوك ينفعك ويكفّه عنك؛ وإن أبيتَ فهو من قد علمت! فهو مهلكُك ومهلك قومك، ومخرّب بلادك؛ ودخلا على رسول الله ﷺ وقد حلقا لحاهما، وأعفيا شواربهما؛ فكره النظر إليهما، ثم أقبل عليهما فقال: ويلكُما! مَنْ أمركما بهذا؟ قالا: أمرنا بهذا رَبّنا ـ يعنيان كسرى ـ فقال رسول الله: لكنّ ربّي قد أمرني بإعفاء لحيتي وقصّ شاربي. ثم قال لهما: ارجعا حتى تأتياني غداً، وأتى رسول الله ﷺ الخبرُ من السّماء أنّ الله قد سلّط على كسرى ابنه شيرويه؛ فقتله في شهر كذا وكذا ليلة كذا وكذا من الليل؛ بعد ما مضى من الليل؛ سلّط عليه ابنُه شيرويه فقتله.

رجع الحديث إلى حديث محمد بن إسحاق، عن يزيد بن أبي حبيب.

---

(١) إسناده ضعيف ولمتنه ما يؤيده كما سنذكر بعد الرواية التالية: (٢١٠).
ومتنه صحيح كما سبق أن ذكرنا رواية ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ بعث بكتابه إلى كسرىٰ مع عبد الله بن حذافة السهمي فأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى فلما قرأه مزقه فحسبت ابن المسيب قال: (وهذا قول التابعي عبد الله بن عبد الله الذي روى الحديث عن ابن عباس) فدعا عليهم رسول الله ﷺ أن يمزقوا كل ممزق. (صحيح البخاري/ كتاب المغازي ح ٤٤٢٤).

فدعاهما فأخبرهما، فقالا: هل تدري ما تقول! إنا قد نَقِمْنا عليك ما هو أيسرُ من هذا؛ أفنكتب هذا عنك، ونخبره الملك! قال: نعم، أخبراه ذلك عنّي، وقولا له: إنّ ديني وسلطاني سيبلغُ ما بلغ ملك كسرى، وينتهي إلى منتهى الخُفّ والحافر؛ وقولا له: إنك إن أسلمْتَ أعطيْتُك ما تحت يدَيك؛ وملّكتُك على قومك من الأبناء؛ ثم أعطى خُرّ خسره مِنْطقة فيها ذهب وفضة، كان أهداها له بعض الملوك.

فخرجا من عنده حتى قدما على باذان، فأخبراه الخبر، فقال: والله ما هذا بكلام مَلك، وإنّي لأرى الرّجل نبيًّا كما يقول؛ ولننظرنّ ما قد قال؛ فلئن كان هذا حقًّا ما فيه كلامٌ؛ إنه لنبي مُرْسَلٌ؛ وإن لم يكن فسنرى فيه رأينا.

فلم ينشب باذان أن قدم عليه كتابُ شيرويه؛ أما بعدُ فإنّي قد قتلت كسرى، ولم أقتله إلا غضباً لفارس لما كان استحلّ من قتل أشرافهم وتجميرهم في ثغورهم؛ فإذا جاءك كتابي هذا فخذْ لي الطاعة ممَّن قبلَك؛ وانظر الرجل الذي كان كسرى كتب فيه إليك فلا تُهِجْه حتى يأتيَك أمري فيه.

فلمّا انتهى كتاب شيرويه إلى باذان قال: إنّ هذا الرجل لرسولٌ. فأسلم وأسلمت الأبناءُ معه من فارس مَنْ كان منهم باليمن؛ فكانت حِمْيَر تقول لخرّ خُسره: ذو المعْجزَة، للمنطقة التي أعطاهُ إياها رسول الله ﷺ ـ والمنطقة بلسان حمير المعجزَة ـ فبَنُوه اليوم ينسبون إليها خُرّ خُسره ذو المعْجزَة.

وقد قال بابويه لباذان: ما كلّمت رجلاً قطّ أهيبَ عندي منه، فقال له باذان: هل معه شُرَطٌ؟ قال: لا[1]. (٢: ٦٥٥/ ٦٥٦/ ٦٥٧).

---

(١) أخرج البخاري في صحيحه (كتاب المغازي/ ح ٤٤٢٤) من حديث عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ بعث بكتابه إلى كسرى مع عبد الله بن حذافة السهمي فأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين فدفعه عظيم البحرين إلى كسرىٰ فلما قرأه مزقه، فحسبت ابن المسيب قال: فدعا عليهم رسول الله ﷺ أن يمزقوا كل ممزق.

وعن سعيد بن المسيب رضي الله عنه قال: كتب رسول الله ﷺ إلى كسرىٰ وقيصر والنجاشي كتاباً واحداً.

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله ﷺ إلى كسرى وقيصر والنجاشي أما بعد: ﴿ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا =

= ﴿وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

فأما كسرىٰ فمزق كتابه، ولم ينظر فيه فقال رسول الله ﷺ: (مزق ومزقت أمته).

أخرجه الحافظ أبو عبيد في كتاب الأموال (٢٣/ ٥٩) وهذا يعني أن للحديث طريقين مرسلين ولكن مع تعدد المخارج.

وأخرج ابن سعد في الطبقات الكبرى (١/ ٢/ ١٤٧) عن عبيد الله بن عبد الله بن مسعود وسنده مرسل صحيح وقال المحدث الألباني رحمه الله تعالىٰ في تعليقه على الرواية:

حديث حسن أخرجه ابن جرير (٢/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧) عن يزيد بن أبي حبيب مرسلاً وابن سعد في الطبقات (ج١ ق٢ ص ١٤٧) عن عبيد الله بن عبد الله مرسلاً أيضاً وسنده صحيح. ووصله ابن بشران في الأمالي من حديث أبي هريرة بسند واه.

(السيرة النبوية للغزالي/ تحقيق الألباني/ ٣٨٩).

ـ مسألة اختلاف المؤرخين في تحديد السنة التي كانت فيها هذه البعوث إلى ملوك الأرض آنذاك ـ

قلنا: الواضح أن الإمام الطبري رحمه الله تعالىٰ وهو إمام المؤرخين قد ذكر أمر هؤلاء الرسل في نهاية الأحداث التي وقعت سنة (٦) هـ. لكن الإمام البخاري أخرج الرواية التي تتحدث عن رسالة كسرىٰ في أعقاب غزوة تبوك سنة (٩) هـ (فتح الباري ٨/ ١٢٨).

وقد ذهب العلماء المتأخرون في ذلك مذاهب ذكرها الأستاذ العمري وناقشها نقاشاً نفيساً فضلنا أن نذكر ما قاله وبدون تصرف: يقول الأستاذ العمري حفظه الله:

رسائل النبي ﷺ إلى الملوك والأمراء

أتاح صلح الحديبية الفرصة لتوسيع نطاق الدعوة إلى الإسلام داخل الجزيرة وخارجها حيث أرسل النبي ﷺ دحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر، وعبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى، وعمرو بن أمية الضمري إلى نجاشي الحبشة، وحاطب بن أبي بلتعة اللخمي إلى المقوقس حاكم مصر، وسليط بن عمرو العامري إلى هوذة بن علي الحنفي في اليمامة وقد أرّخ الواقدي والطبري إرسال هؤلاء الرسل في ذي الحجة سنة (٦) هـ.

وأرّخ ابن سعد ذلك في محرم من العام السابع وتابعه ابن القيم.

تأريخ الطبري (٢/ ٢٨٨) جـ١ مصر، وسيرة ابن هشام (٤/ ٢٧٩) ونضيف:

بعث عمرو بن العاص إلى جيفر وعباد ابني الجلندي وسند ابن هشام منقطع وبينه وبين راويه مجهول وراويه هو أبو بكر الهذلي أخباري متروك الحديث (تقريب ٢ / ٤٠١) وطبقات ابن سعد (١/ ٢٥٨) (جـ١ بيروت) من رواية الواقدي بأسانيده إلى أربعة من الصحابة لكن الواقدي متروك عند المحدثين، ومعظم أخبار الرسل ساقها ابن سعد من هذه الطريق وقد ألف بين الروايات وجمع كلام الصحابة الأربعة ـ وأدخل بعضه في بعض وساقه مساقاً واحداً وساق ابن سعد بعض أخبار إرسال بقية الرسل ولكن من طريق هشام الكلبي وهو ضعيف، وعلي بن محمد المدائني وهو صدوق (سير=

= أعلام النبلاء ١٠/ ٤٠٠) لكن ما ساقه عنه لا يخلو من مطعن كالإرسال وغيره.
كما أرّخ ابن سعد لرسالة كسرىٰ قبل ليلة الثلاثاء لعشر مضين من جمادى الأولى سنة سبع للهجرة التي قتل فيها كسرىٰ ـ وقد ذكر البخاري رسالة كسرىٰ في أعقاب غزوة تبوك في العام التاسع الهجري لكن من الواضح أن البخاري لم يراع عنصر الزمن في سرد محتويات صحيحه، وقد يكون أراد الإشعار بذلك كما ذهب الحافظ ابن حجر.
ولكنه يبقىٰ مجرد استنتاج لا يمكن القطع به، مما يقوي ما ذكرت أن ابن هشام ساق خبر خروج الرسل إلى الملوك بعد حجة الوداع في العام العاشر، رغم أن النص الذي ذكره يصرح بأن ذلك بعد عمرة الحديبية مع أن مراعاة الترتيب على أساس زمني أقوىٰ في سيرة ابن هشام من صحيح البخاري.
وقد نبه الحافظ ابن حجر نفسه على احتمال تصرف بعض رواة صحيح البخاري في تقديم وتأخير بعض التراجم مثل تقديم حج أبي بكر سنة تسع على ذكر الوفود.
ومثل تقديم حجة الوداع على غزوة تبوك، كما نبه إلى أن البخاري جمع ما وقع على شرطه من البعوث والسرايا والوفود ولو تباينت تواريخهم.
وواضح أن الاختلاف يسير بين التاريخين ووفق ابن حجر بينهما بقوله (أن دحية أرسل إلى هرقل في آخر سنة ست بعد أن رجع النبي ﷺ من الحديبية فوصل إلى هرقل في المحرم سنة سبع).
ويدل حديث صحيح على أن كتاب الرسول ﷺ كان قد وصل إلى هرقل في مدة صلح الحديبية، وقال أنس بن مالك: كتب النبي ﷺ إلى كل جبار يدعوهم إلى الله وسمّى منهم كسرىٰ وقيصر والنجاشي. قال: وليس بالنجاشي الذي أسلم.
ولا شك أن مكاتبة الملوك خارج جزيرة العرب تعبير عملي عن عالمية الرسالة الإسلامية، تلك العالمية التي أوضحتها آيات نزلت في العهد المكي مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾.
مما يوضح خطأ النظرة القائلة بالتدرج في نطاق الدعوة من الإقليمية إلى العالمية تبعاً لاتساع النفوذ السياسي للرسول ﷺ فإن صفة العالمية تقررت والمسلمون مستضعفون بمكة يخافون أن يتخطفهم الناس.
وقد أخرج البخاري في صحيحه نص كتاب الرسول ﷺ الذي بعث به دحية إلى عظيم بصرى فدفعه إلى هرقل، وهو النص الوحيد الذي ثبتت صحته وفق شروط المحدثين من بين سائر نصوص الكتب التي وجهت إلى الملوك والأمراء التي ينبغي أن تنقد من جهة المتن والسند معاً قبل اعتمادها تاريخياً فضلاً عن الاستدلال بها في مجال التشريع، ونصه كما يلي: =

= «بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدىٰ. أما بعد ، فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين و : ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۢ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ .

وقد استشكل الحفاظ المتأخرون ورود هذه الآية ـ التي قيل: إنها نزلت بمناسبة قدوم وفد نجران إلى المدينة في العام التاسع ـ في نص الخطاب الذي أرسل في آخر العام السادس الهجري!! وقد ذكروا بعض الحلول التوفيقية للتخلص من هذا التعارض فقالوا: إنه يجوز أن تكون الآية المذكورة قد أنزلت مرتين ، ثم استبعدوا ذلك وقال البعض: إن النبي ﷺ كتب ذلك قبل نزول الآية فوافق لفظه لفظها لما نزلت ، وقيل: بل نزلت سابقة في أوائل الهجرة ، وقيل: نزلت في اليهود.

ولا شك أن حلَّ الإشكال يتوقف على معرفة سبب النزول ولم تثبت رواية صحيحة مسندة في أنها نزلت في وفد نجران ولكن قال بذلك ابن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير مرسلاً وهو ثقة وفي إسناد الطبري إلى ابن إسحاق محمد بن حميد الرازي ضعيف.

وقال بذلك السدي وفي إسناد الطبري إليه أسباط وهو صدوق كثير الخطأ يغرب. وكذلك قال به علي بن زيد بن جدعان مرسلاً وهو ضعيف.

فهذه ثلاث روايات مرسلة ، وفي إسنادها جميعاً ضعف ، وقد ورد في تفسير الطبري ما يعارضها بإسناد حسن إلى قتادة مرسلاً وبإسناد فيه ضعف إلى ابن جريج مرسلاً.

وبإسناد فيه ضعف إلى الربيع بن خثيم مرسلاً. فهذه ثلاث روايات مرسلة أيضاً تقول بأن الآية ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ . . .﴾ نزلت في يهود المدينة ، تدعوهم إلى الكلمة السواء ومعنى ذلك أنها نزلت قبل إجلائهم وكان آخر إجلائهم في السنة الخامسة بعد الخندق وهو يعضد القول بأن نزول الآية قبل إرسال كتاب هرقل.

ولعل في إيراد البخاري لنص الخطاب في صحيحه ما يشير إلى ترجيحه للروايات القائلة بتقدم نزول الآية المذكورة وإلا ما كان ليثبت نص الكتاب في صحيحه.

فما دامت الآية قد وردت في نص كتاب صحيح كتب في العام السادس فإن ذلك من أقوى الأدلة على تقدم نزولها قبل قدوم وفد نجران ، وينبغي أن يكون نص الكتاب مرجحاً لتاريخ نزولها إلا أن تكون سبباً في استشكال نص الكتاب. اهـ.

ذكر الأحداث الكائنة في سنة سبع من الهجرة

غزوة خَيْبَر

٢١١ ـ ثم دخلت سنة سبع؛ فخرج رسولُ الله ﷺ في بقيّة المحرّم إلى خَيْبَر واستخلَف على المدينة سباع بن عُرْفطة الغفاريّ، فمضى حتى نزل بجيشه بوادٍ يقال له الرَّجيع؛ فنزل بين أهل خَيْبر وبين غَطَفان ـ فيما حدَّثنا ابنُ حميد قال: حدّثنا سلَمة عن ابن إسحاق ـ ليَحُولِ بينهم وبين أن يُمِدُّوا أهلَ خيبر؛ وكانوا لهم مظاهرين على رسول الله ﷺ.

قال: فبلغني أنّ غَطَفان لما سمعتْ بمنزلِ رسول الله ﷺ من خَيْبر، جَمَعُوا له، ثم خرجوا ليظاهروا يهودَ عليه؛ حتى إذا ساروا مَنقَلةً سمعوا خلفهم في أموالهم وأهاليهم حسًّا؛ ظنُّوا أنّ القوم قد خالفوا إليهم، فرجعُوا على أعقابهم؛ فأقاموا في أهاليهم وأموالهم؛ وخلَّوْا بين رسول الله وبين خَيْبَر، وبدأ رسول الله ﷺ بالأموال يأخذها مالاً مالاً، ويفتتحها حِصْناً حِصْناً؛ فكان أوّلَ حصونهم افتتح حصن ناعم؛ وعنده قُتِل محمود بن مسلمة؛ ألقيتْ عليه رحاً منه فقتلته؛ ثم القَمُوص؛ حصن ابن أبي الحُقَيق. وأصاب رسول الله ﷺ منهم سَبَايا؛ منهم صفيّة بنت حُيَيّ بن أخطب، وكانت عند كنانة بن الربيع بن أبي الحُقيق؛ وابْنَتَيْ عمٍّ لها. فاصطفى رسولُ الله ﷺ صفيّة لنفسه، وكان دحية الكلبيّ قد سألَ رسولَ الله صفية؛ فلما اصطفاها لنفسه أعطاه ابنَتَيْ عمّتها؛ وفشت السبايا من خيبر في المسلمين.

قال: ثم جعل رسول الله ﷺ يتدنّى الحصون والأموال[1]. (٣: ٩/ ١٠).

---

(١) إسناده ضعيف إلى ابن إسحاق. وذكره ابن إسحاق بلاغاً وأما حدوث هذه الغزوة سنة (٧) هـ؛ فقد أخرج الحافظ ابن كثير في السيرة من طريق يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق عن الزهري عن عروة عن مروان والمسور قالا: انصرف رسول الله ﷺ عام الحديبية فنزلت عليه سورة الفتح بين مكة والمدينة فقدم المدينة في ذي الحجة فأقام بها حتى سار إلى خيبر=

٢١٢ ـ فحدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن بن سَهْل أخي بني حارثة ، عن جابر بن عبد الله الأنصاريّ ، قال : خرج مَرْحب اليهوديّ من حِصْنهم؛ قد جمع سلاحه وهو يرتجز؛ ويقول :

قد علمَتْ خَيْبَرُ أنّي مَرْحَبُ ... شاكِي السّلاحِ بَطَلٌ مُجَرَّبُ

أطْعَنُ أحْيَاناً وَحِيناً أَضْرِبُ ... إذَا اللُّيوثُ أَقبَلَتْ تَحَرَّبُ

كانَ حِمَايَ لِلْحِمَى لا يُقْرَبُ

وهو يقول : هَلْ من مبارز! فقال رسولُ الله ﷺ : من لهذا؟ فقام محمد بن مسلمة؛ فقال : أنا له يا رسول الله؛ أنا والله الموتور الثائر؛ قتلوا أخي بالأمس! قال : فقم إليه؛ اللهمّ أعِنْه عليه .

فلما أن دنا كلُّ واحد منهما مِن صاحبه ، دخلت بينهما شجرةٌ عُمْرِيّةٌ من شجر العُشَر؛ فجعل أحدُهما يلوذ بها من صاحبه؛ فكلّما لاذَ بها اقتطع بسيفه منها ما دونه منها؛ حتى برز كلُّ واحد منهما لصاحبه ، وصارت بينهما كالرَّجل القائم ، ما بينهما فَنَنٌ؛ ثم حمل مرحبٌ على محمد فضربه؛ فاتقاه بالدَّرقة فوقع

= فنزل بالرجيع واد بين خيبر وغطفان فتخوف أن تمدهم غطفان فبات به حتى أصبح فغدا عليهم (البداية والنهاية ٣/ ٣٩٩) .

وقد صرّح ابن إسحاق بالتحديث عند البيهقي (الدلائل ٤/ ١٩٧) ولفظه : (انصرف رسول الله ﷺ من الحديبية فنزلت عليه سورة الفتح فيما بين مكة والمدينة ، فأعطاه الله فيها خيبر بقوله : ﴿ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾ يعني خيبر فقدم المدينة في ذي الحجة فأقام بها حتى سار إلى خيبر في المحرم) . وانظر فتح الباري (٧/ ٤٦٤) .

وأما استخلاف سباع بن عرفطة الغفاري على المدينة فصحيح كما أخرج الحاكم في المستدرك من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : لما خرج رسول الله ﷺ إلى خيبر استعمل سباع بن عرفطة الغفاري بالمدينة . وقال الحاكم : صحيح . وأقره الذهبي (المستدرك مع التلخيص ٣/ ٣٧) .

وكذلك جاء استخلاف رسول الله ﷺ لسباع على المدينة من حديث أبي هريرة عند أحمد (٢/ ٣٤٥) والبيهقي في الدلائل (٤/ ١٩٨) والله تعالى أعلم .

سيفـه فيها؛ فعَضَّتْ به فأمْسَكَتْـه ، وضربـه محمد بن مسلمة حتى قتلَـه[١].
(٢ : ١٠/ ١١) .

٢١٣ ـ وحدّثنا ابنُ حُمَيد ، قال: حدثنا سَلَمة ، قال: حدّثني محمد بن إسحاق عن هشام بن عروة؛ أنّ الزُّبَير بنَ العوّام خرج إلى ياسر ، فقالت أمّه صفيّة بنت عبد المطلب: أيقتلُ ابني يا رسول الله؟ قال: بل ابنك يقتلُه إن شاء الله. فخرج الزّبير وهو يقول:

قـد علمَـتْ خَيْبَـرُ أنّـي زبّـارْ قَـرْمٌ لقَـوم غَيْـرِ نِكْـسٍ فَـرَّارْ
ابـنُ حُمَـاة المَجْـدِ وابْـنُ الأخْيَـارْ يَـاسِـرُ لا يَغْـرُرْكَ جَمْـعُ الكُفّـار
فَجَمْعُهُـم مثـل السَّـرَابِ الجـرَّارْ

ثم التقيا فقتله الزبير[٢]. (٣ : ١١) .

---

(١) إسناده إلى ابن إسحاق ضعيف ولكن أخرجه ابن هشام من طريق ابن إسحاق وقد صرّح بالتحديث (٢/ ٣٣٣).
فإسناده حسن ، ورواه أحمد (٣/ ٣٨٥) وقال الهيثمي في المجمع (٦/ ١٥٠): رواه أحمد وأبو يعلى ورجال أحمد ثقات.

(٢) إسناده ضعيف ولكن أخرجه البيهقي في السنن الكبرىٰ (٩/ ١٣١) وقد صرّح ابن إسحاق بالتحديث فإسناده حسن.
ولقد ذكر ابن كثير قتل الزبير رضي الله عنه لياسر بصيغة الشاك في صحته إذ قال: فزعم هشام بن عروة أن الزبير خرج له فقالت أمه. . . . . إلخ (البداية والنهاية ٣/ ٤٠٩).
وقال الأستاذان الفاضلان همام وأبو صعيليك: رواه البيهقي في السنن من طريق ابن إسحاق وقد صرح عنده بالسماع وسنده متصل وقالا: فيكون الحديث صحيحاً من طريق البيهقي إن كان عبد الله بن سهل قد سمع ابن جابر (سيرة ابن هشام ٣/ ٤٦٥) الحاشية.
(٣/ ١١ ـ ١٢): لقد ذكرنا الرواية (٣/ ١١ ـ ١٢/ ٢٧٤) في قسم الضعيف [في إسناده ميمون أبو عبد الله] قال أحمد: أحاديثه مناكير. وقال ابن معين: لا شيء (ميزان الاعتدال ٤/ ٢٣٧/ ت ٨٩٧١).
إلاّ أن جزءاً من المتن صحيح فإعطاء الرسول ﷺ الراية لعلي ثابت كما في الصحيحين.
فقد أخرج البخاري في صحيحه (كتاب المغازي/ باب غزوة خيبر/ ح ٤٥٩): عن سلمة رضي الله عنه كان علي رضي الله عنه تخلف عن النبي ﷺ في خيبر وكان رمداً ، فقال: أنا أتخلف عن النبي ﷺ! فلحق به فلما بتنا الليلة التي فتحت قال: لأعطين الراية غداً أو ليأخذن الراية غداً رجل يحبه الله ورسوله يُفتح عليه فنحن نرجوها فقيل: هذا علي فأعطاه ففتح عليه.
وأخرج البخاري (ح ٤٢١٠) من طريق أبي حازم قال: أخبرني سهل بن سعد رضي الله عنه أن=

٢١٤ ـ حدّثنا أبو كُرَيب ، قال: حدّثنا يونس بن بكير ، قال: حدّثنا المسيّب بن مسلم الأوديّ ، قال: حدّثنا عبد الله بن بُرَيدة ، عن أبيه ، قال: كان رسول الله ﷺ ربما أخذته الشَّقيقة ، فيلبث اليوم واليومين لا يخرج. فلمّا نزل رسول الله ﷺ خيبر أخذته الشقيقة فلم يخرج إلى الناس. وإن أبا بكر أخذ رايةَ

= رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله. قال: فبات الناس يدُوكون ليلتهم أيهم يعطاها فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها. فقال: أين علي بن أبي طالب. فقيل: هو يا رسول الله يشتكي عينيه قال: فأرسلوا إليه فأتي به فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية فقال علي: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال ﷺ : انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فو الله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من أن يكون لك حمر النعم.

والحديث أخرجه أحمد في المسند (٥/ ٣٣٣) ومسلم (باب فضائل علي ح ٢٤٠٦) وكلاهما من حديث سهل والله تعالى أعلم.

وفي رواية مسلم: (فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها).

وأخرج مسلم في صحيحه (كتاب الجهاد والسير/ باب غزوة ذي قرد/ ح ١٨٠٧) حديثاً طويلاً عن سلمة بن الأكوع قال:

قدمنا الحديبية مع رسول الله ﷺ . . . الحديث. وفي آخره:

قال: فأتيت علياً فجئت به أقوده وهو أرمد ، حتى أتيت به رسول الله ﷺ فبصق في عينيه فبرأ وأعطاه الراية وخرج مرحب فقال:

قد علمت خيبر أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب

إذا الحروب أقبلت تلهب

فقال علي:

أنا الذي سمتني أمي حيدرة كليث غابات كريه المنظرة

أوفيهم بالصاع كيل السندرة

قال: فضرب رأس مرحب فقتله ، ثم كان الفتح على يديه.

قلنا: لذا فإن الخبر الأخير من رواية الطبري (وإن كان من طريق ميمون) فصحيح من قوله: (فقال رسول الله ﷺ : لأعطين اللواء غداً رجلاً يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، فلما كان من الغد تطاول لها أبو بكر وعمر فدعا علياً عليه السلام وهو أرمد فتفل في عينيه وأعطاه اللواء ونهض معه من الناس من نهض قال: فلقي أهل خيبر فإذا مرحب. . . إلى آخر الحديث).

رسول الله ؛ ثم نهض فقاتل قتالاً شديداً؛ ثم رجع فأخذها عمر فقاتل قتالاً شديداً هو أشدُّ من القتال الأوّل ؛ ثم رجع فأخبر بذلك رسول الله ، فقال: أما والله لأعطينَّها غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ، ويحبّه الله ورسوله ، يأخذها عنوة ـ قال: وليس ثَمّ عليّ عليه السلام ـ فتطاولت لها قريش ، ورجا كلُّ واحد منهم أن يكون صاحب ذلك؛ فأصبح فجاء عليٌّ عليه السلام على بعير له ، حتى أناخ قريباً من خباء رسول الله ﷺ وهو أرْمد ، وقد عصب عينيه بشقّة بُرْد قَطَرِيّ؛ فقال رسول الله ﷺ : مالك؟ قال: رمِدْتُ بعد ، فقال رسول الله ﷺ : ادنُ منّي ، فدنا فتَفَل في عينيه ، فما وجعهما حتى مضى لسبيله. ثم أعطاه الراية؛ فنهض بها معه وعليه حُلة أرجوان حمراء قد أخرج خَمْلُها. فأتى مدينة خيبر؛ وخرج مرحب صاحب الحصن وعليه مغْفرٌ مُعَصْفرٌ يمانٍ ، وحجرٌ قد ثقَبه مثل البيضة على رأسه ، وهو يرتجز ويقول:

قد علمت خيبر أنّي مرحبُ ... شاكِي السِّلاحِ بَطَلٌ مجرَّبُ

فقال عليٌّ عليه السلام:

أنا الذي سَمَّتِني أُمِّي حَيْدَرَهْ ... أكيلُكم بالسيفِ كيْل السنْدَرَهْ

لَيْثٌ بغابات شَدِيدٌ قَسْوَرَهْ

فاختلفا ضربتين؛ فبدره عليٌّ فضربه ، فقدَّ الحجرَ والمِغْفرَ ورأسَه؛ حتى وقع في الأضراس. وأخذ المدينة[1]. (٣: ١٢ ـ ١٣).

---

(١) أخرج الحاكم في المستدرك (٣/ ٣٧) من طريق عبد الجبار العطاردي عن يونس بن بكير به (كما عند الطبري هنا) إلا أن رواية الحاكم مختصرة (وقال الحاكم: صحيح الإسناد).
كان رسول الله ﷺ ربما أخذته الشقيقة فيلبث اليوم واليومين لا يخرج فلما نزل بخيبر أخذته الشقيقة فلم يخرج إلى الناس ، وأن أبا بكر رضي الله عنه أخذ راية رسول الله ﷺ ثم نهض فقاتل قتالاً شديداً ثم رجع. وأما بقية المتن (ونعني مبارزة علي رضي الله عنه لمرحب وسقوط مرحب قتيلاً بين يدي سيدنا علي) فصحيح كما سبق.
وأخرج الحاكم (٣/ ٣٧) عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ أبا بكر رضي الله عنه إلى بعض حصون خيبر فقاتل وجهد ولم يكن فتح.
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي (المستدرك مع التلخيص ٣/ ٣٧).
(٣: ١٣/ ١٤/ ١٥): ذكر ابن إسحاق هذه الرواية بلاغاً ولها ما يؤيدها من حديث ابن عمر =

٢١٥ ـ فلما اطمأنّ رسولُ الله ﷺ أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سَلاّم بن مشْكم شاةً مصليَّة؛ وقد سألت: أيّ عُضو من الشاة أحبُّ إلى رسول الله؟ فقيل

= رضي الله عنهما عند ابن حبان (موارد الظمآن/ ح ١٦٩٧).

أن رسول الله ﷺ قاتل أهل خيبر حتى ألجأهم إلىٰ مقرهم فغلب على الأرض والنخل والزرع فصالحوه على أن يجلوا منها ، ولهم ما حملت ركابهم ، ولرسول الله ﷺ الصفراء والبيضاء (والحلقة) ويخرجون منها.

فاشترط عليهم أن لا يكتموا شيئاً ، ولا يغيبوا شيئاً ، فإن فعلوا فلا ذمة لهم ولا عصمة ، فغيبوا مسكاً فيه مال وحلياً لحيي بن أخطب كان احتمله معه إلى خيبر حين أجليت النضير.

فقال رسول الله ﷺ لعم حيي (سعية): (ما فعل مسك حيي الذي جاء به من النضير؟) فقال: أذهبته النفقات والحروب ، فقال رسول الله ﷺ: (العهد قريب والمال أكثر من ذلك).

فدفعه رسول الله ﷺ إلى الزبير فمسه بعذاب ، وكان حيي قبل ذلك قد دخل خربة فقال: قد رأيت حيياً يطوف في خربة ها هنا ، فذهبوا فطافوا فوجدوا المسك في الخربة ، فقتل رسول الله ﷺ ابني أبي الحقيق ، وأحدهما زوج صفية بنت حيي بن أخطب ، وسبىٰ رسول الله ﷺ نساءهم وذراريهم وقسم أموالهم للنكث الذي نكثوا ، وأراد أن يجليهم منها.

فقالوا: يا محمد دعنا نكون في هذه الأرض نصلحها ونقوم عليها ، ولم يكن لرسول الله ﷺ ولا لأصحابه غلمان يقومون عليها وكانوا لا يتفرغون أن يقوموا عليها ، فأعطاهم خيبر على أن لهم الشطر من كل نخل وزرع وشيء ما بدا لرسول الله ﷺ . . . . الحديث وفيه:

قال: ورأى رسول الله ﷺ بعين صفية خضرة فقال: (يا صفية ما هذه الخضرة؟) فقالت: كان رأسي في حجر ابن أبي الحقيق وأنا نائمة ، فرأيت كأن قمراً وقع في حجري. فأخبرته بذلك فلطمني ، وقال: تمنين ملك يثرب؟ قالت: وكان رسول الله ﷺ من أبغض الناس إلي قتل زوجي وأبي. فما زال يعتذر إليّ ويقول: إن أباك ألب علي العرب وفعل وفعل حتى ذهب ذلك من نفسي.

والحديث أخرجه البيهقي في الدلائل (٤/ ٢٢٩) وكذلك أخرج مسلم (كتاب المزارعة /ح ١٥٥١/ باب المساقاة ومعاملة الأرض بجزء من الثمر والزرع) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أعطى رسول الله ﷺ خيبر بشطر ما يخرج من ثمر أو زرع. . . الحديث) دون ذكر للتفاصيل الواردة عند الطبري وابن حبان.

وأخرج البخاري في صحيحه كتاب المزارعة (ح ٢٢٠٦) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (أجلىٰ عمر رضي الله عنه اليهود والنصارىٰ من أرض الحجاز وكان رسول الله ﷺ لما ظهر علىٰ خيبر أراد إخراج اليهود منها وكانت الأرض حين ظهر عليها لله ولرسوله ﷺ وللمسلمين وأراد إخراج اليهود فيها. فسألت اليهود رسول الله ﷺ ليقرّهم بها أن يكفوا عملها ولهم نصف الثمر. فقال لهم رسول الله ﷺ: نقركم بها على ذلك ما شئنا فقرّوا بها حتى أجلاهم عمر إلى تيماء وأريحاء).

لها: الذراع؛ فأكثرتْ فيها السمّ، فسمَّتْ سائر الشاة، ثم جاءت بها، فلما وضعتْها بين يدي رسول الله ﷺ تناول الذِّراع؛ فأخذها فلاكَ منها مُضغة فلم يُسِغها؛ ومعه بِشْر بن البَرَاء بن معرور؛ وقد أخذ منها كما أخذ رسول الله، فأما بِشْر فأساغها؛ وأما رسول الله فلفظها، ثم قال: إن هذا العظم ليخبِرُني أنه مسمُومٌ؛ ثم دعا بها فاعترفت، فقال: ما حملك على ذلك؟ قالت: بلغت من قومي ما لم يَخْفَ عليك، فقلتُ: إن كان نبيًّا فسيُخْبَر؛ وإن كان ملكاً استرحتُ منه؛ فتجاوز عنها النبيّ ﷺ. ومات بشر بن البَراء من أكلَتِه التي أكل[1]. (٣: ١٥).

٢١٦ ـ حدّثنا ابنُ حميد؛ قال: حدّثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق؛ عن مَرْوان بن عثمان بن أبي سعيد بن المعلَّى، قال: وقد كان رسول الله ﷺ قال في مرضه الذي تُوفِّيَ فيه ـ ودخلتْ عليه أمّ بشر بن البَراء تعوده: يا أمّ بِشْر؛ إنّ هذا الأوانَ وجدت انقطاع أبْهَرِي من الأكلة التي أكلتُ مع ابنك بخيبر.

قال: وكان المسلمون يروْن أنّ رسول الله ﷺ قد مات شهيداً مع ما أكرمه الله به من النبوّة[2]. (٣: ١٥/١٦).

---

(١) هذا من كلام ابن إسحاق وكما عند ابن هشام في السيرة النبوية بلاغاً (٢/ ٢٤٠) ولكن حديث إهداء الشاة المسمومة إلى رسول الله ﷺ فصحيح فقد قال البخاري في صحيحه: كتاب المغازي/ باب غزوة خيبر/ الشاة التي سمت للنبي ﷺ بخيبر رواه عروة عن عائشة عن النبي ﷺ ثم أخرج البخاري (ح ٤٢٤٩):
حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا الليث حدثني سعيد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما فتحت خيبر أُهْدِيت لرسول الله ﷺ شاة فيها سم.
وأخرج البخاري في صحيحه/ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما فتحت خيبر أهديت لرسول الله ﷺ شاة فيها سم... الحديث. وفي آخره: قال: هل جعلتم في هذه الشاة سماً؟ قالوا: نعم. قال: ما حملكم على ذلك قالوا: أردنا إن كنت كاذباً أن نستريح وإن كنت نبياً لم يضرك. (صحيح البخاري/ كتاب الطب/ ما يذكر في سم النبي ﷺ ح/ ٥٧٧٧).
وللحديث روايات عدة عند أحمد والبيهقي ذكرها الحافظ ابن كثير وعلق على أسانيدها ومتونها فراجعها (البداية والنهاية ٣/ ٤٣٥).

(٢) إسناده ضعيف، وحديث (فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم) أخرجه البخاري معلقاً (باب مرض النبي ﷺ ووفاته/ ح ٤٤٢٨) ووصله الحاكم في المستدرك من طريق الإمام أحمد بن حنبل إذ قال الحاكم:

٢١٦/ أ ـ قال ابن إسحاق: فلمّا فرغ رسول الله ﷺ من خيبر انصرف إلى وادي القُرى فحاصر أهله لياليَ، ثمّ انصرف راجعاً إلى المدينة[١]. (٣: ١٦).

ذكر غزوة رسول الله ﷺ وادي القرى

٢١٧ ـ حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلَمة، عن ابن إسحاق، عن ثور بن زيد، عن سالم مولى عبد الله بن مطيع، عن أبي هريرة، قال: لمّا انصرفنا مع رسول الله ﷺ من خيبر إلى وادي القرى، نزلْنا أصلاً مع مغارِب الشمس، ومع رسول الله ﷺ غلامٌ له؛ أهداه إليه رفاعة بن زيد الجُذاميّ، ثم الضبيبي؛ فو الله إنا لنضع رَحْلَ رسول الله ﷺ إذ أتاه سهمٌ غرَب؛ فأصابه فقتله، فقلنا: هنيئاً له الجنّة! فقال رسول الله ﷺ: كلا والذي نفس محمد بيده؛ إنّ شَمْلَتَه الآن لتُحرَقُ عليه في النار. قال: وكان غَلَّها من فيء المسلمين يوم خيبر.

قال: فسمعها رجلٌ من أصحاب رسولِ الله ﷺ فأتاه، فقال: يا رسولَ الله، أصبتُ شرَاكَيْن لنعليْن لي، قال: فقال: يُقَدُّ لك مثلهما من النار[٢]. (٣: ١٦).

= أخبرنا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني أبي ثنا إبراهيم بن خالد ثنا رباح عن معمر عن الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه عن أم بشر رضي الله عنها قالت: دخلت على رسول الله ﷺ في وجعه الذي قبض فيه فقلت: بأبي أنت يـا رسول الله ما نتهم بنفسك فإني لا أتهم بابني إلا الطعام الذي أكله معك بخيبر، وكان ابنها بشر بن البراء بن معرور مات قبل النبي ﷺ. فقال رسول الله ﷺ وأنا لا أتهم غيرها هذا أوان انقطاع أبهري. هذا صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي (المستدرك مع التلخيص ٣/ ٢١٩).

وقال الحافظ معقباً على رواية البخاري المعلقة (ح ٤٤٢٨): وقد وصله البزار والحاكم والإسماعيلي من طريق عتبة بن خالد عن يونس بهذا الإسناد. ا هـ.

قلنا: والحديث أخرجه أحمد (٦/ ١٨) والله أعلم.

(١) صحيح.

(٢) إسناده إلى ابن إسحاق ضعيف ولكن حديث أبي هريرة هذا صحيح فقد أخرجه البخاري في صحيحه/ كتاب المغازي/ غزوة خيبر/ ح ٤٢٣٤: من طريق مالك بن أنس قال حدثني ثور قال حدثني سالم مولى ابن مطيع أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول: افتتحنا خيبر ولم نغنم ذهباً ولا فضة إنما غنمنا البقر والإبل والمتاع والحوائط ثم انصرفنا مع رسول الله ﷺ إلى وادي القرىٰ ومعه عبد له يقال له مدعم أهداه له أحد بني الضباب فبينما هو يحط رحل =

٢١٨ ـ وفي هذه السّفرة نام رسول الله ﷺ وأصحابُه عن صلاة الصبح حتى طلعت الشمس؛ حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلَمة، عن ابن إسحاق، عن الزهريّ، عن سعيد بن المسيّب، قال: لمّا انصرف رسولُ الله ﷺ من خيبر؛ وكان ببعض الطريق، قال مِنْ آخر الليل: مَنْ رجلٌ يحفظ علينا الفجر، لعلّنا ننام؟ فقال بلال: أنا يا رسول الله أحفظ لك؛ فنزل رسولُ الله ﷺ، ونزل الناس فناموا؛ وقام بلال يصلي، فصَلّى ما شاء الله أن يُصلّي ثم استند إلى بعيره؛ واستقبل الفجر يرمقُه؛ فغلبته عينه، فنام فلم يُوقِظْهم إلا مسُّ الشمس؛ وكان رسول الله ﷺ أوّلَ أصحابه هبّ من نومه، فقال: ماذا صنعت بنا يا بلال! فقال: يا رسولَ الله، أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك، قال: صدقت. ثم اقتاد رسول الله غيرَ كثير، ثم أناخ فتوضّأ وتوضأ الناس، ثم أمر بلالاً فأقام الصلاة، فصلّى بالناس، فلمّا سلّم أقبل على الناس، فقال: إذا نسيتمُ الصلاة فصلُّوها إذا ذكرتموها، فإن الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾[1] (٣: ١٦ ـ ١٧).

٢١٩ ـ قال ابن إسحاق: وكان فتْح خيبر في صفر.

قال: وشهد مع رسول الله ﷺ نساء من نساء المسلمين، فرضَخَ لهنّ

= رسول الله ﷺ إذ جاءه سهم عائر حتى أصاب ذلك العبد فقال الناس: هنيئاً له الشهادة فقال رسول الله ﷺ: بل والذي نفسي بيده إن الشملة التي أصابها يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه ناراً فجاء رجل حين سمع ذلك من النبي ﷺ بشراك أو بشراكين فقال: هذا شيء كنت أصبته فقال رسول الله ﷺ شراك أو شراكان من نار».

وأخرجه البخاري في موضع آخر (الأيمان والنذور/ ح ٦٧٠٧) ومسلم في صحيحه (باب غلظ تحريم الغلول ح١١٥) وغيرهما.

(١) إسناده إلى ابن إسحاق ضعيف، والحديث أخرجه الترمذي من طريق شيخه محمود بن غيلان ثنا النضر بن شميل أخبرنا صالح بن أبي الأخضر عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: (لما قفل رسول الله ﷺ من خيبر أسرىٰ ليلة حتى أدركه الكرى.... إلى آخر الحديث).

ثم قال الترمذي: هذا حديث غير محفوظ رواه غير واحد من الحفاظ عن الزهري عن سعيد بن المسيب أن النبي ﷺ ... ولم يذكروا فيه عن أبي هريرة (سنن الترمذي / ٥/ باب (٢١) ومن سورة طه/ ح ٣١٦٣).

قلنا: والحديث أخرجه مسلم في صحيحه مسنداً عن أبي هريرة/ (كتاب المساجد/ ح ٦٨٠) وابن ماجه (باب من نام عن الصلاة أو نسيها/ ح ٦٩٧) والله تعالى أعلم.

رسول الله من الفَيء ولم يضربْ لهنّ بسهم[١] . (٣ : ١٧) .

[أمر الحجاج بن علاط السُّلَمِي]

٢٢٠ ـ قال: ولما فتحت خيبر قال الحجّاج بن علاط السُّلَميّ ثم البَهْزيّ لرسول الله ﷺ : يا رسول الله؛ إنّ لي مالاً بمكة عند صاحبتي أمّ شيبة بنت أبي طلحة ـ وكانت عنده ، له منها مُعَرِّض بن الحجاج ـ ومال متفرّق في تجار أهل مكة ، فائْـذَنْ لي يا رسولَ الله. فأذن له رسول الله ﷺ ، ثم قال: إنه لا بدّ لي من أن أقول ، قال: قل ، قال الحجاج: فخرجت حتى إذا قدمت مكة ، فوجدت بثنيّة البيضاء رجالاً من قريش يتسمّعون الأخبار ، ويسألون عن أمر رسول الله ، وقد بلغهم أنه قد سار إلى خيبر ، وقد عرفوا أنها قرية الحجاز؛ ريفاً ومنعة ورجالاً ، فهم يتحسّسون الأخبار؛ فلما رأوْني قالوا: الحجاج بن علاط ـ ولم يكونوا علموا بإسلامي ـ عنده والله الخَبر! أخبِرْنا بأمرِ محمد ، فإنه قد بلَغنا أن القاطع قد سار إلى خَيْبر؛ وهي بلدة يهود وريف الحجاز. قال: قلتُ: قد بلغني ذلك ، وعندي من الخبر ما يسرّكم. قال: فالتاطوا بجَنْبَيْ ناقتي يقولون: إيه يا حجّاج! قال: قلت: هُزِمُوا هزيمةً لم تسمعوا بمثلها قطّ؛ وقتل أصحابه قتلاً لم تسمعوا بمثله قطّ ، وأسرَ محمدٌ أسراً ، وقالوا: لن نقتلَه حتى نبعثَ به إلى مكّة فيقتلوه بين أظهرهم بمَنْ كان أصاب من رجالهم. قال: فقاموا فصاحوا بمكّة وقالوا: قد جاءكم الخَبر ، وهذا محمد إنما تنتظرون أن يُقْدَم به عليكم فيُقتَل بين أظهرِكم. قال: قلت: أعينوني على جمع مالي بمكّة على غرمائي؛ فإنّي أريد أن أقدَم خيبر ، فأصيب من فلّ محمد وأصحابه قبل أن يسبقني التجار إلى ما هنالك.

قال: فقاموا فجمعوا مالي كأحَثِّ جَمْع سمعت به. فجئت صاحبتي فقلت: مالي ـ وقد كان لي عندها مال موضوع ـ لعلي ألحق بخيبر؛ فأصيب من فُرَصِ

---

(١) قلنا: أخرج مسلم في صحيحه/ كتاب الجهاد والسير/ باب لا يسهم للنساء من الغنيمة/ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما (وقد كان يغزو بهن فيداوين الجرحىٰ ويحزن من الغنيمة وأما بسهم فلم يضرب لهن) الترمذي/ كتاب السير/ باب من يعطى من الفيء (٣/ ٥٧) ، وأبو داود / كتاب الجهاد/ باب المرأة والعبد ٣/ ١٦٩ ، ومسلم كتاب الجهاد / باب النساء الغازيات يرضخ لهن.

البيع قبل أن يسبقَني إليه التجار. فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبرَ وجاءه عنّي، أقبل حتى وقف إلى جنبي؛ وأنا في خيمة من خيام التجّار، فقال: يا حجّاج، ما هذا الذي جئت به؟ قال: قلت: وهلْ عندك حفظٌ لما وضعت عندك؟ قال: نعم، قلت: فاستأخرْ عَنِّي حتى ألقاكَ على خلاء، فإني في جَمْع مالي كما ترى؛ فانصرفَ عني حتى إذا فرغتُ من جَمْع كلّ شيءٍ كان لي بمكة، وأجمعت الخروجَ، لقيت العبّاس، فقلت: احفظ عليَّ حديثي يا أبا الفضل؛ فإنّي أخشى الطَّلب ثلاثاً، ثم قل ما شئت. قال: أفعل، قال: قلتُ فإنّي والله لقد تركتُ ابنَ أخيك عروساً على ابنة ملكهم - يعني صفيّة بنت حيّي بن أخطب - ولقد افتتح خيبر، وانتثل ما فيها؛ وصارت له ولأصحابه. قال: ما تقول يا حجّاج! قال: قلت: إي والله؛ فاكتم عليَّ؛ ولقد أسلمت وما جئت إلاّ لآخذ مالي فَرَقاً من أن أغلَب عليه، فإذا مضت ثلاثٌ فأظهِرْ أمرَكَ؛ فهو والله على ما تحبّ. قال: حتى إذا كان اليوم الثالث لبس العباس حُلةً له، وتخلّقَ وأخذ عصاه؛ ثم خرج حتى أتى الكعبةَ، فطاف بها؛ فلما رأوْه قالوا: يا أبا الفضل؛ هذا والله التجلّد لحرِّ المصيبة! قال: كلا والذي حلفتم به! لقد افتتحَ محمدٌ خيبر، وتُرِكَ عروساً على ابنة ملكهم، وأحرز أموالها وما فيها؛ فأصبحَتْ له ولأصحابه. قالوا: مَنْ جاءك بهذا الخبر؟ قال: الذي جاءكم بما جاءكم به؛ لقد دخل عليكم مسلماً، وأخذ مالَه وانطلق ليلحقَ برسول الله وأصحابه فيكون معه، قالوا: يا لعباد الله! أفلت عدوُّ الله! أما والله لو علمْنَا لكان لنا وله شأنٌ، ولم ينشَبُوا أن جاءهم الخبر بذلك[1]. (٣: ١٧/١٨/١٩).

---

(١) ذكره الطبري عن ابن إسحاق بلا إسناد وخبر الحجاج بن علاط السلمي صحيح أخرجه غير واحد من الأئمة مع اختلاف يسير في الألفاظ.
فقد أخرجه أحمد في المسند (٣/١٣٨) وقال الهيثمي: رواه أحمد وأبو يعلىٰ والبزار والطبراني ورجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد ٦/ ١٥٥).
قلنا: ولفظه من حديث أنس: لما افتتح رسول الله ﷺ خيبر قال الحجاج بن علاط: يا رسول الله إن لي بمكة مالاً وإن لي بها أهلاً، وإني أريد أن آتيهم. فأنا في حل إن أنا نلت منك، أو قلت شيئاً، فأذن له رسول الله ﷺ أن يقول ما شاء، فأتى امرأته حين قدم، فقال: اجمعي لي ما كان عندك، فإني أريد أن أشتري من غنائم محمد وأصحابه فإنهم قد استبيحوا=

= وأصيبت أموالهم قال: وفشا ذلك بمكة، وانقمع المسلمون وأظهر المشركون فرحاً وسروراً.

قال: وبلغ الخبر العباس بن عبد المطلب، فعقر وجعل لا يستطيع أن يقوم.

قال معمر: فأخبرني عثمان الجزري، عن مقسم قال: فأخذ العباس ابناً له يقال له: قثم، فاستلقى، فوضعه على صدره وهو يقول:

حبّي قثم حبِّي قثم شبيه ذي الأنف الأشم
نبي رب ذي النعم برغم أنف من رغم

قال ثابت [عن الحجاج] عن أنس: ثم أرسل غلاماً له إلى الحجاج بن علاط، فقال: ويلك ماذا جئت به؟ وماذا تقول؟ فما وعد الله ـ عز وجل ـ خير مما جئت به. قال الحجاج بن علاط لغلامه: اقرأ على أبي الفضل السلام، وقل له ليخل لي (في) بعض بيوته لآتيه، فإن الخبر على ما يسره، فجاء غلامه، فلما بلغ باب الدار قال: أبشر أبا الفضل قال: فوثب العباس فرحاً حتى قبل بين عينيه. فأخبره ما قال الحجاج فأعتقه.

قال: ثم جاء الحجاج فأخبره أن رسول الله ﷺ قد افتتح خيبر وغنم أموالهم، وجرت سهام الله في أموالهم، واصطفى رسول الله ﷺ صفية بنت حيي فاتخذها لنفسه، وخيرها أن يعتقها وتكون زوجته، أو تلحق بأهلها، فاختارت أن يعتقها وتكون زوجته، ولكني جئت لمال كان لي هاهنا أردت أن أجمعه فأذهب به، فاستأذنت رسول الله ﷺ، فأذن لي أن أقول ما شئت، فأخف عني ثلاثاً، ثم اذكر ما بدا لك.

قال: فجمعت امرأته ما كان عندها من حلي أو متاع، فدفعته إليه، ثم استمر به، فلما كان بعد ثلاث، أتى العباس امرأة الحجاج فقال: ما فعل زوجك فأخبرته أنه ذهب يوم كذا وكذا وقالت: لا يخزيك الله يا أبا الفضل لقد شق علينا الذي بلغك قال: أجل لا يخزي الله ولم يكن بحمد الله إلا ما أحببنا، فتح الله خيبر على رسوله وجرت سهام الله.

واصطفى رسول الله ﷺ صفية لنفسه فإن كان لك حاجة في زوجك فالحقي به. قالت: أظنك والله صادقاً. قال: فإني صادق والأمر على ما أخبرتك.

ثم ذهب حتى أتى مجالس قريش وهم يقولون إذا مر بهم: لا يصبك إلا خير يا أبا الفضل.

قال: لم يصبني إلا خير بحمد الله ـ تبارك وتعالى ـ قد أخبرني الحجاج بن علاط: أن خيبر قد فتحها الله ـ عز وجل ـ على رسوله ﷺ وجرت فيها سهام الله، واصطفى صفية لنفسه، وقد سألني أن أخفي عنه ثلاثاً، وإنما جاء ليأخذ ماله، وما كان له من شيء هاهنا ثم يذهب.

قال: فرد الله الكآبة التي كانت بالمسلمين على المشركين، وخرج المسلمون ومن كان دخل بيته مكتئباً حتى أتوا العباس فأخبرهم الخبر فسرّ المسلمون ورد (الله ـ يعني) ما كان من كآبة أو غيظ أو حزن على المشركين.

ذكر مقاسم خيبر وأموالها

٢٢١ ـ حدّثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سلَمة ، قال: حدّثني محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، قال: كان رسولُ الله ﷺ يبعثُ إلى أهل خَيبر عبدَ الله بن رواحة خارصاً بين المسلمين ويهود ، فيَخْرُص عليهم؛ فإذا قالوا: تعدّيت علينا ، قال: إن شئتم فلكم؛ وإن شئتم فلنا؛ فتقول يهود: بهذا قامت السموات والأرض.

وإنما خَرَص عليهم عبد الله بن رواحة؛ ثم أصيب بمُؤتة ، فكان جَبّار بن صَخْر بن خنساء ، أخُو بني سلمة؛ هو الذي يخرُص عليهم بعد عبد الله بن رواحة ، فأقامت يهود على ذلك لا يرى بهم المسلمون بأساً في معاملتهم؛ حتى عَدوا في عهد رسول الله ﷺ على عبد الله بن سهل ، أخي بني حارثة؛ فقتلوه ، فاتّهمهم رسولُ الله ﷺ والمسلمون عليه[1] . (٣: ٢٠) .

٢٢٢ ـ حدّثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال: سألتُ ابنَ شهاب الزُّهريّ: كيف كان إعطاء رسولِ الله ﷺ يهودَ خيبر نخيلهم حين أعطاهم النّخل على خَرْجها؟ أبَتَّ ذلك لهم حتى قُبض ، أم أعطاهم إياها لضرورة من غير ذلك؟

فأخبرني ابنُ شهاب أنّ رسول الله ﷺ افتتح خيبر عَنْوةً بعد القتال؛ وكانت

= والحديث أخرجه البيهقي في الدلائل (٤/٢٦٦) والطبراني في الكبير (ح ٣١٩٦) وغيرهم والله أعلم.

(١) هذا إسناد ضعيف ولكن (خبر بعث عبد الله بن رواحة إلى أهل خيبر خارصاً) جزء من حديث صحيح ذكرنا شطراً منه في قسم الصحيح والحديث أخرجه ابن حبان (موارد الظمآن ح ١٦٩٧) وفيه:

وكان عبد الله بن رواحة يأتيهم كل عام يخرصها عليهم ويضمنهم الشطر ، قالوا: فشكوا إلى رسول الله ﷺ شدة خرصه ، وأرادوا أن يرشوه ، فقال: يا أعداء الله أتطعموني السحت؟ والله لقد جئتكم من عند أحب الناس إليّ ولأنتم أبغض الناس إلي من عدتكم القردة والخنازير ولا يحملني بغضي إياكم وحبي إياه على أن لا أعدل عليكم ، فقالوا: بهذا قامت السموات والأرض. والحديث أخرجه البيهقي في سننه (٩/١٣٧ ـ ١٣٨) والله أعلم.

خيبر مما أفاء الله على رسوله؛ خمّسها رسول الله وقسّمها بين المسلمين ، ونزل مَنْ نزل من أهلها على الإجْلاء بعد القتال؛ فدعاهم رسولُ الله ﷺ فقال: إن شئتم دفعنا إليكم هذه الأموال على أن تعملوها؛ وتكون ثمارها بيننا وبينكم؛ وأقِرُّكم ما أقرَّكم الله. فقبلوا ، فكانوا على ذلك يعملونها. وكان رسولُ الله ﷺ يبعث عبدَ الله بن رواحة فيَقْسِمُ ثمرَها ، ويعدل عليهم في الخرْص؛ فلما تَوفّى الله عزَّ وجلّ نبيّه ﷺ أقرَّها أبو بكر بعد النبيّ في أيديهم على المعاملة التي كان عاملهم عليها رسول الله حتى توفِّيَ ، ثم أقرَّها عمر صَدْراً من إمارته؛ ثمّ بلغ عمرَ أنّ رسول الله ﷺ قال في وجَعِه الذي قبض فيه: لا يجتمعنّ بجزيرة العرب دينان ، ففحَصَ عمر عن ذلك حتى بلّغه الثّبَتُ ، فأرسَلَ إلى يهود أنّ الله قد أذِنَ في إجلائكم؛ فقد بلغني أنّ رسول الله ﷺ قال: لا يجتمعنّ بجزيرة العرب دينان ، فمن كان عنده عهدٌ من رسول الله فلْيأتني به أنفذه له؛ ومَنْ لم يكن عنده عهدٌ من رسول الله من اليهود فليتجهَّزْ للجلاء؛ فأجلى عمر مَنْ لم يكن عنده عهد من رسول الله ﷺ منهم.

قال أبو جعفر: ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة[1]. (٣: ٢٠/ ٢١).

---

(١) ذكر الطبري ما ذكر هنا من تفاصيل عن الزهري وكذلك أخرجه ابن هشام من طريق ابن إسحاق عن الزهري مرسلاً وقد جمع الزهري خلاصة روايات عدة ذكرناها في قسم الصحيح سوىٰ رواية (لم نذكرها سابقاً) أخرجها البخاري في صحيحه (كتاب الشروط ح/ ٢٣٧٠):
عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما فَدَعَ أهل خيبر عبد الله بن عمر ، قام عمر خطيباً فقال: إنّ رسول الله ﷺ كان عامل يهود خيبر على أموالهم وقال: (نقركم ما أقركم الله) وإن عبد الله بن عمر خرج إلى ماله هناك فعدي عليه من الليل ، ففدعت يداه ورجلاه ، وليس لنا هناك عدو غيرهم ، هم عدونا وتهمتنا وقد رأيت إجلاءهم ، فلما أجمع عمر على ذلك أتاه أحد بني الحقيق فقال: يا أمير المؤمنين: أتخرجنا وقد أقرّنا محمد ﷺ وعاملنا على الأموال ، وشرط ذلك لنا ، فقال عمر: أظننت أني نسيت قول رسول الله ﷺ (كيف بك إذا أخرجت من خيبر تعدو بك قلوصك ليلة بعد ليلة).
فقال: كانت هذه هزيلة من أبي القاسم. قال: كذبت يا عدو الله فأجلاهم عمر وأعطاهم قيمة ما كان لهم من الثمر مالاً وإبلاً وعروضاً من أقتابٍ وحبالٍ وغير ذلك. ا هـ.
وأخرج مسلم في صحيحه (كتاب الجهاد والسير/ باب إخراج اليهود و. . .) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع إلا مسلماً).

=

٢٢٣ ـ قال أبو جعفر: وفيها سريّة غالب بن عبد الله في شهر رمضان إلى المَيْفعة؛ فحدّثنا ابنُ حُميد قال: حدّثنا سلمَة، قال: حدّثني محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر، قال: بعثَ رسول الله ﷺ غالبَ بن عبد الله الكلبيّ إلى أرض بني مرّة، فأصاب بها مِرْداس بن نَهيك حليفاً لهم من الحُرَقة من جُهَيْنة؛ قتله أسَامة بن زيد ورجلٌ من الأنصار.

قال أسامة: لمّا غَشيناه، قال: أشهد أن لا إله إلا الله؛ فلم ننزع عنه حتى قتلناه؛ فلما قدمنا على رسول الله أخبرناه الخبر؛ فقال: يا أسامة، مَنْ لك بلا إله إلا الله![1] (٣: ٢٢).

[عمـــرة القضـــاء]

٢٢٤ ـ حدّثنا ابنُ حُميد، قال: حدّثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: لمّا رجع رسولُ الله ﷺ إلى المدينة من خَيْبر. أقام بها شهرِ ربيع الأول وشهر ربيع الآخر وجمادى الأولى وجمادى الآخرة ورجب وشعبانَ وشهر رمضان وشوّالاً؛

= وأخرجه الترمذي من طريق أبي الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: أخبرني عمر بن الخطاب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب فلا أترك إلا مسلماً) وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح (سنن الترمذي ٤/ ح ١٦٠٧).

(١) إسناده ضعيف، ولكن أخرج البخاري في صحيحه (كتاب المغازي/ باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد إلى الحرقات من جهينة/ ح٤٢٦٩) من طريق حصين أخبرنا أبو ظبيان قال سمعت أسامة بن زيد رضي الله عنهما يقول: بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة فصبحنا القوم فهزمناهم ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله فكفّ الأنصاريُّ فطعنته برمحي حتى قتلته فلما قدمنا بلغ رسول الله ﷺ فقال: يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله. قلت: كان متعوذاً. فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم.

وأخرجه مسلم في صحيحه (كتاب الإيمان/ باب من قتل رجلاً من الكفار بعد أن قال لا إله إلا الله) عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: بعثنا رسول الله ﷺ في سرية فصبحنا الحرقات من جهينة فأدركت رجلاً فقال: لا إله إلا الله... الحديث وفي آخره: فقال سعد: وأنا والله لا أقتل مسلماً حتى يقتله ذو البطين يعني أسامة. قال: قال رجل: ألم يقل الله تعالىٰ: ﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ فقال سعد: قد قاتلنا حتى لا تكون فتنة وأنت وأصحابك تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة.

يبعث فيما بين ذلك من غزوه وسراياه ، ثم خرج في ذي القَعْدة في الشهر الذي صدَّه فيه المشركون معتمراً عُمْرة القضاء مكان عُمرته التي صدُّوه عنها؛ وخرج معه المسلمون ممّن كان معه في عُمْرته تلك ، وهي سنة سبع ؛ فلما سمِع به أهلُ مكة خرجوا عنه؛ وتحدّثَتْ قريش بينها أنّ محمداً وأصحابه في عسْر وجُهْد وحاجة[١] . (٣: ٢٣) .

---

(١) هذا إسناد ضعيف إلى ابن إسحاق وقد ذكره ابن إسحاق بلاغاً وأكثر أهل المغازي والسير على أن عمرة القضاء كانت سنة سبع للهجرة ويؤيد مذهبهم ما نسبه الحافظ في الفتح إلى يعقوب بن سفيان في تأريخه عن ابن عمر رضي الله عنه. قال: كانت عمرة القضاء في ذي القعدة سنة سبع وحسّن الحافظ إسناده (فتح الباري ٧/ ٥٠٠).
(٢/ ٢٤) لقد ذكرنا الرواية (٢/ ٢٣ ـ ٢٤/ ٢٨٤) في قسم الضعيف ففي إسناده ضعيف ومتروك ، وسنذكر هنا ما صح من حديث ابن عباس وغيره رضي الله عنهم في وصف عمرة القضاء.
أخرج البخاري في صحيحه/ كتاب المغازي/ باب عمرة القضاء/ ح ٤٢٥٣/ من طريق نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ خرج معتمراً فحال كفار قريش بينه وبين البيت فنحر هديه وحلق رأسه بالحديبية وقاضاهم على أن يعتمر العام المقبل ولا يحمل سلاحاً عليهم إلا سيوفاً ولا يقيم بها إلا ما أحبوا ، فاعتمر من العام المقبل فدخلها كما كان صالحهم فلما أن أقام بها ثلاثاً أمروه أن يخرج فخرج.
وأخرج البخاري في صحيحه في الباب نفسه (ح ٤٢٥٦) من طريق حماد بن زيد عن أيوب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم رسول الله ﷺ وأصحابه فقال المشركون: إنه يقدم عليكم وقد وهنتهم حمىٰ يثرب ، فأمرهم النبي ﷺ أن يرملوا الأشواط الثلاثة وأن يمشوا ما بين الركنين ولم يمنعه أن يأمرهم أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم.
وزاد ابن سلمة عن أيوب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما قدم النبي ﷺ لعامه الذي استأمن قال: ارملوا ليرىٰ المشركون قوتكم والمشركون من قبل قعيقعان.
قلنا: والملفت للنظر أن بعض المحققين الأفاضل ذكروا أن البخاري روىٰ ذلك عن ابن عباس معلقاً (ارملوا ليرىٰ المشركون قوتكم) ولم يذكروا أن البخاري أخرج بعد هذه الرواية المعلقة رواية أخرى موصولة وبمعنى مقارب عن ابن عباس كما قال:
حدثني محمد عن سفيان بن عيينة عن عمرو عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إنما سعىٰ النبي ﷺ بالبيت وبين الصفا والمروة ليري المشركين قوته.
وأخرجه مسلم/ كتاب الحج/ باب استحباب الرمل في الطواف/ ح ١٢٦٦/ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وفيه: (إن رسول الله ﷺ قدم مكة فقال المشركون: إن محمداً=

٢٢٥ ـ حدّثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سلمَة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بَكْر ؛ أنّ رسولَ الله ﷺ حين دخل مكّة في تلك العُمرة ، دخلها وعبد الله بن رواحة آخذٌ بخطام ناقته ؛ وهو يقول:

خَلُّوا بني الكُفّارِ عن سَبيلِهْ إنِّي شَهيدٌ أنَّه رَسُولُهْ
خَلوا فكلُّ الخَيْرِ في رسولِهْ يا رَبِّ إنِّي مُؤمِنٌ بقيلِهْ
أَعْرِفُ حَقَّ الله في قَبُولِهْ نحْنُ قَتَلْناكم على تأويلِهْ
كما قَتَلْناكم على تَنْزِيلِهْ ضَرْباً يُزِيلُ الهَامَ عن مَقِيلِهْ
ويُذْهِلُ الخَليلَ عن خَليلِه[(١)]

(٣: ٢٤) .

٢٢٦ ـ حدّثنا ابن حميد ، قال: حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن أبان بن صالح وعبد الله بن أبي نَجيح ، عن عطاء بن رباح ومجاهد ، عن ابن عباس ، أنّ رسولَ الله ﷺ تزوّج ميمونة بنت الحارث في سفره ذلك ؛ وهو حرامٌ ؛ وكان الذي زوّجه إياها العباس بن عبد المطلب[(٢)] . (٣: ٢٤/ ٢٥) .

= وأصحابه لا يستطيعون أن يطوفوا بالبيت من الهزل ، وكانوا يحسدونه ، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يرملوا ثلاثاً ويمشوا أربعاً) .
والحديث أخرجه أحمد (١/ ٣٠٦) والله تعالى أعلم .

(١) إسناده ضعيف والحديث أخرجه الترمذي في سننه (٥/ ح٢٨٤٧) من طريق عبد الرزاق أخبرنا جعفر بن سليمان حدثنا ثابت عن أنس أن النبي ﷺ دخل مكة في عمرة القضاء وعبد الله بن رواحة بين يديه يمشي وهو يقول:

خلّوا بني الكفار عن سبيله اليوم نضربكم على تنزيله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله ويذهب الخليل عن خليله

فقال له عمر: يابن رواحة بين يدي رسول الله ﷺ وفي حرم الله تقول الشعر؟ فقال له النبي ﷺ : (خلّ عنه يا عمر فهي أسرع فيهم من نضح النبل) .
ثم قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه. والحديث أخرجه البيهقي في الدلائل (٤/ ٣٢٢) والنسائي في الحج باب إنشاد الشعر في الحرم (٥/ ٢٠٢)
ولم ينفرد ابن إسحاق بروايته مرسلاً فقد رواه الطبراني مرسلاً كذلك ولكن عن الزهري وقال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد ٦/ ١٤٧) وفي الروايات بعض الاختلاف في الأبيات الشعرية والله أعلم.

(٢) حديث ابن عباس في زواجه ﷺ ميمونة صحيح كما أخرج البخاري في صحيحه عن ابن=

[خبر غزوة غالب بن عبد الله الليثي بني الملوّح]

٢٢٧ ـ قال: وفيها أغزى رسولُ الله ﷺ غالبَ بن عبد الله الليثي في صفر إلى الكَديد إلى بني الملوح.

قال أبو جعفر: وكان من خبر هذه السرية وغالب بن عبد الله؛ ما حدّثني إبراهيم بن سَعيد الجوهريّ وسعيد بن يحيى بن سعيد ـ قال إبراهيم: حدّثني يحيى بن سعيد، وقال سعيد بن يحيى: حدّثني أبي ـ وحدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سَلمة؛ جَميعاً عن ابن إسحاق، قال: حدّثني يعقوب بن عُتْبة بن المغيرة، عن مُسْلِم بن عبد الله بن خُبَيْب الجُهنيّ، عن جندب بن مكيث الجهنيّ، قال:

بعث رسولُ الله ﷺ غالب بن عبد الله الكلبيّ؛ كلب ليث، إلى بني الملوح بالكديد، وأمره أن يُغير عليهم، فخرج ـ وكنت في سريّته ـ فمضينا؛ حتى إذا كنا بقُديد لقينا بها الحارث بن مالك ـ وهو ابن البَرْصاء الليثيّ ـ فأخذناه فقال: إنّي إنما جئت لأُسلم؛ فقال غالبُ بن عبد الله: إن كنت إنّما جئت مسلماً، فلنْ يضرّك رِبَاطُ يوم وليلة؛ وإن كنت على غير ذلك استوثقنا منك. قال: فأوثقه رباطاً ثم خلّف عليه رُوَيْجلاً أسود كان معنا، فقال: امكث معه حتى نمرّ عليك، فإنْ نازعَك فاحتزَّ رَأسَه. قال: ثمّ مضينَا حتى أتينا بطن الكَديد، فنزلنا عُشَيْشِيَةً بعد العصر، فبعثني أصحابي رَبيئَةً، فَعَمَدْتُ إلى تلّ يطلعني على الحاضر، فانبطحت عليه ـ وذلك قُبَيْلَ المغرب ـ فخرج منهم رجل، فنظر فرآني منبطحاً على التلّ، فقال لامرأته: والله إنّي لأرى على هذا التلّ سواداً ما كنت رأيتُه أوّل النهار؛ فانظري لا تكون الكلاب جرّت بعض أوعيتك. فنظرتْ فقالت: والله ما أفقد شيئاً. قال: فناوليني قوسي وسهمين من نَبْلي، فناولته فرماني بسهْم فوضعه في جنبي. قال: فنزعتهُ فوضعته، ولم أتحرّك. ثمّ رماني بالآخر، فوضعه في رأس منكبي، فنزعته فوضعته ولم أتحرّك. فقال: أما والله لقد خالطه

= عباس رضي الله عنهما قال: تزوج النبي ﷺ ميمونة وهو محرم وبنى بها وهو حلال وماتت بسرف (كتاب المغازي باب عمرة القضاء/ ح ٤٢٥٨) ومسلم في صحيحه (ح ١٤١٠) وأخرجه ابن هشام في السيرة (٣/ ٣٧٢).

سهمايَ ، ولو كان ربيئة لتحرّك؛ فإذا أصبحت فاتّبعي سهميّ فخذيهما لا تمضغهما عليّ الكلاب ، قال: فأمهلناهم حتى راحت رائحتُهم ، حتى إذا احتلبوا وعطنوا سكنوا ، وذهبت عَتمةٌ من الليل شننّا عليهم الغارة ، فقتلنا مَنْ قتلنا واستقْنا النّعم؛ فوجّهنا قافلين؛ وخرج صَرِيخ القوم إلى القوم مُغوِّثاً. قال: وخرجنا سِرَاعاً حتى نمرّ بالحارث بن مالك؛ ابن البرصاء ، وصاحبه؛ فانطلقنا به معنا ، وأتانا صَرِيخ الناس ، فجاءنا ما لا قبل لنا به ، حتى إذا لم يكن بيننا وبينهم إلاّ بطنُ الوادي مِنْ قُدَيْد ، بعثَ الله عزّ وجلّ من حيث شاء سحاباً ما رأينا قبل ذلك مطراً ولا خالاً ، فجاء بما لا يقدر أحدٌ أن يقدم عليه؛ فلقد رأيناهم ينظرون إلينا ، ما يقدرُ أحدٌ منهم أن يقدم ولا يتقدّم؛ ونحن نحدوها سراعاً؛ حتى أسندناها في المشلّل؛ ثم حدرناها عنها ، فأعجزنا القوم بما في أيدينا ، فما أنسى قولَ راجزٍ من المسلمين؛ وهو يحدوها في أعقابها ، ويقول:

أَبَـى أبـو القـاسـم أنْ تَعـزَّبـي
فـي خَضِلٍ نَـبـاتُـه مُغْلـوْلِـب
صُفرٍ أعاليه كلَـوْنِ المُذْهَبِ(١)

(٣: ٢٧/ ٢٨) .

٢٢٨ ـ قال أبو جعفر: وكان سبب إسلام عمرو بن العاص ، ما حدّثنا ابنُ حُميد ، قال: حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن راشد مولى ابن أبي أوْس ، عن حبيب بن أبي أوْس ، قال: حدّثني عمرو بن العاص من فيه إلى أذني ، قال: لمّا انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق ، جمعتُ رجالاً من قريش كانوا يروْن رأيي ، ويسمعون منّي ، فقلت لهم: تعلمون والله أنّي لأرى أمر محمد يَعْلُو الأمور عُلوًّا مُنْكراً. وإنّي قد رأيت رأياً فما تروْن فيه؟ قالوا:

---

(١) حديث جندب بن مكيث الجهني أخرجه كذلك ابن سعد في طبقاته من طريق ابن إسحاق هذا [(الطبقات الكبرى ٢/ ٣١١) طبعة دار إحياء التراث العربي].
وأخرجه أحمد (٣/ ٤٦٧) وذكره الهيثمي بطوله ثم قال في آخره: قلت: عند أبي داود طرف من أوله ، رواه أحمد والطبراني ورجاله ثقات ، فقد صرح ابن إسحاق بالسماع في رواية الطبراني (مجمع الزوائد ٦/ ٢٠٣).
قلنا: وفي إسناده مسلم بن عبد الله بن خبيب الجهني لم يوثقه سوى ابن حبان وقال الذهبي: تفرد به يعقوب بن عتبة ، (الميزان ٤/ ١٠٥/ ت ٨٤٩٦). =

وماذا رأيت؟ قلت: رأيتُ أن نلحقَ بالنجاشيّ ، فنكون عنده ، فإن ظهر محمدٌ على قومنا كنّا عند النجاشيّ فلأن نكون تحت يديه أحبُّ إلينا من أن نكون تحت يدي محمد؛ وإن يظهر قومنا فنحن مَنْ قد عرفوا؛ فلا يأتينا منهم إلا خيرٌ. فقالوا: إنّ هذا لرأيٌ. قلت: فاجمَعوا له ما نُهدي إليه ـ وكان أحبَّ ما يُهْدَى إليه من أرضنا الأدَم ـ فجمعنا له أدَماً كثيراً ، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه؛ فو الله إنا لعنده؛ إذ جاءه عمرو بن أميّة الضّمريّ ـ وكان رسولُ الله ﷺ قد بعثه إليه في شأن جعفر بن أبي طالب وأصحابه ـ قال: فدخل عليه ثم خرج من عنده. قال: فقلتُ لأصحابي: هذا عَمْرو بن أميّة الضمْريّ ، لو قد دخلت على النّجاشيّ وسألته إياه؛ فأعطانيه فضربتُ عنقه! فإذا فعلت ذلك رأتْ قريش أنّي قد أجزأتُ عنها حين قتلت رسول محمد.

فدخلت عليه ، فسجدتُ له كما كنت أصنع ، فقال: مرحباً بصديقي! أهديْتَ لي شيئاً من بلادك؟ قلت: نعم ، أيها الملك ، قد أهديت لك أدَماً كثيراً ، ثم قَرَّبته إليه ، فأعجبه واشتهاه؛ ثم قلت له: أيها الملك؛ إنّي قد رأيتُ رجلاً خرج من عندك؛ وهو رسول رجل عدوّ لنا ، فأعطنيه لأقتله ، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا. قال: فغضب ، ثم مدّ يده فضرب بها أنفه ضربةً ظننت أنه قد كسره ـ يعني النجاشيّ ـ فلو انشقّت الأرض لي لدخلتُ فيها فَرَقاً منه. ثم قلت: والله أيها الملك لو ظننتُ أنك تكْرَه هذا ما سألتكه ، قال: أتسألني أن أعطيَك رسول رجل يأتيه الناموسُ الأكبر الذي كان يأتي موسى ، لتقتله! فقلت: أيّها الملك ، أكذاك هو؟ قال: ويحك يا عمرو! أطعني واتّبعه؛ فإنه والله لعلى الحقّ ، وليظهرنّ عَلَى مَن خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده.

قال: قلت: فتبايعني له على الإسلام؟ قال: نعم ، فبسط يده ، فبايعتُه على الإسلام ، ثم خرجت إلى أصحابي؛ وقد حال رأيي عَمّا كان عليه ، وكتمت أصحابي إسلامي ، ثم خرجت عامداً لرسول الله لأسلم؛ فلقيتُ خالد بن الوليد ـ وذلك قبل الفتح ـ وهو مقبلٌ من مكة ، فقلت: إلى أين يا أبا سليمان؟ قال: والله لقد استقام المنسم؛ وإن الرجل لنَبيّ، أذهب والله أسلِم؛ فحتّى متى! فقلت: والله ما جئتُ إلاّ لأسلم، فقدمنا على رسول الله ﷺ ، فتقدّم خالد بن الوليد فأسلَم وبايع ، ثم دنوت فقلت: يا رسولَ الله ، إنّي أبايعك على أن تغفرَ لي ما تقدّم من

ذنبي ، ولا أذكر ما تأخّر! فقال رسولُ الله ﷺ: يا عمرو ، بايع فإنّ الإسلام يَجُبُّ ما قبله، وإنّ الهجرة تجبُّ ما قبلها. فبايعته ثم انصرفت[١]. (٣: ٢٩/ ٣٠/ ٣١).

[غزوة ذات السلاسل]

٢٢٩ - وحدّثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سلَمة ، قال: حدّثني محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، قال: بعث رسولُ الله ﷺ عمرو بن العاص إلى أرض بَلِيّ وعُذْرة ، يستنفر الناس إلى الشأم؛ وذلك أنّ أمّ العاص بن وائل كانت امرأةً مِنْ بَلِيّ ، فبعثه رسولُ الله إليهم يستألفهم بذلك؛ حتى إذا كان على

(١) إسناد الطبري إلى ابن إسحاق ضعيف وأخرجه ابن هشام من طريق ابن إسحاق هذا وراشد مولىٰ بن أبي أوس ليس براشد بن جندل فالأول ثقة (ابن معين وابن حبان) ، وأما حبيب بن أبي أوس فهو مقبول من الثانية والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٤٥٤) وأحمد في المسند (٤/ ١٩٨) ، وجوّد الساعاتي إسناد ابن إسحاق. الفتح الرباني (٢١/ ١٣٦) وذكره الهيثمي في المجمع وقال: رواه أحمد والطبراني ورجالهما ثقات (مجمع الزوائد ٩/ ٣٥١).
وأما مسلم فقد أخرج قصة إسلام عمرو بن العاص مختصراً فقد أخرج من حديث ابن شماسة المهري قال: (حضرنا عمرو بن العاص رضي الله عنه وهو في سياقة الموت فبكىٰ طويلاً وحوّل وجهه إلى الجدار فجعل ابنه يقول: يا أبتاه أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا؟ أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا؟ قال: فأقبل بوجهه فقال: إن أفضل ما نعدّ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله إني قد كنت على أطباق ثلاث: لقد رأيتني وما أحد أشد بغضاً لرسول الله ﷺ مني ولا أحبّ إليّ أن أكون قد استمكنت منه فقتلته فلو متّ على تلك الحال لكنت من أهل النار.
فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي ﷺ فقلت: ابسط يمينك فلأبايعك فبسط يمينه فقبضت يدي قال: مالك يا عمرو؟ قال قلت: أردت أن أشترط قال: تشترط بماذا؟ قلت: أن يغفر لي. قال: أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله ، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها ، وأن الحج يهدم ما كان قبله ، وما كان أحبَّ إليّ من رسول الله ﷺ ولا أجلّ في عيني منه وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالاً له ، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت لأني لم أكن أملأ عيني منه ، ولو متّ على تلك الحال لرجوت أن أكون من أهل الجنة.
ثم ولينا أشياء ما أدري ما حالي فيها ، فإذا أنا مت فلا تصحبني نائحة ولا نار فإذا دفنتموني فشنّوا عليّ التراب شناً ثم أقيموا حول قبري قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها حتى أستأنس بكم وانظر ماذا أراجع به رسل ربي) صحيح مسلم (كتاب الإيمان/ باب كون الإسلام يهدم ما قبله/ ح ١٢١).

ماء بأرض جُذام ، يقال له السلاسل ـ وبذلك سُمّيت تلك الغزوة ذات السلاسل ـ فلمّا كان عليه خاف ، فبعث إلى رسول الله يستمدّه ، فبعث إليه رسولُ الله ﷺ أبا عبيدة بن الجرّاح في المهاجرين الأولين؛ فيهم أبو بكر وعمر رضوان الله عليهم ، وقال لأبي عبيدة حين وجّهه: لا تختلفا؛ فخرج أبو عبيدة حتى إذا قدم عليه ، قال له عمرو بن العاص: إنما جئتَ مدداً لي ، فقال له أبو عبيدة: يا عمرو؛ إنّ رسول الله قد قال لي: لا تختلفا؛ وأنت إن عصيتَني أطعتُك ، قال: فأنا أميرٌ عليك؛ وإنما أنت مددٌ لي ، قال: فدونَك! فصلّى عمرو بن العاص بالناس[(١)] . (٣: ٣٢) .

---

(١) هذا إسناد مرسل ضعيف إلى مرسله وخبر غزوة ذات السلاسل في صحيح البخاري وغيره ، فقد بوّب البخاري في صحيحه في كتاب المغازي فقال:
غزوة ذات السلاسل:
وهي غزوة لخم وجذام قاله إسماعيل بن أبي خالد. وقال ابن إسحاق عن يزيد عن عروة: هي بلاد بلي ـ وعذرة وبني القين. ثم أخرج البخاري (ح/ ٤٣٥٨):
قال: حدثنا إسحاق أخبرنا خالد بن عبد الله عن خالد الحذاء عن أبي عثمان أن رسول الله ﷺ بعث عمرو بن العاص على جيش ذات السلاسل قال: فأتيته فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة. قلت: ومن الرجال؟ قال: أبوها. قلت: ثم من؟ قال: عمر ، فعدّ رجالاً فسكتُّ مخافة أن يجعلني في آخرهم.
وأخرج الحاكم في المستدرك عن بريدة رضي الله عنه قال: (بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص في غزوة ذات السلاسل وفيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فلما انتهوا إلى مكان الحرب أمرهم عمرو أن لا ينوروا ناراً فغضب عمر وهمّ أن ينال منه فنهاه أبو بكر رضي الله عنه وأخبره أنه لم يستعمله رسول الله ﷺ عليك إلا لعلمه بالحرب فهدأ عنه عمر رضي الله عنه).
وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي (المستدرك مع التلخيص ٣/ ٤٣).
وأخرج الترمذي في سننه (٥/ كتاب المناقب/ ح ٣٨٨٥) عن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ استعمله على جيش ذات السلاسل قال: فأتيته فقلت: يا رسول الله أي الناس أحبّ إليك؟ قال: عائشة ، قال: من الرجال؟ قال: أبوها). وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح ، وأخرجه مسلم (فضائل أبي بكر/ ح ٢٣٨٤).
وأخرج أبو داود في سننه (كتاب الطهارة/ باب إذا خاف الجنب البرد أيتيمم/ ح ٣٣٤) قال: حدثنا ابن المثنىٰ ، أخبرنا وهب بن جرير ، أخبرنا أبي قال: سمعت يحيىٰ بن أيوب يحدث عن يزيد بن أبي حبيب عن عمران بن أبي أقيس عن عبد الرحمن بن جبير عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل فأشفقت إن=

[غزوة الخبط]

٢٣٠ ـ وحدثنا أحمد بن عبد الرحمن ، قال: حدّثنا عَمّي عبد الله بن وهب ، قال: أخبرني عمرو بن الحارث أن عمرو بن دينار حدّثه أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: خرجنا في بعث ونحن ثلاثمئة ، وعلينا أبو عبيدة بن الجراح ، فأصابنا جوعٌ ، فكنّا نأكل الخبَط ثلاثة أشهر؛ فخرجت دابّةٌ من البحر يقال لها العَنبر ، فمكثنا نصف شهر ، نأكل منها ، ونحر رجلٌ من الأنصار جزائر ، ثم نحر من الغد كذلك؛ فنهاه أبو عبيدة ، فانتهى.

قال عمرو بن دينار: وسمعت ذكوان أبا صالح قال: إنه قيس بن سعد[1]. (٣: ٣٢/ ٣٣).

٢٣١ ـ حدّثنا ابنُ المثَنَّى ، قال: حدّثنا الضّحاك بن مخْلد ، عن ابن جريج ، قال: أخبرني أبو الزبير ، أنه سمع جابر بن عبد الله يخبر ، قال: زوَّدنا النبيّ ﷺ جراباً من تمر ، فكان يقبض لنا أبو عبيدة قبضة قبضة ، ثم تمرة تمرة ، فنمصّها ونشرب عليها الماء إلى الليل؛ حتى نَفد ما في الجراب ، فكُنّا نجنِي الخبَط ، فجعنا جوعاً شديداً. قال: فألقى لنا البحر حوتاً ميتاً ، فقال أبو عبيدة: جياع كلوا ، فأكلنا ـ وكان أبو عبيدة ينصب الضِّلَع من أضلاعه فيمرّ الراكب على بعيره تحته ، ويجلس النفر الخمسة في موضع عينه ـ فأكلنا وادّهنّا حتى صَلَحت

= اغتسلت أن أهلك ، فتيممت ثم صليت بأصحابي الصبح ، فذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: (يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب؟) فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال ، وقلت: إني سمعت الله يقول: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئاً.

قال أبو داود: عبد الرحمن بن جبير مصري مولىٰ خارجة بن حذافة وليس هو ابن جبير بن نضير. ا هـ.

قلنا: والحديث أخرجه البخاري تعليقاً (١/ ٣٨٥) ووصله الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (١/ ١٧٧) والله تعالى أعلم.

(١) هذا حديث صحيح أخرجه غير واحد من الأئمة ، كما سنذكر بعد الرواية التالية. ورجال إسناد الطبري رجال الصحيح غير أن أحمد بن عبد الرحمن (من رجال مسلم) صدوق تغيّر بآخرته ولقد رجع عن الأحاديث المناكير التي رواها:

أجسامنا ، وحسنت شحماتنا؛ فلما قدمنا المدينة قال جابر: فذكرنا ذلك للنبيّ ﷺ ، فقال: كُلوا رزقاً أخرجه الله عزّ وجلّ لكم ، معكم منه شيء؟ ـ وكان معنا منه شيء ـ فأرسل إليه بعض القوم فأكل منه[1] . (٣ : ٣٣) .

---

(١) حديث جابر حديث صحيح رواه البخاري في صحيحه من أوجه ، وسنذكر تمام روايات البخاري (كتاب المغازي/ ب ١٨٢).
غزوة سيف البحر وهم يتلقون عيراً لقريش وأميرهم أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه.
حدثنا إسماعيل قال حدثني مالك عن وهب بن كيسان عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه قال: بعث رسول الله ﷺ بعثاً قبل الساحل وأمر عليهم أبو عبيدة بن الجراح وهم ثلاثمئة فخرجنا وكنا ببعض الطريق فَنِيَ الزاد فأمر أبو عبيدة بأزواد الجيش فجمع فكان مزودي تمر فكان يقوتنا كل يوم قليلاً قليلاً حتى فَنِيَ فلم يكن يصيبنا إلا تمرة تمرة فقلت: ما تغني عنكم تمرة فقال: لقد وجدنا فقدها حين فنيت.
ثم انتهينا إلى البحر فإذا حوت مثل الظَّرب فأكل منها القوم ثماني عشرة ليلة ثم أمر أبو عبيدة بضلعين من أضلاعه فنصبا ثم أمر براحلةٍ فرحلت ثم مرت تحتهما فلم تصبهما.
حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان قال: الذي حفظناه من عمرو بن دينار قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: بعثنا رسول الله ﷺ ثلاثمئة راكب أميرنا أبو عبيدة بن الجراح نرصد عير قريش فأقمنا بالساحل نصف شهر فأصابنا جوع شديد حتى أكلنا الخَبَط فسمّيَ ذلك الجيش جيش الخبط فألقى لنا البحر دابة يقال لها العنبر فأكلنا منه نصف شهر وادّهنا من ودكه حتى ثابت إلينا أجسامنا فأخذ أبو عبيدة ضلعاً من أضلاعه فنصبه فعمد إلى أطول رجل معه ـ قال سفيان مرةً ضليعاً من أضلاعه فنصبه وأخذ رجلاً ـ وبعيراً فمر تحته قال جابر: وكان رجل من القوم نحر ثلاث جزائر ثم نحر ثلاث جزائر ثم نحر ثلاث جزائر ، ثم إن أبا عبيدة نهاه.
وكان عمرو يقول أخبرنا أبو صالح أن قيس بن سعد قال لأبيه: كنت في الجيش فجاعوا قال: انحر قال: نحرت. قال: ثم جاعوا قال: انحر قال: نحرت قال: ثم جاعوا قال: انحر قال: نحرت ثم جاعوا قال: انحر قال: نهيت.
حدثنا مسدّد حدثنا يحيى عن ابن جريج قال أخبرني عمرو أنه سمع جابراً رضي الله عنه يقول: غزونا جيش الخبط وأمَّر أبو عبيدة بن الجراح فجعنا جوعاً شديداً فألقى البحر حوتاً ميتاً لم نَرَ مثله يقال له العنبر فأكلنا منه نصف شهر فأخذ أبو عبيدة عظماً من عظامه فمر الراكب تحته فأخبرني أبو الزبير أنه سمع جابراً يقول قال أبو عبيدة: كلوا ، فلما قدمنا المدينة ذكرنا ذلك للنبي ﷺ فقال: كلوا رزقاً أخرجه الله أطعمونا إن كان معكم ، فآتاه بعضهم بعضوٍ فأكله.
والحديث أخرجه مسلم في صحيحه (كتاب الصيد والذبائح) والبيهقي في الدلائل (٤/ ٤٠٨) ولقد ذكر الحافظ ابن كثير روايات الصحيحين وما عند البيهقي ثم قال: ومقتفى أكثر هذه السياقات أن هذه السرية كانت قبل صلح الحديبية ولكن أوردناها ها هنا تبعاً للحافظ البيهقي=

٢٣٢ ـ قال: وفيها أغزى رسولُ الله ﷺ في سريّةٍ أبا قتادة إلى بطن إضَم حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلَمة، عن ابن إسحاق، عن يزيد بن عبد الله بن قُسَيْط، عن أبي القعقاع بن عبد الله بن أبي حَدْرَد الأسلميّ.

وقال بعضهم: عن ابن القعقاع ـ عن أبيه، عن عبد الله بن أبي حَدْرَد، قال: بعثَنا رسول الله ﷺ إلى إضَم، فخرجت في نفر من المسلمين فيهم أبو قَتادة الحارث بن رِبْعيّ ومحَلّم بن جَثّامة بن قيس الليثي، فخرجنا حتى إذا كنا ببطن إضَم ـ وكانت قبل الفتح ـ مَرَّ بنا عامر بن الأضبط الأشجعيّ على قَعود له، معه مُتَيِّع له ووطْب من لبن. فلمّا مرّ بنا سلّم علينا بتحيّة الإسلام، فأمسكنا عنه، وحمل عليه محلّم بن جَثّامة الليثي لشيء كان بينه وبينه؛ فقتله وأخذ بعيره ومتيِّعه، فلمّا قدمنا على رسول الله ﷺ فأخبرناه الخبر، نزل فينا القرآن: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ . . . ﴾ الآية[1]. (٣: ٣٥/ ٣٦).

[ذكر الخبر عن غزوة مؤتة]

٢٣٢ ـ حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلَمة، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير، عن عُروة بن الزبير، قال: بعث رسولُ الله ﷺ بَعثَهُ إلى مؤتة في جُمادى الأولى من سنة ثمانٍ؛ واستعمل عليهم زيد بن حارثة، وقال: إن أصيب زيد بن حارثة فجعفر بن أبي طالب على الناس، فإن أصيبَ جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس.

= رحمه الله، فإنه أوردها بعد مؤتة، وقبل غزوة الفتح والله أعلم. (البداية والنهاية ٣/ ٥٢٨)
قلنا: وأما من المعاصرين فإن العمري المؤرخ يوافق الحافظ ابن كثير في مذهبه هذا إذ يقول في كتاب السيرة النبوية: وقد أوضح ابن القيم خطأ ابن سيد الناس في تاريخ السرية في رجب سنة ثمان حيث لم يغز ولم يبعث سرية في الشهر الحرام.
ثم إن صلح الحديبية يمنع اعتراض المسلمين لقافلة قريش فلا بد أن تكون سرية الخبط قبل الصلح (٢/ ٤٣٣/ الحاشية).

(١) حديث ابن أبي حدرد الأسلمي حديث صحيح أخرجه ابن هشام في السيرة النبوية (٢/ ٦٢٧) وأحمد في المسند (٦/ ١١) والبيهقي في الدلائل (٤/ ٣٠٥) وذكره الهيثمي في المجمع وقال: رواه أحمد والطبراني ورجاله ثقات (مجمع الزوائد ٧/ ٨).

فتجهّز الناسُ ، ثم تهيَّؤوا للخروج ، وهم ثلاثة آلاف ، فلما حضر خروجهم وَدَّع الناسُ أمراء رَسُول اللهِ وسلموا عليهم وودّعوهم فلمّا ودّع عبد الله بن رَواحة مع من ودّع من أمراء رسول الله ﷺ بكَى ، فقالوا له: ما يُبكيك يا بن رواحة؟ فقال: أما والله ما بي حبّ الدنيا ، ولا صبابة بكم؛ ولكني سمعتُ رسولَ الله يقرأ آيةً من كتاب الله يذكر فيها النار: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾ . فلست أدري كيف لي بالصَّدَرِ بعد الورود! فقال المسلمون: صحبكم الله ودفع عنكم ، وردّكم إلينا صالحين ، فقال عبد الله بن رواحة:

لٰكنَّنِي أسْأَلُ الرَّحْمٰنَ مَغْفِرَةً ... وَضَرْبَةً ذاتَ فَرْغٍ تَقْذِفُ الزَّبَدَا
أو طَعْنَةً بِيَدَيْ حَرَّانَ مُجْهِزَةً ... بحَرْبَةٍ تُنْفِذُ الأَحْشاءَ والكَبِدا
حتى يقولوا إذَا مَرُّوا على جَدَثي ... أَرْشَدَهُ اللهُ مِنْ غَازٍ وقد رَشَدَا![(1)]

(٣: ٣٦/ ٣٧) .

٢٣٣ ـ حدّثنا ابنُ حُميد ، قال: حدّثنا سلَمة وأبو تُمَيْلة ، عن محمد بن

---

(١) إسناده إلى ابن إسحاق ضعيف ولكن أخرجه ابن هشام من طريق ابن إسحاق هذا (٢/ ٢٥٦) عن عروة وذكره الهيثمي في المجمع وقال: رواه الطبراني ورجاله ثقات إلى عروة.
وكذلك أخرجه البيهقي في الدلائل (٤/ ٣٥٩) وللحديث شواهد سنذكره بعد قليل. ولكننا نذكر بإيجاز ما قاله أئمة المغازي والسير في تحديد تأريخ الغزوة. قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٧/ ٥١١): وفي مغازي أبي الأسود عن عروة: بعث رسول الله ﷺ الجيش إلى مؤتة في جمادى من سنة ثمان. وكذا قال ابن إسحاق وموسى بن عقبة وغيرهما من أهل المغازي لا يختلفون في ذلك ، إلاّ ما ذكره خليفة في تأريخه أنها كانت سنة سبع. اهـ.
وأصل الخبر عن غزوة مؤتة وتأمير الأمراء الثلاثة في صحيح البخاري فقد أخرج في صحيحه كتاب المغازي/ باب غزوة مؤتة من أرض الشام:
عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أمر رسول الله ﷺ في غزوة مؤتة زيد بن حارثة فقال رسول الله ﷺ : إن قتل زيد فجعفر وإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحة. قال عبد الله: كنت فيهم في تلك الغزوة فالتمسنا جعفر بن أبي طالب فوجدناه في القتلى ووجدنا ما في جسده بضعاً وتسعين من طعنة ورمية.
وأخرج كذلك في صحيحه في الباب نفسه: عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ نعىٰ زيداً وجعفراً وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم فقال: أخذ الراية زيد فأصيب ثم أخذ جعفر فأصيب ثم أخذ ابن رواحة فأصيب وعيناه تذرفان حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم.

إسحاق ، عن يحيى بن عبّاد ، عن أبيه ، قال : حدّثني أبي الذي أرضعني ـ وكان أحد بني مرّة بن عوف ، وكان في تلك الغزوة غزوة مُؤْتة ـ قال : والله لكأنّي أنظرُ إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء ؛ فعقرها ، ثم قاتل القوم حتى قُتِل ؛ فلما قتل جعفر أخذ الرّايَة عبدُ الله بن رَواحة ؛ ثمّ تقدّم بها وهو على فرسه ، فجعل يستنزل نفسه ويتردّد بعض التردد ، ثم قال :

أقسمْـتُ يـا نَفْـسُ لَتَنـزِلنّـهْ طَـائِعَـةً أوْ فَلَتُكْـرَهِنَّـهْ
إنّ أجْلَـبَ النـاسُ وشَـدُّوا الـرَّنّـهْ مـالِـي أَراكِ تَكْـرَهِيـن الجَنَّـهْ!
قـد طَـالَمَـا قـد كنْـتِ مُطْمَئِنَّـهْ هَـلْ أَنْـتِ إلا نُطْفَـةٌ فـي شَنَّـهْ!

وقال أيضاً :

يـا نَفْـس إلاَّ تُقْتَلـي تَمُـوتـي هٰـذَا حِمَـامُ المَـوْتِ قـد صَلِيتِ
ومـا تَمَنَّيْـتِ فقـدْ أعْطِيـتِ إنْ تَفْعَلـي فِعْلَهُمَـا هُـدِيـتِ

قال : ثم نزل ؛ فلمّا نزل أتاه ابنُ عمٍّ له بعظم من لحم ؛ فقال : شُدَّ بها صلبك ؛ فإنك قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت ؛ فأخذه من يده ؛ فانتهس منه نهسَةً ثم سمع الحطْمة في ناحية الناس ، فقال : وأنت في الدنيا! ثم ألقاه من يده ، وأخذ سيفه ؛ فتقدّم فقاتل حتى قتل ؛ فأخذ الراية ثابتُ بن أقرم ؛ أخو بَلْعجلان ؛ فقال : يا معشَر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم ، فقالوا : أنت ، قال : ما أنا بفاعل ؛ فاصطلح الناس على خالد بن الوليد ؛ فلمّا أخذ الراية دافع القوم ؛ وحاشى بهم ، ثم انحاز وتحيّز عنه حتى انصرف بالناس[1] . (٣ : ٣٩/ ٤٠) .

---

(١) إسناده إلى ابن إسحاق ضعيف ولكن أخرجه ابن هشام من طريق ابن إسحاق هذا (٢/ ٣٧٨) وصرّح بالتحديث.

قلنا : والحديث أخرجه أبو داود في (سننه/ كتاب الجهاد/ ح ٢٥٧٣) ولفظه(حدثني أبي الذي أرضعني ، وهو أحد بني مرة بن عوف وكان في الغزاة غزاة مؤتة ، قال : والله لكأني أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها ثم قاتل حتىٰ قتل).

وقال : هذا الحديث ليس بالقوي . ا هـ.

قلنا : والحديث أورده الهيثمي ورواه الطبراني ورجاله ثقات (مجمع الزوائد ٦/ ١٦٠) وكذلك حسّنه الحافظ (فتح الباري ٧/ ٥١١) وأما من المعاصرين فقد حسّنه العمري وقال : وفيه جهالة اسم الصحابي ولا تضر (السيرة النبوية/ ٢/ ٤٦٨) والألباني (صحيح سنن أبي داود ح ٢٢٤٣) والله تعالىٰ أعلم.

٢٣٤ ـ فحدّثني القاسم بن بِشْر بن معروف ، قال : حدّثنا سليمان بن حرب ، قال : حدّثنا الأسود بن شيبان ، عن خالد بن سُمَير ، قال : قَدِم علينا عبد الله بن رَبَاح الأنصاريّ ـ وكانت الأنصار تُفقّهُه ـ فغشيَه الناس ، فقال : حدّثنا أبو قتادة فارسُ رسول الله ﷺ ، قال : بعث رسول الله جيشَ الأمراء ، فقال : عليكم زيد بن حارثة ؛ فإن أصيب فجعفر بن أبي طالب ؛ فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة ؛ فوثب جعفر فقال : يا رسولَ الله ؛ ما كنت أذهبُ أن تستعمل زيداً عليَّ! قال : امض ؛ فإنك لا تدري أيّ ذلك خير!

فانطلقوا ، فلبثوا ما شاء الله . ثم إنّ رسولَ الله ﷺ صعد المنبر ، وأمر فنودي : الصّلاة جامعة! فاجتمع الناس إلى رسول الله ، فقال : باب خير ، باب خير ، باب خير! أخبركم عن جيشكم هذا الغازي ؛ إنّهم انطلقوا فلقُوا العدوّ ، فقتل زيد شهيداً ـ واستغفر له ـ ثمّ أخذ اللواء جعفر ، فشدّ على القوم حتى قتل شهيداً ـ فشهد له بالشهادة واستغفر له ـ ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة ؛ فأثبت قدميْه حتى قتل شهيداً ـ فاستغفر له ـ ثمّ أخذ اللواء خالد بن الوليد ـ ولم يكن من الأمراء هو أمَّر نفسه ـ ثم قال رسول الله ﷺ : اللهمّ إنه سيف من سيوفك ، فأنت تنصره ـ فمنذ يومئذ سمّي خالد سيف الله ـ ثم قال رسول الله : أبكروا فأمدُّوا إخوانكم ولا يتخلّفنّ منكم أحد ، فنفروا مُشاةً ورُكْبَاناً ، وذلك في حرّ شديد(١) . (٣ : ٤٠/ ٤١) .

٢٣٥ ـ حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله ابن أبي بكر ، قال : لما أتى رسولَ الله مصابُ جعفر ، قال رسول الله ﷺ : قد مرّ

---

(١) حديث أبي قتادة هذا حديث صحيح أخرجه البيهقي من طريق الفضل بن الحباب الجمحي ثنا سليمان بن حرب به (دلائل النبوة ٤/ ٣٦٧) .
وقال الحافظ ابن كثير بعد أن أورده : ورواه النسائي وفيه زيادة حسنة ، وهو أنه عليه الصلاة والسلام لما اجتمع إليه الناس قال : باب خير ، باب خير وذكر الحديث ـ (البداية والنهاية /٣/ ٤٨٦) قلنا : والحديث أخرجه أحمد (٥/ ٣٠٠) وقال الهيثمي : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير خالد بن سمير وهو ثقة . (مجمع الزوائد ٦/ ١٥٦) .

جعفر البارحة في نفر من الملائكة ، له جناحان ، مختضب القوادم بالدّم ، يريدون بيشة ؛ أرضاً باليمن(١). (٣ : ٤١).

---

(١) هذا إسناد ضعيف ، وللحديث شواهد : فقد أخرج الحاكم في المستدرك (٣/ ٢٠٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : دخلت الجنة البارحة فنظرت فيها فإذا جعفر يطير مع الملائكة ، وإذا حمزة متكىء على سرير.
وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وسكت عنه الذهبي وأخرج الحاكم رواية أخرى في الصفحة السابقة ولكن من طريق العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعاً : (رأيت جعفر بن أبي طالب ملكاً يطير مع الملائكة بجناحين).
وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ولم يوافقه الذهبي وقال المديني : واه. (المستدرك مع التلخيص ٣/ ٢٠٩).
وقال الهيثمي في المجمع معقباً على رواية للحديث عند الطبراني في المعجم الكبير (ح ١٤٦٦) : رواه الطبراني بإسنادين أحدهما حسن (مجمع الزوائد ٩/ ٢٧٢).
وحديث أبي هريرة أخرجه الترمذي في سننه (ح ٣٧٦٣) وقال : هذا حديث غريب من حديث أبي هريرة لا نعرفه إلا من حديث عبد الله بن جعفر وقد ضعفه يحيى بن معين وغيره.
وعبد الله بن جعفر هو والد علي بن المديني. وفي الباب عن ابن عباس ا هـ.
قلنا : لقد ذكرنا رواية ابن عباس (عند الحاكم) وقال الحافظ في الفتح : إسناده جيد (فتح الباري ٧/ ٧٦).
وأخرج البخاري في صحيحه (باب مناقب جعفر/ ح ٣٧٠٩) من حديث عامر قال : (كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا حيّا ابن جعفر قال : السلام عليك يابن ذي الجناحين).
وقال الحافظ ابن كثير : وجاء بالأحاديث تسميته بذي الجناحين. وروى البخاري عن ابن عمر أنه كان إذا سلَّمَ علىٰ ابنه عبد الله بن جعفر يقول : السلام عليك يابن ذي الجناحين وبعضهم يرويه عن عمر بن الخطاب نفسه.
والصحيح ما في الصحيح عن ابن عمر قالوا : لأن الله تعالى عوّضه عن يديه بجناحين في الجنة ؛ قد تقدم ما روي في ذلك (البداية والنهاية ٣/ ٥٠١).
مسألة في نتيجة هذه الغزوة :
قال الحافظ ابن كثير رحمه الله بعد أن ذكر روايات عند أحمد ومسلم : وهذا يقتضي أنهم غنموا منهم وسلبوا من أشرافهم وقتلوا من أمرائهم. وقد تقدم فيما رواه البخاري أن خالداً رضي الله عنه قال : اندقت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف وما ثبت في يديّ إلا صفحة يمانية.
وهذا يقتضي أنهم أثخنوا فيهم قتلاً ، ولو لم يكن كذلك لما قدروا علىٰ التخلص منهم وهذا =

[ذكر الخبر عن فتح مكة]

٢٣٦ ـ فبينا بنو بكر وخُزاعة على ذلك حَجَز بينهم الإسلام ، وتشاغل الناس به ، فلمّا كان صلحُ الحديبية بينَ رسول الله ﷺ وبين قريش كان فيما شرطوا على رسول الله ﷺ ، وشرط لهم ـ كما حدّثنا ابنُ حُميد ، قال: حدّثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري ، عن عُروة بن الزبير ، عن المِسْوَر بن مخرمة ومروان بن الحكم وغيره من علمائنا ـ أنه مَنْ أحَبَّ أن يدخلَ في عهد رسول الله ﷺ وعقْده دخلَ فيه ، ومَنْ أحبّ أن يدخل في عهد قُريش وعقدهم دخل فيه؛ فدخلت بنو بكر في عَقْد قريش ، ودخلت خُزاعة في عَقْد رسول الله ﷺ .

فلمّا كانت تلك الهدنة اغتنمتها بنو الدِّيل ، من بني بكر من خُزاعة.

وأرادوا أن يصيبوا منهم [ثأراً] بأولئك النفر الذين أصابوا منهم ببني الأسود بن رَزْن ، فخرج نَوْفَل بن معاوية الدّيلي في بني الدِّيل ـ وهو يومئذ قائدهم؛ ليس كل بني بكْر تابعه ـ حتى بَيَّتَ خزاعة ، وهم على الوتير؛ ماء لهم ،

= وحده دليل مستقل والله أعلم.

وهذا هو اختيار موسىٰ بن عقبة والواقدي والبيهقي وحكاه ابن هشام عن الزهري.

قال البيهقي رحمه الله: إنه اختلف أهل المغازي في فرارهم وانحيازهم ، فمنهم من ذهب إلى ذلك ومنهم من زعم أن المسلمين ظهروا علىٰ المشركين وأن المشركين انهزموا. قال: وحديث أنس بن مالك عن النبي ﷺ : ثم أخذها خالد ففتح الله على يديه ، يدل علىٰ ظهورهم عليهم والله أعلم (البداية والنهاية ٣/ ٤٩١).

قلنا: وقد أخرج ابن سعد في طبقاته من حديث أبي عامر رضي الله عنه قال: (بعثني رسول الله ﷺ إلى الشام فلما رجعت مررت على أصحابي وهم يقاتلون المشركين بمؤتة... الحديث وفيه: فأخذ خالد اللواء ثم حمل على القوم فهزمهم الله أسوأ هزيمة رأيتها قط حتى وضع المسلمون أسيافهم حيث شاؤوا... إلخ).

قلنا: وإسناد ابن سعد موصول (٢/ ٣١٤) طبعة دار إحياء التراث ، إلا أنه من طريق محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ضعفه غير واحد وقال الحافظ: صدوق سيىء الحفظ.

وعلى أية حال فحديثه يصلح في المتابعة والشواهد والله تعالى أعلم.

وأما من المعاصرين فقد فسّر الأستاذ العمري الفتح المذكور في الحديث بقوله: والمراد بالفتح في هذا الحديث الصحيح إما الانسحاب المنظم الناجح ، وإما ما أوقعه المسلمون بالروم من خسائر رغم تفوقهم العددي الكبير (السيرة النبوية ٢/ ٤٦٩).

فأصابوا منهم رجلاً وتحاوزوا واقتتلوا؛ ورفَدَت قريش بني بكْر بالسِّلاح؛ وقاتل معه من قريش مَنْ قاتل بالليل مستخفياً؛ حتى حازوا خُزاعة إلى الحَرم.

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق، قال: فلما انتهوْا إليه قالت بنو بكْر: يا نوفل، إنا قد دخلْنا الحرم إلهَك إلهَك؛ فقال: كلمة عظيمة إنه لا إله له اليوم! يا بني بكْر أصيبوا ثأْركم، فلعمري إنكم لتسرقُون في الحرم؛ أفلا تصيبون ثأركم فيه! وقد أصابوا منهم ليلة بَيّتوهم بالوتير رجلاً يقال له منبّه، وكان منبّه رجلاً مفؤوداً خرج هو ورجل من قومه، يقال له تميم بن أسد ـ فقال له منبّه: يا تميم، انجُ بنفسك؛ فأمّا أنا فو الله إني لميّتٌ قتلوني أو تركوني؛ لقد انبتَّ فؤادي. فانطلق تميم فأفلَت، وأدركوا منبّهاً فقتلوه ـ فلمّا دخلت خُزاعة مكة لجؤوا إلى دار بُدَيْل بن ورْقاء الخُزاعيّ، ودار مولى لهم يقال له رافع.

قال: فلما تظاهرتْ [بنو بكر و] قُريش على خُزاعة، وأصابوا منهم ما أصابوا، ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهد والميثاق بما استحلّوا من خُزاعة ـ وكانوا في عَقْده وعهدِه ـ خرج عمرو بن سالم الخُزاعيُّ، ثم أحد بني كعب؛ حتى قدِم على رسولِ الله ﷺ المدينة؛ وكان ذلك ممّا هاج فتح مكة؛ فوقف عليه وهو في المسجد جالسٌ بين ظهرانَي الناس، فقال:

لاهُمّ إنِّي ناشدٌ مُحمّدا ... حلْفَ أبينا وأبيه الأتْلدَا

فوالِداً كُنَّا وَكُنْتَ وَلَدَا ... ثمَّتَ أَسلَمْنا فلم نَنْزِعْ يَدَا

فانْصُر رسول الله نَصْراً أعْتَدَا ... وادْعُ عِبادَ اللهِ يأتوا مَدَدَا

فيهم رسول اللهِ قد تَجرَّدَا ... أبْيَض مثْل البَدْرِ يَنْمِي صُعدَا

إن سِيمَ خَسْفاً وَجْهُهُ تَرَبّدَا ... في فَيْلَقٍ كالبَحْر يجْري مُزْبدَا

إنّ قريشاً أخلفوك الموْعِدا ... ونَقَضُوا ميثاقك المُؤكَّدا

وجعلوا لي في كَدَاء رَصَدَا ... وزعموا أن لسْتُ أدْعُو أحَدا

وَهُمْ أذَلُّ وأقَلُّ عَدَدَا ... هُمْ بَيَّتُونَا بالوَتِيرِ هُجَّدَا

فقتَّلونا رُكَّعاً وَسُجّدَا

يقول: قد قتّلونا وقد أسلمنا. فقال رسول الله ﷺ حينَ سمع ذلك: قد نُصرْتَ

يا عمرو بن سالم! ثم عرض لرسول الله ﷺ عَنَانٌ من السماء ، فقال : إنّ هذه السحابة لتستَهِلّ بنصر بني كعب .

ثم خرج بُدَيْل بن ورقاء في نفر من خُزاعة حتى قدِموا على رسول الله المدينة ، فأخبروه بما أصيب منهم ، وبمظاهرة قريش بني بكر عليهم؛ ثم انصرفوا راجعين إلى مكة . وقد كان رسولُ الله ﷺ قال للناس : كأنّكم بأبي سفيان قد جاء ليشدّد العَقْد ، ويزيد في المدّة[١] . (٣ : ٤٣/ ٤٤/ ٤٥) .

---

(١) إسناده إلى ابن إسحاق ضعيف ولكن أخرجه ابن هشام من طريق ابن إسحاق هذا وقد صرّح بالتحديث فسنده حسن وأخرجه البيهقي بأطول من هذا (دلائل النبوة ٥/ ٥) . وأخرج أبو يعلىٰ في مسنده (ح ٤٣٨٠) عن عائشة قالت : لقد رأيت رسول الله ﷺ غضب فيما كان من شأن بني كعب غضباً لم أره غضبه منذ زمان وقال : «لا نصرني الله إن لم أنصر بني كعب» .
قالت : وقال لي : «قولي لأبي بكر وعمر يتجهزا لهذا الغزو» .
قال : فجاءا إلى عائشة ، فقالا : أين يريد رسول الله ﷺ ؟ قال : فقالت : لقد رأيته غضب فيما كان من شأن بني كعب غضباً لم أره غضبه منذ زمان من الدهر .
وقال الهيثمي : رواه أبو يعلىٰ عن حزام بن هشام بن حُبيش عن أبيه عنها ، وقد وثقهما ابن حبان ، وبقية رجاله رجال الصحيح . (مجمع الزوائد ٦/ ١٦٢) .
وأخرج البزار عن أبي هريرة رضي الله عنه أن قائد خزاعة قال :

اللهــم إنــي نــاشــدٌ محمــدا
حلــف أبينــا وأبيــه الأتلــدا
انصــر هــداك الله نصــراً أعتــدا
وادع عبــاد الله يــأتــوا مــددا

وقال الهيثمي : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن عمرو وحديثه حسن (مجمع الزوائد ٦/ ١٦٢) .
وعن ميمونة بنت الحارث زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ بات عندها في ليلة فقام يتوضأ للصلاة قالت : فسمعته يقول في متوضئه : «لبيك لبيك» ثلاثاً «نصرت نصرت» ثلاثاً ، فلما خرج قلت : يا رسول الله سمعتك تقول في متوضئك لبيك لبيك ثلاثاً ـ نصرت نصرت ثلاثاً ـ كأنك تكلم إنساناً وهل كان معك أحد؟ قال : «هذا راجز بني كعب يستصرخني ويزعم أن قريشاً أعانت عليهم بكر بن وائل» ثم خرج رسول الله ﷺ فأمر عائشة أن تجهزه ، ولا تعلم أحداً ، قالت : فدخل عليها أبو بكر . فقال : يا بنية ما هذا الجهاز؟ فقالت : والله ما أدري ، فقال : ما هذا بزمان غزوة بني الأصفر فأين يريد رسول الله ﷺ ؟ قالت : والله لا علم لي ، فقالت : فأقمنا ثلاثاً ، ثم صلىٰ الصبح بالناس فسمعت الراجز ينشد : =

٢٣٧ ـ حدّثنا ابنُ حُميد ، قال: حدّثنا سلمة ، قال: حدثني محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عُرْوة بن الزُّبير وغيره من عُلمائنا ،

=

يــا رب إنــي نــاشــد محمــدا
حلــف أبينــا وأبيــه الأتلــدا
إنــا ولــدنــاك فكنــت ولــدا
ثمــت أسلمنــا فلــم تنــزع يــدا
إن قــريشــاً أخلفــوك المــوعــدا
ونقضــوا ميثــاقــك المــؤكــدا
وزعمــوا أن لســت تــدعــو أحــدا
فــانصــر هــداك الله نصــراً أيــدا
وادعــوا عبــاد الله يــأتــوا مــددا
فيهــم رســول الله قــد تجــردا
[أبيــض مثــل البــدر ينحــي صعــدا]
إن سيــم خسفــاً وجهــه تــربّــدا

فقال رسول الله ﷺ : «لبيك لبيك» ثلاثاً «نصرت نصرت» ثلاثاً ، ثم خرج رسول الله ﷺ فلما كان بالروحاء ، نظر إلى سحاب منتصب فقال: «إن هذا السحاب لينصَبُ بنصر بني كعب» فقال رجل من بني عدي بن عمرو أخو بني كعب بن عمرو: يا رسول الله ، ونصر بني عدي؟ فقال رسول الله ﷺ : «وهل عدي إلا كعب وكعب إلا عدي» فاستشهد ذلك الرجل في ذلك السفر ثم قال رسول الله ﷺ : «اللهم عمّ عليهم خبرنا حتى نأخذهم بغتة» ثم خرج حتى نزل بمرّ ، وكان أبو سفيان وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء ، خرجوا تلك الليلة حتى أشرفوا على مر ، فنظر أبو سفيان إلى النيران فقال: يا بديل هذه نار بني كعب أهلك فقال: جاشتها إليك الحرب. فأخذتهم مزينة تلك الليلة وكانت عليهم الحراسة فسألوا أن يذهبوا بهم إلى العباس بن عبد المطلب فذهبوا بهم ، فسأله أبو سفيان أن يستأذن له من رسول الله ﷺ فخرج بهم حتى دخل على النبي ﷺ فسأله أن يؤمّن له من آمن ، فقال: «قد أمنت من أمنت خلا أبا سفيان» فقال: يا رسول الله ، لا تحجر علي. فقال: «من أمنت فهو آمن» فذهب بهم العباس إلى رسول الله ﷺ ثم خرج بهم فقال أبو سفيان: إنا نريد أن نذهب فقال: أسفروا ، وقام رسول الله ﷺ يتوضأ وابتدر المسلمون وضوءه ينتضحونه في وجوههم ، فقال أبو سفيان: يا أبا الفضل ، لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً فقال: ليس بملك ، ولكنها النبوة وفي ذلك يرغبون.

وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الصغير والكبير وفيه يحيى بن سليمان بن نضلة وهو ضعيف (مجمع الزوائد ٦/ ١٦٤).

قالوا: لما أجمَع رسولُ الله ﷺ المسير إلى مكة، كتب حاطب بن أبي بَلْتَعة كتاباً إلى قُريش، يخبرهم بالذي أجمع عليه رسولُ الله من الأمر في السَّيْر إليهم؛ ثمّ أعطاه امرأة - يزعمُ محمد بن جعفر أنها من مُزَيْنة؛ وزعم غيرُه أنها سارة، مولاة لبعض بني عبد المطلب - وجعل لها جُعْلاً على أن تُبلِّغه قريشاً. فجعلَتْه في رأسها، ثم فتلتْ عليه قُرونها، ثم خرجتْ به. وأتى رسول الله ﷺ الخبرُ من السماء بما صنع حاطبٌ؛ فبعث عليّ بن أبي طالب والزبير بن العوام، فقال: أدْركا امرأةً قد كتب معها حاطب بكتاب إلى قريش، يحذّرهم ما قد أجمعنا له في أمرهم؛ فخرجا حتى أدركاها بالحُليفة، حُليفة ابن أبي أحمد؛ فاستنزلاها، فالتمسا في رَحْلها، فلم يجدا شيئاً، فقال لها عليُّ بن أبي طالب: إنّي أحلِفُ ما كذب رسول الله ولا كذبنا؛ ولتُخْرِجنَّ إليّ هذا الكتاب أو لنكشفنَّك؛ فلما رأت الجدّ منه، قالت: أعرض عنّي، فأعرض عنها، فحلّتْ قرونَ رأسِها، فاستخرجت الكتاب منه، فدفعته إليه، فجاء به إلى رسول الله ﷺ، فدعا رسول الله حاطباً؛ فقال: يا حاطب، ما حملك على هذا؟ فقال: يا رسول الله، أما والله إني لمؤمنٌ بالله ورسوله، ما غيَّرْتُ ولا بَدَّلْتُ، ولكنّي كنتُ امرأً ليس لي في القوم أصلٌ ولا عشيرة، وكان لي بين أظهرهم أهلٌ وولَد، فصانعتهم عليهم، فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله، دَعْني فلأضرب عنقه، فإنّ الرجل قد نافق، فقال رسول الله ﷺ: وما يدريك يا عمر، لعلّ الله قد اطّلع إلى أصحاب بدر يوم بدر؛ فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم! فأنزل الله عزّ وجلّ في حاطب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ إلى قوله ﴿وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا﴾ إلى آخر القصة[١]. (٣: ٤٨/ ٤٩).

---

(١) إسناده مرسل ضعيف وخبر حاطب بن أبي بلتعة صحيح فقد أخرج البخاري في صحيحه/ كتاب المغازي/ باب فضل من شهد بدراً (ح ٣٩٨٣) باب غزوة الفتح وما بعث به حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة (ح ٤٢٧٤) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن ظعينة معها كتاب فخذوا منها قال: فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة فإذا نحن بالظعينة قلنا لها: أخرجي الكتاب قالت: ما معي كتاب. قلنا: لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب. قال: فأخرجته من عقاصها فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس بمكة من المشركين يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: يا حاطب ما هذا؟ =

٢٣٨ ـ حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلَمة، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن مسلم الزّهريّ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة بن مسعود، عن ابن عباس، قال: ثم مضى رسولُ الله ﷺ لسفره؛ واستخلف على المدينة أبا رُهْم كُلْثوم بن حُصَين بن خلَف الغفاريّ، وخرج لعشر مضيْن من شهر رمضان، فصام رسولُ الله ﷺ، وصام الناس معه؛ حتى إذا كان بالكَديد ما بين عُسَفان وأمج، أفطر رسولُ الله ﷺ، ثم مضى حتى نزل مَرَّ الظَّهران في عشرة آلاف من المسلمين، فسبّعَتْ سليم؛ وألّفتْ مُزَيْنة وفي كلّ القبائل عدد وإسلام؛ وأوعَبَ مع رسول الله المهاجرون والأنصار، فلم يتخلّف عنه منهم أحد، فلما نزل رسول الله ﷺ مَرّ الظهران، وقد عُمّيَت الأخبار عن قريش فلا يأتيهم خبرٌ عن رسول الله؛ ولا يدرون ما هو فاعلٌ؛ فخرج في تلك الليلة أبو سفيان بن حرب وحَكيم بن حزام، وبُدَيل بن ورْقاء، يتحسسون الأخبار، هل يجدون خبراً أو يسمعون به[(١)]! (٣: ٤٩/ ٥٠).

= قال: يا رسول الله لا تعجل عليّ إني كنت امرأً ملصقاً في قريش ـ يقول: كنت حليفاً ـ ولم أكن من أنفسها وكان من معك من المهاجرين من لهم قرابات يحمون أهليهم وأموالهم فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يداً يحمون قرابتي ولم أفعله ارتداداً عن ديني ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: أما إنه قد صدقكم. فقال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال: إنه قد شهد بدراً وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدراً قال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فأنزل الله السورة ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ إلى قوله: ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾.

والحديث أخرجه مسلم (فضائل الصحابة/ ح ٢٤٩٤) والترمذي (تفسير سورة الممتحنة/ح ٣٣٠٥) وغيرهما والله تعالى أعلم.

(١) إسناده إلى ابن إسحاق ضعيف ولكن أخرجه ابن هشام (٢/ ٤٠٠) من طريق ابن إسحاق وقد صرح بالتحديث فهو حسن. وأخرج الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ١٦٤) من حديث ابن عباس قال: ثم مضى رسول الله ﷺ واستخلف على المدينة أبا رُهم كلثوم بن الحصين بن عتبة بن خلف الغفاري، وخرج لعشر مضين من رمضان، فصام رسول الله ﷺ وصام الناس معه حتى إذا كانوا بالكديد بين عُسْفان وأمج ـ أفطر ثم مضى حتى نزل مرّ الظهران، في عشرة آلاف من المسلمين.

فقال الهيثمي: في الصحيح طرف منه في الصيام. رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير ابن =

٢٣٩ ـ حدّثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سلَمة ، قال: وقد كان فيما حدّثني محمد بن إسحاق ، عن العباس بن عبد الله بن معبَد بن العباس بن عبد المطلب؛ عن ابن عباس: وقد كان العباس بن عبد المطلب تلقّى رسول الله ﷺ ببعض الطريق؛ وقد كان أبو سُفيان بن الحارث وعبد الله بن أبي أميّة بن المغيرة قد لَقِيا رسولَ الله ﷺ بنيق العُقاب؛ فيما بين مكة والمدينة ، فالتمسا الدخولَ على رسول الله ، فكلّمته أم سلَمة فيهما ، فقالت: يا رسولَ الله ، ابن عمك وابن عمّتك وصهرُك ، قال: لا حاجةَ لي بهما ، أما ابنُ عمّي فهتَك عِرْضي؛ وأما ابنُ عمّتي وصِهري فهو الذي قال بمكة ما قال.

فلمّا خرج الخبر إليهما بذلك؛ ومع أبي سفيان بُنيٌّ له فقال: والله ليأذَنّ لي أو لآخُذَنَّ بيد بُنيّ هذا؛ ثم لنذهبنّ في الأرض؛ حتى نموت عطشاً وجوعاً. فلما بلغ ذلك رسولَ الله ﷺ رقَّ لهما؛ ثم أذن لهما ، فدخلا عليه؛ فأسلما وأنشده أبو سفيان قوله في إسلامه واعتذاره مما كان مَضَى منه:

لَعَمْـرِيَ إنِّـي يـومَ أحمـلُ رايـةً ... لتَغْلِـبَ خَيْـلُ الـلاَّتِ خَيْـلَ محمـدِ
لَكَـالْمُـدْلِـجِ الحيْـرَان أظْلـم ليلُـه ... فهـذَا أوَانِـي حيـنَ أُهْـدَى وأَهْتَـدِي
وَهـادٍ هَـدَانِـي غَيْـرَ نفسـي وَنـالنـي ... مـعَ اللهِ مَـنْ طَـرَّدْتُ كـلَّ مُطَـرَّدِ
أَصُـدُّ وَأَنـأَى جَـاهِـداً عـن محمـدٍ ... وأُدْعـى ولـو لـم أنتسِبْ مـن محمّـدِ
هُـمُ مـا هُـمُ مـنْ لـم يقـل بهـوَاهُـمُ ... وإنْ كَـــانَ ذا رَأْيٍ يُلَــمْ ويُفَنَّــدِ
أُريـد لأُرْضِيهـمْ ولسْـتُ بـلائـطٍ ... معَ القَوم مالم أُهْدَ فِي كلِّ مَقْعَد
فقـل لثَقِيـفٍ لا أُريـد قتَـالهـا ... وقـل لثَقيـفٍ تلـك غَيْـرِيَ أوْعِـدِي
وما كنتُ فِي الجيْش الَّذي نالَ عامِراً ... وما كَانَ عن جَرَّى لساني ولا يدي
قبـائـل جَـاءتْ مِـنْ بَـلادٍ بعِيـدَةٍ ... نَـزَائـعُ جَـاءتْ مِـنْ سُهَـامٍ وسُـرْدَدِ

قال: فزعموا أنه حين أنشد رسولَ الله ﷺ قوله: «ونالني مع الله من طرّدتُ كلّ مُطَرَّدِ»؛ ضَرَبَ النبي ﷺ في صدره. ثم قال: أنت طرّدتَني كل مطرّد![1] . (٣: ٥٠/٥١).

= إسحاق وقد صرّح بالسماع (المجمع ٦/ ١٦٤) وبقية متن الطبري صحيح كما سنذكر بعد الرواية الآتية.

(١) إسناده إلى ابن إسحاق ضعيف ولكن أخرج الحاكم قال: حدثنا محمد بن يعقوب ثنا =

٢٤٠ ـ فلما نزل مَرّ الظهران خرج أبُو سفيان بن حرب ومعه حَكيم بن حزام.

فحدّثنا أبو كريب، قال: أخبرَنا يُونس بنُ بكَير، عن محمد بن إسحاق، قال: حدّثني حُسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس، عن عكْرمة عن ابن

= أحمد بن عبد الجبار ثنا يونس بن بكير عن ابن إسحاق: قال: حدثنا الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مضى رسول الله ﷺ وأصحابه عام الفتح حتى نزل مر الظهران في عشرة آلاف من المسلمين فسمعت سليم وألفت مزينة وفي كل القبائل عدد وإسلام وأوعب مع رسول الله ﷺ المهاجرون والأنصار فلم يتخلف عنه منهم أحد، وقد عميت الأخبار على قريش فلا يأتيهم خبر رسول الله ﷺ ولا يدرون ما هو صانع، وكان أبو سفيان بن الحارث وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة قد لقيا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثنية العقاب فيما بين مكة والمدينة فالتمسا الدخول عليه فكلمته أم سلمة فقالت: يا رسول الله ابن عمك وابن عمتك وصهرك، فقال: «لا حاجة لي فيهما. أما ابن عمي فهتك عرضي وأما ابن عمتي وصهري فهو الذي قال لي بمكة ما قال» فلما خرج الخبر إليهما بذلك ومع أبي سفيان بن الحارث ابن له فقال: والله ليأذنن رسول الله ﷺ أو لآخذن بيد ابني هذا ثم لنذهبن في الأرض حتى نموت عطشاً أو جوعاً فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ رق لهما فدخلا عليه فأنشده أبو سفيان قوله في إسلامه واعتذاره مما كان مضى فيه فقال:

لعمرك إني يوم أحمل راية ... لتغلب خيل اللات خيل محمد
لكالمدلج الحيران أظلم ليله ... فهذا أوان الحق أهدي وأهتدي
فقل لثقيف لا أريد قتالكم ... وقل لثقيف تلك عندي فأوعدي
هداني هاد غير نفسي ودلني ... إلى الله من طردت كل مطرد
أفر سريعاً جاهداً عن محمد ... وأدعى ولو لم أنتسب لمحمد
هم عصبة من لم يقل بهواهم ... وإن كان ذا رأي يلم ويفند
أريد لأرضيهم ولست بلافظ ... مع القوم ما لم أهد في كل مقعد
فما كنت في الجيش الذي نال عامراً ... ولا كل عن خير لساني ولا يدي
قبائل جاءت من بلاد بعيدة ... توابع جاءت من سهام وسردد
وإن الذي أخرجتم وشتمتم ... سيسعىٰ لكم سعي امرىء غير قعدد

قال: فلما أنشد رسول الله ﷺ * إلى الله من طردت كل مطرد* ضرب رسول الله ﷺ في صدره فقال: أنت طردتني كل مطرد. (قال) ابن إسحاق: ماتت أم رسول الله ﷺ بالأبواء وهي تزور أخوالها من بني النجار.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي (المستدرك مع التلخيص ٣/ ٤٤).

قلنا: الإسناد حسن فحديث محمد بن إسحاق حسن إذا صرح بالتحديث والله أعلم.

عباس، قال: لما نزلَ رسول الله ﷺ مرّ الظهران، قال العباس بن عبد المطلب، وقد خرج رسول الله ﷺ من المدينة: يا صباح قريش! والله لئن بَغَتها رسولُ الله في بلادها؛ فدخل مكة عَنْوة؛ إنه لهلاكُ قريش آخر الدهر! فجلس على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء، وقال: أَخرُج إلى الأراك لعلّي أرى حَطّاباً أو صاحب لَبَن؛ أو داخلاً يدخل مكة؛ فيخبِرهم بمكان رسول الله؛ فيأتونه فيستأمنونه. فخرجت؛ فوالله إني لأطوف في الأراك ألتمس ما خرجت له؛ إذ سمعت صوت أبي سفيان بن حَرْب وحكيم بن حزام وبُديل بن ورقاء، وقد خرجوا يتحسسون الخبر عن رسول الله ﷺ، فسمعتُ أبا سفيان وهو يقول: والله ما رأيت كاليوم قطّ نيراناً! فقال بُديل: هذه والله نِيرانُ خُزاعة، حَمَشَتْها الحرب! فقال أبو سفيان: خُزاعة ألأم من ذلك وأذلُّ! فعرفت صوته، فقلت: يا أبا حنظلة! فقال: أبو الفضل! فقلت: نعم، فقال: لبّيك فِداك أبي وأمي! فما وراءك؟ فقلت: هذا رسول الله ورائي قد دَلَفَ إليكم بما لا قِبَلَ لكم به بعشرة آلاف من المسلمين. قال: فما تأمرني؟ فقلت: تركب عَجُز هذه البغلة، فأستأمن لك رسولَ الله؛ فوالله لئن ظَفِر بك ليضربَنَّ عنقك، فردفني فخرجت به أركُض بغلةَ رسول الله ﷺ نحو رسولِ الله ﷺ، فكلّما مررت بنارٍ من نيران المسلمين ونظروا إليّ، قالوا: عمُّ رسول الله على بَغْلةِ رسول الله؛ حتى مررت بنار عمر بن الخطاب، فقال أبو سفيان! الحمد لله الذي أمكن منك بغير عَقْدٍ ولا عهد! ثم اشتدّ نحو النبيّ ﷺ، وركضت البغلة، وقد أردفتُ أبا سفيان؛ حتى اقتحمتُ على باب القبّة، وسبقت عمر بما تسبق به الدابة البطيئة الرجلَ البطيءَ؛ فدخل عمر على رسولِ الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، هذا أبو سفيان عدوّ الله؛ قد أمكن الله منه بغير عهد ولا عقد؛ فدعْنِي أضرب عنقه؛ فقلت: يا رسولَ الله، إنّي قد أجرْتُه! ثم جلست إلى رسول الله ﷺ فأخذت برأسه، فقلت: والله لا يناجيه اليومَ أحدٌ دوني! فلمّا أكثر فيه عُمَر، قلت: مهلاً يا عمر! فو الله ما تصنع هذا إلاّ لأنه رجل من بني عبد مناف؛ ولو كان من بني عَدِيّ بن كعب ما قلت هذا. فقال: مهلاً يا عباس! فوالله لإسلامُك يومَ أسلمتَ كان أحبّ إليّ من إسلام الخطاب لو أسلم! وذلك لأني أعلمُ أنَ إسلامَك كان أحبَّ إلى رسول الله من إسلام الخطاب لو أسلم؛ فقال رسولُ الله ﷺ: اذهب فقد آمنّاه حتى تغدوَ به عليّ بالغداة. فرجع به إلى منزله؛ فلمّا أصبح غدا به على رسول الله ﷺ، فلمّا رآه قال: ويحك

يا أبا سفيان! ألم يأن لك أن تعلَم أن لا إله إلا الله! فقال: بأبي أنت وأمّي، ما أوصلك وأحلمك وأكرمك! والله لقد ظننتُ أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى عنّي شيئاً، فقال: ويحك يا أبا سفيان! ألم يأنِ لك أن تعلم أنّي رسول الله! فقال: بأبي أنت وأمي ما أوصلك وأحلمك وأكرمك! أمّا هذه ففي النفس منها شيء! فقال العباس: فقلت له: ويلك! تشهّدْ شهادة الحق قبل والله أن تُضرب عنقك؛ قال: فتشهّد.

قال: فقال رسولُ الله ﷺ للعباس حين تشهّد أبو سفيان: انصرف يا عباس فاحبسه عند خَطْم الجبل بمضيق الوادي، حتى تمرّ عليه جنود الله، فقلت له: يا رسولَ الله، إنّ أبا سفيان رجلٌ يحبّ الفخر، فاجعل له شيئاً يكون في قومه. فقال: نَعمْ؛ مَنْ دخل دارَ أبي سفيان فهو آمِنٌ، ومَنْ دخلَ المسجد فهو آمنٌ، ومَنْ أغلق عليه بابه فهو آمنٌ فخرجت حتى حبستُه عند خَطْم الجبل بمضيق الوادي؛ فمرَّت عليه القبائل، فيقول: مَنْ هؤلاء يا عباس؟ فأقول: سليْم، فيقول: مالي ولسليْم! فتمرّ به قبيلة، فيقول: مَنْ هؤلاء؟ فأقول: أسلم، فيقول: مالي ولأسلَم! وتمرّ جُهينة، فيقول: مالي ولجهينة! حتى مَرّ رسول الله ﷺ في الخضراء؛ كتيبة رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار في الحديد؛ لا يُرى منهم إلا الحَدَق، فقال: مَنْ هؤلاء يا أبا الفضل؟ فقلت: هذا رسول الله في المهاجرين والأنصار؛ فقال: يا أبا الفضل، لقد أصبح مُلكُ ابن أخيك عظيماً. فقلت: ويْحك إنها النبوّة! فقال: نعم إذاً، فقلتُ: الحق الآن بقومك فحذِّرهم؛ فخرج سريعاً حتى أتى مكة، فصرخ في المسجد: يا معشرَ قريش، هذا محمد قد جاءكم بما لا قِبَلَ لكم به! قالوا: فمَهْ! فقال: مَنْ دخل داري فهو آمن، فقالوا: ويحك! وما تُغني عَنّا دارك! فقال: ومَنْ دخل المسجد فهو آمن، ومَنْ أغلق عليه بابه فهو آمن(١). (٣: ٥٢/ ٥٣/ ٥٤).

(١) إسناده ضعيف بسبب حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس إلا أن الطبراني روىٰ عن ابن عباس قال: ثم مضى رسول الله ﷺ واستعمل على المدينة أبا رهم كلثوم بن الحصين الغفاري وخرج لعشر مضين من رمضان فصام رسول الله ﷺ وصام الناس معه.

حتى إذا كان بالكديد ـ ماء بين عُسفان وأمج ـ فطر ثم مضى حتى نزل مر الظهران في عشرة آلاف من المسلمين وألف من مزينة سليم، وفي كل القبائل عدد وإسلام وأوعب مع =

= رسول الله ﷺ المهاجرون والأنصار لم يتخلف منهم أحد ، فلما نزل رسول الله ﷺ مر الظهران ، وقد عميت الأخبار على قريش ، فلم يأتهم عن رسول الله ﷺ خبر ولم يدروا ما هو فاعل خرج في تلك الليلة أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يتجسسون وينظرون: هل يجدون خبراً أو يسمعون به؟ وقد كان العباس بن عبد المطلب تلقى رسول الله ﷺ في بعض الطريق ، وقد كان أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة قد لقيا رسول الله ﷺ ما بين المدينة ومكة. والتمسا الدخول عليه ، فكلمته أم سلمة فيهما. فقالت: يا رسول الله ابن عمك وابن عمتك وصهرك ، قال: «لا حاجة لي بهما ، أما ابن عمي فهتك عرضي بمكة وأما ابن عمتي وصهري فهو الذي قال لي بمكة ما قال».

فلما خرج إليهما الخبر بذلك ومع أبي سفيان بني له ، فقال: والله لتأذنن لي أو لآخذن بيد بني هذا ، ثم لنذهبن بالأرض حتى نموت عطشاً وجوعاً فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ رق لهما. ثم أذن لهما. فدخلا فأسلما.

فلما نزل رسول الله ﷺ بمر الظهران قال العباس: واصباح قريش ، والله لئن دخل رسول الله ﷺ مكة عنوة قبل أن يستأمنوه إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر.

قال: فجلست على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء ، فخرجت عليها حتى جئت الأراك. فقلت لعلي: ألقى بعض الحطّابة أو صاحب لبن أو ذا حاجة يأتي مكة فيخبرهم بمكان رسول الله ﷺ فيستأمنوه قبل أن يدخلها عليهم عنوة.

قال: فو الله إني لأسير عليها وألتمس ما خرجت له ، إذ سمعت كلام أبي سفيان وبُديل بن ورقاء وهما يتراجعان ، وأبو سفيان يقول: ما رأيت كاليوم قط نيراناً ولا عسكراً.

قال: يقول بديل: هذه والله نيران خزاعة حشّها الحرب. قال: يقول أبو سفيان: خزاعة والله أذل وألأم من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها.

قال: فعرفت صوته ، فقلت: يا أبا حنظلة ، فعرف صوتي. فقال: أبو الفضل؟ فقلت: نعم. فقال: ما لك فداك أبي وأمي؟ فقلت: ويحك يا أبا سفيان هذا رسول الله ﷺ في الناس ، واصباح قريش والله! قال: فما الحيلة فداك أبي وأمي ؟.

قال: قلت: لئن ظفر بك ليضربن عنقك ، فاركب معي هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله ﷺ فأستأمنه لك. قال: فركب خلفي ورجع صاحباه وحركت به ، فكلما مررت بنار من نيران المسلمين ، قالوا: من هذا؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله ﷺ قالوا: عم رسول الله ﷺ على بغلته. حتى مررت بنار عمر بن الخطاب فقال: من هذا وقام إليّ ، فلما رأى أبا سفيان على عجز البغلة قال: أبو سفيان عدو الله؟! الحمد لله الذي أمكن الله منك بغير عقدٍ ولا عهد ، ثم خرج يشتدُّ نحو رسول الله ﷺ وركضت البغلة فسبقته بما تسبق الدابة الرجل البطيء ، فاقتحمت عن البغلة فدخلت على رسول الله ﷺ ودخل عمر فقال: يا رسول الله هذا =

= أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد فدعني لأضرب عنقه ، فقلت: يا رسول الله: إني أجرته ثم جلست إلى رسول الله ﷺ فأخذت برأسه فقلت: لا والله ، لا يناجيه الليلة رجل دوني.

قال: فلما أكثر عمر في شأنه ، قلت: مهلاً يا عمر. أما والله أن لو كان من رجال بني عدي بن كعب ما قلت هذا ولكنك عرفت أنه من رجال بني عبد مناف فقال: مهلاً يا عباس ، والله لإسلامك يوم أسلمت أحب إلي من إسلام أبي لو أسلم. وما بي إلا أني قد عرفت أن إسلامك كان أحب إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب.

فقال رسول الله ﷺ : «اذهب به إلى رحلك يا عباس ، فإذا أصبحت فائتني به» فذهبت به إلى رحلي فبات عندي ، فلما أصبح غدوت به على رسول الله ﷺ فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «ويحك يا أبا سفيان ، ألم يأن لك أن تشهد أن لا إله إلا الله؟».

قال: بأبي أنت وأمي ما أكرمك وأحلمك وأوصلك والله لقد ظننت أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى عني شيئاً.

قال: «ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله؟ قال: بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ، هذه والله كان في النفس منها شيء حتى الآن.

قال العباس: قلت: ويحك يا أبا سفيان أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل أن يضرب عنقك. قال: فتشهد شهادة الحق وأسلم.

قلت: يا رسول الله ، إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر فاجعل له شيئاً قال: «نعم ، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن».

فلما ذهب لينصرف. قال رسول الله ﷺ : «يا عباس احبسه بمضيق الوادي عند خطم الجبل حتى تمر به جنود الله فيراها».

قال: فخرجت به حتى حبسته بمضيق الوادي حيث أمرني رسول الله ﷺ أن أحبسه.

قال: ومرت به القبائل على راياتها فكلما مرت قبيلة قال: من هؤلاء يا عباس؟ فأقول: بني سليم فيقول: ومالي ولسليم.

قال: ثم تمر القبيلة ، فيقول: من هؤلاء؟ فأقول مزينة ، فيقول: مالي ولمزينة حتى تعدّت القبائل ـ يعني جاوزت لا تمر قبيلة إلا قال: من هؤلاء؟ فأقول: بنو فلان. فيقول مالي ولبني فلان. حتى مر رسول الله ﷺ في الخضراء (كتيبة) فيها المهاجرون والأنصار لا يرى منهم سوى الحدق قال: سبحان الله من هؤلاء يا عباس؟ قلت: هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار.

قال: ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة ، والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيماً. قلت: يا أبا سفيان ، إنها النبوة. قال: فنعم إذاً. فقلت: النجاء إلى قومك.

قال: فخرج حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم بما =

= لا قبل لكم به. فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن. فقامت إليه امرأته هند بنت عتبة، فأخذت بشاربه فقالت: اقتلوا الدسم الأحمس فبئس طليعة قوم.
فقال: ويحكم لا تغرنكم هذه من أنفسكم فإنه قد جاء بما لا قبل لكم به من دخل دار أبي سفيان فهو آمن. قالوا: ويحك وما تغني عنا دارك؟ قال: ومن أغلق بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو امن. فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد.
وقال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح (المجمع ٦/ ١٦٨) وقال الحافظ ابن كثير (بعد أن أشار إلى رواية ابن هشام المنقطعة): على أنه قد روىٰ البيهقي من طريق أبي بلال الأشعري عن زياد البكائي عن محمد بن إسحاق عن الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس قال: جاء العباس بأبي سفيان إلى رسول الله ﷺ قال: فذكر القصة إلا أنه ذكر أنه أسلم ليلته قبل أن يصبح بين يدي رسول الله ﷺ. وأنه لما قال له رسول الله ﷺ: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن قال أبو سفيان: وما تتسع داري؟ فقال: ومن دخل الكعبة فهو آمن. قال: وما تسع الكعبة؟ قال: ومن دخل المسجد فهو آمن قال: وما يسع المسجد. فقال: ومن أغلق عليه بابه فهو آمن.
فقال أبو سفيان: هذه واسعة. (البداية والنهاية ٣/ ٥٤٩).
قلنا: ولكن ابن إسحاق لم يصرح بالتحديث هنا والله تعالى أعلم.
وقال المحدث الألباني رحمه الله في تعليقه على هذه الرواية: حديث صحيح أخرجه ابن هشام (٢/ ٢٦٨) عن ابن إسحاق معضلاً لكن وصله ابن جرير (٢/ ٣٣٠ ـ ٣٣٢) عن حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس عن عكرمة عن ابن عباس، وحسين هذا ضعيف.
لكن قال الهيثمي في المجمع (٦/ ١٦٥ ـ ١٦٧): رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.
فالظاهر أنه عنده من غير هذا الطريق الضعيف. ورواه أبو داود (٢/ ٤١) عن ابن إسحاق بإسناد آخر له عن ابن عباس وفيه رجل لم يُسَمَّ وله عنده إسناد ثالث ورجاله ثقات. لكن لم يصرح فيه ابن إسحاق بالسماع.
ثم أخرجه هو ومسلم (٥/ ١٧٢ ـ ١٧٣) من حديث أبي هريرة إلا أنه قال: (ومن ألقى السلاح فهو آمن، بدل: ومن دخل المسجد فهو آمن). اهـ. كلام الألباني (السيرة النبوية للغزالي/ ٤١٠).
قلنا: أما حديث أبي داود الأول الذي أشار إليه الألباني فهو ما أخرجه أبو داود (٣/ ٦٢/ح ٣٠٢١) من طريق محمد بن إسحاق عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ عام الفتح جاءه العباس بن عبد المطلب بأبي سفيان بن حرب فأسلم بمرّ الظهران، فقال له العباس: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر فلو جعلت له شيئاً قال: (نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن).
والطريق الثاني فهو ما أخرجه أبو داود (٣/ ١٦٢/ ح ٣٠٢٢) من طريق ابن إسحاق عن =

٢٤١/أ - حدّثني عبدُ الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث، قال: حدّثني أبي، قال: حدّثنا أبان العطّار قال: حدّثنا هشام بن عروة، عن عُرْوة، أنه كتب إلى عبد الملك بن مروان: أمّا بعد، فإنك كتبت إليّ تسألني عن خالد بن الوليد، هل أغار يوم الفتح؟ وبأمر مَنْ أغار؟ وإنه كان من شأن خالد يوم الفتح أنه كان مع النبيّ ﷺ، فلما ركب النبيّ بطنَ مَرّ عامِداً إلى مكة، وقد كانت قريش بعثوا أبا سفيان وحكيم بن حزام يتلقّيان رسولَ الله ﷺ؛ وهم حين بعثوهما لا يدرون أين يتوجّه النبيّ ﷺ إليهم أو إلى الطائف! وذاك أيام الفتح؛ واستتبع أبو سفيان وحكيم بن حزام بُدَيْلَ بن ورقاء، وأحبّا أن يصحَبهما، ولم يكن غير أبي سفيان وحكيم بن حزام وبُديل؛ وقالوا لهم حين بعثوهم إلى رسول الله ﷺ: لا نؤتَيَنَّ من ورائكم، فإنا لا ندري مَنْ يريد محمد! إيّانا يريد، أو هوازن يريد، أو ثقيفاً! وكان بين النبيّ ﷺ وبين قريش صُلْح يوم الحديبية وعَهْد ومدّة، فكانت بنو بكر في ذلك الصلح مع قريش، فاقتتلتْ طائفة من بني كَعب وطائفة من بني بكْر؛ وكان بين رسول الله ﷺ وبين قريش في ذلك الصّلح الذي اصطلحوا عليه: «لا إغلال

= العباس بن عبد الله بن معبد عن بعض أهله عن ابن عباس قال: لما نزل رسول الله ﷺ مرّ الظهران قال العباس: قلت: والله لئن دخل رسول الله ﷺ مكة عنوة... الحديث. وفيه: وإني لأسير إذ سمعت كلام أبي سفيان وبديل بن ورقاء فقلت: يا أبا حنظلة فعرف صوتي، فقال: أبو الفضل؟ قلت: نعم، قال: مالك فداك أبي وأمي قلت: هذا رسول الله والناس قال: فما الحيلة قال: فركب خلفي ورجع صاحبه فلما أصبحت غدوت به على رسول الله ﷺ فأسلم. قلت: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر فاجعل له شيئاً قال: (نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه داره فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن).

قال: فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد. اهـ.

وأما الطريق الثالث الذي أشار إليه الألباني فهو من حديث أبي هريرة عند أبي داود (٣/١٦٣/ح ٣٠٢٤) (ومسلم كتاب الهجرة والمغازي/ باب في فتح مكة ودخولها بالقتال عنوة ومنه عليهم/ ح ١١٨٢/ مختصر مسلم للمنذري).

ورواية مسلم أطول من رواية أبي داود، ولفظ مسلم: (وفدت وفود إلى معاوية رضي الله عنه في رمضان... الحديث وفيه: فجاء أبو سفيان فقال: يا رسول الله أبيحت خضراء قريش، لا قريش بعد اليوم، ثم قال: (من دخل دار أبي سفيان فهو آمن)... إلخ) الحديث.

قلنا: ولهذه الرواية شاهد مرسل عند الطبري (كما سيأتي) والبخاري. وقال الحافظ ابن حجر في المطالب العالية (ح ٤٣٦٢): هذا حديث صحيح أخرجه إسحاق بن راهويه.

ولا إسلال» ، فأعانت قريش بني بكر بالسلاح ، فاتّهمت بنو كعب قريشاً ، فمنها غزا رسول الله ﷺ أهلَ مكة؛ وفي غزوته تلك لقي أبا سفيان وحكيماً وبُدَيْلاً بمَرّ الظهران؛ ولم يشعروا أنّ رسولَ الله ﷺ نزل مَرّ، حتى طلعوا عليه، فلما رأوْه بمَرّ، دخل عليه أبو سفيان وبُدَيل وحكيم بمنزله بمَرّ الظَّهران فبايعوه ، فلمّا بايعوه بعثَهم بين يديه إلى قريش، يدعوهم إلى الإسلام، فأخبرتُ أنه قال: مَنْ دخل دار أبي سفيان فهو آمن - وهي بأعلى مكة - ومن دخلَ دارَ حكيم - وهي بأسفل مكة - فهو آمن ، ومن أغلق بابه وكَفّ يده فهو آمن(١) . (٣: ٥٤/ ٥٥) .

---

(١) هذا إسناد مرسل وبعض متنه صحيح كما سبق ، والحديث أخرجه ابن هشام عن ابن إسحاق بلاغاً ، وأخرج البخاري بعضه مرسلاً عن عروة. إذ قال الإمام البخاري رحمه الله تعالى:
أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح ؟ .
حدثنا عبيد بن إسماعيل حدثنا أبو أسامة عن هشام عن أبيه قال: لما سار رسول الله ﷺ عام الفتح فبلغ ذلك قريشاً خرج أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يلتمسون الخبر عن رسول الله ﷺ فأقبلوا يسيرون حتى أتوا مر الظهران فإذا هم بنيران كأنها نيران عرفة. فقال أبو سفيان: ما هذه لكأنها نيران عرفة فقال بديل: نيران بني عمر فقال أبو سفيان: عمر أقل من ذلك فرآهم ناس من حرس رسول الله ﷺ فأدركوهم فأخذوهم فأتوا بهم رسول الله ﷺ .
فلما سار قال للعباس: احبس أبا سفيان عند خطم الجبل حتى ينظر إلى المسلمين ، فحبسه العباس فجعلت القبائل تمر مع النبي ﷺ تمر كتيبة كتيبة على أبي سفيان فمرت كتيبة قال: يا عباس من هذه قال: هذه غفار قال: مالي ولغفار ثم مرت جهينة قال مثل ذلك ثم مرت سعد بن هذيم فقال مثل ذلك ومرت سليم فقال مثل ذلك حتى أقبلت كتيبة لم ير مثلها قال: من هذه قال: هؤلاء الأنصار عليهم سعد بن عبادة معه الراية فقال سعد بن عبادة: يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الكعبة فقال أبو سفيان: يا عباس حبذا يوم الذمار.
ثم جاءت كتيبة وهي أقل الكتائب فيهم رسول الله ﷺ وأصحابه وراية النبي ﷺ مع الزبير بن العوام فلما مر رسول الله ﷺ بأبي سفيان قال: ألم تعلم ما قال سعد بن عبادة قال: ما قال ؟ قال: قال كذا وكذا ، فقال كذب سعد ولكن هذا يوم يُعظم الله فيه الكعبة. ويوم تكسى فيه الكعبة قال وأمر رسول الله ﷺ أن تركز رايته بالحجون. قال عروة: وأخبرني نافع بن جبير بن مطعم ، قال: سمعت العباس يقول للزبير بن العوام: يا أبا عبد الله هاهنا أمرك رسول الله ﷺ أن تركز الراية ، قال وأمر رسول الله ﷺ يومئذ خالد بن الوليد أن يدخل من أعلى مكة من كداء ودخل النبي ﷺ من كُدي فقتل من خيل خالد بن الوليد يومئذ رجلان حبيش بن الأشعر وكرز بن جابر الفهري.

=

٢٤١/ب ـ وإنّه لما خرج أبو سفيان وحكيم من عند النبيّ ﷺ عامديْن إلى مكة ، بعث في أثرهما الزُّبير وأعطاه رايته ، وأمَّره على خيل المهاجرين والأنصار وأمَره أن يغرز رايته بأعلى مكة بالحجُون؛ وقال للزُّبير : لا تبرحْ حيث أمرتُك أن تغرِز رايتي حتى آتِيَك؛ ومن ثمّ دخل رسولُ الله ﷺ ، وأمر خالد بن الوليد ـ فيمن كانَ أسلم من قُضاعة وبني سليم وأناس ، إنما أسلموا قُبَيْل ذلك ـ أن يدخل من أسفَل مكة ، وبها بنو بكر قد استنفرتهم قريش. وبنو الحارث بن عبد مناة ومَنْ كان من الأحابيش أمرتْهم قريش أن يكونوا بأسفل مكة ، فدخل عليهم خالد بن الوليد من أسفل مكة[١] . (٣: ٥٥/ ٥٦) .

٢٤٢ ـ حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي نجيح في حديثه ، أن رسول الله ﷺ أمر خالد بن الوليد ، فدخل على الليط أسفل مكة ، في بعض الناس ، وكان خالد على المجنبة اليمنى وفيها أسلم وغفار ومزينة وجهينة وقبائل من قبائل العرب ، وأقبل أبو عبيدة بن الجراح بالصف من المسلمين ينصب لمكة بين يدي رسول الله ﷺ ودخل رسول الله ﷺ من أذاخر حتى نزل بأعلى مكة وضربت هنالك قبته[٢] . (٣: ٥٧) .

= (صحيح البخاري/ كتاب المغازي/ غزوة الفتح/ح ٤٢٨٠).
وهذا المرسل شاهد لرواية الطبري الموصولة عن ابن عباس (٣/ ٢٤٠) والله تعالى أعلم.

(١) أغلب الظن أن هذا جزء من الرواية السابقة وإسناد الرواية السابقة مرسل إلا أن مسلماً أخرج في صحيحه (كتاب الجهاد/ باب فتح مكة/ ح ١٧٨٠) من حديث أبي هريرة وفيه:
فقال أبو هريرة: ألا أعلمكم بحديث من حديثكم؟ يا معشر الأنصار! ثم ذكر فتح مكة فقال: أقبل رسول الله ﷺ حتى قدم مكة فبعث الزبير على إحدى المجنبتين ، وبعث خالد على المجنبة الأخرى ، وبعث أبا عبيدة على الحسر فأخذوا بطن الوادي ، ورسول الله في كتيبة.
قال: فنظر فرآني فقال أبو هريرة ؟ قلت لبيك يا رسول الله قال: فقال: لا يأتيني إلا أنصاري) قال: فأطافوا به ، ووبشت قريش أوباشاً لها وأتباعاً فقالوا: نقدم هؤلاء ، فإن كان لهم شيء كنا معهم وإن أصيبوا أعطينا الذي سئلنا ، فقال رسول الله ﷺ : (ترون إلى أوباش قريش وأتباعهم ثم قال بيديه إحداهما على الأخرىٰ حتى توافوني بالصفا) قال فانطلقنا فما شاء أحد منا أن يقتل أحداً إلا قتله ، وما أحد منهم يوجه إلينا بشيء قال: فجاء أبو سفيان فقال: يا رسول الله أبيحت خضراء قريش ، لا قريش بعد اليوم قال: فقال رسول الله ﷺ من دخل دار أبي سفيان فهو آمن). . . الحديث.

(٢) إسناد مرسل ضعيف وله ما يشهد له عند البخاري ومسلم فأما دخوله ﷺ من أعلى مكة فقد=

٢٤٣ ـ حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : وكانَ رسولُ الله ﷺ قد عهِد إلى أمرائه من المسلمين حين أمرهم أن يدخلوا مكة ؛ ألاّ يقتلوا أحداً إلاّ من قاتلهم ؛ إلا أنه قد عهد في نَفر سمّاهم ؛ أمر بقتلهم وإن وُجدوا تحت أستار الكعبة ؛ منهم عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح بن حُبَيْب بن جذيمة بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤيّ ـ وإنما أمر رسولُ الله ﷺ بقتله ، لأنه كان قد أسلم فارتدّ مشركاً ، ففرّ إلى عُثْمانَ ، وكان أخاه من الرضاعة ، فغيّبه حتى أتى به رسول الله ﷺ بعد أن اطمأنّ أهلُ مكة ، فاستأمن له رسول الله ، فذُكِر أن رسولَ الله ﷺ صَمَتَ طويلاً ، ثم قال : نعم ؛ فلمّا انصرفَ به عثمان ، قال رسول الله لمن حولَه من أصحابه : أما والله لقد صمتّ ليقومَ إليه بعضُكم فيضرب

= قال البخاري (باب دخول النبي ﷺ من أعلى مكة) :

(ح/ ٤٢٨٩) : وقال الليث : حدثني يونس قال : أخبرني نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ أقبل يوم الفتح من أعلى مكة على راحلته مردفاً أسامة بن زيد معه بلال ومعه عثمان بن طلحة من المجنبة حتى أناخ في المسجد فأمره أن يأتي بمفتاح البيت ، فدخل رسول الله ﷺ ومعه أسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة فمكث فيها نهاراً طويلاً ثم خرج فاستبق الناس ، فكان عبد الله بن عمر أول من دخل فوجد بلالاً وراء الباب قائماً فسأله أين صلى رسول الله ﷺ فأشار له إلى المكان الذي صلى فيه قال عبد الله فنسيت أن أسأله كم صلى من سجدة .

(ح/ ٤٢٩٠) : حدثنا الهيثم بن خارجة حدثنا حفص بن ميسرة عن هشام بن عروة عن أبيه أن عائشة رضي الله عنها أخبرته أن النبي ﷺ دخل عام الفتح من كداء التي بأعلى مكة .

تابعه أبو أسامة ووهيب في كداء .

(ح/ ٤٢٩١) : حدثنا عبيد بن إسماعيل حدثنا أبو أسامة عن هشام عن أبيه دخل النبي ﷺ عام الفتح من أعلى مكة من كداء . (صحيح البخاري/ كتاب المغازي) .

قلنا : وحديث دخول مكة من الجهة العليا أخرجه مسلم في صحيحه/ كتاب الحج/ باب استحباب دخول مكة من الثنية العليا والله تعالى أعلم .

وأما جعل خالد على مجنبةٍ وكذلك تأمير أبي عبيدة على قسم آخر من صف المسلمين فقد جاء من حديث أبي هريرة عند مسلم (ح١٧٨٠) وقد ذكرنا شطراً منه في تعليقنا قبل قليل ولا بأس بإعادة جزء منه هنا :

(فقال : أقبل رسول الله ﷺ حتى قدم مكة فبعث الزبير على إحدى المجنبتين وبعث خالد على المجنبة الأخرى وبعث أبا عبيدة على الحسَّر فأخذوا بطن الوادي . . . . الحديث) .

صحيح مسلم/ باب فتح مكة ودخولها بالقتال/ .

عنقه! فقال رجلٌ من الأنصار: فهلاّ أومأتَ إليّ يا رسول الله! قال: إن النبيّ لا يقتلُ بالإشارة ـ وعبد الله بن خَطَل، رجلٌ من بني تيم بن غالب ـ وإنما أمر بقتله لأنه كان مسلماً، فبعثه رسول الله ﷺ مصدّقاً، وبعث معه رجلاً من الأنصار؛ وكان معه مولىً له يخدُمُه، وكان مسلماً، فنزل منزلاً، وأمر المولى أن يذبح لَه تيْساً، ويصنع له طعاماً، ونام فاستيقظ ولم يصنع له شيئاً، فعدَا عليه فقتله، ثم ارتدَّ مشركاً؛ وكانت له قينتان: فرتنى وأخرى معها، وكانتا تغنّيان بهجاء رسول الله ﷺ، فأمر بقتلهما معه والحويرث بن نُقَيْذ بن وهب بن عبد بن قصيّ، وكان ممن يؤذيه بمكة، ومقيس بن صُبابة ـ وإنما أمر بقتله لقتله الأنصاريّ الذي كان قتل أخاه خطأ، ورجوعه إلى قريش مرتدًّا ـ وعكرمة بن أبي جهل، وسارة مولاة كانت لبعض بني عبد المطلب؛ وكانت ممن يُؤذيه بمكة. فأما عِكْرمة بن أبي جهل فهرَب إلى اليمن؛ وأسلمت امرأته أمّ حكيم بنت الحارث ابن هشام، فاستأمنت له رسولَ الله فأمّنه؛ فخرجت في طلبه حتى أتتْ به رسولَ الله ﷺ، فكان عِكْرمة يحدّث ـ فيما يذكرون ـ أنّ الّذي ردّه إلى الإسلام بعد خروجه إلى اليمن أنه كان يقول: أردت ركوبَ البحر لألحقَ بالحبشة، فلما أتيتُ السفينة لأركبها قال صاحبها: يا عبد الله، لا تركب سفينتي حتى تُوَحّدَ اللهَ، وتخلع ما دونه من الأنداد، فإني أخشى إن لم تفعل أن نهلِك فيها، فقلت: وما يركبه أحدٌ حتى يوحّد الله ويخلع ما دونه! قال: نعم؛ لا يركبه أحدٌ إلاّ أخلص. قال: فقلت: ففيم أفارق محمداً! فهذا الذي جاءنا به، فو الله إنّ إلهنا في البحر لإلهُنا في البرّ؛ فعرفت الإسلام عند ذلك، ودخل في قلبي. وأما عبد الله بن خَطَل، فقتله سعيد بن حريث المخزوميّ وأبو برزة الأسلميّ، اشتركا في دمه، وأما مقيس بن صُبابة فقتله نُمَيْلَةُ بن عبد الله؛ رجل من قومه، فقالت أخت مِقيَس:

لَعَمْرِي لَقَدْ أخزى نُمَيْلةُ رهْطَهُ ... وفَجَّعَ أضيافَ الشتَاءِ بمقيسِ

فللَّهِ عَيْناً مَن رأى مثلَ مِقْيَسٍ ... إذَا النُّفَسَاءُ أصبحَتْ لم تُخَرَّسِ!

وأما قينتَا ابن خَطَل فقتلت إحداهما، وهربت الأخرى حتى استؤمن لها رسولُ الله ﷺ بعد، فأمّنها. وأما سارَة، فاستؤمنَ لها فأمنها، ثم بقيت حتى أوطأها رجلٌ من الناس فرساً له في زمن عمر بن الخطاب بالأبطح، فقتلها. وأما

الحويرث بن نُقَيْذ ، فقتله عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه[1]. (٣: ٥٨/ ٥٩/ ٦٠) .

---

(١) إسناده إلى ابن إسحاق ضعيف وذكره ابن إسحاق معضلاً ولكن قصة المشركين الذين أُهدر دمهم صحيح عند غير واحد من أئمة الحديث فقد روىٰ الطبراني في الكبير (ح ٥٥٢٩).
وعن سعيد بن يربوع ـ وكان يسمى الصرم ـ أن رسول الله ﷺ قال يوم فتح مكة :
«أربعة لا أؤمنهم في حل ولا حرم: الحويرث بن نفيل ، ومقيس بن صبابة ، وهلال بن خطل ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح».
فأما الحويرث فقتله علي بن أبي طالب.
وأما مقيس بن صبابة فقتله ابن عم له لحاء.
وأما هلال بن خطل: فقتله الزبير.
وأما عبد الله بن سعد بن أبي سرح فاستأمن له عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ وكان أخاه من الرضاعة
وقينتين كانتا تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ فقتلت إحداهما وأقبلت الأخرى ، فأسلمت.
وقال الهيثمي: روى أبو داود منه طرفاً ، رواه الطبراني ورجاله ثقات. وقد تقدمت أحاديث نحو هذا قبل بورقتين في هذا المعنى (المجمع ٦/ ١٧٣).
وأخرج الحاكم في المستدرك من حديث مصعب بن سعد عن سعد قال: لما كان يوم فتح مكة اختبأ عبد الله بن سعد بن أبي سرح عند عثمان بن عفان رضي الله عنه فجاء به حتى أوقفه على النبي ﷺ فقال: يا رسول الله بايع عبد الله فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثاً ثم أقبل على أصحابه فقال: أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حين رآني كففت يدي عن بيعته فيقتله فقالوا: ما ندري يا رسول الله ما في نفسك ألا أومأت إلينا بعينك فقال: إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين.
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه (٣/ ٤٥) (عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان عبد الله بن أبي سرح يكتب لرسول الله ﷺ فلحق بالكفار فأمر به رسول الله ﷺ أن يقتل فاستجار له عثمان رضي الله عنه فأجاره رسول الله ﷺ).
وقال الحاكم: صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه ووافقه الذهبي (المستدرك مع التلخيص ٣/ ٤٥).
وأخرج البزار (ح ١٨٢٢) وأبو يعلىٰ في المسند (ح ٧٥٧) عن سعد يعني ـ ابن أبي وقاص ـ قال:
لما كان يوم فتح مكة أمن رسول الله ﷺ الناس إلا أربعة نفر وامرأتين وقال: «اقتلوهم ولو=

= وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة ، عكرمة بن أبي جهل وعبد الله بن خطل ومقيس بن صبابة وعبد الله بن سعد بن أبي سرح».
فأما عبد الله بن خطل: فأدرك وهو متعلق بأستار الكعبة ، فاستبق إليه سعيد بن حريث وعمار بن ياسر فسبق سعيد عماراً ، وكان أشب الرجلين فقتله.
وأما مقيس بن صبابة فأدركه الناس في السوق.
وأما عكرمة: فركب البحر ، فأصابتهم عاصف ، فقال أصحاب السفينة لأهل السفينة: أخلصوا فإن آلهتكم لا تغني عنكم شيئاً ههنا ، فقال عكرمة: لئن لم ينجني في البحر إلا الإخلاص. ما ينجيني في البر غيره. اللهم إن لك عليّ عهداً إن أنت عافيتني مما أنا فيه آتي محمداً فأضع يدي في يده ، فلأجدنه عفواً كريماً ، قال: فجاء فأسلم وذكر الحديث.
رواه أبو داود وغيره باختصار.
رواه أبو يعلى والبزار وزاد:
فأما عبد الله بن سعد بن أبي سرح فإنه أحنىٰ عليه عثمان ، فلما دعا رسول الله ﷺ الناس للبيعة جاء به حتى أوقفه على النبي ﷺ فقال: يا رسول الله بايع عبد الله ، فرفع رأسه فنظر إليه كل ذلك يأبى ، فبايعه بعد ثلاث ، بأصابعه ثم أقبل فحمد الله وأثنى عليه وقال: «أما كان فيكم رجل رشيد ينظر إذ رآني كففت يدي عن بيعته فيقتله».
قالوا: يا رسول الله لو أومأت إلينا بعينك ، قال: «فإنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين».
وقال الهيثمي: ورجالهما ثقات (مجمع الزوائد ٦/ ١٦٩). وأخرج أبو داود في سننه (٣/ ٥٩/ ح ٢٦٨٣) عن سعد قال: (لما كان يوم فتح مكة أمّن رسول الله ﷺ الناس إلا أربعة نفر وامرأتين وسمّاهم وابن أبي سرح فذكر الحديث قال: وأما ابن سرح فإنه اختبأ عند عثمان . . . . . إلى آخر الحديث).
وأخرج أبو داود (٣/ ٥٩/ ح ٢٦٨٤) عن محمد بن العلاء قال: ثنا زيد بن حبال قال أخبرنا عمرو بن عثمان بن عبد الرحمن بن سعيد بن يربوع المخزومي قال: حدثني جدي عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال يوم فتح مكة: أربعة لا أؤمنهم في حلٍّ ولا حرمٍ فسماهم قال: وقينتين كانتا لمقيس فقتلت إحداهما وأفلتت الأخرى فأسلمت. قال أبو داود لم أفهم إسناده من ابن العلاء كما أحب. اهـ.
ولم يخرج البخاري ومسلم من خبر هؤلاء سوى ما جاء في خبر ابن خطل مختصراً جداً فقد أخرج البخاري (كتاب المغازي/ ح٤٢٨٦) عن أنس رضي الله عنه: (أن النبي ﷺ دخل مكة يوم الفتح ، وعلى رأسه المغفر فلما نزعه جاء رجل فقال: ابن خطل متعلق بأستار الكعبة فقال: اقتله. . . الحديث) وأخرجه مسلم في كتاب الحج/ باب دخول النبي ﷺ مكة غير محرم يوم الفتح ولفظه: (أن النبي ﷺ دخل مكة عام الفتح وعلى رأسه مغفر ، فلما نزعه=

جاءه رجل فقال: ابن خطل متعلق بأستار الكعبة فقال: اقتلوه) وأخرجه الترمذي/ (٤/ح ١٦٩٣) وقال حسن صحيح غريب لا نعرف كبير أحدٍ رواه غير مالك عن الزهري (سنن الترمذي ٤/ ١٧٥/ ح ١٦٩٣).

قلنا: وكما قال أبو داود: لم أفهم إسناده من ابن العلاء كما أحب، فإنا نقول: لقد ذكر الأستاذ العمري خبر (تمكن عكرمة وعبد الله بن سعد من الوصول إلى رسول الله ﷺ حيث أعلنا إسلامهما وحقنا بذلك دمهما).

ثم ذكر في الحاشية كلاماً في سند الخبر فقال:

النسائي: سنن السيوطي: (زهر الربا ٧/ ١٠٥) وفي إسناده ضعف، وللحديث شاهدان رواهما البيهقي أحدهما في (ابن كثير: البداية والنهاية ٤/ ٢٩٩) بإسناد فيه الحكم بن عبد الملك البصري، ضعيف، ويذكر «عبد العزى بن خطل» بدل «عبد الله بن خطل» - وفي اسمه خلاف - و«أم سارة» بدل «عكرمة» والآخر في (السنن الكبرى ٩/ ١٢٠) وفيه عمرو بن عثمان المخزومي مقبول ويذكره «الحويرث بن نقيذ» بدل «عكرمة» ورغم أن هذه الروايات ضعيفة لكنها تتضامن لإسناد الخبر تاريخياً.

وخبر مقتل ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة في الصحيحين (صحيح البخاري ٥/ ١٨٨) و(صحيح مسلم ١/ ٥٧٠).

(السيرة النبوية/ العمري/ ٤٨٠/ الحاشية).

قلنا: أما خبر مقتل ابن خطل ففي الصحيحين كما أشار الأستاذ العمري ولكن الذي لم نفهمه كما نحب أن الأستاذ العمري لم يذكر أياً من الروايات الصحيحة في خبر عبد الله بن أبي سرح وعكرمة (والتي ذكرناها قبل قليل) وإنما يذكر الروايات الضعيفة عند النسائي والبيهقي والله تعالىٰ أعلم.

قلنا: وكذلك أخرج البخاري ومسلم خبر رجل آخر لم يذكره الطبري في روايته عن ابن إسحاق.

فقد أخرج البخاري في صحيحه (باب الصلاة في الثوب الواحد/ ح ٣٥٧) من حديث أم هانئ رضي الله عنها قالت: «ذهبت إلى رسول الله ﷺ عام الفتح فوجدته يغتسل، وفاطمة ابنته تستره قال: فسلمت عليه فقال: (من هذه؟) فقلت: أنا أم هانئ بنت أبي طالب. فقال: (مرحباً بأم هانئ).

فلما فرغ من غسله قام فصلى ثماني ركعات ملتحفاً في ثوب واحد، فلما انصرف قلت: يا رسول الله زعم ابن أمي علي أنه قاتل رجلاً قد أجرته فلان بن هبيرة. فقال رسول الله ﷺ: (لقد أجرنا من أجرت يا أم هانئ) قالت أم هانئ: وذاك ضحىً».

والحديث أخرجه مسلم (باب صلاة الضحى/ ح ٣٣٦) والترمذي في سننه (باب ما جاء في أمان المرأة/ ح ١٥٧٩) وأبو داود/ باب أمان المرأة وغيرهم.

٢٤٤ ـ حدّثنا ابنُ حُميد ، قال: حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن عمر بن موسى بن الوجيه ، عن قتادة السَّدوسيّ؛ أن رسولَ الله ﷺ قام قائماً حين وقف على باب الكعبة ، ثم قال: لا إله إلا الله وحدَه ، لا شريك له ، صَدَقَ وعدَه ، ونصر عبدَه ، وهزم الأحزاب وحدَه. ألا كلّ مَأثرة ، أو دم ، أو مال يُدَّعى؛ فهو تحت قَدَمَيَّ هاتَيْن إلاّ سِدانة البيت وسِقاية الحاجّ. ألاَ وقتيلُ الخطأ مثل العَمْد؛ بالسوط والعصا ، فيهما الديَة مغلَّظة [مئة من الإبل] ، منها أربعون في بطونها أولادها[1]. (٣: ٦٠/ ٦١).

---

(١) إسناده ضعيف والحديث صحيح فقد أخرج أبو داود في سننه (كتاب الديات/ باب في الخطأ شبه العمد/ ح ٤٥٤٧) قال: حدثنا سليمان بن حرب ومسدد قالا: ثنا حماد عن خالد ، عن القاسم بن ربيعة عن عقبة بن أوس عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ خطب يوم الفتح بمكة فكبر ثلاثاً ثم قال: (لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده... ـ إلى ها هنا حفظته عن مسدد ـ (ثم اتفقا): ألا إن كل مأثرة كانت في الجاهلية تذكر وتدعى من دم أو مال تحت قدمي إلا ما كان من سقاية الحاج وسدانة البيت ثم قال: إن دية الخطأ شبه العمد ما كان بالسوط والعصا مئة من الإبل منها أربعون في بطون أولادها) وحديث مسدد أتم. ا هـ. كلام أبي داود.

وأخرج أبو داود (٤/ ١٨٦/ ح ٤٥٤٩) عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ بمعناه قال: خطب رسول الله ﷺ يوم الفتح أو فتح مكة على درجة البيت أو الكعبة.

والحديث أخرجه ابن حبان (ح ١٥٢٦) وصححه ، وأحمد (٢/ ١٦٤) وقال العمري عن إسناد أحمد: حسن لذاته ، وعن إسناد أبي داود: صحيح (السيرة ٢/ ٤٨٥) الحاشية.

وحسّن الألباني رواية أبي داود (٣٨٠٧) وابن ماجه(ح ٢٦٢٨) والله تعالى أعلم.

ـ [مبايعة الناس لرسول الله ﷺ يوم الفتح] ـ

لقد ذكرنا الرواية (٣/ ٦١ ـ ٦٢/ ٣١١) في قسم الضعيف فقد ذكره الطبري بلا إسناد ولم نجد رواية أخرىٰ من غير هذا الطريق وبذكر هذه التفاصيل إلا أن مبايعته عليه الصلاة والسلام للناس يوم فتح مكة فصحيح كما أخرج أحمد في المسند (٣/ ٤١٥) عن الأسود بن خلف رضي الله عنه: أنه رأى النبي ﷺ يبايع الناس يوم الفتح. قال: فجلس عند قرب دار سمرة قال الأسود: فرأيت النبي ﷺ جلس فجاءه الناس الصغار والكبار والنساء فبايعوه على الإسلام والشهادة فقلت: فما الإسلام قال: الإيمان بالله. فقلت: وما الشهادة؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله. والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك.

وأخرج البخاري في صحيحه من حديث مجاشع بن مسعود رضي الله عنه قال: (أتيت النبي ﷺ بأخي بعد الفتح فقلت: يا رسول الله جئتك بأخي لتبايعه على الهجرة... الحديث) =

٢٤٥ ـ حدّثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال: وكان جميعُ مَنْ شهد فتح مكّة من المسلمين عشرة آلاف؛ من بني غفار أربعمئة ، ومن أسلم أربعمئة ، ومِن مُزينة ألف وثلاثة نَفر ، ومن بني سُلَيْم سبعمئة ، ومن جُهينة ألف وأربعمئة رجل؛ وسائرهم من قريش والأنصار وحلفائهم وطوائف العرب من بني تميم وقيس وأسد[1]. (٣: ٦٤/ ٦٥).

٢٤٦ ـ قال: وفيها هدم خالد بن الوليد العُزّى ببطن نَخْلة ، لخمس ليال بقينَ من رمضان؛ وهو صنمٌ لبني شيبان؛ بطن من سليم حلفاء بني هاشم ، وبنو أسد بن عبد العزّى ، يقولون: هذا صَنمنا ، فخرج إليه خالد ، فقال: قد هدمته ، قال: أرأيتَ شيئاً؟ قال: لا ، قال: فارجِع فاهدمْه ، فرجع خالد إلى الصنم فهدم بيتَه ، وكسر الصنم ، فجعل السادنُ يقول: أعُزّى اغضَبي بعض غضباتك! فخرجت عليه امرأة حبشيّة عريانةٌ مُوَلْوِلَة ، فقتلها وأخذ ما فيها من حلية ، ثم أتى رسولَ الله ﷺ ، فأخبره بذلك ، فقال: تلك العزّى ، ولا تُعبدُ العُزّى أبداً[2]. (٣: ٦٥).

= صحيح البخاري (كتاب الجهاد/ باب لا هجرة بعد الفتح/ ح ٣٠٧٧).
ومسلم (باب المبايعة بعد فتح مكة/ ح ١٣٥٣) والترمذي (باب ما جاء في الهجرة/ ١٥٩٠) وقال: حسن صحيح وغيرهم.
وأما خبر هند بنت عتبة فقد قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: (إن هند بنت عتبة بن ربيعة قالت: يا رسول الله ما كان مما على ظهر الأرض أهل أخباء أو خباء ـ الشك من ابن بكير ـ أحبّ إليّ أن يذلوا من أهل خبائك أو أخبائك ، ثم ما أصبح اليوم أهل خباء أو أخباء أحب إلي من أن يعزوا من أهل خبائك ، أو أخباءك ، قال رسول الله ﷺ: وأيضاً والذي نفس محمد بيده ، قالت: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل مسِّيك فهل عليّ من حرج أن أطعم من الذي له؟ قال ﷺ: لا إلا بالمعروف).
أخرجه البخاري (باب كيف كانت يمين رسول الله/ ح ٦٦٤١) ومسلم كتاب الأقضية (ح ١٧١٤) والله تعالى أعلم.

(١) إسناده إلى ابن إسحاق ضعيف وقد ذكره ابن إسحاق معضلاً وأصل الخبر في عدد الجيش الفاتح ثابت في الصحيح ، كما أخرج البخاري (كتاب المغازي/ باب غزوة الفتح/ ح ٤٢٧٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (إن النبي ﷺ خرج في رمضان من المدينة ومعه عشرة آلاف . . . الحديث).

(٢) انظر الرواية التالية.

٢٤٧ ـ حدّثنا ابنُ حُميد ، قال: حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال: بعث رسولُ الله ﷺ خالد بن الوليد إلى العُزّى ـ وكانت بنخلة ، وكانت بيتاً يعظّمه هذا الحيّ من قريش وكنانة ومُضر كلها؛ وكانت سَدَنَتُها من بني شيبان ، من بني سُلَيم حلفاء بني هاشم ـ فلما سمع صاحبها بمسير خالد إليها ، علّق عليها سيفه ، وأسند في الجبل الذي هي إليه فأصعد فيه ، وهو يقول:

أَيا عَزَّ شُدِّي شَدَّةً لا شَوَى لها ... على خَالِدٍ أَلْقِي القِناعَ وشَمِّري

ويا عُزَّ إن لم تَقْتُلي اليومَ خَالداً ... فَبوئي بإثم عَاجل أو تنصَّري

فلما انتهى إليها خالد هَدمها ، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ[1] . (٣: ٦٥) .

٢٤٨ ـ حدّثنا سعيد بن يحيى الأمويّ ، قال: حدّثنا أبي. وحدّثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سلمة؛ جميعاً عن ابن إسحاق ، عن يعقوب بن عُتْبة بن المغيرة بن الأخنس بن شَرِيق ، عن ابن شهاب الزهريّ ، عن ابن عبد الله بن أبي حَدْرَد الأسلميّ ، عن أبيه عبد الله بن أبي حَدْرد ، قال: كنتُ يومئذ في خَيْل خالد ،

---

(١) هذا إسناد معضل ولكن أخرج البيهقي من طريق أبي كريب عن ابن فضيل عن الوليد عن جمع عن أبي الطفيل قال: (لما فتح رسول الله ﷺ مكة بعث خالد بن الوليد إلى نخلة وكانت بها العزىٰ فأتاها وكانت على ثلاث سمرات ، فقطع السمرات وهدم البيت الذي كان عليها. . . . الحديث) دلائل النبوة (٥/ ٧٧) ومن طريق البيهقي أخرجه ابن كثير (٣/ ٥٨٣).
قلنا: وهذا إسناد حسن والله تعالى أعلم.

ـ [مسير خالد بن الوليد إلى بني جذيمة بن مالك] ـ

(٣/ ٦٦): لقد ذكرنا روايات الطبري في هذه الغزوة في قسم الضعيف فهي ضعيفة الإسناد وجلها من طريق ابن حميد الرازي وهو ضعيف واتهمه بعض أئمة الحديث بالكذب (إضافة إلى نكارة متونها) ، أما ما صح في هذه الغزوة فقد أخرج البخاري في صحيحه من طريق الزهري عن سالم عن أبيه قال: بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى جذيمة فدعاهم إلى الإسلام فلم يُحسنوا أن يقولوا أسلمنا فجعلوا يقولون صبأنا صبأنا ، فجعل خالد يقتل منهم ويأسر ودفع إلى كل رجل منا أسيره حتى إذا كان يوم أمر خالد أن يقتل كل رجل منا أسيره فقلت: والله لا أقتل أسيري ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره حتى قدمنا على النبي ﷺ فذكرناه فرفع النبي ﷺ يده فقال: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد (مرتين).
(كتاب المغازي/ ح ٤٣٣٩).
والحديث أخرجه أحمد (٢/ ١٥١) والبيهقي في الدلائل (٥/ ١١٣).

فقال لي فتى منهم - وهو في السبي؛ وقد جُمِعت يداه إلى عنقِه برُمَّةٍ ونسوة مجتمعات غير بعيد منه: يا فتى! قلت: نعم؛ قال: هل أنتَ آخذٌ بهذه الرُّمة فقائدي بها إلى هؤلاء النسوة، حتى أقضيَ إليهنّ حاجة، ثم تَرُدّني بعد، فتصنعوا بي ما بدا لكم؟ قال: قلت: والله لَيَسيرٌ ما سألت، فأخذت برُمّتِه فقدْتُه بها حتى أوقفته عليهنّ، فقال: اسلمي حُبَيش، على نَفَد العيش:

أرَيْتَكِ إذْ طالَبْتكم فوَجَدْتُكُم ... بحَلْيَةَ أو ألْفيتكمْ بالخَوَانِقِ!
ألم يَكُ حَقًّا أن يُنَوَّلَ عاشِقٌ ... تكَلَّفَ إدْلاَجَ السُّرى والوَدَائِقِ!
فلا ذَنْبَ لي قد قُلْتُ إذْ أَهْلُنا معاً ... أثيبي بوُدٍّ قَبْلَ إحْدَى الصَّفَائِقِ!
أثيبي بوُدٍّ قبل أن تَشْحَط النَّوَى ... ويَنْأَى الأمِيرُ بالحبيب المفارِقِ
فإنِّيَ لا سِرًّا لَدَيَّ أضَعْتُه ... ولا راق عَيْني بعد وَجهِك رائِق
عَلَى أنَّ ما نابَ العَشِيرَةَ شَاغِلٌ ... ولا ذِكْرَ إلاَّ أن يكون لوامِقِ

قالت: وأنت فحُيّيتَ عشراً، وسبْعاً وِتْراً، وثمانياً تَترى! ثم انصرفتُ به، فقدِّم فضُرِبت عنقه[1]. (٣: ٦٨/ ٦٩).

---

(١) حديث أبي حدرد هنا هذا أخرجه البيهقي في الدلائل (٥/ ١١٨) (والبداية والنهاية ٣/ ٥٨٢) وابن سعد في طبقاته (٢/ ١٤٩) وابن هشام (٢/ ٤٣٣) وصحح الحافظ إسناده (الفتح ٨/ ٥٨).

وأخرجه ابن سعد في طبقاته (٢/ ١٤٩) من طريق سفيان بن عيينة ثني عبد الملك بن نوفل بن ساحق القرشي عن عبد الله بن عصام المزني عن أبيه قال: بعثنا رسول الله ﷺ يوم بطن نخلة فقال: اقتلوا ما لم تسمعوا مؤذناً أو تروا مسجداً إذ لحقنا رجلاً فقلنا له: كافر أو مسلم؟ فقال: إن كنت كافراً فمه، قلنا له: إن كنت كافراً قتلناك! قال: دعوني أقضِ إلى النسوان حاجة! قال إذ دنا إلى امرأة منهن فقال لها: اسلمي حُبَيْش على نفد العيش.

أريتك إذ طالبتكم فوجدتكم ... بحلية أو ألفيتكم بالخوانق
أما كان أهلاً أن ينول عاشقٌ ... تكلف إدلاج السرى والودائق
فلا ذنب لي قد قلت إذ نحن جيرةٌ ... أثيبي بودّ قبل إحدى الصفائق
أثيبي بود قبل أن تشحط النوى ... وينأى أميري بالحبيب المفارق

فقالت: نعم. حييت عشراً وسبعاً وتراً وثمانياً تتراً، قال: فقربناه فضربنا عنقه قال: فجاءت ترشقه حتى ماتت عليه، وقال سفيان: وإذا امرأة كثيرة النخض يعني اللحم. اهـ.

وفي رواية البيهقي من طريق النسائي (فلما قدّموا على رسول الله ﷺ أخبروه الخبر فقال: أما كان فيكم رجل رحيم).

٢٤٩ ـ حدّثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن أبي فراس بن أبي سُنْبُلة الأسلميّ؛ عن أشياخ منهم ، عمّن كان حضرها ، قالوا: قامت إليه حين ضُربت عنقه ، فأكبَّتْ عليه ، فما زالت تُقبِّلُهُ حتى ماتت عنده[1]. (٣/ ٦٩) .

٢٥٠ ـ حدّثنا ابنُ حميد؛ قال: حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن الزهريّ ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة بن مسعود ، قال: أقام رسول الله ﷺ بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصُر الصلاة[2]. (٣/ ٦٩).

٢٥١ ـ قال ابنُ إسحاق: وكان فتح مكة لعشر ليال بقينَ من شهر رمضان سنة ثمانٍ[3]. (٣: ٦٩) .

---

(١) إسناده ضعيف والحديث صحيح (وراجع الرواية السابقة).

(٢) إسناده ضعيف ، وأخرجه أبو داود من طريق ابن إسحاق عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال: أقام رسول الله ﷺ بمكة عام الفتح خمس عشرة يقصر الصلاة.
قال أبو داود: روىٰ هذا الحديث عبدة بن سليمان وأحمد بن خالد الوهبي وسلمة بن الفضل عن ابن إسحاق ولم يذكروا فيه ابن عباس (سنن أبي داود/ ٢/ ١٠/ح ١٢٣١).
قلنا: والروايات مختلفة في تحديد العدد وإن كان عدد من العلماء رجحوا عدد (١٩).
فقد أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أقام النبي ﷺ بمكة تسعة عشر يوماً يصلي ركعتين (كتاب المغازي/ مقام النبي ﷺ بمكة زمن الفتح/ ح ٤٢٩٩)
وأخرجه أبو داود (٢/ ١٠/ح ١٢٣٠) وجاءت رواية صحيحة بسبع عشرة ، ورواية أخرىٰ بـ (عشر).
وقد تحدث الحافظ ابن حجر عن اختلاف هذه الروايات وذكر أوجه الجمع بينها عند العلماء (فتح الباري ٢/ ٥٦٢/ح ١٠٨٠) والله تعالى أعلم.

(٣) ذكره الطبري من قول ابن إسحاق بلاغاً وله شاهد عند أحمد والطبراني في الكبير من حديث طويل عن ابن عباس وفيه: (وخرج لعشر مضين من رمضان. . . . . إلخ الحديث).
وقال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح (المجمع ٦/ ١٦٨) وأخرج البخاري في صحيحه (كتاب المغازي/ باب غزوة الفتح في رمضان/ ح ٤٢٧٦) عن ابن عباس أن النبي ﷺ: خرج في رمضان من المدينة ومعه عشرة آلاف وذلك على رأس ثماني سنين ونصف من مقدمه المدينة فسار هو ومن معه من المسلمين إلى مكة يصوم ويصومون حتى بلغ الكديد وهو ماء بين عسفان وقديد أفطر وأفطروا.
وأخرجه مسلم/ باب جواز الصوم والفطر في رمضان للمسافر في غير رخصة (ح ١١١٢).
ولفظ مسلم: (أن رسول الله ﷺ خرج عام الفتح إلى مكة في رمضان ، . . . الحديث) عن =

ذكر الخبر عن غزوة
رسول الله ﷺ هوازن بحنين

٢٥٢ ـ وكان من أمر رسولِ الله ﷺ وأمْر المسلمين وأمْرِ هوازن ما حدّثنا عليّ بن نصر بن عليّ الجَهضميّ وعبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث ـ قال عليّ: حدّثنا عبد الصّمد، وقال عبد الوارث: حدثنا أبي ـ قال: حدّثنا أبان العطار، قال: حدّثنا هشام بن عروة، عن عُروة، قال: أقام النبيّ ﷺ بمكّة عام الفتح نصف شهر، لم يزد على ذلك؛ حتى جاءت هوازن وثَقيف، فنزلوا بحُنين ـ وحنين واد إلى جنب ذي المجاز ـ وهم يومئذ عامدون يريدون قتال النبيّ ﷺ، وكانوا قد جمعوا قبل ذلك حين سمعوا بمخرَج رسول الله من المدينة، وهم يظنُّون أنه إنما يريدهم حيث خرج من المدينة، فلمّا أتاهم أنه قد نزل مكة، أقبلتْ هَوازِن عامدين إلى النبيّ ﷺ وأقبلوا معهم بالنساء والصبيان والأموال ـ ورئيس هَوازن يومئذ مالك بن عوف أحد بني نصر ـ وأقبلت معهم ثَقيف؛ حتى نزلوا حُنَيْناً يريدون النبيّ ﷺ؛ فلما حُدِّث النبيّ وهو بمكّة أنْ قد نزلت هوازن وثقيف بحنين، يسوقهم مالك بن عوف أحد بني نصر ـ وهو رئيسهم يومئذ ـ عمَد النبيّ ﷺ حتى قدِم عليهم، فوافاهم بحُنَين، فهزمهم الله عزّ وجلّ، وكان فيها ما ذكر الله عزّ وجلّ في الكتاب؛ وكان الذي ساقوا من النساء والصبيان والماشية غنيمة غنّمها الله عزّ وجلّ رسولَه، فقسّم أموالَهم فيمن كان أسلم معه من قريش[1]. (٣: ٧٠).

٢٥٣ ـ حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سَلمة، عن ابن إسحاق، قال: لما سمعتْ هوازِن برسول الله ﷺ وما فتح الله عليه من مكة؛ جمعها مالك بن عوف

= جابر بن عبد الله رضي الله عنه وأخرجه من حديث ابن عباس (ح١١١٣) ولفظه: (سافر رسول الله ﷺ في رمضان فصام حتى بلغ عُسفان . . . الحديث).
وأخرجه أبو داود في سننه (كتاب الصوم/ ٢/ ٣١٦/ح ٢٤٠٤) عن ابن عباس ولفظه: (خرج النبي ﷺ من المدينة إلى مكة حتى بلغ عسفان ثم دعا بإناء فرفعه إلى فيه ليريه الناس وذلك في رمضان . . . . الحديث) والله تعالى أعلم.

(١) هذا إسناد مرسل وله شواهد كما سنذكر بعد قليل.

النَّصرِيّ؛ واجتمعت إليه مع هَوازن ثَقيف كلّها، فجُمعت نصر وجُشَم كلّها وسعد بن بكر وناس من بني هلال؛ وهم قليل، ولم يشهدها من قَيْس عَيْلان إلاّ هؤلاء، وغابت عنها فلم يحضرها من هَوازن كعب ولا كلاب؛ ولم يشهدها منهم أحدٌ له اسمٌ، وفي جُشم دُرَيد بن الصّمَّة شيخ كبير؛ ليس فيه شيء إلا التيمّن برأيه ومعرفته بالحرْب، وكان شيخاً كبيراً مجرّباً؛ وفي ثقيف سيّدان لهم في الأحلاف: قارب بن الأسود بن مسعود، وفي بني مالك ذو الخمار سُبيْع بن الحارث وأخوه الأحمر بن الحارث في بني هلال، وجِمَاع أمرِ الناس إلى مالك بن عوف النصريّ.

فلمّا أجمَع مالك المسيرَ إلى رسول الله ﷺ حطّ مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم؛ فلمّا نزل بأوْطاس، اجتمع إليه الناس؛ وفيهم دُرَيد بن الصمّة في شِجَار له يُقادُ به؛ فلما نزَل قال: بأيّ واد أنتم؟ قالوا: بأوْطاس، قال: نعم مجالُ الخيل! لا حَزْن ضَرِس، ولا سَهْل دهس؛ مالي أسمع رُغاء البعير، ونُهاق الحمير، ويُعار الشاء، وبكاء الصغير! قالوا: ساقَ مالك بن عوف مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالَهم، فقال: أين مالك؟ فقيل: هذا مالك، فدُعِي له، فقال: يا مالك، إنَّك قد أصبحتَ رئيس قومك؛ وإنّ هذا يوم كائن له ما بعده من الأيام؛ مالي أسمع رُغاء البعير، ونهاق الحمير، ويعار الشاء، وبكاء الصغير! قال: سُقْتُ مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم، قال: ولِمَ؟ قال: أردتُ أن أجعل خَلْف كلّ رجل أهلَه ومالَه ليقاتل عنهم. قال: فانقضَّ به ثم قال: راعي ضأنٍ والله! هل يردّ المنهزمَ شيءٌ! إنها إن كانت لك لم ينفعك إلاّ رجلٌ بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك فُضِحتَ في أهلك ومالك. ما فعلت كعب وكلاب؟ قالوا: لم يشهد منهم أحد، قال: غاب الجدُّ والحدُّ؛ لو كان يوم عَلاء ورفعة لم تَغِب عنه كعب وكلاب؛ ولوددت أنكم فعلتم ما فعلتْ كعب وكلاب؛ فمن شهدها منكم؟ قالوا: عمرو بن عامر وعوف بن عامر؛ قال: ذانك الجَذعان من بني عامر! لا ينفعان ولا يضرّان، يا مالك إنّك لم تصنع بتقديم البَيْضة؛ بيضة هوازن، إلى نُحور الخيل شيئاً، ارفعهم إلى متمنّع بلادهم وعُلْيا قومهم؛ ثم الق الصبّاء على مُتُون الخيل، فإن كانت لك لحِق بك مَنْ وراءك، وإن كانت عليك ألفاك ذلك وقد أحْرزتَ أهلك ومالك. قال: والله لا أفعل، إنك قد كبرتَ وكَبِرَ

عقلك؛ والله لتطيعُنّني يا معشر هوازن أو لأتّكئنّ على هذا السيف حتى يخرج من ظهري! وكره أن يكون لدُرَيْد فيها ذكرٌ أو رأيٌ. قال دُريد بن الصمّة: هذا يوم لم أشهده؛ ولم يَفُتْني:

يا ليْتَني فيها جَذَعْ أخُبّ فيها وأضَعْ
أقُودُ وَطْفَاءَ الزَّمَعْ كأنّها شَاةٌ صَدَعْ

وكان دُريد رئيسَ بني جُشَم وسيّدهم وأوسطهم؛ ولكن السنَّ أدركته حتى فَنِيَ - وهو دُريد بن الصّمة بن بكر بن عَلْقمة بن جُدَاعة بن غَزيّة بن جُشَم بن معاوية بن بكْر بن هوازن - ثم قال مالك للناس: إذا أنتم رأيتم القومَ فاكسِرُوا جفون سيوفكم، وشُدُّوا شَدَّةَ رجل واحد عليهم(١). (٣: ٧٠/ ٧١/ ٧٢).

٢٥٤ - قال ابن إسحاق: ولما سمع بهم رسولُ الله ﷺ بعث إليهم عبدَ الله بن أبي حَدْرد الأسلميّ، وأمره أن يدخلَ في الناس فيُقيم فيهم حتى يأتيَه بخبر منهم؛ ويعلم مِنْ علمهم. فانطلق ابن أبي حَدْرد، فدخل فيهم، فأقام معهم حتى سمع

(١) ذكره الطبري عن ابن إسحاق بلاغاً وكذلك أخرجه ابن هشام (٢/ ٤٣٧) والحديث أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٣٧٦) والبيهقي في الدلائل (٥/ ١٢٠) وأبو يعلى (ح ١٨٦٢) وابن حبان (الموارد/ ح ١٧٠٤).
وأخرجه الحاكم في المستدرك (مختصراً) من طريق ابن إسحاق قال: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن بن جابر عن أبيه جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ سار إلى حنين لما فرغ من فتح مكة جمع مالك بن عوف النصري من بني نصر وجشم وسعد بن بكر وأوزاع من بني هلال وناساً من بني عمرو بن عاصم بن عوف بن عامر وأوزعت معهم الأحلاف من ثقيف وبنو مالك ثم سار بهم إلى رسول الله ﷺ وسار مع الأموال والنساء والأبناء فلما سمع بهم رسول الله ﷺ بعث عبد الرحمن بن أبي حدرد الأسلمي فقال: اذهب فادخل بالقوم حتى تعلم لنا من علمهم فدخل فمكث فيهم يوماً أو يومين ثم أقبل فأخبره الخبر فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب: ألا تسمع ما يقول ابن أبي حدرد؟ فقال عمر: كذب ابن أبي حدرد فقال ابن أبي حدرد: إن كذبتني فربما كذبت من هو خير مني فقال عمر: يا رسول الله ألا تسمع ما يقول ابن أبي حدرد، فقال رسول الله ﷺ: قد كنت يا عمر ضالاً فهداك الله عز وجل، ثم بعث رسول الله ﷺ إلى صفوان بن أمية فسأله أدراعاً مئة درع وما يصلحها من عدتها فقال: أغصباً يا محمد؟ قال: بل عارية مضمونة حتى نؤديها إليك، ثم خرج رسول الله ﷺ سائراً.
وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي (المستدرك مع التلخيص ٣/ ٤٩).

وعلم ما قد أجمعوا له من حَرْب رسولِ الله ﷺ ، وعلم أمر مالك وأمرَ هوازن وما هم عليه. ثم أتى رسولَ الله ، فأخبره الخبر؛ فدعا رسولُ الله ﷺ عمرَ بن الخطاب ، فأخبره خبرَ ابن أبي حَدْرد ، فقال عمرُ: كذب! فقال ابن أبي حَدْرد: إنْ تكذّبْني فطالَما كذّبْتَ بالحقّ يا عمر! فقال عمر: ألا تسمعُ يا رسول الله إلى ما يقول ابن أبي حَدْرد! فقال رسولُ الله ﷺ : قد كنتَ ضالاً فهداك الله يا عمر[(١)]. (٣: ٧٢/ ٧٣).

٢٥٥ ـ حدّثنا ابنُ حُميد ، قال: حدّثنا سَلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال: حدّثني أبو جعفر محمد بن علي بن حسين ، قال: لما أجمع رسولُ الله ﷺ السَّيْرَ إلى هَوازن ليلقاهم ، ذكر له أنّ عند صفوان بن أميّة أدراعاً وسلاحاً ، فأرسل إليه ، فقال: يا أبا أميّة ـ وهو يومئذ مشركٌ ـ: أعِرْنا سلاحك هذا نلْق فيه عدوَّنا غداً. فقال له صفوان: أغَصْباً يا محمد! قال: بل عارِية مضمونة حتى نؤدّيَها إليك ، قال: ليس بهذا بأس ، فأعطاه مئة دِرْع بما يصلحُها من السلاح؛ فزعموا أنّ رسولَ الله ﷺ سأله أن يكفيَه حَمْلها ففعل.

قال أبو جعفر محمد بن عليّ: فمضت السنّة أن العاريّة مضمونة مؤدّاة[(٢)]. (٣: ٧٣).

---

(١) ذكر الطبري هذه الرواية من قول ابن إسحاق وبلا إسناد ولقد صحّ أنه ﷺ بعث عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي ليأتيه بخبر القوم كما ذكرنا قبل رواية من حديث جابر بن عبد الله عند الحاكم في المستدرك (٣/ ٤٩). وصحح إسناده ووافقه الذهبي.
وقد اتفق المؤرخ العمري والمحدث الألباني على تصحيحه بمجموع طرقه ويكفي (للاختصار) أن نذكر تعليق العمري: وللحديث شواهد جعلت الشيخ الألباني يحكم بصحته بمجموع طرقه (إرواء العليل ٥/ ٣٤٤ ـ ٣٤٦) من كتاب السيرة النبوية للعمري (٢/ ٤٩٥).

(٢) إسناده ضعيف وله شاهد من حديث أمية بن صفوان بن أمية عن أبيه صفوان بن أمية رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ استعار منه أدراعاً يوم حنين فقال: أغصب يا محمد؟ قال: لا بل عارية مضمونة قال: فضاع بعضها فعرض عليه رسول الله ﷺ أن يضمنها له فقال: أنا اليوم يا رسول الله في الإسلام أرغب.
أخرجه أحمد (٣/ ٤٠١) (٦/ ٤٦٥) وأخرجه أبو داود (٣/ ح ٣٥٦٢) عن أمية بن صفوان عن أبيه أن رسول الله ﷺ استعار منه أدراعاً يوم حنين فقال: أغصب يا محمد؟ فقال: لا بل عارية مضمونة وفي رواية أخرىٰ لأبي داود (٣/ ح ٣٥٦٣):
فلما هزم المشركون جمعت دروع صفوان ففقد منها أدراعاً فقال رسول الله ﷺ لصفوان: إنا =

٢٥٦ ـ حدثنا ابنُ حُميد ، قال: حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله ابن أبي بكْر ، قال: ثمّ خرجَ رسولُ الله ﷺ ؛ ومعه ألفان من أهل مكة ، مع عشرة آلاف من أصحابه الذين فتح الله بهم مكة ، فكانوا اثني عشر ألفاً ، واستعمل رسولُ الله ﷺ عَتّابَ بن أسيد بن أبي العيص بن أميّة بن عبد شمس على مكّة أميراً على مَنْ غاب عنه من الناس، ثم مضى على وجهه يريد لقاء هوازن[1] . (٣ : ٧٣) .

٢٥٧ ـ حدّثنا ابنُ حُميد ، قال: حدّثنا سَلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عاصم ابن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر ، عن أبيه ، قال: لمّا استقبلنا وادي حُنين ، انحدَرْنا في واد من أودية تهامة أجوف حَطُوط ، إنما ننحدر فيه انحداراً

= قد فقدنا من أدراعك أدراعاً فهل نغرم لك قال: لا يا رسول الله لأن في قلبي اليوم ما لم يكن يومئذ. قال أبو داود: وكان أعاره قبل أن يسلم ثم أسلم.

قلنا: وللحديث شاهد من حديث الحاكم في المستدرك (٣/ ٤٨) وقد ذكرناه آنفاً ، ورواية أخرىٰ عند الحاكم (٢/ ٤٧) من حديث ابن عباس وقال: صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي والحديث رواه النسائي وغيره وقد ذكر الحافظ ابن كثير بعض روايات الحديث (البداية والنهاية ٣/ ٥٩٣ ـ ٥٩٤).

(١) هذا إسناد ضعيف ، ولكن جاء تحديد جيش المسلمين يوم حنين في رواية للبخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما كان يوم حنين ، أقبلت هوازن وغطفان وغيرهم بنعمهم وذراريهم ومع النبي ﷺ عشرة آلاف ومن الطلقاء. . . . إلى آخر الحديث (صحيح البخاري ، كتاب المغازي باب غزوة الطائف/ ح٤٣٣٧).

قلنا: وواضح من رواية الطبري أن العدد أكثر من عشرة آلاف إذا أضفنا الطلقاء ، وأخرج البيهقي من طريق عبد الله بن عياض بن الحارث الأنصاري عن أبيه أن رسول الله ﷺ أتى هوازن في اثني عشر ألفاً. . . . الحديث. (البداية والنهاية ٣/ ٦٠٥).

قلنا: وحديث عياض هذا أخرجه الطبراني في الكبير ، وقال الهيثمي: رواه الطبراني وفيه عبد الله بن عياض ذكره ابن أبي حاتم ولم يخرجه وبقية رجاله ثقات. (مجمع الزوائد ٦/ ١٨٣).

وأما عن إمرة عتاب بن أسيد على مكة فقد حسّنه الألباني في تحقيقه للسيرة النبوية/ الغزالي. وقال: ذكره ابن هشام وابن جرير(٢/ ٣٦١) عن ابن إسحاق بدون سند.

ورواه الحاكم (٣/ ٥٩٤ ـ ٥٩٥) عن مصعب بن عبد الله الزبيري معضلاً وعمر بن شبة في كتاب مكة عن عمر مولىٰ عفرة معضلاً أيضاً. والمحاقلي في الجزء الخامس من الأمالي عن أنس بن مالك بسند ضعيف ، ولكنه يتقوىٰ بما قبله إن شاء الله (فقه السيرة/ الغزالي/ تحقيق الألباني/ ٤٣٣).

ـ قال: وفي عماية الصبح، وكان القوم قد سبقوا إلى الوادي، فكَمنوا لنا في شعابه وأحنائه ومضايقه، قد أجمعوا وتهيَّؤوا وأعدّوا ـ فو الله ما راعنا ونحن منحطّون إلاّ الكتائب قد شدّتْ علينا شَدّة رجل واحد؛ وانهزم الناس أجمعون، فانشمروا لا يلوِي أحدٌ على أحد؛ وانحاز رسولُ الله ﷺ ذاتَ اليمين، ثم قال: أين أيها الناس! هلمّ إليّ! أنا رسولُ الله، أنا محمد بن عبد الله! قال: فلا شيء، احتملت الإبل بعضها بعضاً، فانطلق الناس؛ إلاّ أنه قد بقيَ مع رسولِ الله ﷺ نفرٌ من المهاجرين والأنصار وأهل بيته. وممّن ثبت معه من المهاجرين أبو بكر، وعمر، ومن أهل بيته عليٌّ بن أبي طالب، والعبّاس بن عبد المطلب، وابنُه الفضل، وأبو سفيان بن الحارث، وربيعة بن الحارث، وأيْمَن بن عُبيد ـ وهو أيمن ابن أمّ أيمن ـ وأسامة بن زيد بن حارثة. قال: ورجل من هوازن على جمل له أحمر، بيده راية سوداء في رأس رمح طويل، أمام الناس وهوازن خلْفه، إذا أدرك طعن برمحه، وإذا فاته الناس رفع رمحه لمن وراءه؛ فاتبعوه[1]. (٣: ٧٤).

٢٥٨ ـ حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سَلمة، عن محمد بن إسحاق، عن الزّهريّ، عن كثير بن العباس، عن أبيه العباس بن عبد المطلب، قال: إنّي لمعَ رسولِ الله ﷺ آخذٌ بحَكَمَة بغلته البيضاء، قد شجرتُها بها، قال: وكنت امرأ جسيماً شديد الصوت، قال: ورسولُ الله ﷺ يقول حين رأى من الناس ما رأى: أينَ أيّها الناس! فلمّا رأى الناس لا يَلْوُون على شيء قال: يا عباس، اصرخ: يامعشر الأنصار! يا أصحاب السَّمُرَة! فناديت: يا معشرَ الأنصار، يا معشر أصحاب السَّمُرة! قال: فأجابوا: أنْ لبَّيك لبّيك! قال: فيذهبُ الرّجُل منهم يريد ليَثني بعيرَه؛ فلا يقدر على ذلك، فيأخذ دِرْعه فيقذِفها في عُنقه، ويأخذ سيفه وتُرسه، ثم يقتحم عن بعيره فيخلّي سبيلَه في الناس، ثم يَؤمّ الصوت، حتى ينتهيَ إلى رسول الله ﷺ؛ حتى إذا اجتمع إليه منهم مئة رجل استقبلوا الناس،

---

(١) إسناده إلى ابن إسحاق ضعيف إلا أن ابن هشام أخرجه في السيرة (٢/ ٤٤٢) من طريق ابن إسحاق قال: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن بن جابر عن أبيه جابر بن عبد الله.
قلنا: وهذا إسناد حسن أخرجه ابن حبان (الموارد/ ح ١٧٠٤) وأحمد (٣/ ٣٧٦) والبيهقي (الدلائل ٥/ ١٢٠) والله تعالى أعلم.

فاقتتلوا ، فكانت الدَّعوى أوّلَ ما كانت: يا للأنصار! ثم جُعلت أخيراً: يا للخزرج! وكانوا صُبُراً عند الحرب؛ فأشرف رسول الله ﷺ في ركابه ، فنظر مُجْتلدَ القوم وهم يجتلدون ، فقال: الآن حَمِيَ الوَطِيس[1]! (٣: ٧٥).

٢٥٩ ـ حدّثنا هارونُ بن إسحاق ، قال: حدّثنا مُصعب بن المقدام ، قال: حدّثنا إسرائيل ، قال: حدّثنا أبو إسحاق ، عن البَرَاء ، قال: كان أبو سفيان بن الحارث يقودُ بالنبيّ ﷺ بغلته يوم حُنين ، فلمّا غَشِيَ النبيَّ ﷺ المشركون ، نزل فجعل يرتجز ، ويقول:

أنـــا النبـــيُّ لا كَــذِبْ   أنـــا ابـــنُ عبـــد المطَّلِـــبْ

فما رُئِيَ من الناس أشدّ منه[2]. (٣: ٧٥/ ٧٦).

٢٦٠ ـ حدّثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عاصم ابن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر ، عن أبيه جابر بن عبد الله ، قال: بينَا ذلك الرجل من هَوازن صاحب الراية على جملِه يصنع ما يصنع؛ إذ هَوَى له

---

(١) في إسناد الطبري ضعف إلا أن ابن هشام أخرجه من طريق ابن إسحاق هذا (٢/ ٤٤٤) وقد صرّح بالتحديث فإسناده حسن.
والحديث أخرجه مسلم وبزيادة (قال: ثم أخذ رسول الله ﷺ حصيات فرمىٰ بهن وجوه الكفار ثم قال: انهزموا ورب محمد: قال: فذهبت أنظر فإذا القتال على هيئته فيما أرىٰ قال: فو الله ما هو إلا أن رماهم بحصياته فما زلت أرىٰ حدّهم كليلاً وأمرهم مدبراً) صحيح مسلم/ باب في غزوة حنين/ عن ابن عباس ح (١٧٧٥) وأخرجه الحاكم (٣/ ٣٢٧) والله تعالى أعلم.
وفي رواية مسلم أيضاً (ورسول الله ﷺ على بغلة له بيضاء أهداها له فروة بن نفاثة الجذامي فلما التقى المسلمون والكفار ولىٰ المسلمون مدبرين ، فطفق رسول الله ﷺ يركض بغلته قبل الكفار. . . الحديث).

(٢) هذا حديث صحيح أخرجه البخاري من حديث ابن إسحاق قال: سمعت البراء رضي الله عنه وجاءه رجل فقال: يا أبا عمارة أتوليت يوم حنين فقال: أما أنا فأشهد على النبي ﷺ أنه لم يول ولكن عجل سرعان القوم فرشقتهم هوازن وأبو سفيان آخذ برأس بغلته البيضاء يقول: أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب. (صحيح البخاري/ كتاب المغازي ح ٤٣١٥).
وأخرجه البخاري من طريقين آخرين عن أبي إسحاق عن البراء (٤٣١٦ ، ٤٣١٧) مع اختلاف يسير في الألفاظ. اهـ.
والحديث أخرجه مسلم (ح ١٧٧٦) (وعند مسلم زيادة قوله ﷺ: اللهم نزل نصرك).
والترمذي(٤/ ح ١٦٨٨) وقال: وفي الباب عن علي وابن عمر وهذا حديث حسن صحيح.

عليّ بن أبي طالب ورجل من الأنصار؛ يريدانه، فيأتيه عليٌّ من خلْفه ، فيضرب عُرْقُوبيَ الجمل ، فوقع على عَجُزه ، ووثب الأنصاريّ على الرّجل فضربه ضربة أطَنَّ قدَمه بنصف ساقه ، فانجعف عن رحْله. قال: واجتلد الناس ، فوالله ما رجعتْ راجعةُ الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارَى مكتّفين؛ وقد التفت رسولُ الله ﷺ إلى أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ـ وكان ممّن صَبر يومئذ مع رسول الله ﷺ ، وكان حسنَ الإسلام حين أسلم ، وهو آخذ بثَفر بغلته ـ فقال: من هذا؟ قال: أنا ابن أمّك يا رسول الله[١] ! (٣ : ٧٦) .

٢٦١ـ حدّثنا ابنُ حُميد ، قال: حدّثنا سَلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكْر ، أنّ رسول الله ﷺ التَفَت ، فرأى أمّ سُليم بنت مِلْحان ـ وكانت مع زوجها أبي طلحة ـ حازمة وسطها ببُرْد لها؛ وإنّها لحامل بعبد الله بن أبي طلحة ، ومعها جمل أبي طلحة ، وقد خشيتْ أن يَعُزّها الجمل ، فأدنت رأسه منها ، فأدخلت يدها في خِزَامته مع الخطام ، فقال رسولُ الله ﷺ : أمّ سليم! قالت: نعم؛ بأبي أنت وأمّي يا رسول الله! اقتُلْ هؤلاء الذين يفرُّون عنك كما تقتل هؤلاء الذين يقاتلونك ، فإنهم لذلك أهلٌ ، فقال رسولُ الله ﷺ : أوْ يكفي اللهُ يا أمّ سُليم! ومعها خنجر في يدها ، فقال لها أبو طلحة: ما هذا معك يا أمّ سليم؟ قالت: خنجر أخذتْه معي؛ إن دنا منّي أحدٌ من المشركين بعجتُه به. قال: يقول أبو طلحة: ـ ألا تسمع ما تقولُ أمّ سليم يا رسول الله![٢] . (٣ : ٧٦/ ٧٧) .

٢٦٢ ـ حدّثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سَلمة ، عن ابن إسحاق ، قال: حدّثني حمّاد بن سلمة ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ، عن أنس بن مالك ،

---

(١) إسناده إلى ابن إسحاق ضعيف إلاّ أن ابن هشام أخرجه من طريق ابن إسحاق هذا وقد صرّح بالتحديث (٢/ ٤٤٥) فإسناده حسن والله تعالى أعلم.

(٢) هذا إسناد ضعيف وحديث أم سليم حديث صحيح أخرجه مسلم من حديث أنس رضي الله عنه قال: إن أم سليم اتخذت يوم حنين خنجراً فكان معها فرآها أبو طلحة فقال: يا رسول الله هذه أم سليم معها خنجر. فقال لها رسول الله ﷺ : (ما هذا الخنجر؟) قالت: اتخذته إن دنا مني أحد من المشركين بقرت بطنه. فجعل رسول الله ﷺ يضحك. قالت: يا رسول الله اقتل من بعدنا من الطلقاء انهزموا بك فقال رسول الله ﷺ : «يا أم سليم إن الله قد كفى وأحسن».
صحيح مسلم (ح ١٨٠٩) وأحمد (٣/ ١٩٠) والله تعالى أعلم.

قال: لقد استلبَ أبو طلحة يوم حنين عشرين رجلاً وحْدَه هو قتلهم[١]. (٣: ٧٧).

٢٦٣ ـ قال أبو جعفر: وبعث رسولُ الله ﷺ في آثار مَنْ توجّه قِبَلَ أوطاس؛ فحدّثني موسى بن عبد الرحمن الكنديّ، قال: حدّثنا أبو أسامة، عن بُريْد بن عبد الله، عن أبي بُرْدة، عن أبيه، قال: لما قدِم النبيّ ﷺ من حُنين بعث أبا عامر على جيش إلى أوْطاس، فلقيَ دُرَيْد بن الصّمّة، فقتل دريداً، وهزم الله أصحابه.

قال أبو موسى: فبعثني مع أبي عامر، قال: فرُمِيَ أبو عامر في ركْبته، رماه رجلٌ من بني جُشَم بسهم فأثبتَه في ركبته، فانتهيت إليه، فقلت: يا عمّ، مَنْ رماك؟ فأشار أبو عامر لأبي موسى، فقال: إنّ ذاك قاتلي، تراه ذلك الذي رماني!

قال أبو موسى: فقصدت له فاعتمدتُه، فلحقْتُه، فلما رآني ولّى عني ذاهباً، فاتبعته، وجعلت أقول له: ألا تستحي! ألستَ عربيًّا! ألا تثبت! فكرّ، فالتقيت أنا وهو، فاختلفنا ضربتين، فضربته بالسيف، ثم رجعت إلى أبي عامر، فقلت: قد قتل الله صاحبَك، قال: فانزع هذا السهم، فنزعتُه فنزَا منه الماء، فقال: يا بن أخي، انطلق إلى رسول الله، فأقرِئْه مني السلام، وقل له: إنه يقول لك: استغفر لي.

قال: واستخلفني أبو عامر على الناس فمكث يسيراً. ثمّ إنه مات[٢]. (٣: ٧٩/ ٨٠).

---

(١) إسناده ضعيف، وحديث أنس حديث صحيح أخرجه الحاكم (٢/ ١٣٠) وصححه وسكت عنه الذهبي، وأخرجه أبو داود في سننه (٣/ ٧١/ح ٢٧١٨) من طريق حماد بن سلمة عن إسحاق بن عبد الله عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ يومئذ (يعني يوم حنين): من قتل كافراً فله سلبه، فقتل أبو طلحة يومئذ عشرين رجلاً وأخذ أسلابهم ولقي أبو طلحة أم سليم ومعها خنجر فقال: يا أم سليم ما هذا معك؟ قالت: أردت والله إن دنا مني بعضهم أبعج به بطنه فأخبر بذلك أبو طلحة رسول الله ﷺ. وقال أبو داود: هذا حديث حسن.

(٢) رجال هذا الإسناد رجال الصحيح سوىٰ موسى بن عبد الرحمن الكندي وهو ثقة وحديث =

[غزوة الطائف]

٢٦٤ - فحدّثنا عليّ بن نصر بن عليّ، قال: حدّثنا عبدُ الصمد بن

= أبي موسىٰ في صحيح البخاري ومسلم فقد أخرج البخاري في (صحيحه/ كتاب المغازي/ باب غزوة أوطاس/ ح ٤٣٢٣).
عن أبي بردة عن أبي موسىٰ رضي الله عنه قال: لما فرغ النبي ﷺ من حنين بعث أبا عامر على جيش إلى أوطاس فلقي دريد بن الصمة فقتل دريد وهزم الله أصحابه.
قال أبو موسىٰ: وبعثني مع أبي عامر فرُميَ أبو عامرٍ في ركبته رماه جشمي بسهم فأثبته في ركبته فانتهيت إليه فقلت: يا عم من رماك فأشار إلى أبي موسىٰ فقال: ذاك قاتلي الذي رماني فقصدت له فلحقته فلما رآني ولّىٰ فاتبعته وجعلت أقول له: ألا تستحي ألا تثبت فكفّ فاختلفنا ضربتين بالسيف فقتلته ثم قلت لأبي عامر: قتل الله صاحبك قال: فانزع هذا السهم فنزعته فنزا منه الماء. قال: يابن أخي أقرىء النبي ﷺ السلام وقل له استغفر لي. واستخلفني أبو عامر على الناس فمكث يسيراً ثم مات فرجعت فدخلت على النبي ﷺ في بيته على سرير مرمل وعليه فراش قد أثر رمالُ السرير بظهره وجنبه فأخبرته بخبرنا وخبر أبي عامر وقال: قل له استغفر لي فدعا بماء فتوضأ ثم رفع يديه فقال: اللهم اغفر لعبدك أبي عامر ورأيت بياض إبطيه ثم قال: اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك من الناس فقلت ولي فاستغفر فقال: اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريماً. قال أبو بردة: إحداهما لأبي عامر والأخرى لأبي موسىٰ وأخرجه مسلم في صحيحه (فضائل أبي موسىٰ وأبي عامر/ ح ٢٤٩٨) والملاحظ أن في رواية الصحيحين زيادة ليست عند الطبري والله أعلم. وقال العمري في حاشية السيرة: وقد بينت رواية البخاري أن دريد بن الصمة قتل بأوطاس وأن الزبير هو الذي قتله (صحيح ٥/ ١٢٨) (السيرة النبوية ٢/ ٥٠٣).
قلنا: أما أن دريداً قُتل بأوطاس فذلك في رواية البخاري أما أن الزبير هو الذي قتل دريداً فلا ندري إلى أية رواية من صحيح البخاري يشير العمري؟ والله أعلم.
ولقد جاء عند البزار الحافظ من رواية أنس رضي الله عنه في غزوة حنين (ح ١٨٢٧) وفي آخرها:
ثم قالوا: نرىٰ فارساً قد أقبل قال: ويلكم وحده؟ قالوا: وحده قال: خلّوه لي قالوا: معتجر بعمامة سوداء قال دريد: ذاك والله الزبير بن العوام وهو والله قاتلكم ومخرجكم من مكانكم هذا قال: فالتفت إليهم فقال: علام هؤلاء هاهنا؟ فمضى ومن اتبعه فقتل بها ثلاثمئة وحز رأس دريد بن الصمة فجعله بين يديه.
وذكر الهيثمي رواية البزار هذه وقال: وفيه علي بن عاصم بن مهيب وهو ضعيف لكثرة غلطه وتماديه فيه وقد وثق وبقية رجاله ثقات (المجمع ٦/ ١٧٩).

عبد الوارث ، وحدّثنا عبدُ الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث ، قال : حدّثنا أبي ، قال : أخبرَنا أبان العطار ، قال : حدّثنا هشام بن عُرْوة ، عن عروة ، قال : سارَ رسولُ الله ﷺ يوم حُنين من فوره ذلك - يعني منصرَفه من حنين - حتى نزلَ الطائف ، فأقام نصف شهر يقاتلهم رسولُ الله ﷺ وأصحابُه ، وقاتلتهم ثقيف من وراء الحِصْن؛ لم يخرج إليه في ذلك أحدٌ منهم؛ وأسلم مَنْ حولهم من الناس كلّهم؛ وجاءت رسول الله ﷺ وفودُهم؛ ثم رجع النبيّ ﷺ ولم يحاصرهم إلاّ نصفَ شهر حتى نزل الجِعْرانة؛ وبها السبْي الذي سَبَى رسولُ الله من حُنين من نسائهم وأبنائهم - ويزعمون أنّ ذلك السَّبْيَ الذي أصاب يومئذ من هوازن كانت عدّته ستّة آلاف من نسائهم وأبنائهم - فلمّا رجَع النبيّ ﷺ إلى الجِعْرانة ، قدمتْ عليه وفود هَوازِن مُسْلِمين ، فأعتق أبناءهم ونساءهم كلّهم ، وأهلّ بعُمْرةٍ من الجِعْرانة؛ وذلك في ذي القعدة.

ثم إنّ رسولَ الله ﷺ رجع إلى المدينة ، واستخلف أبا بكر رضي الله تعالى عنه على أهل مكة ، وأمره أن يقيم للناس الحجّ ، ويعلِّم الناس الإسلام ، وأمره أن يؤمّن مَنْ حجّ من الناس؛ ورجع إلى المدينة؛ فلما قَدِمها قَدِم عليه وفود ثَقيف ، فقاضوه على القضيّة التي ذكرت؛ فبايعوه ، وهو الكتاب الذي عندهم كاتبوه عليه[1] . (٣ : ٨٢/ ٨٣) .

---

(١) إسناده مرسل وهو صحيح إلى مرسله (عروة) ، واختلف أئمة المغازي والسير في مدة حصاره ﷺ لقصر الطائف فعروة بن الزبير يذكر في مرسله هذا أنه ﷺ لم يحاصرهم سوى نصف شهر وكذلك جاء من مرسل موسىٰ بن عقبة كما أخرجه البيهقي عنه في السنن الكبرىٰ (٩/ ٨٤) وبسند ضعيف إلى مرسله (موسى بن عقبة).

وأما ابن إسحاق فاختلفت رواياته في ذلك فعنه أن الحصار استمر (٢٥) يوماً (الدلائل ٣/ ٤٨) ، وأخرجه ابن هشام في السيرة (٢/ ٤٧٨) شهراً ، ولم نجد رواية صحيحة موصولة فيها ذكر لعدد أيام الحصار سوى رواية عند مسلم في صحيحه/ كتاب الزكاة/ باب إعطاء المؤلفة قلوبهم/ من طريق المعتمر بن سليمان عن أبيه قال: حدثني السّميط عن أنس بن مالك قال: افتتحنا مكة ثم إنا غزونا حنيناً. . . . الحديث وفيه: حتى هزمهم الله قال: فقبضنا ذلك المال ثم انطلقنا إلى الطائف فحاصرناهم أربعين ليلة. . . . إلى آخر الحديث.

قلنا: والحديث أخرجه أحمد في المسند (٣/ ١٥٨) ولقد ذكر المؤرخ الإسلامي الأستاذ العمري أقوال أئمة المغازي في مدة الحصار وناقشها وقال تعقيباً على -رواية- مسلم وأحمد: =

[أمر أموال هوازن وعطايا المؤلفة قلوبهم منها]

٢٦٥ ـ حدّثنا ابنُ حُميد ، قال: حدّثنا سلَمة قال: حدّثني محمد بن إسحاق ، قال: حدّثني عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جدّه عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال: أتى وفدُ هوازِن رسولَ الله ﷺ وهو بالجِعْرانة؛ وقد أسلموا ، فقالوا: يا رسولَ الله ، إنّا أصلٌ وعشيرة؛ وقد أصابنا من البلاء ما لا يخفى عليك ، فامننْ علينا مَنّ الله عليك! فقام رجل من هوازن ـ أحدُ بني سعد بن بكر ، وكان بنو سعد هم الذين أرضعوا رسول الله ﷺ ـ يقال له زهير بن صُرَد ، وكان يكنى بأبي صُرَد ، فقال: يا رسولَ الله؛ إنّما في الحظائر عمّاتك وخالاتك وحواضنك اللاتي كنّ يكفُلْنك! ولو أنا ملَحْنا للحارث بنِ أبي شمر أو للنعمان بن المنذر ، ثم نزل منّا بمثل ما نزلتَ به ، رجوْنا عطْفه وعائدته ، وأنت خير المكفولين! ثم قال:

امنُن علينا رسولَ اللهِ في كَرَمٍ ... فإنَّك المرءُ نرْجُوه ونَدَّخِرُ
امننْ علَى بَيْضةٍ قد عاقَها قدرٌ ... مُمَزَّقٌ شَمْلُهَا ، في دهرِهَا غِيَرُ

في أبيات قالها ، فقال رسولُ الله ﷺ: أبناؤكم ونساؤكم أحبُّ إليكم أم أموالكم؟ فقالوا: يا رسولَ الله؛ خيَّرتَنَا بين أحسابنا وأموالنا ، بل تردّ علينا نساءَنا وأبناءَنا فهم أحبّ إلينا ، فقال: أمّا ما كان لي ولبني عبد المطّلب فهو لكم؛ فإذا أنا صلّيت بالناس ، فقولوا: إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين ، وبالمسلمين

= وقد بين ابن كثير بعد إيراده هذا الحديث عن الإمام أحمد أن السميط راويه. . . وهم في مدة الحصار (البداية والنهاية ٤/ ٣٥٦). ا هـ. كلام العمري.

قلنا: وعند رجوعنا إلىٰ كلام ابن كثير (إيراده لحديث أحمد) وجدنا تعقيب الحافظ ابن كثير كالآتي:

وفيه (أي رواية أحمد) من الغريب قوله: أنهم كانوا يوم هوازن ستة آلاف وإنما كانوا في اثني عشر ألفاً ، وقوله: إنهم حاصروا الطائف أربعين ليلة وإنما حاصروها قريباً من شهر ودون العشرين ليلة فالله أعلم (البداية والنهاية ٣/ ٦٣٨).

قلنا: ولعل العمري أشار إلى موضع آخر لاختلاف النسخة التي اعتمدنا عن النسخة التي اعتمدها ولعل الحافظ قال هذا في كتابه الفصول في سيرة الرسول أو غير ذلك ، وما رواه مسلم أصح من بقية الروايات (في مدة الحصار) والله تعالى أعلم.

إلى رسول الله في أبنائنا ونسائنا؛ فسأعطيكم عند ذلك؛ وأسأل لكم؛ فلمّا صلى رسول الله ﷺ بالناس الظهر، قاموا فتكلّموا بالذي أمرهم به، فقال رسول الله: أمّا ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم، وقال المهاجرون: وما كان لنا فهو لرسول الله، وقالت الأنصار: وما كان لنا فهو لرسول الله. قال الأقرع بن حابس: أمّا أنا وبنو تميم فلا، وقال عُيينة بن حصن: أمّا أنا وبنو فَزارة فلا، [و] قال عباس بن مرداس: أمّا أنا وبنو سليم فلا، قالت بنو سليم: ما كان لنا فهو لرسول الله.

قال: يقول العباس لبني سليم: .وهّنتموني! فقال رسولُ الله ﷺ: أمّا مَنْ تمسّك بحقه من هذا السبي منكم فله بكلّ إنسان ستّ فرائض من أوّل شيء نُصيبه، فرَدّوا إلى الناس أبناءهم ونساءهم(1). (٣: ٨٦/ ٨٧).

---

(١) حديث عبد الله بن عمرو بن العاص هذا أخرجه ابن هشام في السيرة النبوية (٢/ ٤٨٨) وأحمد (٢/ ١٨٤) ولفظه:
(شهدت رسول الله ﷺ يوم حنين وجاءته وفود هوازن، فقالوا: يا محمد إنا أصل وعشيرة فمُنَّ علينا منَّ الله عليك فإنه قد نزل بنا من البلاء ما لا يخفىٰ عليك فقال: «اختاروا بين نسائكم وأموالكم وأبنائكم» قالوا: خيرتنا بين أحسابنا وأموالنا، نختار أبناءنا، فقال: «ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم، فإذا صليت الظهر فقولوا: إنا نستشفع برسول الله ﷺ على المؤمنين وبالمؤمنين على رسول الله ﷺ في نسائنا وأبنائنا».
قال: ففعلوا. فقال رسول الله ﷺ: «أمّا ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم» وقال المهاجرون: ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ وقالت الأنصار مثل ذلك، وقال عيينة بن بدر: أما ما كان لي ولبني فزارة فلا، وقال الأقرع بن حابس: أما أنا وبنو تميم فلا، وقال عباس بن مرداس: أما أنا وبنو سليم فلا. فقالت لحيان: كذبت!! بل هو لرسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس: ردوا عليهم نساءهم وأبناءهم فمن تمسك بشيء من الفيء فله علينا ستة فرائض من أول ما يفيء الله علينا».
ثم ركب راحلته وتعلق به الناس يقولون: اقسم علينا فيئنا بيننا، حتى ألجؤوه إلى سمرة فخطفت رداءه فقال: «يا أيها الناس، ردوا عليّ ردائي فو الله لو كان لكم بعدد شجر تهامة نعم لقسمته بينكم ثم لا تلقوني بخيلاً ولا جباناً ولا كذوباً».
ثم دنا من بعيره فأخذ وبرة من سنامه فجعلها بين أصبعيه السبابة والوسطى ثم رفعها فقال: «يا أيها الناس: ليس لي من هذا الفيء ولا هذه إلا الخمس والخمس مردود عليكم فردُّوا الخياط والمخيط، فإن الغلول يكون على أهله يوم القيامة عاراً وناراً وشناراً».
فقام رجل معه كبة من شعر فقال: إني أخذت هذه أصلح بها بردعة بعير لي دبر فقال: «أما =

٢٦٥/أ ـ ثم رجع الحديث إلى حديث عمرو بن شعيب ، قال: فلما فرغَ رسولُ الله ﷺ من ردّ سبايا حُنين إلى أهلها ، ركب واتّبعه الناس يقولون: يا رسولَ الله ، اقسمْ علينا فيئَنا الإبل والغنم ، حتى ألجؤوه إلى شجرة ، فاختطفت الشجرة عنه رداءه ، فقال: رُدُّوا عليَّ ردائي أيها الناس؛ فو الله لو كان لي عدد شجر تهامة نَعَماً لقسمتها عليكم ، ثم ما لقيتموني بخيلاً ولا جَبَاناً ولا كَذّاباً. ثم قام إلى جنب بعير ، فأخذ وَبَرَةً من سَنامه فجعلها بين أصبعيه ، ثم رفعها فقال: أيّها الناس ، إنه والله ليس لي من فيئكم ولا هذه الوبرة إلاّ الخُمس ، والخُمس مردودٌ عليكم ، فأدُّوا الخِياطَ والمخيط؛ فإن الغُلول يكون على أهله عاراً وناراً وشَنَاراً يوم القيامة. فجاءَه رجلٌ من الأنصار بكُبَّة من خيوط شَعَر فقال: يا رسولَ الله أخذتُ هذه الكُبّة أعملُ بها برذعة بعير لي دَبِر ، قال: أمّا نصيبي منها فلَكَ ، فقال: إنه إذا بلغت هذه فلا حاجةَ لي بها ، ثم طرحها من يده.

إلى ها هنا حديث عمرو بن شعَيْب[١]. (٣: ٨٩/ ٩٠).

= ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لك» فقال الرجل: يا رسول الله: أما إذ بلغت ما أرىٰ فلا أرب لي بها ونبذها).

ولقد ذكر الهيثمي رواية أحمد وقال: (رواه أبو داود باختصار شديد) رواه أحمد ورجال أحمد إسناديه ثقات (مجمع الزوائد ٦/ ١٨٨).

قلنا: والحديث في سنن أبي داود (٣/ح ٢٦٩٤) والبيهقي في الدلائل (٥/ ١٩٤) والحديث حسّنه الحافظ (فتح الباري ٨/ ٣٤) والله تعالى أعلم.

(١) جزء من حديث صحيح كما ذكرنا عند (٣/ ٨٦).

لقد ذكرنا الرواية (٣/ ٩٠/ ٣٤٦) في قسم الضعيف ولم نجد ما يؤيدها وبهذه التفاصيل.

إلا أن مسلماً أخرج في صحيحه (باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام ح ١٠٦٠):

«عن رافع بن خديج رضي الله عنه قال: أعطى رسول الله ﷺ أبا سفيان بن حرب ، وصفوان بن أمية ، وعيينة بن حصن والأقرع بن حابس كل إنسان منهم مئة من الإبل ، وأعطى عباس بن مرداس دون ذلك فقال عباس بن مرداس:

أتجعل نهبي ونهب العبيد ... بين عيينة والأقرع

فما كان بدر ولا حابس ... يفوقان مرداس في المجمع

وما كنت دون امرىء منهما ... ومن تخفض اليوم لا يرفع

قال: فأتم له رسول الله ﷺ مئة».

وأخرج أحمد نحوه (٣/ ٢٤٦) وذكره الحافظ في الفتح وقال: إسناده على شرط مسلم (الفتح ٨/ ٥٠).

=

٢٦٦ ـ حدّثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سَلمة ، قال: حدّثني محمد بن إسحاق ، عن نافع ، عن عبد الله بن عمر ، قال: أعطى رسولُ الله ﷺ عمرَ بن الخطاب جاريةً من سبي هوازن ، فوهبها لي ، فبعثت بها إلى أخوالي من بني جُمَح ليُصلِحوا لي منها حتى أطوف بالبيت ثم آتيهم؛ وأنا أريد أن أصيبَها إذا رجعت إليها ، قال: فخرجتُ من المسجد حين فرغت؛ فإذا الناس يشتدّون ، فقلت: ما شأنكم؟ قالوا: ردّ علينا رسولُ الله نساءَنا وأبناءَنا ، قال: قلت: تِلْكُمُ صاحبتكم في بني جُمح؛ اذهبوا فخذوها، فذهبوا إليها فأخذوها[(١)]. (٣: ٨٨).

٢٦٧ ـ حدّثنا ابنُ حُميد ، قال: حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال: حدّثني أبو عبيدة بن محمد ، عن مِقْسم أبي القاسم مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل ، قال: خرجت أنا وتليد بن كلاب الليثيّ حتى أتينا عبد الله بن عمرو بن العاص وهو يطوف بالبيت معلّقاً نعْلَيه بيده ، فقلنا له: هل حضرتَ رسولَ الله ﷺ حين كلّمه التميميُّ يوم حنين؟ قال: نعم ، أقبل رَجُلٌ من بني تميم يقال له ذو الخُوَيْصِرة ، فوقف على رسول الله ﷺ وهو يعطي الناس ، فقال: يا محمد قد رأيت ما صنعت في هذا اليوم! فقال رسول الله: أجل؛ فكيف رأيت؟ قال: لم أركَ عدلْتَ! فغضِب رسولُ الله ﷺ ، ثم قال: ويحك! إذا لم يكن العدل عندي ، فعند

= قلنا: وعند البخاري (في صحيحه/ باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه/ من حديث أنس بن مالك/ أن ناساً من الأنصار قالوا لرسول الله ﷺ حين أفاء الله على رسوله من أموال هوازن ما أفاء فطفق يعطي رجالاً من قريش المئة من الإبل. . . الحديث) (ح ٢٩٧٨).

وفي الباب نفسه من حديث أبي وائل عن عبد الله رضي الله عنه قال: لما كان يوم حنين آثر النبي ﷺ أناساً في القسمة فأعطى الأقرع بن حابس مئة من الإبل وأعطى عيينة مثل ذلك فأعطى أناساً من أشراف العرب فآثرهم يومئذ في القسمة. . . إلى آخر الحديث.

(١) إسناد الطبري ضعيف وأخرجه ابن هشام في السيرة من طريق ابن إسحاق فحدثني نافع مولى عبد الله بن عمر عن عبد الله بن عمر قال: بعثت بها إلى أخوالي من بني جمح. . . . الحديث. وإسناده حسن (سيرة ابن هشام ٢/ ٤٩٠).

وأخرج البخاري من طريق نافع عن ابن عمر أن عمر بن الخطاب قال: يا رسول الله إنه كان عليّ اعتكاف يوم في الجاهلية فأمره أن يفي به. قال: وأصاب عمر جاريتين من سبي حنين فوضعهما في بعض بيوت مكة قال: فمنّ رسول الله على سبي حنين فجعلوا يسقون في السكك فقال عمر: يا عبد الله انظر ما هذا؟

مَنْ يكون! فقال عمر بن الخطاب: يا رسولَ الله ، ألا نقتله! فقال: لا ، دعوه؛ فإنه سيكون له شيعة يتعمّقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرميّة ، يُنْظَرُ في النصل فلا يوجد شيء ، [ثم في القِدْح فلا يوجد شيءٌ]؛ ثم في الفُوق، فلا يوجد شيء؛ سَبَقَ الفَرْثَ والدّمَ[١] . (٣: ٩٢) .

٢٦٨ ـ حدّثنا ابنُ حُميد، قال: حدّثنا سلَمة، عن ابن إسحاق، عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي مثل ذلك؛ وسمّاه ذا الخويصرة التميمي[٢] . (٣: ٩٢) .

---

(١) إسناده إلى ابن إسحاق ضعيف ولكن أخرجه ابن هشام من طريق ابن إسحاق هذا (٢/ ٤٩١) وقد صرّح بالتحديث فإسناده حسن والحديث صحيح كما سنذكر بعد الرواية التالية.

(٢) إسناده ضعيف ويشهد له ما قبله وما سنذكر هنا فقد أخرج البخاري في (صحيحه/ كتاب المغازي/ باب غزوة الطائف/ ح ٤٣٣٥) عن عبد الله بن مسعود قال: (لما قسم النبي ﷺ قسمة حنين قال رجل من الأنصار: ما أراد بها وجه الله فأتيت النبي ﷺ فأخبرته فتغيّر وجهه ثم قال: رحمة الله على موسىٰ فقد أوذي بأكثر من هذا فصبر). وفي رواية لمسلم في صحيحه/ كتاب الزكاة/ باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام (ح ١٠٦٢):

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «فلما كان يوم حنين آثر رسول الله ﷺ ناساً في القسمة فأعطى الأقرع بن حابس مئة من الإبل وأعطى عيينة مثل ذلك وأعطى أناساً من أشراف العرب ، وآثرهم يومئذ في القسمة.

فقال رجل: والله إن هذه القسمة ما عدل فيها ، وما أريد فيها وجه الله ، قال: فقلت: والله لأخبرن رسول الله ﷺ قال: فأتيته فأخبرته بما قال: قال: فتغير وجهه حتى كان كالصرف ثم قال: (فمن يعدل إن لم يعدل الله ورسوله) قال: ثم قال: (يرحم الله موسىٰ فقد أوذي بأكثر من هذا فصبر) قال: قلت: لا جرم لا أرفع إليه بعدها حديثاً.

وأخرج البخاري في صحيحه (كتاب المغازي/ باب بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد رضي الله عنهما): عن عبد الرحمن بن أبي نعم قال: سمعت أبا سعيد الخدري يقول: بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ من اليمن بذهيبة في أديم مقروظ لم تحصل من ترابها قال: فقسمها بين أربعة نفر بين عيينة بن بدر وأقرع بن حابس وزيد الخيل والرابع إما علقمة وإما عامر بن الطفيل. فقال رجل من أصحابه: كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء قال: فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحاً ومساء. قال فقام رجل غائر العينين مشرف الوجنتين ناشز الجبهة كث اللحية محلوق الرأس مشمر الإزار ، فقال: يا رسول الله اِتق الله ، قال: ويلك أولست أحق أهل الأرض أن يتقي الله.

قال: ثم ولىٰ الرجل قال خالد بن الوليد: يا رسول الله ألا أضرب عنقه قال: لا لعله أن يكون=

٢٦٩ ـ قال أبو جعفر: وقد روي عن أبي سعيد الخُدْرِيّ أنّ الذي كلّم رسول الله ﷺ بهذا الكلام؛ إنما كلّمه به في مالٍ كان عليٌّ عليه السلام بعثه من اليمن إلى رسول الله ، فقسّمه بين جماعة؛ منهم عُيَينة بن حِصْن ، والأقرع ، وزيد الخيل؛ فقال حينئذ ما ذُكر عن ذي الخُوَيصرة أنه قاله رجل حضره[1]. (٣: ٩٢).

٢٧٠ ـ حدّثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن عاصم ابن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، عن أبي سعيد الخُدرِيّ ، قال: لما أعطَى رسولُ الله ما أعطى من تلك العطايا في قريش وقبائل العرب ، ولم يكن في الأنصار منها شيء ، وجَدَ هذا الحيّ من الأنصار في أنفسهم ، حتى كثُرَتْ منهم القالة؛ حتى قال قائلهم: لقيَ والله رسولُ الله قومَه! فدخل عليه سعد بن عُبادة فقال: يا رسولَ الله؛ إن هذا الحيّ من الأنصار قد وجَدوا عليك في أنفسهم لما صنعتَ في هذا الفيء الذي أصبت؛ قَسَمت في قومك وأعطيت عطايا عظاماً في قبائل العرب ، ولم يكن في هذا الحيّ من الأنصار شيء ، قال: فأين أنت من ذلك يا سعد! قال: يا رسول الله ما أنا إلاّ من قومي! قال: فاجمَعْ لي قومَك في الحظيرة. قال: فخرج سعدٌ فجمع الأنصار في تلك الحظيرة ، قال: فجاءَه رجالٌ من المهاجرين ، فتركهم فدخلوا ، وجاء آخرون فردّهم ، فلما اجتمعوا إليه أتاه سعدٌ فقال: قد اجتمع لك هذا الحيُّ من الأنصار ، فأتاهم رسولُ الله ﷺ ، فحمد

= يصلي فقال خالد: وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه قال رسول الله ﷺ: إني لم أؤمر أن أنقب قلوب الناس ولا أشق بطونهم قال: ثم نظر إليه وهو مقفٍ فقال: إنه يخرج من ضئضئ هذا قوم يتلون كتاب الله رطباً لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية وأظنه قال: لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود.

والحديث أخرجه مسلم (كتاب الزكاة/ ح ١٠٦٤) والبيهقي في الدلائل (٥/ ١٨٨).

قلنا: وللجمع بين الروايات يمكن القول بأن الرجل اعترض مرتين مرة عند قسمة غنائم حنين كما في حديث عبد الله ومرة عند مجيء تلك الأموال من اليمن. وراجع كلام الحافظ في الفتح (٨/ ٦٩) وكلام الأستاذ العمري من المعاصرين في السيرة النبوية (٢/ ٥١٤/ الحاشية).

(١) ذكر الطبري حديث أبي سعيد (بالمعنى) ودون إسناد والحديث متفق عليه كما ذكرنا (من حديث أبي سعيد) وراجع الرواية السابقة (٣/ ٩٢/ ٢٦٨).

الله وأثنى عليه بالذي هو له أهلٌ ، ثم قال: يا معشرَ الأنصار ، ما قالةٌ بلغتني عنكم ، ومَوْجِدَةٌ وجدتموها في أنفسكم! ألم آتكم ضُلاّلاً فهداكم الله؛ وعالةً فأغناكم الله ، وأعداءً فألّف الله بين قلوبكم! قالوا: بلَى ، لله ولرسوله المنُّ والفضل! فقال: ألا تجيبوني يا معشر الأنصار! قالوا: وبماذا نُجيبُكَ يا رسول الله ، لله ولرسوله المنُّ والفضلُ! قال: أما والله لو شئتم لقلتم فصَدَقْتم ، ولَصُدّقْتم؛ أتيتنا مُكَذَّباً فصَدَّقناك ، ومخذولاً فنصرناك ، وطريداً فآويناك ، وعائلاً فآسيناك؛ وجَدْتم في أنفسكم يا معشر الأنصار في لُعَاعة من الدنيا تألّفْتُ بها قوماً ليسلموا ، ووكلتكم إلى إسلامكم! أفلا ترضَوْن يا معشر الأنصار؛ أن يذهب الناس بالشاء والبعير ، وترجعوا برسول الله إلى رحالِكم! فو الذي نفس محمد بيده؛ لولا الهجرةُ لكنت امرأ من الأنصار ، ولو سلك الناسُ شِعْباً وسلكت الأنصار شِعْباً ، لسلكتُ شِعْب الأنصار! اللهمّ ارْحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار!

قال: فبكى القوم حتى أخْضَلوا لحاهم ، وقالوا: رضينا برسول الله قِسماً وحظًّا ، ثم انصرف رسول الله ﷺ وتَفرّقوا[1] . (٣: ٩٣/ ٩٤) .

[عمرة رسول الله من الجعرانة]

٢٧١ - حدّثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال: ثم خرجَ رسولُ الله ﷺ من الجِعْرانة معتمراً ، وأمر ببقايا الفيء ، فحبس بمِجَنّةَ ،

---

(١) في إسناده ابن حميد الرازي (شيخ الطبري) ضعيف ولكن له متابع عند ابن هشام فقد أخرجه من طريق ابن إسحاق هذا (٢/ ٤٩٨) وسنده حسن والحديث أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٧٦).

وذكر الحافظ ابن كثير حديث أبي سعيد هذا من رواية يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق (بطوله كما عند الطبري) ثم قال الحافظ عقب الحديث:

وهكذا رواه أحمد من حديث ابن إسحاق ولم يروه أحد من أصحاب الكتب من هذا الوجه وهو صحيح (البداية والنهاية ٣/ ٦٤١)

قلنا: ونسبه الهيثمي إلى عبد الرزاق وأبو يعلىٰ وأحمد ، وصحح أسانيدهم (مجمع الزوائد ١٠/ ٣٠).

قلنا: وصححه من المعاصرين الألباني (السيرة النبوية للغزالي/ ٤٢٩).

وهي بناحية مَرّ الظَّهران ، فلمّا فرغ رسول الله من عُمْرته وانصرف راجعاً إلى المدينة؛ استخلف عتّاب بن أسيد على مكة ، وخلف معه معَاذَ بن جبل يُفَقّهُ الناس في الدين ويعلّمهم القرآن ، واتُّبع رسول الله ﷺ ببقايا الفيء[1]. (٣: ٩٤).

[ثم دخلت سنة تسع]

أمر ثقيف وإسلامها

٢٧٢ ـ فلمّا أسلموا وكتب لهم رسول الله ﷺ كتابهم؛ أمَّرَ عليهم عثمان بن أبي العاص ـ وكان من أحدثِهم سنًّا ـ وذلك أنه كان أحرصَهم على التفقه في الإسلام وتعلّم القرآن ، فقال أبو بكر لرسول الله ﷺ : يا رسول الله ؛ إني قد رأيتُ هذا الغلام فيهم من أحرصهم على التفقه في الإسلام وتعلّم القرآن[2]. (٣: ٩٩).

---

(١) إسناده معضل وقد صحّ خبر عمرته من الجعرانة كما أخرج البخاري في (صحيحه/ كتاب المغازي/ ح ٤١٤٨) ومسلم (كتاب الحج/ ح ٢١٧) من حديث قتادة قال: سألت أنس بن مالك قلت: كم حجّ رسول الله ﷺ؟ قال: حجة واحدة. واعتمر أربع مرات عمرته زمن الحديبية وعمرته من ذي القعدة من المدينة وعمرته من الجعرانة من ذي القعدة حيث قسم غنيمة حنين وعمرته مع حجته.
وأخرج البخاري في صحيحه (فضائل القرآن/ ح ٤٩٨٥) من حديث يعلى بن منبه رضي الله عنه قال: (جاء رجل إلى النبي ﷺ وهو بالجعرانة وعليه جبة. . . . إلى آخر الحديث).
والحديث أخرجه مسلم (ح ١١٨٠) ولم يرد عند البخاري ومسلم ولا عند أبي داود (ح ١٩٩٣) وابن ماجه (٣٠٠٣) استخلاف عتاب بن أسيد على مكة والله أعلم.

(٢) خبر تأمير عثمان بن أبي العاص على أهل الطائف صحيح كما أخرج ابن ماجه (باب الفزع والأرق وما يتعوذ منه/ ح ٣٥٤٨) عن عثمان بن أبي العاص قال: لما استعملني رسول الله ﷺ على الطائف جعل يعرض لي شيء في صلاتي. . . . الحديث.
وأخرج أبو داود في سننه (١/١٤٦/ح ٥٣١) عن عثمان بن أبي العاص (قال: قلت يا رسول الله اجعلني إمام قومي. قال: أنت إمامهم واقتد بأضعفهم واتخذ مؤذناً لا يأخذ على أذانه أجراً) وإسناده صحيح.
وأخرج ابن ماجه (١/ح ٩٨٧) عن عثمان بن أبي العاص قال: (كان آخر ما عهد إليّ النبي ﷺ حين أمّرني على الطائف قال لي: يا عثمان تجاوز في الصلاة واقدر الناس بأضعفهم =

وفي هذه السنة غزا رسول الله ﷺ تبوك. [ذكر الخبر عن غزوة تبوك][(١)].

٢٧٣ ـ ثم إنّ رسولَ الله ﷺ جَدَّ في سفره، فأمر الناس بالجهاز والانكماش، وحضَّ أهل الغنَى على النفقة والحُمْلان في سبيل الله، ورغَّبهم في ذلك، فحمل رجال من أهل الغنى فاحتسبوا، وأنفق عثمان بن عفان في ذلك نفقة عظيمة لم ينفق أحدٌ أعظمَ من نفقته[(٢)]. (٣: ١٠٢).

٢٧٤ ـ قال ابن إسحاق: وخلّف رسولُ الله ﷺ عليّ بن أبي طالب على أهله، وأمره بالإقامة فيهم، واستخلَف على المدينة سِبَاع بنِ عُرْفُطَة، أخا بني غِفار، فأرجف المنافقون بعليّ بن أبي طالب، وقالوا: ما خَلّفه إلا استثقالاً له، وتخفّفاً منه. فلما قال ذلك المنافقون، أخذ عليٌّ سلاحَه ثم خرج حتى أتى رسولَ الله ﷺ وهو بالجُرف فقال: يا نبيّ الله؛ زعم المنافقون أنّك إنّما خَلّفتَني؛ أنك استثقلتَني وتخففّتَ منّي! فقال: كذبوا، ولكني إنما خلّفتُك لما ورائي، فارجع فاخلُفْني في أهلي وأهلك؛ أفلا ترضَى يا عليّ أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؛ إلاّ

= فإن فيهم الكبير والصغير والسقيم والبعيد وذا الحاجة) اهـ وحديث عثمان بن أبي العاص أخرجه أحمد (٤/ ٢١٧) والله تعالى أعلم.

(١) ٣/ ١٠٠ قال الحافظ في الفتح (٨/ ١١١) كانت غزوة تبوك في شهر رجب من سنة تسع قبل حجة الوداع بلا خلاف. اهـ.

(٢) أخرج الحاكم في المستدرك عن عبد الرحمن بن سمرة قال: (جاء عثمان رضي الله عنه إلى النبي ﷺ بألف دينار حين جهز جيش العسرة ففرغها عثمان في حجر النبي ﷺ قال فجعل النبي يقلبها ويقول: ما ضر ما عمل بعد هذا اليوم. قالها مراراً).
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي (المستدرك مع التلخيص ٣/ ١٠٢).
والحديث أخرجه الترمذي في سننه (باب مناقب عثمان بن عفان/ ح ٣٧٠١) وأحمد (٥/ ٦٣) والله أعلم.
وأما حثه ﷺ أصحابه على النفقة في سبيل الله وتجهيز جيش العسرة فقد جاء في صحيح البخاري/ كتاب الوصايا/ باب إذا وقف أرضاً أو بئراً من حديث أبي عبد الرحمن أن عثمان رضي الله عنه حين حوصر... الحديث وفيه: (ألستم تعلمون أنه قال: من جهز جيش العسرة فله الجنة فجهزتهم قال: فصدقوه بما قال).

أنه لا نبيّ بعدي! فرجع عليٌّ إلى المدينة ، ومضى رسولُ الله ﷺ على سفره[١]. (٣: ١٠٣/ ١٠٤).

٢٧٥ ـ ثم إنّ أبا خَيْثَمة أخا بني سالم رجع ـ بعد أن سارَ رسول الله ﷺ أياماً ـ إلى أهله في يوم حارّ ، فوجد امرأتين له في عريشين لهما في حائط ، قد رشّتْ كلُّ واحدة منهما عريشَها وبرّدتْ له فيه ماءً ، وهيّأتْ له فيه طعاماً؛ فلمّا دخل فقام على باب العريشين؛ فنظر إلى امرأتيه وما صنعتا له ، قال: رسولُ الله في الضِّحِّ والريح ، وأبو خيثمة في ظلال باردة وماء بارد وطعام مهيّأ وامرأة حسناء ، في ماله مقيمٌ! ما هذا بالنَّصَف! ثمّ قال: والله لا أدخل عريش واحدةٍ منكما حتى ألحقَ برسول الله؛ فهيّئَا لي زاداً؛ ففعلتَا. ثم قدّم ناضِحَه فارتحله ، ثمّ خرج في طلب رسول الله ﷺ حتى أدركه حين نزل تبُوك ، وقد كان أدرك أبا خيثمة عميرُ بن وهب الجُمحيّ في الطريق ، يطلبُ رسولَ الله ﷺ ، فترافقا حتى إذا دَنَوا من تبوك قال أبو خيثمة لعُمير بن وهب: إنّ لي ذنباً ، فلا عليك أن تَخلّفَ عنّي حتى آتيَ رسولَ الله ﷺ. ففعل ، ثم سار حتى إذا دنا من رسولِ الله ﷺ وهو نازل بتَبوك قال الناس: يا رسول الله ، هذا راكب على الطريق مقبل ، فقال رسول الله: كُنْ أبا خيثمة! فقالوا: يا رسول الله ، هو والله أبو خيثمة! فلمّا أناخ أقبلَ فسلّم على رسول الله ﷺ ، فقال له رسولُ الله: أوْلَى لك يا أبا خيثمة! ثم أخبر رسولَ الله الخبر ، فقال له رسولُ الله ﷺ خيراً ، ودعا له بخير[٢]. (٣/ ١٠٤/ ١٠٥).

---

(١) لقد ذكر الطبري هذا الخبر من قول ابن إسحاق بلا إسناد وكذلك أخرجه ابن هشام عن ابن إسحاق معضلاً. ولكن استخلاف علي فثابت في الصحيح ـ فقد أخرج البخاري في صحيحه/ كتاب المغازي/ باب غزوة تبوك/ ح ٤٤١٦ ، من طريق مصعب بن سعد عن أبيه أن رسول الله ﷺ خرج إلى تبوك واستخلف علياً فقال: أتخلفني في الصبيان والنساء. قال: ألا ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسىٰ إلا أنه ليس نبي بعدي.
والحديث أخرجه مسلم (باب فضائل علي ح ٢٤٠٤).

(٢) ذكر الطبري هذا الخبر من قول ابن إسحاق وهو كذلك في سيرة ابن هشام وفي رواية مسلم (لحديث كعب بن مالك وتوبته) إشارة إلى أصل القصة فقد جاء في (صحيح مسلم/ كتاب التوبة/ باب الصدق في التوبة/ ح ٢٧٦٩) من حديث كعب بن مالك الطويل وفيه:
(فسكت رسول الله ﷺ فبينما هو علىٰ ذلك إذ رأىٰ رجلاً مبيضاً يزول به السراب ، فقال رسول الله ﷺ: كن أبا خيثمة فإذا هو أبو خيثمة الأنصاري . . . الحديث). =

٢٧٦ ـ وقد كان رسولُ الله ﷺ حين مرّ بالحِجْر نزلها واستقى الناس من بئرها ، فلمّا راحوا منها قال رسولُ الله ﷺ : لا تشربُوا من مائها شيئاً ، ولا تتوضّؤوا منها للصلاة ، وما كان من عجين عجنتموه فاعلفوه الإبل ، ولا تأكلوا منه شيئاً ، ولا يخرجنّ أحد منكم الليلة إلا ومعه صاحب له؛ ففعل الناس ما أمرهم به رسولُ الله ﷺ إلا رجُلين من بني ساعدة؛ خرج أحدهما لحاجته ، وخرج الآخر في طلب بعير له ، فأما الذي ذهب لحاجته فإنه خُنِقَ على مذهبه ، وأما الذي ذهب في طلب بعيره فاحتملْته الريح حتى طرحته في جبلَيْ

= وأخرج الطبراني في المعجم الكبير (ح٥٤١٩) عن سعد بن خيثمة قال:
تخلفت عن رسول الله ﷺ فدخلت حائطاً فرأيت عريشاً قد رُش بالماء ورأيت زوجتي ، فقلت: ما هذا بالإنصاف ، إن رسول الله ﷺ في السموم والحميم وأنا في الظل والنعيم فقمت إلى ناضح فاحتقبته وإلى ثمرات فتزودتها ، فنادت زوجتي: إلى أين يا أبا خيثمة ؟ فخرجت أريد رسول الله ﷺ حتى إذا كنت ببعض الطريق لقيني عمير بن وهب فقلت لما اطلعت: إنك رجل جريء وإني أعرف لِمَ جئت النبي ﷺ وإني امرؤ مذنب، فتخلف عني حتى أخلو برسول الله ﷺ فتخلف عني عمير ، فلما طلعت على العسكر؛ فرآني الناس ، فقال رسول الله ﷺ : «كن أبا خيثمة» فجئت فقلت: كدت أهلك يا رسول الله. فحدثته حديثي فقال لي رسول الله ﷺ خيراً ودعا لي.
وذكره الهيثمي وقال: رواه الطبراني وفيه يعقوب بن محمد الزهري وهو ضعيف (مجمع الزوائد ٦/ ١٩٣).
قلنا: ويعقوب بن محمد الزهري هذا ضعفه أبو زرعة وأبو حاتم وأحمد. وقال ابن عدي: ليس بمعروف. فتعقبه الذهبي بقوله: قلت: سبب عدم معرفته ابن عدي به أنه ما لحق أصحابه ولا نشط كتابة حديثه عن أصحاب أصحابه وإلاّ فالرجل مشهور مكثر ونقل الذهبي قول ابن سعد فيه:
جالس العلماء وكان حافظاً وقال ابن معين: ما حدّث عن الثقات فاكتبوه (الميزان ٤/ ٤٥٤/ ت ٩٨٢٦).
قلنا: ومثل هذا يصلح حديثه في الشواهد والمتابعات والله تعالى أعلم. وفي حديث مسلم تأييد لأصل القصة أي تخلفه في بداية الغزوة ثم لحوقه برسول الله ﷺ إضافة إلى ما سبق فقد قال الحافظ ابن كثير بعد سرده لقصة أبي خيثمة عن ابن إسحاق معضلاً:
وقد ذكر عروة بن الزبير وموسىٰ بن عقبة قصة أبي خيثمة بنحوٍ من سياق محمد بن إسحاق وأبسط (البداية والنهاية ٣/ ٦٧٤) وهذه الطرق تتقوىٰ ببعضها ويؤيدها ما في رواية مسلم والله تعالى أعلم.

طيّىء، فأخبر بذلك رسولُ الله ﷺ فقال: ألم أنهكم أن يخرج منكم أحدٌ إلا ومعه صاحب له! ثم دعا للّذي أصيب على مذهبه فشُفِيَ، وأما الآخر الذي وقع بجبلَيْ طيّىء؛ فإنّ طيئاً هدتْهُ لرسول الله ﷺ حين قدم المدينة.

قال أبو جعفر: والحديث عن الرجلين[1]. (٣: ١٠٥).

٢٧٧ - حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلَمة، عن ابن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر، عن العبّاس بن سهل بن سعد الساعديّ: فلما أصبح النّاس - ولا ماءَ معهم - شكَوْا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فدعا الله، فأرسل الله سحابة فأمطرت حتى ارتوَى الناس، واحتملوا حاجتهم من الماء[2]. (٣: ١٠٥).

---

(١) هكذا ذكر الطبري هذا الخبر عن ابن إسحاق وكذلك أخرجه ابن هشام عن ابن إسحاق معضلاً (٢/ ٥٢١) ولكن ابن كثير أخرج هذه الرواية من طريق يونس بن بكير عن ابن إسحاق حدثني عبد الله بن أبي بكر بن حزم عن العباس بن سهل الساعدي به (كما عند ابن إسحاق) (البداية والنهاية ٣/ ٦٧٨).
وهذا إسناد مرسل حسن إلى مرسله (العباس).
وأخرج البخاري في صحيحه/ باب قوله تعالى ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾ (ح/ ٣٣٧٩).
عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ لما نزل الحجر في غزوة تبوك أمرهم أن لا يشربوا من بئرها ولا يستقوا منها فقالوا: قد عجنا منها واستقينا. فأمرهم أن يطرحوا ذلك العجين، ويهريقوا ذلك الماء.
والحديث أخرجه مسلم/ باب لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم (ح ٢٩٨١).
وليس في رواية الصحيحين ما ورد في الشطر الأخير من رواية الطبري وابن كثير عن الرجلين والله تعالى أعلم.

(٢) هذا إسناد مرسل ضعيف وله ما يؤيده من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما أخرج البزار والطبراني عن ابن عباس قال: قيل لعمر بن الخطاب: حدثنا عن شأن العسرة؟ فقال عمر:
خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى تبوك في قيظٍ شديد، فنزلنا منزلاً، أصابنا فيه عطش شديد حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع، حتى إن كان أحدنا يذهب يلتمس الخلاء حتى يظن أن رقبته تنقطع وحتى إن الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويضعه على بطنه.
فقال أبو بكر الصديق: يا رسول الله: إن الله عوّدك في الدعاء خيراً، فادع الله، فقال النبي ﷺ: «أتحب ذلك يا أبا بكر؟» قال: نعم. قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء، فأظلت ثم سكبت، فملؤوا ما معهم، ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر.
=

٢٧٨ ـ حدّثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سلَمة عن محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، قال: قلت لمحمود بن لَبِيد: هل كان الناس يعرفون النفاق فيهم؟ قال: نعم؛ والله إن كان الرجل ليعرفه من أخيه ومن أبيه ومن عمّه ومن عشيرته ، ثم يلبس بعضهم بعضاً على ذلك؛ ثم قال محمود: لقد أخبرني رجالٌ من قومي عن رجل من المنافقين معروف نفاقُه ، كان يسير مع رسول الله ﷺ حيث سار ، فلما كان من أمر الماء بالحِجْر ما كان ، ودعا رسولُ الله ﷺ حين دعا ، فأرسل الله السحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس ، أقبلنا عليه نقول: ويْحَك! هل بعد هذا شيء! قال: سحابة مارّةٌ[1]. (٣: ١٠٥/ ١٠٦).

٢٧٩ ـ ثمّ إنّ رسولَ الله ﷺ سار حتى إذا كان ببعض الطريق ضلّتْ ناقتُه ، فخرج أصحابُه في طلَبها ، وعند رسول الله ﷺ رجلٌ من أصحابه ، يقال له عُمارة بن حزم ، وكان عقَبيًّا بدريًّا ، وهو عمّ بني عمرو بن حزم ، وكان في رحله زيد بن لُصَيْب القَيْنُقاعيّ ، وكان منافقاً ، فقال زيد بن لُصَيب وهو في رحل عُمارة وعُمارة عند رسول الله ﷺ: أليس يزعم محمد أنه نبيّ يخبركم عن خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته! فقال رسولُ الله ﷺ ـ وعمارة عنده: إن رجلاً قال: إنّ محمداً هذا يخبركم أنه نبيّ ، وهو يزعم أنه يخبركم بخبر السماء وهو لا يدري أين ناقته! وإني والله ما أعلم إلاّ ما علّمني الله ، وقد دلني الله عليها ، وهي في الوادي من شِعْب كذا وكذا قد حبستْها شجرة بزمامها ، فانطلقوا حتى تأتُوا بها ، فذهبوا فجاؤوا بها ، فرجع عُمارة بن حزم إلى أهله ، فقال: والله لَعجبٌ من شيء حدّثناه رسول الله ﷺ آنفاً عن مقالة قائل أخبره الله عنه كذا وكذا ـ للذي قال زيد بن اللُّصَيب ـ فقال رجُلٌ ممن كان في رحْل عمارة ، ولم يحضر رسول الله:

= وقال الهيثمي: رواه البزار والطبراني في الأوسط ورجال البزار ثقات (مجمع الزوائد ٦/ ١٩٥) وراجع تعليق الألباني (السيرة النبوية للغزالي/ ٤٤٠) والحديث أخرجه البيهقي (دِلائل النبوة ٥/ ٢٣١) وجوّد الحافظ إسناده. وقال: ولم يخرجوه من هذا الوجه (البداية والنهاية ٣/ ٦٧٥) والله تعالى أعلم.

(١) شيخ الطبري هذا ضعيف ولكن أخرجه ابن هشام عن طريق ابن إسحاق هذا وقد صرّح ابن إسحاق بالتحديث (٢/ ٥٢٣) ولكنه مرسل فمحمود بن لبيد لم يذكر أسماء الصحابة الذين رووا له الحادثة إلاّ أن محموداً هذا صحابي صغير كما قال الحافظ وجلّ روايته عن الصحابة (ت ٦٥١٧) فلعل روايته هذه من مراسيل الصحابة والله تعالى أعلم.

زيد والله قال هذه المقالة قبل أن تأتيَ. فأقبل عمارة على زيد يَجَأ في عنقه، ويقول: يا عباد الله، والله إنّ في رَحلِي لداهية وما أدري! اخرج يا عدوّ الله من رحلي فلا تصحبني[1]. (٣: ١٠٦).

٢٨٠ - ثم مضى رسولُ الله ﷺ سائراً؛ فجعل يتخلّف عنه الرجل فيقولون: يا رسولَ الله، تخلّف فلان، فيقول: دعوه، فإن يكُ فيه خير فسيُلْحِقه الله بكم، وإنْ يكُ غير ذلك فقد أراحكم الله منه؛ حتى قيل: يا رسول الله، تخلّف أبو ذرّ وأبطأ به بعيره؛ فقال: دعوه، فإنْ يك فيه خير فسيُلحقه الله بكم، وإن يَكُ غيرَ ذلك فقد أراحكم الله منه.

قال: وتلوّم أبو ذرّ على بعيره، فلما أبطأ عليه أخذ متاعَه، فحمله على ظهره، ثم خرج يتبع أثر رسول الله ماشياً، ونزل رسولُ الله في بعض منازله، فنظره ناظرٌ من المسلمين، فقال: يا رسولَ الله، إنّ هذا الرجل يمشي على الطريق وحده، فقال رسولُ الله ﷺ: كن أبا ذرّ! فلمّا تأمله القوم، قالوا: يا رسول الله، هو أبو ذرّ! فقال رسولُ الله ﷺ: يرحم الله أبا ذرّ! يمشي وحده، ويموت وحده، ويُبْعث وحده.

حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن بُرَيْدة بن سفيان الأسلميّ، عن محمّد بن كعب القُرظيّ، قال: لما نفى عثمان أبا ذرّ نزل أبو ذرّ الرّبَذَة، فأصابه بها قَدَره، ولم يكن معه أحدٌ إلاّ امرأته وغلامه، فأوصاهما أن غَسّلاني وكَفّناني، ثم ضعاني على قارعة الطريق، فأوّل ركْب يمرّ بكم فقولوا: هذا أبو ذرّ صاحب رسول الله فأعينونا على دفنه. فلما مات فعلا ذلك به، ثم وضعاه على قارعة الطريق، فأقبل عبد الله بن مسعود ورهطٌ من أهل العراق عُمّاراً، فلم يَرُعْهم إلاّ بجنازة على الطريق قد كادت الإبل تطؤها، وقام إليهم الغلام، فقال: هذا أبو ذرّ صاحب رسول الله، فأعينونا على دفنه. قال: فاستهلّ عبدُ الله بن مسعود يبكي، ويقول: صدق رسول الله! تمشي وحدَك، وتموت وحدك، وتُبْعث وحدك! ثم نزل هو وأصحابه فوارَوْه.

---

(١) ذكر الطبري هذا الخبر من قول ابن إسحاق وأخرجه ابن هشام من طريق ابن إسحاق حدثني عاصم بن عمر عن محمد بن لبيد عن رجال من بني عبد الأشهل.

ثمّ حدّثهم ابن مسعود حديثه وما قال له رسول الله في مسيره إلى تبوك[١]. (٣: ١٠٧).

٢٨١ ـ قال: وقد كان رهط من المنافقين، منهم وديعة بن ثابت أخو بني عمرو بن عوف، ومنهم رجل من أَشْجَع حليفٌ لبني سلمة، يقال له مَخشيّ بن حُمَيِّر، يسيرون مع رسولِ الله ﷺ وهو منطلق إلى تبوك، فقال بعضهم لبعض: أتحسبون قتال بني الأصفر كقتال غيرهم! والله لكأنّي بكم غداً مُقَرَّنين في الحبال؛ إرْجَافاً وترهيباً للمؤمنين. فقال مخشيّ بن حميِّر: والله لوَدِدْتُ أنّى أقاضَى على أن يُضرب كلّ رجل منّا مئة جلدة، وأنا ننفلت أن يُنزِل الله فينا قرآناً لمقالتكم هذه. وقال رسولُ الله ﷺ ـ فيما بلغني ـ لعمّار بن ياسر: أدرك القوم، فإنهم قد احترقوا، فسلْهم عمّا قالوا؛ فإن أنكروا فقل: بلى قد قلتم كذا وكذا. فانطلق إليهم عمّار فقال لهم ذلك؛ فأتوْا رسول الله يعتذرون إليه، فقام وديعة بن ثابت ورسول الله واقف على ناقته، فجعل يقول وهو آخذ بحَقَبِها: يا رسول الله، كنّا نخوض ونلعب؛ فأنزل الله عزّ وجلّ فيهم: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ وقال مخشي بن حميِّر: يا رسول الله، قعد بي اسمي واسم أبي؛ فكان الذي عُفِيَ عنه في هذه الآية مخشيّ بن حميِّر؛ فسمّي عبد الرحمن، وسأل الله أنْ يقتله شهيداً لا يُعلَم مكانه، فقُتل يوم اليمامة فلم يوجد له أثر[٢]. (٣: ٢٠٨).

---

(١) لم يذكر الطبري إسناد الرواية ولكنه بيّن في نهاية الصفحة أن الصحابي راوي الحديث هو عبد الله بن مسعود والذي روىٰ عنه هو محمد بن كعب القرظي. ولقد أخرج الحافظ ابن كثير هذا الخبر بطوله من طريق رواية ابن إسحاق (يونس بن بكير) عن شيخه محمد بن إسحاق عن بريدة بن سفيان عن محمد بن كعب القرظي عن عبد الله بن مسعود ثم قال في نهاية الخبر: إسناده حسن ولم يخرجوه (البداية والنهاية ٣/ ٦٧٤).

(٢) ذكر الطبري هذا الخبر من قول ابن إسحاق معضلاً، وأما متنه فلم نجد ما يشهد للشطر الأول سوى ما أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ٦٣) عن ابن عمر بسند رجاله ثقات غير هشام بن سعد الذي قال فيه ابن عدي مع ضعفه: يكتب حديثه.
وقال الحاكم: أخرج له مسلم في الشواهد (الميزان ٤/ت ٩٢٢٤).
ولفظه: (قال رجل في غزوة تبوك في مجلس يوماً: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء ولا أرغب بطوناً ولا أكذب ألسنة ولا أجبن عند اللقاء. فقال رجل في المجلس: كذبت، ولكنك منافق=

٢٨٢ ـ فلما انتهى رسولُ الله ﷺ إلى تبوكَ ، أتاه يُحَنّة بن رُؤبة ، صاحب أيلَة ، فصالح رسولَ الله ﷺ وأعطاه الجزية ، وأهل جَرْباء وأذْرُح أعطوْه الجزية ، وكتب رسولُ الله ﷺ لكل كتاباً ؛ فهو عندهم[1] . (٣ : ١٠٨) .

٢٨٣ ـ حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثني محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن أنس بن مالك ؛ قال : رأيتُ قَباء أكيدر حين قُدِم به إلى رسول الله ﷺ ، فجعل المسلمون يلمسونه بأيديهم ، ويتعجّبون منه ، فقال رسول الله : أتَعْجَبون من هذا! فو الذي نفس محمد بيده

= لأخبرن رسول الله ﷺ ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ونزل القرآن . قال عبد الله : فأنا رأيته متعلقاً بحقب ناقة رسول الله ﷺ والحجارة تنكيه ، وهو يقول : يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب ، والنبي ﷺ يقول : ﴿ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾ .

وأما الجزء الباقي من حديث الطبري فيؤيده حديث كعب بن مالك عند ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ٦٤) ولفظه :

(قال مخشي بن حمير : لوددت أني أقاضى على أن يضرب كل رجل منكم مئة على أن ينجو من أن ينزل فينا قرآن . فقال رسول الله ﷺ لعمار بن ياسر : «أدرك القوم ، فإنهم قد احترقوا ، فسلهم عما قالوا؟ فإن هم أنكروا وكتموا فقل بل : قد قلتم كذا وكذا» فأدركهم فقال لهم : فجاؤوا يعتذرون فأنزل الله ﴿ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ . . ﴾ الآية فكان الذي عفا الله عنه مخشي بن حمير فتسمى عبد الرحمن وسأل الله أن يقتل شهيداً وألا يعلم بمقتله ، فقتل باليمامة لا يعلم مقتله ولا من قتله ولا يرى له أثر ولا عين) .

قلنا : ورجاله ثقات والله تعالى أعلى وأعلم .

(١) ذكر الطبري هذا الجزء من قول ابن إسحاق بلاغاً ولكن أخرج البخاري في مواضع من صحيحه منها ما أخرجه في (كتاب الزكاة/ باب مرض النبي ح/ ١٤١١) عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال : غزونا مع النبي ﷺ غزوة تبوك . . . . الحديث وفيه :

(وأهدى ملك أيلة للنبي ﷺ بغلة بيضاء وكساه برداً وكتب له ببحرهم . . . إلى آخر الحديث) . وأخرجه مسلم في (صحيحه/ كتاب الفضائل/ باب في معجزاته ﷺ/ح ١٣٩٢) من حديث أبي حميد كذلك وفيه :

(وجاء رسول ابن العلماء صاحب أيلة إلى رسول الله بكتاب وأهدىٰ له بغلة بيضاء فكتب إليه رسول الله ﷺ وأهدى له برداً . . . . الحديث) والله تعالى أعلم .

والحديث أخرجه أحمد والله تعالى أعلم .

لمناديل سعدِ بن معاذ في الجنة أحسنُ من هذا![1] (٣: ١٠٩).

٢٨٤ ـ ثم انصرَف قافلاً إلى المدينة، فكان في الطريق ماء يخرج من وَشَلٍ ما يرْوِي الراكبَ والراكبَيْن والثلاثة، بوادٍ يقال له وادي المُشَقّق، فقال رسول الله ﷺ: مَنْ سبقنا إلى ذلك الماء فلا يَسْتَقِيَنَّ منه شيئاً حتى نأتيَه. قال: فسبقه إليه نفرٌ من المنافقين فاستقوْا ما فيه، فلما أتاه رسولُ الله ﷺ وقف عليه فلم يرَ فيه شيئاً؛ فقال: مَنْ سبقنا إلى هذا الماء؟ فقيل له: يا رسول الله، فلان وفلان، فقال: أوَ لم نَنْهَهم أن يستقُوا منه شيئاً حتى نأتيه! ثم لعنهم رسولُ الله، ودعا عليهم. ثمّ نزل ﷺ، فوضع يده تحت الوَشَل، فجعل يصبّ في يده ما شاء الله أن يصبّ، ثم نضحه به ومسحه بيده، ودعا رسولُ الله ﷺ بما شاء الله أن يدعوَ، فانخرق من الماء ـ كما يقول مَنْ سمعه: إنّ له حِسًّا كحمى الصواعق؛ فشرب الناس واستقوْا حاجتهم منه، فقال رسولُ الله ﷺ: مَنْ بَقِيَ منكم ليَسمعنّ بهذا الوادي؛ وهو أخصب ما بين يديه وما خلفه[2]. (٣: ١٠٩/١١٠).

---

(١) هذا إسناد ضعيف ولكن أخرجه ابن هشام من طريق ابن إسحاق حدثني عاصم بن عمر عن أنس بن مالك وإسناده حسن (٢/ ٥٢٦).
وأخرج مسلم في صحيحه (باب فضائل سعد بن معاذ/ ح ٢٤٦٩) وأحمد في المسند (٣/ ١١١) والترمذي في سننه (ح ١٧٢٣) من حديث أنس رضي الله عنه قال: (إن أكيدر دومة الجندل أهدى لرسول الله ﷺ حلة من سندس فعجب الناس منها فقال: والذي نفس محمد بيده إن مناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا).
(٣/ ١٠٩) لقد ذكرنا الرواية (٣/ ١٠٩/ ٣٦٦) في الضعيف. والصحيح أنه ﷺ مكث في تبوك عشرين ليلة كما أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٢٩٥) من حديث جابر وابن حبان (الإحسان/ ح ٢٧٣٨).
وصححه أبو داود (ح ١٢٣٥) والله تعالى أعلى وأعلم.

(٢) إن كان هذا الخبر تكملة للذي قبله، فإسناده مرسل وإلا فهو من كلام ابن إسحاق كما عند ابن هشام (٢/ ٥٢٧) ولمتنه ما يؤيده فقد أخرج أحمد في مسنده (٥/ ٤٠٠) عن حذيفة رضي الله عنه قال:
(خرج النبي ﷺ يوم غزوة تبوك فبلغه: أن في الماء قلة ـ الذي يرده ـ فأمر منادياً فنادى في الناس: «أن لا يسبقني إلى الماء أحد» فأتى الماء وقد سبقه قوم فلعنهم).
وقال الهيثمي: رواه أحمد والبزار بنحوه ورجال أحمد رجال الصحيح (المجمع ٦/ ١٩٥).
وأخرج مسلم في صحيحه/ كتاب الفضائل/ باب في معجزاته ﷺ (٤/ ١٧٨٤) عن أبي الطفيل عامر بن وائلة «إن معاذ بن جبل أخبره أنهم خرجوا مع رسول الله ﷺ عام تبوك =

٢٨٥ ـ قال: وقدم رسولُ الله ﷺ المدينةَ ـ وقد كان تخلّف عنه رهط من المنافقين ، وتخلّف أولئك الرّهط من المسلمين من غير شكّ ولا نفاق: كعب بن مالك ، ومرارة بن الربيع ، وهلال بن أميّة ـ فقال رسولُ الله ﷺ : لا يكلّمن أحدٌ أحداً من هؤلاء الثلاثة ، وأتاه مَنْ تخلّف عنه من المنافقين ، فجعلوا يحلفون له ويعتذرون ، فصفح عنهم رسول الله ولم يعذِرْهم الله ولا رسوله ، واعتزل المسلمون كلامَ هؤلاء الثلاثة النفر ، حتى أنزل الله عزّ وجلّ قوله: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ ، فتاب الله عليهم[١] . (٣: ١١١) .

= فكان رسول الله ﷺ يجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء قال: فأخر الصلاة يوماً ثم خرج فصلى الظهر والعصر جميعاً ، ثم دخل ثم خرج فصلى المغرب والعشاء جميعاً ثم قال: (إنكم ستأتون غداً إن شاء الله عين تبوك وإنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار ، فمن جاءها فلا يمس من مائها شيئاً حتى آتي).

قال: فجئنا وقد سبق إليها رجلان والعين مثل الشراك تبض بشيء من ماء فسألهما رسول الله ﷺ (هل مسستما من مائها شيئاً؟) قالا: نعم. فسبهما وقال لهما ما شاء الله أن يقول ثم غرفوا من العين قليلاً قليلاً حتى اجتمع في شيء ثم غسل رسول الله فيه وجهه ثم أعاده فيها ، فجرت العين بماء كثير فاستقى الناس ثم قال رسول الله ﷺ : (يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما ها هنا قد ملىء جناناً).

(١) ذكر الطبري خبر الثلاثة الذين خلفوا عن ابن إسحاق بدون إسناد. وخبره هنا مختصر جداً وخبرهم (من حديث كعب بن مالك) وهو أحدهم عند البخاري ومسلم وغيرهما والله تعالى أعلم.

فقد أخرجه البخاري بطوله [كتاب المغازي/ باب حديث كعب بن مالك/ ح ٤٤١٨] و(مسلم/ كتاب التوبة/ ح ٢٧٦٩) وأحمد (٣/ ٤٥٦) والبيهقي (الدلائل ٥/ ٢٧٣) وغيرهم والله أعلم وسنذكر هنا رواية البخاري إذ قال البخاري:

حدثنا يحيى بن بكير قال حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن عبد الله بن كعب بن مالك وكان قائد كعب من بنيه حين عمي قال: سمعت كعب بن مالك يحدث حين تخلف عن قصة تبوك قال كعب: لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك غير أني كنت تخلفت في غزوة بدر ولم يعاتب أحداً تخلف عنها إنما خرج رسول الله ﷺ يريد عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام وما أحب أن لي بها مشهد بدر وإن كانت بدر أذكر في الناس منها ، كان من خبري أني لم أكن=

= قط أقوى ولا أيسر حين تخلفت عنه في تلك الغزاة والله ما اجتمعت عندي قبله راحلتان قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة ولم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلا ورّى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة غزاها رسول الله ﷺ في حر شديد واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً وعدواً كثيراً فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم.
فأخبرهم بوجهه الذي يريد والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير ولا يجمعهم كتاب حافظ (يريد الديوان).
قال كعب: فما رجل يريد أن يتغيب إلا ظنّ أنه سيخفى له ما لم ينزل فيه وحي الله، وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال.
وتجهز رسول الله ﷺ والمسلمون معه فطفقت أغدو لكي أتجهز معهم فأرجع ولم أقض شيئاً فأقول في نفسي: أنا قادر عليه فلم يزل يتمادىٰ بي حتى اشتد بالناس الجد فأصبح رسول الله ﷺ والمسلمون معه ولم أقض من جهازي شيئاً فقلت: أتجهز بعده بيوم أو يومين ثم ألحقهم فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز فرجعت ولم أقضِ شيئاً ثم غدوت ثم رجعت ولم أقضِ شيئاً فلم يزل بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو وهممت أن أرتحل فأدركهم وليتني فعلت فلم يقدر لي ذلك فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ فطفت فيهم أحزنني أني لا أرىٰ إلا رجلاً مغموصاً عليه النفاق أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس في القوم بتبوك: ما فعل كعب؟ فقال رجل من بني سلمة: يا رسول الله حبسه برداه ونظره في عطفيه.
فقال معاذ بن جبل: بئس ما قلت والله يا رسول الله ماعلمنا عليه إلا خيراً فسكت رسول الله ﷺ قال كعب بن مالك: فلما بلغني أنه توجّه قافلاً حضرني همِّي وطفقت أتذكر الكذب وأقول بماذا أخرج من سخطه غداً واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي فلما قيل: إن رسول الله ﷺ قد أظل قادماً زاح عني الباطل وعرفت أني لن أخرج منه أبداً بشيء فيه كذب.
فأجمعت صدقه وأصبح رسول الله ﷺ قادماً وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فيركع فيه ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له.
وكانوا بضعة وثمانين رجلاً فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله فجئته فلما سلمت عليه تبسَّم تَبَسّم المغضب ثم قال: تعال فجئت أمشي حتى جلست بين يديه فقال: لي ما خلفك ألم تكن قد ابتعت ظهرك.
فقلت: بلى إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر ولقد أعطيت جدلاً ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذبٍ ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخطك عليّ ولئن حدثتك حديث صدق تجد عليّ فيه إني لأرجو فيه عفو الله لا والله ما كان لي من عذر والله ما كنت قط أقوىٰ ولا أيسر مني حين تخلفت عنك.
فقال رسول الله ﷺ: أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك. فقمت وثار رجال من بني=

= سلمة فاتبعوني فقالوا لي: ما علمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر إليه المتخلفون قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله ﷺ لك فو الله ما زالوا يؤنبونني حتى أردت أن أرجع فأكذب نفسي ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي أحد قالوا نعم: رجلان قالا مثل ما قلت فقيل لهما مثل ما قيل لك فقلت: من هما؟ قالوا: مرارة بن الربيع العمري وهلال بن أمية الواقفي فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدراً فيهما أسوة فمضيت حين ذكروهما لي ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه.

فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت في نفسي الأرض فما هي التي أعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد وآتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه وهو في مجلسه، بعد الصلاة فأقول في نفسي هل حرك شفتيه برد السلام عليّ أم لا ثم أصلي قريباً منه فأسارقه النظر فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إلي وإذا التفت نحوه أعرض عني حتى إذا طال علي ذلك من جفوة الناس مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة وهو ابن عمي وأحب الناس إليّ فسلمت عليه فو الله ما رد عليّ السلام فقلت: يا أبا قتادة أنشدك بالله هل تعلمني أحب الله ورسوله فسكت فعدت له فنشدته فسكت فعدت له فنشدته.

فقال: الله ورسوله أعلم ففاضت عيناي وتوليت حتى تسورت الجدار قال: فبينا أنا أمشي بسوق المدينة إذا نبطي من أنباط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدل على كعب بن مالك فطفق الناس يشيرون له حتى إذا جاءني دفع إليّ كتاباً من ملك غسان فإذا فيه:

أما بعد فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعةٍ فالحق بنا نواسك. فقلت لما قرأتها: وهذه أيضاً من البلاء فتيممت بها التنور فسجرته بها حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسول رسول الله ﷺ يأتيني فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل؟ قال: لا بل اعتزلها ولا تقربها وأرسل إلى صاحبيّ مثل ذلك فقلت: لامرأتي الحقي بأهلك فتكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر.

قال كعب: فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره أن أخدمه قال لا ولكن لا يقربك قالت إنه والله ما به حركة إلى شيء والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا.

فقال لي بعض أهلي: لو استأذنت رسول الله ﷺ في امرأتك كما أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه فقلت: والله لا أستأذن فيها رسول الله ﷺ وما يدريني ما يقول رسول الله ﷺ إذا =

= استأذنته فيها وأنا رجل شاب فلبثت بعد ذلك عشر ليال حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله ﷺ عن كلامنا فلما صليت الفجر صبح خمسين ليلة وأنا على ظهر بيت من بيوتنا، فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله قد ضاقت عليّ نفسي وضاقت علي الأرض بما رحبت سمعت صوت صارخ أوفى على جبلِ سلعٍ بأعلى صوته يا كعب بن مالك أبشر قال: فخررت ساجداً وعرفت أن قد جاء فرج وآذن رسول الله ﷺ بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر فذهب الناس يبشروننا وذهب قِبَل صاحبيَّ مبشرون وركض إليّ رجل فرساً وسعى ساع من أسلم فأوفى على الجبل وكان الصوت أسرع من الفرس فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبيّ فكسوته إياهما ببشراه والله ما أملك غيرهما يومئذ واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت إلى رسول الله ﷺ فيتلقاني الناس فوجاً فوجاً يهنئوني بالتوبة يقولون: لتهنك توبة الله عليك.

قال كعب: حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله ﷺ جالس حوله الناس فقام إليّ طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني والله ما قام إليّ رجل من المهاجرين غيره ولا أنساها لطلحة قال كعب: فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ وهو يبرق وجهه من السرور: أبشر بخير يوم مرَّ عليك منذ ولدتك أمك قلت: أمن عندك يا رسول الله أم عند الله؟ قال: لا بل من عند الله.

وكان رسول الله ﷺ إذا سُرَّ استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ: أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك. قلت: فإني أمسك سهمي الذي بخيبر.

فقلت: يا رسول الله إن الله إنما نجاني بالصدق وإن من توبتي أن لا أحدّث إلا صدقاً ما بقيت فو الله ما أعلم أحداً من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ أحسن مما أبلاني ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا كذباً وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقيت، وأنزل الله تعالى على رسوله ﷺ: ﴿لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ إلى قوله: ﴿مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾. فو الله ما أنعم الله عليّ من نعمة قط بعد أن هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي لرسول الله ﷺ أن لا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوا فإن الله تعالى قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد فقال تبارك وتعالى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ﴾ إلى قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.

قال كعب: وكنا تخلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا حتى قضى الله فيه، فبذلك قال الله: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾ وليس الذي ذكر الله مما خلفنا عن الغزو وإنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه =

٢٨٦ ـ قال: وقدِم رسول الله ﷺ المدينة من تَبُوك في شهر رمضان. وقدِم عليه في ذلك الشهر وفْدُ ثَقِيف، وقد مضى ذكر خبرهم قبل[1]. (٣: ١١١).

= أمرنا عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه.

(١) صحيح.

[أمر طيِّىء وعدي بن حاتم]

لقد ذكرنا الرواية (٣/ ١١٢/ ٣٧٠) في قسم الضعيف ولكننا نذكر ها هنا ما صح في خبر عدي وإسلامه رضي الله عنه:

فقد أخرج البخاري في صحيحه/ كتاب المغازي/ باب قصة وفد طيِّىء وحديث عدي بن حاتم (ح ٤٣٩٤) عن عدي بن حاتم قال: أتينا عمر في وفد فجعل يدعو رجالاً ويسميهم فقلت: أما تعرفني يا أمير المؤمنين؟

قال: بلىٰ: أسلمت إذ كفروا وأقبلت إذ أدبروا ووفيت إذ غدروا، وعرفت إذ أنكروا فقال عدي: فلا أبالي إذاً.

وأخرج البخاري في صحيحه (كتاب المناقب/ باب علامات النبوة /ح ٣٥٩٥) عن عدي بن حاتم قال: بينا أنا عند النبي ﷺ إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة ثم أتاه آخر فشكا قطع السبيل فقال: يا عدي: هل رأيت الحيرة؟ قلت: لم أرها وقد أنبئت عنها قال: فإن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله. ـ قلت فيما بيني وبين نفسي: فأين دعار طيِّىء الذين قد سعّروا البلاد ـ ولئن طالت بك حياة لتفتحنّ كنوز كسرىٰ.

قلت: كسرى بن هرمز؟ قال: كسرى بن هرمز، ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحداً يقبله منه وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له. فيقولن: ألم أبعث إليك رسولاً فيبلغك؟ فيقول: بلىٰ.

فيقول: ألم أعطك مالاً وأفضل عليك؟ فيقول: بلىٰ فينظر عن يمينه فلا يرىٰ إلا جهنم وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم قال عدي: سمعت النبي ﷺ يقول: اتقوا النار ولو بشقِّ تمرة، فمن لم يجد شقَّ تمرة فبكلمة طيبة.

قال عدي: فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله.

وكنت فيمن افتتح كنوز كسرىٰ بن هرمز ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبي أبو القاسم ﷺ يخرج ملء كفه. ا هـ.

[قدوم وفد بني تميم ونزول سورة الحجرات] =

٢٨٧ ـ حدّثنا ابن حميد، قال: حدّثنا سلَمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان، قال: فأنزل الله فيهم القرآن: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ﴾ ـ من بني تميم ـ ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ قال: وهي القراءة الأولى[1]. (٣: ١٢٠).

= (٣/ ١٥): لقد ذكرنا الرواية (٣٧) في قسم الضعيف وسنذكر هنا ما أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب المغازي/ باب وفد بني تميم/ ح ٤٣٦٥) من طريق صفوان بن محرز المازني عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: أتى نفر من بني تميم النبي ﷺ فقال: اقبلوا البشرى يا بني تميم قالوا: يا رسول الله قد بشرتنا فأعطنا فَرُئي ذلك في وجهه فجاء نفر من اليمن فقال: اقبلوا البشرى إذ لم يقبلها بنو تميم قالوا: قد قبلنا يا رسول الله. ا هـ.

(٣/ ١٢٠): لقد ذكرنا الرواية (٣/ ١٢٠) في قسم الضعيف وقد ذكره الطبري من قول الواقدي بلا إسناد، والواقدي متروك ولم نجد رواية تاريخية صحيحة تحدد مدة مرضه بعشرين يوماً وما إلى ذلك كما عند الطبري إلا أن ابن إسحاق قال:

حدثني الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: لما توفي عبد الله بن أبي دعي رسول الله ﷺ للصلاة عليه فقام إليه... الحديث. السيرة لابن هشام (٢/ ٥٥٢).

قلنا: وهذا إسناد حسن. وأخرج أبو داود في سننه (٣/ ١٨٤/ح ٣٠٩٤) ثنا عبد العزيز بن يحيى ثنا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق عن الزهري عن عروة أن أسامة قال:

خرج رسول الله ﷺ يعود عبد الله بن أبي في مرضه الذي مات فيه فلما دخل عليه عرف فيه الموت.... الحديث. وهذا إسناد ضعيف ولكن أخرجه الحافظ ابن كثير من طريق ابن إسحاق مصرحاً بالتحديث عن الزهري عن عروة عن أسامة فسنده حسن (السيرة لابن كثير ٤/ ٦٤).

وأخرج البخاري في الجنائز (ح ١٢٦٩) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: لما توفي عبد الله بن أبي ابن سلول جاء ابنه عبد الله إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه فأعطاه ثم سأله أن يصلي عليه.... الحديث. والله تعالى أعلم.

(١) هذا إسناد مرسل وقد أخرج الإمام أحمد (٣/ ٤٨٨) حدثنا عفان حدثنا وهيب حدثنا موسىٰ بن عقبة عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن الأقرع بن حابس رضي الله عنه أنه نادىٰ رسول الله ﷺ فقال: يا محمد يا محمد.

وذكر الحافظ هذه الرواية في ذكره لسبب نزول الآية من سورة الحجرات: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ثم قال الحافظ عقب رواية أحمد هذه: وفي رواية: يا رسول الله فلم يجبه فقال: يا رسول الله إن حمدي لزين وإن ذمي لشين فقال: (ذاك الله عز وجل) (تفسير ابن كثير ٤/ ٢٠٨). =

٢٨٧/ أ ـ قال: وفيها نَعَى رسولُ الله ﷺ للمسلمين النجاشيَّ، وأنه مات في رجب سنة تسع[١]. (٣: ١٢٢).

= قلنا: وأخرج الترمذي عن البراء بن عازب في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ قال: فقام رجل فقال: يا رسول الله إن حمدي زين وإن ذمي شين فقال النبي ﷺ: (ذاك الله).

وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب (سنن الترمذي/ ٥/ ح ٣٢٦٧).

وأخرج البخاري في (كتاب المغازي/ وفد بني تميم) عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما أنه قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ فقال أبو بكر: أمِّر القعقاع بن معبد بن زرارة وقال عمر: بل أمر الأقرع بن حابس قال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي قال عمر: ما أردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما فنزل في ذلك ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ﴾ حتى انقضت.

[قدوم رسل ملوك حمير علىٰ رسول الله بكتابهم]

لقد ذكرنا الرواية المطولة (٣/ ١٢٠/ ٣٧٣) في قسم الضعيف وذكرنا هناك عدة روايات عند أبي داود والبيهقي وغيرهما عن كتاب عمرو بن حزم مرسلاً.

ونذكر هنا ما أخرجه أبو داود في سننه (٣/ ٤٤/ ح ٤٠٣٤) من حديث أنس بن مالك أن ملك ذي يزن أهدى إلى رسول الله ﷺ حلة أخذها بثلاثة وثلاثين بعيراً أو ثلاث وثلاثين ناقة فقبلها.

والحديث أخرجه أحمد (٣/ ح ١٣٣١٤) والله تعالى أعلم.

(١) قلنا: لقد ذكر الطبري وقت وفاة النجاشي ونسبه إلى الواقدي، والواقدي متروكوأغلب الروايات التاريخية التي وردت في قسم السيرة والخلافة الراشدة (التي وردت من طريق الواقدي) مذكورة في قسم الضعيف وقلما وافقه فيها الثقات إلا في ذكره للوفيات فوفاة صحابي أو تابعي ليس بالأمر العادي وهو أمر يجلب انتباه الجماهير من الناس ويكثر المؤرخون في ذكر الوفيات على اختلاف مشاربهم. ولقد جرينا في تحقيقنا لتاريخ الطبري علىٰ أن نذكر وفاة الصحابي أو التابعي كما اتفق عليه أكثر المؤرخين ومن ضمنهم الواقدي أحياناً فلا ضير ولم نعتمد ما انفرد به والله تعالى أعلم.

وبالنسبة لموت النجاشي رضي الله تعالى عنه فكذلك ذهب الحافظ ابن حجر إلى أنه توفي سنة تسع ونسبه إلى أكثر أئمة هذا الشأن إذ قال: وإنما وقعت وفاته بعد الهجرة سنة تسع عند الأكثر (فتح الباري ٧/ ٥٨٨).

ولقد أخرج البخاري في صحيحه (كتاب مناقب الأنصار/ ح ٣٨٨٠) عن أبي سلمة وابن المسيب أن أبا هريرة أخبرهما أن رسول الله ﷺ نعى لهم النجاشي صاحب الحبشة في اليوم الذي مات فيه وقال: استغفروا لأخيكم (٣/ ١٢٢).

لقد ذكرنا الروايتين (٣٧٤/ ٣٧٥) في قسم الضعيف وذكرنا تعقيب الحافظ ابن كثير. =

= أما هنا فسنذكر بعض ما صحّ في حجة أبي بكر رضي الله عنه وبصحبته علي بن أبي طالب رضي الله عنه وذلك سنة تسع للهجرة.
فقد أخرج البخاري في صحيحه/ كتاب المغازي/ باب حج الناس بأبي بكر سنة تسع (ح ٤٣٦٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه بعثه في الحجة التي أمّره عليها النبي ﷺ قبل حجة الوداع يوم النحر في رهط يؤذن في الناس لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان.
وأخرج الترمذي في سننه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بعث النبي ﷺ أبا بكر وأمره عليها النبي ﷺ، قبل حجة والوداع يوم النحر في رهط يؤذن في الناس: لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف في البيت عريان. وأخرج الترمذي في سننه عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: بعث النبي ﷺ أبا بكر وأمره أن ينادي بهؤلاء الكلمات ثم اتبعه علياً فبينا أبو بكر في بعض الطريق إذ سمع رغاء ناقة رسول الله ﷺ القصواء فخرج أبو بكر فزعاً فظن أنه رسول الله ﷺ فإذا هو علي فدفع إليه كتاب رسول الله ﷺ وأمر علياً أن ينادي بهؤلاء الكلمات فانطلقا فحجّا، فقام أيام التشريق، فنادىٰ: ذمة الله ورسوله بريئة من كل مشرك فسيحوا في الأرض أربعة أشهر، ولا يحجن بعد العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان ولا يدخل الجنة إلا مؤمن. وكان علي ينادي فإذا عيي قام أبو بكر فنادىٰ بها ـ قال أبو عيسى: وهذا حديث حسن غريب من هذا الوجه من حديث ابن عباس (السنن ٥/ ح ٣٠٩٠).
وأخرج الترمذي من حديث زيد بن يثيع قال: سألنا علياً بأي شيء بُعثت في الحجة. قال: بعثت بأربع: أن لا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين النبي ﷺ عهد فهو إلى مدته ومن لم يكن له عهد فأجله أربعة أشهر، ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ولا يجتمع المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا. وقال الترمذي: هذا حديث حسن (سنن الترمذي ٥/ ح ٣٠٩٢)
وقد جمع العلماء بين هذه الروايات بأن أبا بكر أرسل أبا هريرة يؤذن في الناس ليعين علياً علىٰ إبلاغ ما أمره به رسول الله ﷺ في التأذين في الناس (راجع فتح الباري ٨/ ٣١٨)
قلنا: ويؤيد هذا الجمع ما أخرجه أحمد (٣/ ٧٩٨٢) عن محرز بن أبي هريرة عن أبيه: كنت مع علي بن أبي طالب حين بعثه رسول الله ﷺ فقال: ما كنتم تنادون؟ قالوا: كنا ننادي أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن ولا يطوف في البيت عريان ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فإن أجله أو أمده إلى أربعة أشهر فإذا مضت الأربعة أشهر فإن الله بريء من المشركين ورسولُه، ولا يحج هذا البيت بعد العام مشرك.
وجوّد الحافظ ابن كثير إسناده إلّا أنه قال: لكن فيه نكارة من جهة قول الراوي: إن من كان له عهد فأجله إلى أربعة أشهر وقد ذهب إلى هذا ذاهبون ولكن الصحيح أن من كان له عهد فأجله إلى أمده بالغاً ما بلغ ولو زاد على أربعة أشهر ومن ليس له أمد بالكلية فله تأجيل أربعة أشهر (البداية والنهاية ٣/ ٧١٤). =

[قدوم ضمام بن ثعلبة وافداً عن بني سعد]

٢٨٨ ـ وفيها قدم وفد سعد هُذَيْم. حدّثنا ابن حميد، قال: حدّثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: حدّثني سلَمة بن كُهيل ومحمد بن الوليد بن نويفع، عن كُرَيب مولى ابن عبّاس، عن عبد الله بن عبّاس، قال: بعث بنو سَعْد بن بكر ضِمَامَ بن ثعلبة إلى رسولِ الله ﷺ فقدم عليه فأناخ بعيرَه على باب المسجد ثم عَقَله، ثم دخل المسجد ورسولُ الله ﷺ جالس في أصحابه، وكان ضِمام بن ثعلبة رجلاً جَلْداً أشعر ذا غديرتين، فأقبل حتى وقف على رسول الله ﷺ في أصحابه، فقال: أيّكم ابن عبد المطلب؟ قال: قال رسولُ الله: أنا ابن عبد المطلب. قال: محمد؟ قال: نعم، قال: يا بن عبد المطلب، إني سائلك ومُغْلِظٌ لك في المسألة، فلا تَجِدَنّ في نفسك! قال: لا أجِد في نفسي، فسَلْ عمّا بدا لك، قال: أنشدُك بالله إلهك وإله مَن كان قبلك وإله مَنْ هو كائن بعدك، آلله بعثك إلينا رسولاً؟ قال: اللهمّ نعم، قال: فأنشدك بالله إلهك وإله مَنْ كان قبلك وإله مَنْ هو كائن بعدك، آلله أمَرَك أن تأمُرَنا أن نَعْبده وَحْدَه، ولا نشرك به شيئاً، وأن نخلع هذه الأنداد التي كانت آباؤنا تعبد من دونه؟ قال: اللهمّ نعم، قال: فأنشدك بالله إلهك وإله مَنْ كان قبْلَك وإله مَنْ هو كائن بعدك، آلله أمرك أن تأمرنا أن نُصَلِّيَ هذه الصلوات الخمس؟ قال: اللهمّ نعم. قال: ثم جعل يذكر فرائضَ الإسلام فريضة فريضة؛ الزكاة، والصيام، والحجّ، وشرائع الإسلام كلّها، يناشده عن كلّ فريضة كما ناشده في التي قبلها، حتى إذا فرغ قال: فإني أشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأشهد أن محمداً رسول الله، وسأؤدِّي

= قلنا: ولعل رواية الحاكم توضح الأمر أكثر إذ أخرج من طريق مقسم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ بعث أبا بكر رضي الله عنه وأمره أن ينادي بهؤلاء الكلمات فأتبعه علياً فبينا أبو بكر ببعض الطريق سمع رغاء ناقة رسول الله ﷺ فخرج أبو بكر فزعاً فظن أنه رسول الله ﷺ فإذا علي فدفع إليه كتاب رسول الله ﷺ قد أمره على الموسم وأمر علياً أن ينادي بهؤلاء الكلمات فقام علي أيام التشريق فنادىٰ أن الله بريء من المشركين ورسولُه فسيحوا في الأرض أربعة أشهر لا يحجن بعد العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان ولا يدخل الجنة إلا مؤمن فكان علي ينادي بها فإذا بحّ قام أبو هريرة فنادى.

وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي (المستدرك مع التلخيص ٣/ ٥٢).

هذه الفرائض وأجتنب ما نهيتَني عنه. ثم لا أنقصُ ولا أزيد. ثم انصرف إلى بعيره راجعاً. فقال رسول الله ﷺ حين ولّى: إن صدق ذو العَقيصَتَيْن يدخل الجنة، قال: فأتى بعيرَه فأطلق عِقَاله، ثم خرج حتى قدِم على قومه، فاجتمعوا إليه، فكان أوّل ما تكلم به أن قال: بئست اللات والعزّى! قالوا: مَهْ يا ضِمام! اتّق البرصَ، اتّق الجذام، اتّق الجنون! قال: وَيْحكم، إنهما والله لا ينفعان ولا يضرّان؛ إن الله قد بعث رسولاً، وأنزل عليه كتاباً، استنقذكم به مما كنتم فيه؛ وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له؛ وأن محمداً عبده ورسوله، وقد جئتكم من عنده بما أمركم به ونهاكم عنه.

قال: فو الله ما أمسى ذلك اليوم في حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلماً. قال: يقول ابن عباس: فما سمعنا بوافِدِ قومٍ كان أفضَل من ضِمام بن ثعلبة[١]. (٣: ١٢٤/ ١٢٥).

---

(١) هذا إسناد ضعيف وأخرجه ابن هشام (٢/ ٥٧٣) من طريق ابن إسحاق هذا بسند حسن.
وحديث ابن عباس هذا حديث صحيح أخرجه أحمد في المسند (١/ ٢٦٤).
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «بعثت بنو سعد بن بكر ضمام بن ثعلبة وافداً إلى رسول الله ﷺ فقدم عليه وأناخ بعيره على باب المسجد ثم عقله ثم دخل المسجد ورسول الله ﷺ جالس في أصحابه، وكان ضمام رجلاً جلداً أشعر ذا غديرتين فأقبل حتى وقف على رسول الله ﷺ في أصحابه فقال: أيكم ابن عبد المطلب؟ فقال رسول الله ﷺ: (أنا ابن عبد المطلب).
قال: محمد؟ قال: نعم. فقال: يابن عبد المطلب إني سائلك ومغلظ في المسألة فلا تجدن في نفسك قال: (لا أجد في نفسي فسل ما بدا لك) قال: أنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك آلله بعثك إلينا رسولاً؟ قال: (اللهم نعم).
قال: فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك آلله أمرك أن تأمرنا أن نعبده وحده ولا نشرك به شيئاً وأن نخلع هذه الأنداد التي كان آباؤنا يعبدون معه؟ قال: (اللهم نعم).
قال: فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك آلله أمرك أن نصلي هذه الصلاة الخمس؟ قال: (اللهم نعم).
قال: ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة: الزكاة والصيام والحج وشرائع الإسلام كلها يناشده عند كل فريضة كما يناشده في التي قبلها حتى إذا فرغ قال: فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وسأؤدي هذه الفرائض وأجتنب ما نهيتني عنه ثم لا أزيد ولا أنقص. =

= قال: ثم انصرف راجعاً إلى بعيره، فقال رسول الله ﷺ: (إن صدق ذو العقيصتين دخل الجنة) قال: فأتى بعيره فأطلق عقاله، ثم خرج حتى قدم على قومه فاجتمعوا إليه فكان أول ما تكلم به أن قال: بئست اللات والعزى، قالوا: مه يا ضمام اتق البرص والجذام، اتق الجنون.
قال: ويلكم إنهما والله لا يضران ولا ينفعان إن الله عز وجل قد بعث رسولاً وأنزل عليه كتاباً استنقذكم به مما كنتم فيه.
وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وإني قد جئتكم من عنده بما أمركم به وما نهاكم عنه. قال: فو الله ما أمسىٰ من ذلك اليوم وفي حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلماً. قال: يقول ابن عباس رضي الله عنهما: فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة».
والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك وصححه وأقره الذهبي (٣/ ٥٥) والله تعالى أعلم.
وأخرجه البخاري مختصراً في صحيحه (كتاب العلم/ ح ٦٣) ومسلم (الإيمان/ ح١٢) من حديث أنس بن مالك ولفظ البخاري:
«بينما نحن جلوس مع النبي ﷺ في المسجد دخل رجل على جمل فأناخه في المسجد ثم عقله ثم قال لهم: أيكم محمد ـ والنبي ﷺ متكىء بين ظهرانيهم ـ فقلنا: هذا الرجل الأبيض المتكىء فقال له الرجل: ابن عبد المطلب. فقال له النبي ﷺ: (قد أجبتك).
فقال الرجل للنبي ﷺ: إني سائلك فمشدد عليك في المسألة فلا تجد علي في نفسك.
فقال: (سل ما بدا لك) فقال: أسألك بربك ورب من قبلك، آلله أرسلك إلى الناس كلهم؟
قال: (اللهم نعم).
قال: أنشدك بالله: آلله أمرك أن نصلي الصلوات الخمس في اليوم والليلة؟ قال: (اللهم نعم).
قال: أنشدك بالله آلله أمرك أن نصوم هذا الشهر من السنة؟ قال: (اللهم نعم).
قال: أنشدك بالله: آلله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها في فقرائنا، فقال النبي ﷺ: (اللهم نعم).
فقال الرجل: آمنت بما جئت به وأنا رسول من ورائي من قومي وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر».
(صحيح البخاري/ كتاب العلم/ باب ما جاء في العلم وقوله تعالى ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾/ ح ٦٣).

ثم دخلت سنة عشر

قال الواقديّ: توفِّيَ رسولُ الله ﷺ وعمرو بن حزم عامله بنَجْران[١]. (٣: ١٣٠).

[سريّة علي بن أبي طالب إلى اليمن]

٢٨٩ ـ قال: وفيها وجّه رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب في سريّة إلى اليمن في رمضان. فحدّثنا أبو كريب ومحمد بن عمرو بن هيّاج، قالا: حدّثنا يحيى بن عبد الرحمن الأرْحَبيّ، قال: حدّثنا إبراهيم بن يوسف، عن أبيه، عن أبي إسحاق، عن البَرَاء بن عازب، قال: بعثَ رسول الله ﷺ خالدَ بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام فكنت فيمن سار معه؛ فأقام عليه ستة أشهر لا يجيبونه إلى شيء، فبعث النبيّ ﷺ عليّ بن أبي طالب، وأمره أن يُقْفِل خالداً ومَنْ معه، فإن أراد أحد ممن كان مع خالد بن الوليد أن يعقّب معه تركه.

قال البَراء: فكنت فيمن عقّب معه؛ فلمّا انتهينا إلى أوائل اليمن، بلغ القوم الخبر، فجمعوا له، فصلّى بنا عليٌّ الفجر، فلما فرغ صَفّنا صفًّا واحداً، ثمّ تقدّم بين أيدينا، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قرأ عليهم كتابَ رسولِ الله ﷺ فأسلمت همدان كلها في يوم واحد وكتب بذلك إلى رسول الله ﷺ، فلما قرأ كتابه خرّ ساجداً، ثم جلس، فقال: السلام على هَمْدان، السلام على هَمْدان! ثم تتابع أهل اليمن على الإسلام[٢]. (٣: ١٣١/ ١٣٢).

---

(١) صحيح.

(٢) في إسناده يحيى بن عبد الرحمن قال الذهبي: صويلح، وقال الدارقطني: صالح يعتبر به (الميزان/ ت ٩٥٧٠) وقال الحافظ: صدوق وربما أخطأ، ولكن تابعه شريح بن مسلمة (كما عند البخاري) عن إبراهيم بن يوسف بن إسحاق بن أبي إسحاق عن أبي إسحاق سمعت البراء رضي الله عنه: بعثنا رسول الله ﷺ مع خالد بن الوليد إلى اليمن قال ثم بعث علياً بعد ذلك مكانه فقال: مر أصحاب خالد من شاء منهم أن يعقب معك فليعقب ومن شاء فليقبل، فكنت فيمن عقّب معه قال: فغنمت أواقٍ ذوات عدد (صحيح البخاري/ كتاب المغازي/ باب بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد إلى اليمن/ قبل حجة الوداع/ ح ٤٣٤٩). =

[قدوم الجارود في وفد عبد القيس]

٢٩٠ ـ وفيها قَدِم وفْد عبد القيس ، فحدثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سلمة عن ابن إسحاق ، قال: قَدِمَ على رسول الله ﷺ الجارودُ بن عمرو بن حَنَش بن المعلّى ، أخو عبد القيس في وفد عبد القيس وكان نصرانيّاً[١] . (٣ : ١٣٦) .

٢٩١ ـ حدّثنا ابنُ حميد ، قال: حَدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الحسن بن دينار ، عن الحسن ، قال: لما انتهى إلى رسول الله ﷺ كلّمه؛ فعرض عليه الإسلام ، ودعاه إليه ، ورغبه فيه ، فقال: يا محمد ، إني قد كنت على دين؛ وإني تاركٌ ديني لدينك؛ فتضمن لي دِيْني؟ فقال رسولُ الله ﷺ : نعم أنا ضامنٌ لك أن قد هداك الله إلى ما هو خير منه . قال: فأسلم وأسلم معه أصحابه ، ثم سألوا رسولَ الله الحُمْلان؛ فقال: والله ما عندي ما أحْمِلُكم عليه ، فقالوا: يا رسولَ الله ، إنّ بيننا وبين بلادنا ضَوَالّ من ضوالّ الناس؛ أفنتبلّغ عليها إلى بلادنا؟ قال: إياكم وإياها؛ فإنما ذلك حَرَق النار. قال: فخرج من عنده الجارود راجعاً إلى قومه ـ وكان حسنَ الإسلام صُلْباً على دينه ـ حتى هلك؛ وقد أدرك الرِّدةَ ، فلما رجع من قومه مَنْ كان أسلم منهم إلى دينهم الأوّل مع الغَرور المنذر بن النعمان بن المنذر ، أقام الجارود فشهد شهادةَ الحقّ ودعا إلى الإسلام ، فقال: يا أيها الناس؛ إنّي أشهدُ أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً عبده ورسوله ، وأنهى مَنْ لم يشهد[٢] . (٣ : ١٣٦/ ١٣٧) .

= وقال الحافظ في شرحه للحديث (ح٤٣٤٩) أورد البخاري هذا الحديث مختصراً وقد أورده الإسماعيلي من طريق أبي عبيدة بن أبي السفر (سمعت إبراهيم بن يوسف) وهو الذي أخرجه البخاري من طريقه ـ فزاد فيه:
(قال البراء: فكنت ممن عقب معه ، فلما دنونا من القوم خرجوا إلينا فصلىٰ بنا علي وصفنا صفاً واحداً ثم تقدم بين أيدينا فقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ فأسلمت هوازن جميعاً فكتب إلى رسول الله بإسلامهم فلما قرأ الكتاب خرّ ساجداً ثم رفع جالساً فقال: السلام على همدان (فتح الباري ٨/ ٣٩٥).

(١) هذا إسناد معضل وسنذكر خبر وفد عبد قيس وإسلام الجارود بعد الرواية التالية.

(٢) في إسناده الحسن بن دينار وهو متروك وأخرج الحافظ أبو يعلى في مسنده (ح ٩١٨) عن الجارود العبدي رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ أبايعه فقلت له: على أني إن تركت ديني =

[قدوم وفد بني حنيفة ومعهم مسيلمة]

٢٩٢ ـ وفيها قدم وفد بني حنيفة؛ حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلَمة، عن ابن إسحاق، قال: قدِم على رسولِ الله ﷺ وفد بني حَنيفة؛ فيهم مُسيلمة بن حبيب الكذّاب، فكان منزلهم في دار ابنة الحارث؛ امرأة من الأنصار، ثم من بني النجار[1]. (٣: ١٣٧).

٢٩٣ ـ حدّثنا ابنُ حُميد، قال: حدّثنا سلَمة، عن ابن إسحاق، قال: حَدّثني تستره بالثياب، ورسول الله جالس في أصحابه، ومعه عَسِيبٌ من سَعف النَّخل، في رأسه خُوصات، فلمّا انتهَى إلى رسول الله ﷺ وهم يسترونه بالثّياب، كلّم

= ودخلت في دينك لا يعذبني الله في الآخرة؟ قال: نعم. فقد سألت النبي ﷺ عن ضالة الإبل والماشية.

وذكره الهيثمي في المجمع وقال: رواه أبو يعلى ورجاله ثقات (مجمع الزوائد ١/ ٣٢).

وأخرج البخاري في صحيحه (كتاب الإيمان باب أداء الخمس من الإيمان/ ح ٥٣):

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: إن وفد عبد القيس لما أتوا النبي ﷺ قال: من القوم؟ أو الوفد؟ قالوا: ربيعة. قال: مرحباً بالقوم أو بالوفد غير خزايا ولا ندامىٰ.

فقالوا: يا رسول الله إنّا لا نستطيع أن نأتيك إلا في شهر الحرام، وبيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر فمرنا بأمر فصل، نخبر به من وراءنا وندخل به الجنة، وسألوه عن الأشربة فأمرهم بأربع ونهاهم عن أربع.

أمرهم بالإيمان بالله وحده. قال: أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وأن تعطوا من المغنم الخمس.

ونهاهم عن أربع: عن الحنتم والدّباء والنقير والمزفّت وربما قال: المقيَّر وقال: احفظوهن وأخبروا بهن من وراءكم.

والحديث أخرجه مسلم في صحيحه (باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله وشرائع الدين/ ح ١٧) والله أعلم.

(١) هذا إسناد معضل ولكن قدوم مسيلمة الكذاب مع بني حنيفة صحيح كما سنذكر بعد الرواية التالية.

رسول الله ﷺ ، فقال له رسول الله : لو سألتني هذا العسيب الذي في يدي ما أعطيتك ![(١)] (٣: ١٣٧) .

[قدوم الأشعث بن قيس في وفد كندة]

٢٩٤ ـ قال أبو جعفر: وفيها قدم وفدُ كِنْدة؛ رأسهُم الأشعث بن قيس ، الكنديّ؛ فحدّثنا ابن حُميد ، قال: حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن ابن شهاب الزهريّ ، قال: قدِم على رسولِ الله ﷺ الأشعث بن قيس في ستين راكباً من كِندة ، فدخلوا على رسول الله مسجدَه ، وقد رَجَّلوا جُمَمَهُم ، وتكحّلوا ، عليهم جُبَب الحبرة؛ قد كفّفُوها بالحرير؛ فلمّا دخلُوا على رسولِ الله ﷺ ، قال: ألم تسلموا؟ قالوا: بلى ، قال: فما بالُ هذا الحرير في أعناقكم؟ قال: فشَقُّوه منها فألقوْه ، ثم قال الأشعث: يا رسولَ الله؛ نحن بنو آكل المُرار ، وأنت ابن آكل المُرار ، فتبسّم رسول الله ، ثم قال: ناسبوا بهذا النَّسَب العباس بن عبد المطلب وربيعة بن الحارث. قال: وكان ربيعة والعبّاس تاجرَين؛ فكانا إذا ساحا في أرض العرب فسئلا مَنْ هما؟ قالا: نحن بنو آكل المُرار؛ يتعزّزان بذلك؛ وذلك أن كِنْدة كانت ملوكاً ، فقال رسولُ الله ﷺ: نحن بنو النَّضْر بن كنانة لا نَقْفُو أمّنا ، ولا ننتفي من أبينا. فقال الأشعث بن قيس: هل عرفتم يا معشرَ كندة! والله

---

(١) هذا إسناد ضعيف وخبر قدوم مسيلمة مع بني حنيفة والحوار الذي دار بينه وبين رسول الله ﷺ أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب المغازي ح/ ٤٣٧٣). من طريق نافع بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم مسيلمة الكذاب على عهد رسول الله ﷺ فجعل يقول: إن جعل لي محمد الأمر من بعده تبعته وقدمها في بشر كثير من قومه فأقبل إليه رسول الله ﷺ ومعه ثابت بن قيس بن شماس وفي يد رسول الله قطعة جريد حتى وقف على مسيلمة في أصحابه فقال: لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها ولن تعدو أمر الله فيك ولئن أدبرت ليعقرنك الله وإني لأراك الذي أريت فيه ما رأيت، وهذا ثابت يجيبك عني. ثم انصرف عنه قال ابن عباس: فسألت عن قول رسول الله ﷺ : وإني لأراك الذي أريت فيه ما رأيت فأخبرني أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال:
بينا أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب فأهمني شأنهما فأوحي إليّ في المنام أن انفخهما فنفختهما فطارا فأولتهما كذابين يخرجان من بعدي أحدهما العنسي والآخر مسيلمة.
والحديث أخرجه مسلم في صحيحه [كتاب الرؤيا/ باب رؤيا النبي ﷺ ح/ ٢٢٧٤].

لا أسمع رجلاً قالها بعد اليوم إلا ضربته حَدَّهُ ثمانين[١] . (٣: ١٣٨/ ١٣٩)

[وفْدُ بني عامر بن صَعْصَعَة]

٢٩٥ ـ حدّثنا ابنُ حُميد ، قال: حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، قال: قدِم علَى رسول الله ﷺ وفدُ بني عامر؛ فيهم عامر بن الطفيل ، وأربَدُ بن قيس بن مالك بن جعفر ، وجَبّارُ بن سلمَى بن مالك بن جعفر؛ وكان هؤلاء الثلاثة رؤوس القوم وشياطينهم.

فقدم عامر بن الطّفيل على رسول الله ﷺ وهو يريد الغَدْر به؛ وقد قال له قومه: يا عامر؛ إنّ الناس قد أسلموا فأسلِمْ؛ قال: والله لقد كنتُ آليتُ ألاّ أنتهيَ حتى تتبع العربُ عَقبِي؛ أفأنا أتّبع عقب هذا الفتى من قريش! ثم قال لأربد: إذا قدمت على الرجل فإني شاغلٌ عنك وجهه؛ فإذا فعلتُ ذلك فاعْلُه بالسَّيْف؛ فلما قدموا على رسولِ الله ﷺ قال عامر بن الطفيل: يا محمد خالّني؛ قال: لا والله حتى تؤمِنَ بالله وحده ، قال: يا محمد خالّني ، قال: وجعل يكلمه فينتظر منْ أربد ما كان أمرَهَ به ، فجعل أربد لا يحير شيئاً ، فلمّا رأى عامر ما يصنع أربد ، قال: يا محمد خالّني ، قال: لا والله حتى تؤمِنَ بالله وحدَه لا شريك له. فلما أبى عليه رسولُ الله ﷺ قال: أما والله لأملأنَّها عليك خيلاً حُمْراً ورجالاً ، فلما ولّى قال رسول الله: اللهمّ اكفني عامر بن الطفيل ، فلما خرجوا من عند رسول الله قال عامر لأربد: ويلك يا أربد! أين ما كنت أوصيتك به! والله ما كان على ظهر الأرض رجلٌ هو أخوف على نفسي عندي منك ، وايمُ اللهِ لا أخافك بعد اليوم

(١) هذا إسناد مرسل وأخرجه ابن هشام من طريق ابن إسحاق هذا مرسلاً (٢/ ٥٨٥) وخبر قدوم الأشعث في وفد كندة صحيح كما أخرج ابن ماجه في سننه (٢/ ٨٧١/ كتاب الحدود/ ح ٢٦١٢) من حديث مسلم بن هيضم عن الأشعث بن قيس قال: أتيت رسول الله ﷺ في وفد كندة ولا يروني إلا أفضلهم فقلت: يا رسول الله ألستم منا؟ فقال: نحن بنو النضير بن كنانة لا نقفو أمّنا ولا ننتفي من أبينا قال: فكان الأشعث بن قيس يقول: لا أوتىٰ برجل نفىٰ رجلاً من قريش من النضر بن كنانة إلا جلدته الحد. في الزوائد: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات لأن عقيل بن طلحة وثقه ابن معين والنسائي وذكره ابن حبان في الثقات وباقي رجال الإسناد على شرط مسلم (السنن مجمع الزوائد البوصيري ٢/ ٨٧١) والحديث أخرجه أحمد (٥/ ٢١١) والله تعالى أعلم.

أبداً. قال: لا تعجلْ عليّ لا أبا لك! والله ما هممت بالذي أمرتَني به من مرة إلاّ دخلت بيني وبين الرجل حتى ما أرى غيرك، أفأضربك بالسيف! قال عامر بن الطُّفيل:

بَعَثَ الرسولُ بِمَا تَرى فكأنَّما عَمْداً نَشُنّ على المَقَانِب غَارَا
وَلَقَدْ وَرَدْنَ بنَا المدينَةَ شُزَّباً ولَقد قَتَلْنَ بجَوِّهَا الأنْصَارَا

وخرجوا راجعين إلى بلادهم؛ حتى إذا كانوا ببعض الطريق بعث الله عزّ وجلّ على عامر بن الطُّفيل الطاعون في عنقه فقتله؛ وإنّه في بيت امرأة من بني سَلول؛ فجعل يقول: يا بني عامر؛ أغُدَّةٌ كغُدَّة البَكْر؛ وموت في بيت امرأة من بني سَلول! ثم خرج أصحابه حين واروْه؛ حتى قدموا أرضَ بني عامر؛ فلما قدموا أتاهم قومهم، فقالوا: ما وراءك يا أربد؟ قال: لا شيء؛ والله لقد دعانا إلى عبادة شيء لوددت أنه عندي الآن فأرميه بنَبْلي هذه حتى أقتلَه؛ فخرج بعد مقالته هذه بيوم أو يومَيْن، معه جملٌ له يتبعه؛ فأرسل الله عليه وعلى جمله صاعقةً فأحرَقتْهما. وكان أربدُ بن قيس أخا لَبيد بن ربيعة لأمّه[1]. (٣: ١٤٤/ ١٤٥).

---

(١) هذا إسناد مرسل وأصل الخبر في (إعراض عامر بن الطفيل عن الإسلام وتهديده لرسول الله ﷺ ثم هلاكه) صحيح كما أخرج البخاري في صحيحه/ كتاب المغازي/ باب غزوة الرجيع (ح/ ٤٠٩١):
(عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ بعث خاله أخ ـ لأم سليم ـ في سبعين راكباً وكان رئيس المشركين عامر بن الطفيل خيّر بين ثلاث خصال فقال: يكون لك أهل السهل ولي أهل المدر أو أكون خليفتك أو أغزوك بأهل غطفان بألف وألفٍ فطعن عامر في بيت أم فلان فقال: غدة كغدة البكر في بيت امرأة من آل فلان ائتوني بفرسي، فمات على ظهر فرسه. . . . إلى آخر الحديث).
وأخرج البيهقي من طريق الزبير بن بكار ثتني فاطمةبنت عبد العزيز بن مؤلة عن أبيها عن جدها مؤلة بن حميل قال: أتى عامر بن الطفيل رسول الله ﷺ فقال: يا عامر أسلم. فقال: علىٰ أن لي الوبر ولك المدر، قال: لا. ثم قال: أسلم فقال: أسلم على أن لي الوبر ولك المدر قال لا، فولّى وهو يقول: والله يا محمد لأملأنها عليك خيلاً جرداً ورجالاً مرداً ولأربطن بكل نخلة فرساً فقال: اللهم اكفني عامراً واهد قومه، فخرج حتى إذا كان بظهر المدينة صادف امرأة فوجه وأخذ رمحه وأقبل يجري وهو يقول غدة كغدة البكر وموت في بيت سلولية فلم تزل تلك حاله حتى سقط عن فرسه ميتاً. (دلائل النبوة ٥/ ٣١٢).
قلنا: وليس في رواية البخاري ولا البيهقي ذكر لأربد ومصرعه والله تعالى أعلم.

[كتاب مسيلمة إلى رسول الله والجواب عنه]

٢٩٦ ـ وفي هذه السنة كتب مُسيلمة إلى رسولِ الله ﷺ يدّعي أنه أشرك معه في النبوّة. حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلَمة عن ابن إسحاق؛ عن عبد الله بن أبي بكر، قال: كان مُسيلمة بن حبيب الكذّاب كتبَ إلى رسولِ الله ﷺ: من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله سلامٌ عليك؛ فإني قد أشرِكت في الأمر معك؛ وإن لنا نِصْفَ الأرض ولقريش نِصْف الأرض، ولكنّ قريشاً قوم يعتدون.

فقدم عليه رسولان بهذا الكتاب[١]. (٣/ ١٤٦).

٢٩٧ ـ حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدثنا سلَمة عن ابن إسحاق، عن شيخ من أشجع قال ابن حميد: أمّا عليّ بن مجاهد فيقول: عن أبي مالك الأشجعيّ، عن سلمة بن نُعيم بن مسعود الأشجعيّ، عن أبيه نُعَيم ـ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول لهما حين قرأ كتاب مسيلمة: فما تقولان أنتما؟ قالا: نقول كما قال؛ فقال: أما والله لولا أن الرُّسُلَ لا تُقْتَلُ لضربتُ أعناقكما.

ثم كتب إلى مسيلمة: بسم الله الرحمن الرحيم؛ من محمد رسول الله إلى مُسيلمة الكذّاب. سَـلَامٌ على من اتّـبَعَ الهدى؛ أما بعد، فإنّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين. قال: وكان ذلك في آخر سنة عشر[٢]. (٣: ١٤٦).

---

(١) هذا إسناد مرسل ضعيف ولقد روىٰ الطبري روايات في خبر بني حنيفة ودعيهم مسيلمة وهو هنا يشير إلى إرساله لرسولين إلى النبي ﷺ بكتاب وسنتحدث عن هذه الرواية بعد الرواية التالية.

(٢) هذا إسناد ضعيف ولكن أخرج أبو داود في سننه (٣/ ٨٣/ باب في الرسل/ ح ٢٧٦١):
حدثنا محمد بن عمرو الرازي ثنا سلمة يعني ابن الفضل ـ عن محمد بن إسحاق قال: كان مسيلمة كتب إلى رسول الله ﷺ قال: وقد حدثني محمد بن إسحاق عن شيخ من أشجع يقال له: سعد بن طارق عن سلمة بن نعيم بن مسعود الأشجعي عن أبيه نعيم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لهما حين قرأ كتاب مسيلمة: ما تقولان أنتما؟ قالا: نقول كما قال، قال: أما والله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما.
قلنا: وإن كان ابن إسحاق عنعن في رواية أبي داود فإنه صرح بالتحديث كما روىٰ يونس بن=

[حجّة الوداع]

٢٩٨ ـ فلمّا دخل ذو القعدة من هذه السنة ـ أعني سنة عشر ـ تجهّز النبيّ ﷺ إلى الحجّ ، فأمر الناس بالجهاز له. فحدّثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سلمَة عن ابن إسحاق ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة زوج النبيّ ﷺ ، قالت: خرج النبيّ ﷺ إلى الحجّ لخمس ليال بقينَ من ذي القعدة ، لا يَذكُر ولا يَذكُر الناس إلاّ الحجّ؛ حتى إذا كان بسَرِف ، وقد ساق رسول الله معه الهدْيَ وأشرافٌ من أشراف الناس ، أمر الناس أن يُحِلّوا بعُمْرة إلاّ من ساق الهدْي ، وحِضْتُ ذلك اليوم؛ فدخل عليّ وأنا أبكي؛ فقال: مالك يا عائشة؟ لعلك نَفِسْتِ! فقلت: نعم ، لوددت أنّي لم أخرج معكم عامي هذا في هذا السفر ، قال: لا تفعلي؛ لا تقولِنّ ذلك؛ فإنك تقضين [كلّ] ما يقضي الحاج؛ إلاّ أنك لا تطوفين بالبيت. قالت: ودخلَ رسولُ الله ﷺ مكة؛ فحلّ كلّ مَنْ كان لا هديَ معه ، وحلّ نِساؤه بعمْرة؛ فلمّا كان يوم النحر أتيتُ بلحم بقر [كثير] ، فطُرح في بيتي ، قلت: ما هذا؟ قالوا: ذَبَح رسول الله عن نسائه البقر؛ حتى إذا كانت ليلة الحَصْبَة ، بعثني رسولُ الله مع أخي عبد الرحمن بن أبي بكر ، لأقضيَ عُمْرتي من التّنعيم مكان عُمْرتي التي فاتَتْني[(١)]. (٣: ١٤٨).

= بكير عنه قال: فحدثني سعد بن طارق (البداية والنهاية ٣/ ٧٣٣).
والحديث أخرجه أحمد(٣/ ٤٨٧) وهو حديث حسن والله تعالى أعلم.
وأخرج أبو داود الطيالسي في مسنده (ح ٢٥٢) (عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: جاء ابن النواحة وابن أثال رسولين لمسيلمة الكذاب إلى رسول الله ﷺ فقال لهما: أتشهدان أني رسول الله؟ فقالوا: نشهد أن مسيلمة رسول الله. فقال رسول الله: آمنت بالله ورسله ولو كنت قاتلاً رسولاً لقتلتكما.
قال عبد الله: فمضت السنة بأن الرسل لا تقتل... إلى آخر الرواية.
وأما قوله (قال وكان ذلك في آخر سنة عشر): فالظاهر أنه من قول ابن إسحاق (وانظر السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٦٠٠) والله تعالى أعلم.

(١) هذا إسناد ضعيف إلى ابن إسحاق وأخرجه ابن هشام في السيرة (٢/ ٦٠١) من طريق ابن إسحاق هذا وجوّد الحافظ ابن كثير إسناده (البداية والنهاية ٣/ ٨٢٢) وأخرج البخاري في صحيحه(كتاب الحج/ باب ما يأكل من البدن وما يتصدق/ ح ١٧٢٠) عن عائشة رضي الله =

٢٩٩ - حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلَمة، عن ابن إسحاقَ، عن ابن أبي نَجيح، قال: بعثَ رسولُ الله ﷺ عليّ بن أبي طالب إلى نَجْران، فلقيَه بمكّة؛ وقد أحرم؛ فدخل عليٌّ على فاطمة ابنة رسول الله، فوجدَها قد حلّتْ وتهيّأت، فقال: مالك يابنة رسول الله؟ قالت: أمَرَنا رسولُ الله أن نحِلّ بعمرة؛ فأحللنا، قال: ثم أتى رسول الله ﷺ، فلما فرغ من الخبر عن سفره، قال له رسولُ الله: انطلق فطُفْ بالبيت، وحلّ كما حلّ أصحابك، فقال: يا رسولَ الله، إنّي قد أهللتُ بما أهللتَ به؛ قال: ارجع فاحلل كما حلّ أصحابك، قال: قلت: يا رسولَ الله، إني قلت حين أحرمت: اللهمّ إني أهللت بما أهلّ به عبدك ورسولك؛ قال: فهلْ معك من هَدْي؟ قال: قلت: لا، قال: فأشركه رسولُ الله ﷺ في هديه وثبت على إحرامه مع رسول الله؛ حتى فرغا من الحجّ، ونحر رسول الله الهدْيَ عنهما(١). (٣: ١٤٨/ ١٤٩).

= عنها: خرجنا مع رسول الله ﷺ لخمس بقين من ذي القعدة ولا نرى إلا الحج حتى إذا دنونا من مكة.... الحديث.

وأخرجه مسلم (الحج/ بيان وجوه الحج) وغيرها.

(١) هذا إسناد ضعيف ويشهد له ما أخرجه مسلم (كتاب الحج/ باب إهلال النبي ﷺ وهديه/ ح ١٢٥٠): عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في حديث طويل: (في حجة النبي ﷺ) وفيه: (وقدم عليّ رضي الله عنه من اليمن ببدن النبي ﷺ فوجد فاطمة رضي الله عنها ممن حلّ ولبست ثياباً صبيغاً واكتحلت فأنكر ذلك عليها فقالت: إن أبي أمرني بهذا قال: فكان عليّ رضي الله عنه يقول بالعراق: فذهبت إلى رسول الله ﷺ محرّشاً على فاطمة للذي صنعت مستفتياً لرسول الله ﷺ فيما ذكرت عنه فأخبرته أني أنكرت ذلك عليها فقال: صدقت ماذا قلت حين فرضت الحج. قال قلت: اللهم إني أهلّ بما أهلّ به رسولك قال: فإن معي الهدي فلا تحل قال: فكان جماعة الهدي الذي قدم به علي من اليمن والذي أتى به النبي ﷺ مئة، قال: فحلّ الناس كلهم وقصّروا إلا النبي ومن كان معه هدى.... إلخ الحديث).

وأخرج البخاري في صحيحه (كتاب الحج): عن جابر بن عبد الله قال: (أهلّ النبي ﷺ وأصحابه بالحج وليس مع أحد منهم هدي غير النبي ﷺ وطلحة وقدم علي من اليمن ومعه هدي، فقال: أهللت بما أهلّ به النبي ﷺ فأمر النبي ﷺ أصحابه أن يجعلوها عمرة ويطوفوا ثم يقصروا ويحلوا إلا من كان معه الهدي.... الحديث).

وأخرجه البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (قدم علي رضي الله عنه على النبي ﷺ من اليمن فقال: بِمَ أهللت؟ قال: بما أهل به النبي ﷺ فقال: لولا أن معي الهدي =

٣٠٠ ـ حدّثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن معمَر بن حزْم ، عن سليمان بن محمد بن كعب بن عُجْرة ، عن عمّته زينب بنت كعب بن عُجْرة ـ وكانت عند أبي سعيد الخدريّ ـ عن أبي سعيد ، قال: شكا الناس عليّ بن أبي طالب ، فقام رسول الله فينا خطيباً ، فسمعته يقول: يا أيُّها الناس؛ لا تشكُوا عليًّا ، فو الله إنه لأخشى في ذات الله ـ أو في سبيل الله ـ [من أن يُشكَى][1] . (٣: ١٤٩) .

٣٠١ ـ حدّثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي نَجِيح ، قال: ثمّ مضى رسولُ الله ﷺ على حجّه؛ فأرى الناس

= لأحللت) (كتاب الحج/ باب من أهل في زمن النبي ﷺ كإهلال النبي/ ح ١٥٥٨) ورواه مسلم (ح ١٢٥٠) والله تعالى أعلم.

(١) حديث أبي سعيد هذا أخرجه الحاكم في المستدرك من طريق ابن إسحاق هذا وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي (المستدرك مع التلخيص ٣/ ١٣٤) والحديث أخرجه أحمد (٣/ ٨٦) والله أعلم.
وأخرج أحمد في مسنده (٩/ ح ٢٣٠٠٦) من حديث بريدة قال: (غزوت مع عليّ اليمن فرأيت منه جفوة فلما قدمت على رسول الله ﷺ ذكرت علياً فتنقصته فرأيت وجه رسول الله يتغيّر فقال: (يا بريدة ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم) قلت: بلى يا رسول الله. قال: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه) وذكره الحافظ ابن كثير ثم قال: وكذا رواه النسائي عن أبي داود الحراني عن أبي نعيم الفضل بن دكين عن عبد الملك بن أبي غنية بإسناده نحوه.
وهذا إسناد جيد قوي ، رجاله كلهم ثقات (البداية والنهاية ٤/ ١٦٨) ولقد ذكر الحافظ ابن كثير روايات عدة حول هذه المسألة وقوله عليه الصلاة والسلام: (من كنت مولاه فعلي مولاه) وتكلم عن أسانيدها.
قلنا: ولا حجة لأهل البدع في هذه الأحاديث للطعن في خلافة سيدنا أبي بكر وأنه اغتصب حق سيدنا علي حاشا لخلفاء رسول الله ﷺ أن يفعلوا ذلك وإنما قال ﷺ ما قال: بسبب شكوى بعض الناس القادمين من اليمن وتشكيهم من معاملة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وإلاّ فإنه عليه الصلاة والسلام قدم أبا بكر يصلي في الناس في مرضه الذي توفي فيه وأنه ﷺ قد أشار بوضوح إلى أحقية أبي بكر في الخلافة.
كما أخرج البخاري (فضائل الصحابة/ ح ٣٦٥٩) عن جبير بن مطعم أن امرأة سألت رسول الله شيئاً فأمرها أن ترجع إليه فقالت: يا رسول الله؟ أرأيت إن جئت فلم أجدك قال أبي: كأنها تعني الموت قال: فإن لم تجديني فائتي أبا بكر).
والحديث أخرجه مسلم (فضائل الصحابة/ ح ٢٣٨٦) والله تعالى أعلم.

مناسكَهم ، وأعلمهم سننَ حجّهم ؛ وخطب الناس خطبته التي بيّن للناس فيها ما بيّن ، فحمِد الله وأثنى عليه ؛ ثم قال :

أيّها الناس ، اسمعوا قولي ؛ فإنّي لا أدري لعلّي لا ألقاكم بعد عامي هذا ، بهذا الموقف أبداً ، أيّها الناس ؛ إنَّ دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقَوْا ربّكم كحرْمة يومكم هذا ، وحرْمة شهركم هذا ؛ وستلقوْن ربّكم ، فيسألكم عن أعمالكم . وقد بَلّغْتُ ، فمن كانت عنده أمانة فليُؤدِّها إلى من ائتمنه عليها . وإنّ كلّ رباً موضوع ، ولكم رؤوس أموالكم ، لا تَظلمون ولا تُظلمون . قضى الله أنه لا رِبا . وإنّ ربا العباس بن عبد المطلب موضوعٌ كلّه ، وأنّ كلّ دم كان في الجاهلية موضوع ، وإنّ أوّل دم أضَعُ دمَ ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ـ وكان مسترضَعاً في بني ليث ، فقتلتْه بنو هُذَيْل ـ فهو أوّل ما أبدأ به من دماء الجاهليّة .

أيّها الناس ؛ إنّ الشيطان قد يئس من أن يُعْبَد بأرضكم هذه أبداً ؛ ولكنه رضِيَ أن يُطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم ، فاحذروه على دينكم .

أيّها الناس : ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ ﴾ ، ويُحرّمُوا ما أحلّ اللهُ ؛ وإنّ الزّمان قد استدار كهيئته يوم خلَق الله السموات والأرض ؛ و﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٌۚ ﴾ ، ثلاثة متوالية ؛ ورجب مُضَر الذي بين جمادى وشعبان .

أمّا بعد أيها الناس ؛ فإنّ لكم على نسائكم حقًّا ولهنّ عليكم حقًّا ، لكم عليهنّ ألا يوطئن فرشَكم أحداً تكرهونه ، وعليهنّ ألا يأتينَ بفاحشة مُبيِّنَة ؛ فإن فعلن فإنّ الله أذِن لكم أن تهجروهنّ في المضاجع ، وتضربوهنّ ضرباً غير مُبرِّح ، فإن انتهينَ فلهنّ رزقهنّ وكِسْوَتهن بالمعروف . واستوصوا بالنساء خيراً ، فإنهنّ عندكم عَوَان لا يملكن لأنفسهنّ شيئاً ، وإنكم إنما أخذتموهنّ بأمانة الله ، واستحللتم فروجهنّ بكلمة الله ؛ فاعقلوا أيها الناس واسمعوا قولي ؛ فإنّي قد بلّغت وتركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلنْ تضلّوا أبداً ؛ كتاب الله وسنة نبيّه .

أيها الناس ، اسمعوا قولي فإني قد بلّغت ، واعقلوه . تعلَمُنَّ أن كلّ مسلم أخو المسلم ، وأن المسلمين إخوة ، فلا يحلّ لامرىء من أخيه إلاّ ما أعطاه عن

طيب نفس؛ فلا تظلموا أنفسكم. اللهمّ هل بلغتُ! قال: فذكر أنهم قالوا: اللهمّ نعم، فقال رسول الله: اللهمّ اشهد[١]. (٣: ١٥٠/ ١٥١).

٣٠٢ - حدّثنا ابنُ حُميد، قال: حدّثنا سلَمة، عن محمّد بن إسحاق، عن يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزُّبير، عن أبيه عبّاد، قال: كان الذي يصرخ في الناس بقول رسول الله وهو على عَرَفَة، ربيعة بن أميّة بن خلف، قال: يقول له رسول الله: قل: أيُّها الناس؛ إنّ رسول الله يقول: هل تدرون أيّ شهر هذا! فيقولون: الشهر الحرام، فيقول: قل لهم: إنّ الله قد حرّم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربّكم كحرْمة شهركم هذا. ثمّ قال: قلْ: إنّ رسولَ الله، يقول: أيّها الناس؛ فهل تدرُون أيّ بلد هذا؟ قال: فيصرخُ به، فيقولون: البلد

(١) إسناده ضعيف ولم نجد رواية جامعة لما ذكره الطبري هنا (من طريق ابن إسحاق) إلا أن رواية الترمذي في سننه قاربت رواية الطبري في ذكر بعض الأجزاء من المتن.
فقد أخرج الترمذي في سننه (٤/ ٢٥٤) كتاب تفسير القرآن/ باب ومن سورة التوبة (ح ٣٠٨٧) عن سليمان بن عمرو بن الأحوص حدثنا أبي أنه شهد حجة الوداع مع رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ ثم قال: (أيُّ يوم أحرم، أيُّ يوم أحرم، أيُّ يوم أحرم؟)
فقال الناس: يوم الحج الأكبر يا رسول الله.
قال: (فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا، ألا لا يجني جان إلا على نفسه، ولا يجني والد على ولده ولا ولد على والده ألا إن المسلم أخو المسلم فليس يحل لمسلم من أخيه شيء إلا ما أحل من نفسه ألا وإن كل ربا في الجاهلية موضوع، لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون غير ربا العباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله.
ألا وإن كل دم كان في الجاهلية موضوع وأول دم أضع من دماء الجاهلية دم الحارث بن عبد المطلب - كان مسترضعاً في بني ليث فقتلته هذيل.
ألا واستوصوا بالنساء خيراً فإنما هن عوان عندكم ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك إلا أن يأتين بفاحشة مبينة فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضرباً غير مبرح فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً.
ألا إن لكم على نسائكم حقاً ولنسائكم عليكم حقاً، فأما حقكم على نساءكم فلا يوطئن فرشكم من تكرهون ولا يأذن في بيوتكم من تكرهون ألا وإن حقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن).
وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. ولقد جمع المحدث الألباني زيادات صحيحة إضافة إلى حديث جابر بن عبد الله في صحيح مسلم فراجعها هناك (حجة النبي ٧١).

الحرام ، قال: فيقول: قل: إنّ الله حَرّم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أنْ تلقوْا ربّكم ، كحرمة بلدكم هذا. ثم قال: قل: أيها الناس ، هل تدرون أيّ يوم هذا؟ فقال لهم ، فقالوا: يوم الحجّ الأكبر ، فقال: قل: إنّ الله حرّم عليكم أموالكم ودماءكم إلى أن تلقوْا ربّكم كحرمة يومكم هذا[١]. (٣: ١٥١/ ١٥٢).

٣٠٣ ـ حدّثنا ابنُ حُميد ، قال: حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي نَجِيح ، أنّ رسولَ الله حين وقف بعَرفة ، قال: هذا الموقف ـ للجبل الذي هو عليه ـ وكلّ عرفة موقف. وقال حين وقف على قُزَح صبيحة المزدلفة: هذا الموقف ، وكلّ المزدلفة موقف. ثم لما نحر بالمَنحر ، قال: هذا المنحر ، وكلّ مِنى منحرٌ؛ فقضى رسولُ الله ﷺ الحجّ وقد أراهم مناسكَهم ، وعلّمهم ما افترض عليهم في حجّهم في المواقف ورمي الجمار والطواف بالبيت ، وما أحلّ لهم في حجّهم وما حرّم عليهم؛ فكانت حجّة الوداع وحجّة البلاغ؛ وذلك أن رسول الله لم يحجّ بعدها[٢]. (٣: ١٥٢).

---

(١) هذا إسناد ضعيف وعند البخاري ما يشهد لهذه الرواية دون ذكرٍ لربيعة بن أمية بن خلف فقد أخرج البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: «قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع ألا أي شهر تعلمونه أعظم حرمة؟ قالوا: ألا شهرنا هذا قال: ألا أي بلد تعلمونه أعظم حرمة؟ قالوا: ألا بلدنا هذا قال: ألا أي يوم تعلمونه أعظم حرمة؟ قالوا: ألا يومنا هذا قال: فإن الله ـ تبارك وتعالى ـ حرم عليكم دماءكم وأموالكم وأعراضكم ـ إلا بحقها ـ كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا. ألا هل بلغت ثلاثاً كل ذلك يجيبونه: ألا نعم. قال: ويحكم ـ أو ويلكم ـ لا ترجعن بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض» (صحيح البخاري/ كتاب الحدود/ باب ظهر المؤمن حمىً إلا في حدٍّ أو حق/ ح ٦٧٨٥) والله أعلم.

(٢) هذا إسناد ضعيف وأخرج أبو داود في سننه (٣/ ١٩٣/ح ١٩٣٥) حدثنا أحمد بن حنبل ثنا يحيى بن آدم ثنا سفيان عن عبد الرحمن بن عياش عن زيد بن علي عن أبيه عن عبيد الله بن أبي رافع عن علي قال: فلما أصبح يعني النبي ﷺ وقف على قزح فقال: هذا قزح وهو الموقف وجمع كلها موقف ونحرت هاهنا ومنى كلها منحر فانحروا في رحالكم.
وأخرج أبو داود (ح ١٩٣٦٩) عن جابر مرفوعاً (وقفت هاهنا بعرفة وعرفة كلها موقف ووقفت هاهنا بجمع وجمع كلها موقف ونحرت هاهنا ومنىً كلها منحر فانحروا في رحالكم).
وأخرج (ح ١٩٣٧) عن جابر مرفوعاً: كل عرفة موقف وكل منى منحر وكل المزدلفة موقف وكل فجاج مكة طريق. والحديث حسن صحيح. وأخرجه ابن ماجه / كتاب المناسك/ (ح ٣٠١٢) والله تعالى أعلم.

[ذكر جملة السرايا والبعوث]

٣٠٤ ـ قال أبو جعفر: وقد خالف في ذلك عبد الله بن أبي بكر مَن قال: كانت مغازي رسول الله ﷺ ستًّا وعشرين غزوة مَنْ أنا ذاكره:

حدّثنا أبو كُرَيب محمد بن العَلاء، قال: حدّثنا يحيى بن آدم، قال: حدّثنا زُهير عن أبي إسحاق، عن زيد بن أرقم، قال: سمعتُ منه أنّ رسول الله غزا تسع عشرة غزوة، وحجّ بعد ما هاجر حجةً، لم يحجّ غير حجّة الوداع. وذكر ابن إسحاق حجّة بمكة.

قال أبو إسحاق: فسألتُ زيدَ بن أرقم: كم غزوتَ مع رسول الله؟ قال: سبع عشرة[(١)]. (٣: ١٥٨).

٣٠٥ ـ حدّثنا ابن المثنّى، قال: حدّثنا محمد بن جعفر، حدثنا شُعبة، عن أبي إسحاق؛ أن عبد الله بن يزيد الأنصاريّ خرج يستسقي بالناس، قال: فصلّى ركعتين ثم استسقى. قال: فلقيتُ يومئذ زيدَ بن أرقم، قال: ليس بيني وبينه غيرُ رجل ـ أو بيني وبينه رجل ـ قال: فقلت: كم غزَا رسولُ الله ﷺ؟ قال: تسع عشرة غزوة، فقلت: كم غزوتَ معه؟ قال: سبع عشرة غزوة، فقلت: فما أوّلُ غزوة غزا؟ قال: ذات العُسير ـ أو العُشير[(٢)]. (٣: ١٥٨/ ١٥٩).

---

(١) حديث زيد بن أرقم هذا حديث صحيح أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب المغازي/ باب حجة الوداع/ ح ٤٤٠٤) ولفظه: (أن رسول الله ﷺ غزا تسع عشرة غزوة وحجّ بعدما هاجر حجة الوداع ولم يحج بعدها. قال أبو إسحاق: وواحدة بمكة).

(٢) حديث صحيح أخرجه البخاري في صحيحه من طريق شعبة عن أبي إسحاق: كنت إلى جنب زيد بن أرقم فقيل له: كم غزا النبي ﷺ من غزوة قال: تسع عشرة. قيل: كم غزوت أنت معه؟ قال: سبع عشرة. قلت: فأيهم كانت أول؟ قال: العسيرة أو العشيرة، فذكرت لقتادة ذلك فقال: العشيرة (كتاب المغازي/ ح ٣٩٤٩).

ـ [خلاصة القول في عدد غزوات الرسول ﷺ] ـ

قلنا: يبدو من كلام الإمام الطبري رحمه الله أنه يتفق مع ابن إسحاق والواقدي في عدد غزوات النبي ﷺ ولكن الذي ثبت في الصحيح هو ستة عشر وتسعة عشر وواحد وعشرون، ولقد ناقش الحافظ ابن حجر هذه المسألة في بداية كتاب المغازي من صحيح البخاري/ باب غزوة العشيرة أو العسيرة/ ح (٣٩٤٩) عن أبي إسحاق: كنت إلى جنب زيد بن أرقم فقيل =

= له: كم غزا النبي ﷺ من غزوة؟ قال: تسع عشرة قيل: كم غزوت أنت معه؟ قال: سبع عشرة قلت: فأيهم كانت أول؟ قال: العسيرة أو العشير فذكرت لقتادة فقال العشيرة.
فعقب الحافظ ابن حجر على قول (تسع عشرة): كذا قال ومراده الغزوات التي خرج النبي ﷺ فيها بنفسه سواء قاتل أو لم يقاتل، لكن روىٰ أبو يعلىٰ من طريق أبي الزبير عن جابر أن عدد الغزوات إحدىٰ وعشرون وإسناده صحيح.
وأصله في مسلم، فعلى هذا فات زيد بن أرقم ذكر ثنتين منها ولعلها الأبواء وبواط، وكأن ذلك خفي عليه لصغره، ويؤيد ما قلته ما وقع عند مسلم بلفظ: قلت أول غزوة غزاها؟ قال: ذات العشير أو العشيرة اهـ. والعشيرة كما تقدم هي الثالثة وأما قول ابن التين: يحمل قول زيد بن أرقم على أن العشيرة أول ما غزا هو أي زيد بن أرقم.
فقلت: ما أول غزوة غزاها أي وأنت معه؟ قال العشيرة فهو محتمل أيضاً، ويكون قد خفي عليه ثنتان مما بعد ذلك، أو عدّ الغزوتين واحدة.
فقد قال موسىٰ بن عقبة: قاتل رسول الله ﷺ: بنفسه في ثمان:
بدر ثم أحد ثم الأحزاب ثم المصطلق ثم خيبر ثم مكة ثم حنين ثم الطائف. اهـ.
وأهمل غزوة قريظة لأنه ضمها إلى الأحزاب لكونها كانت في أثرها وأفردها غيره لوقوعها منفردة بعد هزيمة الأحزاب وكذا وقع لغيره عدّ الطائف وحنين واحدة لتقاربهما فيجتمع على هذا قول زيد بن أرقم وقول جابر. وقد توسع ابن سعد فبلغ عدة المغازي التي خرج فيها رسول الله ﷺ بنفسه سبعاً وعشرين وتبع في ذلك الواقدي وهو مطابق لما عده ابن إسحاق إلا أنه لم يفرد وادي القرىٰ من خيبر، أشار إلى ذلك السهلي وكأن الستة الزائدة من هذا القبيل، (فتح الباري ٨/ ٥).
قلنا: ورواية مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير/ باب كم عدد غزوات النبي ﷺ (١٤٥/ ١٨١٣).
عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ غزا إحدى وعشرين غزوة غزوت معه منها تسع عشرة غزوة ولم أشهد بدراً ولا أحداً منعني أبي فلما قتل أبي يوم أحد لم أتخلف عن غزاة غزاها.
وقال الحافظ ابن كثير: وقد ذكر عروة بن الزبير والزهري وموسى بن عقبة ومحمد بن إسحاق بن يسار وغير واحد من أئمة هذا الشأن أنه عليه السلام قاتل يوم بدر في رمضان من سنة اثنتين ثم في أحد في شوال سنة ثلاث ثم الخندق وبني قريظة في شوال أيضاً من سنة أربع وقيل: خمس ثم في بني المصطلق بالمريسيع في شعبان سنة خمس ثم في خيبر في صفر سنة سبع ومنهم من يقول: سنة ست. والتحقيق أنه في أول سنة سبع واخر سنة ست.
ثم قاتل أهل مكة في رمضان سنة ثمان وقاتل هوازن وحاصر أهل طائف في شوال وبعض ذي الحجة سنة ثمان كما تقدم تفصيله (البداية والنهاية ٤/ ١٧٨).

[ذكر الخبر عن حجّ رسول الله ﷺ]

٣٠٦ ـ حدّثنا عبد الحميد بن بيان، قال: أخبرنا إسحاق بن يوسف، عن شريك، عن أبي إسحاق، عن مجاهد، عن ابن عمر، قال: اعتمرَ رسولُ الله ﷺ عُمْرتين قبل أن يحجّ، فبلغ ذلك عائشة، فقالت: اعتمر رسولُ الله أربعَ عُمَر؛ قد علم ذلك عبد الله بن عمر، منهنّ عُمرةٌ مع حجّته[1]. (٣: ١٦٠).

٣٠٧ ـ حدّثنا محمد بن علي بن الحسن بن شَقِيق، قال: سمعت أبي، قال: حدّثنا أبو حمزة عن مُطَرّف، عن أبي إسحاق، عن مجاهد، قال: سمعت ابنَ عمر يقول: اعتمر رسولُ الله ﷺ ثلاث عُمَر. فبلغ عائشة، فقالت: لقد علم ابن عمر أنه اعتمر أربع عُمَر، منها عمرته التي قرن معها الحجّة[2]. (٣: ١٦٠).

٣٠٨ ـ حدثنا ابنُ حُميد، قال: حدّثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، قال: دخلتُ أنا وعروة بن الزُّبير المسجد؛ فإذا ابن عمر جالسٌ عند حجرة عائشة، فقلنا: كم اعتمر النبيّ ﷺ؟ فقال: أربعاً؛ إحداهنّ في رَجب، فكرهنا أن نكذّبه ونردّ عليه، فسمعنا استنان عائشة في الحُجْرة، فقال عروة بن الزبير: يا أمَّهْ، يا أمَّ المؤمنين، أما تسمعين ما يقول أبو عبد الرحمن! فقالت: وما يقول؟ قال: يقول: إنّ النبيّ ﷺ اعتمر أربع عُمَر: إحداهنّ في رجب، فقالت: يرحم الله أبا عبد الرحمن! ما اعتمر النبيّ عمرةً إلاّ وهو شاهد، وما اعتمر في رجب[3]. (٣: ١٦٠).

---

(١) حديث ابن عمر حديث صحيح كما سنذكر بعد روايتين.

(٢) راجع الرواية التالية.

(٣) أخرج البخاري في (صحيحه/ كتاب العمرة/ باب كم اعتمر النبي ﷺ ح/ ١٧٧٥) عن مجاهد قال: دخلت أنا وعروة بن الزبير المسجد فإذا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما جالس إلى حجرة عائشة وإذا أناس يصلون في المسجد صلاة الضحى.
قال: فسألناه عن صلاتهم فقال: بدعة، ثم قال له: كم اعتمر رسول الله ﷺ قال: أربعاً إحداهن في رجب، فكرهنا أن نرد عليه.
ثم أخرج البخاري بعد هذا فقال (ح ١٧٧٦): قال وسمعنا استنان عائشة أم المؤمنين في الحجرة فقال عروة: يا أمّاه يا أم المؤمنين ألا تسمعين ما يقول أبو عبد الرحمن قالت: ما يقول؟ قال: يقول إن رسول الله ﷺ اعتمر أربع عمرات إحداهن في رجب، قالت: يرحم=

ذكر الخبر عن أزواج رسول الله ﷺ

ومَنْ منهنّ عاش بعده ومن منهنّ فارقه في حياته ، والسبب الذي فارقه من أجله ، ومن منهنّ مات قبله[1] . (٣: ١٦٠)

٣٠٩ ـ قال أبو جعفر: ولم يتزوّج رسولُ الله ﷺ في حياتها على خديجة حتى مضتْ لسبيلها؛ فلمّا توفِّيت خديجة تزوّج رسول الله بعدها؛ فاختلف فيمن بدأ بنكاحها منهنّ بعد خديجة ، فقال بعضهم: كانت التي بدأ بنكاحها بعد خديجة قبل غيرها عائشة بنت أبي بكر الصديق. وقال بعضهم: بل كانت سوْدة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد وُدّ بن نصر. فأما عائشة فكانت يوم تزوّجها صغيرة لا تصلح للجِماع؛ وأما سَوْدة فإنها كانت امرأة ثيّباً ، قد كان لها قبل النبيّ ﷺ زوْج؛ وكان زوجُها قبل النبيّ السّكْران بن عمرو بن عبد شمس ، وكان السَّكْران من مهاجرة الحبشة فتنصّر ومات بها؛ فخلف عليها رسول الله ﷺ وهو بمكة.

قال أبو جعفر: ولا خلاف بين جميع أهل العلم بسيرة رسول الله ﷺ أنّ رسول الله ﷺ بنى بسوْدة قبل عائشة[2] . (٣: ١٦١) .

ذكر السبب الذي كان في خطبة رسول الله ﷺ عائشة وسودة والرواية الواردة بأولاهما كان عقد عليها رسول الله عقدة النكاح

٣١٠ ـ حدثنا سعيد بن يحيى بن سعيد الأمويّ ، قال: حدّثني أبي ، قال: حدثنا محمد بن عمرو ، قال: حدّثنا يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب ، عن عائشة ، قالت: لمَّا توفّيت خديجة ، قالت خولة بنت حكيم بن أميّة بن الأوقص ، امرأة عثمان بن مَظْعون وذلك بمكّة: أيْ رسولَ الله ، ألا تزوَّج؟ فقال: ومَنْ؟ فقالت: إن شئت بكراً وإن شئتَ ثيّباً ، قال: فمَن البِكْر؟ قالت: ابنة

= الله أبا عبد الرحمن ما اعتمر عمرة إلا وهو شاهده وما اعتمر في رجب قط. ا هـ.

(١) صحيح.

(٢) صحيح.

أحبّ خلق الله إليك عائشة بنت أبي بكر ، قال: ومَن الثيّب؟ قالت: سودة بنت زمعة بن قيس ، قد آمنت بك واتبعتك على ما أنت عليه. قال: فاذهبي فاذكريهما عليّ. فجاءت فدخلت بيت أبي بكر ، فوجدتْ أمّ رُومان؛ أمّ عائشة ، فقالت: أي أمّ رومان ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة! قالت: وما ذاك؟ قالت: أرسلني رسول الله أخطب عليه عائشة ، قالت: وددتُ! انتظري أبا بكر ، فإنه آتٍ ، فجاء أبو بكر ، فقالت: يا أبا بكر ، ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة! أرسلني رسولُ الله أخطب عليه عائشة ، قال: وهل تصلح له ، إنما هي ابنة أخيه! فرجعتْ إلى رسول الله ﷺ ، فقالت له ذلك ، فقال: ارجعي إليه ، فقولي له: أنت أخي في الإسلام ، وأنا أخوك ، وابنتك تصلح لي. فأتت أبا بكر فذكرت ذلك له ، فقال: انتظريني حتى أرجع ، فقالت أم رُومان: إن المطعم بن عديّ كان ذكرها على ابنِه ، ولا والله ما وعد شيئاً قطّ فأخلف. فدخل أبو بكر على مطعم ، وعنده امرأته أمّ ابنه الذي كان ذكرها عليه ، فقالت العجوز: يا بن أبي قُحافة ، لعلنا إن زوّجنا ابننا ابنتك أن تصبِئَه وتدخله في دينك الذي أنت عليه! فأقبل على زوجها المطعِم فقال: ما تقول هذه؟ فقال: إنها تقول ذاك. قال: فخرج أبو بكر ، وقد أذهب الله العِدَة التي كانت في نفسه من عِدَته التي وعدها إياه ، وقال لخولة: ادعي لي رسول الله ، فدعتْه فجاء فأنكحه؛ وهي يومئذ ابنة ستّ سنين. قالت: ثم خرجتُ فدخلت على سَوْدة فقلت: أي سَوْدة ، ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة! قالت: وما ذاك؟ قالت: أرسلني رسولُ الله يخْطبك عليه ، قالت: فقالت: وددت! ادخلي على أبي فاذكري له ذلك ، قالت: وهو شيخ كبير قد تخلّف عن الحجّ ، فدخلت عليه ، فحيّيته بتحيّة أهل الجاهليّة ، ثم قلت: إن محمّد بن عبد الله بن عبد المطلب أرسلني أخطب عليه سَوْدة ، قال: كفءٌ كريمٌ؛ فماذا تقول صاحبته؟ قالت: تحبّ ذلك ، قال: ادعيها إليّ ، فدعيت له ، فقال: أيْ سودة ، زعمتْ هذه أنّ محمد بن عبد الله بن عبد المطلب أرسل يخطبك وهو كفءٌ كريم ، أفتحبّين أن أزوِّجكه؟ قالت: نعم ، قال: فادعيه لي ، فدعتْه ، فجاء فزوّجه ، فجاء أخوها من الحجّ؛ عبد بن زمعة ، فجعل يحثي في رأسه التراب ، فقال بعد أن أسلم: إنّي لسفيهٌ يوم أحثي في رأسي التراب أن تزوّج رسول الله سودة بنت زمعة! قال: قالت عائشة: فقدمنا المدينة ، فنزل أبو بكر السُّنْح في بني الحارث بن الخزرج ، قالت: فجاء رسولُ الله فدخل بيتنا ، فاجتمع

إليه رجال من الأنصار ونساء ، فجاءتني أمّي وأنا في أرجوحة بيْن عَذْقين يرجَّح بي ، فأنزلتني ثم وفّتْ جُميمة كانت لي ، ومسحت وجهي بشيء من ماء ، ثم أقبلت تقودني ، حتى إذا كنت عند الباب وقفت بي حتى ذهب بعض نفسي ، ثم أدخلت ورسول الله جالسٌ على سرير في بيتنا. قالت: فأجلستني في حجره ، فقالت: هؤلاء أهلك فبارك الله لك فيهنّ وبارك لهنّ فيك! ووثب القوم والنساء فخرجوا ، فبنى بي رسول الله في بيتي ، ما نحرت جَزورٌ ولا ذُبحت عليّ شاة ، وأنا يومئذ ابنة تسع سنين ، حتى أرسل إلينا سعد بن عبادة بجَفْنة كان يرسل بها إلى رسول الله ﷺ(١) . (٣/ ١٦٢/ ١٦٣) .

٣١١ - حدّثنا عليّ بن نَصْر ، قال: حدّثنا عبد الصمد بن عبد الوارث - وحدثني عبد الوارث بن عبد الصمد ، قال: حدّثني أبي - قال: حدّثنا أبان العطار ، قال: حدّثنا هشام بن عروة ، عن عُروة ، أنه كتب إلى عبد الملك بن مروان: إنك كتبت إليّ في خديجة بنت خويلد تسألني: متى توفّيت؟ وإنها توفيت قبل مُخرَج رسول الله ﷺ من مكة بثلاث سنين أو قريباً من ذلك ، ونكح عائشة متوفَّى خديجة ، كان رسول الله رأى عائشة مرّتين ، يقال له: هذه امرأتك ، وعائشة يومئذ ابنة ستّ سنين.

ثم إن رسول الله ﷺ بنى بعائشة بعد ما قدم المدينة وهي يوم بنى بها ابنة تسع سنين(٢) . (٣: ١٦٣) .

---

(١) رجال هذا الإسناد ثقات والله تعالى أعلم.

(٢) هذا إسناد مرسل صحيح وإن كان عروة لم يذكر سودة بنت زمعة في روايته إلا أنه ذكر (كما في الرواية السابقة) أنه ﷺ بنى بعائشة بعدما قدم المدينة وكان عمرها آنئذ تسع سنين والله تعالى أعلم.

- خلاصة القول في أسماء زوجات رسول الله ﷺ وترتيب زواجهن -

(٣/ ١٦٤): لقد ذكرنا الرواية الطويلة (٣/ ٤٠٨) والتي استغرقت الصفحات (١٦١/ ١٦٤/ ١٦٥/ ١٦٦/ ١٦٧) في قسم الضعيف فالرواية من طريق الواقدي وهو متروك ولم نجد رواية تجمع كل هذه التفاصيل من غير هذا الطريق.

وأما ما جاء في الصحيح عن عدد أزواج النبي ﷺ فقد أخرج البخاري في صحيحه (كتاب الغسل/ باب إذا جامع ثم عاد/ ح ٢٦٨) عن أنس رضي الله عنه: (كان النبي ﷺ يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار وهن إحدى عشرة). =

= وفي رواية أخرىٰ للبخاري عن أنس رضي الله عنه (أن نبي الله ﷺ كان يطوف على نسائه في الليلة الواحدة وله يومئذ تسع نسوة) (كتاب الغسل/ باب الجنب يخرج ويمشي في السوق وغيره/ ح ٢٨٤).

وقد ذكر الحافظ في شرحه لهذا الحديث وجه الجمع بين الروايتين وقال: وفي المختارة من وجه آخر عن أنس تزوج خمس عشرة دخل منهم بإحدى عشرة ومات عن تسع (فتح الباري١/ ٥٠٣).

قلنا: ولقد جاء ذكر أزواج النبي ﷺ مع التفاصيل متفرقاً في السيرة النبوية كما مرّ بنا خلال مراجعتنا وتحقيقنا لروايات الطبري رحمه الله ولقد ذكر الحافظ ابن كثير رواية من مراسيل الزهري عن ترتيب زواجهن من رسول الله ﷺ ثم قال: سقناه بالسند لغرابة ما فيه من ذكره تزويج سودة بالمدينة والصحيح أنه كان بمكة قبل الهجرة كما قدمناه والله أعلم (البداية والنهاية ٤/ ٦٢).

ثم قال الحافظ ابن كثير: قال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق قال: ماتت خديجة بنت خويلد قبل أن يهاجر رسول الله ﷺ بثلاث سنين لم يتزوج عليها امرأة حتى ماتت هي وأبو طالب في سنة.

فتزوج بعد خديجة سودة بنت زمعة ثم تزوج بعد سودة عائشة بنت أبي بكر لم يتزوج بكراً غيرها ولم يصب منها ولداً حتى مات، ثم تزوج بعد عائشة حفصة بنت عمر، ثم تزوج بعد حفصة زينب بنت خزيمة الهلالية أم المساكين ثم تزوج بعدها زينب بنت جحش ثم تزوج بعدها جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار. قال: ثم تزوج بعد جويرية صفية بنت حيي بن أخطب ثم تزوج بعدها ميمونة بنت الحارث الهلالية فهذا الترتيب أحسن وأقرب مما رتبه الزهري والله أعلم (البداية والنهاية ٦٣/ ٤).

قلنا: واختيار الحافظ ابن كثير لترتيب ابن إسحاق تؤيده الروايات المتناثرة في ثنايا السيرة بين المغازي والبعوث والسرايا والأحداث كما مر بنا في قسم الصحيح.

وكذلك ذكر الحافظ ابن حجر ترتيب زواجهن قريباً مما ذكره الحافظ ابن كثير فقال: لم تكن تحته امرأة سوى سودة (أي بعد وفاة خديجة في مكة وذلك قبل الهجرة).

ثم دخل على عائشة بالمدينة ثم تزوج أم سلمة وحفصة وزينب بنت خزيمة في السنة الثالثة والرابعة ثم تزوج زينب بنت جحش في الخامسة ثم جويرية في السادسة ثم صفية وأم حبيبة وميمونة في السابعة وهؤلاء جميع من دخل بهن من الزوجات بعد الهجرة على المشهور. ا هـ. (فتح الباري ١/ ٥٠٣).

وكذلك تحدث الإمام ابن قيم الجوزية عن هذا الترتيب مع تقديم وتأخير يسير وكما يلي: (أولاهن خديجة ثم سودة بنت زمعة، ثم عائشة الصديقة ثم حفصة بنت عمر ثم زينب بنت خزيمة ثم أم سلمة، ثم زينب بنت جحش وجويرية بنت الحارث، ثم أم حبيبة وصفية بنت=

٣١٢ ـ قال أبو جعفر: وممن لم يذكر هشام في خبره هذا ممّن روى عن رسول الله ﷺ أنه تزوّجه من النساء: زَيْنَب بنت خزيمة ـ وهي التي يقال لها أمّ المساكين ـ من بني عامر بن صعصعة، وهي زينب بنت خُزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة، وكانت قبل رسول الله عند الطّفيل بن الحارث بن المطلب، أخي عبيدة بن الحارث، توفّيت عند رسولِ الله ﷺ بالمدينة[1]. (٣: ١٦٧).

= حيي بن أخطب ثم ميمونة بنت الحارث الهلالية وهي آخر من تزوج بها) (زاد المعاد/ فصل في أزواجه ص ١٠٥ إلى ص ١١٣).

(١) صحيح.
لقد ذكرنا الرواية (٣/ ١٦٨/ ٤٠٩) في قسم الضعيف إلا أن الرواية ذكرت أسماء ثلاثة من النساء إحداهن قتيلة بنت قيس أخت الأشعث وهي التي تزوجها رسول الله ﷺ ولم يدخل بها، ثم ارتدت عن الإسلام.
وقال الحافظ ابن كثير: وقد روى الحافظ ابن عساكر عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ تزوج قتيلة أخت الأشعث بن قيس فمات قبل أن يخبرها فبرأها الله منه. فإن صحت طرق ابن عساكر إلى داود بن أبي هند فالخبر صحيح والله تعالى أعلم (وانظر مختصر تاريخ دمشق لابن منظور الذي اختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/ ٢٨٦) والبداية والنهاية لابن كثير (٤/ ٢٨٦) طبعة دار الفكر.
فقد ذكر الشعبي أن عكرمة تزوج قتيلة فأراد أبو بكر أن يضرب عنقه فراجعه عمر بن الخطاب فقال: إن رسول الله ﷺ لم يدخل بها وإنها ارتدت مع أخيها فبرئت من الله ورسوله، فلم يزل به حتى كف عنه. اهـ.
لقد ذكرنا الرواية (٣/ ١٦٨/ ٤١٠) في قسم الضعيف وقد رواها الطبري من قول الكلبي بلا إسناد والكلبي بيّن ضعفه فلا يحتج به.
ولم نجد رواية صحيحة من طريق آخر تذكر سبب تطليقها وأنها كانت تدخل على نساء قريش تدعوهن إلى الإسلام إلاّ أننا ذكرناها هنا في قسم الصحيح مع بقية النساء اللواتي لم يدخل بهن رسول الله ﷺ بعد أن تزوجهن، وقد وردت في ذلك روايات عدة متعددة المخارج منها ما أخرجه البيهقي من طريق يونس بن بكير عن زكريا بن أبي زائدة عن الشعبي قال: وهبن لرسول الله ﷺ نساء أنفسهن فدخل ببعضهن وأرجأ بعضهن فلم يقربهن حتى توفي ولم ينكحن بعده، منهن: أم شريك فذلك قوله تعالى: ﴿ تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ﴾ (البداية والنهاية ٥٨/ ٤) والمرسل الثاني هو ما أخرجه البيهقي في الدلائل (٧/ ٢٨٨) عن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه، قال: كان جميع ما تزوج رسول الله خمس عشرة امرأة منهن أم شريك الأنصارية وهبت نفسها للنبي ﷺ. =

ذكر مَنْ خطب النبيّ ﷺ من النساء ثم لم ينكحهنّ

٣١٢/ أ ـ منهنّ أم هانىء بنت أبي طالب ، واسمها هِنْد ، خطبها رسولُ الله ﷺ ولم يتزوّجها؛ لأنها ذكرتْ أنها ذات ولَد[1] . (٣: ١٦٩) .

ذكر سراري رسول الله ﷺ

٣١٣ ـ وهي مارية بنت شمعون القِبْطيّة ، وريحانة بنت زيد القُرَظيّة . وقيل: هي من بني النَّضِير . وقد مضى ذكر أخبارهما قبل[2] . (٣: ١٦٩) .

ذكر موالي رسول الله ﷺ

٣١٤ ـ فمنهم زيد بن حارثة وابنه أسامة بن زيد ، وقد ذكرنا خبره فيما مضى .

= والمرسل الثالث: عن قتادة قال: وتزوج أم شريك الأنصارية من بني النجار وقال: إني أحب أن أتزوج من الأنصار لكني أكره غيرتهن ولم يدخل بها (دلائل النبوة ٧/ ٢٨٨) وأخرج ابن سعد قال: وأخبرنا وكيع عن شريك عن جابر عن الحكم عن علي بن الحسين أن رسول الله ﷺ تزوج أم شريك الدوسية (البداية والنهاية ٤/ ٢٩٠) وطبقات ابن سعد (٧/ ٣٢٣/ ت ٤١٣٦).

وأخرج ابن سعد كذلك عن الشعبي قال: المرأة التي عزل رسول الله: أم شريك الأنصارية. الطبقات الكبرىٰ لابن سعد (٧/ ٣٢٣/ ت ٤١٣٦) والله تعالى أعلم.

(١) أخرج عبد الرزاق في مصنفه/ باب حق الرجل على امرأته (ح/ ٢٠٦٠٣) عن معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة: (أن رسول الله ﷺ خطب أم هانئ بنت أبي طالب فقالت: يا رسول الله إني قد كبرت ولي عيال) وإسناده صحيح.

وعن الشعبي عن أم هانئ فاختة بنت أبي طالب أن رسول الله ﷺ خطبها فذكرت أن لها صبية صغاراً فتركها وقال: خير نساء ركبن الإبل صالح نساء قريش أحناه على ولد طفل في صغره وأرعاه على زوج في ذات يده (البداية والنهاية ٦٤/ ٤).

وأخرج ابن سعد أخبرنا عبيد الله بن موسىٰ حدثنا إسرائيل عن السدي عن أبي صالح عن أم هانئ بنت أبي طالب قالت: (خطبني رسول الله فاعتذرت إليه فعذرني . . . إلخ الحديث) (الطبقات ٧/ ٣٢٢/ ط. دار الفكر).

وفي إسناده أبو صالح ضعيف. والله تعالى أعلم.

(٢) صحيح.

وثَوْبان ـ مولى رسول الله ، فأعتقه ، ولم يزل معه حتى قُبض ، ثم نزل حِمْص وله بها دار وقْف؛ ذكر أنه توفي سنة أربع وخمسين في خلافة معاوية وقال بعضُهم: بل كان سكن الرّمْلة ، ولا عقب له.

وشُقْرَان ـ وكان من الحبشة ، اسمه صالح بن عديّ؛ اختلف في أمرِه. قد ذكر عن عبد الله بن داود الخُرَيْبيّ أنه قال: شُقْران ورثه رسولُ الله ﷺ عن أبيه. وقال بعضهم: شُقْران من الفرس ، ونسبه فقال: هو صالح بن حول بن مهر بوذ.

نسب شُقران مولَى رسول الله ﷺ في قول مَنْ نسبه إلى عجم الفرس. زعم أنه صالح بن حول بن مهربوذ بن آذر جُشْنَس بن مهربان بن فيران بن رستَم بن فيروز بن ماي بن بهرام بن رشتهري ، وزعم أنهم كانوا من دَهاقين الرّيّ.

وذكر عن مصعب الزبيريّ أنه قال: كان شُقران لعبد الرحمن بن عوف. فوهبه للنبيّ ﷺ وأنه أعقب؛ وأن آخرهم موتاً رجلٌ كان بالمدينة من ولده ، كان له بالبصرة بقيّة.

ورُوَيْفع ـ وهو أبو رافع مولَى رسول الله ﷺ ، اسمه أسلم. وقال بعضهم: اسمه إبراهيم. واختلفوا في أمره؛ فقال بعضُهم: كان للعباس بن عبد المطلب ، فوهبه لرسول الله ﷺ ، فأعتقه رسول الله. وقال بعضهم: كان أبو رافع لأبي أحَيْحة سعيد بن العاص الأكبر فورثه بنوه ، فأعتق ثلاثةٌ منهم أنصباءهم منه ، وقُتِلوا يوم بدر جميعاً؛ وشهد أبو رافع معهم بدراً ، ووهب خالد بن سعيد نصيبَه منه لرسول الله ﷺ فأعتقه رسولُ الله.

وابنه البهيّ ـ اسمه رافع. وأخو البهيّ عُبيدة الله بن أبي رافع ـ وكان يكتُب لعليّ بن أبي طالب ، فلما وَلِيَ عمرو بن سعيد المدينةَ دعا البهيّ ، فقال: مَنْ مولاك؟ فقال: رسولُ الله ، فضربه مئةَ سوط ، وقال: مولى مَنْ أنتَ! قال: مولى رسول الله ، فضربه مئة سوط؛ فلم يزل يفعل به ذلك كلّما سأله: مولى من أنت؟ قال: مولى رسول الله؛ حتى ضربه خمسمئة سوط ، ثم قال: مَوْلَى مَنْ أنت؟ قال: مولاكم ، فلمّا قتل عبدُ الملك عمرَو بن سعيد قال البهيّ بن أبي رافع:

صحَّتْ ولاَ شَلَّتْ وَضَرَّتْ عَدُوَّهَا ... يمِينٌ هَرَاقَتْ مُهْجَةَ ابْنِ سَعِيدِ
هُوَ ابْنُ أبي العاصِي مِرَاراً ويَنْتَمِي ... إلى أُسْرَةٍ طابتْ له وجُدُودِ

وسَلْمان الفارسيّ ـ وكنيته أبو عبد الله من أهل قرية أصبهان؛ ويقال: إنه من

قرية رامَهُرْمُز؛ فأصابه أسرٌ من بعض كَلْب، فبيع من بعض اليهود بناحية وادي القُرى؛ فكاتبِ اليهوديّ، فأعانه رسولُ الله ﷺ والمسلمون حتى عَتَق. وقال بعضُ نسّابة الفُرس: سلْمان من كورسابور، واسمه مابه بن بوذخشان بن ده ديره.

وسَفِينة ـ مولَى رسول الله ﷺ، وكان لأمّ سلمة فأعتقته؛ واشترطت عليه خِدْمة رسول الله ﷺ حياتَه، قيل: إنه أسوَد؛ واختلف في اسمه، فقال بعضهم: اسمه مِهران، وقال بعضهم: اسمه رَبَاح، وقال بعضهم: هو من عجم الفرس؛ واسمه سبيه بن مارقيه.

وأنسة. يكنى أبا مُسَرَّح، وقيل: أبا مَسْرُوح. كان من مولَّدي السراة؛ وكان يأذن على رسولِ الله ﷺ إذا جلس، وشهد بدراً وأحداً والمشاهد كلّها مع رسول الله ﷺ. وقال بعضهم: أصلُه من عَجَم الفرس؛ كانت أمّه حبشيّةً وأبوه فارسيًّا. قال: واسم أبيه بالفارسية كردوي بن أشرنيده بن أدوهر بن مهرادر بن كحنكان من بني مهجوار بن يوماست.

وأبو كَبْشَة ـ واسمه سُلَيْم، قيل: إنه كان من مولّدي مكة، وقيل: من مولّدي أرض دَوْس، ابتاعه رسولُ الله ﷺ فأعتقه، فشهِد مع رسولِ الله بدْراً وأحُداً والمشاهدَ. تُوفيَ في أوّل يوم استُخلف فيه عمر بن الخطاب، سنة ثلاث عشرة من الهجرة.

وأبو مُوَيْهِبَة ـ قيل: إنه كان من مولَّدي مُزَينة، فاشتراه رسولُ الله ﷺ فأعتقه.

ورَبَاح الأسود ـ كان يأذن لرسولِ الله ﷺ.

وفَضَالة ـ مولى رسول الله ﷺ نزَلَ ـ فيما ذكر ـ الشأم.

ومِدْعَم ـ مولَى رسولِ الله ﷺ، كان عبداً لرفاعة بن زيد الجُذَاميّ، فوهبه لرسول الله، فقتل بوادي القُرى، يوم نزل بهم رسول الله، أتاه سهم غَرَب فقتله.

وأبو ضُمَيرة ـ كان بعضُ نسّابة الفرس زعم أنه من عَجم الفرس، من ولَدِ كشتاسب الملك، وأنّ اسمه واح بن شيرز بن بيرويس بن تاريشمه بن ماهوش بن باكمهير... وذكر بعضهم أنه كان ممن صار في قَسْم رسول الله في بعض

وقائعه ، فأعتقه ، وكتب له كتاباً بالوصيّة ، وهو جَدُّ حسين بن عبد الله بن أبي ضُميرة ، وأن ذلك الكتاب في أيدي ولد ولده وأهل بيته ، وأنّ حسين بن عبد الله هذا قدم على المهديّ ومعه ذلك الكتاب ، فأخذه المهديّ فوضعه على عينيه ، ووصله بثلاثمئة دينار.

ويَسَار ـ وكان فيما ذكر نوبيًّا؛ كان فيما وقع في سهم رسول الله ﷺ في بعض غزواته فأعتقه؛ وهو الذي قتله العُرَنيُّون الذين أغاروا على لِقاح رسول الله. ومِهْران ـ حدّث عن رسول الله ﷺ[1] . (٣: ١٦٩/ ١٧٠/ ١٧١/ ١٧٢) .

ذكر من كان يكتب لرسول الله ﷺ

٣١٥ ـ ذُكِر أنّ عُثمان بن عفّان كان يكتب له أحياناً ، وأحياناً عليّ بن أبي طالب ، وخالد بن سعيد ، وأبان بن سعيد ، والعَلاء بن الحضرميّ.

---

(١) هكذا ذكر الطبري أسماء موالي رسول الله ﷺ وقال الحافظ ابن كثير في كتابه (الفصول في سيرة الرسول/ فصل في ذكر موالي رسول الله ﷺ على حروف المعجم رضي الله عنهم أجمعين) وذلك حسبما أورده الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر في أول تأريخه وهم:
أحمر ويكنى أبا عسيب وأسود وأفلح وأنس وأيمن بن أم أيمن ، وباذام وثوبان بن بجدد وذكوان ـ وقيل: طهمان ، وقيل: كيسان ، وقيل: مروان ، وقيل: مهران ـ ورافع ورباح ورويفع وزيد بن حارثة وزيد جدّ هلال بن يسار وسابق وسالم وسعيد وسفينة وسلمان الفارسي وسليم ـ ويكنى بأبي كبشة ذكر فيمن شهد بدراً ـ وصالح (شقران) وضميرة بن أبي ضميرة وعبيد الله بن أسلم وعبيد ـ وعبيد أيضاً يكنى بأبي صفية ـ.
وفضالة اليماني وقصير وكركره بكسرهما ـ ويقال بفتحهما ـ ومابور القبطي ومدعم وميمون ونافع ونبيل وهرمز وهشام وواقد ووردان ويسار (نوبي) وأبو أثيلة وأبو بكرة وأبو الحمراء وأبو رافع ـ واسمه أسلم فيما قيل ـ وأبو عبيد.
فهؤلاء الذين حررهم أبو زكريا النووي رحمه الله تعالى في أول كتابه (تهذيب الأسماء واللغات) إلا أني رتبتهم على الحروف ليكون أسهل للكشف.
قلنا: وإن كان الحافظ ابن كثير قد سرد هنا أسماءهم فقط إلا أنه جاء على ذكرهم بالتفصيل مع ذكر بعض الأحاديث (الصحيحة وغيرها) وفيها ذكر أسماء هؤلاء متفرقين (انظر البداية والنهاية ٤/ ٣٠٢) باب ذكر عبيده عليه السلام ، وإمائه وذكر خدمه وكتابه وأمنائه مع مراعاة الحروف في أسمائهم وذكر بعض من ذكر من أبنائهم ، وقد استغرق هذا الباب الصفحات (٣٠٢/ ٣٠٣/ ٣٠٤/ . . ./ ٣٢٠) فليراجع وهو بحث قيم من إمام جليل رحمه الله وانظر زاد المعاد (١/ ١١٤).

قيل: أوّل مَنْ كتب له أبيّ بن كعب؛ وكان إذا غاب أبيّ كتب له زيد بن ثابت.

وكتب له عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح، ثم ارتدّ عن الإسلام، ثم راجع الإسلام يوم فتح مكة.

وكتب له معاوية بن أبي سفيان، وحنظلة الأسَيِّديّ[1]. (٣: ١٧٣).

---

(١) ما ذكره الطبري من أسماء كتابه من الصحابة صحيح ولكنه رحمه الله اقتصر على ذكر أسمائهم دون ذكر لبعض أخبارهم وابتدأ كلامه بقوله (ذُكر) بصيغة المبني للمجهول (وقيل) علماً بأن الباب باب مهم وليس بالهين أن نمرّ هكذا على ذكر كتاب رسول الله ﷺ دون رواية أو خبر وذلك من المواضيع التي لم يوليها الطبري الاهتمام المطلوب كما فعل في مسألة بناء المسجد بعد الهجرة إلى المدينة وغير ذلك من المواضيع الحساسة والله تعالى أعلم.
وسنذكر هنا بعض الروايات الصحيحة الواردة في الباب تأييداً لما ذكره الطبري:
فقد أخرج البخاري في صحيحه/ كتاب مناقب الأنصار/ باب مناقب زيد بن ثابت/ ح (٣٨١٠) من حديث قتادة عن أنس رضي الله عنه: (جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة كلهم من الأنصار: أبيّ ومعاذ بن جبل وأبو زيد وزيد بن ثابت. قلت لأنس: من أبو زيد قال: أحد عمومتي).
وأخرج البخاري في صحيحه/ كتاب الأحكام/ باب ترجمة الحكام وهل يجوز ترجمان واحد/ (ح ٧١٩٥)، وأبو داود في سننه/ كتاب العلم باب رواية حديث أهل الكتاب عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال:
أمرني رسول الله ﷺ فتعلمت له كتاب يهود وقال: إني والله ما آمن يهود على كتابي فتعلمته فلم يمر بي إلا نصف شهر حتى حذقته فكنت أكتب له إذا كتب وأقرأ له إذا كتب إليه. واللفظ لأبي داود.
علماً بأن البخاري ذكره معلقاً ووصله الترمذي وقال: حسن صحيح (كتاب الاستئذان والآداب/ ح ٢٧٢٤).
وأخرج أبو داود في سننه (كتاب الحدود/ ح ٤٣٥٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان عبد الله بن سعد بن أبي سرح يكتب لرسول الله ﷺ فأزلّه الشيطان فلحق بالكفار فأمر به رسول الله ﷺ أن يقتل يوم الفتح فاستجار له عثمان بن عفان فأجاره رسول الله ﷺ وحسّن المحدث الألباني (رحمه الله) إسناده والحديث أخرجه النسائي (ح ٤٠٨٠).
وممن لم يذكر الطبري اسمه من الكتاب (أبو بكر الصديق رضي الله عنه) فقد قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:
والدليل على كتابته ما ذكره موسىٰ بن عقبة عن الزهري عن عبد الرحمن بن مالك بن جعشم عن أبيه عن سراقة بن مالك في حديثه حين اتبع رسول الله حين خرج هو وأبو بكر من الغار=

= فمروا على أرضهم فلما غشيهم وكان من أمر فرسه ما كان سأل رسول الله أن يكتب له كتاب أمان فأمر أبا بكر فكتب له كتاباً ثم ألقاه إليه.

وقد روىٰ الإمام أحمد من طريق الزهري بهذا السند أن عامر بن فهيرة كتبه فيحتمل أن أبا بكر كتب بعضه ثم أمر مولاه عامراً فكتب باقيه والله أعلم. (البداية والنهاية ٤/ ١٣٠).

قلنا: وأما علي رضي الله عنه فقد تقدم في صلح الحديبية أنه كتب وثيقة الصلح بين رسول الله ﷺ وبين المشركين. اهـ.

وأخرج مسلم في صحيحه (كتاب فضائل الصحابة/ فضائل أبي سفيان صخر بن حرب) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أبا سفيان قال: يا رسول الله ثلاث أعطينيهن. قال: نعم، قال: تؤمرني حتى أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين. قال: نعم. قال: ومعاوية تجعله كاتباً بين يديك قال: نعم. . . . إلخ الحديث).

وقال الحافظ ابن كثير: قال عتيق بن يعقوب حدثني عبد الملك بن أبي بكر عن أبيه عن جده عن عمرو بن حزم بلغني أن خالداً بن سعيد كتب عن رسول الله كتاباً بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما أعطى محمد رسول الله ﷺ . . . . إلى آخر الرواية.

وكتب خالد بن سعيد (البداية والنهاية ٤/ ١١٩).

وقد تحدث الحافظ ابن كثير بالتفصيل عن كتّاب رسول الله ﷺ من الصحابة وبعض مروياتهم فليراجع (البداية والنهاية ٤/ ١١٤) فصل وأما كتاب الوحي وغيره بين يديه صلوات الله وسلامه عليه ورضي عنهم أجمعين إلى (٤/ ١٣٤).

وكذلك ذكر الحافظ ابن عساكر أسماءهم وبعض مروياتهم وأشار الحافظ ابن كثير إلى عمل ابن عساكر هذا فقال:

(أما كتاب الوحي فقد كتب له أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والزبير وأبيّ بن كعب وزيد بن ثابت ومعاوية بن أبي سفيان ومحمد بن مسلمة والأرقم بن أبي الأرقم، وأبان بن سعيد بن العاص وأخوه خالد وثابت بن قيس وحنظلة بن الربيع الأسدي الكاتب وخالد بن الوليد وعبد الله بن الأرقم وعبد الله بن زيد بن عبد ربه والعلاء بن عتبة والمغيرة بن شعبة وشرحبيل بن حسنة).

وقد أورد ذلك الحافظ أبو القاسم في كتابه أتمّ إيراد وأسند ما أمكنه عن كل واحد من هؤلاء إلا شرحبيل بن حسنة وذكر فيهم السجل، كما رواه أبو داود والنسائي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ وقال: هو كاتب كان للنبي ﷺ، وقد أنكر هذا الحديث الإمام أبو جعفر بن جرير في تفسيره وقال: لا يعرف في كتاب النبي ﷺ بل ولا في أصحابه أحد يسمى سجلاً (الفصول في سيرة الرسول/ ٢٥٦/ ط. دار الكلم الطيب).

وقال ابن القيم: فصل في كتابه ﷺ: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والزبير وعامر بن فهيرة وعمرو بن العاص وأبي بن كعب وعبد الله بن الأرقم وثابت بن قيس بن شماس وحنظلة بن

[ذكر أسماء خيل رسول الله ﷺ]

٣١٦ ـ حدّثني الحارث، قال: أخبرنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: سألت محمد بن يحيى بن سهل بن أبي حَثْمة عن المرتجزِ، فقال: هو الفرس الذي اشتراه من الأعرابيّ الذي شهد له فيه خُزَيْمَة بن ثابت؛ وكان الأعرابيّ من بني مرّة[1]. (٣: ١٧٣).

= الربيع الأسيدي والمغيرة بن شعبة وعبد الله بن رواحة وخالد بن الوليد وخالد بن سعيد بن العاص وقيل: إنه أول من كتب له ومعاوية بن أبي سفيان وزيد بن ثابت وكان ألزمهم لهذا الشأن وأخصهم به (زاد المعاد ١/ ١١٧).

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: قد كتب الوحي لرسول الله ﷺ جماعة غير زيد بن ثابت أما بمكة فلجميع ما نزل بها لأن زيد بن ثابت أسلم بعد الهجرة وأما بالمدينة فأكثر ما كان يكتب زيد.

ولكثرة تعاطيه ذلك أطلق عليه الكاتب بلام العهد كما في حديث البراء بن عازب في حديث الباب.

ولهذا قال له أبو بكر: إنك كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، وكان زيد بن ثابت ربما غاب فكتب الوحي غيره، وقد كتب له قبل زيد بن ثابت أبيّ بن كعب وهو أول من كتب له بالمدينة، وأول من كتب له بمكة من قريش عبد الله بن سعد بن أبي سرح ثم ارتد ثم عاد إلى الإسلام يوم الفتح.

وممن كتب له في الجملة الخلفاء الأربعة والزبير بن العوام وخالد وأبان ابنا سعيد بن العاص بن أمية وحنظلة بن الربيع الأسدي ومعيقيب بن أبي فاطمة وعبد الله بن الأرقم الزهري وشرحبيل بن حسنة وعبد الله بن رواحة في آخرين.

وروىٰ أحمد وأصحاب السنن الثلاثة وصححه ابن حبان والحاكم من حديث عبد الله بن عباس عن عثمان بن عفان قال: (كان رسول الله ﷺ لمّا يأتي عليه الزمان ينزل عليه من السور ذوات العدد فكان إذا نزل عليه الشيء يدعو بعض من يكتب عنده فيقول ضعوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا.... الحديث) (فتح الباري ١٠/ ٢٧).

(١) لقد ذكرنا الروايتين (٤١٦/ ٤١٧) في قسم الضعيف وفي إسنادهما الواقدي وهو متروك ولم نجد رواية صحيحة تؤيد ما ذكره الواقدي سوى ذكر لاسم من أسماء خيل رسول الله ﷺ (ونعني اللجيف).

فقد أخرج البخاري في صحيحه/ كتاب الجهاد والسير/ باب اسم الفرس والحمار/ =

(ذكر أسماء بغال رسول الله ﷺ)

٣١٧ ـ حدّثني الحارث ، قال: حدّثنا ابن سعد ، قال: حدّثنا محمد بن عمر ، قال: حدّثنا موسى بن محمد بن إبراهيم ، عن أبيه ، قال: كانت دُلْدُل بغلَة النبيّ ﷺ أوّل بغلة رُئيت في الإسلام ، أهداها له المقوقِس وأهدى له معها حماراً يقال له عُفيْر؛ فكانت البغلة قد بقيَتْ حتى كان زمن معاوية(١). (٣: ١٧٤).

= (ح/ ٢٨٥٥) من طريق أبيّ بن عباس بن سهل عن أبيه عن جدّه قال: كان للنبي ﷺ في حائطنا فرس يقال له (اللجيف).

وأخرج البخاري في الباب نفسه (ح ٢٨٥٧) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (كان فزع بالمدينة فاستعار النبي ﷺ فرساً لنا يقال له مندوب. . . . الحديث).

وأما الرواية الأخرى للواقدي والتي أخرجها الطبري: (٣/ ١٧٣/ ٣١٦) فلبعضها ما يؤيدها من رواية أبي داود وهي مسألة شهادة خزيمة بن ثابت رضي الله عنه فقد أخرج أبو داود في سننه (كتاب الأقضية/ باب إذا علم الحاكم صدق الشاهد الواحد يجوز أن يحكم به /ح ٣٦٠٧/) من طريق عمارة بن خزيمة أن عمه حدثه وهو من أصحاب النبي ﷺ أن النبي ابتاع فرساً من أعرابي. . . . . الحديث.

وفي آخر الحديث: فطفق الأعرابي يقول: (هَلُمَّ شهيداً فقال خزيمة بن ثابت: أنا أشهد أنك قد بايعته فأقبل النبي ﷺ على خزيمة فقال: بم تشهد فقال: بتصديقك يا رسول الله فجعل رسول الله ﷺ شهادة خزيمة بشهادة رجلين) وإسناده صحيح وليس في رواية أبي داود أن الفرس هو المرتجز وانظر سنن النسائي (ح ٤٦٤٧).

ولقد ورد اسم المرتجز (فرس) في حديث آخر عند البيهقي سنأتي على ذكره بعد قليل.

(١) في إسناده الواقدي وقد أخرج البيهقي في السنن (١٠/ ٢٦) عن علي قال: كان للنبي ﷺ فرس يقال له المرتجز وحمار يقال له عفير وبغلة يقال لها دلدل وسيفه ذو الفقار ودرعه ذو الفضول (السنن الكبرىٰ/ كتاب الإيمان/ باب ما جاء في تسمية البهائم والدواب) ويؤيده ما رواه البيهقي من طريق يحيى بن الجزار عن علي نحوه ، وانظر البداية والنهاية (٤/ ١٤٥).

وأخرج الطبراني في الكبير (ح ١١٢٠٨) وكانت له بغلة شهباء تسمى دلدل (وانظر مجمع الزوائد ٥/ ٢٧٢) وقال الحافظ المزي في تهذيب الكمال (١/ ٦٦) وكانت له بغلة يقال لها دلدل. اهـ.

وقال الحافظ ابن كثير: وكانت له بغلة يقال لها الدلدل أهداها له المقوقس (الفصول في سيرة الرسول/ ٢٥٨) تحقيق محيي الدين مستو. وقال ابن القيم: وكان له من البغال دلدل وكانت=

= شهباء أهداها له المقوقس (زاد المعاد ١/ ١٣٤/ تحقيق الأرناؤوط).
قلنا: وأما الحافظ ابن حجر فسيأتي كلامه بعد ذكرنا لحديث البخاري في صحيحه فقد أخرج/ كتاب الزكاة/ باب خرص التمر (ح ١٤٨١) من حديث أبي حميد الساعدي وأهدى ملك أيلة للنبي ﷺ بغلة بيضاء. . . . إلخ الحديث) فعقب الحافظ قائلاً:
واسم البغلة (دلدل) هكذا جزم به النووي.
قلنا: وأخرج البخاري في صحيحه كذلك (كتاب المغازي/ ح ٤٣١٧) من حديث البراء في غزوة حنين وفيه: (ولقد رأيت رسول الله ﷺ على بغلته البيضاء. . . . الحديث).
وقال الحافظ معقباً: وعند مسلم في صحيحه من حديث العباس: وكان علىٰ بغلة له بيضاء، أهداها له فروة بن نفاثة الجذامي (فتح الباري/ ٨/ ٣٤٧).
قلنا: وأما ما جاء في رواية الطبري عن ذكر عفير (حمار) فصحيح كما أخرج البخاري في صحيحه (كتاب الجهاد والسير/ ح ٢٨٥٦) من حديث معاذ رضي الله عنه قال: كنت ردف النبي ﷺ على حمارٍ له يقال له عفير. . . . الحديث).

[ذكر أسماء إبله ﷺ]

لقد ذكرنا روايات الطبري في هذا الباب في قسم الضعيف، وهي من طريق الواقدي، والواقدي متروك، ولقد أخرج البخاري في (صحيحه/ كتاب الرقاق/ باب التواضع/ ح٦٥٠١) عن أنس رضي الله عنه قال: كانت ناقة لرسول الله ﷺ تسمى العضباء، وكانت لا تُسبق، فجاء أعرابي. . . الحديث.

[ذكر أسماء لقاح رسول الله ﷺ]

لقد ذكرنا الروايات في ذلك في قسم الضعيف وهي من طريق الواقدي ولكن أخرج البخاري في صحيحه/ كتاب المغازي/ باب غزوة ذات القرد/ ح (٤١٩٤) من حديث سلمة بن الأكوع: خرجت قبل أن يؤذن بالأولى وكانت لقاح رسول الله ﷺ ترعىٰ بذي قردٍ. . الحديث.
ولم تذكر رواية البخاري وغيره أسماء اللقاح كما عند الواقدي والله تعالى أعلم.

[ذكر أسماء سيوف رسول الله ﷺ]

لقد ذكرنا الرواية (٣/ ١٧٦/ ٤٢٧) في قسم الضعيف ففي إسنادها الواقدي وهو متروك ولم نجد لها متابعاً أو شاهداً.
وسنذكر هنا عدداً من الأحاديث التي تحدثت عن سيوف رسول الله ﷺ:
فقد أخرج الترمذي في سننه (ح ١٥٦١) عن ابن عباس: (أن النبي ﷺ تنفل سيفه ذا الفقار يوم بدر وهو الذي رأىٰ فيه الرؤيا يوم أحد) وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.
قلنا: وأخرجه أحمد (١/ ح ٢٤٤٥) من حديث ابن عباس وأخرجه ابن سعد عن ابن عباس وبزيادة (واسم رايته العقاب) الطبقات الكبرى (١/ ٢٣٨).

= وأخرج أبو داود في سننه (كتاب الجهاد/ ح ٢٥٨٣) عن أنس: (كانت قبيعة سيف رسول الله فضة)

والحديث أخرجه الترمذي (ح/ ١٦٩١) وقال: هذا حديث حسن غريب وأخرجه النسائي (٨/ ٢١٩) ولفظه:

(كان نعل سيف رسول الله من فضة وقبيعة سيفه فضة وما بين ذلك حلق فضة).

قلنا: وفي أصل الحديث أو إرساله اختلاف بين العلماء علماء الحديث وممن ناقش ذلك ابن القيم وقال: إن حديث قتادة عن أنس محفوظ لاتفاق جرير بن حازم وهمام على قتادة عن أنس وكذلك رجح المباركفوري وصله والله تعالى أعلم.

قلنا: وكذلك ورد في صحيح البخاري ذكر سيفه ﷺ دون تسميته والله تعالى أعلم.

[ذكر أسماء دروعه ﷺ]

لقد ذكرنا الروايتين (٣/ ١٧٧/ ٤٢٩ ـ ٤٣٠) وهما من طريق الواقدي.

وفي الصحاح والسنن وكتب السيرة غير حديث فيه ذكر لدرع رسول الله ﷺ.

فقد أخرج البخاري في صحيحه/ كتاب السلم/ باب الرهن في السلم/ ح (٢٢٥٢) عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ اشترى من يهودي طعاماً إلى أجل معلوم وارتهن منه درعاً من حديد.

وأخرج أحمد (٥/ ح ١٥٧٢٢) وأبو داود في سننه (٣/ ح ٢٥٩٠) أن رسول الله ﷺ ظاهر يوم أحد بين درعين أو لبس درعين.

وأخرج ابن سعد في طبقاته (١/ ٢٣٩) ط. إحياء التراث. أخبرنا عبيد الله بن موسى والفضل بن دكين وأحمد بن عبد الله بن يونس قالوا:

أخبرنا إسرائيل عن جابر عن عامر قال: (أخرج إلينا عليّ بن حسين درع رسول الله ﷺ فإذا هي يمانية رقيقة ذات زرافين إذا علقت بزرافينها لم تمس الأرض وإذا أرسلت مسّت الأرض). ا هـ. والله تعالى أعلم.

وإن كان هذا الإسناد صحيحاً فهذا يعني أن درعه قد احتفظ به آل بيته ﷺ حتى وصل إلى علي بن حسين.

وفي صحيح البخاري من حديث الزهري أن علي بن حسين حدثه: (أنهم حين قدموا المدينة من عند يزيد بن معاوية وقتل حسين بن علي رحمة الله عليه لقيه المسور بن مخرمة فقال: هل لك إليّ من حاجة تأمرني بها؟ فقلت له: لا، فقال: هل أنت معطيّ سيف رسول الله فإني أخاف أن يغلبك القوم عليه. . . . إلى آخر الحديث) صحيح البخاري / كتاب فرض الخمس/ باب ما ذكر من درع النبي وعصاه وسيفه وقدحه وخاتمه/ ح (٣١١٠). =

[ذكر أسماء رسول الله ﷺ]

٣١٨ ـ حدّثني ابن المثنى ، قال: حدثنا أبو داود ، قال: أخبرَنا إبراهيم ـ يعني ابن سعد ـ عن الزهريّ ، قال: أخبرني محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه ، قال: قال لي رسولُ الله ﷺ : إن لي أسماء؛ أنا محمد ، وأحمد ، والعاقب ، والماحي. قال الزهري: العاقب: الذي ليس بعده أحد ، والماحي: الذي يمحو الله به الكفر[1] . (٣: ١٧٨) .

٣١٩ ـ حدّثنا ابن المثنّى ، قال: حدّثنا يزيد بن هارون ، قال ، أخبرنا سفيان ابن حسين ، قال: حدّثني الزهريّ ، عن محمد بن جُبير بن مطعم ، عن أبيه؛ قال: قال رسولُ الله ﷺ : أنا محمد ، وأحمد ، والماحي ، والعاقب ، والحاشر؛ الذي يحشر الناس على قدمَيّ. قال يزيد: فسألت سفيانَ: ما العاقب؟ قال: آخر الأنبياء[2] . (٣: ١٧٨/ ١٧٩) .

[ذكر صفة النبيّ ﷺ]

٣٢٠ ـ حدّثني ابنُ المثنَّى ، قال: حدّثني ابن أبي عديّ ، عن المسعوديّ ، عن عثمان بن عبد الله بن هُرمز ، قال: حدّثني نافع بن جُبير ، عن عليّ بن

---

(١) هذا حديث صحيح كما سنذكر بعد الرواية التالية.

(٢) حديث صحيح أخرجه البخاري في صحيحه/ كتاب المناقب/ باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ / ح ٣٥٣٢/ من طريق مالك بن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «لي خمسة أسماء: أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب».
وأخرج الترمذي في سننه/ كتاب الأدب/ باب ما جاء في أسماء النبي ﷺ / ح ٢٨٤٠/ من طريق سفيان عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ : «لي أسماء: أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس علىٰ قدمي ، وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي».
والحديث أخرجه مسلم (٤/ ١٨٢٨) وغير واحد ، وقد فصّل الحافظ ابن حجر في ذكر طرق الحديث المرسلة والموصولة وفصّل في شرحها في فتح الباري (٧/ ٢٤٧ ـ ٢٥٠) والله تعالى أعلم.

أبي طالب ، قال: كان رسولُ الله ﷺ ليس بالطويل ولا بالقصير ، ضَخْم الرأس واللحية ، شثن الكفَّيْن والقدمَيْن ، ضَخْم الكراديس ، مُشْرَباً وجهه الحُمْرَةَ ، طويل المَسْرُبَة إذا مشى تكفَّأ تَكَفُّؤاً كأنما ينحطُّ من صَبَب ، لم أر قبله ولا بعده مثلَه ﷺ[1] . (٣: ١٧٩) .

٣٢١ ـ حدثنا ابن المثنّى ، قال: حدّثنا أبو أحمد الزبيريّ ، قال: حدّثنا مجمَّع بن يحيى ، قال: حدّثنا عبد الله بن عمران عن رجل من الأنصار ـ لم يسمّه ـ أنه سأل عليّ بن أبي طالب وهو في مسجد الكوفة مُحْتَبٍ بحمَالة سيفه ، فقال: انعَتْ لي نعتَ رسولِ الله ﷺ ، فقال له عليّ: كان رسولُ الله أبيضَ اللون مُشْرَباً حُمْرَةً ، أدعج سَبْط الشعر ، دقيق المَسْرُبة ، سَهْل الخَدَّيْن ، كَثَّ اللحية وذَا وفْرَةٍ؛ كأن عنقه إبريقُ فِضَّة؛ كان له شعر من لَبَّته إلى سُرّته يجري كالقضيب؛ لم يكن في إبطه ولا صدره شعر غيره ، شَثْن الكفّ والقدَم؛ إذا مشى كأنما ينحدِر من صَبَب؛ وإذا مشى كأنما ينقلع من صَخْر ، وإذا التفت التفت جميعاً ، ليس بالقصير ولا بالطويل ، ولا العاجز ولا اللئيم ، كأنّ العَرَق في وجهه اللؤلؤ؛

(١) لرواية الطبري هذه متابعة عند الترمذي فقد أخرج في سننه (٤/ ٥٥٨/ ح ٣٦٣٧): حدثنا محمد بن إسماعيل حدثنا أبو نعيم حدثنا المسعودي عن عثمان بن مسلم بن هرمز عن نافع بن جبير بن مطعم عن علي قال: لم يكن رسول الله ﷺ بالطويل ولا بالقصير شثن الكفين والقدمين. ضخم الرأس ضخم الكراديس طويل المسربة إذا مشى تكفأ تكفؤاً كأنما أَحَطَّ من صبب لم أر قبله ولا بعده مثله. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. ا هـ.
ولرواية الطبري متابعة أخرىٰ عند أحمد من طريق نافع بن جبير عن أبيه عن علي قال: كان رسول الله ﷺ ضخم الهامة مُشْرباً حمرة شثن الكفين والقدمين ضخم اللحية طويل المسربة ضخم الكراديس يمشي في صبب يتكفأ في المشية. لا قصير ولا طويل لم أر قبله مثله ولا بعده.
وأخرج الحافظ ابن كثير هذه الرواية ثم قال: وقد روي لهذا شواهد كثيرة عن علي (البداية والنهاية ٤/ ١٦١).
وأخرج أحمد (١/ ٢٠٧/ح ٧٤٦) مسند علي بن أبي طالب عن هرمز عن نافع بن جبير عن علي رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ : ليس بالقصير ولا بالطويل ضخم الرأس واللحية شثن الكفين والقدمين والكراديس مشرباً وجهه حمرة طويل المسربة إذا مشىٰ تكفأ كأنما يقلع من صخر لم أر قبله ولا بعده مثله.

ولَريحُ عَرَقه أطيب من المسك؛ لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ[١] . (٣ : ١٧٩) .

٣٢٢ ـ حدّثنا ابنُ المقدمي ، قال: حدّثنا يحيى بن محمد بن قيس الذي يقال له أبو زُكيْر. قال: سمعتُ ربيعة بن أبي عبد الرحمن يذكر عن أنس بن مالك أنّ رسولَ الله ﷺ بُعث على رأس أربعين؛ فأقام بمكة عشراً وبالمدينة عشراً ، وتوفِّيَ على رأسِ ستين؛ ليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء؛ ولم يكن رسولُ الله ﷺ بالطويل البائن ، ولا القصير؛ ولم يكن بالأبيض الأمْهَق؛ ولا الآدم ، ولم يكن بالجَعْد القَطَط ولا السَّبط[٢] . (٣: ١٨٠) .

---

(١) في إسناده راوٍ لم يُسمَّ ولقد ذكر الحافظ ابن كثير رواية أحمد السابقة (المختصرة) ثم قال: (قال ابن عساكر: وقد رواه عبد الله بن داود الخريبي عن مجمع فأدخل بين عمران وبين علي رجلاً غير مسمىٰ ثم أسند من طريق عمرو بن علي الفلّاس عن عبد الله بن داود حدثنا مجمع بن يحيىٰ الأنصاري عن عبد الله بن عمران عن رجل من الأنصار قال: سألت علي بن أبي طالب وهو محتب بحمالة سيفه في مسجد الكوفة عن نعت رسول الله فقال: كان أبيض اللون مشرباً حمرة أدعج العينين. . . . . إلى آخر الحديث كما عند الطبري) (البداية والنهاية ٤/ ١٦١).

(٢) حديث أنس هذا حديث صحيح فقد أخرجه البخاري دون ذكر عبارة (وتوفي على رأس ستين) فقد أخرج في صحيحه (كتاب المناقب/ باب صفة النبي ﷺ / ح ٣٥٤٧) من طريق سعيد بن أبي هلال عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن قال: سمعت أنس بن مالك يصف النبي ﷺ قال: كان ربعة من القوم ليس بالطويل ولا بالقصير أزهر اللون ليس بأبيض أمهق ولا آدم ، ليس بجعد قطط ولا سبط رجل. أنزل عليه وهو ابن أربعين فلبث بمكة عشر سنين ينزل عليه ، وبالمدينة عشر سنين وقبض وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء.
قال ربيعة: فرأيت شعراً من شعره فإذا هو أحمر فسألت فقيل: أحمر من الطيب.
والحديث أخرجه مسلم في صحيحه (كتاب الفضائل/ باب في صفة النبي ومبعثه وسنته) عن أنس بن مالك وفيه:
(بعثه الله عز وجل على رأس أربعين سنة ، فأقام بمكة عشر سنين وبالمدينة عشر سنين وتوفاه الله على رأس ستين سنة وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء).
وكذلك أخرجه الترمذي (كما عند مسلم)/ سنن الترمذي ٤/ ٥٥٢/ كتاب المناقب/ (ح ٣٦٢٣).
ولقد وردت روايات أخرىٰ صحيحة في عدد هذه الشعرات مع تغاير في العدد. وقد ذكر الحافظ ابن حجر هذه الروايات بالتفصيل وذكر وجه الجمع بينها عند شرحه للحديث (٣٥٤٧) عن أنس وكذلك ذكر الحافظ بعضاً من هذه الروايات. وذكر وجهاً من الجمع كما في البداية والنهاية (٤/ ١٦٧) والله تعالى أعلم.

٣٢٣ ـ حدّثني ابن المثنّى قال: حدّثنا يزيد بن هارون، عن الجُرَيريّ، قال: كنت مع أبي الطُّفيل نطوف بالبيت؛ فقال: ما بقيَ أحدٌ رأى رسولَ الله ﷺ غيري؛ قال: وقلت: أرأيتَه؟ قال: نعم، قلت: كيف كان صفتُه؟ قال: كان أبيضَ مليحاً مقصَّداً[١]. (٣: ١٨٠).

(ذكر خاتم النبوة التي كانت به ﷺ)

٣٢٤ ـ حدّثنا ابن المثنى، قال: حدّثنا الضّحاك بن مخلد، قال: حدّثنا عَزْرَة بن ثابت، قال: حدّثنا علباء، قال: حدّثنا أبو زيد، قال: قال لي رسولُ الله ﷺ: يا أبا زيد، ادْنُ مني امسَحْ ظهري ـ وكشف عن ظهره ـ قال: فمسسْتُ ظهره، ثم وضعتُ أصبعي على الخاتم فغَمَزْتُها، قال: قلت: وما الخاتم؟ قال: شعرٌ مجمعٌ كان على كتفيْه[٢]. (٣: ١٨٠).

٣٢٥ ـ حدّثنا ابن المثنى، قال: حدّثنا بشر بن الوضّاح أبو الهيثم، قال: حدّثنا أبو عقيل الدَّوْرَقيّ عن أبي نَضْرة، قال: سألت أبا سعيد الخدريّ عن الخاتم التي كانت للنبيّ ﷺ، قال كانت بضعةً ناشزة[٣]. (٣: ١٨٠).

---

(١) تابع ابن المثنى الإمام أحمد رحمه الله إذ قال: حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا الجريري قال: كنت أطوف مع أبي الطفيل فقال: ما بقي أحد رأى رسول الله ﷺ غيري قلت: ورأيته؟ قال: نعم. قلت: كيف كانت صفته؟ قال: كان أبيض مليحاً مقصداً.
وقد ذكر الحافظ ابن كثير هذا ثم قال: وقد رواه الترمذي عن بندار وسفيان بن وكيع كلاهما عن يزيد بن هارون به (البداية والنهاية ٤/ ١٥٤).
قلنا: وأخرج مسلم في (صحيحه/ الفضائل/ باب في صفة النبي ﷺ ومبعثه وسنه عن الجريري عن أبي الطفيل رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ وما على وجه الأرض رجل رآه غيري قال: فقلت له فكيف رأيته؟ قال: كان أبيض مليحاً مقصداً. قال مسلم: مات أبو الطفيل سنة مئة وكان آخر من مات من أصحاب رسول الله ﷺ. اهـ.

(٢) هذا إسناد صحيح وحديث أبي زيد، وهو عمرو بن أخطب الأنصاري حديث صحيح، أخرجه أحمد (٥/ ٧٧) والحاكم في المستدرك (٢/ ٦٠٦) وصححه ووافقه الذهبي والله أعلم.

(٣) هذا إسناد حسن صحيح والحديث أخرجه الترمذي في الشمائل/ باب ما جاء في خاتم النبوة/ (ح٢٢).
وجاءت رواية أخرىٰ عن أبي سعيد وبلفظ آخر عنه فقد ذكر الحافظ ابن كثير رواية الإمام أحمد من حديث غياث البكري قال: كنا نجالس أبا سعيد الخدري بالمدينة فسألته عن خاتم=

ذكر شجاعته وجوده ﷺ

٣٢٦ ـ حدثنا ابنُ المثنّى ، قال: حدّثنا حمّاد بن واقد ، عن ثابت ، عن أنس ، قال: كان نبيّ الله ﷺ من أحسن الناس ، وأسمح الناس ، وأشجع الناس؛ لقد كان فزعٌ بالمدينة ، فانطلق أهلُ المدينة نحو الصوت ، فإذا هم قد تلقّوْا رسولَ الله ﷺ على فرس عُرْي لأبي طلحة ، ما عليه سَرْج ، وعليه السّيْف. قال: وقد كان سبقهم إلى الصَّوْت ، قال: فجعل يقول: يا أيها الناس ، لم تُراعوا ، لم تُراعوا! مرّتين ، ثم قال: يا أبا طلحة ، وجدناه بحراً؛ وقد كان الفرس يبطّأ ، فما سبقه فرسٌ بعد ذلك[1] . (٣: ١٨١) .

= رسول الله ﷺ الذي كان بين كتفيه فقال: بأصبعه السبابة هكذا لحم ناشز بين كتفيه ﷺ ثم قال ابن كثير: تفرد به أحمد من هذا الوجه (البداية والنهاية ٤/ ١٧٦).

قلنا: وقد أخرج البخاري في صحيحه حديث السائب بن يزيد (كتاب المناقب باب في خاتم النبوة/ ح ٣٥٤٠) ومسلم في صحيحه كتاب الفضائل/ باب في خاتم النبوة. وفي رواية مسلم: (فنظرت إلى خاتمه بين كتفيه مثل زرّ الحجلةِ).

وأخرجه البخاري بتمامه في كتاب الوضوء/ ح ١٩٠/ من حديث السائب بن يزيد: (ذهبت بي خالتي إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إن ابن أختي وقع فمسح رأسي ودعا لي بالبركة ثم توضأ فشربت من وضوئه ثم قمت خلف ظهره فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه مثل زر الحجلة). ا هـ.

ولقد ذكر الحافظ ابن كثير الروايات الواردة في صفة خاتم النبوة وحكم على أسانيد بعضها (البداية والنهاية ٤/ ١٧٥ إلى ٤/ ١٧٨).

(١) حديث أنس هذا حديث صحيح أخرجه البخاري (كتاب الجهاد/ ح (٢٩٠٨) من طريق حماد بن زيد عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ أحسن الناس وأشجع الناس.

ولقد فزع أهل المدينة ليلة فخرجوا نحو الصوت فاستقبلهم النبي ﷺ وقد استبرأ الخبر وهو على فرس لأبي طلحة عُري وفي عنقه السيف وهو يقول: لم تراعوا لم تراعوا ثم قال: (وجدناه بحراً أو قال: إنه لبحر).

وقد أخرجه البخاري في مواضع عدة منها ما جاء في كتاب الجهاد والسير/ باب الفرس القطوف/ ح (٢٨٦٧) وفي آخره: فكان بعد ذلك لا يجارىٰ.

وأخرجه مسلم/ كتاب الفضائل/ باب في شجاعة النبي ﷺ وتقدمه إلى الحرب والله تعالى أعلم.

٣٢٧ ـ حدّثنا ابنُ المثنّى ، قال: حدّثنا عبدُ الرحمن بن مهديّ ، قال: حدثنا حماد بن زيد ، عن ثابت ، عن أنس ، قال: كان رسولُ الله ﷺ أشجع الناس ، وأجودَ الناس؛ كان فزعٌ بالمدينة فخرج الناس قبل الصوت ، فاستبرأ الفزعَ على فرس لأبي طلحة عُرْي ، ما عليه سَرْج ، في عنقه السيف. قال: وجدناه بحْراً ـ أو قال: وإنه لبَحْرٌ[1]. (٣: ١٨١).

ذكر صفة شعره ﷺ وهل كان يخضب أم لا

٣٢٨ ـ حدّثني ابنُ المثنى ، قال: حدّثنا مُعاذ بن معاذ ، قال: حدّثنا حَرِيز بن عثمان ، قال أبو موسى: قال مُعاذ: وما رأيتُ من رجل قطّ من أهل الشأم أفضِّلُه عليه ، قال: دخلنا على عبد الله بن بُسْر ، فقلت له من بين أصحابي: أرأيتَ رسولَ الله ﷺ؟ أشَيْخاً كان؟ قال: فوضع يده على عَنْفَقته ، وقال: كان في عَنْفقته شعر أبيض[2]. (٣: ١٨١).

٣٢٩ ـ حدّثنا ابن المثنّى ، قال: حدّثنا أبو داود ، قال: حدثنا زُهير ، عن أبي إسحاق ، عن أبي جُحَيفة ، قال: رأيت رسولَ الله ﷺ عنفقتُه بيضاء ، قيل: مثلُ مَنْ أنت يومئذ يا أبا جُحيفة؟ قال: أبرِي النَّبل وأريشها[3]. (٣: ١٨١).

٣٣٠ـ حدّثني ابنُ المثنّى ، قال: حدّثنا خالد بن الحارث ، قال: حدّثنا حُمَيد ، قال: سئل أنس: أخضَب رسول الله؟ قال: فقال أنس: لم يشتدّ

(١) حديث صحيح كما ذكرنا عند الرواية السابقة.

(٢) رجال هذا الإسناد رجال الصحيح والحديث أخرجه البخاري في صحيحه من طريق حريز بن عثمان أنه سأل عبد الله بن بُسرٍ صاحب النبي ﷺ قال: أرأيت النبي ﷺ كان شيخاً قال: كان في عنفقته شعرات بيض. (كتاب المناقب/ باب صفة النبي ﷺ/ ح٣٥٤٦). وقال الحافظ في الفتح: وفي رواية الإسماعيلي إنما كانت شعرات بيض وأشار إلى عنفقته (فتح الباري ٧/ ٢٦٣).

(٣) حديث أبي جحيفة أخرجه البخاري من طريق إسرائيل عن أبي إسحاق عن وهب أبي جحيفة السوائي قال: رأيت النبي ﷺ ورأيت بياضاً من تحت شفته السفلىٰ العنفقة كتاب المناقب/ باب صفة النبي ﷺ (ح ٣٥٤٦) والحديث أخرجه مسلم في صحيحه/ كتاب الفضائل.

برسول الله الشَّيْب ، ولكن خضب أبو بكر بالحنّاء والكَتَم ، وخضب عمر بالحنّاء[(١)] . (٣ : ١٨٢) .

٣٣١ ـ حدّثنا ابن المثنى ، قال : حدّثنا ابن أبي عديّ ، عن حُميد ، قال : سئل أنسٌ : هل خَضَب رسولُ الله ﷺ ؟ قال : لم يُرَ من الشّيب إلاّ نحوٌ من تسع عشرة أو عشرين شعرة بيضاء في مقدّم لحيته . قال : إنه لم يُشَنْ بالشَّيْب ، فقيل لأنس : وشَيْنٌ هو ! قال : كلُّكم يكرهه ؛ ولكن خضب أبو بكر بالحنّاء والكَتَم ، وخضَب عمر بالحناء[(٢)] . (٣ : ١٨٢) .

٣٣٢ ـ حدّثنا ابنُ المثنى ، قال : حدّثنا مُعاذ بن معاذ ، قال : حدّثنا حُميد ، عن أنس ، قال : لم يكن الشيبُ الذي بالنبيّ ﷺ عشرين شعرة[(٣)] . (٣ : ١٨٢) .

٣٣٣ ـ حدّثنا ابنُ المثنّى ، قال : حدّثنا عبدُ الرحمن ، قال : حدّثنا حمّاد ابن سلَمة ، عن سِمَاك ، عن جابر بن سَمُرة ، قال : ما كان في رأس رسول الله ﷺ من

---

(١) رجال هذا الإسناد رجال الصحيح وأصل الخبر في الصحيح دون ذكر لأبي بكر وعمر .
فقد أخرج البخاري في صحيحه/ كتاب المناقب/ باب صفة النبي ﷺ (ح ٣٥٥٠) عن قتادة قال : سألت أنساً هل خضب النبي ﷺ قال : (لا إنما كان شيء في صدغيه) .
وأخرجه الترمذي في الشمائل (ح ٣٠) من حديث قتادة قال : قلت لأنس بن مالك هل خضب رسول الله ﷺ قال : لم يبلغ ذلك إنما كان شيباً في صدغيه ولكن أبو بكر رضي الله عنه خضب بالحناء والكتم .
وفي رواية أبي داود (٣/ ح ٤٢٠٩) عن ثابت عن أنس أنه سئل عن خضاب النبي ﷺ فذكر أنه لم يخضب ولكن قد خضب أبو بكر وعمر رضي الله عنهما .
وأخرج ابن سعد عن أنس رضي الله عنه : (ما شانه الله بالشيب وما كان فيه من الشيب ما يخضب . . .) وإسناده صحيح (الطبقات الكبرى ١/ ٢٠٩) .

(٢) إسناده صحيح وأخرجه ابن ماجه من حديث أنسٍ : (لم ير من الشيب إلا نحو سبعة عشر أو عشرين شعرة في مقدم لحيته) وقال البوصيري في الزوائد : هذا إسناد صحيح ورجاله ثقات .
وقال الحافظ ابن حجر : وقد روىٰ ابن سعد بسند صحيح عن ثابت عن أنس قال : ما كان في رأس النبي ولحيته إلا سبع عشرة أو ثماني عشرة (فتح الباري ٧/ ٢٦٦) .

(٣) هذا جزء من حديث صحيح أخرجه البخاري عن أنس رضي الله عنه وفي آخره : (فتوفاه الله وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء) كتاب المناقب/ باب صفة النبي ﷺ ح (٣٥٤٨) .

الشيْب إلاّ شعرات في مفرِق رأسه؛ وكان إذا دهنه غَطّاهنّ[(١)] . (٣ : ١٨٢) .

٣٣٤ - حدّثنا ابنُ المثنى ، قال: حدّثنا عبدُ الرحمن بن مهديّ ، قال: حدّثنا سلاّم بن أبي مطيع ، عن عثمان بن عبد الله بن مَوْهَب ، قال: دخلتْ زوجُ النبيّ ﷺ فأخرجتْ إلينا شعراً من شعر رسول الله مخضوباً بالحنّاء والكتَم[(٢)] . (٣ : ١٨٢) .

٣٣٥ - حدّثنا ابنُ جابر بن الكرديّ الواسطي ، قال: حدّثنا أبو سفيان قال: حدّثنا الضّحاك بن حُمْرَة عن غَيْلان بن جامع ، عن إياد بن لَقيط ، عن أبي رِمْثَة ، قال: كان رسولُ الله ﷺ يخضب بالحنّاء والكَتَم؛ وكان يبلغ شعره كَتِفَيْه أو منكبيْه - الشكّ من أبي سفيان[(٣)] . (٣ : ١٨٢) .

---

(١) حديث سمرة هذا أخرجه مسلم (كتاب الفضائل/ باب في خاتم النبوة/ ح ٣٣٤٤) ولفظه: (كان رسول الله ﷺ قد شمط مقدم رأسه ولحيته وكان إذا دهن لم يتبين . . . . الحديث).
وأخرجه الترمذي في الشمائل باب ما جاء في شيب رسول الله ﷺ / ح٣٢ عن جابر بن سمرة وقد سئل عن شيب رسول الله ﷺ فقال: كان إذا دهن رأسه لم يُر منه شيب ، وإذا لم يدهن رؤي منه شيء.
وأخرج رواية أخرىٰ عن جابر بن سمرة: (لم يكن في رأس رسول الله ﷺ شيب إلا شعرات في مفرق رأسه إذا ادّهن واراهُنّ الدّهن) وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك مع التلخيص ٢/ ٦٠٧).

(٢) هذا إسناد صحيح وأخرج البخاري في صحيحه/ كتاب اللباس/ باب ما يذكر في الشيب/ (ح ٥٨٩٧) حدثنا موسىٰ بن إسماعيل حدثنا سلاّم عن عثمان بن عبد الله بن موهب قال: دخلت على أم سلمة فأخرجت إلينا شعراً من شعر النبي ﷺ مخضوباً.
وقال الحافظ في شرحه لهذه الرواية: قوله (مخضوباً) زاد يونس بالحناء والكتم ، وكذا لابن أبي خيثمة ، وكذا لأحمد عن عفان وعبد الرحمن بن مهدي كلاهما عن سلام/ فتح الباري (١١/ ٥٤٧).
قلنا: والحديث أخرجه ابن ماجه حدثنا أبو بكر ثنا يونس بن محمد ثنا سلاّم بن أبي مطيع عن عثمان بن موهب قال: دخلت على أم سلمة قال: فأخرجت إليّ شعراً من شعر رسول الله ﷺ مخضوباً بالحناء والكتم. وإسناده صحيح والله تعالى أعلم - (سنن ابن ماجه ٢/ كتاب اللباس/ باب الخضاب والحناء/ ح ٣٦٢٣).

(٣) إسناده ضعيف وحديث أبي رمثة هذا أخرجه غير واحد ولكن مع اختلاف فقد أخرجه أبو داود في غير موضع كما في كتاب الترجل/ باب في الخضاب/ ح (٤٢٠٦) ولفظه:
(انطلقت مع أبي نحو النبي ﷺ فإذا هو ذو وفرة بها ردع حناء وعليه بردان أخضران) وإسناده=

٣٣٦ ـ حدّثنا ابنُ المثنى ، قال: حدّثنا عبدُ الرحمن بن مهديّ ، عن إبراهيم ـ يعني ابن نافع ـ عن ابن أبي نَجيح ، عن مجاهد ، عن أمّ هانىء ، قالت: رأيتُ رسولَ الله ﷺ وله ضفائر أربع[1] . (٣ : ١٨٣) .

ذكر الخبر عن بدء مرض رسول الله الذي توفي فيه وما كان منه قبيل ذلك لما نعيت إليه نفسه ﷺ

٣٣٦/ أ ـ قال أبو جعفر: يقول الله عزّ وجل: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ قد مضى ذكرُنا قبلُ ما كان من تعليم رسول الله ﷺ أصحابه ـ في حجّته التي حجّها المسمّاة حجّة الوداع ، وحجّة التمام ، وحجة البلاغ ـ مناسكَهم ووصيّته إياهم ، بما قد ذكرت قبل في خطبته التي خَطَبها بهم فيها .

ثم إن رسول الله ﷺ انصرف من سَفَره ذلك بعد فراغه من حجّه إلى منزله بالمدينة في بقيّة ذي الحجّة ، فأقام بها ما بقيَ من ذي الحجّة والمحرّم والصّفَر[2] . (٣ : ١٨٣) .

(ثم دخلت سنة إحدى عشرة)
ـ ذكر الأحداث التي كانت فيها ـ

٣٣٧ ـ حدّثنا ابنُ حُميد ، قال: حدّثنا سلمَة وعليّ بن مجاهد ، عن محمد

= صحيح وأخرجه الترمذي في الشمائل/ باب ما جاء في شيب رسول الله ﷺ عن أبي رمثة التيمي تيم الرباب قال: أتيت النبي ﷺ ومعي ابن لي قال: فأريته فقلت لما رأيته: هذا نبي الله ﷺ وعليه ثوبان أخضران وله شعر قد علاه الشيب وشيبه أحمر. وانظر المستدرك (٢/ ١٠٧) وأخرجه يعقوب بن سفيان بلفظ الطبري ومن طريق الضحاك كذلك. (البداية والنهاية ٤/ ١٦٧) والله أعلم.

(١) حديث صحيح أخرجه ابن ماجه (باب اتخاذ الجمة والذوائب/ ح (٣٦٣١) ولفظه: دخل رسول الله ﷺ مكة وله أربع غدائر (تعني ضفائر).
وأخرجه أبو داود/ كتاب الترجل/ ح (٤١٩١) والترمذي (٤/ح ١٧٨١) وقال: حسن غريب.

(٢) صحيح.

ابن إسحاق ، عن عبد الله بن عمر بن عليّ ، عن عبيد بن جُبَير ، مولى الحكم بن أبي العاص ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن أبي مُوَيهبة مولى رسول الله ﷺ ، قال: بعثني رسولُ الله ﷺ من جوف الليل ، فقال لي: يا أبا مويهبة ، إني قد أمرْتُ أن أستغفرَ لأهل البقيع ؛ فانطلق معي ، فانطلقت معه ، فلمّا وقف بين أظهرهم ، قال: السّلام عليكم أهلَ المقابر ؛ لِيَهْنِ لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه! أقبلت الفِتَن كقِطَع الليل المظلم ، يتبع آخرها أولها ، الآخرة شرٌّ من الأولى. ثم أقبل عليّ فقال: يا أبا مويهبة ، إني قد أوتيت مفاتيحَ خزائن الدنيا والخلْد فيها ، ثم الجنة ، خيِّرت بين ذلك وبين لقاء ربّي والجنة ، فاخترتُ لقاء ربّي والجنّة ، قال: قلت: بأبي أنت وأمّي! فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلْد فيها ، ثم الجنّة. فقال: لا والله يا أبا مويهبة ، لقد اخترت لقاء ربّي والجنة ، ثم استغفر لأهل البقيع ، ثم انصرف فبدىء رسول الله ﷺ بوجعه الذي قُبِض فيه[1]. (٣: ١٨٨).

---

(١) حديث أبي مويهبة هذا أخرجه الحاكم في المستدرك مع اختلاف في الإسناد إذ أخرجه (٣/ ٥٥) من طريق ابن إسحاق قال: حدثني عبيد الله بن عمر بن حفص عن عبيد بن حنين مولىٰ الحكم بن أبي العاص عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن أبي مويهبة به ثم قال الحاكم بعد انتهاء الرواية (٣/ ٥٦): هذا حديث صحيح على شرط مسلم إلا أنه عجب لهذا الإسناد.
فقد حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب من أصل كتابه ثنا أحمد بن عبد الجبار ثنا يونس بن بكير عن ابن إسحاق قال: حدثني عبد الله بن ربيعة عن عبيد بن عبد الحكم عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن أبي مويهبة رضي الله عنهم عن رسول الله ﷺ نحوه.
ووافقه الذهبي في تصحيحه على شرط مسلم (المستدرك مع التلخيص ٥/ ٥٦).
وقال الحافظ ابن كثير: لم يخرجه أحد من أصحاب الكتب وإنما رواه أحمد عن يعقوب بن إبراهيم عن أبيه عن محمد بن إسحاق به ثم ذكر الحافظ رواية الحاكم لهذه القصة من طريق آخر إشارة إلى الرواية (٥/ ح ١٥٩٩٧) من طريق أبي النضر ثنا الحكم بن فضيل ثنا يعلىٰ بن عطاء عن عبيد بن جبير عن أبي مويهبة به مع زيادة واختلاف يسير وفي آخر الرواية فما لبث بعد ذلك إلاّ سبعاً أو ثمانياً حتى قبض (البداية والنهاية ٤/ ١٨٧).
قلنا: والاضطراب في السند واضح. وقال الهيثمي في المجمع: رواه أحمد والطبراني بإسنادين رجال أحدهما ثقات إلا أن الإسناد الأول عن عبيد بن حنين عن عبد الله بن عمرو عن أبي مويهبة والثاني عن عبيد بن حنين عن أبي مويهبة (مجمع الزوائد ٩/ ٢٤).
والحديث أخرجه البزار (كشف الأستار ح ٨٦٣) والله تعالى أعلم.

٣٣٨ ـ حدّثنا ابنُ حميد ، قال: حدثنا سلَمة ، قال: حدّثنا محمد بن إسحاق.

وحدّثنا ابن حُميد ، قال: حدّثنا عليّ بن مجاهد ، قال: حدّثنا ابنُ إسحاق ، عن يعقوب بن عتبة ، عن محمد بن مسلم بن شهاب الزُّهريّ ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة ، عن عائشة زوج النبيّ ﷺ ، قالت: رجع رسول الله ﷺ من البقيع ، فوجدني وأنا أجدُ صُداعاً في رأسي ، وأنا أقول: وارأساه! قال: بل أنا والله يا عائشة وارأساه! ثمّ قال: ما ضرّكِ لو متِّ قبلي فقمتُ عليك وكفّنْتك ، وصلَّيت عليك ، ودفنتك! فقلت: والله لكأنّي بك لو فعلت ذلك رجعتَ إلى بيتي فأعْرستَ ببعض نسائك ، قالت: فتبسّم رسولُ الله ﷺ ، وتتامّ به وجعه؛ وهو يدور على نسائه حتى استُعِزّ به وهو في بيت ميمونة ، فدعا نساءه فاستأذنهنّ أن يُمرّض في بيتي ، فأذِنَّ له.

فخرج رسولُ الله ﷺ بين رجُلين من أهله: أحدهما الفضل بن العباس ورجل آخر تخطّ قَدماه الأرض ، عاصباً رأسه حتى دخل بيتي.

قال عبيد الله: فحدّثت هذا الحديث عنها عبدَ الله بن عباس ، فقال: هل تدري من الرجل؟ قلت: لا ، قال: عليّ بن أبي طالب. ولكنها كانت لا تقدر على أن تذكره بخير وهي تستطيع.

ثم غُمِر رسول الله ﷺ واشتدّ به الوجع؛ فقال: أهريقوا عليّ من سبع قِرَب من آبار شتّى؛ حتى أخرج إلى الناس فأعهدَ إليهم ، قالت: فأقْعَدْناه في مخضَب لحفصة بنت عمر ، ثم صبَبْنا عليه الماء حتى طَفِق يقول: حَسْبُكم ، حسبكم![1]. (٣: ١٨٨/ ١٨٩).

---

(١) هذا إسناد ضعيف إلى ابن إسحاق وأخرجه ابن هشام في السيرة (٢/ ٦٤٢) من طريق ابن إسحاق هذا وقد صرّح بالتحديث فإسناده حسن وأخرجه الحاكم من غير طريق ابن إسحاق مختصراً ولفظه:
(أن رسول الله ﷺ بدأه مرضه الذي مات فيه في بيت ميمونة رضي الله عنها فخرج عاصباً رأسه فدخل عليَّ بين رجلين تخط رجلاه الأرض عن يمينه العباس وعن يساره رجل. قال عبيد الله: أخبرني ابن عباس أن الذي عن يساره علي).
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي (المستدرك مع التلخيص ٣/ ٥٦). =

٣٣٩ ـ حدّثنا ابنُ حُميد قال: حدّثنا سَلَمة، عن ابن إسحاق، عن الزّهريّ، عن أيوب بن بشير، أنّ رسولَ الله ﷺ خرجَ عاصباً رأسه؛ حتى جلس على المنبر؛ ثم كان أوّل ما تكلّم به أنْ صلّى على أصحاب أُحُد، واستغفر لهم؛ وأكثر الصلاة عليهم، ثم قال: إنّ عبداً من عباد الله خيّره الله بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عند الله. قال: ففهمها أبو بكر، وعلم أنّ نفسه يُريد؛ فبكى، وقال: بل نفديك بأنفسنا وأبنائنا، فقال: على رِسْلك يا أبا بكر! انظروا هذه الأبواب الشوارع اللافظة في المسجد فسُدُّوها؛ إلاّ ما كان من بيت أبي بكر؛ فإنّي لا أعلم أحداً كان أفضل عندي في الصحبة يداً منه(١). (٣: ١٩٠/ ١٩١).

٣٤٠ ـ حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلَمة، عن محمد بن إسحاق، عن عبد الرحمن بن عبد الله، عن بعض آل أبي سعيد بن المُعَلّى، أنّ رسولَ الله قال

= وأخرج البخاري في صحيحه (كتاب المغازي ح/ ٤٤٤٢) قال: حدثنا سعيد بن عفير قال حدثني الليث قال حدثني عقيل عن ابن شهاب قال: أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: لما ثقل رسول الله ﷺ واشتد به وجعه استأذن أزواجه أن يمرّض في بيتي فأذنّ له فخرج وهو بين الرجُلين تخط رجلاه في الأرض بين عباس بن عبد المطلب وبين رجل آخر. قال عبيد الله فأخبرت عبد الله بالذي قالت عائشة فقال لي عبد الله بن عباس: هل تدري من الرجل الآخر الذي لم تسم عائشة قال: قلت: لا. قال ابن عباس: هو علي. وكانت عائشة زوج النبي ﷺ تحدث أن رسول الله ﷺ لما دخل بيتي واشتد به وجعه قال: هريقوا عليّ من سبع قرب لم تحلل لعلي أعهد إلى الناس فأجلسناه في مخضب لحفصة زوج النبي ﷺ ثم طفقنا نصب عليه من تلك القرب حتى طفق يشير إلينا بيده أن قد فعلتنّ. قالت: ثم خرج إلى الناس فصلّى لهم وخطبهم.

(١) هذا إسناد ضعيف وله شواهد. فقد أخرج البخاري في صحيحه/ كتاب الصلاة (باب الخوخة والممر في المسجد/ ح ٤٦٦) عن أبي سعيد الخدري قال:
«خطب النبي ﷺ فقال: (إن الله خيّر عبداً بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عند الله) فبكى أبو بكر رضي الله عنه، فقلت في نفسي: ما يبكي هذا الشيخ إن يكن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله؟ فكان رسول الله ﷺ هو العبد، وكان أبو بكر أعلمنا. قال: يا أبا بكر لا تبك، إن من أَمَنِّ الناس عليّ في ماله وصحبته أبا بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً من أمتي لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقين في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر».
والحديث أخرجه مسلم (باب فضائل أبي بكر الصديق/ ح ٢٣٨٢) وأخرجه الطبري، أي حديث أبي سعيد هذا كما سيأتي بعد روايتين.

يومئذ في كلامه هذا: فإنّي لو كنت متّخذاً من العباد خليلاً لاتَّخذت أبا بكر خليلاً؛ ولكن صحبة وإخاءُ إيمان حتى يجمع الله بيننا عنده[١]. (٣: ١٩١).

٣٤١ ـ وحدّثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب، قال: حدّثني عمّي عبد الله ابن وهب، قال: حدّثنا مالك، عن أبي النَّضْر، عن عُبيد بن حنين، عن أبي سعيد الخُدريّ أنَّ رسولَ الله ﷺ جلس يوماً على المنبر، فقال: إنّ عبداً خيّره الله بين أن يؤتيه من زَهْرة الدنيا ما شاء، وبين ما عند الله؛ فاختار ما عند الله؛ فبكى أبو بكر ثم قال: فديناك بآبائنا وأمهاتنا يا رسول الله! قال: فتعجّبنا له، وقال الناس: انظروا إلى هذا الشيخ يخبر رسول الله عن عبد يخيّر، ويقول: فديناك بآبائنا وأمهاتنا! قال: فكان رسول الله هو المخيَّر، وكان أبو بكر أعلمنا به؛ فقال رسولُ الله ﷺ: إنّ أمَنّ الناس عليّ في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنتُ متّخذاً خليلاً لاتَّخذت أبا بكر خليلاً؛ ولكن أخوّة الإسلام؛ لا تبق خَوْخة في المسجد إلاّ خَوْخة أبي بكر[٢]. (٣: ١٩١).

٣٤٢ ـ حدّثنا أحمد بن حمّاد الدُّولابيّ، قال: حدّثنا سُفيانَ، عن سليمان ابن أبي مسلم، عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس، قال: يوم الخميس وما يوم الخميس! قال: اشتدَّ برسول الله ﷺ وجعُه، فقال: ائتوني أكتب كتاباً لا تضلّوا بعدي أبداً. فتنازعوا ـ ولا ينبغي عند نبيّ أن يُتنازع ـ فقالوا: ما شأنه؟ أهَجَرَ! استفهموه؛ فذهبوا يعيدون عليه، فقال: دعوني فما أنا فيه خيرٌ مما تدعونني إليه؛ وأوصى بثلاث؛ قال: أخرجوا المشركين من جزيـرة العرب، وأجيزوا الوفدَ بنحوِ مما كنت أجيزهم؛ وسكت عن الثالثة عمداً أو قال: فنسيتها[٣]. (٣: ١٩٢/١٩٣).

---

(١) انظر الرواية السابقة.

(٢) حديث أبي سعيد هذا حديث صحيح كما بيّنا قبل روايتين ولقد أخرجه البخاري في موضع آخر كما عند الطبري في قوله ﷺ: (إن ليس من الناس أحد أمنّ عليّ في نفسه وماله من أبي بكر بن أبي قحافة ولو كنت متخذاً من الناس خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن خلّة الإسلام أفضل، سدوا عني كل خوخة في هذا المسجد غير خوخة أبي بكر) من حديث ابن عباس (كتاب الصلاة/ باب الخوخة والممر في المسجد/ ح ٤٦٧) مختصراً عن الرواية السابقة (٤٦٦) والله أعلم.

(٣) لهذه الرواية متابعة عند البخاري فقد أخرج من طريق قتيبة حدثنا سفيان عن سليمان الأحول=

٣٤٣ ـ حدّثنا أبو كُريب ، قال: حدّثنا يحيى بن آدم ، قال: حدّثنا ابنُ عيينة ، عن سليمان الأحول ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، قال: يوم الخميس! ثم ذكر نحو حديث أحمد بن حماد ، غير أنه قال: ولا ينبغي عند نبيّ أن ينازَع[١] . (٣: ١٩٣) .

٣٤٤ ـ حدّثنا أبو كُريب وصالح بن سَمّال ، قال: حدّثنا وكيع ، عن مالك ابن مِغْوَل ، عن طلحة بن مصرِّف ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، قال: يوم الخميس وما يوم الخميس! قال: ثم نظرتُ إلى دموعه تسيل على خدَّيْه كأنها نظام اللؤلؤ. قال: قال رسولُ الله ﷺ : ائتوني باللَّوح والدّواة ـ أو بالكَتِف والدّواة ـ أكتب لكم كتاباً لا تضلّون بعده. قال: فقالوا: إن رسول الله يَهْجُر[٢] . (٣: ١٩٣) .

٣٤٥ ـ حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال: حدّثني عَمّي عبد الله ابن وهب ، قال: أخبرَني يونس ، عن الزُّهريّ ، قال: أخبرَني عبد الله بن كعب بن مالك؛ أنّ ابنَ عباس أخبره أنّ عليّ بن أبي طالب خرَج من عند

= عن سعيد بن جبير قال: قال ابن عباس: يوم الخميس وما يوم الخميس ، اشتد برسول الله ﷺ وجعه فقال ائتوني أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً ، فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع فقالوا: ما شأنه أهَجَر استفهموه؟ فذهبوا يردون عليه فقال: دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه وأوصاهم بثلاث. قال: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم وسكت عن الثالثة أو قال: فنسيتها).

الحديث أخرجه البخاري في صحيحه/ كتاب المغازي ح/ ٤٤٣١ وفي مواضع أخرى ، وأخرجه مسلم في صحيحه/ كتاب الوصية/ ح ١٦٣٧ (وأحمد١/ ٢٢٢) والله تعالى أعلم.

(١) هذا إسناد صحيح والحديث صحيح كما ذكر عند الرواية السابقة.

(٢) هذا إسناد صحيح والحديث صحيح كما ذكرنا آنفاً وأخرجه البخاري ومسلم وغيرهما ولفظ مسلم:

(يوم الخميس وما يوم الخميس. . ثم بكى حتى بلَّ دمعه الحصىٰ فقلت: يابن العباس وما يوم الخميس؟ قال: اشتد برسول الله ﷺ وجعه فقال: ائتوني أكتب لكم كتاباً. . . .) الحديث.

(صحيح مسلم/ كتاب الوصية/ باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه/ ح ١٦٣٧) والله تعالى أعلم.

رسول الله ﷺ في وجعه الذي تُوفي فيه ، فقال الناس : يا أبا حسن . كيف أصبَح رسولُ الله؟ قال : أصبح بحمد الله بارئاً ، فأخذ بيده عبّاس بن عبد المطلب ، فقال : ألا تَرَى أنك بعد ثلاث عَبْدُ العصا! وإني أرَى رسول الله سيُتَوفَّى في وجعه هذا؛ وإنّي لأعرفَ وجوه بني عبد المطلب عند الموت؛ فاذهب إلى رسول الله فسلْه فيمَنْ يكون هذا الأمر؟ فإن كان فينا علِمْنَا ذلك ، وإن كان في غيرنا أمر به فأوصَى بنا . قال عليٌّ : والله لئن سألناها رسولَ الله فمنَعنَاها لا يعطيناها النّاس أبداً؛ والله لا أسألها رسولَ الله أبداً[1] . (٣ : ١٩٣) .

٣٤٦ ـ حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنا محمدُ بن إسحاق ، عن الزُّهريّ ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، عن عبد الله بن عبّاس ، قال : خرج يومئذ عليّ بن أبي طالب على الناس من عند رسولِ الله ﷺ ، ثم ذكر نحوه؛ غير أنه قال في حديثه : أحلف بالله لقد عرفت الموتَ في وجه رسول الله كما كنت أعرفه في وجوه بني عبد المطلب؛ فانطلقْ بنا إلى رسول الله؛ فإنْ كان هذا الأمر فينا علمنا ، وإن كان في غيرنا أمَرنا فأوصى بنا الناس؛ وزاد فيه أيضاً : فتوفّى رسولُ الله حين اشتدّ الضُّحَى من ذلكَ اليوم[2] . (٣ : ١٩٣) .

٣٤٧ ـ حدّثنا سعيد بن يحيى الأمويّ ، قال : حدّثنا أبي ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : قال لنا رسولُ الله ﷺ : أفرغوا عليّ من سبع قِرَب من سبع آبار شتّى ، لعلّي أخرج إلى الناس فأعهَدَ إليهم[3] . (٣ : ١٩٣) .

٣٤٨ ـ قال محمد ، عن محمد بن جعفر ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : فصببنا عليه من سبع قرَب ، فوجد راحةً ، فخرج فصلّى بالناس ، وخطَبهم ،

---

(١) هذا إسناد حسن صحيح والحديث صحيح أخرجه البخاري في صحيحه/ كتاب المغازي باب مرضه ووفاته ﷺ / ح ٤٤٤٧ والله تعالى أعلم .

(٢) إسناده إلى ابن إسحاق ضعيف وأخرجه ابن هشام من طريق ابن إسحاق هذا وقد صرّح بالتحديث فإسناده حسن والله تعالى أعلم .

(٣) رجال هذا الإسناد رجال الصحيح ، وهو جزء من حديث صحيح أخرجه البخاري مع اختلاف يسير .
فقد أخرج البخاري (كتاب المغازي/ ح ٤٤٤٢) أن عائشة زوج النبيّ ﷺ قالت : لما ثقل رسول الله واشتد وجعه . . . . الحديث وفيه : قال : هريقوا عليّ من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن لعليّ أعهد إلى الناس . . . . إلى آخر الحديث والله أعلم .

واستغفر للشهداء من أصحاب أُحُد ، ثم أوصى بالأنصار خيراً ، فقال : أمّا بعد يا معشر المهاجرين ، إنكم قد أصبحتم تزيدون . وأصبحت الأنصار لا تزيد على هيئتها التي هي عليها اليوم ، والأنصار عَيْبَتي التي أويت إليها ، فأكرِموا كريمهم ، وتجاوزوا عن مُسِيئهم . ثم قال : إنّ عبداً من عباد الله قد خُيِّر بين ما عند الله وبين الدنيا فاختار ما عند الله ؛ فلم يفقهها إلاّ أبو بكر ؛ ظنّ أنه يريد نفسَه ، فبكى ، فقال له النبيّ ﷺ : على رِسْلك يا أبا بكر ! سدُّوا هذه الأبوابَ الشوارع في المسجد إلا باب أبي بكر ؛ فإني لا أعلم امرأً أفضلَ يداً في الصحابة من أبي بكر[(١)] . (٣ : ١٩٤) .

٣٤٩ ـ حدّثنا عمرو بن عليّ ، قال : حدّثنا يحيى بن سعيد القطّان ، قال : حدّثنا سُفيان ، قال : حدّثنا موسى بن أبي عائشة ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة ، عن عائشة ، قالت : لَدَدْنَا رسولَ الله ﷺ في مرضه ، فقال : لا تلُدُّوني ! فقلنا : كراهيَةُ المريض الدواء . فلمّا أفاق قال : لا يبقى منكم أحدٌ إلا لُدّ ؛ غير العبّاس فإنه لم يشهدْكم[(٢)] . (٣ : ١٩٥) .

٣٥٠ ـ حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق في حديثه الذي ذكرناه عنه ، عن الزهريّ ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن عائشة قالت : ثم نزلَ رسولُ الله ﷺ ، فدخل بيته ، وتتامّ به وجعُه حتى غُمِر ، واجتمع عنده نساء من نسائه : أمّ سلَمة ، وميمونة ، ونساء من نساء المؤمنين ؛ منهنّ أسماء بنت عُميس ، وعنده عمُّه العباس بن عبد المطلب ، وأجمعوا على أن يلُدُّوه ، فقال العباس : لألُدّنه ، قال : فلُدّ ، فلما أفاقَ رسولُ الله ﷺ ، قال : مَنْ صنع بي هذا؟ قالوا : يا رسول الله ، عمّك العباس ، قال : هذا دواء أتى به نساء من نحو هذه الأرض ـ وأشار نحو أرض الحبشة ـ قال : ولم فعلتم ذلك؟ فقال العباس : خشينا يا رسولَ الله أن يكون بك وجع ذات الجَنْب ، فقال : إن ذلك لداء ما كان الله ليعذِّبَني به ، لا يبقى في البيت أحدٌ إلا لُدّ إلاّ عمّي . قال : فلقد لدّت ميمونة وإنها

---

(١) لم يبين الطبري إسناده إلى محمد ولكن ابن هشام أخرجه إلى قوله عن مسيئهم وقد عنعن . وذكره الهيثمي من طريق عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه وقال : رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح (المجمع١/ ٤٠) . وأما الشطر الثاني فصحيح كما سبق .

(٢) هذا إسناد صحيح والحديث صحيح أخرجه البخاري في غير ما موضع كما سنبين بعد رواية .

لصائمة لقسم رسولِ الله ﷺ ؛ عقوبةً لهم بما صنعوا[١] . (٣: ١٩٥) .

٣٥١ ـ حدّثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سلَمة عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة ، أنّ عائشة حدّثته أنّ رسولَ الله ﷺ حين قالوا: خشينا أن يكونَ بك ذات الجَنْب ، قال: إنّها من الشيطان؛ ولم يكن الله ليسلّطها علي[٢]. (٣: ١٩٥) .

٣٥٢ ـ حُدِّثتُ عن هشام بن محمد ، عن أبي مخنف ، قال: حدّثني الصّقْعب ابن زهير ، عن فقهاء أهل الحجاز ، أنّ رسول الله ﷺ ثَقُل في وجعه الذي تُوُفِّيَ فيه حتى أغْمِيَ عليه؛ فاجتمع إليه نساؤه وابنته وأهلُ بيته والعبّاس بن عبد المطلب وعليّ بن أبي طالب وجميعهم؛ وإنّ أسماءَ بنت عُميس قالت: ما وجعه هذا إلاّ ذات الجنْب ، فلُدّوه ، فلددناه ، فلما أفاق ، قال: مَنْ فعل بي هذا؟ قالوا: لَدَّتْك أسماء بنت عُميس؛ ظنّتْ أنّ بك ذات الجنْب. قال: أعوذ بالله أن يُبلِيَني بذات الجنْب؛ أنا أكرم على الله من ذلك[٣]. (٣/ ١٩٥/ ١٩٦) .

---

(١) هذا إسناد ضعيف والحديث صحيح فقد أخرج البخاري في صحيحه/ كتاب الديات/ باب إذا أصاب قوم من رجل ح (٦٨٩٧) من طريق عبيد الله بن عبد الله قال: قالت عائشة لددنا رسول الله ﷺ في مرضه وجعل يشير إلينا لا تلدوني قال فقلنا: كراهية المريض بالدواء ـ فلما أفاق قال: (ألم أنهكن أن تلدوني؟ قال: قلنا: كراهية للدواء فقال رسول الله ﷺ : لا يبقىٰ منكم أحد إلا لُدّ ، وأنا أنظر إلى العباس فإنه لم يشهدكم).
وأخرج البخاري في صحيحه (كتاب المغازي/ ح٤٤٥٨) عن عائشة رضي الله عنها: لددناه في مرضه فجعل يشير إلينا أن (لا تلدوني) فقلنا: كراهية المريض للدواء فلما أفاق قال: (ألم أنهكم أن تلدوني ، قلنا: كراهية المريض للدواء فقال: لا يبقىٰ أحد في البيت إلا لُدّ وأنا أنظر إلا العباس فإنه لم يشهدكم).
والحديث أخرجه مسلم باب كراهية التداوي باللدود/ ح ٢٢١٣ مختصراً والله أعلم.

(٢) هذا إسناد ضعيف إلى ابن إسحاق ولكن أخرجه البيهقي من طريق يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق حدثني يعقوب بن عتبة عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن عائشة قالت: دخل عليّ رسول الله وهو يصدع . . . الحديث وفيه: فأفاق رسول الله فقال: من فعل هذا؟ فقالوا: عمك العباس تخوف أن يكون بك ذات الجنب فقال رسول الله ﷺ : إنها من الشيطان وما كان الله ليسلطه عليّ لا يبقى في البيت أحد إلا لددتموه إلاّ عمي العباس فلدّ أهل البيت كلهم حتى ميمونة وإنها لصائمة وذلك بعين رسول الله ﷺ (دلائل النبوة ٧/ ١٦٩).

(٣) هذا إسناد ضعيف وفي إسناده أبو مخنف وهو تالف هالك. وله ما يشهد له كما ذكرنا قبل قليل.

٣٥٣ ـ حدّثنا ابنُ حميد ، قال: حَدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن سعيد بن عُبَيد بن السَّبّاق ، عن محمد بن أسامة بن زيد ، عن أبيه أسامة بن زيد ، قال: لما ثقُل رسولُ الله ﷺ هبطتُ وهبط الناس معي إلى المدينة ، فدخلنا على رسول الله ﷺ ، وقد أصْمت فلا يتكلّم ، فجعل يرفع يده إلى السماء ثم يضعها عليّ ، فعرفتُ أنه يدعُو لي[1]. (٣: ١٩٦).

٣٥٤ ـ حدثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن الزهريّ ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن عائشة قالت: كان رسولُ الله ﷺ كثيراً ما أسمعه ، وهو يقول: إنّ الله عزَّ وجلّ لم يقبض نبيًّا حتى يخيّره[2]. (٣: ١٩٦).

٣٥٥ ـ حدّثنا ابنُ وكيع ، قال: حدّثنا أبي ، عن الأعمش ، قال: [و]حدّثنا أبو هشام الرفاعيّ ، قال: حدّثنا أبو معاوية ووكيع ، قالا: حدّثنا الأعمش ، وحدّثنا عيسى بن عثمان بن عيسى ، عن الأعمش عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عائشة ، قالت: لما مرض رسولُ الله ﷺ المرضَ الذي مات فيه ، أذِّنَ بالصلاة ، فقال: مُرُوا أبا بكر أنْ يُصلِّيَ بالناس ، فقلت: إنّ أبا بكر رجلٌ رقيق ، وإنه متى يقوم مقامَك لا يطيق! قال: فقال: مروا أبا بكر يصلّي بالناس ، فقلت مثل ذلك ، فغضب ، وقال: إنكنّ صواحبُ يوسف ـ وقال ابن وكيع: «صواحبات يوسف» ـ مُروا أبا بكر يصلّي بالناس ، قال: فخرج يُهادَى بين رجلين وقدماه تخُطّان في الأرض؛ فلما دنا من أبي بكر ، تأخّر أبو بكر؛ فأشار إليه رسولُ الله ﷺ أن قُمْ في

(١) إسناده ضعيف إلى ابن إسحاق ولكن أخرجه ابن هشام من طريق ابن إسحاق هذا (٢/ ٦٥١). والترمذي في سننه/ باب مناقب أسامة/ ح (٣٨١٧) وقد صرّح ابن إسحاق بالتحديث فإسناده حسن.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب والحديث أخرجه أحمد (٥/ ٢٠١) والله تعالى أعلم.

(٢) إسناده إلى ابن إسحاق ضعيف ، والحديث صحيح كما أخرج البخاري في صحيحه/ كتاب المغازي/ ح (٤٤٣٥) من حديث عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت أسمع أنه لا يموت نبي حتى يخيّر بين الدنيا والآخرة فسمعت النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه وأخذته بحّة يقول: ﴿ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ﴾ الآية فظننت أنه خيّر.

مقامك ، فقعد رسولُ الله ﷺ ، فصلّى إلى جنب أبي بكر جالساً. قالت: فكان أبو بكر يصلِّي بصلاة النبيّ ، وكان الناس يصلّون بصلاة أبي بكر. اللفظ لحديث عيسى بن عثمان[١]. (٣: ١٩٧).

٣٥٦ - حدّثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال: حدّثنا شُعيب بن الليث ، عن الليث ، عن يزيد بن الهاد ، عن موسى بن سَرْجِس ، عن القاسم ، عن عائشة قالت: رأيتُ رسولُ الله ﷺ يموت ، وعنده قدحٌ فيه ماء يُدخل يده في القدح ، ثم يمسح وجهه بالماء ثم يقول: اللهم أعنِّي على سَكْرة الموت![٢]. (٣: ١٩٧).

٣٥٧ - حدّثني محمد بن خلَف العسقلانيّ ، قال: حدثنا آدم ، قال: حدّثنا الليث بن سعد ، عن ابن الهاد ، عن موسى بن سَرْجِس ، عن القاسم بن محمد عن عائشة قالت: رأيتُ رسولَ الله ﷺ وهو يموت. ثم ذكر مثله؛ إلا أنه قال:

---

(١) هذا إسناد مركب وحديث عائشة هذا حديث صحيح أخرجه البخاري من طريق الأعمش هذا ولفظه: (لما مرض رسول الله ﷺ مرضه الذي مات فيه فحضرت الصلاة فأُذن فقال: مروا أبا بكر فليصل بالناس فقيل له: إن أبا بكر رجل أسيف إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس وأعاد فأعادوا له ، فأعاد الثالثة فقال: إنكن صواحب يوسف مروا أبا بكر فليصلّ بالناس فخرج أبو بكر فصلىٰ فوجد النبي ﷺ من نفسه خفة فخرج يهادى بين رجلين كأني أنظر رجليه يخطان من الوجع فأراد أبو بكر أن يتأخر فأومأ إليه النبي ﷺ أن مكانك.
ثم أتي به حتى جلس إلى جنبه) قيل للأعمش: وكان النبي ﷺ يصلي وأبو بكر يصلي بصلاته والناس يصلون بصلاة أبي بكر؟ فقال برأسه: نعم.
رواه أبو داود عن شعبة عن الأعمش بعضه وزاد أبو معاوية جلس عن يسار أبي بكر فكان أبو بكر يصلي قائماً (صحيح البخاري/ كتاب الأذان/ باب حدّ المريض أن يشهد الجماعة/ ح ٦٦٤).
وأخرجه (ح ٧١٣) عن عائشة قالت: لما ثقل رسول الله ﷺ جاء بلال يؤذنه بالصلاة فقال: مروا أبا بكر أن يصلي بالناس. . . . الحديث وفي آخره: فجاء رسول الله ﷺ حتى جلس عن يسار أبي بكر فكان أبو بكر يصلي قائماً وكان رسول الله ﷺ يصلي قاعداً يقتدي أبو بكر بصلاة رسول الله ﷺ والناس يقتدون بصلاة أبي بكر رضي الله عنه (صحيح البخاري/ كتاب الأذان/ باب الرجل يأتم بالإمام ويأتم الناس بالمأموم).

(٢) هذا حديث صحيح كما سنذكر بعد الرواية التالية.

أعِنّي على سَكَرات الموت[(١)]. (٣: ١٩٨).

٣٥٨ - حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلَمة، عن ابن إسحاق، عن الزهريّ، قال: حدّثنا أنَس بن مالك، قال: لما كانَ يوم الإثنين، اليوم الذي قُبِض فيه رسولُ الله ﷺ، خرجَ إلى الناس وهم يصلون الصبح، فرَفَعَ السّترَ، وفتح الباب، فخرج رسولُ الله؛ حتى قام بباب عائشة، فكاد المسلمون أن يفتتنُوا في صلاتهم برسول الله ﷺ حين رأوه؛ فَرَحاً به، وتفرَّجوا. فأشار بيده: أن اثبتوا على صلاتكم، وتبسّم رسولُ الله فرحاً لمّا رأى من هيئتهم في صلاتهم، وما رأيتُ رسولَ الله ﷺ أحسن هيئة منة تلك الساعة؛ ثم رجع وانصرف الناس وهم يظنون أنّ رسولَ الله ﷺ قد أفاق من وجعه، فرجع أبو بكر إلى أهله بالسُّنْح[(٢)]. (٣: ١٩٨).

---

(١) أخرج البخاري في مواضع عدة منها ما أخرجه في كتاب الرقاق/ باب سكرات الموت/ ح (٦٥١٠) عن عائشة رضي الله عنها كانت تقول: (إن رسول الله ﷺ كان بين يديه ركوة أو علبة فيها ماء يشك عمر فجعل يدخل يده في الماء فيمسح بها وجهه ويقول: لا إله إلا الله إن للموت سكرات ثم نصب يده فجعل يقول: (في الرفيق الأعلى) حتى قبض ومالت يده.
وقال الحافظ في الفتح معقباً على هذه الرواية: وقع من رواية القاسم عن عائشة عند أصحاب السنن سوى أبي داود بسند حسن بلفظ (ثم يقول: اللهم أعني على سكرات الموت) (الفتح ١١/ ١٦٩).
قلنا: ولفظة (أعني على سكرات الموت) جاءت في رواية ابن ماجه (١/ ح ١٦٢٣) وأحمد (٩) مسند عائشة/ ح ٢٤٤١٠) والترمذي (١/ ح ٩٨٠).
قلنا: وفي إسناده موسىٰ بن سرجس لم يوثقه أحد وروي عنه روايات. وقال الحافظ في التقريب: مستور.
وأما من المعاصرين فقد ضعفه الألباني والله أعلم.

(٢) هذا إسناد ضعيف والحديث صحيح فقد أخرجه البخاري في مواضع عدة من حديث أنس رضي الله عنه منها كتاب الأذان/ باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة (ح ٦٨٠) عن الزهري قال: أخبرني أنس بن مالك الأنصاري - وكان تبع النبي ﷺ وخدمه وصحبه - أن أبا بكر كان يصلي بهم في وجع النبي ﷺ الذي توفي فيه حتى إذا كان يوم الإثنين وهم صفوف في الصلاة فكشف النبي ﷺ ستر الحجرة ينظر إلينا وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف، ثم تبسّم يضحك فهممنا أن نفتتن من الفرح برؤية النبي ﷺ فنكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف، وظن أن النبي ﷺ خارج إلى الصلاة فأشار إلينا النبي ﷺ أن أتموا صلاتكم وأرخىٰ الستر فتوفي من يومه.

=

٣٥٩ - حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلَمة، عن ابن إسحاق، عن يعقوب بن عُتْبة، عن الزهريّ، عن عروة، عن عائشة، قالت: رجع رسولُ الله ﷺ في ذلك اليوم حين دخل من المسجد، فاضطجع في حِجْري، فدخل عليَّ رجل من آل بكر في يده سواك أخضر قالت: فنظر رسول الله ﷺ إلى يده نظراً عرفتُ أنه يريده، فأخذته فمضغتُه حتى ألنْته، ثم أعطيته إياه؛ قالت: فاستنّ به كأشدّ ما رأيته يستنّ بسواك قبله، ثم وضعه؛ ووجدت رسول الله يثقل في حِجْري. قالت: فذهبت أنظر في وجهه، فإذا نظره قد شَخص، وهو يقول: بل الرفيقِ الأعلَى من الجَنّة! قالت: قلت: خُيِّرتَ فاخترتَ والذّي بعثَك بالحق! قالت: وقُبِض رسول الله ﷺ[1] (٣: ١٩٩).

٣٦٠ - حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلَمة، عن محمد بن إسحاق، عن يحيى بن عبّاد بن الزبير، عن أبيه عبّاد، قال: سمعتُ عائشةَ تقول: مِات رسولُ الله ﷺ بين سَحْري ونَحْري وفي دوْري؛ ولم أظلم فيه أحداً، فمن سَفهي وحداثة سنّي أنّ رسول الله قُبِض وهو في حجري، ثم وضعت رأسه على وسادة؛ وقمت ألتَدِمُ مع النساء، وأضرب وجهي[2]. (٣: ١٩٩).

= والحديث أخرجه أحمد في المسند (٣/ ١١٠) وابن ماجه في السنن (١/ح ١٦٢٤) ولفظه: (آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله ﷺ كشف الستارة يوم الإثنين فنظرت إلى وجهه كأنه ورقة مصحف والناس خلف أبي بكر في الصلاة فأراد أن يتحرك فأشار إليه أن اثبت وألقى السجف ومات في آخر ذلك اليوم).

(١) إسناده إلى ابن إسحاق ضعيف وحديث عائشة هذا حديث صحيح فقد أخرجه البخاري في أكثر من موضع فقد أخرج في صحيحه (كتاب المغازي/ باب مرض النبي ووفاته/ ح ٤٤٥٠) عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يسأل في مرضه الذي مات فيه يقول: أين أنا غداً.... الحديث وفيه قالت عائشة:
(فمات في اليوم الذي كان يدور عليّ فيه في بيتي فقبضه الله، وإن رأسه لبين نحري وسحري وخالط ريقه ريقي، ثم قالت: دخل عبد الرحمن بن أبي بكر ومعه سواك يستن به فنظر إليه رسول الله ﷺ فقلت له: أعطني هذا السواك يا عبد الرحمن فأعطانيه فقضمته ثم مضغته فأعطيته رسول الله ﷺ فاستن به وهو مسند إلى صدري) والحديث أخرجه البخاري كذلك (ح ٤٤٥١، ٨٩٠، ٣١٠٠، ٣٧٧٤) وغير ذلك من المواضع مع اختلاف يسير وزيادة ونقصان علىٰ عادة البخاري في ذكر الحديث في مواضع عدة والله أعلم.

(٢) إسناده ضعيف إلى ابن إسحاق ولم يصرح بالتحديث إلاّ أن أحمد أخرجه في مسنده =

ذكر الأخبار الواردة باليوم الذي توفي فيه رسول الله ﷺ ومبلغ سنه يوم وفاته

٣٦٠/ أ ـ قال أبو جعفر: أما اليوم الذي مات فيه رسولُ الله ﷺ؛ فلا خلاف بين أهل العلم بالأخبار فيه أنّه كان يومَ الإثنين من شهر ربيع الأوّل، غير أنه اختُلِف في أيّ الأثانين كان موته ﷺ[1]. (٣: ١٩٩/ ٢٠٠).

٣٦١ ـ قال: وأقبلَ أبو بكر حَتى نزلَ على باب المسجد حين بلَغه الخبر، وعمَر يكلّم الناس؛ فلم يلتفت إلى شيء حتى دخلَ على رسولِ الله ﷺ في بيت عائشة؛ ورسول الله مُسَجًّى في ناحية البيت، عليه بُرْد حِبَرة، فأقبل حتى كشف عن وجهه، ثم أقبل عليه فقبّله، ثم قال: بأبي أنت وأمّي! أما المَوْتة التي كتب الله عليك فقد ذُقْتَها، ثمّ لن يصيبَك بعدها موتةٌ أبداً. ثم رَدَّ الثَّوْب على وجهه، ثم خرج وعمرُ يكلّم الناس، فقال: على رِسْلِك يا عمر! فأنصت، فأبى إلاّ أن يتكلّم، فلما رآه أبو بكر لا يُنصِت أقبل على الناس، فلمّا سمع الناسُ كلامَه أقبلوا عليه[2]. (٣: ٢٠٠).

= (١/ مسند السيدة عائشة/ ح ٢٦٤٠٨) من طريق ابن إسحاق هذا وقد صرّح بالتحديث فإسناده حسن وفيه (وفي دولتي) بدلاً من (وفي دوري) وكذلك أخرجه ابن هشام (٢/ ٣٧١).

قلنا: وأخرج الإمام أحمد (٩/ مسند عائشة/ ح ٢٤٩٥٩) عن عائشة رضي الله عنها قالت: قبض رسول الله ﷺ ورأسه بين سحري ونحري قالت: فلما خرجت نفسه لم أجد ريحاً قط أطيب منها).

وقال الحافظ معقباً على هذه الرواية: هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة ورواه البيهقي من حديث حنبل بن إسحاق عن عفان (البداية والنهاية ٤/ ٢١٠).

(١) صحيح.

(٢) أغلب الظن أنه من كلام ابن إسحاق بلاغاً وهو حديث صحيح. فقد أخرج البخاري في صحيحه (كتاب المغازي/ باب مرض النبي ﷺ ووفاته/ ح ٤٤٥٣):

١ ـ حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب قال: أخبرني أبو سلمة أن عائشة أخبرته أن أبا بكر رضي الله عنه أقبل على فرس من سكنه بالسُّنح حتى نزل فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فتيمم رسول الله ﷺ وهو مغشي بثوب حبرة =

[ذكر جهاز رسول الله ﷺ ودفنه]

٣٦١/ أ ـ قال أبو جعفر: فلما بويع أبو بكر أقبلَ الناسُ على جِهازِ رسولِ الله ﷺ، فقال بعضهم: كان ذلك من فعلهم يوم الثلاثاء؛ وذلكَ الغدُ من وفاتِه ﷺ.

وقال بعضهم: إنما دُفن بعد وفاته بثلاثة أيام، وقد مضى ذكرُ بعض قائلي ذلك[1]. (٣: ٢١١).

٣٦٢ ـ حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدثنا سلَمة، عن ابن إسحاق، عن يحيى ابن عَبّاد، عن أبيه عَبّاد، عن عائشة، قالت: لما أرادوا أن يَغْسِلوا النبيّ ﷺ اختلفوا فيه، فقالوا: والله ما ندري أنُجرّد رسولَ الله من ثيابه كما نجرّد موتانا، أو نغسله وعليه ثيابه! فلما اختلفوا ألقيَ عليهم السِّنَةُ حتى ما منهم رجل إلا وذقْنُه في صدره، ثم كلّمهم متكلّمٌ من ناحية البيت لا يُدْرى مَنْ هو: أن اغسلوا النبيّ وعليه ثيابُه؛ قالت: فقاموا إلى رسولِ الله ﷺ فغسّلوه وعليه قميصه يصبّون عليه الماء فوق القميص، ويدلُكونه والقميص دون أيديهم.

= فكشف عن وجهه ثمّ أكب عليه فقبله وبكى ثم قال: بأبي أنت وأمي والله لا يجمع الله عليك موتتين أما الموتة التي كتبت عليك فقدْ متَّها.

٢ ـ ح (٤٤٥٤): قال الزهري: وحدثني أبو سلمة عن عبد الله بن عباس أن أبا بكر خرج وعمر بن الخطاب يكلم الناس فقال: اجلس يا عمر فأبى عمر أن يجلس فأقبل الناس إليه وتركوا عمر فقال أبو بكر: أما بعد من كان منكم يعبد محمداً ﷺ فإن محمداً قد مات ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت قال الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ وقال: والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر فتلقاها منه الناس كلهم فما أسمع بشراً من الناس إلا يتلوها فأخبرني سعيد بن المسيب أن عمر قال: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت حتى ما تقلني رجلاي وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها أن النبي ﷺ قد مات.

٣ ـ وأخرج (ح٤٤٥٥) حدثني عبد الله بن أبي شيبة حدثنا يحيى بن سعيد عن سفيان عن موسىٰ بن أبي عائشة عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عائشة وابن عباس أن أبا بكر رضي الله عنه قبل النبي ﷺ بعد موته.

(١) صحيح.

قال: فكانت عائشة تقول: لو استقبلتُ من أمري ما استدبرتُ ما غسّله إلا نِساؤه[١]. (٣: ٢١٢).

٣٦٣ ـ حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلَمة، عن ابن إسحاق، عن جعفر ابن محمد بن علي بن حسين، عن أبيه، عن جدّه عليّ بن حسين. قال ابن إسحاق: وحدّثني الزّهريّ، عن عليّ بن حسين، قال: فلما فُرِغ من غُسْل رسولِ الله ﷺ كُفن في ثلاثة أثواب: ثوبين صُحَارِيَّيْن وبُرد حِبَرَة؛ أدرج فيها إدراجاً[٢]. (٣: ٢١٢).

---

(١) إسناده ضعيف إلى ابن إسحاق وقد عنعن ولكن أخرجه أبو داود (٢/ ح ٣١٤١) من طريق ابن إسحاق هذا وقد صرّح بالتحديث وإسناده حسن والله تعالىٰ أعلم وانظر طبقات ابن سعد (٢/ ٢٧٧).

(٢) حديث صحيح أخرجه البخاري/ كتاب الجنائز/ (ح ١٢٦٤) عن عائشة رضي الله عنها: إن رسول الله ﷺ كفن في ثلاثة أثواب يمانية بيض سحولية من كرسف ليس فيهن قميص ولا عمامة. والحديث أخرجه غير واحد من الأئمة إلا أن رواية الطبري من طريق ابن إسحاق ذكرت (برد حبرة).

وهنا إشكال ظاهر فالسيدة عائشة رضي الله عنها قالت (كما أخرج عنها مسلم): أما الحلة فإنما شبه على الناس فيها أنها اشتريت له ليكفن فيها فتركت الحلة، كفن في ثلاثة أثواب سحولية. . . . الحديث. (صحيح مسلم/ كتاب الجنائز/ ح (٩٤١).

وفي رواية ابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كفن في ثلاثة أثواب بيض يمانية ليس فيها قميص ولا عمامة فقيل لعائشة: إنهم كانوا يزعمون أنه قد كان كفن في حبرة فقالت عائشة: قد جاؤوا ببرد حبرة فلم يكفنوه (سنن ابن ماجه/ ١/ كتاب الجنائز/ ح ٤٦٩) وإسناده صحيح.

وكذلك أخرج أبو داود في سننه (٢/ ح ٣١٥٢) عن عائشة رضي الله عنها وفيه:

(فذكر لعائشة قولهم: في ثوبين وبرد حبرة فقالت قد أتي بالبرد ولكنهم ردوه ولم يكفنوه فيه) وإسناده صحيح.

قلنا: فلعل محمد بن إسحاق أو أحد شيوخه من الرواة نسي عبارة: (ثم أخر عنه) كما في رواية أبي داود (كتاب الجنائز/ ح ٣١٤٩) عن عائشة رضي الله عنها: أدرج رسول الله ﷺ في ثوب حبرة ثم أُخّر عنه.

هذا إن كان إسناد ابن إسحاق موصولاً؛ ولا نظنه كذلك لأنه عن علي بن الحسين دون ذكر اسم الصحابي فهو مرسل والله تعالى أعلم.

لقد ذكرنا الرواية (٣/ ٢١٣/ ٤٥١) في قسم الضعيف وسنذكر هنا ما صحّ في دفنه ﷺ فقد=

٣٦٤ ـ حدّثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن فاطمة بنت محمد بن عُمارة ، امرأة عبد الله ـ يعني ابن أبي بكر ـ عن عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة ، عن عائشة أمّ المؤمنين ، قالت: ما علمنا بدفن رسول الله ﷺ حتى سمِعنا صوتَ المَسَاحي من جوف الليل ليلة الأربعاء[1]. (٣: ٢١٣) .

= أخرج ابن ماجه في سننه (٨/ح ١٥٥٦) عن سعد رضي الله عنه قال: ألحدوا لي لحداً وانصبوا عليّ اللبن نصباً كما فعل برسول الله ﷺ .

وأخرج ابن ماجه (١/ح ١٥٥٧) من طريق المبارك بن فضالة حدثني حميد الطويل عن أنس بن مالك قال: لما توفي رسول الله ﷺ كان بالمدينة رجل يلحد وآخر يضرح فقالوا نستخير ربنا ونبعث إليهما فأيهما سبق تركناه فأرسل إليهما فسبق صاحب اللحد فلحدوا للنبي ﷺ .

وقال في الزوائد: في إسناده مبارك بن فضالة وثقه الجمهور وصرّح بالتحديث فزالت تهمة تدليسه وباقي رجال الإسناد ثقات فالإسناد صحيح وأخرج (١/ح ١٥٥٨) عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما مات رسول الله ﷺ اختلفوا في اللحد والشق حتى تكلموا في ذلك وارتفعت أصواتهم فقال عمر: لا تصخبوا عند رسول الله ﷺ حياً ولا ميتاً أو كلمة نحوها. فأرسلوا إلى الشقاق واللاحد جميعاً فجاء اللاحد فلحد لرسول الله ﷺ ثم دفن.

وقال في الزوائد: هذا إسناد صحيح ورجاله ثقات. اهـ.

وأخرج الإمام مالك في موطئه (ح ٥٥٤/ كتاب الجنائز) عن هشام بن عروة عن أبيه مرسلاً: كان بالمدينة حفاران فلما مات النبي ﷺ قالوا: أين ندفنه فقال أبو بكر: في المكان الذي مات فيه ، وكان أحدهما يلحد والآخر يشق فجاء الذي يلحد فلحد للنبي ﷺ .

وأخرجه الحافظ أبو بكر بن أبي الدنيا موصولاً عن عروة عن عائشة رضي الله عنها كما في البداية والنهاية (٤/ ٢١).

وأخرج الترمذي (كتاب الجنائز/ ح ١٠٢٠) عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما قبض النبي ﷺ اختلفوا في دفنه فقال أبو بكر: سمعت من رسول الله ﷺ شيئاً ما نسيته قال: ما قبض الله نبياً إلا في الموضع الذي يجب أن يدفن فيه! ادفنوه في موضع فراشه.

وأخرج البيهقي في الدلائل (٧/ ٢٦٠) عن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله قال: لما مات رسول الله اختلفوا في دفنه. . . . الحديث وفيه: فقال أبو بكر: ما قبض الله نبياً إلا دفن حيث قبض.

وهذا إسناد مرسل وللحديث شواهد ذكرها الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٤/ ٢١ ـ ٢٢) والله تعالى أعلم.

(١) في إسناده فاطمة بنت عمارة لم نجد لها ترجمة وَلكن أخرج أحمد (٦/ ١١٠) عن عائشة =

٣٦٥ ـ حدّثني ابنُ حُميد ، قال: حدثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن أبيه إسحاق بن يَسار ، عن مِقْسَم أبي القاسم ، مولَى عبد الله بن الحارث بن نوفل ، عن مولاه عبد الله بن الحارث ، قال: اعتمرتُ مع عليّ بن أبي طالب في زمان عمر ـ أو زمان عثمان ـ فنزل على أخته أمّ هانىء بنت أبي طالب ، فلما فرغ من عُمرته رجع وسكبتُ له غسلاً فاغتسل؛ فلمّا فرغ من غُسْله دخل عليه نفرٌ من أهل العراق؛ فقالوا: يا أبا الحسن؛ جئنا نسألك عن أمر نحبّ أن تخبرنا به! فقال: أظنّ المغيرة يحدّثكم أنه كان أحدثَ الناس عهداً برسول الله ﷺ ! قالوا: أجل ، عن ذا جئنا نسألك! قال: كذب؛ كان أحدثُ الناس عهداً برسول الله قُثَم بن العبّاس[١] . (٣: ٢١٤) .

٣٦٦ ـ حدّثنا ابنُ حُميد ، قال: حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن صالح ابن كيسان ، عن الزهريّ ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن عائشة ، قالت: كان على رسولِ الله ﷺ خميصة سوداء حين اشتدّ به وجعُه ، قالت: فهو يَضَعُها مرّة على وجهه ، ومرّة يكشفها عنه ، ويقول: قاتل الله قوماً اتَّخذوا قبور أنبيائهم مساجدَ! يحذَر ذلك على أمته[٢] . (٣: ٢١٤) .

= رضي الله عنها قالت: توفي النبي ﷺ يوم الإثنين ودفن ليلة الأربعاء (٦/ ١١٠) ورجاله ثقات. وأخرج (٦/ ٢٧٤) عن عائشة رضي الله عنها (ما علمنا بدفنه حتى سمعنا صوت المساحي في جوف الليل ليلة الأربعاء).
وجوّد الألباني إسناده (مختصر الشمائل/ ص ١٩٧).

(١) هذا إسناد ضعيف إلى ابن إسحاق وأخرجه ابن هشام من طريق ابن إسحاق هذا وقد صرّح بالتحديث فإسناده حسن إلا أن رواية الطبري من طريق شيخه ابن حميد الرازي زادت لفظة (قال كذب) أي شعبة ، والأغلب أنه من تلفيق ابن حميد الرازي فهو متهم بالكذب عند بعض أئمة الحديث والأكثرون علىٰ تضعيفه وهو صاحب بدعة كما لا يخفى.
وأخرجه أحمد (١/ ١٠١) من طريق ابن إسحاق هذا ولم يذكر لفظة (كذب) والله تعالى أعلم.
ولم نذكر في قسم الصحيح أية رواية رواها ابن حميد إلاّ إذا وجدنا لها تابعاً أو شاهداً والله أعلم بالصواب.

(٢) إسناده إلى ابن إسحاق ضعيف والحديث صحيح أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب الصلاة/ ح ٤٣٥) من طريق الزهري أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن عائشة وعبد الله بن عباس قالا: لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم=

٣٦٧ ـ حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلَمة، عن ابن إسحاق، عن صالح ابن كيسان، عن الزهريّ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن عائشة، قالت: كان آخر ما عهد رسول الله ﷺ أنه قال: لا يُتْرَك بجزيرة العرب دينان(١). (٣: ٢١٤/ ٢١٥).

واختلف في مبلغ سنّه يوم توفي ﷺ، فقال بعضهم: كان له يومئذ ثلاث وستون سنة.

ذكر من قال ذلك:

٣٦٨ ـ حدّثنا ابن المثنّى، قال: حدّثنا حجّاج بن المنهال، قال: حدّثنا حمّاد ـ يعني ابنَ سلَمة ـ عن أبي جمرة، عن ابن عباس، قال: أقام رسولُ الله ﷺ بمكّة ثلاث عشرة سنة يُوحَى إليه، وبالمدينة عشراً؛ ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة(٢). (٣: ٢١٥).

٣٦٩ ـ حدّثنا ابنُ المثنّى، قال: حدّثنا حجّاج بن المنهال، قال: حدّثنا حمّاد، عن أبي جمرة، عن أبيه، قال: عاش رسولُ الله ﷺ ثلاثاً وستين سنة(٣). (٣: ٢١٥).

٣٧٠ ـ حدّثنا محمد بن خلَف العسقلانيّ، قال: حدّثنا آدم، قال: حدثنا

= بها كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك: (لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) يحذّر ما صنعوا.
وأخرجه في مواضع أخرى من صحيحه وأخرجه مسلم (باب النهي عن بناء المساجد على القبور/ ح ٥٣١) وغير واحد والله أعلم.

(١) إسناده إلى ابن إسحاق ضعيف وأخرجه ابن هشام من طريق ابن إسحاق هذا وقد صرح بالتحديث فإسناده حسن (٢/ ٣٧٧) والحديث أخرجه أحمد (٦/ ٢٧٥) وقال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني في الأوسط ورجال أحمد رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرّح بالسماع (مجمع الزوائد ٥/ ٣٢٥).

(٢) حديث ابن عباس هذا حديث صحيح أخرجه مسلم في صحيحه من طريق حماد بن سلمة عن أبي جمرة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ أقام بمكة ثلاث عشرة يوحىٰ إليه وبالمدينة عشراً ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة / صحيح مسلم/ كتاب الفضائل/ باب كم أقام النبي ﷺ بمكة والمدينة (١١٨، ٢٣٥١).

(٣) رجال الإسناد ثقات.

حمّاد بن سلمة ، قال : حدّثنا أبو جمرة الضُّبعيّ ، عن ابن عباس ، قال : بُعِث رسولُ الله ﷺ لأربعين سنة ، وأقام بمكّة ثلاث عشرة يوحى إليه ، وبالمدينة عشراً ، ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة[١] . (٣ : ٢١٥/ ٢١٦) .

٣٧١ ـ حدّثني أحمدُ بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : حدّثني عمي عبد الله ، قال : حدّثنا يونس ، عن الزُّهريّ ، عن عُرْوة ، عن عائشة ، قالت : توفِّيَ رسولُ الله ﷺ وهو ابن ثلاث وستين[٢] . (٣ : ٢١٦) .

وقال آخرون : كان له يومئذ خمس وستون .

ذكر من قال ذلك :

٣٧٢ ـ حدثني زياد بن أيّوب ، قال : حدّثنا هُشَيم ، قال : أخبرنا عليّ بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عبّاس ، قال : قُبِض النبيّ ﷺ وهو ابن خمس وستين[٣] . (٣ : ٢١٦) .

٣٧٣ ـ حدّثنا ابنُ المثنّى ، قال : حدّثنا معاذ بن هشام ، قال : حدّثني أبي ،

---

(١) حديث ابن عباس هذا حديث صحيح أخرجه البخاري ولفظه بُعث رسول الله ﷺ لأربعين سنة فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة يوحىٰ إليه ثم أمر بالهجرة فهاجر عشر سنين ، ومات وهو ابن ثلاث وستين. كتاب مناقب الأنصار (ح ٣٩٠٢).

(٢) هذا إسناد حسن صحيح وحديث عائشة أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب المناقب/ باب وفاة النبي ﷺ / ح (٣٥٣٦) من طريق عقيل عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها : أن النبي ﷺ توفي وهو ابن ثلاث وستين.
والحديث أخرجه مسلم في صحيحه/ كتاب الفضائل/ باب كم كان سن النبي ﷺ يوم قبض/ (١١٥/ ٦٢٥٤) وغيرهما.

(٣) حديث ابن عباس هذا حديث صحيح أخرجه أحمد (مسند عبد الله بن عباس (١/ح ١٩٤٥) ومسلم : كتاب الفضائل/ باب كم أقام النبي ﷺ بمكة والمدينة (١٢٢/ ٢٣٥٣) ولفظه :
(أقام رسول الله ﷺ بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت ويرىٰ الضوء سبع سنين ولا يرىٰ شيئاً وثماني سنين يوحىٰ إليه وأقام بالمدينة عشراً).
وفي رواية أخرىٰ عن عمار مولىٰ بني هاشم قال : سألت ابن عباس رضي الله عنهما : كم أتى لرسول الله ﷺ يوم مات فقال : ما كنت أحسب مثلك من قومه يخفى عليه ذاك . قال قلت : إني قد سألت الناس فاختلفوا عليّ فأحببت أن أعلم قولك فيه؟ قال : أتحسب؟ قال قلت : نعم قال : أمسك أربعين بعث لها ، خمس عشرة بمكة يأمن ويخاف ، وعشراً من مهاجره إلى المدينة (كتاب الفضائل/ باب كم كان سِنُّ النبي ﷺ يوم قبض). =

عن قتادة ، عن الحسن ، عن دغْفل ـ يعني ابن حنظلة ـ أن النبيّ ﷺ توفّيَ وهو ابن خمس وستين سنة[1] . (٣ : ٢١٦) .

وقال آخرون : بل كان له يومئذ ستون سنة .

ذكر من قال ذلك :

٣٧٤ ـ حدّثنا ابن المثنّى ، قال : حدّثنا حجاج ، قال : حدّثنا حمّاد ، قال : حدّثنا عمرو بن دينار ، عن عُروة بن الزبير ، قال : بُعِث رسولُ الله ﷺ وهو ابن أربعين ، ومات وهو ابن ستين[2] . (٣ : ٢١٦) .

٣٧٥ ـ حدّثنا الحسينُ بن نصر ، قال : أخبرَنا عبيدُ الله ، قال : أخبرنا شيبان ، عن يحيى بن أبي كَثِير ، عن أبي سلَمة ، قال : حدثتني عائشة وابنُ عبّاس ، أن رسولَ الله ﷺ لبث بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن ، وبالمدينة عشراً[3] . (٣ : ٢١٦) .

* * *

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في كتاب الشمائل/ باب ما جاء في سنّ رسول الله ﷺ (ح ٣٨٣) وقال الترمذي : دغفل لا يعرف له سماع عن النبي ﷺ وقال البيهقي : وهذا يوافق رواية عمار ومن تابعه عن ابن عباس ، ورواية الجماعة عن ابن عباس في ثلاث وستين أصح منهم أوثق وأكثر . . . (البداية والنهاية ٤/ ١١) .
وسنذكر هذه الأقوال مع الرأي الراجح بعد انتهائنا من ذكر الروايات إن شاء الله تعالىٰ .

(٢) هذا إسناد مرسل وله شواهد سنذكرها بعد الرواية التالية .

(٣) أخرج البخاري في كتاب المناقب/ باب صفة النبي ﷺ (ح٣٥٤٧) من حديث أنس : رضي الله عنه في صفته ﷺ وفيه :
(أنزل عليه وهو ابن أربعين فلبث بمكة عشر سنين ينزل عليه وبالمدينة عشر سنين وقبض وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء . . . إلى آخر الرواية) .
وأخرجه من رواية أخرى عنه (ح٣٥٤٨) وفيه : (بعثه الله على رأس أربعين سنة فأقام بمكة عشر سنين وبالمدينة عشر سنين فتوفاه الله . . . إلى آخر الحديث) .
وأخرجه مسلم في صحيحه (كتاب الفضائل/ باب صفة النبي ومبعثه وسنه/ ١١٣/ ٢٣٤٧) وفيه : (بعثه الله عز وجل على رأس أربعين سنة ، فأقام بمكة عشر سنين وبالمدينة عشر سنين وتوفاه الله على رأس ستين سنة وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء) .
قلنا : ولقد ذكر الحافظ ابن كثير رواية البخاري ومسلم في السيرة النبوية قائلاً :
وثبت في الصحيحين من حديث مالك عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن أنس بن مالك قال :
(كان رسول الله ﷺ ليس بالطويل البائن ولا بالقصير وليس بالأبيض الأمهق ولا بالأدم =

= ولا بالجعد القطط ولا بالسبط بعثه الله عز وجل على رأس أربعين سنة فأقام بمكة عشر سنين وبالمدينة عشر سنين وتوفاه الله على رأس ستين سنة وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء). (البداية والنهاية ٨/ ٤).

قلنا: وكان الأولى بالحافظ ابن كثير أن يبين أكثر فيقول واللفظ لمسلم وإلا فإن رواية البخاري لم تذكر عبارة (وتوفاه الله على رأس ستين سنة) وإنما يفهم ذلك من معنى الرواية ولذلك قال الحافظ ابن حجر في شرحه لحديث أنس عند البخاري: قوله: (فلبث بمكة عشر سنين ينزل عليه) مقتضى هذا أنه عاش ستين سنة (فتح الباري ٧/ ٢٦٥).

ـ خلاصة القول في سنّه ﷺ
يوم توفاه الله عز وجل ـ

قال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى: ورواية الجماعة عن ابن عباس في ثلاث وستين أصح فَهُم أوثق وأكثر وروايتهم توافق الرواية الصحيحة عن عروة عن عائشة وإحدى الروايتين عن أنس والرواية الصحيحة عن معاوية وهي قول سعيد بن المسيب وعامر الشعبي وأبي جعفر محمد بن علي رضي الله عنهم.

ذكر قول البيهقي هذا الحافظ ابن كثير: ثم ذكر أسماء أخرى تكملة لما ذكره البيهقي فقال: قلت (أي ابن كثير): وعبد الله بن عقبة والقاسم بن عبد الرحمن والحسن البصري وعلي بن الحسين وغير واحد (البداية والنهاية ٤/ ١١).

وقال الحافظ ابن حجر: (والحاصل أن كل من روي عنه من الصحابة ما يخالف المشهور ـ وهو ثلاث وستون ـ جاء عنه المشهور وهم ابن عباس وعائشة وأنس.

ولم يختلف على معاوية أنه عاش ثلاث وستين وبه جزم سعيد بن المسيب والشعبي ومجاهد وقال أحمد: وهو الثبت عندنا). (فتح الباري ٨/ ١٥١).

فهرس الموضوعات

- ذكر اليوم الذي نُبىء فيه رسول الله ﷺ من الشهر الذي نُبىء فيه وما جاء في ذلك ٥
- وقال آخرون: بل أنزل لأربع وعشرين ليلة خلت منه. ذكر من قال ذلك ... ٦
- ذكر الخبر عما كان من أمر نبي الله ﷺ عند ابتداء الله تعالى ذكره إياه بإكرامه بإرسال جبريل عليه السلام إليه بوحيه ١١
- ذكر بعض من قال ذلك ممن حضرنا ذكره ١٩
- اشتداد إيذاء المشركين لرسول الله ﷺ ودعوته ٣٠
- خبر الصحيفة ومقاطعة المسلمين وحصارهم في شعب أبي طالب ٣٦
- أذى المشركين لرسول الله ﷺ ٣٨
- وفاة خديجة وأبي طالب ٣٨
- خروج النبي ﷺ إلى الطائف ٣٩
- استماع الجن لتلاوة رسول الله ﷺ وإسلامهم ٤٠
- رسول الله ﷺ يعرض نفسه على القبائل في المواسم ويعرفهم بدعوة الحق . ٤١
- بدء اتصال النبي ﷺ بأهل المدينة وإسلام إياس بن معاذ ٤٣
- بيعة العقبة الأولى ٤٤
- قصة إسلام سعد بن معاذ ٤٥
- مصعب بن عمير داعية الإسلام في المدينة وقارئها يمهد الطريق لهجرة رسول الله ﷺ ٤٨
- بيعة العقبة الثانية ٥٠
- فهذا حديث كعب بن مالك عن العقبة وما حضر منها ٥٥

ـ الهجرة إلى المدينة ٥٦
ـ وقال بعضهم كان مقامه بمكة خمس عشرة سنة: ذكر من قال ذلك ٧٠
ـ ذكر ما كان من الأمور المذكورة في أول سنة من الهجرة ٧٢
ـ خطبة رسول الله ﷺ في أول جمعة جمعها بالمدينة ٧٣
ـ غزوة ذات العشيرة ٧٨
ـ سرية عبد الله بن جحش ٨٠
ـ ذكر بقية ما كان في السنة الثانية من سني الهجرة ٨٣
ـ قال أبو جعفر: وقال آخرون: إنما صرفت القبلة إلى الكعبة لستة عشر شهراً مضت من سني الهجرة. ذكر من قال ذلك ٨٣
ـ وقال آخرون: كانت يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من شهر رمضان. ذكر من قال ذلك ٨٤
ـ ذكر وقعة بدر الكبرى ٨٤
ـ وأما عامة السلف؛ فإنهم قالوا: كانوا ثلاثمئة رجل وبضعة عشر رجلاً. ذكر من قال ذلك ٩٢
ـ ثم دخلت السنة الثالثة من الهجرة، خبر كعب بن الأشرف ١١٩
ـ مقتل أبي رافع اليهودي ١٢٤
ـ غزوة أُحد ١٢٧
ـ غزوة حمراء الأسد ١٤٨
ـ ذكر الأحداث التي كانت في سنة أربع من الهجرة ١٤٩
ـ غزوة الرجيع ١٤٩
ـ ذكر خبر بئر معونة ١٥١
ـ ذكر خبر جلاء بني النضير ١٥٥
ـ غزوة ذات الرقاع ١٥٧
ـ روايات البخاري وغيره في غزوة ذات الرقاع ١٥٩
ـ تحديد تأريخ غزوة ذات الرقاع ١٦١
ـ زواج النبي ﷺ بزينب بنت جحش ١٦٣
ـ ذكر الخبر عن غزوة الخندق ١٦٣

- غزوة بني قريظة ١٧٥
- ذكر الأحداث التي كانت في سنة ست من الهجرة ١٨٢
- غزوة بني لحيان ١٨٢
- غزوة ذي قَرَد ١٨٤
- غزوة بني المصطلق ١٩٠
- حديث الإفك ١٩٥
- ذكر الخبر عن عُمرة النبي ﷺ التي صده المشركون فيها عن البيت ، وهي قصة الحديبية ٢٠٣
- ذكر خروج رسل رسول الله ﷺ إلى الملوك ٢٢٩
- مسألة اختلاف المؤرخين في تحديد السنة التي كانت فيها هذه البعوث إلى ملوك الأرض آنذاك ٢٣٧
- ذكر الأحداث الكائنة في سنة سبع من الهجرة ٢٤٠
- غزوة خيبر ٢٤٠
- ذكر غزوة رسول الله ﷺ وادي القرى ٢٤٧
- أمر الحجاج بن علاط السلمي ٢٤٩
- ذكر مقاسم خيبر وأموالها ٢٥٢
- عمرة القضاء ٢٥٤
- ثم دخلت سنة ثمان من الهجرة ٢٥٧
- خبر غزوة غالب بن عبد الله الليثي بني الملوح ٢٥٧
- غزوة ذات السلاسل ٢٦٠
- غزوة الخبط ٢٦٢
- ذكر الخبر عن غزوة مؤتة ٢٦٤
- مسألة في نتيجة هذه الغزوة ٢٦٨
- ذكر الخبر عن فتح مكة ٢٦٩
- مبايعة الناس لرسول الله ﷺ يوم الفتح ٢٩٠
- مسير خالد بن الوليد إلى بني جذيمة بن مالك ٢٩٢
- ذكر الخبر عن غزوة رسول الله ﷺ هوازن بحنين ٢٩٥

- غزوة الطائف ٣٠٤
- أمر أموال هوازن وعطايا المؤلفة قلوبهم منها ٣٠٦
- عمرة رسول الله من الجعرانة ٣١٢
- ثم دخلت سنة تسع ٣١٣
- أمر ثقيف وإسلامها ٣١٣
- وفي هذه السنة غزا رسول الله ﷺ تبوك ٣١٤
- ذكر الخبر عن غزوة تبوك ٣١٤
- أمر طيئ وعدي بن حاتم ٣٢٧
- قدوم وفد بني تميم ونزول سورة الحجرات ٣٢٧
- قدوم رسل ملوك حمير على رسول الله بكتابهم ٣٢٩
- قدوم ضمام بن ثعلبة وافداً عن بني سعد ٣٣١
- ثم دخلت سنة عشر ٣٣٤
- سرية علي بن أبي طالب إلى اليمن ٣٣٤
- قدوم الجارود في وفد عبد القيس ٣٣٥
- قدوم وفد بني حنيفة ومعهم مسيلمة ٣٣٦
- قدوم الأشعث بن قيس في وفد كندة ٣٣٧
- وفد بني عامر بن صَعْصَعَة ٣٣٨
- كتاب مسيلمة إلى رسول الله والجواب عنه ٣٤٠
- حجة الوداع ٣٤١
- ذكر جملة السرايا والبعوث ٣٤٧
- خلاصة القول في عدد غزوات الرسول ﷺ ٣٤٧
- ذكر الخبر عن حج رسول الله ﷺ ٣٤٩
- ذكر الخبر عن أزواج رسول الله ﷺ ٣٥٠
- ذكر السبب الذي كان في خطبة رسول الله ﷺ عائشة وسودة والرواية الواردة بأولاهما كان عقد عليها رسول الله عقدة النكاح ٣٥٠
- خلاصة القول في أسماء زوجات رسول الله ﷺ وترتيب زواجهن ٣٥٢
- ذكر من خطب النبي ﷺ من النساء ثم لم ينكحهن ٣٥٥
- ذكر سراري رسول الله ﷺ ٣٥٥

- ذكر موالي رسول الله ﷺ ٣٥٥
- ذكر من كان يكتب لرسول الله ﷺ ٣٥٨
- ذكر أسماء خيل رسول الله ﷺ ٣٦١
- ذكر أسماء بغال رسول الله ﷺ ٣٦٢
- ذكر أسماء إبله ﷺ ٣٦٣
- ذكر أسماء لقاح رسول الله ﷺ ٣٦٣
- ذكر أسماء سيوف رسول الله ﷺ ٣٦٣
- ذكر أسماء دروعه ﷺ ٣٦٤
- ذكر أسماء رسول الله ﷺ ٣٦٥
- ذكر صفة النبي ﷺ ٣٦٥
- ذكر خاتم النبوة التي كانت به ﷺ ٣٦٨
- ذكر شجاعته وجوده ﷺ ٣٦٩
- ذكر صفة شعره ﷺ وهل كان يخضب أم لا ٣٧٠
- ذكر الخبر عن بدء مرض رسول الله الذي توفي فيه وما كان منه قبيل ذلك لما نعيت إليه نفسه ﷺ ٣٧٣
- ثم دخلت سنة إحدى عشرة ٣٧٣
- ذكر الأحداث التي كانت فيها ٣٧٣
- ذكر الأخبار الواردة باليوم الذي توفي فيه رسول الله ومبلغ سنه يوم وفاته . ٣٨٦
- ذكر جهاز رسول الله ﷺ ودفنه ٣٨٧
- واختلف في مبلغ سنه يوم توفي ﷺ ، فقال بعضهم: كان له يومئذ ثلاث وستون سنة. ذكر من قال ذلك ٣٩١
- وقال آخرون: كان له يومئذ خمس وستون. ذكر من قال ذلك ٣٩٢
- وقال آخرون: بل كان له يومئذ ستون سنة. ذكر من قال ذلك ٣٩٣
- خلاصة القول في سنه ﷺ يوم توفاه الله عز وجل ٣٩٤
- فهرس الموضوعات ٣٩٥

* * *

صحيح

تاريخ الطبري

الخلافة الراشدة

للإمام أبي جعفر بن جرير الطبري

(٢٢٤ - ٣١٠ هـ)

حققه وخرج رواياته وعلق عليه
محمد بن طاهر البرزنجي

بإشراف ومراجعة المحقق
محمد صبحي حسن حلاق

وبإشراف عام من الدكتور
الشيخ يحيى ابراهيم اليحيى
فيما يتعلق بمرويات أبي مخنف

المجلد الثالث

دار ابن كثير
دمشق - بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

صَحِيحُ

تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ

الخِلَافَةُ الرَّاشِدَةُ

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

1428 هـ - 2007 م

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع
والتصوير و النقل و الترجمة و التسجيل المرئي و المسموع
و الحاسوبي و غيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من

دار ابن كثير

للطباعة و النشر و التوزيع

دمشق - بيروت

الرقم الدولي :

الموضوع : تاريخ

العنوان : صحيح و ضعيف تاريخ الطبري 10\1

التأليف : الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري

نوع الورق : أبيض

ألوان الطباعة : لونان

عدد الصفحات : 5616

القياس : 17×24

نوع التجليد : فني - كعب لوحة

الوزن : 10 كغ

التنفيذ الطباعي : مطابع المستقبل

التجليد : مؤسسة فؤاد البعينو للتجليد

دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا - بناء الجابي

ص.ب : 311 - هاتف : 2225877 - 2228450 - فاكس : 2243502

بيروت - برج أبي حيدر - خلف دبوس الأصلي - بناء الحديقة

ص.ب : 113/6318 - تلفاكس : 01/817857 - جوال : 03/204459

www.ibn-katheer.com - info@ibn-katheer.com

دار ابن كثير

(مقدمة في منهج تحقيقنا لتأريخ الطبري فيما يتعلق بعهد الخلفاء الراشدين)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فإن تأريخ الإمام الطبري فيما يتعلق بالخلفاء الراشدين من أوسع المصادر التأريخية المتقدمة وأكثرها اعتناءً بالإسناد إلا أن الطبري رحمه الله اعتمد [في تأريخ حروب الردة وفتوح الشام والعراق ومجريات الأحداث في هذا العهد على مرويات سيف ابن عمر التيمي وبكثرة، وكذلك اعتمد مرويات أبي مخنف، ومعلوم أن أئمة الجرح والتعديل أجمعوا على تضعيف أبي مخنف فقال ابن حبان: رافضي يشتم الصحابة ويروي بالموضوعات عن الثقات (لسان الميزان ٤/ ٣٦٦).

وقال ابن عدي: حدث بأخبار من تقدم من السلف الصالحين ولا يبعد منه أن يتناولهم وهو شيعي محترف صاحب أخبارهم (الكامل ٦/ ٢١١٠).

وقال ابن معين: ليس بشيء (تأريخ ابن معين ٢/ ٥٠٠) وعقب ابن عدي قائلاً: (وهذا الذي قاله ابن معين يوافقه عليه الأئمة) (الكامل الموضع السابق).

وقال أبو حاتم: متروك الحديث (الجرح والتعديل ٧/ ١٨٢). ورأي ابن حجر فيه هو ما ذكره في لسان الميزان (٤/ ٤٩٢) لوط بن حييىٰ ـ أبو مخنف ـ أخباري تالف لا يوثق به. تركه أبو حاتم وغيره. ا هـ.

قلنا: ولذلك وضعنا معظم روايات أبي مخنف في قسم الضعيف، وبيّنا ما في متونها من نكارة، ولم نجد له إلا روايات قليلة جداً توافق ما رواه الثقات. ولم

نُطِل كثيراً في نقد رواياته فقد كفانا الأستاذ يحيى اليحى ذلك في كتابه القيم (مرويات أبي مخنف في تأريخ الطبري ـ عصر الخلافة الراشدة ـ دراسة نقدية).

أما بالنسبة لروايات سيف بن عمر التميمي وهي الأكثر وروداً في عهد أبي بكر الصديق عند الطبري؛ فقد وضعنا منهجاً نرجوا أن قد التزمنا به في تحقيقنا هذا. وقبل ذكر شروطنا في التفاصيل مع مرويات سيف لا بد أن نذكر أقوال العلماء فيه ولو باختصار. أما بالنسبة للحديث؛ فهو ضعيف عند جمهور النقاد.

قال الدارقطني: ضعيف (التهذيب ٤/ ٢٩٦).

وقال النسائي: ضعيف (الضعفاء والمتروكين/ ٥١).

وقال العقيلي: ولا يتابع عليه، ولا على كثير من حديثه (الضعفاء الكبير ٢/ ١٧٥).

وقال ابن حبان: اتهم بالزندقة، وكان يضع الحديث (المجروحين ١/ ٣٤٥). قلنا: وهذا زيادة في الجرح في ابن حبان وهو معروف بتساهله في التوثيق وتشدده في الجرح ولذلك قال الحافظ في التقريب (١/ ٢٦٢): أفحش ابن حبان القول فيه.

أما بالنسبة للروايات التأريخية؛ فقد قال ابن حجر في التقريب: (عمدة في التأريخ). وقال الذهبي: كان أخبارياً عارفاً (الميزان ٢/ ٢٥٥). ولذلك قال عضو هيئة التدريس بجامعة أم القرىٰ (قسم التأريخ الإسلامي) د. خالد الغيب: ينقسم الحديث عن درجة سيف العلمية إلى قسمين:

الأول: يتعلق بسيف المحدث.

والثانيك يتعلق بسيف الأخباري (استشهاد عثمان وموقعة الجمل في مرويات سيف بن عمر في تأريخ الطبري ـ دراسة نقدية ٢٨). ويرىٰ المؤرخ الإسلامي المعاصر الأستاذ العمري: أن سيفاً هذا ضعيف جداً في التأريخ.

قلنا: من أجل ما سبق وضعنا بعضاً من روايات سيف في قسم الصحيح بالشروط التالية:

١ ـ بعد أن وجدنا لهما أصلاً صحيحاً ابتداءً بالبخاري ومروراً ببقية كتب الحديث ـ وانتهاءً بالمصادر التأريخية الموثوقة.

٢ ـ بعد أن تأكدنا من خلوّ تلك الروايات ممَّا يتعلق بالمسائل العقيدية ، والحلال ، والحرام .

٣ ـ بعد أن تأكدنا من خلوّ هذه الروايات من طعن في عدالة الصحابة ، أو غمز ولمز بهم ، وبتعاملهم مع بعضهم البعض .

٤ ـ بعد أن تأكدنا من خلو هذه الروايات من الانحياز إلى اتجاه سياسي معروف في عهد الخلفاء الراشدين .

أما بقية الروايات (وهي الأكثر) فقد وضعناها في الضعيف وبيَّنا ما فيها من نكارة ، أو غرابة . ولقد أسهب الدكتور خالد الغيث في تقييمه لروايات سيف في رسالته الجامعية فلا نريد أن نذكر تفاصيل ذلك إلاَّ أنَّا نضيف معلقة صغيرة فيما يتعلق بالطعون الواردة في روايات سيف ونفي (الطعن في عدالة الصحابة) وهو أن البلاء ليس من سيف فحسب، وإنما أكثر البلاء من تلميذه وراويته شعيب، وأغلب الروايات من طريقه ، فهو المعروف بتحامله على الصحابة (ليس بالمعروف وله أحاديث وأخبار وفيها بعض النكارة وفيها تحامل على السلف / اللسان ٣/ ١٤٥) .

واعتبرنا هذه الطريق (طريق شعيب عن سيف) أشد مرويات سيف ضعفاً عند الطبري . أما أقل مرويات سيف ضعفاً أو أصحها (وليس صحيحها) فهو طريق : (حدثنا عبيد الله ، قال : حدثني عمّي ، قال : حدثنا سيف) والله أعلم .

ثانياً: أما فيما يتعلق بالمصادر التي اعتمدنا عليها في تقسيمنا لمرويات الطبري التاريخية فهي كما يلي :

١ ـ تأريخ خليفة بن خياط : فهو مؤرخ معتمد ثقة توفي (٢٤٠ هـ) أي : بعد أن بدأ الطبري بطلب الحديث بأربع سنوات ـ وهو يدرس التأريخ دراسة حولية بالإضافة إلى كتابته التأريخ بصيغة أخرىٰ هي تدوين التأريخ من خلال دراسة الشخصيات التأريخية . الأنبياء ، ثم الصحابة ، ثم أئمة التابعين ، وذلك في كتابة القيم المعروف (طبقات خليفة) .

٢ ـ فتوح البلدان للبلاذري : والذي اهتم اهتماماً بالغاً بتأريخ الفتوح وهو يعتمد الإسناد كسلفه خليفة ، إلاَّ أن خليفة يذكر الإسناد ويعتمده أكثر من

البلاذري الذي توفي (٢٧٩ هـ). وكذلك اعتمد البلاذري الإسناد في دراسته لشخصيات الصحابة في كتابه التأريخي القيّم (أنساب الأشراف).

٣ ـ والمصدر الثالث الذي اعتمدنا في مقارنتنا لروايات الطبري التأريخية هو (الطبقات الكبرى لابن سعد). وإن كان ابن سعد يعتمد كثيراً على شيخه الواقدي، وهو متروك ولهذا لم نعتمد هذه الروايات إلاّ ما كان له متابعة، أو شاهد.

٤ ـ ومن المصادر المتقدمة الأخرىٰ التي اعتمدناها في تحقيقنا لمرويات الطبري التأريخية (كتاب المعرفة والتأريخ) ليعقوب بن سفيان، وكذلك (الأخبار الطوال). للدينوري ت(٢٨٢ هـ).

٥ ـ ومعلوم: أن عدداً من المؤرخين الثقات برزوا في القرون التالية، ومنهم ابن عساكر الذي عاش في القرن الخامس الهجري واشتهر كتابه تأريخ دمشق وهو بحق سفر تأريخي قيّم اعتمد فيه الإسناد ورجَّح أحياناً بين الروايات التأريخية فذكرنا ترجيحاته واعتمدنا مختصر تأريخية (لابن منظور رحمه الله) وكذلك راجعنا روايات الكلاعي في كتابه(الاكتفاء) وابن الجوزي في كتابه المعروف (المنتظم).

٦ ـ أما بالنسبة للأئمة المتأخرين الذين برزوا في التأريخ بالإضافة إلى كونهم أئمة في الحديث؛ فقد اعتمدنا تأريخ الإسلام للذهبي وذكرنا أحياناً تصحيحاته وتعليقاته علىٰ الروايات التأريخية، ووكذلك اعتمدنا (البداية والنهاية لابن كثير) وذكرنا ترجيحات ابن كثير وتصويباته.

٧ ـ أما بالنسبة للحافظ ابن حجر؛ فقد اعتمدنا على كتابه (الإصابة في تمييز الصحابة) وخاصة فيما يذكره عن تأريخ الصحابة واشتراكهم في حروب الردة ومعارك الفتوح مشيراً إلى روايات الأئمة المحدثين المتقدمين في كتبهم التي اطلع عليها ذاكراً أسانيدهم فنذكرها بأسانيدها وهو أحياناً يحكم علىٰ هذه الأسانيد وأحياناً يسكت عنها (من أمثال ما كتبه ابن السكن، وابن شاهين، وابن مندة، وغيرهم).

٨ ـ وأخيراً فقد رجعنا فيما رجعنا إليه إلى كتاب تأريخ الخلفاء للسيوطي.

٩ ـ أما فيما يتعلق بالصحاح، والمسانيد، والسنن، والمستدركات،

والمصنفات كمصنف ابن أبي شيبة وغيره ففيها روايات تأريخية قليلة جداً بالنسبة لمرويات الطبري وغيره ولكننا ذكرناها قبل غيرها فهي لنا كالكنز الثمين لأنها مسندة موصولة ورجال أسانيدها ثقات في الغالب.

١٠ ـ كنَّا نتمنىٰ أن نطلع على ما كتبه الأستاذ الفاضل العمري في كتابه (تأريخ الخلفاء الراشدين) فهو مؤرخ معاصر معروف بتحريّه للروايات المسندة الصحيحة في التأريخ ونرجو أن نحصل عليه لاحقاً إن شاء الله ومع ذلك فقد اطلعنا علىٰ بعض الرسائل الجامعية القيمة (مرويات أبي مخنف، مرويات سيف بن عمير، موقف الصحابة في الفتنة، عبد الله بن سبأ... إلخ من الرسائل التي تطرقنا إلى ذكرها أثناء التحقيق).

وكذلك اطلعنا على ما كتبه الأستاذ المؤرخ باشميل عن فتوح الشام فجزاهم الله جميعاً خير الجزاء ولا ندعي: أننا أصبنا كبد الحقيقة في تحقيقنا للروايات التأريخية ولكنّا حاولنا جهد المستطاع أن نظهر للقارىء الكريم عظمة التأريخ الإسلامي الذي طالما شوَّهه المستشرقون حسداً، وحقداً، وعدواناً، فإن أصبنا في شيء؛ فمن الله التوفيق، وإن أخطأنا؛ فمن عند أنفسنا ونستغفر الله.

* * *

صحيح
تاريخ أبي بكر الصديق
رضي الله عنه

نبـــذة من فضائل أبي بكر

وقبل الدخول في عهد الخليفة الأول ـ رضي الله عنه ـ نقدم بين يديّ الموضوع نبذة من فضائله.

١ ـ أخرج البخاري في صحيحه (ح/ ٤٦٧) حدثنا عبد الله بن محمد الجعفي، قال: حدثنا وهب بن جرير، قال: حدثنا أبي، قال: سمعت يعلىٰ بن حكيم عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: خرجَ رسولُ الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه عاصباً رأسه بخرقةٍ، فقعد على المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: «إنه ليس من الناس أحدٌ أمنَّ عليَّ في نفسه وماله من أبي بكر بن أبي قحافة، ولو كنت متخذاً من الناس خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن خلة الإسلام أفضل، سُدُّوا كل خوخةٍ في هذا المسجد غير خوخة أبي بكر». صحيح. وأخرجه أحمد في المسند (١/ ٢٧٠ و٣٥٩) وفي فضائل الصحابة (٦٧) والنسائي في فضائل الصحابة (١) وابن أبي عاصم في السنة (١٢٢٨).

٢ ـ أخرج البخاري في صحيحه (ح/ ٣٦٦٢): حدثنا معلى بن أسد، حدثنا عبد العزيز بن المختار، قال خالد الحذاء: حدثنا أبي عثمان، قال: حدثني (عمرو بن العاص رضي الله عنه: أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل، فأتيتُهُ فقلت: أيُّ الناس أحب إليك؟ قال: «عائشة» فقلت: من الرجال؟ قال: «أبوها». قلت: ثم من؟ قال: «ثم عمر بن الخطاب» فعد رجالاً. صحيح. وأخرجه مسلم (٢٣٨٤) والترمذي (٣٨٨٥) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأخرجه أحمد في فضائل الصحابة (٢١٤) وابن أبي عاصم في السنة (١٢٣٥) وعبد بن حميد في المنتخب بتحقيق مصطفى العدوي (٢٩٥) والنسائي في فضائل الصحابة (٥).

٣ ـ أخرج مسلم في صحيحه رقم (٨٣٢): حدثني أحمد بن جعفر المعقري،

حدثنا النضر بن محمد، حدثنا عكرمة بن عمار، حدثنا شداد بن عبد الله أبو عمار، ويحيىٰ بن أبي كثير عن أبي أمامة ـ قال عكرمة: ولقي شداد أبا أمامة وواثلة وصحب أنساً إلى الشام وأثنى عليه فضلاً وخيراً ـ. قال: قال عمرو بن عبسة السُّلمي: كنت وأنا في الجاهلية أظنُّ: أن الناس على ضلالة، وأنهم ليسوا على شيء؛ وهم يعبدون الأوثان، فسمعت برجل بمكة يخبر أخباراً، فقعدت على راحلتي، فقدمت عليه؛ فإذا رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ مستخفياً جُرَآءُ عليه قومه، فتلطفتُ حتى دخلت عليه بمكة، فقلت له: ما أنت؟ قال: «أنا نبيٌّ». فقلت: وما نبيٌّ؟ قال: «أرسلني الله»، فقلت: وبأي شيء أرسلك؟ قال: «أرسلني بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يوحَّد الله لا يشرك به شيء». قلت له: فمن معك على هذا؟ قال: «حرٌّ، وعبدٌ»، قال: ومعه يومئذٍ: أبو بكر، وبلال ممَّن آمن به. . .

٤ - أخرج البخاري في صحيحه (ح/ ٣٦٦١): حدثنا هشام بن عمار، حدثنا صدقة بن خالد، حدثنا زيد بن واقد عن بسر بن عبيد الله، عن عائذ الله أبي إدريس، عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: كنت جالساً عند النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ إذ أقبل أبو بكر آخذاً بطرف ثوبه حتى أبدىٰ عن ركبته، فقال النبي ﷺ: «أما صاحبكم فقد غامَرَ فسلَّم». وقال: يا رسول الله! إني كان بيني وبين ابن الخطاب شيء، فأسرعت إليه، ثم ندمت فسألته أن يغفر لي، فأبىٰ عليَّ فأقبلت إليك. فقال: «يغفر الله لك يا أبا بكر؟» ثلاثاً، ثم إن عمر ندم فأتى منزل أبي بكر، فسأل: أثمَّ أبو بكر؟ فقالوا: لا، فأتى إلى النبي ﷺ فجعل وجه النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يتمعر حتىٰ أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه، فقال: يا رسول الله! والله أنا كنت أظْلَمَ (مرتين) فقال النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: «إن الله بعثني إليكم فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله فهل أنتم تاركو لي صاحبي؟». (مرتين) فما أوذي بعدها. صحيح.

وأخرجه البخاري أيضاً (٤٦٤٠)، وأحمد في فضائل الصحابة (٢٩٧).

٥ - أخرج البخاري في صحيحه (ح/ ٣٦٧٥): حدثني محمد بن بشار، حدثنا يحيىٰ عن سعيد عن قتادة: أن أنس بن مالك رضي الله عنه حدثهم: أن النبي ﷺ صَعِدَ أُحُداً، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، فرجف بهم، فقال: «اثبت أحد،

فإن عليك نبيٌّ ، وصدّيقٌ ، وشهيدان». صحيح .

وأخرجه أبو داود (٤٦٥١) والترمذي (٣٦٩٧) وقال: هذا حديث حسن صحيح ، والنسائي في فضائل الصحابة (٣٢) ، وأحمد (٣/ ١١٢) وفي فضائل الصحابة (٢٤٦) وأبو يعلى (٥/ ٢٨٩ ـ ٢٩٠).

٦ ـ أخرج البخاري في صحيحه برقم (٣٦٦٦): حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب عن الزهري قال: أخبرني حميد بن عبد الرحمن بن عوف: أن أبا هريرة قال: سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يقول: «من أنفق زوجين من شيء من الأشياء في سبيل الله دُعي من أبواب ـ يعني: الجنة ـ يا عبد الله هذا خيرٌ؛ فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان» فقال أبو بكر: ما على هذا الذي يدعىٰ من تلك الأبواب من ضرورة ، وقال: هل يدعىٰ منها كلها أحدٌ يا رسول الله؟ قال: «نعم وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر !». صحيح .

وأخرجه مسلم (١٠٢٧) والترمذي (٣٦٧٤) وعزاه المزي في الأطراف للنسائي ، وأخرجه أحمد (٢/ ٢٦٨) وابن أبي شيبة (١٢٠١٣).

٧ ـ أخرج البخاري في صحيحه برقم (٤٠٧٧): حدثنا محمد ، حدثنا أبو معاوية عن هشام عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٢] . قالت لعروة: يا بن أختي ؟ كان أبواك منهم: الزبير ، وأبو بكر ، لما أصاب رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ما أصاب يوم أحد ، وانصرف عنه المشركون؛ خاف أن يرجعوا قال: «من يذهب في إثرهم»؟ فانتدب منهم سبعون رجلاً ، كان فيهم أبو بكر ، والزبير).

٨ ـ أخرج البخاري في صحيحه (ح/ ٦٧٨): حدثنا إسحاق بن نصر ، قال: حدثنا حسين عن زائدة ، عن عبد الملك بن عمير ، قال: حدثني أبو بردة عن أبي موسىٰ قال: مرض النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فاشتد مرضه ، فقال: «مُروا أبا بكر فليصل بالناس». فقالت عائشة: إنه رجل رقيق إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس. قال: «مروا أبا بكر فليصل بالناس». فعادت. فقال:

«مري أبا بكر فليصل بالناس فإنكن صواحب يوسف». فأتاه الرسول فصلى بالناس في حياة النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم.

٩ - أخرج البخاري في صحيحه (ح/ ٣٦٥٩): حدثنا الحميدي ، ومحمد بن عبد الله قالا: حدثنا إبراهيم بن سعد عن أبيه ، عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: أتت امرأة النبيَّ ﷺ فأمرها أن ترجع إليه. قالت: أرأيت إن جئتُ؛ ولم أجدك - كأنها تقول الموت - قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إن لم تجديني؛ فائتي أبا بكر».

١٠ - أخرج مسلم في صحيحه (ح/ ٢٣٨٧): حدثنا عبيد الله بن سعيد ، حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا إبراهيم بن سعد ، حدثنا صالح بن كيسان عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة قالت: قال لي رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - في مرضه: «ادعي لي أبا بكر وأخاك حتى أكتب كتاباً ، فإني أخاف أن يتمنّى متمنٍّ ، ويقول قائل: أنا أولى ، ويأبىٰ الله والمؤمنون إلا أبا بكر».

١١ - أخرج البخاري في صحيحه (ح/ ٣٦٦٤): حدثنا عبدان ، أخبرنا عبد الله عن يونس ، عن الزهري ، قال: أخبرني ابن المسيب: سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول: سمعت النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - يقول: «بينا أنا نائم رأيتُني على قليب عليها دلو فنزعتُ منها ما شاء الله ، ثم أخذها ابن أبي قحافة فنزع بها ذَنُوباً ، أو ذنوبين ، وفي نزعه ضعف. والله يغفر له ضعفه! ثم استحالت غرباً ، فأخذها ابن الخطاب ، فلم أر عبقرياً من الناس ينزع نزع عمر حتى ضرب الناس بعطن».

❊ ❊ ❊

ثم دخلت سنة إحدى عشر

(حديث السقيفة)

١ ـ حدثني عليّ بن مسلم ، قال: حدَّثنا عَبّاد بن عبّاد ، قال: حدَّثنا عباد بن راشد ، قال: حُدِّثنا عن الزهريّ ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عُتبة ، عن ابن عبّاس ، قال: كنت أُقْرِىء عبدَ الرحمن بن عَوْف القرآن ، قال:

فحجَّ عمر وحججنا معه ، قال: فإني لَفِي منزلٍ بمنىً إذ جاءني عبدُ الرحمن ابن عوف ، فقال: شهدتُ أمير المؤمنين اليوم ، وقام إليه رجلٌ فقال: إني سمعت فلاناً يقول: لو قد مات أمير المؤمنين لقد بايعتُ فلاناً. قال: فقال أمير المؤمنين: إني لقائم العشيّةَ في الناس فمحَذِّرُهم هؤلاء الرّهط الذي يريدون أن يغصِبوا الناس أمرَهم. قال: قلتُ: يا أمير المؤمنين! إنّ الموسم يجمع رِعاع الناس وغوغاءَهم؛ وإنهم الذين يغلبون على مجلِسك ، وإني لخائف إن قلت اليوم مقالة ألاَّ يَعُوها ولا يحفظوها ، ولا يضعوها على مواضعها ، وأن يطيروا بها كلَّ مطيرٍ؛ ولكن أمهل حتى تقدم المدينة ، تقدم دار الهجرة والسنَّة ، وتخلُص بأصحابِ رسولِ الله من المهاجرين والأنصار ، فتقول ما قلت متمكّناً ، فيعُوا مقالتَك ، ويضعوها على مواضعها. فقال: والله لأقومنَّ بها في أوَّل مقام أقومُه بالمدينة!.

قال: فلمَّا قدِمْنا المدينة ، وجاء يوم الجمعة هَجَّرت للحديث الذي حدثنيه عبد الرحمن؛ فوجدت سعيد بن زيد قد سبَقني بالتَّهجير ، فجلست إلى جنبه عند المنبر ، ركبتي إلى ركبته؛ فلمَّا زالت الشمس لم يلبث عمر أن خرَج ، فقلت لسعيد وهو مقبل: ليقولنَّ أميرُ المؤمنين اليومَ على هذا المنْبر مقالةً لم تُقلْ قبلَه. فغضب وقال: فأيَّ مقالة يقول لم تُقَل قبله؟! فلمَّا جلس عمر على المنبر أذَّن

المؤذن ، فلمَّا قضى المؤذن أذانه قام عمر ، فحمِد الله وأثنىٰ عليه ، وقال: أمَّا بعد ، فإنّي أريد أن أقول مقالة قد قُدّر أن أقولها ، مَنْ وعاها ، وعَقَلها، وحفظها؛ فليحدّث بها حيث تنتهي به راحلته ، ومَنْ لم يعِها فإني لا أحلُّ لأحد أن يكذِبَ عليّ: إن الله عزّ وجلَّ بعثَ محمداً بالحق ، وأنزل عليه الكتاب؛ وكان فيما أنزل عليه آية الرَّجْمِ ، فرجم رسولُ الله ورجمنا بعده ، وإني قد خشيتُ أن يطولَ بالناس زمان ، فيقول قائل: والله ما نجد الرَّجْم في كتاب الله ، فيَضلُّوا بتَرْكِ فريضة أنزلها الله ، وقد كنا نقول: لا تَرْغبوا عن آبائكم؛ فإنه كفرٌ بكم أن ترغبوا عن آبائكم. ثم إنه بلَغني أنَّ قائلاً منكم يقول: لو قد مات أمير المؤمنين بايعت فلاناً! فلا يَغُرَّنّ امرأً أن يقول: إن بيعة أبي بكر كانت فَلْتَة؛ فقد كان كذلك؛ غيرَ أنَّ الله وَقى شرَّها؛ وليس منكم من تُقطعُ إليه الأعناق مثل أبي بكر! وإنه كان من خَبَرِنا حين توفّى الله نبيَّه ﷺ أنَّ علياً والزُّبير ومَنْ معهما تخلَّفوا عنا في بيت فاطمة ، وتخلَّفت عنا الأنصار بأسْرِها ، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر ، فقلت لأبي بكر: انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار ، فانطلقنا نؤمُّهم؛ فلقيَنا رجلان صالحان قد شهدا بدراً ، فقالا: أين تريدون يا معشر المهاجرين؟ فقلنا: نريد إخوانَنا هؤلاء من الأنصار. قالا: فارجعوا فاقضوا أمرَكم بينكم. فقلنا: والله لنأتينَّهم ! قال: فأتيناهم وهم مجتمعون في سَقيفة بني ساعدة. قال: وإذا بين أظهرهم رجلٌ مزمَّلٌ ، قال: قلتُ: مَنْ هذا؟ قالوا: سعد بن عبادة ، فقلت: ما شأنه؟ قالوا: وَجِعٌ ، فقام رجلٌ منهم ، فحمِد الله ، وقال: أمَّا بعد ، فنحنُ الأنصار وكتيبة الإسلام ، وأنتم يا معشرَ قريشٍ رهطُ نَبيّنا؛ وقد دفّت إلينا من قومكم دَافّةٌ. قال: فلما رأيتهم يريدون أن يختزِلُونا من أصلِنا ، ويغصِبونا الأمر. وقد كنت زوَّرت في نفسي مقالةً أقدمها بين يدي أبي بكر ، وقد كنت أداري منه بعض الحدّ ، وكان هو أوقرَ منّي وأحلم؛ فلمَّا أردت أن أتكلم ، قال: على رِسْلِكَ! فكرهت أن أعصيَه؛ فقام فحمد الله وأثنى عليه ، فما ترك شيئاً كنتُ زوّرت في نفسي أن أتكلَّم به لو تكلمت؛ إلا قد جاء به أو بأحسنَ منه. وقال: أما بعدُ يا معشرَ الأنصار ! فإنكم لا تذكُرون منكم فضلاً إلاّ وأنتم له أهلٌ؛ وإنَّ العربَ لا تعرف هذا الأمرَ إلاّ لهذا الحيّ من قريش؛ وهم أوسط [العرب] داراً ونسباً ، ولكن قد رضِيتُ لكم أحدَ هذين الرجلين ، فبايعوا أيَّهما شئتم. فأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح. وإنّي والله ما كرهتُ من كلامه شيئاً غيرَ هذه الكلمة؛ إن

كنت لأقَدِّم؛ فتُضْرَب عنقي فيما لا يقرّبني إلى إثم أحبُّ إليَّ من أن أؤمَّر على قوم فيهم أبو بكر. فلمَّا قضى أبو بكر كلامَه، قام منهم رجلٌ، فقال: أنَا جُذَيْلُها المُحَكَّك، وعُذَيْقُها المُرَجَّب؛ منَّا أميرٌ ومنكم أمير؛ يا معشر قريش!

قال: فارتفعت الأصوات، وكثر اللَّغَط، فلمَّا أشفقت الاختلاف، قلت لأبي بكر: ابسُط يدك أبايعْك، فبسط يده فبايعتُه وبايعه المهاجرون، وبايعه الأنصار. ثم نزونا على سعد، حتى قال قائلهم: قتلتُم سعد بن عبادة! فقلت: قتل الله سعداً! وإنا والله ما وجدنا أمراً هو أقوى من مبايعة أبي بكر؛ خشينا إنْ فارقنا القوم ولم تكن بيعةٌ أن يحدِثوا بعدنا بيعة، فإما أن نتابعهم على ما لا نرضَى، أو نخالفهم فيكون فساد(١). (٣: ٢٠٣/ ٢٠٤/ ٢٠٥/ ٢٠٦).

---

(١) حديث صحيح أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب الحدود/ ح ٦٨٣٠) عن ابن عباس رضي الله عنه (قال: كنت: أقرئ رجالاً من المهاجرين . . . الحديث) وفيه: (فلا يغترن امرؤ أن يقول: إنما كانت بيعة أبي بكر فلتةً وتمت، ألا وإنها قد كانت كذلك ولكنَّ الله وقىٰ شرَّها، وليس فيكم من تُقطعُ الأعناقُ إليه مثلُ أبي بكرٍ، من بايع رجلاً من غير مشورة من المسلمين فلا يبايعُ هو ولا الذي بايعه تغرَّةً أن يقتلا، وإنه قد كان من خبرنا حين توفىٰ الله نبيه ﷺ، أن الأنصار خالفونا واجتمعوا بأسرهم في سقيفة بني ساعدة، وخالف عنا عليّ والزبير ومن معهما واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر، فقلت لأبي بكر: يا أبا بكر، انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار فانطلقنا نريدهم، فلما دنونا منهم لقينا منهم رجلان صالحان فذكروا ما تمالأ عليه القوم فقالا: أين تريدون يا معشر المهاجرين؟ فقلنا: نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار، فقالا: لا عليكم أن لا تقربوهم، اقضوا أمركم. فقلت: والله لنأتينَّهم فانطلقنا حتى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة، فإذا رجل مُزَمَّلٌ بين ظهرانيهم. فقلت: من هذا؟ فقالوا: هذا سعد بن عبادة. فقلت: ماله؟ قالوا: يُوعَك. فلما جلسنا قليلاً تشهد خطيبهم فأثنى علىٰ الله بما هو أهله. ثم قال: أما بعدُ فنحنُ أنصارُ الله وكتيبة الإسلام وأنتم ـ معشر المهاجرين ـ رهط، وقد دفَّتِ دافة من قومكم، فإذا هم يريدون أن يختزلونا من أصلنا وأن يغصبونا من الأمر. فلما سكت أردت أن أتكلم ـ وكنت قد زورت مقالة أعجبتني أريد أن أقدمها بين يدي أبي بكر ـ وكنت أداري منه بعض الحد. فلما أردت أن أتكلم قال أبو بكر: على رسلك. فكرهت أن أُغضِبَهُ، فتكلم أبو بكر فكان هو أحلم مني وأوقر. والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلا قال في بديهته مثلها أو أفضل منها حتى سكت. فقال: ما ذكرتم من خير فيكم فأنتم له أهل، ولن يُعرف هذا الأمر إلا لهذا الحيِّ من قريش، هم أوسط العرب نسباً وداراً. وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيّهما شئتم ـ فأخذ بيدي ويد =

٢ ـ حدَّثنا ابن حُميد، قال: حدَّثنا سلَمة عن محمد بن إسحاق، عن الزُّهريّ، عن عروة بن الزبير، قال: إن أحدَ الرجُلين اللذيْن لقوا من الأنصار حين ذهبوا إلى السقيفة عُوَيْم بن ساعدة، والآخر معْنُ بن عديّ؛ أخو بني العجلان، فأمّا عُويم بن ساعدة فهو الذي بلَغنا: أنه قيل لرسول الله ﷺ: مَن الذين قال الله لهم: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم المرء منهم عُويم بن ساعدة!» وأما معن فبلَغنا: أنَّ الناس بكَوْا علَى رسول الله ﷺ حين توفَّاه الله، وقالوا: والله لوددنا أنا متنا قبلَه؛ إنا نخشىٰ أن نفتتن بعده. فقال معن بن عديّ: والله ما أحبُّ أني متُّ قبله حتى أصدِّقه ميتاً كما صدَّقته حيَّاً. قتل مَعْنٌ يوم اليمامة شهيداً في خلافة أبي بكر يوم مُسَيْلمة الكذَّاب[١]. (٣/ ٢٠٦ ـ ٢٠٧).

٣ ـ حدَّثنا عبيد الله بن سعد، قال: أخبرني عمّي، قال: أخبرني سيف عن عبد العزيز بن سياه، عن حبيب بن أبي ثابت، قال: كان عليٌّ في بيته إذْ أتِيَ

= أبي عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا ـ فلم أكره مما قال غيرها، كان والله أن أقدّم فتضرب عنقي لا يقرِّبني ذلك من إثم أحبَّ إليّ من أن أتأمر علىٰ قوم فيهم أبو بكر، اللهم إلاّ أن تُسَوّلَ إليّ نفسي عند الموت شيئاً لا أجده الآن. فقال قائلٌ من الأنصار: أنا جُذيلها المحكّك، وعُذيقُها المرجَّب، منا أميرٌ ومنكم أميرٌ يا معشر قريش! فكثر اللغط، وارتفعت الأصوات، حتى فَرِقتُ من الاختلاف، فقلت: ابسط يدك يا أبا بكر، فبسط يده فبايعته، وبايعه المهاجرون ثم بايعته الأنصار. ونزونا على سعد بن عبادة فقال قائل منهم: قتلتم سعد بن عبادة. فقلت: قتل الله سعد بن عبادة. قال عمر: وإنا والله ما وجدنا فيما حَضَرنا من أمر أقوى من مبايعة أبي بكر، خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعةٌ أن يبايعوا رجلاً منهم بعدنا، فإما بايعناهم على ما لا نرضىٰ، وإما نخالفهم فيكونُ فساداً، فمن بايع رجلاً على غير مشورة من المسلمين فلا يتابع هو ولا الذي بايعه تغرةً أن يقتلا).

والحديث أخرجه بطوله عبد الرزاق في مصنفه (ج/ ٥/ح ٩٧٥٨) وأخرجه البخاري مختصراً (كتاب الفضائل ح ١٦٦٨) وأخرجه أحمد في المسند (١/ ٥٥) وابن سعد في الطبقات (٢/ ٢٦٨) عن عائشة رضي الله عنها.

(١) إسناده ضعيف ولكن أخرج أحمد، أصل الرواية: ثنا إسحاق بن عيسى الطباع ثنا مالك بن أنس ثنا ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن ابن عباس أخبره. . . الأثر الطويل في قصة سقيفة بني ساعدة ثم في آخره قال مالك: فأخبرني ابن شهاب عن عروة أن الرجلين الذين لقياهما: عويم بن ساعدة ومعن بن عدي.

فقيل له: قد جلس أبو بكر للبيْعة ، فخرج في قميص ما عليه إزارٌ ولا رداءٌ ، عجلاً ، كراهيَةَ أن يُبْطيء عنها ، حتى بايعه. ثم جلس إليه وبعث إلى ثوبه فأتاه فتجلله ، ولزم مجلسه[1]. (٣/ ٢٠٧).

٤ ـ حدَّثنا أبو صالح الضَّراريّ ، قال: حدَّثنا عبد الرزاق بن همَّام ، عن معمَر ، عن الزهريّ ، عن عروة ، عن عائشة: أنَّ فاطمةَ والعباس أتيا أبا بكر يطلُبان ميراثهما من رسول الله ﷺ ، وهما حينئذ يطلبان أرضَه من فَدَك ، وسهمَه من خيبر ، فقال لهما أبو بكر: أما إنّي سمعتُ رسولَ الله يقول: لا نورَثُ ، ما تَرَكْنا فهو صدقة ، إنما يأكل آل محمد في هذا المال. وإني والله لا أدَعُ أمراً رأيت رسول الله يصنعه إلاَّ صنعته. قال: فهجرتْه فاطمة فلم تكلّمْه في ذلك حتى ماتت ، فدفنها عليٌّ ليلاً ، ولم يؤذِنْ بها أبا بكر. وكان لعليّ وَجْهٌ من الناس حياةَ فاطمة ، فلما توفِّيتْ فاطمة انصرفتْ وجوه الناس عن عليّ؛ فمكثتْ فاطمة ستة أشهر بعد رسول الله ﷺ ، ثم توفِّيت.

قال معمر: فقال رجلٌ للزهريّ: أفلم يبايعه عليٌّ ستة أشهر! قال: لا؛ ولا أحدٌ من بني هاشم؛ حتى بايعه عليّ. فلما رأى عليٌّ انصرافَ وجوه الناس عنه ضَرع إلى مصالحة أبي بكر ، فأرسل إلى أبي بكر: أن ائتنا ولا يأتِنا معك أحدٌ ، وكره أن يأتيَه عمر لما علم من شدَّة عمر ، فقال عمر: لا تأتهم وحدَك ، قال أبو بكر: والله لآتينّهم وحدِي ، وما عسى أن يصنعوا بي! قال: فانطلق أبو بكر ، فدخل على عليّ ، وقد جَمَعَ بني هاشم عنده ، فقام عليٌّ فحمِد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال: أمَّا بعد ، فإنه لم يمنعنا من أنْ نبايعك يا أبا بكر إنكارٌ لفضيلتك ، ولا نَفَاسَةٌ عليك بخيرٍ ساقه الله إليك ، ولكنا كنَّا نرى: أنَّ لنا في هذا الأمر حقّاً ، فاستبددتم به علينا. ثم ذكر قرابته من رسول الله ﷺ وحقَّهم. فلم يزل عليٌّ يقول ذلك حتى بَكى أبو بكر.

فلما صمت عليٌّ تشهَّد أبو بكر ، فحمِد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال: أما بعدُ؛ فوالله لقرابة رسول الله أحبُّ إليَّ أن أصلَ من قرابتي؛ وإني والله ما ألوتُ

---

(١) إسناده ضعيف ، ولكن أصل المتن (أي بيعة علي لأبي بكر) صحيح دون ذكر لهذه الصفة التي جاء بها علي رضي الله عنه وأرضاه.

في هذه الأموال التي كانت بيني وبينكم غيرَ الخير؛ ولكنّي سمعت رسول الله يقول: «لا نورَث؛ ما تركنا فهو صدقة، إنما يأكل آل محمد في هذا المال»؛ وإني أعوذ بالله لا أذكر أمراً صنعه محمد رسول الله إلاَّ صنعتُه فيه إن شاء الله.

ثم قال عليٌّ: موعدك العشيَّة للبَيْعة، فلمَّا صلى أبو بكر الظُّهْرَ أقبلَ على النَّاس، ثم عذر عليّاً ببعض ما اعتذر، ثم قام عليٌّ فعظَّم من حق أبي بكر، وذكر فضيلته وسابقته، ثم مضى إلى أبي بكر فبايعه. قالت: فأقبل الناس إلى عليّ فقالوا: أصبت وأحسنت، قالت: فكان الناس قريباً إلى عليّ حين قاربَ الحق والمعروف[١]. (٣: ٢٠٧/٢٠٨/٢٠٩).

٥ ـ حدَّثنا ابنُ حميد، قال: حدَّثنا سلَمة عن محمد بن إسحاق، عن حسين بن عبد الله، عن عِكْرمة، عن ابن عباس، قال: والله إني لأمشي مع عمر في خلافته؛ وهو عامد إلى حاجة له، وفي يده الدِّرَّة، وما معه غيري. قال: وهو يحدِّث نفسه، ويضرب وَحْشيَّ قدمه بدِرَّته، قال: إذ التفت إليّ فقال: يا بنَ عباس! هلْ تدري ما حملني على مقالتي هذه التي قلت حين توفَّى الله رسوله؟ قال: قلت: لا أدري يا أميرَ المؤمنين أنت أعلم، قال: والله إنْ حَمَلني على ذلك إلاَّ أنّي كنتُ أقرأ هذه الآية: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾؛ فوالله إنّي كنت لأظن: أنَّ رسولَ الله سيبقى في أمّته حتى يشهد عليها بآخر أعمالها؛ فإنه للَّذي حملني على أن قلتُ ما قلت[٢]. (٣: ٢١٠).

---

(١) حديث صحيح أخرجه البخاري في صحيحه (باب قول رسول الله ﷺ: لا نورث ما تركنا صدقة) من طريق هشام عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة وأخرجه البخاري في صحيحه (المغازي ٥/ ٨١ ـ باب غزوة خيبر) ومسلم في الجهاد والسير (باب قول النبي ﷺ لا نورث ما تركنا صدقة /ح ١٧٥٩) وكذلك رواه البخاري في مواضع أخرى عن عائشة رضي الله عنها مع اختلاف في الألفاظ وقد استشهد بها ابن كثير ثم قال عقبها: فهذه البيعة التي وقعت من علي بيعة مؤكدة للصلح الذي وقع بينهما وهي ثانية للبيعة التي ذكرناها أولاً يوم السقيفة كما رواه ابن خزيمة وصححه مسلم بن الحجاج ولم يكن علي مجانباً لأبي بكر هذه الستة الأشهر بل كان يصلي وراءه ويحضره عنده للمشورة. (البداية والنهاية ٥/ ٢٥٠).

(٢) إسناده ضعيف وهو حديث صحيح أخرجه ابن هشام من طريق ابن إسحاق [حدثني الزهري حدثني أنس بن مالك] (السيرة النبوية ٢/ ٣٧٢) وصحح ابن كثير إسناده، وكذلك أخرجه الذهبي عن أنس وفي آخره، وكانت طائفة منهم بايعوه قبل ذلك في سقيفة بني ساعدة وكانت=

= البيعة على المنبر بيعة العامة. وقال الذهبي: صحيح غريب (تأريخ الإسلام ـ عهد الخلفاء الراشدين/ ١٢).
وأخرج البخاري نحوه عن أنس بن مالك أنه سمع خطبة عمر الأخيرة حين جلس على المنبر وذلك الغد من يوم توفي رسول الله ﷺ وأبو بكر صامت لا يتكلم. قال: كنت أرجو أن يعيش رسول الله ﷺ حتى يدبرنا ـ يريد ذلك أن يكون آخرهم ـ فإن يك محمد قد مات فإن الله قد جعل بين أظهركم نوراً تهتدون به هدي الله محمداً وأن أبا بكر صاحب رسول الله ﷺ وثاني اثنين وأنه أولىٰ المسلمين بأموركم، فقدموا فبايعوه وكانت طائفة قد بايعوه قبل ذلك في سقيفة بني ساعدة وكانت بيعة العامة على المنبر) اهـ.
ولقد أخرج الذهبي الروايات الصحيحة في مبايعة علي لأبي بكر رضي الله عنهما والتي أخرجها الأئمة الآخرون فقد ذكرها الحافظ ابن كثير رحمه الله: وقال الحافظ البيهقي: أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الحافظ الإسفراييني حدثنا أبو علي الحسين بن علي الحافظ حدثنا أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة وابن إبراهيم بن أبي طالب قالا: حدثنا ميدار بن يسار، وحدثنا أبو هشام المخزومي حدثنا وهيب حدثنا داود بن أبي هند حدثنا أبو نضرة عن أبي سعيد الخدري قال: قبض رسول الله ﷺ واجتمع الناس في دار سعد بن عبادة وفيهم أبو بكر وعمر قال: فقام خطيب الأنصار فقال: أتعلمون أن رسول الله ﷺ كان من المهاجرين وخليفته من المهاجرين. ونحن كنا أنصار رسول الله ونحن أنصار خليفته كما كنا أنصاره. قال: فقام عمر بن الخطاب، فقال: صدق قائلكم أما لو قلتم على غير هذا لم نبايعكم، وأخذ بيد أبي بكر. وقال: هذا صاحبكم فبايعوه فبايعه عمر وبايعه المهاجرون والأنصار. قال: فصعد أبو بكر فنظر في وجوه القوم فلم ير الزبير. قال: فدعا بالزبير فجاء فقال: قلت: ابن عمة رسول الله ﷺ وحواريه أردت أن تشق عصا المسلمين؟ فقال: لا تثريب يا خليفة رسول الله ﷺ فقام فبايعه. ثم نظر في وجوه القوم فلم ير علياً فدعا بعلي بن أبي طالب. فجاء فقال: قلت: ابن عم رسول الله ﷺ وختنه على ابنته أن تشق عصا المسلمين. قال: لا تثريب يا خليفة رسول الله ﷺ فبايعه.
هذا أو معناه، وقال أبو علي الحافظ: سمعت محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول: جاءني مسلم بن الحجاج فسألني عن هذا الحديث فكتبته له في رقعة وقرأته عليه، وهذا حديث يسوي بدنة بل يسوي بدرة. وقد رواه البيهقي عن الحاكم وأبي محمد بن حامد المقري كلاهما عن أبي العباس محمد بن يعقوب الأصم عن جعفر بن محمد بن شاكر عن عفان بن مسلم عن وهيب به ولكن ذكر: أن الصديق هو القائل لخطيب الأنصار بدل عمر. وفيه: أن زيد بن ثابت أخذ بيد أبي بكر فقال: هذا صاحبكم فبايعوه ثم انطلقوا فلما قعد أبو بكر على المنبر نظر في وجوه القوم فلم يرَ علياً فسأل عنه فقام ناس من الأنصار فأتوا به فذكر نحو ما تقدم ثم ذكر قصة الزبير بعد علي فالله أعلم ـ وقد رواه علي بن عاصم عن الجريدي عن=

= أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري فذكر نحو ما تقدم وهذا إسناد صحيح محفوظ من حديث نضرة المنذر بن مالك بن قطعة عن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري وفيه فائدة جليلة وهي مبايعة علي بن أبي طالب إما في أول يوم أو في اليوم الثاني من الوفاة. وهذا حق فإن علي بن أبي طالب لم يفارق الصديق في وقت من الأوقات، ولم ينقطع في صلاة من الصلوات خلفه كما سنذكره وخرج معه إلى ذي القصة لما خرج الصديق شاهرا سيفه يريد قتال أهل الردة كما سنبيّنه قريباً.

[قلنا: (المحققان)]: ونود أن نذكر هنا الحديث الذي أشار إليه ابن كثير.

قال ابن كثير: (أخرج الدارقطني من حديث عبد الوهاب بن موسىٰ الزهري عن مالك عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن ابن عمر قال: لما برز أبو بكر واستوىٰ على راحلته (لقتال المرتدين بنفسه) أخذ علي بزمامها وقال: إلى أين يا خليفة رسول الله. أقول لك ما قال لك رسول الله ﷺ يوم أحد: شِمْ سيفك؟ ولا تفجعنا بنفسك وارجع إلى المدينة فوالله لئن فجعنا بك، لا يكون للإسلام نظام أبداً).

ثم قال ابن كثير: هذا حديث غريب من طريق مالك، وقد رواه زكريا الساجي من حديث عبد الوهاب بن موسىٰ بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف [و] الزهري أيضاً عن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: خرج أبي شاهراً سيفه راكباً على راحلته إلى وادي القصة فجاء علي بن أبي طالب فأخذ بزمام راحلته فقال: إلى أين يا خليفة رسول الله؟! أقول لك ما قال رسول الله يوم أحد: لم سيفك ولا تفجعنا بنفسك، فوالله لئن أصبنا بك لا يكون للإسلام بعدك نظام أبداً، فرجع وأمضى السيف (البداية والنهاية ٦/ ٣١٩) وانظر (كنز العمال ٣/ ١٤٣).

ولكن ما حصل من فاطمة رضي الله عنها عتب على الصديق بسبب ما كانت متوهمة من أنها تستحق ميراث رسول الله ﷺ ولم تعلم بما أخبرها به الصديق رضي الله عنه. أنه قال: (لا نورث ما تركناه فهو صدقة) فحجبها وغيرها من أزواجه وعمه عن الميراث بهذا النص الصريح كما سنبين ذلك في موضعه، فسألته أن ينظر علي في صدقة الأرض التي بخيبر وفدك فلم يجبها إلىٰ ذلك. لأنه رأى أن حقاً عليه أن يقوم في جميع ما كان يتولاه رسول الله ﷺ.

وهو الصادق البار الراشد التابع للحق رضي الله عنه فحصل لها وهي امرأة ليست براجية العصمة عتب وتغضب ولم تكلم الصديق حتى ماتت واحتاج علي أن يراعي خاطرها بعض الشيء، فلما ماتت بعد ستة أشهر من وفاة أبيها ﷺ رأى علي أن يجدد البيعة مع أبي بكر رضي الله عنه كما سنذكر في الصحيحين وغيرهما فيما بعد إن شاء الله تعالىٰ مما تقدم له من البيعة قبل دفن رسول الله ﷺ، ويزيد ذلك صحة قول موسى بن عقبة في مغازيه: عن سعد بن إبراهيم حدثني أبي أن أباه عبد الرحمن بن عوف كان مع عمر وإن محمد بن مسلمة كسر سيف الزبير ثم خطب أبو بكر واعتذر إلى الناس وقال: ما كنت حريصاً على الإمارة=

= يوماً ولا ليلة ، ولا سألتها في سر ولا علانية فقبل المهاجرون مقالته ، وقال علي والزبير: ما غضبنا إلا لأنا أخرنا عن المشورة وإنا نرى أن أبا بكر أحق الناس بها إنه لصاحب الغار وإنا لنعرف شرفه وخيره ولقد أمره رسول الله ﷺ أن يصلي بالناس وهو حي . . . إسناده جيد ولله الحمد والمنة (البداية والنهاية ٥/١١٨ ـ ١١٩).

قلنا: وهذا كلام نفيس وقيّم يردّ فيه الحافظ ابن كثير على تخرّصات المبتدعة الذي يجهلون الأدلة الصحيحة في بيعة علي والزبير لأبي بكر الصديق رضي الله عنهم جميعاً؛ إلا أنا نعقب على عبارة صغيرة للحافظ ابن كثير رحمه الله إذ قال آنفاً: (ولم تكلم الصديق حتى ماتت).

فنقول: هذه العبارة فيها نظر وقد أبان الحافظ ابن كثير بنفسه وهن هذه العبارة في البداية والنهاية وفي الجزء نفسه؛ إذ قال رحمه الله: قال الحافظ أبو بكر البيهقي: أنبأنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب حدثنا محمد بن عبد الوهاب حدثنا عبدان بن عثمان العتكي بنيسابور أنبأنا أبو حمزة عن إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي قال: لما مرضت فاطمة أتاها أبو بكر الصديق فاستأذن عليها ، فقال علي: يا فاطمة هذا أبو بكر يستأذن عليك. فقالت: أتحب أن آذن له؟ قال: نعم. فأذنت له فدخل عليها يترضاها فقال: والله ما تركت الدار والمال والأهل والعشيرة إلاّ ابتغاء مرضاة الله ، ومرضاة رسوله ومرضاتكم أهل البيت. ثم ترضاها حتى رضيت.

وهذا إسناد جيد قوي. والظاهر أن عامراً الشعبي سمعه من عليّ أو ممن سمعه من علي ، وقد اعترف علماء أهل البيت بصحة ما حكم به أبو بكر في ذلك.

قال الحافظ البيهقي: أنبأنا محمد بن عبد الله الحافظ حدثنا أبو عبد الله الصفار ثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي ثنا نصر بن علي ثنا ابن داود عن فضيل بن مرزوق ، قال: قال زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب: أما لو كنت مكان أبي بكر لحكمت بما حكم به أبو بكر في فدك. (البداية والنهاية ٥/ ٢٥٣).

(مسك الختام فيما دار بين الصحابة في سقيفة بني ساعدة ورد
شبهات المستشرقين وأهل البدع حول ذلك):

لقد ذكرنا طرفاً من الروايات الصحيحة الواردة في سقيفة بني ساعدة وما دار فيها من حوار بين الصحابة لاختيار خليفة لرسول الله ﷺ وهو الإمام الأعظم الذي يدير شؤون الدولة الإسلامية (دولة الخلافة الراشدة) ، وسنذكر هنا بإذن الله ما فاتنا في تحقيق روايات الطبري في هذا الموضوع فنقول وبالله التوفيق:

إن الإمام الطبري حين كتب تأريخه هذا لم يصحح الروايات التي أخرجها ولم يضعفها (إلا نادراً) ، وإنّما جمع ما يسّر الله له أن يجمع سواء من طرق واهية ضعيفة أو من طرق صحيحة ، وكان رحمه الله مطمئناً إلى وجود حشد هائل من أئمة الجرح والتعديل وجهابذة الحديث ممن=

= ينخلون الروايات نخلاً ليميزوا الصحيح منها عن الضعيف حسب القواعد الحديثية التي كانت قد وضحت وبانت للعلماء ـ وهو الذي يقول في مقدمة تأريخه: (فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما ينكره قارئه أو يستشنعه سامعه من أجل أنه لم يعرف له وجهاً في الصحة ولا معنى في الحقيقة فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا، وإنما أتي من قبل بعض ناقليه إلينا، وأنّا إنما أدينا ذلك على نحو ما أدي إلينا). تأريخ الطبري (١/٨) أي: أن الطبري رحمه الله قد برّأ عهدته من الروايات الضعيفة والموضوعة ولم يعط مبرراً للذين يتشدقون بأنهم يستقون التأريخ مما ورد في أمهات الكتب ككتاب الطبري هذا، فالرواة التالفون الهالكون مكشوفون لأئمة الجرح والتعديل وما لفّقوه من أكاذيب في الطعن في الصحابة والنيل منهم قد بان زيغه وبطلانه، وجزىٰ الله عنّا أئمة الحديث خير الجزاء.

وأما بالنسبة لروايات حديث سقيفة بني ساعدة فالصحيحة منها مشهورة وكثيرة، ولنا فيها مندوحة عن غيرها من الروايات السقيمة ومنها:

١ - ما أخرجه البخاري في مواضع من صحيحه (كتاب الأحكام ٧/٢٦) وكتاب فضائل الصحابة (٤/ ١٩٣) و(٨/ ٢٦).

٢ - وأخرجه الإمام أحمد في المسند (١/ ١٣٣) و(١/ ١٩٣) طبعة شاكر. و(٣٣/ ٦٠) الفتح الرباني. وأخرجه النسائي في (فضائل الصحابة/ ٥) وصحح البوصيري إسناده (مصباح الزجاجة ١/ ١٤٦).

٣ - وأخرجه الطبري كما مرّ بنا عن ابن عباس (٣/ ٢٠٣) كسياق البخاري في صحيحه.

وتفيدنا هذه الروايات الصحيحة ما يلي:

١) - حرص الصحابة على نصب الإمام الأعظم للمسلمين، وذلك واضح من خلال انشغالهم بتعيين الخليفة وتأخيرهم دفن حبيبهم وقرة عينهم ﷺ من أجل ذلك الأمر العظيم.

٢) - حرص الصحابة الشديد على تولية الأولى الأجدر والأفضل بالخلافة، وذلك واضح من قول سيدنا عمر رضي الله عنه: (وليس منكم من تُقطع إليه الأعناق مثل أبي بكر).

٣) - تولية الإمام الأعظم (الخليفة) كان بمشورة الصحابة أجمعين ولم يكن تولية إجبار وإكراه؛ فإن المهاجرين والأنصار دخلوا في حوار ونقاش حتى شرح الله صدورهم لكلام أبي بكر واقتنعوا به فبايعوه جميعاً ومنهم الزبير وعلي رضي الله عنهم أجمعين، وذلك واضح من قوله رضي الله عنه: (فمن بايع رجلاً من غير مشورة من المسلمين فإنه لا بيعة له). وقوله: (فلا يغترن امرؤ أن يقول: إنما كانت بيعة أبي بكر فلتة).

٤) - لم يكن نقاش الصحابة في بداية الأمر وتغاير آرائهم حرصاً منهم على المناصب والرئاسة وإنما حرصاً منهم على تولية الأفضل والأحسن، ولذلك تراهم سرعان ما انصاعوا لبيعة أبي بكر رضي الله عنه وذلك دليل على أدبهم الجم وتربيتهم الرفيعة التي تلقوها على مائدة القرآن وتحت إشراف خير خلق الله ﷺ، ولذلك قال الإمام الجويني رحمه الله: كان =

= المسلمون لا يقدمون للإمامة أحداً تشهِّياً فيها. وقال أيضاً: وإنما قدموه لاعتقادهم كونه أفضل وأصلح للإمامة من غيره (لمع الأدلة في قواعد أهل السنة والجماعة/ ١١٦).

أما الروايات المكذوبة والملفقة فقد بانت نكارتها في المتن وشدة ضعفها في السند ويكفي أنها من طريق التالف الهالك أبي مخنف الذي قال فيه ابن معين: ليس بشيء (تأريخ ابن معين ٢/ ٥٠٠) وقال ابن عدي: وهذا الذي قاله ابن معين يوافقه عليه الأئمة (الكامل ٦/ ٢١١٠) وقال ابن حبان: (رافضي يشتم الصحابة ويروي الموضوعات عن الثقات). (لسان الميزان ٤/ ٣٦٦).

وقال أبو حاتم: أبو مخنف متروك الحديث (الجرح والتعديل ٧/ ١٨٢) وقال الذهبي: لوط بن يحيىٰ (أبي مخنف) متروك. (الضعفاء والمتروكين/ ٢٥٩) وقال أيضاً: إخباري تالف لا يوثق به (ميزان الاعتدال ٣/ ٢٩٩٢).

وأبو مخنف هذا نسي نفسه في غمرة تلفيقاته وكذبه على صحابة رسول الله ﷺ فأخذ يخالف حتى في ذكر أسماء من شهدوا جزءاً من وقائع السقيفة؛ فقد حشر اسم عاصم بن عدي مكان معن بن عدي. والروايات الصحيحة جميعاً ذكرت معناً ولم تذكر عاصماً هذا. ولقد بان حقده على صحابة رسول الله حين ذكر ألفاظاً شنيعة زوراً وبهتاناً لا نجد لها أثراً في الروايات الصحيحة، وذكر كلاماً بذيئاً في مخاصمة الحباب وعمر الكلامية لم ترد إلّا في رواياته التالفة المكذوبة، بل إن الروايات الصحيحة السند تؤكد غير ذلك، ومنها: أن رواية أبي مخنف ذكرت أن سعد بن عبادة رفض البيعة وترك الصلاة خلف أبي بكر! وكل ذلك مخالف لما في الروايات الصحيحة، وواضح من خلال الروايات الصحيحة أن سعداً اقتنع قناعة تامة ببيعة أبي بكر خليفة لرسول الله فبايعه وكذلك علي والزبير رضي الله عنهم أجمعين، ووصم رسولهﷺ مبغضيهم بالنفاق والعياذ بالله.

٥) ـ الروايات الصحيحة تؤكد إجماع الصحابة بعد انتهاء الحوار في سقيفة بني ساعدة على بيعة أبي بكر رضي الله عنهم ومنهم الإمام علي رضي الله عنه وأرضاه؛ فقد سبق أن ذكرنا كلام الحافظ ابن كثير في ذلك واستشهاده بما أخرجه البيهقي، ونذكر هنا أيضاً ما قاله الحافظ ابن حجر في هذه المسألة إذ قال رحمه الله:

(وقد صحح ابن حبان وغيره من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن علياً بايع أبا بكر في أول الأمر... وكذلك أشار ابن حجر إلى أن البيهقي قد ضعف رواية الزهري، وفيه: أن رجلاً قال له: لم يبايع علي أبا بكر حتى ماتت فاطمة.. إلخ وذلك لأن الزهري لم يسنده).

وأما الرواية الموصولة عن أبي سعيد فأصح (إرشاد الساري ٦/ ٣٧٧).

(الرد على شُبَه المستشرقين وتلاميذهم المتغربين

حول مسألة سقيفة بني ساعدة واجتماع المسلمين وحوارهم هناك)

إن اجتماع المسلمين وحوارهم في سقيفة بني ساعدة، ثم اتفاقهم بالإجماع على أحقية=

= أبي بكر بالخلافة مفخرة من مفاخر التأريخ الإسلامي ، إلاَّ أن الذين ينظرون من خلال نظارة سوداء إلى تأريخنا الإسلامي يرون المفخرة شبهة وتهمة. وإليك ما قاله المستشرق المعروف (بروكلمان) إذ يقول: (ما كاد الرسول يلحق بالرفيق الأعلى حتى أحدقت الأخطار بالرسالة التي وقف عليها حياته ، أعني: توحيد بلاد العرب دينياً وسياسياً. ففي المدينة نفسها أحدث النبأ الذي لم يتوقعه أحد اضطراباً هائلاً شغل الناس عن كل شيء حتى عن جثمان الرسول نفسه ، فلم يدفن إلا في اليوم التالي في بيت عائشة. والحق أن جميع الأحقاد السياسية التي كان النبي قد كبتها بنفوذه الأدبي لم تلبث أن ذرّت قرنها ، فمن ناحية كان عدد المنافقين لا يزال في المدينة كبيراً جداً ، ومن ناحية ثانية كان الأنصار العريقون في المدينة يتوقون إلى التحرر من سلطان الأغلبية المتمثلة في المهاجرين ليصبحوا سادة موطنهم الوحيدين كرة أخرى ، ثم إن علياً ابن عم النبي وزوج ابنته ادّعى لنفسه الحق في خلافته كرئيس للدولة ، بوصفه أقرب الناس رحماً إليه). (تأريخ الشعوب الإسلامية/ ٨٣).

ولقد تأثر بهذه الافتراءات كثير من أساتذة الجامعات والكتاب والمؤرخون في بلادنا فها هو إبراهيم بيضوني يقول:

(كان مؤتمر السقيفة التي دعا إليها مسلمو المدينة (الأنصار) المبادرة الأولى التي وضعت خلافة الرسول موضع التداول. فمن هناك تجاهرت الأصوات بما كان مكبوتاً وتناقلت الألسن ما كان همساً حتى ذلك الحين ، ولم يكن تكتل الأنصار المبادر إلى طرح مشكلة الحكم قادراً على أن يكون سيد الموقف وأن يمارس لعبة الذكاء المطلوبة فقد كان تجمعاً يفتقد الانسجام وإلى الزعامة ، وكلتاهما من ركائز الطموح إلى السلطة ومن شروطه المبدئية ، كذلك لم يكن سعد بن عبادة الخزرجي المسنّ والمريض في حجم المنصب الكبير) (ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري/ ١٣).

قلنا: (المحققان): سبحان الله العظيم كم هي عظيمة هذه الافتراءات وكم هي بعيدة عن الواقع التأريخي والروايات الصحيحة والمستوى التربوي الذي كان عليه صحابة رسول الله ﷺ !! ولقد تبين لنا جلياً من خلال تحقيقنا لروايات الطبري: أن المسألة لم تكن إثارة لأحقاد دفينة ، ولا لنزاعات قبلية ، ولا لأصوات مكبوتة ، وإنما كان حواراً ونقاشاً بين الصحابة لاختيار الأصلح والأفضل ، وإذا كان الأمر كما يدَّعون فكيف انتهت المسألة بجلسة واحدة وبكلام يسير قال في نهايتها سعد بن عبادة لأبي بكر: صدقت. وقام الناس فبايعوا أبا بكر ، وكذلك بيّنا أن الروايات التأريخية الصحيحة تؤكد: أن علياً بايع أبا بكر وأقرّ بالأفضلية والأولوية.

ثم إن تأخر الصحابة عن دفن رسول الله ﷺ وتأخر ذلك إلى اليوم التالي وانشغالهم باختيار الخليفة دليل على إجماع الصحابة على وجوب نصب خليفة للمسلمين يسوس أمورهم العامة=

(بقيّة الخبر عن أمر الكذّاب العنسيّ)

٥/ أ ـ كان رسولُ الله ﷺ جَمَع ـ فيما بلغنا ـ لباذام حين أسلم وأسلمت اليمن عمل اليمن كلَّها ، وأمَّرَه على جميع مخالفيها ، فلم يزل عامل رسول الله ﷺ أيام حياته ، فلم يعزِله عنها ولا عن شيء منها ، ولا أشرك معه فيها شريكاً حتى مات باذام ، فلمّا مات فرّق عملها بين جماعة من أصحابه(١) . (٣/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨) .

= والخاصة ، وفي ذلك دليل على أصالة السياسة الشرعية وأصولها في أفهام الصحابة، لإحداثها وابتداعها كما يدعي المستشرقون وغيرهم .

ومن رجع إلى الروايات الصحيحة التي ذكرنا في قسم الصحيح يتبيّن له زيف هذه الافتراءات ، والحمد لله أولاً وآخراً.

(١) قلنا : ذكر أئمة المغازي والسير قصة الأسود العنسي عند حديثهم عن السيرة النبوية المشرفة . وأما الطبري فقد أشار إلى الأسود العنسي إشارة عرضية خلال حديثه عن السيرة النبوية ، ولهذا قال هنا بعد انتهائه من روايات سقيفة بني ساعدة وبيعة الصحابة لسيدنا أبي بكر رضي الله عنه قال : بقية الخبر عن أمر الكذاب العنسي ، وسنحاول إن شاء الله جمع هذه الروايات والحديث عنها متسلسلة حتى يتكون للقارىء الكريم فكرة متكاملة عن قصة الأسود العنسي في تأريخ الطبري فنقول وبالله التوفيق :

قال الطبري رحمه الله تعالى (٣/ ١٤٦) : وقد قيل : إن دعوى مسيلمة الكذاب ومن ادَّعى النبوة من الكذابين في عهد النبي ﷺ إنما كانت بعد انصراف النبي من حجّه المسمى حجة الوداع ، ومرضته التي مرضها التي كانت منها وفاته ﷺ .

ثم أخرج الطبري بسنده فقال : (٣/ ١٤٧) حدثنا عبيد الله بن سعيد الزهري قال : حدثني عمّي يعقوب بن إبراهيم : حدثني سيف بن عمر وكتب بذلك إليّ السريّ يقول : حدثنا شعيب بن إبراهيم التميمي عن سيف بن عمر التميمي الأسيدي ، قال : حدثنا عبد الله بن سعيد بن ثابت بن الجذع الأنصاري عن عبيد الله مولى رسول الله ﷺ عن أبي مويهبة مولى رسول الله ﷺ قال : لما انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة بعدما قضى حجة التمام فتحلل به السير ، وطارت به الأخبار لتحلل السير بالنبي ﷺ أنه قد اشتكى ، فوثب الأسود باليمن ومسيلمة باليمامة ، وجاء الخبر عنهما للنبي ﷺ ثم وثب طليحة في بلاد بني أسد بعدما أفاق النبي ﷺ ثم اشتكى في المحرم وجعه الذي توفاه الله فيه .

ثم أخرج الطبري بسندين ضعيفين : الأول (٣/ ١٤٧) تحت عنوان (كتاب مسيلمة إلى رسول الله ﷺ والجواب عنه) وفيه : فوثب الأسود باليمن ، ومسيلمة باليمامة . =

وفي الرواية الثانية (٣/ ١٤٧) تحت عنوان (خروج الأمراء والعمال على الصدقات) وفيه: فبعث أمراءه وعماله على الصدقات على كل ما أوطأ الإسلام من البلدان ، فبعث المهاجر بن أبي أمية بن المغيرة إلى صنعاء ، فخرج عليه العنسي وهو بها. . . الحديث.
ثم قال الطبري بعد ثمانين صفحة ـ أي بعد انتهائه من ذكر الروايات في وفاة الرسول ﷺ وبيعة الصحابة لأبي بكر رضي الله عنه بالخلافة ـ قال (٣/ ٢٢٧):
بقية الخبر عن أمر الكذاب العنسي. ثم قال الطبري: كان رسول الله ﷺ جمع فيما بلغنا لباذام حين أسلم وأسلمت اليمن عمل اليمن كلّها ، وأمّره على جميع مخالفيها ، فلم يزل عامل رسول الله ﷺ أيام حياته ، فلم يعزله عنها ولا عن شيء منها ، ولا أشرك معه فيها شريكاً حتى مات باذام. فلما مات فرّق عملها بين جماعة من أصحابه. ا هـ.
ثم سرد الطبري روايات مفصلة عن الأسود العنسي وارتداده وقتاله عمال رسول الله ﷺ على أجزاء اليمن يوم ذاك ، وكيف دانت له معظم اليمن في حينه وكيف استطاع رسول الله ﷺ وبالتعاون مع معاذ بن جبل وثلاثة من أمراء اليمن أن يقتلوا العنسي ويفرّقوا جنده ، وأن خبر انتصار المسلمين في اليمن قد وصل إلى المدينة في عهد سيدنا أبي بكر بعد وفاة رسول الله ﷺ وذلك في أواخر شهر ربيع الأول.
ومدار هذه الروايات على سيف بن عمر التميمي ، ومعلوم أن أئمة الجرح والتعديل اتفقوا على ضعفه في الحديث أو في التأريخ فقد قال عنه ابن حجر: ضعيف في الحديث عمدة في التأريخ (التقريب ١/ ٣٤٤) وقال الذهبي: كان أخبارياً عارفاً (الميزان ٢/ ٢٥٥) واعتمد ابن كثير على سيف بن عمر في البداية والنهاية في حروب الردة ومواضع أخرى من تأريخ الخلفاء ، وكذلك فعل الذهبي في تأريخ الإسلام: (عهد الخلفاء الراشدين) ومع ذلك (أي كونه عارفاً بالتأريخ عند الذهبي عمدة فيه عند ابن حجر) فإننا قد انتقينا من رواياته التأريخية ما كان له أصل يقويه في الصحاح أو المسانيد والسنن.
ثم في تأريخ خليفة بن خياط أو فتوح البلدان للبلاذري أو طبقات ابن سعد من المتقدمين وإن كان (الذهبي أو ابن كثير) أيّ منهما أو كلاهما قد رجّحا شيئاً في ذلك أخذنا ذلك بعين الاعتبار. (هذا بالنسبة لأسانيد الروايات التأريخية) ثم عمدنا إلى متون هذه الأسانيد المختارة فأشرنا إلى ما في بعضها من عبارات منكرة؛ حتى لا ندع مجالاً للمستشرقين وأهل البدع من الفرق الضالة أن يشوهوا تأريخ الإسلام ويطعنوا في عدالة الصحابة التي تحدثت عن فتح الأُبُلَّة على يد خالد بن الوليد ومن معه من القادة في عهد الصديق رضي الله عنه ، وهي تخالف الروايات الصحيحة التي ذكرت فتح الأبلة في عهد سيدنا عمر رضي الله عنه على يد غزوان بن عتبة ، سواء كانت هذه الروايات الصحيحة عند الطبري أو غيره كما سيأتي بحث ذلك في أحداث السنة الثانية عشرة والرابعة عشرة.
ولقد توخينا الدقة والأمانة ما استطعنا ولا نزعم أننا قد أصبنا في جميع ما ذهبنا إليه فليس=

= ذلك إلاَّ للمعصوم عليه الصلاة والسلام ، وما من إمام مهما كان حافظاً إلا وذهبت عليه سنة كما قال أئمة السلف ، فمن رأى في منهجنا خطأً وفي تحقيقنا فجوة وفي تصحيحنا للروايات التأريخية أو تضعيفها خطأً فليرشدنا إلى ذلك مشكوراً ، وإذا وجدنا معه الدليل أخذنا به فالحقيقة ضالتنا إن شاء الله ولا نبرئ أنفسنا ، وإن كنا قد أصبنا الحقيقة في اختيارنا للروايات الصحيحة فمن الله التوفيق وإن أخطأنا فمن أنفسنا ونستغفر الله.

ونزيد القارىء الكريم علماً بأننا لم نقبل ما رواه سيف فيما يتعلق بالعقيدة ، أو الحلال والحرام فإنه ضعيف في الحديث ، وكذلك تتبعنا ما قاله في الفتنة ، أو الطعن في عدالة الصحابة ، فلم نقبله البتة. وخلاصة القول في تعاملنا مع روايات سيف بن عمر التأريخية هو أنَّا:

١ - بحثنا عن أصل يؤيده من مصادر السنة والسير والمغازي فذكرناه.

٢ - إن كان في أثناء الرواية التأريخية قول مرفوع إلى رسول الله ﷺ اعتبرناه ضعيفاً لأن سيفاً ضعيف في الحديث إلا إذا كان له متابع أو شاهد وإلاَّ وضعناه في القسم الضعيف ومثال ذلك: ما رواه الطبري (٣/ ٢٣٦/ ٣٠) من طريق سيف عن ابن عمر مرفوعاً (قتل العنسي البارحة قتله رجل مبارك من أهل بيت مباركين. قيل: من هو؟ قال: فيروز. فاز فيروز) فلم نجد من يتابع سيفاً على هذه الرواية فوضعناها في الضعيف وإن كان عليه الصلاة والسلام قد رأى في المنام ما أوَّله بزوال الكذابين.

٣ - وإن كان في الرواية التأريخية من الأفعال ما يخالف عدالة الصحابة ومن الأقوال ما لا يليق أن ينسب إليهم؛ وضعناه في الضعيف كما في رواية الطبري (٣/ ٢٢٣/ ١٧) منسوباً إلى أبي بكر رضي الله عنه: أنه قال: (ألا وإن لي شيطاناً يعتريني فإذا أتاني فاجتنبوني).

٤ ـ وإذا كانت رواية سيف التأريخية مخالفة للروايات الصحيحة؛ فهذا يعني أنها ضعيفة سنداً ومتناً فمكانها في القسم الضعيف من التأريخ ، كما هو الحال في روايات سيف.

ولقد تحدث الدكتور محمد أمحزون (في كتابه القيم الذي قدم له الأستاذ فاروق حمادة وأشرف عليه). عن مرويات سيف بن عمر التميمي في تأريخ الطبري وذكر طرق الطبري إليه ، وبيّن آراء العلماء في تضعيفه في الحديث وقول ابن حجر ، والذهبي في رواياته التأريخية.

وخلاصة دفاعه عن سيف في مجال الروايات التأريخية: أن له فضلاً في فضح عبد الله بن سبأ وغيره من الزنادقة ، وأن روايات سيف مرشحة أكثر من غيرها لموافقة ما رواه الثقات في هذا المجال علاوة على أنها صادرة عمن شاهد تلك الوقائع والأحداث (راجع ما كتبه بالتفصيل في الصفحات ٢٢٩ ـ ٢٣٧).

ونضيف إلى ما كتبه الدكتور أمحزون بأنا لاحظنا أن سيف بن عمر التميمي يحاول ذكر التفاصيل الدقيقة في رواياته التأريخية عن حروب الردة والفتنة أيام سيدنا عثمان رضي الله

٦ ـ فحدَّثني عُبيد الله بن سعد الزّهريّ ، قال: حدَّثنا عمّي ، قال: حدَّثنا سيف ـ وحدَّثني السريّ بن يحيىٰ ، قال: حدَّثنا شُعيب بن إبراهيم عن سيف ـ قال: حدَّثنا سَهْل بن يوسف عن أبيه ، عن عبيد بن صَخْر بن لَوْذان الأنصاريّ السُّلميّ وكان فيمن بعث النبيّ ﷺ مع عمَّال اليمن في سنة عشر بعد ما حجَّ التَّمام: وقد مات باذام ، فلذلك فرَّق عملها بين شَهْر بن باذام ، وعامر بن شهر الهَمْدانيّ ، وعبد الله بن قيس أبي موسى الأشعريّ ، وخالد بن سعيد بن العاص ، والطَّاهر بن أبي هالة ، ويعلَى بن أميَّة ، وعمر بن حَزْم ، وعلى بلاد حَضْرمَوت زياد بن لَبِيد البَيَاضيّ ، وعُكَّاشة بن ثور بن أصغر الغَوْثيّ على السَّكاسك والسَّكون ومعاوية بن كندة ، وبعث مُعاذ بن جبل معلِّماً لأهل البلديْن: اليمن وحضرموت. (٣: ٢٢٨).

٧ ـ حدَّثني عبيدُ الله ، قال: أخبرني عمِّي ، قال: أخبرني سَيْف ـ يعني: ابن عمر ـ عن أبي عمرو مولى إبراهيم بن طلحة ، عن عبادة بن قُرْص بن عبادة ، عن قُرْص الليثيّ: أنَّ النبيَّ ﷺ رجع إلى المدينة بعد ما قضى حجّة الإسلام ، وقد وجَّه إمارة اليمن وفرَّقها بين رجال ، وأفرد كلَّ رجل بحَيِّزِه ، ووجَّه إمارة حضرموت وفرَّقها بين ثلاثة ، وأفرد كلَّ واحد منهم بحيِّزه ، واستعمل عمرو بن حزم على نجران ، وخالد بن سعيد بن العاص على ما بين نجران ورِمَع وزَبِيد ، وعامر بن شهر على هَمْدان ، وعلى صنعاء ابن باذام ، وعلى عَكّ والأشعريّين الطَّاهر بن أبي هالة ، وعلى مأرب أبا موسىٰ الأشعريّ ، وعلى الجنَد يعلَى بن أميّة. وكان معاذ معلِّماً يتنقّل في عمالة كلّ عامل باليمن وحضرموت؛ واستعمل على أعمال حضرموت؛ على السَّكاسك والسَّكون عُكّاشة بن ثور ، وعلى بني معاوية بن كندة عبد الله ـ أو المهاجر ـ فاشتكى فلم يذهب حتى وجَّهه أبو بكر. وعلى حضرموت زياد بن لبيد البياضيّ ، وكان زياد يقوم على عملِ المهاجر؛ فمات رسول الله ﷺ وهؤلاء عمّاله على اليمن وحضرموت؛ إلاَّ مَنْ قُتِل في قتالة الأسود أو مات؛ وهو باذام ، مات ففرَّق النبيّ ﷺ العمل من أجله. وشهر ابنُه

= عنه ، ويؤيده ما ورد عند أئمة المغازي والسير المتقدمين ولا يزيد عادة على تلك الأحداث ما ليس منها (نقول: عادة وليس دائماً). وسنتحدث عن قصة الأسود العنسي بعد سردنا لروايات الطبري.

ـ يعني: ابن باذام ـ فسار إليه الأسود فقاتله فقتله. (٣: ٢٢٨/ ٢٢٩).

٨ ـ وحدَّثني بهذا الحديث السريّ عن شعيب بن إبراهيم عن سَيْف. فقال فيه: عن سيف، عن أبي عمرو مولى إبراهيم بن طلحة. ثم سائر الحديث بإسناده مثل حديث ابن سعد الزُّهريّ. (٣: ٢٢٩).

٩ ـ قال: حدَّثني السريّ، قال: حدَّثنا شُعيب بن إبراهيم عن سيف، عن طلحة بن الأعلم، عن عِكرمة، عن ابن عباس، قال: أوّل من اعترض على العَنْسيّ وكاثَره عامرُ بن شَهْر الهَمْدانيّ في ناحيته، وفيروز، وداذَوَيْه في ناحيتهما، ثم تتابع الذين كتِب إليهم على ما أمروا به. (٣: ٢٢٩).

١٠ ـ حدَّثنا عُبيد الله بن سعد، قال: أخبرنا عمّي، قال: أخبرني سَيْف، قال. وحدَّثنا السرِيّ، قال: حدَّثنا شعيب، قال: حدثنا سيف عن سهل بن يوسف، عن أبيه، عن عبيد بن صخر، قال: فبينا نحن بالجَنَد قد أقمناهم على ما ينبغي، وكتبنا بيننا وبينهم الكتب؛ إذ جاءنا كتاب من الأسْود: أيها المتورِّدُون علينا، أمسكوا علينا ما أخذتم من أرضِنا، ووفِّروا ما جمعتم؛ فنحن أوْلى به وأنتم عَلَىٰ ما أنتم عليه. فقلنا للرسول: مِنْ أين جئت؟ قال: من كهف خُبَّان. ثم كان وجْهه إلى نَجْران؛ حتى أخذنا في عشرٍ لمخرجه، وطابقه عوامّ مذحج. فبينا نحن ننظر في أمرنا، ونجمع جَمعنا، إذ أتينا فقيل: هذا الأسود بشَعُوب، وقد خرج إليه شهر بن باذام؛ وذلك لعشرين ليلة من منجَمه. فبينا نحن ننتظر الخبر على من تكون الدَّبْرَة، إذ أتانا: أنه قتل شهراً، وهزم الأبناء، وغلب على صَنْعَاء لخمس وعشرين ليلة من منجَمه. وخرج معاذ هارباً، حتى مرَّ بأبي موسى وهو بمأرب، فاقتحما حضرموت؛ فأما معاذ فإنه نزل في السَّكون؛ وأما أبو موسى فإنه نزل في السَّكاسك مما يلي المفُّور والمفازة بينهم وبين مأرِب، وانحاز سائر أمراء اليَمن إلى الطّاهر إلاَّ عمراً وخالداً؛ فإنهما رجعا إلى المدينة؛ والطَّاهر يومئذ في وسَط بلاد عَكّ بِحيال صنعاء. وغلب الأسودُ على ما بين صَهِيد ـ مفازة حضرموت ـ إلى عمل الطائف إلى البحرين قِبَل عَدن، وطابقت عليه اليمن، وعكّ بتهامة معترضون عليه؛ وجعل يستطير استطارة الحريق، وكان معه سبعمئة فارس يوم لقيَ شهراً سوى الرّكبان؛ وكان قُوّاده قيس بن عبد يغوث المُرادي، ومعاوية بن قيس الجَنْبِيّ، ويزيد بن محرم، ويزيد بن حُصين الحارثيّ،

ويزيد بن الأفْكَل الأزديّ. وثبت ملكهُ واستغلظ أمرُه ، ودانَتْ له سواحل من السواحل؛ حاز عَثّر ، والشَّرْجَة ، والحَرْدة ، وغَلافقَة ، وعَدَن ، والجَنَد؛ ثم صَنْعاء إلى عَمَل الطائف ، إلى الأحسية ، وعُلَيْب؛ وعامله المسلمون بالبقية ، وعامله أهلُ الردَّة بالكفر ، والرجوع عن الإسلام. وكان خليفته في مذحِج عمرو بن معد يكرب ، وأسند أمره إلى نفر؛ فأما أمرُ جنده فإلى قيس بن عبد يغوث ، وأسند أمر الأبناء إلى فيروز وداذويْه.

فلمَّا أثخن في الأرض؛ استخفّ بقيس وبفيروز وداذويْه ، وتزوَّج امرأة شهر؛ وهي ابنة عمّ فيروز؛ فبينا نحن كذلك بحضرموت ولا نأمن أن يسير إلينا الأسود ، أو يبعث إلينا جيشاً ، أو يخرج بحضرموت خارجٌ يدّعي بمثل ما ادَّعى به الأسود ، فنحن على ظهر ، تزوَّج مُعاذ إلى بني بكرة ـ حي من السَّكون ـ امرأة أخوالها بنو زنكبيل يقال لها: رَمْلة ، فحَدبوا لصهره علينا ، وكان معاذ بها معجَباً ، فإن كان ليقول فيما يدعو الله به: اللهمَّ ابعثني يوم القيامة مع السَّكون ، ويقول أحياناً: اللهمَّ اغفر للسَّكون؛ إذ جاءتنا كتبُ النبيِّ ﷺ يأمرُنا فيها أن نبعثَ الرِّجال لمجاولته أو لمصاولته؛ ونُبلِغَ كلَّ من رجا عنده شيئاً من ذلك عن النبيِّ ﷺ . فقام معاذ في ذلك بالذي أمر به، فعرفنا القوّة ، ووثقنا بالنصر. (٣: ٢٢٩/ ٢٣٠/ ٢٣١) .

١١ ـ حدَّثنا السريّ ، قال: أخبرنا شُعيب ، قال: حدَّثنا سَيْف ، وحدَّثني عُبيد الله ، قال: أخبرَنا عمّي ، قال: أخبرنا سيف ، قال: أخبرنا المستنير بن يزيد عن عروة بن غزية الدَّثِينيّ ، عن الضَّحاك بن فيروز ـ قال السريّ: عن جُشَيْش بن الديلميّ ، وقال عبيد الله: عن جشنس بن الديلميّ ـ قال: قدِم علينا وَبَرُ بن يُحَنّس بكتاب النَّبيِّ ﷺ ، يأمرنا فيه بالقيام على ديننا ، والنهوض في الحرب ، والعمل في الأسود: إمَّا غيلة وإما مصادمة؛ وأن نبلغ عنه مَن رأينا أنّ عنده نجدة وديناً. فعملنا في ذلك ، فرأينا أمراً كثيفاً ، ورأيناه قد تغيَّر لقيس بن عبد يغوث ـ وكان على جنده ـ فقلنا: يُخاف على دمه؛ فهو لأوّل دعوة؛ فدعوناه ، وأنْبأناه الشَّأنَ ، وأبلغناه عن النبيِّ ﷺ ؛ فكأنما وقعنا عليه من السماء ، وكان في غمّ وضيق بأمره؛ فأجابنا إلى ما أحببنا من ذلك ، وجاءنا وبر بن يحنَّس ، وكاتبْنا الناسَ ودعوناهم؛ وأخبره الشيطان بشيء ، فأرسل إلى قيس ، وقال: يا قيس !

ما يقول هذا؟ قال: وما يقول؟ قال: يقول: عمدت إلى قيس فأكرمته؛ حتى إذا دخل منك كلّ مدخل، وصار في العزّ مثلك؛ مال ميل عدوّك؛ وحاول ملكَك وأضمر على الغدر! إنه يقول: يا أسود! يا أسود! يا سوءة! يا سوءة! اقطف قُنّتَه، وخذْ من قيس أعلاه؛ وإلاّ سلبك أو قطف قُنّتَك. فقال قيس وحلَف به: كذَبَ وذي الخِمار! لأنتَ أعظمُ في نفسي وأجَلُّ عندي من أنْ أحدِّث بك نفسي؛ فقال: ما أجفاك! أتكذّب المَلَك قد صدق الملَك؛ وعرفت الآن أنك تائبٌ مما اطّلع عليه منك.

ثم خرج فأتانا، فقال: يا جُشَيش! ويا فَيْروز! ويا داذويه! إنه قد قال وقلت؛ فما الرأيُ؟ فقلنا: نحن على حذَر؛ فإنا في ذلك؛ إذ أرسل إلينا، فقال: ألم أشرِّفْكُم على قومِكم، ألم يبلغني عنكم! فقلنا: أقِلْنا مرَّتَنا هذه، فقال: لا يبلغني عنكم فأقتلكم؛ فنجوْنا ولم نكدْ؛ وهو في ارتياب من أمرنا وأمر قيس؛ ونحن في ارتياب وعلى خطر عظيم؛ إذ جاءنا اعتراض عامر بن شَهْر، وذي زود، وذي مُرَّان، وذي الكَلاع، وذي ظُلَيْم عليه، وكاتبونا وبذلوا لنا النَّصر؛ وكاتبناهم وأمرناهم ألاّ يحركوا شيئاً حتى نُبْرم الأمْرَ ـ وإنما اهتاجوا لذلك حين جاء كتاب النبيّ ﷺ؛ وكتب النبيّ ﷺ إلى أهل نَجْران؛ إلى عَرَبهم وساكني الأرض من غير العرب؛ فثبتوا فتَنحَّوا وانضمّوا إلى مكان واحد ـ وبلغه ذلك، وأحسّ بالهلاك، وفرّق لنا الرّأيُ. فدخلتُ على آذاد؛ وهي امرأته، فقلت: يا بنة عمّ! قد عرفت بلاءَ هذا الرجل عند قومك؛ قَتَل زوجك، وطأطأ في قومك القتل، وسفل بمن بقي منهم؛ وفضح النساء؛ فهل عندك من ممالأة عليه! فقالت: على أيّ أمره؟ قلت: إخراجه، قالت: أو قتله؟، قلت: أو قتله، قالت: نعم والله ما خَلَق الله شخصاً أبغضَ إليَّ منه؛ ما يقوم لله على حقّ، ولا ينتهي له عن حُرْمة؛ فإذا عزمتم فأعلموني أخبركم بمَأتَىٰ هذا الأمر. فأخرج فإذا فيروز وداذويه ينتظراني، وجاء قيس ونحن نريد أن نناهِضه، فقال له رجل قبل أن يجلس إلينا: المَلِك يدعوك. فدخل في عشرة من مَذْحِج وهَمْدان. فلم يقدر على قتله معهم ـ قال السرِّيّ في حديثه: فقال: يا عيهلة بن كعب بن غوث! ـ وقال عبيد الله في حديثه: يا عبهلة بن كعب بن غوث! أمنِّي تحصَّن بالرجال! ألم أ خبركَ الحقَّ، وتخبرني الكذابة! إنه يقول: يا سوءة! يا سوءة! إلا تقطع من قيس

يده؛ يقطع قنّتك العليا؛ حتى ظنّ: أنه قاتله؛ فقال: إنه ليس من الحق أن أقتلك وأنت رسول الله ، فمرْ بي بما أحببت؛ فأما الخوف والفزع فأنا فيهما مخافة [أن تقتلني] ـ قال الزهري: فإما قتلتني فموتة ، وقال السّري: اقتلني فموتةٌ أهوَن عليّ من موتات أموتُها كلّ يوم ـ فرقّ له فأخرجه ، فخرج علينا فأخبرنا وواطأنا ، وقال: اعْملُوا عَملَكم؛ وخرج علينا في جمع ، فقمنا مُثُولاً له ، وبالباب مئة ما بين بقرة وبعير ، فقام وخطّ خَطّاً فأقيمت من ورائه ، وقام من دونها ، فنحرها غير محبَّسة ولا معقَّلة ، ما يقتحم الخطّ منها شيء ، ثم خلاَّها فجالتْ إلى أن زَهَقت؛ فما رأيت أمراً كان أفظع منه ، ولا يوماً أوحش منه. ثم قال: أحقٌّ ما بلغني عنك يا فيروز؟ وَبَوَّأ له الحربة ـ لقد هممتُ أن أنْحَرَك فأتْبِعَك هذه البهيمة ، فقال: اخترتَنا لِصهْرِك ، وفضّلتنا على الأبناء؛ فلو لم تكن نبيّاً ما بعْنَا نَصيبَنا منك بشيء؛ فكيف وقد اجتمع لنا بك أمرُ آخرة ودنيا؛ لا تقبلنَّ علينا أمثال ما يبلغك؛ فإنَّا بحيث تحبّ. فقال: اقسِمْ هذه؛ فأنت أعلم بمَنْ ها هنا ، فاجتمع إليّ أهلُ صنعاء ، وجعلت آمر للرهط بالجَزور ولأهل البيت بالبقرة ، ولأهل الحِلَّة بعدّة ، حتى أخذ أهل كلّ ناحية بقسطهم. فلحق به قبل أن يصل إلى داره ـ وهو واقف عليّ ـ رجلٌ يسعى إليه بفيروز؛ فاستمع له ، واستمع له فيروز وهو يقول: أنا قاتله غداً وأصحابه؛ فاغدُ عليّ ، ثم التفت فإذا به ، فقال: مَه! فأخبره بالذي صنع ، فقال: أحسنت ، ثم ضرب دابّته داخلاً ، فرجع إلينا فأخبرنا الخبر ، فأرسلنا إلى قيس؛ فجاءنا؛ فأجمع مَلؤهم أن أعود إلى المرأة فأخبرها بعزيمتنا لتخبرَنا بما تأمر؛ فأتيتُ المرأة وقلت: ما عندك؟ فقالت: هو متحرِّز متحرِّس؛ وليس من القَصْر شيء إلاّ والحَرَسُ محيطون به غير هذا البيت؛ فإنّ ظهرَه إلى مكان كذا وكذا من الطريق؛ فإذا أمسيتُم فانقُبوا عليه؛ فإنّكم من دون الحرَس؛ وليس دون قتله شيء. وقالت: إنّكم ستجدون فيه سِراجاً وسلاحاً. فخرجتُ فتلقَّاني الأسود خارجاً من بعض منازله ، فقال لي: ما أدخلك عليّ؟ ووجَأ رأسي حتى سقطتُ ـ وكان شديداً ـ وصاحت المرأة فأدهشتْه عنّي؛ ولولا ذلك لقتلني. وقالت: ابن عمّي جاءني زائراً ، فقصّرْتَ بي! فقال: اسكتي لا أبالك ، فقد وهبته لك! فتزايلَتْ عنّي ، فأتيت أصحابي فقلت: النَّجاء! الهَرب! وأخبرتُهم الخبر؛ فإنا على ذلك حَيَارَى إذ جاءني رسولُها: لا تَدَعَنَّ ما فارقْتك عليه؛ فإني لم أزَلْ به حتى اطمأنَّ؛ فقلنا لفيروز: ائتِها فتثبّت منها؛

فأما أنا فلا سبيلَ لي إلى الدخول بعد النَّهي. ففعل، وإذا هو كان أفطنَ مني؛ فلما أخبرته قالت: وكيف ينبغي لنا أن ننقب على بيوت مبطّنة! ينبغي لنا أن نقلع بِطانَةَ البيت؛ فدخلا فاقتلعا البطانة، ثم أغلقاه؛ وجلس عندها كالزائر؛ فدخلَ عليها [الأسود] فاستخفَّتْه غَيْرة، وأخبرته برضاع وقرابة منها عنده محرم، فصاح به وأخرجه. وجاءنا بالخبر؛ فلمَّا أمسينا عملنا في أمرنا؛ وقد واطَأنا أشيَاعُنا، وعجِلْنا عن مراسلة الهمْدانيّين والحميَريِّين؛ فنقبنا البيتَ من خارج، ثم دخلنا وفيه سراج تحت جَفْنة؛ واتَّقينا بفَيْروز؛ وكان أنجدَنا وأشدَّنا ـ فقلنا: انظر ماذا ترى! فخرج ونحن بينه وبين الحرس معه في مقصورة؛ فلمَّا دنا من باب البيت سمع غطيطاً شديداً، وإذا المرأة جالسة؛ فلمّا قام على الباب أجلسه الشَّيْطان فكلّمه على لسانه ـ وإنه ليغُطّ جالساً. وقال أيضاً: مالي ولك يا فيروز! فخشيَ إن رجع أن يهلك وتهلك المرأة، فعاجله فخالطه وهو مثل الجمَل؛ فأخذ برأسه فقتله، فدقّ عنقه، ووضع ركبته في ظهره فدقه، ثم قام ليخرج؛ فأخَذت المرأة بثوبه وهي تَرى أنه لم يقتله، فقالت: أين تَدَعُني! قال: أخبرُ أصحابي بمقتله؛ فأتانا فقمنا معه؛ فأردنا حزّ رأسه؛ فحرّكه الشيطان فاضطرب فلم يضبطه؛ فقلت: اجلسوا عَلَىٰ صدره؛ فجلس اثنان على صدره، وأخذت المرأة بشعره، وسمعنا بربرة فألجمتهُ بمِئلاة؛ وأمرَّ الشَّفْرة على حَلقه فخار كأشدّ خُوار ثور سمعته قطّ؛ فابتدر الحرس الباب وهم حول المقصورة، فقالوا: ما هذا، ما هذا! فقالت المرأة: النبيّ يوحَى إليه! فخمد. ثم سمرنا ليلَتنا ونحن نأتمر كيف نخبرُ أشياعَنا، ليس غيرنا ثلاثتنا: فيروز وداذويه وقيس؛ فاجتمعنا على النداء بشعارنا الذي بيننا وبين أشياعنا، ثم يُنادى بالأذان، فلما طلَع الفجر نادى داذويه بالشعار، ففزع المسلمون والكافرون، وتجمّع الحرس فأحاطوا بنا، ثم ناديت بالأذان، وتوافت خيولُهم إلى الحَرس، فناديتهم: أشهدُ أنّ محمداً رسول الله؛ وأن عَبْهلة كذّاب! وألقينا إليهم رأسَه، فأقام وَبَر الصلاة، وشَنّها القوم غارةً؛ ونادينا: يا أهل صَنْعاء، مَن دخل عليه داخل فتعلّقوا به، ومَن كان عنده منهم أحد فتعلقوا به. ونادينا بمَن في الطريق: تعلَّقوا بمَن استطعتم! فاختطفوا صبياناً كثيرين؛ وانتهبوا ما انتهبوا، ثم مضوا خارجين؛ فلمَّا برزوا فقدوا منهم سبعين فارساً ركباناً؛ وإذا أهلُ الدُّور والطُرق وقد وافونا بهم؛ وفقدنا سبعمئة عَيِّل فراسلونا وراسلناهم أن يتركُوا لنا ما في أيديهم، ونترك لهم ما في أيدينا؛ ففعلوا

فخَرجوا لم يظفرُوا منّا بشيء؛ فتردَّدوا فيما بين صنعـاء ونَجْران ، وخلصت صنعاء والجَنَد ، وأعزّ الله الإسلام وأهله؛ وتنافسْنا الإمارة؛ وتراجع أصحابُ النبيّ ﷺ إلى أعمالهم؛ فاصطلحنا على معاذ بن جبل ، فكان يصلِّي بنا ، وكتبنا إلى رسول الله ﷺ بالخبر؛ وذلك في حياة النبيّ ﷺ . فأتاه الخبر مِنْ ليلته ، وقدمَتْ رُسُلُنا؛ وقد مات النبيُّ ﷺ صبيحةَ تلك الليلة؛ فأجابنا أبو بكر رحمه الله . (٣: ٢٣١/ ٢٣٢/ ٢٣٣/ ٢٣٤/ ٢٣٥/ ٢٣٦) .

١٢ ـ حدثني المريّ ، قال: حدَّثنا شُعيب ، قال: حدَّثنا سيف عن أبي القاسم وأبي محمد ، عن أبي زُرعة يحيى بن أبي عمرو السَّيبانيّ ، من جُنْد فلسطين؛ عن عبد الله بن فيروز الدَّيلميّ: أنّ أباه حدَّثه: أنَّ النبيَّ ﷺ بعث إليهم رسولاً ، يقال له: وَبَر بن يُحنّس الأزديّ؛ وكان منزله على داذَويه الفارسيّ ، وكان الأسود كاهناً معه شيطان وتابع له ، فخرج فنزل على ملك اليمن؛ فقتل ملكها ونكح امرأته ومَلك اليمن؛ وكان باذام هلك قبل ذلك ، فخلف ابنه على امرأته ، فقتله وتزوّجها ، فاجتمعتُ أنا وداذويه وقيس بن المكشوح المراديّ عند وَبَر بن يُحَنَّس رسول نبي الله ﷺ نأتمر بقتل الأسود. ثم إنَّ الأسود أمر الناس فاجتمعوا في رَحَبَة من صنعاء ، ثمّ خرج حتى قام في وسطهم ، ومعه حربة الملك ، ثم دعا بفرَس الملك فأوْجرَه الحربة ، ثم أرسل فجعل يجرِي في المدينة ودماؤه تسيل حتى مات. وقام وسط الرَّحبة؛ ثمّ دعا بجُزُر من وراء الخطّ فأقامها ، وأعناقُها ورؤوسها في الخطّ ما يَجُزْنَه. ثمَّ استقبلهنَّ بحربَته فنحرهنّ فتصدّعْن عنه؛ حتى فرغ منهنّ ، ثم أمسك حربتَه في يده ، ثم أكبّ على الأرض ، ثم رفع رأسه ، فقال: إنه يقول ـ يعني: شيطانه الذي معه: إنَّ ابنَ المَكْشُوح من الطغاة ، يا أسود اقطع قُنَّةَ رأسه العليا. ثم أكبّ رأسه أيضاً ينظر ، ثمّ رفع رأسه ، فقال: إنه يقول: إنّ ابن الديلميّ من الطغاة؛ يا أسود اقطع يده اليمنى ، ورجله اليمنى. فلمّا سمعتُ قولَه قلت: والله ما آمن أن يدعوَ بي ، فينحرني بحربته كما نحر هذه الجُزُر؛ فجعلت أستتر بالناس لئلا يرانِي ، حتى خرجت ولا أدري من حذري كيف آخذ! فلما دنوتُ من منزلي لقيني رجلٌ من قومه ، فدقّ في رقبتي ، فقال: انَّ الملك يدعوك وأنت تَـرُوغ! ارجع؛ فردَّني ، فلمّا رأيتُ ذلك خشيت أن يقتلَني. قال: وكنّا لا يكاد يفارق رجلاً منا أبداً خنجره ، فأدُسّ يدي في خفّي ،

فأخذت خِنجَري ، ثم أقبلت وأنا أريد أن أحمل عليه ، فأطعنه به حتى أقتله ، ثم أقتل من معه ، فلمّا دنوت منه رأى في وجهي الشَّرَّ ، فقال: مكانك! فوقفت ، فقال: إنّك أكبرُ مَن ها هنا ، وأعلمُهم بأشراف أهلها ، فاقسمْ هذه الجُزُرَ بينهم. وركب فانطلق وَعلِقتُ أقسم اللَّحم بين أهل صنعاء ، فأتاني ذلك الذي دقّ في رقبتي ، فقال: أعطِني منها ، فقلت: لا والله ولا بَضعة واحدة؛ أَلَسْتَ الذي دققتَ في رقبتي! فانطلق غضبانَ حتى أتى الأسْوَد؛ فأخبره بما لقِي منّي وقلت له. فلمَّا فرغتُ أتيتُ الأسودَ أمشي إليه ، فسمعت الرَّجل وهو يشكوني إليه ، فقال له الأسود: أمَا والله لأذبحنَّه ذبحاً! فقلت له: إني قد فرغت ممَّا أمرتَني به ، وقسَمْتُه بين الناس. قال: قد أحسنتَ فانصرف. فانصرفت ، فبعثنا إلى امرأة الملك: إنا نريد قتل الأسود؛ فكيف لنا! فأرسلتْ إليّ: أن هلمَّ. فأتيتها ، وجعلت الجارية على الباب لتُؤذِنَنا إذا جاء ، ودخلتُ أنا وهي البيتَ الآخر ، فحفرنا حتى نقبنَا نقباً ، ثم خرجنا إلى البيت ، فأرسلنا السِّتر ، فقلت: إنا نقتُله الليلة ، فقالت: فتعالوْا؛ فما شعرت بشيء حتى إذا الأسود قد دخل البيت؛ وإذا هو معنا؛ فأخذته غَيْرة شديدة ، فجعل يدقّ في رقبتي ، وكَفْكَفْتُه عنِّي ، وخرجت فأتيتُ أصحابي بالذي صنعت ، وأيقنت بانقطاع الحيلة عنّا فيه؛ إذ جاءنا رسولُ المرأة؛ ألاَّ يَكْسِرنَّ عليكم أمرَكم ما رأيتُم؛ فإنِّي قد قلت له بعد ما خرجتَ: ألسْتم تزعمون أنكم أقوام أحرار لكم أحسابٌ! قال: بلى ، فقلت: جاءني أخي يُسَلِّم عليّ ويكْرمني ، فوقعتَ عليه تدقّ في رقبته؛ حتى أخرجته ، فكانت هذه كرامتك إيَّاه! فلم أزَلْ ألومه حتى لام نفسه ، وقال: أهو أخوك؟ فقلت: نعم ، فقال: ما شعرتُ ! فأقبِلوا الليلة لما أردتم.

قال الديلميّ: فاطمأنَّتْ أنفسُنا ، واجتمع لنا أمرُنا؛ فأقبلنا من الليل أنا وداذويه وقيس حتى ندخل البيت الأقصى من النَّقْب الذي نَقَبْنا ، فقلت: يا قيس ! أنت فارس العرب ، ادخل فاقْتُل الرَّجل ، قال: إني تأخذني رِعْدة شديدة عند البأس ، فأخاف أن أضرب الرجل ضربةً لا تُغْني شيئاً؛ ولكن ادخل أنت يا فيروز ، فإنَّك أشَبُّنا وأقوانا ، قال: فوضعتُ سيفي عند القوم ، ودخلت لأنظر أين رأسُ الرجل! فإذا السراج يزهر؛ وإذا هو راقد على فُرُش قد غاب فيها لا أدري أين رأسه من رجليْه! وإذا المرأة جالسة عنده كانت تطعمه رمَّاناً حتى

رقدَ ، فأشرتُ إليها: أين رأسه؟ فأشارت إليه ، فأقبلتُ أمشي حتى قمتُ عند رأسه لأنظر ، فما أدري أنظرتُ في وجهِه أم لا! فإذا هو قد فَتَح عينيه؛ فنظر إليّ ، فقلت: إن رجعتُ إلى سيفي خفت أن يفوتني ويأخذ عُدَّة يمتنع بها منِّي؛ وإذا شيطانه قد أنذره بمكاني وقد أيقظه ، فلمّا أبطأ كلَّمنِي على لسانه؛ وإنه لينظر ويغُطّ ، فأضرب بيديّ إلى رأسه ، فأخذت رأسه بيد ولحيته بيدٍ؛ ثم ألْوِي عنقه فدققتها؛ ثم أقبلت إلى أصحابي ، فأخذت المرأة بثوبي ، فقالت: أختكم نصيحتكم! قلت: قد والله قتلتُه وأرحْتُك منه. قال: فدخلتُ على صاحبيَّ فأخبرتُهما ، قالا: فارجع فاحتزّ رأسَه وائتنا به ، فدخلت فبَربر فألجمته فحَزت رأسه ، فأتيتهما به ، ثم خرجنا حتى أتينا منزلَنا؛ وعندنا وَبَرُ بن يُحنّس الأزديّ ، فقام معنا حتى ارتقينا على حِصْن مرتفع من تلك الحصون؛ فأذَّن وَبَر بن يُحنّس بالصلاة ، ثم قلنا: ألا إنَّ الله عزَّ وجلَّ قد قتل الأسود الكذَّاب ، فاجتمع الناس إلينا فرمينا برأسه ، فلمَّا رأى القوم الذين كانوا معه أسْرَجوا خيولهم؛ ثم جعل كلّ واحد منهم يأخذ غلاماً من أبنائنا معه من أهل البيت الذي كان نازلاً فيهم؛ فأبصرتُهم في الغَلَس مُرْدِفي الغلمان ، فناديت أخي وهو أسفل منّي مع الناس: أن تعلَّقوا بمَن استطعتم منهم؛ ألا تروْن ما يصنعون بالأبناء! فتعلَّقوا بهم؛ فحبسنا منهم سبعين رجلاً ، وذهبوا منّا بثلاثين غلاماً ، فلمَّا برزوا إذا هم يفقدون سبعين رجلاً حين تفقَّدوا أصحابَهم ، فأتوْنا فقالوا: أرسِلوا إلينا أصحابَنا ، فقلنا لهم: أرسلوا إلينا أبناءنا ، فأرسلوا إلينا الأبناء ، وأرسلنا إليهم أصحابهم.

قال: وقال رسولُ الله ﷺ لأصحابه: إنَّ الله قد قتل الأسوَد الكذَّاب العَنْسيَّ ، قتله بيَدِ رجل من إخوانكم ، وقوم أسلموا وصدَّقوا! فكنّا كأنّا على الأمر الذي كان قبل قدوم الأسود علينا وأمن الأمراءُ وتراجعوا ، واعتذر الناسُ وكانوا حديثِي عهد بالجاهليّة[1]. (٣: ٢٣٦/ ٢٣٧/ ٢٣٨/ ٢٣٩).

---

(١) ولقد ذكرنا هذه الروايات السبع في قسم الصحيح ، وسنورد ما يؤيدها بإذن الله تعالى.
١ ـ أخرج البخاري في صحيحه (٦١ ـ كتاب المناقب علامات النبوة في الإسلام/ ح ٣٦٢١) عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «بينا أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب فأهمَّني شأنهما فأوحيَ إليّ في المنام: أن انفخهما ، فنفختهما ، فطارا ، فأولتهما

= كذابين يخرجان بعدي، فكان أحدهما: العنسي، والآخر: مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة».

وأخرج البخاري (ح ٢٢٧٤) عن ابن عباس رضي الله عنه وفيه: فقال: فسألت عن قول النبي ﷺ: «إني أرى الذي أريت فيك ما أريت» فأخبرني أبو هريرة... الحديث.

وأخرج البخاري في صحيحه (٦٤ كتاب المغازي/ح ٤٣٧٩) قال عبيد الله بنِ عبد الله: سألت عبد الله بن عباس عن رؤيا رسول الله ﷺ التي ذكر، فقال ابن عباس: ذِكِر لي: أن رسول الله ﷺ قال: «بينا أنا نائم أريت أنه وُضع في يدي سواران من ذهب ففظعتهما وكرهتهما فأُذن لي فنفختهما فطارا، فأولتهما كذابين يخرجان» فقال عبد الله: أحدهما العنسي الذي قتله فيروز باليمن والآخر مسيلمة الكذاب.

قال ابن حجر تعقيباً على رواية البخاري الأخيرة الذي فيه قوله: (فقال ابن عباس: فذُكر لي): وقد وضح من حديث الباب قبله: أن الذي ذكر له ذلك هو أبو هريرة (الفتح ٨/ ٩٣) والحديث أخرجه البخاري في مواضع أخرى (ح ٤٣٧٣/ ٤٣٧٤).

وقال الحافظ أيضاً: وكان باذام عامل النبي بصنعاء، فمات، فجاء شيطان الأسود فأخبره، فخرج في قومه حتى ملك صنعاء، وتزوج المرزبانة زوجة باذان فذكر القصة... إلخ. الفتح (٨/ ٩٣).

وهذه الروايات عند البخاري تثبت قصة كفر العنسي، وادعاءه النبوة، وقتل فيروز الديلمي له باليمن. وأنه عليه الصلاة والسلام تنبأ بزواله، وزوال مسيلمة الكذاب.

أما حديث (قتله فيروز فاز فيروز) فلم نجد له متابعاً عند غير (سيف بن عمر) والله أعلم.

٢ - وردت رواية أخرى من طريق غير طريق سيف المفصلة عند الطبري أخرجها يعقوب بن سفيان في تأريخه (٣/ ٢٦٢) ثنا زيد بن المبارك و - حدثنا محمد بن الحسن الصنعاني، حدثنا سليمان بن وهب عن النعمان بن بُرزج، قال: خرج الأسود العنسي، فذكر قصة غلبته على صنعاء اليمن، وقتل باذام عامل النبي ﷺ واستصفى امرأته المرزبانة لنفسه فتزوجها وكانت تكرهه لما صنع بقومها، قال: فأرسلت إلى داذويه وكان خليفة باذام إلى فيروز، وإلى خرزاذ برزج، وجرجست الفارسيين، فائتمروا على قتل الأسود، وكان على بابه ألف رجل للحراسة، فجعلت المرزبانة تسقيه الخمر فكلما قال لها: شوبيه، سقته صرفاً حتى سكر وقام فدخل الفراش وهو من ريش، وعمد داذويه وأصحابه إلى الجدار، فنضحوه بالخل، وحفروا بحديدة حتى فتحوه ودخل داذويه، وجرجست فهابا أن يقتلاه، ودخل فيروز وابن برزج فأشارت إليهما المرأة أنه في الفراش، فتناول فيروز رأسه، فعصر عنقه، فدقها، وطعنه خرزاذ بالخنجر ثم احتزّ رأسه وخرجوا. ا هـ.

قلنا: وفي إسناده محمد بن الحسن الصنعاني مختلف فيه فقد وثقه أبو زرعة (الجرح والتعديل ٧/ت ١٢٥٢) وأبو حاتم (تهذيب الكمال/ت ٥٧٣٣) وابن حبان (٩/ ٦٩) =

= وأبو صالح المصري (تهذيب التهذيب ٩/ ١١٤) وضعفه الدارقطني والأزدي، وقال ابن معين: لم أكتب عنه شيئاً. (سؤالات الجنيد/ ٤٧). وقال الحافظ في التقريب: صدوق فيه لين.
وهذا الرواية تتقوىٰ برواية سيف وأصلها، وأعني: ارتداد الأسود وقتل فيروز له في البخاري كما سبق أن ذكرنا.
وهذه الرواية ذكرها ابن حجر ونسبها إلى يعقوب بن سفيان في تأريخه، وذكر إسناده كما في الإصابة (٢/ ٣٣٠/ت ٣٤٢١).
ثم قال الحافظ: وأورده البيهقي في الدلائل من هذا الوجه.
قلنا: ورواية البيهقي في الدلائل (٥/ ٣٣٦) تختلف عن الرواية الأصل في تأريخ يعقوب بن سفيان بعض الشيء، وتوافق رواية سيف عند الطبري إذ عند البيهقي: فسار الأسود حتىٰ أخذ ذمار؛ وكان باذام إذ ذاك مريضاً بصنعاء، فلما مات؛ جاء الأسود شيطانه وهو على قصر ذمار، فأخبره بموت باذام... إلخ.
وقال الحافظ في ترجمة داذويه الفارسي: كان خليفة باذام عامل النبي ﷺ على اليمن فلما خرج الأسود العنسي الكذاب، وظفر بباذام، فقتله؛ هرب داذويه ومن تبعه، والقصة مشهورة في المغازي وممن أخرجها يعقوب بن سفيان في تأريخه... إلخ. (الإصابة ٢/ ٣٣٠/ ٣٤٢١). ونسبه الحافظ كذلك إلى ابن منده الذي أخرجها من نفسه (الإصابة ٦/ ٣٩١).
وراوي هذه القصة هو النعمان بن برزج الذي ذكره الحافظ في عداد المخضرمين وقال: أخرج عبيد بن محمد الكشوري في تأريخه من طريق هشام بن يوسف عن عمر بن نعيم: سمعت النعمان بن برزج؛ وكان عاش ثلاثين في الجاهلية ومئة سنة في الإسلام. وقال الحافظ: النعمان بن برزج اليماني من أهل صنعاء. قال ابن حبان: له صحبة. وقال ابن عساكر: أدرك النبي ﷺ ولم يلقه، وقدم الشام في عهد عمر (الإصابة في تمييز الصحابة ٦/ ٣٩١/ت ٨٨٩٠).
٣ ـ ولقد ترجم الحافظ لـ(باذام أو باذان) الفارسي فيمن أدرك النبي ﷺ ولم يجتمع به سواء أسلم في حياته، أم بعده، فقال: باذان الفارسي من الأبناء الذين بعثهم كسرى إلى اليمن، وكان ملك اليمن في زمانه، وأسلم باذان لما هلك كسرى وبعث بإسلامه إلى النبي ﷺ فاستعمله على بلاده ثم مات فاستعمل ابنه شهر بن باذان على بعض عمله.
ذكر ذلك ابن إسحاق، وابن هشام، والواقدي، والطبري، وذكره في الصحابة الباوردي وغيره، وسيأتي له ذكر في ترجمة جدجميرة في حرف الجيم وأخباره مذكورة في التأريخ والسير.
وقال الثعلبي: هو أول من أسلم من ملوك العجم وأول من أمّر في الإسلام على اليمن. وقال=

= الفاكهي: حدثنا يحيى بن أبي طالب حدثنا علي بن عاصم عن داود عن الشعبي قال: كتب النبي ﷺ إلى كسرى فمزق كتابه وكتب إلى باذان: «أرسل إليه من يأمره بالرجوع إلى دين قومه فإن أبى فقاتله . . .» فذكر الحديث وفيه: قال فخرج باذان من اليمن إلى النبي ﷺ فلحقه العنسي الكذاب فقتله اهـ. (الإصابة في تمييز الصحابة ١/ ٤٦٤/ت ٧٥٩).
قلنا: وهذا إسناد مرسل من مراسيل الشعبي، ومعلوم: أن مراسيل الشعبي ليست كغيره فقد قال العجلي: ومرسل الشعبي صحيح لا يكاد يرسل إلا صحيحاً، وقاله عبد الملك بن عمير (تهذيب الكمال/ت ٣٠٢٩).
قلنا: ومنهجنا في تحقيق تأريخ الطبري: أنَّا أخذنا بالمراسيل إذا تعددت مخارجها وذلك العدول منا عن رأي الجمهور إلى رأي الشافعي؛ لأنها روايات في التأريخ لا في الحلال والحرام والعقيدة، والله أعلم.
وبالإضافة إلى ذلك فإن الشعبي من أئمة المغازي كما قال عبد الملك بن عمير: مرّ ابن عمر على الشعبي وهو يحدِّث بالمغازي فقال: لقد شهدت القوم، فلهو أحفظ لها وأعلم بها (تهذيب الكمال ت ٣٠٢٩). ومرسل الشعبي هذا يتقوىٰ بما ذكرنا من الروايات التي في إسنادها مقال. وبمرسل آخر هو:
٤ ـ قال ابن حجر: روىٰ أبو سعيد النيسابوري في كتاب (شرف المصطفىٰ) من طريق ابن إسحاق عن الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: لما قدم كتاب رسول الله ﷺ إلى كسرى وقرأه ومزّقه كتب إلى باذان وهو عامله باليمن. . . الحديث. وفي آخره فأسلم وأسلمت الأبناء من آل فارس من كان منهم باليمن جميعاً (الإصابة ١/ ٦٣٢/ ت ١٢٧٨).
ويرى المؤرخ البلاذري: أن باذام مات فتولى الرئاسة بعده داذويه (ويقال: إن باذام قد كان مات ورأس الأبناء بعده خليفة له يسمى داذويه وذلك أثبت) (فتوح البلدان/ ١٤٦). ولا بأس هنا أن نذكر رأي الحافظ ابن كثير وهو إمام من أئمة التأريخ الإسلامي صاحب الموسوعة المعروفة (البداية والنهاية) فهو يرى رحمه الله: أن باذام عامل كسرى على اليمن أسلم فبعث إليه رسول الله ﷺ بنيابة اليمن بكاملها فلم يعزله منه حتى مات. فلما مات استنابه ابنه شهر بن باذام على صنعاء وبعض مخاليفه. فبعث أولاً في سنة عشر علياً، وخالداً، ثم أرسل معاذاً، وأبا موسىٰ الأشعري، وفرّق عمالة اليمن بين جماعة من الصحابة، فمنهم: شهر بن باذام، وعامر بن شهر الهمداني على همدان، وأبو موسىٰ على مأرب. . . إلخ. (البداية والنهاية ٦/ ٣١١).
قلنا: ومسألة بعثه ﷺ لعلي، وخالد رضي الله عنهما؛ فثابتة في الصحيح كما أخرج البخاري في صحيحه (باب بعث رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب وخالد بن الوليد إلى اليمن قبل حجة الوداع). عن البراء بن عازب قال: بعثنا رسول الله ﷺ مع خالد بن الوليد إلى اليمن، قال: ثم بعث علياً بعد ذلك مكانه. . . الحديث. ورواه البخاري في مواضع أخرى مختلفة. =

= ٥ ـ قال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٣/ ٢/ ٩٢): فيروز الديلمي قاتل الأسود العنسي له صحبة. وقال البخاري في التأريخ الكبير (٤/ ١/ ١٣٦/ ت ٦١٦): فيروز الديلمي قاتل الأسود العنسي، ثم روىٰ البخاري من طريق شيخه علي: ثنا محمد بن الحسن الصنعاني قال: أخبرني النعمان بن الزبير عن أبي صالح الأحمسي عن مر المؤذن قال: خرجت مع فيروز الديلمي في ألفين (وفي رواية في العيد): فأتيت عمر، ثم أتاه فيروز، فقال عمر: هذا فيروز قاتل الكذاب. ا هـ.

٦ ـ قال الحافظ المزي في تهذيب الكمال: فيروز هو الذي قتل الأسود العنسي الذي كان تنبأ في اليمن (تهذيب الكمال/ ت ٣٦٥).

وأخرج المزي بسنده حديثاً عن فيروز الديلمي رضي الله عنه، والحديث أخرجه أبو داود في الأشربة، وفيه: أتينا رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله! إن لنا أعناباً... الحديث.

وحسن الألباني إسناده (سنن أبي داود/ ٣٧١٠) وأخرجه النسائي (ح ٨٣٣٢).

٧ ـ وأخرج الطبراني (١٨/ ٣٣٠/ ٨٤٨) من طريق ضمرة بن ربيعة عن فيروز الديلمي: أتينا رسول الله ﷺ برأس العنسي الكذاب. قال الحافظ معقباً على سند هذا الحديث: ـ ضمرة لم يتابع عليه ـ والحافظ ابن حجر يرى: أنهم قتلوا الأسود العنسي، ثم أرسلوا في غيره عليه الصلاة والسلام، ولكن الخبر وصل إلى المدينة وقد توفي ﷺ وهذا موافق لما جاء في رواية سيف (خ ٢٩): وفي آخره: وكتبنا إلى رسول الله ﷺ بالخبر وذلك في حياة النبي ﷺ فأتاه الخبر من ليلته، وقدمَت رُسُلنا، وقد مات النبي ﷺ صبيحة تلك الليلة فأجابنا أبو بكر رحمه الله. ا هـ.

وقال الحافظ: وأرسلوا الخبر إلى المدينة، فوافىٰ بذلك عند وفاة النبي ﷺ. قال أبو الأسود عن عروة: أصيب الأسود قبل وفاة النبي ﷺ بيوم وليلة، فأتاه الوحي، فأخبر به أصحابه، ثم جاء الخبر إلى أبي بكر رضي الله عنه (الفتح ٨/ ٩٣). وقد أشار الحافظ إلى رواية سيف هذه في الإصابة (٥/ ٢٩٠/ ت ٧٠٢٥).

وأشار ابن عبد البر إلى فيروز الديلمي قدومه على النبي ﷺ وحديثه في الأشربة وعقب على حديث ضمرة بن ربيعة: (أتينا رسول الله ﷺ برأس الأسود العنسي): لم يتابع ضمرة (على قوله: عن الشيباني عن عبد الله الديلمي عن أبيه: أنه قدم على رسول الله ﷺ برأس الأسود العنسي الكذاب) أحدٌ. وقد روىٰ حديث فيروز الديلمي في قدومه على النبي وحديثه في الأشربة عن الشيباني عن عبد الله بن الديلمي عن أبيه جماعة، لم يذكر واحد منهم فيه: أنه قدم برأس الأسود العنسي الكذاب... ثم قال ابن عبد البرّ: وأهل السير لا يختلفون في أن الأسود العنسي الكذاب المتنبئ في صنعاء قتل في سنة إحدى عشرة، ومنهم من يقول: قتل في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وليس ذلك عندي بشيء...

والصحيح: أنه قُتلَ قبل وفاة النبي ﷺ وأتاه خبره وهو مريض مرضه الذي مات فيه. =

= ولا خلاف أن فيروز الديلمي ممن قتل الأسود بن كعب العنسي اليمني (الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٣/ ٣٣٠/ت ٢١٠٩).

٨ ـ أما ما ذكره سيف (في رواية الطبري) من أن معاذ بن جبل، وأبا موسىٰ الأشعري كانا ممن بعثهما رسول الله ﷺ فصحيح. فقد أخرج البخاري في صحيحه (كتاب المغازي/ ح ٤٣٤١): بعث رسول الله ﷺ أبا موسىٰ الأشعري ومعاذاً إلى اليمن وبعث كلّ واحدٍ منهما على مخلاف، واليمن مخلافان.

٩ ـ أما بالنسبة لـ(وبر بن يحنّس) الذي ورد ذكره في رواية الطبري من طريق سيف (٣٢) فسنذكر ما يؤيده بتوفيق الله تعالى: ـ فقد قال الحافظ ـ:

وأخرج ابن السكن وابن مندة من طريق عبد الملك بن عبد الرحمن الذماري عن سليمان بن وهب عن النعمان بن برزج: أن وبر بن يحنّس قال: قال لي رسول الله ﷺ: «إذا قدمت صنعاء فائتِ مسجدها الذي بحيال الضّبيل ـ جبل بصنعاء ـ فصلّ فيه». زاد ابن السكن في روايته: فلما قتل الأسود الكذاب؛ قال وبر: هذا الموضع الذي أمرني رسول الله ﷺ أن أصنع فيه المسجد. قال ابن مندة: تفرد به الذماري (الإصابة ٦/ ٤٦٨/ ٩١٢٤).

قلنا: وكلام ابن مندة عن تفرد الذماري بهذا الحديث بحاجة إلى شيء من التفصيل؛ لأن بعض أئمة الجرح والتعديل لم يفرِّقوا بين عبد الملك بن عبد الرحمن الذماري هذا وبين الشامي الذي ضعفه البخاري، وأبو حاتم، ووثقه عمرو بن علي، وابن حبان، وقال الحافظ في التهذيب: والصواب التفريق بينهما، وكذلك فعل في التقريب فضعف الشامي، وقال عن الذماري هذا: صدوق كان يصحّف (التقريب ص ٣٦٣) فإسناد ابن مندة حسن إن شاء الله تعالى.

وقال ابن عبد البر في ترجمة وبر بن يحنّس: وله صحبة، وهو الذي بعثه رسول الله ﷺ إلى داذويه الإصطخري، وفيروز الديلمي، وحشيش الديلمي باليمن ليقتلوا الأسود العنسي؛ الذي ادّعىٰ النبوة (الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٤/ ١١٢/ت ٢٧٤٥).

١٠ ـ أما عمرو بن حزام الذي ورد اسمه في رواية الطبري من طريق سيف فبحاجة إلى شيء من التفصيل: فقد أخرج البيهقي في الدلائل (٥) من طريق يونس بن بكير عن ابن إسحاق ثنا عبد الله بن أبي بكر عن أبيه أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال: هذا كتاب رسول الله ﷺ عندنا الذي كتبه لعمرو بن حزم حين بعثه إلى اليمن يفقه أهلها، ويعلمهم السنة، ويأخذ صدقاتهم، فكتب كتاباً. . . الحديث.

ثم قال البيهقي: وقد روىٰ سليمان بن داود عن الزهري عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده هذا الحديث موصولاً بزيادات كثيرة في الزكاة والديات وغير ذلك. ونقصان عن بعض ما ذكرناه، وقد ذكرناه في كتاب السنن. اهـ.

قلنا: والمواضع التي أشار إليها البيهقي في الدلائل هي كالآتي في سننه (١/ ٨٨، ٣٠٩، =

= ١٠/ ١٢٨): وقد ضعف العلامة ابن التركماني في الجوهر النقي على حاشية سنن البيهقي هذا الحديث، ونقل عن ابن معين قوله: لا يصح هذا الحديث (حاشية السنن ١/ ٨٨).
قلنا: ومن الذين ضعفوه كذلك ابن حزم في المحلى (٨١١) والنووي في المجموع (٢/ ٧٢) وقد صححه غير واحد، كما أخرجه الحاكم مختصراً جداً وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي (المستدرك ١/ ٣٩٥)، وابن حبان في صحيحه (موارد الظمآن/ ٢٠٢) وصححه الطحاوي (٢/ ٤١٩) وابن كثير في تفسيره (٤/ ٢٩٨) وغيرهم.
ومن أراد المزيد عن حديث عمرو بن حزم وكتاب رسول الله ﷺ إلى أهل اليمن؛ فليراجع ما كتبه الأستاذ الباغندي في حاشية مسند عمر بن عبد العزيز، فقد رجَّح قول من صححوا الحديث على قول من ضعفوه، وذكر طرق الحديث المختلفة، فجزاه الله خيراً (راجع مسند عمر بن عبد العزيز/ تحقيق الباغندي/ ح ٨٠). ولقد ترجم الحافظ لعمرو بن حزم بن لوذان الأنصاري في الصحابة، وقال: شهد الخندق وما بعدها، واستعمله النبي ﷺ على نجران (الإصابة في تمييز الصحابة ٦/ ٥١٢/ت ٥٨٢٦).
١١ - أما قيس بن عبد يغوث بن المكشوح الذي تحدث عنه سيف طويلاً في رواية الطبري (٢٩) فقد قال الحافظ: واختلف في صحبته، وقيل: إنه لم يسلم إلا في خلافة أبي بكر أو عمر، لكنهم ذكروا: أنه كان ممن أعان على قتل الأسود العنسي الذي ادعىٰ النبوة باليمن، فهذا يدلّ على أنه أسلم في عهد النبي ﷺ لأن النبي ﷺ أخبر بقتل الأسود في الليلة التي قُتل فيها وذلك قبل موت النبي ﷺ بيسير، وممن ذكر ذلك محمد بن إسحاق في السيرة (الإصابة ٥/ ٤٠٤/ ت ٧٣٢٨).
وقال الحافظ: وكان ممن ارتد عن الإسلام باليمن، وقتل داذويه الفارسي، كما تقدم ذلك في ترجمته، وطلب فيروز ليقتله، ففرّ منه إلى خولان، ثم راجع الإسلام، وهاجر، وشهد الفتوح، وله في فتوح العراق آثار شهيرة في القادسية، وفي فتح نهاوند وغيرها، وتقدم له ذكر في ترجمة عمرو بن معد يكرب (الإصابة ٥/ ٤٠٤) وراجع أسد الغابة (٤٤٠٥).
قلنا: وقد ذكرت رواية أخرى من غير طريق سيف بن عمر: أنه (أي: قيس بن المكشوح) شارك في قتل الأسود العنسي: فقد أخرج خليفة بن خياط عن أبي الحسن عن يعقوب بن داود الثقفي قال: سُئل أشياخنا بصنعاء عن مقتل الأسود العنسي، فقالوا: كنا نسمع آباءنا يذكرون: أن داذويه، وقيساً، وفيروز دخلوا عليه بيته فحطم فيروز عنقه فقتله. (تأريخ خليفة/ ١١٧).
قلنا: وهذا إسناد ضعيف. وكذلك أخرج خليفة فقال: وحدثنا أبو الحسن عن عثمان بن عبد الرحمن عن الزهري قال: دخل عليه فيروز، وداذويه، وقيس (تأريخ خليفة/ ١١٧).
قلنا: وهذا إسناد مرسل، ولعل هذه الروايات (ضعيف سيف، ومرسل الزهري) والرواية =

= عن أشياخ صنعاء تتقوىٰ ببعضها وخاصة لأنها روايات في التأريخ لا دخل لها في مسائل العقيدة ، ولا الحلال والحرام ، والله أعلم.
وهناك رواية رابعة عند البلاذري تخالف هذه الروايات الثلاث؛ فقد أخرج البلاذري: قال: أخبرني بكر بن الهيثم قال: حدثني ابن أنس اليماني عمن أخبره عن النعمان بن برزج؛ أحد الأبناء: أن عامل النبي ﷺ الذي أخرجه الأسود عن صنعاء: أبان بن سعيد بن العاص ، وأن الذي قتل الأسود العنسي هو فيروز الديلمي ، وأن قيساً وفيروز ادعيا قتله وهما بالمدينة فقال عمر: قتله هذا الأسد ، يعني: فيروز (فتوح البلدان/ ١٤٨) وهذا إسناد منقطع إلاَّ أن قول عمر: (قتله هذا الأسد، يعني: فيروز) قد أخرج نحوه البخاري في تأريخه كما ذكرنا سابقاً وبلفظ: فقال عمر: هذا فيروز قاتل الكذاب (الكبير ٤/ ١/ ١٣٦).
١٢ _ أما زياد بن لبيد الأنصاري الذي ذكره سيف فيمن بعثهم رسول الله ﷺ عمالاً له على اليمن (الطبري ٢٥). فكذلك ذكره خليفة بن خياط في تأريخه: تسمية عماله ﷺ وفيه: وفرق اليمن فاستعمل على صنعاء خالد بن سعيد بن العاص ، وعلى كندة ، والصدف المهاجر بن أبي أمية، وعلى حضرموت زياد بن لبيد الأنصاري أحد بني بياضة، ومعاذ بن جبل على الجند، والقضاء ، وتعليم الناس الإسلام، وشرائعه ، وقراءة القرآن، وولىٰ أبا موسى الأشعري زبيد ، ورِقع ، وعدن ، والساحل ، وجعل قبض الصدقات من العمال الذين بها إلى معاذ بن جبل.
وبعث عمر بن حزم إلى بلحارث بن كعب ، وأبا سفيان بن حرب إلى نجران (تأريخ خليفة/ ٩٧).
أما البلاذري فهو يقول بإجماع أصحاب المغازي والسير: أنه ﷺ بعث زياد بن لبيد على حضرموت ، فقال: وأجمعوا جميعاً: أن رسول الله ﷺ ولىٰ زياد بن لبيد حضرموت (فتوح البلدان/ ٩٣).
١٣ _ أما المهاجر بن أبي أمية والذي ذكره الطبري في روايته (٢٥) من طريق سيف ، وأنه كان ممن أرسله النبي ﷺ إلى اليمن؛ فقد أخرج الطبراني عنه ، قال: وفدت على رسول الله ﷺ فرحب بي ، وأدنى مجلسي ، فلما أردت الرجوع؛ كتب ثلاث كتب: كتاب خاص بي فضَّلني فيه على قومي: (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى المهاجر بن أبي أمية: إن وائلاً يستعيني ونوفلاً على الأقيال حيث كانوا من حضرموت... الحديث). كما أشار الحافظ في الإصابة وذكر كذلك عن الزبير قوله: شهد بدراً مع المشركين وقتل أخواه يومئذ: هشام ومسعود وكان اسمه الوليد ، فغيّره النبي ﷺ وولاَّه لما بعث العمال على صدقات صنعاء ، فخرج عليه الأسود العنسي (الإصابة ٦/ ١٨٠/ت ٨٢٧١) ، (مؤتلف الدارقطني ١٦٣) ، (أسد الغابة ٥١٣٤) ، (الاستيعاب ٢٥٣).
١٤ _ أما خالد بن سعيد بن العاص الذي ذكره سيف بن عمر (رواية الطبري ٢٤ _ ٢٥) فقد وجدنا الحافظ قد ذكر روايتين في ذلك؛ الأولى قال فيها: وروينا في مناقب الشافعي =

= لمحمد بن رمضان بن شاكر: حدثنا محمد بن عبد الله بن الحكم، حدثنا الشافعي قال: (وجَّه رسول الله ﷺ علياً، وخالداً إلى اليمن... الحديث).

والرواية الثانية فقد قال الحافظ: وأخرج محمد بن عثمان بن أبي شيبة في تأريخه من طريق خلاد بن يحيىٰ عن خالد بن سعيد عن أبيه قال: (بعث رسول الله ﷺ خالد بن سعيد بن العاص إلى اليمن، وقال: «إذا مررت بقرية...» الحديث. (الإصابة ٤/ ٥٦٩/ ت ٥٩٨٤).

قلنا: أما الإسناد الأول؛ فهو معضل، وأما الإسناد الثاني؛ فهو إسناد مرسل وهو صحيح إلى مرسله. وأخرج البلاذري قال: حدثني بكر بن الهيثم قال: حدثني عبد الرزاق بن همام اليماني عن مشايخ حدثوه من أهل اليمن: أن رسول الله ﷺ ولىٰ خالد بن سعيد بن العاص صنعاء، فأخرجه العنسي الكذاب عنها، وأنه ولّى المهاجر بن أبي أمية على كندة، وزياد بن لبيد الأنصاري على حضرموت والصدف، وهم ولد مالك بن مرتع بن معاوية بن كندة (فتوح البلدان). قلنا: وهذا إسناده ضعيف كما ترى.

١٥ - أما عبيد بن صخر بن لوذان الأنصاري؛ فقد ترجم له الحافظ في الإصابة في تمييز الصحابة، وقال: ذكره البغوي، وغيره في الصحابة، وقال ابن السكن: له صحبة ولم يصح سند حديثه وأخرجه هو، والبغوي، والطبري من طريق سيف بن عمر بن سهل بن يوسف عن أبيه عن عبيد بن صخر بن لوذان قال: أمر النبي ﷺ عمال اليمن جميعاً فقال: «تعاهدوا القرآن بالمذاكرة...» الحديث.

وفيه: لما مات باذام فرّق النبي ﷺ أعماله بين شهر بن باذام، وعامر بن شهر، وأبي موسىٰ، والطاهر بن أبي هالة، وخالد بن سعيد، وعمرو بن حزم. وأخرج ابن السكن والطبري من هذا الوجه إلى صخر: وكان ممن بعثه النبي ﷺ مع عمال اليمن (الإصابة ٤/ ٣٣٤/ت ٥٣٥٩).

قلنا: وهاتان روايتان ضعيفتان، فمدارهما على سيف بن عمر، والله أعلم.

١٦ - أما جشيش الديلمي؛ فقد ترجم له الحافظ في الإصابة (١/ ٦٣٥/ت ١٢٩٠) فيمن أدرك الجاهلية ولم يَرِدْ: أنه رأىٰ النبي ﷺ وقال: كان ممن أعان علىٰ قتل الأسود الكذاب. ذكره الطبري، واستدركه ابن فتحون. اهـ.

ثم ذكر الحافظ رواية سيف في كتابه (الردّة) والتي فيها: أنه ﷺ بعث إلى جشيش وإلى داذويه وإلى فيروز يأمرهم بمحاربة الأسود العنسي. وأنه أخرجه من وجهين عن ابن عباس ثم قال: وكذلك ذكره الواقدي من رواية همام بن منبه (الإصابة ١/ ٦٣٥).

قلنا: أما رواية سيف؛ فضعيفة، وكذلك رواية الواقدي، فهو متروك.

(خلاصة القول في روايات قصة الأسود العنسي وما جرىٰ بينه وبين عمال رسول الله ﷺ وأمرائه وبعوثه إلى اليمن): نقول وبالله التوفيق: لقد جعلنا الأصل في روايات الطبري حول هذا الموضوع ضعيفة لأنها من طريق سيف بن عمر، ثم حاولنا أن نجمع ما وجدناه في=

١٢/أ - حدَّثني عمر بن شبَّة ، قال: حدَّثنا عليّ بن محمد عن أبي معْشر ، ويزيد بن عياض بن جُعْدَبة ، وغسّان بن عبد الحميد ، وجُوَيْرِيَة بن أسماء ، عن مشيختهم ، قالوا: أمضى أبو بكر جيشَ أسامة بن زيد في آخر ربيع الأول ، وأتى مقتلُ العنسيّ في آخر ربيع الأول بعد مخرج أسامة؛ وكان ذلك أوّل فتح أتى أبا بكر وهو بالمدينة[(١)] . (٣: ٢٤٠) .

١٢/ب - وقال الواقديّ: في هذه السنة - أعني: سنة إحدى عشرة - قدِم وفد النَّخَع في النصف من المحرّم على رسولِ الله ﷺ ، رأسُهم زُرارة بن عمرو ، وهم آخر من قدم من الوفود.

وفيها ماتت فاطمة ابنة رسول الله ﷺ في ليلة الثلاثاء لثلاث خلَوْن من شهر رَمضان؛ وهي يومئذ ابنة تسع وعشرين سنة أو نحوها. وذكر: أنّ أبا بكر بن

= الصحاح ، والمسانيد ، والسنن ، ومصادر التأريخ المعتمدة: (تأريخ ابن خليفة ، فتوح البلدان للبلاذري ، طبقات ابن سعد ، وما رواه الحافظ من كتب ابن السكن ، وابن مندة ، وأبو سعيد النيسابوري وغيرهم بالأسانيد المذكورة في الإصابة).

والحق يقال فإن سيف بن عمر عمدة في التأريخ ، كما قال ابن حجر؛ الذي لم يقل هذه العبارة اعتباطاً ، وإنما سبر رواياته التأريخية ، ثم قال: ضعيف في الحديث ، عمدة في التأريخ ، وكذلك قال الذهبي: كان أخبارياً عارفاً بالتأريخ. أما ما لم نذكره في الصحيح من روايات سيف فسنعلق عليها في قسم الضعيف من عهد الخلفاء الراشدين. ولله المنة والفضل. فإن كنا قد أصبنا في تقسيمنا لروايات الأسود العنسي في تأريخ الطبري؛ فمن الله التوفيق ، وإن كنا قد أخطأنا؛ فمن أنفسنا ، ونستغفر الله. أما الرواية (٣٠) من طريق سيف عن ابن عمر قال: (أتى الخبر النبيﷺ من السماء الليلة التي قتل فيها العنسي ليبشرنا ، فقال: «قتل العنسي البارحة ، قتله رجل مبارك من أهل بيت مباركين»: قيل: ومن هو؟ قال: «فيروز. فاز فيروز». فلم نجد له متابعاً.

وكذلك قوله في نهاية الرواية (٣٢) قال: وقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «إن الله قتل الأسود الكذاب العنسي ، قتله رجل من إخوانكم ، وقوم قد أسلموا وصدقوا». فلم نجد من يتابع سيفاً في روايته هذه والله أعلم ، إلاّ أنا ذكرنا: أن البخاري أخرج في صحيحه حديث أبي هريرة الذي فيه: أنهﷺ رأى مناماً ، وأوّله بزوال كذابين يخرجان من بعده ، ثم حديث ابن عباس الذي يقول فيه عبد الله رضي الله عنه: أحدهما: العنسي؛ الذي قتله فيروز باليمن ، والآخر: مسيلمة الكذاب. (صحيح البخاري ح ٤٣٧٩) والحمد لله أولاً وآخراً.

(١) إسناده ضعيف وقد تحدثنا عن إسناده ومتنه في روايات الطبري عن إنفاذ أبي بكر لجيش أسامة فراجعهما هناك (١٧ - ٢٣).

عبد الله حدّثه عن إسحاق بن عبد الله ، عن أبان بن صالح بذلك[١] (٣: ٢٤٠) .

١٣ ـ قال: وحدثنا ابن جريج عن الزهريّ ، عن عروة ، قال: توفِّيتْ فاطمة بعد النبيّ ﷺ بستة أشهر.

قال الواقديّ: وهو أثبت عندنا.

قال: وغسَّلها عليّ عليه السلام ، وأسماء بنت عُمَيس[٢]. (٣: ٢٤٠) .

١٤ ـ وحدَّثني عُبيد الله ، قال: حدثنا عمّي ، قال: أخبرنا سيف ـ وحدَّثني السَّريّ ، قال: حدَّثنا شُعيب ، قال: حدَّثنا سَيْف عن المجالد بن سعيد ، قال: لما فَصَل أسامة كفرت الأرض وتضرَّمت ، وارتدّت من كلّ قبيلة عامة أو خاصة إلا قريشاً وثقيفاً[٣]. (٣: ٢٤٢) .

(اشرأب النفاق وارتدت العرب) والله أعلم

١٥ ـ وحدَّثني عُبيد الله ، قال: حدَّثنا عمّي ، قال: أخبرَنا سيف ـ وحدَّثني

---

(١) وفيها ماتت فاطمة ابنة رسول الله ﷺ في ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من رمضان وهي يومئذ ابنة تسع وعشرين سنة أو غيرها ، وذكر أنّ أبا بكر بن عبد الله حدثه عن إسحاق بن عبد الله عن أبان بن صالح بذلك.
هذا إسناد ضعيف ولكن الصحيح: أنها توفيت في السنة التي توفي فيها رسول الله ﷺ ، وهو اختيار ابن كثير والذهبي (البداية والنهاية ٦/ ٣٣٦) ، (تأريخ الإسلام/ عهد الخلفاء الراشدين/ ٤٣) وهو ما تثبته رواية الزهري عن عروة الآتية.

(٢) قلنا: وعن عروة عن عاى شة رضي الله عنها: أن فاطمة عاشت بعد رسول الله ﷺ ستة أشهر ، ودفنت ليلاً. (المستدرك ٣/ ١٦٢) وكذلك عند ابن سعد في طبقاته (٨/ ٢٨) وقال خليفة بن خياط: وحدثني محمد بن معاوية عن سفيان ، عن عمرو بن دينار ، عن محمد بن علي ، قال: لبثت بعد أبيها ستة أشهر (تأريخ خليفة/ ٩٦).
وقال ابن كثير: والصحيح ما ثبت في الصحيح من طريق الزهري عن عروة ، عن عائشة: أن فاطمة عاشت بعد النبي ﷺ ستة أشهر ودفنت ليلاً (البداية والنهاية ٦/ ٣٣٨) أما سنها حين وفاتها فقد رجح الذهبي: أن سنها يوم وفاتها أربع وعشرون سنة رضي الله عنها (تأريخ الإسلام/ عهد الخلفاء الراشدين/ ٤٨).

(٣) إسناده ضعيف وإن كان من أقل أسانيد سيف عند الطبري ضعفاً ، ولم نجد هذه الرواية من طريق آخر مسنداً صحيحاً إلاّ أننا ذكرنا في الصحيح رواية عائشة رضي الله عنها ، وصيغتها العموم دون تحديد.

السّريّ ، قال: حدَّثنا شُعيب ، قال: حدَّثنا سيْف ـ عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال: لما مات رسولُ الله ﷺ ، وفَصَل أسامة ارتدّت العرب عوامَّ أو خواصَّ؛ وتوَحَّى مسيلمة ، وطُليحة ، فاستغلظ أمرهما؛ واجتمع على طُليحة عوامُّ طيِّىء وأسد ، وارتدَّت غَطَفان إلى ما كان من أشْجع وخواصّ من الأفناء فبايعوه ، وقدّمت هوازن رِجْلاً ، وأخَّرَتْ رِجْلاً ، أمسكوا الصَّدقة إلاَّ ما كان من ثَقِيف ولِفّها؛ فإنهم اقتدى بهم عوامّ جَدِيلة والأعجاز؛ وارتدّت خواصّ من بني سُلَيْم؛ وكذلك سائر الناس بكلّ مكان.

قال: وقدمت رسُل النبيّ ﷺ من اليَمن واليمامة وبلاد بني أسد ووفود مَن كان كاتبه النبيّ ﷺ ، وأمِر أمرُه في الأسود ، ومسيلمة ، وطلحة بالأخبار والكتب؛ فدفعوا كتبَهم إلى أبي بكر ، وأخبروه الخبر ، فقال لهم أبو بكر: لا تبرحوا حتى تجيء رسلُ أمرائكم وغيرهم بأدْهى ممّا وصفتم وأمرّ؛ وانتقاضِ الأمور. فلم يلبَثُوا أن قَدِمَتْ كتبُ أمراء النبيّ ﷺ من كلّ مكان بانتقاضِ عامَّة أو خاصَّة؛ وتبسُّطهم بأنواع الميل على المسلمين ، فحاربهم أبو بكر بما كان رسولُ الله ﷺ حاربَهم بالرّسل. فردّ رسلَهم بأمره ، وأتبعَ الرّسلَ رسلاً؛ وانتظر بمصادمتهم قدومَ أسامة؛ وكان أول مَنْ صادم عَبْس ، وذُبْيان ، عاجلوه ، فقاتلهم قبل رجوع أسامة[١]. (٣: ٢٤٢/ ٢٤٣).

١٦ - حدَّثني السريّ ، قال: حدَّثنا شعيب عن سيف ، عن عبد الله بن سعيد بن ثابت بن الجِذْع ، وحرام بن عثمان ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، قال: لما قدِم أسامة بن زيد خرج أبو بكر واستخلفه على المدينة ، ومضى حتى انتهى إلى الرَّبَذَة يلقى بني عبس ، وذُبيان ، وجماعة من بني عبد مناة ابن كنانة، فلقيَهم بالأبْرَق ، فقاتلهم فهزمَهم الله ، وفَلَّهم ، ثم رجع إلى المدينة ، فلما جمَّ جند أسامة ، وثاب مَن حول المدينة خرج إلى ذي القَصَّة فنزل بهم ـ وهو على بريد من المدينة تلقاء نَجْد ـ فقطّع فيها الجند ، وعَقَد الألوية. عقد أحد عشر لواءً على أحد عشر جنداً ، وأمَر أمير كلّ جند باستنفار مَنْ مَرّ به من المسلمين من

---

(١) إسناده ضعيف ومتنه صحيح كما مر بنا في بقية أحاديث الردة وراجع تعليقنا على الحديث السابق.

أهل القوّة ، وتخلَّف بعضُ أهل القوّة لمنع بلادهم[١]. (٣: ٢٤٨/ ٢٤٩).

(ذكر بقية الخبر عن غطفان حين انضمت إلى طليحة وما آل إليه أمر طليحة)[٢]

١٧ ـ حدَّثنا عبيد الله بن سعد ، قال: حدَّثنا عمي ، قال: أخبرنا سيف

---

(١) إسناده ضعيف وخروج أبي بكر رضي الله عنه في بداية الأمر إلى ذي القصة معروف عند أئمة المغازي والسير؛ فقد ذكر خليفة بن خياط خروجه رضي الله عنه إلى ذي القصة فقال: ثم خرج إلى ذي القصة واستخلف على المدينة سنان الضميري وابن مسعود على أنقاب المدينة.

وقال خليفة: فحدثنا علي بن محمد عن عبد الله بن عمر الأنصاري عن هشام بن عروة عن أبيه: قال: خرج أبو بكر من المدينة للنصف من جمادى الآخرة (تأريخ خليفة بن خياط/ ١٠١) وكذلك ذكر البلاذري في كتابه خروج أبي بكر رضي الله عنه إلى القصَّة من أرض محارب لتوجيه الزحوف إلى أهل الردة ومعه المسلمون.

(مقدمة في الردة بعد وفاة رسول الله ﷺ وبداية خلافة أبي بكر)

قبل أن نناقش روايات الطبري في أحداث الردة والتي استغرقت ما يقرب من مئة صفحة ، نود أن نذكر الحديث الصحيح عن الردّة وموقف أبي بكر رضي الله عنه منها؛ إذ من المعلوم: أنه لما انتشر خبر وفاة رسول الله ﷺ ارتدت طوائف من العرب كثيرة ، حتىٰ أن ابن إسحاق حصر الذين لم يرتدوا بأهل المسجدين (المدينة ومكة) فعزم سيدنا أبو بكر لقتالهم وهداه الله للصواب في ذلك في أحرج مرحلة مرت بها جماعة الصحابة ودولة الخلافة بعد وفاة رسول الله ﷺ.

وأراد بعض الصحابة في بداية الأمر أن يقنعوا أبا بكر بالعدول عن رأيه فقال أبو بكر الصديق قولته المشهورة:

والله لو منعوني عقالاً أو عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها ، فقال عمر: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فمن قالها عصم مني ماله ودمه إلا بحقها وحسابه على الله». فقال أبو بكر: (والله لأقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال وقد قال: «إلا بحقها» ، فقال عمر: فوالله ما هو إلاَّ أن رأيت الله شرح صدر أبي بكر للقتال ، فعرفت: أنه الحق). (صحيح البخاري ، باب الاقتداء بسنن الرسول ﷺ) ، و(مسلم ، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله وغيرها).

(٢) ذكر الطبري روايات ردة طليحة ، ومن انضم إليه من القبائل متفرقاً بعض الشيء ، وسنذكرها معاً وهي في الجزء الثالث من تأريخه (طبعة دار المعارف).

ـ وحدثني السريّ ، قال: حدَّثنا شُعيب ، قال: حدَّثنا سيف ـ عن سهل بن يوسف ، عن القاسم بن محمد وبدر بن الخليل وهشام بن عروة ، قالوا: لما أرَزَتْ عَبْس وذُبيان ولِفُّها إلى البُزَاخةَ ، أرسل طليحة إلى جَدِيلة والغَوْث أن ينضمُّوا إليه ، فتعجّل إليه أناس من الحَيَّيْنِ ، وأمروا قومهم باللحاق بهم ، فقدِموا على طُلَيحَة ، وبعث أبو بكر عَدِيّاً قبل توجيه خالد من ذي القَصَّة إلى قومه ، وقال: أدْرِكْهُمْ لا يُؤكَلُوا. فخرج إليهم ففتلهم في الذِّرْوَة والغارب ، وخرج خالد في أثره ، وأمره أبو بكر أن يبدأ بطيِّيء على الأكناف ، ثم يكون وجهه إلى البُزاخة ، ثم يثلِّث بالبُطاح ، ولا يريم إذا فرغ من قوم حتى يحدِّث إليه ، ويأمره بذلك. وأظهر أبو بكر أنه خارج إلى خَيْبر ومنصبّ عليه منها حتى يلاقيَه بالأكناف ، أكناف سَلْمَىٰ؛ فخرج خالد فازورَّ عن البُزاخة ، وجَنَح إلى أجأ ، وأظهر أنه خارج إلى خيْبَر ، ثم منصبّ عليهم ، فقعَّد ذلك طيِّئاً وبطَّأهم عن طليحة؛ وقدم عليهم عديٌّ؛ فدعاهم فقالوا: لا نبايعْ أبا الفَصِيل أبداً ، فقال: لقد أتاكم قوم ليُبيحُنَّ حريمكم ، ولتُكنُّنَّه بالفَحْل الأكبر؛ فشأنكم به. فقالوا له: فاستقبل الجيش فنههْه عنّا حتى نستخرج من لحق بالبُزاخة منّا ، فإنا إن خالفنا طُلَيحة وهم في يديه قَتلهم أو ارْتَهنهم. فاستقبل عديٌّ خالداً وهو بالسُّنْح ، فقال: يا خالد ! أمسِكْ عنِّي ثلاثاً يجتمع لك خمسمئة مقاتل تضرب بهم عدوّك؛ وذلك خيرٌ من أن تُعْجِلَهم إلى النار؛ وتشاغلْ بهم؛ ففعل. فعاد عديّ إليهم وقد أرسلوا إخوانهم؛ فأتوْهم من بُزاخة كالمدَدِ لهم؛ ولولا ذلك لم يُتْركوا؛ فعاد عديّ بإسلامهم إلى خالد ، وارتحل خالد نحو الأنسُر يريد جَدِيلة ، فقال له عديّ: إن طيِّئاً كالطائر ، وإن جَدِيلة أحدُ جناحَيْ طيّيء؛ فأجّلْني أياماً لعلّ الله أن ينتقذ جَدِيلة كما انتقذ الغوْث؛ ففعل ، فأتاهم عديّ فلم يزل بهم حتى بايعوه؛ فجاءه بإسلامهم ، ولحق بالمسلمين منهم ألف راكب؛ فكان خير مولود وُلِد في أرضِ طيّيء ، وأعظمه عليهم بركة. (٣: ٢٥٣/ ٢٥٤).

١٨ ـ فحدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن طلحة بن يزيد بن رُكانة ، عن عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة ، قال: حُدِّثت: أنّ الناس لما اقتتلوا ، قاتل عُيينة مع طليحة في سبعمئة من بني فزارة قتالاً شديداً ، وطُلَيحة متلفّف في كساء له بفناء بيت له من شَعَر ، يتنبّأ لهم ،

والناس يقتتلون ، فلما هزَّتْ عُيَينة الحرب ، وضرَس القتال ، كرَّ على طليحة ، فقال: هل جاءك جبريل بعد؟ قال: لا ، قال: فرجع فقاتل حتى إذا ضرَس القتال وهزَّته الحرب كرَّ عليه فقال: لا أبا لك! أجاءك جبريل بعد؟ قال: لا والله ، قال: يقول عُيينة حلِفاً: حتى متى! قد والله بلَغ منّا! قال: ثم رجع فقاتل ، حتى إذا بلغ كرَّ عليه ، فقال: هل جاءك جبريل بعد؟ قال: نعم ، قال: فماذا قال لك؟ قال: قال لي: «إنَّ لك رحاً كرَحاه ، وحديثاً لا تنساه» ، قال: يقول عيينة: أظنَّ أن قد علم الله أنه سيكون حديث لا تنساه؛ يا بني فزارة هكذا؛ فانصرفوا؛ فهذا والله كذَّاب. فانصرفوا وانهزم الناس فغَشوا طليحة يقولون: ماذا تأمرنا؟ وقد كان أعدّ فرسه عنده ، وهيّأ بعيراً لامرأته النَّوَار ، فلما أن غَشَوه يقولون: ماذا تأمرنا؟ قام فوثب على فرسه ، وحمل امرأته ثم نجا بها ، وقال: من استطاع منكم أن يفعل مثل ما فعلت وينجو بأهله فلْيفعل؛ ثم سلك الحوشيَّة حتى لحق بالشأم وارفضّ جمعه؛ وقتل الله مَن قتل منهم ، وبنو عامر قريباً منهم على قادتِهم وسادتهم؛ وتلك القبائل من سُلَيم وهوازن على تلك الحال؛ فلما أوقع الله بطُلَيحة وفَزَارة ما أوقع ، أقبل أولئك يقولون: ندخل فيما خرجنا منه ، ونؤمن بالله ورسوله ، نُسلم لحُكْمه في أموالنا وأنفسنا. (٣: ٢٥٦).

١٩ ـ قال أبو جعفر: وكان سبب ارتداد عُيينة ، وغطَفان ، ومَن ارتدَّ من طيىء ما حدثنا عبيد الله بن سعد ، قال: أخبرني عمّي ، قال: أخبرني سيف ـ وحدثني السريّ قال: حدَّثنا شعيب عن سيف ـ عن طلحة بن الأعلم عن حبيب بن ربيعة الأسَديِّ ، عن عُمارة بن فلان الأسديّ ، قال: ارتدَّ طُلَيحة في حياة رسول الله ﷺ ، فادَّعى النبوّة ، فوجَّه النبيّ ﷺ ضِرار بن الأزور إلى عمَّاله على بني أسد في ذلك ، وأمرهم بالقيام في ذلك على كلّ مَن ارتدَّ ، فأشجوْا طليحة وأخافوه ، ونزل المسلمون بوَارِدَات. ونزل المشركون بسَمِيراء ، فما زال المسلمون في نماء والمشركون في نقصان؛ حتى همَّ ضِرار بالمسير إلى طُليحة ، فلم يَبْق [أحد] إلاَّ أخذه سلَماً ، إلاَّ ضربة كان ضربها بالجُراز ، فنبا عنه ، فشاعت في النّاس ، فأُتي المسلمون وهم على ذلك بخبر موتِ نبيّهم ﷺ ، وقال ناس من الناس لتلك الضربة: إنَّ السلاح لا يُحيك في طليحة؛ فما أمسى المسلمون من ذلك اليوم حتى عرفوا النقصان ، وارفضَّ الناس إلى طُليحة واستطار أمرُه ، وأقبل ذو الخِمارَيْن

عوفُ الجَذَمِيّ حتى نزل بإزائنا ، وأرسل إليه ثُمامة بن أوْس بن لأم الطائيّ : إنّ معي من جَديلة خمسمئة ، فإنْ دَهِمَكم أمر فنحن بالقُرْدُودة والأنسُر دُوَيْنَ الرمل. وأرسل إليه مُهَلْهِلُ بن زيد : إنّ معي حدَّ الغوث ؛ فإنْ دهِمكم أمرٌ فنحن بالأكناف بحيال فَيْد. وإنما تحدَّبتْ طيّئ على ذي الخمارين عوف : أنه كان بين أسَد وغَطَفان وطيّىء حِلْفٌ في الجاهليّة ، فلما كان قبل مبعث النبيّ ﷺ اجتمعتْ غَطَفان وأسَد على طيّىء ، فأزاحوها عن دارها في الجاهلية : غَوْثها ، وجَدِيلتها ، فكره ذلك عَوْف ؛ فقطع ما بينه وبين غَطَفان ، وتتابع الحيَّانِ على الجَلاء ، وأرسل عوف إلى الحيّين من طيّىء ، فأعاد حِلْفهم ، وقام بنصرتهم ، فرجعوا إلى دُورهم ، واشتدّ ذلك على غَطَفان ؛ فلما مات رسولُ الله ﷺ قام عُيَينة بن حِصْن في غَطَفان ؛ فقال : ما أعرف حدودَ غَطَفان منذ انقطع ما بيننا وبين بني أسَد ؛ وإني لمجدّد الحِلْف الذي كان بيننا في القديم ومتابعٌ طليحة ؛ والله لأنْ نتّبع نبيّاً من الحليفيْن أحبُّ من أن نتّبع نبيّاً من قريش ؛ وقد مات محمد ، وبَقِيَ طليْحة ! فطابَقُوه على رأيِه ، ففعل وفعلوا.

فلمّا اجتمعت غطفان على المطابَقة لطليحة هَرب ضرار ، وقُضاعيّ ، وسنان، ومَن كان قام بشيء من أمر النبيّ ﷺ في بني أسد إلى أبي بكر ، وارفضّ مَن كان معهم ، فأخبروا أبا بكر الخبر ، وأمروه بالحذَر ، فقال ضرار بن الأزور : فما رأيتُ أحداً ـ ليس رسولَ الله ﷺ ـ أمْلأ بحرب شَعواء من أبي بكر ؛ فجعلنا نخبره ، ولكأنما نخبره بما له ولا عليه. وقدمتْ عليه وفودُ بني أسد ، وغَطَفان ، وهَوازِن ، وطيّىء ، وتلقتْ وفودُ قضاعة أسامة بن زيد ، فحوّزها إلى أبي بكر ؛ فاجتمعوا بالمدينة فنزلوا على وجوه المسلمين لعاشر من مُتَوَفَّى رسول الله ﷺ ، فعرضوا الصلاةَ على أن يُعْفوا من الزّكاة ، واجتمع مَلأ مَن أنزلهم على قبول ذلك حتى يبلغوا ما يريدون ؛ فلم يبق من وجوه المسلمين أحد إلا أنزل منهم نازلاً إلا العبّاس. ثم أتوا أبا بكر فأخبروه خبرهم وما أجمع عليه ملؤُهم ، إلاّ ما كان من أبي بكر ، فإنه أبى إلاّ ما كان رسولُ الله ﷺ يأخذ ، وأبوا ، فردّهم وأجّلهم يوماً وليلة ؛ فتطايروا إلى عشائرهم. (٣ : ٢٥٧/٢٥٨).

٢٠ ـ حدَّثني السريّ ، قال : حدَّثنا شُعيب عن سيف ، عن سَهْل بن يوسف ، قال : أخذ المسلمون رجلاً من بني أسَد ، فأتِيَ به خالد بالغَمْر ـ وكان عالماً بأمر

طُليحة ـ فقال له خالد: حدِّثنا عنه وعمّا يقول لكم ، فزعم أن مما أتي به: «والحمام واليمام ، والصُّرَد الصَّوَّام ، قد صمنا قبلكم بأعوام ، ليبلغنّ مُلْكُنا العراق ، والشام». (٣: ٢٦٠) .

٢١ - حدَّثني السريّ ، قال: حدَّثنا شعيب عن سيف ، عن أبي يعقوب سعيد بن عبيد ، قال: لما أرْزَى أهل الغَمْر إلى البُزاخة ، قام فيهم طليحة ، ثم قال: «أمرت أن تصنعوا رحاً ذات عُراً ، يرمي الله بها مَنْ رَمى ، يهوي عليها من هوى» ، ثم عَبَّى جنوده. ثم قال: «ابعثوا فارسين على فرسين إلى أبي بكر: إن بني عامر أقبلت بعد إعراض ودخلت في الإسلام بعد تربص ، وإني لم أقبل من أحد قاتلني أو سالمني شيئاً حتى يجيئوني بمن عدا على المسلمين ، فقتلهم كل قتلة ، وبعثت إليك بقرّة وأصحابه[1]. (٣: ٢٦٢/ ٢٦٣) .

---

(١) أما بقية الروايات التي لم نذكرها فقد ذكرناها في القسم الضعيف من عهد الخلفاء الراشدين.
أولاً: ذكر الروايات عند غير الطبري من المؤرخين المتقدمين:
١ - أخرج خليفة بن خياط من طريق علي بن محمد عن مسلمة ، عن داود ، عن عامر ، وأبي معشر عن يزيد بن رومان: أن أبا بكر خرج إلى ذي القصة وهمّ بالمسير بنفسه. فقال له المسلمون: إنك لا تصنع بالمسير بنفسك شيئاً ، ولا ندري لم تقصد؟ فأمِّر رجلاً تأمنه وتثق به وارجع إلى المدينة فإنك تركتها تغلي بالنفاق ، فعقد لخالد بن الوليد على الناس ، وأمَّر على الأنصار خاصة ثابت بن قيس بن شمَّاس وعليهم جميعاً خالد ، وأمره أن يصمد لطليحة وأظهر أبو بكر مكيدة فقال لخالد: إني موافيك بمكان كذا وكذا (تأريخ خليفة/ ١٠٢).
٢ - وقال مسلمة عن داود ، عن عامر ، وعثمان بن عبد الرحمن عن الزهري: أن خالداً سار من ذي القصّة في ألفين وسبعمئة إلى الثلاثة آلاف يريد طليحة ، ووجَّه عكاشة بن محصن ، وثابت بن أقرم بن ثعلبة الأنصاري حليف لهم من بليّ فانتهوا إلى قطن فصادفا بها حبالاً وأخذا ما معه.
فخرج طليحة وسلمة ابنا خويلد فلقيا عكاشة وثابتاً ، فقتلا عكاشة وثابتاً وسار خالد إلى بُزاخة ، فلقي طليحة ومعه عيينة بن حصن الفزاري وقرّة بن هبيرة القيري ، فاقتتلوا قتالاً شديداً.
وهزم الله طليحة وهرب إلى الشام وأسر عيينة وقرة بن هبيرة ، فبعث بهما خالد إلى أبي بكر فحقن دماءهما ، وتفرّق الناس عن بُزاخة ، فأتى ناس غَمْرَ مرزوق ، فسار إليهم خالد فقتل منهم ناساً كثيراً ، وانهزم الآخرون بعد قتالٍ شديد (تأريخ خليفة/ ١٠٢).
٣ - وأخرج خليفة بن خياط: حدثنا بكر عن ابن إسحاق ، قال: حدثني محمد بن طلحة بن يزيد بن ركانة عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، قال: قاتل عيينة مع طليحة في سبعمئة من=

= بين فزارة فانهزم الناس وهرب طليحة إلى الشام وانفض جمعه. (تأريخ خليفة/ ١٠٣).
هذه ثلاث روايات عن طليحة وما جرى بينه وبين المسلمين من وقائع (عند ابن خليفة).
٤ ـ قال الحافظ في الإصابة في ترجمة ثابت بن أقرم (حليف الأنصار): واتفق أهل المغازي على أن ثابت بن أقرم قتل في عهد أبي بكر، قتله طليحة بن خويلد الأسدي (الإصابة ١/ ٥٠١/ت ٨٧٤).
٥ ـ أخرج يعقوب بن سفيان في تأريخه من طريق الزهري، قال: خرج أبو بكر غازياً، ثم أمر خالداً وندب معه الناس، وأمره أن يسير في ضاحية مضر، فيقاتل من ارتد، ثم يسير إلى اليمامة، فسار فقاتل طليحة فهزمه الله تعالى فذكر القصّة (الإصابة ٣/ ٢٥٨) (المعرفة والتأريخ ٣/ ٢٩٠).
٦ ـ ونسب ابن حجر إلى محمد بن عثمان بن أبي شيبة: أنه أخرج من طريق عبد الملك بن عمير نحو ما رواه الزهري وفيها: يا أمير المؤمنين فمعاشرة جميلة، فإن الناس يتعاشرون مع البغضاء، قال: وأسلم طليحة إسلاماً صحيحاً ولم يُغْمَصْ عليه في إسلامه بعد، وأنشد له في صحة إسلامه شعراً (الإصابة ٣/ ٤٤١) ثم ذكر الحافظ: أنه ناقش مع القاضي جلال الدين البلقيني رواية عند الشافعي ذكرها في الأم وفيها: (أن عمر رضي الله عنه قتل طليحة، وعيينة بن بدر) فاستغربه البلقيني جداً. وقال الحافظ: ولعله (أي لفظه): قتل بالباء الموحدة أي (قَبِلَ) منهما الإسلام فالله أعلم (الإصابة ٣/ ٤٤١).
٧ ـ أخرج البلاذري قال: ثنا إبراهيم بن محمد عن عرعرة، قال: ثنا عبد الرحمن بن مهدي قال: أخبرنا سفيان الثوري عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال: قدم وفد بُزاخة على أبي بكر فخيّرهم بين الحرب المجلية والسلم المخزية. فقالوا: قد عرفنا الحرب المجلية فما السلم المخزية؟ قال: أن ننزع منكم الحلقة والكراع ونغنم ما أصبنا منكم، وتردّوا إلينا ما أصبتم منا، وتدُوا قتلانا ويكون قتلاكم في النار (فتوح البلدان/ ١٣٢).
قلنا: وفي الأصل عن قيس بن مسلم عن مسلم عن طارق بن شهاب وهو تصحيف أو خطأ مطبعي وإلاّ فإن قيساً يروي عن طارق هذا بلا مباشرة. وقد صحح الحافظ ابن حجر إسناداً أخرجه الطبري من طريق شعبة عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال: رأيت النبي ﷺ وغزوت في خلافة أبي بكر.
وقال الحافظ أيضاً: وحديث طارق عن الصحابة في الكتب الستة، منهم الخلفاء الأربعة (الإصابة ٣/ ٤١٤).
وأخرج الذهبي هذه الرواية في تأريخه عن الثوري، عن قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب قال: لمّا قدم وفدُ بزاخة وأسد وغطفان على أبي بكر يسألونه الصلح... الخبر...
وفي آخره: وتشهدون أن قتلانا في الجنة، وأن قتلاكم في النار، وتدون قتلانا ولا ندي قتلاكم، فقال عمر: أمّا قولك: (تدون قتلانا) فإن قتلانا قتلوا على أمر الله لا ديات. فاتبع =

= عمر. وقال عمر في الباقي: نعم ما رأيت (عهد الخلفاء الراشدين/ ٣٢).
وأخرج الحافظ ابن كثير هذه الرواية عن طارق بن شهاب مع اختلاف بسيط في الألفاظ ثم قال: ورواه البخاري من حديث الثوري بسنده مختصراً. (البداية والنهاية ٦/ ٣٢٣).
٨ - وأخرج ابن سعد من طريق ضعيف (الواقدي) عن عميلة الفزاري عن أبيه قال: خرج خالد بن الوليد يستعرض الناس فكلما سمع أذاناً للوقت كفّ وإذا لم يسمع أذاناً أغار، فلما دنا من القوم ببزاخة بعث عكاشة بن محصن وثابت بن أقرم طليعة أمامه يأتيانه بالخبر، وكانا فارسين، عكاشة على فرس يقال له: الرزام وثابت على فرس يقال له: المحبر، فلقيا طليحة وأخاه سلمة ابني خويلد طليعة لمن وراءهما من الناس فانفرد طليحة بعكاشة وسلمة بثابت بن أقرم فلم يلبث سلمة أن قتل ثابت بن أقرم، وصرخ طليحة بسلمة: أعنّي على هذا الرجل فإنه قاتلي. فكرّ سلمة على عكاشة فقتلاه جميعاً. وأقبل خالد بن الوليد معه المسلمون فلم يدعهم إلاّ ثابت بن أقرم قتيلاً تطؤه المطيّ فعظم ذلك على المسلمين، ثم لم يسيروا إلا يسيراً حتى وطئوا عكاشة قتيلاً. (الطبقات ٣/ ٤٦٧).
٩ - وأخرج ابن سعد أيضاً رواية أخرى من طريق الواقدي عن أبي واقد الليثي قال: كنّا نحن المقدمة مئتي فارس وعلينا زيد بن الخطاب، وكان ثابت بن أقرم وعكاشة بن محصن أمامنا، فلما مررنا بهما سيء بنا، وخالد والمسلمون وراءنا بعد، فوقفنا عليهما حتى اطلع خالد بن الوليد يسير فأمرنا فحفرنا لهما ودفنّاهما بدمائهما وثيابهما ولقد وجدنا بعكاشة جراحات منكرة، قال محمد بن عمر (أي: الواقدي): هذا أثبت ما سمعنا في قتلهما وكان قتلهما طليحة الأسدي ببزاخة سنة اثنتي عشرة (الطبقات ٣/ ٤٦٧).
وقال ابن سعد: شهد بدراً، وأحداً، والخندق، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وخرج مع خالد بن الوليد إلى أهل الردة في خلافة أبي بكر، وكذلك قال ابن إسحاق. (٣/ ٤٦٦).
١٠ - أخرج البلاذري في فتوح البلدان: أن أبا بكر أمر خالداً أن يصمد لطليحة بن خويلد الأسدي، وكان قد ادعىٰ النبوة، وهو يومئذ ببزاخة، وبزاخة ماء لبني أسد بن خزيمة فسار إليه خالد وقدّم أمامه عكاشة بن محصن الأسدي، حليف بني عبد شمس، وثابت بن أقرم البلوي، حليف الأنصار، فلقيهما حبال بن خويلد فقتلاه وخرج طليحة وسلمة أخوه وقد بلغهما الخبر فلقيا عكاشة وثابتاً فقتلاهما، فقال طليحة:

ذكرت أخي لما عرفت وجوههم ... وأيقنت أني ثائر بحبال
عشية غادرت ابن أقرم ثاوياً ... وعكاشة الغنمي عند مجال

ثم التقى المسلمون وعدوهم، واقتتلوا قتالاً شديداً، وكان عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر مع طليحة في سبعمئة من بني فزارة، فلما رأى سيوف المسلمين قد استلحمت المشركين؛ أتاه فقال له: أما ترى ما يصنع جيش أبي الفضل، فهل جاءك جبريل بشيء، قال: نعم جاءني فقال: إن لك رحاً مثل رحاه، ويوماً لا تنساه، فقال عيينة: أرى والله إن لك يوماً=

٢٢ ـ حدّثنا ابنُ حُميد ، قال: حدّثنا سلَمة عن ابن إسحاق ، قال: لمّا فرغ خالد من أمر بني عامر وبيعتهم على ما بايعهم عليه ، أوثق عُيينة بن حِصن وقُرّة بن هبيرة ، فبعث بهما إلى أبي بكر ، فلمّا قدِما عليه قال له قرّة: يا خليفةَ رسولِ الله ! إنِّي قد كنت مسلماً ، ولي من ذلك على إسلامي عند عمرو بن العاص شهادة؛ قد مرّ بي فأكرمته وقرّبته ومنعته. قال: فدَعا أبو بكر عمرَو بن العاص ، فقال: ما تعلم من أمر هذا؟ فقصّ عليه الخبر ، حتى انتهى إلى ما قال له من أمر الصّدقة ، قال له قرّة: حسبك رحمك الله! قال: لا والله؛ حتى أبلِّغ له كلّ ما قلت، فبلّغ له، فتجاوز عنه أبو بكر ، وحقَن دمه[١]. (٣: ٢٥٩ ـ ٢٦٠).

= لا تنساه؛ يا بني فزارة هذا كذاب ! وولّى عن عسكره فانهزم الناس وظهر المسلمون وأسر عيينة بن حصن فَقُدِمَ به المدينة فحقن أبو بكر دمه وخلى سبيله وهرب طليحة بن خويلد فدخل خباء له فاغتسل ، وخرج فركب فرسه وأهلَّ بعمرة ثم مضى إلى مكة ثم أتى المدينة مسلماً. وقيل: بل أتى الشام فأخذه المسلمون ممن كان غادياً ، وبعثوا به إلى أبي بكر بالمدينة فأسلم وأبلى في فتح العراق ونهاوند.

وقال له عمر: أقتلت العبد الصالح عكاشة بن محصن؟ فقال: إن عكاشة بن محصن سُعِدَ بي وشقيت به وأنا أستغفر الله. ا. هـ. (فتوح البلدان ١٣٤) هكذا ذكره البلاذري بلا إسناد.

(١) إسناده ضعيف ولكن له ما يشهد لأصل القصة (أي وقوع قرة بن هبيرة في الأسر ثم تجاوز أبي بكر عنه وأمره بأداء الصدقة وأنه أنكر أن يكون قد ارتد بقلبه).

قال الحافظ في الإصابة: وهذا رواه ابن أبي داود والبغوي وابن شاهين من طريق الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن سعيد بن نشيط أن قرة بن هبيرة قدم على رسول الله ﷺ فلما كان في حجة الوداع نظر إليه رسول الله ﷺ وهو على ناقة قصيرة فقال: (يا قرّة كيف قلت حيث لقيتني) فذكره وزاد فيه: ثم بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى البحرين وتوفي رسول الله ﷺ وعمرو هنالك . . . ثم قال الحافظ (بعد قليل): وقصة مسيلمة أوردها ابن شاهين متصلة بالخبر المذكور وزاد عمر ويعني ابن العاص ، فمررت بمسيلمة فأعطاني الأمان. ثم قال: إن محمداً أرسل في جسيم الأمر وأرسلت في المحقرات. فقال: اعرض عليّ ما تقول فذكر كلامه ، وفيه فقال عمرو: فقلت والله إنك من الكاذبين ، فتوعدني فقال لي قرة بن هبيرة: ما فعل صاحبكم؟ فقلت: إن الله اختار له ما عنده ، فقال: لا أصدّق أحداً منكم بعد. قال: ثم لقيته بعد ذلك وقد أمّنه أبو بكر وكتب معه أن أدّ الصدقة ، فقلت: ما حملك على ما قلت؟ قال: كان لي مال وولد فتخوّفت من مسيلمة وإنما أردت أني لا أصدّق من بعده أنه رسول الله (الإصابة ٥/ ٣٣٤/ت ٧١٢١).

أما علقمة بن علاثة الذي تحدثت عنه رواية سيف هذه فلقصته ما يؤيده عند ابن أبي شيبة في=

ذكر رِدّة هوازن وسليم وعامر

٢٣ - حدّثنا السريّ عن شُعيب ، عن سيف ، عن سهل وعبد الله ، قالا : أمّا بنو عامر فإنهم قدّموا رِجْلاً وأخّروا أخرى ، ونظروا ما تصنع أسد وغَطَفان؛ فلما أحيطَ بهم وبنو عامر على قادتِهم وسادتهم؛ كان قُرّة بن هُبيرة في كعب ومن لافَّها ، وعلقمة بن عُلاَثَة في كلاب ومَن لافَّها؛ وقد كان علقمة أسلمَ ثم ارتدّ في أزمان النبيّ ﷺ ، ثم خرج بعد فَتْح الطائف حتى لحق بالشام؛ فلما تُوُفِّيَ النبيّ ﷺ أقبل مسرعاً حتى عسكر في بني كَعْب ، مقدّماً رجلاً ومؤخِّراً أخرى؛ وبلغ ذلك أبا بكر ، فبعث إليه سريّة ، وأمَّر عليها القَعْقاع بن عمرو ، وقال: يا قعقاع ! سِرْ حتى تُغير على عَلْقمة بن عُلاثة ، لعلك أن تأخذه لي أو تقتله؛ واعلم أنّ شفاء الشَّقّ الحوْص ، فاصنع ما عندك. فخرج في تلك السريّة؛ حتى أغار على الماء الذي عليه عَلْقمة؛ وكان لا يبرح أن يكون على رِجْل؛ فسابقهم على فرسِه؛ فسبقهم مراكضةً ، وأسلم أهلُه وولده ، فانتسف امرأتَه وبناتِه ونساءَه ، ومَن أقام من الرجال؛ فاتّقوْه بالإسلام ، فقدِم بهم على أبي بكر ، فجحد ولده وزوجته أن يكونوا مالؤوا علقمة ، وكانوا مقيمين في الدار ، فلم يبلغه إلاّ ذلك ، وقالوا: ما ذنبنا فيما صنع علقمة من ذلك! فأرسلهم ثم أسلم ، فقبل ذلك منه[1] . (٣: ٢٦١ - ٢٦٢) .

= مصنفه من طريق أشعث عن ابن سيرين قال: ارتدّ علقمة بن علاثة فبعث أبو بكر إلى امرأته وولده ، فقالت المرأة: إن كان علقمة كفر فإني لم أكفر أنا ولا ولدي ، قال: فذكرت ذلك للشعبي فقال: هكذا فعل بهم (الإصابة ٤/٤٥٦/ت ٥٦٩١) أي: أن تابعين جليلين يرويان هذه القصة مرسلاً ، فتعددت مخارج الرواية المرسلة هذه علماً بأن مراسيل الشعبي قوية والله أعلم.

(١) إسناده ضعيف وقد ذكرناه في قسم الصحيح لشواهده وقد ذكرنا بعضها عند تحقيقنا للأثر (٦٤) فراجعها هنالك وهي تتعلق بمقدم أهل علقمة بن علاثة على أبي بكر وإقرارهم بالإسلام وأنهم لم يوافقوا علقمة بن علاثة على ارتداده.
أما لحوقه بالشام فله ما يؤيده عند أبي عوانة في صحيحه من طريق ابن أبي حدْرد الأسلمي =

ذكر بقية خبر مسيلمة الكذاب وقومه من أهل اليمامة

٢٤ - وكتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن طلحة بن الأعلم ، عن عبيد بن عمير ، عن رجل منهم ، قال : لما بلغ مسيلمة دنوُّ خالد ؛ ضرب عسكره بعقرّباء ، واستنفر الناس ، فجعل النّاس يخرجون إليه ، وخرج مَجّاعة بن مُرَارة في سريّة يطلب ثأراً له في بني عامر وبني تميم قد خاف فواته ، وبادر به الشغل ، فأمَّا ثأره في بني عامر ، فكانت خَوْلة بنة جعفر فيهم ، فمنعوه منها ، فاختلجها؛ وأما ثأره في بني تميم فنعَمٌ أخَذُوا له . واستقبل خالدٌ شُرَحبيل بن حَسَنة ، فقدمه وأمّر على المقدمة خالد بن فلان المخزوميّ ، وجعل على المجنَّبَتَيْن زيداً وأبا حُذَيفة ، وجعل مُسيلمة على مجنّبتيه المحكَّم والرّجَّال ، فسار خالد ومعه شُرَحبيل ، حتى إذا كان من عسكر مسيلمة على ليلة ؛ هجم على جُبَيلة هجوم - المقلِّل يقول : أربعين ، والمكثِّر يقول : ستين - فإذا هو مجّاعة وأصحابه ، وقد غَلَبهم الكَرَى ، وكانوا راجعين من بلاد بني عامر ، قد طوَوْا إليهم ؛ واستخرجوا خَوْلة بنة جعفر فهي معهم ، فعرّسوا دون أصل الثنيَّة ؛ ثنيَّة اليمامة ، فوجدوهم نياماً وأرسان خيولهم بأيديهم تحت خدودهم وهم لا يشعرون بقرب الجيش منهم ؛ فأنبهوهم ، وقالوا : مَن أنتم؟ قالوا : هذا مَجّاعة وهذه حنيفة ، قالوا : وأنتم فلا حيَّاكم الله! فأوثقوهم وأقاموا إلى أن جاءهم خالد بن الوليد ، فأتوْه بهم ؛ فظنّ خالد : أنهم جاؤوه ليستقبلوه وليتَّقوه بحاجته ، فقال : متى سمعتم بنا؟ قالوا : ما شَعَرْنا بك ؛ إنَّما خرجنا لثأر لنا فيمَن حولنا من بني عامر وتميم ، ولو فطنوا لقالوا : تلقيناك حين سمعنا بك . فأمر بهم أن يقتلوا ، فجادوا كلُّهم

= قال : قال محمد بن مسلمة : كنا يوماً عند رسول الله ﷺ فقال : يا حسان ! أنشدني من شعر الجاهلية . فأنشده قصيدة الأعشى التي هجا بها علقمة بن علاثة ، ومدح عامر بن الطفيل . فقال : يا حسّان لا تعد تنشدني هذه القصيدة . فقال : يا رسول الله تنهاني عن رجل مشرك مقيم عند قيصر . فقال : إن قيصر سأل أبا سفيان عنّي فتناول مني ، وسأل علقمة فأحسن القول ، فإن أشكر الناس للناس أشكرُهم لله تعالى . (الإصابة ٤/ ٤٥٦) .

بأنفسهم دُون مَجّاعة بن مرارة ، وقالوا: إن كنتَ تريد بأهل اليمامة غداً خيراً أو شرّاً فاستبق هذا ولا تقتله؛ فقتلهم خالد وحبس مَجَّاعة عنده كالرَّهينة[١]. (٣: ٢٨٦/٢٨٧).

٢٥ ـ كتب إليّ السريّ ، قال: حدّثنا شُعيب ، عن سيف عن طلحة ، عن عِكْرمة ، عن أبي هريرة ، وعبد الله بن سَعيد عن أبي سعيد عن أبي هريرة ، قال: قد كان أبو بكر بعثَ إلى الرجّال فأتاه فأوصاه بوصيَّته ، ثم أرسله إلى أهل اليمامة؛ وهو يرى أنَّه على الصدق حين أجابه. قالا: قال أبو هريرة: جلستُ مع النبيّ ﷺ في رهط معنا الرّجَّال بن عُنْفوة ، فقال: إنّ فيكم لرجلاً ضِرْسه في النار أعظم من أحُد ، فهلك القوم وبقيت أنا والرّجال ، فكنت متخوّفاً لها؛ حتى خرج الرّجَّال مع مُسيلمة ، فشهد له بالنبوّة؛ فكانت فتنة الرّجَّال أعظَم من فتنة مُسيلمة ، فبعث إليهم أبو بكر خالداً ، فسار حتى إذا بلغ ثنيّة اليمَامة ، استقبل مَجّاعة بن مُرارَة ـ وكان سيّد بني حنيفة ـ في جِبلّ من قومه ، يريد الغارة على بني عامر ، ويطلبُ دماً ، وهم ثلاثة وعشرون فارساً ركباناً قد عرّسوا. فبيّتهم خالد في معرَّسهم ، فقال: مَتَى سمعتم بنا؟ فقالوا: ما سمعنا بكم؛ إنَّما خرجنا لنثأر بدم لنا في بني عامر. فأمر بهم خالد فَضُرِبَتْ أعناقهم ، واستحيَا مجّاعة؛ ثم سار إلى اليمامة؛ فخرج مسيلمة وبنو حَنِيفة حين سمعوا بخالد ، فنزلوا بعقرباء ، فحلّ بها عليهم ـ وهي طرف اليمامة دون الأموال ـ وريف اليمامة وراء ظهورهم. وقال شُرحبيل بن مُسيلمة: يا بني حنيفة ، اليومَ يومُ الغَيْرة ، اليوم إن هزمتم تستردَفُ النّساء سبيَّات ، ويُنْكحْن غير خطيبات؛ فقاتلوا عن أحسابكم ، وامنعوا نساءكم. فاقتتلوا بعقرَباء ، وكانت رايةُ المهاجرين مع سالم مولَى أبي حذيفة ، فقالوا: تخشى علينا من نفسك شيئاً! فقال: بئس حامل القرآن أنا إذاً! وكانت راية الأنصار مع ثابت بن قيس بن شمَّاس ، وكانت العرب على راياتها ومجَّاعة أسيرٌ مع أمّ تميم في فُسطاطها ، فجال المسلمون جَوْلَةً ، ودخل أناس من بني حَنِيفة على أمّ تميم ، فأرادوا قتلَها ، فمنعها مجّاعة. قال: أنا لها جارٌ ، فنِعْمَتِ الحُرَّة هي! فدفعهم عنها ، وترادَّ المسلمون ، فكرُّوا عليهم؛ فانهزمت بنو حنيفة ، فقال

---

(١) إسناده ضعيف وسنذكر ما ورد في قصة مسيلمة الكذاب وقتله عند البخاري وغيره إن شاء الله بعد قليل.

المحكّم بن الطّفيْل: يا بني حنِيفة ، ادخلوا الحديقة؛ فإني سأمنع أدباركم، فقاتلَ دونهم ساعة ثم قتله الله؛ قتله عبد الرحمن بن أبي بكر؛ ودخل الكفار الحديقة ، وقتَل وحشِيّ مسيلمة، وضربه رجلٌ من الأنصار فشاركه فيه(١) . (٣: ٢٨٧/ ٢٨٨) .

٢٦ ـ حدّثنا ابن حميد ، قال: حدّثنا سلَمة ، قال: وحدّثني محمد بن إسحاق عن عبد الله بن الفضل بن العباس بن ربيعة ، عن سليمان بن يسار ، عن عبد الله ابن عُمَر ، قال: سمعتُ رجلاً يومئذ يصرُخ يقول: قتله العبد الأسود!(٢) . (٣: ٢٩١) .

---

(١) إسناده ضعيف وسنذكر ما يؤيده بعد قليل.

(٢) إسناده ضعيف والحديث أخرجه الطيالسي وفيه قال ابن عمر: كنت في الجيش يومئذ فسمعت قائلاً يقول في مسيلمة: قتله العبد الأسود (منحة المعبود ٢/ ١٠١).
ذكرنا هذه الروايات هنا لعدم تعلقها بمسائل الحلال والحرام والمسائل العقيدية ولا طعن فيها في عدالة الصحابة ولأصلها ما يؤيده كما سنذكر:
١ ـ أخرج البخاري عن موسى بن أنس (وذكر يوم اليمامة) قال: [أتى أنس بن مالك ثابت بن قيس وقد حسر عن فخذيه وهو يتحنط قال: يا عمّ ما يحبسك أن لا تجيء؟ قال: الآن يا بن أخي ، وجعل يتحنط ـ يعني من الحنوط ـ ثم جاء فجلس ، فذكر في الحديث انكشافاً من الناس فقال: هكذا عن وجوهنا حتى نضارب القوم ، ما هكذا كنا نفعل مع رسول الله ﷺ ، بئس ما عودتم أقرانكم (فتح الباري ٦/ ٦٠/ ٦١) والحديث أخرجه خليفة بن خياط في تأريخه من حديث موسى بن أنس بن مالك قال: لما انكشف الناس يوم اليمامة أتى أنس بن مالك ثابت بن قيس. . . الحديث]. (تأريخ خليفة/ ١٠٧).
٢ ـ وأخرج البخاري عن قتادة قال: ما نعلم حياً من أحياء العرب أكثر شهيداً أغرّ يوم القيامة من الأنصار. قال قتادة: وحدثنا أنس بن مالك أنه قتل منهم يوم أحد سبعون ، ويوم بئر معونة سبعون ، ويوم اليمامة سبعون؛ قال: وكان بئر معونة على عهد رسول الله ﷺ ويوم اليمامة على عهد أبي بكر يوم مسيلمة الكذاب (الفتح ٧/ ٤٣٣).
٣ ـ وأخرج البخاري عن وحشي بن حرب في قصته عن قتل حمزة قال: (فلما قبض رسول الله ﷺ فخرج مسيلمة الكذاب قلت: لأخرجن إلى مسيلمة لعلي أقتله فأكافئ به حمزة قال: فخرجت مع الناس فكان من أمره ما كان. قال: فإذا رجل قائم في ثلمة جدار كأنه جمل أورق ثائر الرأس ، قال: فرميته بحربتي فأضعها بين ثديه حتى خرجت من بين كتفيه ، قال: ووثب رجل من الأنصار فضربه بالسيف على هامته (الفتح ٧/ ٤٢٥).
قال الحافظ: قوله: (ووثب إليه رجل من الأنصار) هو عبد الله بن زيد بن عاصم المازني ، كما جزم به الواقدي وإسحاق بن راهويه والحاكم (٣/ ٥٣٠).
٤ ـ وأخرج خليفة في تأريخه من طريق علي وموسى عن حماد بن سلمة عن هشام بن عروة=

= عن أبيه قال: جال المسلمون حتى بلغوا الرّحال فقال السائب بن العوام: يا أيها الناس قد بلغتم الرحال فليس لأحد مفر بعد رحاله فارجعوا، فرجعوا فهزم الله المشركين وقتل مسيلمة (تأريخ خليفة ١٠٨) وهذا إسناد مرسل حسن الإسناد إلى مرسله عروة.

٥ ـ وأخرج خليفة حدثنا الأنصاري عن أبيه عن ثمامة عن أنس بن مالك قال: بارز البراء محكم اليمامة، فاختلفا ضربتين فضرب محكم اليمامة حَجَفة كانت مع البراء حتى عض السيف بيده وضرب البراء رجله فقطعها وأخذ سيفه فذبحه به.

٦ ـ وأخرج خليفة من طريق محمد بن عبد الله الأنصاري عن أبيه عن ثمامة عن أنس بن مالك قال: رمى البراء بنفسه عليهم فقاتلهم حتى فتح الباب وفيه بضع وثمانون جراحة من بين رمية بسهم وضربة، فحمل إلى رحله يداوى فأقام عليه خالد شهراً (تأريخ خليفة/ ١٠٩).

٧ ـ وأخرج خليفة بن خياط قال: حدثنا بكر قال: ثنا ابن إسحاق قال: ثنا عبد الله بن الفضل بن عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة بن الحارث عن سليمان بن يسار عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري، قال: حدثنا وحشي قال: لما خرج الناس إلى مسيلمة خرجت معهم وأخذت حربتي التي قتلت بها حمزة، فلما التقى الناس رأيت مسيلمة قائماً في يده السيف وما أعرفه، فتهيأت له وتهيأ له رجل من الأنصار من الناحية الأخرى كلانا يريده، فهززت حربتي حتى إذا رضيت عنها دفعتها عليه فوقعت فيه، وضربه الأنصاري بالسيف فربّك أعلم أينا قتله (تأريخ خليفة بن خياط/ ١١٠).

قلنا: وهذا حديث صحيح أخرجه البخاري كما سبق أن ذكرنا مع اختلاف يسير في الألفاظ وكذلك أخرجه ابن عبد البرّ وسمى الأنصاري: عبد الله بن زيد، وكذلك سماه الحاكم في المستدرك (٣/ ٥٣٠).

٨ ـ وأخرج خليفة بن خياط قال: حدثنا أبو عبيدة عن حماد بن سلمة عن ثابت بن أنس قال: رمى أبو دجانة بنفسه في الحديقة فانكسرت رجله فقاتل حتى قتل ـ وإسناده حسن.

٩ ـ وأخرج خليفة بن خياط من طريق الحسن عن سلام بن أبي مطيع عن قتادة عن ابن المسيب قال: شهداء اليمامة خمسمئة فيهم خمسون أو ثلاثون من حملة القرآن. (تأريخ خليفة/ ١١١).

١٠ ـ أما مُجّاعة بن مرارة بن سلمى الذي جاء ذكره في روايات سيف عند الطبري وأنه ساعد المسلمين باستشاراته العسكرية يوم اليمامة فقد ترجم له ابن حجر في الإصابة وقال: كان من رؤساء بني حنيفة وأسلم ووفد. فأخرج أبو داود عن محمد بن عيسى بن عنبسة بن عبد الواحد عن الدخيل بن إياس عن هلال بن سراج بن مُجّاعة عن أبيه عن جده مجاعة أنه أتى النبي ﷺ يطلب دية أخيه... الحديث الإصابة (٥/ ٥٧٠/ ت ٧٧٣٨).

وذكره ابن سعد في طبقاته فيمن نزل اليمامة من أصحاب رسول الله ﷺ (الطبقات الكبرى ٥/ ٥٤٩) وروى ابن سعد قصة لقائه بخالد في طريق اليمامة وأن مجاعة قال: والله ما أقرب

ذكر خبر أهل البَحْرَيْن وردّة الحُطَم ومَن تجمّع معه بالبحرين

٢٧ ـ قال أبو جعفر: وكان فيما بلَغنا من خَبَر أهل البحرين وارتداد مَنِ ارتدّ منهم كما حدثنا عبيد الله بن سعد، قال: أخبرَنا عَمّي يعقوب بن إبراهيم، قال: أخبرنا سَيْف، قال: خرج العَلاء بن الحضرميّ نحو البحرين؛ وكان من حديث البحريْن: أنّ النبيّ ﷺ والمنذر بن ساوى اشتكيا في شهر واحد، ثم مات المنذر بعد النبيّ ﷺ بقليل، وارتدّ بعده أهلُ البحرين، فأمَّا عبد القيس ففاءت، وأمَّا

= مسيلمة ولقد قدمت على رسول الله ﷺ فأسلمت وما غيّرت ولا بدلت. وهذه الرواية وإن كانت من طريق الواقدي ولكنها أقوى من رواية الطبري من طريق سيف في بيان السبب الذي دفع خالداً إلى استبقائه، والسبب هنا أوجه وذلك أنه أقسم لخالدٍ أنه لم يرتد ولا زال على إسلامه ولا ينفي أنه من كبار ووجهاء بني حنيفة فاستعان به خالد على رجوع قومه إلى الإسلام.

١١ ـ وأما ثمامة بن أثال فقد ترجم له الحافظ في الإصابة وقال: حديثه في البخاري من طريق سعيد المقبري عن أبي هريرة قال: بعث النبي ﷺ خيلاً قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال . . . الحديث وفيه إسلام ثمامة . . . ثم قال الحافظ في نهاية ترجمته: وروى ابن مندة من طريق علباء بن أحمر، عن عكرمة عن ابن عباس قصة إسلام ثمامة ورجوعه إلى اليمامة ومنعه عن قريش ونزول قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٦] وإسناده حسن. (الإصابة في تمييز الصحابة ١/ ٥٢٦/ ت ٩٦٣).

١٢ ـ أما البراء بن مالك بن النضر الأنصاري أخو أنس بن مالك فقد ترجم له الحافظ في الإصابة وأخرج روايتين في مساهمته في يوم اليمامة فقال الحافظ: وفي تأريخ السّراج من طريق يونس عن الحسن وعن ابن سيرين عن أنس: أن خالد بن الوليد قال للبراء يوم اليمامة: قم يا براء قال: فركب فرسه فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا أهل المدينة، لا مدينة لكم اليوم، وإنما هو الله وحده والجنة، ثم حمل وحمل الناس معه. فانهزم أهل اليمامة فلقي البراء محكم اليمامة فضربه البراء وصرعه فأخذ سيف محكم اليمامة فضرب به حتى انقطع.

ثم قال الحافظ ابن حجر: وروى البغوي من طريق أيوب عن ابن سيرين عن أنس بن البراء قال: لقيت يوم مسيلمة رجلاً يقال له حمار اليمامة رجلاً جسيماً بيده السيف أبيض، فضربت رجليه، فكأنما أخطأته وانقعر، فوقع على قفاه، فأخذت سيفه وأغمدت سيفي، فما ضربت به ضربة حتى انقطع [الإصابة في تمييز الصحابة ١/ ٤١٣/ ت ٦٢٠].

بكر فتمَّت على رِدّتها؛ وكان الذي ثنَى عبدَ القيس الجارودُ حتى فاؤوا[١]. (٣: ٣٠١).

٢٨ ـ حدّثنا عُبيد الله، قال: أخبرَنا عمّي، قال: أخبرنا سيف عن إسماعيل بن مسلم، عن الحسن بن أبي الحسن، قال: قَدِم الجارود بن المُعَلَّى عَلَى النبيّ ﷺ مرتدّاً، فقال: أسلِم يا جارود، فقال: إنّ لي ديناً، قال له النبي ﷺ: إنّ دينك يا جارود ليس بشيء، وليس بدين؛ فقال له الجارود: فإنْ أنا أسلمت فما كان من تبعةٍ في الإسلام فعليك؟ قال: نعم. فأسلم ومكث بالمدينة حتى فَقُهَ. فلما أرادَ الخروج، قال: يا رسولَ الله، هل نجدُ عند أحد منكم ظهراً نتبلّغ عليه؟ قال: ما أصبح عندنا ظهر. قال: يا رسول الله؛ إنَّا نَجِد بالطريق ضَوالّ من هذه الضوالّ، قال: تلك حَرقُ النار، فإيَّاك وإيَّاها. فلمَّا قدم على قومه دعاهم إلى الإسلام فأجابوه كلُّهم، فلم يلبث إلاّ يسيراً حتى مات النبيّ ﷺ. فقالت عبد القيس: لو كان محمدٌ نبيّاً لما مات؛ وارتدوا، وبلغه ذلك فبعث فيهم فجمعهم، ثم قام فخَطَبهم، فقال: يا معشَر عبد القيس! إني سائلُكم عن أمر فأخبروني به إن علمتموه ولا تجيبوني إن لم تَعْلموا قالوا: سلْ عَمَّا بدا لك، قال: تعلمون أنَّه كان لله أنبياء فيما مضى؟ قالوا: نعم، قال: تعلمونه أو ترونه؟ قالوا: لا بل نعلمه، قال: فما فعلوا؟ قالوا: ماتوا، قال: فإن محمداً ﷺ مات كما ماتوا، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً عبده ورسوله، قالوا: ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله؛ وأنَّك سيِّدنا وأفضلُنا. وثبتوا على إسلامهم، ولم يبسطوا ولم يُبْسَط إليهم وخَلَّوْا بين سائر ربيعة وبين المنذر والمسلمين، فكان المنذر مشتغلاً بهم حياته، فلمَّا مات المنذر حُصِر أصحاب المنذر في مكانين حتى تنقَّذهم العلاء[٢]. (٣: ٣٠١/ ٣٠٢).

٢٩ ـ قال أبو جعفر: وأما ابن إسحاق فإنه قال في ذلك ما حدّثنا به ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلمة عنه، قال: لمَّا فرغ خالد بن الوليد من اليَمامة بعث أبو بكر رضي الله عنه العَلاء بن الحضرميّ. وكان العَلاء هو الذِي كان رسولُ الله ﷺ بعثه إلى المنذر بن ساوى العبديّ، فأسلم المنذر، فأقام بها العلاء أميراً

(١) إسناده ضعيف وسنورد ما يؤيده بعد الرواية (١١٥) إن شاء الله تعالى.

(٢) إسناده ضعيف وهو أقل أسانيد سيف ضعفاً عند الطبري.

لرسول الله ﷺ ، فمات المنذر بن ساوى بالبحرين بعد متوفّى رسولِ الله ﷺ ، وكان عمرو بن العاص بعُمان ، فتوفّي رسولُ الله ﷺ وعمرو بها فأقبل عمرو ، فمرّ بالمنذر بن ساوى وهو بالموت فدخل عليه فقال المنذر له : كم كان رسُول الله ﷺ يجعل للميّت من المسلمين من ماله عند وفاته؟ قال عمرو : فقلت له : كان يجعل له الثّلُث ؛ قال : فما ترى لِي أن أصنع في ثلُث مالي؟ قال عمرو : فقلت له : إن شئت قسمتَه في أهل قرابتك ، وجعلتَه في سبيل الخير ؛ وإن شئت تصدّقت به فجعلته صدقةً مُحَرّمة تجري من بعدك على مَنْ تصدّقت به عليه . قال : ما أحبّ أن أجعل من مالي شيئاً محرّماً كالبَحيرة والسَّائبة والوَصِيلة والحامِي ولكن أقسمه ، فأنفذه على مَنْ أوصيتُ به له يصنع به ما يشاء .

قال : فكان عمرو يعجب لها من قوله . وارتدّت ربيعة بالبحرين فيمَن ارتدّ من العرب ، إلا الجارود بن عمرو بن حَنَش بن مُعَلّى ؛ فإنه ثبت على الإسلام ومَن معه من قومه ، وقامَ حين بلغته وفاة رسولِ الله ﷺ وارتداد العرب ، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله ، وأكفر من لا يشهد . واجتمعت ربيعة بالبحرين وارتدّت ، فقالوا : نردُّ المُلْكَ في آل المنذر ، فملّكوا المنذر بن النعمان بن المنذر ، وكان يُسَمَّى الغَرور ، وكان يقول حين أسلم وأسلم الناس وغلبهم السيف : لستُ بالغَرُور ؛ ولكنّي المغرور .

٣٠ ـ حدّثنا عُبيد الله بن سعد ، قال : أخبرَنا عمّي ، قال : أخبرنا سَيفٌ ، عن إسماعيل بن مسلم ، عن عُمَير بن فلان العَبْدِيّ ، قال : لمَّا مات النبيّ ﷺ خرج الحُطَمُ بن ضُبَيعة أخو بني قيس بن ثعلبة فيمَن اتّبعه من بكر بن وائل على الرّدّة ، ومَنْ تأشَّب إليه من غير المرتدّين ممَّن لم يزل كافراً ، حتى نزل القَطِيف وهَجَر ، واستغوى الخطّ ومن فيها من الزُّطّ والسَّيابجة ، وبَعث بعثاً إلى دارِين ، فأقاموا له ليجعلَ عبدَ القَيْس بينه وبينهم ، وكانوا مخالفين لهم ، يمدُّون المنذر والمسلمين ؛ وأرسل إلى الغَرور بن سُوَيد ، أخي النعمان بن المنذر ؛ فبعثه إلى جؤاثَى ، وقال : اثبت ، فإنّي إن ظفرت ملّكتك بالبحرين حتى تكون كالنعمان بالحيرة . وبعث إلى جؤاثى ، فحصرهم وألحُّوا عليهم فاشتدّ على المحصورين الحصر ، وفي المسلمين المحصورين رَجُل من صالح المسلمين يقال له عبد الله بن حذف ؛ أحد بني أبي بكر بن كِلاب ، وقد اشتدّ عليه وعليهم الجوع

حتى كادوا أن يهلكوا. وقال في ذلك عبد الله بن حَذَف:

ألا أبْلــغْ أبــا بَكْــر رســولاً وفِتْيــانَ المــدينــة أجمعينَــا
فهــل لكُــمُ إلــى قــوم كِــرَامٍ قُعُــود فــي جُــؤاثَــى مُحْصَــرينـا!
كــأنَّ دِمَــاءَهُــمْ فــي كــلِّ فَــجٍّ شُعَــاعُ الشَّمـس يغْشَـى النـاظـرينـا
تــوكّلْنــا علــى الــرَّحمــن إنَّــا وَجَــدْنــا الصَّبْــرَ للمتــوكِّلينــا[1]

(٣: ٣٠٢/ ٣٠٣/ ٣٠٤).

---

(١) إسناده معضل وإليك ما ورد في الباب (كما علمنا):
١ - قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى وهو يتحدث عن ردة أهل البحرين: إلا قرية تسمى جواثى (كانت أول قرية أقامت الجمعة من أهل الردة) كما ثبت في البخاري عن ابن عباس (البداية والنهاية ٦/ ٣٣٢).
٢ - قال الحافظ في ترجمة المنذر بن ساوى: وكان عامل البحرين وكتب إليه النبي ﷺ مع العلاء بن الحضرمي قبل الفتح فأسلم. ذكره ابن إسحاق وغير واحد وزاد الواقدي: ثم استقدم النبي ﷺ العلاء بن الحضرمي واستخلف المنذر بن ساوى مكانه. وأخرج الطبراني من طريق أبي مجلز عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود، عن أبيه قال: كتب النبي ﷺ إلى المنذر بن ساوى: (من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلكم المسلم له ذمة الله ورسوله) ونسبه ابن الأثير الجزري إلى ابن مندة وأبي نعيم من طريق أبي مجلز عن أبي عبيدة به (أسد الغابة ٥/ ٢٥٥/ ت ١٥٠٦).
وقال الحافظ أيضاً: وذكر أبو جعفر الطبراني: أن المنذر هذا مات بالقرب من وفاة النبي ﷺ وحضره عمرو بن العاص فقال له: كم جعل النبي ﷺ للميت من ماله عند الموت؟ قال: الثلث. قال: فما ترى أن أصنع في ثلثي؟ قال: إن شئت قسمته في سبيل الخير وإن شئت جعلت غلّته تجري بعدك على من شئت قال: ما أحب أن أجعل شيئاً من مالي كالسائبة ولكن أقسمه. قال الرّشاطي: لم يذكره ابن عبد البر. قلت (أي: ابن حجر): هو على شرطه ولو لم يثبت أنه وفد (الإصابة ٦/ ١٧٠/ ت ٨٢٣٤).
٣ - أخرج ابن سعد في طبقاته عن العلاء بن الحضرمي: أن رسول الله ﷺ بعثه منصرفه من الجعرانة إلى المنذر بن ساوى العبدي بالبحرين، وكتب رسول الله ﷺ إلى المنذر بن ساوى معه كتاباً يدعوه فيه إلى الإسلام. وخلى بينه العلاء بن الحضرمي وبين الصدقة يجتبيها . . . إلى آخره. وهو من طريق الواقدي وهو ضعيف.
٤ - وأخرج خليفة بن خياط في (ردة البحرين) قال أبو عبيدة عن حماد عن علي بن زيد عن الحسن: أن الخطم شدّ الجارود وثاقاً. وفي إسناده علي بن زيد وهو ضعيف ولكن استشهدنا به لأنه من روايته عن الحسن وهو من الملازمين له وهذه الرواية ليست في الحلال والحرام ولا في العقيدة ولا طعن فيها في عدالة الصحابة والله أعلم.

ثم كانت سنة اثنتي عشرة من الهجرة

مسيرة خالد إلى العراق وصلح الحيرة

٣١ ـ حَدّثني عمر بن شَبَّة ، قال: حدّثنا عليّ بن محمد بالإسناد الّذي قد تَقدّم ذكرُه عن القوم الذين ذكرتهم فيه: أنّ أبا بكر رحمه الله وجّه خالدَ بن الوليد إلى أرضِ الكوفة ، وفيها المثنَّى بن حارثة الشَّيبانيّ ، فسار في المحرّم سنة اثنتي عشرة ، فجعل طريقه البصرة ، وفيها قُطْبة بن قَتادة السَّدُوسيّ[1] . (٣: ٣٤٣) .

٣٢ ـ قال أبو جعفر: وأمَّا الواقديّ ، فإنه قال: اختُلف في أمر خالد بن الوليد ، فقائل يقول: مضى من وجهه ذلك من اليمَامة إلى العراق. وقائل يقول:

= وأخرج أيضاً: قال علي: فحدثني عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال: وبعث أبو بكر العلاء بن الحضرمي إلى البحرين ـ وكانوا ارتدوا إلا نفراً ثبتوا مع الجارود فالتقوا بجؤاثى فهزمهم الله وقتل منهم مقتلة. وهذا إسناد صحيح.

وأخرج أيضاً: عن ابن إسحاق معضلاً قال: حدثنا بكر عن ابن إسحاق قال: حاصرهم العلاء بجؤاثى حتى كاد المسلمون يهلكوا من الجهد ، فسمعوا أصواتاً كثيرة شديدة ، فقال عبد الله بن حذف: دعوني أهبط من الحصن فآتيكم بالخبر ، فنزل من الحصن فأخذوه فقالوا: من أنت؟ فانتسب وجعل ينادي: يا أبجراه ، فعرفه أبجر فمنّ عليه ، فرجع إلى أصحابه فأخبرهم: أن القوم سكارى ، فبيتهم العلاء فيمن معه فقتلوهم قتلاً شديداً (تأريخ خليفة ١١٦).

٥ ـ وذكر ابن سعد الجارود (الطبقات الكبرى ٥/ ٥٥٩) فيمن كانوا بالبحرين من أصحاب رسول الله ﷺ وذكر قصة قدومه على رسول الله ﷺ (بلا إسناد) وقال في آخر القصة: وكان الجارود قد أدرك الردة فلما رجع قومه مع المعرور بن المنذر بن النعمان قام الجارود فشهد شهادة الحق ودعا إلى الإسلام. وقال: أيها الناس إني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ﷺ ، وأكفر من لم يشهد وقال: رضينا بدين الله من كل حادث وبالله الرحمن نرضى به رباً.

٦ ـ أما عبد الله بن حذف (أو حذق) فقد ترجم له الحافظ ابن حجر فيمن أدرك النبي ﷺ ولم يره وقال: ذكره وثيمة في (كتاب الردة) فيمن ثبت على إسلامه وأنشد له في ذلك قوله:

ألا أبلـــغ أبـــا بكـــر رســـولاً وفتيـــان المـــدينـــة أجمعينـــا

. . . إلخ (كما عند الطبري). (الإصابة في تمييز الصحابة ٥/ ٦٥/ ت ٦٣٢٢).

(١) إسناده ضعيف ، ولمتنه ما يؤيده كما سنذكر بعد.

رجع من اليمامة ، فقدم المدينة ، ثم سار إلى العراق من المدينة على طريق الكُوفة؛ حتى انتهى إلى الحِيرة. (٣: ٣٤٣).

٣٣ ـ حدّثنا ابن حُميد ، قال: حدّثنا سلَمة عن ابن إسحاق ، عن صا لح بن كيسان: أنّ أبا بكر رحمه الله كتَبَ إلى خالد بن الوليد يأمُره أن يسير إلى العراق ، فمضى خالدٌ يريد العراق ، حتى نزل بقُرَيّات من السّواد ، يقال لها: بانِقيا وبارُوسْما وألَّيس؛ فصالحه أهلُها ، وكان الذي صالحه عليها ابن صَلوبا ، وذلك في سنة اثنتي عشرة ، فقبل منهم خالد الجِزْية وكتب لهم كتاباً فيه: بسم الله الرحمن الرحيم ، من خالد بن الوليد لابن صلوبا السَّواديّ ـ ومنزله بشاطىء الفُرات ـ إنَّك آمنٌ بأمان الله ـ إذْ حَقن دمه بإعطاء الجزية ـ وقد أعطيتَ عن نفسك وعن أهل خَرْجك وجزيرتك ومَنْ كان في قريتيك ـ بانقيا وباروسما ـ ألف درهم ، فقبلتُها منك ، ورضيَ مَن معي من المسلمين بها منك ، ولك ذمَّة الله وذمَّة محمَّد ﷺ ، وذمّة المسلمين على ذلك. وشهد هشام بن الوليد.

ثم أقبل خالد بن الوليد بمن معه حتى نزل الحيرة ، فخرج إليه أشرافُهم مع قَبيصة بن إياس بن حيَّة الطائيّ ـ وكان أمَّره عليها كسرى بعد النعمان بن المنذر ـ فقال له خالد ولأصحابه: أدعُوكم إلى الله وإلى الإسلام ، فإن أجبتم إليه فأنتمْ من المسلمين ، لكم ما لهم وعليكم ما عليهم؛ فإن أبيْتم فالجزية ، فإن أبيتم الجِزية فقد أتيتُكم بأقوام هم أحرصُ علَى الموت منكم على الحياة؛ جاهدناكم حتى يحكم الله بيننا وبينكم.

فقال له قَبيصة بن إياس: ما لنا بحرْبك من حاجة ، بل نقيم على دِيننا ، ونعطيك الجِزْية. فصالحهم على تسعين ألف درهم ، فكانت أوّل جزية وقعت بالعراق ، هي القُرَيّات الَّتي صالح عليها ابن صلوبا[1]. (٣: ٣٤٣/ ٣٤٤).

٣٤ ـ قال أبو جعفر: وأمّا هشام بن الكلبيّ؛ فإنه قال: لمّا كتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد وهو باليمامة أن يسير إلى الشام؛ أمره أن يبدأ بالعراق فيمرّ بها؛ فأقبل خالد منها يسير حتى نزل النِّباج.

قال هشام: قال أبو مخنف: فحدّثني أبو الخطّاب حَمزة بن عليّ ، عن رجل

(١) إسناده ضعيف ولكن له ما يؤيده من الشواهد كما سنذكر بعد روايتين.

من بكْر بن وائل: أن المثنى بن حارثة الشَّيباني، سار حتى قدِم على أبي بكر رحمه الله، فقال: أمِّرْني على مَنْ قِبَلي من قومي، أقاتل مَن يلِيني من أهل فارس، وأكفِيك ناحيتي، ففعل ذلك؛ فأقبل فجمع قومَه وأخذ يُغير بناحية كَسْكَر مرّة، وفي أسفل الفرات مرّة، ونزل خالد بن الوليد النِّباج؛ والمثَـنَّى بن حارثة بخَفَّانَ معسكرٌ؛ فكتب إليه خالد بن الوليد ليأتَيه، وبعث إليه بكتاب من أبي بكر يأمره فيه بطاعتهِ؛ فانقضّ إليه جواداً حتى لحق به، وقد زعمت بنو عِجْل: أنَّه كان خرج مع المثنَّى بن حارثة رجلٌ منهم يقال له: مذعور بن عديّ، نازع المثنَّى بن حارثة، فتكاتبا إلى أبي بكر؛ فكتب أبو بكر إلى العِجْليّ يأمره بالمسير مع خالد إلى الشام، وأقرّ المثنَّى على حاله، فبلغ العجليُّ مصرَ، فشرُف بها وعظم شأنه، فدارُه اليوم بها معروفة؛ وأقبل خالد بن الوليد يسير، فعرض له جابان صاحِب ألّيس، فبعث إليه المثنَّى بن حارثة، فقاتله فهزمه، وقتل جُلّ أصحابه إلى جانب نهرٍ ثَمَّ يُدعى نهر دم لتلك الوقعة؛ وصالح أهلَ أُلَّيس، وأقبل حتى دنا من الحِيرة، فخرجت إليه خيول آزاذبه صاحب خيل كسرى الَّتي كانت في مَسَالح ما بينه وبين العرب، فلقُوهم بمجتَمع الأنهار، فتوجَّه إليهم المثنّى بن حارثة، فهزمهم الله.

ولمَّا رأى ذلك أهلُ الحيرة خرجوا يستقبلونه؛ فيهم عبد المسيح بن عمرو بن بُقَيلة وهانئ بن قَبِيصة، فقال خالد لعبد المسيح: من أين أثَرُك؟ قال: من ظَهْر أبي، قال: من أينَ خرجت؟ قال: من بطن أمّي، قال: ويحك! علَى أيّ شيء أنت؟ قالَ: على الأرض، قال: ويلَك! في أيّ شيء أنت؟ قال: في ثيابي، قال: ويحك! تعقل؟ قال: نعم وأقيّد، قال: إنَّما أسألك، قال: وأنا أجيبُك، قال: أسلِمٌ أنت أم حربٌ؟ قال: بل سِلْم، قال: فما هذه الحصون التي أرى؟ قال: بنيناها للسَّفِيه نحبسه حتى يجيء الحليم فينهاه. ثم قال لهم خالد: إنِّي أدعُوكم إلى الله وإلى عبادتِه وإلى الإسلام، فإن قبلتم فلكم ما لَنا وعليكم ما علينا، وإن أبيتم فالجِزْية، وإن أبيتم فقد جئناكم بقوم يحبُّون الموت كما تحبّونَ أنتم شرب الخمر. فقالوا: لا حاجة لنا في حَرْبِك، فصالحهم على تسعين ومئة ألف درهم، فكانت أوّلَ جزية حملت إلى المدينة من العراق. ثم نزل على بانِقْيا، فصالحه بُصْبُهْرى بن صلوبا على ألف درهم وطيلسان؛ وكتب لهم كتاباً، وكان

صالح خالد أهل الحيرة على أن يكونوا له عيوناً ، ففعلوا(١) . (٣: ٣٤٤/ ٣٤٥) .

٣٥ ـ قال هشام ، عن أبي مخنف ، قال: حدثني المجالد بن سعيد ، عن الشَّعبيّ ، قال: أقرأني بنو بُقيلة كتابَ خالد بن الوليد إلى أهل المدائن:

من خالد بن الوليد إلى مرازبة أهل فارس؛ سلام على من اتَّبع الهدى ، أمَّا بعدُ ، فالحمدُ لله الذي فَضَّ خَدَمتكم ، وسلب مُلْككم ، ووهَّن كيدَكم. وإنَّه مَن صلَّى صلاتنا؛ واستقبَل قبلتَنا، وأكلَ ذبيحتنا؛ فذلك المسلم الَّذي له مالنا، وعليه ما علينا ، أمَّا بعد ، فإذا جاءكم كتابي فابعثوا إليّ بالرُّهُن ، واعتقدوا منِّي الذّمة ، وإلاّ فوالَّذي لا إله غيره لأبعثنّ إليكم قوماً يحبُّون الموت كما تحبّون الحياة.

فلما قرؤوا الكتاب، أخذوا يتعجَّبُون، وذلك سنة اثنتي عشرة(٢) (٣: ٣٤٦) .

---

(١) إسناده ضعيف جداً ولبعضه ما يؤيده وسنذكره ، وبعضه مخالف لما هو أصح منه سنداً كما سنبين بعد الرواية التالية.

(٢) إسناده ضعيف جداً وسنبين ما خالف رواية الثقات بعد ذكر شواهده ومتابعاته:
١ ـ أخرج سعيد بن منصور في السنن (٢/ ٢٠٤) وابن أبي شيبة في مصنفه (١٢/ ٢٣١٣) قدوم خالد بن الوليد إلى الحيرة وصنيعه (ح ١٥٥٧٥) كلاهما (سعيد وابن أبي شيبة) من طريق مجالد بن سعيد قال: أخبرنا عامر (الشعبي) قال: كتب خالد إلى مرازبة فارس وهو بالحيرة ودفعه إلى ابن بقيلة قال عامر: وأنا قرأته عند ابن بقيلة:
بسم الله الرحمن الرحيم: من خالد بن الوليد إلى مرازبة فارس ، سلام على من اتبع الهدى فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد: أحمد الله الذي فضّ خدمتكم وفرق كلمتكم ووهن بأسكم وسلب ملككم فإذا جاءكم كتابي هذا فابعثوا إلي بالرهن ، واعتقدوا في الذمة ، وأجيبوا إلى الجزية فإن لم تفعلوا فوالله الذي لا إله إلا هو لأسير إليكم بقوم يحبون الموت كحبكم الحياة ، والسلام على من اتبع الهدى.
واللفظ لابن أبي شيبة وليس فيها زيادة ، فلما قرأ الكتاب أخذوا يتعجبون وذلك سنة اثنتي عشرة.
وأخرجه ابن أبي شيبة من طريق زكريا بن أبي زائدة عن خالد بن سلمة القرشي عن عامر الشعبي مع اختلاف بسيط في الألفاظ (ح ١٥٥٧٦).
٢ ـ وأخرج ابن أبي شيبة في مصنفه (١٢/ح ١٥٥٧٧) ثنا جعفر بن عون قال: أخبرنا يونس عن أبي السفر قال: لما قدم خالد بن الوليد إلى الحيرة نزل على المرازبة قال فأتى بالسم فجعله في راحته وقال: باسم الله ، فاقتحمه ، فلم يضره بإذن الله شيئاً. قلنا: وإسناده صحيح.
٣ ـ وأخرج ابن أبي شيبة (١٢/ح ١٥٥٧٨) ثنا محمد بن عبد الله الأسدي قال ثنا حسن بن=

= صالح عن الأسود بن قيس عن أبيه قال: صالحنا أهل الحيرة على ألف درهم ورحل، قال: قلت: يا أبه ما كنتم تصنعون بالرحل، قال: لم يكن لصاحب لنا رحل. قلنا: وإسناده صحيح.

٤ - قال خليفة: قال علي بن محمد وأبو عبيدة وأبو اليقظان وغيرهم: صالح بن صلوتا على أليس وقرى السواد في صفر في سنة اثنتي عشرة على ألف دينار (تأريخ خليفة بن خياط/ ١١٨).

٥ - وأخرج خليفة: حدثني من سمع يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن أبيه عن الشعبي قال: صالح أهل أليس خالداً يوم السبت لثلاث مضين من رجب سنة اثنتي عشرة على ألف دينار وافتتح هرمز جودونهر الملك وباروسما. وصالحه عبد المسيح (بن عمرو) بن بقيلة وإياس بن قبيصة الطائي على تسعين ألفاً ثم سار إلى الأنبار وصالحوه ووجه المثنى بن حارثة الشيباني إلى سوق بغداد فأغار عليهما (تأريخ خليفة/ ١١٨).

قلنا: وفي إسناده مجهول.

٦ - ورواية الطبري (٣/ ٣٤٣/ ١٥١) أخرجه ابن الجوزي بتمامه من طريق ابن إسحاق عن صالح بن كيسان (المنتظم في تأريخ الأمم والملوك ٤/ ٩٧).

٧ - وأخرج ابن أبي شيبة (١٢/ ح ١٥٥٨٠) من حديث وائل وفيه قول خالد رضي الله عنه (أما بعد: فإني أعرض عليكم الإسلام فإن أقررتم به فلكم ما لأهل الإسلام وعليكم ما على أهل الإسلام، وإن أبيتم فإني أعرض عليكم الجزية فإن أقررتم بالجزية فلكم ما لأهل الجزية، وعليكم ما على أهل الجزية، وإن أبيتم فإن عندي رجالاً يحبون القتال كما تحب فارس الخمر).

وقد ذكر ابن حجر في ترجمته للمثنى بن حارثة الشيباني: أن عمر بن شبة قال: إن المثنى طلب من أبي بكر رضي الله عنه أن يبعثه على قومه ليقاتل بهم أهل السواد وفارس ثم أمده بخالد بن الوليد فكان ذلك ابتداء فتوح العراق (باختصار من الإصابة ٥/ ٥٦٩) وكذلك نسب الحافظ إلى أبي عمر أن الصديق رضي الله عنه بعثه في صدر خلافته إلى العراق (الإصابة في تمييز الصحابة ٥/ ٥٦٩/ ت ٧٧٣٦).

قلنا: والملاحظ أن أجزاء من روايات أبي مخنف التأريخية هذه موافق لما عند غيره كما ذكرنا وبصفة مخالفة لما عندهم - فقد ذكرت رواية أبي مخنف (٣/ ٣٤٣/ ١٥١) أن خالداً رضي الله عنه صالح وجهاء أهل الحيرة على تسعين ألف درهم ولكن الرواية الصحيحة عند ابن أبي شيبة في مصنفه كما ذكرنا بينت أنه رضي الله عنه صالحهم على ألف درهم ورحل - ومن المصادر التأريخية المتقدمة التي وافقت رواية أبي مخنف في كون المثنى هو الذي طلب من الصديق أن يوليه الإمارة في تلك المناطق مصدر تأريخي معروف هو نهاية الأدب للنويري (١٩/ ١٠٦) و(الخراج لقدامة بن جعفر/ ٣٥٣) أما ذكر أسماء المناطق التي كانت موقع إغارة=

= المثنى رضي الله عنه فلم نجدها في غير رواية أبي مخنف إلّا أن مصدراً تأريخياً متقدماً كالأخبار الطوال للدينوري قد ذكر الإغارة هذه دون تحديد أسماء المناطق (الأخبار الطوال/ ١١١). ويؤيده ما جاء في نهاية الأدب (١٩/ ١١٠) من أن خالداً هزم آزاذبه جيشه، ولقد أجاد الدكتور يحيى اليحيى في كتابه القيم (مرويات أبي مخنف في تأريخ الطبري) في تقييم روايات أبي مخنف في هذه المسألة فراجعها هناك (ص ١٣٤ إلى ص ١٤٦).

خبر عين التمر

(٣/ ٣٧٦) لقد ذكرنا الرواية (٣/ ٣٧٦/ ٢٠٠) في قسم الضعيف فإسناده ضعيف لأنه من طريق شعيب عن سيف وفي متنه مخالفة لما هو أصح منه كما ذكرنا في الضعيف وسنذكره هنا أيضاً وفي متنه نكارة كذلك، فخالد بن الوليد كان حريصاً على حقن الدماء وإذا طلب منه الكفار أماناً أعطاهم ذلك وصالحهم بشروط الإسلام المعروفة في الحروب. وفحوى رواية سيف هذه: أنه رضي الله عنه فتح عين تمر عنوة بينما وردت الآثار الأصح إسناداً بأنه صالح أهل عين تمر، كما أخرج يحيى بن آدم قال: ثنا حسن بن صالح عن أشعث عن الشعبي قال: صالح خالد بن الوليد أهل الحيرة وأهل عين تمر قال: وكتب بذلك إلى أبي بكر رضي الله عنه فأجازه (كتاب الخراج ٥٢/ ح ١٤١).

قلنا: ومما لا شك فيه: أن الشعبي كان من العارفين بمسائل الخراج والجزية والعهود التي تثبت على الفتوحات الإسلامية. كما أخرج يحيى بن آدم قال: ثنا شريك: وكان عامر من أخبر الناس بهذه الأمور (كتاب الخراج/ ٤٩/ ح ١٢٤).

ورواية يحيى هذه أخرجها البلاذري من طريق شيخه الحسين بن الأسود عن يحيى بن آدم به (فتوح البلدان/ ٣٤٦) والله أعلم.

خبر دومة الجندل

ذكرنا (خبر دومة الجندل) في قسم الضعيف واستغرق خبرها صفحة ونصف الصفحة من تأريخ الطبري (٣/ ٣٧٨ ـ ٣٧٩) وبداية الخبر عند الطبري هكذا:

خبر دومة الجندل:

قالوا: ثم ذكر الطبري القصة وأغلب ظننا أنه يعني بقوله: (قالوا): (طلحة بن عبد الرحمن والمهلب بن عقبة ومحمد) الذي روى عنهم سيف في الرواية السابقة لهذا الخبر ونعني (٣/ ٣٧٧/ ٢٠١) ولذلك ألحقنا (خبر دومة الجندل) بهذه الرواية (في قسم الضعيف) وقد جاءت بعدها مباشرة.

ووجدنا فيها عبارات غريبة لم يذكرها غير (شعيب عن سيف) أغلب ظننا: أنها من قبل شعيب (راوية سيف) فهو المعروف بتحامله على السلف الصالح (راجع قسم الضعيف).

إلاّ أنّا ذكرنا العنوان (خبر دومة الجندل) لوجود ما يؤيد أصل الواقعة فقد أخرج يعقوب بن سفيان من طريق أبي الأسود عنه قال: لما فرغ خالد من اليمامة أمره أبو بكر بالمسير إلى =

٣٦ ـ وفيها تزوّج عمر رحمه الله عاتكة بنت زيد. وفيها مات أبو مرثَد الغنويّ. وفيها مات أبو العاصي بن الربيع في ذي الحجة؛ وأوصى إلى الزبير، وتزوج عليّ عليه السلام ابنته. وفيها اشترى عمر أسلم مولاه[1]. (٣: ٣٨٥).

٣٧ ـ واختلف فيمن حجّ بالناس في هذه السنة، فقال بعضهم: حجّ بهم فيها أبو بكر رحمه الله.

ذِكْر من قال ذلك:

حدّثنا ابنُ حُميد، قال: حدّثنا سلَمة، عن ابن إسحاق، عن العَلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب، مولَى الحُرَقة، عن رجل من بني سَهْم، عن ابن ماجدة السَّهميّ، أنه قال: حجّ أبو بكر في خلافته سنة اثنتي عشرة، وقد عارمتُ غلاماً

= الشام فسلك عين التمر فسبى ابنة الجودي من دومة الجندل ومضى إلى الشام فهزم عدو الله (٢/ ٢١٦/ت ٢٢٠٦) والطبري ذكر دومة الجندل كذلك في رواية أخرى ذكرناها في الضعيف (٣/ ٣٨٥/ ٢٠٦): أن خالداً انتصر في دومة الجندل ثم رجع إلى الحيرة سنة (١٢ هـ) إلاّ أن البلاذري له رأي آخر إذ يقول رحمه الله: وكان شخوص خالد إلى الشام في شهر ربيع الآخر ويقال في شهر ربيع الأول سنة ١٣ هـ. وقال قوم: إن خالداً أتى دومة من عين التمر ففتحها، ثم أقبل إلى الحيرة فمنها مضى إلى الشام وأصحّ من ذلك مضيه من عين التمر (فتوح البلدان/ ٣٥٠) وكذلك ذكر ابن الجوزي خبر دومة الجندل مختصراً (المنتظم في تأريخ الأمم والملوك ٤/ ١٠٨).

(١) قال الحافظ ابن حجر: أخرج ابن سعد بسند حسن عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب كانت عاتكة تحبّ عبد الله بن أبي بكر فجعل لها طائفة من ماله على ألا تتزوج بعده، ومات فأرسل عمر إلى عاتكة أن قد حرّمت ما أحل الله لك، فردّي إلى أهله المال الذي أخذته، ففعلت فخطبها عمر فنكحها (الإصابة في تمييز الصحابة ٨/ ٢٢٨/ ت ١١٤٥٢).
وأخرج الحاكم بسند صحيح عن قتادة أن علياً تزوج أمامة (بنت أبي العاص) بعد موت خالتها فاطمة (الإصابة ٨/ ٢٠٩/ ت ١٠١٨٢).
وقال الحافظ: قال إبراهيم المنذر: مات أبو العاص بن الربيع في خلافة أبي بكر في ذي الحجة سنة اثنتي عشرة من الهجرة، وفيها أرّخه ابن سعد، وابن إسحاق، وأنه أوصى إلى الزبير بن العوام وكذا أرّخه غير واحد (الإصابة ٨/ ٢٠٩/ت ١٠١٨٢) وكذلك قال الذهبي في تأريخ الإسلام في أحداث سنة اثنتي عشرة (عهد الخلفاء الراشدين/ ٧٥): وقد تزوج علي أمامة بعد موت خالتها فاطمة (أي بنت أبي العاص) وكذلك ذكر أبي مرثد الغنوي رضي الله عنه فيمن توفوا سنة اثنتي عشرة (عهد الخلفاء/ ٧٧).

من أهلي ، فعضّ بأذني فقطع منها ـ أو عضضتُ بأذنه فقطعت منها ـ فرُفع شأننا إلى أبي بكر ، فقال: اذهبوا بهما إلى عمر فلينظر ، فإن كان الجارح قد بَلَغ فليُقدْ منه. فلما انتُهيَ بنا إلى عمر رضي الله عنه ، قال: لَعَمْرِي لقد بلغَ هذا! ادعوا لي حجَّاماً. قال: فلمّا ذكر الحجام ، قال: أما إنّي قد سمعتُ النَّبيّ ﷺ يقول: قد أعطيت خالتي غلاماً ، وأنا أرجو أن يبارك الله لها فيه ، وقد نهيتُها أن تجعله حجَّاماً أو قصّاباً أو صائغاً؛ فاقتصّ منه[1]. (٣ : ٣٨٦) .

٣٨ ـ وذكر الواقديّ ، عن عثمان بن محمد بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر ، عن أبي وَجْزة يزيد بن عبيد ، عن أبيه ، أنّ أبا بكرٍ حجّ في سنة اثنتي عشرة ، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان رحمه الله[2]. (٣ : ٣٨٦) .

---

(١) إسناده ضعيف وسنتحدث عنه بعد الرواية التالية.

(٢) إسناده ضعيف لأنه من طريق الواقدي.

قلنا: والروايتان السابقتان تتفقان في أنه رضي الله عنه حجّ سنة اثنتي عشرة أي أنه حج في أواخر خلافته رضي الله عنه وهذا ما يكرره الطبري في الرواية (٣/ ٣٨٧/ ٢١١) عن ابن إسحاق معضلاً. ولكن الطبري نفسه ذكر قولاً آخر هو أنه رضي الله عنه لم يحج بنفسه وإنما بعث عمراً ليحج بالناس أو عبد الرحمن بن عوف (٣/ ٣٨٦/ ٢١٠) عن ابن إسحاق معضلاً.

قلنا: وكلا القولين عند الطبري بإسناد ضعيف إلاّ أنّا ذكرنا الروايتين (٢٠٨ ، ٢٠٩) في قسم الصحيح لأن لهما ما يؤيد أصلهما من أنه حج في خلافته رضي الله عنه فقد أخرج البخاري عن عبد الرحمن بن نوفل أنه سأل عروة بن الزبير فقال: (قد حج النبي ﷺ فأخبرتني عائشة رضي الله عنها أنه أول شيء بدأ به حين قدم أنه توضأ ثم طاف بالبيت ثم لم تكن له عمرة. ثم حجّ أبو بكر رضي الله عنه فكان أول شيء بدأ به الطواف بالبيت ثم لم تكن عمرة ، ثم حج عمر رضي الله عنه مثل ذلك . . . الحديث). (فتح الباري ٣/ ٥٨٠/ ٧٥٥).

وكذلك أخرج البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: صلى رسول الله ﷺ بمنى ركعتين وأبو بكر وعمر وعثمان صدراً من خلافته (فتح الباري ٣/ ٥٩٥).

فهاتان الروايتان في الصحيح تؤكدان استمرار الخلفاء على سيرته ﷺ من بعد وفاته وإلا فما الداعي للاستدلال بفضل الخلفاء الراشدين في عهد رسول الله ﷺ ـ وإنما العبرة من ذكر فعلهم أنهم ساروا على سنته من بعد وفاته ﷺ ـ ومرادنا من ذكر هاتين الروايتين أنه رضي الله عنه حج في خلافته فذلك تأييد لما ورد في الروايتين الضعيفتي الإسناد عند الطبري والله أعلم.

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة

ذكر الخبر عمّا كان فيها من الأحداث

٣٩ ـ ففيها وَجَّه أبو بكر رحمه الله الجيوشَ إلى الشام بعد منصرَفه من مكَّة إلى المدينة.

حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلَمة عن محمَّد بن إسحاق، قال: لما قَفَل أبو بكر من الحجّ سنة اثنتي عشرة جهّز الجيوش إلى الشام، فبعث عمرو بن العاص قِبَلَ فلسْطِين، فأخذ طريق المُعْرِقة على أيْلَة، وبعث يزيد بن أبي سفيان وأبا عبيدة بن الجرَّاح وشُرحبيل بن حَسَنة ـ وهو أحد الغَوْث ـ وأمرهم أن يسلُكوا التَّبُوكيَّة على البلقاء من عَلْياء الشام[1]. (٣: ٣٨٧).

٤٠ ـ كتب إليّ السريّ عن شُعيب، عن سيف، عن أبي إسحاق الشيباني، عن أبي صفيَّة التَّيمي؛ تَيْم بن شيبان، وطلحة عن المغيرة، ومحمد عن أبي عثمان، قالوا: أمرَ أبو بكر خالداً بأن ينزلَ تَيْماء، ففصل ردءاً حتَّى ينزل بتَيْماءَ؛ وقد أمره أبو بكر ألاّ يبرَحها، وأنْ يدعُوَ مَن حَوْله بالانضمام إليه، وألاّ يقبل إلاّ ممَّن لم يرتدّ، ولا يقاتل إلاّ من قاتله؛ حتى يأتيَه أمرُه. فأقام فاجتمع إليه جموع كثيرة؛ وبلغ الرّوم عِظَمُ ذلك العسكر، فضربوا على العرب الضَّاحية البعوث بالشام إليهم؛ فكتب خالد بن سعيد إلى أبي بكر بذلك، وبنزول من استنفرت الرّوم؛ ونفر إليهم من بَهْراء وكلْب وسليح وتَنُوخ ولَخْم وجُذام وغسَّان من دون زِيزاءَ بثلاث؛ فكتب إليه أبو بكر: أن أقدم ولا تُحْجِم واستنصر الله؛ فسار إليهم خالد، فلمَّا دنا منهم تفرّقوا وأعروا منزلهم؛ فنزله ودخل عامة مَن كان تجمَّع له في الإسلام؛ وكتب خالد إلى أبي بكر بذلك؛ فكتب إليه أبو بكر: أقدِم ولا تقتحمنّ حتى لا تُؤتَى مِن خلفك. فسار فيمن كان خرج معه من تَيْماء وفيمَن لحق به من طَرَف الرمل؛ حتى نزلوا فيما بين آبل وزِيزاء والقسطل؛ فسار إليه

---

(١) إسناده ضعيف وكذلك أخرجه خليفة عن ابن إسحاق معضلاً ومختصراً (تأريخ خليفة ١١٩) وأخرجه الذهبي كما عند خليفة (تأريخ الإسلام ـ عهد الخلفاء الراشدين/ ٨١) وسنذكر ما يؤيده بعد الرواية (٣/ ٤١٧/ ٢٤٥) إن شاء الله.

بِطْريقٌ من بطارقة الرُّوم ، يُدعى : باهان ، فهزمه وقتل جندَه ، وكتب بذلك إلى أبي بكر واستمدّه. وقد قدم على أبي بكر أوائلُ مستنفرِي اليمن ومَن بين مكّة واليمن ، وفيهم ذو الكَلاع ، وقدم عليه عِكْرمة قافلاً وغازياً فيمَن كان معه من تِهامة وعُمان والبحرين والسَّرْو. فكتب لهم أبو بكر إلى أمراء الصدقات أن يبدّلوا من استبدل ، فكلّهم استبدل ، فسُمّيَ ذلك الجيش جيش البِدال. فقدموا على خالد بن سعيد ، وعند ذلك اهتاج أبو بكر للشام ، وعناه أمرُه. وقد كان أبو بكر ردّ عمرو بن العاص على عِمالة كان رسولُ الله ﷺ ولاّها إيّاه من صدقات سعد هُذَيْم ، وعُذْرة ، ومَنْ لَفَّها من جُذام ، وحَدَس قبل ذهابه إلى عُمان. فخرج إلى عُمان وهو على عِدَةٍ من عمله؛ إذا هو رجع. فأنجز له ذلك أبو بكر.

فكتب أبو بكر عند اهتياجه للشام إلى عمرو: إني كنت قد رددتُك على العمل الذي كان رسولُ الله ﷺ ولاّكه مرّة ، وسمّاه لك أخرى؛ مبعثَك إلى عُمان إنجازاً لمواعيد رسول الله ﷺ ؛ فقد وليتَه ثم وليتَه؛ وقد أحببتُ ـ أبا عبد الله ـ أن أفرّغَك لما هو خير لك في حياتك ومعادك منه؛ إلاّ أنْ يكون الذي أنتَ فيه أحبَّ إليك. فكتب إليه عمرو: إني سهمٌ من سهام الإسلام ، وأنت بعد الله الرامِي بها ، والجامعُ لها ، فانظر أشدّها وأخشاها وأفضلَها فارمِ به شيئاً إن جاءك من ناحية من النواحي. وكتب إلي الوليد بن عقبة بنحو ذلك ، فأجابه بإيثار الجهاد[1]. (٣: ٣٨٨/ ٣٨٩).

٤١ ـ كتب إليّ السريّ عن شُعَيب ، عن سيف ، عن سهل بن يوسف ، عن القاسم بن محمد ، قال: كتبَ أبو بكر إلى عمرو ، وإلى الوليد بن عُقْبة ـ وكان على النّصف من صدقات قُضاعة ـ وقد كان أبو بكر شيَّعهما مبعثَهما على الصدقة ، وأوصى كلّ واحد منهما بوصيَّة واحدة: اتَّقِ الله في السرّ والعلانية؛ فإنه مَنْ يتّق الله يجعلْ له مخرجاً ، ويرزقه مِنْ حيث لا يحتسب؛ ومن يتَّق الله يكفرْ عنه سيِّئاته ويُعظِم له أجراً. فإنّ تقوى الله خيرُ ما تَواصَى به عباد الله؛ إنَّك في سبيل من سبُل الله؛ لا يَسَعُك فيه الإذهان والتفريط والغفلة عمَّا فيه قِوام دينكم ، وعصمة

(١) سنذكر ما ورد في الباب بعد الرواية (٣/ ٤١٧/ ٢٤٠).

أمركم ، فلا تَنِ ولا تفتُر. وكتب إليهما: استخلفا على أعمالكما ، واندُبا مَنْ يليكما.

فولَّى عمروٌ على عُليا قضاعة عَمرَو بن فلان العذريّ ، وولَّى الوليدُ على ضاحية قضاعة مما يلي دُومة امرأ القيس ، وندبا الناس ، فتتامّ إليهما بشر كثير ، وانتظرا أمرَ أبي بكر.

وقام أبو بكر في الناس خطيباً ، فحمِد الله وأثنَى عليه ، وصلَّى على رسوله ، وقال: ألاَ إنّ لكلّ أمر جوامعَ ، فمن بلَغها فهي حسبُه؛ ومن عمل لله كفاه الله. عليكم بالجدّ والقصد؛ فإنّ القصد أبلَغ؛ ألا إنه لا دين لأحد لا إيمان له ، ولا أجرَ لمن لا حِسْبة له ، ولا عمل لمن لا نيّة له ، ألا وإنّ في كتاب الله من الثواب على الجهاد في سبيل الله لَمَا ينبغي للمسلم أن يحبّ أن يُخَصَّ به ، هي التجارة التي دلّ الله عليها ، ونجّى بها من الخزي ، وألحق بها الكرامة في الدنيا والآخرة.

فأمدّ عمراً ببعض من انتدب إلى من اجتمع إليه ، وأمَّره على فِلِسطين ، وأمَره بطريق سمَّاها له؛ وكتب إلى الوليد وأمَره بالأرْدُنّ ، وأمدّه ببعضهم؛ ودعا يزيد بن أبي سفيان ، فأمّره على جُند عظيم ، هم جمهور مَن انتدب له ، وفي جنده سُهَيل بن عَمرو وأشباهه من أهل مكّة ، وشيَّعه ماشياً. واستعمل أبا عبيدة بن الجرّاح علَى من اجتمع [إليه] ، وأمَّره على حِمْص وخرج معه وهما ماشيان والناس معهما وخلفهما ، وأوْصَى كلّ واحد منهما[(١)]. (٣: ٣٩٠).

٤٢ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن سهل ، عن القاسم ، ومبشِّر عن سالم ، ويزيد بن أسيد الغسانيّ عن خالد ، وعبادة ، قالوا: ولمَّا قدِم الوليد على خالد بن سعيد فسانده ، وقدمت جنود المسلمين الَّذين كان أبو بكر أمدّه بهم وسُمّوا جيش البِدال ، وبلغه عن الأمراء وتوجُّههم إليه ، اقتحم على الرّوم طلبَ الحُظْوة ، وأعرى ظهرَه ، وبادر الأمراء بقتال الرّوم ، واستطرد له باهان فأرَزَ هو ومَن معه إلى دمشق؛ واقتحم خالد في الجيش ومعه ذو الكَلاع ، وعِكْرِمة ، والوليد حتى ينزل مَرْج الصُّفَّر؛ من بين الواقوصة ودِمشق؛ فانطوت

---

(١) سنذكر ما ورد في الباب بعد الرواية (٣/ ٤١٧/ ٢٤٥).

مسالح باهان عليه ، وأخذوا عليه الطرق ولا يشعر ، وزحف له باهان فوجد ابنه سعيد بن خالد يستمطِر في الناس ، فقتلوهم. وأتى الخبرُ خالداً ، فخرج هارباً في جريدة ، فأفلت مَن أفلت من أصحابه على ظهور الخيل والإبل ، وقد أجهضوا عن عسكرهم؛ ولم تنته بخالدِ بن سعيد الهزيمة عن ذي المروة ، وأقام عِكْرِمة في الناس ردءاً لهم ، فردّ عنهم باهانَ وجنوده أن يطلُبوه ، وأقام من الشام على قريب ، وقد قدم شرحبيل بن حَسَنة وافداً من عند خالد بن الوليد ، فندب معه النَّاس ، ثم استعمله أبو بكر على عمل الوليد ، وخرج معه يوصيه ، فأتى شرحبيل على خالد ، ففصل بأصحابه إلاّ القليل ، واجتمع إلى أبي بكر أناسٌ ، فأمَّر عليهم معاوية ، وأمرَه باللحاق بيزيد ، فخرج معاوية حتى لحق بيزيد؛ فلما مرّ بخالد فصل ببقيّة أصحابه[1] . (٣: ٣٩١) .

٤٣ - كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه : أنّ عمر بن الخطاب لم يزلْ يكلّم أبا بكر في خالد بن الوليد وفي خالد ابن سعيد؛ فأبى أن يعطيَه في خالد بن الوليد ، وقال: لا أشِيم سيَفاً سلَّه الله على الكُفَّار ، وأطاعه في خالد بن سعيد بعد ما فعل فَعْلته. فأخذ عمرو طريق المُعْرِقة ، وسلك أبو عبيدة طريقه ، وأخذ يزيد طريق التبوكيَّة؛ وسلك شُرحبيل طريقه ، وسمّى لهم أمصار الشام ، وعرف أن الرُّوم ستشغلهم؛ فأحبّ أن يصعّد المصوّب ويصوّب المصعّد؛ لئلا يتواكلوا ، فكان كما ظنّ وصاروا إلى ما أحبّ[2] . (٣: ٣٩١) .

٤٤ - كتب إليّ السريّ عن شُعيب ، عن سيف ، عن مبشَّر وسهل وأبي عثمان ، عن خالد وعبادة وأبي حارثة ، قالوا: وأوعَبَ القوّاد بالنَّاس نحو الشام وعكرمة ردءٌ للناس ، وبلغ الرُّوم ذلك؛ فكتبوا إلى هِرَقل؛ وخرج هرقل حتى نزل بحِمْص ، فأعدّ لهم الجنودَ ، وعبّى لهم العساكر؛ وأرادَ اشتغال بعضهم عن بعض لكثرة جندِه ، وفضول رجاله؛ وأرسل إلى عمرو أخاه تَذَارِق لأبيه وأمّه ، فخرج نحوهم في تسعين ألفاً ، وبعث مَن يسوقهم ، حتَّى نزل صاحب

---

(١) سنذكر ما ورد في الباب بعد الرواية (٣/ ٤١٧/ ٢٤٥).

(٢) سنذكر ما ورد في فتوح الشام في السنة ثلاث عشرة بعد الرواية (٣/ ٤١٧/ ٢٤٥).

الساقة ثنيَّة جِلَّق بأعلى فلسطين ، وبعث جَرَجة بن توذرا نحو يزيد بن أبي سفيان ، فعسكر بإزائه ، وبعث الدُّراقص فاستقبَل شُرحبيل بن حَسَنة ، وبعث الفِيقار بن نَسْطُوس في ستّين ألفاً ؛ نحو أبي عبيدة ، فهابهم المسلمون ، وجميع فرق المسلمين واحد وعشرون ألفاً ؛ سوى عكرمة في ستَّة آلاف ؛ ففزِعوا جميعاً بالكتُب وبالرّسل إلى عمرو : أن ما الرأي؟ فكاتبهم وراسلهم : إنّ الرأي الاجتماع ، وذلك أن مثلنا إذا اجتمع لم يغلَب من قلَّة ؛ وإذا نحن تفرّقْنا لم يبق الرّجل منا في عدد يُقْرِن فيه لأحد ممّن استقبلنا وأعِدَّ لنا لكلّ طائفة منّا . فاتَّعَدوا اليَرْموك ليجتمعوا به ، وقد كتب إلى أبي بكر بمثل ما كاتبوا به عمراً ؛ فطلع عليهم كتابه بمثل رأي عمرو ، بأن اجتمعوا فتكونوا عسكراً واحداً ، والقَوْا زحوف المشركين بزحف المسلمين ، فإنكم أعوان الله ؛ والله ناصرٌ مَن نصره ، وخاذلٌ من كَفره ، ولن يؤتَى مثلُكم من قلّة ؛ وإنما يؤتى العشرة آلاف والزيادة على العشرة آلاف إذا أُتُوا مِنْ تلقاء الذنوب ؛ فاحترسوا من الذّنوب ، واجتمعوا باليرموك متساندين وليصَلّ كلّ رجل منكم بأصحابه .

وبلغ ذلك هرقل ، فكتب إلى بطارقته : أن اجتمعُوا لهم ، وانزلوا بالرُّوم منزلاً واسع العَطَن ، واسع المطَّرَد ، ضيّق المهرَب ؛ وعلى الناس التَّذارق وعلى المقدمة جَرَجَة ، وعلى مجنَّبتَيْه باهان والدُّراقص ، وعلى الحرب الفيقار ؛ وأبشروا فإن باهان في الأثر مددٌ لكم . ففعلوا فنزلوا الواقوصة وهي على ضَفَّة اليَرموك ، وصار الوادي خَنْدقاً لهم ؛ وهو لِهْبٌ لا يدرك ؛ وإنما أراد باهان وأصحابـهُ أن تستفيق الرُّوم ويأنسوا بالمسلمين ؛ وترجع إليهم أفئدتهم عن طِيَرَتها .

وانتقل المسلمون عن عسكرِهم الذي اجتمعوا به ؛ فنزل عليهم بحذائهم على طريقهم ؛ وليس للرُّوم طريق إلاّ عليهم . فقال عمرو : أيّها الناس ! أبشِروا ، حُصِرت والله الرُّوم ! وقلَّمَا جاء محصور بخير . فأقاموا بإزائهم وعلى طريقهم ؛ ومخرجهم صفر من سنة ثلاث عشرة وشهرَيْ ربيع ، لا يقدرون من الرّوم على شيء ؛ ولا يخلصُون إليهم ؛ اللّهْبُ ـ وهو الواقوصة ـ من ورائهم ، والخندق من أمامهم ، ولا يخرجون خرْجةً إلا أديل المسلمون منهم ؛ حتى إذا سلخوا شهر ربيع الأول ؛ وقد استمدُّوا أبا بكر وأعلموه الشأن في صفر ؛ فكتب إلى خالد

ليلحق بهم ، وأمره أن يخلّف على العراق المثـنّى؛ فوافاهم في ربيع[١] . (٣: ٣٩٢/ ٣٩٣) .

٤٥ ـ كتب إليّ السريّ عن شُعيب ، عن سيف ، عن محمَّد ، وطلحة ، وعمرو ، والمهلَّب ، قالوا: ولما نزل المسلمون اليرمُوك ، واستمدُّوا أبا بكر ، قال: خالد لها. فبعث إليه وهو بالعراق ، وعَزَم عليه واستحثّه في السَّير ، فنفذ خالد لذلك؛ فطلع عليهم خالد؛ وطلع باهان على الرُّوم ، وقد قدَّم قدّامَه الشَّمامِسةَ ، والرّهبان ، والقسِّيسين؛ يُغْرونهم ويحضّونهم على القتال؛ ووافق قدوم خالد قدومَ باهان ، فخرج بهم باهان كالمقتدر؛ فولي خالد قتالَه ، وقاتل الأمراءُ مَنْ بإزائهم؛ فهزم باهان ، وتتابع الروم على الهزيمة ، فاقتحموا خندقَهم؛ وتيمَّنت الروم بباهان؛ وفرح المسلمون بخالد وحَرِد المسلمون. وحَرِب المشركون وهم أربعون ومئتا ألف؛ منهم ثمانون ألف مقيَّد ، وأربعون ألفاً منهم مسلسل للموت ، وأربعون ألفاً مربَّطُون بالعمائم ، وثمانون ألف فارس وثمانون ألف راجل ، والمسلمون سبعة وعشرون ألفاً ممّن كان مقيماً؛ إلى أن قدم عليهم خالد في تسعة آلاف؛ فصاروا ستة وثلاثين ألفاً.

ومرض أبو بكر رحمه الله في جمادى الأولى ، وتُـوُفِّيَ للنصف من جمادى الآخرة ، قبل الفتح بعشر ليال[٢] . (٣: ٣٩٢/ ٣٩٣) .

خبـر اليَرْمـوك

قال أبو جعفر: وكان أبو بكر قد سمّى لكلّ أمير من أمراء الشام كُورَةً؛ فسمَّى لأبي عُبيدة بن عبد الله بن الجرّاح حِمْص ، وليزيد بن أبي سفيان دِمَشق؛ ولشُرحبيل بن حَسَنة الأردنَّ ، ولعمرو بن العاصِ ولعلقمة بن مُجَزّز فِلسطين ، فلمّا فرغا منها نزل علقمة وسار إلى مِصْر. فلمَّا شارفوا الشام ، دهم كلَّ أمير منهم قومٌ كثير ، فأجمع رأيهم أن يجتمعوا بمكان واحد ، وأن يلقوْا جمعَ المشركين بجمع المسلمين.

(١) سنذكر ما ورد في فتوح الشام بعد الرواية (٣/ ٤١٧/ ٢٤٥).

(٢) سنذكر ما ورد في فتوح الشام في السنة ثلاث عشرة بعد الرواية (٣/ ٤١٧/ ٢٤٥).

ولما رأى خالد أنّ المسلمين يقاتلون متساندين قال لهم: هل لكم يا معشر الرؤساء في أمرٍ يُعزّ الله به الدّين، ولا يدخل عليكم معه ولا منه نقيصة ولا مكروه؟!

٤٦ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سَيْف، عن أبي عثمان يزيد بن أسيد الغسّاني، عن خالد وعبادة، قالا: توافَى إليها مع الأمراء والجنود الأربعة سبعةٌ وعشرون ألفاً وثلاثة آلاف من فُلّال خالد بن سعيد، أمَّر عليهم أبو بكر معاويةَ وشُرحبيل، وعشرة آلاف من أمداد أهل العراق مع خالد بن الوليد سوى ستّة آلاف ثبتوا مع عكرمة ردءاً بعد خالد بن سعيد؛ فكانوا ستّة وأربعين ألفاً، وكلّ قتالهم كان على تساند، كلّ جند وأميره؛ لا يجمعهم أحدٌ؛ حتَّى قدم عليهم خالد من العراق. وكان عسكر أبي عبيدة باليَرْموك مجاوراً لعسكر عمرو بن العاص، وعسكر شُرَحبيل مجاوراً لعسكر يزيد بن أبي سفيان؛ فكان أبو عبيدة ربَّما صلَّى مع عمرو وشُرحبيل مع يزيد. فأما عمرو ويزيد فإنَّهما كانا لا يصلِّيان مع أبي عبيدة وشُرحبيل، وقدم خالد بن الوليد وهم على حالهم تلك؛ فعسكر على حِدَة؛ فصلَّى بأهلِ العراق، ووافق خالد بن الوليد المسلمين وهم متضايقُون بمدَدِ الرّوم؛ عليهم باهان، ووافق الروم وهو نِشاط بمددهم، فالتقوا، فهزمهم الله حتى ألجأهم وأمدادَهم إلى الخنادق ـ والواقوصة أحد حدوده ـ فلزموا خندقهم عامّة شهر، يُحَضِّضُهم القسِّيسون، والشَّمَامشة، والرّهبان، وينعَوْن لهم النَّصرانيَّة؛ حتى استبصروا. فخرجوا للقتال الذي لم يكن بعدْ قتال مثله، في جمادى الآخرة.

فلمَّا أحسّ المسلمون خروجَهم، وأرادوا الخروجَ متساندين، سار فيهم خالد بن الوليد؛ فحمِد الله وأثنى عليه، وقال: إن هذا يومٌ من أيّام الله، لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي. أخلِصوا جهادَكم، وأريدوا الله بعملكم؛ فإن هذا يومٌ له ما بعده؛ ولا تقاتلوا قوماً على نظام وتعبية؛ على تسانُد وانتشار؛ فإن ذلك لا يحلّ ولا ينبغي. وإنّ مَن وراءَكم لو يعلم علمَكم حال بينكم وبين هذا؛ فاعملوا فيما لم تؤمروا به بالذي تروْن أنَّه الرّأي من واليكم ومحبَّته، قالوا: فهات، فما الرأي؟ قال: إنّ أبا بكر لم يبعثْنا إلاّ وهو يرى أنا سنتياسر، ولو علم بالذي كان ويكون؛ لقد جمعكم. إنّ الذي أنتم فيه أشدُّ على المسلمين ممَّا قد

غشيَهم ، وأنفعُ للمشركين من أمدادهم؛ ولقد علمت: أنّ الدنيا فرّقت بينكم ، فاللهَ الله ، فقد أفرِدَ كلّ رجل منكم ببلد من البلدان لا ينتقصه منه أن دان لأحد من أمراء الجنود ، ولا يزيده عليه أن دانوا له. إنّ تأمير بعضكم لا ينقصكم عند الله ولا عند خليفة رسول الله ﷺ. هلمّوا فإنّ هؤلاء تهيَّؤوا ، وهذا يوم له ما بعده ، إنْ رددناهم إلى خندقهم اليوم لم نزل نردّهم ، وإن هزمونا لم نُفلح بعدها. فهلمّوا فلْنتعاور الإمارة ، فليكن عليها بعضُنا اليوم ، والآخر غداً ، والآخر بعد غد؛ حتى يتأمَّر كلّكم ، ودعوني ألِيكُم اليوم.

فأمَّروه ، وهم يرون أنها كخرجاتهم ، وأن الأمر أطولُ ممَّا صاروا إليه؛ فخرجت الرُّوم في تعبية لم يرَ الراؤون مثلَها قطّ ، وخرج خالد في تعبية لم تُعبِّها العرب قبل ذلك؛ فخرج في ستَّة وثلاثين كُردوساً إلى الأربعين ، وقال: إنّ عدوّكم قد كثُر وَطَغَى ، وليس من التعبية تعبية أكثر في رأي العين من الكراديس. فجعل القلب كراديسَ ، وأقام فيه أبا عبيدة ، وجعل الميمنة كراديس وعليها عمرو بن العاص وفيها شُرَحْبيل بن حَسنة. وجعل الميسرة كَراديس وعليها يزيد بن أبي سفيان. وكان على كُردوس من كراديس أهلِ العراق القَعْقاع بن عمرو ، وعلى كُردوس مذعور بن عديّ ، وعياض بن غَنْم على كرْدوس ، وهاشم بن عتبة على كُرْدوس ، وزياد بن حنظلة على كُردوس ، وخالد في كُردوس؛ وعلى فالّة خالد بن سعيد دحْيَة بن خليفة على كُردوس ، وامرؤ القيس على كُرْدُوس ، ويزيد بن يحنَّس على كُردوس ، وأبو عبيدة على كُردوس ، وعكْرمة على كُردوس ، وسهيل على كُردوس ، وعبد الرحمن بن خالد على كُردوس ـ وهو يومئذ ابن ثمانيَ عشرة سنة ـ وحبيب بن مَسلمة على كُرْدوس ، وصفوان بن أميّة على كُردوس ، وسعيد بن خالد على كُرْدوس ، وأبو الأعور بن سفيان على كُرْدوس ، وابن ذي الخِمار على كُرْدُوس؛ وفي الميمنة عُمارة بن مُخشّى بن خُوَيْلِد على كُردوس؛ وشُرَحْبيل على كُردوس ومعه خالد بن سعيد ، وعبد الله بن قيس على كُردُوس؛ وعمرو بن عَبسَة على كُرْدوس ، والسِّمط بن الأسود على كُردوس ، وذو الكَلاَع على كُردوس ، ومعاوية بن حُدَيْج على آخر؛ وجُنْدب بن عمرو بن حُمَمَة على كُردوس ، وعمرو بن فلان على كردوس؛ ولَقيط بن عبد القيس بن بجرة حليف لبني ظَفَر من بني فزارة على كُرْدوس ، وفي

المَيْسَرة يزيد بن أبي سفيان على كُرْدوس ، والزُّبير على كُرْدوس ، وحَوْشب ذو ظُلَيْم على كُرْدوس ، وقيس بن عمرو بن زيد بن عوف بن مبذول بن مازن بن صعصعة من هوازن ـ حليف لبني النَّجّار ـ على كُردوس ، وعِصْمة بن عبد الله ـ حليف لبني النجار من بني أسد ـ على كُردوس ، وضِرار بن الأزور على كُردوس ، ومسروق بن فلان على كُرْدُوس ، وعُتْبة بن ربيعة بن بَهْز ـ حليف لبني عِصْمة ـ على كُردوس ، وجارية بن عبد الله الأشجعيّ ـ حليف لبني سلِمة ـ على كُردوس ، وقَباث على كردوس.

وكان القاضي أبو الدرداء ، وكان القاصّ أبو سفيان بن حرب ، وكان على الطَّلائع قَباث بن أشيَم؛ وكان على الأقباض عبد الله بن مسعود[١]. (٣: ٣٩٣/ ٣٩٤/ ٣٩٥/ ٣٩٦).

٤٧ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي عثمان يزيد بن أسيد الغَسّاني ، عن عبادة وخالد؛ قالا: شهد اليَرْموكَ ألفٌ من أصحاب رسول الله ﷺ ، فيهم نحو من مئة من أهل بدر. قالا: وكان أبو سفيان يسيرُ فيقِف على الكراديس ، فيقول: الله اللهَ! إنكم ذَادةُ العرب ، وأنصارُ الإسلام ، وإنهم ذَادة الرُّوم وأنصار الشرك! اللهمّ إنّ هذا يومٌ من أيّامك؛ اللهم أنزلْ نصرك على عبادك!

قالا: وقال رجل لخالد: ما أكثرَ الرومَ وأقلّ المسلمين! فقال خالد: ما أقلَّ الروم وأكثر المسلمين! إنما تكثُر الجنود بالنَّصر وتقلّ بالخذلان؛ لا بعدد

---

(١) وذكرنا هذه الرواية في الصحيح لورود ما يؤيدها سوى عبارة واحدة ضعفها واضح للعيان وأغلب الظن أنها من دسّ شعيب تلميذ سيف فهو المعروف بتحامله على السلف كما سبق.
وهذه العبارة هي قولة خالد للأمراء الأربعة: (ولقد علمت أن الدنيا قد فرقت بينكم) فإن الروايات الأخرى التي سبقت هذه الرواية والتي بعدها تؤكد أن الأمراء الأربعة قد اختاروا أسلوب القتال الانفرادي أو ما سماه الراوي (متساندين) وذلك تنفيذاً لأوامر الخليفة الذي أرسلهم في بداية الأمر بهذه الخطة الحربية وما دخل الدنيا وأنّى لها أن تدخل في نفوس أناس خرجوا من ديارهم وابتعدوا عنها مسافات شاسعة ليحاربوا جيوشاً نظامية لأعتى امبراطوريتين في العالم آنذاك تفوقهم أضعافاً مضاعفة إلا أنها الشهادة في سبيل الله تحدوهم وهو ما تبينه روايات شعيب نفسه وغير شعيب. والحمد لله الذي وفقنا لمعرفة الدسّ في الروايات التاريخية هذه ، فله المن والفضل !.

الرِّجال؛ والله لوددت أنّ الأشقر بَراءٌ من توجّيه؛ وأنهم أضعفوا في العدد ـ وكان فرسه قد حفِيَ في مسيره ـ قالا: فأمر خالد عِكرمة والقَعْقاع، وكانا على مجنَّبتي القَلْب، فأنشبا القِتال، وارتجز القعقاع وقال:

يا ليتني ألقاك في الطِّرادِ قبلَ اعتِرام الجَحْفَلِ الوَرَّادِ

وأنت في حَلْبتك الورادِ

وقال عِكْرمة:

قد عَلِمتْ بَهْكَنةُ الجواري أنِّي على مَكْرُمةٍ أحامِي

فنشب القتال، والتحمَ النَّاس، وتطارد الفرسان؛ فإنَّهم على ذلك؛ إذ قدم البريد من المدينة؛ فأخذته الخيول؛ وسألوه الخَبر؛ فلم يخبرهم إلاّ بسلامة، وأخبرهم عن أمداد؛ وإنما جاء بموت أبي بكر رحمه الله وتأمير أبي عبيدة، فأبلغوه خالداً، فأخبره خبَر أبي بكر، أسرّه إليه، وأخبره بالَّذي أخبر به الجندَ. قال: أحسنتَ فقفْ، وأخذ الكتاب وجعله في كنانته؛ وخاف إن هو أظهر ذلك أن ينتشر له أمر الجند؛ فوقف محميَة بن زُنَيم مع خالد؛ وهو الرسول، وخرج جَرَجة؛ حتى كان بين الصفَّين، ونادى: ليخرجْ إليّ خالد، فخرج إليه خالد وأقام أبا عبيدة مكانه، فوافقه بين الصَّفّين؛ حتى اختلفت أعناق دابَّتيهما، وقد أمَّن أحدُهما صاحبه، فقال جَرَجَة: يا خالد! اصدقْني، ولا تكذِبْني؛ فإنّ الحرّ لا يكذِب، ولا تخادعني؛ فإنّ الكريم لا يخادع المسترسل بالله: هل أنزل الله على نبيّكم سيفاً من السماء فأعطاكه، فلا تسلَّه على قوم إلاّ هزمتهم؟ قال: لا، قال: فبمَ سُميت سيف الله؟ قال: إن الله عزّ وجلّ بعث فينا نبيَّه ﷺ، فدعانا فنفرْنا عنه ونأيْنا عنه جميعاً. ثم إنّ بعضنا صدّقه وتابعه؛ وبعضنا باعده وكذّبه؛ فكنت فيمن كذّبه وباعده وقاتله. ثم إن الله أخذ بقلوبنا ونواصينا؛ فهدانا به، فتابعناه. فقال: «أنت سيف من سيوف الله سلَّه الله على المشركين!». ودعا لي بالنّصر؛ فسُمِّيت سيف الله بذلك؛ فأنا من أشدّ المسلمين على المشركين. قال: صدقتَني، ثم أعاد عليه جَرَجة: يا خالد! أخبرْني إلامَ تدعوني؟ قال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، والإقرار بما جاء به من عند الله، قال: فَمنْ لم يُجبْكم؟ قال: فالجِزْيَة ونمنعهم، قال: فإن لم يعطِها، قال: نؤذنه بحرب، ثم نقاتله. قال: فما منزلةُ الَّذي يدخل فيكم ويجيبكم إلى هذا الأمر

اليوم؟ قال: منزلتُنا واحدة فيما افترضَ الله علينا ، شريفنا ووضيعنا ، وأوّلنا وآخرنا. ثم أعاد عليه جَرَجة: هل لمن دخل فيكم اليوم يا خالدُ مثل ما لكم من الأجر والذُّخْر؟ قال: نعم ، وأفضل؛ قال: وكيف يساويكم وقد سبقتموه؟ قال: إنَّا دخلْنا في هذا الأمر ، وبايَعْنا نبينا ﷺ وهو حيّ بين أظهرنا ، تأتيه أخبار السماء ويخبرنا بالكتب ، ويرينا الآيات ، وحقّ لمن رأى ما رأينا ، وسمع ما سمعنا ، أن يُسْلِم ويبايع؛ وإنكم أنتم لم تروْا ما رأينا ، ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب والحُجَج؛ فَمنْ دخل في هذا الأمر منكم بحقيقة ونيَّة كان أفضَل منَّا. قال جرجة: بالله لقد صدَقتني ولم تخادعْني ولم تألّفني! قال: بالله لقد صدقتُك وما بي إليك ولا إلى أحد منكم وحشة! وإنَّ الله لَوليُّ ما سألت عنه. فقال: صدقتَني؛ وقلب التّرس ومال مع خالد ، وقال: عَلِّمْني الإسلام ، فمال به خالد إلى فسطاطه ، فشنّ عليه قِربَة من ماء ، ثم صلَّى ركعتيْن؛ وحملت الرُّوم مع انقلابه إلى خالد؛ وهم يروْن أنَّها منه حملة ، فأزالوا المسلمين عن مواقفهم إلا المحامية ، عليهم عِكرمة والحارث بن هشام. وركب خالدٌ ومعه جَرجة والرُّوم خلالَ المسلمين؛ فتنادَى الناس ، فثابوا ، وتراجعت الرُّوم إلى مواقفهم ، فزحف بهم خالد حتى تصافحوا بالسيُّوف ، فضرب فيهم خالد وجَرَجَة من لدن ارتفاع النهار إلى جُنُوح الشمس للغروب ، ثم أصِيبَ جرجَة ولم يصلِّ صلاة سجد فيها إلا الرّكعتين اللّتيْن أسلم عليهما ، وصلَّى الناس الأولى والعصر إيماءً ، وتضعضع الروم ، ونَهَد خالد بالقلب حتَّى كان بين خيلِهِم ورجْلهم ، وكان مقاتلهُم واسعَ المطَّرد ، ضيّق المهرب؛ فلمَّا وجدت خيلُهم مذهَباً؛ ذهبت وتركوا رَجْلهم في مصافِّهم؛ وخرجت خيلُهم تشتدّ بهم في الصحراء ، وأخَّر النَّاس الصلاة حتى صلّوا بعد الفتح. ولما رأى المسلمون خيلَ الروم توجَّهت للهَرب؛ أفرجوا لها ، ولم يحرّجوها؛ فذهبت فتفرّقت في البلاد ، وأقبل خالد والمسلمون على الرَّجْل ففضّوهم؛ فكأنما هُدِم بهم حائط؛ فاقتحموا في خندقهم ، فاقتحمه عليهم فعَمَدوا إلى الواقوصة ، حتى هوى فيها المقترنون وغيرُهم ، فمَنْ صبر من المقترنين للقتال هوى به من خَشَعتْ نفسُه ، فيهوِي الواحد بالعشرة لا يطيقونه؛ كلَّما هوى اثنان كانت البقيَّة أضعف ، فتهافت في الواقوصة عشرون ومئة ألف؛ ثمانون ألف مقترن وأربعون ألف مطلق؛ سوى مَنْ قُتِل في المعركة من الخيْل والرّجل؛ فكان سهم الفارس يومئذ ألفاً وخمسمئة ، وتجلّل الفيقار وأشرافٌ من

أشراف الرُّوم برانسَهم ، ثم جلسوا وقالوا: لا نحبّ أن نرى يوم السَّوء إذْ لم نستطع أن نرى يوم السرور؛ وإذ لم نستطع أن نمنع النصرانيَّة؛ فأصيبوا في تزمّلهم[١] . (٣: ٣٩٦/ ٣٩٧/ ٣٩٨/ ٣٩٩/ ٤٠٠) .

٤٨ ـ كتب إليَّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي عثمان ، عن خالد وعبادة؛ قالا: أصبح خالد من تلك اللَّيْلة ، وهو في رِواق تَدارِق ، لمَّا دخل الخندق نزله وأحاطت به خيله ، وقاتل الناسُ حتى أصبحوا[٢] . (٣: ٤٠٠/ ٤٠١) .

٤٩ ـ كتب إليَّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي عُميس ، عن القاسم بن عبد الرحمن ، عن أبي أمامة ـ وكان شهد اليَرْموكَ هو وعُبادة بن الصامت ـ أنّ النساء قَاتلْنَ يوم اليَرْموك في جَوْلة ، فخرجت جُوَيْرِية بنة أبي سفيان في جَوْلة ، وكانت مع زوجها [وأصيبت] بعد قتال شديد ، وأصيبت يومئذ عينُ أبي سفيان ، فأخرج السهم من عينه أبو حثْمة[٣] . (٣: ٤٠١) .

٥٠ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي عثمان وخالد: وكان ممَّن أصيب في الثلاثة الآلاف الَّذين أصيبوا يوم اليَرْموك عِكرمة ، وعمرو بن عِكْرمة ، وسلمَة بن هشام ، وعمرو بن سعيد ، وأبان بن سعيد ـ وأثبِت خالد بن سعيد فلا يُدرَى أين ماتَ بَعْد ـ وجُنْدَب بن عمرو بن حُمَمَة الدَّوْسِيّ ، والطّفَيْل بن عمرو ، وضرار بن الأزور أثبت ، فبقَي ، وطُلَيْب بن عُمَير بن وَهْب من بني عبد بن قُصيّ ، وهَبَّار بن سُفْيان ، وهشام بن العاصي[٤] . (٣: ٤٠٢) .

٥١ ـ كتب إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سَيْف ، عن عمرو بن ميمون ، عن أبيه ، قال: لقي خالداً مقدمَه الشام مغيثاً لأهل اليرموك رجلٌ من روم العرب ، فقال: يا خالد ! إنّ الروم في جمع كثير؛ مئتي ألف أو يزيدون؛ فإن رأيت أن ترجعَ عَلَى حامِيتك فافعل؛ فقال خالد: أبالرّومِ تخوّفني ؟! والله لودِدْتُ أنّ

---

(١) سنذكر ما ورد في فتوح الشام بعد الرواية (٣/ ٤١٧/ ٢٤٥).
(٢) سنذكر ما ورد في فتوح الشام بعد الرواية (٣/ ٤١٧/ ٢٤٥).
(٣) سنذكر ما ورد في فتوح الشام بعد الرواية (٣/ ٤١٧/ ٢٤٥).
(٤) سنذكر ما ورد في فتوح الشام بعد الرواية (٣/ ٤١٧/ ٢٤٥).

الأشقر بَراءٌ من تَوَجّيه ، وأنَّهم أضعفوا ضعْفَهم ، فهزمهم الله على يديه![١] (٣ : ٤٠٢) .

٥٢ ـ كتب إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وعمرو بن ميمون ، قالوا : وقد كان هرقل حجّ قبل مهزم خالد بن سعيد ، فحجّ بيت المقدس ، فبينا هو مقيم به أتاه الخبر بقُرْب الجنود منه ، فجمع الرُّوم ، وقال : أرى من الرأي ألاّ تقاتِلُوا هؤلاء القوم ، وأن تُصالحوهم؛ فوالله لأن تُعطوهم نصفَ ما أخرجت الشام؛ وتأخذوا نصفاً وتقِرَّ لكم جبال الرُّوم؛ خيرٌ لكم من أن يبلغوكم على الشام ، ويشاركوكم في جبال الرّوم؛ فنخر أخوه ونخر خَتَنُه؛ وتصدّع عنه مَن كان حوله؛ فلمَّا رآهم يعصونه ويردّون عليه بعث أخاه ، وأمَّر الأمراء ، ووجَّه إلى كلّ جند جنداً. فلما اجتمع المسلمون ، أمرهم بمنزل واحد واسع جامع حصين ، فنزلوا بالواقوصة ، وخرج فنزل حِمْص ، فلمَّا بلغه أن خالداً قد طلع على سُوَى ، وانتسف أهلَه وأموالَهم ، وعَمَد إلى بُصْرَى وافتتحها وأباح عَذْراء ، قال لجلسائه : ألم أقل لكم لا تقاتلوهم! فإنَّه لا قِوامَ لكم مع هؤلاء القوم؛ إنّ دينهم دينٌ جديد يجدّد لهم ثِبارَهم ، فلا يقوم لهم أحد حتى يُبْلَى. فقالوا : قاتِل عن دينك ولا تُجبّن النَّاس ، واقض الذي عليك؛ قال : وأيَّ شيء أطلب إلاّ توفيرَ دينكم!

ولما نزلت جنود المسلمين اليَرْموك ، بعث إليهم المسلمون : إنَّا نريد كلامَ أميركم وملاقاته؛ فدعُونا نأتِه ونكلّمه ، فأبلغوه فأذِن لهم. فأتاه أبو عبيدة ويزيد بن أبي سفيان كالرسول ، والحارث بن هشام وضِرار بن الأزور وأبو جَنْدل بن سُهيل؛ ومع أخي الملك يومئذ ثلاثون رِواقاً في عسكره وثلاثون سُرادِقاً ، كلُّها من ديباج؛ فلمَّا انتهوْا إليها أبوْا أن يدخلوا عليه فيها ، وقالوا : لا نستحلّ الحرير فابْرز لنا. فبرز إلى فُرُش ممهَّدة؛ وبلغ ذلك هرقل ، فقال : ألم أقل لكم! هذا أوّلُ الذُّلّ ، أما الشام فلا شام؛ وويل للروم من المولود المشؤوم! ولم يتأتّ بينهم وبين المسلمين صُلْح ، فرجع أبو عبيدة وأصحابه ، واتَّعدوا ، فكان القتال حتى جاء الفتح[٢]. (٣ : ٤٠٢/٤٠٣) .

---

(١) سنذكر ما ورد في فتوح الشام بعد الرواية (٣/ ٤١٧/ ٢٤٥) .

(٢) سنذكر ما ورد في فتوح الشام بعد الرواية (٣/ ٤١٧/ ٢٤٥) .

٥٣ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن مُطَّرح ، عن القاسم ، عن أبي أمامة وأبي عثمان ، عن يزيد بن سنان ، عن رجال من أهل الشام ومن أشياخهم؛ قالوا: لمّا كان اليوم الّذي تأمّر فيه خالد؛ هزم الله الرُّوم مع الليلِ ، وصعد المسلمون العَقَبة ، وأصابوا ما في العسكر ، وقتل الله صناديدَهم ورؤوسهم وفرسانهم ، وقتل الله أخا هِرَقْل ، وأخِذ التَّذارق ، وانتهت الهزيمة إلى هرقل وهو دُون مدينة حِمْص ، فارتحل فجعل حِمْص بينه وبينهم ، وأمَّر عليها أميراً وخلَّفه فيها ، كما كان أمَّر على دمشق ، وأتبع المسلمون الرُّوم حين هزموهم خيولاً يَثْفِنونهم. ولمَّا صار إلى أبي عبيدة الأمرُ بعد الهزيمة؛ نادى بالرّحيل ، وارتحل المسلمون بزحْفهم حتى وضعوا عساكرَهم بمَرْج الصُّفَّر. قال أبو أمامة: فبُعِثت طليعة من مرَج الصُّفَّر ، معي فارسان؛ حتى دخلت الغُوطة فجُسْتها بين أبياتها وشجراتها ، فقال أحد صاحبَيّ: قد بلغتَ حيث أمِرت فانصرف لا تهلكْنا ، فقلت: قِفْ مكانَك حتى تصبح أو آتيَك. فسِرْتُ حتى دفعت إلى باب المدينة؛ وليس في الأرض أحدٌ ظاهر ، فنزعت لجام فرسِي وعلَّقت عليها مخلاتها ، وركزت رمحي ، ثم وضعت رأسي فلم أشعُر إلاّ بالمفتاح يحرَّك عند الباب ليُفتح؛ فقمت فصلَّيت الغداة ، ثم ركبت فرسي ، فحملت عليه ، فطعنت البوّاب فقتلته ، ثم انكفأت راجعاً؛ فخرجوا يطلبونني ، فجعلوا يكفون عنِّي مخافة أن يكون لي كمين ، فدفعت إلى صاحبي الأدْنى الَّذي أمرتُه أن يقف ، فلمَّا رأوْه قالوا: هذا كمين انتهى إلى كمينه. فانصرفوا وسرت أنا وصاحبي ، حتى دفعنا إلى صاحبنا الثاني ، فسِرْنا حتى انتهينا إلى المسلمين؛ وقد عزم أبو عبيدة ألاّ يبرح حتى يأتيَه رأيُ عمر وأمْرُه؛ فأتاه فرحلوا حتى نزلوا على دِمَشق ، وخلّف باليَرْمُوك بشير بن كعب بن أبيّ الحميريّ في خَيْل[1]. (٣: ٤٠٣/ ٤٠٤).

٥٤ ـ حدّثنا ابنُ حُميد ، قال: حدّثنا سلَمة عن محمد بن إسحاق ، عن صالح بن كيسان: أنّ أبا بكر رحمه الله حين سار القوم خرج مع يَزيد بن أبي سفيان يُوصِيه ، وأبو بكر يمشي ويزيد راكب ، فلمَّا فرغ من وصيَّته قال: أقرئُك

(١) سنذكر ما ورد في فتوح الشام بعد الرواية (٣/ ٤١٧/ ٢٤٥).

السلام ، وأستودعك الله. ثم انصرف ومضى يزيد ، فأخذ التَّبُوكيَّة ثم تبعه شُرَحبيل بن حَسَنة ثم أبو عبيدة بن الجرّاح مدداً لهما على رُبْع ، فسلكوا ذلك الطريق ، وخرج عمرو بن العاص حتى نزل بغَمْر العَرَبات ، ونزلت الرُّوم بثَنِيَّة جِلّق بأعلَى فلسطين في سبعين ألفاً ، عليهم تَذارِق أخو هِرَقْل لأبيه وأمِّه. فكتب عَمْرو بن العاص إلى أبي بكر ، يذكر له أمرَ الرُّوم ويستمدُّه. وخرج خالد بن سعيد بن العاصي؛ وهو بمرج الصُّفَّر من أرض الشام في يوم مَطير يستمطر فيه؛ فتعاوَى عليه أعلاَجُ الروم ، فقتلوه ، وقد كان عمرو بن العاص كتب إلى أبي بكر يذكر له أمر الروم ويستمدّه.

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق: وكتب أبو بكر إلى خالد وهو بالحِيرة ، يأمره أن يمِدّ أهلَ الشام بِمَن معه من أهل القوّة ، ويخرج فيهم ، ويستخلف على ضَعفَة النَّاس رجلاً منهم؛ فلمَّا أتى خالداً كتابُ أبي بكر بذلك ، قال خالد: هذا عمل الأعيسر بن أمّ شَمْلَة ـ يعني: عمر بن الخطاب ـ حسدني أن يكون فتْح العراق على يديّ. فسار خالد بأهل القوّة من الناس وردّ الضعفاء والنّساء إلى المدينة؛ مدينة رسول الله ﷺ ، وأمّر عليهم عُمير بن سعد الأنصاريّ ، واستخلف خالد على مَن أسلم بالعراق من رَبيعة وغيرهم المثنَّى بن حارثة الشيبانيّ. ثم سار حتى نزل على عَيْن التَّمْر ، فأغار على أهلها ، فأصاب منهم ، ورابط حِصْناً بها فيه مقاتلةٌ كان كسرى وضعهم فيه حتى استنزلهم ، فضرب أعناقهم ، وسَبَى من عَيْن التَّمْر ومن أبناء تلك المرابِطة سبايا كثيرة ، فبعث بها إلى أبي بكر؛ فكان مِن تلك السَّبَايا أبو عَمْرة مولى شبّان؛ وهو أبو عبد الأعلى بن أبي عمرة ، وأبو عبيدة مولى المعلَّى من الأنصار من بني زُريق ، وأبو عبد الله مولى زُهرة ، وخَيْر مولى أبي داود الأنصاريّ ثم أحد بني مازن بن النَّجار ، ويَسار وهو جدّ محمد بن إسحاق مولى قيس بن مَخْرمة بن المطَّلب بن عبد مناف ، وأفلح مولى أبي أيوب الأنصاريّ ثم أحد بني مالك بن النَّجار ، وحُمران بن أبان مَوْلى عثمان بن عفان. وقَتَل خالد بن الوليد هلالَ بن عَقّة بن بشر النّمَريّ وصلَبه بعين التّمر ، ثم أراد السَّير مفوّزاً من قُراقر ـ وهو ماء لكلب إلى سُوَى ، وهو ماء لبهراء بينهما خمس ليال ـ فلم يهتدِ خالد الطريق ، فالتمس دليلاً ، فدُلّ على رافع بن عميرة الطائيِّ؛ فقال له خالد: انطلق بالنَّاس ،

فقال له رافع: إنَّك لن تطيق ذلك بالخيل والأثقال؛ والله إنّ الراكب المفرد ليخافُها على نفسه وما يسلُكها إلا مغرّراً؛ إنها لخمس ليال جِياد لا يُصاب فيها ماء مع مَضَلَّتها ، فقال له خالد: ويْحك! إنه والله إنْ لي بدٌّ من ذلك ، إنه قد أتتني من الأمير عَزْمة بذلك ، فمرْ بأمرك ، قال: استكثروا من الماء؛ مَنِ استطاع منكم أن يصرّ أذنَ ناقته على ماء فليفعل؛ فإنها المهالك إلا ما دفع الله؛ ابْغِنِي عشرين جَزوراً عظاماً سماناً مَسانَّ. فأتاه بهنّ خالد ، فعمد إليهنّ رافع فظمَّأهن ، حتى إذا أجهدهنّ عطشاً أوردهنّ فشربن حتى إذا تملأّن عمَد إليهنّ ، فقطع مشافرهنّ ، ثم كَعمهنّ لئلا يجترزن ، ثم أخلى أدبارهنّ.

ثم قال لخالد: سر؛ فسار خالد معه مُغِذّاً بالخيول والأثقال؛ فكُلَّما نزل منزلاً افتظّ أربعاً من تلك الشَّوارف؛ فأخذ ما في أكراشها ، فسقاه الخيل؛ ثم شرب الناس مما حملوا معهم من الماء؛ فلما خشِيَ خالد على أصحابه في آخر يوم من المفازة قال لرافع بن عميرة وهو أرمد: ويحكَ يا رافع! ما عندك؟ قال: أدركتَ الرِّيّ إن شاء الله؛ فلمَّا دنا من العلَمَيْن ، قال للناس: انظروا هل ترون شُجيرة من عَوْسج كقِعْدة الرجل؟ قالوا: ما نراها. قال: إنَّا لله وإنا إليه راجعون! هلكتم والله إذاً وهلكتُ؛ لا أبالكم! انظروا ، فطلبوا فوجدوها قد قطعت وبقيت منها بقيَّة ، فلمَّا رآها المسلمون كبّروا وكبّر رافع بن عميرة؛ ثم قال: احفروا في أصلها ، فحفروا فاستخرجوا عيناً ، فشربوا حتى رَوِيَ النَّاس ، فاتّصلتْ بعد ذلك لخالد المنازل ، فقال رافع: والله ما وردتُ هذا الماءَ قطّ إلا مرةً واحدة ، وردته مع أبي وأنا غلام ، فقال شاعر من المسلمين:

لله عَيْنـا رافِـع أنّـى اهْتَـدَى ... فـوّزَ مـن قُـراقـرٍ إلـى سُـوَى!
خمْساً إذا ما سارها الجَيْشُ بكى ... مـا سـارهـا قَبْلـك إنسـيٌّ يُـرَى

فلمَّا انتهى خالد إلى سُوَى ، أغار على أهله ـ وهم بَهْراء ـ قبيل الصُّبح ، وناس منهم يشربونَ خَمْراً لهم في جَفْنة قد اجتمعوا عليها ، ومغنِّيهم يقول:

ألا علّلانِـي قبـل جيش أبـي بكـرِ ... لعـلّ منـايـانـا قـريـب ومـا نَـدْرِي
ألا علّـلانـي بـالـزُّجـاج وكـرِّرا ... عَلـيَّ كُمَيْـتَ اللونِ صـافيةً تَجْرِي
ألا علّـلانـي مـن سُـلافـة قهـوةٍ ... تسلِّي همومَ النفس من جيِّدِ الخمرِ
أظُـنُّ خيـولَ المسلميـن وخـالـداً ... ستطـرُقكـمْ قبـل الصَّبـاح من البِشْرِ

فهـل لكُـمُ فـي السيـر قبـل قتـالهـم وقبل خروج المعصراتِ من الخِدْر!

فيزعمون: أن مغنّيَهم ذلك قتِل تحت الغارة، فسال دمُه في تلك الجفنة. ثم سار خالدٌ على وجهه ذلك، حتى أغار على غَسَّان بمرْج راهط، ثم سار حتى نزلَ على قناة بُصْرَى، وعليها أبو عبيدة بن الجراح وشُرَحْبيل بن حَسَنة ويزيد بن أبي سفيان؛ فاجتمعوا عليها، فرابطوها حتى صالحت بُصرى على الجِزْية، وفتحها الله على المسلمين، فكانتْ أوّلَ مدينة من مَدائن الشام فتحت في خلافة أبي بكر. ثم ساروا جميعاً إلى فِلِسطين مدداً لعمرو بن العاص، وعمرو مقيم بالعَرباتِ مِنْ غَوْر فِلِسطين، وسمعت الرُّوم بهم، فانكشفوا عن جلَّق إلى أجْنادِين؛ وعليهم تَذَارق أخُو هِرَقْل لأبيه وأمِّه ـ وأجنادين بلد بين الرّملة وبيت جَبْرين من أرض فلسطين ـ وسار عمرو بن العاص حينَ سمع بأبي عبيدة بن الجرّاح وشُرَحبْيل بن حَسَنة ويزيد بن أبي سفيان حتى لقيَهم، فاجتمعوا بأجنادين؛ حتى عسكروا عليهم[(١)]. (٣: ٤٠٥/ ٤٠٦/ ٤١٥/ ٤١٦/ ٤١٧).

---

(١) إسناده ضعيف ولكن ذكرناه في قسم الصحيح لورود ما يقوي بعضه ولكن وردت عبارات زيادات تنمُّ عن غضب خالد عندما جاءه أمر سيدنا أبي بكر رضي الله عنه بلحاقه مع نصف جيش المسلمين في العراق بجيوش الفاتحين في الشام، وأن خالداً رضي الله عنه اتهم عمراً رضي الله عنه بوقوفه وراء هذه الأوامر وتذكر هذه الروايات الضعيفة سنداً: أن خالداً قال: هذا حسد من عمر حسدني على فتح العراق وأن يكون على يدي فأحبّ أن يجعلني مدداً لعمرو. . .

وفي رواية الطبري كلام لا يليق بتعامل الصحابة مع بعضهم البعض وحاشاهم أن يقولوا ذلك إذ جاء فيه أن خالداً قال: (هذا عمل الأعيسر بن أم شملة؛ يعني: عمر بن الخطاب . . . حسدني أن يكون فتح العراق على يديّ)، وللوقوف على هذه العبارات راجع كلاًّ من (تأريخ الطبري ٣/ ٤١٥) وتهذيب تأريخ دمشق (١/ ١٣١) وفتوح الشام للأزدي (ص ٦٨).

قلنا: (وبالله التوفيق): بالإضافة إلى كون هذه (الزيادة) ضعيفة الإسناد فإنها شاذة تخالف تماماً ما هو أصح منها في الروايات التي تحدثت عن ردة فعل خالد بن الوليد لمسألة أمره بالتوجه نحو الشام. وكذلك تخالف ما ذكره أئمة المغازي والسير في قضية تقدير عمر له وأما مسألة عزل سيدنا عمر لسيف الله خالد بعد ذلك فمسألة بعيدة تماماً عن الحقد والضغينة وما إلى ذلك. وإنما مسألة موازين إسلامية، وتقدير عسكري، وبُعْد استراتيجي (كما يقولون) ودراسة لطبيعة المرحلة الزمنية، ومراعاة للمصلحة المشتركة، كما سنبين إن شاء الله تعالى كالآتي:

١ - هنالك رواية توضح ردة فعل خالد لما هو أشدّ من أمره بالتوجه إلى الشام ألا وهو أمر=

عزله عن قيادة الجيش وإسناد ذلك إلى أبي عبيدة رضي الله عنه؛ فقد أخرج ابن سعد في الطبقات (٧/ ١٣٦) وأحمد في المسند (٤/ ٩٠) عن عبد الملك بن عمير قال: استعمل عمر أبا عبيدة على الشام وعزل خالد بن الوليد فقال خالد: بعث عليكم أمين هذه الأمة سمعت رسول الله ﷺ يقوله ، فقال أبو عبيدة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (خالد سيف من سيوف الله ، نعم فتى العشيرة!) وقال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح إلا أن عبد الملك بن عمير لم يدرك أبا عبيدة (مجمع الزوائد ٩/ ٣٥١).

٢ ـ أخرج ابن عبد البر في الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٤٣٠) من حديث الثوري: قيل لعمر عند موته: استخلف فقال: لو أدركت خالد بن الوليد ثم وليته ثم قدمت على ربي فقال لي: من استخلفت على أمة محمد؟ فقلت: سمعت عبدك وخليلك يقول: (خالد سيف من سيوف الله سلّه على المشركين) وكذلك أخرج (٢/ ٤٣٠) أن عمر رضي الله عنه قال عند وفاة خالد رضي الله عنه: (على مثل أبي سليمان تبكي البواكي).

٣ ـ وفي الجانب الآخر فإن خالداً رضي الله عنه لم يكن طالباً للإمارة بل كان محباً للجهاد تواقاً إلى الشهادة في سبيل الله فقد قال الحافظ ابن حجر: قال ابن المبارك في كتاب الجهاد عن حماد بن زيد: حدثنا عبد الله بن المختار عن عاصم بن بهدلة عن أبي وائل ـ ثم شك حماد في أبي وائل ـ قال: لما حضرت خالداً الوفاة قال: لقد طلبت القتل في مَظَانِّه فلم يقدر لي إلا أن أموت على فراشي ، وما من عملي شيء أرجى عندي بعد أن لا إله إلا الله من ليلة بِتُّها أنا متترسٌ والسماء تهلني تمطر إلى صبح ، حتى نغير على الكفار؛ ثم قال: إذا أنا متُّ فانظروا في سلاحي وفرسي فاجعلوه عدّة في سبيل الله ثم توفي (الإصابة ٢/ ٢١٩/ ت ٢٢٠٦) وأخرج ابن سعد أن خالداً قال عند موته: ما كان في الأرض من ليلة أحبّ إليّ من ليلة شديدة الجليد في سرية من المهاجرين أصبّح بهم العدو ، فعليكم بالجهاد.

فهذا هو سيف الله خالد عشق الجهاد وصهوة الجياد وغبار المعركة في سبيل الله حتى نهاية حياته: وقبل الرمق الأخير أوصى بسلاحه وفرسه عدة في سبيل الله من بعده ، فأين ذلك الأفق الرفيع الذي يعيش فيه صحابة رسول الله ﷺ وأين ذلك الخبط والتشويه لعدالة الصحابة ؟!.

ولو فرضنا أن سيدنا خالد حقاً قد قال عبارته هذه [هذا عمل الأعيسر بن أم شملة ـ يعني: عمر بن الخطاب ـ حسدني أن يكون فتح العراق على يديّ].

نقول: إن صحت نسبة هذه العبارة إلى خالد رضي الله عنه فهو توهم منه أدركه بعد ذلك وتراجع عنه ، والدليل على ذلك ما صح عنه حين مرضه الأخير لما عاده أبو الدرداء إذ قال خالد بن الوليد: [قد وجدت عليه في نفسي أموراً لمّا تدبرتها في مرضي هذا وحضرني من الله حاضر عرفت: أن عمر كان يريد الله بكل ما فعل] أي: أن خالداً تيقن أخيراً وأقر بأن عمراً رضي الله عنه لم يفعل ما فعل إلاّ لحكمة لم يدركها خالد يومها وإنما أدركها متأخراً وأن فعلته كانت في سبيل الله لا حقداً ولا حسداً.

٥٥ ـ قال أبو جعفر: وأمّا أبو زيد؛ فحدّثني عن عليّ بن محمد بالإسناد الذي قد ذكرت قبلُ: أنَّ أبا بكر رحمه الله وجَّه بعد خروج يزيد بن أبي سفيان موجّهاً إلى الشام بأيام شُرَحبيلَ بن حَسَنة ـ قال: وهو شُرَحْبيل بن عبد الله بن المطاع بن عمرو، من كِنْدة، ويقال من الأزد ـ فسار في سبعة آلاف، ثم أبا عبيدة بن الجرّاح في سبعة آلاف، فنزل يزيد البَلْقاء، ونزل شُرحبيل الأرْدُنّ ـ ويقال بُصْرَى ـ ونزل أبو عبيدة الجابِية، ثم أمدّهم بعمرو بن العاص، فنزل بغَمْر العرَبات، ثم رغِب الناس في الجهاد؛ فكانوا يأتون المدينة فيوجّههم أبو بكر إلى

= والدليل الثاني الذي يردّ هذه الزيادة المنكرة هي قولة سيدنا عمر الشهيرة عندما عزل خالداً قائلاً: «حتى يعلم الناس أن الله ينصر دينه لا خالداً» ولا نريد أن نطيل هنا بل سنذكر بالتفصيل في مسألة عزل خالدٍ رضي الله عنه والله الموفق.

أما الرواية التي تؤيد رواية الطبري هذه في قصة عبوره الصحراء في رواية مسندة جاءت في المعرفة والتأريخ للإمام يعقوب بن سفيان الفسوي الجزء الثالث تحقيق المؤرخ العمري ص ٢٩٧ ـ ٢٩٨: أخبرنا أبو محمد عبد الكريم بن حمزة بن الخضر السلمي، ثنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت ح. وأخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي، وأبو بكر بن الطبري، قالا أنبأ أبو الحسين بن الفضل القطان، أنبأ عبد الله بن جعفر بن درستويه، ثنا يعقوب بن سفيان ثنا هشام بن عمار، ثنا عبد الملك بن محمد، ثنا راشد بن داؤد الصغاني، حدثني أبو عثمان الصغاني شراحيل بن مرثد قال: بعث أبو بكر الصديق رضي الله عنه خالد بن الوليد إلى أهل اليمامة فلما قدمناها قاتلونا قتالاً شديداً فظفرنا بهم.

وهلك أبو بكر واستخلف عمر بن الخطاب فبعث أبا عبيدة بن الجراح إلى الشام ودمشق، واستمد أبو عبيدة عمر فكتب عمر إلى خالد أن سر إلى أبي عبيدة بالشام فدعا خالد بن الوليد الدليل فقال: في كم نأتي الحيرة؟ فقال: في كذا وكذا. فعطّش خالد بن الوليد الإبل ثم أساقها واستسقى وسقى الخيل، ثم كمّ أفواه الإبل وأدبارها. وقال له الدليل إن أصبحت عند الشجرة فقد نجوت ونجا من معك. فسار خالد بمن معه فأصبح عند إضاءة الفجر عند الشجرة فنحر الإبل ثم سقى ما في بطونها الخيل وأطعم لحومها الناس وسقى المسلمين من المزاد التي كانت تحمل معه... إلخ الرواية.

ورواية يعقوب بن سفيان هذه تخالف الروايات التي ذكرناها سابقاً والتي تبيّن أن أبا بكر رضي الله عنه هو الذي أمر خالداً بالمسير إلى الشام، وعلى أية حالٍ فإن بيت القصيد من هذه الرواية التي هي أصح سنداً من رواية ابن حميد الرازي لم تذكر الزيادة الشاذة التي تُنسب إلى خالد ولم تصحّ كما ذكرنا سابقاً، والله تعالى أعلم.

الشَّام فمنهم مَن يصير مع أبي عبيدة ، ومنهم مَن يصير مع يزيد ، يصير كلّ قوم مع من أحبّوا .

قالوا : فأوّل صُلْح كان بالشام صلح مَآبَ؛ وهي فسطاط ليست بمدينة ، مرّ أبو عبيدة بهم في طريقه ، وهي قرية من البَلْقاء ، فقاتلوه ، ثم سألوه الصُّلْح فصالحهم . واجتمع الرُّوم جمعاً بالعَرَبة من أرضِ فلسطين؛ فوجَّه إليهم يزيدُ بن أبي سفيان أبا أمامة الباهليّ؛ ففضَّ ذلك الجمع .

قالوا : فأوّل حرب كانت بالشام بعد سريّة أسامة بالعَرَبة . ثم أتوا الدّاثنة ـ ويقال : الدّاثن ـ فهزمهم أبو أمامة الباهليُّ ، وقتل بِطْريقاً منهم . ثم كانت مَرْج الصُّفَّر ، استشهد فيها خالد بن سعيد بن العاصي ، أتاهم أدْرُنْجار في أربعة آلاف وهم غارُّون ، فاستُشهد خالد وعدّة من المسلمين .

قال أبو جعفر : وقيل : إنّ المقتول في هذه الغزوة كان ابناً لخالد بن سعيد ، وإنّ خالداً انحاز حين قُتل ابنه ، فوجَّه أبو بكر خالد بن الوليد أميراً على الأمراء الذين بالشام ، ضمَّهم إليه؛ فشخص خالد من الحِيرة في ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة في ثمانمئة ـ ويقال : في خَمْسمئة ـ واستخلف على عَمَلِهِ المثنَّى بن حارثة ، فلَقيه عدوّ بَصَنْدَوْدَاء ، فظفر بهم ، وخلَّف بها ابن حَرام الأنصاريّ؛ ولقيَ جمعاً بالمُصيّخ ، والحُصَيْد ، عليهم ربيعة بن بُجيْر التَّغلبِيّ ، فهزمهم وسَبَى وغَنِم ، وسار ففوّز من قُراقِرِ إلى سُوَى؛ فأغار على أهل سُوَى؛ واكتسح أموالَهم ، وقتل حُرْقُوص بن النُّعمان البَهرانيّ ، ثم أتى أرَكَ فصالحوه ، وأتى تَدْمُر فتحصّنوا ، ثم صالحوه؛ ثم أتى القريتيْن ، فقاتلهم ، فظفر بهم ، وغَنِم ، وأتى حُوَّارين؛ فقاتلهم فهَزَمهم وقتلَ وسبَى ، وأتى قُصَم فصالحه بنو مَشْجَعة من قُضاعة ، وأتى مَرْج راهِط ، فأغار على غَسَّان في يوم فِصْحهم ، فقتل وسَبَى ، ووجَّه بُسْر بن أبي أرطاة وحبيب بن مَسْلَمة إلى الغوطة ، فأتوْا كنيسة فسَبوا الرِّجال والنِّساء ، وساقُوا العِيال إلى خالد .

قال : فوافى خالداً كتابُ أبي بكر بالحيرة منصرفَه من حجِّهِ : أن سِرْ حتَّى تأتيَ جموعَ المسلمين باليَرْموك ، فإنهم قد شَجُوا وأشْجَوْا ، وإيّاك أن تعود لمثل ما فعلت ، فإنه لم يُشْجِ الجموع من الناس بعون الله شجاك ، ولم ينزع الشجَى من الناس نزعك . فليهْنئك أبا سليمان النيَّة والحُظوة؛ فأتمِم يُتمم الله لك ،

ولا يدخلنَّك عُجب فتخسَر وتُخْذَل؛ وإيّاك أن تُدِلّ بعمل، فإن الله عزّ وجلّ له المنّ، وهو وليّ الجَزاء.

رجع الحديث إلى حديث أبي زيد عن علي بن محمد بإسناده الذي قد مضى ذكره، قال: وأتَى خالدٌ دمشقَ فجمع له صاحِب بصرى، فسار إليه هو وأبو عُبيدة؛ فلقيَهم أدرنجا، فظفِر بهم، وهزمهم؛ فدخلوا حصنَهم؛ وطلبوا الصُّلْح، فصالحهم على كلّ رأس دينار في كلِّ عام وجريب حنطة. ثم رجع العدوُّ للمسلمين، فتوافَتْ جنود المسلمين والرُّوم بأجنادين، فالتقَوْا يوم السبت لليلتين بقِيَتا من جُمادى الأولى سنة ثلاث عشرة؛ فظهر المسلمون، وهزم الله المشركين، وقتل خليفة هِرَقل، واستشهد رجالٌ من المسلمين؛ ثم رجع هِرَقْل للمسلمين، فالتقوْا بالواقوصة فقاتلوهم؛ وقاتلهم العدوّ، وجاءتهم وفاة أبي بكر وهم مصافُّون وولاية أبي عبيدة، وكانت هذه الوقعة في رجب[1].
(٣: ٤٠٦/٤٠٧/٤١٨/٤١٩).

٥٦ ـ كتب إليَّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن عمرو بن محمد، عن إسحاق بن إبراهيم، عن ظَفر بن دهي، ومحمد بن عبد الله عن أبي عثمان، وطلحة عن المغيرة، والمهلَّب بن عقبة عن عبد الرحمن بن سِياه الأحمريّ، قالوا: كان أبو بكر قد وجّه خالدَ بن سعيد بن العاصي إلى الشام حيث وجّه خالد بن الوليد إلى العراق، وأوصاه بمثل الَّذي أوصى به خالداً. وإن خالد بن سعيد سار حتى نزلَ على الشام ولم يقتحم؛ واستجلب النَّاس فعزَّ، فهابته الرُّوم، فأحجموا عنه، فلم يصبر على أمر أبي بكر ولكن تورّدها فاستطردت له الرُّوم، حتى أوردوه الصُّفَّر، ثم تعطَّفوا عليه بعد ما أمِن؛ فوافقوا ابنَه سعيد بن خالد مستمطِراً؛ فقتلوه هو ومَن معه، وأتى الخبرُ خالداً، فخرج هارباً؛ حتى يأتي البرّ، فينزل منزلاً، واجتمعت الرُّوم إلى اليَرْموك؛ فنزلوا به، وقالوا: والله لنشغلن أبا بكر في نفسه عن تورّد بلادنا بخيوله.

وكتب خالد بن سعيد إلى أبي بكر بالَّذي كان، فكتب أبو بكر إلى عمرو بن العاص ـ وكان في بلاد قُضاعة ـ بالسَّير إلى اليرموك، ففعل. وبعث أبا عبيدة بن

(١) سنذكر ما ورد في فتوح الشام بعد الرواية (٣/ ٤١٧/ ٢٤٥).

الجراح ويزيد بن أبي سفيان ، وأمر كلّ واحد منهما بالغارة ، وألاّ تُوغلوا حتى لا يكون وراءكم أحدٌ من عدوِّكم .

وقدم عليه شُرَحبْيل بن حَسَنة بفتح من فتوح خالد ، فسرّحه نحو الشام في جُنْد ، وسمّى لكلّ رجل من أمراء الأجناد كورةً من كور الشام؛ فتوافوا باليَرْموك ، فلمّا رأت الروم توافيَهم ندموا على الذي ظهر منهم ، ونَسوا الذي كانوا يتوعّدون به أبا بكر ، واهتموا وهمَّتهم أنفسهم ، وأشْجَوْهم وشجوا بهم ، ثم نزلوا الواقوصة. وقال أبو بكر: والله لأنْسِيَنّ الرُّوم وساوسَ الشيطان بخالد بن الوليد ، فكتب إليه بهذا الكتاب الَّذي فوق هذا الحديث ، وأمَره أن يستخلِف المثنَّى بن حارثة على العِراق في نصف الناس ، فإذا فتح الله على المسلمين الشَّام ، فارجعْ إلى عملك بالعراق. وبعث خالد بالأخماس إلاّ ما نفّل منها مع عُمَير بن سعد الأنصاريّ وبمسيره إلى الشام. ودعا خالد الأدلَّة ، فارتحل من الحيرة سائراً إلى دُومة ، ثم طعن في البرّ إلى قراقر ، ثم قال: كيف لي بطريق أخرج فيه من وراء جموع الروم! فإني إن استقبلتها حبستني عن غِياث المسلمين ، فكلّهم قال: لا نعرف إلا طريقاً لا يحمل الجيوش ، يأخذه الفذّ الراكب ، فإيّاك أن تغرّر بالمسلمين. فعزم عليهم ولم يُجِبْه إلى ذلك إلاّ رافع بن عُميرةَ على تهيُّبٍ شديد ، فقام فيهم ، فقال: لا يختلفنّ هَدْيُكم ، ولا يضعفنّ يقينكم ، واعلموا أنّ المعونة تأتي على قدر النيّة ، والأجر على قدر الحِسْبة؛ وإنّ المسلم لا ينبغي له أن يكترث بشيء يقع فيه مع معونة الله له ، فقالوا له: أنت رَجُلٌ قد جمع الله لك الخير ، فشأنَك. فطابقوه ونووا واحتسبوا ، واشتهوا مثلَ الذي اشتهى خالد ، فأمرهم خالد ، فتروّوا للشَّفَة لخمس ، وأمر صاحب كلّ خيل بقدر ما يسقيها ، فظمَّأ كلُّ قائد من الإبل الشُّرُفِ الجِلال ما يكتفي به ، ثم سَقْوها العَلَل بعد النَّهلِ؛ ثم صرُّوا آذان الإبل وكعموها ، وخلَّوا أدبارها ، ثم ركبوا من قراقر مفوّزين إلى سُوَى - وهي على جانبها الآخر ممَّا يلي الشام - فلما ساروا يوماً افتظّوا لكل عِدّة من الخيل عشراً من تلك الإبل فمزجوا ما في كُروشها بما كان من الألبان ، ثم سَقَوا الخيلَ ، وشربوا للشفة جَرْعاً ، ففعلوا ذلك أربعة أيام[١]. (٣: ٤٠٨/٤٠٩).

(١) سنذكر ما ورد في فتوح الشام بعد الرواية (٣/ ٤١٧/ ٢٤٥).

٥٧ ـ قال أبو جعفر الطبريّ: وشاركهم محمَّد وطلحة، قالوا: لما نزل بسُوَى وخشِيَ أن يفضحهم حرُّ الشمس؛ نادى خالد رافعاً: ما عندك؟ قال: خير، أدركتم الرِّيّ، وأنتم على الماء! وشجَّعهم وهو متحيّر أرمد، وقال: أيُّها النَّاس، انظروا عَلَمَيْن كأنهما ثَدْيان. فأتوْا عليهما، وقالوا: عَلَمان، فقام عليهما فقال: اضربوا يمْنةً ويَسْرَةً ـ لعَوْسجة كقِعدة الرجل ـ فوجدوا جِذْمها، فقالوا: جذمٌ، ولا نرى شجرة، فقال: احتفروا حيث شئتمْ، فاستثاروا أوشالاً وأحساءً رَواءً، فقال رافع: أيّها الأمير، والله ما وردتُ هذا الماء منذ ثلاثين سنة، وما وردته إلاّ مرّة وأنا غلام مع أبي. فاستعدُّوا ثم أغاروا والقوم لا يروْن أنّ جيشاً يقطع إليهم[١]. (٣: ٤٠٩/ ٤١٠).

٥٨ ـ كتب إليَّ السريُّ عن شعيب، عن سيف، عن عمرو بن محمد، عن إسحاق بن إبراهيم، عن ظفر بن دهي، قال: فأغار بنا خالد من سُوَى على مُصَيَّخ بَهْرَاءَ بالقُصْوانَى ـ ماء من المياه ـ فصبَّح المُصَيَّخ والنَّمِر؛ وإنهم لغارّون، وإن رفقة لتشرب في وجه الصُّبْح، وساقيهم يغنِّيهم، ويقول:

ألا صَبّحانـي قَبْـلَ جَيْـشِ أبـي بكـرِ

فضُربت عنُقه، فاختلط دمُه بخمره[٢]. (٣: ٤١٠).

٥٩ ـ كتب إليَّ السريُّ عن شعيب، عن سيف، عن عمرو بن محمد بإسناده الذي تقدّم ذكره، قال: ولمّا بلغ غسَّان خروج خالد على سُوى وانتسافها، وغارتُه على مصَيَّخ بَهْراء وانتسافها، فاجتمعوا بمرْج راهط، وبلغ ذلك خالداً، وقد خلّف ثُغور الرُّوم وجنودها ممَّا يلي العراق، فصار بينهم وبين اليرموك، صمد لهم؛ فخرج من سُوَى بعد ما رجع إليها بسبْي بَهْراء، فنزل الرُّمانَتين ـ عَلَمَيْن على الطريق ـ ثم نزل الكَثَب؛ حتى صار إلى دمشق، ثم مَرْج الصُّفَّر، فلقِيَ عليه غَسّانَ وعليهم الحارث بن الأيْهَم، فانتسف عسكرهم وعيالاتِهم. ونزل بالمَرْج أيّاماً، وبعث إلى أبي بكر بالأخماس مع بلال بن الحارث المُزَنيّ، ثم خرج من المرْج حتى ينزل قناة بُصْرَى؛ فكانت أوّلَ مدينة افتُتحت بالشام على

(١) سنذكر ما ورد في فتوح الشام بعد الرواية (٣/ ٤١٧/ ٢٤٥).

(٢) سنذكر ما ورد في فتوح الشام بعد الرواية (٣/ ٤١٧/ ٢٤٥).

يديْ خالـد فيمن معه من جُنُـود العراق ، وخـرج منهـا ، فوافـى المسلمين بالواقُوصة ، فنازلهم بها في تسعة آلاف[١] . (٣: ٤١٠/ ٤١١) .

٦٠ ـ كتب إليَّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلّب ، قالوا: ولما رجع خالدٌ من حجِّه وافاه كتاب أبي بكر بالخُروج في شَطْر الناس ، وأن يخلّف على الشَّطْر الباقي المثنَّى بن حارثة ، وقال: لا تأخذنْ نجداً إلاّ خلّفت له نجداً ، فإذا فتح الله عليكم فارْدُدْهم إلى العراق ، وأنت معهم ، ثم أنت على عَمَلِك. وأحضر خالدٌ أصحابَ رسول الله ﷺ واستأثر بهم على المثنّى ، وترك للمثنّى أعدادهم من أهل القناعة ممن لم يكن له صحبة ، ثم نظر فيمن بقيَ ، فاختلج مَن كان قدِم على النبيّ ﷺ وافداً أو غير وافد ، وترك للمثنَّى أعدادَهم من أهل القناعة؛ ثم قسَم الجند نصفيْن ، فقال المثنّى: والله لا أقيم إلاّ على إنفاذ أمر أبي بكر كلِّه في استصحاب نصف الصحابة أو بعض النصف ، وبالله ما أرجو النَّصر إلاّ بهم ، فأنَّى تُعرِيني منهم! فلما رأى ذلك خالد بعد ما تلكَّأ عليه أعاضه منهم حتى رضيَ ، وكان فيمن أعاضه منهم فُرات بن حيَّان العجليّ ، وبَشِير بن الخَصَاصِيّة ، والحارث بن حسّان الذُّهليَّان ، ومعبَد بن أمّ معبد الأسلميّ ، وعبد الله بن أبي أوفى الأسلميّ ، والحارث بن بِلال المُزنيّ ، وعاصم بن عمرو التميميّ؛ حتى إذا رضيَ المثنَّى وأخذ حاجَتَه؛ انجذب خالد فمضَى لوجهه وشيَّعه المثنَّى إلى قُراقر ، ثم رجع إلى الحيرة في المرحّم ، فأقام في سلطانه ، ووضع في المسلحة التي كان فيها على السَّيْب أخاه ، ومكان ضرار بن الخطاب عتبةَ بن النّهاس ، ومكان ضرار بن الأزور مسعوداً أخاه الآخر ، وسدّ أماكن كلّ مَن خرج من الأمراء برجالٍ أمثالهم من أهل الغَناء ، ووضع مذعور بن عديّ في بعض تلك الأماكن ، واستقام أهل فارس ـ على رأس سنة من مقدَم خالد الحيرة؛ بعد خروج خالد بقليل؛ وذلك في سنة ثلاث عشرة ـ على شَهْرَبَراز بن أردشير بن شهريار ممّن يُناسب إلى كسرى ، ثم إلى سابور. فوجّه إلى المثنَّى جنداً عظيماً عليهم هُرْمُز جاذَوَيْه في عشرة آلاف ، ومعه فيل ، وكتبت المسالح إلى المثنَّى بإقباله ، فخرج المثنَّى من الحِيرة نحوه ، وضمّ إليه المسالح ، وجعل على مجنَّبَتَيْه المُعَنَّى ومسعوداً ابنَي حارثة ، وأقام له ببابل ، وأقبلَ هُرمز جاذويه ، وعلى مجنَّبَتَيْه

(١) سنذكر ما ورد في فتوح الشام بعد الرواية (٣/ ٤١٧/ ٢٤٥).

الكوكبد والخرُكبْذ. وكتب إلى المثنَّى: من شهر براز إلى المثنَّى؛ إني قد بعثتُ إليك جنداً من وخش أهل فارس ، إنما هم رُعاة الدّجاج والخنازير؛ ولست أقاتلك إلاّ بهم. فأجابه المثنَّى: من المثنَّى إلى شهر براز؛ إنما أنتَ أحدُ رجليْن: إما باغٍ فذلك شرٌّ لك وخيرٌ لنا ، وإمَّا كاذب فأعظم الكذّابين عقوبةً وفضيحة عند الله في الناس الملوك. وأما الذي يدلّنا عليه الرأي؛ فإنّكم إنما اضطررتم إليهم؛ فالحمد لله الذي ردّ كيدكم إلى رعاة الدّجاج والخنازير. فجزع أهلُ فارس من كتابه ، وقالوا: إنما أتِيَ شهربراز من شؤم مولده ولؤم مَنشئه ـ وكان يسكن ميسان ـ وبعض البلدان شَيْنٌ على مَنْ يسكنه.

وقالوا له: جرّأت علينا عدوَّنا بالَّذي كتبت به إليهم؛ فإذا كاتبت أحداً فاسْتَشِرْ. فالتقوْا ببابل ، فاقتتلوا بعُدوة الصَّراة الدُّنيا على الطريق الأوّل قتالاً شديداً.

ثم إن المثنّى وناساً من المسلمين اعتورُوا الفيل ـ وقد كان يفرّق بين الصفوف والكراديس ـ فأصابوا مقتَله ، فقتلوه وهزموا أهلَ فارس ، واتّبعهم المسلمون يقتلونهم ، حتى جازوا بهم مسالِحَهُمْ ، فأقاموا فيها ، وتتبَّع الطلب الفالَّة؛ حتى انتهوْا إلى المدائن؛ وفي ذلك يقول عَبْدة بن الطبيب السعديّ ، وكان عَبْدة قد هاجَر لمهاجَرة حليلة له حتى شهد وقعة بابل؛ فلما آيسته رجع إلى البادية ، فقال:

هل حَبْلُ خَولَةَ بَعْدَ البَيْن موصولُ ... أم أنت عنها بَعِيدُ الدارِ مشغولُ!

ولِلأَحِبَّة أيّامٌ تَذكَّرُها ... وللنّوى قبل يوم البين تأويل

حَلَّتْ خُوَيلةُ في حَيّ عَهِدتهُمْ ... دُونَ المَدائنِ فيها الدِّيكُ والفيلُ

يُقارِعون رؤوس العُجْم ضاحِيَةً ... مِنْهُم فوارِسُ لا عُزلٌ ولا مِيلُ

القصيدة. وقال الفرزدق يعدّد بيوتات بكر بن وائل وذكر المثنّى وقَتْلَه الفيل:

وبَيْتُ المُثنّى قاتِلِ الفيلِ عَنْوةً ... ببابلَ إذ في فارِسٍ مُلكُ بابِل

ومات شهر براز منهزَمَ هرمز جاذويه.

واختلف أهل فارس ، وبقي ما دون دِجْلة وبُرْس من السَّواد في يدي المثنَّى والمسلمين.

ثم إنّ أهل فارس اجتمعوا بعد شهر براز على دُخْت زَنان ابنة كسرى؛ فلم ينفذ لها أمرٌ فخُلعت.

ومُلِّكَ سابور بن شهربراز. قالوا: ولما ملك سابور بن شهر براز قام بأمره الفَرُّخزاذ بن البِنْدَوان، فسأله أن يزوّجه آزَرْمِيدُخْت ابنة كِسْرى، ففعل، فغضبت من ذلك، وقالت: يا بن عَمّ! أتزوّجني عبدي؟! قال: استحْيِي من هذا الكلام ولا تعيديه عليّ، فإنَّه زوجُك، فبعثت إلى سِياوَخْش الرازيّ - وكان من فتّاك الأعاجم - فشكَتْ إليه الّذي تخاف، فقال لها: إن كنتِ كارهة لهذا فلا تعاوِديه فيه، وأرسلي إليه وقولي له: فليقل له فليأتك؛ فأنا أكفيكه. ففعلت وفعل؛ واستعدّ سياوَخْش، فلمّا كان ليلة العُرْس أقبل الفرُّخزاذ حتى دخلَ، فثار به سياوَخْش فقتله ومَن معه، ثم نَهدَ بها معه إلى سابور، فحضرته ثم دخلوا عليه فقتلوه، ومُلّكَتْ آزر ميدخت بنت كسرى، وتشاغلوا بذلك؛ وأبطأ خبر أبي بكر على المسلمين فخلّف المثنّى على المسلمين بشير بن الخصاصيَّة، ووضع مكانه في المسالح سعيدَ بن مُرّة العِجْلي؛ وخرج المثنَّى نحو أبي بكر ليخبره خبر المسلمين والمشركين، وليستأذنه في الاستعانة بمن قد ظهرت توبتُه وندمُه من أهل الرّدة مِمن يستطعمه الغزوَ، وليخبره أنه لم يخلّف أحداً أنشط إلى قتال فارس وحربها ومعونة المهاجرين منهم. فقدم المدينة وأبو بكر مريض، وقد كان مرض أبو بكر بعد مخرج خالد إلى الشام - مرضته التي مرض فيها - بأشهر؛ فقدم المثنَّى وقد أشفى، وعقد لعمر، فأخبره الخبر، فقال: عليّ بعمر، فجاء فقال له: اسمع يا عمر ما أقول لك، ثم اعمل به؛ إنّي لأرجُو أن أموتَ من يومي هذا - وذلك يوم الإثنين - فإن أنا مِتّ فلا تمسينّ حتى تندُب الناس مع المثنّى، وإن تأخّرتُ إلى الليل فلا تُصْبحنّ حتى تندب الناس مع المثنّى، ولا تشغلنّكم مصيبة وإنَ عَظُمت عن أمر دينكم، ووصية ربِّكم؛ وقد رأيتُنِي متوفَّى رسولِ الله ﷺ وما صنعت، ولم يصَب الخلق بمثله؛ وبالله لو أنّي أنِي عن أمر رسوله؛ لخذلَنا، ولعاقبَنا، فاضطرمت المدينة ناراً. وإن فتح الله على أمراء الشام؛ فارددْ أصحابَ خالد إلى العراق، فإنَّهم أهله وولاة أمره وحدّه وأهل الضّراوة منهم والجراءة عليهم.

ومات أبو بكر رحمه الله مع الليل، فدفنه عمرُ ليلاً، وصلى عليه في المسجد، وندب الناس مع المثنَّى بعد ما سُوِّيَ على أبي بكر، وقال عمر: كان

أبو بكر قد عَلِم أنه يَسُوءني أنْ أؤمّر خالداً على حرب العراق؛ حين أمرني بصرف أصحابي ، وترَكَ ذكره .

قال أبو جعفر: وإلى آزر ميدخت انتهى شأن أبي بكر ، وأحدُ شِقَّي السَّواد في سلطانه ، ثم مات وتشاغل أهلُ فارس بينهم عن إزالة المسلمين عن السَّواد ، فيما بين ملك أبي بكر إلى قيام عمر ورجوع المثنّى مع أبي عبيد إلى العراق ، والجمهور من جُنْد أهل العراق بالحيرة ، والمسالح بالسّيب ، والغارات تنتهي بهم إلى شاطىء دِجْلة ، ودجلة حجاز بين العرب والعجم . فهذا حديث العراق في إمارة أبي بكر من مبتدئه إلى منتهاه[1] . (٣: ٤١١/ ٤١٢/ ٤١٣/ ٤١٤) .

٦١ ـ حدّثنا ابنُ حُميد ، قال: حدّثنا سَلَمة عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزّبَير ، عن عُروة بن الزبير: أنَّه قال: كان على الرّوم رجل منهم يقال له: القُبُقْلار؛ وكان هِرَقل استخلفه على أمَرَاء الشام حين سار إلى القسطنطينيّة ، وإليه انصرف تذَارق بمنْ معه من الروم . فأمّا علماء الشام فيزعُمون أنّما كان على الرّوم تَذارِق . والله أعلم[2] . (٣: ٤١٧) .

٦٢ ـ حدّثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سلَمة عن محمّد بن إسحاق ، عن محمّد بن جعفر بن الزبير ، عن عُروة ، قال: لما تدانَى العسكران بعث القُبُقْلار رجلاً عربيّاً ـ قال: فحدّثت: أنّ ذلكَ الرجل رجلٌ من قضاعة من تزيد بن حَيْدَان ، يقال له ابن هزارف ـ فقال: ادْخُل في هؤلاء القوم فأقم فيهم يوماً وليلة ، ثم ائتني بخبرهم . قال: فدخل في النّاس رجلٌ عربي لا ينكَر؛ فأقام فيهم يوماً وليلة ، ثم أتاه فقال له: ما وراءك؟ قال: بالليل رهبان ، وبالنهار فرسان ، ولو سَرق ابنُ ملكهم قطعوا يده ، ولو زنى رُجِم؛ لإقامة الحقّ فيهم . فقال له القبقلار: لئن كنتَ صدقتني لَبَطنُ الأرض خيْرٌ من لقاء هؤلاء على ظهرها ، ولوددْتُ: أنّ حظّي من الله أن يخلّى بيني وبينهم ، فلا ينصرني عليهم ، ولا ينصُرهم عليّ . قال: ثم تزاحف النّاس ، فاقتتلوا ، فلما رأى القُبُقْلار ما رأى من قتال المسلمين؛ قال للروم: لفُّوا رأسِي بثوب ، قالوا له: لِمَ؟ قال: يوم البئيس ، لا أحبّ أن أراه!

---

(١) سنذكر ما ورد في فتوح الشام بعد الرواية (٣/ ٤١٧/ ٢٤٥) .

(٢) سنذكر ما ورد في فتوح الشام بعد الرواية (٣/ ٤١٧/ ٢٤٥) .

ما رأيت في الدُّنيا يوماً أشدّ من هذا! قال: فاحتزَّ المسلمون رأسَه ، وإنّه لملفَّف .

وكانت [وقعة] أجنادين في سنة ثلاث عشرة لليلتيْن بقِيَتَا من جُمادى الأولى . وقتل يومئذ من المسلمين جماعةٌ؛ منهم سلمة بن هشام بن المغيرة ، وهبّار بن الأسود بن عبد الأسد ، ونعيم بن عبد الله النحّام ، وهشام بن العاصي بن وائل ، وجماعة أخَر من قُريش . قال: ولم يسمَّ لنا من الأنصار أحدٌ أصيب بها .

وفيها تُـوُفِّـي أبو بكر لثمانِ ليالٍ بقينَ ـ أو سبع بقينَ ـ من جُمادى الآخرة[١] . (٣: ٤١٧/٤١٨) .

---

(١) سنذكر ما ورد في فتوح الشام بعد الرواية (٣/ ٤١٧/ ٢٤٥) .

ذكر ما ورد عند غير الطبري في فتوحات الشام في السنة الثالثة عشرة
في عهد الخليفة الأول الصديق رضي الله عنه وأرضاه

١ ـ أخرج البخاري في صحيحه (٦/ كتاب الجهاد/ ح ٣٠٦٩) عن ابن عمر رضي الله عنه (أنه كان على فرس يوم لقي المسلمون وأمير المسلمين يومئذ خالد بن الوليد ، بعثه أبو بكر ، فأخذه العدو ، فلما هزم العدو رد خالد فرسه) .
وروى عبد الرزاق: العبد الذي أبق لابن عمر كان يوم اليرموك (٥/ ١٩٤) أخرجه عن معمر عن أيوب عن نافع به (الفتح ٦/ ٢١٢) .
٢ ـ وأخرج عبد الرزاق في مصنفه (٥/ ١٩٤/ ح ٩٣٥٣) عن ابن عمر قال: أبق لي غلام يوم اليرموك ثم ظهر عليه المسلمون فردّوه إليّ . وإسناده صحيح .
٣ ـ وأخرج البخاري في صحيحه أيضاً (كتاب الجهاد/ ح ٣٠٦٨) عن نافع: أن عبداً لابن عمر أبق فلحق بالروم فظهر عليه خالد بن الوليد فردَّه على عبد الله وأن فرساً لابن عمر عارَ فلحق بالروم فظهر عليه فردّوه على عبد الله .
٤ ـ وأخرج ابن عساكر في تأريخ دمشق عن عبد الله بن أبي أوفى الخزاعي قال: لما أراد أبو بكر غزو الروم دعا علياً وعمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وأبا عبيدة بن الجراح ، ووجوه المهاجرين والأنصار من أهل بدر وغيرهم فدخلوا عليه ـ قال عبد الله بن أبي أوفى: وأنا فيهم ـ فقال: إن الله عز وجل لا تحصى نعماؤه ولا يبلغ جزاءها الأعمال. فله الحمد ، قد جمع الله كلمتكم وأصلح ذات بينكم وهداكم إلى الإسلام ونفى عنكم الشيطان ، فليس يطمع أن تشركوا به ولا تتخذوا إلهاً غيره فالعرب اليوم بنو أم وأب ، وقد رأيت أن أستنفر المسلمين إلى جهاد الروم بالشام ليؤيد الله المسلمين ، ويجعل الله كلمته العليا مع أن للمسلمين في ذلك الحظَّ الوافر لأنه من هلكَ منهم هلكَ شهيداً، وما عند الله خير للأبرار ، ومن عاشَ عاش مدافعاً عن الدين مستوجباً على الله ثواب=

= المجاهدين ، وهذا رأيي الذي رأيت ، ما شار امرؤ عليَّ برأيه ، فقام عمر بن الخطاب فقال: الحمد لله الذي يخص بالخير من يشاء من خلقه ، والله ما استبقنا إلى شيء من الخير قط إلا سبقتنا إليه ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ قد والله أردت لقاءك بهذا الرأي الذي رأيت. فما قضى أن يكون حتى ذكرته ، فقد أصبتَ أصاب الله فيك سبيل الرشاد ، سرّب إليهم الخيل إثر الخيل ، وابعث الرجال بعد الرجال ، والجنود تتبعها الجنود ، فإن الله ناصر دينه ومعز الإسلام وأهله.

ثم إن عبد الرحمن بن عوف قام فقال: يا خليفة رسول الله ! إنها الروم وبنو الأصفر ، حدّ حديد وركن شديد ، ما أرى أن تقحم عليهم إقحاماً. ولكن نبعث الخيل فنغير في قواصي أرضهم ثم نرجع إليك. فإذا فعلوا ذلك بهم مراراً أضروا بهم وغنموا من أدنى أرضهم فقووا بذلك على عدوهم ، ثم تبعث إلى أراضي أهل اليمن وأقاصي ربيعة ومضر ثم تجمعهم جميعاً إليك. فإن شئت بعد ذلك غزوتهم بنفسك وإن شئت أغزيتهم. ثم سكت وسكت الناس.

قال: فقال لهم أبو بكر: ماذا ترون؟ فقال عثمان بن عفان: إني أرى أنك ناصح لأهل هذا الدين شفيق عليهم ، فإذا رأيت رأياً تراه لعامّتهم صلاحاً فاعزم على إمضائه ، فإنك غير ظنين. فقال طلحة والزبير وسعد وأبو عبيدة وسعيد بن زيد ومن حضر ذلك المجلس من المهاجرين والأنصار: صدق عثمان ، ما رأيت من رأي فامضه ، فإنا لا نخالفك ولا نتهمك. وذكروا هذا وأشباهه ، وعليٌّ في القوم لم يتكلم. قال أبو بكر: ماذا ترى يا أبا الحسن؟ فقال: أرى أنك إن سرت إليهم بنفسك أو بعثت إليهم نُصرت عليهم إن شاء الله. فقال: بشّرك الله بخير! ومن أين علمت ذلك؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يزال هذا الدين ظاهراً على كل من ناوأه حتى يقوم الدين وأهله ظاهرون». فقال: سبحان الله ما أحسن هذا الحديث. لقد سررتني به سرّك الله.

ثم إن أبا بكر رضي الله عنه قام في الناس فذكر الله بما هو أهله وصلى على نبيه ﷺ ثم قال: أيها الناس ، إن الله قد أنعم عليكم بالإسلام ، وأكرمكم بالجهاد وفضلكم بهذا الدين على كل دين فتجهزوا عباد الله إلى غزو الروم بالشام ، فإني مؤمّرٌ عليكم أمراء وعاقد لكم ، فأطيعوا ربكم ولا تخالفوا أمراءكم لتحسُن نيتكم وشربكم وأطعمتكم. فـ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ فسكت القوم ، فوالله ما أجابوا فقال عمر: يا معشر المسلمين ما لكم لا تجيبون خليفة رسول الله ﷺ وقد ﴿ دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ أما إنه ﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا ﴾ لابتدرتموه. فقام عمرو بن سعيد فقال: يا بن الخطاب ! ألنا تضرب الأمثال أمثال المنافقين؟! فما منعك مما عِبت علينا فيه أن تبتدئ به؟! فقال عمر: إنه يعلم أني أجيبه لو يدعوني ، وأغزو لو يغزيني. قال عمرو بن سعيد: ولكن نحن لا نغزو لكم إن غزونا ، إنما نغزو لله ، فقال عمر: وفّقك الله فقد أحسنت. فقال أبو بكر لعَمرو: اجلس رحمك الله فإن عمر لم يُرد بما سمعت أذى مسلم ولا تأنيبه ، إنما أراد بما سمعت أن ينبعث المتثاقلون إلى=

الأرض إلى الجهاد. فقام خالد بن سعيد فقال: صدق خليفة رسول الله ﷺ اجلس ابن أخي. فجلس. وقال خالد: الحمد لله الذي لا إله إلا هو الذي بعث محمداً بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. فالله مُنجز وعده ومظهر دينه ومهلك عدوه، ونحن غير مخالفين ولا مختلفين، وأنت الوالي الناصح الشفيق. ننفر إذا استنفرتنا ونطيعك إذا أمرتنا. ففرح بمقالته أبو بكر وقال: جزاك الله خيراً من أخٍ وخليل. فقد كنت أسلمت مرتغباً وهاجرت محتسباً، وقد كنت هربت بدينك من الكفار لكيما يطاع الله ورسوله وتعلو كلمته، وأنت أمير الناس، فسر يرحمك الله. ثم إنه نزل، ورجع خالد بن سعيد فتجهز، وأمر أبو بكر بلالاً فأذن في الناس أن انفروا أيها الناس إلى جهاد الروم بالشام، والناس يرون أن أميرهم خالد بن سعيد، وكان الناس لا يشكون أن خالد بن سعيد أميرهم، وكان أول خلق الله عسكر، ثم إن الناس خرجوا إلى معسكرهم من عشرة وعشرين وثلاثين وأربعين وخمسين ومئة كل يوم، حتى اجتمع أناس كثير. فخرج أبو بكر ذات يوم ومعه رجال من الصحابة حتى انتهوا إلى عسكرهم فرأى عدة حسنة لم يرض عدتها للروم. فقال لأصحابه: ما ترون في هؤلاء؟ أن نشخصهم إلى الشام في هذه العدة؟ فقال عمر: ما أرضى هذه العدة لجموع بني الأصفر. فقال لأصحابه: ماذا ترون؟ فقالوا: نحن نرى ما رأى عمر، فقال: ألا أكتب كتاباً إلى أهل اليمن ندعوهم إلى الجهاد فنرغبهم في ثوابه؟ فرأى ذلك جميع أصحابه، قالوا: نعم ما رأيت، افعل. فكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم، من خليفة رسول الله ﷺ إلى من قرئ عليه كتابي هذا من المؤمنين والمسلمين من أهل اليمن: سلام عليكم فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد: فإن الله تعالى كتب على المؤمنين الجهاد وأمرهم أن ينفروا خفافاً وثقالاً ويجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله. والجهاد فريضة مفروضة. والثواب عند الله عظيم، وقد استنفرنا المسلمين إلى جهاد الروم بالشام وقد سارعوا إلى ذلك. وقد حسُنت في ذلك نيتهم وعظمت حسبتهم، فسارعوا عباد الله إلى ما سارعوا إليه ولتحسن نيتكم فيه، فإنكم إلى إحدى الحسنيين، إما الشهادة وإما الفتح والغنيمة، فإن الله تبارك وتعالى لم يرض من عباده بالقول دون العمل، ولا يزال الجهاد لأهل عداوته حتى يدينوا بدين الحق ويُقروا بحكم الكتاب. حفظ الله لكم دينكم، وهدى قلوبكم، وزكّى أعمالكم، ورزقكم أجر المجاهدين الصابرين. وبعث بهذا الكتاب مع أنس بن مالك رضي الله عنه. (مختصر تأريخ دمشق لابن منظور ١/ ١٨١ ـ ١٨٤) و(تأريخ دمشق لابن عساكر ١/ ١٢٦).

٥ ـ وأخرج ابن عساكر كذلك عن سعيد بن المسيب أنه قال:

لما بعث أبو بكر الجنود نحو الشام: يزيد بن أبي سفيان وعمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة قال: لما ركبوا مشى أبو بكر مع أمراء جنوده يودّعهم حتى بلغ ثنيّة الوداع فقالوا: يا خليفة رسول الله أتمشي ونحن ركبان؟! فقال: إني احتسبت خُطاي هذه في سبيل الله، =

وفي رواية: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من اغبرّت قدماه في سبيل الله حرّمهما الله على النار» ثم جعل يوصيهم فقال: أوصيكم بتقوى الله اغزوا في سبيل الله فقاتلوا من كفر بالله فإن الله ناصر دينه ولا تغلّوا ولا تغدروا ولا تجبُنوا ولاتُفسدوا في الأرض، ولا تعصوا ما تؤمرون. فإذا لقيتم العدو من المشركين إن شاء الله فادعوهم إلى ثلاث خصال فإن هم أجابوكم فاقبلوا منهم وكفّوا عنهم: ادعوهم إلى الإسلام، فإن هم أجابوكم فاقبلوا منهم وكفوا عنهم. ثم ادعوهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، فإن هم فعلوا فأخبروهم أن لهم مثل ما للمهاجرين. وعليهم ما على المهاجرين. وإن هم دخلوا في الإسلام واختاروا دارهم على دار المهاجرين فأخبروهم أنهم كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي فرض على المؤمنين. وليس لهم في الفيء والغنائم شيء حتى يجاهدوا مع المسلمين. فإن هم أبوا أن يدخلوا في الإسلام فادعوهم إلى الجزية فإن هم فعلوا فاقبلوا منهم وكفوا عنهم، وإن هم أبوا فاستعينوا بالله عليهم فقاتلوهم، إن شاء الله، ولا تعزقن نخلاً ولا تحرِّقنها، ولا تعقروا بهيمة، ولا شجرة تثمر، ولا تهدموا بيعة، ولا تقتلوا الولدان ولا الشيوخ ولا النساء، وستجدون أقواماً حبسوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما حبسوا أنفسهم له، وستجدون آخرين اتخذ الشيطان في أوساط رؤوسهم أفحاصاً، فإذا وجدتم أولئك فاضربوا أعناقهم إن شاء الله (مختصر تأريخ دمشق ١/ ١٨٨).

٦ ـ وأخرج ابن عساكر عن عبد الرحمن بن جبير أن أبا بكر الصديق كان جهّز بعد النبي ﷺ جيوشاً على بعضها شرحبيل بن حسنة، ويزيد بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، فساروا حتى نزلوا الشام فجمعت لهم الروم جموعاً عظيمة، فحُدِّث أبو بكر بذلك فأرسل إلى خالد بن الوليد وهو بالعراق، وكتب أن انصرف بثلاثة آلاف فارس فأمدّ إخوانك بالشام، والعجل العجل، فأقبل خالد مُغِذاً جواداً، فاشتق الأرض بمن معه حتى خرج إلى خُمَيْر، فوجد المسلمين معسكرين بالجابية، وتسامع الأعراب الذين كانوا في مملكة الروم بخالد ففزعوا له، ففي ذلك يقول قائلهم:

ألا يا اصبحينا قبل خيل أبي بكر لعل منايانا قريب وما ندري

فنزل خالد على شرحبيل بن حسنة ويزيد وعمرو فاجتمع هؤلاء الأربعة أمراء. وسارت الروم من أنطاكية وحلب وقنسرين وحمص وما دون ذلك، وخرج هرقل كراهية لمسيرهم متوجهاً نحو الروم وسار باهان الرومي ابن الرومية إلى الناس بمن كان معه (مختصر تأريخ دمشق ١/ ١٨٩ ـ ١٩٠).

٧ ـ وأخرج ابن عساكر: حدث أبو عثمان الصغاني شراحيل بن مرثد قال:

بعث أبو بكر الصديق رضي الله عنه في خلافته خالد بن الوليد إلى أهل اليمامة، وبعث يزيد بن أبي سفيان إلى الشام. قال: فكنت ممن سار مع خالد إلى اليمامة. فلما قدمنا قاتلنا قتالاً شديداً وظفرنا بهم. وهلك أبو بكر واستخلف عمر بن الخطاب فبعث أبا عبيدة بن

= الجراح إلى الشام ، فقدم دمشق فاستمد أبو عبيدة عمر ، فكتب عمر إلى خالد أن سر إلى أبي عبيدة بالشام فدعا خالد بن الوليد الدليل فقال: في كم تأتي إلى الحيرة؟ فقال: في كذا وكذا. قال: فعطش خالد الإبل ثم سقاها ، واستسقى وسقى الخيل ، ثم كعم أفواه الإبل وأدبارها ، وقال له الدليل: إن أنت أصبحت عند الشجرة نجوت ونجا من معك ، وإن أصبحت دون الشجرة هلكت وهلك من معك ، فسار خالد بمن معه فأصبح عند إضاءة الفجر عند الشجرة فنحر الإبل ، وسقى ما في بطونها الخيل ، وأطعم لحومها المسلمين وسقى المسلمين من المزاد التي كانت تحمل معه ، ثم أتى الحيرة أو الكوفة ، فصالحه أسقفها.

قال ابن عساكر: كذا قال ، وإنما كان هذا بعد رجوعه عن الحيرة. وأبو عبيدة كان بالشام في أيام أبي بكر. (مختصر تأريخ دمشق ١/ ١٩٠ ـ ١٩١).

٨ ـ أخرج ابن الجوزي: أخبرنا أبو منصور القزاز أخبرنا عبد الصمد بن المأمون ، أخبرنا ابن حيوية ، حدثنا البغوي ، حدثنا أبو نصر بن التمار ، حدثنا ابن الحكم عن نافع عن ابن عمر قال: بعث أبو بكر رضي الله عنه يزيد بن أبي سفيان إلى الشام ومشى معهم نحواً من ميلين فقيل: يا خليفة رسول الله ، لو انصرفت. فقال: لا. إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: من اغبرت قدماه في سبيل الله حرّمها الله على النار ، ثم بدا له الانصراف ، فقام في الجيش ، فقال: أوصيكم بتقوى الله ، لا تعصوا ، ولا تغلوا ، ولا تجبنوا ، ولا تهدموا بيعة ، ولا تعقروا نخلاً ، ولا تحرقوا زرعاً ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تقتلوا شيخاً كبيراً ، ولا صبياً صغيراً ، وستجدون أقواماً حبسوا أنفسهم للذي حبسوا أنفسهم له فذروهم وما حبسوا أنفسهم له ، وستردون بلداً يغدو عليكم ويروح فيه ألوان الطعام فلا يأتيكم لون إلاّ ذكرتم اسم الله عليه. المنتظم في تأريخ الأمم والملوك (٤/ ١١٥ ـ ١١٦).

٩ ـ وأخرج ابن الجوزي (تأريخ الأمم والملوك ٤/ ١١٩) وأحمد في المسند (١/ ٤٩) وابن أبي شيبة في المصنف (١٢/ح ١٥٦٨٠) عن عياض الأشعري قال: (شهدت اليرموك وعلينا خمسة أمراء: أبو عبيدة بن الجراح ، ويزيد بن أبي سفيان ، وابن حسنة ، وخالد بن الوليد ، وعياض ، (وليس عياض هذا بالذي حدث عنه سماك) قال: وقال عمر رضي الله عنه: إذا كان قتال فعليكم أبو عبيدة ، قال: فكتبنا إليه ، إنه قد جاش إلينا الموت واستمددناه. فكتب إلينا: إنه قد جاء في كتابكم تستمدوني ، وإني أدلكم على من هو أعز نصراً وأحضر جنداً ، الله عز وجل ، فاستنصروه ، فإن محمداً ﷺ قد نصر يوم بدر في أقل من عدتكم ، فإذا أتاكم كتابي هذا فقاتلوهم ولا تراجعوني. قال: فقاتلناهم فهزمناهم ، وقتلناهم أربعة فراسخ) (وفي مصنف ابن أبي شيبة: في أربعة فراسخ).

قال: وأصبنا أموالاً فتشاوروا ، فأشار علينا عياض أن نعطي عن كل رأس عشرة ، قال: وقال أبو عبيدة: من يراهنني؟ فقال شاب: أنا إن لم تغضب ، قال: فسبقه فرأيت عقيصتي أبي عبيدة تنفزان وهو خلفه على فرس عربي ، واللفظ لابن الجوزي. =

= ١٠ ـ وأخرج ابن أبي شيبة في مصنفه (١٢/ ح ١٥٦٨٢): حدثنا أبو أسامة قال: حدثنا مسعر عن سعد بن إبراهيم عن سعيد بن المسيب عمّن حدثه أنه لم يُسمع صوت أشد من صوته وهو تحت رايته يوم اليرموك وهو يقول: هذا يوم من أيام الله، اللهم نزل نصرك؛ يعني: أبا سفيان. وهذه الرواية عند الذهبي في تأريخ الإسلام مع بعض الاختلاف في السند والمتن: إبراهيم بن سعد عن أبيه عن ابن المسيب عن أبيه: قال: خمدت الأصوات يوم اليرموك والمسلمون يقاتلون الروم إلاّ صوت رجل يقول: (يا نصر الله اقترب! يا نصر الله اقترب!) فرفعت رأسي فإذا هو أبو سفيان بن حرب تحت راية ابنه يزيد بن أبي سفيان (عهد الخلفاء الراشدين/ ١٤٠) وكذلك أخرجه الحافظ ابن كثير عن سعيد بن المسيب عن أبيه (البداية والنهاية ٧/ ١٤). والخبر عند يعقوب بن سفيان في المعرفة والتأريخ (٣/ ٣٠٠).

١١ ـ وأخرج ابن أبي شيبة في مصنفه (١٣/ ح ١٥٦٨٦): ثنا أبو أسامة عن الأعمش عن أبي إسحاق قال: لما أسلم عكرمة بن أبي جهل أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله والله لا أترك مقاماً قمته لأصد به عن سبيل الله إلاّ قمت مثله في سبيل الله، ولا أترك نفقة أنفقتها لأصد بها عن سبيل الله إلاّ أنفقت مثلها في سبيل الله، فلما كان يوم اليرموك نزل فترجل فقاتل قتالاً شديداً فقتل فوجد به بضع وسبعون من بين طعنة وضربة ورمية.

١٢ ـ وقال الحافظ ابن كثير: وروى أحمد بن مروان المالكي في المجالسة: ثنا أبو إسماعيل الترمذي ثنا أبو معاوية عن عمرو عن أبي إسحاق قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يثبت لهم العدو فواق ناقة عند اللقاء، فقال هرقل وهو على أنطاكية لما قدمت منهزمة الروم: ويلكم أخبروني عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم أليسوا بشراً مثلكم؟ قالوا: بلى. قال: فأنتم أكثر أم هم؟ قالوا: بل نحن أكثر منهم أضعافاً في كل موطن. قال: فما بالكم تنهزمون؟ فقال شيخ من عظمائهم: من أجل أنهم يقومون الليل ويصومون النهار، ويوفون بالعهد، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويتناصفون بينهم، ومن أجل أنا نشرب الخمر، ونزني ونركب الحرام، وننقض العهد ونغصب ونظلم ونأمر بالسخط وننهى عما يرضي الله ونفسد في الأرض. فقال: أنت صدقتني (البداية والنهاية ٧/ ١٦).

خلاصة القول في فتوحات الشام
في عهد الخليفة الراشد الأول الصديق رضي الله عنه وأرضاه

قلنا: (المحققان):

ـ قبل أن نذكر مآثر هذه الفتوحات المباركة، والدور القيادي الذي قام به خليفة رسول الله ﷺ في توجيه القادة وإرسال المدد ورسم الخطوط العريضة والتأكيد على المبادئ الإسلامية في الحروب ـ نقول: قبل ذلك نودّ أن نتحدث بعض الشيء عن اختلاف المؤرخين في تحديد السنة الهجرية التي كانت فيها واقعة اليرموك الكبرى ـ فنقول وبالله التوفيق: =

أما روايات الطبري التأريخية فإنها تؤكد حدوثها في السنة الأخيرة من خلافة الصديق رضي الله عنه وبإمرة سيف الله المسلول خالد بن الوليد رضي الله عنه وأرضاه ، أما البلاذري وهو المعاصر للطبري وتوفي قبله (٢٧٩ هـ) فله رأي آخر إذ يقول: وكانت وقعة اليرموك في رجب سنة ١٥ هـ (فتوح البلدان/ ١٨٦) وكذلك ذكر خليفة بن خياط هذه المعركة ضمن أحداث سنة خمس عشرة ونقل عن الكلبي قوله: كانت الواقعة يوم الإثنين لخمس مضين من رجب سنة خمس عشرة (تاريخ خليفة/ ١٣٠) هذا بالنسبة للمؤرخين المتقدمين الثلاثة الذين اعتمدناهم كأساس في مقارناتنا للروايات التأريخية ـ أما الطبقة الوسطى (من الناحية الزمنية) من المؤرخين الذين اعتمدنا أقوالهم في المسائل الخلافية (التأريخية) فهم ابن عساكر والكلاعي وابن الجوزي (راجع المقدمة) فقد نقل ابن كثير في كتابه فقال:

وأما الحافظ ابن عساكر رحمه الله فإنه نقل عن يزيد بن أبي عبيدة والوليد وابن لهيعة والليث وأبي معشر أنها كانت في سنة خمس عشرة بعد فتح دمشق. وقال محمد بن إسحاق: كانت في رجب سنة خمس عشرة. وقال خليفة بن خياط: قال ابن الكلبي: كانت وقعة اليرموك يوم الإثنين لخمس مضين من رجب سنة خمس عشرة. قال ابن عساكر: وهذا هو المحفوظ ، وأما ما قاله سيف من أنها قبل فتح دمشق سنة ثلاث عشرة فلم يتابع عليه (البداية والنهاية ٧/ ٤).

هذا بالنسبة لرأي ابن عساكر كمؤرخ إسلامي معتمد ، عصره وسط بين المتقدمين كالطبري والمتأخرين كالذهبي وابن كثير وغيرهما.

أما ابن الجوزي فقد ذكر خبر اليرموك ضمن أحداث سنة ١٣ من الهجرة.

قلت: وكانت وقعة اليرموك في سنة خمس عشرة في رجب منها عند الليث بن سعد وابن لهيعة وأبي معشر والوليد بن مسلم ويزيد بن عبيدة وخليفة بن خياط وابن الكلبي ومحمد بن عائذ وابن عساكر وشيخنا أبي عبد الله الذهبي الحافظ.

أما سيف بن عمرو وأبو جعفر الطبري فذكرا واقعة اليرموك في سنة (١٣) هـ وقد قدمنا ذكرها هنالك تبعاً لابن جرير (البداية والنهاية ٧).

وأما الذهبي فإنه يرجح في (تأريخ الإسلام) كون هذه المعركة قد حدثت في سنة (١٥ هـ) إذ يقول: كانت وقعة مشهورة نزلت الروم اليرموك في رجب سنة خمس عشرة وقيل: سنة ثلاث عشرة وأراه وهماً (عهد الخلفاء الراشدين/ ١٣٩).

قلنا: هذه أقوال الأئمة من المتقدمين إلى المتأخرين ممن علمنا آراءهم أما من المعاصرين فكنا نودّ أن نحصل على كتاب الأستاذ الكبير العمري عن عهد الخلفاء الراشدين فهو من المتثبتين في ذكر الروايات التأريخية ، ونرجو أن نحصل عليه لاحقاً إن شاء الله.

أما الدكتور الفاضل باشميل والمعروف بكتاباته التأريخية عن فتوح العراق والشام وغير ذلك فقد ذهب في كتابه القيّم إلى صحة الرأي الذي يحدد سنة (١٣) هـ تأريخاً لمعركة اليرموك، =

= ومع ذلك فهو يذكر الآراء المختلفة ويناقشها بالتفصيل (ص ١٣٣ ـ ١٤١) ورغم أننا لا نوافقه في قوله بأن البلاذري انفرد بالقول بأن معركة اليرموك الكبرى الشهيرة إنما دارت عام (١٥ هـ) وليس عام (١٣ هـ) فقد ذكرنا آراء بقية المؤرخين في ذلك ، ولكننا نرى أن الدكتور باشميل كان دقيقاً في نقده وتحليله للروايات التأريخية في هذه المسألة ، والحق يقال ، فإن القارىء لكتاب باشميل في الفتوحات يتبيّن له الدقة الفائقة والتخطيط العسكري السليم واليقين القوي والحنكة والحكمة عند قادة الإسلام الفاتحين وعظمة هذا الدين العظيم الذي يفعل بصاحبه الأعاجيب.

أما بالنسبة لمسألة الخلاف هذا بين عام (١٣) و(١٥) هـ. والذي أراد المستشرقون أن يجعلوه من بين نقاط الضعف في تدوين التاريخ الإسلامي وخاصة عهد الخلافة الراشدة ، فإن باشميل له رأي قيم وخلاصته: أن الطبري يؤكد تكرار القتال في اليرموك قبل أجنادين ومعركة اليرموك الكبرى ، وإذا كان الطبري قد بوّب لمعركة اليرموك قبل معركة أجنادين (في فلسطين) فإنه قد ذكر أثناء سياقه عن أحداث الواقعتين أن أجنادين وقعت قبل اليرموك ، فأجنادين وقعت في (٢٨) من جمادى الأولى (١٣ هـ) بينما اليرموك انتهت في شهر رجب (١٣ هـ) كما يذكر الطبري نفسه فلعل التقديم والتأخير هذا خطأ فني ولعله حدث من بعض النساخ وحتى لو وقع من الطبري فهذا خطأ بسيط في تدوين التأريخ (لا يلام عليه من هو في مثل عصر الطبري) ، ونحن نضيف إلى قول الأستاذ باشميل بأن نقول: ولعل الطبري أو تلاميذه ذكروا معركة اليرموك وبوّبوا لها قبل أجنادين (علماً بأنهم ذكروا أن تأريخ أجنادين قبل اليرموك).

وقال الحافظ ابن حجر: ووقعة اليرموك كانت أول خلافة عمر بين المسلمين والروم سنة ثلاث عشرة وقيل: سنة خمس عشرة ويؤيد الأول قوله في الحديث الذي بعده ، لأن سن عبد الله بن الزبير كان عشر سنين (الفتح ٧/ ٣٤٩).

وذلك لسبب قوي جداً وهو أن معركة اليرموك هي المعركة الفاصلة في فتوحات الشام فالذي ينتصر في هذه المعركة تفتح له أبواب الشام والعكس بالعكس ، وكما كان خالد رضي الله عنه يدرك هذه الحقيقة ويبيّنها لقيادة أركانه وأمرائه قائلاً: (إن هذا اليوم له ما بعده) ولهذه الأهمية قدّموا ذكر اليرموك على غيرها والله أعلم. وأخيراً وليس آخراً فإنا(المحققان) نرى: أن الراجح ما ذكره سيف في أنها كانت سنة (١٣ هـ) وإن كان سيف ضعيفاً ، وذلك لسبب بسيط هو أنا لو جمعنا رواية البخاري السابقة الذكر مع رواية عبد الرزاق الصحيحة الإسناد في مصنفه لرجحت كفة رواية سيف القائلة بأنها وقعت عام (١٣ هـ) وليس (١٥ هـ).

فالبخاري روى في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنه: (أنه كان على فرس يوم لقي المسلمون ، وأمير المسلمين يومئذ خالد بن الوليد بعثه أبو بكر فأخذه العدو ، فلما هزم العدو رد خالد فرسه. والرواية الأخرى عند البخاري: أن عبداً لابن عمر أبق فلحق بالروم =

= فظهر عليه خالد بن الوليد فرده على عبد الله ، وأن فرساً لابن عمر عار فلحق بالروم فظهر عليه فرده على عبد الله) (الفتح ٦/ ٢١١).
ورواية عبد الرزاق الصحيحة في مصنفه (٥/ ١٩٤) عن نافع: أن العبد الذي أبق لابن عمر كان يوم اليرموك. فحاصل الروايتين أن اليرموك كانت في عهد أبي بكر رضي الله عنه والأمير كان خالداً يومئذ فرد ما فقده ابن عمر رضي الله عنه ومعلوم: أن سيدنا عمر قد عزل خالداً عن إمارة الجيوش عند توليه الخلافة وانتهت إمرة خالد لتلك الجيوش (في الشام) بانتهاء معركة اليرموك. نقول قولنا هذا فإن كان صواباً فمن الله التوفيق وإن كان خطأ فمن أنفسنا ، ونستغفر الله.
٢ - نرجع إلى ذكر مآثر التأريخ الإسلامي في عهد الفتوحات المباركة فنقول وبالله التوفيق:
إن هذه المعارك تبيّن بكل جلاء: أن هذه المعارك كانت معارك العقيدة وأن المجاهدين كانوا مدفوعين بدافع الإيمان. فالجهاد في سبيل الله ، ولو كان في سبيل مغانم ومكاسب دنيوية؛ لقبلوا بعروض قواد الروم المغرية وأن الصحابة ومن معهم من تابعين لو وضعوا الأمور مواضع مادية وحسبوا لها بالحسابات الأرضية لكانوا هم الأخسرين في جميع المقاييس المعهودة ، إلا أن العقيدة ونعني عقيدة التوحيد هي التي استقرت في قلوبهم فأذابوا الجبال وركبوا الأهوال وداسوا هيبة أكبر الجيوش النظامية وأكثرها عدة وعتاداً وإلاّ قل لي بربك أين التناسب بين عددهم وعدد أعدائهم فالمسلمون لم يجاوزوا أربعين ألفاً بينما عدد الروم بين مئة وعشرين ألفاً في أدنى حد إلى ثلاثمئة ألف في أقصى حد كما ذكرت الروايات التأريخية. والروم في مملكتهم والمسلمون خارج ديارهم وأهليهم ، وبينهم وبين الخلافة مفاوز وأمراء.
٣ - سر انتصار جماعة الصحابة ومن معهم في تلك المعارك هو ما ذكرته الروايات الآنفة الذكر: من أجل أنهم يقومون الليل ويصومون النهار ، ويوفون بالعهد ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويتناصفون بينهم ومن أجل أنا (أي الروم) نشرب الخمر ، ونزني ، ونركب الحرام وننقض العهد ونغصب ونظلم ونأمر بالسخط وننهى عما يرضي الله ونفسد في الأرض فقال: أنت صدقتني. فلتنظر الأمة اليوم في أي الجهتين تقف هي ، وعندها فلتنتظر النصر الرباني ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾.
٤ - الروايات التأريخية التي ذكرناها في قسم الصحيح تؤكد لنا بكل جلاء عظمة الإسلام المتمثلة في الرحمة والشفقة والعدالة والإحسان حتى في ساحات الوغى ، وذلك واضح من خلال توصيات الصديق رضي الله عنه وهو يودع الجيوش ويعيّن الأمراء ويوجههم إلى أرض المعركة: (أوصيكم بتقوى الله ، لا تعصوا ، ولا تغلوا ، ولا تجبنوا ، ولا تهدموا بيعة ، ولا تعقروا نخلاً ، ولا تحرقوا زرعاً ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تقتلوا شيخاً كبيراً =

ذكر مرض أبي بكر ووفاته

٦٣ ـ وقال غير مَن ذكرت في سبب مرض أبي بكر الذي توفي فيه ما حدّثني الحارثُ ، قال: حدّثَنا ابنُ سعد ، قال: أخبَرنَا محمد بن عمر ، قال: حدّثني أسامة بن زيد الليْثيّ عن محمد بن حمزة ، عن عمرو ، عن أبيه ، قال: وأخبرنا

= ولا صبياً صغيراً ، وستجدون أقواماً حبسوا أنفسهم للذي حبسوا أنفسهم له فذروهم وما حبسوا أنفسهم له).

هذه مبادئ الحرب الإسلامية تذكرها الروايات التأريخية كصفحة مشرقة في السياسة الشرعية التي اتبعتها الخلافة الراشدة يوم أن كانت الدنيا ترزح تحت ظلم ووحشية القوتين الكسروية والقيصرية فأين دعاة حقوق الإنسان الذين يتشدقون بالكلمات الرنانة؟! أين هم من القتل والسلب والنهب وذبح الأطفال واغتصاب النساء واتباع سياسة الأرض المحروقة وغير ذلك من الفظائع والمظالم التي تحدث يومياً في الحروب الصليبية الحديثة في البوسنة ثم كوسوفو على مرأى ومسمع من منظمات حقوق الإنسان وأدعياء الحضارة والمدنية؟!.

ومهما حاول المستشرقون أن يثيروا الشبهات حول التأريخ الإسلامي ويتشبثوا بالروايات الموضوعة والمختلفة ، فهذه هي الروايات الموثوقة مفخرة لكل موحد على مدار الزمان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

٥ ـ إن الإسلام هو سر العظمة في إبراز هذه القيادات والعبقريات ، ففي أي مجال كان سيدنا أبو بكر وعمر وسيف الله خالد وأبو عبيدة وغيرهم يصرفون طاقاتهم وعبقرياتهم قبل الإسلام؟ ما الذي تغيّر في قلب الصحراء هل أنشئت كليات للأركان الحربية أم أكاديميات عسكرية أم مركز دراسات استراتيجية؟ كلاّ إنها صفوة البشرية وخيرتها وخيرها من بعد الأنبياء تربّت على يد خير خلق الله محمد ﷺ وفي المسجد النبوي الشريف وفي ساحات بدرٍ وأحدٍ والخندق بعد شِعْبِ أبي طالب وطريق الهجرتين ثم انطلقت هذه الجماعة المباركة منبعثة بقضاء الله وقدره لتنقذ البشرية من عبودية العبيد إلى عبادة الله الواحد الأحد ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.

٦ ـ إن الذي يدرس هذه الروايات بدقة يذهل أمام التخطيط والتنفيذ المترابطين والإمارة والطاعة المتلازمتين ، والصبر والتحمل الشديدين ، والإيمان والتوق إلى الشهادة القويين عند المسلمين الفاتحين قيادة وجنداً ، وجزى الله عنا الأستاذ باشميل خير الجزاء فقد شرح هذه التفاصيل بلغة العصر وبأسلوب شيق وبارع يدخل الشعور بعظمة التأريخ الإسلامي في قلب القارئ وهو يتحدث عن معارك الفتوح في الشام في كتابه المعروف (حروب الإسلام في الشام في عهود الخلفاء الراشدين). فليراجع هناك.

محمَّد بن عبد الله ، عن الزُّهريِّ ، عن عروة ، عن عائشة . قال : وأخبَرنا عمر بن عمران بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ، عن عمر بن الحسين مولى آل مظعون ، عن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر ، قالوا : كان أوّل ما بدَأ مرضُ أبي بكر به أنَّه اغتسلَ يوم الإثنين لسبع خَلَوْن من جُمادى الآخرة ، وكان يوماً بارداً فَحُمّ خمسة عشر يوماً لا يخرج إلى الصلاة؛ وكان يأمر عمر بن الخطاب أن يُصَلِّي بالنَّاس؛ ويدخل الناس يعودونه؛ وهو يَثْقل كلّ يوم ، وهو نازل في داره التي قطع له رسول الله ﷺ وجَاه دار عثمان بن عفان اليوم ، وكان عثمان ألزمهم له في مرضه؛ وتوفي أبو بكر مُسْيَ ليلة الثلاثاء؛ لثماني ليالٍ بقين من جُمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة . وكانت خلافتُه سنتيْن وثلاثة أشهر وعشر ليال[1] . (٣ : ٤١٩/ ٤٢٠) .

٦٤ ـ وكان أبو مَعْشَر يقول : كانت خلافته سنتين وأربعة أشهر إلا أربع ليال ، فتُوُفِّي ، وهو ابن ثلاث وستين سنة؛ مجتمَعٌ على ذلك في الروّايات كلِّها ، استوفى سنّ النبي ﷺ، وكان أبو بكر وُلِد بعد الفيل بثلاث سنين[2] . (٣ : ٤٢٠) .

٦٥ ـ حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا جَرير عن يحيى بن سعيد ، قال : قال سعيد بن المسيَّب : استكمل أبو بكر بخلافته سنَّ رسول الله ﷺ ، فتوفِّيَ وهو بسنّ النبي ﷺ[3] . (٣ : ٤٢٠) .

٦٦ ـ حدّثنا أبو كُرَيب ، قال : حدّثنا أبو نُعَيم عن يونس بن إسحاق ، عن أبي السَّفَر ، عن عامر ، عن جرير ، قال : كنت عند معاوية فقال : توفِّيَ النَّبيّ ﷺ وهو ابنُ ثلاث وستين سنة ، وتوفِّيَ أبو بكر وهو ابن ثلاث وستين سنة ، وقتل عمر وهو ابن ثلاث وستين سنة[4] . (٣ : ٤٢٠) .

---

(١) إسناده ضعيف وأخرج الحاكم كذلك عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان أول بدء مرض أبي بكر : أنه اغتسل يوم الإثنين لسبع خلون من جمادى الآخرة وكان يوماً بارداً فحمّ خمسة عشر يوماً لا يخرج إلى صلاة ، وتوفي ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وله ثلاث وستون سنة .

(٢) إسناده ضعيف وهو صحيح .

(٣) إسناده ضعيف وهو صحيح .

(٤) إسناده صحيح .

٦٧ - وحدثنا أبو الأحوص عن أبي إسحاق ، عن عامر بن سعد ، عن جرير ، قال: قال معاوية: قُبِضَ رسولُ الله ﷺ وهو ابن ثلاث وستين ، وقُتِلَ عمر وهو ابـن ثلاث وستيـن ، وتُـوفِّيَ أبو بكر وهو ابن ثلاث وستين[١] . (٣: ٤٢٠) .

٦٨ - وقال عليّ بن محمد في خبره الذي ذكرت عنه: كانت ولاية أبي بكر سنتين وثلاثة أشهر وعشرين يوماً ، ويقال: عشرة أيام[٢] . (٣: ٤٢٠) .

ذكر الخبر عمّن غسّله والكفن الذي كفّن فيه أبو بكر ومن صلّى عليه والوقت الذي صلّي عليه فيه والوقت الذي توفّي فيه

٦٩ - حدّثني الحارث ، عن ابن سعد ، قال: أخبرَنا محمد بن عمر ، قال: حدّثني مالك بن أبي الرّحّال عن أبيه ، عن عائشة ، قالت: توفِّيَ أبو بكر رحمه الله بين المغرب والعشاء[٣] . (٣: ٤٢١) .

٧٠ - حدّثنا ابنُ حُميد ، قال: حدّثنا يحيى بن واضح عن محمد بن عبد الله ، عن عطاء وابن أبي مُلَيكة: أنّ أسماءَ بنت عُمَيس ، قالت: قال لي أبو بكر: غَسِّليني ، قلت: لا أطيق ذلك ، قال: يعينُك عبد الرحمن بن أبي بكر ، يصبّ الماء[٤] . (٣: ٤٢١) .

---

(١) إسناده صحيح ، وحديث معاوية في سن أبي بكر رضي الله عنه في صحيح مسلم (٤/ ١٨٢٦) وعند الترمذي (٥/ كتاب المناقب/ ح ٣٦٥٣) حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي إسحاق عن عامر بن سعد عن جرير بن عبد الله عن معاوية بن أبي سفيان: أنه قال: سمعته يخطب يقول: مات رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاث وستين وأبو بكر وعمر وأنا ابن ثلاث وستين. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) إسناده صحيح.

(٣) إسناده ضعيف ولكن له ما يشهد له كما ذكرنا عند الروايات الآنفة الذكر.

(٤) إسناده ضعيف ونسب السيوطي إلى ابن أبي الدنيا: أنه أخرج عن ابن أبي ملكة: أن أبا بكر أوصى أن تغسله امرأته أسماء بنت عميس ويعينها عبد الرحمن بن أبي بكر (تأريخ الخلفاء/ ٧٨) وأخرج عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد عن عبادة بن قيس قال: لما حضرت أبا بكر الوفاة قال لعائشة: اغسلي ثوبي هذين وكفنيني بهما ، فإنما أبوك أحد رجلين إما مكسو أحسن الكسوة ، أو مسلوب أسوأ السلب (تأريخ الخلفاء للسيوطي/ ٧٨).

وأخرج ابن سعد في طبقاته (٣/ ٢٠٤) قال: أخبرنا معن بن عيسى قال: أخبرنا أبو معشر عن=

٧١ ـ حدّثنا ابنُ وكيع ، قال : حدّثنا ابن عُيينة عن عمرو بن دينار ، عن ابن أبي مليكه ، عن عائشة ، سألها أبو بكر : في كم كُفّن النبيّ ﷺ ؟ قالت : في ثلاثة أثواب ، قال : اغسلوا ثوبَيَّ هذين ـ وكانا ممشَّقَيْن ـ وابتاعوا لي ثوباً آخر . قلت : يا أبَهْ ! إنَّا موسرون ، قال : أيْ بُنيَّة ! الحيُّ أحقُّ بالجديد من الميِّت ، وإنما هما للمُهْلة والصَّديد[١] . (٣ : ٤٢١) .

٧٢ ـ حدّثني العبَّاس بن الوليد ، قال : أخبرَنا أبي قال : حدّثنا الأوزاعيّ ؛ قال : حدّثني عبد الرحمن بن القاسم : أنّ أبا بكر تُوُفِّيَ عشاءً بعد ما غابت الشمس ليلَةَ الثلاثاء ، ودفن ليلاً ليلة الثلاثاء[٢] (٣ : ٤٢١) .

٧٣ ـ حدّثنا أبو كُرَيب ، قال : حدّثنا غَنَّام عن هشام ، عن أبيه : أنّ أبا بكر مات ليلة الثلاثاء ودُفن ليلاً[٣] . (٣ : ٤٢١) .

٧٤ ـ حدّثني أبو زيد ، عن عليّ بن محمد بإسناده الذي قد مَضَى ذكرِه : أنّ أبا بكر حُمِلَ على السَّرِير الذي حُمِل عليه رسولُ الله ﷺ ، وصلَّى عليه عمر في مسجد رسولِ الله ﷺ ، ودخل قبره عمر ، وعثمان ؛ وطلحة ؛ وعبد الرحمن بن أبي بكر ؛ وأراد عبد الله أن يدخلَ قَبره ، فقال له عمر : كُفِيت[٤] . (٣ : ٤٢٢) .

= هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة : أن أبا بكر غسلته أسماء بنت عميس .

(١) إسناده ضعيف والحديث صحيح فقد أخرج البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت : (دخلت علىٰ أبي بكر رضي الله عنه فقال : في كم كفنتم النبي ﷺ ؟ قالت : في ثلاثة أثواب بيض سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة . وقال لها : في أي يوم توفي رسول الله ﷺ؟ قالت : يوم الإثنين . قال : فأي يوم هذا؟ قالت : يوم الإثنين قال : أرجو فيما بيني وبين الليل . فنظر إلى ثوب عليه كان يمرض فيه ، به ردع زعفران فقال : اغسلوا ثوبي هذ وزيدوا عليه ثوبين فكفنوني فيهما ، قلت : إن هذا خلق . قال : إن الحي أحق بالجديد من الميت ، إنما هو للمهلة . فلم يتوف حتىٰ أمسىٰ من ليلة الثلاثاء ، ودفن قبل أن يصبح) (الفتح ٣/ ٢٩٧) .
قلنا : ورواية الطبري والبخاري متفقتان علىٰ أنه أوصى أن يكفن في ثلاثة أثواب إلا أن رواية الطبري ذكرت : أنه أوصىٰ أن يزاد علىٰ ثوبين ثوب ، بينما رواية البخاري تؤكد : أنه رضي الله عنه كان له ثوب فأوصى أن يزاد عليه ثوبان . ورواية البخاري أصح كما هو معلوم . والله أعلم .

(٢) إسناده صحيح وانظر الأثر السابق .

(٣) إسناده صحيح وانظر الأثر السابق .

(٤) إسناده ضعيف وأخرج ابن سعد قال أخبرنا الفضل بن دكين قال أخبرنا خالد بن إلياس عن =

٧٥ ـ حدّثني عليّ بن مسلم الطوسيّ ، قال: حدّثنا ابنُ أبي فُدَيك ، قال: أخبرني عمرو بن عثمان بن هانىء عن القاسم بن محمد ، قال: دخلتُ على عائشة رضي الله تعالى عنها ، فقلت: يا أمَّهْ! اكشفي لي عن قبر النبيّ ﷺ وصاحبيْه؛ فكشفت لي عن ثلاثة قبور ، لا مُشرِفَة ولا لاطئة ، مبطوحة ببطحاء العَرْصة الحمراء؛ قال: فرأيتُ قبرَ النبيّ ﷺ مقدَّماً وقبر أبي بكر عند رأسه ، وعمر رأسه عند رِجْلِ النبيّ ﷺ[1] . (٣: ٤٢١/ ٤٢٢) .

ذكر نسب أبي بكر واسمِه وما كان يُعرف به

٧٦ ـ حدّثني أبو زيد ، قال: حدّثنا عليّ بن محمد بإسناده الذي قد مَضى ذكرُه: أنَّهم أجمعوا على أنَّ اسم أبي بكر عبد الله ، وأنه إنما قيل له: عَتيق عن عتقه. قال: وقال بعضهم: قيل له ذلك؛ لأنّ النبيّ ﷺ قال له: أنت عَتِيقٌ من النار[2] . (٣: ٤٢٤) .

٧٧ ـ حدّثني الحارثُ ، عن ابن سعد ، عن محمد بن عمر ، قال: حدثنا إسحاق بن يحيى بن طلحة عن معاوية بن إسحاق ، عن أبيه ، عن عائشة: أنها سُئلت: لِمَ سُمِّيَ أبو بكر عتيقاً؟ فقالت: نظر إليه النبيّ ﷺ يوماً ، فقال: هذا عتيق الله من النار.

= صالح بن يزيد مولىٰ الأسود قال: كنت عند سعيد بن المسيب فمرّ عليه عليّ بن حسين فقال: أين صُلّي علىٰ أبي بكر؟ فقال: بين القبر والمنبر (الطبقات ٣/ ٢٠٧). وأخرج كذلك ثنا الفضل بن دكين قال أخبرنا خالد بن إلياس عن أبي عبيدة بن محمد بن عمّار عن أبيه: أن عمر كبّر علىٰ أبي بكر أربعاً (الطبقات ٣/ ٢٠٧). أما نزول عمر وعثمان وطلحة وعبد الرحمن إلىٰ حفرة قبره رضي الله عنهم أجمعين وقول ابن عمر رضي الله عنهما: فأردت أن أنزل فقال عمر: كفيت ، فقد أخرجه ابن سعد كذلك (٣/ ٢٠٨) من طريق الواقدي وهو متروك.

(١) والحديث أخرجه ابن سعد من طريق ابن أبي فديك به (الطبقات ٣/ ٢٠٩).

(٢) قال النووي في تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ١٨١): وما ذكرناه في أن اسم أبي بكر الصديق عبد الله هو الصحيح المشهور وقيل: اسمه عتيق. والصواب الذي عليه كافة العلماء: أن عتيقاً لقب له لا اسم ، ولُقِّب عتيقاً لعتقه من النار كما ورد في حديث رواه الترمذي ، وقيل: لعتاقة وجهه ؛ أي: حسنه وجماله ، قاله مصعب بن الزبير والليث بن سعد وجماعة (وكذلك ذكر السيوطي قول النووي هنا في تأريخ الخلفاء/ ٣١).

واسم أبيه عثمان ، وكنيته أبو قحافة ، قال: فأبو بكر عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مُرّة بن كعب بن لُؤيّ بن غالب بن فهر بن مالك ، وأمُّه أمّ الخيْر بنت صَخْر بن عامر بن كعب بن سَعْد بن تَيْم بن مُرّة[١] . (٣ : ٤٢٥) .

٧٨ - وقال الواقديّ: اسمه عبد الله بن أبي قُحافة - واسمه عثمان - بن عامر. وأمّه أمّ الخير ، واسمها سَلْمى بنت صَخْر بن عامر بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مُرّة[٢] . (٣ : ٤٢٥) .

٧٩ - وحدثني يونس ، قال: أخبرَنا ابن وَهْب ، قال: أخبرَني ابن لَهيعة عن عُمارة بن غزيّة ، قال: سألتُ عبدَ الرحمن بن القاسم عن اسم أبي بكر الصديق ، فقال: عتيق؛ وكانوا إخوةً ثلاثة بني أبي قُحافة: عتيق ، ومُعْتق ، وعُتَيْق[٣] . (٣ : ٤٢٥) .

---

(١) إسناده ضعيف وهو في طبقات ابن سعد (٣/ ١٦٩) وأخرج الحاكم وصححه عن عائشة رضي الله عنها قالت: والله إني لفي بيتي ذات يوم ورسول الله ﷺ وأصحابه في الفناء والستر بيني وبينهم إذ أقبل أبو بكر فقال النبي ﷺ : (من سرّه أن ينظر إلى عتيق من النار فلينظر إلى أبي بكر) وإن اسمه الذي سماه أهله عبد الله فغلب عليه اسم عتيق (المستدرك ٣/ ٦٢)
وأخرج الترمذي (٣٦٧٩) عن عائشة رضي الله عنها: أن أبا بكر دخل على النبي ﷺ فقال: «يا أبا بكر ! أنت عتيق الله من النار» . فمن يومئذ سمي عتيقاً.
وأخرج الطبراني والبزار عن عبد الله بن الزبير قال: كان اسم أبي بكر عبد الله ، فقال له رسول الله ﷺ : «أنت عتيق من النار». فسمّي عتيقاً وجوّد السيوطي إسناده (تأريخ الخلفاء/ ٣٣).

(٢) وكذلك قال أبو عبيد الله محمد بن يزيد في رسالة (تأريخ الخلفاء ص ٢٢) واسم أم أبي بكر أم الخير سلمىٰ بنت صخر بنت عامر.

(٣) فيه ابن لهيعة وهو ضعيف إلا ما كان من طريق رواية العبادلة عنه وهذه منها ، فهي حسنة الإسناد. وكذلك روىٰ الطبراني عن القاسم بن محمد: أنه سأل عائشة رضي الله عنها عن اسم أبي بكر فقالت: عبد الله ، فقال: إن الناس يقولون: عتيق ، قالت: إن أبا قحافة كان له ثلاثة أولاد سمّاهم عتيقاً ومعتقاً ومعيتقاً.

ذكر أسماء قضاته وكتّابه وعُمَّاله على الصدقات

٨٠ ـ حدّثنا محمد بن عبد الله المُخَرّمي ، قال: حدّثنا أبو الفتح نَصْر بن المغيرة ، قال: قال سفيان ـ وذكره عن مِسْعَر: لمَّا ولي أبو بكر؛ قال له أبو عبيدة: أنا أكفيك المال ـ يعني: الجزاء ـ وقال عمر: أنا أكفيك القضاء. فمكث عمر سنةً لا يأتيه رجلان[1]. (٣/ ٢٦).

٨١ ـ قال أبو جعفر: وكان رضي الله عنه سخيّاً ليّناً ، عالماً بأنساب العرب؛ وفيه يقول خِفاف بن نَدْبة ـ ونَدْبة أمُّه ، وأبوه عمير بن الحارث ـ في مرثيته أبا بكر:

أبْلَــجُ ذو عُــرْفٍ وذو مُنكَــرٍ مُقَسّـمُ المعـروف رَحْـبُ الفِنـاء
للمجْـدِ فـي منـزلـهِ بـادِيـاً حـوْضٌ رفيـعٌ لـم يَخُنْـهُ الإزاء
واللهِ لا يُـدْرِكُ أيّـامَـهُ ذو مِئـزَرٍ حـافٍ ولا ذو رِدَاء
مَـنْ يَسْـعَ كـيْ يُـدْرِكَ أيّـامَـهُ يجْتَهِـدِ الشَّـدَّ بـأرضٍ فَضـاء

(٣: ٤٢٧)[2].

٨٢ ـ وكان ـ فيما ذكر الحارث عن ابن سعد ، عن عمرو بن الهيثم أبي قَطَن؛ قال: حدثنا الربيع عن حَيَّان الصائغ ، قال: كان نقش خاتم أبي بكر رحمه الله: «نعم القادر الله»[3] (٣: ٤٢٧).

٨٣ ـ قالوا: ولم يعش أبو قحافة بعد أبي بكر إلا ستة أشهر وأياماً ، وتوفي في المحرم سنة أربع عشرة بمكة وهو ابن سبع وتسعين سنة[4] (٣: ٤٢٧).

* * *

---

(١) وأخرج البيهقي في السنن الكبرىٰ (١٠/ ٨٧) أن أبا بكر لما ولي الخلافة ولى عمر القضاء. وقوّىٰ الحافظ إسناده (الفتح ١٣/ ١٢٩).

(٢) الأبيات في الكامل للمبرد (٣/ ٧٦) ـ بشرح المرصفي مع اختلاف في الرواية (محمد أبو الفضل).

(٣) إسناده صحيح.

(٤) وكذلك قال الحافظ ابن حجر: مات أبو قحافة سنة أربع عشرة وله سبع وتسعون سنة (الإصابة/ ٤/ ٣٧٥/ ت ٥٤٥٨).

صحيح تاريخ
عمر بن الخطاب

رضي الله عنه

ذكر استخلاف عمر بن الخطاب(١)
وعقد أبو بكر في مرضته التي توفي فيها لعمر بن الخطاب

٨٤ ـ قال أبو جعفر: وقال الواقديّ: حدّثني إبراهيم بن أبي النّضر عن محمد بن إبراهيم بن الحارث، قال: دعا أبو بكر عثمانَ خالياً، فقال: اكتُب:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قُحافة إلى المسلمين؛ أمَّا بعد. قال: ثمّ أغمِيَ عليه، فذهب عنه، فكتب عثمان: أمَّا بعد؛ فإني قد استخلفتُ عليكم عمرَ بن الخطاب، ولم آلُكم خيراً منه، ثم أفاق أبو بكر، فقال: اقرأ عليّ، فقرأ عليه،

---

(١) ذكر استخلاف عمر

وقبل أن ندخل في الحديث عن ذكر استخلاف عمر بن الخطاب نذكر نبذة من فضائله:

١ ـ أخرج البخاري رحمه الله رقم (٣٦٩٧): عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (كنا في زمن النبي ﷺ لا نعدلُ بأبي بكر أحداً ثم عُمر ثم عثمان ثم نترك أصحاب النبي ﷺ لا نفاضل بينهم) صحيح. وأخرجه أبو داود رقم (٤٦٢٧).

٢ ـ أخرج البخاري رحمه الله رقم (٣٦٨٠): عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ قال: «بينا أنا نائم رأيتُني في الجنة فإذا امرأة تتوضأ إلىٰ جانب قصر فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر، فذكرت غيرته فوليت مدبراً» فبكىٰ عمر وقال: أعليك أغار يا رسول الله! صحيح.

وأخرجه مسلم (٢٣٩٥) وابن ماجه حديث رقم (١٠٧) وأحمد (٢/ ٣٣٩) وابن أبي عاصم في السنة (١٢٧٠) والنسائي في فضائل الصحابة (٢٧).

٣ ـ أخرج البخاري رحمه الله رقم (٦٦٣٢): عن عبد الله بن هشام قال: كنا مع النبي ﷺ وهو آخذٌ بيد عمر بن الخطاب فقال له عمر: يا رسول الله! لأنت أحبُّ إليّ من كل شيء إلا من نفسي. فقال النبي ﷺ: «لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحبّ إليك من نفسك!». فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحبُّ إليّ من نفسي! فقال النبي ﷺ: «الآن يا عمر» صحيح.

وأخرجه أحمد رقم (٥/ ٢٩٣).

٤ ـ أخرج البخاري رحمه الله رقم (٣٦٨٧): عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: (سألني ابن عمر عن بعض شأنه ـ يعني عمر ـ فأخبرته فقال: ما رأيت أحداً قط بعد رسول الله ﷺ من حين قبض كان أجدّ وأجود حتىٰ انتهىٰ من عمر بن الخطاب). صحيح.

---

٥ ـ أخرج الترمذي رحمه الله رقم (٣٦٨٢): عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه» صحيح لغيره.

وقال ابن عمر: ما نزل بالناس أمر قط فقالوا فيه وقال فيه عمر أو قال ابن الخطاب فيه ـ شك خارجة ـ إلا نزل فيه القرآن على نحو ما قال عمر.

وأخرجه أحمد (٢/ ٩٥) وفي فضائل الصحابة (٣١٣ ـ ٣١٤) وعبد بن حميد في المنتخب رقم (٧٥٦)، (٧٥٧) وابن حبان (موارد الظمآن ٢١٨٥).

٦ ـ أخرج البخاري رحمه الله رقم (٤٠٢): حدثنا عمرو بن عون قال حدثنا هشيم عن حميد عن أنس قال: قال عمر: (وافقت ربي في ثلاث فقلت: يا (رسول الله) لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلىٰ فنزلت: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ وآية الحجاب. قلت: يا رسول الله لو أمرت نساءك أن يحتجبن فإنه يكلمهن البرُّ والفاجر فنزلت آية الحجاب، واجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه فقلت لهن: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ فنزلت الآية). صحيح.

وأخرجه الترمذي مختصراً (٢٩٦٠) وقال: هذا حديث حسن صحيح وابن ماجه مختصراً (١٠٠٩) وعزاه المزي للنسائي، وأخرجه أحمد (١/ ٢٣ ـ ٢٤ و٣٦) وفي فضائل الصحابة (٤٣٤) و(٤٣٥) وابن أبي عاصم في السنة (١٢٧٧).

٧ ـ أخرج البخاري رحمه الله رقم (٤٦٧٢): عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (لما توفي عبد الله بن أبيّ جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلىٰ رسول الله ﷺ فأعطاه قميصه وأمره أن يكفنه فيه ثم قام يصلي عليه، فأخذ عمر بن الخطاب بثوبه فقال: تصلي عليه وهو منافق، وقد نهاك الله أن تستغفر لهم؟ قال: «إنما خيّرني الله ـ أو أخبرني الله ـ ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ فقال: سأزيده على سبعين». قال: فصلىٰ عليه رسول الله ﷺ وصلينا معه ثم أنزل الله عليه: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ صحيح.

وأخرجه مسلم (٢٤٠٠) وأحمد بنحوه (٢/ ١٨).

٨ ـ أخرج الإمام مسلم رحمه الله رقم (٢٣٩٩): عن ابن عمر قال: قال عمر: (وافقت ربي في ثلاث، في مقام إبراهيم، وفي الحجاب، وفي أسارىٰ بدرٍ) صحيح.

وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١٢٧٧).

٩ ـ أخرج البخاري رحمه الله (١٣٦٦): عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم: أنه قال: (لما مات عبد الله بن أبي ابن سلول دُعيَ له رسول الله ﷺ ليصلي عليه، فلما قام رسول الله ﷺ وثبتُ إليه فقلت: يا رسول الله! أتصلي على ابن أبي وقد قال يوم كذا: كذا وكذا وكذا؟! ـ أعدد عليه قوله ـ فتبسم رسول الله ﷺ وقال: «أخّر عني يا عمر». فلما أكثرت عليه قال: «إني خُيِّرت فاخترت لو أعلم أني إن زدت على السبعين يغفر له؛ لزدت

عليها». قال: فصلىٰ عليه رسول الله ﷺ ثم انصرف لم يمكث إلا يسيراً حتىٰ نزلت الآيتان من براءة ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا ﴾ إلى قوله: ﴿ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ قال: فعجبت بعد من جرأتي على رسول الله ﷺ يومئذ والله ورسوله أعلم. صحيح.

وأخرجه الترمذي (٣٠٩٧) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، وعزاه المزي للنسائي، وأخرجه أحمد (١/ ١٦).

١٠ ـ أخرج البخاري رحمه الله رقم (٣٦٨٣): عن محمد بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: استأذن عمر بن الخطاب على رسول الله ﷺ وعنده نسوة من قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن علىٰ صوته، فلما استأذن عمر بن الخطاب قمن فبادرن الحجاب فأذن له رسولُ لله ﷺ فدخل عمر ورسول الله ﷺ يضحك فقال: أضحك الله سنك يا رسول الله! فقال النبي ﷺ: «عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب!». قال عمر: فأنت أحق أن يهبن يا رسول الله! ثم قال عمر: يا عدوات أنفسهن أتهبنني ولا تهبن رسول الله ﷺ؟! فقلن: نعم أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: «إيهاً يا بن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً قط إلا سلك فجاً غير فجك!». صحيح.

والحديث أخرجه مسلم (٢٣٩٦) وعزاه المزي في الأطراف للنسائي وأخرجه أحمد (١/ ١٧١ و١٨٧) وفي فضائل الصحابة (٣٠١)، (٣٠٢) و(٣٢٦) وأبو يعلى في المسند (٢/ ١٣٢) والنسائي في فضائل الصحابة (٢٨).

١١ ـ أخرج البخاري رحمه الله رقم (٣٦٧٧): عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (إني لواقف في قومٍ فدعوا الله لعمر بن الخطاب ـ وقد وضع على سريره ـ إذا رجل من خلفي قد وضع مرفقه على منكبي يقول: رحمك الله، إن كنت لأرجو أن يجعلك الله مع صاحبيك لأني كنت كثيراً ما كنت أسمع رسول الله ﷺ يقول: «كنت وأبو بكر وعمر، وانطلقت وأبو بكر وعمر». فإن كنت لأرجو أن يجعلك الله معهما. فالتفت فإذا هو علي بن أبي طالب). صحيح.

وأخرجه مسلم (٢٣٨٩) وابن ماجه (٩٨) والنسائي في فضائل الصحابة (١٤) وأحمد (١/ ٣١٢) وفي فضائل الصحابة (٣٢٧).

١٢ ـ أخرج البخاري رحمه الله رقم (٣٦٨٤): حدثنا قيس قال: قال عبد الله: (ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر). صحيح.

وأخرجه أحمد في (فضائل الصحابة ٣٦٨)، (٣٧٢) وابن سعد في الطبقات (٣/ ١/ ١٩٣) وابن أبي شيبة في المصنف (١٢٠٢٢).

١٣ ـ أخرج البخاري رقم (٤٦٤٢): عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (قدم عيينة بن حصن بن حذيفة فنزل على ابن أخيه الحرّ بن قيس وكان من النفر الذين يدنيهم عمر، وكان

فكبَّر أبو بكر ، وقال : أراك خِفْتَ أن يختلف الناس إن افتُلتتْ نفسي في غَشيتي! قال : نعم ، قال : جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله ، وأقرّها أبو بكر رضي الله عنه من هذا الموضع[١]. (٣ : ٤٢٩) .

= القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شباناً فقال عُيينة لابن أخيه : يا بن أخي لك وجهٌ عند هذا الأمير ! فاستأذن الحر لعيينة فأذن له عمر فلما دخل عليه قال : هِيْ يا بن الخطاب ، فوالله ما تعطينا الجزل ولا تحكم بيننا بالعدل ! فغضب عمر حتىٰ هم به فقال له الحر : يا أمير المؤمنين ! إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ وإن هذا من الجاهلين ، والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه وكان وقافاً عند كتاب الله). صحيح .

وأخرجه القطيعي في زياداته علىٰ فضائل الصحابة (٥٠٦) .

(١) إسناده ضعيف إلاّ أن متنه صحيح .

١ ـ والحديث أخرجه البيهقي (مع اختلاف بسيط) في السنن الكبرى (٨/ ١٤٩) باب الاستخلاف بسند فيه انقطاع من طريق يوسف بن محمد يقول : بلغني أن أبا بكر أوصى في مرضه فقال لعثمان . . . إلخ .

٢ ـ ولكن قال البيهقي (ورواه) محمد بن عبد الرحمن بن المجبر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة موصولاً .

٣ ـ وأخرج أبو الهلال العسكري قال : أخبرنا أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر عن المدائني قال : لما استقر بأبي بكر الوجع أرسل إلىٰ علي وعثمان ورجال من المهاجرين والأنصار فقال : قد حضر ما ترون ولا من قائم يأمركم فإن شئتم اخترتم لأنفسكم وإن شئتم اخترت لكم ، قالوا : بل اختر لنا ، فقال لعثمان : اكتب ؛ هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجاً منها وأول عهده بالآخرة داخلاً فيها حيث يتوب الفاجر ويؤمن الكافر ويصدق الكاذب ؛ عهد وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وقد استخلف ـ ثم رهقته غشية ـ فكتب عثمان عمر بن الخطاب فلما أفاق قال : أكتبت شيئاً؟ قال : نعم كتبت عمر بن الخطاب فقال : رحمك الله أما أنك لو كتبت لنفسك لكنت لها أهلاً فاكتب قد استخلفت عمر بن الخطاب بعدي ورضيته لكم . . . إلخ (الأوائل/ ١٤٨) وهذا إسناد معضل كما ترىٰ .

٤ ـ وأخرج ابن سعد في طبقاته قال : أخبرنا عمرو بن عاصم الكلابي قال أخبرنا سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس قال : أطفنا بغرفة أبي بكر الصديق في مرضته التي قبض فيها قال : فقلنا : كيف أصبح أو كيف أمسىٰ خليفة رسول الله ﷺ؟ قال : فاطلع علينا اطلاعة ، فقال : ألستم ترضون بما أصنع؟ قلنا : بلىٰ قد رضينا قال : وكانت عائشة هي تمرّضه قال : فقال : أما إني قد كنت حريصاً على أن أوفّد للمسلمين فيئهم مع أني قد أصبت من اللحم واللبن فانظروا إذا رجعتم مني فانظروا ما كان عندنا فأبلغوه عمر : قال : فذاك حيث عرفوا أنه استخلف عمر

٨٥ - قال أبو جعفر: وكان أبو بكر قبل أن يشتغل بأمور المسلمين تاجراً، وكان منزله بالسُّنْح، ثم تحوّل إلى المدينة. فحدّثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي سَبْرة عن مَرْوان بن أبي سعيد بن المعلَّى، قال: سمعتُ سعيد بن المسيَّب قال: وأخبرنا مُوسى بن محمَّد بن إبراهيم عن أبيه، عن عبد الرحمن بن صبيحة التميميّ، عن أبيه، قال. وأخبرَنا عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر، قال: وأخبَرنا محمد بن عبد الله عن الزهريّ، عن عُرْوة، عن عائشة، قال: وأخبرنا أبو قُدامة عُثْمان بن محمد عن أبي وَجْزة، عن أبيه؛ قال. وغير هؤلاء أيضاً قد حدّثني ببعضه، فدخلَ حديثُ بعضهم في حديث بعض، قالوا: قالت عائشةُ: كان منزل أبي بالسُّنْح عند زوْجته حَبيبة بنة خارجة بن زيد بن أبي زُهير من بني الحارث بن الخزرج، وكان قد حجَّر عليه حُجرة من سَعَف؛ فما زادَ على ذلك حتى تحوّل إلى منزله بالمدينة؛ فأقام هنالك بالسُّنْح بعد ما بويع له ستَّة أشهر، يغدُو على رجليْه إلى المدينة، وربما ركب على فرس له، وعليه إزار ورِداء ممشَّق، فيوافِي المدينةَ فيصلي الصَّلَواتِ بالنَّاس، فإذا صلَّى العشاء؛ رجع إلى أهله بالسُّنْح؛ فكان إذا حَضَر صلَّى بالناس وإذا لم يحضر صلَّى بهم عمر بن

= قال وما كان عنده دينار ولا درهم، ما كان إلاّ خادم ولقحة ومحلب، فلما رأى ذلك عمر يُحْمل إليه قال: يرحم الله أبا بكر لقد أتعب من بعده (الطبقات الكبرىٰ ٣/ ١٩٢).

قلنا: وهذا إسناده صحيح.

٥ - وأخرج ابن سعد في طبقاته قال: أخبرنا عفان بن مسلم قال أخبرنا حماد بن مسلمة عن ثابت عن سمية عن عائشة أن أبا بكر قال لها: يا عائشة ما عندي من مال إلاّ لقحة وقدح فإذا أنا مِتُّ فاذهبوا بهما إلى عمر. فلما مات ذهبوا بها إلىٰ عمر فقال: يرحم الله أبا بكر لقد أتعب من بعده (الطبقات الكبرىٰ ٣/ ١٩٣).

وهذا إسناد صحيح وإن كان في حفظ حماد مقال إلاّ أنه من أثبت الناس في ثابت ولذا أخرج له مسلم في صحيحه عن ثابت والله تعالى أعلم.

٦ - وأخرج ابن سعد في طبقاته كذلك أخبرنا وكيع بن الجراح وعبد الله بن نمير قالا: أخبرنا الأعمش عن أبي وائل عن مسروق عن عائشة قالت: لما مرض أبو بكر مرضه الذي مات فيه قال: انظروا ما زاد في مالي منذ دخلت الإمارة فابعثوا به إلىٰ الخليفة من بعدي (الطبقات ٣/ ١٩٢). ورجال هذا الإسناد ثقات وإن كان الأعمش مدلساً فيشهد له ما ذكرنا قبله من الروايات الصحيحة.

الخطاب. قال: فكان يُقيم يوم الجمعة صدرَ النَّهار بالسُّنح يصبغ رأسه ولحيته ثم يروح لقَدَر الجمعة، فيُجمِّع بالنَّاس. وكان رجلاً تاجراً، فكان يغدُو كلّ يوم إلى السوق، فيبيع ويبتاع؛ وكانت له قطعة غنم تروحُ عليه؛ وربَّما خرج هو بنفسه فيها؛ وربما كُفِيَهَا فرُعيت له، وكان يحلب للحيّ أغنامَهم، فلمَّا بويع له بالخلافة قالتْ جارية من الحيّ: الآن لا تُحْلبُ لنا منائحُ دارنا، فسمعها أبو بكر، فقال: بلَى لعمري لأحلبنّها لكم؛ وإني لأرجو ألاّ يغيِّرني ما دخلت فيه عن خُلق كنت عليه. فكان يحلُب لهم، فربما قال للجارية من الحيّ: يا جارية! أتحبّين أن أرعَى لك، أو أصرّح؟ فربما قالت: ارْعَ، وربما قالت: صرّح؛ فأيّ ذلك قالتْه فعل؛ فمكث كذلك بالسُّنْح ستَّة أشهر؛ ثم نزل إلى المدينة، فأقام بها، ونَظَر في أمرِه، فقال: لا والله، ما تصلِح أمور الناس التِّجارة، وما يصلِحُهم إلاَّ التفرُّغ لهم والنَّظر في شأنهم، ولا بدّ لعيالي مما يُصلِحُهم. فترك التجارة واستنفق من مال المسلمين ما يُصلِحُه ويُصْلح عيالَه يوماً بيوم، ويحجّ ويعتمر. وكان الذي فرضوا له في كلّ سنة ستَّة آلاف درهم؛ فلما حضرتْه الوفاة، قال: رُدُّوا ما عندَنا من مال المسلمين؛ فإني لا أصيبُ من هذا المال شيئاً، وإنّ أرضي الَّتي بمكان كذا وكذا للمسلمين بما أصبت من أموالهم؛ فدفع ذلك إلى عمر، ولقوحاً وعبداً صَيْقلاً، وقطيفة ما تُساوي خمسة دراهم؛ فقال عمر: لقد أتعب مَن بعده[(١)]. (٣: ٤٣١/ ٤٣٢/ ٤٣٣).

٨٦ ـ وقال عليّ بن محمد ـ فيما حدّثني أبو زيد عنه في حديثه عن القوم الذين ذكرتُ روايته عنهم ـ قال أبو بكر: انظروا كم أنفقت منذ وُلِّيتُ من بيت المال فاقضوه عنِّي. فوجدوا مبلَغه ثمانية آلاف درهم في ولايته[(٢)]. (٣: ٤٣٣).

---

(١) إسناده ضعيف فهو من طريق الواقدي ولبعضه ما يشهد له كما سنذكر بعد قليل ولقد أخرج الطبري بعضه فيما سبق عند حديثه عن أبي بكر رضي الله عنه وصفاته وعلّقنا على تلك الروايات في حينها.

(٢) إسناده ضعيف وسنذكر ما يؤيد هذه الرواية وما قبلها فنقول وبالله التوفيق:

١ ـ أخرج ابن سعد في الطبقات الكبرىٰ (٣/ ١٩٣) أخبرنا يزيد بن هارون قال: أخبرنا ابن عون عن محمد قال: توفي أبو بكر الصديق وعليه ستة آلاف كان قد أخذها من بيت المال فلما حضرته الوفاة قال: إن عمر لم يدعني حتى أصبت من بيت المال ستة آلاف درهم وإن حائطي الذي بمكان كذا وكذا فيها فلما توفي ذكر ذلك لعمر فقال: يرحم الله أبا بكر لقد أحبَّ.

٨٧ ـ حدّثنا ابنُ حُميد ، قال: حَدّثنا سَلمة عن ابن إسحاق ، عن الزهريّ ، عن القاسم بن محمد ، عن أسماءَ بنة عُمَيس ، قالت: دخل طلحة بن عبيد الله على أبي بكر ، فقال: استخلفتَ على الناس عُمر ، وقد رأيتَ ما يلقى الناس منه وأنت معه؛ فكيف به إذا خلا بهم! وأنت لاقٍ ربَّك فسائلك عن رعيَّتك ؟! فقال أبو بكر ـ وكان مضطجعاً: أجلسوني ، فأجلسوه ، فقال لطلحة: أبالله تفرّقني ؟! ـ أو أبالله تخوّفني ؟! ـ إذا لقيت الله ربِّي فساءلني قلت: استخلفتُ على أهلِك خيرَ أهلك[(١)]. (٣: ٤٣٣) .

٨٨ ـ حدّثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سلَمة عن ابن إسحـاق ، عن محمَّد بن عبد الرحمن بن الحصين بمثل ذلك[(٢)] (٣: ٤٣٣) .

= أن لا يدع لأحد بعد مقالاً وأنا ولي الأمر من بعده وقد رددتها عليكم. ا هـ. وإسناده صحيح إلى ابن سيرين. وكذلك سبق أن ذكرنا قبل قليل رواية ابن سعد في طبقاته (٣/ ١٩٢) من حديث أنس رضي الله عنه وفي آخرها وما كان عنده دينار ولا درهم ، ما كان إلاّ خادم ولقحة ومحلب ، فلما رأىٰ ذلك عمر يُحمل إليه قال: يرحم الله أبا بكر لقد أتعب من بعده. ا. هـ. وكذلك ذكرنا آنفاً رواية ابن سعد الأخرىٰ (٣/ ١٩٣) من طريق عائشة رضي الله عنها أن أبا بكر قال لعائشة: ما عندي من مالٍ إلا لقحة وقدح فإذا أنا متُّ فاذهبوا بهما إلى عمر. . . .إلخ.

(١) إسناده ضعيف ومتنه صحيح كما سنذكر بعد الرواية التالية.

(٢) إسناده ضعيف وسنذكر ما يؤيده:

١ ـ أخرج البيهقي (٨/ ١٤٩) باب الاستخلاف: أخبرنا أبو الحسين بن بشران أنبأ أبو جعفر محمد بن عمرو الرزاز ثنا الحسن بن مكرم ثنا سعيد بن عامر ثنا صالح بن رستم أبو عامر الخزاز عن ابن أبي مليكة قال: قالت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها لما ثقل أبي دخل عليه فلان وفلان فقالوا: يا خليفة رسول الله ماذا تقول لربك غداً إذا قدمت عليه وقد استخلفت علينا ابن الخطاب ؟! قال: فأجلساه فقال: أبالله ترهبوني؟! أقول: استخلفت عليهم خيرهم. ا هـ.

قلنا: وفي إسناده صالح بن رستم (أبو عامر الخزاز) ضعفه ابن معين وابن أبي حاتم ولكن وثقه أبو داود الطيالسي والعجلي وقال أحمد: صالح الحديث وذكره ابن حبان في الثقات وقال الحافظ ابن عدي: عزيز الحديث ولعل جميع ما أسنده خمسون حديثاً وقد روىٰ عنه يحيىٰ القطان مع شدة استقصائه. وهو عندي لا بأس به ولم أر له حديثاً منكراً (راجع تهذيب الكمال ٣/ ٤٧/ ت٢٨١٢) و(الكامل لابن عدي ٤/ ٧٢/ت ٩٢٢) وأخرج له مسلم والأربعة ووثقه البزار (راجع تهذيب التهذيب ٤/ ٣٩١) وقال الحافظ في التقريب: صدوق كثير الخطأ =

٨٩ - قال أبو جعفر: قد تقدّم ذكرنا وقت عقد أبي بكر لعُمر بن الخطاب الخلافة، ووقت وفاة أبي بكر، وأنّ عمر صلَّى عليه، وأنه دفن ليلةَ وفاته قبل أن يُصْبح الناس، فأصبح عمر صبيحةَ تلك الليلة، فكان أوّل ما عمل وقال - فيما ذُكِر - ما حدثنا أبو كُرَيب، قال: حدّثنا أبو بكر بن عيّاش عن الأعمش، عن جامع بن شدّاد، عن أبيه؛ قال: لمّا استُخلِف عمر صعِد المنبر، فقال: إني قائل كلمات فأمِّنوا عليهنّ، فكان أوّلِ منطق نطق به حين استُخلِف[1]. (٣: ٤٣٣).

٩٠ - حدّثنا عمر، قال: حدّثني عليّ عن عيسى بن يزيد، عن صالح بن كيسان، قال: كان أوّل كتاب كتبه عمر حين وُلِّي إلى أبي عبيدة يولِّيه على جند

= وسكت المحرران عن قول الحافظ هذا (تحرير التقريب ٢/ ٢٨٦١) وكان الأولىٰ أن يقولا: صدوق والله تعالىٰ أعلم فإسناد البيهقي حسن والله أعلم.

٢ - وأخرج ابن سعد في طبقاته (٣/ ٢٧٤) قال: أخبرنا الضحاك بن مخلد أبو عاصم النبيل قال أخبرنا عبيد الله بن أبي زياد عن يوسف بن ماهك عن عائشة قالت: لما حضرت أبا بكر الوفاة استخلف عمر فدخل عليه علي وطلحة فقالا: من استخلفت؟ قال: عمر. قالا: فماذا أنت قائل لربك؟! قال: أبالله تفرقاني؟! لأنا أعلم بالله وبعمر منكما، أقول: استخلفت عليهم خير أهلك.

وفي إسناده عبيد الله بن أبي زياد. قال الحافظ: ليس بقوي. فعقب المحرران (شعيب وبشار) بقولهما: بل ضعيف يعتبر به (تحرير التقريب ٢/ ٤٢٩٢) وهو كما قالا.

فهذه الرواية تتقوى بالتي قبلها وخلاصة القول أن الأسانيد الثلاثة لهذه الرواية (طريق ابن إسحاق عند الطبري، وطريق الضحاك بن مخلد عند ابن سعد، وطريق ابن أبي مليكة عند البيهقي) تجعل الرواية ترقىٰ إلى درجة الحسن بمجموع طرقه وإن كنا نرىٰ رواية البيهقي (من طريق صالح بن رستم) حسنة لثقتها والله تعالى أعلم.

(١) رجاله ثقات ولكن الأعمش مدلّس وقد عنعن هنا ولم يصرح بالتحديث، فقد أخرج ابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/ ٢٧٤) أخبرنا معاوية الضرير عن الأعمش عن جامع بن شداد عن أبيه قال: كان أول كلام تكلم به عمر حين صعد المنبر أن قال: اللهم إني شديد فليّني وإني ضعيف فقوّني وإني بخيل فسخّني.

وأخرج ابن سعد كذلك قال: أخبرنا وهب بن جرير قال: أخبرنا شعبة عن جامع بن شداد عن ذي قرابة له قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: ثلاث كلمات إذا قلتها فأمِّنوا عليها: اللهم إني ضعيف فقوّني، اللهم إني غليظ فليّني اللهم إني بخيل فسخّني (الطبقات الكبرىٰ ٣/ ٢٧٥) ولقد علمنا من الروايتين السابقتين أن (ذي قرابة له) هو أبوه فالإسناد صحيح بمجموع طرقه والله تعالى أعلم.

خالد: أوصيك بتقوى الله الذي يبقَى ويفنَى ما سواه؛ الذي هدانا من الضّلالة، وأخرجَنا من الظُّلمات إلى النور. وقد استعملتك على جُنْد خالد بن الوليد، فقم بأمرهم الذي يحقّ عليك، لا تُقدِّم المسلمين إلى هَلَكة رجاء غنيمة؛ ولا تُنزلهم منزلاً قبل أن تستريده لهم؛ وتعلمَ كيف مأتاه؛ ولا تبعث سريّة إلا في كَثْف من الناس؛ وإيّاك وإلقاء المسلمين في الهلَكة، وقد أبلاك الله بي وأبلاني بك؛ فغمِّضْ بَصَرك عن الدنيا، وألْه قلبك عنها؛ وإيّاك أن تُهلِكَك كما أهلكتْ مَن كان قبلك، فقد رأيتَ مصارعَهم[١]. (٣: ٤٣٤).

ذكر غزوة فِحْل وفتح دمشق

٩٠/أ ـ حدّثني عمر عن عليّ بن محمد بإسناده، عن النّفر الذين ذكرت

---

(١) في إسناده عيسىٰ بن يزيد ولم يبين الطبري اسمه بالكامل أو لقبه وأغلب الظن أنه عيسىٰ بن يزيد بن داب الليثي فهو الذي يروي عن صالح بن كيسان ويروي عنه حكام قال البخاري وغيره: منكر الحديث، وإن كان بعض علماء الجرح والتعديل يرونه منكر الحديث ولكنه خبير بالتأريخ كما قال ابن حجر: كان أخبارياً علامة نسابة لكن حديثه واه. (لسان الميزان ٥/٣٩٣/ت ٦٥١٠).

وقال الخطيب: كان عالماً بأيام الناس حافظاً للسير (تأريخ بغداد ١١/١٤٨/ت ٥٨٤٥) وروايته هذه رواية تأريخ وليست برواية حديث ولذلك بحثنا في الروايات التأريخية الصحيحة عن ما يؤيده، فأما عزله لخالد وتأميره لأبي عبيدة على قيادة الجيش فذلك ما اتفق عليه المؤرخون كما سبق أن ناقشنا، وأما كون أول كتاب كتبه هو إلى أبي عبيدة فلم نجد نصاً تأريخياً صحيحاً وصريحاً يؤكد ذلك، إلاّ أننا نستطيع أن نقول بأن كتابه إلى أبي عبيدة كان من أوائل ما كتب رضي الله عنه فمعركة اليرموك كانت في السنة الأولى أو الثانية من خلافته، وقد أرسل رضي الله عنه كتاباً إلى أبي عبيدة وبقية القادة يذكرهم بتقوى الله كما ذكرنا قبل وسنعيد الاستشهاد به هنا:

فقد أخرج الإمام أحمد في مسنده (١/ح٣٤٤ طبعة شاكر) عن سماك قال: سمعت عياضاً الأشعري قال. شهدت اليرموك وعلينا خمسة أمراء: أبو عبيدة بن الجراح ويزيد بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة وخالد بن الوليد وعياض ـ وليس عياض هذا بالذي حدث سماكاً ـ قال: وقال عمر: إذا كان قتال فعليكم أبو عبيدة. قال: فكتبنا إليه أن قد جاش إلينا الموت أو استمددناه. فكتب إلينا: أنه قد جاءني كتابكم تستمدوني وإني أدلكم على من هو أعز نصراً وأحضر جنداً؛ الله عز وجل، فاستغفروه فإن محمداً ﷺ قد نصر يوم بدرٍ في أقلّ من عددكم فإذا أتاكم كتابي هذا فقاتلوهم ولا تراجعوني قال: فقاتلناهم فهزمناهم.

وصحح العلامة شاكر إسناده والله تعالى أعلم.

روايتَهم عنهم في أول ذكري أمرَ أبي بكر: أنَّهم قالوا: قدِم بوفاة أبي بكر إلى الشأم شدّاد بن أوْس بن ثابت الأنصاريّ ومَحْمِيَة بن جَزْء، ويَرْفأ، فكتموا الخبرَ الناس حتى ظفر المسلمون ـ وكانوا بالياقوصة يقاتلون عدوَّهم من الروم؛ وذلك في رجب ـ فأخبروا أبا عبيدة بوفاة أبي بكر وولايته حَرْب الشأم، وضمّ عمر إليه الأمراءَ، وعزلِ خالد بن الوليد[1]. (٣: ٤٣٤).

٩١ - فحدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سَلَمة عن ابن إسحاق، قال: لما فرغ المسلمون من أجنَادين ساروا إلى فِحْل من أرض الأردنّ؛ وقد اجتمعت فيها رافضة الروم، والمسلمون على أمرائهم وخالد على مقدّمة الناس. فلمَّا نزلت الروم بِيْسان بثقوا أنهارها؛ وهي أرض سَبْخة، فكانت وحلاً، ونزلوا فِحْلاً ـ وبيسانُ بين فلسطين وبين الأردنّ ـ فلما غشيَها المسلمون ولم يعلموا بما صنعت الروم، وحلت خيولُهم، ولقوا فيها عَناءً، ثم سلَّمهم الله ـ وسميت بَيْسان ذات الرَّدغَة لما لقي المسلمون فيها ـ ثم نهضوا إلى الروم وهم بفِحْل؛ فاقتتلوا فهُزمت الروم، ودخل المسلمون فِحْلاً ولحقت رافضة الروم بدمشق؛ فكانت فِحْل في ذي القعدة سنة ثلاث عشرة، على ستّة أشهر من خلافة عمر. وأقام تلك الحجَّة للناس عبد الرحمن بن عوف. ثم ساروا إلى دمشق وخالد على مقدّمة الناس؛ وقد اجتمعت الروم إلى رجل منهم يقال له: باهان بدمشق ـ وقد كان عمر عزلَ خالدَ بن الوليد واستعمل أبا عبيدة على جميع الناس ـ فالتقى المسلمون والروم فيما حول دمشق، فاقتتلوا قتالاً شديداً، ثم هزم الله الرّومَ، وأصاب منهم المسلمون، ودخلت الروم دمشق؛ فغلَّقوا أبوابَها وجَثم المسلمون عليها فرابطوها حتى فُتحت دمشق، وأعطوا الجزية، وقد قدم الكتاب على أبي عبيدة بإمارته وعزل خالد، فاستحيا أبو عبيدة أن يقرىء خالداً الكتاب حتى فتحت دمشق، وجرى الصُّلْح على يديْ خالد، وكتب الكتاب باسمه. فلما صالحت دمشق لحِق باهان ـ صاحب الروم الّذي قاتل المسلمين ـ بهرقل. وكان فتح دمشق

(١) لقد مضىٰ الكلام عن عزل خالدٍ عن إمرة الجيش وإسناد القيادة لأبي عبيدة ووصول الخبر إلىٰ المسلمين وهم في الياقوصة، وسنتحدث مرة أخرىٰ وبالتفصيل عن هذا العزل ودواعيه وسنرد علىٰ شبهات المستشرقين وسنحاول الجمع بين الروايات التاريخية المتعارضة في هذا العزل إن شاء الله تعالىٰ بعد قليل.

في سنة أربع عشرة في رجب ، وأظهر أبو عبيدة إمارتَه وعَزْلَ خالد؛ وقد كان المسلمون التقوْا هم والرّوم ببلد يقال له: عيْن فِحْل بين فلسطين والأردنّ ، فاقتتلوا به قتالاً شديداً ، ثمّ لحقت الروم بدمشق[1] .(٣: ٤٣٤/ ٤٣٥) .

---

(١) إسناده ضعيف ويشهد لأصله ما أخرجه خليفة بن خياط فحدثني الوليد بن هشام عن أبيه عن جده قال: كان خالد علىٰ الناس فصالحهم ، فلم يفرغ من الصلح حتىٰ عزل وولي أبو عبيدة فأمضىٰ أبو عبيدة صلح خالد ولم يغيّر الكتاب والكتاب عندهم باسم خالد. وهذا إسناد صحيح ولكن خليفة لم يقبله لأن في متنه غرابة ظاهرة فقال رحمه الله: هذا غلط لأن عمر عزل خالداً حين ولي.

قلنا: ولا نرىٰ غرابة في توقيت هذا العزل لأن العزل كان علىٰ مرحلتين (حسب استنباطنا من الروايات التأريخية في هذه المسألة) أي أن العزل الأول لخالد كان من القيادة العامة للجيش (أو ما يسمىٰ بهيئة الأركان) ، أما الثاني والذي نفذه أبو عبيدة بعد فتح دمشق كان عزلاً لخالد حتى من قيادته كجناح من أجنحة الجيش والله أعلم.

وإلى هذا الرأي ذهب كذلك الأستاذ الفاضل باشميل وإن لم يقدم دليلاً على ذلك. ويؤيد ما نذهب إليه والله أعلم حديثاً رواه الإمام أحمد في مسنده يؤكد أن خالداً كان أميراً يوم اليرموك مع بقية القادة كأبي عبيدة وغيره ومعلوم أن اليرموك كانت بعد تولي عمر الخلافة بمدة ولم تكن متزامنة بعد توليه الخلافة فيتقوى قولنا في أنه عزله مرتين مرة عند توليه الخلافة إذ عزله من قيادة هيئة الأركان (أو كما تسميه الروايات إمرة جميع الجند) والثانية خلال معركة اليرموك وهذه كانت عن إمارة جناح من أجنحة الجيش وأبلغه أبو عبيدة بخبر العزل بعد انتهاء المعركة.

أخرج أحمد في مسنده (١/ح ٣٤٤ طبعة شاكر) عن سماك قال: سمعت عياضاً الأشعري قال: شهدت اليرموك وعلينا خمسة أمراء: أبو عبيدة بن الجراح ويزيد بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة وخالد بن الوليد وعياض وليس عياض هذا بالذي حدث سماك...... إلخ الحديث. وصحح العلامة شاكر إسناده وإن كان ترجيحنا هذا لا ينفي قوة الرأي المقابل فللحديث وجه آخر يستدل به علىٰ أن عمراً رضي الله عنه عزل خالداً عن القيادة العامة للجيش عند اليرموك. إذ جاء في تكملة الحديث الآنف الذكر: وقال عمر: إن كان قتال فعليكم أبو عبيدة (مسند أحمد١/ ح٣٤٤).

وهذا الحديث يؤيد روايات سيف الضعيفة السند التي ذكرت أن خالداً سار مدداً إلىٰ جيوش الشام بأمر أبي بكر الذي لم يعينه قائداً عاماً لهم وإنما كان ذلك عن تشاور منهم (الأمراء الخمسة) فجاء أمر عمر بعزله.

وخليفة يرىٰ أن خالداً لم يصالحهم وإنما فتح الباب الذي كان عليه عنوة وهو الباب الشرقي (كما عند غير خليفة) أما باب الجابية فقد فتحه أبو عبيدة صلحاً إذ قال خليفة [سنة أربع عشرة (فتح دمشق)] فيها فتحت دمشق: سار أبو عبيدة بن الجراح ومعه خالد بن الوليد فحاصرهم =

خبر دمشق من رواية سيف:

٩٢ - كتب إليّ السّريُّ عن شُعيب، عن سيف، عن أبي عثمان، عن خالد وعبادة؛ قالا: لما هزم الله جُنْد اليَرْموك، وتهافت أهلُ الواقوصة، وفُرِغ من المقاسم والأنفال، وبُعِث بالأخماس، وسُرّحت الوفود؛ استخلف أبو عبيدة على اليَرموك بشير بن كعب بن أبَيّ الحِمْيَريّ كَيْلا يُغتال بردّةٍ؛ ولا تقطع الرُّوم على موادّه، وخرج أبو عبيدة حتى ينزل بالصُّفَّر؛ وهو يريد اتباع الفالّة؛ ولا يدري يجتمعون أو يفترقون؛ فأتاه الخبر بأنّهم أرَزوا إلى فِحْل، وأتاه الخبر بأن المدد قد أتى أهل دمشق من حِمص، فهو لا يدري أبدمشق يبدأ أم بِفِحْل من بلاد الأردنّ. فكتب في ذلك إلى عمر، وانتظر الجواب، وأقام بالصّفَّر، فلمّا جاء عمرَ فتحُ اليرموك أقرّ الأمراء على ما كان استعملهم عليه أبو بكر إلاّ ما كان من عمرو بن العاص وخالد بن الوليد، فإنه ضمّ خالداً إلى أبي عبيدة، وأمر عمراً بمعونة الناس؛ حتى يصير الحرب إلى فِلَسطين، ثم يتولّى حربَها. (٣: ٤٣٦).

٩٢/ أ - رجع الحديث إلى حديث سيف عن أبي عثمان، عن خالد وعبادة، قالا: ولمّا جاء عمرَ الكتاب عن أبي عُبيدة بالذي ينبغي أن يبدأ به كتب إليه: أمّا بعد؛ فابدؤوا بدمشق، فانْهَدوا لها؛ فإنّها حِصن الشأم وبيت مملكتهم، واشغلوا عنكم أهلَ فِحْل بخيلٍ تكون بإزائهم في نحورهم وأهلَ فلسطين وأهل حِمْص؛ فإن فتحها الله قبل دمشق فذاك الّذي نحبّ، وإن تأخّر فتحُها حتى يفتح الله دمشق فلينزل بدمشق مَن يمسك بها، ودعوها، وانطلق أنت وسائر الأمراء حتى تُغيروا على فِحْل؛ فإن فتح الله عليكم؛ فانصرف أنت وخالد إلى حِمْص، ودَعْ شُرَحْبيل وعمراً وأخلِهما بالأردنّ وفلسطين، وأميرُ كلّ بلد وجُنْد على الناس حتى يخرجوا من إمارته. فسرّح أبو عبيدة إلى فِحْل عشرة قُوّاد: أبا الأعور السُّلَميّ، وعبدَ عمرو بن يزيد بن عامر الجُرَشيّ، وعامرَ بن حَثْمة، وعمرو بن كُليب من يَحْصُب، وعُمَارة بن الصَّعِق بن كعب، وصَيْفيَّ بن عُلْبة بن شامل، وعمرَو بن

فصالحوه وفتحوا له باب الجابية وفتح خالد أحد الأبواب عنوة وأتم لهم أبو عبيدة الصلح (تأريخ خليفة/ ١٢٥). ورواية ابن إسحاق الضعيفة هذه تبيّن أن فتح دمشق كان بعد فِحْل وهذا الذي رجحه غير واحد من أئمة التأريخ علىٰ ما رواه سيف من أن فتح دمشق كان قبل وقعة فحل وسنرجع إلى الحديث عن ذلك بعد الرواية التالية.

الحبيب بن عمرو ، ولبدة بن عامر بن خَثْعمة ، وبِشْرَ بن عصْمة ، وعُمارة بن مُخش قائد الناس؛ ومع كلّ رجل خمسة قوّاد؛ وكانت الرؤساء تكون من الصحابة حتى لا يجدوا مَن يحتمل ذلك منهم ، فساروا من الصُّفَّر حتَّى نزلوا قريباً من فِحْل ، فلمَّا رأت الرُّوم : أنّ الجنود تريدهم؛ بثقُوا المياه حوْلَ فِحْل ، فأردِغتْ الأرض ، ثم وحلَت ، واغتمّ المسلمون من ذلك ، فحبسوا عن المسلمين بها ثمانين ألف فارس. وكان أوّلَ محصور بالشأم أهل فِحْل ، ثم أهل دمشق. وبعث أبو عبيدة ذا الكَلاع حتَّى كان بين دمشق وحِمْص ردءاً. وبعث عَلْقمة بن حكيم ومَسْروقاً فكانا بين دمشق وفلَسطين ، والأمير يزيد. ففصَل ، وفصَل بأبي عبيدة من المرْج؛ وقدّم خالد بن الوليد ، وعلى مجنّبتيه عمرو وأبو عبيدة وعلى الخيل عياض ، وعلى الرَّجْل شُرَحبيل ، فقدِموا على دمشق ، وعليهم نسطاس بن نُسْطُورس؛ فحصَروا أهلَ دمشق ، ونزلوا حواليْها ، فكان أبو عبيدة على ناحية ، وعمرو على ناحية ، ويزيد على ناحية ، وهِرَقل يومئذ بحِمْص ، ومدينة حِمْص بينه وبينهم. فحاصروا أهلَ دمشق نحواً من سبعين ليلة حِصاراً شديداً بالزُّحوف والتَّرامِي والمجانيق؛ وهم معتصمون بالمدينة يرجون الغِياث ، وهِرَقل منهم قريب وقد استمدّوه. وذو الكَلاع بين المسلمين وبين حِمْص على رأس ليلة من دمشق؛ كأنه يريد حِمْص ، وجاءت خيولُ هِرقل مغيثةً لأهل دمشق ، فأشجتْها الخيول الَّتي مع ذي الكَلاع ، وشغلتها عن النَّاس ، فأرَزوا ، ونَزَلوا بإزائه ، وأهلُ دمشق على حالهم.

فلمَّا أيقن أهلُ دمشق : أنَّ الأمداد لا تصلُ إليهم فشلوا ووَهنوا وأبلسوا وازداد المسلمون طمعاً فيهم؛ وقد كانوا يروْن أنَّها كالغارات قبل ذلك؛ إذا هجم البرد قفَل الناس ، فسقط النَّجم والقوم مقيمون؛ فعند ذلك انقطع رجاؤهم ، وندِموا على دخول دمشق ، ووُلِد للبِطريق الَّذي دخل على أهل دمشق مولودٌ؛ فصنع عليه ، فأكل القوم وشربوا ، وغفلوا عن مواقفهم؛ ولا يشعر بذلك أحدٌ من المسلمين إلا ما كان من خالد؛ فإنه كان لا ينام ولا يُنيم ، ولا يخفى عليه من أمورهم شيء؛ عيونُه ذاكية وهو معنيٌّ بما يليه ، قد اتَّخذ حبالاً كهيئة السلاليم وأوْهاقاً ، فلمَّا أمسى من ذلك اليوم نَهَد ومَنْ معه من جنده الذين قدم بهم عليهم ، وتقدّمهم هو والقعقاع بن عمرو ، ومذعور بن عديّ ، وأمثاله من

أصحابه في أول يومه ، وقالوا: إذا سمعتم تكبيرَنا على السّور فارقَوْا إلينا ، وانْهدوا للباب. فلما انتهى إلى الباب الذي يَليه هو وأصحابه المتقدّمون رَمَوْا بالحبال الشُّرَف وعلى ظهورهم القِرَب التي قطعوا بها خندقهم. فلمَّا ثبت لهم وَهَقان تسلَّق فيهما القعقاع ومذعور ، ثم لم يدعا أحبولةً إلاّ أثبتاها ـ والأوْهاق بالشُّرَف ـ وكان المكان الذي اقتحموا منه أحصن مكان يحيط بدمشق ، أكثرَه ماءً ، وأشدّه مدخلاً ، وتوافوا لذلك ، فلم يبقَ ممّن دخل معه أحدٌ إلا رقى أو دنا من الباب؛ حتى إذا استَوَوْا على السُّور حَدَر عامَّة أصحابه ، وانحدَر معهم؛ وخلَّف مَنْ يحمي ذلك المكان لمن يرتقي ، وأمرهم بالتَّكبير ، فكبَّر الذين على رأس السور ، فنهَد المسلمون إلى الباب ، ومال إلى الحِبال بشَرٌ كثير ، فوثَبُوا فيها ، وانتهى خالد إلى أوّل مَن يليه فأنامهم ، وانحدر إلِى الباب ، فقتل البوّابين ، وثار أهلُ المدينة ، وفزِع سائر الناس؛ فأخذوا مواقفهم ، ولا يدرون ما الشأن! وتشاغل أهلُ كلّ ناحية بما يليهم ، وقطع خالد بن الوليد ومن معه أغلاق الباب بالسيوف ، وفتحوا للمسلمين ، فأقبلوا عليهم مِن داخل ، حتَّى ما بقيَ ممَّا يلي باب خالد مقاتل إلا أنيم. ولما شدّ خالد على من يليه؛ وبلغ منهم الذي أراد عَنْوة أرَزَ من أفلت إلى أهل الأبواب التي تَلِي غيرَه؛ وقد كان المسلمون دَعَوْهم إلى المشاطرة فأبوا وأبعدوا ، فلم يفجأهم إلاّ وهم يبُوحون لهم بالصُّلح ، فأجابوهم وقبلوا منهم ، وفتحوا لهم الأبواب ، وقالوا: ادخلوا وامنعونَا من أهلِ ذلك الباب. فدخل أهلُ كلّ باب بصلح ممَّا يليهم ، ودخل خالد مما يليه عَنْوة ، فالتقى خالد والقوّاد في وسطها؛ هذا استعراضاً وانتهاباً ، وهذا صلحاً وتسكيناً؛ فأجْرَوا ناحيةَ خالد مُجْرَى الصّلح ، فصار صُلْحاً ، وكان صلح دمشق على المقاسمة ، الدينار والعقار ، ودينارٌ عن كلّ رأس ، فاقتسموا الأسلاب؛ فكان أصحاب خالد فيها كأصحاب سائر القوّاد ، وجَرَى على الديار ومَنْ بقي في الصّلح جَريب من كلّ جَريب أرض؛ ووَقف ما كان للملوك ومَن صوّب معهم فَيْئاً ، وقسموا لذي الكَلاع ومَن معه ، ولأبي الأعور ومَن معه ، ولبشير ومَن معه ، وبعثوا بالبِشارة إلى عمر ، وقدم على أبي عبيدة كتاب عمر؛ بأن اصرِف جند العراق إلى العراق ، وأمرهم بالحثّ إلى سعد بن مالك ، فأمّر على جُند العراق هاشم بن عُتْبة ، وعلى مقدّمته القعقاع بن عمرو ، وعلى مجنَّبَتيه عمرو بن مالك الزُّهري ورِبْعيّ بن عامر ، وضربوا بعد دمشق نحو سعد ، فخرج

هاشم نحو العراق في جُنْد العراق؛ وخرج القوّاد نحو فِحْل وأصحاب هاشم عشرة آلاف إلاّ من أصيب منهم ، فأتمّوهم بأناس ممّن لم يكن منهم؛ ومنهم قيس والأشتر ، وخرج علقمة ومسروق إلى إيلياءَ ، فنزلا على طريقها ، وبقي بدمشق مع يزيد بن أبي سفيان من قوّاد أهلِ اليمن عددٌ؛ منهم عمرو بن شِمْر بن غزيّة ، وسَهْم بن المسافر بن هَزْمة ، ومشافع بن عبد الله بن شافع. وبعث يزيد دحْية بن خليفة الكلبيّ في خيل بعد ما فتح دمشق إلى تَدْمُر ، وأبا الزهراء القُشَيريّ إلى البَـثَنِيَّـة ، وحَوْران ، فصالحوهما على صلح دمشق ، ووليَا القيام على فَتْح ما بُعثا إليه[(١)] . (٣: ٤٣٦/ ٤٣٧/ ٤٣٨/ ٤٣٩/ ٤٤٠) .

---

(١) ١ - أخرج البلاذري في (فتوح البلدان/ ١٦٩) حدثني القاسم بن سلاّم قال: حدثنا أبو مسهر عن يحيى بن حمزة عن أبي المهلب الصغاني عن أبي الأشعث الصغاني أو أبي عثمان الصغاني أن أبا عبيدة أقام بباب الجابية محاصراً لهم أربعة أشهر.

٢ - أما ابن عساكر فقد أخرج عن أبي عثمان الصغاني هذا قوله: حاصرنا دمشق فنزل يزيد بن أبي سفيان علىٰ باب الجابية ونزل خالد بن الوليد علىٰ باب الشرقي وكان أبو الدرداء في مسلحة برزة ، قال: فحاصرناها أربعة أشهر قال: وكان راهب دمشق قد طلب من خالد بن الوليد الصلح . . . إلخ وفيه: أن خالداً دخل صلحاً من باب الشرقي والتقىٰ (بيزيد بن أبي سفيان الذي دخلها قسراً من باب الصغير) عند المقسلاط ـ (مختصر تأريخ ابن عساكر ١/ ٢٠٣).

٣ - وأخرج ابن عساكر عن الأوزاعي رحمه الله قال: كنت عند ابن سراقة حين أتاه أهل دمشق النصارىٰ بعهدهم فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من خالد بن الوليد لأهل دمشق إني أمنتهم علىٰ دمائهم وأموالهم وكنائسهم ألاّ تُسكن ولا تهدم؛ شهد يزيد بن أبي سفيان ، وشرحبيل بن حسنة وقضاعي بن عامر وكتب في رجب من سنة أربع عشرة. (مختصر تأريخ ابن عساكر ١/ ٢٠٤).

٤ - وأخرج ابن عساكر عن عباس بن سهل بن سعد أنه قال: تولىٰ أبو عبيدة حصار دمشق ، وولي خالد بن الوليد القتال على الباب الذي كان عليه وهو الباب الشرقي ، فحاصر دمشق بعد موت أبي بكر حولاً كاملاً وأياماً ، ثم إنه لما طال على صاحب دمشق انتظار مدد هرقل ورأى المسلمين لا يزدادون إلاّ كثرة وقوة. وأنهم لا يفارقونه أقبل يبعث إلىٰ أبي عبيدة بن الجراح يسأله الصلح ، وكان أبو عبيدة أحبّ إلى الروم وسكان الشام من خالد ، وأن يكون الكتاب منه أحبّ إليهم فكانت رسل صاحب دمشق إنما تأتي أبا عبيدة بن الجراح وخالد يلح علىٰ أهل الباب الذي يليه فأرسل صاحب الرجال إلىٰ أبي عبيدة فصالحه وفتح له باب الجابية وألح خالد بن الوليد علىٰ الباب الشرقي ففتحه عنوة فقال خالد لأبي عبيدة: اِسبهم فإني قد فتحتها عنوة. فقال أبو عبيدة: إني قد أمنتهم فتمم لهم أبو عبيدة الصلح وكتب لهم كتابه . . . (مختصر ابن عساكر ص ١/ ٢٠٥ ـ ٢٠٦).

=

= ٥ ـ وأخرج ابن عساكر عن أبي حذيفة قوله: وولي أبو عبيدة حصار دمشق وولي خالد بن الوليد القتال علىٰ باب الشرقي وولاه الخيل إذا كان يوم يجتمع فيه المسلمون للقتال فحاصروا دمشق بعد هلاك أبي بكر حولاً كاملاً وأياماً وساق الحديث (مختصر تأريخ ابن عساكر/ ١/ ٢٠٨).

٦ ـ وأخرج ابن عساكر أخبرنا أبو القاسم أن أبا الفضل عمر بن عبيد الله، أن علي بن محمد بن عبيد الله، نا حنبل بن إسحاق، نا عاصم بن علي، نا أبو معشر قال: استخلف أبو بكر في شهر ربيع الأول حين توفي رسول الله ﷺ ومات لثمان بقين من جمادى الآخرة يوم الإثنين في سنة ثلاث عشرة فكانت خلافته سنتين وأربعة أشهر إلاّ عشر ليالٍ، قال: وكان فتح دمشق في العام المقبل في رجب سنة أربع عشرة. . . .إلخ (تأريخ مدينة دمشق لابن عساكر (المجلد ٥٣) ص ٣٣٥ مؤسسة الرسالة تحقيق سكينة الشهابي).

٧ ـ وقال ابن حجر في الإصابة (٣/ ٤٧٧/ت ٤٤١٨): وأخرج ابن سعد بسند حسن أن معاذ بن جبل بلغه أنّ بعض أهل الشام استعجز أبا عبيدة أيام حصار دمشق، ورجّح خالد بن الوليد فغضب معاذ وقال: بأبي عبيدة يظن، والله إنه لمن خيرة من يمشي علىٰ الأرض.

٨ ـ أما البلاذري فهو يرىٰ أن خالداً قد دخل دمشق صلحاً وأن أبا عبيدة أقره علىٰ ذلك وقال: يجيز علىٰ المسلمين أدناهم، وأجاز صلحه ـ والبلاذري يرى أن هذا أثبت من رواية فتحه عنوة من قبل خالد، وصلحاً من قبل أبي عبيدة ـ (فتوح البلدان/ ١٦٧) ولكن المحققين الفاضلين لكتاب البلاذري (عبد الله الطّباع وعمر الطّباع) قد ذكرا قولاً لمحمد بن عساكر وفيه:

اعتمد المؤلف علىٰ الرواية في فتح دمشق من باب الجابية عنوة بيد أبي عبيدة رضي الله عنه وأكدّ ذلك بقوله هنا والخبر الأول أثبت، وهو على الحقيقة أضعف الروايات في فتح دمشق والصحيح الثابت بالأخبار والآثار: أنّ خالداً رضي الله عنه دخلها من الباب الشرقي قسراً ودخلها أبو عبيدة سلماً من باب الجابية، هذا من حيث صحة الأخبار (حاشية فتوح البلدان/ ١٦٨).

٩ ـ وأخرج البلاذري: وحدثني القاسم بن سلام قال حدثنا أبو مسهر عن سعيد بن عبد العزيز التنوخي، قال: دخل يزيد دمشق من الباب الشرقي صلحاً فالتقيا بالمقسلاط فأمضيت كلّها على الصلح (فتوح البلدان/ ١٦٩).

١٠ ـ وأخرج البلاذري: حدثني القاسم قال حدثنا أبو مسهر عن يحيى بن حمزة عن أبي المهلب الصغاني عن أبي الأشعث الصغاني أن أبا عبيدة أقام بباب الجابية محاصراً لهم أربعة أشهر (فتوح البلدان/ ١٦٩).

١١ ـ أما الكلاعي فهو يرىٰ أن سيف بن عمر التميمي قد خالف في روايته التأريخية (ما تقدم

من المساق والتأريخ في أمر دمشق) ويشير الكلاعي إلىٰ رواية ابن إسحاق التي ذكرت فتح فحل قبل دمشق ـ ويقول الكلاعي: وزعم (أي سيف) أن فحلاً كانت بعد دمشق خلافاً لما ذكره ابن إسحاق أنها كانت قبلها وأن رافضة فحل هم الذين صاروا إلىٰ دمشق.

١٢ ـ أما ابن الجوزي فهو يرىٰ أن فتح دمشق كان في سنة أربع عشرة في رجب، وكان حصارها ستة أشهر (المنتظم في فتوح البلدان/ ٤/ ١٤٣).

(خلاصة قولنا في فتح دمشق)

١ ـ يكاد يجمع المؤرخون المتقدمون ومن بعدهم على أن فتح دمشق كان في سنة (١٣ هـ).

٢ ـ اختلفت آراء المؤرخين في تحديد المعركة السابقة هل هي معركة فتح دمشق أم فحل، ومنشأ اختلافهما اختلاف رواية سيف بن عمر مع رواية ابن إسحاق وكلاهما ضعيف في إسناده.

٣ ـ وإذا اختلف المؤرخون في كون خالد فتح جزءاً من مدينة دمشق عنوة أو صلحاً وبعكسه فعل أبو عبيدة، فإنهم جميعاً اتفقوا علىٰ أن جزءاً منها فتح عنوة والآخر صلحاً ثم التقىٰ الجناحان داخل المدينة وكانت النتيجة النهائية هو إمضاء الصلح.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: واختلف العلماء في دمشق هل فتحت صلحاً أو عنوة؟ فأكثر العلماء على أنه استقر أمرها علىٰ الصلح؛ لأنهم شكوا في المتقدم على الآخر أفتحت عنوة ثم عدل الروم إلى المصالحة، أو فتحت صلحاً، أو اتفق الاستيلاء من الجانب الآخر قسراً؟ فلما شكوا في ذلك جعلوها صلحاً احتياطاً (البداية والنهاية ٧/ ٢٣).

٤ ـ ونحن لا نرىٰ غرابة في اختلاف الروايات (ونعني الروايات التي ذكرت كتاب الصلح باسم أبي عبيدة أو التي ذكرت ذلك باسم خالد). لأن الأمر الصادر من الخليفة بعزله النهائي شاع بعد فتح دمشق فلا ضير إن توجه قسم من الروم إلى خالد ليكتب لهم الصلح (وهو القائد الذائع الصيت بشجاعته المرهوب الجانب في الحروب). أو توجه قسم منهم إلىٰ أبي عبيدة ليمضي لهم الصلح.

وقال ابن كثير: ثم قيل: إن أبا عبيدة هو الذي كتب لهم كتاب الصلح وهذا هو الأنسب والأشهر، فإن خالداً كان قد عزل عن الإمارة، وقيل: بل الذي كتب لهم الصلح خالد بن الوليد، ولكن أقره علىٰ ذلك أبو عبيدة فالله أعلم (البداية والنهاية ٧/ ٢٣).

٥ ـ اختلفت الروايات في مدة الحصار (أي: حصار المسلمين لدمشق) فأقل الروايات ذكرت المدة سبعين يوماً وأكثرها حولاً أو يزيد.

٦ ـ إن النقلة السريعة التي نقل بها الإسلام جماعة الصحابة ومن تبعهم من التابعين تدل علىٰ عظمة عقيدة التوحيد التي ما إن تستقر في النفوس حتىٰ تتحول إلىٰ حركة ساعية للخير لا تبالي المصاعب والمشقات وحصار مدينة كدمشق محاطة بأسوار منيعة شيء جديد علىٰ الجيش

ذكر أمر فحل من رواية سيف :

قال أبو جعفر : ونذكر الآن أمر فحل إذ كان في الخبر الذي فيه من الاختلاف ما ذكرت من فتوح جند الشام والأمور التي تستنكر وقوع مثل هذا الاختلاف الذي ذكرته في وقته لقرب بعض ذلك من بعض.

= الفاتح ولكن ذلك الجديد لم يفتَّ من عضدهم وصبرهم وجهادهم ـ إن الناقد المنصف إذا تمعّن في الروايات التأريخية هذه يضحك علىٰ الذين يجعلون من الاقتصاد وغير ذلك دافعاً لجهاد المسلمين ومحفزاً يدفعهم نحو النصر ـ ألا هزلت أفكار المستشرقين ومن يتطفل علىٰ موائدهم ـ ألا إن السر كان في قوله تعالى : ﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ .

مسألة تجريد خالد رضي الله عنه من نصف ما يملك
وذلك في خلافة أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه

ذكرنا الرواية (٣/ ٤٣٦/ ٢٩٨) في قسم الضعيف ولكننا ذكرنا هنا في قسم الصحيح (بعد ذكر بيسان وطبرية) ما رواه ابن عساكر عن أبي الدرداء حين عاد خالداً في مرضه الأخير وفيه يقول خالد رضي الله عنه : [قد كنت وجدت عليه في نفسي من أمور لمّا تدبرتها في مرضي هذا عرفت : أن عمر كان يريد الله بكل ما فعل؛ كنت وجدت عليه في نفسي حيث بعث إليّ من يقاسمني مالي حتىٰ أخذ فرد نعل وأخذت فرد نعل ، فرأيته فعل ذلك بغيري من أهل السابقة ومن شهد بدراً ، وكان يغلظ عليّ وكانت غلظته علىٰ غيري نحواً من غلظته عليّ ، وكنت أدلّ عليه بقرابة ، فرأيته لا يبالي قريباً ، ولا لوم لائم في غير الله ، فذاك الذي أذهب ما كنت أجد عليه] مختصر تأريخ دمشق لابن منظور (٨/ ٢٥) عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان به : وهذه الوقعة مفخرة من مفاخر التأريخ الإسلامي وخاصة الخلافة الراشدة إذ يعاقب الإمام الأعظم (الخليفة) أحد قادته ولا يبالي بالقرابة ولا بلومة لائم ويجرده من نصف ماله حتىٰ يأخذ منه أبسط الأشياء خشية أن يكون قد حاز شيئاً ولو يسيراً من مال المسلمين بغير حق ، ولا يفرق بين قائد عسكري مرموق وبين أبسط شخص في الرعية ، فأين هذه المفخرة من مخازي التأريخ الغربي قديماً وحديثاً وذلك عندما توضع الأوسمة والنياشين وتوزع الهبات والهدايا على قادة عسكريين ظلمة بمجرد انتصارهم في معركة من المعارك. حقاً لا وجه للمقارنة بين الثرى والثريا.

فهؤلاء الصليبيون (ورثة الوثنية اليونانية) يقاتلون في سبيل الشيطان والمال والشهرة والجاه وغير ذلك فلا يهم عندهم أن يضعوا الأموال في غير محلها . . . أما الصحابة الكرام فهم خير خلق الله بعد الأنبياء . . . خرجوا جهاداً في سبيل الله وإعلاءً لكلمة الله . . .

ويا عجباً كيف تتحول المفخرة إلى شبهة عندما تُكتب بقلم من تتلمذ على موائد الغرب وتشرّب قلبه بالحقد علىٰ التأريخ الإسلامي وكل ما هو إسلامي ، والحمد لله علىٰ نعمه التي أنعمها علىٰ هذه الأمة ومنها أنها أمة الإسناد كما قال الحافظ وغيره.

٩٣ ـ فأما ما قال ابنُ إسحاق من ذلك وقصّ من قصّته ، فقد تقدّم ذكرِيه قبل. وأمَّا السَّرِيّ فإنَّه فيما كتب به إليّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن أبي عثمان يزيد بن أسيِد الغسَّانيّ وأبي حارثة العبشمي ، قالا: خلَّف النَّاسُ بعد فتح دمشق يزيدَ بن أبي سفيان في خَيْله في دِمشق ، وساروا نحو فِحْل ، وعلى الناس شُرَحبيل بن حَسَنة ، فبعث خالداً على المقدّمة وأبا عبيدة وعمراً على مجنِّبتيه ، وعلى الخيلِ ضِرار بن الأزْور ، وعلى الرَّجْل عياض ، وكرهوا أن يصمُدوا لهرقل ، وخَلْفهم ثمانون ألفاً ، وعلِموا: أنّ مَنْ بإزاء فِحْل جُنَّة الرّوم وإليهم ينظرون ، وأن الشأم بعدهم سِلْم. فلما انتهوْا إلى أبي الأعور ، قدّموه إلى طَبَرِيَّة ، فحاصرهم ونزلوا على فِحْل من الأردن ، ـ وقد كان أهل فِحْل حين نزل بهم أبو الأعور تركوه وأرَزُوا إلى بَيْسان ـ فنزل شُرَحبيل بالناس فِحْلاً ، والروم بَيْسان ، وبينهم وبين المسلمين تلك المياه والأوحال ، وكتبوا إلى عمر بالخبر ، وهم يحدّثون أنفسهم بالمقام ، ولا يريدون أن يَرِيموا فِحْلاً حتَّى يرجع جواب كتابهم من عند عمر ، ولا يستطيعون الإقدام على عدوِّهم في مكانهم لما دونهم من الأوحال؛ وكانت العرب تسمّي تلك الغزاة فِحْلاً وذاتَ الرَّدَغة وبَيْسان ، وأصاب المسلمون من ريف الأردنّ أفضلَ ممَّا فيه المشركون؛ مادّتهم متواصِلة ، وخصبهم رَغْد؛ فاغترّهم القوم ، وعلى القوم سَقِلّار بن مِخْراق؛ ورجوا أن يكونوا على غِرَّة ، فأتوْهم والمسلمون لا يأمنون مجيئهم ، فهم على حَذَر. وكان شُرَحبيل لا يبيت ولا يصبح إلاّ على تعبية ، فلمَّا هجموا على المسلمين غافصوهم ، فلم يناظروهم ، واقتتلوا بفِحْل كأشدّ قِتال اقتتلوه قطّ ليلتَهم ويومَهم إلى الليل ، فأظلم الليلُ عليهم وقد حاروا ، فانهزموا وهم حيارَى ، وقد أصيب رئيسهم سَقلّار بن مخراق؛ والذي يلِيه فيهم نسطورس ، وظفِر المسلمون أحسنَ ظفر وأهناه ، وركبوهم وهم يَرْون أنهم على قَصْد وجدَد ، فوجدوهم حيارَى لا يعرفون مأخذهم ، فأسلمتهم هزيمتُهم وحَيْرتهم إلى الوَحَل ، فركبوه ، ولحق أوائل المسلمين بهم؛ وقد وحِلوا فركبوهم؛ وما يمنعون يد لامس؛ فوخَزُوهم بالرّماح ، فكانت الهزيمة في فِحْل؛ وكان مقتلهم في الرّداغ ، فأصيب الثمانون ألفاً ، لم يُفلِت منهم إلاّ الشريد؛ وكان الله يصنع للمسلمين وهم كارهون ، كرهوا البُثوق فكانت عوناً لهم على عدوّهم ، وأناةً من الله ليزدادوا بصيرة وجِدّاً ،

واقتسموا ما أفاء الله عليهم ، وانصرف أبو عبيدة بخالد من فِحْل إلى حِمْص ، وصرفوا سُمَيْر بن كعب معهم ، ومضَوْا بذي الكَلاع ومَن معه ، وخلّفوا شُرَحبيل ومَن معه[1]. (٣: ٤٤٢/ ٤٤٣) .

ذكر بَيْسـان

٩٣/ أ - ولمّا فرغ شُرَحبيل من وقعة فِحْل؛ نَهَد في النَّاس ومعه عمرو إلى أهل بَيْسَان ، فنزلوا عليهم ، وأبو الأعور والقوّاد معه على طَبريّة ، وقد بلغ أفناءَ أهل الأردنّ ما لقيت دمشق ، وما لقي سقلّار والرّوم بفِحْل وفي الردَغة ، ومسيرُ شرحبيل إليهم ، ومعه عمرو بن العاص والحارث بن هشام وسُهيل بن عمرو ،

(١) إسناده ضعيف.
ولقد تحدثنا عن فتح دمشق بالتفصيل وسنزيد هنا مالم نذكره هناك مع إضافة الحديث عن فحل دمشق والله أعلم:
جاء في المعرفة والتأريخ ليعقوب الفسوي عند الحديث عن أحداث سنة (١٣ هـ) ضمن خلافة سيدنا عمر رضي الله عنه ما يلي:
أخبرنا أبو محمد عبد الكريم بن حمزة السلمي ، نا أبو بكر الخطيب ح ، وأخبرنا أبو القاسم السمرقندي ، نا أبو بكر بن الطبري ، قالا: أنبأنا أبو الحسن بن الفضل القطان ، أنا عبد الله بن جعفر ، نا يعقوب ، نا حامد بن يحيىٰ ، نا صدقة - يعني: ابن سابق - عن محمد بن إسحاق قال: استخلف عمر على رأس اثنتي عشرة سنة وثلاثة أشهر واثنين وعشرين يوماً من مهاجر رسول الله ﷺ وكان أمر الناس إلى خالد بن الوليد والأمراء على منازلهم فساروا قبل فِحل من الأردن ، وكانت فِحل في ذي القعدة سنة ثلاث عشرة ، وعلى رأس ستة أشهر من خلافة عمر - (المعرفة والتأريخ ٣/ ٢٩٥).
ثم ذكر رواية أخرىٰ: قال: ونا يعقوب ، حدثني سلمة عن أحمد بن حنبل ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر: قال: وكانت فحل في ولاية عمر لستة أشهر مضين منها. (المعرفة والتأريخ ٣/ ٢٩٥).
ثم ذكر رواية ثالثة: قال: ونا يعقوب ، نا إبراهيم ، نا محمد بن فليح عن موسىٰ بن عقبة ، عن ابن شهاب ، وقال حسان بن عبد الله بن لهيعة: عن أبي الأسود عن عروة قالا: كانت وقعة أجنادين وفحل في ذي القعدة سنة ثلاث عشرة ولما توفي أبو بكر واستخلف عمر نزع خالد بن الوليد وأمّر أبا عبيدة بن الجراح على الأجناد (المعرفة والتأريخ ٣/ ٢٩٦) وهذه روايات منها معضلة ، ومنها ما هي مرسلة ولكنها متعددة المخارج تذكر جميعها: أن وقعة فحل كانت سنة (١٣ هـ) والله تعالى أعلم بالصواب.

يريد بيسان؛ وتحصّنُوا بكلّ مكان ، فسار شُرَحبيل بالنَّاس إلى أهلِ بَيْسان ، فحصروهم أياماً ، ثم إنَّهم خرجُوا عليهم فقاتلوهم ، فأناموا مَن خرج إليهم ، وصالحوا بقيَّة أهلها ، فقبِل ذلك على صلْح دمشق. (٣: ٤٤٣) .

طبَريَّـــة

٩٣/ ب ـ وبلغ أهلَ طَبرِيّة الخبر ، فصالحوا أبا الأعور ، على أن يبلغهم شُرَحبيل ، ففعل؛ فصالحوهم وأهل بَيْسان على صلح دمشق؛ على أن يشاطروا المسلمين المنازلَ في المدائن ، وما أحاط بها ممَّا يصلُها ، فيدَعون لهم نصفاً ، ويجتمعون في النِّصف الآخر ، وعن كلّ رأس دينار كلَّ سنة ، وعن كلّ جريب أرض جَريب بُرّ أو شعير؛ أيّ ذلك حُرِث؛ وأشياء في ذلك صالحوها عليه ، ونزلت القوّاد وخيولُهم فيها ، وتمّ صلح الأردنّ ، وتفرّقت الأمداد في مدائن الأردنّ وقراها ، وكُتب إلى عمر بالفتح[١]. (٣: ٤٤٤) .

---

(١) واضح من خلال سرد الطبري لخبر بيسان وطبرية أنه تكملة لرواية سيف (٣/ ٤٤٢/ ٣٠٤) ولم نجد عند غيره (أي: سيف) هذه التفاصيل إلاّ أن لأصل الخبر شاهداً (ويعني فتح بقية الأردن عنوة خلا طبرية) فقد:

١ ـ أخرج ابن عساكر عن خليفة قال: وحدثني عبد الله بن المغيرة عن أبيه قال: افتتح شرحبيل بن حسنة الأردن كلها عنوة ما خلا طبرية فإن أهلها صالحوه ، وذلك بأمر أبي عبيدة (تأريخ مدينة دمشق لابن عساكر/ المجلد ٥٣/ ص ٣٣٦).

٢ ـ في تأريخ خليفة: حدثنا عبد الله بن المغيرة عن أبيه قال: صالحهم أبو عبيدة علىٰ أنصاف كنائسهم ومنازلهم وعلىٰ رؤوسهم علىٰ ألا يمنعوا من أعيادهم ولا يهدم شيء من كنائسهم ، صالح علىٰ ذلك أهل المدينة وأخذ سائر الأرض عنوة. (تأريخ خليفة/ ١٢٦).

٣ ـ وأخرج البلاذري قال: وحدثني أبو حفص الدمشقي عن سعيد بن عبد العزيز التنوخي عن عدة ، منهم: أبو بشر مؤذن مسجد دمشق: أن المسلمين لما قدموا الشام. . . الخبر وفيه: ثم ولي أبو عبيدة بن الجراح أمر الشام كلّه وأمّره الأمراء في الحرب والسلم من قبل عمر بن الخطاب رضي الله عنه وذلك أنه لما استخلف كتب إلىٰ خالد بن الوليد بعزله وولىٰ أبا عبيدة ، ففتح شرحبيل بن حسنة طبرية صلحاً بعد حصار أيّام علىٰ أن أمن أهلها على أنفسهم وأموالهم وأولادهم وكنائسهم ومنازلهم إلاّ ما جلوا عنه وخلّوه ، واستثنىٰ لمسجد المسلمين موضعاً ، ثم إنهم نقضوا في خلافة عمر ، واجتمع إليهم قوم من الروم وغيرهم ، فأمر أبو عبيدة عمرو بن العاص ، بغزوهم فسار إليهم في أربعة آلاف فافتتحها علىٰ مثل صلح شرحبيل ويقال: بل فتحها شرحبيل ثانية ، وفتح شرحبيل جميع مدن الأردن وحصونها =

= على هذا الصلح فتحاً يسيراً بغير قتال ، ففتح بيسان وفتح موسية وفتح أفيق وجُرَش وبيت رأس وقَدَس ، والجولان وغلب على سواد الأردن وجميع أرضها .
قال أبو حفص : قال أبو محمد سعيد بن عبد العزيز : وبلغني : أن الرضين بن عطاء قال : فتح شرحبيل عكا وصور وصفّورية ، وقال أبو بشر المؤذن : إن أبا عبيدة وجّه عمرو بن العاص إلى سواحل الأردن فكثر به الروم ، وجاءهم المدد من ناحية هرقل وهو بالقسطنطينية فكتب إلى أبي عبيدة يستمده فوجّه أبو عبيدة يزيد وعمرو إلى سواحل الأردن ، فكتب أبو عبيدة بفتحها لهما وكان لمعاوية في ذلك بلاء حسن وأثر جميل . (فتوح البلدان/ ١٦٠) .
٤ - وقال ابن عساكر (بعد أن ذكر رواية خليفة عن المغيرة في فتح الأردن كلها عنوة خلا طبرية) :
وقال ابن الكلبي نحوه وقالا (أي : خليفة والكلبي) : ـ وبعث أبو عبيدة خالد بن الوليد فغلب على أرض البقاع وصالحه أهل بعلبك وكتب لهم كتاباً ، (تأريخ مدينة دمشق مجلد ٥٣/ ٣٣٦) . وكذلك قال ابن كثير : قال خليفة بن خياط : حدثني عبد الله بن المغيرة عن أبيه قال : افتتح شرحبيل بن حسنة الأردن كلها عنوة ما خلا طبرية فإن أهلها صالحوه . وهكذا قال ابن الكلبي وقالا (أي : خليفة والكلبي) : بعث أبو عبيدة خالداً فغلب على أرض البقاع وصالحه أهل بعلبك وكتب لهم كتاباً (البداية والنهاية ٧/ ٢٥) .
الأسباب الحقيقية وراء عزل سيدنا عمر لخالد رضي الله عنه :

١ - لقد كتب الله النصر لسيفه المسلول خالد بن الوليد رضي الله عنه في المعارك الواحدة تلو الأخرى حتى أنه أصبح في نظر أعداء الله أسطورة وبطلاً خارقاً فكان قادة الروم يتصورونه سيفاً أنزله الله من السماء على رسوله محمد ﷺ ، ويبدو : أن سيدنا عمر رضي الله عنه خشيَ أن تنتقل هذه الفكرة إلى أوساط الجيش الإسلامي وتترسخ في أذهانهم فكرة الربط بين الانتصارات هذه وقيادة خالد لجيوش الفتح . ولم يكن عمر يخشى ذلك على الصحابة وإنما من دخل بعدهم ممن دخل الإسلام حديثاً وقد سبق أن ذكرنا رواية ابن سعد أن بعض (أهل الشام) استعجز أبا عبيدة حصار دمشق ورجّح خالد بن الوليد فغضب معاذ وقال : أبأبي عبيدة يُظَنّ! والله إنه لمن خيرة من يمشي على الأرض . وحسن الحافظ إسناده (الإصابة ٣/ ٤٧٧/ ت ٤٤١٨) .
فأراد عمر رضي الله عنه أن يمحو هذا الوهم من أذهان الناس ويبين لهم عملياً أن النصر من عند الله وليس من عند خالد وإنما هو (أي خالد) عامل من بين عوامل كثيرة من عوامل النصر وجندي من جنوده سبحانه لا يحصيها إلا هو ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ .
وأخرج خليفة بن خياط من طريق معاذ عن ابن عون عن محمد قال : لما ولي عمر قال : لأعزلن خالداً حتى يعلم : أن الله إنما ينصر دينه (تأريخ خليفة/ ١٢٢) وأخرج ابن سعد في طبقاته الكبرى (٣/ ٢٨٤) أخبرنا عفان بن مسلم قال : أخبرنا حماد بن زيد قال : أخبرنا أيوب

عن محمد بن سيرين قال: قال عمر بن الخطاب: لأعزلن خالد بن الوليد والمثنى مثنىٰ بن شيبان حتى يعلما أن الله إنما كان ينصر عباده وليس إياهما كان ينصر.

وهذا إسناد مرسل صحيح ومتنه يؤدي إلى معنىٰ آخر وهو خشية عمر من أن يدخل العجب إلىٰ قلبيهما (خالد والمثنى) فأراد أن يبعدهما عن هذا التلبيس خشية أن يقعوا فيه، والصحابة وإن كانوا عدولاً ولكنهم غير معصومين والله تعالى أعلم.

٢ - وإذا كان لعزل خالد سبب آخر فنراه والله أعلم ما ذكره الحافظ وغيره من أن طريقة تعامل أبي بكر رضي الله عنه مع عماله وقادته تختلف عن طريقة عمر رضي الله عنه وذلك من سعة أصول السياسة الشرعية التي تعاملا بها رضي الله عنهما، فعمر كان يفرض على قادته وأمرائه أن يرجعوا إليه في كل صغيرة وكبيرة بينما الصديق كان يترك صغائر الأمور ودقائقها لقادته بعد أن يختار الرجل المناسب منهم في المكان المناسب.

قال الزبير بن بكار (وهو أحد أئمة التأريخ الإسلامي من المتقدمين): وحدثني محمد بن مسلم، عن مالك بن أنس. قال: قال عمر لأبي بكر اكتب إلى خالد لا يعطي شيئاً إلاّ بأمرك، فكتب إليه بذلك فأجابه خالد: إما أن تدعني وعملي وإلاّ فشأنك بعملك، فأشار عليه عمر بعزله فقال أبو بكر: فمن يجزي عني جزاء خالد؟ قال عمر: أنا. قال: فأنت. فتجهز عمر حتىٰ أنيخ الظهر في الدار فمشىٰ أصحاب النبيﷺ إلى أبي بكر فقالوا: ما شأن عمر يخرج وأنت محتاج إليه ومالك عزلت خالداً وقد كفاك. قال: فما أصنع؟ قالوا: تعزم علىٰ عمر فيقيم وتكتب إلىٰ خالد فيقيم علىٰ عمله ففعل، فلما ولِّيَ عمر كتب إلى خالد: ألاّ تعطى شاة ولا بعيراً إلا بأمري، فكتب إليه خالد بمثل ما كتب إلى أبي بكر. فقال عمر: ما صدقت الله؛ إن كنت أشرت علىٰ أبي بكر بأمرٍ فلم أنفذه. فعزله (الإصابة ٢/ ٢١٩/ ت ٢٢٠٦).

ولقد توفي خالد رضي الله عنه وقد أيقن أن أمير المؤمنين عمر هو خير من يجعله وصياً علىٰ تركته (قد جعلت وصيتي وتركتي وإنفاذ عهدي إلى عمر بن الخطاب) (ابن عساكر/ ترجمة خالد).

٣ - لقد كان خالد رضي الله عنه كأي قائد (عسكري ميداني) ينظر إلىٰ الأمور ويتفاعل معها بنظرة عسكرية. أما الخليفة عمر رضي الله عنه فكان يرىٰ الأمور ويسوسها بنظرة أكثر شمولية سياسية وعسكرية وغير ذلك وليس نظرة عسكرية فقط، فأصول السياسة الشرعية التي كان عمر يتعامل بها لا تختص بالجانب العسكري فقط وإنما جوانب أخرىٰ مجتمعة، وليس غريباً في التأريخ البشري الطويل وحتى يومنا هذا أن يعزلَ الرؤساءُ قادةَ الجيش، ويستبدلونهم بين الآونة والأخرىٰ، ولا يلزم في ذلك دائماً الأغراض والعوامل النفسية وما إلىٰ ذلك (فكيف إذا كان الأمر متعلقاً بأحد الخلفاء الراشدين الذين أمرنا رسول اللهﷺ أن نتبع سنتهم وبالإضافة إلى ذلك فهم صحابة أجمع العلماء علىٰ عدالتهم سلفاً وخلفاً).

ذكر خبر المثنى بن حارثة وأبي عبيد بن مسعود

٩٤ ـ قال أبو جعفر: وقد مضى ذكري ما رُوِي عن سيف، عَمَّن رَوى عنه؛ أنّ وقعة اليرموك كانتْ في سنة ثلاث عشرة؛ وأنّ المسلمين وَرَد عليهم البريد بوفاة أبي بكر باليَرْموك، في اليوم الذي هُزِمت الروم في آخره، وأنّ عمر أمرهم بعد فراغهم من اليَرْموك بالمسير إلى دمشق، وزعم أنّ فِحْلاً كانت بعد دمشق؛ وأنّ

= والمتدبر للروايات التأريخية يتبيّن: أن حروب الردة وشراستها كانت تقتضي من القيادة الإسلامية في المدينة والمتمثلة بسيدنا أبي بكر رضي الله عنه أن تختار رجلاً عسكرياً شديداً جداً نظراً لخطورة الموقف وحراجته، وقد ارتدت الجزيرة جُلّها سوىٰ مكة والمدينة وشيئاً مما حولهما ـ وكذلك بعد حروب الردة وبداية معارك الفتوح في العراق والشام، فلم يعهد المسلمون في معاركهم السابقة شراسة الفرس وطول صبرهم وكثرة عددهم، ولم يعهدوا كذلك جيوشاً نظامية هائلة الأعداد والعتاد كجيوش الروم، فكان لابد أن يكون رأس الحربة رجالاً أشداء كخالد، كأنهم خلقوا للمجالدة والمبارزة واقتحام قلب العدو. ولكن الأمور اختلفت بعد فتح قسط كبير من بلاد الشام والعراق وأصبحت طوائف وأقوام كثيرة تحت حكم المسلمين فكان لابد أن يروا بأم أعينهم رحمة الإسلام وشفقته ويده الحانية، فتألف قلوبهم الإسلام ويعتنقوه، فكان الرجل المناسب هو أبو عبيدة رضي الله عنه أمين هذه الأمة.

وإن كان خالد خلال تلك المعارك (كقائد ميداني) لم يبلغ في تقييمه للأمور سعة إدراك عمر كخليفة وكقائد عام لجميع الجيوش، فإن خالداً رضي الله عنه قد أدرك في نهاية حياته ما أدركه عمر فأنصفه وتكلم بكلمات تُكمم أفواه المستشرقين وأعداء التأريخ الإسلامي. فقد أخرج ابن عساكر (ترجمة خالد) رحمه الله: دخل أبو الدرداء علىٰ خالدٍ في مرض موته، فقال له خالد: يا أبا الدرداء لئن مات عمر؛ لترين أموراً تنكرها، فقال أبو الدرداء: وأنا والله أرىٰ ذلك. فقال خالد: قد وجدت عليه في نفسي في أمور، لما تدبّرتها في مرضي هذا وحضرني من الله حاضر؛ عرفت أن عمر كان يريد الله بكل ما فعل، كنت وجدت عليه في نفسي حين بعث إليّ من يقاسمني مالي حتىٰ أخذ فرد نعل وأخذت فرد نعل، ولكنه فعل ذلك بغيري من أهل السابقة وممن شهد بدراً، وكان يغلظ عليّ، وكانت غلظته علىٰ غيري نحواً من غلظته عليّ، وكنت أدلّ عليه بقرابته، فرأيته لا يبالي قريباً ولا لوم لائم في غير الله. فذلك الذي أذهب عني ما كنت أجد عليه، وكان يكثر عليّ عنده، وما كان ذلك إلا علىٰ النظر: فقد كنت في حرب ومكابدة وكنت شاهداً وكان غائباً، فكنت أعطي علىٰ ذلك، فخالفه ذلك من أمري.

[مختصر تأريخ دمشق لابن عساكر] (٨/ ٢٥) عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان به.

حروباً بعد ذلك كانت بين المسلمين والرُّوم سوى ذلك ، قبل شخوص هِرَقل إلى قسطنطينية؛ سأذكرها إن شاء الله في مواضعها.

وفي هذه السنة - أعنِي سنة ثلاث عشرة - وجَّه عمر بن الخطاب أبا عُبيد بن مسعود الثقفيّ نحو العراق. وفيها استُشهد في قول الواقديّ.

وأمّا ابن إسحاق؛ فإنه قال: كان يوم الجِسْر ، جِسْرِ أبي عُبيد بن مسعود الثَّقَفيّ في سنة أربع عشرة[١]. (٣: ٤٤١/ ٤٤٢).

٩٥ - كتب إليّ السريّ بن يحيى عن شعيب بن إبراهيم ، عن سيْف بنِ عمر ، عن سهل ، عن القاسم ومُبشِّر ، عن سالم ، قال: كان أوّلَ بعث بعثه عمر بعثُ أبي عبيد ، ثم بعث يعلَى بن أميَّة إلى اليمن وأمَره بإجلاء أهل نجْران ، لوصيَّة رسولِ الله ﷺ في مرضه بذلك ، ولوصيَّة أبي بكر رحمه الله بذلك في مرضِه ، وقال: ائْتِهم ولا تفتنْهم عن دينهم ، ثمّ أجْلهم؛ مَن أقام منهم على دينه ، وأقرر المسلم ، وامْسح أرض كلّ مَنْ تُجْلِي منهم ، ثمّ خيّرهم البلدان ، وأعْلِمهم أنَّا نُجليهم بأمر الله ورسوله؛ ألاّ يُتْرك بجزيرة العرب دينان؛ فلْيخرجوا؛ مَن أقام على دينه منهم؛ ثم نعطيهم أرضاً كأرضهم ، إقراراً لهم بالحقّ على أنفسنا ، ووفاء بذمَّتهم فيما أمر الله من ذلك بدلاً بينهم وبين جيرانهم من أهل اليمن وغيرهم فيما صار لجيرانهم بالرّيف[٢]. (٣: ٤٤٦).

خبر النّمـــارق

٩٦ - كتب إليّ السريّ بن يحيى عن شعيب ، عن سيف ، عن سهل ومبشّر بإسنادهما ، ومُجالدٍ عن الشعبيّ ، قالوا: فخرج أبو عُبيد ومعه سعد بن عبيد ، وسَلِيط بن قيس؛ أخو بني عديّ بن النجار ، والمثنَّى بن حارثة أخو بني شيبان ، ثم أحد بني هند[٣]. (٣: ٤٤٦).

---

(١) إسناده ضعيف ولكن متنه صحيح كما سنرىٰ بعد قليل.

(٢) إسناده ضعيف وله ما يقويه (أي الشطر المتعلق ببعث أبي عبيد) أما الشطر الثاني منه (أي إجلاء أهل نجران) فسنرجع إليه في حينه إن شاء الله.

(٣) إسناده ضعيف وهو صحيح كما سنذكر بعد قليل عن حديثنا عن واقعة الجسر إن شاء الله.

٩٧ ـ كتب إليّ السريّ بن يحيى عن شعيب ، عن سيف ، عن الصلت بن بهرام ، عن أبي عمران الجُعْفيّ ، قال: ولّت حربَها فارس رُستَمَ عشر سنين ، وملّكوه ، وكان منجّماً عالماً بالنجوم ، فقال له قائل: ما دعاك إلى هذا الأمر وأنت ترى ما ترى! قال: الطَّمَع وحبّ الشَّرَف. فكاتب أهل السَّواد ، ودسّ إليهم الرؤساء ، فثاروا بالمسلمين؛ وقد كان عهد إلى القوم: أنّ الأمير عليكم أوّل مَنْ ثار ، فثار جابان في فُرات بَادَقْلَى ، وثار الناس بعده ، وأرَز المسلمون إلى المثنَّى بالحيرة ، فصمد لِخَفّان ، ونزل خَفَّان حتى قدم عليه أبو عبيد وهو الأمير على المثنَّى وغيره ، ونزل جابان النَّمارق ، فسار إليه أبو عبيد من خَفَّان ، فالتقوْا بالنّمارق؛ فهزم الله أهلَ فارس ، وأصابوا منهم ما شاؤوا وبَصُر مَطَر بن فضّة ـ وكان ينسب إلى أمّه ـ وأبَيٌّ برجل عليه حَليٌ؛ فشدّا عليه فأخذاه أسيراً ، فوجداه شيخاً كبيراً فزهد فيه أبيّ ورغب مَطرَ في فدائه ، فاصطلحا على أنّ سلبه لأبيّ ، وأن إساره لمَطر ، فلما خَلص مطر به ، قال: إنّكم معاشر العرب أهل وفاء ، فهل لك أن تؤمّني وأعطيَك غلامَيْن أمرديْن خفيفين في عملك وكذا وكذا! قال: نعم ، قال: فأدخِلْني على مَلِككم؛ حتى يكون ذلك بمشهد منه ، ففعل فأدخله على أبي عبيد ، فتمَّ له على ذلك؛ فأجاز أبو عبيد ، فقام أبيّ وأنَاس من ربيعة؛ فأما أبيّ فقال: أسرتُه أنا وهو على غير أمان؛ وأمّا الآخرون فعرفوه ، وقالوا: هذا الملك جابان؛ وهو الذي لقينا بهذا الجمع ، فقال: ما ترونْي فاعلاً معاشر ربيعة؟ أيؤمّنه صاحبكم وأقتله أنا! معاذ الله من ذلك! وقسَّم أبو عبيد الغنائم ، وكان فيها عِطْر كثير ونَفَل ، وبعث بالأخماس مع القاسم[1]. (٣: ٤٤٩/ ٤٥٠).

السَّقاطيـــة بكَسْــكر

٩٨ ـ كتب إليّ السريّ بن يحيى عن شعيب بن إبراهيم ، عن سيف بن عمر ، عن محمد وطلحة وزياد ، قالوا: وقال أبو عبيد حين انهزموا وأخذوا نحو كَسْكَر ليلجؤوا إلى نَرْسِي ـ وكان نَرْسِي ابن خالة كسرى؛ وكانت كسكر قطيعة له ، وكان النَّرْسِيان له ، يحميه لا يأكله بشرٌ ، ولا يغرسه غيرهم أو ملك فارس إلاّ مَنْ

(١) إسناده ضعيف وله ما يقويه كما سنذكر.

أكرموه بشيء منه ، وكان ذلك مذكوراً من فِعْلهم في النّاس ، وأنّ ثَمرهم هذا حِميً ، فقال له رستم وبوران : اشخص إلى قطيعتك فاحمها من عدوّك وكن رجلاً ، فلمّا انهزم الناس يوم النّمارق ، ووجّهت الفالّة نحو نَرْسي ـ ونَرْسي في عسكره ـ نادى أبو عبيد بالرّحيل ، وقال للمجرّدة : اتبعوهم حتى تُدخِلوهم عسكر نَرْسِي ، أو تبيدوهم فيما بين النّمارق إلى بارق إلى دُرْنا . وقال عاصم بن عمرو في ذلك :

لَعَمْرِي وما عمري عَلَيَّ بِهَيِّنٍ ... لَقَدْ صُبِّحَتْ بِالخِزْيِ أهلُ النَّمارِقِ
بأيْدِي رِجالٍ هاجروا نحو ربِّهِمْ ... يجوسونهم ما بين دُرْنا وبارِقِ
قتلناهُم ما بين مَرْجٍ مُسَلَّحٍ ... وبين الهَوافِي من طريق البَذارِقِ

ومضى أبو عُبَيْد حين ارتحلَ من النَّمارق حتى ينزل على نَرْسِي بكَسْكر ـ ونَرْسِي يومئذ بأسفل كَسْكر ـ والمثنّى في تعبيته الّتي قاتل فيها جابان ، ونَرْسي على مجنّبتيه ابنا خاله ـ وهما ابنا خال كسرى بِنْدَوَيْه وتِيرَويه ابنا بِسْطام ـ وأهل بارُوسْما ونهر جَوْبَر والزّوابي معه إلى جنده ، وقد أتى الخبر بُوران ورستمَ بهزيمة جابان ، فبعثوا إلى الجالِنُوس ، وبلغ ذلك نَرْسِي وأهل كَسْكَر وبارُوسْما ونهر جَوْبَر والزّاب ، فرجوا أن يلحق قبل الوقعة ، وعاجَلَهم أبو عُبيد فالتقوْا أسفلَ من كَسْكر بمكان يدعى السَّقاطية فاقتتلوا في صحارىَ مُلْس قتالاً شديداً ، ثمّ إنّ الله هزم فارس ، وهرب نَرْسِي ، وغُلِب على عسكره وأرضه ، وأخرب أبو عبيد ما كان حول معسكرهم من كسكر ، وجمع الغنائم ، فرأى من الأطعمة شيئاً عظيماً ، فبعث فيمَن يليه من العرب فانتفلوا ما شاؤوا ، وأخذت خزائن نَرْسِي ؛ فلم يكونوا بشيء ممّا خزن أفرح منهم بالنّرسِيان ؛ لأنّه كان يحميه ويمالئه عليه ملوكهم ؛ فاقتسموه فجعلوا يُطعمونه الفلاحين ؛ وبعثوا بخُمسه إلى عمر ، وكتبوا إليه : إنّ الله أطعمنا مطاعم كانت الأكاسرة يحمونها ، وأحببنا أن تروها ، ولتذكروا إنعام الله وإفضاله .

وأقام أبو عبيد وسرّح المثنّى إلى بارُوسما ، وبث والقاً إلى الزّوابي وعاصِماً إلى نهر جَوْبر ؛ فهزموا مَن كان تجمّع وأخربوا وسبوْا ، وكان ممّا أخرب المثنّى وسَبى أهل زَنْدَوَرْد وبسوسيا ، وكان أبو زَعْبل من سَبْي زَنْدوَرْد ؛ وهرب ذلك الجند إلى الجالِنوس ، فكان ممّن أسر عاصم أهل بيتيق من نهر جوبر ، وممّن

أسر والق أبو الصَّلْت ، وخرج فرُّوخ وفَرْوَنداذ إلى المثنَّى ، يطلبان الجزاء والذّمة ، دفعاً عن أرضهم ، فأبلغهما أبا عبيد: أحدهما بارُوسْما والآخر نهر جوبر ، فأعطياه عن كلّ رأس أربعة ، فرّوخ عن باروسما وفرونداذ عن نهر جَوْبر ، ومثل ذلك الزّوابي وكَسْكر ، وضمّنا لهم الرّجال عن التعجيل ، ففعلوا وصاروا صُلْحاً ، وجاء فرُّوخ وفرونداذ إلى أبي عُبيد بآنية فيها أنواع أطعمة فارس من الألوان والأخبصة وغيرها؛ فقالوا: هذه كرامة أكرمناك بها ، وقِرًى لك. قال: أأكرمتم الجند وقريتمُوهم مثله؟ قالوا: لم يتيسَّر ونحن فاعلون؛ وإنما يتربَّصون بهم قدوم الجالِنُوس وما يصنع ، فقال أبو عُبيد: فلا حاجة لنا فيما لا يسع الجند ، فردّه ، وخرج أبو عُبيد حتى ينزل ببارُوسما فبلغه مسير الجالِنوس[١]. (٣: ٤٥٠/ ٤٥١/ ٤٥٢).

٩٩ ـ كتب إليّ السريّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن النضر بن السريّ الضّبيّ ، قال: فأتاه الأنْدَرْزَغَر بن الخركبذ بمثل ما جاء به فرُّوخ وفرونداذ. فقال لهم: أأكرمتُم الجند بمثلِه وقريتموهم؟ قالوا: لا ، فردّه ، وقال: لا حاجة لنا فيه؛ بئس المرءُ أبو عبيد؛ إن صحب قوماً من بلادهم أهراقوا دماءَهم دُونه ، أو لم يُهريقوا فاستأثر عليهم بشيء يصيبه! لا والله لا يأكل ممَّا أفاء الله عليهم إلا مثْل ما يأكل أوساطهم[٢]! (٣: ٤٥٢).

١٠٠ ـ قال أبو جعفر: وقد حدّثنا ابنُ حُميد ، قال: حدّثنا سلمة عن ابن إسحاق بنحو من حديث سيف هذا عن رجاله في توجِيه عمر المثنَّى وأبا عبيد بن مسعود إلى العراق في حرب مَن بها من الكُفَّار وحروبهم ، ومن حاربهم بها؛ غير أنه قال: لما هُزِم جالنوس وأصحابه ، ودخل أبو عبيد باروسما ، نزل هو وأصحابه قريةً من قراها؛ فاشتملت عليهم ، فصُنع لأبي عبيد طعامٌ فأتِيَ به؛ فلمَّا رآه قال: ما أنا بالذي آكل هذا دون المسلمين! فقالوا له: كُلْ فإنَّه ليس من أصحابك أحدٌ إلا وهو يؤتَى في منزله بمثل هذا أو أفضل؛ فأكل ، فلمَّا رجعوا إليه سألهم عن طعامهم ، فأخبروه بما جاءهم من الطعام[٣]. (٣: ٤٥٢).

---

(١) إسناده ضعيف وسنذكر شواهده الصحيحة إن شاء الله.

(٢) إسناده ضعيف.

(٣) إسناده ضعيف وسنذكر شواهده بعد قليل.

١٠١ ـ كتب إليّ السريّ بن يحيى عن شعيب بن إبراهيم ، عن سيف بن عمر ، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم ، قالوا: وقد كان جابان ونَرْسِي استمدّا بوران ، فأمدتهما بالجالنوس في جُنْدجابان ، وأمِر أن يبدأ بنَرْسي؛ ثم يقاتل أبا عُبيد بعد ، فبادره أبو عُبيد ، فنهض في جنده قبل أن يدنُوَ ، فلمَّا دنا استقبله أبو عبيد ، فنزل الجالِنُوس بباقُسياثا من بارُوسما ، فنَهد إليه أبو عُبيد في المسلمين؛ وهو على تعبيته؛ فالتقوْا على باقُسياثا ، فهزمهم المسلمون وهرب الجالنوس ، وأقام أبو عُبيد ، قد غلَب على تلك البلاد[1] . (٣: ٤٥٢/ ٤٥٣) .

١٠٢ ـ كتب إليّ السريّ بن يحيى عن شعيب ، عن سيف ، عن النَّضرْ بن السريّ ، والمجالد بنحو من وقعة باقُسياثا[2] . (٣: ٤٥٣) .

وقعـــة القَرْقـــس

١٠٣ ـ ويقال لها: القُسّ قَسّ النَّاطِف ، ويقال لها: الجِسر ، ويقال لها: المَرْوحَة .

قال أبو جعفر الطبريّ رحمه الله: كتب إليّ السريّ بن يحيى عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم ، قالوا: ولمَّا رجع الجالنوس إلى رستمَ ومَن أفلت من جنوده ، قال رستم: أيُّ العجم أشدّ على العرب فيما ترون؟ قالوا: بَهْمَن جاذويه؛ فوجهه ومعه فيَلة وردّ الجالِنوس معه ، وقال له: قدّم الجالنوس ، فإن عاد لمثلها فاضرب عنقه ، فأقبل بهمن جاذويه ومعه «دِرَفْش كابيان» راية كسرى ـ وكانت من جلود النَّمِر ، عرض ثمانية أذرع في طول اثني عشر ذراعاً ـ وأقبل أبو عبيد ، فنزل المرْوحة ، موضع البُرْج والعاقول ، فبعث إليه بهمن جاذويه: إمّا أن تعبروا إلينا ونَدَعكم والعبور وإمّا أن تَدَعونا نعبر إليكم! فقال الناس: لا تعبر يا أبا عُبيد ، ننهاك عن العبور ! وقالوا له: قل لهم: فليعبروا ـ وكان من أشدّ الناس عليه في ذلك سَلِيط ـ فلجّ أبو عبيد ، وترَكَ الرّأي ، وقال: لا يكونون أجرأ على الموت منّا؛ بل نعبُر إليهم ، فعبروا إليهم وهم في منزل

(١) إسناده ضعيف وسنتحدث عنه بعد قليل.

(٢) إسناده ضعيف وراجع الحديث عن واقعة الجسر بعد قليل.

ضيّق المطّرد والمذهب ، فاقتتلوا يوماً ـ وأبو عبيد فيما بين الستّة والعشرة ـ حتى إذا كان من آخر النهار ، واستبطأ رجلٌ من ثَقِيف الفتح ، ألّف بين الناس ، فتصافحوا بالسيوف وضرب أبو عبيد الفيل ، وخبط الفيلُ أبا عبيد ، وقد أسرعت السيوف في أهلِ فارس ، وأصيب منهم ستة آلاف في المعركة ، ولم يبقَ ولم يُنتظر إلا الهزيمة ، فلما خُبِط أبو عبيد ، وقام عليه الفيل جالَ المسلمون جولَة ، ثم تمّوا عليها ، وركبهم أهلُ فارس ، فبادر رجل من ثَقِيف إلى الجسر فقطعه ، فانتهى النَّاس إليه والسيوف تأخذهم من خَلْفهم ، فتهافتوا في الفرات ، فأصابوا يومئذ من المسلمين أربعة آلاف؛ من بين غريق وقتيل ، وحمى المثنَّى الناس وعاصمٌ والكلَج الضّبِّي ومذعور ، حتى عقدوا الجسر وعبّروهم ثم عبروا في آثارهم ، فأقاموا بالمروحة والمثنّى جَرِيح ، والكلَج ومذعور وعاصم ـ وكانوا حماة الناس ـ مع المثنَّى ، وهرب من الناس بشرٌ كثير على وجوههم؛ وافتضحوا في أنفسهم ، واستحيَوْا ممَّا نزل بهم ، [وبلغ ذلك] عمر عن بعض مَنْ أوى إلى المدينة فقال: عبادَ الله! اللهمّ إنّ كلّ مسلم في حلٍّ منِّي ، أنا فئة كلّ مسلم ، يرحم الله أبا عُبيد! لو كان عَبَر فاعتصم بالخَيْف ، أو تحيّزَ إلينا ولم يستقتِل لكنّا له فئة!

وبينا أهلُ فارس يحاولون العبور أتاهم الخبر أنّ النَّاس بالمدائن قد ثاروا برستمَ ، ونقضوا الذي بينهم وبينه فصاروا فرقتين: الفَهْلوج على رستم ، وأهل فارس على الفَيْرُزان؛ وكان بين وقعة اليَرْموك والجِسر أربعون ليلة ، وكان الذي جاء بالخبر عن اليَرْموك جرير بن عبد الله الحميريّ؛ والذي جاء بالخبر عن الجسر عبد الله بن زيد الأنصاريّ ـ وليس بالّذي رأى الرؤيا ـ فانتهى إلى عمر وعمر على المنبر. فنادى عمر: الخبر يا عبد الله بن زيد! قال: أتاكَ الخبر اليقين؛ ثم صعد إليه المنبر فأسرّ ذلك إليه.

وكانت اليرموك في أيام من جمادى الآخرة ، والجسر في شعبان[(١)]. (٣: ٤٥٤/ ٤٥٥).

١٠٤ ـ كتب إليّ السريّ بن يحيى عن شعيب ، عن سيف ، عن المجالد

---

(١) إسناده ضعيف وسنذكر ما يقويه بعد قليل.

وسعيد بن المَرْزُبان ، قالا : واستعمل رستم على حرب أبي عُبيد بهمن جاذويه؛ وهو ذو الحاجب ، وردّ معه الجالنوس ومعه الفيَلة ، فيها فيل أبيض عليه النَّخل ، وأقبل في الدَّهْم ، وقد استقبله أبو عُبيد حتى انتهى إلى بابل؛ فلمَّا بلغه انحاز حتى جعل الفرات بينه وبينه؛ فعسكر بالمرْوحَة .

ثم إن أبا عبيد ندم حين نزلوا به وقالوا: إمَّا أن تعبروا إلينا وإمَّا أن نعبر ، فحلف ليقطعنّ الفرات إليهم ، وليمحّصنّ ما صنع ، فناشده سَلِيط بن قيس ووجوه النَّاس ، وقالوا: إنّ العرب لم تلق مثل جنود فارس منذ كانوا ، وإنهم قد حفلوا لنا واستقبلونا من الزُّهاء والعُدّة بما لم يلقَنَا به أحد منهم؛ وقد نزلتَ منزلاً لنا فيه مجال وملجأ ومرجع؛ من فَرّة إلى كَرّة. فقال: لا أفعل؛ جبُنت والله! وكان الرَّسول فيما بين ذي الحاجب وأبي عبيد مردانْشاه الخصيّ؛ فأخبرهم أنّ أهل فارس قد عيَّروهم؛ فازداد أبو عبيد مَحَكاً ، وردّ على أصحابه الرأي ، وجبّن سَلِيطاً ، فقال سليط: أنا والله أجرأ منك نفساً؛ وقد أشرنا عليك الرأيّ فستعلم![1]. (٣: ٤٥٥/٤٥٦) .

١٠٥ ـ كتب إليّ السريّ بن يحيى عن شعيب ، عن سيف ، عن النَّضْر بن السريّ ، عن الأغرّ العِجليّ ، قال: أقبل ذو الحاجب حتى وقف على شاطىء الفُرات بقُسّ النَّاطف ، وأبو عبيد معسكرٌ على شاطىء الفرات بالمَرْوحة فقال: إما أن تعبُروا إلينا وإما أن نعبُر إليكم. فقال أبو عبيد: بل نعبُر إليكم. فعقد ابن صلوبا الجسر للفريقين جميعاً؛ وقبل ذلك ما قد رأت دَوْمة امرأة أبي عبيد رُؤيا وهي بالمَرْوحة: أنّ رجلاً نزل من السماء بإناء فيه شراب ، فشرب أبو عُبيد وجَبْر في أناس من أهله؛ فأخبرت بها أبا عبيد ، فقال: هذه الشهادة؛ وعهد أبو عبيد إلى الناس ، فقال: إن قتِلتُ فعلَى الناس جَبْر ، فإن قتل فعليكم فلان ، حتى أمَّر الذين شربوا من الإناء على الوِلاء من كلامه. ثم قال: إن قتل أبو القاسم فعليكم المثنَّى ، ثم نَهَد بالناس فعبَر وعبروا إليهم ، وعضَّلت الأرض بأهلها ، وألحم الناس الحربَ. فلمَّا نظرت الخيول إلى الفيَلة عليها النخل؛ والخيل عليها التَّجافيف والفرسان عليهم الشُّعُر رأت شيئاً منكراً لم تكن ترى مثله ، فجعل

(١) إسناده ضعيف وسنذكر ما يقويه بعد قليل.

المسلمون إذا حملوا عليهم لم تقدم خيولهم ، وإذا حملوا على المسلمين بالفِيَلة والجلاجل فرّقت بين كراديسهم؛ لا تقوم لها الخيلُ إلاّ على نِفار ، وخَزقهم الفُرْس بالنّشّاب ، وعضّ المسلمين الألم؛ وجعلوا لا يصلون إليهم؛ فترجَّل أبو عبيد وترجَّل الناس ، ثم مشوا إليهم فصافحوهم بالسيوف؛ فجعلت الفِيَلة لا تحمل على جماعة إلاّ دفعتهم؛ فنادى أبو عبيد: احتوِشوا الفيلة؛ وقطّعوا بُطُنَها واقلبوا عنها أهلها؛ وواثب هو الفيل الأبيض ، فتعلَّق بِبطانه فقطعه؛ ووقع الذين عليه ، وفعل القوم مثل ذلك؛ فما ترِكوا فيلاً إلا حطّوا رحله؛ وقتلوا أصحابه ، وأهوى الفيل لأبي عُبيد ، فنفح مِشْفره بالسيف ، فاتَّقاه الفيل بيده؛ وأبو عبيد يتجرثمه؛ فأصابه بيده فوقع فخبطه الفيل ، وقام عليه؛ فلما بصُر الناس بأبي عبيد تحت الفيل ، خشعت أنفس بعضهم ، وأخذ اللواء الذي كان أمَّره بعده ، فقاتل الفيل حتى تنحَّى عن أبي عبيد ، فاجترّه إلى المسلمين ، وأحرزوا شِلوه؛ وتجرثم الفيلَ فاتّقاه الفيل بيده ، دأبَ أبي عبيد وخبطه الفيل. وقام عليه وتتابع سبعة من ثَقيف؛ كلُّهم يأخذ اللواء فيقاتل حتى يموت. ثم أخذ اللواء المثنَّى ، وهرب النَّاس ، فلما رأى عبد الله بن مَرثَد الثقفيّ ما لقيَ أبو عبيد وخلفاؤه وما يصنع الناس ، بادرهم إلى الجسر فقطعه ، وقال: يا أيّها الناس ، موتوا على ما مات عليه أمراؤكم أو تظفروا. وحاز المشركون المسلمين إلى الجِسر؛ وخشع ناس فتواثبوا في الفُرات؛ فغرق من لم يصبِر وأسرعوا فيمن صَبَر ، وحَمى المثنّى وفرسانٌ من المسلمين الناس ، ونادى: يا أيُّها الناس ! إنَّا دونكم فاعبُروا على هِينتكم ولا تدهَشوا؛ فإنا لن نزايل حتى نراكم من ذلك الجانب ، ولا تغرِّقوا أنفسكم. فوجدوا الجسر وعبد الله بن مرثَد قائم عليه يمنع الناس من العبور ، فأخذوه فأتوا به المثنَّى ، فضربه وقال: ما حملك على الذي صنعت؟ قال: ليقاتلوا ، ونادى مَن عبر فجاؤوا بعلوج ، فضمّوا إلى السفينة التي قُطِعتْ سفائنها ، وعبر الناس ، وكان آخر من قُتِل عند الجسر سَلِيط بن قيس ، وعَبَر المثنَّى وحمى جانبه؛ فاضطرب عسكره ، ورامهم ذو الحاجب فلم يقدر عليهم؛ فلمَّا عبر المثنَّى [وحمى جانبه] ارفضّ عنه أهلُ المدينة حتى لحقوا بالمدينة وتركها بعضهم ونزلوا البوادي وبقي المثنَّى في فلَّة[١] . (٣: ٤٥٦/ ٤٥٧)

---

(١) إسناده ضعيف وسنتحدث عنه بعد قليل.

١٠٦ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن مجالد وعطية والنّضر ، أنّ أهل المدينة لما لحقوا بالمدينة وأخبروا عمّن سار في البلاد استحياءً من الهزيمة ، اشتدّ على عمر ذلك ورحمهم . قال الشعبيّ : قال عمر : اللهمّ كلّ مسلم في حلّ مِنّي ، أنا فئة كلّ مسلم ، مَن لقي العدوّ ففظِع بشيء من أمره فأنا له فئة ؛ يرحم الله أبا عُبَيد لو كان انحاز إليّ لكنت له فئة ! وبعث المثنّى بالخبر إلى عمر مع عبد الله بن زيد ، وكان أوّل من قدم على عمر[1] . (٣ : ٤٥٨) .

١٠٧ ـ حدثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن عَمْرة بنة عبد الرحمن ، عن عائشة زوْج النبيّ ﷺ ، قالت : سمعتُ عمر بن الخطاب حين قدم عبد الله بن زيد ، فنادى : الخبر يا عبد الله بن زيد! وهو داخل المسجد ، وهو يمرّ على باب حُجرتي ، فقال : ما عندك يا عبد الله بن زيد؟! قال : أتاك الخبرُ يا أمير المؤمنين ! فلمَّا انتهى إليه أخبره خبرَ الناس ، فما سمعت برجل حضر أمراً فحدّث عنه كان أثبتَ خبراً منه . فلما قدم فلّ الناس ، ورأى عمر جَزَع المسلمين من المهاجرين والأنصار من الفِرار ، قال : لا تجزعوا يا معشر المسلمين ! أنا فئتكم ، إنما انحزتم إليّ[2] (٣ : ٤٥٩) .

---

(١) إسناده ضعيف وهو صحيح كما سنذكر بعد قليل .

(٢) إسناده ضعيف وستتحدث عنه بعد قليل .

واقعة الجسر ، أو جسر أبي عبيد
أو وقعة القرقس أو قس الناطف

ذكرنا هذه الروايات في قسم الصحيح وإن كان إسنادها ضعيفاً [٩٥/ ٩٦/ ٩٧/ ٩٨/ ٩٩/ ١٠٠/ ١٠١/ ١٠٢/ ١٠٣/ ١٠٤/ ١٠٥/ ١٠٦/ ١٠٧].

وهذه الروايات الثلاث عشرة عند الطبري جلّها من رواية سيف ، وقد وضحنا سابقاً : أن سيفاً يذكر تفاصيل المعارك والأحداث وبدقة عجيبة لا تكاد توجد عند غيره كاملة ، ولكننا واعتباراً بضعفه في الحديث وإن كان معتمداً في التأريخ عند أئمة التأريخ الذين ذكرناهم فلم نذكر رواياته التأريخية في قسم الصحيح إلا بعد شروط منها :

١ ـ أن تكون لقصة روايته أصل .

٢ ـ أن لا يكون حديثاً مرفوعاً .

٣ ـ أن لا تكون الرواية في العقيدة أو الانتصار لمذهب سياسي معروف آنذاك .

=

٤ - أن لا تكون الرواية في مسائل الحلال والحرام.
٥ - وبعد كل ما سبق: ألا تكون رواية سيف مخالفة لما هو أصح إسناداً.
وسنذكر هنا ما يشهد لأصل القصة (أي وقعة الجسر) وأن عمراً رضي الله عنه بعث أبا عبيد بن مسعود ومعه المثنىٰ بن حارثة وغيره وأنه رضي الله عنه استشهد بعد معركة حامية مع الفرس، ثم كان أنجىٰ الله بقية المسلمين على يد المثنى ومن معه كما سنذكر:
١ - أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه بسند صحيح (١٢/ ٥٥٦/ ح ١٥٥٨٣) حدثنا أبو أسامة عن إسماعيل بن قيس قال: كان أبو عبيد بن مسعود عبر الفرات إلىٰ مهران فقطعوا الجسر خلفه فقتلوه هو وأصحابه قال: فأوصىٰ إلى عمر بن الخطاب قال: فرثاه أبو محجن الثقفي فقال:

أمسىٰ أبو خير خلاء بيوته ... بما كان يغشاه الجياع الأرامل
أمسىٰ أبو عمر ولدى الجسر منهم ... إلى جانب الأبيات حرم ونابل
فما زلت حتى كنت آخر رائح ... وقتل حولي الصالحون الأماثل
وقد كنت في نحر خيارهم ... لدىٰ القتل يرمى نحرها والشواكل

وأخرج بإسناد صحيح (١٢/ ٥٥٦/ ح ١٥٥٨٤) حدثنا أبو أسامة عن إسماعيل عن قيس قال: عبر أبو عبيد بن مسعود يوم مهران في أناس فقطع بهم الجسر فأصيبوا قال: قال قيس: فلما كان يوم مهران؛ قال أناس فيهم خالد بن عرفطة لجرير: يا جرير لا والله لا نريم عن عرضتنا هذه، فقال: اعبر يا جرير بها إليهم، فقلت: أتريدون أن تفعلوا بنا ما فعلوا بأبي عبيد، إنا قوم لسنا لساح أن نبرح أو أن نريم العرصة حتىٰ يحكم الله بيننا وبينهم، فعبره المشركون فأصيب يومئذ مهران وهم عند النخيلة، وإسناده صحيح.
٢ - وأخرج الطبري في تفسيره (١٣/ ٤٣٩/ ح ١٥٨١٢) حدثني يعقوب قال حدثنا ابن علية قال حدثنا ابن عون عن محمد: أن عمر رحمة الله عليه بلغه قتل أبي عبيد فقال: لو تحيّز إليّ، إن كنت لفئة! وإسناده صحيح.
وأخرجه كذلك ابن أبي شيبة في مصنفه (١٢/ ٥٥٧/ ح ١٥٥١٧). ثنا وكيع قال ثنا ابن عون عن ابن سيرين قال: لما بلغ عمر قتل أبي عبيد الثقفي، قال: إن كنت له فئة لو انحاز إليّ.
وأخرجه ابن الأثير الجزري في أسد الغابة في ترجمة أبي عبيد بن مسعود (٦/ ٢٠١/ ت ٦٠٨٣) بسنده المتصل من طريق عبد الله بن المبارك عن عبد الله بن عون عن محمد بن سيرين به ونقل ابن حجر في الإصابة عن البلاذري قوله: يقال إن الفيل برك على أبي عبيد فمات تحته فأخذ الراية أخوه الحكن فقُتل، فأخذها جبير بن أبي عبيد فقتل (الإصابة ٦/ ٢٢٣/ ت ١٠٢٢٦).
وقال ابن عبد البر في ترجمته: صاحب يوم الجسر المعروف بجسر أبي عبيد. وقال أيضاً: وولىٰ (أي عمر) أبا عبيد بن مسعود الثقفي وذلك سنة ثلاث عشرة فلقي أبو عبيد جابان بين الحيرة والقادسية ففض جمعه، وقتل أصحابه، وأسره ففدىٰ جابان نفسه منه، ثم جمع=

يزدجر جموعاً عظيمة ووجههم نحو أبي عبيد فالتقوا بعد أن عبر أبو عبيد الجسر في المضيق فاقتتلوا قتالاً شديداً وضرب أبو عبيد شفر الفيل وضرب أبو محجن عرقوبه وقتل أبو عبيد وذلك في آخر شهر رمضان أو أول شوال من سنة ثلاث عشرة واستشهد يومئذ من المسلمين ألف وثمانمئة (الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٤/ ٢٧٢/ ت ٣١٠٧).

٣ - وقد ذكر خليفة بن خياط نحواً مما ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب من طريق بكر عن ابن إسحاق معضلاً ثم ذكر بعد ذلك أن القتل استحرّ في المسلمين فمضوا نحو الجسر، وفي نهاية المعركة عقد المثنىٰ الجسر وعبر المسلمون واستشهد يومئذ من المسلمين ألف وثمانمئة ويقال أربعة آلاف بين قتيل وغريق، وانحاز بالناس المثنىٰ بن حارثة الشيباني فبعث عمر جرير بن عبد الله البجلي. وقد ذكر خليفة هذه الرواية بلا إسناد ولكنه أسنده آخراً إذ قال: وقال الوليد بن هشام عن أبيه عن جده نحو ذلك وإن لم يذكر خليفة سنده عن الوليد بن هشام في هذه الرواية والله أعلم (تأريخ خليفة/ ص ١٢٥). وكذلك ذكر الذهبي وقعة الجسر في أحداث سنة أربع عشرة ولكنه عندما تحدث عنها بالتفصيل أكّد سنة ثلاث عشرة وذكر أربع عشرة بصيغة التمريض فقال: كان عمر قد بعث في سنة ثلاث عشرة جيشاً، عليهم أبو عبيد الثقفي، فلقي جابان في سنة ثلاث عشرة، وقيل: في أول سنة أربعة عشرة (تأريخ الإسلام/ عهد الخلفاء الراشدين/ ١٢٧).

٤ - وذكر البلاذري في فتوح البلدان (ص ٣٥٠ ـ ٣٥١) هذه الوقعة وسمّاها (يوم قُسّ الناطف وهو يوم الجسر) بلا إسناد ثم ذكر رواية مسندة في ص (٣٣٥) حدثني أبو عبيد القاسم بن سلّام قال: حدثنا محمد بن كثير، عن زائدة عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن حازم قال: عبر أبو عبيد في ناسٍ من أصحابه فقطع المشركون الجسر، فأصيب ناس من أصحابه، قال إسماعيل وقال أبو عمرو الشيباني: كان يوم مهران في أول السنة والقادسية في آخرها. ا هـ. وإسناده صحيح.

٥ - وأخرج البلاذري في فتوح البلدان (٣٥٤) حدثني عفان بن مسلم قال: حدثنا حماد بن سلمة قال: حدثنا داود بن أبي هند قال: أخبرني الشعبي: أن عمر وجّه جرير بن عبد الله إلىٰ الكوفة بعد قتل أبي عبيد أوّل من وجّه، وقال: هل لك في العراق وأنفلك الثلث بعد الخمس؟ قال: نعم ـ وخبر وقعة الجسر ذكره الدينوري كذلك في الأخبار الطوال ص (١١٣) والنويري في نهاية الأرب (٢/ ١٨٣) والله تعالىٰ أعلم ـ أما المدائني فقد ذكر كما نقل عنه الكلاعي أن تحرك عمر لهذا البعث إنما كان بكتاب المثنى إليه يستمده ويحرضه على أرض فارس واستعمل علىٰ البعث أبا عبيد بن مسعود الثقفي (الاكتفاء/ ٤/ ١١٥) أما خبر نجران فسنعود إليه لاحقاً إن شاء الله.

٦ - قال الحافظ ابن حجر في شرحه لصحيح البخاري كتاب المغازي باب من قتل من المسلمين يوم أحد: ووقع عند أحمد من طريق حماد عن ثابت عن أنس نحو حديث قتادة في =

البوَيْب

١٠٨ ـ كتبَ إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم ، قالوا : وبعث المثنَّى بعد الجسر فيمَن يليه من الممِدّين ، فتوافوْا إليه في جمع عظيم ، أو بلغ رستَم والفَيْرُزان ذلك ، وأتتهم العيون به وبما ينتظرون من الأمداد ، واجتمعا على أن يبعثا مِهْران الهمَذانيّ؛ حتى يريا مِن رأيهما ، فخرج مِهْران في الخيول وأمَراه بالحيرة ، وبلغ المثنَّى الخبر وهو معسكر بمرْج السِّباخ بين القادسيَّة وخَفَّان في الذين أمدّوه من العرب عن خبر بشير وكِنانة ـ وبشير يومئذ بالحيرة ـ فاستبطن فُرات بادَقْلى ، وأرسل إلى جرير ومَن معه : إنَّا جاءنا أمر لم نستطِع معه المقام حتى تقدموا علينا . فعجِّلوا اللّحاق بنا ، وموعدكم البُوَيْب .

= عدة من قتل من الأنصار وزاد : ويوم مؤتة سبعون ، وصححه أبو عوانة وأخرجه الحاكم في (الإكليل) ولفظه (عن أنس أنه كان يقول : يا رب سبعين من الأنصار يوم أحد ، وسبعين يوم بئر معونة ، وسبعين يوم مؤتة ، وسبعين يوم مسيلمة) ثم أخرج من طريق إبراهيم بن المنذر أن هذه الزيادة خطأ ـ ثم أسند من وجهين عن سعيد بن المسيب فذكر بدل يوم مؤتة يوم جسر أبي عبيد ، قال إبراهيم بن المنذر : وهذا هو المعروف . قلت (ابن حجر) : وهي وقعة بالعراق كانت في خلافة عمر . ا هـ . (فتح الباري ٧/ ٣٧٦) .

قلنا : وكذلك ذكر ابن عساكر بعث عمر لأبي عبيد الثقفي إلىٰ العراق ضمن أحداث سنة ثلاث عشرة اعتماداً علىٰ ما ذكره خليفة بن خياط ، ونقل ابن عساكر عن ابن إسحاق قوله :

(وفيها «أي ١٣») بعث عمر أبا عبيد بن مسعود الثقفي إلىٰ العراق ، فلقي جابان بين الحيرة والقادسية ففض جمعه وأسره وقتل مردانشاه ففدىٰ جابان نفسه بغلامين وهو لا يعرف . قال : ثم سار إلىٰ كسكر فلقي نرسي فهزمهم الله ـ ثم أغار علىٰ مسلحة بالسن فانهزموا (مختصر تأريخ دمشق لابن منظور ١٩/ ٢٧) .

والحديث الذي أخرجه البلاذري في فتوح البلدان (كما ذكرنا) من طريق أبي عبيد وجدناه بصيغة أوضح وأطول في كتاب الأموال (٨٤/ح ٢١٨) إذ قال الإمام الحافظ أبو عبيد القاسم بن سلام : حدثني محمد بن كثير عن زائدة بن قدامة عن إسماعيل بن قيس قال : عبر أبو عبيد بانقيا في ناس من أصحابه فقطع المشركون الجسر ، فأصيب ناس من أصحابه ثم كان يوم مهران بعد ذلك فيهم يومئذ خالد بن عرفطة ، والمثنىٰ بعد حارثة وجرير بن عبد الله ، قال قيس : فعبر إليهم المشركون فأصيب منهم يومئذ مهران وهم عند النخيلة .

وكان جرير مُمِدّاً له ، وكتب إلى عِصْمة ومَن معه ، وكان ممِدّاً له بمثل ذلك ، وإلى كل قائد أظلَّه بمثل ذلك ، وقال: خذوا على الجَوْف ، فسلكوا القادسيَّة والجَوْف ، وسلك المثنَّى وسط السَّواد ، فطلع على النَّهريْن ثم على الخوَرْنَق ، وطلع عصمة على النَّجَف ، ومَن سلك معه طريقه ، وطلع جرير على الجوْف ومَن سلك معه طريقه ، فانتهوْا إلى المثنَّى ، وهو على البُويب ، ومِهران من وراء الفرات بإزائه ، فاجتمع عسكر المسلمين على البُويب ممَّا يلي موضع الكوفة اليوم؛ وعليهم المثنّى وهم بإزاء مِهران وعسكره. فقال المثنّى لرجل من أهل السواد: ما يقال للرُّقْعة التي فيها مِهران وعسكره؟ قال: بَسُوسْيا. فقال: أكْدَى مِهران وهلك! نزل منزلاً هو البَسوس؛ وأقام بمكانه حتى كاتبه مِهران: إمّا أن تعبُروا إلينا ، وإمّا أن نعبَر إليكم؛ فقال المثنَّى: اعبُروا؛ فعبر مِهْران ، فنزل على شاطىء الفرات معهم في الملطـاط ، فقال المثنّى لذلك الرجل: ما يُقال لهذه الرقعة التي نزلها مِهران وعسكره؟ قال: شُوميا ـ وذلك في رمضان ـ فنادى في الناس: انهدوا لعدوّكم ، فتناهدوا ، وقـد كان المثنّى عَبَّى جيشه ، فجعل على مجنِّبتيه مذعوراً والنُّسَير ، وعلى المجرّدة عاصماً ، وعلى الطلائع عِصْمة ، واصطفّ الفريقان؛ وقـام المثنَّى فيهم خطيبـاً ، فقال: إنكم صُوّام؛ والصوم مَرَقَّـة ومَضعفة؛ وإنّي أرى من الرأي أن تُفطِروا ثم تقوَوْا بالطعام على قتال عدوّكم. قالوا: نعم ، فأفطروا؛ فأبصر رجلاً يستوفز ويستنتلِ من الصّفّ ، فقال: ما بال هذا؟ قالوا: هو ممَّنّ فرّ من الزّحف يوم الجِسر؛ وهو يريد أن يستقتِل ، فقرعه بالرّمح ، وقال: لا أبالك! الزَمْ موقفك ، فإذا أتاك قِرنك فأغْنِه عن صاحبك ولا تستقتل ، قال: إني بذلك لَجدير ، فاستقرّ ، ولزم الصّفّ[١]. (٣: ٤٦٠/ ٤٦١/ ٤٦٢) .

١٠٩ ـ كتب إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي إسحاق الشيبانيّ بمثله[٢]. (٣: ٤٦٢) .

١١٠ ـ كتب إليّ السريّ بن يحيى ، عن شُعيب بن إبراهيم ، عن سيف بن

---

(١) إسناده ضعيف وسنتحدث عنه بعد سرد هذه الروايات.

(٢) إسناده ضعيف وسنتحدث عنه بعد سرد هذه الروايات.

عمر ، عن عطيَّة والمجالد بإسنادهما ، قالا: وقدما على عُمر غُزاة بني كنانة والأزْد في سبعمئة جميعاً ، فقال: أيّ الوجوه أحبّ إليكم؟ قالوا: الشأم ، أسلافنا أسلافنا! فقال: ذلك قد كُفيتموه؛ العراقَ العراقَ! ذَرُوا بلدة قد قَلَّل الله شوكتها وعددَها ، واستقبلوا جهاد قوم قد حوَوْا فنون العيش ، لعلّ الله أن يورثكم بقِسْطكم من ذلك فتعيشوا مع مَن عاش من الناس ، فقال غالب بن عبد الله الليثيّ وعرفجة البارقيّ ، كلّ واحد منهما لقومه ، وقاما فيهم: يا عشيرتاه! أجيبوا أميرَ المؤمنين إلى ما يرى ، وأمضوا له ما يُسكنكم. قالوا: إنَّا قد أطعناك وأجبنا أميرَ المؤمنين إلى ما رأى وأراد. فدعا لهم عمر بخير وقاله لهم ، وأمَّر على بني كنانة غالب بن عبد الله وسرّحه ، وأمَّر على الأزْد عَرْفَجة بن هَرْثمة وعامَّتُهم من بارق ، وفرحوا برجوع عَرْفجة إليهم. فخرج هذا في قومه ، وهذا في قومه ، حتى قدما على المثنّى[1]. (٣: ٤٦٣).

١١١ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سَيْف ، عن محمد وعمرو بإسنادهما ، قالا: وجاء رِبْعِيّ في أناس من بني حنظلة ، فأمَّره عليهم وسرّحهم ، وخرجوا حتى قدم بهم على المثنَّى ، فرأس بعده ابنه شَبَث بن رِبْعيّ ، وقدم عليه أناسٌ من بني عمرو ، فأمَّر عليهم رِبْعِيّ بن عامر بن خالد العَنُود ، وألحقه بالمثنَّى ، وقدم عليه قومٌ من بني ضبَّة ، فجعلهم فرقتيْن ، فجعل على إحدى الفرقتين ابن الهَوْبَر ، وعلى الأخرى المنذر بن حسَّان ، وقدم عليه قُرْط بن جمَّاع في عبد القيس ، فوجَّهه ، وقالوا جميعاً: اجتمع الفيرزان ورستَم على أن يبعثَا مِهْران لقتال المثنَّى واستأذنا بُوران ـ وكانا إذا أرادَا شيئاً دنَوَا من حجابها حتى يكلّماها به ـ فقالا بالذي رأيا وأخبراها بعدد الجيش ـ وكانت فارس لا تُكثِر البعوث؛ حتى كان من أمر العرب ما كان ـ فلمَّا أخبراها بكثرة عدد الجيش ، قالت: ما بالُ أهلِ فارس لا يخرجون إلى العرب كما كانوا يخرجون قبل اليوم؟ ومالكما لا تبعثان كما كانت الملوك تبعث قبل اليوم! قالا: إنَّ الهيبة كانت مع عدوّنا يومئذ ، وإنها فينا اليوم؛ فمالأتْهما وعرفت ما جاءاها به ، فمضى مِهْران في جنده حتى نزلَ من دون الفرات والمثنّى وجنده على شاطىء الفرات؛ والفرات بينهما؛ وقدم أنس بن هلال النَّمَرِيّ ممدّاً للمثنَّى في أناس من النَّمِر نصارى

---

(١) إسناده ضعيف وسنتحدث عنه بعد سرد هذه الروايات.

وجلّاب جلبوا خيلاً ، وقدم ابن مِرْدَى الفِهْرِيّ التغلبيّ في أناس من بني تَغْلِب نصارى وجلّاب جلبوا خيلاً ـ وهو عبد الله بن كُلَيب بن خالد ـ وقالوا حين رأوا نزولَ العرب بالعجم: نقاتل مع قومنا ، وقال مهران: إمَّا أن تعبُروا إلينا ، وإمّا أن نعبُر إليكم ، فقال المسلمون: اعبُروا إلينا ، فارتحلوا من بَسُوسْيا إلى شُومِيا ، وهي موضع دار الرّزق[1] . (٣: ٤٦٤/ ٤٦٥) .

١١٢ - كتب إليَّ السَّريّ عن شُعيب ، عن سيف ، عن عبيد الله بن مُحَفِّز ، عن أبيه: أنّ العَجم لمَّا أذِن لهم في العبور ونزلوا شوميا موضع دار الرّزق ، فتعبَّوْا هنالك؛ فأقبلوا إلى المسلمين في صُفوف ثلاثة مع كلّ صفّ فيل ، ورَجْلُهم أمام فيلهم ، وجاؤوا ولهم زَجَل ، فقال المثنّى للمسلمين: إنّ الّذي تسمعون فَشَلٌ ، فالزموا الصَّمْت وائتمِروا هَمْساً ، فدنوا من المسلمين وجاؤوهم من قِبَل نهر بني سُليم نحو موضع نهر بني سُلَيم ، فلمَّا دنوا زحفوا ، وصُفَّ المسلمون فيما بين نهر بني سليم اليوم وما وراءها[2] . (٣: ٤٦٥) .

١١٣ - كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمَّد وطلحة ، قالا: وكان على مجنَّبَتي المثنَّى وبُسْر بن أبي رُهْم ، وعلى مجرَّدته المُعنَّى ، وعلى الرَّجْل مسعود ، وعلى الطلائع قبل ذلك اليوم النُّسَيْر ، وعلى الرّدء مذعور؛ وكان على مجنَّبتي مِهران ابنُ الآزاذبه مرزُبان الحيرة ومَرْدانْشاه. ولمّا خرج المثنّى؛ طاف في صفوفه يعهد إليهم عهدَه ، وهو على فرسه الشَّمُوس ـ وكان يُدعَى الشَّموس من لين عريكته وطهارته ، فكان إذا ركبه قاتَل؛ وكان لا يركبه إلاّ لقتال ويدَعُه مالم يكن قتال ـ فوقف على الرّايات راية راية يحضّضهم ، ويأمرهم بأمرِه ، ويهزّهم بأحسن ما فيهم ، تحضيضاً لهم ، ولكلّهم يقول: إنّي لأرجو ألاّ تُؤتَى العرب اليوم من قِبَلكم؛ والله ما يسرُّني اليوم لنفسي شيء إلاّ وهو يسرّني لعامّتكم؛ فيجيبونه بمثل ذلك ، وأنصفهم المثنَّى في القول والفعل ، وخلَط النَّاس في المكروه والمحبوب؛ فلم يستطع أحدٌ منهم أن يعيب له قولاً ولا عملاً ، ثم قال: إنِّي مكبّر ثلاثاً فتهيّؤوا؛ ثم احمِلوا مع الرابعة ، فلمَّا كبَّر أوّل تكبيرة أعجلهم أهل فارس وعاجلوهم فخالطوهم مع أوّل تكبيرة؛ وركدت حَرْبُهم

(١) إسناده ضعيف وسنذكر ما يقويه بعد قليل.

(٢) إسناده ضعيف وسنتحدث عنه بعد سرد الروايات.

مَلِيّاً ، فرأى المثنَّى خللاً في بعض صُفوفه ، فأرسل إليهم رجلاً ، وقال: إنّ الأمير يقرأ عليكم السّلام ، ويقول: لا تفضحوا المسلمين اليوم ، فقالوا: نعم! واعتدلوا ، وجعلوا قبل ذلك يروْنه وهو يمدّ لحيته لما يرى منهم ، فاعتنوْا بأمر لم يجىء به أحد من المسلمين يومئذ فرمقوه ، فرأوه يضحك فَرَحاً والقوم بنو عِجْل. فلمَّا طال القتالُ واشتدّ ، عمَد المثنَّى إلى أنس بن هلال ، فقال: يا أنس! إنَّك امرؤ عربيّ ، وإن لم تكن على ديننا؛ فإذا رأيتَني قد حملت على مِهران فاحمِل معي ، وقال لابن مِرْدَى الفِهْر مثلَ ذلك فأجابه ، فحمل المثنَّى على مِهران؛ فأزاله حتى دخل في ميمنته ، ثم خالطوهم واجتمع القلبان وارتفع الغبار والمجنَّبات تقتَتِل ، لا يستطيعون أن يفرغوا لنصر أميرهم ، لا المشركون ولا المسلمون ، وارتُثَّ مسعود يومئذ وقُوّاد من قُوّاد المسلمين؛ وقد كان قال لهم: إن رأيتمونا أصِبنا؛ فلا تَدَعوا ما أنتم فيه؛ فإنّ الجيشَ ينكشف ثم ينصرف؛ الزموا مصافَّكم ، واغْنُوا غَناء من يليكم ، وأوجِع قلبَ المسلمين في قلْب المشركين ، وقَتَلَ غلام من التغلبيّين نصرانيّ مِهرانَ واستوى على فرسه ، فجعل المثنَّى سلبه لصاحب خَيْله؛ وكذلك إذا كان المشرك في خيل رجل فقتل وسلب فهو للذي هو أمير على مَن قتل؛ وكان له قائدان: أحدهما جَرير والآخر ابن الهوبر؛ فاقتسما سلاحَه[١]. (٣: ٤٦٥/ ٤٦٦).

١١٤ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالا: وقف المثنَّى عند ارتفاع الغُبار؛ حتى أسفر الغبار ، وقد فنِيَ قلب المشركين ، والمجنَّبات قد هزّ بعضها بعضاً ، فلمَّا رأوه وقد أزال القلب ، وأفنى أهلَه ، قوِيت المجنَّبات ـ مجنَّبات المسلمين ـ على المشركين وجعلوا يردّون الأعاجم على أدبارهم ، وجعل المثنَّى والمسلمون في القلْب يدعُون لهم بالنَّصر ، ويرسل عليهم مَنْ يذمُرهم ، ويقول: إنّ المثنَّى يقول: عاداتكم في أمثالهم؛ انصروا الله ينصركم؛ حتى هزموا القوم ، فسابقهم المثنَّى إلى الجسر فسبقهم وأخذ الأعاجم ، فافترقوا بشاطىء الفرات مصعِّدين ومصوّبين ، واعتورتهم خيول المسلمين حتى قتلُوهم ، ثمّ جعلوهم جُثثاً؛ فما كانت بين العرب والعجم وقعة كانت أبقى رِمَّةً منها. ولما ارتُثّ مسعود بن حارثة يومئذ ـ وكان صُرِع قبل

---

(١) إسناده ضعيف وسنذكر الشواهد بعد قليل.

الهزيمة ، فتضعضع مَن معه ، فرأى ذلك وهو دَنِف ـ قال: يا معشر بكر بن وائل! ارفعوا رايَتكم ، رفعكم الله! لا يهولنَّكم مَصْرعي ، وقاتل أنس بن هلال النَمِريّ يومئذ حتى ارتُثّ ، ارتثَّه المثنَّى ، وضمَّه وضمّ مسعوداً إليه. وقاتل قُرْط بن جَمَّاع العبديّ يومئذ حتى دقَّ قناً ، وقطع أسيافاً ، وقتِل شَهْربراز من دهاقين فارس وصاحب مجرّدة مِهران.

قال: ولما فرغوا؛ جلس المثنَّى للناس من بعد الفراغ يحدّثهم ويحدّثونه ، وكلَّما جاء رجل فتحدّث قال له: أخبرْني عنك؛ فقال له قُرْط بن جمّاح: قتلتُ رجلاً فوجدتُ منه رائحة المسك ، فقلتُ: مِهران ، ورجوت أن يكون إيّاه ، فإذا هو صاحب الخيل شَهْربراز ، فوالله ما رأيتهُ إذ لم يكن مِهران شيئاً.

فقال المثنَّى: قد قاتلت العرب والعجم في الجاهليَّة والإسلام؛ والله لمئة من العجم في الجاهليَّة كانوا أشدّ عليّ من ألف من العرب ، ولمئة اليومَ من العرب أشدّ عليّ من ألف من العجم؛ إن الله أذهب مصدوقتَهم ، ووهَّن كيدَهم؛ فلا يروعنّكم زُهّاء تروْنه ، ولا سَواد ولا قِسِيٌّ فُجٌّ ، ولا نِبال طوال ، فإنَّهم إذا أعجِلوا عنها أو فقدوها ، كالبهائم أيْنما وجَّهتموها اتَّجهت.

وقال رِبْعيّ وهو يحدّث المثنَّى: لمّا رأيتُ ركود الحرب واحتدامها ، قلتُ: تترّسوا بالمجانّ ، فإنهم شادّون عليكم؛ فاصبروا لشدّتَيْن وأنا زعيم لكم بالظفر في الثالثة؛ فأجابوني والله ! فوفَّى اللهُ كفالتي.

وقال ابن ذي السَّهمين محدّثاً: قلت لأصحابي: إنّي سمعت الأميرَ يقرأ ويذكر في قراءته الرُّعْب؛ فما ذكره إلا لفضل عنده؛ اقتدوا برايتكم ، وليَحْمِ راجلَكم خيلُكم ، ثم احملوا ، فما لقول الله من خُلْف؛ فأنجز الله لهم وعده ، وكان كما رجوت.

وقال عَرْفجة محدّثاً: حُزْنا كتيبةً منهم إلى الفرات ، ورجوت أن يكون الله تعالى قد أذِن في غَرَقِهم ، وسلَّى عنَّا بها مصيبة الجسر ، فلمَّا دخلوا في حدّ الإحراج ، كرّوا علينا ، فقاتلناهم قتالاً شديداً حتى قال بعض قومي: لو أخّرت رايَتك! فقلت: عليّ إقدامُها ، وحملت بها على حاميتهم فقتلتُه ، فولّوْا نحو الفُرات ، فما بلغه منهم أحد فيه الرّوح.

وقال رِبْعِيّ بن عامر بن خالد: كنت مع أبي يوم البُويب ـ قال: وسُمِّيَ البُويب يوم الأعشار ـ أحصِي مئة رجل، قَتَل كلّ رجل منهم عشرة في المعركة يومئذ، وكان عُرْوة بن زيد الخيل من أصحاب التّسعة، وغالِب في بني كنانة من أصحاب التسعة، وعرفجة في الأزْد من أصحاب التسعة.

وقتِل المشركون فيما بين السَّكون اليوم إلى شاطئ الفرات، ضفَّة البويب الشرقيّة؛ وذلك: أنّ المثنى بادرهم عند الهزيمة بالجَسْرَ، فأخذه عليهم، فأخَذوا يَمْنة ويَسْرة، وتبِعهم المسلمون إلى الليل، ومن الغد إلى اللَّيل، وندم المثنَّى على أخذه بالجسر، وقال: لقد عجزتُ عجزة وَقَى الله شرّها بمسابقتي إيّاهم إلى الجسر وقَطْعِه؛ حتى أحرجتُهم؛ فإني غير عائد؛ فلا تعودوا ولا تقتدوا بي أيّها الناس! فإنها كانت منّي زلَّة لا ينبغي إحراج أحد إلاّ مَن لا يقوى على امتناع، ومات أناس من الجرحى من أعلام المسلمين، منهم خالد بن هلال ومسعود بن حارثة، فصلَّى عليهم المثنَّى، وقدّمهم على الأسنان والقرآن؛ وقال: والله إنَّه ليُهوِّن عليّ وجْدي أن شهِدوا البُويب، أقدَموا وصَبَرُوا، ولم يجزَعوا ولم ينكِلوا، وإن كان في الشهادة كفَّارة لِتجوُّز الذنوب[١]. (٣: ٤٦٦/ ٤٦٧/ ٤٦٨).

١١٥ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وزياد، قالوا: وقد كان المثنَّى وعصمة وجرير أصابُوا في أيّام البُويب على الظّهر نُزْل مِهْران غنماً ودقيقاً وبقراً، فبعثوا بها إلى عِيالات مَن قدم من المدينة وقد خلَّفوهنّ بالقوادس، وإلى عِيالات أهل الأيَّام قبلَهم، وهم بالحيرة. وكان دليل الذين ذهبوا بنصيب العِيالات الَّذين بالقوادس عَمْرو بن عبد المسيح بن بُقَيلة، فلمَّا رُفِعوا للنسوة فرأين الخيلَ، تصَايحن وحسبنها غارةً، فقمْنَ دون الصبيان بالحجارة والعُمُد، فقال عمرو: هكذا ينبغي لنساء هذا الجيش! وبشّروهنّ بالفتح، وقالوا: هذا أوّله، وعلى الخيل التي أتتهم بالنُّزل النُّسَيْر؛ وأقام في خيله حاميةً لهم، ورجع عمرو بن عبد المسيح فبات بالحيرة، وقال المثنَّى يومئذ: من يتبع الناس حتَّى ينتهي إلى السِّيب؟

فقام جرير بن عبد الله في قومه، فقال: يا معشر بَجِيلة! إنَّكم وجميع مَن

---

(١) إسناده ضعيف وسنذكر شواهد القصة بعد قليل.

شهد هذا اليوم في السابقة والفضيلة والبلاء سواء ، وليس لأحد منهم في هذا الخُمس غداً من النَّفَل مثل الذي لكم منه؛ ولكم رُبع خمسه نفَلاً من أمير المؤمنين؛ فلا يكوننَّ أحدٌ أسرع إلى هذا العدوّ ولا أشدّ عليه منكم للذي لكم منه ، ونِيَّة إلى ما ترجون؛ فإنما تنتظرون إحدى الحُسنَيَيْن: الشهادة والجنَّة أو الغنيمة والجنَّة.

ومال المثنَّى على الَّذين أرادوا أن يستقتلوا من مُنهزِمة يوم الجسر ، ثم قال: أين المستبسل بالأمس وأصحابه! انتدبوا في آثار هؤلاء القوم إلى السِّيب ، وابلغوا من عدوّكم ما تغيظونهم به ، فهو خيرٌ لكم وأعْظَمُ أجراً؛ واستغفروا الله إنّ الله غفورٌ رحيم[1]. (٣: ٤٦٩).

---

(١) إسناده ضعيف وسنذكر شواهد القصة بعد قليل.

وقعة البويب عند الطبري وغيره

لقد تطرقنا إلى ذكر هذه الوقعة عند حديثنا عن وقعة الجسر وسنتحدث ما ذكرناه هناك ونضيف إليه مالم نذكر قبل:

١ ـ أخرج الحافظ أبو عبيد القاسم بن سلام حدثني محمد بن كثير عن زائدة بن قدامة عن إسماعيل عن قيس قال: عبر أبو عبيد نانقيا في ناس من أصحابه فقطع المشركون الجسر فأصيب ناس من أصحابه ثم كان يوم مهران بعد ذلك فيهم يومئذ خالد بن عرفطة والمثنىٰ بن حارثة وجرير بن عبد الله ، قال قيس: فعبر إليهم المشركون فأصيب منهم يومئذ مهران وهم عند النخيلة (الأموال ٨٤/ ح ٢١٨) وإسناده صحيح.

٢ ـ وأخرج الحافظ ابن أبي شيبة في مصنفه (١٢/ ح ١٥٥٨٢) ثنا أبو أسامة عن إسماعيل بن أبي خالد سمعت أبا عمرو الشيباني يقول: كان مهران أول السنة وكانت القادسية في آخر السنة فجاء رستم فقال: إنما كان مهران يعمل عمل الصبيان.

٣ ـ وأخرج (١٢/ ح ١٥٥٨٥) ثنا أبو أسامة عن إسماعيل عن قيس قال: قال لي جرير: انطلق بنا إلى مهران فانطلقت معه حيث أقبلوا فقال لي: لقد رأيتني فيما هاهنا في مثل حريق المنار يطعنوني من كل جانب بنيازكهم فلما رأيت الهلكة جعلت أقول: يا فرسي ألا يا جرير! فسمعوا صوتي فجاءت قيس ما يردهم مني حتىٰ يخلصوني: قلت قد عبرت شهراً ما أرفع لي حياً من أثر النيازك قال: قال قيس: لقد رأينا غوض دجلة وإن أبواب المدائن لمعلقة. وإسناده صحيح.

٤ ـ وأخرج (١٢/ ح ١٥٨٨) ثنا محبوب القواريري عن حنش بن الحارث النخعي قال: ثنا أشياخ النخع: أن جريراً لما قتل مهران نصب أو رفع رأسه على رمح.

٥ ـ ولقد ذكر الكلاعي في كتابه القيّم (الاكتفاء) تفاصيل هذه الوقعة وقارن بين مرويات سيف=

ـ ثم دخلت سنة أربع عشرة ـ

ذكر ابتداء أمر القادسية

١١٦ ـ كتب إليّ السريّ عن شُعيب ، عن سيف ، عن خُلَيْد بن ذَفْرَة ، عن أبيه ، قال : كتب المثنَّى إلى عُمر باجتماع فارس على يَزْدَجرد وببعوثهم ، وبحالِ أهل الذمَّة ، فكتب إليه عمر ؛ أن تَنَحَّ إلى البرّ ، وادعُ مَن يليك ، وأقم منهم قريباً على حدود أرضك وأرضهم ؛ حتى يأتيَك أمري .

وعاجلتهم الأعاجم فزاحفتهم الزُّحوف ، وثار بهم أهل الذمَّة ؛ فخرج المثنَّى بالناس حتى ينزلَ الطّفّ ، ففرّقهم فيه من أوّله إلى آخره ، فأقام ما بين غُضَيّ إلى القُطْقُطانة مسالحه ، وعادت مسالحُ كسرى وثغورُه ، واستقرّ أمرُ فارس وهم في

= ومرويات المؤرخ المعروف المدائني. فقال: وذكر المدائني: أن يزدجر وجه مهران بعد وقعة الجسر وأمره أن يبعث المسالح إلىٰ أداني أرض العرب ، ويقتل كل عربي قدر عليه ، وفيما ذكره الطبري عن سيف أن رستم والفيرزان هما اللذان رأيا إنفاذ مهران بعد أن طالعا برأيهما في ذلك ابنة كسرىٰ وذلك عندما علما بتوافي أمداد العرب إلى المثنىٰ (الاكتفاء/ ٤/ ١٣٩).
قلنا: ولا يشكل هذا الخلاف شيئاً يذكر لأن كلا الراويين أو المؤرخين (سيف والمدائني) اتفقا علىٰ قيادة مهران لمعركة البويب مقابل الجيش الإسلامي.
وأخيراً فإن الروايات التأريخية التي تحت أيدينا تختلف في مسألة إمارة الجيش أكانت للمثنىٰ وحده أم كان المثنىٰ أميراً وجرير أميراً ، وكلا النوعين من الروايات بنفس الدرجة من ضعف الإسناد أما رواية الحافظ أبو عبيد القاسم بن سلام وهي صحيحة الإسناد توضح أن ثلاثة من القادة كانوا في ذلك الجيش (أي يوم البويب). وهم خالد بن عرفطة والمثنى بن حارثة وجرير بن عبد الله ـ ومن مراجعة أخرىٰ للروايات التي ذكرناها في قسم الصحيح يتبين لنا أن المثنى كان يدير القيادة العامة وأن جريراً كان رأس الحربة في قيادة المقدمة التي كسرت شوكة العدوّ. ولو راجعنا روايات الفتوح بصورة عامة فإننا نرىٰ أن جيش المدد يكون تحت قيادة الجيش الميداني السابق في أرض المعركة ، وإلاّ فما معنىٰ أن يستقل جيش المدد بنفسه ولا يقبل بإمارة الجيش الأصلي ، ولذلك نميل إلى كون الروايات التي سمّت المثنى بن حارثة كقائد عام للجيش أقوىٰ وأظهر والله تعالى أعلم.
ومن الأمور التي تميز بها الإمام الكلاعي في سرده للروايات التأريخية: أنه يقارن أحياناً بين المصادر ويرجح أحياناً وهو يقول في هذه المسألة: [والأظهر مما تقدم من الأخبار: أن المثنىٰ كان الأمير في تلك الحرب]. الاكتفاء (٤/ ١٤٨).

ذلك هائبون مُشْفِقُون ، والمسلمون متدفِّقون قد ضَرُوا بهم كالأسد ينازَع فريستَه، ثم يعاود الكرّ ، وأمراؤهم يكفكفونهم بِكتاب عمر وأمداد المسلمين[١]. (٣: ٤٨٢) .

١١٧ ـ كتب إليّ السريّ بن يحيى عن شعيب بن إبراهيم ، عن سيف بن عمر ، عن سهل بن يوسف ، عن القاسم بن محمد ، قال: قد كان أبو بكر استعمل سعداً على صدقات هوازن بنجْد ، فأقرّه عمر ، وكتب إليه فيمن كتب إليه من العُمَّال حين استنفر الناس أن ينتخب أهلَ الخيل والسّلاح ممَّن له رأي ونجدة ، فرجع إليه كتاب سعد بمَن جمع الله له من ذلك الضرب؛ فوافق عمرَ وقد استشارهم في رجل ، فأشاروا عليه به عند ذكره[٢]. (٣: ٤٨٢) .

١١٨ ـ كتب إليّ السريّ عن شُعيب ، عن سيف ، عن محمَّد وطلحة ، عن ماهان ، وزياد بإسناده ، قالوا: وأمدّ عمر سعداً بعد خروجه بألفَيْ يمانيّ ، وألفي نجديّ مُؤْدٍ من غَطفَان وسائر قَيْس ، فقدِم سعد زَرُودَ في أوّل الشتاء ، فنزلها وتفرّقت الجنود فيما حولَها من أمواه بني تميم وأسد، وانتظر اجتماع الناس، وأمْر عمر ، وانتخب من بني تميم والرّباب أربعة آلاف؛ ثلاثة آلاف تميميّ ، وألف رِبيّ ، وانتخب من بني أسد ثلاثة آلاف ، وأمرهم أن ينزلوا على حدّ أرضهم بين الحَزْن والبَسيطة ، فأقاموا هنالك بين سَعْد بن أبي وقّاص وبين المثنَّى بن حارثة ، وكان المثنَّى في ثمانية آلاف؛ مِنْ ربيعة ستة آلاف من بكر بن وائل ، وألفان من سائر ربيعة؛ أربعة آلاف ممَّن كان انتخب بعد فصول خالد ، وأربعة آلاف كانوا معه ممَّن بقيَ يوم الجسر ، وكان معه من أهل اليمن ألفان من بَجِيلة ، وألفان من قُضاعة؛ وطيِّىء ممَّن انتُخبوا إلى ما كان قبل ذلك ، على طيّئ عديّ بن حاتم ، وعلى قُضاعة عمرو بن وَبَرة ، وعلى بَجِيلة جرير بن عبد الله؛ فبينا النَّاس كذلك ـ سعد يرجو أن يقدَم عليه المثنَّى ، والمثنَّى يرجو أن يقدَم عليه سعد ـ مات المثنّى من جراحته التي كان جُرِحها يوم الجِسْر ، انتقضت به؛ فاستخلف المثنَّى على النَّاس بشير بن الخَصاصيَّة ، وسعد يومئذ بزَرُود ، ومع بشير يومئذ وجوهُ أهل

---

(١) إسناده ضعيف وسنذكر المتابعات والشواهد في نهاية سردنا لهذه الروايات.

(٢) إسناده ضعيف وسنتحدث عن وقعة القادسية بعد قليل.

العراق، ومع سعد وفود أهل العراق الَّذين كانوا قدموا على عمر ، منهم فُرات بن حيَّان العجلي وعتيبة ، فردّهم مع سعد[١]. (٣: ٤٨٦).

١١٩ - كتب إليَّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي ضَمْرة ، عن ابن سيرين ، وإسماعيل بن أبي خالد عن قَيْس بن أبي حازم ، قالا: لمَّا بلغ سعداً فصولُ رستم إلى ساباط؛ أقام في عسكره لاجتماع الناس؛ فأمّا إسماعيل فإنه قال: كتب إليه سعد أنّ رستم قد ضرب عسكره بساباط دون المدائن وزحف إلينا؛ وأمَّا أبو ضَمْرة فإنه قال: كتب إليه أنّ رستم قد عسكر بسَاباط ، وزحف إلينا بالخيول والفيول وزُهاء فارس ، وليس شيء أهمَّ إليَّ ولا أنا له أكثر ذكراً منّي لما أحببت أن أكون عليه؛ ونستعين بالله ، ونتوكَّل عليه ، وقد بعث فلاناً وفلاناً وهم ما وصفت[٢]. (٣: ٤٩٥).

١٢٠ - حدّثني محمد بن عبد الله بن صَفْوان الثّقفيّ ، قال: حدّثنا أمَيَّة بن خالد ، قال: حدّثنا أبو عوانة ، عن حُصَين بن عبد الرحمن ، قال: قال أبو وائل: جاء سعد حتى نزل القادسيَّة ، ومعه النَّاس ، قال: لا أدري لعلَّنا لا نزيد على سبعة آلاف أو نحو من ذلك ، والمشركون ثلاثون ألفاً أو نحو ذلك. فقالوا لنا: لا يدي لكم ولا قوّة ولا سلاح ، ما جاء بكم؟ ارجعوا ، قال: قلنا: لا نرجع؛ وما نحن براجعين ، فكانوا يضحكون من نَبْلنا ، ويقولون: «دُوك دوك» ، ويشبّهونها بالمغازل. قال: فلما أبينا عليهم أن نرجع ، قالوا: ابعثوا إلينا رجلاً منكم ، عاقلاً يبيِّن لنا ما جاء بكم؛ فقال المغيرة بن شعبة: أنا ، فَعَبَر إليهم فقعد مع رستم على السرير ، فنخَروا وصاحوا ، فقال: إنَّ هذا لم يزدني رفعة ، ولم ينقص صاحبكم ، قال رستم: صدقت ، ما جاء بكم؟ قال: إنَّا كنا قوماً في شرٍّ وضلالة؛ فبعث الله فينا نبيّاً ، فهدانا الله به ورزقنا على يديه؛ فكان ممَّا رزقنا حَبَّة زُعمت تنبُتُ بهذا البلد؛ فلما أكلناها وأطعمناها أهلينا قالوا: لا صبر لنا عن هذه ، أنزلونا هذه الأرضَ حتى نأكل من هذه الحبَّة ، فقال رستم: إذاً نقتلُكم ، فقال: إن قتلتمونا دَخلْنا الجنَّة ، وإن قتلناكم دخلتم النار؛ أو أدّيتم الجِزْية ،

---

(١) إسناده ضعيف وسنذكر ما يؤيده بعد سرد الروايات في الباب.

(٢) إسناده ضعيف وسنذكر ما ورد في قصة القادسية عند غير الطبري بعد انتهائنا من سرد روايات الطبري.

قال: فلمّا قال: أدّيتم الجزية ، نخروا وصاحوا ، وقالوا: لا صلحَ بيننا وبينكم ، فقال المغيرة: تعبرون إلينا أو نعبر إليكم؟ فقال رستم: بل نعبُر إليكم ، فاستأخَر المسلمون حتى عَبَر منهم مَن عبر ، فحملوا عليهم فهزموهم.

قال حصين: فحدّثني رجل منّا يقال له عُبيد بن جَحْش السُّلميّ ، قال: لقد رأيتُنا وإنّا لنَطَأ على ظهور الرجال ، ما مسَّهم سلاح ، قتل بعضهم بعضاً ، ولقد رأيتُنا أصبْنا جِراباً من كافور ، فحسبْناه ملحاً لا نشكّ أنه مِلْح؛ فطبخنا لحماً ، فجعلنا نُلقيه في القِدْر فلا نجد له طعماً ، فمرّ بنا عِباديّ معه قميص فقال: يا معشرَ المُعرِبين! لا تفسدُوا طعامَكم؛ فإنَّ ملح هذه الأرض لا خيرَ فيه ، هل لكم أن تأخذوا هذا القميصَ به؟ فأخذناه منه ، وأعطيناه منّا رجلاً يلبسه ، فجعلنا نُطيف به ونعجب منه ، فلمَّا عرفنا الثياب؛ إذا ثمن ذلك القميص درهمان. قال: ولقد رأيتُني أقربُ إلى رجل عليه سِواران من ذهب ، وسلاحُه ، فجاء فما كلّمته حتى ضربتُ عنقه.

قال: فانهزموا حتى انتهوا إلى الصَّراة؛ فطلبناهم فانهزموا حتى انتهوا إلى المدائن؛ فكان المسلمون بكُوثَى وكان مسلحة المشركين بدَيْر المسلاخ ، فأتاهم المسلمون فالتقوْا ، فهُزم المشركون حتى نزلوا بشاطىء دِجلة ، فمنهم مَن عبر من كَلْواذَى ، ومنهم مَن عبَر من أسفل المدائن ، فحصروهم حتى ما يجدون طعاماً يأكلونه ، إلاّ كلابَهم وسنانيرهم ، فخرجوا ليلاً ، فلحقوا بجَلولاء ، فأتاهم المسلمون؛ وعلى مقدّمة سعد هاشم بن عُتْبة ، وموضع الوقعة التي ألحقهم منها فريد. قال أبو وائل: فبعث عمر بن الخطاب حذيفةَ بن اليمان على أهل الكوفة ، ومُجاشع بن مسعود على أهل البصرة[(١)]. (٣: ٤٩٦/٤٩٧).

١٢١ - كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وعمرو بإسنادهم ، قالوا: وعجَّ أهلُ السَّواد إلى يَزْدَجرد بن شهريار ، وأرسلوا إليه: أنَّ العرب قد نزلوا القادسيَّة بأمر ليس يُشبه إلاّ الحرب ، وإنّ فعل العرب مذ نزلوا القادسيَّة لا يبقى عليه شيء؛ وقد أخربوا ما بينهم وبين الفرات؛ وليس فيما

---

(١) حديث أبي وائل هذا أخرجه غير الطبري من الحفاظ مع اختلاف بسيط كما سنذكر بعد سردنا للروايات.

هنالك أنيس إلاّ في الحصون ، وقد ذهب الدوابّ وكلّ شيء لم تحتمله الحصون من الأطعمة ، ولم يبق إلاّ أن يستنزِلونا ، فإن أبطأ عنّا الغياث أعطيناهم بأيدينا ، وكتب إليه بذلك المُلوك الَّذين لهم الضّياع بالطفّ ، وأعانوهم عليه ، وهيَّجوه على بعثه رستم.

ولما بدا ليزدَجِرْد أن يرسلَ رستَم أرسلَ إليه ، فدخل عليه ، فقال له : إنِّي أريد أن أوَجهك في هذا الوجه ؛ وإنما يُعَدّ للأمور على قدرها ، وأنت رجل أهل فارس اليوم ، وقد ترى ما جاء أهلَ فارس مِن أمر لم يأتِهم مثلُه منذ وليَ آلُ أردشير ، فأراه أن قد قبِل منه ، وأثنى عليه. فقال له الملك : قد أحبُّ أن أنظر فيما لديك لأعرفَ ما عندك ، فصفْ لِي العرب وفعلَهم منذ نزلوا القادِسيَّة ، وصف لي العَجَم وما يلقوْن منهم.

فقال رستم : صفَة ذئابٍ صادفت غِرَّةً من رِعاء فأفسدت. فقال : ليس كذلك ؛ إني إنما سألتك رجاء أن تُعرِب صفتهم فأقوّيك لتعمل على قَدْر ذلك فلم تُصِبْ ، فافهم عنِّي ؛ إنَّما مَثَلُهم ومثَلُ أهل فارس كَمَثَل عُقَاب أوفَى على جبل يأوي إليه الطير بالليل ، فتبيت في سَفْحه في أوكارها ، فلمّا أصبحت تجلَّت الطير ، فأبصرته يرقبها ، فإن شذّ منها شيء اختطفه ، فلمّا أبصرته الطير لم تنهض من مخافته ؛ وجعلت كلَّما شذّ منها طائر اختطَفه ، فلو نهضت نهضةً واحدة ردَّته ؛ وأشدُّ شيء يكون في ذلك أن تنجُوَ كلُّها إلا واحداً ؛ وإن اختلفت ؛ لم تنهض فرقة إلاَّ هلكت ؛ فهذا مثلُهم ومثل الأعاجم ؛ فاعمل على قَدْرِ ذلك. فقال له رستُم : أيّها الملك ، دَعْني ؛ فإنَّ العرب لا تزالُ تهاب العجم مالم تُضَرِّهم بي ؛ ولعلّ الدولة أن تثبت بي فيكون الله قد كَفَى ، وتكون قد أصبْنَا المكيدة ورأيَ الحرب ؛ فإنّ الرّأي فيها والمكيدة أنفع من بعض الظَّفر. فأبَى عليه ، وقال : أيّ شيء بقي! فقال رستم : إنَّ الأناة في الحرْب خيرٌ من العجلة ، وللأناة اليومَ موضع ، وقتال جيش بعد جيش أمثلُ من هزيمة بمرّة وأشدّ على عدوِّنا ، فلجَّ وأبَى ، فخرج حتى ضرب عسكره بساباط ، وجعلت تختلف إلى الملك الرُّسل ليرى موضعاً لإعفائه وبعثةِ غيره ، ويجتمع إليه النَّاس. وجاء العيون إلى سعد بذلك من قبَل الحيرة وبني صلوبا ، وكتب إلى عمر بذلك. ولما كثرت الاستغاثة على يَزْدَجرد من أهل السَّواد على يدي الآزاذمرد بن الآزاذبه جشعت نفسه ، واتّقى الحرب برستم ،

وترك الرّأي ـ وكان ضيّقاً لجوجاً ـ فاستحثّ رستم ، فأعاد عليه رستم القول ، وقال: أيّها الملك ! لقد اضطرني تضييع الرأي إلى إعظام نفسي وتزكيتها؛ ولو أجدُ من ذلك بدّاً لم أتكلَّمْ به ، فأنشدك الله في نفسِك وأهلك ومُلْكك؛ دعني أقم بعسكري وأسرّح الجالنوس؛ فإن تكن لنا فذلك؛ وإلاّ فأنا على رِجْل ، وأبعث غيره ، حتى إذا لم نجد بدّاً ولا حيلة؛ صَبَرْنا لهم؛ وقد وهَّنّاهم وحسَّرناهم ونحن جامُّون. فأبى إلاّ أن يسير[1]. (٣: ٥٠٣/ ٥٠٤).

١٢٢ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن النّضْر بن السريّ الضّبيّ ، عن ابن الرُّفيل ، عن أبيه ، قال: لمَّا نزل رستم بساباط ، وجمع آلة الحرب وأدَاتها بعثَ على مقدّمته الجالنوس في أربعين ألفاً ، وقال: ازحف زحفاً ، ولا تنْجذب إلاّ بأمري؛ واستعملَ على ميمنته الهُرْمزان ، وعلى ميسرته مِهْران بن بَهْرام الرازيّ ، وعلى ساقته البيرزان ، وقال رستم ليشجّع الملك: إن فتح الله علينا القوم ، فهو وجْهنا إلى ملكهم في دارهم حتى نشغلهم في أصلهم وبلادهم ، إلى أن يقبلوا المسالَمة أو يرضوْا بما كانوا يرضوْن به. فلمّا قدمت وفود سعد على الملك ، ورجعوا من عنده؛ رأى رستم فيما يرى النائم رؤيا فكرهها ، وأحسّ بالشرّ ، وكره لها الخروج ولقاء القوم ، واختلف عليه رأيه واضطرب ، وسأل الملك أن يُمضيَ الجالنوس ، ويُقيم حتَّى ينظر ما يصنعون ، وقال: إن غَناء الجالنوس كغَنائي ، وإن كان اسمي أشدّ عليهم من اسمه ، فإن ظفِر فهو الذي نريد ، وإن تكن الأخرىٰ وجهْتُ مثله ، ودفعنا هؤلاء القوم إلى يوم ما؛ فإنّي لا أزال مرجوّاً في أهل فارس ، مالم أهزَم ينشَطون ، ولا أزال مهيباً في صدور العرب ، ولا يزالون يهابون الإقدام مالم أباشرهم؛ فإن باشرتهم اجترؤوا آخرَ دهرهم ، وانكسر أهلُ فارس آخرَ دهرهم ، فبعث مقدّمته أربعين ألفاً؛ وخرج في ستين ألفاً ، وساقته في عشرين ألفاً[2]. (٣: ٥٠٤/ ٥٠٥).

١٢٣ ـ كتب إليَّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن النَّضْر بن السّريّ ، عن ابن الرُّفيل ، عن أبيه ، قال: كان الذي جرّأ يزدجِرد على إرسال رستم غلام جابان منجِّم كسرى ، وكان من أهل فُرات بادَقلَى ، فأرسل إليه فقال: ما ترى في مسير

---

(١) إسناده ضعيف وسنذكر ما ورد في القادسية عند غير الطبري بعد قليل.

(٢) إسناده ضعيف وسنتحدث عن قصة القادسية بعد سرد هذه الروايات.

رستم وحرب العرب اليوم؟ فخافه على الصّدق فكذبه ، وكان رستم يعلَم نحواً من علمه ، فثقُل عليه مسيرُه لعلمه ، وخفَّ على الملكِ لما غرّه منه ، وقال: إنِّي أحبّ أن تخبرَنِي بشيء أراه أطمئنّ به إلى قولك ، فقال الغلام لزُرنا الهنديّ: أخبِره ، فقال: سَلْنِي ، فسأله فقال: أيها الملك ! يُقبل طائر فيقع على إيوانِك فيقع منه شيء في فيه هاهنا ـ وخطّ دارةً ـ فقال العبد: صدَق ، والطائر غراب ، والذي في فيه درهم ، وبلغ جابان: أنّ الملك طلبه ، فأقبل حتَّى دخل عليه ، فسأله عمَّا قال غلامُه ، فحسِب فقال: صدق ولم يُصب؛ هو عقعق ، والذي في فيه درهم ، فيقع منه على هذا المكان ، وكذب زرنا ، ينزو الدرهم فيستقرّ هاهنا ـ ودوّر دارة أخرى ـ فما قاموا حتَّى وقع على الشُّرفات عَقعق ، فسقط منهُ الدرهم في الخط الأول ، فنزا فاستقرّ في الخطّ الآخر ، ونافر الهنديُّ جابـان حيث خَطَّأه؛ فأتيا ببقرة نَتُوج؛ فقال الهنديُّ: سَخْلتها غرّاء سَوداء ، فقال جابان: كذبْتَ ، بل سوداء صبغاء ، فنُحرت البقرة فاستُخرجت سخلتها ، فإذا هي ذنَبها بين عينيها ، فقال جابان: من هاهنا أتِيَ زرنا ، وشجّعاه على إخراج رستم ، فأمضاه ، وكتب جابان إلى جُشْنَسْماه: إنّ أهل فارس قد زالَ أمرهم ، وأدِيلَ عدوُّهم عليهم ، وذهب مُلك المجوسيَّة ، وأقبل مُلك العرب ، وأديل دينهم؛ فاعتقد منهم الذمَّة ، ولا تخلُبنَّك الأمور ، والعجل العجل قبل أن تُؤخذ ! فلمّا وقع الكتاب إليه خرج جشنسماه إليهم حتى أتى المعنَّى؛ وهو في خيل بالعَتِيق ، وأرسله إلى سعد ، فاعتقد منه على نفسه وأهل بيته ومَن استجاب له وردّه ، وكان صاحبَ أخبارهم ، وأهدى للمعنّى فالوذق ، فقال لامرأتـه: ما هذا؟ فقالت: أظنّ البائسة امرأته أراغت العصيدةَ فأخطأتْها ، فقال المعنَّى: بؤساً لها[1]. (٣: ٥٠٦/٥٠٧) .

١٢٤ ـ كتب إليَّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن النَّضْر بن السريّ ، عن ابن الرُّفيل ، عن أبيه ، قال: لمَّا فصَل رستم ، وأمر الجالنوس بالتقدّم إلى الحيرة؛ أمره أن يصيبَ له رجلاً من العَرب ، فخرج هو والآزاذمرد سريَّةً في مئةِ؛ حتى انتهيا إلى القادسيَّة ، فأصابا رجلاً دون قنطرة القادسيّة فاختطفاه ، فنفر النَّاس فأعجزوهم إلاّ ما أصاب المسلِمون في أُخْرَياتهم. فلمَّا انتهيا إلى النَّجَف

(١) إسناده ضعيف.

سرّحا به إلى رستم ، وهو بكُوثَى ، فقال له رستم : ما جَاء بكم؟ وماذا تطلبون؟ قال : جئنا نطلب موعود الله ، قال : وما هو؟ قال : أرضكم وأبناؤكم ودماؤكم إن أبيتم أن تُسْلموا . قال رستم : فإن قُتلتم قبل ذلك؟ قال : في موعود الله أنَّ من قُتِل منَّا قبل ذلك أدخله الجنة . وأنجز لمن بقي منّا ما قلت لك ، فنحن على يقين . فقال رستم : قد وُضِعْنا إذاً في أيديكم ! قال : ويحكِ يا رستم! إنّ أعمالَكم وضعتْكم فأسلمكم الله بها ؛ فلا يغرنَّك ما ترى حولَك ، فإنك لست تُحاول الإنس ؛ إنما تحاول القضاءَ والقدر! فاستشاط غضباً ؛ فأمر به فضرِبت عنقه ، وخرج رستم من كُوثَى ؛ حتى ينزل ببُرس ، فغصب أصحابُه الناسَ أموالَهم ووقعوا على النساء ، وشربوا الخمور ، فضجّ العلُوج إلى رستم ، وشكَوْا إليه ما يلقوْن في أموالهم وأبنائهم ، فقام فيهم ، فقال : يا معشر أهل فارس ! والله لقد صدَق العربيّ ؛ والله ما أسلَمنا إلا أعمالنا ، والله للعرب في هؤلاء وهم لهم ولنا حربٌ أحسنُ سيرةً منكم ، إنّ الله كان ينصركم على العدوّ ، ويمكّن لكم في البلاد بحُسن السيرة وكفِّ الظلم والوفاءِ بالعهود والإحسان ؛ فأمَّا إذ تحوَّلتم عن ذلك إلى هذه الأعمال ، فلا أرى الله إلا مغيّراً ما بكم ، وما أنا بآمنٍ أن ينزع الله سلطانه منكم . وبعث الرجال ؛ فلقطوا له بعض من يُشكى فأتِيَ بنفر ، فضرب أعناقهم ، ثم ركب ونادى في الناس بالرّحيل ، فخرج ونزل بحيال دير الأعور ، ثم انصبّ إلى الملطاط ؛ فعسكر ممّا يلي الفرات بحيال أهلِ النَّجَف بحيال الخَوَرْنق إلى الغَرِيَّين ، ودعا بأهل الحيرة ، فأوعدهم وهمّ بهم ، فقال له ابن بُقَيْلة : لا تجمع علينا اثنتين : أن تعجز عن نُصرتنا ، وتلومنا على الدفع عن أنفسنا وبلادنا . فسكت[1] . (٣ : ٥٠٧/٥٠٨) .

يـــوم أرمـــاث

١٢٥ - كتبَ إليّ السريُّ بن يحيى عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم ، قالوا : قال رستم : إنَّما ضَغَا الثعلب حين مات الأسد - يذكرّهم موتَ كسرى - ثم قال لأصحابه : قد خشيتُ أن تكونَ هذه سنة القرود ، ولما عَبر

(١) إسناده ضعيف .

أهل فارس أخذوا مصافَّهم ، وجلس رستم على سريره وضُرب عليه طيّارة ، وعبّى في القلب ثمانية عشر فيلاً ، عليهَا الصناديق والرّجال ، وفي المجنَّبتين ثمانية وسبعة ، وعليها الصناديق والرّجال ، وأقام الجالِنوس بينه وبين ميمنته والبِيرزان بينه وبين ميسرته ، وبقيت القنطرة بين خيلين من خيول المسلمين وخيول المشركين ، وكان يزدجرد وضع رجلاً على باب إيوانه؛ إذ سرّح رستم ، وأمرَه بلزومه وإخباره وآخر حيث يسمعه من الدار ، وآخر خارج الدار ، وكذلك على كل دعوة رجلاً؛ فلما نزل رستم ، قال الذي بساباط: قد نزل ، فقال الآخر. . . حتى قاله الذي على باب الإيوان؛ وجعل بين كلّ مرحلتَيْن على كلّ دعوة رجلاً؛ فكلّما نزل وارتحل أو حدث أمرٌ قاله؛ فقاله الذي يليه ، حتى يقوله الذي يلي باب الإيوان؛ فنظّم ما بين العتيق والمدائن رجالاً ، وترك البُرُد ، وكان ذلك هو الشأن.

وأخذ المسلمون مصافَّهم ، وجُعِل زُهرة وعاصم بين عبد الله وشُرَحبيل ، ووكّل صاحب الطلائع بالطِّراد ، وخلَط بين الناس في القلب والمجنَّبات ، ونادى مناديه: ألا إنّ الحسد لا يحلّ إلاّ على الجهاد في أمر الله يا أيّها الناس؛ فتحاسدوا وتغَايروا على الجِهاد ، وكان سعد يومئذ لا يستطيعُ أن يركبَ ولا يجلس ، به حُبون ، فإنَّما هو على وجهه في صدره وسادة ، هو مُكِبّ عليها ، مُشرِف على الناس من القَصْر ، يرمي بالرّقاع فيها أمرُه ونهيُه ، إلى خالد بن عُرْفُطة ، وهو أسفل منه؛ وكان الصفّ إلى جنب القَصْر ، وكان خالد كالخليفة لسعد لو لم يكن سعد شاهداً مُشرِفاً[١]. (٣: ٥٣٠/ ٥٣١).

١٢٦ ـ كتب إليّ السريُّ ، قال: حدّثنا شعيب عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم ، قالوا: وأرسل سعدٌ الذين انتهى إليهم رأيُ الناس ، والذين انتهت إليهم نجدتُهم وأصناف الفَضْل منهم إلى الناس ، فكان منهم من ذوِي الرأي النَّفرُ الذي أتوا رستم المغيرةُ ، وحُذَيْفة ، وعاصم؛ وأصحابهم؛ ومن أهل النجدة طُلَيْحة ، وقَيس الأسديّ ، وغالب ، وعمرو بن مَعْديكرب وأمثالهم ، ومن الشعراء الشَّمَّاخ والحُطَيْئَة ، وأوس بن مَغْراء ، وعبْدة بن الطبيب؛ ومن

---

(١) إسناده ضعيف ولبعضه ما يقويه كما سنذكر بعد قليل.

سائر الأصناف أمثالهم. وقال قبل أن يُرسلهم: انطلقوا فقومُوا في النَّاس بما يحقّ عليكم ويحقّ عليهم عند مواطن البأس؛ فإنَّكم من العرب بالمكان الذي أنتم به، وأنتم شُعراء العرب وخُطباؤهم وذوو رأيهم ونجدتهم وسادتهم، فسيروا في الناس، فذكِّروهم وحَرّضوهم على القتال. فساروا فيهم، فقال قيس بن هُبَيرة الأسَديّ: أيُّها الناس! احمَدوا الله على ما هداكم له وأبلاكم يَزِدْكم، واذكروا آلاءَ الله، وارغَبوا إليه في عاداته؛ فإنّ الجنّة أو الغنيمة أمامكم؛ وإنه ليس وراء هذا القصْر إلا العراء والأرض القَفْر، والظِّراب الخُشْن، والفلوات التي لا تقطعها الأدِلّة.

وقال غالب: أيُّها الناس! احمَدوا الله على ما أبلاكم، وسلوه يزدْكم، وادعوه يُجبْكم؛ يا معاشر مَعَدّ! ما علَّتُكم اليوم وأنتم في حصونكم -يعني: الخيل- ومعكم من لا يعصيكم -يعني: السيوف- اذكروا حديث الناس في غدٍ؛ فإنه بكم غداً يُبْدَأ عنده، وبمن بعدكم يُثنَّى.

وقال ابن الهُذيْل الأسديّ: يا معاشر معدّ! اجعلوا حصونكم السيوف، وكونوا عليهم كأسود الأجَم، وترَبَّدوا لهم تربُّد النُّمور، وادَّرِعوا العَجاج، وثقوا بالله، وغُضّوا الأبصار، فإذا كلَّت السيوف فإنها مأمورة، فأرسلوا عليهم الجنادل، فإنها يؤْذن فيما لا يؤذن للحديد فيه.

وقال بُسْر بن أبي رُهْم الجُهَنيّ: احمَدوا الله، وصدّقوا قولكم بفعل، فقد حمِدتم الله على ما هداكم له ووحّدتموه ولا إله غيره، وكبّرتموه، وآمنتم بنبيّه ورُسُله فلا تَموتُنّ إلا وأنْتم مُسْلِمُون؛ ولا يكوننّ شيء بأهونَ عليكم من الدُّنيا، فإنها تأتي مَن تهاون بها، ولا تميلوا إليها فتهرُب منكم لتميلَ بكم. انصُرُوا الله ينصُركم.

وقال عاصم بن عمرو: يا معاشرَ العرب! إنّكم أعيانُ العرب، وقد صمدتم الأعيان من العجم؛ وإنما تخاطرون بالجنَّة، ويخاطرون بالدنيا، فلا يكونُنّ على دنياهم أحوطَ منكم على آخرتكم. لا تحدِثوا اليوم أمراً تكونون به شَيْئاً على العَرَب غداً.

وقال ربيع بن البلاد السعديّ: يا معاشرَ العرب! قاتلوا للدّين والدُّنيا؛ ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ

لِلْمُتَّقِينَ﴾ ، وإن عظَّم الشيطان عليكم الأمرَ ، فاذكروا الأخبار عنكم بالمواسم ما دام للأخبار أهل .

وقال رِبْعيّ بن عامر : إنّ الله قد هداكم للإسلام ، وجمعكم به ، وأراكم الزّيادة ، وفي الصبر الرّاحة ، فعَوّدوا أنفسَكم الصبر تعتادوه ، ولا تعوّدوها الجَزَع فتعتادوه .

وقام كلّهم بنحو من هذا الكلام ، وتواثَق الناس ، وتعاهدوا ، واهتاجوا لكلّ ما كان ينبغي لهم ، وفعل أهلُ فارس فيما بينهم مثلَ ذلك ، وتعاهدوا وتواصوْا؛ واقترنوا بالسلاسل؛ وكان المقترنون ثلاثين ألفاً[١] . (٣ : ٥٣٣/ ٥٣٤/ ٥٣٥) .

١٢٧ ـ كتب إليّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ، قال : مرّ بنا عمرو بن معديكرب وهو يحضّض الناس بين الصّفين ، وهو يقول : إنَّ الرجل مِن هذه الأعاجم إذا ألقى مِزراقه؛ فإنَّما هو تيْس . فبينا هو كذلك يحرّضنا إذ خرج إليه رجلٌ من الأعاجم ، فوقف بين الصّفَّين فرمى بنُشّابة ، فما أخطأت سِيَةَ قوسِه وهو متنكِّبها ، فالتفت إليه فحمل عليه ، فاعتنقه ، ثم أخذ بِمنْطَقته ، فاحتمله فوضعه بين يديه ، فجاء به حتى إذا دنا؛ منَّا كسر عنقَه ، ثم وضع سيفَه على حَلْقه فذبحه؛ ثم ألقاه ، ثم قال : هكذا فاصنعوا بهم! فقلنا : يا أبا ثَور ! مَن يستطيع أن يصنع كما تصنع[٢]؟!

١٢٨ ـ كتب إليَّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، قال : كانت ـ يعني : وقعة القادسيَّة ـ في المحرّم سنة أربع عشرة في أوله . وكان قد خرج من الناس إليهم ، فقال له أهل فارس : أجِلْنا ، فأحالهم على بَجِيلة ، فصرفوا إليها ستَّة عشر فيلاً[٣] . (٣ : ٥٣٨) .

يــوم أغــــواث

١٢٩ ـ كتب إليّ السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالا :

---

(١) إسناده ضعيف وسنتحدث عن القادسية بعد قليل .

(٢) إسناده ضعيف وسنذكر ما يقويه بعد سرد هذه الروايات .

(٣) إسناده ضعيف وسنذكر ما يقويه بعد سرد هذه الروايات .

وكان سعد قد تزوّج سلْمَى بنت خَصَفة؛ امرأة المثنّى بن حارثة قبله بشَراف، فنزل بها القادسيّة، فلمّا كان يوم أرماث، وجال الناسُ، وكان لا يُطيق جِلْسةً إلاّ مستوفِزاً أو على بطنه؛ جعل سعد يَتَمَلمل ويحُول جَزَعاً فوق القصر؛ فلمّا رأت ما يصنع أهلُ فارس، قالت: وامُثنَّيَاهُ ولا مُثنّى للخيل اليوم! ـ وهي عند رجل قد أضجره ما يَرى من أصحابه وفي نفسه ـ فلطَم وجهها، وقال: أين المثنّى من هذه الكتيبة التي تدورُ عليها الرّحى! ـ يعني: أسداً وعاصماً وخيله ـ فقالت: أغَيْرةً وجُبْناً! قال: والله لا يعذِرني اليوم أحد إذا أنتِ لم تعذريني وأنتِ تَرَيْنَ ما بي، والناس أحقُّ ألاّ يعذِروني! فتعلَّقها الناس؛ فلمّا ظهر النّاس؛ لم يبقَ شاعر إلاّ اعتدّ بها عليه؛ وكان غير جَبان، ولا ملوم، ولمّا أصبح القوم من الغد أصبحوا على تعبية، وقد وكّل سعد رجالاً بنقل الشهداء إلى العُذيْب ونقلِ الرّثيث؛ فأمّا الرّثيث فأسلِمَ إلى النساء يقمْن عليهم إلى قضاء الله عزّ وجل عليهم؛ وأمّا الشُّهداء فدفنوهم هنالك على مُشَرّق ـ وهو وادٍ بين العُذيْب وبين عين الشمس في عُدْوتَيْه جميعاً؛ الدنيا منهما إلى العُذَيب والقُصَوى منهما من العُذيب ـ والنّاس ينتظرون بالقتال حَمْلَ الرّثِيث والأموات؛ فلمّا استقلّت بهم الإبل وتوجَّهت بهم نحو العُذَيب طلعت نواصي الخيل من الشأم ـ وكان فتح دِمَشْق قبل القادسيّة بشهر ـ فلمّا قدم على أبي عُبَيدة كتاب عمر بصَرف أهلِ العراق أصحاب خالد؛ ولم يذكر خالداً ضنَّ بخالد فحبسه وسرّح الجيش؛ وهم ستة آلاف؛ خمسة آلاف من ربيعة ومُضر وألف من أفناء اليَمن من أهل الحجاز؛ وأمّر عليهم هاشم بن عُتبة بن أبي وقّاص، وعلى مقدّمته القعقاع بن عمرو، فجعله أمامه؛ وجعل على إحدى مجنّبتَيْه قيس بن هُبيرة بن عبد يغوث المراديّ ـ ولم يكن شهد الأيّام، أتاهم وهم باليرموك حين صُرِف أهل العراق وصُرف معهم ـ وعلى المجنَّبة الأخرى الهَزهاز بن عمرو العِجليّ، وعلى الساقة أنس بن عبّاس. فانجذب القعقاع وطوى وتعجّل، فقدم على الناس صبيحة يوم أغواث، وقد عهد إلى أصحابه أن يتقطّعوا أعشاراً؛ وهم ألف، فكُلّما بلغ عشرة مَدَى البَصَر سرّحوا في آثارهم عشرة، فقدّم القعقاع أصحابه في عشرة، فأتى النّاس فسلّم عليهم، وبشّرهم بالجنود، فقال: يا أيّها الناس! إنّي قد جئتكم في قوم؛ والله أن لو كانوا بمكانكم، ثم أحسُّوكم حسدوكم حُظْوتَها، وحاولوا أن يطيروا بها دونكم، فاصنعوا كما أصنع. فتقدّم ثم نادى: مَن يبارز؟ فقالوا فيه بقول أبي بكر: لا يُهْزَم

جيشٌ فيهم مثل هذا ، وسكنوا إليه ، فخرج إليه ذو الحاجب ، فقال له القعقاع : مَن أنت؟ قال : أنا بهْمَن جاذَوَيْه ، فنادى : يا لِثارات أبي عبيد وسَلِيط وأصحاب يوم الجِسْر! فاجتلدا ، فقتله القعقاع ، وجعلت خيله تَرِد قِطَعاً ، وما زالت تَرِدُ إلى الليل وتنشّط الناس؛ وكأن لم يكن بالأمس مصيبة؛ وكأنَّما استقبلوا قتالَهم بقتل الحاجبيّ وللحاق القِطَع ، وانكسرت الأعاجم لذلك ، ونادى القعقاع أيضاً : مَن يبارز؟ فخرج إليه رجلان : أحدهما البِيرزان والآخر البِندوان؛ فانضمّ إلى القعقاع الحارث بن ظَبْيَان بن الحارث أخو بني تَيْم اللاّت ، فبارز القعقاع البِيرزان ، فضربه فأذرى رأسَه ، وبارز ابن ظَبْيان البِندوان ، فضربه فأذرى رأسَه ، وتورَّدهم فرسان المسلمين ، وجعل القعقاع يقول : يا معاشِرَ المسلمين ! باشروهم بالسيوف ، فإنَّما يُحصَد الناس بها! فتواصَى النَّاس ، وتشايعوا إليهم ، فاجتلدوا بها حتَّى المساء ، فلم ير أهل فارس في هذا اليوم شيئاً ممَّا يعجبهم ، وأكثر المسلمون فيهم القتْل ، ولم يقاتلوا في هذا اليوم على فِيل ، كانت توابيتها تكسَّرت بالأمس ، فاستأنفوا علاجها حين أصبحوا فلم ترتفع حتى كان الغد[1] . (٣ : ٥٤٢/ ٥٤٣/ ٥٤٤) .

١٣٠ ـ كتب إليّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن القاسم بن سُليم بن عبد الرحمن السعديّ ، عن أبيه ، قال : كان يكون أوّل القتال في كلّ أيامها المطاردة ، فلمّا قدم القعقاع قال : يا أيّها الناس ! اصنعوا كما أصنع ، ونادَى : مَنْ يبارزُ؟ فبرز له ذو الحاجب فقتلَه ، ثم البِيرزان فقتله ، ثم خرج الناس من كلّ ناحية ، وبدأ الحرب والطِّعان ، وحمل بنو عمّ القعقاع يومئذ ، عشرة عشرة من الرجَّالة ، على إبل قد ألبسوها فهي مجلَّلة مبرقعة ، وأطافت بهم خيولُهم ، تحميهم ، وأمرهم أن يحملوا على خيلهم بين الصّفين يتشبَّهون بالفيَلة ، ففعلوا بهم يوم أغواث كما فعلت فارس يوم أرماث ، فجعلت تلك الإبل لا تصمد لقليل ولا لكثير إلاَّ نفرت بهم خيلهم ، وركبتهم خيول المسلمين ، فلمَّا رأى ذلك الناس استنُّوا بهم ، فلقيَ فارس من الإبل يوم أغواث أعظَم ممَّا لقي المسلمون من الفيَلة يوم أرماث .

---

(١) إسناده ضعيف وسنذكر الشواهد بعد قليل .

وحمل رجلٌ من بني تميم ممَّن كان يحمي العشيرة يقال له: سواد، وجعل يتعرَّض للشهادة، فقُتل بعدما حمل، وأبطأت عليه الشهادة؛ حتى تعرَّض لرستم يريده، فأصيب دونه[١]. (٣: ٥٤٥).

١٣١ ـ كتب إليَّ السريُّ عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وزياد، قالوا: قَتل القعقاع يوم أغواث ثلاثين في ثلاثين حملة، كلَّما حمل حملة قتل فيها، فكان آخرهم بُزُرْجُمِهر الهمَذانيّ، وقال في ذلك القعقاع:

حَبَوْتُهُ جَيَّاشةً بالنّفس هَدَّارةً مثلَ شُعاع الشمسِ
في يوم أغواثٍ فَلَيْلِ الفُرْس أَنْخُسُ بالقوم أشَدَّ النَّخْس
حتى تَفِيضَ مَعْشَري ونَفْسي

وبارز الأعْوَر بن قُطبة شَهْرَبَرازَ سِجْستان، فقتل كلّ واحد منهما صاحبه، فقال أخوه في ذلك:

لم أرَ يوماً كان أحلَى وأمَرْ من يوم أغواثٍ إذِ افترَّ الثَّغَرْ
من غير ضَحْكٍ كان أَسْوَا وَأَبَرّ[٢]

(٣: ٥٤٧).

١٣٢ ـ كتب إليّ السريُّ عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وزياد؛ وشاركهم ابن مِخراق عن رجل من طَيّىء، قالوا: وقاتلت الفرسان يوم الكتائب فيما بين أن أصبحوا إلى انتصاف النهار؛ فلمَّا عدَل النهار تزاحف الناس، فاقتتلوا بها صَتيتاً حتى انتصف الليل؛ فكانت ليلة أرماث تُدعى الهَدْأة، وليلة أغواث تُدعى السَّواد، والنّصف الأول يدعى السَّواد، ثم لم يزل المسلمون يروْن في يوم أغواث في القادسيَّة الظَّفَر، وقتلوا فيه عامّة أعلامهم؛ وجالت فيه خيل القلب، وثبتَ رَجْلهم؛ فلولا أنَّ خيلهم كرّت أخذ رستم أخذاً، فلمَّا ذهب السواد بات النَّاس على مثل ما بات عليه القوم ليلة أرماث؛ ولم يزل المسلمون ينتمون لَدُن أمسوا حتى تفايؤوا. فلمَّا أمسى سعد وسمع ذلك نام، وقال لبعض من عنده: إن تمّ الناس على الانتماء فلا تُوقِظْني، فإنهم أقوياء على عدوّهم؛ وإن سكتوا ولم

---

(١) إسناده ضعيف وسنتحدث عن متابعات وشواهد روايات القادسية (عند الطبري) بعد قليل.

(٢) إسناده ضعيف وسنذكر شواهده بعد سرد الروايات.

ينتَم الآخرون فلا توقظني ، فإنَّهم على السَّواء فإن سمعتَهم ينتمون فأيقظِني ؛ فإن انتماءهم عن السَّوء .

فقالوا : ولما اشتدّ القتال بالسواد ، وكان أبو مِحْجَن قد حُبس وقُيِّد ، فهو في القصر ، فصعد حين أمسى إلى سعد يستعفيه ويستقيله ، فزبره وردّه ، فنزل ، فأتى سلْمَى بنت خَصَفة ، فقال : يا سلمى يا بنت آل خَصَفة ! هل لكِ إلى خير؟ قالت : وما ذاك؟ قال : تخلِّين عنِّي وتُعيرينني البَلقاء ؛ فلله عليَّ إن سلَّمني الله أن أرجع إليكِ حتى أضعَ رجلي في قَيْدي ، فقالت : وما أنا وذاك! فرجع يرسُف في قيوده ، ويقول :

كَفَى حَزَناً أن تَرْدِيَ الخَيْلُ بالقَنا ... وأُتْرَكَ مشدوداً عليَّ وثاقيا

إذا قُمْتُ عَنَّاني الحديدُ وأُغلِقَتْ ... مصاريعُ دوني قد تُصِمُّ المُناديا

وقد كنتُ ذا مالٍ كثيرةٍ وإخْوَةٍ ... فقد تركوني واحداً لا أخا لِيَا

ولله عَهْدٌ لا أخيسُ بعهده ... لئن فُرِجَتْ ألاَّ أزورَ الحوانيا

فقالت سَلْمى : إنِّي استخرتُ الله ورضيتُ بعهدك ، فأطلقَتْه . وقالت : أمَّا الفَرَس فلا أعِيرها ؛ ورجعتْ إلى بيتها ، فاقتادها فأخرجها من باب القصر الذي يلِي الخندق فركبها ؛ ثم دبّ عليها ؛ حتى إذا كان بحيال الميمنة كبَّر ، ثم حمل على ميسرة القَوم يلعب برمحه وسلاحه بين الصَّفين ؛ فقالوا : بسرجها ، وقال سعيد والقاسم : عُرْياً ؛ ثم رجع من خلف المسلمين إلى الميسرة فكبَّر وحمل على ميمنة القوم يلعب بين الصَّفين برمحه وسلاحه ، ثم رجع من خلْف المسلمين إلى القلب فندَر أمام النَّاس ، فحمل على القوم يلعب بين الصَّفين برمحه وسلاحه ؛ وكان يقصِف الناس ليلتئذٍ قصْفاً منكراً وتعجَّب الناس منه وهم لا يعرفونه ولم يروْه من النَّهار ، فقال بعضهم : أوائل أصحاب هاشم أو هاشم نفسه ، وجعل سعد يقول وهو مُشرِف على النَّاس مُكِبّ من فوق القصر : والله لولا مَحْبس أبي مِحْجَن لقلتُ : هذا أبو مِحْجن وهذه البلقاء! وقال بعض الناس : إنْ كان الخَضِر يشهد الحروب فنظنّ صاحب البلقاء الخَضِر ، وقال بعضهم : لولا أنّ الملائكة لا تُباشر القتال لقلنا : مَلَكٌ يثبِّتنا ؛ ولا يذكره الناس ولا يأبهون له ؛ لأنَّه بات في محبسه ، فلما انتصف الليل حاجز أهل فارس ، وتراجع المسلمون ،

وأقبل أبو محْجَن حتى دخل من حيث خرج؛ ووضع عن نفسه وعن دابته، وأعاد رجلَيْه في قيديْه، وقال:

لقد علِمَتْ ثَقيفٌ غيرَ فَخْرٍ بأنّا نحن أكرَمُهم سُيُوفا
وأكثَرُهُمْ دُروعاً سابغَاتٍ وأصبَرُهم إذا كَرِهوا الوُقُوفا
وأنّا وَفدُهم في كلّ يومٍ فإن عَمِيُوا فَسَل بِهِمُ عَرِيفا
وليلةَ قادِسٍ لم يَشْعُروا بي ولم أُشْعِرْ بمَخْرَجِيَ الزُّحُوفا
فإن أُحْبَسْ فذلكُمُ بلائي وإنْ أترَكْ أذيقُهُمُ الحُتوفا

فقالت له سلْمى: يا أبا مِحْجَن! في أيّ شيء حبسك هذا الرجل؟ قال: أمَا والله ما حبسني بحرام أكلته ولا شربته؛ ولكني كنت صاحبَ شراب في الجاهليَّة، وأنا امرؤ شاعر يدِبّ الشعر على لساني، يبعثه على شفتي أحياناً، فيُساء لذلك ثنائي؛ ولذلك حبسني، قلت:

إذا مِتُّ فادْفِنّي إلى أصل كَرْمَةٍ تُرَوِّي عِظامي بعد موتي عُرُوقها
ولا تَدْفِنّي بالفَلاة فإنني أخافُ إذا ما مِتُّ ألاَّ أذوقها
وتُرَوِّي بخمر الحُصِّ لَحدِي فإنني أسيرٌ لها من بعدِ ما قد أسوقُها

ولم تزل سلْمى مغاضبة لسعد عشيَّة أرماث، وليلة الهدأة، وليلة السواد؛ حتى إذا أصبحتْ أتته وصالحتْه وأخبرته خبرها وخبر أبي محجن، فدعا به فأطلقه، وقال: اذهب فما أنا مؤاخذك بشيء تقوله حتى تفعله، قال: لا جَرَم، والله لا أجيب لساني على صفة قبيح أبداً[1]. (٣: ٥٤٧/ ٥٤٨/ ٥٤٩/ ٥٥٠).

يوم عِماس

١٣٣ ـ كتب إليَّ السريُّ بن يحيى عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم، وابن مخراق عن رجل من طيّئ، قالوا: فأصبحوا من اليوم الثالث؛ وهم على مواقفهم؛ وأصبحت الأعاجم على مواقفهم، وأصبح ما بين النَّاس كالرِّجلة الحَمراء ـ يعني: الحَرَّة ـ ميلٌ في عرض ما بين الصّفين، وقد قتل

(١) إسناده ضعيف وسنتطرق إلى ذكر الروايات الصحيحة عند غير الطبري بعد قليل إن شاء الله تعالى.

من المسلمين ألفان من رثيث ومَيّت ، ومن المشركين عشرة آلاف من رثيث وميّت. وقال سعد: مَنْ شاء غَسَل الشهداء ، ومن شاء فليدفنْهم بدمائهم ، وأقبل المسلمون على قتلاهم فأحرزوهم ، فجعلوهم من وراء ظهورهم ، وأقبل الذين يجمعون القتلى يحملونهم إلى المقابر ، ويُبلِّغون الرّثيث إلى النساء، وحاجب بن زيد على الشهداء ، وكان النِّساء والصبيان يحفرون القبور في اليومين: يوم أغواث ، ويوم أرماث ، بِعُدْوتَي مشرّق ، فدُفن ألفان وخمسمئة من أهل القادسيَّة وأهل الأيّام ، فمرّ حاجب وبعض أهلِ الشهادة ووُلاةِ الشهداء في أصل نخلة بين القادسيَّة والعُذَيْب ، وليس بينهما يومئذ نخلة غيرها ، فكان الرّثيث إذا حُملوا فانتهيَ بهم إليها وأحدهم يَعقِل سألهم أن يقفوا به تحتها يستَرْوح إلى ظلِّها ، ورجل من الجرْحَى يُدعى بُجَيراً ، يقول وهو مستظلّ بظلها:

ألا يا اسْلَمِي يا نَخْلَةً بين قادسٍ وبين العُذَيْبِ لا يُجاوِرُكِ النَّخْلُ

ورجل من بني ضبَّة ، أو من بني ثوْر يُدعى غَيْلان ، يقول:

أَلا يا اسلَمِي يا نخلةً بين جَرْعةٍ يجاوِرُكِ الجُمّانُ دونكِ والرَّغلُ

ورجل من بني تيْم الله ، يقال له: رِبْعيّ يقول:

أيا نخلة الجرعاءِ يا جَرْعةَ العِدَى سقَتْكِ الغوادي والغيوث الهواطِل

وقال الأعور بن قطبة:

أيا نخلة الرُّكبان لازُلْتِ فانضرِي ولا زال في أكناف جَرْعَائِكِ النَّخل

وقال عوف بن مالك التميميّ ـ ويقال التيْميّ تَيْم الرّباب:

أَيا نخلةً دون العُذَيب بتَلْعةٍ سُقِيتِ الغَوادِي المُدْجناتِ من النّخل[١]

(٣: ٥٥٠/ ٥٥١).

١٣٤ ـ كتب إليّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد ، قالوا: وبات القعقاع ليلته كلَّها يسرّب أصحابَه إلى المكان الذي فارقهم فيه من الأمس ، ثم قال: إذا طلعتْ لكم الشمس ، فأقبلوا مئة مئة ، كلّما توارى عنكم مئة فليتبعها مئة؛ فإن جاء هاشم فذاك وإلاّ جدَّدتم للناس رَجاءً وجدّاً ، ففعلوا ،

(١) إسناده ضعيف وسنذكر ما يؤيده بعد قليل وأرقام هذه الرواية أقرب إلىٰ الصحة من غيرها وأبعدها عن المبالغة من غيرها كما سنرىٰ والله تعالىٰ أعلم.

ولا يشعر بذلك أحدٌ ، وأصبح الناس على مواقفهم قد أحرزوا قتلاهم؛ وخلّوْا بينهم وبين حاجِب بن زيد وقتلى المشركين بين الصّفّين قد أضيعوا ، وكانوا لا يعرضون لأمواتهم ، وكان مكانهم مما صنع الله للمسلمين مكيدة فتحها ليشدّ بها أعضاد المسلمين. فلمّا ذرّ قرن الشمس والقعقاع يلاحظ الخيلَ ، وطلعت نواصيها كبّر وكبّر الناس ، وقالوا: جاء المَدَد ، وقد كان عاصم بن عمرو أمر أن يصنع مثلها ، فجاؤوا من قِبَل خَفّان ، فتقدمَ الفرسان وتكتّبت الكتائب ، فاختلفوا الضّرب والطّعن ، ومددُهم متتابع؛ فما جاء آخر أصحاب القعقاع حتى انتهى إليهم هاشم ، وقد طلعوا في سبعمئة ، فأخبروه برأي القعقاع وما صنع في يوميه ، فعبّى أصحابه سبعين سبعين ، فلمّا جاء آخر أصحاب القعقاع خرَج هاشم في سبعين معه ، فيهم قيس بن هبيرة بن عبد يغوث ـ ولم يكن من أهل الأيّام؛ إنما أتى من اليمن اليَرموك ـ فانتدب مع هاشم ، فأقبل هاشم حتى إذا خالط القلب؛ كبّر وكبّر المسلمون؛ وقد أخذوا مصافّهم ، وقال هاشم: أوّل القتال المطاردة ثم المراماة؛ فأخذ قوسَه ، فوضع سهماً على كَبِدها ، ثمّ نزع فيها ، فرفعت فرسُه رأسها ، فخلّ أذنها ، فضحك وقال: واسوأتاه من رمية رجل! كلّ من رأى ينتظره! أين ترون سهمي كان بالغاً؟ فقيل: العتيق ، فنزّقها وقد نزع السهم ، ثم ضربها حتى بلغت العتيق ، ثم ضربها فأقبلت به تخرقها ، حتى عاد إلى موقفه ، وما زالت مَقَانبه تطلع إلى الأولى ، وقد بات المشركون في علاج توابيتهم ، حتى أعادوها ، وأصبحوا على مواقفهم ، وأقبلت الفِيَلة معها الرجّالة يحمُونها أن تقطعَ وُضُنها ، ومع الرّجّالة فرسان يحمونهم ، إذا أرادوا كتيبة دلفوا لها بفيل وأتباعه؛ ليُنفِّروا بهم خيلَهم فلم يكن ذلك منهم كما كان بالأمس ، لأنّ الفيل إذا كان وحْده ليس معه أحد كان أوحشَ ، وإذا أطافوا به كان آنس ، فكان القتال كذلك ، حتى عدَل النهار ، وكان يومُ عِماس من أوّله إلى آخره شديداً؛ العرب والعجم فيه على السواء ، ولا يكون بينهم نُقطة إلاّ تعاوَرَها الرجال بالأصوات حتى تبلغ يزدجِرْد ، فيبعث إليهم أهل النَّجدات ممَّن بقي عنده ، فيَقْوَون بهم ، وأصبحت عنده للّذي لقيَ بالأمس الأمداد على البُرد ، فلولا الذي

صنع الله للمسلمين بالذي ألهم القعقاعَ في اليومين وأتاح لهم بهاشم ، كسر ذلك المسلمين[١] . (٣: ٥٥١/ ٥٥٢) .

١٣٥ ـ كتب إليّ السَّريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي كِبْران الحسن بن عُقبة : أنّ قيس بن المكشوح ، قال مقدَمَه من الشأم مع هاشم ، وقام فيمن يليه ، فقال لهم: يا معشرَ العرب ! إنّ الله قد منّ عليكم بالإسلام ، وأكرمكم بمحمَّد ﷺ ، فأصبحتم بنعمة الله إخواناً. دَعْوَتُكم واحدة ، وأمركم واحد ، بعد إذ أنتم يعدُو بعضكم على بعض عَدْوَ الأسْد ، ويختطف بعضكم بعضاً اختطاف الذئاب ، فانصروا الله ينصركم ، وتنجَّزوا من الله فتح فارس؛ فإنّ إخوانكم من أهل الشأم قد أنجز الله لهم فتح الشأم ، وانتثال القصور الحُمر والحصون الحُمر[٢] . (٣: ٥٥٤) .

١٣٦ ـ كتب إليّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن المقدام الحارثيّ ، عن الشعبيّ ، قال: قال عمرو بن معد يكرب: إنّي حاملٌ على الفيل ومَنْ حوله ـ لفيل بإزائهم ـ فلا تَدَعوني أكثر من جَزْر جَزور؛ فإن تأخَّرْتم عنّي فقدتم أبا ثور؛ فإنَّي لكم مثل أبي ثور! فإن أدركتموني وجدتموني وفي يدي السيف. فحمل فما انثنى حتى ضرب فيهم ، وستره الغبار ، فقال أصحابه: ما تنتظرون! ما أنتم بخُلَقاء أن تُدركوه ، وإن فقدتموه فقد المسلمون فارسَهم ، فحملوا حملة ، فأفرج المشركون عنه بعد ما صرعوه وطعنوه ، وإنْ سيفه لفي يده يضاربهم ، وقد طُعن فرسه ، فلمَّا رأى أصحابه ، وانفرج عنه أهل فارس أخذ برجْل فرس رجل من أهل فارس ، فحرّكه الفارسيّ ، فاضطرب الفرس ، فالتفت الفارسيّ إلى عمرو؛ فهمّ به وأبصره المسلمون؛ فغشُوه ، فنزل عنه الفارسيّ ، وحاضر إلى أصحابه ، فقال عمرو: أمكِنوني من لجامه ، فأمكنوه منه فركبه[٣] . (٣: ٥٥٤) .

١٣٧ ـ كتب إليّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن عبد الله بن المغيرة العبديّ ، عن الأسود بن قيس ، عن أشياخ لهم شهدوا القادسيَّة ، قالوا: لمّا كان يوم عِماس؛ خرج رجل من العجم حتى إذا كان بين الصّفين هدر وشقشق ونادى:

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف.

(٣) إسناده ضعيف وسنتطرق إلىٰ الشواهد والمتابعات بعد انتهائنا من سرد روايات الطبري هذه.

مَنْ يبارز؟ فخرج رجل منّا يقال له شَبْر بن علقمة ـ وكان قصيراً قليلاً دميماً ـ فقال: يا معشر المسلمين قد أنصفكم الرّجل! فلم يُجبه أحدٌ؛ ولم يخرج إليه أحد، فقال: أما والله لولا أن تزدروني لخرجت إليه، فلمّا رأى أنه لا يُمنع أخذ سيفه وحَجَفته، وتقدّم، فلمّا رآه الفارسيّ هدَر، ثم نزل إليه فاحتمله، فجلس على صدره، ثم أخذ سيفه ليذبحه ومِقْوَدُ فرسه مشدود بمِنْطقه، فلما استلّ السيف حاص الفرس حيصة فجذبه المقود، فقلبه عنه، فأقبل عليه وهو يُسْحب، فافترشه، فجعل أصحابه يصيحون به، فقال: صيحوا ما بدا لكم؛ فوالله لا أفارقه حتى أقتله وأسلبه. فذبحه وسلبه، ثم أتى به سعداً، فقال: إذا كان حين الظُّهر فائتني، فوافاه بالسَّلَب، فحمِد الله سعد وأثنى عليه، ثم قال: إنِّي قد رأيتُ أن أنحلَه إيّاه، وكلّ مَن سلب سلباً فهو له، فباعه باثني عشر ألفاً[1]. (٣: ٥٥٤/ ٥٥٥).

ليلـــة القادسيّـــة

١٣٨ ـ كتب إليّ السريُّ عن شعيب، عن سيف، عن محمّد وطلحة وزياد، قالوا: وأصبحوا ليلة القادسيَّة؛ وهي صُبْحة ليلة الهرير، وهي تسمّى ليلة القادسيَّة، من بين تلك الأيام والناس حَسْرَى، لم يغمضوا ليلتهم كلَّها، فسار القعقاع في النَّاس، فقال: إن الدّبْرة بعد ساعة لمن بدأ القوم، فاصبروا ساعة واحملوا، فإنّ النّصر مع الصّبر، فآثروا الصّبر على الجزَع؛ فاجتمع إليه جماعة من الرؤساء، وصمدوا لرستم، حتى خالطوا الّذين دونه مع الصُّبح. ولما رأت ذلك القبائل قامَ فيها رجال، فقام قيس بن عبد يَغوث والأشعث بن قيس وعمرو بن معديكرب وابن ذي السَّهْمَيْن الخثعميّ وابن ذي البُرْدَيْنِ الهلاليّ، فقالوا: لا يكوننّ هؤلاء أجدّ في أمر الله منكم، ولا يكوننّ هؤلاء ـ لأهل فارس ـ أجرأ على الموت منكم؛ ولا أسخَى أنفساً عن الدنيا، تَنافسوها، فحملوا ممَّا يليهم حتى خالطوا الَّذين بإزائهم، وقام في ربيعة رجال، فقالوا: أنتم أعلم الناس بفارس وأجرؤهم عليهم فيما مضى؛ فما يمنعكم اليوم أن تكونوا أجرأ مما كنتم بالجرْأة! فكان أوّل مَن زال حين قام قائم الظهيرة الهُرْمزان والبيرزان، فتأخَّرا وثبتا

(١) إسناده ضعيف وسنذكر ما يؤيده بعد قليل.

حيث انتهيا ، وانفرج القلْب حين قام قائم الظهيرة ، وركد عليهم النَّقْع ، وهبَّت ريحٌ عاصف ، فقلعت طيَّارة رستم عن سريره ، فهوت في العتيق؛ وهي دَبُور ، ومال الغبار عليهم، وانتهى القعقاع ومَن معه إلى السرير فعثروا به، وقد قام رستم عنه حين طارت الرّيح بالطيّارة إلى بغال قد قدمت عليه بمال يومئذ فهي واقفة ، فاستظلّ في ظلّ بغل وحِمْله ، وضرب هلال بن عُلَّفة الحِمْل الذي رستم تحته؛ فقطع حباله ، ووقع عليه أحد العِدْلين ، ولا يراه هلال ولا يشعر به؛ فأزال من ظهره فَقاراً ، ويضربه ضربة فنفحت مِسْكاً ، ومضى رستم نحو العتيق فرمى بنفسه فيه، واقتحمه هلال عليه؛ فتناوله وقد عام؛ وهلال قائم، فأخذه برجله، ثم خرج به إلى الجُدّ ، فضرب جبينه بالسَّيف حتى قتله ، ثم جاء به حتى رمى به بين أرجل البغال ، وصعد السرير ، ثم نادى: قتلتُ رستم وربّ الكعبة ! إليّ ! فأطافوا به وما يُحسُّون السرير ولا يروْنه؛ وكبَّروا وتنادَوْا ، وانبتّ قلب المشركين عندها وانهزموا ، وقام الجالنوس على الرّدْم ، ونادى أهل فارس إلى العبور ، وانسفر الغبار؛ فأمَّا المقترنون فإنَّهم جشعوا فتهافتوا في العتيق، فوخزهم المسلمون برماحهم فما أفلت منهم مخبِّر ، وهم ثلاثون ألفاً ، وأخذ ضِرار بن الخطاب «دِرَفْش كابيان»، فعُوّض منها ثلاثين ألفاً، وكانت قيمتها ألف ألف ومئتي ألف ، وقتلوا في المعركة عشرة آلاف سوى مَنْ قتلوا في الأيَّام قبله[١]. (٣: ٥٦٣/ ٥٦٤).

١٣٩ ـ كتب إليّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن عَطيَّة ، عن عمرو بن سَلمة ، قال: قتَل هلال بن عَلَّفة رستمَ يوم القادسيّة[٢]. (٣: ٥٦٤).

١٤٠ ـ كتب إليَّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد ، قالوا: لما انكشف أهلُ فارس؛ فلم يَبْقَ منهم بين الخَنْدق والعتيق أحد ، وطبّقت القتلى ما بين قُدَيْس والعتيق أمر سعد زُهرة باتّباعهم ، فنادى زهرة في المقدّمات ، وأمر القعقاعَ بمَن سفَل ، وشُرَحْبيل بمن علا ، وأمر خالد بن عُرْفَطة بسَلْب القتلى وبدَفْن الشهداء ، فدُفن الشهداء ، شهداء ليلة الهرير ويوم القادسيَّة حول قُديْس ألفان وخمسمئة وراءَ العتيق بحِيال مُشرِّق ، ودُفن شهداء ما كان قبل ليلة الهرير على مشرِّق ، وجُمعت الأسلاب والأموالُ فجُمع منها شيءٌ لم يُجمَع

(١) إسناده ضعيف وسنذكر متابعات وشواهد القصة بعد قليل.

(٢) إسناده ضعيف.

قبله ولا بعده مثله؛ وأرسل سعد إلى هلال ، فدعَا له ، فقال: أين صاحبُك؟ قال: رميتُ به تحت أبغُل؛ قال: اذهبْ فجىء به ، فذهب فجاء به ، فقال: جَرّدْه إلاّ ما شئتَ ، فأخذ سلبه فلم يَدَعْ عليه شيئاً ، ولما رجع القعقاع وشُرحبيل قال لهذا: اغدُ فيما طلب هذا ، وقال لهذا: اغد فيما طلب هذا؛ فعلا هذا ، وسفَل هذا ، حتى بلغا مقدار الخرّارة من القادسيَّة ، وخرج زُهرة بن الحَوِيَّةِ في آثارهم ، وانتهى إلى الرّدْم وقد بثقوه ليمنعوهم به من الطَّلَب ، فقال زهرة: يا بُكَيْر ، أقدِم ، فضرب فرسه ، وكان يقاتل على الإناث ، فقال: ثِبِي أطلالُ ، فتجمَّعت وقال: وَثْباً وسورة البَقَرَةِ! ووثب زهرةُ ـ وكان على حصان ـ وسائرُ الخيل فاقتحمته ، وتتابع على ذلك ثلاثمئة فارس ، ونادى زُهرة حيث كاعت الخيل: خذوا أيّها الناس على القنطرة ، وعارضونا ، فمضى ومضى الناس إلى القنطرةِ يتَّبعونه فلحق بالقوم والجالنوس في آخرِهم يحميهم ، فشاوله زهرة ، فاختلفا ضربتين ، فقتله زهرة ، وأخذ سلبَه ، وقتلوا ما بين الخرّارة إلى السَّيْلَحين ، إلى النَّجَف؛ وأمسَوا فرجعوا فباتوا بالقادسيّة[1] . (٣: ٥٦٥/ ٥٦٦) .

١٤١ ـ كتب إليّ السريُّ عن شُعيب ، عن سيف ، عن عبد الله بن شُبْرُمَة ، عن شقيق ، قال: اقتحمنا القادسيَّة صدرَ النهار ، فتراجَعْنا وقد أتى الصلاة؛ وقد أصيب المؤذّن ، فتشاحَّ النَّاس في الأذان حتى كادوا أن يجتلدوا بالسيوف ، فأقرع سعد بينهم؛ فخرج سهم رجل فأذَّن[2] . (٣: ٥٦٦) .

١٤٢ ـ ثم رجع الحديث: وتراجع الطلبُ الّذين طلبوا مَنْ علا على القادسيَّة ومَن سفَل عنها ، وقد أتَى الصلاة وقد قتل المؤذن فتشاحّوا على الأذان ، فأقرع بينهم سعد ، وأقاموا بقيَّة يومهم ذلك وليلتَهم حتى رجع زهرة ، وأصبحوا وهم جميعٌ لا ينتظرون أحداً من جندهم؛ وكتب سعد بالفتح وبعدّة مَنْ قتلوا ومن أصيب من المسلمين ، وسمّي لعُمَر مَن يعرف مع سعد بن عُمَيْلة الفزاريّ[3] . (٣: ٥٦٦) .

---

(١) إسناده ضعيف وسنذكر متابعات وشواهد القصة بعد قليل.

(٢) إسناده ضعيف وسنذكر ما يؤيده بعد قليل.

(٣) سنذكر ما يؤيده بعد قليل.

١٤٣ ـ كتب إليَّ السريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن سعيد بن المَرْزبان ، قال: خرج زهرة حتى أدرك الجالنوس؛ ملكاً من ملوكهم؛ بين الخرَّارة والسَّيْلَحين ، وعليه يارقَان وقُلْبان وقُرْطان على بِرْذَوْن له قد خَضِدَ ، فحمل عليه ، فقتله ، قال: والله إنَّ زهرة يومئذ لعلَى فرس له ما عنانها إلا من حَبْل مضفور كالمِقْودِ ، وكذلـك حزامها شَعْـرٌ منسوج ، فجاء بسلبه إلى سعـد ، فعرف الأسارى الذين عند سعد سلَبه ، فقالوا: هذا سلَب الجالنوس ، فقال له سعد: هل أعانك عليه أحد؟ قال: نعم ، قال: مَنْ؟ قال: الله ، فنفَّله سلبَه[١]. (٣: ٥٦٧).

١٤٤ ـ كتب إليَّ السَّريُّ عن شعيب ، عن سيف ، عن عبيدة ، عن إبراهيم ، قال: كان سعد استكثر له سلبَه ، فكتب فيه إلى عمر ، فكتب إليه عمر: إنّي قد نفَّلت مَنْ قتل رجلاً سلبَه؛ فدفعه إليه فباعه بسبعين ألفاً[٢]. (٣: ٥٦٧).

١٤٥ ـ حدّثنا ابن حميد ، قال: حدّثنا سَلمة عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر: غير براذع الرّحال ، قد عرضوا فيها الجريد ، يتّرسون بها عن أنفسهم ، وما عامَّة ما وضعوه على رؤوسهم إلا أنساع الرّحَال ، يطوي الرجل نِسْع رحْله على رأسه يتَّقي به ، والفُرس فيما بينها من الحديد واليلامق؛ فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وسعد في القصر ينظر ، معه سلمَى بنت خَصَفة؛ وكانت قبله عند المثنّى بن حارثة ، فجالت الخيل ، فرعبت سلمَى حين رأت الخيل جالت ، فقالت: وامثنَّاه ولا مُثنَّى لي اليوم! فغار سعد فلطم وجهها ، فقالت: أغَيْرةً وجُبْناً! فلمَّا رأى أبو مِحْجن ما تصنع الخيل حين جالت ، وهو ينظر من قصر العُذيب وكان مع سعد فيه ، قال:

كَفَى حَزَناً أن تَرْدِيَ الخْيل بالقنا ... وأُتْـرَكَ مشـدوداً عَلـيّ وثـاقِيـا
إذا قمْتُ عَنَّانـي الحديـدُ وأُغلقَتْ ... مَصـاريعُ دونـي لا تُجِيبُ المُناديا
وقـدْ كُنْـتُ ذَا مـالٍ كثيـرٍ وإخـوة ... فقَـدْ تَـركـونـي واحِـداً لا أخـا لِيـا

فكلَّم زَبْراءَ أمَّ ولد سعد ـ وكان عندها محبوساً ، وسعد في رأس الحصن ينظر

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.

إلى الناس ـ فقال: يا زَبْراءُ، أطلقيني ولك عليَّ عهد الله وميثاقه: لئن لم أقتل لأرجعنّ إليك حتى تجعلي الحديد في رجليّ، فأطلقته وحملته على فرس لسعد بلْقَاءَ وخلَّت سبيله، فجعل يشدّ على العدوّ وسعد ينظر، فجعل سعد يعرف فرسَه ويُنكرها، فلمّا أنْ فرغوا من القتال؛ وهزم الله جموع فارس، رجع أبو مِحْجن إلى زَبْراء، فأدخل رِجْله في قيده، فلمّا نزل سعد من رأس الحصن رأى فرسه تعرق، فعرف: أنها قد رُكِبَتْ، فسأل عن ذلك زَبْراء، فأخبرته خبر أبي مِحْجن فخلّى سبيله[1]. (٣: ٥٧٥).

١٤٧ ـ حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سَلمة، قال: حدّثنا محمد بن إسحاق، قال: وقد كان عمرو بن مَعْديكرب شهِد القادسيَّة مع المسلمين[2]. (٣: ٥٧٦).

١٤٨ ـ كتب إليَّ السريُّ عن شعيب، عن سيف، عن القاسم بن سُليم بن عبد الرحمن السعديّ، عن عثمان بن رجاء السعديّ، قال: كان سعد بن مالك أجرَأ النَّاس وأشجعَهمْ: إنه نزل قصراً غير حصين بين الصَّفَّين، فأشرف منه على النَّاس، ولو أعراه الصّفّ فُواقَ ناقة أخِذ برُمَّته؛ فوالله ما أكرثه هول تلك الأيام ولا أقلقه[3]! (٣: ٥٨٠).

١٤٩ ـ كتب إليّ السريُّ عن شعيب، عن سيف، عن محمَّد والمهلَّب وطلحة، قالوا: وكتب سعد بالفتح وبعدّة مَنْ قتلوا، وبعدّة مَن أصيب من المسلمين، وسَمَّى لعمر مَن يعرف مع سعد بن عُمَيلة الفزاريّ، وشاركهم النَّضْر بن السريّ عن ابن الرُّفيل بن مَيْسور، وكان كتابه: أمَّا بعد: فإن الله نصرَنا على أهل فارس، ومنحهم سُنَن مَن كان قبلهم من أهل دينهم، بعد قتال طويل وزِلزال شديد، وقد لقوا المسلمين بعِدّة لم ير الراؤون مثل زُهائها فلم ينفعهم الله بذلك، بل سَلَبَهموه ونقله عنهم إلى المسلمين، واتّبعهم المسلمون على الأنهار وعلى طفوف الآجام وفي الفجاج؛ وأصيب من المسلمين سعد بن عبيد القارىء، وفلان، وفلان، ورجال من المسلمين لا نَعلَمُهم، اللهُ بهم عالم،

(١) إسناده ضعيف وسنذكر شواهده بعد قليل.
(٢) إسناده ضعيف وهو صحيح كما سنذكر.
(٣) إسناده ضعيف.

كانوا يُدَوُّون بالقرآن إذا جنّ عليهم الليل دَويَّ النحل ، وهم آساد النَّاس؛ لا يشبِهُهم الأسود ، ولم يفضُل مَن مضى منهم مَن بقي إلاّ بفضل الشهادة؛ إذ لم تُكتَب لهم[١] . (٣ : ٥٨٣) .

---

(١) إسناده ضعيف .

متابعات وشواهد روايات الطبري في معركة القادسية

١ ـ أخرج الحافظ ابن أبي شيبة بسند صحيح في مصنفه (١٢/ح ١٥٥٩٠): حدثنا أبو أسامة عن إسماعيل عن قيس وسعيد بن منصور في سننه (٢/ ٢٧٧) من طريق هيثم عن إسماعيل عن قيس قال: شهدت القادسية وكان سعد على الناس وجاء رستم فجعل عمرو بن معديكرب الزبيدي يمر على الصفوف ويقول: يا معشر المهاجرين كونوا أسوداً أشداء أغنى شأناً إنما الفارسي تيس هوان يلقي بنيزكه ، قال: وكان معهم أسوار لا تسقط له نشابة فقلنا له: يا أبا ثور ! اتق ذاك ، قال: فإنا لنقول ذاك إذ رمانا فأصاب فرسه ، فحمل عمرو عليه فاعتنقه ثم ذبحه فأخذ سلبه سواري ذهب كانا عليه ومنطقة وقباء ديباح ، وفر رجل من ثقيف فخلا بالمشركين فأخبرهم فقال: إن الناس في هذا الجانب وأشار إلى بجيلة قال: فرموا إلينا ستة عشر فيلاً عليها المقاتلة وإلى سائر الناس فيلين ، قال: وكان سعد يقول يومئذ: سابجيلة ، قال قيس: وكنا ربع الناس يوم القادسية ، فأعطانا عمر ربع السواد فأخذناه ثلاث سنين. . . إلى آخر الحديث.

وقال ابن كثير: وقد روى محمد بن إسحاق عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم البجلي وكان ممن شهد القادسية قال: كان معنا رجل من ثقيف فلحق بالفرس مرتداً ، فأخبرهم أن بأس الناس في الجانب الذي فيه بجيلة ، قال: وكنا ربع الناس ، قال: فوجهوا إلينا ستة عشر فيلاً وجعلوا يلقون تحت أرجل خيولنا حسك الحديد ويرشقوننا بالنشاب ، فلكأنه المطر وقربوا خيولهم بعضها إلى بعض لئلا ينفروا. قال: وكان عمرو بن معديكرب الزبيدي يمر بنا فيقول: يا معشر المهاجرين كونوا أسوداً فإنما الفارسي تيس. قال: وكان فيهم أسوار لا تكاد تسقط له نشابة. فقلنا له: يا أبا ثور نق ذاك الفارسي فإنه لا تسقط له نشابة فوجه إليه الفارسي ورماه بنشابة فأصاب فرسه وحمل عليه عمرو فاعتنقه فذبحه فاستلبه سوارين من ذهب ومنطقة من ذهب ويلمقاً من ديباح. قال: وكان المسلمون ستة آلاف أو سبعة آلاف فقتل الله رستماً ، وكان الذي قتله رجل يقال له: هلال بن علقمة التميمي ، رماه رستم بنشابة فأصاب قدمه وحمل عليه هلال فقتله واحتز رأسه وولت الفرس فاتبعهم المسلمون يقتلونهم فأدركوهم في مكان قد نزلوا فيه واطمأنوا ، فبينما هم سكارى قد شربوا ولعبوا إذ هجم عليهم المسلمون فقتلوا منهم مقتلة عظيمة وقتل هنالك الجالينوس ، قتله زهرة بن حوية التميمي ، ثم ساروا خلفهم فكلما تواجه الفريقان نصر الله حزب الرحمن وخذل حزب الشيطان وعبدة النيران ، واحتاز المسلمون من الأموال ما يعجز عن حصره =